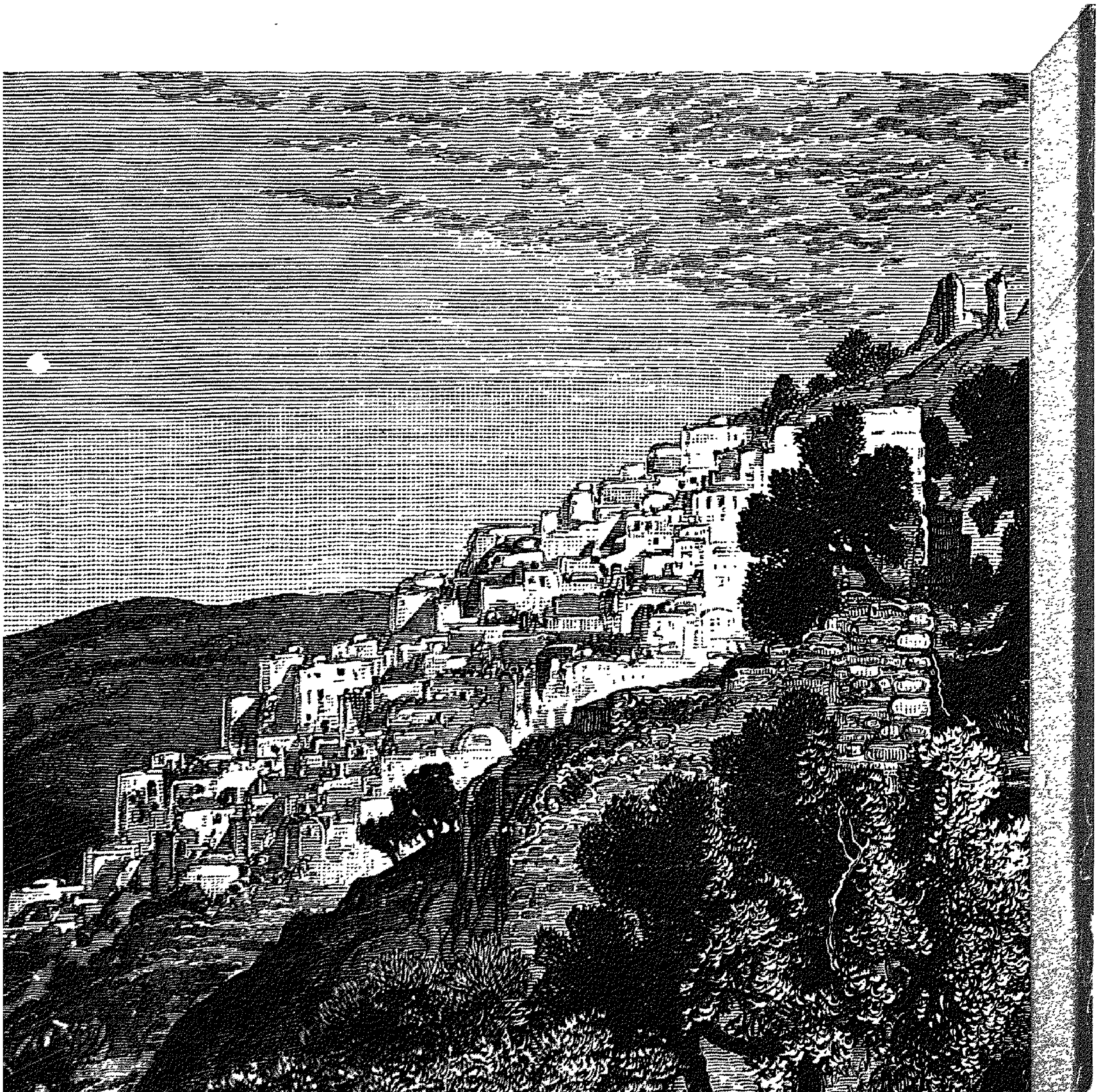
شؤون فلسطينية

١٧

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢/١ ٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠ ٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : صفد ، القرن التاسع عشر .

المحتويـــات

رسالة ابو عمار : الثورة مستمرة

طلبت شؤون فلسطينية من الاخ ابو عمار ان يوجه كلمة الى اخوانه المناضلين بمناسبة مرور ثمانية اعوام على انطلاقة فتح ، وكتقديم للدراسات التي اعدتها حركة فتح بهذه المناسبة وخصصنا لها السبعين صفحة الاولى .

اخواني المناضلين : في هذه المناسبة الهامة من عمر ثورتنا وهي تدخل عامها التاسع مودعة ثمانية اعوام حافلة بالمنجزات الضخمة من خلال نضالنا الشاق الطويل ، اتوجه برسالتي هذه الى جماهيرنا ، الى كل حملة البنادق من ثوارنا ومن آمن بهذه البنادق قولا وعملا ، الى الابطال من شعبنا الذين يقبضون بأياديهم القوية على بنادقهم وهم يتعربشون الجبال وثلوجها والاحراش واشجارها والصحارى ورمالها والوهاد وصخورها ، منطلقين من ايمانهم القوي المتين الذي لا يلين ولا يتزعزع بحق شعبهم في الحياة الحرة الكريمة وبقاء امتهم وحتمية انتصارها ، الى هؤلاء الابطال الصامدين في زنازين العدو الصهيوني نساء ورجالا يتحدون سجانيهم بايمانهم وصبرهم واصالتهم الثورية والى المخلصين الشرفاء في سجون السلطة العميلة في الاردن يواجهون بثباتهم وعزيمتهم العمالة والخيانة ، الى شعبنا الصامد البطل تحت نير الاحتلال الصهيوني يواجه بكل كبرياء العروبة في أمتنا هذا الاحتلال البغيض ، الى أبطالنا ممثلي الثورة ورسلها في الخارج وهم يتحدون الارهاب الصهيوني بارادة لا تلين ، الى شعبنا المناضل في الاردن الحبيب الذي اثبت دوما للعملاء في عمان اننا شعب واحد لا شعبين وانه بؤرة يتوالد فيها الابطال رغم كل انواع البطش والارهاب والتآمر والعمالة ، الى كل اصدقاء ثورتنا في جميع انحاء العالم الذين يتفهمون نضالنا العادل ويقفون بثبات داعمين مبادئنا واهداف نضالنا واثقين بقدرة الثورة على مواصلة المسيرة مهما كانت التحديات ، الى هؤلاء جميعا .. أتوجه بهذه الرسالة لانهم هم الذين صنعوا الثورة وهم كانوا وما زالوا حماتها وهم الذين أعطوها هذا الزخم الذي انبعثت منه انجازات ثورتهم العظيمة التي لم تقتصر اشعاعاتها على شعب فلسطين لتحوله من لاجئين الى ثوار ولكنها تخطت ذلك الى الابعاد الحضارية التي تميزت بها الثورة الفلسطينية في خضم المحيط العربي فأثرت وتؤثر في خط الثورة العربية الشاملة ، وفي طريق تحرر امتنا ومستقبلها . وانطلقت منها الى آفاقها العالمية تعطي وتأخذ ، تتعلم وتعلم ، تقاتل وتكافح في خنادق النضال الواحدة وفي مسارات الكفاح المشترك بين شعوب العالم .

ايها الاخوة الثوار : ان هذه المنطلقات الحضارية التي حكمت ثورتكم وهذه المثل السامية التي اتسمت بها مسيرتكم النضالية دفاعا عن الحق وعن الارض وعن المبادىء المقدسة، هي التي جعلتها محور الاستقطاب لمجمل حركة الجماهير العربية ونقطة الارتكاز الاساسية لكل الثوار العرب الشرفاء ، وجعلتها انطلاقا من ذلك كله ساحة الصدام الرئيسية ضد قوى البغي والعدوان الامبريالي الصهيوني التي لا تكف تعمل بشراهة وجشع على تكبيل هذه الأمة العربية والسيطرة عليها وعلى منابع خيراتها واقتصادياتها وموقعها الجغرافي والاستراتيجي الخطير ، ومن ثم انهائها كأمة ذات حضارة وتاريخ ووجود لتعيد بمراكز القوى الاميركية نفس قصة افناء شعب الهنود الحمر على ايادي الفاشيين النازيين رعاة البقر الجدد ، ولفرض السلم الامريكي الاسرائيلي على المنطقة العربية ولتصبح منطقتنا مجرد « غيتو » عربي يستهلك الانتاج ويورد العمال لعجلة الصناعة في ظل الخريطة الاسرائيلية الاميركية المعدة لمنطقتنا وأمتنا .

من هنا كانت ايها الثوار القيمة الحضارية لثورتكم ، ومن هنا كانت أهمية تواجدكم وبنادقكم في اياديكم ، ومن هنا كانت شراسة الهجمة الامبريالية الصهيونية وعملائها في المنطقة ضد ثورتكم وشعبكم وضدكم كثوار شرفاء ، ومن هنا نفهم لماذا يركز الاستعمار الجديد المتمثل في الامبريالية والصهيونية من خلال مخططات التصفية كل ثقله وجهده ضد ثوارنا وابطالنا بطريق مباشر او غير مباشر ، من هنا نفهم ونعي لماذا يطلب رأس هذه الثورة تحت مقصلة المطامع والخيانة والعمالة .

ايها الاخوة المناضلون : ان الثورة في صعودها وهبوطها في تقدمها وتراجعها في مدها

وجزرها يبقى فيها الاوفياء الاوفياء من ثوارها يعطون ويمنحون ويسخون بالعطاء والمنح بلا حساب لينيروا الطريق لجموع الثوار ولجماهير الشعب في المسيرة الطويلة يقدمون بذلك المثل والامثولة ويصححون مسار التاريخ عبر المتاهــات وخلال عثرات الامم مدعومين بالشرفاء والاوفياء من ابناء امتنا العربية واحرار العالم . لذلك كان عليكم واجب مقدس ينطلق من حضارتنا الاصيلة ومن جميع القيم والمثل التي ترتبطون بهـــا وتؤمنون بها لتقفوا بقوة وعزيمة امام جميع هذه المخططات الامبرياليـــة الاميركيـــة الصهيونية ولتمنعوا السقوط الذي يمهدونه لامتنا ولشعوبنا في فلك السيطرة التامة لهم على بلادنا .

عليكم يا رفاق الدرب الطويل الشاق ان تثبتوا كما أثبتم دائما وأبدا ان الثوار في الثورة الفلسطينية مهما اختلفت جنسياتهم وهوياتهم وتواجدهم وأماكنهم سيظلون عند حسن ظن أمتهم العربية بهم وانهم سيبذلون النفس والنفيس وكل مرتخص وغال للذود عن حياض هذه الامة وتاريخها وقيمها وحضارتها امام الهجمة الصهيونية الامبريالية . انه واجب تمليه عليكم مسؤولية هذا الجيل الذي ارتضى ان يكون جيل المعاناة والتضحية من اجل مستقبل زاهر حر لاجيال قادمة . جيل يتحدى الهجمة الامبريالية الصهيونية النازية الجديدة كما تحدت اجيال من أمتكم قبلكم الهجمة الصليبية والهجمة التترية .

انها امانة التاريخ . . . انها امانة الاجيال . وما أثقلها من امانة وما أعظمها من مسؤولية .

ان المؤامرة كبيرة والتنفيذ دقيق يشترك فيه اكثر من طرف واكثر من عدو واكثر من عميل ولكن ثوارنا سيتصدون للمؤامرة وسيتصدون للمتآمرين . ونحن نعلم مسبقا انها مواجهة صعبة ومواجهة خطيرة ولكننا منذ الرصاصة الاولى لم نتوقع ان يكون طريقنا مفروشا بالورد والرياحين . اننا نعلم ان الطريق صعب وشاق ومرير . طريق الشهداء والتضحيات طريق الدماء والمتاعب . ولكنه طريق العزة والكبرياء والكرامة طريق البقاء والحرية والنصر .

لقد ظنوا انهم من خلال مؤامرة ايلول ومجازر عمان وجرش والسلط واربد قد أطفأوا نور الثورة وأجهضوا مسيرة النضال في شعبنا ولكنهم نسوا ان شعبنا الخلاق الذي ذاق حلاوة الجهاد والنضال صمم على متابعة المسيرة بفرسان جدد احتلوا امــاكن الفرسان الشهداء من شعبنا العظيم .

لذلك فلن تستطيع المؤامرة ولن يستطيع المتآمرون ان يحجبوا شمس الثورة ونور الثوار من ان يسطع على جماهير امتنا العربية الواعية الوفية الاصيلة . هذه الجماهير العربية التي يتعاظم دورها الان اكثر من اي وقت مضى في مسيرة الثورة ليأخذ حجمه الطبيعي والحقيقي في معركة المصير الواحد المشترك .

فطوبى لهذا الجيل جيل المعاناة ، جيل التضحيات ، جيل الصمود ، الجيل الذي يصنع التاريخ بأحرف من نور ونار وهاجا في جبين امته العربية غارا وانتصارا .

طوبى لهم حيث هم يكافحون ويناضلون . طوبى لهم حيث هم صامدون ومثابرون وليكن شعارنا في عامنا هذا امام التحدي الكبير ان مزيدا من الملاحم ومزيدا من المعارك على كافة الجبهات سياسية كانت أم عسكرية . مزيدا من التحديات ضد جميع مخططات التصفية والمشاريع الانهزامية المشبوهة . مزيدا من التلاحم والوحدة والتراص . مزيدا من المحبة بين الثوار والشرفاء ولتكن ارواح شهدائنا الابرار في عليها شاهدا ودافعا لنا على درب المسيرة والثورة الطويل الشاق .

وعهدا لكم يا ثوارنا عهد الشرفاء عهد الاحرار ان نستمر في الدرب وان نكمل المسيرة بالروح والدم . وانها لثورة حتى النصر .

١٩٧٣/١/١ اخوكم **ياسر عرفات**

منطلقات اساسية لاستراتيجية الثورة الفلسطينية

منير شفيق

عندما طرحت حركة فتح منطلقاتها الاستراتيجية التي حددت من خلالها : (أ) أولوية هدف تحرير فلسطين. (ب) اتباع أسلوب الكفاح المسلح لتحقيق الهدف. (ج) الانطلاق من النضال المسلح القطري الفلسطيني لتوحيد نضال الجماهير العربية ... كان ذلك يعني قلبا ــ رأسا على عقب ــ لمجموعة من المنطلقات الاستراتيجية التي سادت الوطن العربي من ناحية ، وكان يعني ــ من ناحية ثانية ــ ادخال الوطن العربي كله في مرحلة جديدة تمتاز بالصراع الحامي ضد العدو الصهيوني والامبريالية العالمية والعملاء . ولهذا قوبلت تلك المنطلقات الاستراتيجية بموجة عارمة من الرفض والمقاومة سواء : (١) من القوى الرجعية العميلة التي ارتعدت خوفا من ابعاد هذه المنطلقات الاستراتيجية التي كانت تعني في جوهرها وضع تلك القوى في مواجهة جادة مع العدو الصهيوني والامبريالية العالمية حيث يصبح الخيار أمام ردود فعل العدو الصهيوني متجها الى وجهتين اما التصدي وهذا ما لا قبل لها عليه ، واما الركوع الذليل والانكفاء بشراسة لضرب حركة التحرير المسلحة الفلسطينية ، وهذا يسربلها في ثوب العجز والتواطؤ مع العدو من ناحية ، وفي ثوب معاداة الجماهير وقمع طلائعها الثورية من ناحية أخرى . حقا ان هذه القوى خائنة ومتواطئة بطبيعتها ومعادية للجماهير والطلائع الثورية بطبيعتها . ولكن الشيء الجديد هنا ان وضعها في مواجهة العدو الصهيوني ثم انكشاف الخيانة مع العدو مباشرة لا يؤديان الى كشفها وفضحها فحسب وانما الى خلخلة حكمها وانضاج أسقاطها . (٢) من القوى الوطنية التحررية التي رأت في تلك الاستراتيجية خطرا على منطلقاتها هي من جهة ، وعلى أسلوب نضالها من جهة ثانية حيث ان الانتقال بأشكال النضال الى الشكل الارقى ــ الكفاح المسلح ــ يعني ضرب كل تفكير اصلاحي داخل الحركة الوطنية والثورية ، ووضع كل القوى أمام محك عملي يتميز بالمواجهة الحامية مع العدو الصهيوني والامبريالية العالمية والعملاء . ومن هنا قوبلت تلك المنطلقات بموجة عارمة من الرفض والمقاومة ولم تنج من التشكيك الذي وصل حد الاتهام بالخيانة او بالمغامرة . ولكن اندفاع حركة فتح الى ترجمة تلك المنطلقات الاستراتيجية الى ممارسة عملية على أرض الواقع ثم ما تلا ذلك من أحداث توجت بالعدوان الصهيوني ــ الامبريالي في حزيران ١٩٦٧ ، ثم اندلاع المقاومة المسلحة من جديد كاستمرار لانطلاقة الثورة الفلسطينية في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ ، أثبت بما لا يقبل الشك صحة جوهر المنطلقات الاستراتيجية التي طرحتها حركة فتح ، حيث أصبحت الثورة المسلحة الفلسطينية حركة جماهيرية فلسطينية مسلحة شدت اليها الجماهير العربية الى حد الاندفاع الى طلب الانخراط بها والمساهمة الفعلية على أرض المعركة . وهنا ذابت كل الاعتراضات السابقة ولكن لم يدم ذلك طويلا حيث واجهت الثورة سلسلة متصلة من المؤامرات والصعوبات انتهت بضرب الثورة في الاردن (تموز ١٩٧١) ثم ضرب طوق من المحاصرة الخانقة عليها كما نرى الان ، الامر الذي أعاد المعارضة السابقة لتلك المنطلقات الى سابق عهدها ، وبشراسة أشد ، سواء من

قبل القوى العميلة ، او من القوى المتخاذلة والاستسلامية والاصلاحية او تلك التي بدأ الخور واليأس يصيبانها ، فأخذت تبرز من جديد اشكال القمع الوحشي المباشر كما نشهد في الاردن ، والى جانبها اشكال من الاتجاهات الرامية الى التخلي عن جوهر تلك المنطلقات الاستراتيجية ، اي الهروب من رؤية هدف تحرير فلسطين هدفا له الاولوية ، والتخلي عن اعتماد اسلوب الكفاح المسلح الجماهيري كطريق وحيد لتحقيق الهدف .
وقد ترجمت تلك الاتجاهات الى مجموعة من الموضوعات بعضها أصبح يؤكد ان اولوية الاهداف التي تواجه الثورة العربية يتركز في شن النضال الطبقي المحلي القطري بهدف ضرب القوى الداخلية المعادية ليصبح بالامكان الانتقال الى الكفاح ضد العدو الصهيوني. وبعضها عاد الى المنطلقات الاستراتيجية القديمة التي سادت الوطن العربي ، مصر والمشرق العربي خاصة ، فأصبح يتحدث عن النضال السياسي والجبهات السياسية المعادية للامبريالية والصهيونية وعن ضرورة العمل على الارض العربية قبل العمل ضد العدو الصهيوني مباشرة على الارض الفلسطينية . وبكلمة ، اصبحت الثورة الفلسطينية والثورة العربية تواجهان خطر الانحراف بهما عن طريق شن حرب شعب ضد العدو الصهيوني ، والانكفاء الى العمل القطري تحت شعارات قومية مطاطة ومفرغة من اي محتوى ثوري وعملي .

ان هذه المقدمة السريعة تجعل من الضروري العودة الى دراسة المنطلقات الاستراتيجية الاساسية التي طرحتها حركة فتح وترجمتها عمليا في الفاتح من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ ، لان ذلك يساعد على رؤية مدى صحة **جوهر** تلك المنطلقات في مواجهة مختلف اتجاهات الاستسلام والخيانة او الاصلاحية والهروب والتخلي عن الثورة . كما يساعد على رؤية الجوهر الذي يجب ان يركز عليه في اثناء مناقشة اوضاعنا الراهنة وتحديد مهماتنا . حقا ، ان الاخطاء والنواقص والسلبيات التي ظهرت في الثورة الفلسطينية لعبت ، وما زالت تلعب ، دورا خطرا في طمس ذلك الجوهر ومحاولة الانحراف عنه .
ومن هنا فان اعادة دراسة تلك المنطلقات الاستراتيجية الاساسية التي انطلقت بهديها الثورة الفلسطينية ، تهدف الى جعل جوهر تلك المنطلقات اساسا لكل تفكير او تخطيط أو مشروع تنظيمي جديد ، بحيث تكون دراسة تجربة المرحلة الماضية ودراسة الوضع الراهن والمهمات الراهنة والقادمة **ضمن** استمرار الجوهر في تلك المنطلقات . هذا من ناحية ، اما من الناحية الاخرى فان العودة لدراسة جوهر تلك المنطلقات لا يعني عدم اغنائها بتجربة السنوات الماضية في اتجاه التعميق والتطوير والبلورة النظرية ، بل على العكس ان اية ثورة ، وان اي فكر نظري ثوري ، لا يستطيعان في البداية ان يقدما أكثر من المنطلقات الاستراتيجية الاساسية لمسيرة الثورة .. تلك المنطلقات التي تضع النضال الثوري على الطريق الصحيح ، ومن ثم تأتي المسيرة والتجربة لتكملا مختلف الجوانب الاخرى للثورة وتحلا المسائل التنظيمية والعسكرية والسياسية والنضالات الجماهيرية ، وتكتشفا أدق القوانين الخاصة للثورة في البلد المعني وفي المرحلة المحددة والظروف المعطاة بما في ذلك مسائل الاستراتيجية والتكتيك ومسائل تنظيم الطليعة وطبيعتها وتنظيم الجبهة العريضة وطبيعتها واشكال النضالات السياسية والجماهيرية المتنوعة وطبيعتها تحت قيادة الشكل الرئيسي المحدد للنضال ، اي مختلف جوانب حرب الشعب في بلد محدد ، وفي كل مرحلة ، وفي كل ظرف معطى .

الهدف الكلي ذو الاولوية : للثورة العربية اربعة أهداف رئيسية كلية لخصت بالبنود التالية : (١) التحرر الوطني من النفوذ الامبريالي العالمي اقتصاديا وعسكريا وسياسيا وثقافيا ، (٢) تصفية الكيان الصهيوني من خلال تحرير فلسطين واقامة دولة متحررة ديمقراطية جزءا من الوطن العربي والامة العربية ، (٣) تصفية الاقطاع والكومبرادور واقامة الحكم الديمقراطي الوطني ومن ثم الانتقال الى الاشتراكية ، (٤) تحقيق الوحدة

العربية الشاملة من خلال تصفية التجزئة الاقليمية واقامة الدولة العربية الموحدة . ولكن ما هي الاستراتيجية التي تستطيع أن تحقق هذه الاهداف في ظل الظروف المعطاة والتي تقف التجزئة الحادة للوطن العربي على رأس السمات التي تجعل الخروج باستراتيجية كلية موحدة تضع كل الطلائع الثورية والجماهير العربية في صف واحد لتحقيق تلك الاستراتيجية التي تهدف الى تحقيق اهداف الثورة العربية ، أمرا على غاية كبرى من الصعوبة ، لان وضع التجزئة الذي أخذ طابعا تاريخيا يشكل واقعا موضوعيا يلقي بعيدا بهدف تحرير فلسطين ، وهدف تحقيق الوحدة ، ويحول هدفي التحرر من الامبريالية وتصفية الاقطاعية والكومبرادور الى هدفين اقليميين ليس لهما طابع قومي عام يشمل الوطن العربي بأسره ؟ حقا ان هذه الاهداف مترابطة ، وتجمعها وحدة عضوية ، وثمة علاقة جدلية بين بعضها بعضا، ولكن أين الاولوية في هذه العملية المعقدة متعددة الجوانب ، او بعبارة أدق، ما هي القوانين الخاصة التي تحكم هذا الترابط ؟ ان تقرير هذه المسألة على غاية كبرى من الاهمية لان ذلك يعني اكتشاف نظرية الثورة واستراتيجيتها وتكتيكها ومن ثم كافة مسائلها التنظيمية والعسكرية والسياسية الخ . قبل أن نعرض الى تحليل « فتح » ونظريتها حول هذه المسائل لا بد من التنبيه الى ان اللغة التي تستخدمها « فتح » ذات طابع خاص يحتاج من الذين تعودوا على ترمنولوجيا Terminology معينة تخطي ما يبدو على السطح ، والغوص الى الجوهر لكي تفهم القيمة النظرية ، والاهمية الخاصة للمنطلقات الاستراتيجية التي طرحتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، كما أن من الممكن ان تناقش الاسباب الواردة في التحليل او تضاف اسباب أخرى ، ولكن المهم هو الجوهر الذي يجب ان نمسك به . تنطلق « فتح » في تحليل الوضع العام في الوطن العربي من مقولة يمكن تلخيصها : « ان الوجود الصهيوني سبب لكل مشاكلنا في المنطقة العربية وتحطيم لكل تطلعاتنا نحو فجر جديد للامة العربية . ان آمال الامة وتطلعاتها وحل مشاكلها لا يكون اطلاقا الا بحصر الجهود كلها من أجل تحرير فلسطين والتوجه كاملا لتحدي العدو المغتصب . فالوجود الصهيوني جذر أمراضنا وليس نتاجا من نتائجها . ان التوجه نحو فلسطين ، ان اشعال المعركة في الارض المحتلة محك لا يخطىء ابدا ، وميزان صادق حتما يميز الخائن العميل من الوطني المخلص . ان القوى الثورية في المنطقة العربية يجب ان تدرك بوضوح ان نقطة الاحتكاك مع الاستعمار والعملاء والصهيونية هي في الارض المحتلة . ان القوى الخائنة في المنطقة يمكن ان يظل لها الف مخبأ تلجأ اليه وتستتر فيه ان بقيت المعركة معها على الاسلوب الدائر منذ مدة طويلة ، وفي الساحات التي قوبلت فيها .

« لا بد من أن تقتنع القوى الثورية بهذه النظرية ، وهذا المنطق ، والا ما دامت الصهيونية في فلسطين ، فليس أسهل على الاستعمار والقوى العميلة كلها من ملاقاتها في اية ساحة شاءت غير ساحة فلسطين . ان الاستعمار والصهيونية يدركان أنه لا يمكن أن يقف الشعب العربي صفا واحدا رصينا يحطمه ويحطم عملاءه الا اذا كانت نقطة الاحتكاك في فلسطين لما لفلسطين من مساس في كرامة ومشاعر ووطنية الشعب العربي . فلذلك يجب أن يفهم هذا جيدا . لقد بنى الاستعمار استراتيجيته على اساس هدوء الحدود ، واتباع الدبلوماسية الهادئة وذر رماد الزمن سنة بعد أخرى على نيران شعارات العودة والثأر » (كراسة : « من منطلقات العمل الفدائي » ــ دراسات وتجارب ثورية ــ ١ ــ ص ١١ و١٢) .

وان هذا الوجود الصهيوني يشكل خطرا سرطانيا في جسم الامة العربية (المصدر السابق ص ٨ ــ ٩) ، من جهة . اما من الجهة الثانية فان مرور الزمن دون فتح المعركة المباشرة ضده هو في مصلحته لان استراتيجية العدو التي تعمل في : (١) مجال التحرك السياسي الى كسب الراي العالمي ومحو قضية فلسطين وتحويلها الى مشكلة

لاجئين ». (٢) مجال التحرك العسكري الذي يعمل على ثلاثة محاور : (أ) تركيز بشري من خلال هجرة جماعية غربية تزحف من وراء البحار ، (ب) استراتيجية هجومية قادرة على نقل المعركة بما يتوفر من طيران وطرق مواصلات وآليات الى الارض العربية خارج حدود الارض المحتلة ، (جـ) سباق مجنون من التسلح يفرض على المنطقة (كراسة « مفاهيم أساسية » ــ ص ٨ ، ٩) . كل ذلك في ظل افادة قصوى من مرور الزمن من أجل خلق حقائق جديدة .

يتضح مما تقدم ان المنطلقات الاستراتيجية التي طرحتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » تقوم على النقاط التالية : أولا : أعطاء الاولوية لهدف تحرير فلسطين . ثانيا : اعتبار عملية تحرير فلسطين مدخلا لتحقيق الوحدة العربية ومصارعة الاستعمار والقوى العميلة . ثالثا : اعتبار النضال لتحقيق أهداف الثورة العربية من خلال تأجيل المعركة ضد العدو الصهيوني لا يؤدي الى نتيجة حقيقية في تحقيق تلك الاهداف .

شكل النضال الرئيسي لتحقيق هدف تحرير فلسطين : اذا ما حظي هدف تحرير فلسطين بالاولوية فان ذلك سوف يقضي فورا بتحديد الاسلوب لتحقيق الهدف المذكور : « ان فهمنا الصحيح لواقع الاحتلال الصهيوني يؤكد لنا ان استعادة الارض المحتلة لا يمكن أن يتم الا عن طريق العنف المسلح كوسيلة حتمية وحيدة لا مناص من تجنبها او الاستغناء عنها في معركة التحرير . ان عملية التحرير ليست ازالة قاعدة استعمارية فقط ، بل الاهم من ذلك انقراض مجتمع . ولا بد للعنف المسلح أن يتخذ اشكالا عديدة بالاضافة الى القضاء على القوى العسكرية لدولة الاحتلال الصهيوني اي أن يتجه الى تدمير المقومات المعيشية للمجتمع الصهيوني بكل صورها الصناعية والزراعية والمالية . لا بد أن يهدف العنف المسلح أيضا الى تدمير مختلف المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والفكرية لدولة الاحتلال الصهيوني حتى تزول كل امكانية لبروز مجتمع صهيوني جديد . ليست الهزيمة العسكرية هي الهدف من حرب التحرير الفلسطينية ، وانما أيضا القضاء على صبغة الصهيونية للارض المحتلة بشرية كانت ام اجتماعية » (فتح ــ دراسات وتجارب ثورية ــ ٨ ــ « تحرير الاقطار المحتلة واسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر » ص ٢٠ ــ ٢١) . وهكذا يكون تحديد الاسلوب قد تم نتيجة التحديد الصحيح للتناقض الرئيسي وطبيعة هذا التناقض العدائية وكيفية معالجة مثل هذا التناقض ، حيث يصبح من الواضح تماما أن تناقضا عدائيا على الشكل المعطى لا يمكن ان يعالج بغير العنف المسلح . ولكن أي عنف مسلح ؟

تلاحظ حركة فتح في كراستها (« من منطلقات العمل الفدائي » ــ ١ ــ ص ١٣) ما يلي: « كان التفكير القديم في القضاء على الصهيونية في فلسطين يعتمد على مبدأ المباغتة السريعة بعد ان تتفاهم الجيوش العربية المعنية أو تتوحد ، فتنقض على العدو لتقضي عليه في فترة لا تتعدى الاسبوع . والفترة الزمنية هامة في استراتيجية هذا التفكير ، ذلك لانها لا تدع فرصة للاستعمار للتدخل فاذا نجح الانقضاض لم يكن أمام من هم وراء اسرائيل الا التسليم بالامر الواقع . هكذا كان التفكير القديم في مواجهة الصهيونية الذي كان لا بد لتحقيقه من (أ) توحيد الجيوش توحيدا كاملا (ب) تفاهم الجيوش ان لم يكن توحيدها » ولكن هذه الاستراتيجية غير عملية لسببين رئيسيين : الاول استحالة اجراء هذا التوحيد بسبب التجزئة اساسا تلك التجزئة المستشرية ــ وهذا ما اثبته الواقع باستمرار ، الثاني : بقاء العدو متفوقا لامد طويل من حيث منظور الحرب النظامية ــ طبعا هنالك أسباب اخرى تمس طبيعة الانظمة القائمة والوضع الدولي ــ ومن هنا كان أمام«فتح»ان تطرح استراتيجية أخرىوهي فيمعرض ردها علىاستراتيجية الحرب النظامية : ثالثا « استطاع العدو التحصن للرد على فكرة الحرب المباغتةالسريعة

وبنى استراتيجيته على هذا الاساس ، فجعل وحداته متحركة سريعة لامركزية بحيث تستطيع الصمود اكثر من المدة القصيرة المطلوبة . هذه واحدة ، والاخرى انه استطاع ان يبقى متوازيا مع القوى التي تستعد للمعركة من حيث امتلاك السلاح والقدرة على استعماله والتحرك به ، ولم تؤثر لديه كثرتنا العددية طالمـا ان الحرب ستكون حربا كلاسيكية لا ينفع فيها الا الجندي المتدرب النظامي الحامل للسلاح الاقوى . وهكذا ظلت الجماهير في الضفة الغربية ونصف المليون في قطاع غزة كما مهملا بالنسبة اليه يستطيع السيطرة عليها بسرعة دون ان يحسب لها اي حساب في المعركة » (المصدر السابق ص ١٥ ، ١٦) .

ان اخطر ما تجلى في تلك الاستراتيجية رغم عقمها : « وهكذا ظل الشعب بعيدا عن الاعداد للمعركة والاستعداد لها ، وظلت الضفة الغربية في حالة نقص رهيب في فهم اسلوب التحرير وفي امتلاك السلاح للدفاع عن النفس كأبسط مظهر للوقوف في وجه العدو » (المصدر السابق ص ١٥) ، ليس هذا فحسب وانما « نتج عن فكرة الانقضاض المفاجىء شيء خطير جدا نلمس آثاره الان عندما نريد تكتيل الشعب الفلسطيني ومن ورائه الشعب العربي لخوض المعركة على مستوى حرب التحرير » (المصدر السابق ص ١٥) . ان نقد تلك الاستراتيجية الكلاسيكية ، ثم الانطلاق مجددا من تحليل الواقع الملموس بكل جوانبه ، يقودان الى الموضوعة التي تقول : « ان حل قضية فلسطين لا بد أن يتم عن طريق الحرب الشعبية التي تعتمد الجماهير أداة واعية لتحقيقها ، وذلك بالرغم مما نشاهد من توترات على خطوط الهدنة لان طبيعة الحل الشعبي هو الكفيل بتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيا واجتماعيا وفكريا » (كراسة : تحرير الاقطار المحتلة — ٨ — ص ٢٨) .

ان اعطاء الاولوية لهدف تحرير فلسطين يعني بالضرورة الانتقال بأشكال النضال الى مستوى العنف الجماهيري المسلح ، واعطاءه الاولوية على أشكال النضال الاخرى دون اغفال ضرورة استخدام مختلف اشكال النضال الاخرى ولكن تحت قيادة حرب الشعب. وتشكل هذه النقطة واحدة من الاسباب الرئيسية التي تدفع بالاصلاحية والانتهازية على تنوع أشكالهما الى الهروب من اعطاء الاولوية لهدف تحرير فلسطين — مواجهة العدو القومي — لان في هذه الساحة لا يمكن الحديث عن حل للقضية من خلال التفكير البرلماني او المطلبي أو الاقتصادي أو الدبلوماسي أو النضالات السياسية . فالعدو مدجج بالسلاح أقام أسوارا من النار دون الاقتراب منه ، فليس هناك لغة أخـرى غير لغـة مقارعة السلاح بالسلاح ، واختراق أسوار النار بالنار ، وكذلك ليس هنالك غير لغة الاعتماد على الجماهير والثقة بها واطلاق طاقاتها الكامنة وتسليحها باعتبارها القوة الوحيدة القادرة على حل القضية حلا عادلا ، وصنع تاريخ هذه البلاد صنعا يتوافق مع مصلحة الامة العربية والثورة العربية والثورة العالمية .

ولهذا كان من الطبيعي أن تكرس حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » مقولتين مهمتين لهما صفة عالمية ،الاولى : « حقا ان اسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر لا بد ان يبدأ بتحريك الجماهير وتنظيمها كقاعدة اساسية للنضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي لكن الصفة الجماهيرية للنضال لا تكفي وحدها لتصفية الاستعمار ، ولا بد للعمل الجماهيري المنظم ان يتخذ العنف المسلح اسلوبا حتميا لتصفية الاستعمار وركائزه»... والثانية ضد الاصلاحية : « ان كلمة الجماهير كثيرا ما تلوح بها حركات اصلاحية عديدة، وتتخذ في نضالها شكل المظاهرات والاضرابات والتخريب والمقاومة الآنية لقوى الاحتلال، وهذا من شأنه في كثير من الحالات ان يجهض النضال الشعبي ويؤدي الى فتور ويأس الحركات الثورية . والجماهير في العرف الثوري هي الجماهير الكادحة المحرومة التي

تعي ان في مقاومة الاستعمار مصلحة لها » (كراسة : « تحرير الاقطار المحتلة » ــ ٨ ــ ص ٨) .

عندما ينظر الى مسألة النضالات الجماهيرية من زاوية ثورية حقيقية يصبح من الضروري تصفية الحساب مع التفكير الاصلاحي الانتهازي ، بحيث يعرى من مظلته الخادعة التي يتستر تحتها ، اعني الحديث عن التوعية الجاهيرية وتسييس الجماهير معزولين ، في ظروف بلادنا ، عن النضال المسلح كشرط ضروري لتحقيق التوعية الجماهيرية وتسييس الشعب .. « ويخطيء البعض اذ ينادي بضرورة القيام بالتوعية السياسية بين الجماهير قبل تجسيد الكفاح المسلح امام ناظريها لان العمل السياسي وحده لا يكفي لتحريك الجماهير بصورة دائمة بل سيساعد على خلق عاهة الشرذمة بين القاعدة الشعبية ، ويفقدها الثقة بقيادتها ويفرغ الحركة الوطنية من مضمونها الثوري . لا بد للكفاح المسلح والتوعية الجماهيرية ان يسيرا جنبا الى جنب لان النضال المسلح يشعر الجماهير بشخصيتها الفاعلة ، ويعيد لها الثقة بالنفس ويحميها من اعمال القمع والارهاب الى حد كبير ، (كراسة : تحرير الاقطار المحتلة ــ ٨ ــ ص ١٢) . وهنا لا بد من التأكيد على ان هذا الرأي في الاستشهاد الاخير يجب ان يفهم ضمن الظروف المعطاة في وطننا العربي ، باعتباره يكشف عن احدى السمات الخاصة لثورتنا الفلسطينية والعربية ، واي تجاهل له سواء باتجاه التركيز على التوعية الجماهيرية باستبعاد الكفاح المسلح ، ام باتجاه استبعاد التوعية الجماهيرية بالتركيز على العمل المسلح فقط ، لا يقود الا الى الانحراف عن الخط الثوري الصحيح في بلادنا .

شخصية الثورة : ان الانطلاق من اولوية هدف تحرير فسطين ــ محاربة العدو القومي ــ ومن اولوية حرب الشعب ــ استراتيجيتها وتكتيكها ــ لتحقيق الهدف ، كان لا بد من الانطلاق ، واساسا بسبب التجزئة والاوضاع المعطاة في الوطن العربي ، من التركيز على اعطاء الثورة وجهــا فلسطينيا يؤكد علــى الشخصية الفلسطينية المتمثلة بشخصية المقاتل الفلسطيني . وكان هذا التركيز ضروريا لاسباب رئيسية : « ١) كاستراتيجية يمكن بها التصدي لمحاولات التضليل والخداع التي يضعها التحرك الاسرائيلي في المجال الدولي لينفي عن هذه الحركة وجهها العادل ، ٢) كوسيلة لتحديد المسؤولية وتحديد الاختصاص في تنظيم يؤمن بالثورة ويتفاعل معها يؤيدها ويحميها ويتابع الاستمرار فيها ... تنظيم له من الارتباط بالارض وبالمصير والمستقبل ما يعطيه وضعا خاصا .

« ولا يعني هذا التحديد للاختصاص والمسؤولية في الثورة اي نوع من الانفراد بها ، او اي اعفاء للجماهير والقيادات العربية من مسؤوليتها نحو هذه المعركة ، ولكنه تحديد للمسؤولية الدولية والجماهيرية في قيادة الثورة وتوجيهها او الاستمرار الى اهدافها .. تفرضه طبيعة الوضع السياسي في الوطن العربي ومنطق الحوادث الذي لا يبيح لنا ان نطالب الامة العربية بواجباتها من قبل ان نلقي نحن بكل امكاناتنا وقدراتنا وحشدنا ، لا يبيح لنا ان نطالب المواطن العربي ان يعيش الثورة في ارضنا ، وشبابنا يعيش حياة الترف والاسترخاء واللامسؤولية يجمع الثروة في ارضهم . وفي ترك المسؤولية تمييع للقضية وضياع لها بين اطراف تلتقي مرة وتتناقض عشرات .. بما يجعلها موضوعا لمزايدة ذات وزن قادرة على احداث شعارات يحتمي البعض وراءها لتغطية العجز على الارض الفلسطينية . ٣) فلسطينية الثورة هي مدخل قادر على تجميع واستقطاب الجماهير الفلسطينية التي تتناثر في اطراف الدنيا بلا رابط يجمعها او يشدها الى الارض والقضية والمستقبل » .. (« مفاهيم اساسية » ص ١١ ، ١٢) .

ان هــذا التركيز على ابــراز الشخصية الفلسطينية ، وتنظيم الجماهير الفلسطينية وتوحيدها ، والمبادرة بالكفاح المسلح من خلال طليعة فلسطينية ، لا يعني مطلقا اقليمية

الثورة او التوهم ان من الممكن تحرير فلسطين بالشعب الفلسطيني وحده ، وهذا يقود الى التأكيد على موضوعتين : الاولى ، ضرورة البدء بالطليعة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية وفي اثناء مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني ، ومن خلاله ، يصبح بالامكان استنهاض الجماهير العربية والطلائع العربية والدخول في حرب الشعب مباشرة (تفجير الثورة العربية) الموضوعة الثانية : بدء التحرير الفعلي وانجازه لا يتمان الا بوحدة الثورة الفلسطينية والثورة العربية (وحدة الجماهير الفلسطينية والعربية المسلحة المنظمة المقاتلة) .

كان انطلاق فتح في النظر الى موضوعة الثورة الفلسطينية والوحدة العربية يقول : « تطرح قضية الوحدة نفسها من خلال الارتباط العضوي والمصيري لحركة الثورة الفلسطينية بالوطن والجماهير العربية كمطلب اساسي لا يمكن التفريط فيه . ونحن في مفهومنا للوحدة لا نقف عند حد الشعارات العاجزة عن نفسها كواقع عملي ولكننا نرى ضرورة التحام كل القوى القومية في معركة مصيرية ينتفي فيها الحوار العقائدي والخلافات المذهبية المتعددة لهذه القوى ويصبح الكفاح المسلح هو العامل الاساسي الذي يلتقي ويتوحد فيه الجهد العربي .

« والوحدة في مفهومها ليست تنسيقا عسكريا او قيادة موحدة ، ولكنها تفاعل ارادة جماهيرية يشكل كل وجوه الحياة والنشاط الانساني على الارض العربية لا يمكن ان تتحقق الا من خلال معركة مصيرية مسلحة ساخنة ومستمرة تشدها فيها الازمات والمخاطر فتلتحم وتترابط امام المصير المشترك وتستقر وتعبىء من اجله كل الطاقات البشرية والمادية والمعنوية للجماهير المتحفزة ، وكما كانت معركة العروبة في السويس بمخاطرها التي استنفرت الامة العربية يومها من الخليج الى المحيط مدخلاً الى وحدة جزئية التقت فيها مصر وسوريا ستكون معركة التحرير في فلسطين طريقنا الى الوحدة العربية الشاملة » . (مجلة الثورة الفلسطينية ــ العدد ٢٢ ــ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ــ « مسيرة الثورة الفلسطينية » ص ٩) .

اما في « مذكرة الى ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمرهم الثالث بالدار البيضاء ايلول ١٩٦٥ » فقد طرحت حركة فتح المسألة على الصورة التالية : « ١) ان المنطلق الاساسي لوجود الحركة اصلا هو الايمان الجازم الذي لا يقبل الشك ولا التعديل بان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير الارض السليبة ٢) تؤمن الحركة ان مادة هذا الكفاح المسلح هي الشعب العربي باسره ، وهي تدرك ابعاد معركة التحرير الداخلية والدولية وترى ان طاقات الشعب العربي في جميع اقطاره وعلى اختلاف هذه الطاقات يجب ان تجند لخوض المعركة المصيرية ، ولكنها تؤمن في الوقت نفسه ان الشعب العربي الفلسطيني هو رأس الحربة وطليعة الكفاح ، ومن هنا كانت مسؤوليته في شق طريق الكفاح امام الجماهير العربية ومواصلة القتال حتى النصر » (مواقف ومنطلقات ثورية ــ ١٠ ــ ص ٧ ــ ٨) .

يتضح مما تقدم ان هنالك ادراكا تاما لقومية المعركة في الارض الفلسطينية ضد العدو القومي الصهيوني والامبريالي ، وما اسباغ الوجه الفلسطيني على الثورة الا مدخلا وصيغة لتحقيق قومية المعركة ، فقد طرحت تلك الصيغة في « بيان من القيادة العامة لقوات العاصفة الى الصحفيين العرب » على صورة تقول « علينا ايها الاخوة الاحرار جميعا ان ندرك ان محور القضية القومية في هذه المرحلة هو تحرير فلسطين ، وان شعار الوحدة العربية شعار ثوري لا يمكن ان يتحقق الا من خلال معركة مصيرية عربية يخوض فيها قطر معين ثورته التحررية فتهرع القوى الثورية العربية الى مساندته ودعمه ماديا ومعنويا ، ساعتها يصبح شعار الوحدة العربية شعارا ثوريا ذا مضمون تحرري » (« من منطلقات العمل الفدائي » ــ ١ ــ ص ٥٥) .

وهنا لا بد من التوقف قليلا لمراجعة هذه الموضوعة التي ظلت صيغ ترجمتها على أرض الواقع تتعثر ، ولم تستقر صيغة عملية لحل مسألة كيفية تحقيق قومية المعركة على مستوى الثورة الفلسطينية والقوى الثورية والوطنية العربية ، حيث ظلت الصيغ التي طرحت مشدودة باتجاهين احدهما يريد قصر المشاركة العربية في حدود المساندة والدعم المادي والمعنوي ، والاخر يريد شد الثورة الفلسطينية الى مواقع فصائل حركة التحرر العربي بعيدا عن ارض الصراع الحامي في مواجهة العدو الصهيوني . فقد كان الجوهر الذي اقترحته المنطلقات الاستراتيجية للثورة الفلسطينية هو توحيد الجماهير العربية والفلسطينية في القتال المباشر لان هذا هو الطريق الوحيد الذي يخلق ظروفا مؤاتية للتحرير الفعلي . وهذا لا يمكن ان يتحقق اذا جمدت مشاركة القوى الثورية والوطنية العربية في حدود المساندة والدعم المعنوي والمادي ، ولا يمكن ان يتحقق اذا سحبت الثورة الفلسطينية من مواقعها القتالية لتميع فيما تميع به فصائل حركة التحرر العربي في نضالها القطري تحت شعارات الجبهة العربية العريضة التي تبحث عن التوازن والتكيف .

ان الصيغة الصحيحة لوحدة النضال العربي والفلسطيني لا يمكن ان تكون فعالة وثورية ما لم يكن اللقاء اساسا على ارض القتال ، ليس في الشعارات فحسب ، وانما في الترجمة العملية لتلك الشعارات ، بحيث لا تقتصر مسؤولية القتال المباشر ضد العدو القومي على الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية ، وانما ترتفع تلك المسؤولية الى مستوى المسؤولية القومية فعلا ، اما كيف يتحقق ذلك ، فهذا ما يجب ان يركز على حل معضلاته وصعوباته . وان بقاء الثورة الفلسطينية في مواقع القتال على ارض المعركة يشكل عاملا حاسما في المساعدة على حل تلك المعضلات والصعوبات ولهذا فان استدراج الثورة الفلسطينية للتخلي عن مواقعها وكذلك بقاء فصائل حركة التحرر العربي في مواقعها الراهنة لا يمكن ان يسهما في ايجاد الصيغة العملية الناجحة لترجمة موضوعة وحدة النضال الفلسطيني والعربي الى واقع حي ملموس .

ان هذه الوقفة عند هذه الموضوعة وترجمتها عمليا يمكن ان تشير الى الخط الذي يجب ان تعالج به المنطلقات الاستراتيجية للثورة الفلسطينية في اثناء دراسة التجربة الماضية. بحيث يصار الى التمسك بجوهر تلك المنطلقات في اثناء معالجة الاخطاء السابقة ، والبحث عن طريق تجاوز الصعوبات الراهنة والتحضير لمواجهة متطلبات المرحلة القادمة .

الى هنا تكون الثورة الفلسطينية من خلال منطلقات استراتيجية قد وضعت الخطوط العريضة لجوهر نظرية الثورة ضد العدو القومي ، ذلك الجوهر الذي يجب الامساك به ، بغض النظر عن الخلفية النظرية والايديولوجية للحركة الثورية التي لا بد من ان تنطلق منه . او بمعنى ادق ان جوهر المنطلقات الاستراتيجية التي وضعتها حركة فتح والتي يمكن تلخيصها : ١) اولوية هدف تحرير فلسطين — اولوية النضال ضد العدو القومي — ٢) تبني استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد في الصراع المسلح ضد العدو القومي الصهيوني والامبريالي مبتدئين على الارض الفلسطينية ، ٣) تحقيق وحدة الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، وحدة الجماهير الفلسطينية والعربية من خلال القتال الشعبي الفلسطيني والعربي ضد العدو الصهيوني ومن يقف معه من قوى مضادة للثورة في الوطن العربي ، ٤) الاعتماد على الجماهير والثقة بها وتفجير طاقاتها الخلاقة على اختلافها من اجل انجاز اهداف الثورة العربية من خلال ، وفي اثناء ، القتال ضد العدو الصهيوني .

اذا امسكنا بهذا الجوهر وانطلقنا منه في تقييم التجربة السابقة وفي تطوير بعض الصيغ التي ترجم بها أو تعديلها او تغييرها ، نظل ضمن الخط الثوري الصحيح . لان الشيء

الاهم والاساسي هو الامساك بجوهر نظرية الثورة في بلادنا ، ومن ثم تأتي رحلة طويلة في الميادين النظرية والايديولوجية والتنظيمية والعسكرية والسياسية . ان التأكيد على صحة جوهر هذه المنطلقات ، ينبع من ضرورة مواجهة خطر الظاهرة التي اخذت تعم ساحات النضال الفلسطيني والعربية في ظل الظروف الصعبة الراهنة التي تحيط بالثورة الفلسطينية والثورة العربية . اعني ظاهرة الهروب من مواجهة صعوبات الكفاح المسلح ، والصراع الحامي ضد العدو الصهيوني ، تحت شعارات تتراوح بين التخلي عن طريق الثورة بحجة التكيف ومراعاة موازين القوى الدولية والعمل السياسي الخ وبين التخلي عن طريق الثورة المسلحة عمليا بحجة بناء الحزب الثوري ، او خوض الصراعات الطبقية المحلية الاقليمية او بحجة العمل الجماهيري والتوعية ، او بحجة رفض ما يسمى بالاقليمية الفلسطينية او التحضير للمرحلة القادمة الخ الخ . ان اي تفكير يهدف الى ايجاد صيغ تنظيمية جديدة او الى الخروج من الصعوبات الراهنة ، يجب ان ينطلق من التمسك بجوهر المنطلقات الاستراتيجية آنفة الذكر . ويربط بالممارسة العملية كل مشروع جديد يجيء نتاج دراسة تجربة السنوات الماضية ، ونتاج تلبية حاجات الثورة في المرحلة الحاضرة والمرحلة المقبلة .

ان الخطر الذي يمكن ان يواجه الخط الثوري في الظروف الصعبة ـــ اشتداد مخاطر السحق والابادة ومؤامرات التمييع والتصفيه ـــ هو خطر التخلي عن « اولوية هدف تحرير فلسطين » و « استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد » ، التخلي عن موضوعة « وحدة الثورة الفلسطينية والثورة العربية على ارض القتال ضد العدو الصهيوني » ، التخلي عن موضوعة « الاستقلالية والاعتماد على الجماهير والثقة بها ، واطلاق مبادراتها ، وتنظيمها وتسليحها من اجل ضرب المؤامرات على اختلافها ، وتجاوز الصعوبات والمضي بثبات في طريق القتال » . ان الانطلاق من هذه الاولويات لا يعني عدم خوض نضالات طبقية او اعداد تنظيمي وعمل سياسي وتغيير جذري للاوضاع الاقليمية ، وانما يعني ان كل ذلك يجب ان يخضع ، بل لا يمكن ان يتم الا من خلال التركيز على اولوية هدف تحرير فلسطين عبر استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد .

حقا ان هذه المنطلقات الاستراتيجية لا تحل كل القضايا التي تواجه الثورة ، ولا تعتبر بحد ذاتها كافية قد اعطت اجابات نهائية عن كل شيء . ولكنها اساسية لا يمكن المضي بالثورة قدما ما لم يتم ترسيخها ، واعتبارها مبادىء تحكم استراتيجيتنا وتكتيكنا . تلك الاستراتيجية وذلك التكتيك اللذان بحاجة الى اكتشاف القوانين الخاصة التي تحكم استراتيجية حرب الشعب وتكتيكها في بلادنا . ان تحديد هدف اولوية تحرير فلسطين واولوية استراتيجية حرب الشعب وتحديد الشخصية الفلسطينية للثورة ، ووحدتها مع الثورة العربية ، وترسيخ مبادىء الاستقلالية والاعتماد على الجماهير ورفض الاصلاحية وكل محاولات الانحراف بالثورة عن خط الكفاح المسلح وتحرير كامل التراب الفلسطيني وتفجير الثورة العربية .. ان كل ذلك يشكل الدعامات والاسس التي لا غنى عنها ، ولكنها لا تغطي كل شيء ، حيث ثمة ضرورة ملحة لاكتشاف القوانين الخاصة التي تترجم كل منطلق من تلك المنطلقات على ارض الواقع ترجمة صحيحة . ومن هنا يجب على كل تفكير ثوري وهو يبحث عن مسائل الثورة في بلادنا ان يتمسك اولا بجوهر هذه المنطلقات الاستراتيجية الاساسية ، ثم يعمد ، ثانيا ، على كشف القوانين الخاصة التي تحكم تطبيقها على ارض واقعنا تطبيقا خلاقا يندفع بالثورة والجماهير الى الانتصار الاكيد .

حركة التحرير الوطني الفلسطيني والعمل الجماهيري

ناجي علوش

أدركت فتح، منذ نشأت خلاياها الاولى، أن لا ثورة بلا جماهير. واذا كان ليس سهلا أن نتتبع ملامح تصور متكامل في هذا المجال، فذلك عائد الى عاملين: الاول: كون العمل بدأ سريا وكان يحتاج الى كثير من التكتم والاستخفاء في أيامه الاولى، وحتى معركة الكرامة سنة ١٩٦٨. الثاني: كون حركتنا قد ركزت في البدء على ان العمل المسلح هو وسيلة استنهاض الجماهير. ولكن الخلايا الصغيرة أخذت تنمو. وبدأ سنة ١٩٦٥ العمل المسلح: فأخذ يستقطب تأييدا جماهيريا متزايدا من جهة، كما أخذ يستثير القوى المعادية، وعلى رأسها النظام الاردني. وخلال هذا كله بدأت خطوط العمل الجماهيري تتضح. كان هناك الاتجاه نحو منظمة التحرير وكان هنالك الاتجاه نحو الاتحادات الشعبية الفلسطينية. وكان هنالك فوق ذلك تجميع للصبية والفتيان حول قواعد المقاتلين الناشئة في الاغوار.

وبدأت الحركة بعد حرب حزيران تطرح أهدافها ومنطلقاتها، كما لم تفعل من قبل. ونستطيع ان نتلمس في الكراسات التي صدرت منذ ذلك الحين مبادىء عامة حول دور الجماهير والعمل الجماهيري. ونحن نجد هذه المبادىء موزعة هنا وهناك. ومن الضروري ان نقدم بعضا منها: — « ان الاتصال الحي بين الثورة والجماهير في كل مراحلها هو العامل الاصيل في انجاح الثورة وضمان استمرارها الصاعد »(١). — « ان نقطة البداية في تحرير الاقطار المحتلة هي الاعتماد على الجماهير كقوة ثورية قادرة على تصفية الاحتلال والاستعمار المباشر ... ». — « حقا ان أسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر لا بد ان يبدأ بتحريك الجماهير وتنظيمها كقاعدة أساسية للنضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي، لكن الصفة الجماهيرية للنضال لا تكفي وحدها لتصفية الاستعمار ولا بد للعمل الجماهيري المنظم ان يتخذ العنف المسلح أسلوبا حتميا لتصفية الاستعمار وركائزه ». — « واذا كان للشعب الفلسطيني دور طليعي فلا بد له ان يحقق لنفسه هذا الدور الطليعي بتعبئة نفسه وتنظيم جماهيره وخوض المعركة بقناعة وايمان ... »(٢).

وجرت محاولات بعد ذلك تستهدف تحديد تصور أوضح لدور الجماهير وللعمل الجماهيري. وهذه المحاولات متناثرة في أدبيات حركتنا، وموزعة ما بين نشرات سرية

---

١ — ح. ت. و. ف. (فتح): كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة، دراسات وتجارب ثورية رقم ٢، ص ٩.

٢ — ح. ت. و. ف.: (فتح): تحرير الاقطار المحتلة، دراسات وتجارب ثورية رقم ٨، ص ١، ٢٤٤٢.

واخرى علنية(٣). الا ان ما نود أن نشير اليه هو أن الممارسات العملية تجاوزت التنظير والتحديد . ولقد شهدت السنوات ٦٨، ٦٩ ، ٧٠ اندفاعا نحو بناء المنظمات الجماهيرية. وكان أن قامت منظمات شعبية ، ونمت وترعرعت منظمات أخرى . وكان أبرز المؤسسات التي قامت : الميليشيا والاشبال والزهرات ، وابرز المؤسسات التي نمت وترعرعت : اتحادات العمال والمرأة والطلاب الخ .

عقبات تقف في الطريق :

ولكن هذه الاندفاعة ، بما ترمي اليه من تعبئة للجماهير وتنظيم لها كانت تصطدم بمجموعة من العقبات أهمها : أولا : عيوب ونقائص في التنظيم القائد . وكانت هذه العيوب والنقائص تتمثل في : أ ــ غياب التنظيم الطليعي ، الموحد ، الفعال ، الذي تحكم اصوله وأطرافه مبادىء خط سياسي موحد . ب ــ سيطرة بعض المفاهيم العسكرية التقليدية على العمل العسكري . جـ ــ سيطرة روح بيروقراطية على العمل التنظيمي . لقد كان العمل الشعبي يمتد وسط تيار يحتقر العمل السياسي ويسفهه . وكان التنظيم القائد عاجزا ، بسبب تناقضاته ، عن استيعاب الموجة الجماهيرية وتعبئتها وتنظيمها . والمنظمات الجماهيرية ليس سهلا أن تنمو وتترعرع دون التنظيم القائد ، لانه عقلها ومحركها وقائدها . لقد كان وضع التنظيم العام اذن لا يساعد على بناء المنظمات الشعبية على اسس راسخة ، ولا يتعهدها بما تحتاجه من رعاية واهتمام .

ثانيا : تشتت الشعب الفلسطيني واختلاف الانظمة التي يخضع لها : وكان هذا التشتت واختلاف الانظمة يقود الى صعوبات جمة . ومن هذه الصعوبات : صعوبة الاتصال ، واختلاف الاوضاع ، واختلاف أسلوب التعامل واختلاف النظرة الى المنظمات الشعبية الخ . وهنالك أيضا المنظمات الشعبية في كل بلد عربي واختلاف نظرتها الى العمل الفلسطيني عامة والعمل الشعبي الفلسطيني خاصة . وكانت هذه العوامل كلها تعقد العملية وتخلق مزيدا من الصعوبات والعراقيل .

ثالثا : غياب تصور محدد لطبيعة العمل الشعبي ومهماته . وكانت هنالك آراء ومواقف وممارسات في هذا المجال . وكان يبدو مثلا ان هناك من يريد من هذه المنظمات أن تكون منظمات سياسية تابعة ، كل ما تفعله انها تؤيد القيادة السياسية . وكان هنالك بالمقابل من يريد ان يجعل من هذه المنظمات وسائل ضغط سياسي واقتصادي لمصلحة تنظيم معين او فئة معينة . وكان هنالك من يريد دفع الاتحادات المهنية في اتجاه النزعة الاقتصادية الانتهازية ، مستغلا سيطرة الثورة وهيبة بنادقها . ولقد جرت محاولات خلال هذا كله من أجل تحديد طبيعة العمل الشعبي ومهماته ، وخاصة المنظمات المهنية. وتم التركيز على ان المنظمات الشعبية هي منظمات سياسية أساسا ، ولكن هذا لا يجوز أن يلغي أهدافها النقابية والمهنية على أن تخضع الاهداف النقابية والمهنية المرحلية للخط الوطني العام ضمن كل مرحلة تاريخية . الا أن هذه المحاولات كانت تضيع وسط الاتجاهات المختلفة المتعارضة ، المغرقة في محافظتها أو في طفوليتها .

رابعا : النقص في الخبرة والافتقار الى الكوادر : بما ان العمل الشعبي ليس له تقاليد عريقة في مجتمعنا العربي فقد واجهت محاولات العمل الشعبي مسألتين مهمتين : الاولى: مسألة نقص الخبرة والثانية : مسألة : الافتقار الى الكادر . ان تجربة الشعب الفلسطيني في هذا المجال محدودة ، ذلك ان تجربته لم تنم بسبب ظروف الاحتلال أولا ، ثم بسبب ظروف التشرد والخضوع لانظمة تحارب كل أشكال التنظيم ، أو بسبب ان

---

٣ ــ الثورة الفلسطينية ، العدد ١٦ ، حزيران ١٩٦٩ : الثورة والعلاقة مع الجماهير . والثورة الفلسطينية ، العدد ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ : الاشبال جيل النصر .

التجربة السياسية لمعظم كوادره كانت تجربة سياسية قاصرة في ميدان العمل الشعبي. والعمل الشعبي يعتمد اكثر ما يعتمد على الخبرة والكادر. لهذا كانت المنظمات الواسعة التي نشأت تعاني من خلل أساسي في هذا المجال . ولم تكن معالجة هذا الخلل ممكنة بسهولة وفي مدة قصيرة من الزمن .

خامسا : الصراع بين المنظمات الفلسطينية على العمل الشعبي . وكان هنالك صراع بين المنظمات الفلسطينية على العمل الشعبي الفلسطيني . ولقد قاد هذا الصراع الى زيادة البلبلة والتشويش ، كما قاد الى تعميق النزعة السياسية المحافظة من جهة والى تعزيز النزعة الاقتصادية الانتهازية ، من جهة أخرى . واغرق هذا الصراع العمل الشعبي في جو مزايدة كريه ، ولم يتح المجال لامكانات النمو الطبيعي . واذا كان هذا الصراع ضارا بالعمل الوطني عموما فقد كان ضارا بالعمل الشعبي خاصة . وكان أن دفع هذا الصراع السياسي الى اتجاهات سياسية مغلقة في المنظمات الشعبية ، والى محاولات مستميتة للسيطرة الفردانية عليها . ولكن وعلى الرغم من ذلك ، قامت منظمات شعبية ونمت وترعرعت أخرى واتسع نطاق العمل الشعبي وازدادت أهميته . ولما كان ليس سهلا أن نتحدث عن هذا كله بالتفصيل ، بسبب عدم توافر المعلومات أساسا ، فانني سأتحدث عن العمل الشعبي من خلال اتجاهاته الاساسية . وهذه الاتجاهات هي :

١ ــ الميليشيا : نشأت الميليشيا مع بداية تمركز قواعدنا في الاغوار ، وخاصة في مخيم الكرامة . ولم تكن الميليشيا في هذه المرحلة مفصولة عن المقاتلين . ولكن الهجوم الذي شنته قوات دولة الاحتلال على الكرامة قاد الى اتساع قواعد الثورة من جهة ، والى زيادة التعاطف الجماهيري معها . ولقد أدى هذا الى اتساع بؤرها التنظيمية في المدن والمخيمات والارياف . وبدأت الاسلحة تنتشر مع انتشار التنظيم . ولكن الامكانيات المادية كانت قليلة ، كما ان الاهتمام بتكوين الميليشيا لم يكن مركزيا ولا مركزا . وعندما حدث اول صدام مع السلطة الاردنية في ٦٨/١١/٤ لم تكن هنالك ميليشيا بالمعنى المتعارف عليه ، ومع ذلك فان القلة المسلحة من اعضاء التنظيم والجماهير المسلحة لعبت دورا مهما في احباط مؤامرة التصفية الاولى . ولقد قاد هذا الصدام الى الشعور الملح بضرورة وجود الجماهير المسلحة . ولكن هذا الشعور لم يكن مبلورا ، ولذلك لم يجر العمل الجدي لاستيعاب الرغبة الجماهيرية في امتلاك السلاح. وكانت كل المحاولات الجادة تحبط أو تعرقل لاسباب عديدة ، منها التركيز على ضرورة العمل داخل الارض المحتلة ، ومنها الخشية من استفزاز النظام الاردني ، او اعتبار توزيع الاسلحة على الجماهير المنظمة تدخلا في الشؤون الداخلية ، ومنها ايضا الخشية من أن تصبح الجماهير المنظمة المسلحة مركز ثقل ذي شأن ، داخليا وخارجيا .

وكان هنالك عاملان معوقان في هذا المجال. الاول : انتشار روح احتقار العمل السياسي عموما والثاني : انتشار الروح العسكرية التقليدية .

ولقد كان هذان العاملان يخنقان تجربة الميليشيا . أولهما يضيق عليها ويحرمها من امكانات النمو ، المعنوية والمادية . وثانيهما يلبسها غير لبوسها ، ويسعى لاستبدال طابعها الشعبي بطابع عسكري تقليدي .

وظلت تجربة الميليشيا تتلكأ ، حتى جاءت أحداث العاشر من شباط في الاردن سنة ١٩٧٠ . كشفت هذه الاحداث حقيقتين : الاولى : تبرهن ان الجماهير المنظمة المسلحة قادرة على مواجهة القوات النظامية ، وعلى حماية جماهيرها ، وأن هذه الجماهير المنظمة المسلحة هي اداة الثورة في الدفاع عن نفسها وعن اهدافها وانجازاتها . الثانية : ان الثورة لم تول قضية تنظيم الجماهير وتسليحها الاهتمام اللازم ، او بعض

الاهتمام اللازم ، ولذلك فقد واجهت الثورة مؤامرة النظام بالحد الادنى من التدريب والتسلح والتنظيم . وقاد اتضاح هاتين الحقيقتين الى زيادة الشعور بأهمية التنظيم والتدريب والتسليح . ولقد وضعت البرامج لذلك . وتحققت انجازات في هذا المجال ، ولكن العوامل المعرقلة ، وقصر المدة ما بين ٧٠/٢/١٠ و٧٠/٩/١٦ جعلت المجال محدودا وضيقا . وعندما حدث الصدام الكبير في أيلول اثبتت الميليشيا على الرغم من نقائصها الاساسية وعيوبها الكبيرة انها قادرة على المساهمة الجدية في الدفاع عن ثورتها وجماهيرها وفي منع قوات النظام من تحقيق الانتصار . ولقد نمت الميليشيا وترعرعت في الاردن أكثر من غيره . ولكنها ضربت بعد أيلول وقمعت . وهي الان موجودة في لبنان ، ولا نستطيع أن نقول انها موجودة في غيره .

وكان للميليشيا مهمات ثلاث رئيسية : اولا : حماية الثورة من مؤامرات القوى المضادة والتصدي لكل هجماتها واعتداءاتها . ثانيا : حماية الجماهير وتقديم كل أشكال المساعدة لها خلال القتال او في حالات الطوارىء او في الاوقات العادية . ثالثا : المشاركة مع قوات الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني ، وفي رد الاعتداءات على المدن والقرى . واثبتت الميليشيا انها تستطيع القيام بهذا كله : لعبت دورا أساسيا في رد هجمات النظام على المدن الرئيسية ومواقع الثورة من ٢/١٠ الى ٦/٧ الى ٧٠/٩/١٧ . كما أنها عملت على توفير الحاجات الضرورية (الكهرباء ، الماء ، الغذاء) خلال أوقات الصدامات ، وعملت على ايصال الجرحى للمستشفيات بالتعاون مع الهلال الاحمر ، وعلى توفير الامن والطمأنينة للمواطنين . وشاركت فوق هذا الى جانب قوات الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني(٤). لقد كانت تجربة الميليشيا من تجارب ثورتنا الرائدة . وهي تجربة في العمل الشعبي تتجاوز كل ما عرفته المنطقة ، على الرغم من كل نقائصها وعيوبها تجاوزا جذريا .

٢ ــ الاشبال والزهرات : ان اشراك الجماهير في الثورة مهمة اساسية من مهماتها . واذا كان هذا يقتضي اشراك الرجال والنساء ، الشباب والشيوخ فما هو دور الصبيان والفتيان وما هو دور الفتيات ؟ ان هؤلاء يجب ان يشاركوا ، ويجب ان يعدوا . ومن هنا طرحت مسألة اعداد الاشبال والزهرات نفسها . كانوا فتيانا وفتيات استيقظوا على هزيمة حزيران ، ورأوا الهزيمة والمذلة ، ولكنهم في الوقت ذاته رأوا الفدائي . وفي الكرامة بدأ الاطفال يتحلقون أمام الفارس الطالع من صحراء الهزيمة . وأخذوا يرون فيه مثلهم وقدوتهم . ومن هنا بدأوا يتجمعون وينشدون الاناشيد الوطنية . واستجابت حركتنا الى الظاهرة الجديدة ، وأولت الصغار بعض اهتمامها . وعندما أخذ العدو يقصف المخيم قصفا متواصلا وأخذ سكانه يغادرونه الى مدن الاردن المختلفة كان الاطفال والفتيان النازحون يحملون معهم تجربة الاشبال. واهتم التنظيم في الاردن بهذه التجربة. وبدأت الدراسات من أجل تحديد وظيفة هذه المؤسسة . ووضع لها برنامج يقوم على الاسس التالية :

« ١ ــ التربية الوطنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفلسطينية الثورية والثقة بحتمية التحرير . ب ــ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي لفلسطين . ج ــ تعميق الارتباط المادي والروحي بالارض الفلسطينية والولاء المطلق لها . د ــ التعريف بالعدو الصهيوني الاستعماري ودراسة خططه وأساليبه .

٢ ــ التربية القومية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح العربية الثورية المؤمنة بحتمية الوحدة عن طريق تحرير فلسطين . ب ــ تعميق الفهم التاريخي والجغرافي للوطن العربي . جـ ــ تفهم وتنمية الروابط الاجتماعية والمصيرية للامة العربية . د ــ شرح

---

٤ ــ الثورة الفلسطينية ، العدد ٢٨ ، تموز ١٩٧٠ ، الصفحة ١٣ .

أهداف العدو الاساسية واطماعه ليس بفلسطين وحدها بل بالوطن العربي كله .

٣ ــ التربية الانسانية وتهدف الى : أ ــ التعرف على شعوب العالم الثالث ونضالها من اجل التحرر من الاستعمار . ب ــ دراسة أساليب الاستعمار بأنواعه المختلفة للسيطرة على مصائر الشعوب النامية . جـ ــ شرح حروب التحرير الشعبية وتوضيح أثرها الفعال للقضاء على الاستعمار .

٤ ــ التربية الصحية وتهدف الى : أ ــ بث العادات الصحية السليمة والقضاء على العادات الضارة . ب ــ معرفة مواطن الامراض المعدية واسبابها وطرق انتشارها وطرق الوقاية منها . جـ ــ التدريب على الاسعاف الاولي .

٥ ــ التربية الاجتماعية وتهدف الى: أ ــ خلق الروح التعاونية وتنمية الخلق الاجتماعي.

ب ــ تربية النشء على مبادىء الاخلاق الصحيحة من انتظام وتضحية وقيام بالواجب .

جـ ــ الخدمة الاجتماعية العامة في الميادين الصحية والثقافية والتعميرية والترويحية .

٦ ــ التربية الرياضية وتهدف الى : أ ــ تنمية اللياقة البدنية وصيانتها . ب ــ صقل الروح والعقل باكتساب الاخلاق الرياضية لتحقيق العقل السليم والخلق السليم في الجسم السليم . جـ ــ تنمية المهارات البدنية النافعة . د ــ التعود على النظام من خلال الالعاب الفردية ذات الحركات المنتظمة والتعود على التعاون من خلال الالعاب الجماعية .

٧ ــ التربية العسكرية وتهدف الى : أ ــ اعداد الجيل القادر على القتال لتحرير وطنه وحماية حقه . ب ــ التمرس في الشؤون العسكرية والتفوق باستعمال الاسلحة الحديثة وابتكار الاسلحة الملائمة لطبيعة حرب الشعب . جـ ــ غرس التضحية والشجاعة والتعاون في النفوس عن طريق القيام بالمناورات وتنفيذ المهمات . د ــ تنمية صفات القيادة والانضباط لدى الشباب .

٨ ــ التربية الكشفية وتهدف الى : أ ــ غرس روح البحث العلمي وأسسه من دقة ومثابرة وتحليل ومنطق . ب ــ تنمية المواهب العلمية بالتطبيق العملي . جـ ــ تطبيق العلم بالممارسة الحقيقية .

٩ ــ التربية الفنية وتهدف الى : أ ــ تنمية الروح الفنية والتذوق الفني . ب ــ صقل المواهب العقلية وافساح المجال امامها . جـ ــ احياء الفن الشعبي الفلسطيني والعمل على نشره . د ــ تنمية الموسيقى والغناء الجماعي .

١٠ ــ التربية المهنية وتهدف الى : أ ــ مساعدة الاشبال والفتوة على تقرير مصيرهم المهني الذي يختارونه . ب ــ تنمية المهارات اليدوية . جـ ــ تنمية روح البناء العملي من خلال الممارسة الحقيقية للمهنة »(٥).

ان تجربة الاشبال هذه لم تبق حبرا على ورق . لقد انتظم آلاف الاشبال في معسكراتهم. ولم يقتصر ذلك على المخيمات بل تم على نطاق المدن ايضا . واصبح حلم الصبي الفلسطيني والفتى الفلسطيني ان يصبح شبلا . وتطورت الفكرة فشملت البنات اللواتي سمين زهرات .

ولكن تجربة الاشبال عانت كثيرا مما يلي : اولا : نقص الكادر ، ذلك ان تجربة من هذا النوع بحاجة الى كادر واع مدرب ثوري يستطيع ان يصنع الاجيال . ولم يكن لدينا الا قلة من هذا النوع . ولم يكن التنظيم مهيأ لتخريج كوادر من المستوى المطلوب . ثانيا :

---

٥ ــ الثورة الفلسطينية : الاشبال جيل النصر ، ص ٢٠ ــ ٢٤ ، العدد ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ .

العقلية الاستعراضية : ذلك ان العقلية الاستعراضية انتقلت الى هذه المؤسسة ، فبات استعراض الاشبال في مهرجاناتهم أمام الجمهور هو أكثر ما يستحق الاهتمام .

ومع ذلك فقد قدمت مؤسسة الاشبال مقاتلين نموذجيين ، قاتلوا واستشهد قسم منهم ، وما زال بعضهم الآخر يحمل تجربة الاشبال بين جنبيه . وعلى الرغم من ان تجربة الاشبال قصيرة العمر ، اذ انها بدأت بعد حرب حزيران واهتزت بعد ايلول سنة ١٩٧٠، الا أنها كانت تجربة غنية وتركت ابعد الاثر في نفسية الصبي الفلسطيني والفتى الفلسطيني والزهرة الفلسطينية .

٣ ـ الخدمات الاجتماعية : ولجأت حركتنا الى طريقة ثالثة للعمل في أوساط الجماهير ، وهي الخدمات الاجتماعية . وتمثلت الخدمات الاجتماعية في الخدمات الصحية ومشاغل التأهيل . ولقد انشئت عيادات في المخيمات باسم الهلال الاحمر الفلسطيني ، اهتمت بمعالجة الناس في المخيمات المهملة وبالدعاوة السياسية بينهم . ولقد اصبحت العيادات مراكز لقاء واستقطاب . كما انشئت مشاغل التأهيل المهني التي استهدفت الوصول الى المراة . واستطاعت هذه المشاغل ان تخرج دورات ، وان تربي عددا من الفتيات ، كما استطاعت أن تدخل بنات التنظيم الى البيوت المغلقة .

ولكن التجربة ضربت أيضا في أيلول ، وما تبقى منها الآن خارج الاردن هو قليل من كثير .

٤ ـ المنظمات الشعبية : جرى التوجه نحو بناء المنظمات الشعبية او توسيعها ان وجدت في ميدان العمال والنساء والطلاب والمهنيين . ولقد ازدادت عضوية المنظمات القائمة ازديادا كبيرا ، وانشئت منظمات جديدة . وبات الاهتمام بأمور المنظمات الشعبية جزء من عمل التنظيم على صعيد المركز وعلى صعيد الاقاليم . ويوجد الآن فروع للمنظمات الشعبية الفلسطينية في كل مكان يوجد به فلسطينيون تقريبا . وهناك الان : اتحاد للعمال ، اتحاد للمرأة ، اتحاد للطلاب ، اتحاد للمعلمين ، اتحاد للكتاب والصحفيين ، اتحاد للحقوقيين ، اتحاد للمهندسين ، اتحاد لذوي المهن الطبية .

أساليب أخرى للعمل الجماهيري :

هذه هي أهم أساليب التعبئة من خلال المؤسسات . ولقد كانت هناك أساليب اخرى عامة أو خاصة . كان هنالك مثلا التعبئة من خلال الندوات . وكانت الندوات تقام في مناسبات عديدة مثل ذكرى انطلاق الثورة، ذكرى معركة الكرامة ، ذكرى التقسيم ووعد بلفور الخ . وكانت الندوات تصل الى كل مخيم وحي وبلدة . كما كانت تقام الندوات الجماهيرية في كل وقت يجري الاحساس فيه بضرورة ايضاح ظاهرة معينة او خطر معين . ومن هذه الندوات الندوات التي اقيمت عند اعلان الموافقة على مشروع روجرز . واستخدمت في هذا المجال ايضا الندوات الشعرية التي أثبتت أنها ذات فعالية عالية . وكانت هنالك ايضا زيارة مقابر الشهداء في الاعياد . وكان يتم الاحتفال بحشد تشترك فيه المنظمات الشعبية والجماهير ، يتوجه الى المقابر حسب برنامج معين . وكان هنالك أيضا الاحتفال بدفن الشهداء والمهرجانات التي تقام لهم في الاحياء ، بالمناسبات المختلفة . هذا بالاضافة الى الاتصال الفردي وتوزيع النشرات والعمليات في الارض المحتلة ، والتصدي للنظام الاردني . ولقد كانت عمليات الارض المحتلة وعمليات التصدي للنظام الاردني أرقى اشكال التعبئة واكثرها فعالية .

محاولة تقييم :

ما زالت تجربة العمل الجماهيري الفلسطيني دون تقييم حقيقي . ولقد اتسعت ونمت في قطاعات ، كما حدث بالنسبة للطلاب والعمال والمهنيين ، وضعفت في مجالات أخرى مثل الاشبال والميليشيا والخدمات الصحية والاجتماعية . ولكنها تجربة ما زالت قائمة على

كل حال ، وما زالت تلعب دورا في الحياة الاجتماعية والسياسية للشعب الفلسطيني . ومن الواجب ان تقيم حتى يكون ممكنا تطويرها وتخليصها من كثير من الشوائب والنقائص . وما زال المراقب يلاحظ ما يلي : اولا : ان التصور العام الشامل لطبيعة هذه المنظمات ولمهماتها ما زال غائبا . وان كثيرا من الدوافع وكثيرا من المواقف ما زالت تتلاعب بهذه المنظمات . مع العلم بأن هذه المنظمات لن تستطيع معالجة مشاكلها وتطوير نفسها بدون هذا التصور الشامل . ثانيا : ما زالت هذه المنظمات تفتقد جهاز التوجيه المركزي او جهاز التنسيق المركزي ، ولم يقم حتى الان مجلس أعلى للاتحادات ، ولا استطاع التنظيم الشعبي ان يلعب دور الموجه والمنسق . ثالثا : وما زالت هذه المنظمات تعكس واقع العمل التنظيمي في الحركات السياسية القائدة ، وواقع العلاقات بين هذه الحركات . رابعا : وما زالت هذه المنظمات ايضا تعاني من نقص الخبرة ومن الافتقار الى الكادر ، وهذه قضية أساسية من قضايا هذه المنظمات . خامسا : وما زالت هذه المنظمات تواجه مشكلة القيادات التي فرضتها السياسة على العمل الشعبي ، دون أن تكون كفاءات سياسية أو نقابية ، ودون أن يكون لها جذور في الاوساط التي تقودها .

خاتمة : ان هذه المنظمات من انجازات شعبنا ، واذا كانت المحافظة عليها واجبة ، فان تطويرها هو أكثر الواجبات الحاحا . ولا يمكن أن تتم عملية التطوير هذه الا بالنضال من أجل ارساء مفاهيم صحيحة للعمل النقابي وتقاليد صحيحة للممارسات النقابية ، ضمن اطار الوعي العلمي لمهمات المنظمات الشعبية ، وعلى رأسها المهمات السياسية .

الثورة العربية والثورة الفلسطينية

هيثم البشير

كثر الحديث مؤخرا ، وخصوصا بعد مجازر أيلول ، عن اهمية العلاقة العضوية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، وعن أخطاء حركة المقاومة تجـاه حركة التحرر العربي ... وللقيام بتقييم موضوعي حول هذه الامور لا بد من طرح نظرية استراتيجية واضحة تبين حدود العلاقة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية وتحدد مهام كل طرف تجاه الطرف الآخر . ان مثل هذه النظرية تصبح صالحة عند اكتمالها لتكون مقياسا لتقييم الاخطاء الماضية ودليلا لوضع مخطط عمل للمستقبل . وللبدء في طرح مثل هذه النظرية لا بد من استعراض موجز لمفهوم الثورة الفلسطينية وأهم مـن ذلك لمفهوم الثورة العربية .

أولا : في الثورة العربية :

لتجنب الجدل حول وجود « ثورة عربية » وحول « شمول » هذه الثورة على الساحة العربية كلها ، يكتفى بالقول ان المقصود هنا بـ « الثورة العربية » هو حركة التغيير الجذري التي لا بد أن تشمل كل نواحي الحياة العربية حتـى تنجح في التخلص مـن الاوضاع الفاسدة وفي بناء المجتمع الافضل ... ولا بد من بحث مستقل مطول لمثل هذا الموضوع اذا اريد له المزيد من التفاصيل .

١ ــ **الصراعات والتناقضات في الساحـة العربية** : ان المجتمع العربي يعاني ، فيما يعانيه ، من كل مشاكل المجتمعات « المتخلفة » في العالم الثالث التي لم تحقق انتصارها بعد . والى جانب هذه المشاكل ، التي قد تأخذ في المجتمع العربي طابعا مميزا ، فان هناك تناقضات ومشاكل عربية أخرى لا بد لحركة التغيير الجذري ان تتصدى لها . وحتى لا نغوص في دوامة التناقضات العديدة في كل جزء من الساحة العربية لا بد من الاكتفاء هنا بعرض سريع للتناقضات الرئيسية التي تشمل الساحة العربية كلها .

أ ــ **الصراع ضد الوجود الاستعماري والامبريالي** : هذا الصراع الذي كان وما زال يطبع كل نواحي الحياة في المجتمع العربي . وحتى نستطيع تفهم كل أبعاد هذا الصراع لا بد من تعريف واضح لمعنى تحقيق الاستقلال الوطني ، فهو « **يعني في المحل الاول تخليص الارادة الوطنية من اي نفوذ او تأثـير استعماري او امبريالي سواء أكان هذا التأثير او النفوذ يمارسان من خلال وجود عسكري مباشر ، ام مـن خلال استثمارات** وعلاقات اقتصادية سياسية ترتبط بها أوساط محلية تضغط على السياسة الوطنية في اتجاه المصالح الامبريالية » ، ام من خلال تسلط ثقافي وفكري ، يمسخ الفكر والثقافة الوطنية ويجعل منهما تبعا متخلفا في ركب الحضارة الانسانية ، مما يولد كل عقد النقص لدى الجماهير ولدى القيادات الوطنية تجاه الاجنبي ويفرض على البلد وصاية فكرية تنقلب الى وصاية سياسية واقتصادية يصعب التخلص منها عمليا . مـن خلال هذا التعريف يمكن القول ان البلاد العربية ما تزال تسعى الى تحقيق الاستقلال الوطني

الكامل . وعلى هذا الاساس لا بد من اعتبار المرحلة الراهنة للثورة العربية « مرحلة تحرر وطني » . فالمصالح الامبريالية ما تزال تسيطر على العديد من نواحي الحياة العربية ، السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، بدرجة قد تختلف من بلد الى آخر ، كما ان عملاء الامبريالية التي ترتبط مصالحهم بالوجود الاستعماري والامبريالي ما زالوا يمثلون الوجوه البارزة في تقرير السياسات المصيرية في كثير من الاقطار العربية .

ومن جهة اخرى فان الوجود الاسرائيلي في قلب الوطن العربي قد امتد وتضخم مسيطرا على كل فلسطين واجزاء من مصر وسوريا ولبنان والاردن ، وهو يتهيأ للامتداد الى المزيد من الارض العربية ، كما انه قد نمى قدراته العسكرية والسياسية حتى فرض سيطرة شبه كاملة في المنطقة مهددا كل الدول العربية ليس بهزيمتها عسكريا فقط وانما باحتلال اجزاء جديدة من كل منها . ان الاحتلال الاستعماري الاسرائيلي يعيد مختلف الاقطار العربية الى بدايات مرحلة التحرر الوطني في مواجهة استعمار استيطاني تقليدي يطرح تحديا مصيريا على العمل الثوري العربي ويجعل من الساحة الفلسطينية وبشكل حتمي نقطة الانطلاق ومحور العمل لاي استراتيجية عربية جادة .

ب ــ **التجزئة** : التي لا بد من اعتبارها تناقضا رئيسيا في الساحة النضالية العربية . ذلك ان العدو الامبريالي ، الذي يفرض سيطرة شبه مطلقة على المنطقة ، موحد القيادة منسق القوى والخطط على امتداد الرقعة العربية كلها . كذلك فان التجزئة تبرز كعقبة اساسية في وجه استنهاض كل الجماهير العربية وتعبئتها ، وكذلك امام توحيد النضال العربي في مواجهة العدو المشترك . ورغم ان التجزئة السياسية ، وتشتت الجماهير العربية في كيانات مختلفة ، تظهر كمشكلة واضحة ، فان هناك مظاهر اخرى للتجزئة في الساحة العربية لا بد من معالجتها مثل التجزئة الجغرافية ، والتجزئة الاجتماعية والتجزئة الاقتصادية والتجزئة الفكرية والحضارية ... الخ وكل هذه المواضيع تحتاج الى دراسات مستفيضة لا مجال لها هنا .

جـ ــ **التخلف** : الذي ما زال يطبع مختلف نواحي الحياة العربية ، وسيبقى ظاهرة مميزة في مجتمعنا والى فترة طويلة . ويأخذ التخلف مظاهر شاملة : فهو تخلف تقني ، وثقافي وحضاري ، واقتصادي وهو فوق ذلك تخلف اجتماعي يبرز في تهافت البنى الفوقية والتحتية للمجتمع والدولة ، وفي انهيار العلاقات والقيم الاجتماعية المختلفة وتأخر نمو علاقات جديدة صحية مكانها .

واذا كان هناك مظاهر من التخلف يمكن اعتبارها ثانوية في مرحلة التحرر الوطني الا ان هناك مظاهر مهمة من التخلف تؤثر بصورة فاعلة على النضال الوطني في مرحلة التحرر وبالتالي لا بد من التصدي لها ، خاصة التخلف في العلاقات الاجتماعية وتهافت البنى التحتية للمجتمع .

٢ ــ **اهداف العمل الثوري العربي** : ان هدف الثورة العربية في المدى البعيد لا بد ان يكون تحقيق المجتمع المتقدم المستقل الموحد ، القادر على مواجهة تحديات العصر ، والذي يؤمن لافراده الكرامة والعدل والمساواة بأوسع مظاهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، الا ان الاهداف الراهنة للعمل الثوري العربي لا بد ان تحدد بمهام مرحلة التحرر الوطني والتي يمكن تلخيصها كما يلي*: (١) تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل والقضاء على كل اشكال التجزئة والتبعية للاستعمار والامبريالية . (٢) تحرير فلسطين من الوجود الاسرائيلي ــ الامبريالي ذلك انه يمثل المخفر الامامي

* راجع البرنامج السياسي المقدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ .

للامبريالية لضرب الثورة العربية وحماية المصالح الامبريالية بالمنطقة . (٣) تحرير الجماهير العربية في الريف والمدينة من كل اشكال الاستغلال التي تمارسها القوى الاجنبية والقوى المحلية المعادية للثورة ، واطلاق حرية الجماهير لتكون القاعدة الصلبة للثورة الوطنية الديمقراطية . (٤) تحرير الانسان العربي من كل ترسبات مرحلة الاستعمار والامبريالية .

٣ ــ استراتيجية العمل الثوري : حرب الشعب الطويلة المدى : ان الاستراتيجية السليمة لحركة التحرر العربية لا بد ان تتصدى لتناقضات الواقع العربي الرئيسية ، وأن تكون قادرة على تحقيق الاهداف المرحلية للنضال العربي وفي سبيل ذلك لا بد أن توظف بأقصى فاعلية كل العوامل المؤثرة في الواقع العربي . وبعد استعراض لتناقضات الواقع العربي وأهداف النضال العربي لا بد من عرض سريع لعوامل التغيير في المجتمع العربي .

أ ــ العوامل المؤثرة في الواقع العربي : التي يستطيع الباحث الجاد استخلاصها من دراسة التاريخ الحديث لكل التغيرات الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي ، وهي : (١) الصراع الوطني ضد القوى الاجنبية والامبريالية ، هذا الصراع الذي تفجر في نهاية القرن الماضي وما زال مستمرا بصور مختلفة في كافة أنحاء الوطن العربي . أن هذا الصراع لم يؤثر فقط على الخريطة السياسية للمنطقة العربية ، وانما كان له أبعد الاثر على البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية للمجتمع العربي . (٢) التراث والتاريخ الحضاري العربي ــ الاسلامي : حيث لا يمكن بأي حال دراسة التغييرات التي تحدث في أي مجتمع بعيدا عن تراثه وتاريخه . ويلعب التراث الحضاري العربي ــ الاسلامي دورا أساسيا في اعطاء المجتمع العربي طابعه ويميز السمات التي تطبع مختلف التغييرات في البنى الاجتماعية والسياسية . ان دراسة جادة للتراث العربي الاسلامي تساهم بشكل فعال في توظيف هذا التراث لصالح تطوير المجتمع واحداث التغييرات الضرورية لمرحلة التحرر الوطني . (٣) انتشار الافكار التقدمية والثورية : التي بدأت تنتشر في الاوساط الوطنية العربية منذ أواخر القرن الماضي ، وكان لها أثر فعال في تطوير اشكال الصراع الوطني واغنائه كما كان لها دور مهم في بلورة الفكر القيادي الوطني وفي فرز القيادات الوطنية وتجذير افكارها ومواقفها . (٤) العنف : الذي شكل ويشكل دائما ، عاملا جذريا حاسما في تحطيم القيم القديمة البالية وفي حث الخطى لبناء القيم الجديدة الاقدر على مجاراة ظروف مرحلة التحرر . ولا بد من الملاحظة انه في التاريخ العربي الحديث كانت أعمق اشكال التغيير في البنى الاجتماعية والسياسية تتم نتيجة لتحول الصراع الوطني في مرحلة من المراحل الى صراع دموي عنيف بين القوى الوطنية والقوى الاستعمارية . **وخلال فترة الصراع المسلح العنيف كانت الجماهير العربية تشارك في النضال بكل قدراتها وطاقاتها ، كما تبلغ التعبئة الجماهيرية ذروتها والعطاء الشعبي أقصى مداه .**

ب ــ عوامل القوة في النضال العربي : وهي العناصر الاساسية التي لا بد ان تعتمد الاستراتيجية الثورية عليها لتحقيق أهداف النضال العربي ، ويمكن تلخيصها كما يلي : (١) العوامل البشرية والجيو ــ سياسية التي يتمتع العالم العربي فيها بتفوق : مائة مليون عربي في منطقة استراتيجية من العالم ، على ملتقى قارات آسيا وافريقيا واوروبا ، وتمتلك ثروات طبيعية هائلة أهمها البترول الذي هو محور الحضارة الحديثة . (٢) استمرار النضال الوطني العربي ، الذي مهما أصيب بنكسات فانه يعود ليبرز استجابة للضرورة الموضوعية في الرد على الوجود الامبريالي وفي سبيل انجاز قضية التحرر الوطني . (٣) وجود تيار قوي بين فصائل حركة التحرر العربية لتوحيد النضال

على الساحة العربية كلها . (٤) وجود مراكز عصب حساسة للامبريالية في الساحة العربية ، يمكن توجيه ضربات قوية اليها وتعبئة الجماهير في النضال ضدها .

جـ ـ استراتيجية حرب الشعب : وبعد العرض السريع للتناقضات في الساحة العربية ، ولاهداف النضال العربي ، وبعد تقييم موضوعي للقوى الذاتية للمجتمع العربي ، ولنقاط القوة والضعف لدى العدو ، يصبح من البديهي القول ان استراتيجية حرب الشعب هي الوحيدة القادرة على التصدي للمهام المنوطة بالنضال العربي في هذه المرحلة . فالكفاح المسلح الطويل المدى قادر على تحقيق المهام التالية : (١) خلق المناخ الثوري العنيف الضروري لتحريك الجماهير العربية وتعبئتها وتأطيرها . (٢) تنمية الاداة النضالية العربية الواحدة القادرة على تخطي التجزئة . (٣) الاسراع في التغيير الجذري للبنى الاجتماعية والسياسية المتهافتة وانماء البنى الاجتماعية السليمة من خلال العنف الثوري المسلح. (٤) ومن جهة أخرى التصدي للقوى الصهيونية والامبريالية وحلفائهما في المنطقة ، وضعضعتها واضعافها ثم تحطيمها وهزيمتها مـن خلال النضال الطويل المتصاعد . ولا بد في هذه العجالة من الاشارة الى أن حرب الشعب قد أصبحت علما قائما بذاته ، يشمل كل النواحي الحياتية للمجتمع المقاتل . ولا بد من استيعاب كـل دروس الكفاح المسلح والاستفادة من تجارب العالم الثورية ، الناجحة والفاشلة ، في سبيل بناء استراتيجية سليمة للكفاح المسلح العربي .

ثانيا : في الثورة الفلسطينية :

لقد كتب الكثير في الثورة الفلسطينية بشكل يغطي كل نواحيها ، مما لا بد للرجوع له عند أية دراسة مفصلة عنها ، ويكتفى هنا بسرد ملخص لبعض النواحي المرتبطة بعلاقة الثورة الفلسطينية بحركة التحرر العربية :

١ ـ الصراعات والتناقضات في الساحة الفلسطينية : ان كل الصراعات والتناقضات الموجودة في الساحة العربية لا بد من اعتبارها موجودة ايضا في الساحة الفلسطينية ، فالاخيرة تعاني من التخلف والتجزئة أيضا. ولكن التناقض الرئيسي والاساسي في الساحة الفلسطينية هو التحدي المصيري الذي يطرحه الوجـود الاسرائيلي : **أ ـ الكيـان الاسرائيلي والصهيوني** : ان خطورة الكيان الاسرائيلي تنبع اساسا من انه **نفي مطلـق** لاي كيان آخر في فلسطين . حيث ان الكيان الاسرائيلي يطمح لان يكون مجتمعا كاملا مغروسا في المنطقة ، وأن يكون المجتمع الوحيد فيها. وهذا يستلزم تدمير كل المؤسسات والبنى الفلسطينية وازالة الوجود البشري الفلسطيني تماما من المنطقة . **ب ـ قوات الاحتلال الاسرائيلي** : ذلك ان هذه القوات العسكرية المتغطرسة تشكل ، بحد ذاتها ، تحديا عنيفا للنضال الفلسطيني . ان العدو يبني قوته العسكرية لتبقى متفوقة بشكل ساحق على كل القوات العربية مجتمعة ويبني استراتيجيته على المبادرة لتصفية اية قوة مسلحة عربية ، قد تشكل خطرا عليه ، قبـل اكتمالها . **جـ ـ القوى الامبريالية ومصالحها في المنطقة** : ليس فقط من حيث الدعم المطلق الذي تقدمه للكيان الاسرائيلي ، ولكن أيضا من حيث ترابطها العضوي مع الوجود الاسرائيلي في المنطقـة ، فالكيان الاسرائيلي يقوم بمهام اساسية لصالحها : فهو يشكل العدو المباشر الذي تنصرف اليه الجماهير العربية بدلا من تصديها للسيطرة الامبريالية واستغلالها البشع للمنطقة . وهو القوة الضاربة التي تتسلط بشكل مباشر على أي نمو ثوري عربي يمكن ان يمس المصالح الامبريالية بسوء ، وهو الجـرح النازف الذي يستنزف معنويات الجماهـير العربية ، وقواها النضالية ، ويبقيها في ظروف التخلف والعجز ، مما يضمن للامبريالية استمرار استغلالها للمنطقة براحة واطمئنان . ان هـذه المهام التي يؤديهـا الكيان الاسرائيلي يجعله من الاهمية بمكان بالنسبة للامبريالية وهي ستحافظ عليه بكل مـا لديها من قدرة ، خاصة بعد تجربتها القذرة في فيتنام وبعد تصاعد الاهمية الاستراتيجية

للمنطقة العربية التي أصبحت المصدر الرئيسي للبترول في العالم . ان هذا يعني ان على الثورة الفلسطينية أن تقيم القوى الامبريالية كعدو رئيسي مباشر لها بالمستوى نفسه مع العدو الاسرائيلي . **د — تجزئة الشعب الفلسطيني ونزوحه عن ارضه** : فمن المشاكل التي خلقها الكيان الاسرائيلي في الساحة الفلسطينية اخراج الفلسطينيين من ارضهم وتشريدهم حتى انتشروا في كل انحاء الارض تقريبا وحتى اصبح هذا التشرد تناقضا رئيسيا لا بد للثورة ان تعالجه خلال مسيرتها اليومية بعناية لتستطيع اعادة بناء المؤسسات والبنى الاجتماعية التي دمرها الكيان الاسرائيلي .

٣ — استراتيجية الثورة الفلسطينية* : لقد قامت الثورة الفلسطينية بدراسة عميقة لظروف النضال الفلسطيني وللتناقضات في الساحة الفلسطينية وللقوى الصديقة والعدوة وكذلك للمهام الراهنة التي لا بد من انجازها ... وبعد كل هذا طرحت استراتيجية الكفاح المسلح الطويل الامد كطريق وحيد للنضال الفلسطيني . ذلك ان حرب الشعب الطويلة الامد هي الاستراتيجية الوحيدة القادرة على تنفيذ المهام المطلوبة من النضال الفلسطيني . ومن المهام التي يحققها الكفاح المسلح وحده استقطاب المزيد من الجماهير العربية للمشاركة في الثورة ومدها بالزخم والعمق المطلوبين حتى تستطيع الثورة التصدي للقوات الامبريالية المسيطرة .

ثالثا : العلاقة الجدلية بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية :

من خلال العرض السابق يبدو واضحا التداخل بين العمل الثوري العربي في هذه المرحلة والنضال التحرري الفلسطيني . فالمشاكل متشابكة ، والعدو الامبريالي الصهيوني متوحد متماسك ، والاداة الرئيسية للنضال الثوري هي كل الجماهير والقدرات العربية مجتمعة . وأخيرا فان استراتيجية الكفاح المسلح تجمع بين النضال الفلسطيني والنضال التحرري العربي بأوثق رباط . ورغم وضوح الترابط العضوي بين النضال في الساحة الفلسطينية وعلى الساحة العربية كلها ، الا أن الدراسة المستفيضة للعلاقة بينهما وتحديد المهام المتبادلة أصبحت أمرا بمنتهى الاهمية والضرورة في هذه المرحلة .

١ — محورية الساحة الفلسطينية في العمل الثوري العربي : ان الكفاح المسلح العربي لا بد أن يكون موجها ضد القوى الرئيسية المسيطرة في المنطقة ، المستغلة لجماهيرنا ، وهي القوى الامبريالية والكيان الصهيوني المتحالف معها والقوى المحلية العميلة المستفيدة من الواقع الفاسد . وهنا يطرح السؤال : أين نبدأ الكفاح المسلح ؟. والاجابة على هذا السؤال تكون من خلال ابراز خصائص الساحة الفلسطينية التي تجعلها محورا حتميا للكفاح المسلح العربي في هذه المرحلة : (١) ان القوات الاسرائيلية هي القوة العدوة المجسدة ، المسيطرة عسكريا على المنطقة ، وهي الاداة الفعالة للقوى الامبريالية في ضرب التحرك الثوري العربي واذلال جماهير المنطقة . (٢) ان القوات الاسرائيلية تحتل أراضي واسعة من عدة دول عربية ، وتمزق الوطن العربي وتفصل بين أجزائه . (٣) ان للقضية الفلسطينية صدى عميقا في نفوس الجماهير العربية وتجاوبا عفويا من هذه الجماهير مع كل كفاح جدي في الساحة الفلسطينية . (٤) ان الترابط العضوي بين الكيان الاسرائيلي والقوى الامبريالية هو سلاح ذو حدين . اذ أن المعركة المفتوحة مع القوات الاسرائيلية ستؤدي ، مع تصاعد الكفاح المسلح ، الى معركة مفتوحة تجر اليها القوى الامبريالية أيضا ، وهذا يعرض وجودها كله في المنطقة الى غضب الجماهير العربية الواعي ، ذلك ان تدخلها المباشر لصالح العدو الاسرائيلي يجعلها عدوا مجسدا للنضال الجماهيري مما يسمح للقيادات الثورية باستنهاض الجماهير العربية وتنظيمها وزجها في معركة المواجهة الفاصلة مع الامبريالية على امتداد

---

* راجع البرنامج السياسي المقدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني .

الرقعة العربية . وبهذا تكون نقطة البداية للكفاح المسلح العربي في الساحة الفلسطينية التي لا بد أن تبقى محور هذا الكفاح ولفترة طويلة . بكلمة اخرى : **ان الثورة الفلسطينية هي المرحلة الراهنة للثورة العربية** ، وان مهام الثورة العربية الان تتجسد في الكفاح المسلح على الساحة الفلسطينية مما يتطلب توجيه كل الجهود لنجاح هذا الكفاح ، والعمل الدائب لضمان استمراره وضمان تصاعده وتزايد قدراته .

٢ ــ **اهمية الامتداد العربي للثورة الفلسطينية** : وكما ان استراتيجية الكفاح المسلح تفرض على العمل العربي البدء في الساحة الفلسطينية كذلك فان الكفاح المسلح يفرض على العمل الثوري الفلسطيني الجاد البحث عن ظهر عربي قوي له ، ويفرض كذلك استقطاب كل الجماهير العربية وتعبئتها للمشاركة في معركة التحرير : (١) ان غالبية الجماهير الفلسطينية تعيش خارج أرضها في الاقطار العربية المجاورة . وبالتالي فان تحريك الجماهير الفلسطينية يتطلب التحرك الثوري في هذه الاقطار ، ويتطلب مواجهة الواقع السياسي والاجتماعي في هذه الاقطار حيث الوجود الفلسطيني ضخم خاصة في الاردن ولبنان وسوريا . (٢) ان الوضع الجغرافي في فلسطين يجعل من المستحيل اقامة قواعد ارتكاز آمنة في الداخل وهذا يميز الكفاح المسلح الفلسطيني بأن قواعد ارتكازه لن تكون في الارض المحتلة وانما في دول الطوق . وهذا يشكل تناقضا مباشرا بين القوى الثورية المسلحة والدول « المضيفة » لقواعد الارتكاز بسبب الازدواجية التي تتولد ، سواء في عمل الثورة في صفوف الفلسطينيين القاطنين في الدول « المضيفة » أم في الوجود المسلح « المستقل » للثورة عن السلطة . ان هذا التناقض سيجر الثورة الفلسطينية ، وقد جرها في مرات عدة ، الى مواجهة الانظمة في دول الطوق . وهذا يفرض على الثورة الفلسطينية أن تسعى الى اكتساب الجماهير العربية لتكون الحليف الطبيعي لها في مواجهة اي نظام يسعى لتصفيتها . (٣) ان القوات الاسرائيلية والصهيونية الذاتية ضخمة عدديا وماديا ، وهي معبأة بايديولوجية تحفظ لها التماسك ضد الضغوط الخارجية ، وهذا يجعل قدرة الثورة على تحطيم الكيان الاسرائيلي محدودة ، وربما مستحيلة ، اذا اعتمدت على القوى الفلسطينية وحدها ، بمعزل عن مشاركة الجماهير العربية ، حتى ولو نجحت في تعبئة كل القوى الفلسطينية . (٤) ان الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية لا بد أن يستعدي كافة القوى التي لها مصلحة في الوجود الاسرائيلي : فالى جانب كل قوى العدو هناك القوى العربية المضادة للثورة والمستفيدة من الواقع العربي الحالي ، والقوى العربية المتخلفة التي تخشى الجماهير المنظمة المسلحة ، والتي تخشى التغيير الجذري الذي يحدثه الكفاح المسلح في المجتمع العربي ، وتتضرر منه .

ان كل هذه الامور تفرض على الثورة الفلسطينية اقامة علاقة عضوية بينها وبين الجماهير العربية ، واقامة علاقة جدلية متطورة مع حركة التحرر العربي . ان على الثورة الفلسطينية ان تكون اكثر جذرية في تطلعها الى « الدعم العربي » ، وأن ترى قواها الحقيقية بين الجماهير العربية على امتداد الساحة العربية . ان استقطاب الجماهير العربية وتعبئتها لا يمكن أن يتم بشكل فعال الا اذا أحست هذه الجماهير أن الثورة هي قضيتها هي ، وعندما تشعر ان الثورة تمس حياتها اليومية وتعدها بشكل ملموس بمستقبل افضل .. وبالتالي فان على الثورة الفلسطينية ، تدريجيا مع تنامي قدراتها ، ان تتحول الى عنصر فعال ودافع في نمو قوى التحرر العربية على امتداد الرقعة العربية كلها ، كما تدفعها للالتحام مع مختلف القوى الثورية العربية لافراز جبهة عربية متماسكة تتصدى لكل مهام حركة التحرر العربي : **ان الثورة العربية الشاملة لا بد أن تكون المرحلة المتقدمة للثورة الفلسطينية** التي تسعى لتحرير كامل التراب الفلسطيني .

٣ ــ مهام الثورة الفلسطينية الراهنة تجاه الثوريين العرب : ان العلاقة العضوية بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية لا بد أن تترجم بمهام عملية على الثورة الفلسطينية وعلى الثوريين العرب في هذه المرحلة وفي المراحل المقبلة . ويمكن تلخيص مهام الثورة الفلسطينية تجاه الثوريين العرب في هذه المرحلة كما يلي : (١) طرح استراتيجية الكفاح المسلح وممارستها ، واعطاء المثل على انها الاستراتيجية القادرة على تعبئة الجماهير واشراكها في مواجهة القوى العدوة المتغطرسة . ان هذا يفرض على الثورة ليس فقط ممارسة الكفاح المسلح وانما تطوير هذا الكفاح وتصعيده وابداع اساليبه التي تتناسب مع ظروف المنطقة . (٢) تفجير التناقضات في الساحة العربية وخلق المناخ الثوري السليم . ذلك ان الكفاح المسلح يعري كل نقاط الضعف في المجتمع، التي تكون هادئة في احوال الاستسلام ، مثل هشاشة البنى الاجتماعية الغربية ، وعجز الانظمة العربية وعدم جديتها في التوجه للمعركة ، وشراسة القوى الامبريالية وضلوعها المباشر في تدعيم العدو الاسرائيلي وفي الاستغلال الاقصى للجماهير العربية ، ان على الثورة تفجير هذا التناقض لصالح العمل الثوري وليس الهرب منها . (٣) تنمية الروح الثورية لدى الجماهير العربية من خلال ابراز الانتصارات الشعبية واظهار قدرة الجماهير على مواجهة العدو في اقسى الظروف ، واظهار اهمية التنظيم والعمل الجماهيري . وفي سبيل ذلك على الثورة تنمية كل الطاقات الجماهيرية وتأطيرها وفتح كل سبل النضال امامها سواء في المناطق المحتلة ام في دول الطوق ، وكذلك تسليح الجماهير ودفعها للمشاركة المسلحة حسب الظروف كأن تتشكل فرق الحماية ، والميليشيا ، والرصد ... الخ وكل هذه الامور تكون نموذجا لعمل فصائل حركة التحرر العربية الاخرى وتنمي قدراتها في مجال العمل الجماهيري ايضا . ٤ ــ تدريب الثوريين العرب وتسليحهم ، حيث امكن ذلك ، وتنمية الخبرات الثورية والقتالية لديهم والمساعدة على خلق الكوادر الجيدة منهم . ٥ ــ تنمية وتطوير صيغ سليمة للعلاقة بين حركة التحرر العربية وحركات التحرر في العالم وربط الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية ــ العربية بالكفاح العالمي ضد طغيان الامبريالية وسيطرتها . ٦ ــ اخيرا ، ان من مهام الثورة الفلسطينية تجاه حركة التحرر العربية ، أن تراعي ظروف النضال الشعبي في كل قطر وأن تسعى لتدعيم النضال الجماهيري وتصعيده ، وأن تتجنب ما يمكن ان يسيء اليه أو أن يؤخره ، كذلك عليها ان لا تكون علاقتها بالانظمة العربية على حساب النهوض الثوري الشعبي وعلى حساب علاقتها بالثوريين وبالجماهير في مختلف الاقطار العربية .

٤ ــ مهام الثوريين العرب الراهنة تجاه الثورة الفلسطينية : ويمكن تلخيص مهام الثوريين العرب تجاه الثورة الفلسطينية كما يلي : ١ ــ تقديم اقصى الدعم المادي والمعنوي والاعلامي والفني ... الخ . ٢ ــ المساهمة في توعية الجماهير العربية حول الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية وشرح مهامه لهذه الجماهير وارتباطه بنضالها ومستقبلها . ٣ ــ ربط الكفاح المسلح الفلسطيني بالكفاح الاقليمي لمختلف فصائل حركة التحرر العربي . ٤ ــ تقديم الكوادر والخبرات والامكانات البشرية حسب الامكانات المتوفرة وحسب احتياجات الثورة . ٥ ــ تأمين الحماية السياسية تجاه الانظمة التي تحاول التعرض لنشاطات الثورة المختلفة او تحاول تصفيتها . ٦ ــ العمل الدؤوب والمركز لضمان استمرارية الكفاح المسلح وتصاعده بكل الوسائل المتوفرة بما فيها حمل السلاح سواء في الساحة الفلسطينية ام ضد الانظمة العربية التي تحاول تصفية الثورة بقوة السلاح . ٧ ــ اخيرا ان على الثوريين العرب العمل على دفع الثورة الفلسطينية باتجاه تعميق آفاقها الثورية العربية ، وتجنيبها التورط مع الانظمة بأكثر مما تقتضيه ظروف الكفاح المسلح ، حتى لا تبتعد عن الجماهير تملقا للانظمة . وكذلك فان على الثوريين العرب تفهم ظروف الثورة واضطرارها للتعامل مع الانظمة ، وتكييف ظروفهم

النضالية ما امكن ذلك لظروف الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية ، لان الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية هو نقطة البداية ومحور العمل الثوري العربي .

٥ ــ مهام مرحلية مشتركة للثورة الفلسطينية والثوريين العرب . اخيرا لا بد من القول ان هناك مهام مشتركة تقع مسؤوليتها على اطراف النضال كافة بما في ذلك الثورة الفلسطينية ، واهم هذه المهام العمل الجاد على تطوير صيغة نظرية سليمة للعلاقة الجدلية بين النضال في الساحة الفلسطينية والنضال التحرري العربي ، وكذلك تطوير وابداع صيغ تنظيمية وسياسية وجماهيرية لترجمة هذه العلاقة الجدلية الى مهام مرحلية محسوسة سواء بالنسبة للثوريين العرب والفلسطينيين ام بالنسبة للجماهير العربية كلها . وكذلك بحث تصعيد الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية ليرتقي الى ثورة عربية شاملة . ومن المهام المشتركة ايضا التقييم السليم للواقع العربي وظروفه وللواقع الدولي وظروفه في كل مرحلة ثم وضع صيغة متطورة للعلاقة المقبولة بين الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية وكل قطر عربي ، وبينها وبين الجماهير العربية واخيرا الصيغة الفعالة لربط النضال العربي بحركات التحرر في العالم .

٦ ــ تطور العلاقة الجدلية بين النضال في الساحة الفلسطينية وحركة التحرر العربية :
ان العلاقة العضوية بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية هي علاقة جدلية متطورة ، بمعنى ان تقدم الثورة الفلسطينية يدفع العمل الثوري العربي الى الامام ، كما أن اي انتصار تحرزه حركة التحرر العربية يعطي زخما جديدا للثورة الفلسطينية ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المهام المرحلية التي تتطلبها هذه العلاقة لا بد ان تتطور مع تصاعد الكفاح المسلح باتجاه تعميق هذه العلاقة وتنميتها . ان تصور بعض احتمالات تصاعد الكفاح في الساحة الفلسطينية يساعد على فهم تطور العلاقة الجدلية التي تدفع الثورة باتجاه أن تصبح ثورة عربية شاملة ، كما يدفع الثوريين العرب الى المشاركة الفعالة في الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية . ذلك ان تصاعد الكفاح المسلح لا يمكن ان يبقى محصورا في الارض المحتلة او بين فلسطينيي المولد بل لا بد ان يتعدى ذلك كله ليمتد على رقعة جغرافية وبشرية اوسع بكثير : ١ ــ من خلال الاحتكاك الذي يولده الوجود الفلسطيني الثوري بين الجماهير العربية ، أي من خلال « الثورة بالعدوى » . ٢ ــ من خلال ردات الفعل الاسرائيلية ، عبر الحدود ، التي تتخذ الكفاح المسلح ذريعة لضرب النمو الثوري العربي ، ولضم المزيد من الاراضي العربية واحتلالها . ٣ ــ بسبب تآمر الامبريالية وسعيها الدائم لتصفية الثورة خوفا من تطورها الى حركة ثورة تشمل المنطقة وتقضي على مصالحها . ٤ ــ ومن خلال ردات فعل الانظمة العربية التي ترفض المشاركة في المعركة والتي تخاف من الجماهير المنظمة والمسلحة . وهكذا وتدريجيا تجد الثورة نفسها توسع دائرة اهتماماتها وتوسع من اطرها التنظيمية والسياسية والعسكرية باتجاه الشمول العربي ، وخلال ذلك تتطور مهامها تجاه حركة الثورة العربية من مستوى الدعم الى مستوى المشاركة في النضالات الاقليمية .

ومن جهة اخرى فان تصاعد الكفاح المسلح سيعطي زخما قويا للقوى الثورية العربية ، ولكن القوى الامبريالية وعملاءها من القوى الرجعية المحلية ، تعمل على ضرب التحرك الثوري من خلال ضرب الكفاح المسلح الفلسطيني بؤرة النمو الثوري في المنطقة ، وهذا يدفع الثوريين العرب الى مزيد من التلاحم مع الثورة الفلسطينية ليس دعما لها فقط وانما دفاعا عن النمو الثوري العربي كله ، ويتطور دعمهم للثورة الى مشاركة فيها ومحاولة توسيع رقعتها لتشمل ساحات عربية جديدة . ان هذا التطور سيؤدي حتما الى التلاحم الكامل والى افراز قيادة موحدة للعمل الثوري على امتداد الرقعة العربية

بما فيها الساحة الفلسطينية خاصة عندما تنجر القوى الامبريالية الى التدخل المباشر ضد الثورة الفلسطينية وضد النمو الثوري العربي .

٧ ــ **نحو ترجمة النظرية الى مهام وممارسات عملية** : ان هذا البحث ما هو الا محاولة اولية لمناقشة القضية الملحة التي لا بد أن تحتل المرتبة الاولى في سلم الاولويات المطروحة على الثوريين في الساحة العربية والفلسطينية ، وهذا البحث يطرح مهام محددة لا بد من البدء بتنفيذها وهي : ١ ــ اتمام البحث والمناقشة لبلورة النظرية بشكل نهائي ومقبول من جميع الاطراف . ٢ ــ المباشرة في تنفيذ المهام الراهنة المطروحة ، حتى قبل اتمام الصيغة النهائية للنظرية . ٣ ــ تقييم الممارسات والتصرفات السابقة لمختلف فصائل حركة التحرر العربية بما فيها الثورة الفلسطينية على ضوء النظرية المطروحة لاستخلاص العبر وتجنب الوقوع في المزالق نفسها في المستقبل . ٤ ــ ترجمة النظرية المقبولة الى برنامج سياسي معتمد من كل الاطراف والى مهام مرحلية متطورة تحدد ما العمل بالنسبة للكوادر الثورية وبالنسبة لاوسع الجماهير العربية .

الثورة الفلسطينية والثورة العالمية

ابو عمر

« نضال الشعب الفلسطيني جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية العالمية » (من المبادىء الاساسية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » كما وردت في النظام الداخلي للحركة) .

* * *

ان ابرز سمات القرن الماضي هي هيمنة الامبريالية، التي تمثل اعلى مراحل الراسمالية، على العالم واضطهادها لشعوبه واستغلالها لثرواته . ويدل التحليل العلمي للواقع الدولي على أن التناقض الرئيسي في هذا العصر هو التناقض بين شعوب العالم وبين الامبريالية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية . اما اليوم فقد أصبحت قوى الثورة العالمية في وضع الهجوم . فانتصار الثورة في روسيا والصين وانتصار الثورة الوطنية في عدد من بلدان العالم اعطى دفعة كبيرة لحركة الشعوب المستعمرة . ولقد أخذت الامبريالية تفقد مواقعها موقعا موقعا . وامام النضال الثابت من قوى المعسكر الاشتراكي والقوى التقدمية في البلدان الامبريالية وحركات التحرر الوطني تشن الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية هجمة مضادة على الحركة الثورية العالمية متحالفة مع الرجعيات المحلية ومستهدفة المحافظة على هيمنتها والتوسع في مجال سيطرتها وضرب القوى الثورية والوطنية من أجل الاستمرار في استنزاف ثروات الشعوب .

ويحتل وطننا العربي بثروته النفطية الهائلة وموقعه الاستراتيجي الهام هدفا اساسيا من أهداف الامبريالية الشرسة . كما تشكل المستعمرة الصهيونية في فلسطين مخفرا اماميا للامبريالية من اجل سحق أي تحرك معاد للامبريالية في المنطقة والمحافظة على تقسيم الوطن العربي وتخلفه ليتسنى للامبريالية والصهيونية الاستمرار في نهب ثروات شعبنا واستغلال جماهيرنا . وثورتنا بتصديها المباشر للقاعدة الصهيونية الامبريالية في فلسطين وبسعيها لتجميع القوى الوطنية العربية ضد هذا العدو تمثل طليعة النضال العربي ضد الامبريالية والصهيونية وجزءا اساسيا في الجبهة العالمية المعادية للامبريالية . ومن هذا الموقع فان ثورتنا تسهم اسهاما فعالا في حسم التناقض الرئيسي في هذا العصر لمصلحة الشعوب . ان نضال شعبنا ضد الامبريالية والصهيونية والقوى العميلة المتواطئة معهما نضال طويل وعريق . وما انطلاقة ثورتنا المسلحة في الفاتح من يناير عام ١٩٦٥ الا الحلقة الاخيرة في سلسلة من النضالات البطولية لشعبنا العربي في فلسطين . ولقد كانت انطلاقته مدروسة استفادت من تراث شعبنا النضالي وارتقت به الى مرحلة اعلى . وهذه حقيقة أساسية قد نميل الى نسيانها في فترات الانحسار التي نمر بها اليوم والتي نركز فيها على السلبيات في مسيرتنا الثورية .

ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) بطرحها القضية الفلسطينية كحركة تحرر

وطني صححت المفاهيم الخاطئة والمعكوسة التي روج لها الكثيرون قبل انطلاقة الثورة وبعدها . ولقد صححت فتح هذه المفاهيم ليس فقط ببلاغة حجتها وصلابة منطقها بل ، والاهم من ذلك ، بممارستها وبحملها السلاح في وجه العدو المحتل وبدفعها الالاف من خيرة ابنائها الذين نالوا شرف الشهادة وهم يكيلون الضربات للصهاينة المستعمرين أو يدافعون عن أنفسهم امام خيانات القوى العربية العميلة .

بعد أن راح العالم طوال عقدين من الزمن ينظر الى الفلسطينيين كلاجئين والى النزاع في منطقتنا كصراع على خطوط بين اسرائيل والدول العربية غيرت فتح هـذه المفاهيم الخاطئة وطرحت قضيتنا كقضية شعب اغتصبت ارضه وشرد من وطنه من قبل غزاة مستعمرين مرتبطين عضويا بالامبريالية العالمية ومتسلحين بايديولوجية رجعية شوفينية عنصرية تستهدف اقامة مستعمرة لا محل فيها لاي فلسطيني سوى القلة اليهودية القليلة من شعبنا العربي الفلسطيني . لقد نبذت ثورتنا التعصب القومي وانطلقت من منطلق انساني هادفة ليس فقط الى تحرير الانسان العربي بل ايضا الى تحرير الانسان اليهودي من نير الصهيونية . فبالرغم مما فعله الصهاينة بشعبنا من ذبح وتشريد فاننا لم نطرح في المقابل طرد اليهود وتشريدهم في تصورنا لفلسطين المحررة ولكننا بطرحنا الدولة الديمقراطية فتحنا الباب امام اليهود في فلسطين ان ينبذوا الصهيونية والقاعدة الاستعمارية المسماة باسرائيل وان يناضلوا معنا من اجل مجتمع تقدمي عربي يعيش فيه الجميع بغض النظر عن دياناتهم متمتعين بحقوق وواجبات متساوية . ولقد لاقى هذا المفهوم الذي تضمنه شعارنا لدولة ديمقراطية في فلسطين تفهما وقبولا واسعين من جانب القوى التقدمية العالمية بما فيها قوى يهودية غير صهيونية .

ان ثورتنا بطرحها السليم لقضيتنا قد أدت الى فضح المستعمرين الصهاينة وادعاءات بعضهم باليسارية والديمقراطية امام الرأي العام العالمي ، ووضعتهم في موقع الدفاع بالنسبة لهجوم الثورة في المجالين السياسي والفكري . فان الصهاينة الذين يدعون اليسار بالرغم من تغيير حججهم وابتكار وسائل جديدة للتضليل ، لم يعد من السهل عليهم التأثير على الاوساط التقدمية التي اخذت تتفهم بشكل متزايد عدالة قضيتنا . اننا لا نستطيع ان نتجاهل بعض القوى التي ترفع الراية اليسارية في اسرائيل والتي لها قدر من النضال ضد سياسات الدولة الصهيونية الامبريالية . ولكننا نرى ان هذه القوى لا يزال امامها ان تراجع مواقفها بالنسبة لعديد من القضايا الاساسية حتى تصبح فعلا جزءا حيويا في النضال ضد الصهيونية والامبريالية واهم هذه القضايا احتلال وطن واقامة دولة عنصرية على حساب شعب أخر ، واستيطان ارض واستثمار ثروات هي ملك لهذا الشعب .

ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) بطرحها القضية الفلسطينية كحركة تحرر وطني ربطتها بشكل ثابت وواع بحركات التحرر الوطني وبالثورة العالمية على الصعيدين النظري والعملي . ففي برنامج العمل الذي قدمته حركتنا الى المجلس الفلسطيني في دورته الثانية جاء ما يلي : « ان معركة الحرية واحدة لا تتجزأ وان هزيمة الاستعمار والامبريالية العالمية في أي مكان من اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية انما يعتبر انتصارا لمعركة الحرية في فلسطين العربية وبالتالي فان شعبنا يقف الى جانب جميع الشعوب في نضالها من أجل حريتها واستقلالها وتحقيق التعاون الوثيق مع جميع قوى التحرر في العالم » . وفي نظامها الداخلي تقر حركتنا من بين اهدافها « مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير اوطانها وتقرير مصيرها من أجل بناء صرح السلام العالمي على أسس عادلة » وتدعو الحركة الى « اقامة اوثق الصلات مع القوى التحررية في العالم المناهضة للامبريالية والصهيونية والتي تدعم كفاحنا المسلح العادل » . وفي برنامج

الثورة الفلسطينية تؤكد ثورتنا على ان احد المحاور الاستراتيجية الرئيسية الاربعة التي يرتكز عليها برنامجنا السياسي هي « التلاحم مع حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل التحرر الوطني » .

هذا على الصعيد النظري . وقبل ان نتطرق الى الصعيد العملي لعلاقاتنا مع القوى العالمية عامة وقوى الثورة العالمية خاصة سنستعرض العناصر الاساسية لمنهجنا في التعامل مع هذه القوى والمقاييس التي ينبغي الالتزام بها في تحديد من وما هو الثوري، فمثل هذه المقاييس ضرورة لا بد منها في مواجهة بعض مظاهر الانحراف التي تبرز في فترات الانحسار .

١ ــ **الاهتمام باحداث النتائج وليس بمجرد طرح الافكار وتسجيل المواقف** : كما انه يهمنا في العلم أن يرشدنا الى عمل لمصلحة جماهيرنا ، وفي الفكر ان نحوله الى حركة في الواقع ، يهمنا في المواقف ليس مجرد تسجيلها بل احداث نتائج ملموسة مهما كانت متواضعة . فاننا نرى ان الثوري هو ليس من يتكلم عن الثورة بل من يصنع الثورة . ومع التركيز على الممارسة يجب ادراك العلاقة الجدلية بين الفكر والممارسة بحيث ننبذ القوالب الفكرية الجامدة والمعادلات الجاهزة ونحاول اغناء فكرنا على ضوء ممارساتنا وتطويره عن طريق تنظير تجاربنا .

٢ ــ **التحديد الواضح للتناقض الرئيسي** : لقد حددت حركتنا التناقض الرئيسي بشكل واضح على الساحات الثلاث ، الفلسطينية والعربية والعالمية . فالتناقض على الساحة الفلسطينية هو بين شعبنا المتشرد او الرازح تحت الاحتلال وبين الاحتلال الصهيوني الامبريالي . وانطلاقا من ذلك ومن حقيقة أن المعركة الفلسطينية والمعركة العربية وجهان لعملة واحدة فان التناقض الرئيسي على الساحة العربية هو بين قوى الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية وبين الامبريالية والصهيونية واشكال الاستعمار الجديد والقوى العربية المتواطئة معها . اما على الصعيد العالمي فالتناقض الرئيسي هو بين قوى الثورة العالمية والقوى الامبريالية بكل ما تمثله من استغلال وعنصرية واستعمار قديم او جديد .

٣ ــ **التمييز بين التناقض الرئيسي والتناقضات الثانوية** : وينعكس هذا الفهم لطبيعة التناقض الرئيسي على الساحات الفلسطينية والعربية والعالمية على ممارسات الثورة. فالثورة تحرص على عدم خلط التناقضات الثانوية والتناقض الرئيسي وتحرص من خلال اخضاع التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسي على جذب قوى جديدة الى معسكر الثورة ، وعلى تنشيط قوى قد تكون خاملة برغم ان مصلحتها هي في النضال ضد الصهيونية والامبريالية ، او تجنيد قوى اخرى قد يسعى العدو الصهيوني والامبريالي الى جذبها لمعسكره عن طريق مناورات القوى العربية الرجعية العميلة .

٤ ــ **التصنيف الدقيق للقوى من أجل توسيع جبهة الاصدقاء وتضييق جبهة الاعداء** : ان حركتنا تحكم على كافة القوى وهي تصنفها صداقة او عداء بممارسات هذه القوى وليس فقط بأقوالها ليس في ظرف محدد فحسب ولكن من خلال رؤية تأريخية لحركة هذه القوى ومدى قابليتها للتغير سلبا او ايجابا . هذا هو المنهج الذي يضمن التطبيق الواعي للشعار « اوسع الاصدقاء واضيق الاعداء » وهو الشعار الذي يشكل شرطا رئيسيا لانتصار اية ثورة .

٥ ــ **الصلابة الاستراتيجية والمرونة التكتيكية** : ان استراتيجيتنا هي التحالف مع قوى الثورة العالمية ولا يخل بذلك بعض الممارسات التكتيكية التي قد تتخذ بعض الاحيان شكل علاقات مع قوى خارج اطار الثورة العالمية . مثل هذه العلاقات تفرضها احيانا ضرورة اقامة نوع من التوازن يخفف من الضغوط العربية التي تتعرض لها الثورة، ولكن

يظل الحكم النهائي على هذا النوع من الممارسات التكتيكية مشروطا بالنتائج العملية التي يحققها من ناحية وعدم الاخلال بعلاقات الثورة بالقوى التقدمية العربية وقوى الثورة العالمية من ناحية اخرى . ان ثورتنا اصبحت اليوم مهددة بسبب انفلاشنا ووجودها العلني السافر على ارض أنظمة تتبع استراتيجية مغايرة لاستراتيجيتنا واتجاه بعض هذه الانظمة نحو الاستسلام وضعف بنيتنا التنظيمية وانحسار نشاطنا الثوري . فاذا اردنا ان نفلت من محاولات التصفية والاحتواء ومن العمل ضمن استراتيجية اصدقائنا وحلفائنا علينا التمييز بين التحالفات الاستراتيجية والتحالفات التكتيكية واتخاذ خطوات عاجلة وحاسمة لرسم خط سياسي واضح وخط عسكري وتنظيمي يتناسبان مع الخط السياسي ومع ظروف المرحلة ضمن الرؤية الاستراتيجية العامة . لقد حرصنا منذ انطلاقة ثورتنا على استقلاليتنا ولكننا مهددون اليوم اكثر من اي وقت مضى بفقدان هذه الاستقلالية ان لم نتخذ الاجراءات الحاسمة ونناضل النضالات الجادة من اجل اعادة ترتيب أوضاعنا الذاتية .

٦ ــ **الاستفادة من التناقضات في معسكر الاعداء** : اننا ندرك ان ثمة تناقضات في معسكر الامبريالية ولقد وصلت هذه التناقضات في الماضي من الحدة الى الحد الذي فجرت فيه حروبا عالمية طاحنة بين الدول الامبريالية . ولكننا ندرك أيضا ان كل هذه القوى تقف صفا واحدا ضد مصلحة شعبنا الاساسية ، وان اختلفت فهي لا تختلف الا على كيفية اجهاض ثورتنا وسحق تحرك جماهيرنا ونهب ثرواتنا وتوزيع الغنائم بينها . أما بالنسبة لكل دولة من الدول المعادية فثمة قوى تقدمية في داخلها يهمنا كثيرا ان نتعاون معها وبالنسبة للمستعمرة الصهيونية في فلسطين نرى أن التناقضات بين اليهود يمكن ان تزداد حدتها ليس عن طريق الاستسلام العربي (الذي يصر البعض على تسميته السلام) ولكن عن طريق تصعيد نضالنا السياسي المسلح . وفي نضالنا في الاعوام الماضية الدليل الواضح على صحة مقولتنا هذه .

٧ ــ **الاستفادة من تجارب الشعوب** : ان حركتنا ترى في تجارب الشعوب المناضلة التي كافحت ضد استغلال الانسان للانسان واضطهاد شعب لشعب دروسا مهمة لنا . ان افكار هذه الثورات وممارساتها قد أغنت تجربتنا . ولكننا في استفادتنا هذه يجب الا نهمل ظروف نضالنا وخصوصية واقعنا وعلينا ان نحذر من التقليد الميكانيكي لتجارب الاصدقاء . علينا ان نبتكر اساليبنا الخاصة ونبتدع طرقنا الملائمة ونطبق ما نستعيره او ننقله تطبيقا خلاقا .

٨ ــ **الاهتمام بتراثنا النضالي العربي** : مع انفتاحنا على العالم ونبذنا للعزلة القومية ومحاولة استيعاب تجارب الثورات الاخرى فان الامساك بالتراث النضالي لشعبنا وللامة العربية بشكل عام شرط اساسي لكي نستطيع ان نطبق ما يجد في التجارب الثورية تطبيقا خلاقا ومبدعا على واقعنا الخاص ، يجب ان نعترف اننا ما زلنا مقصرين في دراسة تراثنا النضالي دراسة علمية . اننا على يقين ان شعبا يفقد ماضيه لا يمكن أن يصنع مستقبله فعلينا الا نهرب من الماضي او أن نلجأ اليه بروح دفاعية معتمدين التبرير ، كما علينا الا نقف عند الاعتزاز العاطفي بماضينا بل علينا ان نحول اعتزازنا الى دراسة معمقة تستخلص وتطور ما في هذا التراث مما يغذي نضالنا الحالي ويغني تراث الشعوب النضالي .

٩ ــ **الحرص على السلام العالمي** : اننا نقدر خطورة نشوب حرب نووية ولكننا نرى في ثورات الشعوب المسحوقة ليس تهديدا للسلام العالمي بل الطريق لتحقيق السلام الحقيقي القائم على العدل . ان المخطط الامبريالي المستعين بالحركة الصهيونية والمستعمرة الصهيونية في فلسطين لفرض السيطرة الامبريالية على المنطقة وادخالها ضمن الاستراتيجية الامبريالية العالمية يهدد في حالة نجاحه بخلل كبير في ميزان القوى الدولي

لصالح الامبريالية مما يشجعها على المضي في مغامراتها العدوانية التي يمكن أن تدفع العالم الى حافة هذه الحرب النووية . لذلك فان نضال شعبنا ونضال حركة التحرر العربي ضد الامبريالية والصهيونية ولاحباط هذا المخطط الامبريالي الصهيوني ليس ضرورة بالنسبة لصالح شعبنا فحسب ولكنه ضرورة حيوية ايضا لصيانة السلام العالمي .

ولقد اثبتت التجربة الملموسة ان غياب الثورة المسلحة ضد الكيان الصهيوني قد شجعه اكثر من مرة على اقتراف عدوان دولي هدد العالم بانفجار حرب عالمية كما حدث في عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ . ان النضال المسلح الذي تشنه الشعوب ضد الامبريالية والصهيونية هو الطريق الوحيد لحفظ السلام العالمي من خطر اندلاع حرب عالمية . لان اطمئنان الامبريالية والصهيونية من خمود الانتفاضات المسلحة وثورات الشعوب يعتبر تشجيعا لهما لاقتراف العدوان العسكري وتطبيق سياسات التوسع وضم اراضي الغير .

اما وقد استعرضنا العناصر الاساسية للمنهج الذي يحكم علاقاتنا على الصعيد الدولي فلنعد الى ايجاز علاقاتنا بقوى الثورة العالمية :

١ ــ **حركة التحرر العربي** : ففي المجال العربي احدث طرحنا ثورة في مفهوم القضية الفلسطينية ومواجهة العدو الصهيوني . لقد ابتدأت القوى العربية الوطنية والتقدمية تدرك محورية القضية الفلسطينية وان الساحة الفلسطينية هي الساحة الاساسية في مواجهة الامبريالية وان التناقض الرئيسي في وطننا لا يمكن أن يحل الا عن طريق توجيه نضالنا ضد اسرائيل التي تجسد تسلط الامبريالية والصهيونية بشكل واضح ومكشوف. ان طرح الثورة الفلسطينية لاستراتيجية هجومية بدلا من استراتيجية الانظمة الدفاعية غيرت مفهوم المواجهة مع العدو الصهيوني . كما ان طرح حرب الشعب طويلة الامد بدأ يرسخ هذه الفكرة لدى الجماهير العربية . ومع أن البعض اخذ يشكك بجدوى استراتيجية حرب الشعب اذ ينظر الى الارض ويرى ان البذرة لم تنبت بعد ، يدرك شعبنا بشكل متزايد ان هذه البذرة التي غرستها الثورة الفلسطينية لا بد وان تنمو في ارضنا الخصبة وتمتد جذورها وتنبت وتثمر اذا ما وجدت من يهتم بها ويعمل دون كلل او ملل للعناية بها .

ولاول مرة في تاريخ امتنا تمكنت الثورة الفلسطينية من جمع القوى الوطنية والتقدمية العربية كافة في « جبهة عربية مشاركة في الثورة الفلسطينية » (نوفمبر ١٩٧٢) . وفي مثل هذا الحدث دلالة هامة بالرغم من ضعف الثورة والقوى التقدمية في هذه المرحلة . ومع ان هذه الجبهة لن تكون ذات فعالية كبيرة خاصة اذا لم يحول برنامجها السياسي الى مهام ملموسة ومحددة ، الا ان الفكرة نفسها على جانب كبير من الاهمية. وعلينا ان نناضل من اجل الصعود بالثورة من المنحدر الذي وصلت اليه بالتركيز على تصعيد العمل الثوري في الوطن المحتل وفي الاردن . وعندئذ يمكن ان نخلق المناخ الملائم لنمو القوى الثورية العربية ويمكننا ان نكون اساسا في جبهة عربية فعالة تمثل الترابط العضوي بين حركة التحرر الفلسطيني وحركة التحرر العربي .

٢ ــ **حركات التحرر الوطني** : ان حركتنا جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني في العالم . فان كل برامجنا ومواثيق ثورتنا وتصريحاتنا في المؤتمرات العالمية لتؤكد هذه الحقيقة الاساسية . ولم يقتصر هذا الترابط على التصريحات او الخطب والبيانات بل عبرنا عنه بتبادل الخبرات وتوثيق العلاقات ماديا وسياسيا مع حركات التحرر في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . لقد وجدنا في تجارب حركات التحرر لا سيما تجربة الرفاق الفيتناميين اكبر الهام وخير معلم ومثال . لقد ادركت القوى الثورية في العالم محورية

فيتنام وفلسطين في النضال ضد الامبريالية فقامت بتشكيل لجان مناصرة فيتنام وفلسطين في كثير من بلدان العالم . وتوضح هذا الترابط الوثيق بين فيتنام وفلسطين كلمات مندوب فيتنام التالية : « انه لشرف عظيم لنا أن نكون بينكم ايها الثوار الفلسطينيون الغالون علينا والذين نعتبركم أشقاء لنا ورفاق سلاح في خندق واحد في نضال مشترك . على الرغم من أن فيتنام وفلسطين تبعدان كثيرا عن بعضها البعض من الناحية الجغرافية فتقع الواحدة في الشرق الاقصى والاخرى في الشرق الاوسط ، الا أن المسافة لا تهمنا مطلقا ونشعر دائما اننا قريبون من بعض اذ نناضل من اجل القضية نفسها الا وهي الاستقلال والحرية وضد عدو واحد الذي هو الامبرياليون الامريكيون المعتدون وخدمهم في تل ابيب كما في سايغون . ان دعمنا بدون تحفظ للنضال العادل الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ضد الامبرياليين والصهاينة الاسرائيليين المعتدين هو بالنسبة لنا مسألة مبدأ ثوري » . اما وقد أوشكت حركة التحرر الفيتنامية على النصر في جنوب فيتنام فلا شك ان فلسطين ستصبح محور الصراع بين الامبريالية وحركة التحرر العالمي . ونأمل ان نكون أهلا لمثل هذا الدور الجسيم فنتعلم من رفاقنا الفيتناميين حسن التعبئة والتنظيم لجماهير شعبنا من اجل شن الحرب الطويلة الامد لالحاق الهزيمة بالامبريالية والصهيونية على ارض فلسطين وفي وطننا العربي الكبير .

٣ ـ **المعسكر الاشتراكي** : منذ ان انطلقت ثورتنا كنا حريصين على الحوار المستمر مع قوى المعسكر الاشتراكي من اجل تفهم قضيتنا ونضالنا وعلاقته بالنضال العالمي من اجل التحرر والاستقلال والتقدم . ولقد وجدنا في الصين الشعبية تفهما كاملا لقضيتنا وتعاونا وثيقا في نضالنا كما وجدنا في الاتحاد السوفياتي والحركة العمالية في العالم تفهما متزايدا . ويمثل مؤتمر صوفيا لنصرة عمال وشعب فلسطين (سبتمبر ١٩٧١) حدثا هاما في علاقاتنا الدولية اذ اكد اتحاد النقابات العالمي عدالة قضيتنا وأعلن بشكل واضح وصريح عن مساندته لشعبنا في نضاله من اجل العودة وتقرير المصير . ان علاقاتنا بالاصدقاء لم تقتصر على الدعم السياسي والزيارات المتبادلة بل تخطته الى المساعدات المادية . واننا اذ نقدر هذا الدعم المتزايد واذ ندرك الاختلافات مع بعض الاصدقاء نعلم انه لا يجوز ان نحمل الاصدقاء عبء نضالنا بل علينا أن نتكل أساسا على انفسنا ، اننا نعلم ان مساندة الاصدقاء ليست بديلا لنضالنا كما ان مواقفهم رهن بالحقائق التي نصنعها نحن هنا في وطننا .

٤ ـ **القوى التقدمية في البلدان الامبريالية** : لقد نجحت حركتنا في اقامة العلاقات الوثيقة مع الكثير من القوى التقدمية في البلدان الراسمالية . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر العلاقات الوثيقة مع الحزب الشيوعي الايطالي والحزب الشيوعي الفرنسي. ولقد نجحنا في معظم الحالات في ألا ندع اختلاف القوى اليسارية يؤثر على علاقاتنا معها . فاننا ننطلق من ضرورة التعاون مع أية فئة تقدمية او وطنية تؤازرنا ولا نرضى أن يكون تعاوننا مع فئة على حساب علاقتنا مع فئة أخرى ونحرص ان يكون النضال الفلسطيني نقطة تجمع لكافة القوى التقدمية بالرغم من الخلافات التي بينها . ويجدر بنا ان نخص بالذكر من بين الحركات العديدة التي تؤيدنا حركة الفهود السود التي تناضل في ظروف صعبة جدا ضد العنصرية والاستغلال في قلب الولايات المتحدة . وفي تعاملنا مع مختلف البلدان نميز بين الحكومات والشعوب فبينما نضع الحكومات الامبريالية في صف الاعداء نحاول انشاء العلاقات مع كل الفئات الشريفة التي يمكن أن تؤيدنا . ويمكننا ان نذكر الشبيبة الاحرار في بريطانيا الذين تبنوا فكرة الدولة الديمقراطية وقطعوا علاقتهم مع حزب الاحرار الاسرائيلي نتيجة حوارهم معنا وتفهمهم لقضيتنا . كما اننا حظينا بتأييد « المسيحيين من أجل فلسطين » لنضالنا وأهدافنا . فقد عقدوا ندوتين عالميتين الواحدة

في بيروت (١٩٧٠) والاخرى في كانتربري بريطانيا (١٩٧٢) وكونوا لجانا في كثير من بلدان العالم لتقوم بالاعلام عن قضيتنا العادلة .

بعد هذا الاستعراض الموجز يمكننا القول ان استمرارية الثورة الفلسطينية يجب أن تكون هدف كل القوى الثورية في العالم وان انتصار الثورة في فلسطين هو اكبر هزيمة يمكن ان تلحق بالامبريالية في هذا العصر على يد الشعوب المسحوقة .

ان برنامج ثورتنا السياسي ينص على « ان توثيق علاقات التضامن والنضال المشترك بين الثورة الفلسطينية والنضال العربي وبين حركة التحرر العالمية والقوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم والذي يرتكز اساسا على الايمان بأن الثورة الفلسطينية والنضال العربي جزء من النضال التحرري العالمي ، سوف يسهم ايجابيا في نضال الشعوب المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية والرجعية » . أن مساهمتنا في الثورة العالمية هي في المحل الاول عن طريق القيام بمهمات نضالنا ونجاحنا في معالجة التحديات التي تواجهنا . ولدعم نضالنا ونضال الشعوب ضد الامبريالية والاستغلال علينا أن نسعى لقيام جبهة متحدة من كل القوى المعادية للامبريالية على نطاق العالم . ان نضال قوى الثورة العالمية ضد الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية لا بد وأن ينتصر . وان نضالات شعوب العالم المختلفة ويقظتها وتعاونها وتعلمها من بعضها البعض لكفيل بأن يصد الهجمة الامبريالية المضادة ويحرز النصر .

لقد خطا شعبنا خطوات صغيرة على طريق حرب الشعب الطويلة، ونمر اليوم بتعرجات هي أمر طبيعي في مسيرة كل ثورة . فعلينا ان نبقي هدف التحرير دوما صوب اعيننا ونخطو خطى حثيثة متعلمين من أخطائنا حتى نحقق النصر .

صرفند والقانون والمسألة اللغوية

نزيه قوره

قاعة المحكمة العسكرية في سجن رام الله . أواخر كانون الاول ١٩٦٨

ــ اسمك	ــ ابراهيم سلامة
ــ عمرك	ــ ٢٥ سنة
ــ مكان الولادة	ــ أم الزينات ــ قضاء حيفا
ــ مذنب أم غير مذنب	ــ غير مذنب

« بتاريخ لم يمر عليه الزمن و . . . حسب نص المادة . . . من قانون الطوارىء . . لعام ١٩٤٥ . . » التهم : التسلل بصورة غير مشروعة . الانتماء لتنظيم غير مشروع . حمل السلاح بدون تصريح من الحاكم العسكري . اطلاق النار على جنود جيش الدفاع الاسرائيلي (هذه التهمة لا تتلوها عبارة « بدون تصريح من الحاكم العسكري »)

ــ هل تعترف بالتهمة الاولى	ــ لا
ــ أين القي القبض عليك	ــ في رام الله
ــ أين تقيم	ــ في دمشق
ــ اذن كيف جئت الى هنا	ــ عبرت نهر الاردن عائدا الى بلدي .

قبل بدء أية محاكمة يجب حسم المسألة اللغوية أولا . فالمدعي العسكري لا يهمه التمييز بين « عبر » و « تسلل » ، والمترجم يخلط بين الكلمتين . ولكن « المتهم » الفلسطيني الذي يواجه ما لا يقل عن ست تهم في أية قضية يهمه تبيان الفرق بين هذه الالفاظ لان الفرق بين « عبر » و « تسلل » يعني الفرق بين الوجود والعدم . ثم هناك الفرق بين « معترف » و« مذنب » . والتمييز بينهما أمــر جديد بالنسبة للمحاكم . اذ أن على « المتهم » دائما أن يوقف المترجم الذي لا يميز بين هذه الالفاظ ، ليطلب منه أن يفرق بينهما . فالمتهم قد يعترف بما نسب اليه ويتمنى لو أن ما نسب اليه أكثر من هذا ولكنه لا يقر بأنه مذنب .

ــ هل هذه افادتك ؟	ــ نعم
ــ هل هذا التوقيع في اسفلها توقيعك ؟	ــ نعم
ــ هل تقر بما جاء فيها ؟	ــ لا
ــ كيف ذلك ؟	ــ لقد أجبرت على توقيعها تحت التعذيب .

المدعي العسكري ليس قصير النظر وقد اعد نفسه لهذه « المفاجأة » .

ــ سيدي القاضي ان لدي اقرارا خطيا من المتهم يعترف فيه أنه وقع الافادة دون ضغط أو اكراه ماديا كان أو معنويا .

ــ ما رأي المتهم ؟

ــ لقد أجبرت تحت التعذيب بالاقرار بأنني لم اعذب اثناء التحقيق معي .

ـــ هل لديك شهود ؟!

المحكمة حريصة على تطبيق القانون الاجرائي . قبل بدء المحكمة سئل « المتهم » ان كان لديه محام ، وعندما قال لا عرضت المحكمة عليه تعيين محام على نفقتها ، ولم يستطع « المتهم » الا أن يرفض هذا الكرم . انه يعرف مقدمـــا كيف يدافع محام صهيوني عن « مخرب » . سيقول المحامي ان « المتهم » بسبب فقره وجوعه وجهله بالعواقب ، وقع تحت اغراء « منظمات التخريب » التي دفعت له مبلغ ١٥٠ ليرة سوريـــة لقاء قيامه بعمليات « تخريب » .

والآن يريدون منه ان يأتي بالشهود . لا يكفي الانزلاق في عموده الفقري شاهدا على الشبح والكهرباء والكلاب . « أبو عرب » : أطلب منهم استدعاء « أبو شنب أزرق » من معسكر صرفند ليشهد انك عذبت . أطلب من القاضي الحريص على نصوص القانون ان يأتي بكافة المعتقلين المعصوبي العيون المقيدة أيديهم وراء ظهورهم في زنازين صرفند المنفردة ، ليشهدوا أنهم سمعوا ، بعد منتصف احدى الليالي التي لا يميزونها عن غيرها، انسانا تذبح انسانيته .

ـــ ليس عندي شهود .

ـــ هل تطلب شيئا من المحكمة ؟

المطلوب منه هو وليس من المحكمة أن يطلب الرحمة ويستغفر لكي يظفر مـــن المحكمة بتخفيض الحكم من أربعة أحكام بالمؤبد الى ثلاثة أحكام بالمؤبد .

ـــ لا .

محمد عقلة . العمر : ١٧ عاما . المهنة : طالب . مكان الاقامة : دمشق . التهم نفسها. الجدل اللغوي ذاته . التسلل والعبور . التخريب والفداء . التعذيب والاقرار بتوقيع الافادة بملء الحرية والاختيار .

ـــ هل تريد ان تقول شيئا للمحكمة ؟

ـــ نعم . سيأتي يوم لتقف مكاني وتحاكم على جرائمك .

ـــ ومن الذي سيحاكمني ؟ أنت ؟!

ـــ لا . الشعب .

ترى هل وقف بريخت ذات يوم أمام محاكم الفاشيست ليقول بعد ذلك « عندما يفرغ الحاكمون من كلامهم سيتكلم المحكومون » .

محمد جابر : هل تريد أن تقول شيئا للمحكمة ؟

من بين المتهمين السبعة كان ابو جابر أكثرهم صمتا . اية مراجل كانت تتقد وراء هدوء عينيه . كيف يجمع بين هذا القدر من الهيبة وهذا القدر من التواضع . كنت أعرف أنه مقاتل ممتاز ، ولكن لم أكن أعرف انه مثقف الا عندما سمعته يتمتم بأبيات مـــن قصيدة للجواهري

أطبق دجـــى حتى يحلـــق في سموات عقاب

غضبان ان لم تحم أعشاشا لها طير غضاب

باختصار أجاب « أبو جابر » على سؤال القاضي العسكري ، وبصوته الهادىء

ـــ لست نادما على شيء . اذا أطلقتموني سأعود ثانية حاملا سلاحي .

* * *

[٢]

ـــ عبد القادر مات .

ـــ عبد القادر مات ؟؟!

كان الموت لم يكن خبزنا اليومي . وكان عبدالقادر معصوم من الموت . لماذا لا يريدون أن يصدقوا أن عبدالقادر ابو الفحم مات ؟ لقد اسر عبدالقادر ابو الفحم عندما وقع في كمين ورفض الاستسلام فاخترقت جسده عشرات الرصاصات . عندما نقلوه الى المستشفى بعد اسره انتزعوا من جسده أكثر من خمس وثلاثين رصاصة : مـــن معدته وفخذيه وصدره ووجهه . عبدالقادر الذي دوخ سلطات الاحتلال أكثر من سنة ونصف السنة والذي وضع اسمه في قائمة المطلوبين منذ الشهر الاول للاحتلال والذي أصبح جسده مزرعة رصاص ، لم يمت . والآن ها هو يموت مثل الآخـــرين الذين يموتون كل يوم . كيف ؟

ـــ استشهد عبد القادر في سجن الرملة بينما كانوا يحاولون اجباره على فك اضرابه عن الطعام الذي استمر عشرة أيام .

ـــ ولماذا يضرب عبد القادر عن الطعام ؟

كان عبد القادر موجودا في زنازين سجن عسقلان ، وقد علـــم أن السجناء يخططون لاضراب عن الطعام فأصر على المشاركة في الاضراب . وكان السجناء يعرفون وضعه فطلبوا منه عدم الاضراب لان صحته لا تتحمل ذلك . وبعث لهم ، بالطرق التي يعرفها المساجين ، يقول أن اللقمة لن تمر في حلقه عندما يكون الخمس مئة سجين جائعين . واصروا على موقفهم واصر هو على موقفه . وعندما أعلن الاضراب الشهير في سجن عسقلان واجتاز مرحلته الاولى نقل عبدالقادر الى سجن الرملة حيث استمر في اضرابه الى اليوم العاشر ، حين يئست ادارة السجن من حمله على فك اضرابه بأساليب الاقناع فحاولت « اقناعه » بأساليب اخرى وكانت النتيجة أن توفي بين ايدي شرطة السجن .

ودوت الهتافات الرهيبة في سجن بئر السبع . المجد والخلود لك يا عبدالقادر . الخزي والعار للقتلة . عاشت الثورة الفلسطينية . ومن العنابر الخمسة الاخرى في السجن سمعت الهتافات . المجد للشهداء . العار للقتلة . عاشت الثورة . وتحولت عنابر السجن الى تظاهرات صاخبة . مات الخوف فجأة وكأنه أصيب بسكتة قلبية . وأعقبت الهتافات أناشيد

نعـــم لـــن نمـــوت ولكننـــــا	سنقتلـــع الموت مـــن ارضنـــا
هنـــاك هنـــاك بعيـــدا بعيـــد	سيحملني يـــا رفيقي الجنـــود
ويلقون بي في الظـــلام الرهيب	ويلقون بي في جحيـــم القيـــود

وأعلن الاضراب عن العمل والطعام . وبدأ مهرجان تأبيني في جميع عنابـــر السجن ، والقيت القصائد والكلمات وتكلم رفاق عبدالقادر وشرحوا الدور الذي قام به عبدالقادر . ودخل مدير السجن يحف به ضباط السجن وعدد من الجنود ووقفوا على الباب ، على اعتبار ان مجرد وجودهم كاف لاسكات الاصوات الهـــادرة فلم يلتفت أحد . واستمر السجناء في نشيدهم

يا أمنا كفـــي الدموعا	وانتظـــري لـــي رجوعـــــا
فان مضينـــا جميعـــا	نـــادي رفاقـــي للجهـــــاد

واستدعى المدير أحد السجناء خارج الغرفة التي تضم ٧٠ سجينا وساله عما يجري . فقال له السجين :

— انني أبلغك اعلان الاضراب باسم السجناء الى أن يتم تعيين لجنــة طبية محايدة للتحقيق في ظروف استشهاد عبد القادر أبو الفحم .

— عبدالقادر توفي نتيجة لجراحه .

— نحن نتهمكم بقتل عبدالقادر وسنظل مضربين حتى تلقي تقرير اللجنة الطبية .

— اذا أضربتم فسأقطع الزيارة عن كل مضرب مدة ستة اشهر .

— ٦ × ٩ = ٥٤ ليرة سيشتري بها أهلي كيس طحين يأكله اخوتي .

كان هذا في سجن بئر السبع حوالي منتصف شهر تموز ١٩٧٠ .

* * *

[٣]

سجن بيت ليد — آذار ١٩٦٩ . غرفة الزيارة حيث يتوسط الغرفة حاجز منخفض من الاسمنت يرتفع من وسطه شريط من الاسلاك يصل الى السقف ويفصل الزوار عــن السجناء . في الجهة المقابلة كانت تقف امرأة تبحث عيناها عن ابنها . ودخل ابنها . لم يكن ابنها يتجاوز الستة عشر عاما . اعتقل من مدرسة دير البلح حيث كان ملتحقا في الصف الاول الثانوي . لم يفعل شيئا بعد : انتماء الى تنظيم مسلح — حيازة أسلحة — التدريب على استعمال السلاح . وهنا جرى اعتقاله مع مجموعة من الطلبة . كيف حصلوا على السلاح ؟ ذهب رفاقه الى سيناء واحضروا ما وجدوه من مخلفات الجيش المصري .

— كيف حالك يا كامل

— الحمد لله يما

— الحمد لله يما اللي شفتك راجل وتخوف الحكومة . لم تكن المراة تبكي ، ولم تكن « تبهدله » لانه زج نفسه في هذه الاعمال التي يجب أن تترك للكبار . كانت المراة مسرورة لانها اكتشفت أن ابنها أصبح « راجل » وأصبح « يخوف » الحكومة . حسب تفكيرها اذا لم تكن الحكومة تخاف من ابنها فلماذا تحكم عليه بالسجن خمس سنوات . المراة الديراوية البسيطة الساذجة تمتلىء اعتزازا لان ابنها يخوف حكومــة اسرائيل ذات الجبروت .

* * *

[٤]

من خارج السجن تأتي الاخبار . شكاوى الى لجنة حقوق الانسان . تعذيب المعتقلين . هدم أعداد كبيرة من البيوت . فرض عقوبات جماعية ... الخ وفي الخــارج تتحرك الهيئات لتنتزع القرارات من هيئة الامم المتحدة . الضمــير العالمي يستيقظ . الضمير العالمي عاد فنام . لجنة العفو الدولية نشرت تقريرها . اللجنة أدانت سلطات الاحتلال الغاشمة . أصحاب المشاعر الحساسة والرقيقة يدينون تعسف السلطات المحتلة . هناك طرفان يستطيعان أن « يتفهما » مسلك سلطات الاحتلال : الامبريالية الاميركية والسجناء انفسهم . الامبريالية الاميركية تعتبر انتصارات اسرائيل انتصارات لهــا وهزائم اسرائيل نذيرا بتصفية وجودها الامبريالي في المنطقة كلها . أما السجين فلا يسأل نفسه : لماذا هدموا بيتي ؟ لماذا يعذبونني ؟ لماذا يضطهدونني ؟ السجين هو اقدر انسان على وضع نفسه مكان العدو وادراك آلية تفكير عدوه . هذه الاسئلة يتركها السجين للناس الذين لا يعرفون شيئا عن القضية . أما هو فيأخذ في تعذيب نفسه اثناء نزول الهراوات واللكمات على رأسه : « لماذا بت تلك الليلة في البيت ؟ لماذا تركت كل

هذه الاشياء في البيت . لماذا لم نرسل من يستطلع الطريق قبل التحرك » . والف لماذا تمزق خلايا مخه . كل خطأ ارتكبه يصبح سوطا داخليا يعذبه علــى ايقاع السياط واللكمات التي تنزل على جسده .

السجين لا يشترط توفر الروح الرياضية لدى عدوه . انه يعرف طبيعة هذا الصراع . اما أن يسحق عدوه سحقا كاملا ومطلقا أو يسحقه عدوه سحقا كاملا ومطلقا . ان العداء في المعتقل يظهر عاريا بشعا بدون طلاء وبدون أقنعة . العدو يريد ان يسحق فينا كل ما هو انساني . أما نحن فيتوجب علينا الدفاع عن انسانيتنا وعن كبريائنا . هذا ليس صراعا على الاجور أو تحديد ساعات العمل أو الحقوق الديموقراطية . هذا صراع البقاء والفناء . أن نكون أو لا نكون . في عهد الانتداب كان يقال « مشكلة فلسطين » والآن صار يقال « مشكلة الشرق الاوسط » . حقا عندنا مشكلة ولكنها ليست مشكلة فلسطين . بالنسبة للآخرين قد تكــون فلسطين مشكلة ولكن بالنسبة لنـــا فلسطين وطن . فلسطين مدن وقرى وبيوت وكروم وشوارع وحجار . وعندما لا تعود فلسطين هي البيوت والاشجار لا تعود مشكلة . تصبح صفحة في كتاب تاريخ .

* * *

[٥]

عندما يقف الفلسطيني في محكمة اسرائيلية عسكرية ، لا يكون هم القاضي او المدعي العسكري هو اثبات التهمة . فكلمة فلسطيني في حد ذاتها تهمة . قل أي شيء : قل انك « تسكن » غزة أو رفح أو نابلس . قل انك من « سكان » اللد سابقا وحاليا « أسكن » رام الله أو القدس أو الخليل . قد يكون قد وجد في التاريخ شيء أسمه فلسطين نسبة الى قبيلة يونانية جاءت من كريت ، ولكن فلسطين هذه لا يجوز ، من ناحية لغوية ، أن نضيف ياء النسبة اليها فتقول هذا فلسطيني أو أنا فلسطيني. بالنسبة للقاضي العسكري انت متسلل مخرب مجرم قاتل للاطفال والنساء والشيوخ : أتيت من اللامكان وتعود الى اللامكان . لماذا اذن يضيعون وقتهم وجهدهم في تشكيل وعقد محاكم عسكرية . ان واجب القاضي أن ينتزع منك اقرارا بالذنب وتعبيرا عن الندم ، لتكتب الجريدة في اليوم التالي « ان القاضي أخذ بعين الاعتبار ظروف المتهم الخاصة وندمه على فعلته وحكم عليه بالسجن . . . » .

قبل المحكمة يعرضون عليك تعيين محام على نفقة المحكمة . ومهمة المحامي أن يقنعك بالقول أمام المحكمة انك « مذنب » وأن تترك الباقي عليه .

في محاكمة مريم الشخشير في ١٩٦٩/٦/٢٢ قالت الصحف الاسرائيلية « وقالت المحكمة أن مقصف الجامعة كان مكتظا بالناس عند انفجار القنبلة ولم تبد المتهمة أية ندامة على فعلتها » . وفي محاكمة عبدالقادر ابو الفحم في ١٩٦٩/١/١٦ قال عبد القادر « لست آسفا على ما فعلت ، واذا ما خرجت من السجن فسأواصل القتال والنضال ضد العدو حتى تتحرر فلسطين أو أسقط شهيدا فداء لها » .

ان مقياس كسب القضية أو خسارتها في المحكمة ، من وجهة النظر الصهيونية ، هو ان يبدي « المتهم » أسفه . ولكن لماذا هذا الاصرار من جانب القضاة على انتزاع عبارة ندم من الضحية الواقف أمامه ؟ ان الصهيونية حريصة ، سواء على نطاق الداخل أم الخارج ان تظهر كحركة تقدمية أحدثت ثورة حقيقية في حياة اليهود . ولهذا حرصوا دائما على تسمية حرب ١٩٤٨ بحرب التحرير وهم يسمون ضم القدس في سنة ١٩٦٧ « تحرير القــدس » . وتصر كثير من الصحف حتى هــذا اليوم عــلى تسمية احتــلال الضفة الغربية وغزة بعملية « تحرير » لهذه المناطق . وبالتالي فان كل من يقف ضد عمليات « التحرير » هذه لا يمكن أن يكون مناضلا حقيقيا . فالمناضل الحقيقي هو الذي يتمسك

بمبادئه في وقت الهزيمة والتراجع كما يتمسك بها في وقت انتصاره . أما الذي يتخلى عن مبادئه وقناعاته عندما يقع في يد عدوه فليس مناضلا . ضمــن هذا المنطق يصر الصهاينة على انتزاع الندم في قاعة المحكمة .

واستنادا الى هذا النمط من التفكير جاء الحـاكم العسكري لمنطقة رام الله الى أحـد الاشخاص اثناء عملية اختطاف طـائرة سابينا في مطار اللد والمطالبة باطـلاق سراح الفدائيين مقابل اطلاق ركاب الطائرة وقال له « لن نسلم الفدائيين السجناء ، وسنقبض على المختطفين فهؤلاء ليسوا فدائيين ، وحرصهم على الحياة أشد من حرصهم على تنفيذ طلباتهم » . ولهذا كانت دهشة موشيه ديان والقادة الاسرائيليين كبيرة عندمـا خسروا الرهان على مبدأ « حرص الفدائيين على الحياة أشد من حرصهم على تنفيذ طلباتهم » ، في المدينة الرياضية الاولمبية في ميونيخ .

***

[٦]

ــ لماذا ترفضون فتح المدارس .

ــ لا نستطيع تعليم المناهج الجديدة .

ــ نحن لم نحذف غير العبارات العنصرية والشتائم ضد اليهود والتحريض ضدهم .

ــ اعدام جمال باشا لشهداء ٦ أيار لا علاقة له باليهود . وثورة الجزائر لم تكن موجهة ضد اليهود وأبيات الشعر العباسي التي حذفت ليس فيها ذكر لليهود .

اي عبث أعظم من هذا العبث . ان عليك ان تقنــع الضابط الاسرائيلي بضرورة تنشئة الأجيال العربية تنشئة وطنية ، وغرس روح الاعتزاز بالتاريخ العربي والثقافة العربية. وعلى هذا الضابط أن يقنعك بحبه للسلام وبالبركات التي حلت على شعبك منذ وطئت قدم الصهاينة ارضك . يقول ان مذبحــة دير ياسين ارتكبت في حمى القتال وأن اخطاء كهذه ترتكب في كل الحروب . ولست بحاجة للبحث عن رد فمناحم بيجن يقدمه ويؤكد أن عملية دير ياسين عملية محسوبة .

ــ لمــاذا تدعون العرب يتصرفون بمصيركــم على هواهم ؟ لمــاذا لا تأخذون مصيركم بأيديكم ؟

ــ كيف ؟

ــ أقيموا دولة خاصة بكم .

ــ أين ؟

ــ هنا . على كل حال هذه مسألة يمكن تحـديد تفاصيلها فيما بعد . المهــم ان تعلنوا ارادتكم في أخذ مصيركم بأيديكم .

ليس هناك من حاجة للتفكير بالموارد الاقتصادية للدولة . فحتى تكون دولة لا بد من جهاز قمع . فيما بعد سنفكر في المسائل المالية وقضايا البطالة والعمــل . أما الان فالمسائل الاساسية هي : من يفتح لنا السجون ومن يديرها ومن ينفق عليها ؟ من الذي يتولى قمع التظاهرات ؟ من الذي تسند اليه مهمة الفتك بشعبنا اذا حمل السلاح أو طالب بالوحدة أو الاشتراكية ؟.

ــ ان كل ما نريده منكم ان نجلس معا على مائدة مفاوضات ونحل مشاكلنا وحدنا .

ــ واذا جلسنا معكم وتحادثنا ووافقنا على جميع شروطكم هل تنسحبون ؟

ــ بعد توقيع معاهدة الصلح ننسحب .

ـــ واذا مزقنا المعاهدة بعد انسحابكم ، فماذا تفعلون ؟

ـــ نحن نثق بشرف العرب . اذا قالوا كلمة فانهم يلتزمون بها .

بعد وجبة الضرب يأتي ليعرض عليك اقامة دولة ، ويتحدث عن الدولة كما يتحدث عن فتح دكان .

الصهيونية تدرك أن كشف شبكة او شبكتين أو ثلاث من شبكات المقاومة ليس نهاية المطاف . وتدرك أيضا أن تصفية الثورة تصفية نهائية لن يكون النهاية . فقد سبق لبريطانيا أن قضت على ثورات عديدة لتقوم بعد كل واحدة منها ثورات أشد تصميما وأعلى كفاءة . فعندما يقف الشاب الذي لم يبلغ الثامنة عشرة ليقول في المحكمة العسكرية : « اسفي الوحيد انني لم أعمل ما فيه الكفاية . ليس هناك قوة على الارض تستطيع ان توقف اعمالنا ، فاذا ما توقفت انا وغيري عن العمل فان هناك الكثيرين عندنا ينتظرون دورهم » تدرك اسرائيل أن المسألة لم تنته بعد .

* * *

[٧]

في عام ١٩٤٩ قدم مبعوثون دوليون تقريرا الى الامم المتحدة وقالوا فيه أن اللاجئين يعتمدون في وجبتهم التالية على ما ستقدمه الوكالة لهم ، وانه في حالة توقف المعونة الدولية فان هؤلاء اللاجئين مهددون بالانقراض خلال اسبوعين . وفي تلك الايام يقول التقرير كان عدد الوفيات في الليلة الواحدة في قطاع غزة ١٢٠ وفاة . أي أن استمرار هذا المعدل كان سيعني وفاة ٤٣٨٠٠ انسان في السنة الواحدة . ان القاء نظرة واحدة على أحد عنابر السجون الاسرائيلية تدلنا على أن غالبية هؤلاء السجناء قد ولدوا في تلك الفترة . وبعد كل عملية يحرص الاسرائيليون والاميركيون والملك حسين على التأكيد بأن الفلسطينيين غير متمدنين . أما علماء النفس فيصفوننا بأننا نعاني من انفصام الشخصية وعقد الاضطهاد ولا ينسون تقديم الوصفات الطبية لمعالجتنا . أما قاضي المحكمة العسكرية في غزة فالذي يحيره أمر اخر . ففي محاكمة علي خليل نبريدي في ٢٥/١٠/١٩٧٠ ، والبالغ من العمر ١٨ عاما والذي حكم عليه بالسجن ١٨ عاما ـــ عدد سنوات عمره ـــ يقول القاضي : « لقد آن الاوان لشباب غزة أن يتعلموا الفرق ، وأن يميزوا بين الحجر والقنبلة اليدوية . لا يجوز الانفلات في الشوارع والقاء القنابل على الناس كما لو كانت حجارة » .

ان الاستهتار الذي يبديه المناضلون بقوات الاحتلال والاحتقار المطلق للموت امام سيارات الدورية التي تنطلق في شوارع غزة بسرعة ٩٠ كم بالساعة وكأنها هي المطاردة [بفتح الراء] وليست المطاردة [بكسر الراء] ، هو الذي يجعل القاضي يتساءل ان كان مناضلو غزة يعرفون ما الفرق بين الحجر والقنبلة اليدوية .

* * *

[٨]

يقدم ييجال آلون في كتابه « الستار الرملي » تفسيرا عجيبا لعدم فرض اسرائيل التجنيد الاجباري على العرب وهو انه يجب ان لا تقوم أية صلة بين السلاح والعرب وبالتالي أن ينسى العرب شيئا اسمه السلاح ، وأن ينسوا ان السلاح يستعمل لحل المشاكل .

الى أية نتيجة ادى حرمان الشباب العرب في فلسطين من حقهم في حمل السلاح دفاعا عن قضيتهم ؟ يقول صالح برانسي في محاكمته : « ان الشباب العرب الذين يعيشون في فلسطين المحتلة يشعرون بمركب نقص لانهم لا يجيدون استعمال السلاح وانه لذلك قرر

ان يبادر الى تشكيل منظمة قومية عربية تمثل حرية الارادة والمبادرة العربية للحصول على اهدافها » .

ان تداس وان تقبل الحذاء الذي يدوسك وترفع صلاة شكر الى كل من يتكرم بدوسك هذا ما يريده ييجال آلون وجميع اجهزة القمع الامبريالية والرجعية في المنطقة .

حتى نفهم علاقة الفلسطيني بالسلاح علينا أن نسمع اغانيه . في زمن الانتداب كانوا يغنون للموزر والمارتينه واليوم يغنون

كلاشينكوف يا منور طريقنا .

القاضي العسكري وجميع أجهزة اعلام العدو تصر على أن السلاح الذي يحمله الفلسطينيون لا يقتل سوى الاطفال والشيوخ والنساء . أما النابالم فيعرف طريقه دائما الى لحم « المخربين » الاشرار .

ــ منذ متى كانت هذه المتفجرات لديك ؟

ــ منذ مدة طويلة .

ــ الا تعرف أن هذه المتفجرات تؤدي الى قتل النساء والاطفال ؟

ــ انني اعرف أنكم قتلتم شعبا بأكمله فيه الكثير من النساء والاطفال والشيوخ .

الفدائيون لا يزعمون انهم يحملون حبا خاصا للمستوطنين الصهاينة ، ولكن المسألة ، من وجهة نظرهم ، لا ينظر اليها من هذه الزاوية . فمن الزاوية الاقتصادية ــ العسكرية ، من الاجدى ان تقتل جنديا من ان تقتل شيخا او امرأة . فالمسألة الاساسية في حرب التحرير ليست القتل بل تصفية جهاز القمع .

* * *

[٩]

في السجن يتردد السؤال : « ماذا ستفعل عندما تخرج » . اكثر من جهة تسأل هذا السؤال . السجناء يسألون بعضهم . الصحفيون الاجانب يسألون السجناء. السجانون ومديرو السجون وضباط المخابرات يسألون وبطرق مختلفة . وفي سجن الرملة تصاب لطفية الحاج ابراهيم بالشلل ويمنع عنها العلاج لانها لا تجيبهم كما يريدون . وتتقدم لها « النصيحة » : قولي لهم انك ستخرجين لتتزوجي وتهتمي بشؤونك الخاصة . وعندما تخرجين تفعلين ما تشائين . عندما تجيبهم لطفية بأنها ستخرج لتتابع القيام بواجبها في صفوف المقاومة وتنظر في عيونهم تشعر أن كل انتصاراتهم تتحول الى رماد في افواههم. ليس الفرق بين الجواب الاول والثاني هو الفرق بين الحكمة والتهور . انه الفرق بين الهزيمة والنصر . والمهم أن لا يقهر الانسان .

فتح : الميلاد والمسيرة
حديث مع كمال عدوان

هكذا كان ميلاد « فتح » وهكذا كانت المبررات التي جعلت ميلادها حتمية تاريخية .. وهكذا كانت مسيرتها ، والنظرية التي حكمت هذه المسيرة ، والتساؤلات الخمسة التي من خلالها كانت ترى الواقع الذي تريد تغييره ، وترى أي جديد يطرأ عليه فتعيد تحليل الواقع بمعطياته الجديدة .. وفي هذا الاطار كانت النظرة للجماهير العربية ، وللانظمة العربية ، وللقرار العربي (من حالة العجز الى قرار العجز) .. منذ متى ، ومن أين ، وكيف نشأت الازمة .. وما هو مقدار الازمة فلسطينيا ، وما هو مقدارها عربيا .. وهل ثمة طريق للخروج ؟ وهل كانت الازمة لخلل في النظرية ، ام كانت لممارسات تجاهلت النظرية ..

هذه ، وغيرها من مشاكل الثورة الفلسطينية ، في تقييم نقدي لما مضى من أجل رؤية أوضح للمستقبل ، كانت عناوين هـذا الحوار بين « شؤون فلسطينية » والاخ كمال عدوان عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في مستقبل العام التاسع من انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة .

كان ميلاد « فتح » يعبر عن معان أساسية : كان يعبر عـن ارادة الرفض الفلسطينية للواقع الرسمي العربي ، والتمرد عليه ، وكانت هذه الارادة تعكس أقدس ما في أعماق الجيل الجديد من تطلعات وأمل . كان هناك رفض جذري لتصور القضية كمجموعة من القضايا الجزئية : قضية خطوط ، او قضية لاجئين ، او قضية روافد ووضعت القضية في اطارها الصحيح كقضية تحرر وطني وبذلك عدل وضع القضية **من قضية حـدود جغرافية الى قضية حقوق وطنية وقومية** . كان هناك رفض للتصور الـذي ساعدت الدبلوماسية على ترويجه : ان القضية هي نزاع بين « دولة » اسرائيـل والـدول العربية ، ومن هذا التصور غاب الشعب الفلسطيني كطرف رئيسي كصاحب حـق أصيل ، وكان ميلاد فتح وضعا للامور في وضعها الصحيح ، فمنذ ميلادها عاد هنـاك شعب فلسطين العربي ، واخذ مكانه كطليعة في معركة تحرير فسطين ، عـاد هناك شعب له حقه في تقرير مصيره علـى ترابه الوطني ، وليس مجرد جماعات من اللاجئين يبحث لهم البعض عن حل انساني . وهذا في حد ذاته كان ثورة كبرى . كان هناك رفض للمكان الذي احتلته فلسطين في الاهتمام العربي . كانت واحدا من عشرات الاهتمامات في الفكر السياسي العربي السائد ، وربما تقدمت عليها اهتمامات اخرى ، ولعل شعار « الوحدة طريق تحرير فلسطين » كان يعكس من ناحية حقيقة ان فلسطين موضـوع مؤجل في جدول اعمال الفكر السياسي العربي السائد ، كما كان يعكس منها غير نضال لقضية الوحدة ، ومن ناحية اخرى ، كان يعكس قصورا في ادراك حقيقة ، وطبيعة ، ووظيفة الاحتلال الصهيوني لفلسطين كقاعدة محورية لضرب الثورة الوطنية العربية.. فتح في المقابل ناضلت لتضع فلسطين في وضعها الحقيقي ، كقضية محورية في النضـال الوطني العربي ونظرت الى القضية من زاوية الامن القومي الذي يهدده الغزو الصهيوني

بدلا من النظرة الرسمية السائدة آنذاك وهي نظرية الامن الوطني التي لا تعني في الواقع الا موقف الدفاع والتنازل من منطلق التسليم بالامر الواقع وتجنب الاحتدام به . هذا ايضا كان ثورة هائلة في الفكر السياسي العربي .

ورفضت فتح تشتت الجهد النضالي الفلسطيني في ولاءات حزبية خارجية تبدده وراء أهداف عامة على الساحة العربية ، وفي صراعات على السلطة وحول النظريات ، وكان ميلاد فتح بداية لتحريك الجهد النضالي الفلسطيني وتوحيد انتمائه وتوجيهه الى الساحة الحقيقية ، ساحة النضال لتحرير فلسطين ، وشد النضال العربي عامة نحو هذه الساحة كساحة رئيسية ومحورية ، عليها ، ومن حولها يتم الفرز وتحديد الهوية وتوجيه جهد النضال في اطار واحد يقود بالنتيجة الى وحدة الاداة وبهذا تغدو الوحدة العربية حقيقة واقعة صنعتها القضية الواحدة والطليعة الواحدة التي تقود النضال حول هذه القضية .

كان ميلاد فتح يعني تحرير العمل الفلسطيني من الوصاية الرسمية العربية ، ويعني تحريره من الاستراتيجية العربية الدفاعية .. كان يعني ميلاد الطليعة التي تحمل السلاح في مجتمع يرسف في قيود الاستسلام ، وتحكمه قوانين الارهاب التي تحرم حمل السلاح أو وجوده ، الطليعة القادرة على أن تواجه الاستراتيجية الهجومية الاسرائيلية باستراتيجية هجومية عربية ، عسكريا وسياسيا .. كان حمل السلاح وحده يومها يشكل نظرية قد لا يحس باهميتها كل الذين حملوا السلاح بعدها عندما أصبح حمل السلاح حقا جماهيريا مكتسبا بفعل فتح والجماهير التي وقفت معها .

كان ميلاد فتح بعثا لارادة الحياة عند الانسان الفلسطيني يتحدى بها كل التقديرات العربية والدولية التي راهنت على الزمن من أجل تصفية الوجود الفلسطيني والقضاء عليه . كذلك كان ميلاد فتح تعبيرا عن ارادة الاستمرار في حركة الثورة العالمية من اجل الحق والعدل والحرية ضد قوى الاستعمار والاستغلال والتسلط .

طاهر عبد الحكيم

* * *

س : هذا ما عناه ميلاد فتح .. فمن أية ظروف تاريخية كان هذا الميلاد ؟

ج : في سرعة خاطفة استطاعت قوات العصابات المسلحة الصهيونية ان تصفي معركة ١٩٤٨ ، وان ترسم معالم جديدة على خريطة فلسطين ، ولم تملك سبع دول عربية الا ان تستسلم لها ، ثم ينتهي الامر بشعبنا تائها يعاني الضياع في معسكرات للتجميع تتناثر في اطراف العالم العربي ، فاقدا وعيه وفكره ، يعيش في ذهول بسبب الحركة السريعة التي تطورت بها الاحداث من حوله .

هكذا بدات المرحلة الاولى في أعقاب النكبة باستسلام وذهول ، زادت في تعقيده، سنوات الجوع الثلاث التي عانتها معسكرات التجميع بحيث لم يعد شعبنا قادرا على التفكير المنظم المسئول ، وبقي يتابع الاخبار والاحداث التي يصنعها ، او يصفها له غيره . ثم تطورت الحركة السياسية الفلسطينية لتأخذ صورة حركة حزبية نشطة اساسها تكتلات عقائدية ، وهي وان كان وعيها السياسي لم يصل الى مستوى تتحمل فيه مسئولية تخطيط واف ومكتمل للكفاح الفلسطيني في سبيل معركة التحرير .. الا انها تفاعلت مع كل الاحداث والتطورات في الارض العربية على طول الوطن العربي وشاركت في كثير منها باندفاع عن اعتقاد منها انها جزء من معركتنا في فلسطين ، وبدرجة جعلت التزامها العربي الواسع يشغلها عن التزامها الفلسطيني المحدد . حتى أصبح كل

تطور او تغيير تصنعه العناصر النشطة في الوطن العربي محطة انتظار تقف عليها تتطلع الى الامل القادم بعدها .

ولم يكن شعبنا يتردد في ان يضع كل امكانياته كافراد وكجموع في خدمة التطورات التي غيرت من معالم الحياة في الشرق العربي ، حتى اننا وبشكل مطلق كنا نربط مصيرنا بمصير هذه التغيرات والاحداث ، وانشغلنا بها نرفع شعاراتها فوق شعاراتنا .. نرفعها ونحميها على انها مراحل ضرورية على طريق التحرير . ولكن الحركة الحزبية التي كانت محورا لاستقطاب الجماهير لم تستطع على طول هذا الطريق ان تقدم لنا اي تصور واضح لشكل مسيرة التحرير ، وفشلت حتى في الالتزام بأي تخطيط قادر على تلبية تطلعات شعبنا الى الامل الكبير الذي بناه عليها .

وهكذا بدأت تتجمع امامنا على طول الطريق الذي لم يحقق اغراضه علامات استفهام كبيرة وعنيدة .. تتساءل الى اين .. ؟ واخذت هذه التساؤلات تنمو وتتبلور اكثر الى أن فاجأتها حرب السويس .. وبسقوط غزة في ايدي الاحتلال في اكتوبر ١٩٥٦ بدأت مرحلة جديدة وجد شعبنا نفسه فيها وجها لوجه امام مسئولياته، وامام قسوة المواجهة، وتحت ضغط الرصاص الموجه الى صدور هذا الشعب لا يميز بين عقائد الشباب فيه ... تبلورت افكاره واكتمل تصوره لنوع المعركة واحتياجاتها . وولدت من خلال وحدة الرصاص المرحلة الجديدة في التفكير الفلسطيني . وارتفعت شعارات هذه المرحلة تنادي : بلقاء فلسطيني عريض .. في وحدة وطنية قوية .. من اجل ثورة مسلحة تحرر الارض. كانت هذه نقطة البداية على الطريق الصحيح، التي وضعت حدا للبعثرة، والتردد ، والاسترخاء على محطات انتظار لا قرار لها .. وهكذا ولدت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في عا م١٩٥٨ ترفع شعارات المرحلة ، وكان عليها ان تواجه كل تساؤلات التشكيك .. والاتهام التي ارتفعت في وجهها واحاطت بها من جميع الجهات . وظلت فتح في مواجهة كل ذلك صامدة ، ترفع شعارات المرحلة ، واستطاعت في عناد ان تشق الطريق ، وتقيم اول تنظيم فلسطيني يتصدى بنفسه ليستعيد زمام المبادرة في القضية الفلسطينية .

س : لكل ثورة نظرية .. ليس فقط كمبرر وجود ، وحجة شرعية ، بل وكدليل عمل ايضا . فهل كانت انطلاقة ومسيرة فتح في اطار نظرية ، او كانت تطلعا لطموح في التحرير ، ثم اختبار الوسائل والادوات في الطريق الى هذا الهدف ؟

ج : نقطة البداية كما نراها نحن .. ان موضوع الثورة بشكل مطلق لا خيار لنا فيه . فالثورة طريق يفرضه منطق الحوادث والتاريخ الذي سير جيوش الغزو والاحتلال ، وسير خلفها انتفاضات الثوار المتكررة ، هذا المنطق يؤكد انه لا بد ان يكون في بلدنا ثورة مهما تأخرت فانها لا بد ان تأتي لتصحح هذا الوضع الشاذ . هذا امر طبيعي يفرض نفسه كحقيقة تاريخية مصيرية لا تقبل حتى ان تناقش ، ولا تبرر لنا ان نستسلم مزيدا من الوقت بعد هذه الفترة من الاستسلام .. بقدر ما تملي علينا ان نتحمل مسئولياتنا بين الشعوب التي تتطلع الى حياة افضل .. وكما كانت ثورات الاحرار في آسيا وافريقيا ، ستكون ثورتنا قوية ثابتة تفرض وجودها علينا وعلى العالم معنا كما هو التطور الطبيعي للتاريخ .

الثورة اذن حتمية تاريخية ، وليست مجرد ارادة فرد او مجموعة من الافراد .. ارادة الافراد هنا هي الاستجابة لهذه الحتمية التاريخية . ونتحدث عن النظرية : كيف نعرف نظرية ثورة ما ؟ نظرية اي ثورة هي رؤيتها لواقعها ، وللقوانين الخاصة التي تحكم حركة هذا الواقع ، ولمجموع التأثيرات المتبادلة بين هذا الواقع والواقع المحيط به ، ثم

اسلوبها للعمل على ضوء ذلك من اجل التاثير في هذا الواقع لتغييره الى واقع ارقى ، وتصور عام لصورة ذلك الواقع الارقى الذي تريده الثورة .

لقد طرحنا التساؤلات الخمس : ماذا نريد ؟ وكيف .. ؟ وبمن .. ؟ ومن اين .. ؟ ومتى .. ؟ ومن خلال الاجابة على هذه التساؤلات توصلنا الى العناصر الاساسية لنظرية فتح : الهدف ، الاستراتيجية ، الاداة (شكلها وطبيعتها) ثم قاعدة انطلاقها [وهذا له أهمية خاصة لدينا نظرا لخصوصية وضع الثورة الفلسطينية] اننا نريد التحرير .. وسيلتنا اليه هي تحريك الوجود الفلسطيني .. وبعث الشخصية الفلسطينية محليا ودوليا من خلال المقاتل الفلسطيني الصعب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الاسرائيلية .. ذلك يتطلب طليعة قادرة على استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية في طريق الثورة المسلحة وحشدها فيها لتكون قادرة بها على : آ ــ تجميد حركة نمو الوجود الاسرائيلي الصهيوني ب ــ تقطيع هذا الوجود ج ــ تصفية الدولة رمز هذا الوجود د ــ اعادة بناء الدولة الفلسطينية على الارض الفلسطينية ، دولة حرة ديموقراطية .

من التساؤلات الخمس ، ومن الاجابة عليها ، تكونت نظرية فتح ، وهكذا فان نظرية فتح هي وليدة حاجة النضال الفلسطيني ، فلسطينيا وعربيا .

كثيرون يخلطون بين أداة التحليل ونظرية العمل ، هذا الخلط يقودهم الى ادعاء موقف عقائدي دون ان تكون لديهم القدرة على الربط بين اداة التحليل والواقع الخاص ، هذا الربط الذي يشكل في النتيجة نظرية العمل . هناك فارق كبير بين الذي يستخدم أداة التحليل للوصول الى نظرية عمل ، والذي يناضل من اجل اداة التحليل نفسها كهدف في حد ذاته، انالاغراق الثقافي الذي شهدته الساحة الفلسطينية ــ العربية منذ عام١٩٦٨ في اتجاه خاص فيشكل نقاش لسلسلة ثورات عالمية ناجحة يمكن أن يشكل بالنسبة لنا دليل تجربة تعاوننا على تفادي أخطاء وتوضيح رؤية ، ولكنها لا يجوز ان تكون بالنسبة لنا وصية طبيب او معادلة جاهزة للنسخ لا يمكن مناقشتها . وكما قال رفاقنا الفييتناميون في لقائنا معهم : « نحن لنا واقع ، ومن خلال هذا الواقع نحن لنا خط » وفي فلسطين نحن لنا واقع ، ولهذا الواقع خصوصيات لا يمكن الا أن تفرض نفسها على مسيرتنا وعلى طبيعة خطنا .

س : عند الحديث عن نظرية فتح يبرز دائما السؤال عن العلاقة بالجماهير العربية ، وبالانظمة العربية ، وعن قضية الصديق والعدو كقضية لها اهميتها الاستراتيجية ؟

ج : كمدخل لكل ذلك لا بد اولا من الحديث عن شيء وضعناه نصب اعيننا منذ البداية ، ذلك هو « شخصية الثورة » فلكي تكون هذه الثورة المسلحة قادرة على أن تفرض نفسها على خارطة قوى الثورة العالمية من أجل العدل والحرية والسلام ، كان يجب أن نؤكد على فلسطينية الثورة . في ارضها ، وقيادتها ، وتخطيطها . وبهذه الشخصية الفلسطينية لها نستطيع أن نسترد للقضية في المجال الدولي وجهها العادل كصراع من اجل الحرية والعدالة .. ونسترد لها حجمها الحقيقي كصراع بين مليون فلسطيني مشرد كانوا يملكون الارض .. ويعيشون عليها ، وهم اليوم بلا وطن ، ولا ارض ولا مأوى ، ولا مستقبل ، وبين اثني عشر مليون صهيوني يملكون المال والسلطة والنفوذ في أمريكا واوروبا ينظمون بها زحفا بشريا مهووسا وحاقدا ، متعطشا للدم ، يتوافد على الارض المقدسة يزاحم اهلها فيها ، ويقوم في سبيل ذلك بالمذابح ، وينشر الفزع والرعب والارهاب .

من أجل هؤلاء المظلومين الذين فقدوا الارض والامل ، تفرض الثورة الفلسطينية المسلحة نفسها بلا خيار لتطرح على العالم شخصية المقاتل الفلسطيني الذي يعود بعد عشرين

عاما من الظلم والقسوة والضياع ليقاتل من أجل حقه في الحياة على ارضه كما يحياها الاخرون على أرضهم ، بعد أن عجز العالم بكل مؤسساته الدولية ان يحافظ على هذا الحق ، او أن يرفع عنه هذا الظلم وهذه القسوة .. لنطرح على الدنيا شخصية المقاتل الفلسطيني العنيد الصلب الذي لا يساوم ولا يستسلم من قبل أن يعيد الى ارض السلام (فلسطين) كل مثاليات العدل والمساواة .. من أجل هذا تصر الحركة على أن تحتفظ الثورة بشخصية الشعب الفلسطيني بارزة الى أن ننتهي من معركة التحرير . هذا التركيز على الشخصية الفلسطينية للثورة لا يمكن ان ينفي عنها شخصيتها العربية ، فنحن نؤمن ان معركة التحرير في فلسطين هي قضية مصيرية عربية يقوم فيها الفلسطينيون بدور الطليعة ، الا ان هذا التركيز في نظر الحركة ضروري لاسباب رئيسية: ١ ــ كاستراتيجية يمكن بها التصدي لمحاولات التضليل والخداع التي يضغط بها التحرك الاسرائيلي في المجال الدولي لينفي عن هذه المعركة وجهها العادل . ٢ ــ كوسيلة لتحديد المسئولية وتحديد الاختصاص في تنظيم يؤمن بالثورة ويتفاعل معها ، يبدؤها ويحميها ويتابع الاستمرار فيها .. تنظيم له من الارتباط بالارض وبالمصير والمستقبل ما يعطيه وضعا خاصا . ولا يعني هذا التحديد بالاختصاص والمسئولية في الثورة أي نوع من الانفراد بها ، او أي اعفاء للجماهير والقيادات العربية من مسئوليتها نحو هذه المعركة ، ولكنه تحديد للمسئولية الدولية والجماهيرية في قيادة الثورة وتوجيهها والاستمرار بها الى اهدافها ٣ ــ وفلسطينية الثورة هي مدخل قادر على تجميع واستقطاب الجماهير الفلسطينية التي تتناثر في اطراف الدنيا بلا رابط يجمعها او يشدها الى الارض والقضية والمستقبل .. وهي الوسيلة الوحيدة لتنقية الوسط الفلسطيني من جو السفسطة والتعقيد الناشئين عن التعدد في الولاء والاتكالية التي صنعتها سنوات الضياع الطويلة .

من هذا المنطلق نعالج بقية المسائل : العلاقة بالانظمة .. العلاقة بالجماهير .. وقضية الصديق والعدو . ان نظرتنا للانظمة العربية تنطلق من نظرتنا للمعركة الكبيرة في الارض المحتلة ، وللمسئوليات المتعاظمة لحركة الثورة في هذه المعركة ، وبالتالي من حاجتها لحشد الامكانيات في الوطن العربي بأي اسم وبأي شكل في جبهة عربية تقف مع الثورة . على هذا الاساس تقيم الحركة علاقاتها بالجماهير وبالقيادات العربية ، تمد يدها اليهم جميعا ليتعاونوا معها بما يحفظ لها كيانها الخاص وشخصيتها المستقلة .هنا يثور سؤال حول شعار عدم التدخل في الشئون المحلية للدول العربية وانظمتها . هذا الشعار ينبع من اعتبار ان موضوع هذه الانظمة هو من صميم اختصاص المواطن العربي القطري ، الذي يعرف احتياجاته ويدرك مصالحه .

و« فتح » ترى ان الثورة الفلسطينية المسلحة ترتبط بالارض العربية ولا ترتبط مطلقا بالانظمة عليها .. والنظام العاجز على أن يحمي نفسه ، وأن يعيش برضاء مواطنيه لا يمكن أن يعيش برضاء الاخرين ، ولا يمكنه حتى أن يكون قادرا على معاونة الثورة ومساندتها . ان انطلاق الثورة وتفاعلها هو الذي سيطرح طرحا جديدا مسئولا أمام الجماهير العربية مدى سلامة هذه الاوضاع والانظمة من عدم سلامتها بالقدر الذي تقف فيه هذه الاوضاع والانظمة المجاورة من مساندة الثورة او مقاومتها .. وعلى ضوء هذا الموقف يتقرر حتما مصير هذه الاوضاع والانظمة .

فيما يتعلق بقضية الاصدقاء والاعداء نحن نحكم نظرية الرؤيا للتاريخ المتحرك ، وليس التاريخ الثابت . بالنسبة لنا ليس هناك شيء اسمه التسليم بالامر الواقع والا لما وجدت فتح . فتح في البداية كانت مائة أو مائة وخمسين مناضلا ، ماذا كان يمكننا ان نفعل. ما كنا نسلم بالأمر الواقع ؟ كنا نراهن على ما يجب احداثه لا على ما يمكن احداثه . ما يمكن احداثه ضمن أمر واقع شيء ، وما يجب احداثه شيء آخر . انك تتعامل مع

هذا النظام او ذاك وانت تعلم ان مواقفه خاطئة ، ولكن تراهن على تغيير هذه المواقف بفعل حقائق تصنعها .. هناك فرق بين الخطأ والخيانة . الخيانة بالنسبة لنا هي وقت ان يتطور الموقف الخطأ بحيث يستحيل تصحيحه . مثلا ، قبل مشروع روجرز كنا نواجه حالة العجز العربي ، كان صراعنا مع حالة العجز العربي ومراهنتنا كانت على احداث تغييرات في الواقع العربي تخرج بالقرار العربي من اطار العجز . الان الموقف يختلف ، صراعنا ليس مع حالة العجز العربي انما هو مع قرار العجز العربي . حالة العجز العربي تواجه بتغيير عوامل في حالة العجز العربي تخرج بصاحب القرار من حالة العجز الى حالة القدرة ، الان نحن نواجه ارادة العجز ، صراعنا الان مع قرار العجز ، هناك قرار بأننا عاجزون .. حتى ولو حدث قتال الان ، فهو ليس قتال الذي يريد ان ينتصر ، وانما قتال الذي يريد ان يخرج من أزمة . يظل هذا القتال في اطار قرار العجز. ان قرار العجز العربي لا يغيره ان يقاتل هذا النظام لبعض الوقت ، او ان يدفع هذا النظام عشرة ملايين أو عشرين ، انما التغيير يعني التغيير في طريقة طرح القضية بداية ، بمعنى ، ما هي القضية ؟ ثم ثانيا طريقة تناول القضية . ذلك يتأتى عن طريق طليعة مركزية تقود حركة النضال من أجل تحرير فلسطين من خلال سلسلة طلائع مرتبطة بهذه القضية وتناضل حولها ومن أجلها لتحدث تغييرا في اطار القدرة العربية ، في اطار القرار العربي، تغيير القضية يعني تركيز الاضواء على جهة محددة على منطقة خطر واضحة . تغيير طريقة تناول القضية يكون من خلال طليعة مركزية متميزة ، واسلوب معالجة مختلف للقضية يتبنى أسلوب الكفاح المسلح بديلا عن الاسلوب التبشيري ، ثم حالة تميز تعبر عنها الاستقلالية ورفض الوصاية ، وحالة التميز تقود الى احداث تغيير في منطق القرار العربي وفي المنطقة العربية . كل هذا : القضية الواحدة ، التناول الواحد ، الاداة الواحدة سيؤدي الى وحدة في التوجه وفي الجهد ، وسيقودنا هذا الى وحدة الادوات التي تضع هذا الجهد في أداة واحدة . تعكس ذاتها في شكل اطار تطبيقي للوحدة العربية ذلك هو الفارق بين الصراع ضد حالة العجز ، والصراع ضد قرار العجز .

س : ديناميكية الصراع ضد حالة العجز كانت تعني خلق حقائق في الواقع العربي تخرج صاحب القرار من حالة العجز الى حالة القدرة . فكيف ترى ديناميكية الصراع ضد قرار العجز ؟

ج : انك تحدث حالة تغيير جماهيرية في الاقطار العربية بارادات فعل محلية من حول القضية ، هذا النضال الجماهيري المحلي من حول هذه القضية يترتب عليه احداث تغيير محلي في مسيرة وممارسات الانظمة المحلية . اما ان يحدث أو لا يحدث فهذا شيء آخر . النتيجة ان سلسلة التغييرات التي تحدث هنا ستكون تغييرات موجهة في اتجاه القضية الواحدة والمحورية . مجموع هذه التغييرات الموجهة كلها تصب في نهاية واحدة وذلك يعني ان هناك توجها موحدا للجهد العربي ، وهو بالتالي الذي سيجعل من الممكن توحيد الاداة او الادوات التي تقف خلف هذا الجهد . اي من خلال رؤية واحدة ، وقضية نضال واحدة ، وتناول للقضية واحد ، وتوجه من النضال موحد ، ويحدث تغييرا منظما لحساب القضية وفي نفس الاتجاه ، فاننا بهذا سنجد انفسنا جميعا نلتقي في مكان واحد . الفارق بيننا وبين الاخرين من الذين يختلفون عنا ، انه بالنسبة لهم كانت قضايا الاهتمام متعددة ، لكل اولوياته بما لم يجعل هناك أملا في ان يأخذ الجهد مسارا واحدا .. في العراق مثلا قضية الاكراد ، في سوريا قضية الاشتراكية ، في مصر قضية الاحتلال البريطاني ثم قضية التنمية ، ولكن حين تكون هناك قضية واحدة ، والطلائع كلها ترى رؤية واحدة ، الجهد يكون موجها في اتجاه واحد ،

ذلك يجعل من الممكن توحيد الادوات خلف هذا الجهد ، وذلك يقودنا الى وحدة الاداة العربية .

ان التغيير ليس هو مجرد قرار بالحرب او عدم الحرب . التغيير هو في كيفية تناول القضية ، في تكريس مفهوم الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة اسرائيل : نحن طرحنا حرب الشعب في مواجهة الحرب الخاطفة : في الحرب الخاطفة يتساوى المليون والمائة مليون ، وينتصر فيها من يتحرك اسرع ، واسرائيل بميكانيكيتها وآليتها المتطورة أقدر على الحركة الاسرع . وفي الحرب الشعبية ينتصر من يصمد أطول . والوطن العربي بما يميزه من العمق البشري والعمق الجغرافي أقدر على الصمود الاطول .

ان التغيير بالنسبة لاي نظام عربي ليس في قراره بأن يحارب أو لا يحارب فحسب وانما في رؤيته السياسية التي بها سيوظف كل الجهد في البلد العربي المعين في اطار هذه الرؤية : مرة أخرى المسألة الجوهرية هي القضية ، وطريقة تناول القضية ، وأداة تناول القضية . التغيير يجب أن يعني قناعة بأن المعركة هنا في فلسطين ، وأن أسلوب تناولها هو بالكفاح الجماهيري المسلح طويل المدى وليس بالحرب الخاطفة .

س : من ديناميكية الصراع مع حالة العجز العربي ، أو مع قرار العجز العربي ، ماذا كنتم تتصورون رد الفعل من الانظمة ؟

ج : اذا كان موضوع صراعنا في البداية هو حالة العجز العربي ، ثم قـرار العجز العربي ، فان موضوع صراع الأنظمة منذ البداية معنا كان هـو استقلالية العمـل الفلسطيني ومحاولة احتوائه ، من أجل التغيير في قرار الثورة .. ومحصلة الفعل التي يقود اليها هذا القرار . ان النظام العربي لم يكن ليسمح بتطور قدرة الفعل والتأثير الفلسطيني في الارض العربية بما يعنيه ذلك من امكانية تحريك جماهيرية واحتمالات تغيير . لهذا كانت مهمته منذ الايام الاولى هي كيفية الالتفاف على الثورة الفلسطينية ومحاصرتها وانتزاع قدمها من أرضه ، ودفع قدمه الى الارض الفلسطينية ، وذلك تمثل في تواجده حاضرا في اطار القرار الفلسطيني في السنوات الاخيرة مـن خلال بعض المنظمات التي تم توليدها على الساحة الفلسطينية . ومن هنا يمكن القول ان استقلالية الثورة التي قاتلنا من أجل أن نحافظ عليها عربيا لكي يظل القرار الفلسطيني مستقلا متميزا وفاعلا . قد قاتلوا من اجل ان يفقدونا اياها فلسطينيا . بفعل ادوات لهم تسللت الى موقع القرار الفلسطيني .

س : ذلك يجرنا الى الساحة الاردنية .. لئن كان هذا هو موقف النظام العربي بشكل عام ، وكان هكذا واضحا ، فلقد كان من الواجب أن يكون أكثر وضوحا فيما يتعلق بالنظام في الاردن ؟

ج : في عام ١٩٦٨ واجهنا أول هجوم أردني علينا في الكرامة ، وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٦٨ واجهنا هجوما أردنيا ثانيا في عمان . كان النظـام الاردني يرى في الثورة تناقضـه الرئيسي .. وان لم يكن هـو تناقض الثورة الرئيسي . لهذا كان تحليلنا ان الصدام حتمي ولكن متى ومن يبداه ؟.. وما هي العوامل التي تحدد متى . وكان رأينا ان كون الصدام حتميا لا يبيح أن يتم الان ، ولا بد من تأجيله بأي ثمن . من اجل هذا اصبح الهدف المرحلي في الاردن هو اقامة حالة توازن بيننا وبين النظام، لانه حينما تقوم حالة توازن للقوى نستطيع ان نضع حدا لتحرك النظام المعادي لنا، او وضع النظام في موضع المتردد بحيث لا يستطيع ان يتخذ قرار الصدام . وقد نجح هذا التكتيك حتى صدام يونيو ١٩٧٠ الذي عكس حالة التوازن بوضوح . الدليل انه في ١٩٦٨ فرض علينا النظـام شروطه ، ١٤ شرطا ، وقبلناها ، في ٧٠/٢/١٠ لم يستطع النظام أن يملي علينا شروطه، ولم نستطع نحن أن نملي عليه شروطنا ، وفي يونيو ١٩٧٠ أملينا نحن شروطنا .

وكان يجب تطوير الامور بعدها لتتجاوز فتح استراتيجية التوازن الى مرحلة جديدة ، لان حتمية الصراع كانت تؤكد ان النظام لا يمكن ان يحتمل باستمرار حالة التوازن ، ولا بد ان يقدم على عمل تفجيري يربك هذا التوازن ، ويطرح اقامة احتمالات جديدة لتحسم في تناقضه الرئيسي . وكانت مناسبة مشروع روجرز وما أعقبها مـن حالة التعارض والانقسام في الساحة الوطنية هي الفرصة الذهبية للنظام يستثمرها . هذا الحسم من جانب النظام قابله حسم نسبي من جانب الثورة بعد أن أصبح النظـام هو تناقضها الرئيسي . الا انه لم يكن هناك قدرة على عمل نقلة مرحلية سريعة تقيم توازنا بين القدرة والقرار . لم يكن هناك ميكانيكية فعل في الساحة الفلسطينية قادرة على توظيف الجهد المتعدد لادوات الثورة في آلة قتالية واحدة . وهكذا وجدت قيادة فتح نفسها في حاجة الى فترة زمنية اضافية لتقيم التكافؤ بين القدرة والقرار على أن تتحرك بسرعة لكي تصنع سلسلة النقلات المطلوبة من أجل تنفيذ قرار الحسم .

ان اقامة التوازن بين القرار والقدرة ، واتباع أسلوب النقلات المرحلية في حدود الرؤية، وليس في حدود الحلم هي من مكونات فكر فتح . لمـاذا ؟ فتح وضعت هدفا بعيدا ، والطريق اليه طويل وشاق ومتعرج . كيف تقنع المقاتلين بحتمية الانتصار ؟ وكيف توضح لهم مسيرتك دون أن يفقدك هذا المبادرة والقدرة على الحركة . كيف تقيم توازنا بين الغموض والانفتاح ؟ لا بد من تحقيق انتصارات صغيرة متوالية حتى يتضح للمقاتلين من خلال الممارسة أن المسيرة صحيحة ، وأن الرؤية المطروحة مضمونة . لهذا لا بد من التحرك في اطار مراحل تطول احيانا او تقصر أحيانا أخرى ، ولا تستطيع ان تكشف هوية المرحلة قبل وضعها في اطار التنفيذ ، وهذا ما يتطلب توفير قدرة في حجم قرار هذه المرحلة . بذلك تضمن الا تفقد حرية الحركة ومرونة التحرك .

عودة الى يونيو وما بعده :

بعد يونيو ومشروع روجرز حدث ارباك كبير للمسيرة ، اذ دخلت عوامل جديدة : فقد انشقت الساحة الاردنية الفلسطينية . . انشقت الساحة الوطنية من حول عبد الناصر وليس من حول حسين ، لان الخلاف لم يكن حول موقف الملـك حسين مـن مشروع روجرز ، ولكن الخلاف كان حول موقف عبدالناصر . فهل تستطيع أن تقول اننا نستطيع أن نغير النظام وقد اختلت معادلة القوة بحيث لم نعد نضمن أن التنظيم الناصري في الجيش سيقف معنا ؟ موازين القوة التي أعدت سلفا لتشكل حالة التوازن ، والتي هي بدورها مرحلة للقفز الى مرحلة جديدة ، قـد اختلت . كان لا بد اذن مـن مراجعة للحسابات . ولا بد من وضع اي تخطيط مقبل ضمن هذا الاطار . بعد تغيير معادلة القوة كنا في حاجة الى وقت لاعادة ترتيب الامور . ولكن اندفاع النظام المهووس لتفجير الموقف بأي شكل وضغط المنظمات الاخرى لمواجهة هذا التفجير بالتحدي والمبارزة ، أو الحرج من المنظمات الاخرى، جعل حجم القرار أكبر من حجم القدرة، وحال دون استثمار أي عامل زمني وجعل المبارزة تتم ضمن ظروف ومعادلة قوى ما بعد مشروع روجرز .

س : البعض يرى ما حدث في الاردن في أيلول ، أو بمعنى أصح اختلال معادلة القوى بعد يونيو ١٩٧٠ ، وعدم القدرة على مواجهة تبعات ذلك ، دليلا على ان ثمة نقصا في نظرية الثورة ؟!

ج : لا . فتح لها نظرية متكاملة تحكم رؤيتها وتحليلها للامور . ربما يحدث أحيانا نسيان للنظرية ، ويؤدي ذلك الى أخطاء ، العيب ليس في النظرية ولكن في الممارسة بعيدا عن النظرية . فتح كانت تناضل من أجل تحريك ارادة القتال العربية ، ومـن هنا كانت ستتحرك ارادة التفجير . بعد ١٩٦٧ ، كانت اسرائيل تحاول أن تصفي ارادة القتال العربية ، وكانت فتح تناضل لحماية ارادة القتال العربية ومواصلة تحريكها . بدأت فتح

معاركها على هذا الطريق من الصفر حتى اول بلاغ عسكري لها في الفاتح من يناير ١٩٦٥ عن عملية نفق عيلبون ، والذي اعلن بدء الكفاح المسلح ، ثم كانت ٦٧ ، ثم كانت الكرامة ثم معارك العمق في الارض المحتلة ، وكان ذلك قمة نضال فتح من اجل حماية ومواصلة تحريك ارادة القتال العربية . ونستطيع القول ان الحصاد بوجه عام كان نجاحا ، الى ان كان يونيو ١٩٧٠ ، وكان مشروع روجرز ، وعندما جاء خطاب عبدالناصر يعلن قبوله لمشروع روجرز ، خرجت جريدة فتح في نفس الليلة تقول « لا » ، « لا » هذه كانت حكم النظرية في فتح التي ثبت صحتها . ولكن فتح في نفس الوقت كانت ترى أن مرحلة جديدة قد بدأت . ومن لا يرى تغير المراحل لا يمكن أن يضع تحليلا سليما . كان الوضع هكذا ، القاطرة والعربات في اتجاه واحد . وفجأة جاء مشروع روجرز ليحقق حالة فصل العربات عن القاطرة ، ليس ذلك فحسب ، بل ووضع القاطرة والعربات في اتجاهين متعارضين . هذان وصفان يعبران عن مرحلتين مختلفتين جذريا. قبل يونيو ١٩٧٠ كانت الثورة في حالة الهجوم لتحريك ارادة القتال في المنطقة، بعد يونيو ٧٠ ، وبعد قبول مشروع روجرز اصبحت الثورة في موقع الدفاع لحماية ارادة القتال القائمة من التصفية . ولهذا كان لا بد من اعادة ترتيب معادلة القوى على ضوء العوامل التي دخلت على الموقف .

هذا كان يفرض بشكل عاجل اتخاذ اجراءين : اجراء موضوعي ، واجراء ذاتي :

١ ــ الاجراء الموضوعي كان يتمثل في العمل على منع انفجار معادلة القوة في الساحة الوطنية ، والتي كان عبدالناصر فيها يمثل احد عناصر القوة الاساسية في الساحة الاردنية ــ الفلسطينية ، باعتبار الجماهير الوطنية في الاردن جماهير ناصرية . الا ان الخلاف كان قد حدث مع عبدالناصر ، بقي كيف نحول دون انفجار العلاقات حتى لا يتطور الانقسام في الساحة الوطنية ، وتنشأ اوضاع يستثمرها النظام الاردني في صدامه الحتمي مع الثورة .

٢ ــ الاجراء الذاتي:كان يتمثل فيكيفتخففتح منكونها هدفا مرئيا ومعلنا يسهل التعامل ضده. كانيجب المواءمة بين مكتسباتالوضع العلنيواعادة ترتيبالموجود فياطار سري. كان على فتح ان تفكر ضمن المرحلة الجديدة بعقلية جديدة تساعدها على مواجهة حالة العداء التي خلقها التعارض مع عبدالناصر ، وامكانيات استثمار هذا التعارض من جانب النظام في الاردن . الاجراء الموضوعي تم ، أما الذاتي فلم يتم . والذي منع حدوث ذلك هو عدم التوازن بين القرار والقدرة في الثورة الفلسطينية . لان اصحاب حق المشاركة في القرار الذين لم تكن لديهم القدرة كانوا يراهنون على قدرة فتح . ان اي قرار يتطلب جهدا لتنفيذه ، ومن لا يعاني من الجهد لا يجوز له أن يملك حق القرار أو المشاركة فيه. وأي قرار يحتاج الى حسابات : حسابات لما يؤدي الى القرار ، ولما يترتب على القرار. والذين كانوا يملكون القرار بحكم مشاركتهم في صنعه بشكل مباشر او غير مباشر دون ان يدفعوا ثمن القرار ، لم تكن تهمهم كثيرا حسابات القرار . فالقرار ليس عملية مزاجية ، ولكنه محصلة سلسلة مترابطة من معادلات القوى ، والذي ليس في موقع المعرفة لا يجوز أن يكون في موقع القرار .

س : هل جد بعد أيلول ما يمكن أن يكون مبررا لاعادة النظر في بعض جوانب نظرية فتح ، أو لاضافة شيء اليها ؟

ج : ان دروس الممارسة هي دائما اضافات لفكر كل حركة ثورية . ولكن ما نحن بصدده ، وما يطرح نفسه علينا بقوة الان هو ضرورة المواءمة بين نظرية فتح والواقع . على سبيل المثال (١) : من العناصر الاساسية لنظرية فتح رفضها للوصاية . كان ذلك سهلا في البداية ، حيث كانت فتح تعيش حياة « الشبح » في المنطقة العربية . لم يكن

في استطاعة أحد أن يمسك بهذا « الشبح » أو يمارس عليه أية وصاية . ولكن فتح الان بموجوداتها العلنية ، وتواتها العسكرية المنتشرة في مواقع على الارض العربية تشكل هدفا مرئيا يمكن التعامل ضده ، كما انها باعبائها المالية يمكن أن تضع نفسها في المجال المغناطيسي للضغط العربي . كيف تستطيع فتح أن توائم بين وضعها هذا والتزامها باستقلاليتها ؟ هل تصفي الوجود العلني ، ويكون ذلك التزاما بالنظرية على حساب الواقع الذي بذلت فتح سنين في بنائه ، وشارك في ذلك البناء جهد فلسطيني وعربي ، ثم تعود الى البدايات ؟ أو تحاول أن تقيم اطار علاقات عربية وفلسطينية يجعلها اقدر على الافلات من محاولات البعض ممارسة الضغط عليها .

كيف نحول دون أن يصبح الوجود العلني قيدا على قرار فتح ؟ قد يكون ذلك ممكنا بايجاد صيغة للوجود العلني الفلسطيني من خلالها تصبح فتح قادرة على ممارسة استراتيجية « الشبح ». ٢ — هناك ضرورة ملحة الان للحسم بين عقليتين : عقلية القاعدة بالجماهير ، أو القاعدة بالارض . هاتان العقليتان تمثلان نهجي عمل مختلفين : القاعدة بالجماهير : هي عقلية العمل السري ، عقلية الطليعة ، هي العقلية الهجومية من خلال « الشبح » المنتشر بين الجماهير . القاعدة بالارض : هي عقلية العلنية ، عقلية الثورة وليس طليعة الثورة ، عقلية الدفاع عن الارض .

لقد كان من الضروري في بداية فتح أن نختار القاعدة بالجماهير منهجا لنا ، وهذه الجماهير هي التي تعطينا أرضا نتحرك عليها . وتطور الامر الى أن اصبحت لنا قاعدة بالارض ندافع عنها ونحميها ، واصبح هدف النظام العربي أن يحصرنا في اطار هذه العقلية بما يعزل بيننا وبين الجماهير . ولقد لعب السلاح العربي دورا خطيرا في ذلك ، فبعد مقاتل العصابات الذي كان يتمتع بحرية الحركة اصبح هناك المقاتل القابع خلف المضادات . ولا بد في عملية التصحيح من الملاءمة بين العقلية الاولى والعقلية الثانية ، وايجاد حالة تزاوج بينهما ، اذا ما أرادت فتح أن تستعيد قدرتها في الفعل . ان عقلية القاعدة بالجماهير تشكل حماية للمكتسبات التي أفرزتها القاعدة بالارض ، والا فسيكون الدفاع عن هذه المكتسبات في ميزان القوة الحالي عاجزا كما حدث في الاردن .

س : هناك نقاش واسع في حركة المقاومة بعد أيلول . ولكن الملاحظ ان « فتح » لا تسهم كثيرا في هذا النقاش .. هل هذا العزوف عن المشاركة موقف من طبيعة ومضمون هذا النقاش ؟

ج : ان النقاش في فترات الانحسار ظاهرة طبيعية ، فلا بد أن تبرز أسئلة عدة تريد أجوبة تفسر ما حدث ، وتعطي مخرجا من المأزق . لكن فرق بين النقاش النظري الذي يطرح نفسه بديلا للكفاح المسلح ، والنقاش الذي يستهدف أن يكون دليلا لتكثيف وترشيد وتكريس الاهتمام بالكفاح المسلح وممارسته . لقد اتخذت المناقشات النظرية منحى اصبح يهدد وحدة أداة الثورة الفلسطينية اكثر مما يهددها ما تعانيه من غيبية وضياع في الرؤيا . ولعل السبب الذي فرض هذا المنحى هو اصرار الجميع على نظرية البديل في الساحة ، وليس على نظرية التكامل . ولمزيد من الايضاح فانه لم يأت في الساحة تنظيم بعد فتح وقدم في اطار الممارسة أي تطوير أو ابداع أو تجديد يشكل اضافة جديدة للجهد النضالي الفلسطيني الذي بدأته فتح . العكس صحيح . كانت معظم الممارسات نسخا منسوخة بالتوازي ، حتى في شكل الاطر التنظيمية التي استخدمت ، ولم يكن في استطاعتها أن تشكل حالة قفز تتجاوز فتح . كان ممكنا أن نتصور وجود هذه المنظمات مفيدا لو انها شكلت اضافة جديدة للجهد النضالي الفلسطيني ، وليس محاولة اقتسام لنتائج الجهد النضالي الفلسطيني ، الامر الذي أصبح يطرح السؤال : هل وجود المنظمات كان هدفا في حد ذاته ، أم أن وجودها كان من أجل هدف .

لقد كانت هناك محاولات معادية كثيرة تراهن على تصفية الثورة الفلسطينية من الخارج، من أجل هذا كان الضغط الاسرائيلي دائما على الحدود العربية يجعلها تتخذ موقفا معاديا للثورة الفلسطينية كما حدث في قرار القيادة العربية الموحدة منذ ١٩٦٥ بمطاردة واعتقال مناضلي فتح ، وكما حدث في محاولات الملك حسين في الكرامة وعمان عام ١٩٦٨ . ولقد تبين بعدها ان الهجوم الخارجي يقود الى صلابة الوضع الداخلي للثورة ، وبات واضحا انه لا بد من تفتيت الثورة من الداخل حتى تصبح تصفيتها ممكنة . وهكذا بدات الثورة الفلسطينية تواجه حالة اغراق بالمنظمات ، واغراق في الشعارات ، وفي المفاهيم المتناقضة كلها تؤدي موضوعيا الى توزيع الجهد والولاء الفلسطينيين في اكثر من اتجاه وأكثر من اطار ، كما ادت الى تطوير حالة الاجتهاد في النضال الفلسطيني الى موضوع للعداء والاتهام ، وحينما يؤدي ذلك الى ارباك الوضع الداخلي ، وحينما تختل معادلة القوة يصبح من الممكن الهجوم من الخارج ، وما حدث في أيلول ١٩٧٠ يجب ان يكون درسا هاما في هذا الصدد .

س : هناك في ممارسات فتح بعض مآخذ ، ارجعت بعضها الى نسيان النظرية ، وأرجعت البعض الاخر لظروف خارج اطار فتح فلسطينيا او عربيا .. ومع عدم الاخلال بامن الحركة او بما ينبغي ان يكون شيئا من شؤونها الداخلية ، هل ترى ثمة اسباب ذاتية لبعض معوقات في مسيرة فتح ؟

ج : بعض ذلك تطرقنا اليه عندما تحدثنا عن مكونات فكر فتح ، والمشاكل التي اعترضت مسيرتها ، ضرورة التكافؤ بين القدرة والقرار ، ضرورة المواءمة بين النظرية والواقع ، ضرورة التزاوج بين عقلية القاعدة بالجماهير ، والقاعدة بالارض الخ .. ولكن هناك بعض عوارض أخرى ، هناك قضايا خاصة بالتنظيم : لقد حدثت قفزة في فتح من تنظيم الطليعة الى تنظيم الثورة فضاعت معالم تنظيم الطليعة في غياهب تنظيم الثورة .. ذلك لا يعني ان تنظيم الثورة الذي يستوعب الجماهير المتدفقة على الثورة والمندفعة نحوها مرفوض .. على العكس الطاقات الجماهيرية في حاجة الى اطارات تحسن توظيفها وتوجيهها .. ولكن يجب الا يؤدي ذلك الى غياب تنظيم الطليعة . كانت فتح تعتمد البناء الانتقائي في التنظيم ، بدرجة كبيرة أصبح البناء الان تلقائيا . فيما مضى كان التنظيم خاصا ، والفكر للجميع ، وربما يكون العكس هو السائد الان ، ان الفكر هو الخاص ، أما التنظيم فمطلق . لقد ترتبت على ذلك أوضاع ادت الى ضياع جهد كبير في أمور ادارية يومية ، والى نشوء بعض درجات من القلق تضاءلت معها القدرة على الخلق والتحليل والاجتهاد . ولقد أدى ذلك على المستوى السياسي الى أن سياسات فتح في بعض أوجهها لم تعد ترسمها القواعد البسيطة ، بقدر ما أصبحت ترسمها المخاوف والمحاذير مما أدى الى أن تفقد فتح بدرجة كبيرة مرونة الحركة التي تميزت بها، وتحولت سياستها في جانب غير هين من المبادرة الى رد الفعل .

س : عود الى نظرية فتح . لقد وضعت فتح هدفا استراتيجيا لها : اقامة الدولة الوطنية الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني بعد تحريره . هذا الهدف الاستراتيجي يثير اكثر من قضية : ١ ــ البعض يرى في هذا الهدف نوعا من عدم الواقعية ، ٢ ــ البعض يرى فيه مؤشرا على اقليمية يلصقها بـ « فتح » ، ٣ ــ البعض لا يبدو وكأنه يفهم المقصود بشعار الدولة الديموقراطية .

ج : ان الخلاف الذي كان مطروحا في الوطن العربي بعد قرار الامم المتحدة باقامة دولة اسرائيل كان خلافا جذريا بين عقليتين : عقلية الامن الوطني ، وعقلية الامن القومي . عقلية الامن الوطني كانت تنظر الى القضية كقضية حدود يمكن ان تضيق أو تتسع ، وهو فهم خاطىء وقاصر عن فهم معنى الوجود الصهيوني الذي لم يكن يرى خطره الا في

اطار فلسطين . هذه عقلية التعايش مع الاحتلال ، مع ما يمثله هذا من تكريس لارادة العجز والتراجع المستمر أمام الضغط والتوسع الصهيوني .

العقلية الثانية ، التي كرستها فتح ، هي تلك التي كانت ترى أن العدوان الصهيوني عدوان قائم يهدد عملية الميلاد العربي حتى ولو لم يكن هناك سوى شبر واحد من الارض تقوم عليه السلطة الصهيونية المعادية . لذلك ترفض فتح الوجود الصهيوني كلية ، باعتباره قاعدة متقدمة لقوى التحالف الاستعماري والصهيونية العالمية في الارض العربية ، يستطيع هذا التحالف ان يستخدم هذه القاعدة ويحركها في اي وقت ضد اية ارادة رفض أو تمرد عربية . من هنا كان اصرارنا على أن اي نظام عربي يحدد هويته على أساس مفهومه للقضية ، وطريقة تناوله لها ، واداة هذا التناول . نستطيع القول ان فتح قدمت الصيغة الثورية لمفهوم القضية ، ولكيفية تناولها ، ولاداة هذا التناول ، ونستطيع أن نقول أن هذا المفهوم حقق انتصارا كبيرا .. ولكن بمشروع روجرز ، وما تبعه من مبادرات تسوية فان هناك مسعى خطيرا للانتكاس بهذا المفهوم الثوري،والعودة للنظر في اطار الامن الوطني ، الذي لن يكون في هذه الحالة الا سرابا .

ان الكثيرين يتحدثون عن الواقع والواقعية، ويطالبوننا بها . ولهؤلاء نقول أننا واقعيون، ولكن واقعيتنا غير واقعيتهم . هم يرون الواقع مصدرا للتفكير ومنطلقا له ، فيقعون في اطار العجز ، ويتخاذلون . نحن نرى في الواقع موضوعا للتفكير ، نفهمه ، ونحلله ، لنفعل فيه ، لنغيره ، بخلق حقائق جديدة .

والفرق بين العقليتين هو الفرق بين الحركة والجمود ، بين التمرد والاستسلام ، فرق بين ما يجب أن يكون ، وما يمكن أن يكون .

ان الدولة الديموقراطية من وجهة نظرنا ليست مشروعا نطرحه ضمن المشروعات المطروحة للتسوية ، انه ليس مشروعا يجري النقاش حوله على مائدة المفاوضات . ولكنه مشروع يجري وضعه في التطبيق من خلال عملية نضالية طويلة تعيد صياغة عقل الانسان على ارض فلسطين من خلال حرارة القتال وتنمية الجهد النضالي المشترك في اتجاه مفهوم ديمقراطي للعلاقة يلغي عقلية المؤسسة الصهيونية ويرفض نظامها ويقيم الدولة الديمقراطية بديلا لها .

ان الانتماء لهذه الدولة سيكون فرديا ، أي انتماء مواطنين وليس جماعات او طوائف ، جميع المواطنين فيها متساوون في الحقوق والواجبات دون تمييز على اساس من الجنس أو الدين أو العقيدة .

يرون في ذلك بعدا عن الواقعية ؟ لا .. ان الوجود الصهيوني برغم تفوقه الان جزء من ظاهرة قديمة تحتضر ، ظاهرة الامبريالية والاستعمار .. مشروعنا للدولة الديموقراطية هو جزء من ظاهرة نامية ، جزء من المستقبل .. المستقبل كحتمية تاريخية هو لحركة التحرر العربي .. ودولتنا المتحررة الديموقراطية هي جزء من حركة التحرر العربي . لذلك نحن نربطها بالنضال المتنامي للجماهير العربية ، ولا يمكن أبدا أن نربطها بأية عملية تسوية آنية فمثل هذه التسوية ستكون ولا شك لصالح من يملك فرض شروطها. مع تصاعد نضالنا ونضال الامة العربية التحررية وتطور القدرة فيه سيكون أمامنا طريقان : ١ ـ طريق التطهير الشامل ، وذلك أمر مرفوض تاريخيا ، وانسانيا ، وحضاريا ، ٢ ـ اعادة صياغة عقل الانسان على أرض فلسطين بجهد نضالي يقود الى تصفية النظام الصهيوني واقامة الدولة الديموقراطية التي تنتمي للمنطقة بما يحقق الامن القومي. لماذا يرون في هذا منطقا اقليميا ؟ ان نظرية الطليعة في فتح تعكس البعد القومي للثورة الفلسطينية . الكثيرون يخلطون بين الاقليمية والقطرية . الاقليمية شيء والقطرية شيء آخر .. الاقليمية هي موقف انعزالي شوفيني .. اما القطرية فهي النضال القومي

من خلال الاطر المحلية باعتبار القطرية جزء من كل . وقطرية فتح من خلال مفهوم الطليعة يكرس البعد القومي لنظرية فتح ، كما يكرس الانتماء القومـــي للنضال الفلسطيني ، والانتماء لا يكون بالكلمات ، ولكن بالممارسات .

س : أخيرا ، ومن خلال كل المنطلقات والمبادىء التي طرحت ، فكيف هو التصور للخروج من الازمة الراهنة للنضال الفلسطيني ؟

ج : ان جدلية فتح تشير الى طريق الخلاص : جدلية فتح تقوم على تكثيف الفعل ضد الاحتلال حتى يصبح النضال الفلسطيني مشكلة اسرائيلية يقع عبء مواجهته المباشرة على اسرائيل ، بذلك يمكن مواجهة محاولات اسرائيل تعريب مهمـــة تصفية الثورة الفلسطينية .

هذا الفعل ستكون له ردود فعل هامة على جانبي الصورة في اتجـــاه تحقيقه هزيمة لنفسية الانسان الاسرائيلي التي ستعكس على الفور تصاعدا في نفسية الانسان العربي، وتصاعدا في جهده النضالي والتزامه الوطني . هذا الجهد النضالي العربي سيعود بدوره وينعكس في قدرة متصاعدة للجهد النضالي في الوطن المحتل . لقد كانت عمليات فتح الاولى تهدف الى رفع حرارة المواجهة على الحدود من اجل أن تضغط قرى الحدود على العواصم لكي تجعل السلاح ممكنا في يد الجماهير . وعمليات طلائع فتح قبل اعلان ميلادها هي التي حركت صفقة السلاح الروسية الاولى عام ١٩٥٥ ، حينما ردت عليها اسرائيل في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بالهجوم على غزة ، فجاء قرار عبدالناصر بضرورة مواجهة العدوان بالسلاح وكانت صفقة السلاح الاولى . ان العدو يلجأ الى اسلوب خلـــق الحقائق المادية في الوطن المحتل لتكريس الاحتلال ، وخلق الحقائق السياسية في الوطن العربي التي تكرس الاستسلام . اننا مطالبون في المقابل بخلق حقائق نضالية في الداخل تكرس الثورة ورفض الاحتلال ، وهذه بدورها ستخلق حقائق سياسية في الوطن العربي تكرس ارادة القتال والرفض للاستسلام .

رؤيا المستقبل

الدكتور محجوب عمر

المستقبل ..... النصر
والرؤيا طريقنا اليه

* * *

الثمانية مضت .
فاق شهداؤنا عدد ايامها .
وعلى أي جنب ، وفي اي أرض ، وبأي سلاح لم يحدث ان واجهنا شهيد وعلى وجهه علامة من حزن ، او تعبير عن ندم . فقبل أن يسدل جفنيه على آخر ما سيراه .. قطعة من أرض الوطن او وجه للعدو قبيح او بيت في مخيم محترق ، أو طيف ام او حبيبة او فلذة كبد ، قبل أن يسدل جفنيه على شريط حياته اليانعة يكف قلبها عن الخفقان ، وتعود بلا حاجة الى استنشاق الهواء ، يأتيه صوت دائما يأتيه صوت ... « جايلك يا خوي .. »
من صاحب هذا الصوت ؟ من ؟
هو الاخ والرفيق ، هو الابنة والابن ، هو الاجيال القادمة على الطريق نفسه . هو يقين العودة وحتمية التحرير ، هو الثورة مستمرة حتى النصر .

* * *

المستقبل لنا . النصر لنا . ليس شعارا للتمني ، ولا عاد شعارا للانطلاق وانما حتمية تشير اليها الاعوام الثمانية وتحملها معها الاعوام القادمة . فماذا حملت معها الثمانية ؟ بل ماذا قدمت ؟

بعض السنين يمر دون ان يترك اثرا فيسميها المؤرخون سنوات الانحطاط ويتفقون . وبعض السنين يبين على الزمان بما احدث من أثر ، عندئذ يختلف المؤرخون كل حسب انظاره والى أين تتجه ، كل حسب افكاره والى أين تقود ، ولكنهم جميعا في النهاية يقرون بأنها سنوات الانعطاف . والثمانية من النوع الاخير .

تحققت الانطلاقة ، وليس هذا بالامر الهين او اليسير ، ليس من السهل ان يذهب الانسان لمواجهة الموت وهو يعلم أن أمثاله لا يعدون المئة ، وان اعداءه يعدون بالملايين، الا ان يكون واثقا بالنصر ، بالمستقبل . وليس في كل مرة انطلقت جماعة ثورية الى النضال ، اثمر نضالها وازدهر ، فبغض النظر عن النوايا والجهود ، تظل اصالة الفكرة، وضرورة التاريخ هما شرطا النجاح والاستمرار .

وانطلاقة الفاتح من ١٩٦٥ أثمرت ، وازدهرت ، وكل سنبلة فيها أثمرت الف الف . ولا يمكن ، ولن يمكن لمؤرخ مهما كان موقعه ان يدعي ان ذلك كان مجرد مصادفة وانما لا

بد سيقر بان الانطلاقة جاءت تعبيرا عن الضرورة التاريخية وسارت فعــلا في الاتجاه الصحيح .

والانطلاقة ليست وحدها ما تحقق ، وان كان يكفي الاعــوام الثمانية ان تزهو بأنهــا استمرار لطلقاتها . عادت فلسطين ، ولم تكن قبل الانطلاقة سوى نشيد حزين . عادت ملء السمع والبصر ، تفرض نفسها على طاولات الكبار حين يتفاوضون ومجامع الحكام حين يتلاقون ، ونشيد الصغار حين يصيحون ، وصيحة القتال حــين يهجم الثــوار المقاتلون . عادت بعد عشرين عاما من التآمر لمحو اسمها من فوق الخرائط ومن قلب الكتب ، بل ومن نفوس ابنائها أنفسهم . عادت وستظل ، ولم يعد في الامكان وأدها ، ولا كان . عادت لان ثمانية من الرصاص والدم أنطقت نيكسون باسم أصحابها بعد أن كانوا اللاجئــين .. « ابحثوا لهم عن وطــن ... لا بد للفلسطينيــين من وطن والا اصبحوا قوة هدامة تهدد المعتدلين في المنطقة » . هذا ما نطق به سيد المستعمرين ان « اجهضوهم » فرددته على الفور مشاريع « الملك » ومؤامرات الضالعين وكــان رد الثورة قاطعا : فلسطين كاملة . وسجلت احصاءات العدو أعلى نسبة عمليات في العمق اعترفت بها ، واقر مدير مخابرات الصهاينة « بالزيادة الملحوظة » في العمليات ، « وبأن عشرات من الشباب قد انضموا مؤخرا الى منظمات التخريب » .

« لا بد لهم من وطن » ، والفلسطينيون كلمة منسوبة الى « فلسطين » وقد ظن الاعداء زمنا ان في الامكان اذابتهم فاذا بلهيب السلاح يجمع شتاتهم ويسعى لتحرير فلسطــين ويستشعر الاعداء خطر المستقبل فيسرعون الى التآمر .

« قوة هدامة تهدد المعتدلين » أي « قطب ثوري يستقطب الثوار والحركات الثورية في المنطقة ويقويها » . انه العمق العربي للثورة الفلسطينية يرى نيكسون مستقبله الحتمي فيسرع الى التآمر .

« عشرات من الشباب ينضمون مؤخرا الى منظمات التخريب » . كانوا لا يزالــون صبية عندما انطلقت الثورة منذ ثمانية أعوام ، وها هم الان يتقدمون للموت . ولا تغيب « ظاهرة المستقبل » هذه عن اعين الاعداء ، فيعترفون ، ويتوعدون . ولكن الاعوام الثمانية تكذب ما يقولون ، وتؤكد ان الثمانية الاخرى تحمل معها المزيد من الشباب . اليسوا يولدون ويكبرون ؟ .

سيسأل المشكك والمتشكك ، اليس في الاعوام الثمانية أخطاء على الاقل ؟ فيها .. ولكنها تعرجات الطريق . فالحركة التاريخية ليست خطا مستقيما ، ولا يمكن ان تكــون . والحديث يدور عن المستقبل ، هل نحن نتجه اليه ام نحن في عكس الطريق ؟ البحث يجري عن صحة « الاتجاه » التاريخي كما يقال . هل مشت الاعوام الثمانية فيــه أم عكسه ؟ ذلك هو جوهر التقييم ، فلئن كانت فيه ، في اتجــاه المستقبل ، خضع ما سار فيه من تعرجات للبحث والدراسة والمحاسبة والحساب ، ولئن لم تكن فيه ، فما جدوى الكلام ؟ من الذي يشك في أن الثورة الفلسطينية سارت في الاعوام الثمانية الماضية في الاتجاه التاريخي السليم ؟ ان مسار « الثمانية » يقطع بصحــة المنطلق والاهداف . وكشوف الخسائر والارباح ، حتى ولو اعدت ، تؤكد انه رغم كل ما فينا وما حولنا ورغم مشقة التعرف على الدرب والمشي فوق أشواكه في ليل ورثناه ، وتآمر يحيط بنا ، وغواية تريد حرف أبصارنا ، فان الثورة تنجز المزيد والمزيد . تتثبت جذورها، وتتصلب عيدانها، وتمتد افرعها ، وتعطي ثمارها ليس فقط للشعب العربي الفلسطيني وانمــا ايضــا للشعوب العربية كلها ولشعوب العالم اجمع . « الثمانية » تقطع بصحة الطريق ، نحو المستقبل . والمستقبل هو النصر .

والرؤيا تتعدد . كثيرون يحاولون ، وحاولوا . البعض في طرق مسدودة ، والبعض في

طرق معكوسة ، والبعض في طرق فرعية تصبح كالروافد الى الطـريق الاصيل ، ثم « الطريق » نفسها ، تلك الموصلة الى المستقبل الى النصر . وحتى هذه الطريق الاخيرة، ليس من السهل رسمها في خطوط تتبع ما يقال عن أن اقصر الطرق هي تلك التي بين القمتين . فدعاة أقصر الطرق يتوهمون انهم فوق قمة ، وربما كانوا كذلك ، ثم يحاولون ان يخطوا الى القمة الاخرى دون أن يكلفوا أنفسهم عناء النزول ثم الصعود الى القمـــة الاخرى . ينسون ان بين النقيضين ، هاوية سحيقة ، وان « أقصر الطرق » تعال على الجماهير ، وان القفز بين « القمم » مغامرة وان المثل الشعبي يقول : « الطريق الطريق ولو دارت ولو طالت » .

ولقد اختارت « الثورة » الطريق الطويل ، « حرب الشعب طويلة الامد » ، ومنذ ثمانية أعوام (بل أكثر من ذلك ان اضفنا سنوات الاستعداد) وهي تسير فيـــه صاعدة من السهل الى السفح الى جسم الجبل .. الى قمة في المستقبل لا شك . ولم يكن اختيار « حرب الشعب **طويلة الامد** » مجرد اختيار « فكري » ، وانما كان في الاساس رفضا بالممارسة والتجربة لفكرة « اقصر الطرق » (الانقلابـــات) ، ولواقـــع « الانطـــلاق المعكوس » (الوحدة اولا) ، ولنظريات التفـــوق التكنولوجي وصراع « العمـــالقة » الدوليين .

ولكي ندرك ما تحقق على هذا الطريق في الاعوام الثمانية نذكر فقط انه عند الانطلاقة كانت الجماهير كلها تقريبا ، مشدودة الانظار والافكار الى الامل ببناء جيوش حديثـــة قوية متفوقة « ستحرر لها فلسطين » ، وان الذين كانوا في ذلك الوقت يتصدون «لقول الرأي» للجماهير ، اتهموا فتح تارة باليمين الرجعي الذي يسعى لتوريط الدول التقدمية، وتارة باليسار المغامر الذي يضع نفسه في خدمة اخرين وكان أخف الاتهامـــات هـــو « الجنون » . واليوم لا يجرؤ انسان على التعرض **لفكرة** حرب الشعب طويلة الامد ..

ولقد أتت ممارسة الاعوام الثمانيـــة بثمارها . انتصرت الفكـــرة وبات مؤكدا لدى قطاعات واسعة من الجماهير العربية ، وكل الشعب الفلسطيني العربي ، انه لا سبيل للتحرير الا بهذه الطريق ، وتدرب الالاف من الشباب على حمل السلاح واستعماله ، واستقرت مئات الآلاف من قطع السلاح الخفيف في أيدي الجماهير . ودارت وما تزال تدور معارك حامية بين انصار الفكرة وممارسيها ، واعداء الفكرة ومعارضيها ، **ولا بد من التنبيه بأن فكرة ((حرب الشعب)) طويلة الامد لا بد ، لكي تنتصر ، ان تمارس وان توضع في التطبيق وباستمرار** ، بينما لدى القائلين بفكرة الحرب النظامية الكلاسيكيـــة التي تنتظر التفوق او الظروف الدولية ، على الدوام ما يبرر عدم امتحانها في التطبيق .

من هنا يمكننا ان نتبين ، نحن السائرون على طريق حرب الشعب طويلة الامد بأن علينا، امانة للسنوات الثماني وما قدمت من شهداء ، وايمانا بالسنوات المقبلـــة وما تحمل من انتصار ، علينا ان نواصل « حرب الشعب » ، ان نقدم على الدوام التضحيات علـــى طريقها ، ان نمارسها لكي ننتصر . والحق انه مع الانتصار العام لفكرة حرب الشعب طويلة الامد ، الا أن ممارستها لم تكن بالشكل والصدق اللذين يجنبانها تهجم المعارضين وتآمر الاعداء . البعض يردد القول ثم يتخيل ان « طويلة الامد » هذه تعني اعمارهم ، وما أقصرها ! والبعض ردد هذا القول وهم يتوقعون ان يدفع الشعب ولا يدفعون هم ، البعض حمل معه الى ساحة الثورة « انقلابيته » القديمة التي تضيق بالطريق الطويل وتتعالى على الجماهير ، وتتعجل النتائج ويستهويها الضجيج . البعض لم يدرك بعمق معنى الطريق « الطويل » تاريخيا ، لم يدرك انها « طويلة » ليس فقط لاننا نواجه اعداء اقوياء داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، ولكن ايضا لانها تعتمد الشعب جيشا لها ، ولم يدرك ان الممارسة الصبورة وحدها هي التي تعبىء قوى الشعب وتنظمهـــــا ، وان النداءات والشعارات وحدها لا تكفي بل لا تأثير لها دون ممارسة . وان هذه الممارسة

تتغير اشكالها وتتبدل مواقعها ولكنها تظل محكومة طوال الوقت بضرورة ان تظل ملتصقة بالارض والجماهير ، متمسكة بالبندقية والقنبلة تستغل كل ثغرة للاعلان عن نفسها والوصول الى كل جماهيرها ، وتحذر في الوقت نفسه كل منزلق يكشف اجنحتها وقواها ويسهل ترويضها وعزلها عن جماهيرها . ممارسة « حرب الشعب طويلة الامد » تعني ضرورة المحافظة على حرية حركة الثوار والثورة بين الجماهير . ان احدا لن يمنح الثوار حقا شرعيا في الوجود او التحرك ، وانما هو حق يؤخذ بالممارسة وحدها ، وبين الجماهير فقط . ان ممارسة حرب الشعب طويلة الامد تعني مصارحة الجماهير ، فهي التي تعرف جيدا ان احدا لا يولد وله أسنان ، وان الذي يتعلم الشيء يتعثر مرات قبل ان يتقنه ، الجماهير تفهم وتقدر حتى اخطاءنا ، وهي التي تعوض خسائرنا بشرا وسلاحا ، وهي التي تحمي فصائلنا وتغذيها ، وليس في اقناعها صعوبة وانما ذلك يتطلب ممارسة طويلة الامد بين الجماهير ومعها ، واضعين في الاعتبار ان الجماهير لا ترى في قلة العدد عيبا ، ولا في مواجهة الصعاب ما يثير الشفقة . ان نبتة البذرة الصحيحة تزيح ما فوقها من أتربة ، هكذا يعرف الفلاح ، ولهذا يسارع لحمايتها من الرياح .

ولقد اثبتت الاعوام الثمانية ، رغم بعض الممارسات الخاطئة ، اثبتت ان نبتة حرب الشعب قادرة وثابتة الى الحد الذي جعل الاعداء ، على اختلافهم يسعون لخنقها . فهي لم تحقق فقط خسائر فادحة للعدو ، وانما ، وهذا هو الاهم ، أصبحت أملا للشعوب العربية وللحركات الثورية كلها . ويسعى المستعمرون هذه الايام الى محاصرة « حرب الشعب » ، ومحاولة اشاعة اليأس في نفوس الجماهير بشأنها . فالجماهير العربية التي ترفض اي حل جزئي او استسلامي واضعة كل ثقتها في حرب الشعب ، لن يكون امامها الا الاستسلام اذا فقدت ثقتها في حرب الشعب . لهذا ينصب جهد الاعداء كله ضد الثورة مستغلين كل ثغرة ، محاولين بجميع الوسائل محاصرتها (حتى لا تستمر الممارسة فيكف تأثيرها) ، وتشويهها (حتى لا تنعزل عن الجماهير فيسهل القضاء عليها) ، وترويضها (حتى يمكن استخدام قواها المروضة في تمرير ما يريدونه من حلول وضرب ما يبشر من اجيال) . والاعداء لهم خبرة لا يستهان بها في هذا المجال ، ولكن لنا نحن أيضا خبرة لا يمكن نسيانها تؤكد لنا الانتصار ، ومثل فييتنام والاربعين عاما من القتال كفيل بالدرس والاتباع .

لقد أثبتت الاعوام الثمانية ، ولم تعد مشكلتنا « الوجود » وانما يحمل العام التاسع مشكلة « الاستمرار » . ولكي نستمر يجب ان نحطم الحصار على كل الجبهات . **على الجبهة القتالية** ، يجب ان نزيد من قدرتنا على ضرب العدو في عمق احتلاله . فتلك طريقنا الى جماهير الارض المحتلة ، ذلك يتطلب المزيد من التدريب والممارسة والتوجه نحو الارض والجماهير اساسا . **على الجبهة الدعائية** ، يجب ان نخترق جدار الصمت والتشويه ونصل الى جماهيرنا ، بالدعاية الصادقة الانسانية الصريحة ، بعمليات الدعاية المسلحة المدروسة والمخططة ، بالتخلي عن السفسطة والجدال الذي لا طائل وراءه ، والتحدث ببساطة عن انتصاراتنا وعثراتنا بأن نرتدي ثوب الجماهير تراثا وحديثا وسلاحا وتضامنا ووحدة . **على الجبهة التنظيمية** ، يجب ان نضاعف الجهود من أجل اعادة ترتيب صفوفنا بحيث تلبي احتياجات هذه المرحلة الارقى من نضالنا ، لقد اتسعت رقعة النضال وتنوعت مهامه من الارض المحتلة قبل ١٩٦٧ ، الى الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ الى الساحة الاردنية حيث يقيم قرابة مليون فلسطيني والتي يمكن اعتبارها الارض المحتلة بعد ١٩٧١ حيث يمارس العدو سيطرة سياسية واقتصادية وعسكرية فعلية . على كل هذه الارض المحتلة تتنوع مؤامرات الحصار ، من ارهاب وتشريد الى محاولة خلق أشكال متعاونة مع العدو ، الى ابادة وتصفية ومحاولة خلق

اشكال عاجزة ومشوهة تمتص تمسك الجماهير الفلسطينية بكيانها . ولقد اثبتت السنوات الثماني ، برغم بعض الممارسات الخاطئة والعفوية ، صحة المبادىء والاهداف التي طرحتها الثورة . كما قامت الاشكال التنظيمية في مرحلتي ما قبل وما بعد ١٩٦٧ باعباء وضع هذه المبادىء والاهداف في التطبيق . والان ، مع تغير الظروف ، ومع اتساع رقعة النضال ، فان علينا ان نستفيد من الخبرات التي اكتسبناها خلال السنوات الثماني الماضية ، وان نقوي من تنظيمنا ، ونزيد من توثق علاقاته الجماهيرية حتى يمكن ان يقوم بالاعباء الجديدة الملقاة على عاتقه . ولنذكر على الدوام انه لا يمكن الوصول الى وحدة حقيقية لقوى الثورة الفلسطينية ، بل لكل القوى المخلصة التي تناضل في سبيل القضية ما لم نتسلح بتنظيم موحد الارادة موحد المبادىء والاهداف والاساليب ، تنظيم ممارس متمرس يكون هو البلورة التي تجمع حولها كل البلورات الاخرى . كما أن الوحدة ، اي وحدة ، ليست مجرد شعار أو أمل أو حلم ، وانما هي الممارسة المشتركة على الدوام .

* * *

اذا تركنا الساحة الفلسطينية أرضا ، وجماهير ، الى الساحة العربية لوجدناها تعاني حصارا من النوع والاسلوب نفسه يحاول ان يحصر علاقات الثورة الفلسطينية بالحكومات ، ويعزلها عن الجماهير ، ويصل الى حد الصدام واحتمال الصدام . في هذه الساحة ايضا ، علينا ان نخترق الحصار بكل الوسائل والسبل ، وان نجد الصيغ الملائمة التي تمد الجسور النضالية بيننا وبين المناضلين في كل بلد عربي وان نتذكر ان خبرة السنوات الثماني اثبتت ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تحل محل القوى الثورية العربية في كل بلد ، كما ان هذه القوى الثورية لا يمكن أن تقوم بما تقوم به الثورة الفلسطينية وبالتالي لا يجب ان تقيدها او تلغيها او تشترط عليها ما يفرض عليها من معارك ليست لها . وان العلاقة يجب ان تقوم على أساس ان فلسطين هي محور النضال العربي كله وبالتالي فان الثورة الفلسطينية هي مركز هذا النضال الذي يجب حمايته وتقويته والاتجاه اليه . لقد علمتنا السنوات الثماني واكدت ما طرحناه من ان احدا لن يتقدم لتحرير فلسطين قبل اهلها كما أكدت السنوات الثماني نفسها ، وما اثمرته بين الشعوب العربية ، ان الاعداء يسعون لعزل هذه الثورة عن الجماهير العربية ، اتقاء لاشعاعها الثوري ، وسبيلا للقضاء عليها . كما علمتنا السنوات الثماني أيضا ، واكدت ، ما طرحته الثورة من أن الطريق الى الجماهير العربية ، ينطلق من فلسطين ، وان نضال الجماهير العربية يصب في فلسطين . وتؤكد هذه السنوات الثماني الماضية ان الثورة الفلسطينية التي تحارب على ساحتين ، الاولى هي الارض العربية المحتلة والثانية هي الارض العربية غير المحتلة ، تسعى للصدام على الارض العربية المحتلة بينما العدو يتحاشى هذا الصدام ويتكتم اخباره ويحاصره . اما على الارض العربية غير المحتلة فان العدو هو الذي يسعى لفرض الصدام على الثورة الفلسطينية بينما الثورة الفلسطينية تتجنبه وتتحاشاه الا ان يكون مفروضا بلا فكاك، او مشاركة لجماهير بلد عربي في صداماتها مع اعدائها دفاعا عن الثورة الفلسطينية وعداء للمشاريع الاستعمارية .

ولقد اهدتنا السنة الثامنة « ثمرة » نضال ما سبقها من سنوات على المستوى العربي في شكل مؤتمر نصرة الثورة الفلسطينية الذي انعقد في بيروت وضم ممثلين عن القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية ، ولا بد ان تتحمل السنة التاسعة وما يتلوها عبء تجسيد هذا التلاحم الشعبي العربي في نضال مسلح واحد ضد العدو وحماية متراصة للثورة ضد الطعنات والمؤامرات التي تاتيها من وراء .

اما على المستوى العالمي ، فقد أثمرت السنوات الثماني ما يمكن ان نطلق عليه دون

مبالغة انه تغيير كيفي في موقف القوى الثورية والتقدمية من قضية فلسطين . من قبل كانت المشكلة هي السياسات الاستعمارية والعدوانية للعدو ، ولكن بعد سنوات من النضال المسلح تصحح وضع القضية واصبحت قضية شعب طرد من ارضه ويريد استعادتها وتحريرها . ولولا « البندقية » ، لولا الممارسات الثورية والتصحيحيات ، لما أمكن قط حدوث هذا التغيير . ذلك يدفعنا الى المزيد . ان الحجة الفكرية ، مهما كانت منطقية ، تفقد قدرتها على الاقناع ما لم تكن مشفوعة بالممارسة . وفي قضية فلسطين بالذات لا يجب ان تقتصر جهودنا على الحصول على مجرد التأييد او المساندة . ان لهذه القضية بعدا وعمقا عالميين كما ان لها بعدا وعمقا قوميين ، ولهذا فان صفوف النضال الثوري الفلسطيني تتسع ، ويجب ان تتسع ، لكل المعادين للاستعمار والمناضلين من أجل الحرية ، وقد قدمت الثمانية الماضية اشكالا من هذا التلاحم العالمي في النضال ، وعرفت شهداء مناضلين من مختلف بلدان العالم فكانوا جسورا حية وفعلية بين النضال الثوري العربي الفلسطيني والنضال العالمي من أجل الحرية والتحرر . ولا بد ان العام التاسع ، وما يليه ، سيشهد المزيد والمزيد ، المزيد من المواقف الفكرية والسياسية الاكثر وضوحا من أصدقائنا وحلفائنا القوى الثورية والتقدمية في العالم ، والمزيد من النضالات العملية أيضا ضد العدو الصهيوني والاستعمار . ان الجماهير تتغذى بانتصاراتها ، وانتصار الفييتنام يغذي كل جماهير العالم المناضلة ويهدي كل طاقاتها الى جوار طاقة وخبرة الشعب الفييتنامي نفسه الى ثورتنا ، وما اسعد عامنا التاسع بأن يسجل انتصار الشعب الفييتنامي على الاستعمار بعد حرب شعبية طويلة الامد .. استمرت اربعين عاما .

* * *

ترى ماذا سيحمل العام التاسع معه ايضا ؟ وماذا يمكن ان نستقراه من الاعوام الثمانية اضافة الى ما ذكرنا ؟ سيحمل التفاصيل لما نتوقع وما بدأناه فعلا .

طريقنا يزداد وعورة ، بقدر ما حققنا من تغيرات وانجازات . فالعدو لا يستسلم ببساطة ، والقديم لا يرحل دون مقاومة شرسة في بعض الاحيان . اعباؤنا زادت ، بقدر ما اصبحت الثورة اطارا ينتشر على كل الساحة الفلسطينية ارضا وجماهير ، وتتوثق صلاتها بكل القوى الثورية عربية وعالمية . مهامنا ثقيلة ولكن خبرة السنوات الماضيات ضاعفت من قدرتنا ، وغرست كوادر شابة في النضال ، واتسعت صفوف النضال حتى لم يعد في قدرة الاعداء ان يحيطوا بها لا في ضربة ولا في ضربات . أعداؤنا سيسعون للقضاء علينا — ومتى كانوا لا يسعون؟ — في هذا لا يختلف العام التاسع عن الاعوام التي سبقته ولا عن التي ستليه . سلاحنا في أيدينا يجب ان يظل حرا ، جماهيرنا درعنا ، ويجب ان نظل لها ، ارضنا قبلتنا يجب ان نسعى اليها .. فلئن سقط منا شهيد فلتكن صيحة الجميع :

« جايلك يا خوي .. جايلك يا خوي » ...

عندئذ يكون الاستمرار ... يكون المستقبل ... يكون النصر ...

صحافة فتح والثورة

ابو ثائر

قبل ان تطلق حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » رصاصاتها في الفاتح من كانون الثاني ١٩٦٥ ، أطلقت وقبل ذلك بسنوات فكرها الثوري الذي كان انقلابا في كثير من المفاهيم السائدة انذاك . وعبر مجلتها المتواضعة « فلسطيننا » التي صدرت عام ١٩٦٠ بشرت « فتح » بالثورة ، وعبر علاقاتها بالصحف الاخرى حاولت «فتح» ان تقدم مفهوما جديدا للتحرير . ورغم ان الافكار الثورية لفتح لم يكن من السهل تقبلها في صحف اوائل الستينات ، الا انها استطاعت ان تجد طريقا لطرح افكارها سواء عبر المنشور السري الذي كثيرا ما كتب بخط اليد ، ام عبر علاقات رجالها الاوائل .

ـ في الكويت في الخامس عشر من ايار ١٩٦١ اصدرت جريدة الهدف الكويتية ملحقا خاصا عن فلسطين حمل اسم « فلسطيننا » وحررته بالكامل حركة فتح . ـ في القدس، كانت الكثير من مواد صفحة « عائدون » التي كانت تصدر كل ثلاثاء في جريدة فلسطين المقدسية ، هي من مواد مجلة فلسطيننا .. ولعل ذلك هو السبب الذي حدا بالسلطة الاردنية الى الطلب من الجريدة وقف تلك الصفحة ! وفي صحف لبنان ، كما في صحف الجزائر .. وفي صحف دمشق كما في صحف القاهرة كانت « فتح » تستطيع أحيانا ان تنشر افكارها ..

واذا عدنا الى قراءة تلك الافكار المنشورة ، نجدها قبل الانطلاقة تركز على النواحي التالية :

اولا ـ ان الحروب الكلاسيكية ليست في صالح العرب ، ولن تحسم قضية تحرير فلسطين .

« يؤمن البعض بأن حربا صاعقة تقوم بها الجيوش العربية للقضاء على اسرائيل ، يمكن ان تحقق نصرا اكيدا للعرب خلال ساعات . ولكن هؤلاء ينسون الحقائق التالية : أ ـ ان الجيوش العربية غير موحدة ، وغير متضامنة . ولهذا لا يمكن للجيوش العربية مثلا ان تخوض معركة وهي منفردة . ب ـ ان وضع الضفة الغربية غير امين عسكريا. ج ـ ان جيش اسرائيل على استعداد دائم . ولهذا يجب علينا ان نحسب له حسابا عسكريا مدروسا . وهذا يعني ايضا عدم تمكننا من القضاء على اسرائيل في حرب صاعقة ، لاننا سنواجه قوات الميليشيا الاسرائيلية في كل قرية بجانب الجيش الاسرائيلي » . [فلسطيننا العدد ١٢ ديسمبر ١٩٦٠ ص ٣] .

ثانيا ـ ان الفلسطينيين يجب ان يأخذوا زمام أمورهم بأيديهم ، وان يكونوا طليعة النضال ، وان الارادة الفلسطينية يجب ان تكون حرة سيدة نفسها . « اننا عرب فلسطين نعلن بأننا نرفض الوصاية ، فنحن أحق الناس بحكم انفسنا ، فالذين يدعون بأنهم يحموننا من الصهاينة كاذبون منافقون ، لان الصهاينة يحمون كراسيهم طالما امتدت النكبة .. [فلسطيننا العدد ١٣ يناير ١٩٦١ صفحة ٥] .

ـــ « تحرير فلسطين واجب على كل فلسطيني ، وليس معنى هذا اقليمية ضيقة ، ولكن معناها ان على ابناء فلسطين قبل غيرهم العمل لتحرير بلادهم » [فلسطيننا العدد ١٧ أيار ١٩٦١] .

ـــ « ان الشعب الفلسطيني يطالب بكيانه الحر ، ويرفض الوصايات العربية والدولية الاستعمارية . والشعب الفلسطيني سيطالب الدول العربية برفع وصايتها عنه ومساعدته ، ان كانت مخلصة ، لاسترداد وطنه » [فلسطيننا العدد ١٥ اذار ١٩٦١ ـــ ص ٣] .

ثالثا ـــ ان الثورة وحرب الشعب هما الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، وان خوض هذه الحرب لن يحقق أغراضه الا اذا كانت الارض العربية المجاورة قادرة على تحمل نتائجها ومستعدة بالتالي للمساهمة فيها . ان الشعب الفلسطيني سيقاتل ، ولكن الارض العربية ستتلقى الضربات وعليها ان تستعد لذلك . لقد وعت فتح طبيعة العدو تماما ، وقبل أن تنطلق بعملها المسلح ، دعت الى اقامة المجتمع العربي المحارب .
ـــ « لدينا طريق وحيد لانقاذ فلسطين ، وهو طريق شاق وصعب . . لكنه طريق الحياة الوحيد . انه طريق الثورة » [فلسطيننا العدد ١٢ كانون الاول ١٩٦٠] .

ـــ ان خطة العمل يجب ان تتخذ شكل الحركة الفدائية التي تنطلق من جميع المناطق العربية المحيطة باسرائيل . وبمجرد بدء عمليات فدائية علينا ان نتوقع رد فعل وحشي على الحدود العربية . ولهذا يجب ان تكون الجيوش العربية جميعها في حالة يقظة لتأديب العدو عند محاولته القيام بعمليات ثأرية على حدودنا » . [فلسطيننا العدد ١٧ ايار ١٩٦١] .

ـــ « عرب فلسطين لم يعودوا يؤمنون بانتظار الظروف الدولية التي يقول بها العاجزون، فطريق التحرير واضح ، وكل ما يحتاجه العرب لتحرير فلسطين هو جرأة تتيح للكيان الفلسطيني الظهور ، على ان يكون هذا الكيان ممثلا لارادة شعب فلسطين . وهذا الكيان سيحقق انطلاقة الثورة فتحمي الدول العربية حدودها ، وتقدم المساعدة للكيان » [فلسطيننا العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٦٠ ـــ ص ٣] .

رابعا ـــ ان الشعب الفلسطيني لن يتنازل عن شبر من ارضه ، فلا قرارات الامم المتحدة ترضي طموحه ولا اية مشاريع دولية أخرى . ان تحرير كامل تراب فلسطين هو الهدف الذي من أجله سيظل يناضل الشعب الفلسطيني ، وكل من يقول عكس ذلك خائن للشعب :
« اننا هنا نعلن رفضنا لفكرة التقسيم الاستعمارية ، ونعلن شجبنا للتقسيم ، ونعلن استعدادنا لان نتهم كل فرد يعمل من اجل التقسيم بالخيانة العظمى والمروق » .
[فلسطيننا العدد ١٣ كانون الثاني ١٩٦١] .

وانطلقت الثورة لتجد نفسها محاصرة اعلاميا ، على قدر مستوى الحصار السياسي والعسكري . قليلة هي تلك الصحف التي كانت تنشر سطرا او سطرين عن عمليات الثورة . . واقل هي الاذاعات التي كانت ترفق بيان الثورة عن عملياتها ، ببيان الناطق العسكري الصهيوني ، فمعظمها كان يكتفي بما يورده الاخير . . ولكن صوت الرصاص فوق أرض فلسطين ، خاصة بعد أن صمت كل الرصاص ، في اعقاب هزيمة حزيران ، كان اعلى من كل حصار . ومنذ ذلك الحين ، وحتى الان ، خاضت اجهزة اعلام فتح معارك متصلة سواء لصد الهجمات المعادية والمساهمة في الدفاع عن الثورة وفضح المؤامرات التي تحاك ضدها والمشاريع المشبوهة التي تسعى لتصفيتها ، أم لترسيخ مفاهيم فتح وأفكارها وبلورتها على ضوء التجربة والظروف الذاتية والموضوعية .

وفي محاولتنا لاستعراض المواقف الاساسية التي ناضل اعلام « فتح » لتثبيتها سنعتمد مصدرين فقط : ١ ـــ نشرة فتح الداخلية ، ٢ ـــ جريدة « فتح » اليومية ثم الاسبوعية .

اولا ــ بعد هزيمة حزيران ، جسدت فتح طريق النضال بالثورة فوق الارض المحتلــة ، وكانت عبواتها المتفجرة في القدس وتل ابيب وعملياتها في طوباس والخليل وغزة ونابلس والجليل والجولان تعلن للجماهير العربية ان حرب الشعب هي الطريق الوحيد للرد على الهزيمة ولخوض معركة التحرير . الا ان المواقف العربية الرسمية كانت تسير في اتجاه مغاير ، تبحث عن الحلول السلمية وتسعى الى الخـــلاص يأتيها من السماء .. او من أروقة الامم المتحدة . ووجد اعلام فتح نفسه يواجه معركة تاريخية ..

ان المواقف الرسمية العربية وما يدور في فلكها من اجهزة اعلام تبشر بالحــل السلمي وتحاول ان تصور الوصول اليه وكأنه انتصار ، خاصة بعد صدور قــرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم مشروع روجرز لعام ١٩٧٠ ، وضد ما يسمى بالحل السلمي ، خاض اعلام فتح معارك متصلة ، انطلاقا من : أ ــ ان الحل السلمي ليس سوى قناع للاستسلام الذي تسعى القوى الامبريالية لفرضه على امتنا . ب ــ ان هذا الحل الاستسلامي لن يتم الا اذا صفيت الثورة الفلسطينية ، ومن هنـــا فان رأس الثورة الفلسطينية هو الثمن المطلوب . ج ــ ان طرح المشاريـــع الهدف منه فقط هو تمييع ارادة القتال لدى امتنا ، واشغالها عن التفكير بالطريق الصحيح . بالاضافة الى ان هذه المشاريع تمزق الموقف العربي وتزيد من حــدة الصراعات . د ــ ان العدو لن يرضى الا بالاستسلام الكامل ، وهو سيظل يطلب المزيد من التنازلات وراء كل تنـــازل تقدمه الانظمة العربية ، حتى يتمكن من استيعاب كل الارض العربية المحتلة .

وفي العشرات من المقالات عالج اعلام فتح هذه القضايا بالتفصيل :

ــ « اذا كان البعض يعتقد ان تمرير الحل الاستسلامـــي شيء وسلامة وامن الثورة الفلسطينية شيء آخر ، فان الاحداث التي تشهدها الساحة كل يوم تؤكد ان الامور لا يمكن الا أن تكون متداخلة بشكل يصعب فيه ــ لو سلمنا بحسن النيات ــ تمرير الحل السلمي بوجود الثورة الفلسطينية لان ارادة القتال وارادة الاستسلام لا يمكن ان تلتقيا، ولا بقاء الا لاحدى الارادتين » [جريدة فتح ١٩٧٠/٨/١ ــ « رأينا »] .

ــ « ان مشروع روجرز لم يأت بجديد ، ومن السهل ان ترى في طياته كل ابعاد التآمر الاميركي الصهيوني الذي ما زال مصرا على تصفية القضية الفلسطينية وتمزيق الشعب العربي الفلسطيني بعد القضاء على ثورتـــه . فالمشروع يدور حـــول النقاط التالية :

١ ــ وضع جميع الاطراف على قدم المساواة ، الذين اعتدوا على فلسطين واحتلوهـــا ومعها سيناء والهضبة السورية والذين اعتدي عليهم واحتلت أراضيهم . ٢ ــ المشروع يلح على اجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل على ان تبـــدأ هذه المفاوضات بصورة غير مباشرة عن طريق يارينـــغ . ثم بعد تهيئـــة الجو ــ اي بعد سحق الثورة الفلسطينية ــ تتحـــول الى مفاوضات مباشرة . ٣ ــ الاتفاق عـــلى تصفية القضيـــة الفلسطينية والشعب العربي الفلسطيني بروح قرار مجلس الامن ، بحيث تختتم القضية تحت اسم التوصل الى سلام عادل . ويتم الاعتراف بسيادة وسلامة واستقلال اسرائيل مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية عن بعض الاراضي التي احتلت بعد حرب حزيران .

.... ولعل اخطر ما في هذه المؤامرة الاميركية الجديدة انها تلبس ثوب الصداقة ، لكي تستدرج بعض الدول العربية للوقوع بالفخ خطوة بعد خطوة ، ثم لتجد نفسها في النهاية متورطة باقتراف جريمة تصفية القضية الفلسطينية والقضاء على الثورة الفلسطينية ». [جريدة « فتح » الجمعة ١٩٧٠/٧/٢٤ العدد ٣٥] .

● « وماذا عن اسرائيل خلال كل هذا التسابق والجري للموافقة على مشروع روجرز ؟ انها صامتة تنتظر نتائج التمزق في الموقف العربي ، تنتظر الصراع الذي سيتولد نتيجة

هذا التمزق . وهي خلال هذا كله رابحة » . [جريدة « فتح » الاثنين ١٩٧٠/٧/٢٧ — العدد ٣٧] .

● « سقطت كل الاوراق ، واقتنع اشد المتفائلين بأن ما يسمى بالحل السياسي ، ليس سوى حلقة من مؤامرة تركيع امتنا ، عن طريق تمزيق صفوفها بين مؤيد ومعارض ، وعن طريق اشغال جزء من امتنا بمناورات سياسية ، تستنزف طاقتهم وقدراتهم ، وتحول دون تعبئة هذه الطاقات في موقعها الصحيح .

ولقد ثبت الان بما لا يدع اي مجال للشك ، ان المناورات الاميركية ومشاريع التسوية على هزالها ، ليست سوى نكتة فارغة يتلهى بها اعداؤنا ومؤامرة تستهدف الاستمرار في عملية تدويخنا ، واعطاء الفرصة للعدو الصهيوني للمضي في استيعاب الارض المحتلة ، وتجهيز نفسه بالمزيد من ادوات العدوان . ان العدو الصهيوني مدعوما بالامبريالية لا يريد حلا سلميا ، ولا يريد تسوية .. انه يريد الارض ويريد تركيع امتنا . وبعد ذلك فالامر لديه سيان .. حل سلمي او صلح او غيرهما .. فتلك لا تعود بالنسبة اليه مشكلة » . [مجلة « فتح » العدد ٣٢٢ تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٢] .

ثانيا — كانت مواقف « فتح » المعلنة عبر اجهزة اعلامها حاسمة تماما في كل المشاريع التصفوية التي حاولت ان تحرف مسيرة الثورة تارة باسم الدولة الفلسطينية وطورا باسم مرحلة النضال ، كما كانت هذه المواقف واضحة تماما فيما يتعلق بالاهداف الاستراتيجية للنضال الفلسطيني : « لقد اعلنت حركتنا انها ضد الحلول الاستسلامية كلها ، وهي تؤكد انها لن تقبل بشيء دون التحرير الكامل . ولهذا فنحن لسنا على استعداد للمساومة او القبول حتى بهدنة . ان ما نريده هو التحرير كاملا وشاملا . ولسوف نقاوم كل محاولة او مسعى لفرض الحلول الاستسلامية مهما كانت صيغته . وسنحارب الذين يرفعون شعار الدولة الفلسطينية المزعومة ، كما نحارب العدو الصهيوني » . [نشرة « فتح » الداخلية — العدد ١٠ الاثنين ٢٣ حزيران ١٩٦٩] .

● « لا يمكن ان ترضي الثورة او الجماهير الا بحل واحد ، لا مساومة فيه ، وهو الحل الذي ينبع من ماسورة البندقية ، وماسورة البندقية فقط . هذا الحل الذي يكتب بدم شهدائنا وجرحانا ، وتسطره الاجيال المؤمنة بالنصر .. والنصر فقط . .... لا يمكن ان يتبل اي مقاتل في هذه الثورة التي تمثل الطليعة العربية والثورة العربية بالتراجع . ان الطريق صعب وقاس مليء بالمؤامرات ، فمزيدا من اليقظة ، ومزيدا من الترابط ومزيدا من التحدي ، حتى نحقق النصر على كل الاعداء » . [من كلمة ابو عمار في حفل تخريج الدورة الاولى لفتوة فتح — نشرة « فتح » الداخلية العدد ٤٢ الاثنين ٢ شباط ١٩٧٠] .

ثالثا — الجماهير المنظمة والمسلحة والمعبأة ، هي وحدها القادرة على المضي في الثورة ومواجهة المؤامرات . ومن هنا فان السلاح يجب ان يصبح جزءا من حياة كل فلسطيني. كما ان تنظيم الجماهير يجب ان يكون المهمة الاساسية للطليعة : — « ان الجماهير هي المؤهلة اكثر من غيرها للوقوف في وجه دعاة الحل السلمي . وهذا يفرض علينا كطليعيين نتحمل مسؤولية قيادة الجماهير ان نتجه دوما الى الجماهير ، نضعها في الصورة وبدون ذلك فان الجماهير ستفاجأ بالاحداث وحينئذ ستكون انتفاضتها عفوية ومرتجلة يسهل سحقها والقضاء عليها ... ان الجماهير المنظمة غير قابلة للسحق والهزيمة » . [نشرة فتح الداخلية العدد ٤٢ الاثنين ٢ شباط ١٩٧٠] .

● « التنظيم يتحمل مسؤولية كبيرة وخطيرة تجاه الجماهير ، ومقياس نجاحه وفعاليته يتحدد عبر ما يقدمه التنظيم للجماهير وما تقدمه الجماهير للثورة . وهذه الحقيقة

الاساسية تحتم على التنظيم ان يراجع مواقفه وان يعتمـــد الاسلوب الاكثر فعالية في الاتجاه الى الجماهير وحشدها من وراء الثورة » . [المصدر نفسـه] .

● « لا بد ان ننبه الجماهير الى خطورة هذه التحركات ، وان نطلب الى هذه الجماهير ان تشحذ من يقظتها ، وان تشدد القبضة على البندقية ، وان تحفر الخنادق ، وان تقيم المتاريس وان تستعد لخوض معركتها ، معركة الثورة » . [جريدة « فتح » — العدد ٥٠ ، الاثنين ١٩٧٠/٨/١٠] .

● « يقولون لماذا انتم في عمان . .

. . . نحن في عمان لاننا نريد ان نجعل الجماهير كلها جماهير مقاتلة ، تحارب وتقاتل ، مستعدة لاستقبال العدو ومنازلته .

ونحن واثقون ان عمان التي استعصت على المتآمرين ، لا بد ان تستعصي على جيوش العدو . . نحن هنا اذن لاننا نريد ان نجعل كل الجماهير جماهير مقاتلة ، ولاننا نريد ان نزرع السلاح في كل مكان لنواجه العدو في كل مكان » . [جريدة « فتح » الخميس ١٨ حزيران ١٩٧٠] .

رابعا — قبل ان يعلن المجلس الثوري لحركة فتح قراره بالالتزام بالنضال لاسقاط نظام الملك في عمان ، في اعقاب طرح مشروع المملكة العربية المتحـــدة — كانت مواقف فتح المعلنة قد حسمت هذه القضية من خلال تحليلها لطبيعة الصراع ، ومن خلال تأكيدهـــا على الدور التآمري لذلك النظام . والذي يعود الى منشورات فتح عام ١٩٦٥ وما تلاها يجد انه لا يكـــاد يخلو منشور من فضح مواقف ذلك النظـــام الخائن للقضية . وعندما طرحت الحلول السلمية في المنطقة ، قالت « فتح » ان ذلـــك سيستدعي ضرب الثورة الفلسطينية ، وضرب الثورة الفلسطينية سيستدعي بالضرورة تعريب الحرب . وليس اكثر من النظام الاردني من هو مؤهل للقيام بهذا الدور : « تسعى اميركا لفتنمة الحرب في الجنوب لتكون حربا بين الفيتناميين وبعضهم بدلا من الاميركيين . . تماما كما يحدث الآن في نفس الوقت في المنطقة العربية من محاولات اميركا وعملائها لتعريب الحرب . . لتكون حربا بين الفلسطينيين واللبنانيين والاردنيين بدلا من الاسرائيليين المحتلين ، عملاء اميركـــا في فلسطين » . [نشرة « فتح » الـــداخلية — العدد ٥١ ، الاثنين ٦ نيسان ١٩٧٠] .

وقد لا نبالغ اذا قلنـــا ان ما من شيء توقعته نشرة وجريدة « فتح » حـــول الوضع في الاردن لم يتحقق سواء من حيث تحذيرها طوال اشهر قبل ايلول مـــن حتمية الصدام وكشفها لاساليب النظام في الاعداد للمجزرة . . أم مـــن حيث حديثها المستمر عن عقم الثقة بامكانية التعايش مع هذا النظام بعد ايلول ، وان القتـــال وليس الاتفاقيات هي وحدها التي تفرض بقاء الاردن وعودته قاعدة للثورة . قبل أيلول قالت نشرة « فتح » :
— « ان القوى المتآمرة لن تكف عن تآمرها ، بل هي تعمل باصرار على ضرب الثورة ، وبالتالي سحق ارادة الجماهير . هذه القوى وبطبيعة تكوينها وضعت مصيرها في جانب ومصير الثورة والشعب في جانب اخر . ولهذا عمدت ولا تزال الى اتباع كل الاساليب الممكنة لشق وحدة الجماهير والوصول بهذه الجماهير الى هوة الحـــرب الاهلية . . . وهي تعتمد الى تحريض بعض فئات شعبنا بشكل مكشوف ضد فئات اخرى ، وتعمل على فصل الجيش عن الشعب وتعبئته لضرب الشعب وسحق ارادته ، كما جندت ولا تزال عصبة من المثقفين والمنحرفين لخلق جو من التوتر والاستفزاز على امل الايقاع بين ابناء الشعب الواحد » . [العدد ٤٥ الاثنين ٢٣ شباط ١٩٧٠] .

وقالت جريدة « فتح » : « ان المؤامرة تستهدف : ا — تصفية الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية في الاردن عامة لمصلحة الامبريالية والصهيونية وفرض حل استسلامي يكرس

الوجود الصهيوني على حسابنا وعلى انقاضنا . ب ــ خلــق شرخ في صفوف الشعب وحفر هوة ما بين ابناء البلد الواحد من سكان شرق النهر او غربه ، واستنزاف قوى الجماهير وامكانياتها في معارك جانبية . جـ ــ تحويل الجيش عن واجباته في الحدود الى مهمات قمعية في الداخل » . [العدد الاول ــ الاثنين ١٥ حزيران ١٩٧٠] .

● « ان المتآمرين ، وهذا وضع طبيعي يتفق تماما مع تكوين السلطة العميلة وارتباطاتها بأجهزة المخابرات الاميركية ، لا زالوا ماضين بجرائمهم » . [العدد ٨٣ الاثنين ١٤/٩/١٩٧٠] .

وبعد ايلول قالت « فتح » :

« كل ما قيل عن الوساطة ومحاولات التوفيق يستند الى اتفاقية القاهــرة . واتفاقية القاهرة تنص في المادة ١٣ على قيام الدول الموقعة بفرض عقوبات على الطرف المخالف. ولعله من الاستخفاف بالعقول ان نورد شواهد على نقض النظام العميل لهذه الاتفاقية .. بعد ان اصبحت الثورة كلها خارج الاردن ! ومن الاستخفاف بالعقول ايضا ان نقول بأن الدول العربية ملزمة باحترام تواقيعها .. فتلك بديهية طالما تحدثت عنها اذاعــات العرب !

الحقيقة التي يجب ان تقال بأنه من السخف بعد الان انتظار وقوع المعجزة ، فنعود الى الاردن عبر الوساطات وعبر الاتفاقيات .. بل من السخف الحديث عن اتفاقية القاهرة والمادة ١٣ ، بعد ان تحولــت في الحقيقة الى عقوبة فرضت عــلى الثورة باسم ضبط الاعصاب والتروي وحقن الدماء ..

قبل المادة ١٣ كنا في كل مكان في الاردن .. بعد عام من هذه المادة ، لم يعد لنا في الاردن غير جماهير مسحوقة معذبة .. تلعننا ، وستظل تلعننا اذا لــم نعرف كيف ننقذها . والانقاذ لا يمكن ان يتم الا عبر الصراع الدامي .. عبر القتال ..

وكفانا حقن تخدير ..

وكفانا صكوك براءة نمنحها لاعداء هذا الشعب ، عندما نرضى ان نتحــاور واياهم ، ولو على طريقة يارنغ .. لقد آن لنا ان نخرج من الخطأ الاستراتيجي الذي وقعنا فيه يوم قبلنــا اصلا بالوساطة مع نظام لا تحتــاج خيانته الى ادلــة او براهين .. ويوم استعضنا عن الجماهير المسلحــة بالوعود وبالمناورات السياسية التي تخالف ابسط منطلقاتنا النظرية .. هذه المنطلقات التي تجاوزت في طرحهــا كل العقليات الاصلاحية المناورة ، واعتمدت الجماهير حصنا وسلاحــا وطريقا » . [العدد ٣٠١ الاربعاء اول ايلول ١٩٧١] .

خامسا ــ كثيرون هم الذين يتجنون على الحقيقة عندمــا يقولون ان فتح تخلط بــين اصدقائها واعدائها .

●● في عددهــا رقم ٤٣ الصادر يــوم الاثنين ٩ شباط ١٩٧٠ قالــت نشرة « فتح » الداخليــة : « اذا اردت ان تبني عــلاقات ثورية حقيقية مــع قوى العالــم التقدمية واليسارية ، فيجب ان تقنع هذه القوى اولا بصحة منطلقاتك ، وبعدها ستجد الجميع يسعى للالتقاء معك كصديق نقف معه في خندق واحد ضد كل اعداء الانسان . انطلاقا من ايمان الثورة بهذه المعاني توجه وفد الثورة الفلسطينية الى موسكو » .

●● وفي العدد رقم ٣٣٥ الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٧٢ قالت جريدة « فتح » الاسبوعية : يخلط كثيرون بين الاستراتيجية والتكتيــك ، وهــذا الخلط من اشد الامور خطرا على مسيرة الثورة ، وعلى وجودها نفسه . وحتى لا يكون حديثنا دراسة نظرية نسارع الى القول بأنه يحلو للبعض هذه الايام ان يضع الجميع في سلة واحدة ويعاملهم كأعداء فهذا

البعض يضع الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني والرجعية العربية في نفس المواقع او في نفس السلة التي يضع فيها الانظمة العربية الوطنية والاتحاد السوفياتي وكثير من دول المعسكر الاشتراكي ، وهو من اجل تبرير هذا الجمع لكل هذه القوى في الصف المعادي للثورة يقول بأن الانظمة العربية موافقة على قرار مجلس الامن وعلى جملة المشاريع الدولية الاخرى ، وان الاتحاد السوفياتي معترف (باسرائيل) وهو لا يتبنى شعار الحرب الشعبية الفلسطينية المسلحة الهادفة الى ازالة الكيان الصهيوني من أجل اقامة الدولة الديمقراطية التقدمية ، وبالتالي فلا أحد يلتقي معنا والجميع سواسية . هؤلاء لا يريدون رؤية التناقضات الحادة والعميقة بين كل هذه القوى ، هذه التناقضات التي تسمح للثورة الفلسطينية من اقامة تحالفات مؤقتة او دائمة مع بعض هذه القوى» .

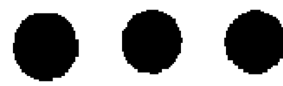
وبعد مناقشة تفصيلية لهذه الاراء تخلص جريدة فتح الى القول : « في وضعنا الراهن هـذا الموقف السياسي يعني : ١ ـ عزل الثورة عن كـافة القوى التي يمكن التحالف معها ، وبالتالي تخسر الثورة الكثير من مواقعها ومن قوتها . علينا أن ننبه بشدة الى ان هذه التحالفات تقوم على اساس البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية وليس عـلى اساس برامج القوى الاخرى . ٢ ـ ان هذا الموقف هو دعوة او مقدمة لكي يختفي اي شكل من اشكال الوجود العلني وان تتحول الى جهاز سري محدود ومعزول بعيداً عن الحركة الجماهيرية العريضة » .

سادسا ـ بقدر اهتمامها بتوضيح المواقف السياسية ظلت فتح عبـر ادواتها الاعلامية حريصة على معالجة الازمة الذاتية بالاضافة الى اعتمادها مبدأ النقد والنقد الذاتي . ولقد حفلت جريدة فتح بالكثـير من الدراسات للممارسات السابقة كلها ، واقتـراح الحلول للازمة الذاتية :

في العدد رقم ٣٠٦ الصادر يوم الاربعاء ٦ تشرين الاول ١٩٧١ قالت « فتـح » : ان استمرار المراوحة في المكان سيقود بالتدريج الى نزف الثورة والجماهـير نزيفا مستمرا لا يوقفه سوى العمل بحسم على تحقيق ما يلي : ١ ـ اعلان خط سياسي واضح يجيب على كافة الاسئلة المطروحة . ٢ ـ القتال بكافة الامكانيات ضد نظام العملاء في الاردن وضد العدو الصهيوني . وهذا القتال لا يقود الى رفع الروح المعنوية فقط ، وانما يقود الى تحقيق الهدف الثالث ايضا . ٣ ـ بنـاء التنظيم الثوري القادر عـلى ترجمة الخط السياسي الى برنامج عمل يومي والقادر ايضا على المضي في القتال حتى يتحقق النصر .

سابعا ـ واذا كنا لا نريد ان ندخل في تفاصيل مواقف فتح من الوحدة الوطنية ، فاننا سنكتفي بفقرة من الافتتاحية الاخيرة لجريدة فتح قبل ان تتوقف انسجاما مع قرار البدء بتطبيق الوحدة الاعلامية اعتبارا من الخامس من حزيران ١٩٧٢ .

« اذا كنا نشعر بحاجة لان نقول اي شيء ونحن نودع فتح الجريدة ، فهو الرجاء الحار لكل حملة البنادق في هذا الشعب ، بأن تكون خطوتنا هذه حافزا للجميع للارتفاع فوق كل تعصب تنظيمي ، ولتكون وحدة اداة الثورة بالنسبة لنا اهم من اي مكسب تنظيمي مهما كان . نحن في فتح وغيرنا في اي تنظيـم اخر دخلنا تنظيماتنـا لا عشقا في كلمات واسماء ، وانما من اجل فلسطين ، وفلسطين اليوم تريد قيادة واحدة وتريد اداة واحدة للثورة . ولقد لبينا نحن الامر . . امر فلسطين » .

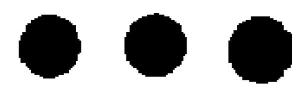


انطلاقا من كل ما تقدم وبملاحظة مجموعة المواقف التي عبرت عنها ادوات فتح الاعلامية يمكننا ان نثبت الحقائق التالية : اولا ـ ان الاعلام الثوري اولا ، وقبل كل شيء اداة مهمة لدفع مجموع النضالات الجماهيرية والثورية باتجاه آفاقها الاستراتيجية والمتمثلة

بما يلي : ا ــ المساهمة بتعبئة الجماهير ورفع معنوياتها ورص صفوفها مع الثورة كخطوة اساسية على طريق تنظيمها وتسليحها . وهذا ما عبرت عنه ادوات فتح الاعلامية من اذاعات ومجلات وصحف ونشرات وكتيبات ، خاصة في الفترة من حزيران عام ١٩٧٠ الى أيلول من العام نفسه . ب ــ كشف مخططات القوى المضادة وفضحها أمام الجماهير : مشاريع التسوية (قرار مجلس الامن ، روجرز ، الحلول الجزئية) والمؤامرات التي كانت تتعرض لها كالشعبة الخاصة والقاء القنابل والمتفجرات . جـ ــ المساهمة في دفع فصائل الثورة نحو الوحدة الوطنية من خلال الحوار والاقتناع الديمقراطي . ومن هنا قامت جريدة « فتح » بفتح صفحاتها لقادة كل التنظيمات الفدائية ، واجرت معهم احاديث مطولة ، كما استكتبت العديد منهم. وعلى سبيل المثال اجرت احاديث مع الاخوة جورج حبش ، نايف حواتمه ، ضافي جميعاني ، بهجت ابو غربية ، منيف الرزاز . د ــ ساهم اعلام فتح ايضا باتجاه الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية الاردنية وافرد صفحات مطولة لتثبيت هذه القضية ، كما قام باجراء لقاءات مع معظم الشخصيات الوطنية الاردنية ، واستكتب العديد منهم .

ثانيا ــ وكما اسهم اعلام فتح في النضالات الجماهيرية ودفعها باتجاهها الصحيح ، ساهم ايضا وداخل صفوف الحركة نفسها بالنضال من اجل تثبيت المواقف الصحيحة وادانة المواقف الخاطئة . واكد دائما على اهمية توفر الشروط الاساسية لانتصار التنظيم الثوري ، وذلك بتجاوز اوضاعه السلبية ، وبتعميق مفهوم العمل التنظيمي والسياسي واهميته . كما أكد مرارا على ضرورة العمل السياسي واهميته داخل القوات المسلحة . وليس من قبيل الصدفة ان يقوم اعلام فتح المركزي بالاشراف على مدارس الكادر في حركة فتح ، خاصة عام ١٩٧٠ ، وتمثل ذلك بمعسكر ٩٩ الذي تدرب فيه كوادر التنظيم وكوادر من القطاعات العسكرية ومن الميليشيا ايضا . وهذا يوضح ان دور الاعلام الثوري لا يقتصر على الاعلام السياسي للحركة ، وانما يسهم في صميم البناء الحركي نفسه .

ثالثا ــ اهتم اعلام فتح بشكل واضح ومركز بنقل التجارب الثورية وتقديمها للمناضلين والجماهير . وقدم العديد من الدراسات والريبورتاجات عن ثورات الصين وفيتنام وكمبوديا ولاوس وكوريا والاتحاد السوفياتي والبانيا ويوغوسلافيا وكوبا والتوباماروس ، وذلك بهدف ترسيخ مفهوم وحدة المناضلين والثوار في هذا العالم . وليس صدفة ان زاوية اسبوعية من صفحتين تقع تحت عنوان : العالم جبهة قتال .



تبقى كلمة اخيرة . .

لقد وعت فتح منذ البداية طبيعة المرحلة وعرفت الاعداء من الاصدقاء . . وحللت الظروف المحيطة بعملها وما ستتمخض عنه من مؤامرات تسعى لذبحها ، لان ذلك هو وحده طريق ذبح الثورة الفلسطينية وبالتالي فرض الركوع على شعبنا وامتنا بتصفية كل حركة التحرر الوطني العربية . . فهل كانت ممارسات « فتح » على مستوى وعيها النظري ؟ ليس هنا مجال الرد على هذا التساؤل أو مناقشته . . ولكننا نثق بأن « فتح » التي تجاوزت كل الظروف المعيقة والشائكة ، قادرة في هذه المرحلة ايضا على تجاوز كل الازمات ذاتية كانت ام موضوعية . . اذا ما استمرت في امتلاك الارادة نفسها التي جعلتها عام ١٩٦٥ تقفز فوق كل العقليات السلبية والمناورة والمنهزمة . . وتبدأ حرب الشعب . . وشبابنا المنزرعون في بيارات غزة وقمم العرقوب والجولان . . يملكون حتما هذه الارادة .

النزول عن الكرمل

محمود درويش

ليومٍ يُحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي .
تركتُ ورائي حذائي ، وبيجامتي ، وضريحاً مُعدّاً لأيّ كلامْ
تركتُ التي أوجَعَتْها ذراعي . تركت التي أوجعتني يداها
تُفتّش عن عاشق بعد خمس دقائق من هجرتي .

ليومٍ يحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي
تمرُّ الرصاصةُ فوق جبيني ، وتجمعُني مثلما تجمع القبلةُ الشفتينْ
وتولدُ رمّانةٌ في الصخور التي دجّنتْني ، وتجعلني عاشقين
بعيداً .. بعيداً . وآخرُ أيامنا تتقاضى مكافأة الانتظارْ
ولا أقنعُ الآن في الفرق بين اسمكَ الحلو والرقم المستعار

ليومٍ يحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي .

تخيّلتُ أنكَ مُتّكئي
فسئمتُ العلاقة بين المسامير والخشبَهْ
وحين ترجّلتُ عن قمّة الرمح والجرح أمسكتُ شيئاً
فكان حذاء الحرسْ
يكمّلني هابطاً .. هابطاً
منذ ذاك النهار المبكّر أبحث عن موطيء القدمين
وأتبعُ نهراً ، ولا أتبع الموج . والنهرُ لا موج فيه
لأني أحاول أن استردّ زفيري .

يُقاسمُني ضابطٌ عربيّ جراحي
ويحرسها كي ينـال وساما
ويمنعني عن مواصلة الموت ، يأخذ نصف جراحي
ويترك نصفاً لأمن الأُممْ .
يهزّ أصابع كفّي
فتسقط ذكرى ،
رصاصٌ قـديم ،
صنوبرةٌ ،
ثمر فاسدٌ ،
تهمـــةٌ ،
أسئـــلهْ
يفتّشُ كفيّ ثانيــةً فيصادر حيفا التي هرّبتْ بندقيّه

ويا أيهـا الكرملُ ،
الآن تقرع أجراس كل الكنائسْ
وتعلن أنّ ممـاتي المؤقّت لا ينتهي دائمـاً ، أو ينتهي مرةً . أيهـا الكرمل ، الآن تأتي اليـك العصافيرُ من ورقٍ . كنتَ لا فرق بـين الحصى والعصافيرِ ، والآن يَبعَثُ المسيح يُؤجّل ثانيــةً . أيها الكرمل ، الآن تبدأ عطلةُ كل المدارس .

وتُـنشدني الآن فيروز . والآن نأخـذ أنبوبـة من حبوبٍ تُـسيل الدموع ، فنبكي على جبل طائر في الرؤى . أيهـا الكرمل ، الآن يجعلني ضابط آخر عرضة للخلود .

بُعدنا عن الشجر . آلبحرُ فاصلةٌ بيننا
وها نحن بين الطهارة والاثم شيئان يلتحمان وينفصلان

كأنّ الأحبّة دائرةٌ من طباشيرَ
قابـلةٌ للفناء وقابـلة للبقاء .
وها نحن نحمل ميلادنا مثلما تحمل المرأة العاقر الحـُلـُما
وها أنتَ مئذنـة الله حيناً
وقـُبّعةٌ لجنود المظلّات حينا
وها أنتَ يا كرملي كـُلـّما جرّدتني الحروب من الأرض أعطيتني حـُلـُما ..
وها أنا أعلن أن الزمان تغيّر :
كانت صنوبرةٌ تجعل الله أقربْ
وكانت صنوبرة تجعل الجرح كوكب
وكانت صنوبرة تـُنجب الأنبياءْ
وتجعلني خادماً فيهمُ
أيها الكرمل المتشعّب في كل جسمي
لماذا تحمّلني كل هذي المسافات
والبحرُ فاصلةٌ بيننا ؟ .

أوقفتني فتاةٌ معبّأة بالدوالي
وكانت تغنـّي على ُطرُق الشام :
يا ليت دالية واحده
لم تسافر معي .. فأعود اليها
ويا ليتهـا لا تقارن صدرك بالموتِ
كنت حبيبي – لأن معانقة الكرمل اندلعتْ في خيالي

قبّلتني فتاةٌ لأني لفظتُ أسم كرملهـا في مـُكـَبّر صوت ، فجاءت الى فندقي لتقول « أُحبّك » ، والتجأتْ لاسمه في ذراعي .
– وماذا يقول الجبلْ ؟
● بكى قصبٌ في الغدير ، وكان الغدير مرايا ، فـلم ينطق الجبلُ
– وهـل رحلوا ؟
● تصبّبتِ الريحُ من جبهتي فمسحتُ الرياح كما تمسحين العرق ..

تذكَّرتُ أني نهضت صباحاً ، وكانت شهادةُ ميلاد أمّيَ قابلة للنقاش
وكانت أناشيد صوت العربْ
تُرَتّبُ أمتعة اللاجئين ، وتبني جسور العبور ، وصارت فلسطين
أقرب ، فاختلف اللاجئون على موسم القمح والبرتقال .

أوقفتني فتاةٌ معبّأةٌ بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشام :
يا ليت داليـة واحده
لم تسافر معي .. فأعود اليها
وقالت : لماذا أتيت ؟
فقلتُ : لأحمل أمتعة اللاجئين
وقالت : أُحبُّكَ
قلـت : مع الوقت ينفجر الحب فينا ، فمـا تصنعين !
فقالت : توظّفتُ عشرين عاماً على مشنقه
وحين ترجّلتُ لم أجد الأرض
ضاعت مع الريح حرّيتي !..

وسافرتُ —
يا أيها الكرمل ، البحر ، والعشب ، والنار
يا صخرة الفرح العائمـه
وصمّمتُ جلدي قميصاً لأُخفيَ آثار طعنتك النادمه
فأنكرني ضابطٌ عربيٌّ ،
وكنتُ على باب أمي هناك أنادي دمشقْ
فتسمع نبض دمي في حفيف صنوبركَ المبتعد
وتغسلني دجلةُ الخير حين أموت من الوجد شوقاً الى أرض بابل .
وها أنذا الآن
حين دخلتُ الى الجامع الأمويّ تساءل أهل دمشق :

مَن العاشقُ المغتربْ ؟
وكانت مياه الفرات ونافورة النيل تحذف آثار زنزانتي عن ضلوعي .
وحين وقفتُ على النيل يوماً ، وشاطيء دجلة يوما
تساءل كل الذين رأوا دهشتي
مَن السائح المغتربْ ؟ ! .

بعيداً .. بعيداً تكون جراح الحسين مناره
وعند اللقاء يفرّون منها
ويرجمها ضابطٌ بالحجاره ..

وسافرتُ – يا أيها الكرمل القافيه
في أناشيد أهلي البعيدين
يا أيها الكرمل الكارثه
حين تقترب الخيلُ من خندق الحاميه

تركتُ الحبيبة – لم أنسها – في غروب الشجرْ
تطرّز من زَبَد البحر منديلها وضمادي
توهّمتُ أنّ السموات أبعدُ من يدها عن جبيني
وأوهمتُها أن قلبي يصلْ
ولكنني كنتُ أشعر أن العصافير كانت معرّضةً للاباده
وأنّ يدي تنتقلْ
الى جُثّة ضائعه

تركتُ الحبيبة – لم أنسها – عند سفح الجبل
تُعير العصافيرَ ألوانها
وكانت يداها ينابيع من كلّ لونٍ وما اشتُقّ منه
وحدثتها عن معاني القبل
وقلتُ لها : لن أحدّق فيك
لاني نسيتُ صلاة الهوى . من تملّاكِ صلّى .

ولكنني كنتُ أشعر أن الينابيع كانت معرّضة للجفاف
وأنّ فمي ينتقل
الى لُغَة ثانيــه

تركتُ الحبيبة لم أنسهـا
تركت الحبيبه
تركت ...

أُحبُّ البلاد التي سأُحبّ
أحب النسـاء اللواتي أُحب
ولكن غصناً من السرو في الكرمل الملتهب
يُعادل كل خصور النسـاء
وكلّ العواصم

أُحب البحار التي سأُحبُّ
أُحب الحقول التي سأُحبُّ
ولكنّ قطرةَ ماءٍ بمنقار قُبُّرة في حجارة حيفا
تعادل كل البحار
وتغسلني من ذنوبي التي سوف أرتكبُ

أدخلوني الى الجنّــة الضائعه
سأطلق صرخةَ ناظم حكمت :
آه . . يا وطني !..

العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية

المقدم الهيثم الايوبي

« أي نصر كبير تنتظرون اكثر من افهام عدوكم بانه عاجز عن قتالكم »
(مونتيني)

جدلية العمل والردع : العمل والردع مفهومان جدليان يدخلان في التخطيط الاستراتيجي على جميع المستويات . واذا كان العمل يعني **اللجوء الى القوة** بمختلف مستوياتها واشكالها لقهر ارادة الخصم فان الردع هو محاولة قهر هذه الارادة عن طريق **وجود القوة أو التلويح بها واستعراضها** . ويستهدف هذان العاملان التأثير على حرية عمل الخصم وتحديدها ومضاعفة قيودها والوصول في حالة النجاح الكامل الى شل القوة المعادية وتجريدها من المبادهة ومنعها من العمل ، مع منح القوة الصديقة حرية العمل والمبادهة بأوسع معانيها ، علما بأن حرية عمل أحد الطرفين في كل نزاع تقيد حرية الطرف الاخر وترسم حدودها وأبعادها . ويضم كل مشروع أستراتيجي مزيجا من العمل والردع ، وكلما تزايدت القدرة على الردع قل العمل وتحقق النصر (قهر ارادة الخصم) مع استخدام قسط صغير من العمل ، ويصل العمل الى أدنى درجاته واقلها عنفا عندما يرتفع الردع ليصبح شاملا . وكلما قلت حدة الردع ومقدرته على التأثير ازدادت الحاجة لعمل أكبر يمارس دوره الضاغط في حوار الارادات . ويكمن الفرق بين الردع والعمل في أن بوسع الردع أن يلعب دوره مع غياب عنصر العمل نظرا لانه يعتمد في الاساس على وجود القوى والتهديد بالعمل الكامن الذي تمثله هذه القوى ، على حين أن العمل الذي يستخدم جميع القوى أو جزءا منها يحمل في طياته شيئا من الردع الذي يدفع الخصم الى التفكير بالاخطار التي يمكن أن يتعرض لها اذا ما تصاعدت العمليات وتم استخدام القوى الباقية التي لم تدخل مجال العمل بعد . « اذا اردنا أن نمنع شيئا استخدمنا الردع ، وان شئنا تحقيق أمر ما كان لا بد من العمل »(١). يقودنا تحليل هذا القول الى أن فكرة الردع تحمل قيمة سلبية تتمثل في **منع** الخصم من المبادرة والقيام بعمل من الاعمال لتحقيق هدفه السياسي — وهذا في حد ذاته جزء من هدفنا السياسي — على حين تحمل نقيضتها (فكرة العمل) قيمة ايجابية تتمثل في **تحقيق** الهدف السياسي المنشود رغم المعارضة التي يمكن ان يبديها الخصم أو حلفاؤه . ويستهدف الردع قبل كل شيء الحفاظ على السلم ، وتثبيت « الوضع الراهن » في منطقة محددة ، ومنع هذا العمل المعادي أو ذاك ، والحد من اتساع النزاعات أو حدتها ، وهو في هذه الحالة **ردع دفاعي** يختلف عن **الردع الهجومي** الرامي الى شل مقاومة العدو ومنعها من الرد على عمل من اعمال الصديق . ومع هذا ، وبالرغم من وجود « ردع دفاعي » و « ردع هجومي » فان جوهر الردع في الاساس دفاعي ، على حين أن جوهر العمل هجومي يستهدف اجبار الخصم على تبديل « الوضع الراهن » تحت ضغط العنف بأعلى أشكاله ، وتحقيق نتيجة نعتبرها **ربحا** سواء أكان هذا الربح ايجابيا (أخذ شيء من الخصم) أم سلبيا (الحفاظ على ما نملكه) .

وبالرغم من تباين قوانين العمل والردع واختلاف اساليبهما،وعدم تماثل حدة استخدامها للادوات المتشابهة ، فان النتيجة التي يعملان من اجلها بشكل **مباشر او غير مباشر ،** ويسعيان الى تحقيقها داخل معسكر الخصم أو داخل **حلقته القيادية** الرئيسية هي نتيجة سيكولوجية تدفع الخصم الى ايقاف العمل بعد البدء به (العمل) أو الامتناع عن القيام به أصلا (الردع) بعد اجراء مجموعة من **العمليات الحسابية** التي تقارن مجمل المخاطر التي يمكن ان يتعرض لها — اذا استمر في العمل او اذا بدأ به — والغنم الذي يمكن أن يحصل عليه ، وتتأكد من أن الخسائر ستكون أكبر من الارباح ، وأن متابعة الصراع ستؤدي الى كارثة أو ستؤدي الى وقوع اضرار بالغة على الاقل ، وأن الارباح مهما بلغت أهميتها قد تكون عاجزة عن تعديل قيمة الخسائر — على الصعيدين الداخلي والدولي — حتى لو تم الانتصار .

ميكانيكية العمل والردع : يوجد العمل والردع حيثما يوجد النزاع ، مهما كان حجم هذا النزاع وحدته . وهما يقومان بتأثيراتهما بشكل متناوب او متطابق سواء بقي النزاع في مستوى الحرب الباردة أم انتقل الى مرحلة الصدام المسلح . ويلعب هذان العاملان دورهما في الصراع العربي — الاسرائيلي الذي كان منذ بدايته (مع بدايات الغزو الصهيوني الاستيطاني المسلح) ولا يزال حتى اليوم ، ورغم الاشكال المختلفة التي اخذها (صدام شامل ، عمليات محدودة ، قصف جوي ، تجسس ، تخريب ، هدنة ، وقف اطلاق نار . . .الخ) عبارة عن نزاع مصيري لا هوادة فيه بين طرفين يستهدف أحدهما الحفاظ على حقه وأرضه وحضارته ، على حين يحاول الاخر انتزاع الارض وحرمان اصحابها من حقهم في العيش عليها ، بغية اسكان يهود العالم وفرض سيطرتهم وحضارتهم على المنطقة كلها . ولا شك في أن حدة النزاع وطول مدته وتعقيده وتشابك العوامل المتداخلة فيه ناجمة عن أهمية « هدف النزاع » المذكور وحيويته بالنسبة للطرفين ، وضخامة الاخطار المادية والمعنوية والحضارية التي يمكن ان يتعرض لها من يستسلم منهما او يكف عن الصراع بمختلف أشكاله .

اننا نعتبر أن حربنا التحررية ضد العدو الاسرائيلي ستكون حربا طويلة ضارية لان قواعد الحرب طويلة الامد تؤكد ذلك ، ولان العدو يملك من القوى المادية والمعنوية (الداخلية والخارجية) والدوافع الناجمة عن اهمية « هدف النزاع » ما سيجعله يقاتل بشراسة لم يقاتل بها الفرنسيون في الجزائر او الامريكيون في فيتنام ، حتى بعد وصولنا الى المرحلة الثالثة من مراحل حرب التحرير الشعبية (مرحلة الهجوم المضاد الشامل) لانه سيقاتل آنذاك ، وحسب التعابير الاسرائيلية الشائعة ، قتالا « لا مناص منه » و « ظهره الى البحر » . ويرى الاسرائيليون أيضا أن صراعهم مع العرب سيكون طويلا عنيفا . لان أهمية الهدف بالنسبة للعرب ، وضخامة الامكانات العربية الكامنة ، وبوادر الوحدة والتطور العربيين ، واحتمالات تبدل موازين القوى العالمية لصالح المعسكر التقدمي المعادي للعدوان ، ترسم كلها آفاق تحول جذري ستنبثق عنه بلا جدال قوة تهدد الوجود الاستعماري الاسرائيلي المصطنع في قلب المنطقة العربية . واذا كانت القوى الثورية العربية تنادي باعداد وشن **حرب تحرير شعبية طويلة الامد** ، فان القوى الامبريالية — الصهيونية — الاسرائيلية تطبق ضدنا **حربا استعمارية طويلة الامد** تعتمد على استمرارية الصراع ، ومتابعة الضغط والهجوم والمبادأة خلاله ، مع تناوب الردع والعمل حسب مقتضيات الموقف المحلي والعالمي ، وموازين القوى الملموسة الجاهزة للاشتباك في لحظة معينة .

اهداف الردع الاسرائيلي : اذا راجعنا تاريخ الصراع العربي — الاسرائيلي منذ بدايته حتى اليوم وجدنا أن خطة **الحرب الاستعمارية طويلة الامد** هذه تتلخص في اختيار اسرائيل للظرف الدولي والعربي الملائم لها لتسديد ضربة قوية (عمل أقصى) تحقق

انتصارا عسكريا ، وتقدم مكاسب اقليمية مادية ومعنوية ، والانتقال بعد ذلك الى الدفاع عن هذه المكاسب والحفاظ على « الوضع الراهن » عن طريق التلويح بالقوة (الردع الشامل) بغية « تجميد الكفاح العربي ليستنقع في الحركة الصامتة لسباق التسلح . من غير اطلاق نار ولا معارك ، لتنام القضية دوليا وتهدأ ، وليموت الكفاح العربي بعجزه عن خوض حرب التحرير التي لا حياة له بدونها »(٢). وقد يتخلل ذلك استخدام جزئي للقوة (العمل الجزئي) لتحقيق مكاسب مادية صغيرة يضاف اليها عدد من المكاسب المعنوية التي تتراكم مع رصيد الردع . وعندما تجد أن الردع لم يعد كافيا ، أو أن الظروف الدولية والعربية ملائمة من جديد ، أو أن هناك احتمالا لانقلاب أحد الظروف ضدها بشكل يبدل موازين القوى فانها تعود الى تسديد ضربة وقائية (عمل أقصى) تجهض بها اية محاولة لتهديدها قبل استفحال خطرها . ولتأمين الحفاظ على « الوضع الراهن » وحماية المكاسب ، يسعى الردع الاسرائيلي الى تحقيق نتائج نفسية متعددة أهمها خلق تناقض داخل الانسان العربي بين الرغبة بالتحرير وعدم القدرة عليه ، واخضاعه لضغط معنوي مستمر يجعله في موقع المحاصر بين الرغبة بالعمل والعجز عنه ، ويقوده في نهاية المطاف الى الخضوع للاحتلال النفسي الذي يفوق في أهميته الاحتلال العسكري المادي لانه مبني على **قناعة ضمنية بضخامة القوة الاسرائيلية وعدم جدوى الصراع معها** ، أو كما يذكر آلون في كتابه « الستار الرملي » : « الوصول الى النتيجة بأن اسرائيل حقيقة واقعة في المنطقة لا يمكن ازالتها من الوجود ، وان مصير أية محاولة اخرى لمهاجمتها هو الفشل المؤكد »(٣). ومع استمرار الردع وانعدام العمل والعمل المضاد يحاول العدو قلب « الوضع الراهن » الى « وضع راهن مقبول به » ، أو مسلم به ، أو يمكن التعايش معه ، او قلبه ان أمكن الى « وضع معترف به قانونيا ». ولقد صرح الجنرال موشي دايان بعد حرب ١٩٦٧ حول ذلك بقوله : « ان هدف اسرائيل هو تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى سلام دائم مع العالم العربي . وللوصول الى ذلك ، فان علينا حماية حدودنا الجديدة بطريقة تطرد أدنى أمل قد يعلق في اذهان اعدائنا بقدرتهم على طردنا بقوة السلاح »(٤). وتحدث آلون عن ذلك خلال شرح ضرورة تقوية الجيش الاسرائيلي فقال : « اذ من المعروف انه طالما أن الجيش قادر على حسم المعركة والانتصار فيها .. فان ذلك يؤدي الى ردع العدو من الدخول في حرب جديدة . وارتداع العدو ولفترة زمنية طويلة من شأنه أن يؤدي الى تسليم بالامر الواقع والتسليم يؤدي بالتالي الى السلام ... »(٥). ولقد لخصت مجلة « الازمنة الحديثة » السوفييتية أهداف خطة الردع التي يطبقها العدو الاسرائيلي بعد حوادث القصف الجوي المتكررة ضد سوريا ولبنان ، وقبيل عدوان ١٦ ايلول ١٩٧٢ على جنوب لبنان بما يلي : « وتريد تل أبيب وحماتها الامريكان عرض العضلات واستعراض القوة العسكرية لغرض كسر الرغبة في نفوس العرب في النضال من اجل استعادة الاراضي المغتصبة في سبيل التسوية العادلة لنزاع الشرق الاوسط »(٦).

أساليب الردع الاسرائيلي : وللوصول الى كل هذه النتائج . وتحقيق الردع على مختلف درجاته ومستوياته ، تلجأ اسرائيل الى التدابير التالية : ١) خلق القوة الرادعة ، ٢) التلويح بالقوة مع رفع مستوى التصديق ، ٣) التأكيد على جدية التهديد بالهجوم المضاد الاجهاضي ، ٤) الردع غير المباشر ، ٥) تحقيق « الردع النشط المتدرج » عن طريق « الرد المرن » (الذي يدخل في مجال بحث العمل) ، ٦) الاعتماد على عقائد الخصم .

١ ــ **خلق القوة الرادعة** : تحاول اسرائيل منذ نشأتها حتى اليوم الارتفاع بالردع الى مستوى الردع الشامل . ولقد سمح لها ميزان القوى المادية والمعنوية ، واختلاف أهمية النزاع بينها وبين الدول العربية ، والوضع الدولي المساعد (الدعم الامبريالي والضمان

الثلاثي الامريكي ـــ البريطاني ـــ الفرنسي) وعدد من العوامل الذاتية العربية (انعدام الوحدة ، التخلف الاجتماعي والتقني ، الصراعات الداخلية والاقليمية) بتحقيق هـــذا الردع ازاء الدول العربية المحيطة بها ، والتي اضطرت الى الوقوف موقف الدفاع بعد حرب ١٩٤٨ . وكان هذا الردع الشامل والموقف العربي الدفاعي الذي نجم عنه وراء سكون الجبهات العربية ـــ الاسرائيليـــة في فترة ٤٨ ـــ ٥٦ وفترة ٥٦ ـــ ٦٧ وجزء من فترة ٦٧ ـــ ٧٢ . ولكن هناك مراحل مؤقتة انخفض فيها الردع الشامـــل الى مستوى الردع المحدود على مختلف درجاته ، وهي فترة كسر السلاح ودخول السلاح السوفييتي الى الجيشين السوري والمصري قبل حرب ١٩٥٦، وفترة الوحدة المصرية ـــ السورية، وفترة اعادة تشكيل القوات المصرية قبيل حرب ١٩٦٧ ، وفترة حرب الاستنزاف وتدفق الاسلحة السوفييتية وخاصة الطائرات ميغ ٢١ وسوخوي والصواريـــخ المضادة سام ـــ ٢ و سام ـــ ٣ بعد حرب ١٩٦٧ ، ولعلنا نشهد اليوم بداية فترة جديـــدة من فترات الردع المحدود بعد المحاولات الجادة التي يبذلها الاتحاد السوفييتي لاعادة تسليح سوريا بأسلحة متطورة ، وزيادة فاعلية الجيش السوري ورفع مستوى قدرته القتالية ، وان كنا نعتقد بأن انخفاض الوجود السوفييتي في مصر قد يقلل من ذلك الاحتمال . ويمكننا ان نلاحظ هنا أن العمليات الاسرائيلية تتزايد مع تناقص شموليـــة الردع (العمليـــات الاسرائيلية ضد قطاع غزة ١٩٥٥ ، وعملية البطيحة على الجبهة السورية ١٩٥٥، عملية التوافيق ١٩٦٢ ، عملية السموع ١٩٦٦ ، قصف مشروع التحويل قبيل حرب ١٩٦٧ ، القصف الجوي والاشتباكات على الجبهة السورية في ايلـــول ـــ تشرين الاول ١٩٧٢ ... الخ) ويتم تصاعدها حتى تصل الى الصدام الشامل (١٩٥٦ و ١٩٦٧) عندمـــا يصل الردع الى حدوده الدنيا .

اما بالنسبة لحركة المقاومة فقد كان الردع متدنيا بل معدوما منذ البداية ، **نظرا لروحها الفدائية ومبررات انطلاقها التي تعتبر ردا علـــى الاحتلال ورفضا للهزيمة والـــردع ، ولاهمية « هدف النزاع » بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني (وجود او لا وجود) ، وانعدام الاهداف الحيوية الفلسطينية الضخمة(مدن، مصانع، مراكز عسكرية كبيرة... الخ) التي يمكن ان يشكل التهديد بضربها او خسارتها تأثيرا رادعا حاسما** ـــ باستثناء مخيمات اللاجئين التي لا يستطيع العدو الاسرائيلي حاليا التوصل اليها او ضربها على نطاق واسع دون التعرض لحملة استنكار عالمية شديدة . ولقد ادى انخفاض مستوى الردع بالنسبة للمقاومة رغم تهديـــدات العدو وحجـــم قواته الى اضطـــرار القوات الاسرائيلية الى زيادة العمل وتصعيده ضد قواعد المقاومة لتحقيق الردع المباشر ، مع اللجوء الى ضرب الدول العربية المضيفة لتحقيق الردع غـــير المبـــاشر ، بالاضافة الى السير خطوة حذرة على طريق قصف المدنيين في المخيمـــات . وسنعود الى هذا الردع غير المباشر في فقرة تالية .

ويعتمد الردع الاسرائيلي عـــلى ضخامة حجـــم القوة العسكرية الاسرائيلية ومستوى فاعلية قواتها الضاربة (مدرعـــات ، طيران ، قوات محمولة جوا ، صواريخ أرض ـــ أرض) . ويؤكد الجنرال ييغـــال آلون ذلك في كتابه « **الستار الرملي** » عندما يقول : « وكلما عززت اسرائيل قوتهـــا الاجتماعية والعسكرية عـــلى مستوى رفيع تزيد من امكانية الردع »(٧) ... « ان الامل الوحيـــد بردع العدو حتى لا يفتـــرض حربـــا على اسرائيل يرتبط بقوة جيش الدفاع وبطريقة استخدامها »(٨) وعندما تحدث آلون في كتابه « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » عن بناء الجيش بعد حرب ١٩٤٨ استعدادا للجولة الثانية مع العرب قال : « كانت الغاية من هذه الاستعدادات هي تجنب الحرب المهدد بها ، أما الوسيلة فهي بناء اداة عسكرية قوية تردع العدو عن الهجوم ، واذا قـــامت الحرب رغم ذلك تكسبها »(٩). ثم عاد ليكرر الفكرة نفسها بشكل أكثر صراحة عندما

تحدث عن تشكيل القوات العسكرية الاسرائيليـــة بعد حرب ١٩٦٧ وقال : « ان هدف هذه القوات الصريح والمعلن هو ردع العدو عن بدء حرب جديدة . واذا قامت الحرب رغم ذلك ، تضمن النصر الاسرائيلي بأكبر قدر من السرعة والكفاءة مـــع أقل قدر من الخسائر »(١٠) دون ان يخرج في قوله هذا عن فكرته التي صاغها في عام ١٩٦٨ عندما قال « ان ما نحاول تحقيقه هو احراز القوة العسكرية الضرورية لردع محاولات تجديد الاشتباكات على نطاق واسع »(١١). ويمكننا أن نذكر العديد من تصريحـــات الزعماء الاسرائيليين التي تبني الردع على قوة السلاح . ويذكر الجنرال حاييم بارليف رئيس الاركان السابق « ان الخطوط الرئيسية في تخطيط قوات الجيش الاسرائيلي تعتمد ، منذ السنوات القليلة الماضية ، على مبدأ **الاولويات** . ونحن مقتنعون، حتى بعد حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] ، **ان الافضلية القصوى يجب ان تعطى لعناصر قوتنا التي تمتاز بقيمة ردعية والتي تنتسب للقوات الرادعة**. تلك القوات قادرة على نقل الحرب الى اقليم العدو، وقادرة على دحر العدو اينما كان. هذا موقف ثابت لن يتغير. ان القوات التي تحتل المراكز الاولى في سلم الاولويات هي السلاح الجوي، القوات المدرعة، والقوات المحمولـــة جوا . أما عناصر قواتنـــا المسلحة الاخرى فهي ، الى حـــد كبير ، عناصر مساعدة»(١٢). وفي احتفال يوم سلاح المدرعات (١٩٧٢) قالت رئيسة الحكومة غولدامايير للضباط : « ان اعداءنا يحافظون على وقف اطلاق النار ليس من حبهم للسلام بل من خوفهم من الدبابات والجنود والطيارين الاسرائيليين »(١٣) وينطبق هذا القول على مـــا قاله قائد سلاح الطيران الجنرال مردخاي هود عند التحدث عن توقف اطلاق النار على القناة « لقد تمت المحافظة على الهدوء النسبي المستمر منذ سنتين بفضـــل قوة الردع التي يمتلكها جيش الدفاع . ان قوة الردع لدى جيش الدفاع تنبع من لياقة هذا الجيش واستعداده وقوة سلاح الطيران »(١٤) كما ينطبق على ما قاله الجنرال اسحاق رابين لافريل هاريمان السفير المتجول والمبعوث الخـــاص للرئيس جونسون في مطلـــع آذار ١٩٦٥ . فلقد سأل هاريمان الجنرال رابين خلال زيارة الحدود السورية ـــ الاسرائيلية والاطلاع على مشروع تحويل مياه نهر الاردن « متى ستنشب الحرب » فأجابه رابين : « يجب الا تنشب ، وعلينا الا نعبر الحدود لكي نمنع هذا التآمر ، ولكن من أجل ذلـــك على اسرائيل أن تكون قوية ، وعلى العرب أن يكونوا واثقين من اننا أقوياء »(١٥).

ويستخدم الساسة الاسرائيليون هـــذه الفكرة نفسها للحصول عـــلى دعم الامبريالية الراغبة بتهدئة المنطقة **والحفاظ على الوضع « الراهن » فيها بما في ذلك من استغلال وبلقنة وتخلف** . وهم يطالبون بتزويدهم بالاسلحة والطائرات التي تكفل تفوقهم الساحق على العرب مجتمعين ، وتؤمن بالتالي الردع والسلام [!!] المؤقت الذي يضمن هضم المناطق المحتلة استعدادا لعملية احتلال جديدة . ولقد ذكر ابا ايبان في مقابلة أجراها في نيسان ١٩٧١ مع اذاعة اسرائيل ما يلي : « لن تتخلى الولايات المتحدة عن اسرائيل لانها توصلت هذا العام الى استنتاج هو انها تدعم اسرائيل لا لمجرد العطف عليها ، بل كما ذكر نيكسون للحيلولـــة دون خـــرق ميزان التسلـــح لان ذلـــك ضروري للمصالـــح الامريكية »(١٦). وأورد كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** أن افريل هاريمان السفير المتجول والمبعوث الخاص لجونسون حكى لصديق يهودي أنه اقتنع بعد جولته في عام ١٩٦٥ في منطقـــة الحدود السورية ـــ الاسرائيلية بضرورة مساعدة اسرائيـــل « وبأن عليه ان يوصي لدى الرئيس جونسون بمنح اسرائيل اسلحة وان يبيعها للمـــرة الاولى طائرات »(١٧)، وهذا ما دفع الجنرال عيزر وايزمان الى زيارة الولايات المتحدة في العام نفسه لطلب ٦٥ سكاي هوك و ٤٥ فانتوم معززا طلبه بقوله « كلما كنا أضعف كلما زاد ميلنا للهجوم المسبق في لحظة الخطـــر »(١٨). وبعد حرب ١٩٦٧ زار الجنرال وايزمان الولايات المتحدة ثانية ، وتحدث أمـــام الجنرالات الامريكيين عن أسباب اندلاع الحرب بقوله : « لم تكن لدينا طائرات بما فيه الكفاية ، وعرف العرب هذا ، ولذلـــك

فقدنا قوة الردع الخاصة بنا ، وأدى هذا الامر الى التحدي العربي الذي أدى في النهاية الى حرب الايام الستة »(١٩) ثم انتقل الى الحديث عن منع الحــرب عن طريق الردع وزيادة الاستعداد . وختم كــلامه مطالبا بتزويد اسرائيل بالسلاح الامريكي قائــلا : « انتصرت اسرائيل في حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] بمساعدة العتــاد الفرنسي الذي كان بحوزتها . ولكن عليها أن تمنع الحرب القادمة بمساعدة العتاد الامريكي الذي ستحصل عليه »(١٠). ولقد اشترك الجنرال حاييم بارليف عندمــا كان رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي في حملة المطالبة بالدعم والاسلحة والطائرات عندما قال : « وليس هناك من سبب يجعلنا قلقين على وضعنا ازاء التجهيز والتسليح : ان الوضع الحالي ، برغم انه ليس هناك حدود في هذا المجال ، يبعث على الارتياح عدا الطائرات المتقدمــة جدا . ان من المهم جدا أن نحصل على هذه الطائرات لسبب رئيسي هو صفتها الردعية. اننا لا نسعى الى الحرب ، والعامل الرئيسي لمنع الحرب هو قوتنــا الرادعــة . وان الطائرات المتقدمة مهمة جدا للوصول الى هذه الغاية »(٢١). ثم ادلــى اسحاق رابين سفير اسرائيل في الولايات المتحــدة بدلوه في هذا المجال ، وصرح أمــام مؤتمر اللجنة الامريكية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة « أن باستطاعة اسرائيل أن تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالــم العربي مجتمعة لايــة فترة ممكنة ــ خمسة أو عشرين او خمسين سنة ــ ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمــة لدفاعنا »(٢٢). وهذا يعني ان اسرائيل مستعدة لتنفيذ استراتيجية امريكا لمحاربة الآسيويين بالآسيويين (بعد تطويرها) شريطة تزويدها بالاسلحة والمعدات اللازمة للتفوق على العرب وردعهم . ولقد بــدا تعاطف الساسة الامريكيين مع تسليح اسرائيل واضحا خلال حملة انتخابات الرئــاسة الامريكية الاخيرة ، اذ تسابق الحزبان الجمهوري والديموقراطي الى التصريح بضرورة دعم اسرائيل وتزويدها بالسلاح الذي يضمن تفوقها وعدم الضغط عليها لتقديم التنازلات قبل التوصل الى صلح كــامل ومفاوضات مباشرة . وتقول صحيفة هيرالــد تريبيون الامريكية أن البرنامج الذي قدمه الحزب الديموقراطي في هذه الانتخابات كان يتضمن ما يلي : « يعلن الحزب الديموقراطي دون لبس تضامنــه مع اسرائيــل ويقرر بأن يلتزم ويحافظ علنا محافظة اكيدة وفي المدى الطويل عــلى التزامه لاسرائيل . وأن يمنحهــا الطائرات وكل الاعتدة العسكرية التي تحتاج اليها للمحافظة على قوتها الرادعة تجاه التهديدات العربية باستئناف الحرب بواسطة المساعدة السوفييتية العسكرية »(٢٣). وتتابع تل ابيب محاولة ابتزاز الاسلحــة والمساعدات بحجة منع الحــرب ، ويعتقد المراقبون ان هذا هو أهم أسباب زيارة وزير الدفاع موشي دايان لواشنطن في منتصف تشرين الثاني من العام الحالي بعد اعادة انتخاب نيكسون رئيسا للولايــات المتحــدة الامريكية . ولقد اكدت صحيفة الازفستيا (١٩٧٢/١١/١٦) «أن دايان يسعى من زيارته للولايات المتحدة الى الحصول على تأكيدات واشنطن بأنها ستلبي مطالب اسرائيل من شحنات الاسلحة وخصوصا طائرات الفانتوم المقاتلة وقاذفات القنابل التكتيكية من طراز (أ ــ ٤) » . كما أكدت النبأ نفسه كل مــن النيويورك تايمــز (١٩٧٢/١١/١٤) وانترناشونال هيرالد تريبيون (١٩٧٢/١١/١٥) اللتان اكدتا ان دايان سيسعى للحصول على القاذفات المقاتلة (ف ــ ٤) والقاذفات التكتيكية (أ ــ ٤) بالاضافة الى الصواريخ أرض ــ أرض (لانس) ، وطائرات الهليكوبتر المقاتلة (كوبرا) ، والصواريخ الموجهة بالتلفزيون ، وعدد من الاسلحة المتطورة الاخرى .

٢ ــ **التلويح بالقوة مع رفع مستوى التصديق** : يشكل التهديد باستخدام القوة (عرض العضلات) درجــة أعلى من درجة وجود القوة في سلــم تصعيد الردع . ويعتبر هذا التهديد تطبيقا عمليا للقول المشهور « برهن عن قوتك كي لا تستخدمها » (ليوتي) . وهذا يعني استغلال الاعلان عن القوة الرادعة والقدرة على استخدامها بغية ردع العدو وقهر ارادته واحباط مخططاته . ويستخدم الاسرائيليون التهديد في ردعهم المتدرج عندما

يرون ان مستوى الردع آخذ في التناقص ، أو عندما يعتبرون أن الهدف لا يتطلب المجازفة بالعمل وما يحمله هذا العمل من أخطار أو انعكاسات (داخلية ودولية) ، أو عندما يكون الظرف الموضوعي و « تحديدات العمل » (سنتحدث عن هذه التحديدات فيما بعد) تتطلب التريث والانتظار . ويذكر الجنرال يشعياهو جافيش في هذا الصدد : « ان قوتنا هي أفضل وسيلة للردع وهذا الاستعراض للقوة ممارسة لتلك الوسيلة المثلى »(٢٤). وتقدم لنا سلسلة التهديدات الاسرائيلية بضرب المدن ، وتدمير المراكز الحيوية والاقتصادية العربية ، وقصف قواعد المقاومة او مخيمات اللاجئين ، واجتياح مناطق الحدود واحتلال بعض أجزائها بصورة دائمة أو مؤقتة ، ومطاردة زعماء المقاومة داخل البلدان العربية وفي جميع ارجاء العالم ، صورة واضحة عن مدى اعتماد الاستراتيجية الاسرائيلية على هذا النوع من الردع . ولقد ذهبت بعض التصريحات الى حد التهديد بضرب « المصالح الحيوية العربية » (جيروزاليم بوست) ، وتدمير منابع البترول في الجزيرة العربية « لوقف مساعدة الدول البترولية لحركة المقاومة » ، والاعلان عن ضرورة مهاجمة ليبيا « حتى لا تشعر القيادة الليبية بأنه لا يمكن اصابتها ، وبأنها خارج نطاق الهجوم »(٢٥).

ومن المؤكد أن فاعلية التهديد أمر مرتبط كل الارتباط **بمستوى تصديق الخصم وتقديره لجدية هذا التهديد وقدرة العدو على تنفيذه ، واستعداده النفسي للتخلي عن الهدف خوفا من التعرض للخطر نظرا لصغر الهدف بالنسبة للخطر المتوقع أو للقناعة باستحالة تحقيق هذا الهدف** . ويعتمد الاسرائيليون اعتمادا كليا على الحفاظ على مستوى تصديق عال لتهديداتهم ، لذا فهم يربطون بين التهديد بفعل مقبل مع نتائج تهديدات سابقة لحقها فعل رادع ، ولا يطلقون التهديد الا بعد أن يعدوا القوى اللازمة لتنفيذه ، ويضمنوا حدا ادنى من نجاح العمل الذي قد يضطرون اليه عند رغبتهم بتصعيد الردع . ويقول الجنرال آلون في كتابه « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » : « ان مجرد امتلاك الاسلحة لا يردع العدو بالضرورة وانما يردعه اليقين بأن المدافع مستعد لاستخدامها بسرعة وفاعلية . . . أي أن هذا **التصديق** هو الذي قد يمنع استخدام هذه الاسلحة على الاطلاق »(٢٦). وبالرغم من ارتفاع مستوى التصديق للتهديدات الاسرائيلية فان هناك حالات انخفض فيها مستوى الردع الى درجة دفعت الاسرائيليين الى الانتقال من التلويح بالقوة الى استخدام هذه القوة . ويقدم الجنرال آلون مثلا عن فشل وجود القوة أو التلويح بها لتحقيق الردع عندما يتحدث عن حرب ١٩٦٧ ويدعي ان اسرائيل كانت تستهدف في تلك السنة « منع الحرب عن طريق الاتفاقيات الوقتية او بالقوة الرادعة الكامنة في القوة العسكرية . . . وفي هذا الشأن اثبتت هذه السياسة أنها كانت عديمة الجدوى وعقيمة »(٢٧). ويعيد ذلك الى سوء تقدير العرب لقوة اسرائيل وخطئهم في حساب احتمالات ردود فعلها ويقول : « فمن الواضح أن العدو لم يحسن تقدير قوة اسرائيل العسكرية ومدى تأهبها واستعدادها لاستخدام هذه القوة في استراتيجية هجومية . ولذا فقد مضى في سلسلة من الاستفزازات التي أرغمت اسرائيل على أن تمد يدها ، وجعلت من اللازم عليها أن تستخدم كامل قوتها العسكرية »(٢٨). ولا يأخذ الجنرال آلون هنا بعين الاعتبار مسألة **انخفاض مستوى الردع التهديدي بسبب حجم « هدف النزاع » بالنسبة للعرب ، وضخامة الدفع المعنوي الذي تمارسه الجماهير العربية الراغبة بالتحرير على قياداتها** ، بالاضافة الى الخطأ السياسي الذي وقعت به هذه القيادات عند تقدير موازين القوى وردود الفعل على المستوى العالمي ، وعند تقدير تحديدات العمل .

ولقد ذكرنا من قبل عددا من الحالات التي اضطر فيها الاسرائيليون لتنفيذ التهديد ضد الدول العربية نظرا لانعدام تأثيره ، ولكن المثل الاوضح هو مثل حركة المقاومة التي لم

يتوصل العدو الى ردعها مباشرة عن طريق وجود القوة أو التهديد باستخدامها بل حتى عن طريق استخدامها بمختلف الاشكال وأشدها عنفا . وهذه هي الظاهرة التي أذهلت المنظّرين العسكريين الاسرائيليين ، واحبطت العديد من مخططاتهم ، ودفعتهم بعد **تصاعد العنف الثوري في مواجهة العنف القمعي** الى ادخال عامل جديد في حسابات مواجهتهم مع المقاومة وهو عامل « **لا عقلانية ردود الفعل** » الذي يزيد قدرة المقاومة على تحقيق المفاجأة ، ويجعل قادة العدو عاجزين عن تحديد كافة الاحتمالات التي يمكن ظهورها ، ويجبرهم على وضع عشرات الخطط البديلة المحتملة .

٣ ــ **التأكيد على جدية الهجوم المضاد الاجهاضي** : يحتل «الهجوم المضاد الاجهاضي»، أو « الهجوم المضاد الوقائي » مكانة كبيرة في الاستراتيجية الاسرائيلية ، ولقد شرحه قادة العدو مطولا وميزوه عن « الحرب الوقائية » ، واعتبروه نوعا من الدفاع الديناميكي ، وبرروا به كل هجماتهم العدوانية على الجبهات العربية . كما تحدث عنه الكتاب العسكريون العرب بشكل مسهب يجعل من التكرار التحدث عنه في هذا المقال(٢٩) . وكل ما يهمنا هنا هو بحث هذه المسألة من وجهة نظر تأثيرها الردعي .

يستفيد الردع الاسرائيلي من جدية التهديد « بالهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) اعتمادا على المبدأ العسكري القائل : « لا ينتج الردع التقليدي عن القدرة على الانتصار ... ولكنه ينتج من الرأي الذي نكونه عن قدرة الخصم على الانتصار »(٣٠) . ولقد قام العدو بهجومه المضاد الاجهاضي (الوقائي) على نطاق واسع شامل مرتين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) ، كما قام بهذا الهجوم مرات عديدة على نطاق محدود على الجبهات المصرية والسورية والاردنية وفي جنوب لبنان وحقق خلال هذه الهجمات عددا من الانتصارات العسكرية التي جعلت للتهديد بهذا « الهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) وزنا ملحوظا في حسابات القيادات العربية . ويشرح ييغال آلون اهمية هذا التهديد بقوله : « ان الاعتراف بالحق في الهجوم المضاد الاجهاضي يزيد قدرة الاقتناع الرادع للطرف المدافع ، ويقلل بالتالي من احتمالات العمل الفدائي »(٣١) .

٤ ــ **الردع غير المباشر** : تلجأ الدول عادة الى « الردع غير المباشر » للصراع ضد عدو لا تستطيع التأثير عليه بشكل مباشر ، ولا يمكنها أن تتوصل الى ردعه ردعا شاملا **رغم استخدامها لمختلف وسائل الردع المتوفرة لديها** . ولقد استخدمت اسرائيل في صراعها ضد رجال المقاومة الفلسطينية كل أساليب الحرب الشاملة ، وصعّدت عملياتها ضدهم الى أقصى حد ممكن ، واستخدمت في ضربهم جميع الوسائل الممكنة (تخريب ، تجسس ، اغتيال ، هجمات برية ، قصف جوي) . ولكن هذه الحرب الشاملة التي نادى بها عدد من « الصقور » الاسرائيليين ، والتي اعتقد الملحق العسكري زئيف شيف انها تنطوي « على أمل بكبح جماح الارهاب واتعاب الارهابيين [رجال المقاومة] ومن يدعمونهم »(٣٢) لم تؤد الى النتيجة المرجوة ، ولقد ذكرت النيويورك تايمز (١٨/١٠/٧٢) بعد تصاعد عمليات القصف البري والجوي ضد قواعد المقاومة « ان التكتيك الاسرائيلي الجديد في ضرب الفدائيين العرب لا تتوفر له على المدى البعيد فرص التوصل الى نتائج نهائية » ... « ان قوة التدمير التي يمارسها الفدائيون لا يمكن أن تقضي عليها الغارات الجوية كما أن ضرب الفلسطينيين بالقنابل لا يحل المشكلة الفلسطينية » .

ويمكننا أن نؤكد أنه بالرغم من عنف الضربات المباشرة وتواترها فان المقاومة لم تختف من الوجود ، بل بقيت عنصرا متحركا لا يمكن تجاهله أو التغاضي عن تأثيرات ضرباته في الداخل والخارج . ويعتبر بقاؤها واستمرار فاعليتها (رغم تضاؤل هذه الفاعلية بعد خسارة الساحة الاردنية) تأكيدا لقول رئيس أركان الجيش الاسرائيلي السابق الجنرال حاييم بارليف « لا يمكن ان تنتهي الحرب ضد الارهابيين [رجال المقاومة] الا في **اطار التسوية** . ويستحيل القضاء على هذا النشاط ، انما من الممكن تحديده »(٣٣) . وهذا هو

بالضبط نفس ما تقوله المقاومة **المصممة عـلى الصراع حتى تسوية هـذه الازمـة** . والاختلاف بين بارليف والمقاومة هنا هو اختلاف في تفسير معنـى التسوية التي يراها بارليف من خلال **تثبيت قواعد الدولـة العنصرية الممتدية مع الحفـاظ على طابعهـا اليهودي ، وتصفية حق الشعب الفلسطيني ، وارضائه بشكـل او بآخر بعد اعطائه جزءا من الارض على حساب كل الحق** . على حين تراها المقاومة من خلال **تصفية البنية الاستعمارية الصهيونية العنصرية ، واعـادة الحق المغتصب الى اصحابه ، واقـامة الدولة الديموقراطية كجزء من اجزاء الوطن العربي الكبير** .

وكان الرد الاسرائيلي على صمود المقاومة أمام تصعيد الردع هو اللجوء الى « الردع غير المباشر » مع متابعة الحرب الشاملة لتحقيق « الردع المباشر » . وليست هذه هي المرة الاولى التي تلجأ فيها اسرائيل الى مثل هذا الاسلوب . فلقد استخدمته في عـام ١٩٥٥ عندما هاجمت المحطة وخزان الماء في غزة ، ونسفت مركز الشرطة في خان يونس عـلى من فيه بغية خلق حالة من الردع غـير المباشر ضد فدائيي غزة العاملين بقيادة مصطفى حـافظ ، والذين كانوا يزرعون الهلع والدمـار في النقب والجزء الجنوبي من اسرائيل . ثم استخدمته في عام ١٩٦٥ عندما ضربت عـددا من الاهداف الاردنية في جنين وقلقيلية والشونة ، وفي عام ١٩٦٦ عندما ضربت القليعـات والسموع وقريتين مجاورتين ومخفرا للشرطة الاردنية في رجم المدافع بغية دفع السلطـات الاردنية الى الحركة ضد رجال المقاومة الذين بدأ نشاطهم الفعـال داخل اسرائيل في عـام ١٩٦٥ وتصاعد في عام ١٩٦٦ . بيد ان ازديـاد نشاط المقاومة بعـد حرب ١٩٦٧ ومضاعفة فاعليتها واتساع رقعة عملياتها ووجود عدد من قواعدها ومعسكراتها داخل البلـدان العربية جعل ضربات اسرائيل الانتقامية ضد الدول العربية المحيطة بهـا أمرا متكررا مستمرا . ولم تعد هذه الضربات تجري بفترات متباعدة تفصل بينها اشهر او سنوات ، بل صارت تجري بشكل **متصاعد مستمر شبه منهجي** .

وتستند فكرة الردع الاسرائيلي غير المباشر على ان ضخامة « هدف النزاع » بالنسبة للانسان العربي الفلسطيني تجعل ردعـه صعبا ان لم يكن متعـذرا . ولا ينطبق هذا القول دائما كل الانطباق على الانسان العربي في الاقطار المضيفة التي تضم ــ أو كانت تضم ــ قواعد ومعسكرات لرجال المقاومة (سوريا ، لبنان ، الاردن) . ويعتبر الانسان العربي ولا شك أن القضية الفلسطينية واحدة من **أهم قضاياه** ، ولكنها لا تشكل قضيته **الوحيدة** . ويحاول العدو الاسرائيلي استغلال هذا الفـارق في أهمية « هدف النزاع » والافادة من بعض النزعات الاقليمية ، ويركز أعلامه على الخطر الذي يتعرض له أمن البلدان العربية ورخاؤها وحياة مواطنيها من جراء وجود قواعد مقاومة على أرضها ، مستهدفا بذلك خلق شرخ بين الانسان العربي الفلسطيني والانسان العربي في الاقطار المضيفة ، وتعميق هذا الشرخ باستمرار حتى يضـع الانسان العربي في النهاية أمـام اختيار صعب : **أمنه وحياته ، أم دعمه لاشقائه الفلسطينيين في صراعهـم المصيري** .
ويرافق هذه الحملة الدعائية التفتيتية مجموعة من التدابير الرادعة التي تبدأ بالتهديد والضغط المباشر او غير المباشر (عن طريـق السفراء المحايدين والشخصيات العالمية المرموقة المتعاطفة مع هذه الدولة العربية أو تلك) ، وتنتهي بعمليـات العنف كقصف القرى المسالمة (قصف اربد ، والسلط ، والعقبة ، وحاصبيا ، ونهر البارد ، والهامة ، وتلكلخ ، ومصياف ، ... الخ) بحجة وجود قواعد مقاومة الى جوارهـا ، وعمليات التسلل والاختطاف (اختطاف المزارعين في الغور وفي جنوب الاردن ، اختطاف الضباط السوريين الخمسة وعدد من العسكريين اللبنانيين في جنوب لبنان ، اختطاف المزارعين وسكان الجنوب) ، واجتياح مناطق الحدود (عملية الكرامة ، العرقوب الاولى في أيار ١٩٧٠ والعرقوب الثانية في شباط ١٩٧٢ ، اجتياح القطاع الاوسط في جنوب لبنان في

ايلول ۱۹۷۲ ... الخ) ، واجراء عمليات تخريب (طرود ناسفة ، اغتيالات ... الخ)، واحتلال بعض المواقع بصورة مؤقتة (غور الصافي ، جنوب الحاصباني ، منطقة العرقوب)،او الحفاظ على الوجود العسكري بقوات احتلال شبه دائم(تلة محمود المشرفة على منطقة العرقوب ، ومرتفعات الهبارية والعديسة وبعض أراضي راميا وقطمون ... الخ) . ونسف البيوت بحجة مساعدة سكانها لمنظمات المقاومة ... (يذكر زئيف شيف في هآرتس ۱۹۷۲/۱/۱۳ انه حتى ايلول من العام الماضي تم نسف ۲۰۰ منزل في القرى اللبنانية وجد فيها رجال المقاومة ملجأ لهم وقدم أصحابها مساعدة لهم) .

ويمكن اعتبار الحملة الدعائية عملا اساسيا في هذا المجال . ففي آب ۱۹۷۱ هدد موشي دايان باجتياز الحدود اللبنانية لضرب المقاومة قائلا : « ليس هناك حالة حرب بين اسرائيل ولبنان . ونحن بالتأكيد نرغب باحترام سيادة لبنان بكل دقة . الا انه عندما تسمح السلطات اللبنانية للفدائيين بالعمل ضدنا من اراضيها فليس أمامنا خيار سوى عبور الحدود »(۳٥). وفي أواخر شباط ۱۹۷۲ تلقت الحكومة اللبنانية انذارا اسرائيليا مرسلا عن طريق لجنة الهدنة وعدد من الديبلوماسيين الغربيين . ويؤكد هذا الانذار ان الاسرائيليين قرروا العمل « ضد كل تهديد مباشر او غير مباشر ضد مستوطناتهم الواقعة على الحدود »(٣٦). وفي حزيران ۱۹۷۲ حذر الجنرال دافيد اليعازر رئيس الاركان العامة لبنان من عمليات اخرى داخل حدودها اذا لم تغير سياستها . وقال « ان اسرائيل ستواصل اتخاذ كافة الخطوات اللازمة لتضمن الامن والهدوء على الحدود الشمالية »(۳۷).ولقد صرح ابا ايبان امام المؤتمر ٧٥ للمنظمة الصهيونية الامريكية « بأنه يأمل بأن تنظر الحكومة اللبنانية ايضا الى الفدائيين كخطر على وجودها »(۳۸). ولقد تصاعدت حملة التهديدات ضد لبنان والدول العربية الاخرى بعد عملية ميونيخ . وأعلن ييغال آلون امام الصحافيين : « ان اسرائيل لن تقف مكتوفة الايدي ازاء تزايد اعمال الارهاب ، وعلى الدول العربية أن تعي جيدا انه ليس بامكان اسرائيل الحفاظ على استمرار وقف اطلاق النار في الوقت الذي تصعد فيه هذه الدول معركة ارهاب غير رسمية »(۳۹). وأكدت جميع وسائل الاعلام الاسرائيلية بأن على لبنان أن يأخذ زمام المبادرة والعمل ضد رجال المقاومة والا تعرض أمنه وسيادة أراضيه للخطر . ففي يوم ١٦ أيلول ۱۹۷۲ (خلال الغزو المدرع الاسرائيلي للقطاع الاوسط في جنوب لبنان) ذكر حاييم هرتزوغ المعلق العسكري في الاذاعة الاسرائيلية بأن على الحكومة اللبنانية أن تقرر الآن « اذا كانت تريد أن تجري عمليات مشابهة لعملية اليوم ضد قواعد الارهابيين [قواعد المقاومة] الموجودة داخل البلاد » في أماكن « أعمق من الاماكن التي جرت فيها عمليات اليوم »(٤٠). ثم نشرت صحيفة دافار في اليوم التالي بأن « أمام الحكومة الخيار بين طرد المخربين [رجال المقاومة] من أراضيها أو الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها »(٤١)، وضربت الجيروزاليم بوست على الوتر نفسه بأن قالت : « لا بد من أحد أمرين ... اما أن تأخذ الحكومة على عاتقها مهمة السيطرة على الارهابيين [رجال المقاومة] ومنعهم من العودة الى أرض فتح ، واما ان يتكفل الجيش الاسرائيلي بتنفيذ هذه المهمة . وعندئذ يصبح هذا الجزء من الاراضي اللبنانية عرضة لدوريات منظمة من جانب الجيش الاسرائيلي »(٤٢). وتبرر اسرائيل تهديداتها وأعمالها العدوانية ضد الدول العربية بتحميل هذه الدول مسؤولية نشاط المقاومة . والتأكيد على انه « لولا مساعدة الدول العربية » لهذه المقاومة « في جميع المجالات لما كان بامكانها الاستمرار »(٤٣). وان الدول العربية التي يوجد داخل أراضيها قواعد للمقاومة « مسؤولة عن كل محاولة للقيام بأعمال ارهابية »(٤٤). ففي حفل تأبين قتلى ميونيخ من الرياضيين الاسرائيليين ، قال الوزير ناتان بيليد في مقبرة هرتسليا « اننا لن نعفي من المسؤولية تلك الدول العربية التي تعتبر قاعدة لعمليات ومخططات ومؤامرات المخربين [رجال المقاومة] »(٤٥). وقال الوزير يوسف الموجي في المناسبة نفسها في مقبرة حيفا :

« اننا نقول لكل تلك الدول العربية التي تساعد هذا النمو السرطاني ، هذه الدول التي تشد أزر القتلة أننا لن نعفيها من المسؤولية »(٤٦). وفي تشرين الثاني ١٩٧٢ ، وبعد ازدياد التوتر على الحدود السورية ـ الاسرائيلية وقصف الاسرائيليين لمراكز الجيش العربي السوري ورد المدفعية والطيران السوريين علـى العدوان ، كتبت صحيفـة هاتسوفيه (١٠/١١/١٩٧٢) « طالما ان المخربين [رجال المقاومة] لا ينشطون فان الحدود تبقى هادئة . ولكن عندما يمكّن الجيش السوري المخربين [رجال المقاومة] من القيام بأعمال تخريبية فانه في الواقع يكون مسؤولا عن هذه الاعمال المعادية » . وذكر المراسل العسكري روني دانيال أن غاية القصف الاسرائيلـي « هي أن نوضح للسوريين بأنهم مسؤولون عن كل عملية تخريب يقوم بها المخربون [رجال المقاومة] المنطلقون من أراضيهم »(٤٧) .

وهكذا نرى أن الضغط الاسرائيلي على الدول العربية المجاورة يستهدف ارهاب هذه الدول وتكبيدها خسائر جسيمة في الارواح ، والحـاق الاضرار باقتصادياتها (شل الزراعة في غور نهر الاردن ، والاضرار بالمواسم السياحية في لبنان) وخلق مشكلة سكانية لديها باجبار سكان المناطق المعرضة للضرب الى النزوح نحو المدن ، واستثارة الاهالي ضد الدولة العاجزة عن حمايتهم بشكل يؤدي الـى تأزم الخلافات وتصاعد الصراعات السياسية الداخلية ، وابعاد الاهالي عـن مساندة رجال المقاومة ودعمهم وايوائهم ، والتوصل في النهاية الى خلق حالة نفسية متوترة « لا يمكن للدول العربية المضيفة أن تتحملها »(٤٨) .

وينتظر الاسرائيليون أن تتوصل هذه الحالة النفسية المقرونة بالعجز العسكري **النسبي** الى ردع الدول المجاورة ردعا مباشرا يؤدي بالتالي الى التصرف بشكل يردع المقاومة . وتختلف طبيعة التصرف الذي ينتظره العدو ـ وقد ينتظره طويلا ـ باختلاف طبيعـة النظام في هذا البلد العربي أو ذاك ، ومدى ارتباطه بقضايا العروبة وقضيتها المحورية (فلسطين) ، وحجم رصيده الشعبي ، وسيطرته الداخلية ، وتماسكه وقدرته على تحمل الازمات ... الخ وهو يتراوح ما بين الضغـط المعنوي والادبـي ، وايقاف المساعدة ، والحد من العمل ، أو منعه منعا كاملا بقوة السلاح . ومـن المؤكد ان الاسرائيليين يفضلون الوصول الى منع العمل بشكل كامل ، وذلك عن طريق دفع الدول العربية الى أن تمعن التفكير « في أنه من الخير لها أن توقف العمليات الارهابية بقوتها الذاتية »(٤٩) . ولكنهم يعرفون ان الوصول الى هذه النتيجة يتطلب صعود سلم الردع بشكل محسوب . وهم يصرون في البداية على المطالبة « بايقاف التسلل عبر الحدود » ، ثم يطالبون « بابعاد القواعد عدة عشرات من الكيلومترات »(٥٠) عن الحدود ، ثم يتزايد نهمهم فيطالبون الحكومات العربية باجبار رجال المقاومة « على القاء سلاحهم أو مغادرة البلد أو الانصياع بشكل مطلق لاوامر السلطة المتعلقة بحفظ النظام والامن »(٥١) . ويصل التصعيد في بعض الحالات الى درجة مطالبة الحكومات العربية بالتحرك ضد المقاومة على الحدود وداخل المدن ، وفي كل مكان توجد فيه **قواعدهم او قياداتهم او مراكـز اعلامهم ومؤسساتهم الثقافية** .

وتقدم اسرائيل السلطة الاردنية كمثال لما ينبغي القيام به ، وهي تذكر سوريا ولبنان في كل مناسبة (رغم جميع الفروق القائمة بين نظامي هذين البلدين وعدم التشابه في رد فعلهما المتوقع على التهديد والضربات الرادعة) بأن عليهما أن يحذوا حذو النظام الاردني الذي عمل على ضرب حركة المقاومة انطلاقا « من مصلحة أردنية ذاتية . اذ كان كل هجوم على قرى الحدود الاسرائيلية يؤدي الى رد اسرائيلي ينتج عنه وقف زرع الحقول وتدفق اللاجئين من هضبة جلعد جنوبا الى عمان »(٥٢) . وتؤكد لهما أن هذا هو السبيل الى ايقاف الغارات الجوية وتهدئة مناطق الحدود وعودة الحياة الطبيعية اليها . وهذا

يعني انها تطالبهما بأن يستخدما جيشيهما لا في حراسة الحدود الاسرائيلية فحسب ، بل في قمع بوادر أي تحرك وطني وخنق كل امكانات ولادة القوى الثورية ايضا . ويجدر بنا هنا أن نذكر بأن الموقف الاردني الحالي ازاء الحركة الوطنية ، وخضوعه للردع الاسرائيلي المباشر ، وممارسته العملية في ردع حركة المقاومة ، لا يختلف كثيرا عن المواقف الاردنية السابقة . ففي تصريح لغلوب باشا لصحيفة التايمز قال قائد الفيلق العربي الاردني السابق : « بذلت خلال الاعوام الثمانية التي تسلمت فيها القيادة جهودا متكررة لضمان تعاون الحكومة الاسرائيلية في عملية منع التسلل . وقد اقترح الاردن تعاونا بوليسيا وثيقا ، واقامة اتصال تلفوني مباشر بين ضباط البوليس على جانبي الحدود ، كما عرض الاردن أن يسمح للبوليس الاسرائيلي وكلابه بتعقب آثار المخربين [رجال المقاومة] عبر الحدود داخل الاردن حيث يمكن أن يقابلهم البوليس الاردني ويساعدهم »(٥٣). وليس هناك ما يؤكد أقوال غلوب عن التعاون السابق مع العدو في الصراع ضد عمليات المقاومة سوى حديث الملك حسين مع الاسوشيتدبرس في عام ١٩٦٦ بعد العدوان الاسرائيلي على السموع والذي قال فيه : « اذا كان الارهابيون [رجال المقاومة] يتسللون عبر الحدود رغم جميع التدابير التي نتخذها فان اسرائيل تتحمل مسؤولية مساوية تتطلب منها اغلاق الجانب الخاص بها من الخط »(٥٤).

لقد نجح الردع غير المباشر ضد المقاومة في الاردن ، واستراحت اسرائيل الى حد بعيد من العمليات على جبهة عريضة . ويحاول الاسرائيليون اليوم الحصول على نتائج مشابهة بالضغط على سوريا ولبنان ، ولقد ركزوا عملياتهم في البداية بصورة خاصة على لبنان وحاولوا جاهدين ضرب قواعد المقاومة الفلسطينية والقرى المجاورة لها مع تحاشي التعرض للمخافر العسكرية اللبنانية وللسكان اللبنانيين ان امكن (خلق التناقض) ثم اتجه العمل نحو الحدود السورية بغية ضرب قواعد المقاومة بصورة خاصة . ولكن رد الفعل السوري العنيف الفوري ، واعلان السلطات السورية عن استعدادها للرد ، ورفضها للتهديد والردع دفع الاسرائيليين الى تصعيد العنف لخلق التناقض المنشود . وتمثل هذا التصعيد مؤخرا بضرب قواعد الجيش السوري نفسها . ولقد اعلن الجنرال اسحق هوفي قائد جبهة العدو الشمالية « ان الجيش الاسرائيلي تبنى سياسة جديدة تقضي بمهاجمة قواعد الجيش السوري وليس مخابىء الفدائيين العرب فقط على خط وقف اطلاق النار »(٥٥). بيد ان طبيعة النظامين السوري واللبناني ، وحجم القوى الوطنية الفعالة في هذين البلدين ، وعوامل عديدة أخرى تجعل امكانات نجاح الردع في سوريا ولبنان أقل بكثير مما يتوقعه العدو ، ولكن دون ان يكون ذلك مستحيلا .

٥ ـــ **تحقيق « الردع النشط المتدرج » عن طريق « الرد المرن »** وهذا يعني عدم الاكتفاء بالرد السلبي ، بل اللجوء الى الردع الايجابي الكامن في اعمال ذات طابع هجومي تتصاعد حدتها وفق ضرورات الموقف . وسنرى هذا الامر بالتفصيل فيما بعد عند بحث اشكال العمل وسماته .

٦ ـــ **الاعتماد على عقائد الخصم : لا يمكن للردع أن ينجح ويصل الى ذروة تاثيراته الا اذا اعتمد على عقائد الخصم وخاطب عقله بلغة يفهمها ويؤمن بها** . ولا يمكن في أي حال من الاحوال ردع العدو ذي العقيدة الهجومية بتدابير دفاعية بحتة ، كما ان الردع بالقوات الهجومية لا يكون كاملا بالنسبة لعدو دفاعي العقيدة . ولقد طبقت اسرائيل هذه القاعدة في ردع الجيوش العربية ذات العقيدة الدفاعية ، واعتمدت في فترتي ٤٨ ـــ ٥٦ و٥٦ ـــ ٦٧ على الردع ببعض الضربات الهجومية المحدودة وبالقوة الهجومية الكامنة ، مع الاعتماد بشكل واضح وأساسي على الردع بقوة الترتيبات الدفاعية (مستعمرات دفاعية تحميها الابراج والاسلاك وحقول الالغام ، وقوات احتياطية مدرعة

وجوية للهجمات المعاكسة المحلية والعامة ، ملاجيء ، حظائر من الاسمنت المسلح للطائرات ، شبكة دفاع جوي فعالة ... الخ) . ثم جاء خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة بعد حرب ١٩٦٧ تطبيقا للفكرة نفسها . ولقد ذكرت غولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل في نادي الصحافة في القدس « انها ترغب بحدود من شأنها ردع المصريين عن مهاجمة اسرائيل . واذا هوجمنا على الرغم من ذلك ، فيجب أن نستطيع الدفاع دون سقوط ضحايا »(٥٦). ويقول زئيف شيف عند بحث مسألة الدفاع : « ان الرد الدفاعي فقط من جانبنا من شأنه اقناع المصريين والروس ان الخطر الكبير هو في فشل الهجوم والعودة الى الخطوط الحالية . لذلك فان احدى مهامنا هي خلق وضع يجعل الطرف الثاني والروس خاصة يدركون بأن المخاطرة التي يتحملها المصريون والسوريون ستكون مخيفة أكثر من فشل تلقائي للهجوم . لان هذه مخاطرة لقوتهم العسكرية التي اعادوا بناءها في العام الاخير وكذلك بالنسبة لاهداف أخرى »(٥٧). ويشدد بارليف على اهمية الدفاعات بعد حرب ١٩٦٧ فيقول « ان اساليبنا هي ان نعرض انفسنا للعدو أقل قدر ممكن ، وأن ننهك العدو اكبر قدر ممكن »(٥٨).

وبعد حرب ١٩٦٧ ، وحسم الطيران للمعركة بسرعة مذهلة ، وعودة فكرة الجنرال دوهي عن «السيطرة الجوية» وقدرتها على النصر ، **واقتناع بعض القيادات العربية بان النصر مرهون بالتفوق الجوي** ، لجأت اسرائيل الى استخدام هـــذه الحالة الذهنية ، وبنت جزءا كبيرا من سياستها الردعية على التلويح بالطيران او استخدامـــه بمختلف الاشكال . اما بالنسبة لردع حركة المقاومـــة ذات العقيدة الهجوميـــة والاساليب التعرضية ، فقد عمدت اسرائيل الى تبني خطوط الاسوار والموانع ، ولكن ردعها اعتمد في الاساس على اساليب المبادرة التعرضية والهجمات البرية والجوية داخل الارض المحتلة وخارجها نظرا لتقديرها بأن هذه هي الاساليب التي تفهم قيادات المقاومة اهميتها البالغة.

قواعد العمل (« المناورة الخارجية » و« المناورة الداخلية ») عندما يفشل الردع ويعجز عن قهر ارادة الخصم يصبح من الضروري القيام بالعمل لتحقيق هدف معين او لرفع مستوى الردع من جديد . وليس العمل بالضرورة عسكريا بحتا ، ولكنه عبارة عـــن مجموعة اعمال سياسية ودبلوماسية وعسكرية تتجه نحو **« مكامن الحساسية »** عند الخصم في سبيل تشتيت قواته واضعافها وضربها . ويخضع العمل عادة لتحديدات متعددة تنجم عن الامكانات المتوفرة ، وامكانات الخصم ، والجو العام ، والردع ، ولا يمكنه الانطلاق بكل عنفه الا اذا انخفضت التحديدات السلبية الى الحد الادنى ، وغدا ميزان القوى واتجاه الراي العام ملائما الى أبعد مدى ممكن . ويبقى ميـــزان القوى ــ بمعناه الشامل المادي والمعنوي والسياسي ــ الحكم الاخير في اختيار العمل المناسب. ومن الواضح أن اسرائيل قد اختارت في مجابهاتها الرئيسية مع الدول العربية وفي فترات الازمات القصوى (١٩٥٦ و١٩٦٧) أسلوب العمل الحاسم المباشر المترافق مع عمل سياسي ودبلوماسي ودعائي كثيف ، وان التحديدات العسكرية والدبلوماسية التي تلت حرب ١٩٦٧ جعلتها تلجأ الى أسلوب الحفاظ على المكتسبات مع تسديد ضربات مستمرة مترافقة مع اعمال غير مباشرة وضغوط متنوعة بغية اجبار الدول العربية **على اعتبار الحل المتلائم مع الاهداف السياسية الاسرائيلية أمرا مقبولا وحلا وسطا ممكنا** . امـــا بالنسبة لحركة المقاومة الطامحة الى التوصل من خلال الصراع والمعاناة اليومية الى خلق الظروف الملائمة لشن حرب تحريرية طويلة الامد ، فان الرد الاسرائيلي ضدها يعتمد على تسديد ضربات متلاحقة مباشرة تكلف المقاومة والشعب الفلسطيني تضحيات باهظة ، بالاضافة الى العمل ضد المقاومة بشكل غير مباشر عن طريق ضرب الدول المضيفة والضغط عليها (كما رأينا في فترة الردع غير المباشر) .

وبالرغم من الدعم الغربي لاسرائيل ، وبالرغم من وقوف الولايات المتحدة معها بشكل

يزيد من حرية عملها في اي عدوان تشنه ، فان لهذه الحرية حدودا تحاول تل ابيب توسيعها الى ابعد حد ممكن عن طريق العمل السياسي ــ الاقتصادي ــ الديبلوماسي ــ العسكري الرامي الى اكتساب « المناورة الخارجية » قبل البدء بالعمل . ولقد كان هدف « المناورة الخارجية » الاسرائيلية دائما **تنمية ارادة اصدقائها وتدمير ارادة خصومها** عن طريق تفتيت عدوها واضعافه ، وتمتين اواصر ارتباطها مع الاصدقاء ، وجذب أصدقاء جدد من معسكر المحايدين ، وتحييد عدد من الخصوم او دفعهم نحو السلبية . ويمكننا ان نؤكد هنا بأن هذه المناورة نجحت بشكل ملحوظ منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، ثم بدأ هذا النجاح بالتناقص بعد حرب ١٩٦٧ وانفضاح الموقف الاسرائيلي المتعنت الرافض لقواعد المنطق في العلاقات الدولية بشكل يزيد توتر المنطقة ويهدد بصدام العمالقة . ولقد ساد بعد حرب ١٩٦٧ رأي يقول بأن نجاح « المناورة الخارجية » الاسرائيلية يعود الى تعاطف العالم مع هذه الدولة الصغيرة وسط البحر العربي « الراغب بابتلاعها » . كما يعود الى مهارة الدعاية الاسرائيلية وضعف الدعاية العربية واخطائها . والحقيقة ان التعاطف العاطفي والانساني ، ونشاط الدعاية بأنواعها يبقيان ــ رغم أهميتهما ــ عاملين مساعدين يؤثران على يهود العالم ، وعلى الرأي العام العالمي غير الفعال ، **وليس لهما أي أثر في الاوساط العليا التي تتخذ فيها القرارات الحاسمة المبنية على تقدير المصالح المادية والايديولوجية ، وفهم اتجاهات التطور العالمية وموازين القوى الدولية .** ولا تستفيد منهما هذه الاوساط الفعالة الحاكمة الا لصياغة المبررات الخارجية المنمقة لتصرفاتها ومواقفها المعلنة . ولا يمكننا ان نعزو نجاح « المناورة الخارجية » الاسرائيلية الا الى عاملين رئيسيين هما : قدرة اسرائيل على اقناع الدول المؤيدة لها او المحايدة بأن **مصالحها** المباشرة مرتبطة ببقاء اسرائيل ودعمها وزيادة قوتها الاقتصادية والعسكرية ، وعجز العرب عن تحقيق هذا الهدف مع الاصدقاء وعدم قدرتهم على **تهديد** مصالح الدول الامبريالية المعادية بشكل جدي .

ومن المعروف أن أهداف «المناورة الخارجية» تختلف باختلاف «صيغ العمل» (المجابهة) بين قوتين متنازعتين (أ) و (ب) . فاذا كانت المجابهة مباشرة وسريعة كان على « المناورة الخارجية » التي تقوم بها (أ) المتفوقة على (ب) والراغبة بضربها هو تأمين اكبر قسط من مساعدة (ج) أي الدول التي تنطبق مصالحها مع مصالح العمل ، مع الحفاظ على سلبية (د) بقية دول العالم . وهذا هو بالضبط ما حققته المناورة الخارجية الاسرائيلية بنجاح في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . فلقد قامت بالضربة مع الحصول على اكبر مساعدة مادية ومعنوية من (ج) ، وحسمت المعركة بسرعة قبل أن تخرج (د) من سلبيتها . أما في المجابهة المباشرة طويلة الامد ، فان على المناورة الخارجية التي تقوم بها (أ) التي لا تملك التفوق الحاسم على (ب) أن تستفيد من (ج) مع محاولة « اجتذاب »(٥٩) القسم الاكبر من (د) بغية قلب موازين القوى . وهذا هو الاسلوب الذي حاولت اسرائيل تطبيقه خلال حرب الاستنزاف دون نجاح ملحوظ . ويختلف الامر في المجابهة مع حركة المقاومة لانها مجابهة غير مباشرة تتم بين قوة قمعية متفوقة ماديا وقوة ثورية تمتلك الدافع المعنوي وتراهن على النمو عبر الصراع . واذا كان من مصلحة حركة المقاومة القيام بعمل طويل الامد (المناورة بالاعياء) وفق مبادىء الحرب التحررية طويلة الامد بغية قلب موازين القوى عن طريق النمو واكتساب اجزاء من (د) . فان من مصلحة اسرائيل شن حرب شاملة سريعة (المناورة بالافناء) بعد تحييد (د) . ولكن تحديدات العمل (القوة العربية الذاتية ، وجود عدد من قواعد المقاومة على أراضي دول عربية تحظى بدعم الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية ، ووجود عدد من هذه القواعد على أراضي دول عربية تحظى بالتعاطف الغربي . . . الخ) تمنع القوة الاسرائيلية **حتى الان** ، من شن هذه الحرب ، وتجبرها على اللجوء الى العمليات المضادة طويلة الامد (المناورة المضادة بالاعياء) التي تشكل جزءا من « الحرب

الاستعمارية طويلة الامد » . ولهذا فان « مناورتها الخـــارجية » تستهدف كسب اكبر مجموعة من (د) أو تحييدها على الاقل لزيادة هامش حرية مناورتها المضادة بالاعباء . ومن المفيد هنا أن نفهم حجم تحديدات العمـــل الاسرائيلي ضد المقـــاومة أو ضد الدول العربية المضيفة ، ونعي أبعادها ، ونرصد تحولاتها ، لان ذلك يساعدنا على فهم مسبق لاحتمالات تحول استراتيجية العمـــل الاسرائيلية ضد المقاومة عندمـــا تتعرض هـــذه التحديدات لتحولات أساسية . ان القوة العربية الذاتية (قوة مصر وسوريا وما يضاف اليها من قوى عربية داعمة) ووجود بعض قواعد المقاومة في دول تحظى بدعم الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية عاملان مهمان في تحديد عمل العدو الذي لا يرغب الان بصدام مباشر واسع مع العرب واستثارة الاتحاد السوفييتي على نطاق واسع . ولكن تبديل موازين القوى لصالحه ــ بفضل دعم امريكي مكثف يقلب هذه الموازين بشكـــل حاسم ــ والتوصل الى تجميد الردع السوفييتي عن طريق تخفيض الوجود السوفييتي في المنطقة الى أدنى حد ممكن ، او عن طريق قيام الولايات المتحدة الامريكية باتخاذ تدابير تجعل أي تدخل سوفييتي يعني تصعيـــد المجابهة الباردة بين العمالقـــة الى مستوى الصدام ، سيدفع هذا العدو الاسرائيلي الى العمل وفق مناورة الابادة (كما حصل في عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧) . اما بالنسبة لوجود قواعد للمقاومة على اراض عربية تحظى بالتعاطف الغربي (المبني على مصالح الغرب المادية والثقافية والمعنوية) فهو أمر بالغ الاهمية ولقد أشار العقيد الاحتياطي والباحث العسكري مئير بعيل خلال احداث معركة العرقوب الثانية (شباط ١٩٧٢) عن التحديدات الغربية للعمل الاسرائيلي ضد قواعد حركة المقاومة في لبنان . وقال بأن أفضل الاساليب لوضع حد لنشاط المقاومة في أرض فتح هو الاحتلال أو السيطرة « ولكن المعضلة ان هذه هي لبنان ، ولبنـــان دولة ذات اتجاه غربي تتمتع بعطف فرنسا والولايات المتحدة . ولهما فيها مصالح . ان ضربـــات قاسية ضد مثل هذه الدولة ، وان احتلالا مستمرا وطويلا لاراضي جنوب لبنان سيؤديان بصورة تلقائية الى ضغوط كبيرة من جانب فرنسا طبعا ، والاخطر من جانب الولايـــات المتحدة ، والمعضلة هنا في رايي أصعب كثيرا »(٦٠). وذكرت المصادر الفرنسيـــة بعد عدوان ١٦ ايلول ١٩٧٢ على جنوب لبنان أن السفير الاسرائيلي بن ناتان دعي الى وزارة الخارجية الفرنسية لاخطاره « بأن فرنسا لا تستطيع ان تبقى لا مبالية ازاء أية عملية من شأنها انتهاك حرمة السيادة اللبنانية »(٦١) ونسب مراسل صحيفة يديعوت أحرونوت في واشنطن لمصادر امريكية قولها بعد العدوان نفسه « ان الولايات المتحدة تعتبر تغلغل القوات الاسرائيلية العميق في الاراضي اللبنانية خلال الاسبوع الماضي بمثابة رد فعل مبالغ فيه كثيرا لعمليات المقاومة الفلسطينية »(٦٢) ثم ذكرت وكالة رويتر في ٧٢/١٠/١٦ وبعد القصف الجوي ضد عدد من القرى في لبنان وسوريا بأن « الولايات المتحدة اظهرت قلقها » ازاء هذه الغارات وأن « هذه أول مرة تظهر فيها الولايات المتحدة مثل هذا القلق منذ عملية ميونيخ »(٦٣) كما ذكرت الوكالة نفسها أن وزارة الخارجية البريطانية أعلنت على لسان الناطق بلسانها في مؤتمره الصحفي اليومي : « ان حكومة صاحبة الجلالة قلقة ازاء لجوء اسرائيل الى أعمال عسكرية ضد لبنان وسوريا . وترى حكومة صاحبة الجلالة أن هذا لا يخدم قضية تسوية نهائية للصراع العربي ــ الاسرائيلي »(٦٤). ولقد كررت وسائل الاعلام الاسرائيلية اكثر من مرة أن هذا العامل المحدد يشكل واحـــدا من اهم « القيود السياسية » التي تمنع الجيش الاسرائيلي من ضرب قواعد حركة المقاومة في الخارج(٦٥)، وأشارت اليه صحيفة شعاريم عندما قالت « بأن على اسرائيل الاكتفاء بأعمال الدوريات في أرض فتح مع الحفاظ على الاستقرار في المنطقة لان زيـــادة التوتر على الحدود من المحتمل ان يضر بعلاقاتنا الطيبة مع الولايات المتحدة »(٦٦) ولكن هذه الاقوال كلها لا يمكن أن تخفي حقيقة عدم ثبات **هذا العامل المرتبط بوضع سياسي سريع التبدل يمكن انقلابه بمجرد انقلاب اتجاهات المصالح أو تبدل قيم أوزانها النسبية .**

ولا يعتبر كسب « المناورة الخارجية » نهاية لاعداد الجو الملائم للعمل وتوسيع حقل حريته . اذ لا بد من اعداد الاداة المستعدة لهذا العمل والمؤمنة به . و « من المؤكد أن سهولة العمل تتزايد عندما يتم العمل حسب اتجاه القوى الكبرى المتحكمة بتطور المجتمعات »(٦٧) **سواء كان هذا الاتجاه صحيحا أو موهوما خلقته الدعاية الديماغوجية الطويلة بعملية « غسل دماغ جماعية »** ، وبنت عليه عقائد ديناميكية فعالة (النازية ، الفاشية ، الصهيونية) . وتختلف دوافع العمل عند القيادات عن دوافع العمل عند الشعب . وتعتمد القيادات في قراراتها على حسابات طويلة تدخل العوامل المادية والعوامل الذاتية في الحسبان بصورة عقلانية . ولكنها تدفع جماهير شعبها الى العمل، وتؤمن تلاحم جيشها وشعبها وصلابتهما بدوافع وقوى أخرى نابعة من الاهواء كالاخلاص للطائفة أو العشيرة أو الامة أو الدين أو الايديولوجية ... الخ .

ولقد أمنت السلطات الاسرائيلية القسم المادي من « المناورة الداخلية » عن طريق اعداد اقتصاد البلاد وتنمية القوة العسكرية وتجهيزها بالمعدات اللازمة للصراع . كما أمنت القسم المعنوي بخلق المجتمع المتلاحم المتحفز للحرب . وساعدت الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية على تدعيم هذا التلاحم بشكل ملحوظ ، وحققت ما يسميه لودندورف بـ « التماسك السحري » أمام الخطر الخارجي رغم كل الخلافات الداخلية الممكنة ، معتمدة في ذلك على التعصب الديني ومجموعة من الاساطير مثل « العودة الى أرض الاجداد » و « التعرض لخطر الابادة » ، و « عدالة الحرب الدفاعية الوقائية » بالاضافة الى التخويف الدائم من الهزيمة والعودة الى حياة التشرد في كل بقاع الارض ، وما يرافق ذلك من تعذيب وارهاب و « بوغرومات » وأفران ابادة . وبالاضافة الى الدعاية المكثفة ، استخدم الزعماء الاسرائيليون عمليات العنف والانتقام ضد العرب لزيادة التلاحم الداخلي . ويذكر الدكتوران شلومو أهروتسون ودان هورفيتش من دائرة العلوم السياسية في الجامعة العبرية في دراسة نشرتها مجلة **الدولة والحكم** « أن عمليات الانتقام كانت بمثابة بديل للحرب . واستطاعت اسرائيل بواسطتها أن تعيش تحت ضغط النزاع مع العرب دون الاندفاع الى حرب دائمة » كما انها « شجعت تنمية الوفاق الاجتماعي العام في اسرائيل ، وطورت التماثل مع الدولة ، وساعدت على التماسك الاجتماعي »(٦٨). وهذا ما يفسر وقوف سكان اسرائيل باسرهم — باستثناء قلة يسارية تقدمية — مع سياسة دولتهم العدوانية التوسعية ، ومع كل تصرفات هذه الدولة بما في ذلك عملياتها الارهابية وتدابيرها القمعية ضد المدنيين من العرب(٦٩). الامر الذي يعني على الصعيد الاستراتيجي زيادة حرية عمل القيادات الاسرائيلية الى حدودها القصوى .

سمات العمل الاسرائيلي : تستغل اسرائيل الظروف الملائمة لها للبدء بالعمل . ويتسم عملها ضد القوات العربية النظامية ، وضد حركة المقاومة بسمات نابعة من وضع اسرائيل الاستراتيجي ، وطبيعة القوى المعنوية التي تحرك قواتها المسلحة ، وحقيقة مهمتها القمعية في قلب الوطن العربي . ويمكن تلخيص هذه السمات بما يلي : ١) المبادرة الهجومية ، ٢) الرد المرن ، ٣) الرد الاعنف ، ٤) الرد المتواصل .

١ — **المبادرة الهجومية** : ترتكز الاستراتيجية الاسرائيلية الدفاعية — الهجومية في الاساس على الهجوم . وهي تمارس الهجوم على نطاق واسع عندما تستهدف تدمير القوات العربية أو احتلال أراض جديدة ، كما تمارسه على نطاق محدود خلال فترات الدفاع الديناميكي التي تلجأ اليها للحفاظ على المكاسب المحققة . وتنبثق هذه « المبادرة الهجومية » من عمل القوات الاسرائيلية المسلحة لتحقيق هدف الاستراتيجية الاسرائيلية الاساسي : **التوسع والامن** اذ أن **التوسع** بحاجة لهجوم يدمر قوات الخصم ويحتل أراضيه ، **والامن** بمفهومه الايجابي يعني درء الخطر قبل وقوعه وذلك عن طريق تدمير

مكامن الخطر بضربات وقائية تتسم بمبادرات هجومية تعيد الى الاذهان ــ حسب تعبير صحيفة « ديلي وورلد » الشيوعية الامريكية ــ « **الضربات الوقائية للجيش الهتلري** . كما انها تعيد الى الاذهان . . . ما سمي **رد الفعل الدفاعي** الذي حاولت الولايات المتحدة أن تبرر به عمليات القصف في الهند الصينية »(٧٠). ولقد طبقت اسرائيل مبدأ « المبادرة الهجومية » ضد الجيوش العربية فحققت بذلك مكاسب كبيرة على الصعيدين المادي والمعنوي . كما طبقت المبدأ نفسه ضد حركة المقاومة ، فكانت تدابيرها ضد خلايا الداخل هجومية بحتة ، ومزجت الهجوم والدفاع خلال صراعها ضد قواعد الخارج مع الحفاظ على روح المبادرة الهجومية كعنصر اساسي من عناصر الصراع . **واذا كانت « المبادرات الهجومية » الاسرائيلية ضد الجيوش العربية تصطدم بواقع دفاعي ، فان هذه المبادرات ضد حركة المقاومة تصطدم بواقع هجومي في الاساس** (ضمن اطار دفاع استراتيجي غير مباشر) . وبالرغم من اختلاف وسائل المقاومة وأساليبها وقواها عن اساليب العدو ووسائله وحجم قواه فان جوهر الصراع بينهما عبارة عن صدام بين مبادرتين هجوميتين : احداهما « مبادرة هجومية تحريرية » والثانية « مبادرة هجومية قمعية » . وتتجسد « المبادرة الهجومية » الاسرائيلية ضد الجيوش العربية بمبدأ « الهجوم المضاد الاجهاضي » (الوقائي) ، كما تتجسد خلال العمل ضد المقاومة بمبادرات ضرب جميع الاهداف (قواعد ــ معسكرات ــ اشخاص ــ مراكز اعلام) داخل الحدود وخارجها . ويشمل تعبير « خارج الحدود » هنا كل مكان يقع خارج الاراضي المحتلة . ولقد أذاعت محطة الاذاعة الاسرائيلية نقلا عن دافار (٧٢/٩/٧) « أن الحرب الدفاعية مهمة ولكنها ليست كافية . وان التحول سيطرأ عندما تأخذ اسرائيل زمام المبادرة لتصفية المخربين [رجال المقاومة] في كل مكان يوجدون فيه » . ونقلت محطة الاذاعة نفسها نقلا عن هآرتس (١٩٧٢/٩/١١) « ان علينا ان نركز جهودنا للقضاء على الوباء من خلال المبادرة الى ضرب المخربين [رجال المقاومة] في كل مكان » .

وقد تلاقي فكرة ضرب المقاومة خارج الاراضي العربية معارضة بعض العناصر التي تخشى أن يؤثر ذلك على علاقات اسرائيل بدول العالم . ولكن الضرب داخل الدول العربية أمر مقبول في معظم الاوساط الاسرائيلية . ففي ندوة مع الاذاعة الاسرائيلية تحدث العقيد الاحتياطي مئير بعيل بهذا الصدد قائلا : « بالنسبة للدول العربية فالامر واضح . ان الدول العربية هي دول معادية . واقامة حركات سرية تعمل ضدها يعتبر أمرا مشروعا . ولكن الامر صعب بالنسبة للدول الصديقة لاسرائيل ، أو على الاقل الدول التي تتخذ موقفا محايدا »(٧١). وتطبق اسرائيل عند اجتياز حدود الدول العربية المجاورة النظرية الاستعمارية التي لا تعترف **بالحدود السياسية** بين الدول ، وتستعيض عنها **بالحدود الايديولوجية** أي الحدود التي تقف عندها القوات المعادية لها ، أو **بحدود مدى عمل القوة** ، أي الحدود التي تستطيع القوة القمعية الوصول اليها رغم تحديدات العمل المختلفة . لذا فهي تطارد رجال المقاومة عند انسحابهم من الاراضي المحتلة الى الاراضي العربية المجاورة ، وتقوم دورياتها بعمليات الحراسة العميقة داخل الاراضي العربية ــ في لبنان حاليا وفي الاردن حتى عام ١٩٧٠ ــ وتشن قواتها البرية أو المحمولة جوا الاغارات على قواعد المقاومة حيثما كانت ، كما تقوم مدفعيتها وقواتها الجوية بقصف هذه القواعد في عمق البلدان العربية . وتحاول تحقيق المفاجأة في كل هذه الهجمات عن طريق الافادة من حرية العمل في الزمان والمكان واختيار الاسلوب . ويذكر المراقب السوفييتي ايغور اورلوف تصريحا يقول فيه الجنرال دافيد اليعازار « نحن احرار في شن الهجمات في الوقت الذي نراه ، وعلى المكان الذي نختاره ، وبالسبل التي تروق لنا »(٧٢). ولا يخفي المسؤولون الاسرائيليون نواياهم حول خرق الحدود . ففي حديث أذيع من التلفزيون الاسرائيلي في ٤ آذار ١٩٧٢ ونقلته دافار في اليوم التالي

تحدث وزير الدفاع الاسرائيلي موشيه دايان عن الرد على نشاط المقاومة من لبنان فقال « اننا لا نستبعد امكان اجتياز وحداتنا الحدود اذا اقتضى الامر للدفاع عن مواطني اسرائيل »(٧٣) وفي ٢٧ حزيران ١٩٧٢ زار دايان كريات شمونة وتحدث عن مسائل الامن بقوله « واذا كنت اتفهم السياسة الامنية جيدا فان جهودنا بالنسبة للفترة القادمة يجب أن تتركز على ردعهم [رجال المقاومة] عنمزاولة نشاطهم في الجانب الاخر أكثر من تركيزها على الدفاع عن منطقتنا بواسطة الجلوس والانتظار في الملاجىء »(٧٤). ثم اطلق في ١١ تموز من السنة نفسها تصريحا أكد فيه على أن الجيش الاسرائيلي سيضرب المقاومة « داخل الاراضي اللبنانية »(٧٥). ونقلت صحيفة المجاهد الجزائرية (٢ تموز ١٩٧٢) على لسان غولدا مايير قولها بضرورة « ملاحقة المقاومة وحماية حدودها [حدود اسرائيل] ما دامت السلطات اللبنانية غير قادرة على ذلك » كما نقلت على لسان رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال اليعازر تصريحه الذي قال فيه « ان مناطق الجنوب اللبنانية اصبحت مناطق محرمة لا تخضع لسلطة لبنان . ولنا الحق في اقتحامها وملاحقة الفدائيين فيها » وتذكر صحيفة دافار (١٩٧٢/٩/٢١) ان الدوائر المسؤولة في القدس صرحت « بأنه اذا عاد الارهابيون [رجال المقاومة] الى قواعدهم في لبنان بموافقة الحكومة اللبنانية فان اسرائيل ستضطر الى أن تبعث الى المنطقة بوحدات عسكرية للقيام بعمليات تمشيط وعمليات بوليسية ذات طابع دائم » وتحدد دافار منطقة الجنوب بانها « تمتد من الحدود الاسرائيلية حتى نهر الليطاني الذي يفصل جنوب لبنان عمليا عن باقي البلاد » . وفي هذا التصريح تحديد واضح لنوايا المبادرة الهجومية وحجمها ومنطقة عملها وطبيعة القوات المشتركة فيها . وهو لا يختلف في جوهره عن تصريحات القادة الامريكيين الخاصة بضرورة قصف المنشآت والمراكز الحيوية في فيتنام الشمالية ، ومطاردة رجال جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية (الفييتكونغ) برا وجوا عند اجتيازهم الحدود الفيتنامية — اللاووسية ، أو الفيتنامية — الكامبودية .

٢ — **الرد المرن** : لا تلجأ اسرائيل الى العمل الا بعد ان تضمن ربح المناورتين الداخلية والخارجية . ويكون عملها واسع النطاق اذا أمنت لها هاتان المناورتان حرية العمل القصوى . ويبقى نشاطها محدودا داخل هامش معين لا يحدد عرضه سوى حرية العمل التي تم الوصول اليها . وبما أن هذه الحرية أمر **قابل للتبدل** وفق تبدل **عدد كبير** من المتحولات فان **الهامش الذي يمكن لاسرائيل ان تمارس نشاطها فيه هامش مرن يضيق ويتسع بشكل مستمر** . وهذا ما يجعل عملها مبنيا على مبدأ « الرد المرن » أي الرد بتوجيه الضربات بحدة واتساع يختلفان باختلاف طبيعة الهدف ، وحجمه ، والاثر المطلوب تحقيقه ، والرغبة بالتصعيد والقدرة عليه ، دون التقيد باطار رد محدود جامد يسهل كشفه بتكراره ، أو يستنزف من الامكانات ما لا تتطلبه عملية الرد ، او يستثير ردود فعل لا تسمح بها تحديدات العمل . وتتراوح الاهداف السياسية للرد الاسرائيلي المرن ضد الجيوش العربية بين الحصول على **السلم والامن** (أي استسلام العرب الكامل) ، أو تحقيق مكاسب محلية يمكن الاحتفاظ بها أو المساومة عليها (هدف محدود)، أو تسديد ضربات اجهاضية تستنزف قوى العرب المادية والمعنوية . وتحدد اسرائيل اهداف ردها العسكري بشكل يتلاءم مع الهدف السياسي المنشود في لحظة معينة . ويكون هذا الهدف متناسبا مع **مكامن الحساسية** في الدول العربية وضرورات **الموقف** . وهو يتراوح بين تدمير القوات العسكرية العربية تدميرا كاملا لتجريد الامة من درعها وشل ارادتها (١٩٥٦ و ١٩٦٧) أو احتلال مواقع استراتيجية مهمة والبقاء فيها (فترة ١٩٤٨ — ٤٩ ، شرم الشيخ ، جنوب لبنان) ، أو ابادة جزئية للقوات العسكرية على الحدود (الاعتداءات الاسرائيلية على مختلف الجبهات العربية منذ حرب ١٩٤٨ حتى اليوم) ، أو ضرب الاهداف العسكرية وراء الحدود (عملية القطيفة ، وقصف معسكرات الجيش المصري ، وقصف تجمعات الجيش العراقي في الاردن وكلها بعد عام ١٩٦٧) ،

او شل القدرة العسكرية عن طريق ضرب المدنيين والاهداف الاقتصادية الحيوية على الحدود (مدن القناة ، ومنشآت البترول في السويس) ثم الانتقال بعد ذلك لضرب أهداف مماثلة بالعمق (مصنع ابي زعبل ، مدرسة بحر البقر ، نجع حمادي ... الخ) . والوسائل التقنية لتحقيق مثل هذه الاهداف العسكرية هي: الهجمات الشاملة التقليدية، والاغارات البرية ، والاغارات بالقوات المحمولة جوا ، والاغارات بالقوات البرمائية والضفادع البشرية ، وعمليات التخريب عن طريق العملاء والمتسللين .

وتعتبر عمليات التخريب نوعا من الصراع الخفي الذي لا يعلن عنه دائما ، وتأتي الاغارات البرية كأبسط انواع الرد المرن واكثرها بدائية . ولقد استخدمتها اسرائيل ضد الجيوش العربية مرات متعددة قبل الحصول على التفوق الجوي الساحق ، ثم تأتي الاغارات بالقوات المحمولة جوا والقوات البرمائية في درجة أعلى على سلم التصعيد في الرد المرن . ومن المعروف ان اسرائيل لم تستخدم القوات البرمائية على نطاق واسع الا في عملية خليج السويس ، اما استعمالها للقوات المحمولة جوا فهو اكثر تكرارا بفضل ما تملكه من تفوق جوي . واذا اعتبرنا الهجمات الشاملة التقليدية (الحرب) أعلى درجات التصعيد وجدنا أن استخدام الطيران يأتي بعده باشرة . ومن المعروف ان اسرائيل لم تستخدم هذا السلاح في حوادث الحدود قبل عام ١٩٦٤ الا مرة واحدة في عام ١٩٥١ عندما قتلت القوات السورية سبعة من رجال الشرطة الاسرائيليين . ويذكر كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** أن بن غوريون كان يرفض استخدام هذا السلاح « وكان احساسه انه بذلك يزيد من حدة حوادث الحدود . وان الدول العظمى لن تصمت ازاء هذا العمل العسكري المتطرف . وان من الاحسن ان يكون الرد بواسطة وحدات الاغارة وتجنب التصعيد عن طريق استعمال الطائرات »(٧٦). ثم يذكر الكتاب نفسه كيف طلب رئيس الاركان العامة آنذاك الجنرال اسحاق رابين استخدام الطيران للرد على قصف دان ودفنه في تشرين الثاني ١٩٦٤ ، وكيف وافق رئيس الوزراء ووزير الدفاع ليفي اشكول على ذلك « وقد مر استعمال الطائرات بصمت . ولم يهتز الرأي العام » ... « وكانت هذه هي العملية الاولى في سلسلة العمليات الجوية التي سبقت حرب الايام الستة »(٧٧). ثم تصاعد استخدام الطيران بعد ذلك حتى حرب ١٩٦٧ وهذا دليل على أن تحديدات العمل لم تكن كما يذكر الكتاب المذكور آنفا مقتصرة على التردد أمام الرأي العام العالمي بل كانت متعلقة ايضا بالخوف من رد العرب على القصف الجوي بقصف جوي في فترة عدم وجود التفوق الجوي الساحق . وانعدام هذا الخوف بعد أن قفز سلاح الطيران الاسرائيلي بمساعدة فرنسا الى مستواه المتقدم . وفي الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٢ استخدم الاسرائيليون سلاحهم الجوي على أوسع نطاق وخاصة خلال فترة حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية . ولقد وجهوا ضرباتهم ضد الاهداف العسكرية (دفاعات ، قواعد صواريخ ، تجمعات) وضد الاهداف المدنية والاقتصادية على القناة وبالعمق. وكان قصف الاهداف المدنية والعسكرية بالعمق أعلى درجة تصعيد وصل اليها ردهم المرن قبل اسبوع تساقط الطائرات الذي أدى الى مشروع روجرز وتوقف اطلاق النار . ويؤكد كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ان تل ابيب كانت تعتقد انه يمكن « بعمليات القصف البعيدة المدى ... تحقيق الكثير مع عدم المخاطرة اكثر من اللازم . ان هذه العملية لا تستوجب حربا شاملة ولا كذلك عبور قناة السويس . ان هذه العملية هي توسيع وتعميق لعمليات موجودة دون احتلال مناطق ، ودون ابادة قوات كبيرة »(٧٨). وكان موشى دايان قد صرح منذ صيف ١٩٦٨ باحتمالات ضرب الاهداف المدنية لقهر ارادة الصمود المصرية عندما قال « اذا اردنا واذا احتجنا لذلك يمكننا ان نجعلهم ينهارون عن طريق السكان المدنيين ... ان المسافة اليوم حتى القاهرة مائة كيلومتر . وهذه مسألة في متناول ايدينا . وكوننا في سيناء يمكننا من القيام

بارهاب في المدن العربية اذا راينا ضرورة لذلك »(٧٩). ولا يمكن تفسير هذه المغالاة في استخدام الطيران الاسرائيلي خلال تصعيد الرد المرن الا باحساس الاسرائيليين بتفوقهم الجوي بعد حصولهم على اعداد وفيرة من الطائرات المتطورة ، وشبكات الدفاع الجوي الصاروخية .

وتتجلى مرونة الرد الاسرائيلي في العمل ايضا ضد المقاومة الفلسطينية . ويذكر الجنرال ييغال آلون في كتابه **الستار الرملي** في معرض الحديث عن الرد على المقاومة بأن على الجيش الاسرائيلي أن يلجأ الى « ضم سليم لوسائل الامن السلبية والايجابية **طبقا لظروف المكان المناسب** »(٨٠). وان يستخدم الرد الدفاعي والحواجز والدوريات ... الخ « وبالاضافة الى ذلك فمن الواجب أيضا ان تستغل اسرائيل حقها التقليدي [!] وقدرتها التنفيذية للعمل والردع ايضا خلف خطوط وقف القتال ، سواء أكان ذلك بطلقات صغيرة ام بضربات ثقيلة ، وذلك طبقا للظروف والضرورات . فالتعقب والمتابعة والتصرف **حسب الظروف بانسياب ومرونة** في اسلوب العمل من شأنه في نهاية الامر ان يقلص من عمليات العدو »(٨١). ومن الطبيعي ان تختلف الاعمال الموجهة الى المقاومة عن الاعمال الموجهة الى الجيوش العربية نظرا لان طبيعة العمل وتأثيراته الفعلية والردعية (المادية والمعنوية) تختلف باختلاف المجتمعات التي تتعرض اليه ، **ومكامن حساسيتها** ، وطبيعة قواها المقاتلة ، وحجم تعبئتها المعنوية ، وضخامة أهدافها الاقتصادية والبشرية وامكانية تعرضها . فكلما زاد تعقيد المجتمع ازداد حجم الاهداف التي يمكن ضربها ، وتصاعدت امكانية الاختيار في « الرد المرن » . وتضاعفت تأثيرات هذا الرد المادية والردعية . ومن الملاحظ ان الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني حاليا ، وطبيعة قوات المقاومة واماكن توزعها تجبر اسرائيل على التوجه « بردها المرن » نحو الاهداف العسكرية ، والمراكز الاعلامية والسياسية ، والشخصيات الهامة في حركة المقاومة . ويدفعها الى القيام بالحرب السرية التخريبية على نطاق واسع ، واستخدام اساليب الخطف وأخذ الرهائن ، بالاضافة الى الضربات العسكرية البرية التقليدية ، وعمليات الاغارة بالقوات المحمولة جوا وعمليات القصف الجوي . ولم تستطع اسرائيل حتى الان تحقيق جميع أغراضها ضد حركة المقاومة عن طريق الحرب السرية او العمل البري المباشر . نظرا لان أساليب المقاومة القتالية ، واطرها التنظيمية ، واستخدامها لتكتيكات الكر والفر ، وتبعثر قواعدها ومعسكراتها ... الخ وعددا آخر من تحديدات العمل التي ذكرناها آنفا منعت التدخلات البرية من الوصول الى نتائجها المرجوة . ولهذا استخدم العدو التدخلات الجوية التي أعطت عملياته مستوى عميقا **متميزا** قليل التكاليف نسبيا ، وكبدت المقاومة عددا من الخسائر ، دون ان تتوصل الى تحقيق « الردع المباشر » ، وان كانت — كما رأينا من قبل — سببا من اسباب « الردع غير المباشر » . ويمكننا ان نتصور قيام المخططين العسكريين الاسرائيليين في المستقبل (في حالة ضمان حياد الرأي العام العالمي) بتصعيد « الرد المرن » على حركة المقاومة الى مستوى ضرب « الرهينة » الفلسطينية الوحيدة **الكبيرة والحساسة** بآن واحد (مخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان) وخاصة بعد أن أعلنت الاوساط الاسرائيلية (حسبما ذكرت صحيفة النهار ، ١٩٧٢/٩/١٧) بأن هذه المخيمات هي « مراكز تجميع الاعضاء الجدد في المنظمات الفدائية وتدريبهم . وفي هذه المخيمات مستودعات ذخيرة . ومن هذه المخيمات ينطلق الفدائيون للقيام بعمليات ضد اسرائيل وضد المصالح والشخصيات الاسرائيلية في الخارج . »

٣ — الرد الاعنف

العنف سمة من سمات الحرب التي يعرفها كلاوزفيتز في كتابه « في الحرب » بأنها « العنف المدفوع الى حده الاقصى » . ولا يمكن الاخذ على خصم من الخصوم استخدام

العنف في الحرب لان هذا الاستخدام نابع من طبيعة الاشياء . ومن الخطأ التنديد بأية استراتيجية عسكرية لاستخدامها العنف لان هذا العنف يأخذ في لحظة الصدام اهمية اساسية لا غنى عنها خاصة وانه لا يمكن الرد على عدو عنيف بتدابير سلمية او بنصف تدابير . واذا كنا ندين العنف الاسرائيلي أو أي عنف عنصري استعماري فان هذه الادانة لا تشمل فكرة العنف نفسها — فهناك عنف شرعي تحريري — ولكنها تشمل الاهداف الكامنة وراء العنف القمعي الاستعبادي . ولا يستهدف حديثنا هنا بحث مسألة العنف الاسرائيلي ، بل بحث مسألة الرد الاعنف أي بحث تقنية معينة يستخدمها العدو في الرد خلال العمل .

تعمل القوات الاسرائيلية دائما على تصعيد العنف ، وترد على كل ضربة تسددها لها القوات العربية النظامية او قوات المقاومة بضربة أعنف تستهدف ازالة الاثر المعنوي الجيد الذي تتركه الضربة العربيـــة بين صفوف الجماهير العـــربية ، ورفع معنويات يهود العالم والاسرائيليين في الاراضي المحتلة . وتحاول مخططات العدوان المعادية دائما انزال اكبر خسارة بالقوة العسكرية العربية لتحقيق **الردع المادي** مع الحاق خسائر جسيمة بالسكان المدنيين لتحقيق **الردع المعنوي** ، وشل القيادات ومنعها من متابعة التخطيط لعمليات قد يدفع الاهالـــي المسالمون ثمنها غاليا . ومـــن أهم مبادىء الرد الاسرائيلي الاعنف **هو أن تكون له الضربة الاخيرة عند توالـــي الضربات والضربات المعاكسة** . ويعتمد العدو في تحقيق ذلك على قدرته على التصعيد ورغبته به ، وعدم رغبة القوات العربية بالتصعيد او عدم قدرتها عليه .

ويدل سجل حوادث الحدود العربية — الاسرائيلية منـــذ بدء الصراع حتى اليوم ، ان العدو كان يرد على كل عملية تشنها المقاومة الفلسطينية والقوات العربية النظامية بعملية كبيرة تتجاوز ابعاد العملية العربية . ويذكر الصحفي شبتاي طيفت : « كـــان الكثيرون عندنا يريدون ان يروا أعمال انتقام ارهابية . ويعتقـــد الكثيرون ان هذه هي الطريقة الوحيدة لمحاربة الارهاب العربي »(٨٢) . ويفسر المنظرون الاسرائيليون ذلك بأنه عبارة عن سياسة « السن بالسن » التي تطورت بعد ذلك الى تكديس حساب عدة عمليات وتسديده بعملية انتقامية واسعة النطاق وصفها ليفي أشكول بقوله : « لا يجب أن نتصرف دائما طبقا لسياسة السن بالسن ، فمن الممكن ايضا ان تكون هناك مجموعة من الاسنان بدلا من سن واحدة »(٨٣) . ويقول زئيف شيف عن عمليات الانتقام ضد العرب « ان العقاب لا يكفي بل يجب تحديد ثمن مضاعف او اكثر لكل عملية اضرار بنا »(٨٤) . وهذا ما عبر عنه دايان منذ البداية بـــ « تحديد ثمن باهظ لدمائنا »(٨٥) .

وبالرغم من رغبة العدو الدائمة بتسديد الضربة الاعنف ، فان مخططاته لا تتجاهل كليا التحديدات المحلية والعالمية للعمل . ففي خلال حـــرب آلاستنزاف ، وبعد أن قـــرر الاسرائيليون تسديد ضربة أعنف للمصريين في العمق رأوا — حسب ما يذكر كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** — « أنه يجب تجنب أن تصيب الضربات الاسرائيلية العرب اصابة بالغة حتى لا يجد الروس انفسهم دون خيار أمـــام ضرورة ان يخفوا لنجدتهم »(٨٦) . ويذكر الكتاب نفسه أن من التحديدات التي حسب الاسرائيليون حسابها قبل تسديد ضربة جوية عنيفة للرد على عمليات الكوماندوس المصرية في تموز ١٩٦٩ : تحديدات ثلاثة هي : الرغبة بادخار الطائرات الاسرائيلية القليلة لمرحلـــة الصدام ، والخوف من أن يرد المصريون بطيرانهم الذي زادت قوته ، والخوف من رد فعل سوفييتي عنيف . وان هذه التحديدات لم تمنعهم رغم ذلك من قصف القطاع الشمالي بعنف في ٢٠ و٢٢ تموز بشكل صعد العمليات على الجبهة وزاد حدة التوتر . ولما سئل الجنرال عيزر وايزمان عن سر هـــذا التصرف رد بقوله : « لقد كان هـــذا التصعيد لمنـــع التصعيد »(٨٧) .

٤ ــ الرد المتواصل

ان حجم « هدف النزاع » واهميته وحيويته بالنسبة للانسان العربي عامة والعربي الفلسطيني خاصة ، واستمرار وجود « سبب النزاع » يضعفان آثار الضربات مهما بلغ عنفها واشتدت حدة شراستها . لذا يحاول العدو الاسرائيلي تسديد الضربات بشكل متواصل مستمر للوصول الى درجة معينة ثابتة من الردع مطبقا بذلك قاعدة عسكرية اساسية تقول بضرورة « ترتيب تتابع الجهود بشكل يجعل تأثيراتها متلاقية في الزمان والمكان »(٨٨) الامر الذي يؤدي في النهاية الى التقاء الجهود وتلاحمها ووحدتها وتأمين « اقتصاد القوى » . ولقد كان الرد المتواصل قبل حرب ١٩٦٧ يكتفي بتسديد الضربات على فترات متعاقبة لتصفية حسابات متراكمة . ولكن تصاعد حركة المقاومة بعد هذه الحرب وازدياد فاعلية عملياتها في الداخل والخارج، واندلاع حرب الاستنزاف على القناة جعل الاسرائيليين يلجأون الى « السياسة الجديدة » أي الرد المتواصل بتواتر كبير ، المتمثل بالعمل ضد جبهة القناة بلا انقطاع ، واعتبار القتال ضد رجال المقاومة « كسياسة مستمرة لا كمجرد رد فعل على عمليات يقومون بها »(٨٩). وتقول جيروزاليم بوست « ان الفترة السابقة التي تميزت بالقيام بالرد على كل عملية تخريبية كانت تصلح لتلك الفترة حيث كانت أعمال المخربين [رجال المقاومة] غير منظمة كما هو الحال الان. ولكن لم يعد معقولا الان ان لا نعمل ضدهم الا في الوقت الذي يتوقعونه »(٩٠). وتؤكد هآرتس ــ بعد قصف القرى السورية واللبنانية في ايلول ١٩٧٢ ــ ان « الرد مهما كان قاسيا فانه لن يكون كافيا لمنع تكرار الاعمال الخطيرة الا اذا كانمستمرا ومتواصلا»(٩١). وهكذا تعلن كل وسائل الاعلام الاسرائيلية بأن الرد على الضربات العربية سيكون بضربات مستمرة « لا يمكن ان تظل عرضية او متقطعة »(٩٢) ولا بد كما يقول الجنرال دايان من « ان تتم على مراحل »(٩٣).

* * *

وهكذا نرى أن العمل والردع الاسرائيليين يسيران بشكل منسق متواتر متعاقب متصاعد يصل في بعض الاحيان الى التلويح الخفي بالسلاح الذري والكيميائي بغية التأثير على ارادة الصمود العربية وقهرها . ولا يمكن تحديد نجاح العدو في « عمله وردعه » الا من خلال مقياس واحد : هو مستوى صلابة **الارادة العربية الجماعية** وقدرتها على الاستمرار بالعمل الفعال في حوار الارادات .

---

١ ــ **استراتيجية العمل** ، اندريه بوفر ، ترجمة دار الطليعة ، ص ٢٦ .

٢ ــ « **نشرة الاشتراكي العربي** » ، الاتحاد الاشتراكي في سوريا ، العدد ٢٥ ، أواخر مايو ١٩٧٢ .

٣ ــ **الستار الرملي** ، ييغال آلون ، ترجمة مركز التخطيط ، ١٩٦٩ ، ص ٣٧ .

٤ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .

٥ ــ **الستار الرملي** ، ص ٩٨ .

٦ ــ **تاس** ، ١٩٧٢/٩/١٣ .

٧ ــ **الستار الرملي** ، ص ٤٥ .

٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩٨ .

٩ ــ **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ييغال آلون ، ترجمة دار العودة ، ص ١٣٨ .

١٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٥١ .

١١ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٨/١٤ ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .

١٢ ــ **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٩/٢٠ ذكرها ابراهيم العابد في **المرجع السابق** .

١٣ ــ **نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/٢٦ .

١٤ ــ **المرجع السابق** .

١٥ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، يشعياهو بن فورت ، واوري دان ، وزئيف شيف ، ترجمة دار العودة ، ص ٢٢٨ .

١٦ — **دافار** ، ١٩٧١/٤/١٨ .
١٧ — **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، ص ٢٢٨ .
١٨ — **المرجع السابق** ، ص ٢٣٠ .
١٩ — **المرجع السابق** ، ص ٢٣٢ .
٢٠ — **المرجع السابق** ، ص ٢٣٢ .
٢١ — **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٩/٢٠ ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .
٢٢ — **نيرايست ريبورت** ، ١٩٧٢/٥/٧ ، نقلته **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٦/١ .
٢٣ — عن **الانوار** ، ١٩٧٢/٧/١٤ .
٢٤ — من حديث الجنرال يشعياهو جافيش مع التلفزيون الاسرائيلي ، **الاهرام** ، ١٩٧٢/١١/١٤ .
٢٥ — **المرجع السابق** .
٢٦ — **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ص ١٥١ .
٢٧ — **المرجع السابق** ، ص ١٩٣ .
٢٨ — **المرجع السابق** ، ص ١٩٣ .
٢٩ — راجع في هذا المجال : **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، العميد هيثم الكيلاني ، منشورات مركز الابحاث الفلسطينية . **ومدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، ابراهيم العابد ، منشورات مركز الابحاث الفلسطينية . **ونحو استراتيجية عربية جديدة** ، المقدم الهيثم الايوبي واكرم ديري ، دار الطليعة . **ونشأة وتطور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ١٨٨٧ و١٩٧٧**، اعداد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام .
٣٠ — **الردع والاستراتيجية** ، الجنرال اندريه بوفر ، ترجمة دار الطليعة ، ص ٦٧ .
٣١ — **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ص ١٥١ .
٣٢ — **معاريف** ، ١٩٦٩/٣/٣ .
٣٣ — **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٩/٩/٨ .
٣٤ — من تعليقات وزير الخارجية الاسرائيلية على عمليات الجيش الاسرائيلي في لبنان ، عن **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١/٢٧ .
٣٥ — **الحياة** ، ١٩٧١/٨/٢٠ .
٣٦ — ١٩٧٢/٣/٢ L'Orient le Jour
٣٧ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٦/٢٤ .
٣٨ — **الانوار** ، ١٩٧٢/٧/١٧ .
٣٩ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/٢٠ .
٤٠ — نقلته رويتر ، و ، و.ص.ف. ، ١٩٧٢/٩/١٦ ، **النهار** ١٩٧٢/٩/١٧ .
٤١ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١٧ .
٤٢ — **جيروزاليم بوست** ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .
٤٣ — من أقوال أبا ايبان في مؤتمره الصحفي في ١٩٧٢/٩/٨ ، **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/٩ .
٤٤ — من اقوال وزير الشرطة شلومو هيلل في حديث مع وفد الجباية الموحدة في الولايات المتحدة . نشرة **رصد اذاعة اسرائيل باللغة** العبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/٢٩ .
٤٥ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** باللغة العبرية، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/٧ .
٤٦ — **المرجع السابق** .
٤٧ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١١/٢١ .
٤٨ — حاييم هرنزوغ ، **وكالة البرق اليهودية** ، ١٩٦٩/٢/٢٦ .
٤٩ — **الستار الرملي** ، ص ٩٢ .
٥٠ — زئيف شيف ، **هآرتس** ، ١٩٧٢/٣/٣ ، عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٢/٣/١٦ .
٥١ — دوف ينون ، نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/٢٥ .
٥٢ — **دافار** ، ١٩٧١/٣/٢٩ .
٥٣ — **التايمز** ، ١٩٦٨/٨/٢١ .
٥٤ — **الاسوشيتدبرس** ، ١٩٦٦/١١/٢٩ .
٥٥ — **النهار** ، ١٩٧٢/١١/١٢ .
٥٦ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/٢٤ .
٥٧ — **هآرتس** ، ١٩٦٨/٦/٧ .
٥٨ — **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٨/٩/٢٠ ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .
٥٩ — لا يحمل « الاجتذاب » هنا معنى الاجتذاب العاطفي او الانساني ، بل الاجتذاب عن طريق

اقناع (د) بأن مصالحها المباشرة او غير المباشرة تفرض عليها الخروج من السلبية الى العمل .

٦٠ ـ نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٣/١ ، عن اذاعة اسرائيل بالعبرية .

٦١ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١٧ .

٦٢ ـ نقلته **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/٢٤ .

٦٣ ـ نقلته **الانوار** ، ١٩٧٢/١٠/١٧ .

٦٤ ـ **المرجع السابق** .

٦٥ ـ **هاعولام هازيه** ، ١٩٧٠/٣/٤ .

٦٦ ـ **شعاريم** ، ١٩٧٢/٦/٢٤ . نقلته نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٦/٢٤ .

٦٧ ـ **استراتيجية العمل** ، بوفر ، ص ٦٤ .

٦٨ ـ عرضت الدراسة **معاريف** ، ١٩٧١/٧/١٤، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١/٨/ ١٩٧١ .

٦٩ ـ نشرت صحيفة L'Orient le Jour في عدد ١٩٧٢/٣/٢ نقلا عن و.ص.ف. أن مؤسسة بوري اجرت في شباط ١٩٧٢ عملية استفتاء لمجموعة يتألف ٩٠ ٪ منها من الشبيبة . وكانت نتيجة هذا الاستفتاء : ان ٨٤ ٪ من المجموعة ايدت العمليات القمعية عن طريق القصف بالطائرات . وان ٣،٣ ٪ منها فقط كانت ضد مثل هذه العمليات لعدم فاعليتها ، على حين تحفظ ٦،٣ ٪ في اجوبتهم ، وكان ٦،٤ ٪ الباقين بدون رأي .

٧٠ ـ نقلته **تاس** ، ١٩٧٢/١٠/١٨ .

٧١ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١٤ .

٧٢ ـ **تاس** ، ١٩٧٢/١١/٢ .

٧٣ ـ **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٣/١٦ .

٧٤ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٦/٢٧ .

٧٥ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٧/١١ .

٧٦ ـ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** . ص ٦٥ .

٧٧ ـ **المرجع السابق** ، ص ٦٥ .

٧٨ ـ **المرجع السابق** ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

٧٩ ـ **المرجع السابق** ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

٨٠ ـ **الستار الرملي** ، ص ٥١ .

٨١ ـ **المرجع السابق** ، ص ٩١ .

٨٢ ـ **هآرتس** ، ١٩٧٢/١٠/٦ ، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/١٠/١٦ .

٨٣ ـ **هآرتس** ، ١٩٦٨/٩/٢٢ ، ذكرها ابراهيم العابد في **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** .

٨٤ ـ **المرجع السابق** .

٨٥ ـ **هآرتس** ، ١٩٧٢/١٠/٦ .

٨٦ ـ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** . ص ٣٠٩ .

٨٧ ـ **المرجع السابق** ، ص ٢٧٨ .

٨٨ ـ **استراتيجية العمل** ، ص ١٠٢ .

٨٩ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/١٤ .

٩٠ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/١٠/١٧ .

٩١ ـ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٢/٩/١١ .

٩٢ ـ من تصريح لييغال آلون ، نشرته **النهار** ١٩٧٢/٩/٢١ .

٩٣ ـ نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ٧٢/٣/١٦ عن حديث دايان التلفزيوني في ٣/٤/ ١٩٧٢ .

الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الاجنبي ١٩٢٢ — ١٩٣٩

كين ميركورد

كانت فلسطين عام ١٩٢٢ بلدا زراعيا صغيرا ذا موارد طبيعية قليلة وصناعة ضئيلة . اذ يقول التقرير القنصلي الامريكي لعام ١٩٢٢ « لم يكن التطور الصناعي على طريق الصناعة التحويلية المحضة امرا عمليا بالنسبة لفلسطين دون اكتشاف موارد معدنية محلية مبشرة، ولم تكن هنالك ضمانة على ان شيئا كذلك سيحدث »(١). وعلى الرغم من ذلك ، فبعد سبعة عشر عاما كانت الصناعة اليهودية في فلسطين تنتج كل شيء من اسمنت البورتلاند الى الاسنان الاصطناعية . كذلك كان الانتاج الصناعي قد قفز من ١،٠٠٠،٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٢٢ الى ١٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٣ . وبدا لكثير من المراقبين كأن معجزة عصر حديث قد حدثت في الارض المقدسة . كما اعلن الصهيونيون في فلسطين وفي الغرب بابتهاج « أن ما انفق من الجهد ورأس المال قد تكلل بالنجاح وان فلسطين قد غدت مركزا صناعيا تنفذ منتجاتها ليس للبلدان المجاورة فحسب بل ايضا الى اماكن بعيدة مثل افريقيا الجنوبية »(٢). الا ان المراقبين لم يكونوا جميعا على مثل ذلك الابتهاج . فقد كانت «المعجزة» بالنسبة للبعض مجرد «سراب» . فقد كان هؤلاء يشيرون الى ما تدفق على البلاد من رأس مال بلغ ١٢٦،٠٠٠،٠٠٠ جنيه بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣٩ ويدعون ان اقتصاد البلاد لن يقوى على البقاء حينما يتوقف هذا الدفق . وقد حذر اقتصادي امريكي آنذاك من « ان هذه البحبوحة الظاهرة ما هي الا تفاقم مؤقت او تضخم مصطنع لا يستند الى اسس اقتصادية سليمة . اني لا ارى لهذا البلد سوى مصير اسود حقيقي وانهيار اقتصادي مريع »(٣). وتضارب الآراء هذا يثير السؤال عما اذا كان التوسع الصناعي اليهودي في فلسطين قادرا على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي .

يجب اولا التمييز بين « الصناعة اليهودية في فلسطين » و « الصناعة الفلسطينية » ، اذ كان في الواقع اقتصادان في فلسطين خلال الانتداب ، يتقاسمان ارضا مشتركة ولكن تقررهما قوى مختلفة واحيانا متنازعة . فالاقتصاد اليهودي ، الذي تولد عن رغبة الصهيونيين في اوروبا وامريكا في اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، قد تميز بفيض متواصل من المهاجرين ورؤوس الاموال . والى جانبه كان يقوم الاقتصاد العربي وهو اقتصاد زراعي في معظمه ويتسم بنمو سكان طبيعي سريع وتراكم بطيء في رأس المال واليد العاملة الماهرة . وكان ثمة بين هذين الاقتصادين حد أدنى من التبادل . وكانت القوى التي تفرقهما سياسية اكثر منها اقتصادية . اذ وضع الصهيونيون ضغوطا قانونية وغير قانونية على المستعمرين اليهود لابتياع المصنوعات اليهودية وتشغيل العمال اليهود فقط ، بينما نادى القادة العرب بمقاطعة المنتوجات اليهودية وارباب العمل اليهود . وكان الفريقان ناجحين الى حد بعيد . ففيما عدا تبادل شيء من ناتج الزراعة العربي مقابل المصنوعات اليهودية ، وبعض رأس المال اليهودي مقابل الارض

العربية ، ثم بعض الايدي العاملة العربية مقابل الاجور اليهودية كان الاقتصادان مميزين ، وينموان بطريقتين مختلفتين اختلافا واضحا . وقد نمت الصناعة العربية في فلسطين بثبات بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣٩ فارتفع انتاجها ٢٠٠٪ ، لكنها لم تنم بمثل سرعة الصناعة اليهودية التي اسهمت بأكثر من ٨٠٪ من اجمالي ناتج فلسطين الصناعي بحلول عام ١٩٣٩ . الا ان الصناعة العربية كان لا يمكن لها الا ان تكون قادرة على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي ، اذ انها لم تتلق اي دعم عن طريق تدفق سيل ضخم من رأس المال الاجنبي . وهكذا ينشأ السؤال ما اذا كان ممكنا للتوسع الصناعي اليهودي ان يستمر دون دعم رأس المال الاجنبي .

مقومات التوسع الصناعي اليهودي في فلسطين

تذهب النظرية الاقتصادية الى ان تطور الصناعة في اي بلد تقرره عوامل اربعة : المواد الخام ، اليد العاملة ، الاسواق ، ورأس المال . ويكون البلد في وضع مثالي من حيث امكانات التطور الصناعي اذا ما توفرت فيه المواد الخام بكثرة ، وكذلك اليد العاملة الرخيصة ، والاسواق الواسعة التي تتمتع بالحماية ، وسبل الوصول الى رأس المال **الذي لا يحمل الفائدة** . وعند النظر في مدى توفر هذه الشروط في فلسطين يظهر ان « الوطن القومي اليهودي » لم يكن في وضع مواتي بالنسبة للعوامل الثلاثة الاولى . اما بالنسبة للعامل الاخير ، اي رأس المال ، فيمكن القول انه كان الشرط الاساسي لقيام الصناعة اليهودية .

١ ــ **المواد الخام** : ان حاجة الصناعة الاولى هي الطاقة . ويمكن الحصول على الطاقة بواسطة انواع الوقود المعدني (الفحم الحجري ، والنفط) او بواسطة القوة المائية . وحتى عام ١٩٣٢ كان تزويد فلسطين بالطاقة يعتمد كليا على الوقود المعدني . وبما ان فلسطين لم تكن تنتج اي نفط او فحم حجري ، كان عليها ان تستورد كل حاجتها من الخارج ، الامر الذي كان يكلفها باهظا . فحتى بعد مد خط انبوب شركة نفط العراق من كركوك الى حيفا عام ١٩٣٥ ، كان النفط في فلسطين اغلى منه في اي من البلدان المجاورة او في الولايات المتحدة . وقد قدر ان الطاقة الكهربائية المولدة من وقود النفط كانت اغلى سبع مرات في فلسطين عنها في الولايات المتحدة عام ١٩٢٥(٤). ومنذ البداية علق الصهيونيون املا كبيرا على استخدام نهر الاردن كمصدر للطاقة الهيدروكهربائية الرخيصة .وفي عام ١٩٢٦ منح امتياز تطوير موارد نهر الاردن الى جماعة من اليهود البريطانيين الذين انشأوا شركة كهرباء فلسطين . وكانت خطتهم للاستفادة من مجرى نهر الاردن بين بحيرة طبريه والبحر الميت تقتضي انشاء ثلاث محطات للطاقة . وعندما تم انجاز المحطة الاولى عام ١٩٣٢ ، قامت شركة كهرباء فلسطين ، التي كانت قد بدأت تنتج الكهرباء من مولدات الديزل في حيفا وتل ابيب وطبريه ، بتخفيض اسعارها بنسبة ٤٠٪ . على ان الحصول على الطاقة الكهرمائية لم يكن قليل التكاليف كما كان يتوقع . فعلى اساس تكاليف انشاء المحطة الاولى ، قررت الشركة التخلي عن خطتها لانشاء محطتين كهرمائيتين اضافيتين وانشأت بدلهما محطتين بخاريتين في تل ابيب وحيفا . وعلى الرغم من ذلك كان متوسط سعر الكهرباء في فلسطين عام ١٩٣٧ لا يزال اغلى بمرتين عنه في الولايات المتحدة(٦).

ان تقديرا واقعيا لموارد فلسطين المعدنية كان يمكن ان يظهر ان هناك القليل من الرواسب التي يمكن استغلالها تجاريا . حيث لم يكن هناك امل كبير في انشاء صناعة تقوم على الرواسب المعدنية المحلية باستثناء مياه البحر الميت التي تحتوي على كميات كبيرة من البوتاس والبرومين والاملاح المعدنية . وقد اخذت شركة بوتاس فلسطين ، التي كان يمولها يهود امريكيون وبريطانيون ، على عاتقها استغلال هذه الثروة . وابتدأ الانتاج عام ١٩٣١ وازداد بسرعة بعد ذلك الى ان اصبح يسهم عام ١٩٣٨ بـ ٥٠٪ من

صادرات فلسطين الصناعية . الا ان الشركة لم تسهم الا قليلا في تطوير اقتصاد فلسطين . فبما ان ارباح الشركة ، التي كان يملكها الاجانب ، كانت تذهب الى رأسماليين غير مقيمين ، كما ان انتاجها كان يصدر دون ان يمر بعمليات تصنيع اضافية في فلسطين ، فان اسهام الشركة الوحيد في الاقتصاد الفلسطيني كان عن طريق الاجور التي تدفعها لعمالها (اقل من الف عام ١٩٣٧)(٧) وعن طريق مشترياتها من المواد المصنوعة محليا .

وقد تحدث بعض الصهيونيين المتفائلين عن بعث اعمال الصناعة التي كانت تقوم في العهد التوراتي مثل مناجم نحاس سليمان قرب العقبة . الا ان صهيونيين اكثر واقعية واوسع اطلاعا على علم الاقتصاد ، وان لم يكن على الكتاب المقدس ، اشاروا الى ان « سليمان لم يكن له خيار في ابتياع نحاسه من اناكوندا او فلبس — دودج او روديسيا او تشيلي »(٨) . وهكذا بقيت المناجم مقفلة طوال فترة ما بين الحربين اما موارد فلسطين الاخرى فكان استثمارها هي ايضا امرا غير مربح بالدرجة نفسها . وما ظهر من صناعات قليلة قائمة على الموارد المحلية — مثل تعدين الكبريت قرب غزة ، وانتاج الاسمنت ، وتبخير الملح من مياه البحر — فقد اعتمدت في بقائها على الحماية الجمركية وكانت تنتج للسوق المحلية فقط .

كانت اهم المواد الخام المستعملة في الصناعة في فلسطين تقليديا هي انتاجها الزراعي . فالزيتون كان يمد بالزيت صناعة الصابون العربية الواسعة التي كان انتاجها في العشرينات في مقدمة صادرات فلسطين الصناعية . وقامت صناعة صابون يهودية الى جانب الصناعة العربية الاقدم عهدا ، الا انها اخفقت في الاستفادة من ثروة فلسطين الوافرة من الزيتون اذ ان الصابون ذا الطابع الاوروبي الذي كانت تنتجه كان يعتمد على زيوت غربية كان يجب استيرادها . كما كان هناك عدد من المؤسسات ، معظمها يهودي ، لتحويل الكرمة الى خمرة ، الا ان احلام الصهيونيين في صناعة خمرة مربحة لم تتحقق قط . وكان الصهيونيون يعلقون اكبر الامل على صناعة المواد الغذائية القائمة على انتاج فلسطين المتزايد من الحمضيات . وكان ان امكن بنجاح انشاء صناعة تعليب بحلول اواخر الثلاثينات ، الا ان الامال في الحصول على سوق تصدير واسعة لم تتحقق فقد بلغت صادرات الفواكه المعلبة عام ١٩٣٧ ، ١١٠٠٠ جنيه فقط (مقابل صادرات الحمضيات الطازجة التي بلغت ٤،٣٢٩،٧٠٤ جنيهات)(٩) . بالاجمال كان يتوفر في فلسطين موارد طبيعية قليلة يمكن على اساسها تصنيع « الوطن القومي » . وفوق ذلك ، كانت الموارد المتوفرة اما مستغلة من قبل رأسماليين اجانب او متروكة الى حد بعيد دون استغلال . كما ان اكثر من ٥٠ ٪ من الصناعات اليهودية في فلسطين كانت تعتمد على المواد الخام المستوردة(١٠) ، مما اضر بقدرتها على المنافسة في السوق العالمية ، خاصة وان القيمة المضافة عن طريق التصنيع للصناعة اليهودية لم تتجاوز الـ ٦٠ — ١٠٠ ٪ من قيمة المواد الخام والوقود (مقابل ٢٠٠ ٪ في المانيا)(١١) .

٢ — **اليد العاملة** : هناك صفتان للقوة العاملة لبلد ما تقرران تأثيرها على التطور الصناعي : كلفتها ، ومهاراتها . وبينما لم يكن بالامكان ان تزود فلسطين الصناعة اليهودية بالجموع الحاشدة مثل ما هي الحال في الصين او اليابان ، كان يمكنها تزويد اليد العاملة الرخيصة على نطاق محدود وذلك عن طريق اليد العاملة العربية . غير ان اليد العاملة العربية الرخيصة كانت محظورة على ارباب الصناعة اليهود بسبب اهداف الصهيونية السياسية . فكانت الوكالة اليهودية تؤكد ان « المشاريع اليهودية في فلسطين يجب ان تكون المركز الطبيعي لامتصاص اليد العاملة اليهودية »(١٢) وكان يضغط على ارباب الصناعة اليهود لاستخدام العمال اليهود ، بغض النظر عن الكلفة . لذلك فمن مجموع القوة العاملة المستخدمة في الاقتصاد اليهودي والتي بلغت عام ١٩٣٥

٧٠،٠٠٠ ــ ١٠٠،٠٠٠ لم يزد عدد العرب عن ٥،٠٠٠(١٣). ولم يكن العرب يستخدمون على نطاق واسع سوى في المشاريع الكبيرة التي يملكها الاجانب (شركة كهرباء فلسطين ، وشركة بوتاس فلسطين واسمنت نيشر) والتي اقيمت في فلسطين بهدف الربح التجاري وليس لاسباب خيرية .

وكانت اليد العاملة اليهودية اغلى من العربية ، لان الوكالات الصهيونية قصدت خلق وطن قومي لليهود في فلسطين يتمتع بمستوى من الحياة يناظر ذلك السائد في دول اوروبا الصناعية . وبالنتيجة كان العمال اليهود يعوضون اجورا اعلى من اجور العمال العرب في المهنة نفسها . وقد ظهر من احدى الدراسات ان معدل اجور العمال الصناعيين اليهود اعلى بنسبة ١٤٥٪ منه للعمال الصناعيين العرب . وبالمقارنة مع اوروبا ، كانت اجور اليهود اقل مما هي في معظم البلدان المتقدمة (مثل بريطانيا العظمى ، والسويد) ولكنها اعلى مما هي في البلدان الاقل تقدما (مثل بولندا وبلغاريا)(١٤).

من جهة اخرى ، كانت الصناعة اليهودية محظوظة في تلقيها سيلا متواصلا من العمال المهرة خلال الانتداب . ففي الفترة ما بين ١٩٢٢ ــ ١٩٣٣ كان ١٨٪ من المهاجرين اليهود قد سبق لهم ان حصلوا على خبرة صناعية (١٥)، وقد ارتفعت النسبة بلا شك مع تزايد موجة الهجرة من المانيا في اواخر الثلاثينات . وكانت الجوارب ، والحقائب ، الجلدية ، والاسنان الاصطناعية ، ثلاث صناعات جديدة انشأها المهاجرون اليهود المهرة . بيد ان المهاجرين من ذوي المهارات الصناعية لم يستمروا عادة في مزاولة المهن التي تلقوا تدريبهم فيها . فقد اظهرت احدى الدراسات ان ٥٤٪ من المهاجرين الذين كانت لهم خبرة صناعية سابقة لجأوا الى مهنة جديدة عند وصولهم الى فلسطين ، وان ٦٤٪ من العمال اليهود الصناعيين في فلسطين قد تلقوا تدريبهم المهني في البلاد(١٦). وبالنظر الى ان الاقتصاد اليهودي في فلسطين كان بالدرجة الاولى زراعيا وان الصناعة الحديثة لا تتطلب سوى قلة من العمال المهرة لادارة نشاطات الكثرة من العمال غير المهرة نسبيا ، فان السيل الضخم من العمال المهرة الصناعيين الى فلسطين كان الى درجة ما شيئا **غير ضروري** .

٣ ــ **الاسواق:** يعتمد الانتاج الصناعي الحديث على وفورات الحجم Economies of Scale المتأتية من انتاج السوق ذي النطاق الواسع . وفلسطين بعدد مستهلكيها البالغ ٧٥٠،٠٠٠ في عام ١٩٢٢ كانت تفتقر الى سوق محلية كبيرة . وكانت سوق الصناعة اليهودية اصغر حتى من ذلك ، اذ انها كانت تكاد تكون مقصورة على سكان فلسطين اليهود . ففي عام ١٩٣٥ لم يشتر العرب الذين كانوا يشكلون ٧٠٪ من السكان سوى ١٠٪ من الانتاج الصناعي اليهودي(١٧). ومع ان « الوطن القومي » كان السوق الاسرع نموا في العالم حيث قفز من ٨٣،٠٠٠ مستهلك عام ١٩٢٢ الى ٤٥٥،٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، لم يكن يعتبر سوقا ذا نطاق واسع حتى في نهاية الفترة .

وقد عكست بنية الصناعة اليهودية صغر السوق التي كانت تقوم على خدمتها . فكانت معظم المؤسسات الصناعية اليهودية صغيرة للغاية اذا ما قورنت بمثيلاتها في البلدان الصناعية . ففي عام ١٩٣٠ كان عدد المصانع التي توظف اكثر من ٥٠ شخصا ٢٠ مصنعا فقط(١٨). وفي عام ١٩٣٧ كان معدل عدد الموظفين في المؤسسة الصناعية اليهودية٣٠٣ ١ موظفين فقط(١٩). ان مؤسسات على هذا النطاق لا تكاد تعتبر «صناعة» بالمعنى الحديث للكلمة .

غالبا ما كانت المشاريع اليهودية الكبيرة تعاني الصعوبات بسبب مبيعاتها غير الكافية. فقد كتب اقتصادي يهودي عام ١٩٣٧ ان « بعض هذه المصانع وصل الى حجم عملياته

الراهن فقط مع مرور الوقت، الا ان معظمها قد انشيء منذ البداية بنية الانتاج على نطاق واسع ، بما تسوغه الاحوال التقنية والاستهلاك المحلي . الا ان الحقيقة ان هذه المصانع بقيت في معظم الحالات بعيدة عن بلوغ مرحلة الاستغلال الكامل لطاقتها الانتاجية . وحتى ان بعضها لم يبلغ حد انتاجه الادنى »(٢٠). وقد ادت هذه الطاقة الفائضة الى انخفاض نسبة الانتاج الى الاستثمار حيث كانت بشكل عام نحو ١:١ للصناعة اليهودية (مقابل ١:٢ للصناعة العربية) . ويشرح ديفيد هورويتز « ان مثل هذه العلاقة بين راس المال واجمالي حركة المبيعات من الطبيعي ان يزيد النفقات العامة Overhead charges مما يخفض الارباح ويؤدي الى نشوء صناعة محلية اقل قدرة على منافسة المنتوجات الاجنبية »(٢١) مثل هذه النسبة المنخفضة في حالة الصناعات حديثة النشأة لم يكن ليسبب قلقا مفرطا ، الا ان عدم تحسن هذه النسبة مع مرور الوقت اثار الشكوك حول مدى ربحية الصناعة اليهودية في فلسطين. حتى ان هذه النسبة انخفضت الى ٤:٣ عام ١٩٣٧ وعام ١٩٣٩(٢٢).

ولعدم قدرة السوق المحلية على استيعاب الانتاج الصناعي اليهودي، التفت الصهيونيون الى السوق العالمية . وفي السنوات الاولى ركزوا انتباههم بشكل خاص على جارتي فلسطين ، مصر وسوريا .

وقد عبر موظف تجارة بريطاني عن اعتقاد كان سائدا على نطاق واسع آنذاك حين قال « لكي يكون لمصنع ما اي حظ حقيقي في النجاح النهائي يجب ان يتطلع الى اسواق مصر وسوريا لكي تأخذ القسم الاكبر من مصنوعاته »(٢٣). غير ان الامر الذي أغاظ الاستراتيجيين الصهيونيين هو ان مصر وسوريا بدل ان تكونا اسواقا للصناعة اليهودية اصبحتا تصدران الى فلسطين من السلع الصناعية أكثر مما تستوردان منها . ففي عام ١٩٣٧ استوردت فلسطين من مصنوعات مصر وسوريا بقيمة ٧٥٠،٠٠٠ جنيه بينما صدرت لجارتيها بقيمة ٢١٠،٠٠٠ جنيه فقط . والميزان التجاري للصناعة اليهودية كان أسوأ حتى من ذلك ، فان أكثر من نصف الصادرات الى مصر ، وربع الصادرات الى سوريا كان يأتي من صناعة الصابون العربية التقليدية . وتحت وطأة اليأس لجأت شركة يهودية واحدة على الاقل الى ممارسة « اغراق السوق » لكي تزيد من مبيعاتها في سوريا(٢٤).

ولم تكن مصنوعات الوطن القومي في الاسواق العالمية الاخرى بأوفر حظا . ففي عام ١٩٣٧ كانت قيمة صادرات فلسطين الصناعية ٥٦٠،٠٠٠ جنيه فقط اي اقل من ٧ ٪ من اجمالي الناتج الصناعي . واكثر من ذلك فقد كان نصف هذا الرقم الزهيد يمثل صادرات البوتاس والبرومين التي كانت تنتجها شركة بوتاس فلسطين التي يملكها الاجانب . هذه النتيجة الضعيفة على مسرح التجارة الخارجية ، يضاف اليها دليل الطاقة الفائضة في الصناعة اليهودية ، تشير الى أن المصنوعات اليهودية لم تكن قادرة على المنافسة في السعر او النوعية في السوق العالمية .

كانت الصناعة الفلسطينية حتى في السوق المحلية ، تواجه في الحقيقة ، المشاكل من منافسة السلع المستوردة . فخلال فترة ما بين الحربين كانت واردات السلع المصنوعة اكبر بشكل عام من مجمل ناتج فلسطين الصناعي . (مثلا بلغت الواردات ٩،٣٦٢،٠٠٠ جنيه مقابل انتاج قدره ٨،٨٤٢،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٩) واعتبر الصهيونيون ان وجود هذا الوضع السيء كان بسبب ان السوق المحلية للصناعة اليهودية كانت دون حماية .

وقد أطلقت الوكالة اليهودية على فلسطين صفة « جنة مغرق السوق » « a dumper's paradise » وطلبت اعادة النظر في سياسة الباب المفتوح المنصوص عليها في قانون الانتداب(٢٥). وفي عام ١٩٢٧ أصاب الصهيونيون بعض الرضى عندما استبدلت

الضريبة حسب القيمة ad valorem tax البالغة ١١ ٪ على الواردات والتي كان معمولا بها منذ عام ١٩٢١ برسوم محددة Specific duties كان من شأنها زيادة الرسم على السلع الجاهزة التامة الصنع وخفضه على المواد الخام . وفي السنوات التالية زيدت التعرفة على السلع المصنوعة مرة اخرى ، مع ان المتحدثين الصهاينة لم يتوقفوا عن الادعاء أن الصناعة اليهودية كانت دون حماية . وبحلول عام ١٩٣٧ كان حاجز التعرفة انجمركية قد وصل حدا أثار تعليق بعثة المنتدبين الدائمة فعندما لاحظت البعثة ان معدل مستوى الرسم قد ارتفع الى ٢٩،٥ ٪ تساءلت عما اذا كان هذا المعدل بمثل هذا الارتفاع شيئا ضروريا(٢٦) . وكان الرسم على بعض البنود مرتفعا بشكل خاص (٧٠٪ على الاسمنت ، ٩٠٪ على دلو الحديد المطلي بالزنك، و٣٥٠٪ على عيدان الثقاب)(٢٧) . ويستنتج السير جون هوب سمبسون انه « يبدو ان صناعة الحجم الكبير في فلسطين تعتمد على التلاعب بالتعرفة الجمركية » كما يورد مثالا عن شركة اسمنت نيشر احدى الشركات الكبرى « التي كانت تعتمد على الحماية الجمركية ليس فقط من اجل ارباحها بل ومن أجل وجودها »(٢٨) والشيء نفسه يمكن ان يقال عن مصنع « نور » لعيدان الثقاب .

ان حماية الصناعات الناشئة مبرر معروف جيدا لفرض تعرفة مرتفعة ، الا ان «الاطفال» يكبرون . غير ان الصناعة اليهودية في فلسطين لم تكن بحلول أواخر الثلاثينات قد أظهرت أيا من علامات النضوج ، وأصبح أمرا مفروضا ان تستنتج بعثة بيل لعام ١٩٣٦ انه « للآن ان كان هناك اي صناعات على الاطلاق فقليلة هي تلك التي تتلقى الحماية والتي يمكنها منافسة البضائع المستوردة في السعر والنوعية »(٢٩) . اذا الافتقار الى السوق المحلية الكبيرة أثبت انه مشكلة رئيسية بالنسبة للصناعة اليهودية في فلسطين . وبما ان منتجات هذه الصناعة كانت غالية ، الامر الذي لا يمكنها من المنافسة في السوق العالمية ، فقد واجهت الصناعة اليهودية حركة مبيعات منخفضة ، وطاقة فائضة ، وارباحا متدنية .

٤ــ **رأس المال:** من خواص البلدان النامية ان تعد حركتها التصنيعية للانطلاق بتطعيمها بحقنة من راس المال الاجنبي . وكان « الوطن القومي اليهودي » محظوظا بشكل خاص لتمكنه من الوصول الى راس المال الذي يقوم بمثل هذا الدور . فبين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٩ تدفق مبلغ ١٢٦،٠٠٠،٠٠٠ جنيه على « الوطن القومي » . ولم يكن هذا الرقم ضخما فحسب ، بل ان معظمه لم ينتج عنه اي عبء على الاقتصاد اليهودي لانه لم يأت من مدنيين أجانب . فقرابة ٧٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه كان قد جلبها ٣٠٠،٠٠٠ مهاجر قدموا الى فلسطين خلال هذه السنوات . و٢٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه أخرى كانت تمثل تبرعات مختلف المؤسسات الصهيونية من أجل اقامة الوطن القومي . وكان ٢٠ ٪ فقط من راس المال المستورد على شكل استثمارات لراسماليين اجانب(٣٠) . ونتيجة الوضع المواتي هذا كانت فلسطين تتمتع بدين خارجي منخفض جدا بالنسبة لبلد نام(٣١) .

الا أن الصناعة لم تنل سوى جزء ضئيل من راس المال هذا . وقد يكون ما يبلغ هذا المبلغ قد استعمل في تغطية نفقات المهاجرين الجارية ــ المأكل والملبس ، الخ(٣٢) . اما استثمارات قطاع البناء وبدرجة أولى اسكان المهاجرين فقد امتصت ٤٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه في الثلاثينات فقط(٣٣) . ومن حقلي الاستثمار المنتجين ، الزراعة والصناعة ، تلقت الزراعة النصيب الاكبر من تدفق رأس المال . فقد تدنى الاستثمار في الصناعة الى أقل من ١١٪ من مجموع رأس المال المستورد(٣٤) . وهذا التقدير القليل الذي أولي للاستثمار في الصناعة عبر عن نفسه من خلال الوضع المتناقض الذي ساد في الثلاثينات اذ اخفقت المشاريع اليهودية لانها لم تتمكن من اجتذاب قدر كاف من رأس المال العامل Working Capital بينما كان يهود فلسطين يحملون من السندات الاجنبية (١١،٠٠٠،٠٠٠

جنيه عام ١٩٣٧)(٣٥) اكثر مما يستثمر في الصناعة اليهودية في فلسطين . وعلى الرغم من ذلك أعطى تدفق رأس المال على الوطن القومي دفعا حيويا للصناعة اليهودية بتمويله الانفاق على السلع الاستهلاكية والاسكان . وقد نمت الصناعة اليهودية حول هذه السوق . فخمسة وسبعون بالمائة من الصناعة اليهودية كانت في مجال انتاج السلع الاستهلاكية بينما كان ثلثاها مرتبطين بصناعة البناء(٣٦) وبازدياد عدد المستهلكين، وكذلك الحاجة الى المأوى ، نمت الصناعة اليهودية في فلسطين ، حيث مول نموها بدفق من رأس المال الاجنبي لا ينتهي . وكمثل حبل الجنين السري كانت واردات رأس المال تغذي الصناعة اليهودية في فلسطين بالقوت الذي يعطيها الحياة . لكن مثل الجنين أيضاً ، كان على الصناعة اليهودية أن تصبح يوماً ما قادرة على البقاء بالاعتماد على النفس .

قدرة التوسع الصناعي اليهودي في فلسطين على البقاء دون الاعتماد على راس المال الاجنبي

ان الصناعة اليهودية في فلسطين ــ بافتقارها الى الموارد الطبيعية ، والى السوق الواسعة النطاق لمنتجاتها ، وكذلك بسبب ما كانت تتطلبه اليد العاملة فيها من أجور على المستوى الاوروبي ــ لم تكن لتنمو الا بالاعتماد على دفق مستمر من رأس المال الاجنبي. وهكذا يبرز السؤال حول مدى قدرة التوسع الصناعي اليهودي على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي . وهذه القدرة تعني بتحديد أكثر « القدرة بنهاية الامر على البقاء والتوسع دون الحاجة الى دفق ملموس من رأس المال الاجنبي الذي تحركه اعتبارات غير حسابات الربح المالي المجردة »(٣٧).

ويشهد الكثير من الصهاينة أن ذلك كان هدف الوطن القومي اليهودي . فقد حذر اقتصادي يهودي اخوانه في العقيدة من أن « واردات رأس المال الضخمة لا يجوز اعتبارها ظاهرة طبيعية ودائمة »(٣٨). وكتب آخر « ان توقف تدفق رأس المال في آخر الامر ، الذي يبدو انه شيء لا بد منه بالنسبة لفلسطين كما بالنسبة للبلدان المدينة الاخرى ، يجب ان يبقي الاقتصاد اليهودي قادرا على الانتاج والمبيع ان كان للمستهلكين داخل فلسطين او في الخارج وذلك بأسعار مساوية للاسعار العالمية »(٣٩). وقد برزت الشكوك حول قدرة الوطن القومي على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الخارجي منذ وقت مبكر يعود الى عام ١٩٢٦ عندما أثارت بعثة المنتدبين الدائمة السؤال عما اذا كانت سياسة تغطية الواردات بواسطة رأس المال الاجنبي شيئا يمكن ان يقود الى « الاكتفاء الذاتي » . وبعد عامين تتساءل البعثة « كم من الوقت يحتاج سكان فلسطين اليهود لكي يصبحوا أقل اعتماداً على المساعدات التي يتلقونها من خارج البلاد »(٤٠). وقد عبر السير جون هوب سمبسون في تقريره لعام ١٩٣٠ عن قلقه ازاء اليوم « الذي ينتهي فيه الانفاق من رأس المال المستورد ويصبح على المهاجر أن يعيش من عمله»(٤١). وفي عام ١٩٣٦ تساءلت البعثة الملكية لفلسطين عما اذا كان ممكنا اعتبار سيل رأس المال الى فلسطين وضعا « ثابتا او دائما » . وأشارت الى « ميزة في مردود التجارة تثير القلق » وهي حقيقة ان مجمل الصادرات لعام ١٩٣٦ لم يكن كافيا لتغطية الواردات من المواد الغذائية ، والمشروبات والتنباك فقط(٤٢).

غير ان الشكوك التي أثارها الاجانب لم تؤثر على ثقة الصهيونيين في الصناعة اليهودية بل قدموا التفسيرات المختلفة لما بدا من اعتماد الوطن القومي على الحسنات . وكانوا يفسرون الامر بأنه الوطن القومي شأنه شأن البلدان النامية الاخرى كان يجتاز طورا « انتقاليا » حيث يكون « شيئا نموذجيا وجود نظام تمويل لحركة النمو الجديدة يعتمد على رأس المال الاجنبي » . وقد تنبأوا « انه سيأتي الوقت الذي تتسلح فيه البلاد بجهازها الانتاجي الخاص وتصبح قادرة على الاستغناء عــن تجارة الواردات الاكثر

ثقلا »(٤٣). واعترف صهيونيون آخرون ان خسائر قد حدثت في انشاء الوطن القومي الا انهم كانوا يحتجون ان ذلك كان ثمنا تحمله أصحابه بطيبة خاطر(٤٤). حتى ان بعضهم تساءل عن مدى صحة الحكم على الوطن القومي على هذا الاساس اذ أن « هدفه ليس الحصول على الربح وانما الابقاء على أكبر عدد من الناس على أرضهم واعالتهم على المستوى الاوروبي » . وقد امتدح هؤلاء الاقتصاديين اليهود على « نجاحهم الباهر في القيام بعمل غير اقتصادي بأكثرية طريقة اقتصادية ممكنة »(٤٥).

والاختبار النهائي لقدرة الصناعة اليهودية في فلسطين على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي كان يمكن أن يكون وقف واردات رأس المال وقفا تاما . ولحسن حظ الوطن القومي لم يحدث ذلك قط في سنوات ما بين الحربين . الا انه في وقتين خلال هذه الفترة انخفض تدفق رأس المال الى الوطن القومي بصورة كبيرة . وبالتحليل التاريخي لنتائج هذين الانخفاضين يمكن التوصل الى افتراض حول ما كان يمكن ان يكون اثر الانقطاع الكامل لواردات رأس المال ، ومن ثم تقرير ما اذا كانت الصناعة اليهودية في فلسطين قادرة على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي ام لا .

على ان الافتقار الى البيانات الاحصائية يجعل تحليل فترة الركود الاولى في عام ١٩٢٦ أمرا غير ممكن . على أي حال ، ايما كانت المضاعفات بالنسبة للصناعة اليهودية فقد كانت مثبطة لدرجة انها جعلت بعض الصهيونيين يتحدثون عن « تصفية التجربة الصناعية »(٤٦). اما فترة الركود الثانية ما بين ١٩٣٦ و١٩٣٧ فاكثر قابلية للتحليل .

كانت الحرب الايطالية ـــ الاثيوبية عام ١٩٣٥ وبداية الثورة العربية عام ١٩٣٦ قد قادتا الى انخفاض في حركة الهجرة من ٦٢،٠٠٠ عام ١٩٣٥ الى ١٠،٣٥٠ عام ١٩٣٧ وفي واردات رأس المال من ١٠،٨٠٠،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٥ الى ٥،٥٠٠،٠٠٠ جنيه عام ١٩٣٧ . وكان اثر انخفاض واردات رأس المال على الصناعة الاسرائيلية سيئا لدرجة ان الحوار حول مدى « صلاحية فلسطين للصناعة » أخذ يسمع مرة أخرى في الدوائر الصهيونية . وكان حوارا عكس نفسه في انخفاض قدره ٣٠ ـــ ٤٠ ٪ في التثميرات الجديدة في الصناعة(٤٧) . وقد اعترت الصعوبات بشكل خاص تلك الصناعات التي كانت تقوم على توفير حاجة المهاجرين من المسكن والسلع الاستهلاكية . كما عانت الصناعات المرتبطة بصناعة البناء انخفاضا في الانتاج الصناعي بلغ ٢٠ ـــ ٢٥٪ . وبحلول عام ١٩٣٧ انخفض الانتاج الصناعي ٢٠ ٪ عما كان عليه عام ١٩٣٥(٤٨). ويجب التذكر ان **معدل** واردات رأس المال فقط هو الذي انخفض . فبالارقام المطلقة كانت الواردات لا تزال كمية موجبة . وكان انتاج الصناعة اليهودية ينخفض بينما يستمر نمو سكان فلسطين اليهود الذين كانوا لا يزالون يتلقون الدعم المصطنع من رأس المال الخارجي .

وتشير نتائج فترة ركود ١٩٣٦ ـــ ١٩٣٧ الى أن الصناعة اليهودية في فلسطين قد أصبحت غير قادرة على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي بحلول اواخر الثلاثينات . وبسبب تمويل الصناعة اليهودية عن طريق سيل ضخم من رأس المال الاجنبي ، نمت هذه الصناعة بأسرع مما تخوله امكانات فلسطين الاقتصادية . ولو ان واردات رأس المال توقفت كلية لواجه الصهاينة ، بناة الوطن القومي ، قرارات صعبة سياسية واقتصادية . فانهيار الكثير من المشاريع الصناعية اليهودية غير الكفؤة، ابتداء بتلك المرتبطة بصناعة البناء ، كان يمكن أن يحدث مشكلة بطالة لا يمكن التخفيف منها الا بشكل جزئي عن طريق نقل قسم من القوة العاملة الى الزراعة . وفي المدى الطويل كان الحل الفعال الوحيد ، سيكون عن طريق خفض معدلات الاجور للعمال الصناعيين اليهود الى مستوى يمكن أرباب الصناعة اليهود من المنافسة بنجاح في السوق العالمية. الا أن اخفاق الصناعة اليهودية في المنافسة في السوق العالمية، وحتى للبضائع المستوردة

في السوق المحلية ، يشير الى أنه كان لا بد أن تنخفض الاجور انخفاضا كبيرا قبل أن تصبح المنتجات اليهودية في وضع تنافسي .

الا ان اي هبوط في معدلات الاجور كان سيمثل انخفاضا في مستوى المعيشة في الوطن القومي ، بما يظهر الطبيعة المصطنعة لبحبوحة الوطن . ومثـل هذا الانخفاض كان سيقود الى ازدياد حركة الهجرة من فلسطين التي بدورها كان يمكن ان تعكس اتجاه حركة راس المال بقلبها من واردات دائمة الى صافي صادرات . ذلك كان سيزيد من مشكلات الصناعة اليهودية باحداثه دورة يمكن ان تقف فقط عندمـا يصبح مستوى معيشة اليهود في فلسطين مساويا لمستوى معيشة سكان فلسطين العرب . فالوقف الكامل لواردات راس المال كان سيفرض على الصناعة اليهودية في فلسطين ان تجتاز عملية انكماش واعادة تنظيم مؤلمة تصبح بعدها بالضرورة قادرة على البقـاء دون الاعتماد على راس المال الاجنبي .

الا ان الصناعة في « الوطن القومي » كانت قد نجت من مثل هذه المصيبة في الثلاثينات بواسطة انبعاث جديد لواردات رأس المال عام ١٩٣٨ . وهكذا كان الحبل السري قد انسد بصورة مؤقتة فقط . وبحلول عام ١٩٣٩ بدأ الاستثمار في الصناعة والانتاج الصناعي يعود الى ما كان عليه في السابق .

الخاتمة

ان الرد الاكثر بداهة على القول ان الصناعة اليهودية في فلسطين بحلول عام ١٩٣٩ قد أصبحت غير قادرة على البقاء دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي هـو حقيقة ان الصناعة اليهودية ، التي تسمى الآن الصناعة الاسرائيلية قد استطاعت فعلا البقاء وهي تنمو باستمرار . اذ يبلغ ناتج اسرائيل الصناعي الان أكثر من بليون دولار في العام ويضم نشاطات صناعية جديدة مثل العجلات والطائرات والقذائف . غير ان تفحصا أكثر امعانا للتطور الصناعي اليهودي خلال عشرين السنة الماضيـة يظهر ان الصناعـة الاسرائيلية تواجه العقبات نفسها التي لاحقت الصناعة اليهودية خلال الانتداب . فهي لا تزال تعتمد على المواد الخام المستوردة حيث لم تكتشف أي موارد طبيعية جديدة . كما تستمر حركة الهجرة في دعم السوق المحلية للصناعة الاسرائيلية ، ولكن السوق تبقى صغيرة بالمقاييس الحديثة حتى باضافة السوق العربية التي وقعت تحت الاحتلال والتي تبلغ مليون نسمة. وتستمر هجرة العمال المهرة حيث تقوم على أكتافهم الصناعات الجديدة. الا انه يستمر أيضا حلم الصهاينة في توفير مستوى من المعيشة ليهود فلسطين يساوي ذلك السائد في بلدان اوروبا المتقدمة ، مما يبقي الاجـور متضخمة بصورة اصطناعية . وبالتالي فالصناعة الاسرائيلية تواجه المشاكل في قدرتها على المنافسة في السوق العالمية . وتبقى صادرات السلع الصناعية بالنسبة الى مجمل الناتج الصناعي منخفضة بالنسبة لامة صغيرة تعتمد على التجارة. كما ان أكثر من ٤٠ ٪ من الصادرات الصناعية تأتي من صناعة واحدة هي صقل الالماس ، التي بسبب استعمالها مدخلا input واحدا هو اليد العاملة الماهرة لا تستطيع احداث التطـورات في الصناعات المحلية المساندة الا قليلا . ويبقى جل الصناعة الاسرائيلية يتكيف بالاحتياجات المحلية للسلع الاستهلاكية والمساكن ، ويعتمد في ازدهاره على دفق مستمر مـن المهاجرين ورأس المال .

واسرائيل ليست أقرب الى الاستقلال الاقتصادي من«الوطن القومي»الذي انبثقت منه. فاسرائيل، مثل «الوطن القومي»، تستورد دائما أكثر مما تصدر، والاقتصادي اليهودي نفسه الذي حذر من مخاطر الاعتماد على واردات راس المال في الثلاثينات يواصـل الاشارة الى ان « أي ارتفاع في العجز التجاري ، حتى لو تمت تغطيته بواسطة مصادر

الدخل غير الدائمة تلك (واردات رأس المال) سيزيد الشق بين اسرائيل والاستقلال الاقتصادي »(٤٩). وفائض واردات اسرائيل الحالي قد نما الى حد لم يكن ليتصوره الصهيونيون القدامى ، اذ وصل الى ١٢٦٥ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، وهو يستمر في الازدياد . وفائض الواردات المتصاعد هذا قد تم تمويله بواسطة دفق متعاظم من رأس المال الى « الوطن القومي اليهودي » . فقد دخلت اسرائيل اكثر من عشرة بلايين دولار على شكل رأس مال مستورد منذ تأسيس الدولة ، مما جعل مبلغ الـ ١٢٦ مليون ليرة التي دخلت البلاد ما بين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٩ يبدو بالمقارنة صغيرا كالقزم .

ولم يقتصر الامر على ازدياد حجم اعتماد اسرائيل على التمويل الخارجي فحسب بل ان تركيب رأس المال المستورد قد اتجه الى الاسوأ . فالدفعات المحولة (رأس المال الذي يجلبه المهاجرون ، واموال الوكالات الصهيونية ، والتعويضات الالمانية ، الخ) تشكل قسطا من رأس المال المستورد أصغر الان مما كان عليه من قبل . واصبح التعاقد على نطاق واسع من اجل قروض خارجية امرا مفروضا مما جعل خاصة « الوطن القومي » الاكثر بعثا للامل ، وهي انخفاض الدين الخارجي ، تنقلب الان . فدين اسرائيل الخارجي اليوم ـــ ٣٫٥ بليون عام ١٩٧٠ ـــ هو من أعلى الديون في العالم اذا ما قيس بالنسبة للفرد . وفي السنة القادمة سيتكلف الاسرائيليون مبلغ ٨٦٠ مليون دولار كدفعات مستحقة على هذا الدين(٥٠) .

لذلك فمسألة قدرة الصناعة اليهودية في فلسطين على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي تبقى قائمة . واذا كان ثمة شيء ، فالصناعة الاسرائيلية اكثر اعتمادا على واردات رأس المال مما كانت عليه صناعة «الوطن القومي» في أي وقت من الاوقات. واذا ما توقف تدفق رأس المال اليوم، فان الصناعة الاسرائيلية ستعاني ليس من غياب الدعم الخارجي فحسب بل أيضا من انكماش الاستهلاك المحلي الذي يصبح ضروريا لكي تستطيع اسرائيل الوفاء بالتزاماتها الى الدائنين الاجانب . وهكذا تبدأ العملية التي أوجزت في القسم الاخير : تقلص الانتاج ، وارتفاع البطالة وهبوط الاسعار . الا ان الصناعة اليهودية في فلسطين لم تواجه للآن الاختبار النهائي لقدرتها على الحياة دون الاعتماد على رأس المال الاجنبي ـــ الاختبار الذي يتم بوقف كامل لرأس المال المستورد. فالحبل السري لم ينقطع بعد .

المصادر الاساسية للبيانات الاحصائية هي التالية :
Reports on the Administration of Palestine and Transjordan, London, H. M. S. O., 1923-1938; Sa'id B. Himadeh, *Economic Organization of Palestine,* Beirut, American University Press, 1938; and *A Survey of Palestine,* Jerusalem, Govt. of Palestine, 1946.

١ ـــ وردت الاشارة اليها في :
Kurt Grunwald, *The Industrilization of the Near East,* Tel Aviv, Palestine Economic Society, 1934, p. 68.

٢ ـــ المصدر نفسه ، صفحة ٦٨ .

٣ ـــ وردت الاشارة اليها في :
T. Canaan, *Conflict in the Land of Peace,* Jerusalem, 1963, p. 65.

٤ ـــ Robert R. Natthan, Oscar Gass, and Daniel Creamer, *Palestine, Problem and Promise,* Washington, Public Affairs Press, 1946, p. 180.

٥ ـــ انظر حمادة ، ص ٥٤ .

٦ ـــ ناثان وآخرون ، ص ١٨١ .

٧ ـــ انظر Grunwald, p. 181; and David Horowitz and Rita Hinden, *Economic Survey of Palestine,* Tel Aviv, Jewish Agency for Palestine, 1936, p. 91.

٨ ـــ ناثان وآخرون ، ص ٩٣ .

٩ ـــ حمادة ، ص ٢٥٧ .

١٠ ـــ هورويتز وهيندن ، ص ٩٢ .

١١ ـــ انظر *Census of Jewish Industry* for 1928, 1933, and 1937 in Himadeh, pp. 232-249.

١٢ — وردت الاشارة اليها في :
Sir John Hope Simpson, *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development*, London, H.M.S.O., 1930, p. 127.

١٣ — Alfred Michaelis, "Economic Conditions in Palestine", *Palnews Economic Annual of Palestine*, 1937, p. 22.

١٤ — انظر Himadeh, p. 284; and Horowitz and Hinden, p. 195.

١٥ — جرونولد ، ص ١٢ .

١٦ — Erwin Wittkowski, "The Development of Industry in 1937", *Palnews Economic Annual of Palestine*, 1938, p. 44.

١٧ — ميخائيلس ، ص ٢٢ .

١٨ — هوب سمبسون ، ص ١١٤ .

١٩ — انظر حمادة ، ص ٢٤٩ .

٢٠ — Erwin Wittkowski, "Problems of Industry in Palestine", *Palnews Economic Annual of Palestine*, 1937, p. 85.

٢١ — هورويتز وهندن ، ص ١٠٢ .

٢٢ — انظر *A Survey of Palestine*, p. 499.

٢٣ — وردت الاشارة اليها في : هوب سمبسون، ص ١١٦ .

٢٤ — المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

٢٥ — Jewish Agency of Palestine, *Memoranda for the Palestine Royal Commission*, 1936, p. 224.

٢٦ — انظر *Minutes of the Permenant Mandates Commission*, XXXII, Geneva, 1937, p. 119.

٢٧ — Palestine Royal Commission, *Report*, London, H. M. S. O., 1937, p. 211.

٢٨ — هوب سمبسون ، ص ١١٣ .

٢٩ — Palestine Royal Commission, p. 209.

٣٠ — Nadav Halevi, *The Economic Development of Israel*, New York, Frederic A. Praeger; 1968, p. 19.

٣١ — هورويتز وهندن ، ص ١٦٥ .

٣٢ — ناثان وآخرون ، ص ٣٢٦ .

٣٣ — المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

٣٤ — *Survey of Palestine*, p. 511.

٣٥ — Ludwig Gruenbaum, "Palestine's Balance of Payments", *Palnews Economic Annual of Palestine.*

٣٦ — هورويتز وهندن ، ص ٩٢ و١٠١ .

٣٧ — Alfred E. Kahn, "Palestine: A Problem in Economic Development", The American Economic Review, Vol. XXXIV, p. 539.

٣٨ — Alfred Michaelis, "The Partition of Palestine and its Economic Aspects", *Palnews Economic Annual of Palestine*,

٣٩ — كاهن ، ص ٥٤٨ .

٤٠ — *Minutes*, IX, p. 165; and XXXI, p. 50.

٤١ — Hope Simpson, p. 116.

٤٢ — *Report*, p. 213.

٤٣ — Horowitz and Hinden, pp. 123 & 165.

٤٤ — Kahn, p. 545.

٤٥ — Doreen Warriner, *Land and Poverty in the Middle East*, London, 1945, p. 71.

٤٦ — جرنولد ، ص ٦٨ .

٤٧ — ويتكوسكي ، ص ٧٩ .

٤٨ — هورويتز وهندن ، ص ٨٥ — ٨٩ .

٤٩ — David Horowitz, *The Economics of Israel*, Oxford, Pergamon Press, 1967, p. 107.

٥٠ — *The Jerusalem Post* (Weekly Overseas Edition), Feb. 29, 1972, p. 6.

المواقف البريطانية في فلسطين بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ .

بربارة حداد

يطرح البحث في المواقف البريطانية في فلسطين ابان الادارة العسكرية مشكلة تستأثر باهتمام بالغ اذ تتناول توزع السلطة في زمن الحرب وصراع السياسات المتضاربة . فالمواقف البريطانية داخل حكومة الوطن لم تسهم في تكوين السياسة العامة فحسب ، بل ان مواقف الرجالات العسكريين عملت على تكوين الادارة العملية المباشرة للبلاد . وخلال التشويش الذي ساد طوال مفاوضات الصلح أدى النزاع الظاهر بين المواقف الناشئة عن هذين الموقعين من مواقع السلطة الى زيادة العداء بين سكان البلاد من العرب واليهود . ان الصهيونيين يميلون الى اعتبار هذه الفترة من الحكم العسكري بمثابة صفحة قاتمة بنوع خاص في تاريخ العلاقات الصهيونية ـ البريطانية . ولقد قال حاييم وايزمان ، الذي تظاهر عادة بلعب دور الوسيط والرجل المعتدل ، ما يلي : « ان كبير الاداريين ، الجنرال موني ، كان يضم بين هيئة أركانه عددا من المستشارين والمسؤولين الذين شعروا منذ اللحظة الاولى بأن واجبهم يقضي بغرس الانطباع لدى الجماعات اليهودية الخاضعة لامرتهم بأنه مهما يبلغ الجنون بالسياسة في لندن للاتيان بأفعال أو التصريح بأقوال ، فنحن هنا في عالم يختلف تمام الاختلاف عن عالمهم »(١). ان الهجوم المرير الذي شنه الصهيونيون على العسكريين جرى ايصاله الى مسامع وزارة الخارجية البريطانية بلهجة قوية على لسان الكولونيل ر. ماينرتزهاغن الذي زعم « بأن موظفي الادارة يناصبون الصهيونية العداء في آرائهم بلا استثناء تقريبا . وأنهم يقومون بتشجيع العرب »(٢). هذه الازدواجية الظاهرة في المواقف من الوطن القومي اليهودي ، كما جرى التعبير عنها في تأييد حكومة صاحب الجلالة لتصريح بلفور من جهة ، وفي التصريف العملي لشؤون فلسطين على يد « ادارة مناطق العدو المحتلة » (O.E.T.A.) من جهة ثانية ، لم تبلغ ذروة حدتها الا عند قيام اضطرابات عيد الفصح عام ١٩٢٠ . فالحكومة في لندن اصبحت غير قادرة آنذاك على تجاهل الانتقادات الشديدة والموجهة ضد « ادارة مناطق العدو المحتلة » . وفي الوصف الذي أطلقه ماينرتزهاغن على اضطرابات الفصح، اذ اعتبرها بمثابة « نموذج دقيق ومصغر عن المذبحة » ، نجد انه كان يوجه تهمة خطيرة للغاية ضد الادارة العسكرية البريطانية . لذا كان من الضروري اجراء تحقيق حول مختلف التهم والمزاعم التي أخذت تتراكم ضد الادارة العسكرية ، فانعقدت محكمة للتحقيق في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ . وعند هذا المنعطف بالذات جرت مقارنة مواقف كل من حكومة صاحب الجلالة وادارة مناطق العدو المحتلة لكي يتم التحقق والتثبت مما اذا كان العسكريون يستخدمون سلطاتهم بطريقة تتنافى او تتعارض مع مشيئة رجال الدولة البريطانيين .

وعلى الرغم من أن البحث في مختلف التزامات الحلفاء وتعهداتهم أثناء الحرب يقع خارج

نطاق هذه المقالة ، فمن الضروري القيام بمراجعة مختصرة للظروف والملابسات التي أدت الى اصدار الحكومة البريطانية لتصريح بلفور . ان سياسة الحفاظ على استقلال الامبراطورية العثمانية وسلامتها الاقليمية ، بعد أن سيطرت هذه السياسة على موقف بريطانيا في القرن التاسع عشر ، أخذ التخلي عنها يتم بشكل متصاعد عند نهاية القرن وفي مطلع القرن العشرين . فقد نادى سولزبوري بانتهاج سياســة جديدة ترمي الى تقسيم الامبراطورية العثمانية بين الفرقاء المعنيين. ورغم أنه كانت لدى كل دولة طامعة فكرة عن القسم الذي ترغب في المطالبة به، فان مشكلة «تركة الاستانة» جرى تركها بدون حل . وبدلا من بذر الشقاق بين الحلفاء اتفقت كل مــن بريطانيا وفرنسا اثناء الحرب العالمية الاولى على أن تكون القسطنطينية من نصيب روسيا . لذا يجوز القول بأن اتفاقية سايكس ــ بيكو عام ١٩١٦ كانت بمثابة استمرار لسياسات توازن القوى في القرن التاسع عشر ، بحيث جرى تحويلها الــى توازن مضاد للمطالب الروسية . والمعروف ان فلسطين كانت ستوضع ، بموجب هذه الاتفاقية ، تحت ظل حكم دولي .

تورطت بريطانيا في القضية العربية عن طريق الاعتبارات الاستراتيجية في المقام الاول ، ورأى البريطانيون انه من المستحسن العمل علــى احداث انتفاضة بين العرب الذين تتراكم لديهم الشكوى والتذمر . ففي الاتفاقات المعقودة مع الشريف حسين ، وهو الذي يبدو ان مصلحته الرئيسية كانت تدور حول توطيد دعائم السلطة الشريفية ، أعرب المفاوضون البريطانيون عن تحفظاتهم بصدد المصالح الفرنسية في تلك الاقسام مــن الليفانت (الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط) « الواقعة في غربي دمشق وحمص وحماه وحلب ، لا يمكن ان يقال عنها عربية محضة »(٢). وهنــاك تحفظ ثان يتعلق بالمصالح البريطانية في ولايتي البصرة وبغداد . بيد ان اقتراح الشريف حسين كان ينم عن الموافقة على ترك حل هاتين المسألتين الى ما بعد نهاية الحرب . ان بريطانيا ، حين قطعت هذه التعهدات على نفسها وابرمت اتفاقية سايكس ــ بيكو ، لم تكن في وضع يسمح لها أن تتنبأ مسبقا بذلك الرد القومي العنيف الذي نشأ عقب الحرب . ففي عام ١٩١٦ لم يوجد تيار مفرد من العمل القومي العربي ، بل اكتفى « المتآمرون » من أعضاء الجمعيات السرية في سوريا بابلاغ الحسين عن طريق فيصل مسودة أهدافهم السياسية لكي يسترشد بها في المفاوضات مع المندوب السامي البريطاني، السير هنري مكماهون. ولقد تحاشى الحسين ، مثلما تحاشت بريطانيا ، ايراد أية اشارة صريحة الى مصير كل من لبنان وفلسطين ، لتعذر التوفيق بين ذلك وبين افكار الجمعيات السرية العربية . ان اتفاقية سايكس ــ بيكو لم توضع ابدا موضع التنفيذ ، اذ أخذت مفاهيم جديدة تحل محلها من ١٩١٧ الى ١٩١٩ . ثمة نفر من رجال الدولة البريطانيين اجتذبتهم فكرة الوطن القومي اليهودي ، بينما تخوف نفر آخر لئلا يؤدي تنفيذ الاتفاقية الى اعطاء الفرنسيين كثيرا من السلطة والنفوذ في الليفانت . كما تورط منهم آخرون على صعيــد شخصي بقضية القومية العربية . فالبيان الانجلو ــ فرنسي عام ١٩١٨ والعهد البريطاني المقطوع الى السوريين السبعة (١٩١٨) ، ولجنة كينغ ــ كرين التي أوفدها الرئيس ويلسون (١٩١٩) ــ هذه كلها ادخلت مبدأ تقرير المصير والحكم بالموافقة بنــاء على رغبات الشعب بحيث أدى ذلك الى ابطال مخطط سايكس ــ بيكو على نحو فعال . وبما ان اتفاقية سايكس ــ بيكو لم توضع ابدا موضع التنفيذ الصارم ، فان فلسطين لم توضع هي أيضا في ظل ادارة دولية ، بل جرى وضعها تحت ادارة الحكم العسكري البريطاني. ومهما يكن من المتعذر تحديد البواعث والدوافع التي أيدت اصدار وعد بلفور والرعاية البريطانية لقضية الوطن القومي اليهودي ، فمن المؤكد وجود الجاذب المتعلق بالقيمة الاستراتيجية لفلسطين كقاعدة بريطانية . ان بريطانيا قد يتسنى لها استخدام فلسطين لغرض منطقة عازلة تفصل بين مركزها على قناة السويس وبين المركز الفرنسي المتوقع في سوريا . وربما اعتقد البريطانيون بأن تصريحــا مؤيدا للصهيونية يمكنه اجتذاب

الاميركيين الى جانب الحلفاء . كما ان هذا التأييد قد يؤدي بدوره الى ابعاد اليهود الروس عن القسم البلشفي من الثورة الروسية والى ابقائهم حلفاء في الحرب لكل من بريطانيا وفرنسا .

احتلت القوات البريطانية فلسطين في ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٧ . وعمل التنظيم العسكري تحت ظل حاكم اداري عام تلقى الاوامر من القائد العام ، الجنرال اللنبي ، عن طريق قائد القطعات العسكرية ، كونغريف . كان هذا الاخير يستشير القائد العام في المسائل الرئيسية ، ويمارس صلاحياته بانفراد في غيرها من القضايا . اما وزارة الحربية فكانت هي المسؤولة النهائية عن تنفيذ السياسة ، بحيث تتصرف بناء على التعليمات الصادرة عن وزارة الخارجية . ولقد أصدرت وزارة الخارجية تعليماتها الى ادارة فلسطين باتباع المواد المندرجة تحت الرقم ٣٥٣ من الفصل الرابع عشر في مجموعة القوانين العرفية : « لم يعد من المسموح به لمن يحتل أراضي العدو أن يفرض مشيئته دون عقبات ، وان يعمد الى تغيير شكل الحكم القائم وقلب القوانين الدستورية والمحلية، متجاهلا حقوق السكان »(٤). وبكلام آخر ، فان واجب العسكريين كان يقضي بالحفاظ على الوضع الراهن وبعدم استصدار قوانين جديدة ، وبتصريف أعمالهم دون التسبب في اقلاق راحة عامة السكان .

ثمة افتراض من جانب الصهيونيين ومؤيديهم يزعم بأن العسكريين لم يقوموا بتأدية هذه الوظيفة دون تحيز وتحامل . واما بسبب الاخلاص الشخصي للقضية العربية أو بدافع الشعور المعادي لليهود والمناوىء للصهيونية فان الادارة العسكرية في فلسطين (ادارة مناطق العدو المحتلة) تعرضت للتهمة التالية : معاملة السكان اليهود بغير انصاف وتجاهل سياسة الحكومة المركزية في لندن .

ومن الضروري عند بحث المواقف البريطانية ازاء فلسطين خلال هذه الفترة ، وقبل تعيين الادارة المدنية وعلى رأسها هربرت صموئيل في تموز (يوليو) ١٩٢٠ ، أن نمهد لذلك أولا بدراسة موقف أولئك الذين أخذوا زمام المبادرة في اصدار وعد بلفور وعملوا على تأييده . ورغم ان هذه المقالة تولي اهتمامها الرئيسي للفترة التي أعقبت الحرب مباشرة ، فمن الضروري بحث مواقف رجال الدولة البريطانيين من فلسطين خلال الحرب . ثم ندرس في قسم ثالث منها السياسة الفعلية لادارة منطقة العدو المحتلة . هل اقدم رجال تلك الادارة على تجاهل رغبات الحكومة المركزية في لندن بصورة كلية ؟ وهل كان موقفهم من الصهيونيين يتصف بالعداء والتحيز ؟ وهل كانوا مسؤولين عن اضطرابات الفصح عام ١٩٢٠ ؟ وفي قسم ختامي سوف نعمد الى اجراء مقارنة بين مواقف هاتين الفئتين للتثبت من نقاط اتصالهما او تعارضهما . ان « الموقف » هو مسألة غير ملموسة وذاتية ، مما يخلق صعوبات واضحة في دراسة مواقف هاتين الفئتين ويفرض علينا بالتالي استخراجها وتعميمها من الآراء المسجلة بقلم عدد ضئيل جدا من الرجال . وبناء عليه فان اهتمام هذه الدراسة سوف يبقى محصورا بالمواقف السائدة لدى المسؤولين الحكوميين من جهة ، ولدى الضباط العسكريين ، من جهة اخرى .

مواقف رجال الدولة البريطانيين من فلسطين

صدر وعد بلفور بصيغة رسالة كتبها ناظر الدولة البريطانية للشؤون الخارجية الى اللورد روتشيلد في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ . ونص الوعد المذكور على ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي . ورغم ان الدوافع الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية لعبت دورا رئيسيا في اتخاذ القرار النهائي ، فان حقيقة كون الصهيونية كفكرة قد اجتذبت اليها العديد من رجالات الدولة البارزين ، هذه الحقيقة ، كانت لها أهمية بالغة في صياغته . فالصهيونية

أو التعاطف مع القضية اليهودية لم تكن فكرة مجهولة لدى البريطانيين قبل عام ١٩١٧ ، بل كانت هناك على الدوام ، ومنذ اوائل القرن التاسع عشر ، قطاعات من الراي البريطاني تعي مشاكل الشعب اليهودي . ففي ١٩٠٢ حاول اللورد لانسدون توطين اليهود على نطاق واسع. وفي عام ١٩٠٣ قدم تشمبرلين الى هرتزل عرضا يقضي بتحويل يوغندا الى وطن يهودي ممكن(٥). بيد ان المحاولات المتقطعة من جانب رجالات الدولة لارساء دعائم تشريع مؤيد للصهيونية في السياسة البريطانية لم تكن ناجحة . وبعد الرفض الصهيوني لمشروع يوغندا سقطت الحركة في أدراج النسيان ــ حتى كان ادخال فكرة الصهيونية من جديد لدى رجال الدولة البارزين باعتبارها سياسة عملية وتكتيكية في زمن الحرب .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ أعلن المستر اسكويث بأن « الحكومة العثمانية هي التي قامت بتوجيه الضربة القاضية الى السيادة العثمانية ، ولسنا نحن »(٦). وفي هذا اليوم بالذات طلب هربرت صموئيل من السير ادوارد غراي تأييد القضية الصهيونية . على ان تحبيذ غراي للاقتراح لم يمنع اسكويث من الاعتقاد بأن مثل هذه الرعاية سوف تكون بمثابة عبء يثقل كاهل الحكومة البريطانية . ولولا الجهود الملحاحة التي بذلها نفر من الصهيونيين الاغيار (غير اليهود) لكانت الاماني الصهيونية قد ابعدت من جديد الى المسرح الخلفي. ان تشارلز بريستويك سكوت، رئيس تحرير **المانشستر غارديان**، وهربرت سايدبوثام ، المعلق والناقد العسكري في الصحيفة ، كانا من الاوائل والسباقين في رؤية التقاء المصالح بين بريطانيا العظمى وفلسطين اليهودية . ففي مقالة كتبها خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ كان سكوت يأخذ بعين الاعتبار مسألة تقسيم الامبراطورية العثمانية المتداعية مصرحا بأن روسيا تفضل بريطانيا على فرنسا الكاثوليكية في ارض الاماكن المقدسة(٧). واذا استولت بريطانيا على مقاطعة جديدة في بلاد ما بين النهرين ، فلا ينبغي فصل مركزها هذا عن مصر بواسطة رقعة معادية . ان بريطانيا كانت بحاجة الى دولة عازلة (فاصلة) . وعلى اساس هذه الفرضية اعلن سايدبوثام « بأن مستقبل الامبراطورية البريطانية ، كأمبراطورية بحرية ، يعتمد بأسره على تلك الدولة المنشودة »(٨). ثم عمد سايدبوثام فيما بعد الى اعادة التوكيد على الاعتبارات الاستراتيجية التي تدعو الى تبني سياسة صهيونية ، وذلك في تقرير اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ . فهو يقول ما يلي : « لقد ذهبنا الى هناك ابان الحرب لاننا وجدنا الامر لا يطاق فيما لو بقي خط اتصالنا الرئيسي مع الشرق مارا بين جبهتين قتاليتين . وكان من الضروري توسيع رقعة الاحتلال بحيث تشمل على الاقل ذلك القسم الجنوبي من فلسطين بأكمله ، وهو القسم الذي لعب دورا بالغ الاهمية في التاريخ الحربي على مر العصور »(٩).

لذا اطلق سايدبوثام متعمدا الوصف التالي على فلسطين ، بقوله انها « مفتاح مصر »(١٠). كما شدد على الحسنات الاقتصادية لفلسطين الخاضعة للسيطرة البريطانية . فكتب يقول : « ان مركز بريطانيا العظمى الخاص لا يمكنه الاخفاق ، بحكم طبيعة الاشياء ، في اعطائها الفرصة كاملة لكي تعثر في فلسطين على سوق جديدة ورابحة : وعلى ما يوازي ذلك أهمية : في حصولها على التسهيلات الاستثنائية لضمان الوصول الى الاسواق النامية في البلدان المحاذية »(١١).

وبعد نهاية الحرب كانت لدى البريطانيين أسباب جديدة تحدوهم لضمان فلسطين صديقة ، كما اعتبروا فلسطين مركزا للمواصلات في المنطقة . ان أمن فلسطين كان ضروريا لانجاح مشروع مد انابيب البترول الى حيفا وبالنسبة للخطوط الجوية صوب الشرق(١٢). وبعد ذلك بزمن طويل أدى التوتر مع ايطاليا نتيجة لحرب الحبشة الى التشديد على أهمية حيفا وملاءمتها كقاعدة بحرية .

لماذا اختارت انجلترا في الظاهر ان تمنح دعمها وتأييدها للحركة الصهيونية بـدلا من القضية القومية العربية ؟ ولماذا رأت بريطانيا في تأييد الدولة اليهودية مشروعا اضمن واجدر بالتأييد ؟

ان الباعث الاول على التأييد البريطاني للصهيونية كان نابعا على الارجح من الامـال المتطلعـة الى وضع النفـوذ اليهودي في الولايات المتحـدة الاميركية بخدمـة قضية الحلفاء(١٣). مثلما ورد اقتراح يقول بأن هذا التأييد من شأنه ابعاد اليهود الروس عن الحزب البلشفي في روسيا وابقائهم حلفـاء متحاربين الى جـانب فرنسا وبريطانيا. فأنجلترا كانت تأمل في ان يحول نفوذ اليهود الروس دون انتقال تجارة الحبوب الروسية، التي كانت بأيدي اليهود، الى المانيـا. والحكومة البريطانية « كـانت تفكر بالوضع المتدهور بسرعة في روسيا، وبالنفور من الحرب لدى قطاع لا يستهـان به بين اليهود الاميركيين، أو بالقيمة الدعائية لاعـلان مؤيد للصهيونية. كمـا انها فكرت بالصفة المستعجلة والملحة للمسألة، في ضوء التقارير التي افادت بان كل تأخير يطرا على اصدار ذلك التصريح معناه اتاحة المجال امام الالمان لاضعاف مفعوله وعرقلة سيره »(١٤).

لقد صرح اللورد كيرزون في مجلس اللوردات بتاريخ ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ بـأن السبب الرئيسي وراء التصريح كان استراتيجيا(١٥). واعلن ونستون تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ بان الدافع الاولي كان يهـدف الى كسب التأييد الروسي والاميركي(١٦).

وعلى الرغم من كون هـذه الاسباب المعقولة بمثابة العوامل الظـاهرة التي ادت الى اصدار تصريح بلفور فان المواقف الموالية للصهيونية لدى رجال الدولة البارزين كـانت دافعا حاسما لاتخاذ القرار. ففي شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦، عندما سقطت حكومة الائتلاف الاولى، وصلت الى مقاعد السلطة فئة جديدة من رجال الدولة وبينهم لويد جورج وآرثر بلفور. وجاء الان الباعث على الصهيونية الامية في انجلترا من فوق. ان هؤلاء الساسة هم الذين دشنوا أول تصريح رسمي بالسياسة البريطانية الموالية للصهيونية، لذا يصبح من الضروري دراسة مشاعرهم نحو الافكار الصهيونية وازاء الحركة القومية العربية التي كانت آخذة في الظهور.

تنبع أفكار الاتجاه الصهيوني الاممي من ثلاثة مصادر عامة، هي التالية :

١ ــ **الرومنطيقية الدينية والتطلع المسيائي** : يعبر الكولونيل ماينرتزهاغن بوضوح تام عن النواحي العاطفية والرومنطيقية في الصهيونية الاممية. فهو يقول : « لقـد تأثرت ايما تأثر بالوعد الالهي عن بقاء الارض المقدسة ميراثا ابديا لبني اسرائيل. مثلما تأثرت أيضا بالاعتقاد القائل ان الارض المقدسة مرتبطة على نحو لا تنفصم عراه مـع كل من الديانة اليهودية والشعب اليهودي »(١٧).

انه ينظر الى سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية من خلال اعتبارات مسيائية Missianic فيقول : « يعتبرنا الصهيونيون صراحة بمثابة الاداة التي ارسلها الرب لتحقيق الوعد وارجاع الارض المقدسة الى بني اسرائيل »(١٨). اما الـذين كانوا من رجال الكنيسة طيلة حياتهم امثال لويـد جورج وآرثر بلفور والجنرال سمطس فقـد تأثروا على نحو رومنطيقي بفكرة العودة اليهودية الى الارض المقدسة. ان لويـد جورج، مثلا، رغم اظهاره بين الحين والاخر لـ « مسحة من العداء للسامية بشكله المألوف والسوقي »، كان حساسا ازاء الطبيعة التوراتية للحركة. فقد ارتبطت مع ذكريات طفولته والتقاليد المستمدة من مقاطعة ويلز تلك النبوءات التي توقعت ارجاع اليهود الى الارض المقدسة. وسبق له مرة ان صرح بأنه يعرف عن تاريخ فلسطين اكثر مما يعرفه عن تاريخ مقاطعة ويلز(٢٠). حتى ان اسماء ميادين المعارك حركت خياله وهزت ذكريات طفولته عن تعلم

الكتاب المقدس . ومما يدل خير دلالة على نظرته التوراتية الاستحسانية للارض المقدسة قيامه برسم حدود فلسطين من دان الى بئر السبع(٢١). ففي وصفه للاستيلاء على القدس قال لويد جورج : « لكن انتباه محاربيها عام ١٩١٧ أنجذب الى جبال اليهودية القابعة وراءها . لقد اشتعلت جذوة الحماس الصليبي في نفوسهم من جديد . واصبح افتداء فلسطين وانقاذها من براثن العدوان التركي المتهلهل بمثابة عمود اللهب الذي دفعهم الى الامام . ان اتفاقية سايكس ــ بيكو التهمتها النيران . وارض كنعان لم تكن جديرة بالقتال في سبيلها لكي تترك الى مصير اجاج (ملك العماليق) ولكي يجري تقطيعها اربا اربا على مرأى من الرب »(٢٢).

من الواضح ان لويد جورج في وصفه لتعقيدات الحرب العالمية الاولى كان متأثرا الى أبعد حد بالفكرة الرومنطيقية عن الافتداء والخلاص . والواقع ، كما قال اللورد اسكويث ، هو ان « لويد جورج لا يكترث البتة لليهود . . . بل يعتبرها اهانة وانتهاكا ترك الاماكن المقدسة تنتقل الى ملكية . . . فرنسا الملحدة واللاادرية »(٢٣). بيد ان هذا التعلق العاطفي بفلسطين والاماكن المقدسة لا يمكنه ، فيما لو توخينا الانصاف التام ، ان يعلل تأييد لويد جورج لتصريح بلفور . فهو قد كان يعي ايضا القيمة الاستراتيجية لفلسطين الخاضعة للسيطرة البريطانية ، كما انه شعر بشيء من العطف نحو اليهود كشعب مكافح ، يوازي عطفه على البوير(٢٤). ورغم انه صرح فيما بعد بان تأييده أعطي كمكافأة لوايزمان على مساعدته في صنع المواد الكيماوية خلال الحرب ، فان هذه المواقف وغيرها مما يقل عنها عينية كانت بلا ريب ذات اهمية في اتخاذ قراره النهائي .

٢ ــ **عدالة التاريخ وعقدة الذنب** : ورغم ان آرثر بلفور قد تربى هو ايضا في احضان تقاليد الكنيسة البروتستانتية ، فمن البادي ان مواقفه تجاه الصهيونية تكونت بواسطة ايمانه بعدالة التاريخ لصالح اليهود واحساسه بالذنب المسيحي لما عانوه من اضطهاد. ففي خطاب القاه داخل مجلس اللوردات بتاريخ ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ قال ما يلي: « فلنعتبر ما اذا كانت حضارة اوروبا بأسرها وتنظيمها الديني برمته قد برهنت بين الحين والاخر على ذنبها في اقتراف جرائم فظيعة بحق هذا العرق »(٢٥). ومما قاله بلفور الى حاييم وايزمان ، الذي أعجب به الاول أشد الاعجاب ، « ان الحضارة المسيحية مدينة لليهود بما لا تستطيع الوفاء به . . . لقد اسهمتم خير اسهام بكل من ديانتنا وعلومنا وفلسفتنا ، رغم تشردكم وشتاتكم »(٢٦). كان بلفور شديد الاهتمام باليهود كأمة ولذا فانه اعترض بشدة على الاعتبارات الاستراتيجية او غيرها من المبررات الانتهازية(٢٧). ان ايمانه بفضائل الاعتزاز بالعرق والوطن جعله يستحسن اهداف الحركة الصهيونية . كان يعتقد بان اليهود هم جماعة من الناس كثيرة المواهب وعلى مستوى رفيع من الذكاء . لكنهم بحاجة الى وطن « لكي يقدموا للعالم كنوزا مثل الكنوز التي صدرت عن اليونان القديمة »(٢٨). لقد تمسك اللورد بلفور بهذه الفكرة عن القومية اليهودية تمسكا أعمى ، غير عابىء بالعقبات العملية التي تنطوي عليها . ففي خطاب القاه بتاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٩١٩ صرح بلفور بقوله : « ان الدول الاربع الكبرى تلتزم بتأييد الصهيونية . وسواء اكانت الصهيونية على صواب ام خطأ، وحسنة ام سيئة ، فان جذورها تنبع من تقاليد عريقة في القدم وتنغرس في حاجات حاضرة ، مثلما تصبو الى آمال ومرتجيات برهن المستقبل . وهذه كلها تنطوي على مغزى أعمق بكثير من رغبات أو تحاملات ٧٠٠ الف عربي من الذين يقيمون الآن في تلك الارض القديمة »(٢٩).

٣ ــ **العداء للسامية اساس الصهيونية** : يمثل مارك سايكس صيغة ثالثة من صيغ الصهيونية الاممية . وتشبه أفكاره الى حد ما افكار ثيودور هرتزل ، اذ يفترض كل منهما اساسا عقلانيا وراء ظاهرة العداء للسامية(٣٠). فاليهود في وجودهم الحاضر

يشكلون مصدر ازعاج بالنسبة لكل امة من الامم . ولقد تقبل سايكس تلك « الصورة الشائعة عن اليهود باعتبارهم يتكالبون على النقود ويركضون وراء الدرهم دون رابط يشدهم الى مكان ما ، وهذا مما يزيد في احتقارهم بنظره ، اذ يحاولون الظهور بما هم ليسوا عليه »(٣١). ومثلما احتقر سايكس عرب المدن ، فانه كان يكره اليهودي الليفانتيني . ومما قاله في ذلك : « اذا كان البعض يمتلىء سرورا وحبورا لرؤية اولئك اليهود السمناء الملساء يتحدثون الى نساء على شاكلتهم ، فأنا لست من هذا البعض »(٣٢). لكن جهود هربرت صموئيل هي التي جعلت سايكس يستلهم فكرة الصهيونية ، أي الفكرة القائلة بتجديد اليهود لكي يصبحوا أمة من الناس الجديرين بالاحترام . فلو اعطي اليهود وطنا قوميا لما عادوا بلية على المدنية ، ولانصرفوا الى غرس تلك الفضائل التي ربط سايكس بينها وبين حراثة الارض . بيد ان سايكس لم يكن يتصور اقامة وطن سياسي لليهود ، بل كان بالاحرى ينشد لهم قومية روحية وثقافية . ففي هذا الجو العتيد كان من المقدر لليهود ان يصبحوا « أمة من الفلاحين ومالكي الاراضي الحقيقيين ، مثل سائر الناس ، وليس امة من المتمولين والكوزموبوليتانيين والراديكاليين »(٣٣). لقد آمن بالصهيونية وأيد تصريح بلفور لكي يتسنى لليهود ان يتجددوا . ولم يكن هذا بالطبع السبب الاوحد وراء تأييده . لقد كان سايكس من اوائل الذين ارتأوا الاستفادة من القيمة الدعائية في كسب تأييد اليهود الاميركيين . لكن هذه المواقف الكامنة نحو الصهيونية ولدى البارزين من رجال الدولة البريطانيين ساعدت على تكوين السياسة الصهيونية البريطانية خلال الفترة الباكرة التي أعقبت الحرب مباشرة . حتى ان المرؤوسين استبد بهم الحماس للصهيونية . فقد سافر فيتز موريس ، وهو احد الخبراء المحليين لدى السفارة البريطانية في تركيا ، الى روما في محاولة لكسب التأييد البابوي لسياسة ممالئة للصهيونية(٣٤). وفي مطلع ١٩١٧ أصبح من المتعذر على الحكومة البريطانية اقصاء الصهيونية الى المسرح الخلفي .

وفيما كان الصهيونيون ينصرفون الى ممارسة « نشاطاتهم الدائبة تحت ستار الكتمان في لندن »(٣٥)، يجدر بنا التساؤل عما يلي : كيف شعر رجال الدولة البريطانيون ازاء السكان العرب ووعيهم القومي الآخذ بالظهور ؟ ان تصريح بلفور ومراسلات الحسين ــ مكماهون قد صدرت عن أصول مختلفة تمام الاختلاف . فالتصريح جاء تمشيا مع سياسة توازن القوى العائدة للقرن التاسع عشر . بينما كانت المراسلات اتفاقية مع شريف مكة تقضي برعاية الثورة العربية في شبه الجزيرة ، لكي يتسنى الهاء قوات الاعداء . وعلى زمن كيتشنر اعطي الحسين وعدا باقامة كيان سياسي اسلامي ومستقل يكون مركزه في شبه الجزيرة العربية(٣٦). ففي احدى البرقيات التي أرسلها كيتشنر الى عبد الله بن الحسين في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ نجده يقول له : « ... ربما تسنى لعربي أصيل المحتد ان يتسلم زمام الخلافة في مكة أو المدينة »(٣٧). ومع مجيء عام ١٩١٧ ، وفي معرض الرد على قيام جمال باشا بافشاء سر اتفاقية سايكس ــ بيكو للشريف حسين ، وعدت بريطانيا باقامة دولة عربية واحدة . كما ان التصريح البريطاني للسبعة والبيان الانجلو ــ فرنسي صدرا في وقت لاحق بمثابة ابطال فعلي لاتفاقية سايكس ــ بيكو وانكار حقيقي لها . بيد انه خلال المفاوضات التي ادت الى صدور وعد بلفور كان معظم الساسة البريطانيين لا يعرفون سوى القليل عن السكان العرب في فلسطين ، ومن المؤكد انهم لم يعتبروا هؤلاء العرب بمثابة جماعة قومية موحدة . وحتى في النص الرسمي لتصريح بلفور فانه لا يؤتى على ذكر العرب بنوع خاص ، بل يتم ادراجهم تحت التسمية الغامضة والمطاطة لفئة « الطوائف غير اليهودية »(٣٨). ان آراء العرب لم يعبر عنها ، بل جرى تصنيفهم كما يلي : « فقد اعتبروا [العرب] اما من البدو او الافندية او الفلاحين . البدو يمتلكون شبه الجزيرة العربية ، اما الافندية فانهم اما من المرابين او من اصحاب الاملاك الغائبين او الاثنين

معا ، ولا يستحقون اي اهتمام . والفلاحون في فلسطين ، شأنهم مثل شأن الفلاحين في اماكن اخرى ، سوف ينتفعون كثيرا من الحماية التي يقدمها لهم الاستعمار الاوروبي ضد جشع الافندية الذي يأخذ بخناقهم »(٣٩).

ولما كانت القومية العربية فكرة حديثة العهد جدا ، وبما أن العــرب لم يقدموا أنفسهم كهيئة متماسكة ومتراصة الصفوف ، فقد سهــل على الكثيرين من الانكليز ان يعتقدوا بانعدام القدرة السياسية لدى العرب على تنظيم انفسهم . وممـــا قاله ماينرتزهاغن : « العربي يمثــل الركود ويجسد اللاأخــلاق والحكم المهترىء ، بالاضافة الى مجتمعه الفاسد والكاذب »(٤٠). « فالعربي سوف يبقى على احتضانه للافكار الجامدة، ولن يرى ابعد من العقائد الضيقة التي نادى بها محمد »(٤١). لقد اعتقد ماينرتزهاغن بان «المملكة العربية ليست اكثر من مجرد حلم ، وان الشعور القومي العربي يستمــد أساسه من نقودنا الذهبية ليس الا »(٤٢). أما آرثر بلفور فقد أعلن صراحة بانه ينبغي على ٧٠٠ الف عربي من سكان فلسطين الا يقفوا حجر عثرة في طريق فكرة نبيلة وسامية كالفكرة الصهيونية(٤٣).

ونظر مارك سايكس الى العربي في ضوء مشابه تقريبا لنظـــرة اليهودي الليفانتيني . فاعتقد بذلك « العربي الحقيقي الذي سوف يستعيد أمجاد الخلافة الغابرة ، ويجمع بين احدث الطرق الاوروبية وذلــك التسامح والتقوى التي عرفت عن المسلمين في عصرهم الذهبي ــ وحافظت على نقاوتها من شوائب الليفانتينية والالحاد والمادية »(٤٤). لكن هذه الصورة للعربي النبيل والاصيل لم تكن لتوجد الان في الشرق الاوسط . فهو يقول بان « سكان الموصل يتحدرون من صلب تلك العشائـــر العربية الحضرية ، كالعشائر التي تقيم في كل من حماه وحمص ودمشق ، وهي المعروفة بالفخار والتبجح والغرور . وهم ، على فصاحتهم ودهائهم وسرعة انفعالهم وجبنهــم ، يمثلون في نظري صورة من اشد الصور استنكارا لما يتاح للمرء ان يراه في الشرق »(٤٥). كما انه اطلق على البدو تسمية « متسكعي الصحراء »(٤٦).

ان قضية العرب لم تحظ بتأييد فعلي ابان مفاوضات الصلح ، ولم تتوفر للعرب تلــك الشخصية التي تمثل مصالحهم بقوة هناك . ولقد بدا ان اهتمام لورنس بالقومية العربية لم يتجاوز الطابع الرومنطيقي والعابر من الاهتمام . فهو يصرح قائلا في احدى المرات : « ان هدفنا كان يقضي باقامة حكــم عربي ، يستند الى قواعــد عريضة تضم الاهالي والسكان المحليين بحيث يكفي ذلك لاستخدام حماس الثورة وتضحياتها الذاتية مترجما الى شروط للسلام »(٤٧).

بيد ان اهتمام لورنس يبدو على قــدر كبير من الانانية وحب الذات في جوهره . فلــو أقدمت الحكومة البريطانية ، بدافع المصالح الامبريالية ، على خيانة الحركات الوطنية العربية ، لكان هو نفسه يشعر بالاهانة والاساءة على صعيد شخصي(٤٨). وفي رسالة بعث بها الى روبرت غريفز عام ١٩٢١ كتب لورنس يقول : « ليتني لم أذهب الى هناك ، فالعرب أشبه بصفحة طويتها ، والتتمــات أمور بالية وعفنة »(٤٩). حتى انه اظهر في بعض الاحيــان ميولا صهيونية . ففي رسالة الى أمه نجده يضمنهـــا الوصف التالي : « ... خيام البدو القذرة والمتهدمة ، حيث يناديك الناس الى الدخول والتحادث معهم ... بينما كانت فلسطين بلدا لائقا ، ويمكن ارجاعها الى سابق عهدها بسهولة تامة . اذ كلما عجل اليهود في حراثتها ، كان ذلك من الافضل »(٥٠). ربما ان الصهيونية أتاحت فرصة أمام اخراج الفرنسيين مــن الليفانت ، فان هوغارث او لورانس لــم يعارضا السياسات الصهيونية ابان مؤتمر الصلح . فقد كتب لورانس في احدى اوراقه المؤرخة في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ يقول : « يأمل العرب ان يحتفظ البريطانيون بمـــا استولوا عليه . أنهــم لن يوافقوا على الاستقــلال اليهودي بفلسطين ، لكنهم سوف

يبذلون طاقتهم لتأييد التسلل اليهودي (الهجرة) ، اذا ما تم ذلك خلف واجهة بريطانية ، بعكس الواجهة الدولية »(٥١).

اما العرب ، كما يفترض تمثيلهم بشخص فيصل ، فقد تبنوا الحجـة نفسها في اتفاقية فيصل ــ وايزمان . أي اذا ما قامت بريطانيا بالوفاء بالتزاماتها وتعهداتها ، فان العرب لن يعارضوا في اقامة وطن قومي لليهود بفلسطين .

غير ان هذا بالطبع لم يأخذ بعين الاعتبار رغبات عرب فلسطين ، الذين ما لعبوا دورا في الثورة العربية ولـم يدعوا ان الامير فيصـل ينطق بلسانهم . أمـا الامر بالنسبة للبريطانيين فقد كان على النحو التالي : ان سكان فلسطين الاصليين لم يؤلفوا جماعة متميزة ، لذا افترض البريطانيون أن فيصل كعربي ينطق بلسان جميع العرب في المنطقة. رأت بريطانيا ، في توقها لاحراز مركز السيادة على المنطقة ، انه من الضروري اسناد تأييدها الى اولئك الناس الذين من المرجح بقاؤهم اوفياء للمصالح البريطانية . وفي ذلك يقول ماينرتزهاغن :

« يقوم اقتراحي على مصادقة ذلـك الشعب الذي تشير الاحتمـالات الى كونه بمثابة الصديق الوفي ــ اعني : اليهود »(٥٢). ويقول ايضا « ان العربي يفرح للخلاص المؤقت من النير التركي . هذا الخلاص الذي حققنـاه له ، لكن هذا الفرح لن يعمر طويـلا . وسرعان ما يتوق العربي لعودة اسياده القدامى »(٥٣).

وبناء عليه فقد اعتبر رجـال الدولة البارزون قيام دولة يهودية بمثابـة نتيجة محتملة لتصريح بلفور . ان بلفور أبلغ ماينرتزهاغن عام ١٩١٨ بأنه يأمل في اقدام اليهود عند نهاية المطاف على بناء دولة لهم (٥٤). وأشار نفيل تشامبرلين في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ الـى مـا سماه « الدولة اليهودية الجديدة التي سوف يتم انشاؤها »(٥٥). أما الجنرال سمطس فانه قال في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ ما يلي : « سوف تشهدون خلال الاجيال الآتية دولة يهودية عظمى تقوم هناك من جديد »(٥٦).

واشار تشرشل صراحة الى « دولة يهودية تحت حماية الامبراطورية البريطانية »(٥٧). كما قال لويد جورج عن تصريح بلفور بان التصريح « لم يتضمن بالضرورة اقامة دولة يهودية مستقلة في زمن مبكر ، لان مسألة الدولة كانت رهنا بالتطور التدريجي »(٥٨). وكانت هناك قلة من الرجال النافذين في لندن ، بالاضافة الى جماعة صغيرة داخل حزب المحافظين والى اعضاء وزارة الهند واعضاء الحزب الاندماجي الـذي تزعمه كل من أدوين مونتاغو وكلود مونتيفيوري ــ ممن عـارضوا السياسة البريطـانية الممالئـة للصهيونية .

ان السياسة البريطانيـة الصهيونية ، وهي التي نشأت عن الظـروف العامة للحرب وكونتها مواقف رجال الدولة البارزين في بريطانيا ، قد اعتراهـا ضعف كبير عند نهاية الحرب وحتى لدى اصدار التصريح البريطاني للسوريين السبعة والبيان الانجليزي ــ الفرنسي . بدأت بريطانيا تظهر علامات التأرجح بين قطبي سياسة موالية للصهيونية واخرى مؤيدة للعرب . وهذا التردد ازاء تأييد العرب أم اليهود هو الذي قضى فيمـا بعد على نفوذ بريطانيا بفلسطين . بيد ان مرض الرئيس ويلسون وعدم نشر تقرير لجنة كينغ ــ كرين وعجز فيصل أمام الضغط الفرنسي هي التي أنزلت الضربة القاضية بمبدأ تقرير المصير ، مما ترك الحكومة البريطانية أمام سياسة موالية للصهيونية وان لم تلتزم بهذه السياسة . وبعد الحرب أخذ الحماس الكبير الذي أظهره العديد من رجال الدولة بالفتور والزوال . لقد توفي مارك سايكس في شباط (فبراير) ١٩١٩ . لكنه أدرك قبل وفاته كيف أنه قلل من أهمية القومية العربية : « فالامور وصلت الى مرحلـة تتعدى نطاق تصوره لما ستكون عليه الصهيونية ، بينما أثارت رحلته الاخيرة الى فلسطين عدة

شكوك في نفسه »(٥٩). وفي عام ١٩١٨ قال الكولونيل ماينرتزهاغن بأنه « لا يرى كيف يمكن اقامة دولة يهودية على الاطلاق دون ان يؤدي ذلك الى الحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للعرب »(٦٠). حتى ان وايزمان بالذات ادرك الخطورة الكامنة في المشكلة العربية(٦١). لقد استقال اللورد بلفور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ . ويبدو ان لويد جورج توصل الى ملاحظة التضارب الموجود بين تعهدات زمن الحرب ، مثلما فقد اهتمامه بالصهيونية بعد عام ١٩١٩(٦٢).

وبينما كانت مفاوضات الصلح الطويلة تمتد بشكل غير متوقع ، كان من المفترض قانونيا في الادارة العسكرية ان تحافظ على « الوضع الراهن » بفلسطين ، حتى ولو تم ذلك أزاء موقف بريطاني متوقع في تأييد الصهيونيين .

مواقف « ادارة مناطق العدو المحتلة » من فلسطين

اقيمت الادارة العسكرية في فلسطين بعد احتلال القدس عام ١٩١٧ . واستثنت مفاوضات الصلح الطويلة التي اعقبت هدنة مودروس مسألة اتخاذ زمام المبادرة في اصدار اي قرار سياسي بالنسبة لمنطقة العدو المحتلة . فتم حكم البلاد بموجب القانون العرفي حفاظا على الوضع الراهن وبغية المضي في تصريف المسائل العملية المتعلقة بارجاع شؤون البلاد الى سابق عهدها في ظل حد أدنى من القلاقل والاضطرابات . لقد وصف ماينرتزهاغن التنظيم الاداري العسكري بأنه « اجراء مؤقت وقصير الامد ، عقيدته الركود وغايته حفظ السلام »(٦٣). اما المشكلات العملية التي واجهتها هذه الادارة المؤقتة فكانت عويصة بالفعل . وبما ان وجودها كان عرضة للزوال ، فقد كان من الصعب تجنيد أشخاص للعمل في خدمتها من بين الموظفين الدائمين في سلك الخدمة المدنية . ان رونالد ستورز، حاكم القدس ، وصف مجموعة الرجال المتعاونين معه بأنهم بقايا من الجنود المحترفين بالاضافة الى خليط من المساعدين جرى اختيارهم على الطبيعة امثال موظف يعمل في مكتب طوماس كوك ، وأحد العازفين على الارغن وتاجر صور ولوحات بالاضافة الى رجل اسكوتلاندي من غلوسكو يعمل في تقطير الكحول(٦٤). وكانت هيئة الموظفين في الادارة تشهد التغيير باستمرار نظرا لارتحال الضباط المسرحين من الخدمة . ففي سنة واحدة تعاقب على الادارة ثلاثة من كبار الاداريين ، هم موني ، واتسون ، وبولز . وخلال قيام لجنة بالين بتحقيقاتها سنة ١٩٢٠ كان هناك اربعة من الاداريين الرئيسيين بالاضافة الى ثلاثة من ضباط الاركان وستة من نواب الحكام العسكريين في الرملة واربعة منهم في اريحا(٦٥). لذا يتراءى لنا بانه كان من الصعب الحفاظ على استمرار السياسة في مثل هذا الوضع . فالبلاد بحد ذاتها كانت تعاني حالة من الفوضى السائدة زمن الحرب ، ومشاكل الصحة والاحوال الصحية العامة كانت ملحة وتتطلب الحل العاجل . ان س. ر. آشبي ، مستشار الادارة للشؤون المدنية . وصف القدس بما يلي : « انها مدينة رائعة من مدن القرون الوسطى ، لكنها قذرة ، وضواحيها منتشرة الارجاء . تعوزها الغابات وينقصها الماء ، طرقاتها غير ملائمة ولا توصل الى مكان محدد . وما عدا ذلك ، ففيها حكومة لا تمارس وظائفها على خير ما يرام ، مثلما انها مدينة يتوزع سكانها الى عدد لا يحصى من الطوائف المتنازعة فيما بينها »(٦٦). ولقد انشأ الجنرال موني دائرة للمالية والقانون والعدلية والصحة والزراعة ، وفيما بعد للتربية والاشغال العامة(٦٧). ورغم انه لم يستطع تغيير نظام الضرائب ، فهو الذي ادخل عليه التحسينات . لقد انشأ محاكم الصلح والمحاكم العليا التي وظف فيها رجال القضاء من البريطانيين ، مثلما انشأ محكمة للاستئناف(٦٨). اما الامتيازات فجرى الغاؤها . وقامت الادارة ايضا بتحسين طرق المواصلات وأعادت تشغيل الخط الحديدي بين يافا والقدس .

بيد ان حل هذه المشكلات العملية كان أكثر سهولة من تلك التي لها طابــع سياسي ، حتى ان العسكريين ارغموا بحكم منصبهم على معالجة المشكلات السياسية مكرهين . ان الحكومة المركزية في لندن ، عقب صياغــة وعد بلفور ، لم تقــدم سوى القليل من الارشادات لكل من العسكريين واليهود عن كيفية معالجة المضاعفات السياسية المترتبة عن الوعد . وتشكيل وطن قومي لليهود أضحى رهنا بالطاقة التي يبديها اليهود انفسهم. غير ان عددا من الصهيونيين المتطرفين كانوا في نظر حكومة صاحب الجلالة على ما يبدو يتسببون في افتعال الاحتكاك والصدام داخل فلسطين . وهناك كراس وضعه المستر ابرلين ونادى فيه بضرورة مغادرة العرب لفلسطين وهجرتهم الى الحجاز(٦٩).

ان البعثة الصهيونية الخاضعة لتاثير حاييم وايزمــان والتي وصلت فلسطين في شهر نيسان (ابريل) ١٩١٩ ، قد تم ارسالها لايقاف مثل هــذه الامور . وبموجب نصوص ميثاقها جرى«الاعتراف بها كهيئة عامة واعطيت حق تقديم المشورة والتعاون مع الادارة في جميع الشؤون المتعلقة بتأسيس الوطن القومي »(٧٠). كما منحتهــا حكومة صاحب الجلالة البريطانية حريــة ارسال البرقيات العسكرية واستخــدام اجهزة التلغــراف والهاتف ، حتى انها استطاعت الحصول على تسهيــلات انتقالية وتجارية لاشخاص ليسوا في عداد افرادها(٧١).

ورغم ان هذا « التنظيم » كان محصورا في الظاهر بأعمال الاغاثة وتنظيم شؤون اليهود، فان البعثة المذكورة تصرفت كهيئة حكومية قائمة بذاتها ، مما أدى بدوره الى ازدواجية بينها وبين عدة دوائر تابعة للادارة العسكرية . وبينمــا أرادت البعثة الصهيونية أن يجري اعتبارها بمثابة شريك للادارة ، فان العسكريين تبنوا النظــرة القائلة بوجوب معاملة اليهود ، تمشيا مع سياسة الحفاظ على الوضع الراهن ، على قدم المساواة مع سائر السكان وليس اكثر من ذلك .

لكن بلفور عام ١٩١٩ حدد سياسة حكومة صاحب الجلالــة امام ماينرتزهاغن على نحو مختلف تماما . فقال مــا يلي : « ان جميع مخططات الانمــاء والمشاريع الصناعية من مختلف الانواع والمساعدات المالية كافة يجب ان تستند الى المبدأ الذي يعتبر الصهيونيين بمثابة الامة الاكثر رعاية في فلسطين »(٧٢). ان حماس الصهيونيين في فلسطين تسبب في حمل العسكريين على مقاومة ضغوطهم بواسطة الحفاظ على الوضع الراهن وعلى القيام بدور الحكــم للفصل بين الصهيونيين والعرب . لقــد واجه العسكريون وضعا متناقضا خلال زمن من مفاوضات الصلــح المثيرة للبلبلة . وانطوى غموض السياسة على بعض الحسنات بالنسبة للحكومة البريطانية ، اذ اتاح لها ان تصوغ السياسة وفقا للاحداث(٧٣). بيد ان هذا الغموض في الموقف البريطاني من مسالة الوطن القومي لليهود حشر العسكريين في وضع محرج للغاية فالصهيونيون وجهوا اتهامــات قاسية للادارة باتخــاذ موقف مناوىء لهم وبالتسبب في الصدامــات بين العرب واليهود ، واثــارة اضطرابات عيد الفصح ١٩٢٠ ، بالاضافة الى التجاهل التام لرغبــات حكومة صاحب الجلالة . ان اضطرابات عيد الفصح عام ١٩٢٠ اوصلت هذه الشكاوى الى مسامع حكومة صاحب الجلالة ، فجرى تشكيل محكمة تحقيقات في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ لكي تحقق في اسبــاب الشعور العنصري والقلاقل داخــل فلسطين . لذا يصبح من الضروري بحث الاتهامــات الدقيقة التي زعمها الصهيونيون ثم الانتقــال الى دراسة المواقف لدى المسؤولين العسكريين .

خلال قيام لجنة بالين للتحقيق بمتابعة أعمالها التي استغرقت خمسين يوما واستمعت فيها الى ١٥٢ شاهدا عمدت البعثة الصهيونية الى توجيه اتهامــات ثلاث ضد الادارة العسكرية . هذه الاتهامات هي كما يلي :

اولا : شكت من « بعض الملاحظات الحمقاء التي ابداها مختلف المسؤولين وكانت تنم عن تحيز شخصي ضد اليهود »(٧٤). فقد سبق لحاييم وايزمـــان ان رفع شكواه من كون « الروس واليهود والبولشفيك كلمات مختلفة للشيء نفسه في اذهان معظم المسؤولين البريطانيين ... وحتى عندما لم يكن هؤلاء على جهل تام بالتطورات ، فانهم لم يجدوا اي مبرر للوقوف بجانب اليهود ونصرتهم ... غير عابئين بوجود الوعد (تصريح بلفور) او عدمه»(٧٥). واستنتج ماينرتزهاغن بأن موظفي الجيش البريطاني وافراده كانوا على قدر كبير من البلادة الذهنية مما حال دون استحسانهم لقيم الصهيونية . فقال : « انهم يخلطون بين الافكـــار النبيلة في الصهيونية وبين الشخصية اليهودية كمـــا صورهـــا شكسبير »(٧٦). كما هـــاجم رونالد ستورز على صعيد شخصي متهمـــا اياه بالعداء للصهيونية وبان « اتصاله الوثيق بالعرب جعل عقله شرقيا وادخل على تفكيره عنصرا قويا للغاية من عناصر الدس والتآمر والنفاق الفكري »(٧٧). وفي حديثه عن المهاجرين الوافدين الى فلسطين قـــال دوغلاس دوف : « كان علينـــا اظهار الشدة وعدم المودة نحوهم . ولم يكن يجدي الواحد منا نفعا لدى رؤسائه اذا ما حسبوه يكن عطفا زائدا تجاه اليهود العائدين (٧٨). وفي التقرير الذي أعدته البعثة الصهيونية عام ١٩١٩ وردت تهمة تقول بان « التشنيعات والاستهزاءات الموجهة ضد الصهيونيين وضد المستوطنين اليهود والبعثة الصهيونية كانت تسمع في كل ناد من أندية الضبـــاط المنتشرة بين دان وبئر السبع »(٧٩).

ثانيا : صرحت البعثة بان العسكريين قاموا « بأعمال محددة تنم عن تحيز من جـــانب الادارة والمسؤولين »(٨٠). ان تصريح بلفور لم ينشر في فلسطين حتى تاريـــخ الثامن والعشرين من شهر نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، مما بدا وكأنه يقدم الدليل عـــلى مخالفة الادارة لمحتوياته . لقد شكت البعثة من رفض المسؤول البريطاني ان يتعلم اللغة العبرية واعطائه الافضلية الى غير اليهود في التعيينات بالوظائـــف الحكومية ، ومن حظره بيع الاراضي الى اليهود وسماحه للفئات العربية المحتجة بعقد الاجتماعـــات(٨١). وعلاوة على ذلك ، أوصى الجنرال بولز في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ بالغاء البعثة الصهيونية . كما قال هوراس ب. صموئيل ، أحد الموظفين القضائيين في فلسطين ، بان العسكريين ارادوا « اقامة دولة عربية كبرى او اتحـــاد دول يشمل الحجـــاز والعراق وسوريـــا وفلسطين »(٨٢). فالادارة البريطـــانية ، بنظر صموئيـــل ، تحدثت بصورة عدائية عن الدعاية الفرنسية ، لكنها تساهلت ازاء الدعاية الشريفية(٨٣). وقال ايضا بان رغبات اكثرية السكان العرب كما ظهرت في تقرير لجنة كينغ ـــ كرين « جاءت مطابقة تمـــام المطابقة لسياسة الزمرة العسكرية »(٨٤). وبذلك أعطت ادارة فلسطين الانطباع بـــأنه يمكن تحويل سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطاني عن مسارها فيما لو توافر مقدار مطلوب من التصميم والعزم .

ثالثا : اتهم الصهيونيون الادارة البريطـــانية في فلسطين بانهـــا لم تبادر الى اتخـــاذ الاحتياطات الكافية للحؤول دون نشوب اضطرابات عيد الفصح سنة ١٩٢٠ . وذهب بعض الصهيونيين ، امثال الكولونيل ماينرتزهاغن ، الى حد الزعم بـــأن الاضطرابات التي ذهب ضحيتها ٢١٦ اصابة من اليهود من اصل ٢٥١ نشبت بفعل التشجيع النشيط من جـــانب العسكريين(٨٥). لقد كانت هناك عدة حوادث قبل اضطرابـــات الفصح . ففي شهر آب (اغسطس) ١٩١٩ أرســـل بعض الساسة الدمشقيين عملاء لاثارة القلاقل في فلسطين وافلحوا في تشجيع بعض قبائل البدو على مهاجمـــة المستوطنات اليهودية بالانطلاق من أراضي الدولة الفيصلية . وفي شباط (فبراير) ١٩٢٠ اغـــار المهاجمون العرب على مستعمرة المطلة اليهودية . كما انه اثناء احتفالات عيد الفصح ، عندما يصل الهيجان الطائفي الى الذروة عادة ، « فان النغم السائد لدى المسؤولين

العسكريين البريطانيين حينذاك كان دون ريب يضمر العداء لليهود »(٨٦). فالكولونيل ماينرتزهاغن قال بأنه حذر الجنرالين بولز واللنبي من الكارثة المتوقعة ، لكن أحدا منهما لم يعره أذنا صاغية(٨٧). ويزعم ماينرتزهاغن بأن البريطاني دوتزز — تايلور خاطب محافظ القدس عقب الاضطرابات بقوله : « لقد اعطيتكم فرصة ثمينة ، وبقيت القدس طوال خمس ساعات دون حماية عسكرية . كنت آمل ان تغتنموا هذه الفرصة ، لكنكم اخفقتم في ذلك »(٨٨). بعد هذه الحادثة طالب كبير الاداريين (الحاكم الاداري لفلسطين) بالغاء البعثة الصهيونية وتسريح الفيلق اليهودي . وسجل تقرير المنظمة الصهيونية عن سنة ١٩٢٠ ما يلي : « اما أن يرحل اليهود أو أن ترحل الادارة العسكرية »(٨٩). فلم يمض وقت قصير حتى اتخذت حكومة صاحب الجلالة البريطاني قرارها بتعيين هربرت صموئيل في منصب المندوب السامي على رأس ادارة مدنية ، لكي يتسلم مهام منصبه بفلسطين في ١ تموز (يوليو) ١٩٢٠ .

ان موقف العسكريين ازاء كل من فلسطين والعرب واليهود ينبغي النظر اليه في ضوء مركزهم الخاص الذي كان يختلف أشد الاختلاف عن موقع رجالات الدولة البريطانيين ومركزهم في لندن . فقد صدرت الاوامر الى الادارة العسكرية ، عقب حرب طويلة ومنهكة ، باتباع سياسة عديمة الخيال في جوهرها وترمي للحفاظ على الوضع الراهن . لذا يجوز لنا القول بمعنى « ما ان الرجالات العسكريين كانوا « أعداء » للحماس »(٩٠). بينما راحت الجالية اليهودية ، وقد تاهت عجبا وزهوا بتصريح الحكومة البريطانية المتضمن سياسة موالية للصهيونية ، تباشر العمل في اقامة وطنها القومي وسط حماس منقطع النظير . وكما صرح حاييم وايزمان بقوله : « ان الامال المسيائية التي طالعناها بين سطور وعد بلفور أصيبت بخيبة مريرة عندما حصل الاحتكاك والاتصال بيننا وبين الحقائق القاسية لمقر القيادة العامة »(٩١). حتى ان ماينرتزهاغن بالذات أدرك بأن البعثة الصهيونية سوف تكون « شوكة في جنب »(٩٢) الادارة البريطانية . وبينما كان يفترض في العسكريين ان يحافظوا على الأوضاع ويؤمنوا استقرارها في حالة من الركود والجمود ، أخذت البعثة الصهيونية تتلهف لوضع الخطط في سبيل بناء الوطن القومي . فانصرفت هذه البعثة الى تشكيل لجنة للاراضي وقوة يهودية للدفاع ، بالاضافة الى وحدة طبية صهيونية ونظام قضائي يهودي ودائرة استخبارات يهودية(٩٣). وطالب الصهيونيون ان يتم الاعتراف بالعبرية كلغة رسمية ، مثلما طالبوا بتمثيل العلم والنشيد القومي اليهودي كرمزين لفلسطين . ففي عام ١٩١٨ جرى تدشين وضع الحجر الاساسي لمبنى الجامعة العبرية . بيد ان الاحتكاك بين الهيئتين بقي ، بفضل التأثير المعتدل الذي مارسه حاييم وايزمان ، على حد أدنى . وفي نهاية ١٩١٩ تم توسيع البعثة الصهيونية واصلاحها . فقام يهود يتحدرون من أوروبا الشرقية ، أمثال مناحيم يوسشكين الذي كان يضمر كرها متأصلا لكل الرجالات العسكريين ويحتقر التسويات ، بوضع سياسة البعثة وتكوينها(٩٤). مما أدى بدوره الى جعل البعثة المذكورة تزداد تطرفا وعدوانية واستبدادية في الراي . فالاقتراحات المقدمة لاتخاذ خطوات تؤول الى توسيع مشاركة اليهود في الادارة العسكرية ، واقتراح المطالبة بتشكيل لجنة أراضي تضم ممثلين عن الصهيونيين ، قوبلت بالرفض من جانب العسكريين اذ رأوا فيها خرقا صريحا للوضع الراهن(٩٥). وفي مناسبات ثلاث مارست البعثة ضغطا على الادارة عن طريق النفوذ الذي تمتعت به المنظمة الصهيونية في لندن لدى الحكومة البريطانية . فقد احتج الجنرال موني في مناسبة منها ضد الفيتو الذي تبنته البعثة الصهيونية حيال قوانين الاراضي وضد احالتها للمشكلة الى لندن . بينما نعرف بأن الادارة حاولت استصدار قوانين تحظر المضاربة بأسعار الاراضي مثلما تمنع بيع او شراء الاراضي غير المسجلة(٩٦).

لقد تعرض العسكريون منذ البداية لانتقادات الصحافة الصهيونيـــة ، ورغم أن هذه الصحافة لم تكن قادرة على ابعادهم عن مناصبهم ، فانهم لم يتمكنوا من الدفاع عـــن انفسهم علانية(٩٧). ان حكومة الظل هذه كانت مصدر ازعاج دائم للعسكريين . وكل دائرة من دوائر الادارة الرسمية جرى استنساخها وتكرارها داخل البعثة الصهيونية . ففي عام ١٩١٩ تقدم القاضي الاميركي والصهيوني برانديس من الحاكم الاداري العام باقتراح يجعل تنفيذ كل سياسة رهناً بالموافقة المسبقة من جانب البعثة الصهيونية . والمعروف ان دائرة الاستخبارات الصهيونية كانت تعمل بنجاح فعال للغاية . ففي صيف ١٩١٧ اكتشفت المخابرات التركية حلقة تجسس صهيونية، هي جماعة النيلي (Nili = تتألف هذه اللفظة من الاحرف الاولى لعبارة في العهد القديم تعريبها : « فصيح اسرائيل لا يكذب ») التي قامت على تنظيمها أسرة آرونسون ، وعملت بصورة وثيقة مع قسم المخابرات التابع للجنرال اللنبي .

لذا ليس هناك ما يدعو الى العجب والاستغراب أن يكون الصهيونيون ما زالوا في وضع يسمح لهم بالوصول الى بعض المعلومات السرية(٩٨). فقد جاء في تقرير بالين ما يلي : « أتى الدكتور وايزمان مؤخرا ، وخلال اجتماعه الى البريجادير — جنرال ووترز — تايلور ، على ذكر وثيقة سرية للغاية هي خطة الدفاع التابعة للجيش الثامن ، لكنه رفض بصورة قاطعة ان يبوح بكيفية حصوله عليها »(٩٩). كما استخلص تقـــرير لجنة بالين للتحقيق بأن موقف الصهيونيين يطابق الوصف الذي أطلقه أحـــد الشهود ، الدكتور باترسون ، من المقيمين القدامى في مدينة الخليل ، بقوله انـــه موقف متعجرف ووقح وينطوي على الاستفزاز والتحريض(١٠٠). وفي تقرير رونالد ستورز نجد ان المسؤولين والضباط البريطانيين شعروا بأنهـــم « محاصرون مـــن كل جانب وعرضـــة للتهديد والخطر »(١٠١). كما قال الجنرال بولز في التقرير الذي أوصى بالغاء البعثة ما يلي : « فيتضح مما تقدم ان سلطتي الخاصة وسلطة أي دائرة من دوائر الحكومة ، همـــا عرضة للتنزي عليهما من قبل اللجنة الصهيونية . واني متأكد انه من المتعذر استمرار هذا الوضع دون أن يسبب ضرراً ويوقع الامن العام في معضلات تعم البلاد ، فتجـــر الحكومة الى مآزق حرجة »(١٠٢).

فلو انه كانت هناك اية مظاهر من الشعور المناوىء للصهيونية أو اليهود ، لكان من المرجح أنها جاءت نتيجة مباشرة للاحتكاك الذي ولده هذا الوضع الشاذ . وبينما أرغم العسكريون على التعامل مع جماعة صهيونية منظمـــة وملحاحة في انتزاع مطالبهـــا المتشددة ، فانهم بالمقابل لم يعانوا سوى القليل من الصعوبات لدى تعاملهم مع العرب. وعلاوة على ذلك ، فان العاملين في ادارة مناطق العدو المحتلة كانوا أقرب احتمالا الى تعلم العربية من العبرانية ، كما ان البعض منهم ، أمثال ستورز و ويفل ، كانت له خبرة مع العرب اثناء الحرب . ومما قاله ماينرتزهاغن بأن « العربي أحيط بتلك الهالة نفسها من الرومانسية التـــي درج مسؤولونا في أفريقيـــا الشرقية علـــى الباسها لقبائـــل « المازاي » »(١٠٣). حتى أن هوراس صموئيل بالذات أقر بأن العرب أظهروا سجايا وعادات حميدة أفضل مما أظهره اليهود بلا استثناء(١٠٤). وقال آشبي ، وهو الذي آمن بالحركة اليهودية كتعبير روحي رائع ، ما يلي : « ان يسوع المسيح ، لو انه وجد على الاطلاق ، كان يهوديا سوريا ولا يزال هنا في القدس . لكنه لن ينخرط في سلك الخدمة ، بل يكون شاذاً ومتعبا ، وشوكة في جنب اية حكومة »(١٠٥). كما شكا متذمرا من عجرفة الحركة الصهيونية السياسية ونزعتها الاستئثارية ، فقال : « ان العربي ليس شديد الذكاء ، لكنه ألطف من اليهود بكثير في نواح عديدة . وهو ليس بالانسان المجدد الى هذا الحد ، لكنه يعوض عن ذلك كله بانه مثال الجنتلمان المهذب »(١٠٦). ان حماس اليهود الوافدين حديثا الى فلسطين وعدوانيتهم كانا طاغيين الى ابعد الحدود، مما حمل آشبي

على القول بأن « سلوكهم يصعق الارستوقراطيين المسلمين مثلما يصدم الجنتلمان الانكليزي »(١٠٧).

حتى ان الضباط البريطانيين اليهود استنكروا تصرفات الصهيونيين وعارضوا في تشجيع استخدام اللغة العبرية بفلسطين(١٠٨). وعلى الرغم من كون حفنة ضئيلة بين الضباط قد اظهرت قدرا معينا من الشعور المناوىء للصهيونية ، فان ذلك لا يبرهن على وجود تحيز عام ضدهم من جانب الادارة . فالتقرير المرفوع من لجنة بالين للتحقيق يذكر بأن جميع حالات التمييز على صعيد شخصي ، مما تضمنه التقرير اياه ، كانت تطال أربعة مسؤولين معينين وقد تمت تنحية هؤلاء عن مناصبهم وتجريدهم من مسؤولياتهم(١٠٩). ان اليهودي الصهيوني نورمان بنتويش أدلى أمام لجنة التحقيق بشهادة مفادها « انه لم يكن هناك تحيز عام . هناك ضابط او اثنان من الذين أظهروا بعض العداء لليهود . لكن اليهود أنفسهم يتحلون بحساسية مفرطة ، وهم على استعداد للانتقال الى موقف الهجوم واعتبار تصريح ١٩١٧ (وعد بلفور) بمثابة أمر ينبغي تحقيقه فورا »(١١٠).

ان الحياد كان غاية العسكريين في شؤون الادارة العملية ، لكن العديد من المسؤولين والضباط كانوا على الصعيد الشخصي ملتزمين بتأييد قضية الصهيونية . فقد قال رونالد ستورز ، وهو الذي نظر الى الصهيونية كفكرة نبيلة وسامية ، ما يلي : « نحن أيدنا الصهيونية ، وينبغي لنا الاستمرار في دعمها وتأييدها باعتدال وعدالة لا يردعهما رادع ودون تسرع أو مواربة »(١١١). ويتحدث ستورز بأن ادارة مناطــق العدو المحتلة في الواقع أقدمت عمدا على خرق الوضع الراهن وانتهاكــه في حالات معينة لصالــح الصهيونية . فهو يقول : « ان اول بيان اصدره الجنرال اللنبي وكل شيء صدر عني كان بالعبرية ، مثلما كان بالانكليزية والعربية . وقد تواجد الضباط اليهود في هيئات اركاننا ، مثلما تواجد الكتبة والتراجمة اليهود في مكاتبنا »(١١٢).

والواقع ان بعض الدوائر ، مثل دائرة الهجــرة ، كانت ملأى فوق طاقتها النسبية بالموظفين اليهود . ففي شهر آب (اغسطس) ١٩٢٠ كان اليهود يشغلون ٤٤ منصبا من أصل ٦١ بين فئة الموظفين الصغار(١١٣). حتى ان الصهيونيين واليهود أمثال نورمان بنتويش والبرت هيامسون لم ينجوا من انتقاد البعثة الصهيونية . ولقد تسبب حياد الجنرال اللنبي في حمل ويفل على حسبانه مؤيدا لليهود ، مثلمــا حدا بالكولونيــل ماينرتزهاغن الى وصفه بالمؤيد للعرب(١١٤). كما يرد في حديث مسجل وغير منشور جرى بين هربرت صموئيل واللنبي ما يلي : « قال اللنبي بأنه حتى يتم توقيع معاهدة الصلح مع تركيا لا يمكن اتخاذ اية خطوات لتوطين اليهود بفلسطين. وأكد حياده المطلق ازاء اليهود والمسيحيين والمسلمين ، مثلما شدد على حياد ضباطه . بينما عمد الدكتور وايزمان الى اتهام موني وستورز بأنهما يناوئان الصهيونية ، لكنهما لم يناوئاها »(١١٥). ومما قاله لويد جورج عام ١٩١٩ مخاطبا الضباط والمسؤولين : « اذا توقف أحد الطرفين عن رفع الشكوى فسوف تعزلون من مناصبكم »(١١٦). مثلما كتب رونالد ستورز وسط غضبه وسخطه يقول : « كان هناك بيننا من يودون لو يصرخون مع ميكوتيو بأعلــى صوتهم : « ليت الطاعون ينزل على بيتكما » ! »(١١٧).

ان الصهيونيين لم يكتفوا باتهام المسؤولين انهم يظهرون تحيزا شخصيا فحسب ، بل نسبوا اليهم تحيزا عاما تدل عليه بعض الاعمال المعينة . ففي تلك الحالات التي قدم الصهيونيون دلائل عنها الى محكمة بالين ، استخلصت لجنة التحقيق مــا يلي : « ان مسألة التمييز المجحف غير واردة على الاطلاق ، وحتى في تلك الحالات التي تثور حولها بعض الشكوك ، فان التمييز لم يحصل بتأثير تفضيل العربي على اليهودي ، بل أملته مسائل السياسة المحلية »(١١٨). فالدكتور روبينوف ، مثلا ، زعم ان الموظفين اليهود عوملوا باجحاف لدى تسلم دائرة الصحة العامة لاعمال مكافحة الملاريا . بينما يبين

تقرير بالين بأن الترتيبات المتعلقة بتسلم المهام جرى اتخاذها بالاتفـاق مـع « الوحدة الطبية الصهيونية الاميركية » ، وان المناصب التي عرضت على المسؤولين الصهيونيين قوبلت بالرفض من جانبهم اذ اعتبروا الاجور رديئة للغاية(١١٩).

لقد عالجت الادارة العسكرية مشكلة الهجرة الى فلسطين بطريقة واقعية دون أن تغض الطرف عن خير السكان كافة ومصلحتهم أجمعين . وبما ان ٩٠ بالمائة من السكان كانوا غير يهود ، فقد أخذ الصهيونيون المتحمسون في لندن ، أمثال بلفور و وايزمان ، يطالبون بهجرة فورية دون قيد أو شرط ، لكي يتم تكبير حجم الجالية اليهودية بفلسطين . لكن فلسطين كانت بلدا فقيرا من الناحية الاقتصادية ، تكاد تخلو من الصناعة وتجارتهـا ضئيلة ، كما انها تخلو من الموارد الطبيعية . لذا فقد شعرت الادارة بأن رفع القيود عن تدفق المهاجرين سوف يخلق مشكلة بطالة خطيرة للغاية . ولان البلاد غير قادرة على تحمل عدد كبير من السكان الذين يعتمدون على موارد خيالية للرزق والعيش ، فان الجنرال اللنبي لم يصدق بأن وايزمان كان ينوي بالفعل استقدام هذا العدد الضخم من اليهود ، بينما لم تكن مؤن الاطعمة أو الخدمات الصحية متوافرة بشكل كاف(١٢٠). مثلما اعتبر مشاريع وايزمان الرامية الى توطين ٥٠ ألف يهودي في السنة ضربا من المحال على الصعيد الاقتصادي(١٢١). ان خمسمائة فقط من أصل ٧ آلاف يهودي هاجروا الى فلسطين بين ١٩١٧ و١٩٢١ كان قد تم توطينهم سنة ١٩٢٢ . ونحـو ١٥ بالمائة كانوا عاطلين عن العمل ، مثلما ان النصف منهم تقريبا كان يعتمد في معيشته ، بصورة جزئية على الاقل ، على الاشغال والمنافع العامة والمؤسسات الخيرية الصهيونية(١٢٢).

يتبين لنا مما تقدم لماذا كانت الادارة حريصة كل الحرص على تفحص المهاجرين وافرادهم بعناية فائقة لكي يتسنى لها اختيار أولئك الذين يتقنون بعض المهارات او يمكنهم العود بالفائدة على اقتصاديات البلاد .

وكذلك أشار الصهيونيون الى تردد العسكريين في اذاعة نص وعد بلفور ونشره معتبرين الامر دلالة على تحيز عام . فقد جاء في تقرير بالين بأن معنى الوعد احتاج الى ما يتراوح بين أربعة وخمسة أشهر لكي يتسرب الى الناس ، وعندما حصل ذلك انحاز ٩٠ بالمائة من أهالي البلاد ضد الادارة البريطانية(١٢٣). وربما كان الغموض الذي اكتنف تصريح بلفور وتقلقل المركز البريطاني هما من العوامل التي تسببت في حمل العسكريين على الامتناع عن نشر الوثيقة واذاعتها . بيد انه يجوز لنا الافتراض بأن التحفظ على اذاعة الوثيقة ليس معناه كون الفلسطينيين يجهلون وجودها . فالسيدة نيوتن تقول بأنه حتى اثناء فترة ما قبل الحرب كانت هناك حفنة من الصحافيين الفلسطينيين أدركت أهداف الصهيونية ومراميها البعيدة ، مثلما نبهت الى خطر الحركة الصهيونية على المصالح الزراعية والاقتصادية العربية(١٢٤). ورغم ان السكان العرب في فلسطين كانوا على بينة من مضمون تصريح بلفور ، فان الاحتجاجات المبعوثة الى لندن وقيام التظاهرات أخذت تتصاعد بعدما تزايدت نسبة الهجرة اليهودية وجاءت نشاطات البعثة الصهيونية لتقرع ناقوس الخطر(١٢٥).

تلقت الادارة تعليمات في احدى المرات تقضي بارسال تعميم الى مختلف الطوائف في البلاد للتأكد من الجهة التي يفضلون ان تتولى حكمهم . كما ان التصريح الانجلو ــ فرنسي والتصريح البريطاني للعرب السبعة جعلا الالتزام البريطاني بسياسة صهيونية أكثر غموضا والتباسا . وحين كان في لندن أعرب كلايتون عن الحاجة الى انتهاج سياسة محددة . مثلما توسل حكومة صاحب الجلالة ، تمشيا مع موقفه القائل بالمساواة بين فئتي السكان ، أن تجري انتخابات بحيث تخرج منها أكثرية من بين العرب واليهود ، لان هذه الاكثرية ضروريـة لتقرير الاتجـاه السياسي للبلاد(١٢٦). حتى ان الكولونيـل ماينرتزهاغن قال في حزيران (يونيو) ١٩١٩ ما يلي : « مـن الواضح ان الوضـع

السياسي في فلسطين ... ناتج عن افتقار حكومة صاحب الجلالة الى سياسة واضحة وعن اخفاقها في التوضيح للملا بصورة لا تقبل الشك بأن تأسيس الوطن القومي هو السياسة الرسمية والمعلنة لحكومة صاحب الجلالة »(١٢٧). ومما قاله ماينرتزهاغن في تقاريره : « ان الرأي لدى العديد من المسؤولين في الادارة الحالية يميل الى ان صياغة هذا البيان بأسلوب معتدل لكنه صريح للغاية يمكنها الوصول الى حد ازالة المخاوف المحلية »(١٢٨). على انه مهما يكن الوضع قد بدا غير مؤكد ، فان تصريح بلفور جرى دمجه على الاقل بصورة رسمية في مبنى السياسة البريطانية . ان لجنة بالين للتحقيق اعتبرت عدم نشر التصريح بمثابة خطأ فادح من جانب الادارة العسكرية(١٢٩).

وفي التهمة الثالثة التي وجهها الصهيونيون الى العسكريين اتهموهم بتشجيع العرب وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحؤول دون نشوب الاضطرابات خلال الاحتفالات بعيد الفصح ١٩٢٠ . وهذا ما يبدو انه الدلالة الاشد خطورة على وجود تحيز مناوىء للصهيونية لدى الادارة . يقول تقرير بالين بأن الامير فيصل خلال شهر كانون الثاني (يناير) كان يشن حملة لصالح انتداب فرنسي على سوريا ومن جملتها فلسطين ، بناء على ترتيبات خاصة مع المسيو كليمنصو . أما مدير الشؤون الخارجية لدى الامير فيصل ، وهو المعروف بتأييده لبريطانيا ، فقد أبلغ ووترز ــ تايلور عن وجود دعاية عنيفة ضد بريطانيا ، ليس في سوريا وحدها فحسب ، بل وفي فلسطين ايضا والعراق وايران . وهي دعاية تدعمها الاموال الفرنسية(١٣٠). لذا فقد تداول المسؤولون البريطانيون في فلسطين حول مسألة الاعتراف بفيصل كحاكم على رأس دولة عربية ، آملين ان يضع ذلك حدا للدسائس والمكائد الفرنسية . ويقول تقرير بالين ما يلي : « ان التداول بهذا الامر لم يكن صادرا عن أية مخالفة او تنكر لسياسة الحكومة أو عن أي اشمئزاز من الاهداف الصهيونية »(١٣١). و« ليس من دليل هناك على ان التداول بشأن هذه السياسة كان معروفا لدى انسان آخر غير الصهيونيين »(١٣٢). لذا فمن المرجح ان هذا التداول لم يزد في حدة الاستياء العربي من الوضع السياسي .

لم ينكر الجنرال بولز في تحقيقات اللجنة انه ومرؤوسيه تلقوا تحذيرات كافية قبل الاضطرابات . لكن الكولونيل براملي سبق له في حزيران (يونيو) ١٩١٩ ان بعث برسالة الى وزارة الحربية يلفت انتباهها فيها الى عدم كفاية قوات الشرطة ، فقوبل طلبه بالرفض نظرا لانعدام الواردات(١٣٣). ان اليومين من التظاهرات التي سبقت الاضطرابات كان لهما أثر سيىء الحظ ، اذ « غرسا في ذهن السلطات شعورا خاطئا بوجود الامن »(١٣٤).

لقد استنتجت لجنة التحقيق بأن مختلف التهم الموجهة ضد العسكريين ، من انهم كانوا على علم بالخطة وأعطوا اشارة البدء بتنفيذها كما قاموا بسحب قوات الشرطة اليهودية من داخل المدينة ، « لا تستند الى دلائل ثبوتية ومادية »(١٣٥). لكن « هيئة التحقيق وجدت نفسها ملزمة بتسجيل رأيها في أن اعتقال السيد جابوتنسكي وملاحقته قضائيا كان عملا ينقصه التسامح »(١٣٦)، وان العسكريين أبطأوا في بسط سيطرتهم الكاملة على المدينة بعد اعلان الاحكام العرفية(١٣٧). وفيما عدا ذلك فقد ردت المحكمة الاتهام الصهيوني باعتباره يفتقر الى الادلة والبراهين . ان اعمال العسكريين خلال هذه الازمة لا يمكن دمغها بأنها كانت صراحة مناوئة للصهيونية أو مؤيدة للعرب بنوع خاص . بيد ان نشاطات البعثة الصهيونية عند هذا المنعطف والانتقادات الموجهة من اليهود الى الادارة قد ادت الى استفزاز « ادارة مناطق العدو المحتلة » بصورة كافية ، مما حال دون قيام هذه الادارة باتخاذ التدابير الكافية ، سواء بصورة شاملة ام عن حماس ، لحمايتهم .

وضعت الادارة العسكرية لفلسطين في مركز صعب وحرج بالنسبة للاهداف الصهيونية،

وذلك نظرا لطبيعتها المؤقتة ولتمسكها بسياسة الابقاء علـــى الوضع الراهن . ولان العسكريين حاولوا ممارسة سياسة المساواة بين العرب واليهود ، ولكون ادارة مناطق العدو المحتلة لم تستطع اعطاء تفسير دقيق لتخبط النوايا السياسية البريطانية ، فقد كان من المحتم على الصهيونيين ان يعتبروا الادارة بمثابة عدو للوطن القومي المنشود . فالآمال الفورية للصهيونيين لم تتحقق ، مثلما ان اليهود تسرعوا في تجاهل الضمانات التي ينص عليها تصريح بلفور بشأن السكان « غير اليهود » . ومن المحتمل ان يكون هذا الشعور السلبي تجاه العسكريين قد تسبب في حمل بعض المسؤولين والضباط على أن يصبحوا ضد الصهيونية . وربما نظروا الى اليهود مـــن زاوية مماثلة لنظرتهم الـــى الفرنسيين ، فاعتبروهم بمثابة مغتصبي مركز النفـــوذ البريطاني ومسببي القلاقـــل والاضطرابات في المنطقة . كما انهم عرفوا من خلال خبرتهم العملية بأن العرب ليسوا مجرد جزء سديمي وغير مميز من تلك « الطائفة غير اليهودية » . ومن الطبيعي ان يعرب السكان العرب عن مخاوفهم وقلقهم ازاء الهجرة غـــير المقيدة وظهور الطوابع الصهيونية ، بالاضافة الى وجود فرقة عسكرية يهودية للدفاع والى محاولة الاستيلاء على الاماكن المقدسة(١٣٨) .

ورغم ما يرجح من تعاطف الكثيرين مع شقاء العرب ومصيبتهم ، فان الظاهر ، بناء على الدلائل الواردة في تقرير بالين واستنادا الى المذكرات الشخصية ، هو ان المسؤولين والضباط حاولوا معاملة كل طائفة من الطوائف على قدم المساواة . كما حاول رونالد ستورز بنوع خاص جمع كل المذاهب والمعتقدات تحت سقف واحد في المشروعات التي سعى لانجاحها ، مثل جمعية نصرة القدس وجمعية الموسيقى .

لم تكن الاضطرابات التي وقعت عام ١٩٢٠ نتيجة لمعاملة اليهود باجحاف ، بقدر ما كانت نتيجة للتقصير في معاملتهم بحزم كاف . لقد حصلت تجاوزات على الوضع الراهن عدة مرات وتحت وطأة الضغوط الصهيونية ، مما دفع بالعرب الى فقدان الثقة بالادارة وجعلهم يمسكون زمام الامور بأيديهم . فالكولونيل ماينرتزهاغن لا يطالب العسكريين بمعاملة الفريقين على قدم المساواة، بل بمحاباة الصهيونيين واعطائهم الميزة والافضلية . ومن الطريف ان نلاحظ ما قاله ماينرتزهاغن الى ووترز ــ تايلور بأنه يعتبر نفسه مرشح الدكتور وايزمان(١٣٩) . ففي مثل هذا الوضع ، حيث تعرض العسكريون لضغط متواصل من جانب الصهيونيين ، كان من الصعب الابقاء على الوضع الراهـــن بصورة تؤدي للحؤول دون نشوب اضطرابات سنة ١٩٢٠ . ان تقرير بالين يشدد على هذه الحاجة الى مزيد من الضبط الحازم للامور . فيقول : « ان الحاجة تدعو الى يد حازمة كل الحزم من جانب الدول والسلطات المنتدبة، بحيث تقوم هذه بافهام جميع الاطراف بشكل واضح تماما انه على الرغم من كون تصريح بلفور أمرا مفروغا منه وسوف يتم تنفيذه على وجه مؤكد ، فان الادارة سوف تقيم التوازن الصارم بين جميع الاطراف بالتساوي(١٤٠) .

ان مواقف العسكريين من فلسطين تكونت ضمن وضع عملي ، وهم الذين اتاحوا لهذا الوضع ان يفلت زمامه من ايديهم . اما مشاعرهم نحو السكان فقد تكونت على اساس الاحداث الفعلية والاتصالات الشخصية ، مثلما دفعتها الرغبة الى اعادة البلاد لسابق عهدها وللحفاظ على الامن والسلام .

خلاصة واستنتاج :

ان مواقف كل من رجالات الدولة البريطانيين الذين أخذوا زمـــام المبادرة لاستصدار تصريح بلفور ودعمه ومواقف الادارة العسكرية المؤقتة لاراضي العدو المحتلة تكونت بفعل اهتمامات كل منهم ومسؤولياته في فلسطين . وبما أن آراءهم كانت مستقاة من مصادر منفصلة ، فقد تحتم عن ذلك نشوء ازدواجية معينة في الافكار .

اما رجال الدولة ، في وضع من اوضاع زمن الحرب ، فقد كونوا مواقفهم بطريقة أكثر عمومية واشد نظرية من الادارة العسكرية . كانوا بعيدين عـــن المشكلات العملية الناجمة عن اتباع مثل تلك السياسة ، وكانوا اما غير متعاطفين مع حركة القومية العربية الناشئة او جاهلين لوجودها . فالسياسي البريطاني المؤيد للصهيونية بدا انه يجني فوائد معينة عبر تطلعه الى مركز الحلفاء في الحرب والى مركز الحكومة البريطانية في الشرق الاوسط . وربما تسنى لتصريح بلفور اجتذاب اليهود الاميركيين الى جانب الحلفاء . كما رجح الاعتقاد فيما بعد بأن الوطن القومي اليهودي في ظل التأييد البريطاني يمكنه توفير المنافع الاستراتيجية والاقتصادية للمركز البريطاني في الشرق الاوسط .

وعلاوة على هـــذه الاسباب العينية المتقـــدم ذكرها ،فان رجـــالات الدولة ، بعكس العسكريين ، كانوا قادرين على النظر الى الصهيونية كفكرة بدلا من اعتبارها مشكلة عملية . واستطاع الرجال المثقفون والمبدعون ، أمثال حاييم وايزمان ، تقديم الصهيونية بطريقة شاملة وقوية للغاية . فالمستر بلفور ، مثلا ، « اجتذبته نحو الصهيونية عوامل من طراز السحر الذي تحلى بـــه (وايزمان) بالاضافة الـــى قوة اقناعه وملكاتـــه العقلية »(١٤١) . والصهيونية ، حين جرى تقديمها على صورة هذا المثال الاعلى الرائع ، استهوت الرجل البروتستانتي الذي درج علـــى قراءة الكتاب المقدس مثلما استهوت المسيحي المشحون بعقدة الذنب . كما ان تصريح بلفـــور لقي الدعم والتأييد كبـــادرة ايجابيه على مختلف الصعدان : بين يهود العالم أجمع ، وبالنسبة لكفاح الحلفاء في الحرب ونظرا لمركز بريطانيا في الشرق الاوسط . فلم يجر النظر اليه على اساس الوحدة الاصغر ، أي من زاوية فلسطين بحد ذاتها .

ومن ناحية اخـــرى ، فان الادارة العسكريـــة كانت مهتمة بهذه الوحـــدة الصغرى وبالمضاعفات العملية للصهيونية في فلسطين . وكانت ادارة مناطق العدو المحتلة ملتزمة باتباع سياسة الحفاظ على الوضع الراهن ، مما أدى بطبيعة الحال الى ادانة تلك السياسة من جانب الصهيونيين المتحمسين والمفرطين منهم في التفاؤل . فلم يكن من المحتمل حصول الاتصال بين الادارة واليهود الغربيين والمثقفين ، أمثال وايزمان ، بل وجدت الادارة نفسها مرغمة على التعامل مع عدد كبير من اليهود الوافدين من أوروبا الشرقية ، حيث غلبت على مواقف هؤلاء نزعـــات التشدد في المطالبة والغطرســـة والتطرف ، بينما كانت أفكارهم في بعض الاحيان « تشوبها الصبغة البولشفية »(١٤٢) . لقد كان العسكريون على معرفة بوجود حركة القومية العربية النامية ، وادركوا ان هؤلاء الناس ليسوا مجرد جزء من كتلة سديمية للسكان غير اليهود . بيد انه حتى ولو كان بعض الضباط من أعداء الصهيونية على صعيد شخصي ، فالادارة قامت بمعاملة العرب واليهود على قدم المساواة بالنسبة للسياسة العامة . واذا كان ثمة ما يؤخذ على الاداره فهو انها لم تعامل اليهود بالحزم الكافي تنفيذا للاوامر والتعليمات الصادرة عن وزارتي الخارجية والحربية . لقد عمدت الادارة الى انتهاك حرمة الوضع الراهن في مسائل من طراز تقرير استخدام اللغة العبرية والسماح بهجرة يهودية دون قيود .

وبما ان وايزمان والبعثة الصهيونية لم يتمكنوا بسهولة من التلاعب بالموقف القوي الذي اتخذه الجنرال اللنبي ازاء الحفاظ على الوضع الراهن ، على غرار تلاعبهم بالمستر بلفور ، فان الصهيونيين في خيبة املهم تهجموا على ادارة مناطق العدو المحتلة باعتبارها تتصرف ضد رغبات حكومة صاحب الجلالة . ربما تسنى التحقق من صحة ذلك ، لو ان الحكومة البريطانية تمسكت أشد التمسك بموقفها المؤيد للصهيونية . لكنها لم تفعل ذلك . اذ حالما أصدر السياسيون تصريح بلفور بدات تنتابهم الخواطر اللاحقة عمن يستطيع تمثيل المصالح البريطانية بفلسطين على خير وجه . وفي فترة متأخرة من عام

١٩١٩ ، بعد التصريح البريطاني للسوريين السبعة وبعد البيان الانجلو – فرنسي ، قامت حكومة صاحب الجلالة بمحاولات خاصة في هذا الصدد تهدف الى ايصال سياستها لادارة مناطق العدو المحتلة(١٤٣). بيد ان أصحاب المبادرة في اصدار تصريح بلفور كانوا آنذاك قد توقفوا عن تأييد السياسة الصهيونية بالاستناد الى اقتناعهم السابق . ان سايكس توفي عام ١٩١٩ ، بينما استقال بلفور وفقد لويد جورج اهتمامه بالصهيونية . من السهل لنا أن نفهم لماذا رفض العسكريون استباق الدوافع السياسية البريطانية قبل انعقاد مؤتمر الصلح ، ولماذا رفضوا بالتالي معاملة الصهيونيين باعطائهم الميزة والافضلية على العرب . ففي أذهان هؤلاء العسكريين لم يكن البريطانيون ابدا على التزام كلي باتباع سياسة ممالئة للصهيونية . ورغم الغاء ادارة مناطق العدو المحتلة وتبني موقف مؤيد للصهيونية في صياغة صك الانتداب ، فقد وجد الكثيرون في لندن ممن أعلنوا معارضتهم لتصريح بلفور عقب انتهاء الحرب .

ان كيرزون الذي أصبح ناظرا لوزارة الخارجية عام ١٩٢٠ كان متخوفا من دخول اليهود الاوروبيين الشرقيين باعداد كبيرة الى فلسطين باعتبارهم يحملون نزعات بولشفية(١٤٤)، كما خشي من استفزاز العرب نظرا للمشاكل التي تقاسي منها بريطانيا في العراق . وحتى عام ١٩٢٣ كانت هناك داخل حزب المحافظين نواة صلبة من المعارضة لتصريح بلفور . فقد أعلن الكثيرون معارضتهم للتكاليف الحقيقية والممكنة التي سوف تقع على عاتق دافع الضرائب البريطاني بغية الحفاظ على الامن والسلام بفلسطين(١٤٥). وأعرب السير وليام جوينسون – هيكس ، ناظر دائرة التجارة لما وراء البحار ، عن معارضته للظلم الذي ينطوي عليه تصريح بلفور وللتفسير القائل بأن «الوطن القومي» يعني اقامة دولة يهودية (الكومنولث اليهودي)(١٤٦).

ان هذه المعارضة تمتعت بتأييد صحيفتي « التايمز » و« الدايلي ميل » حتى وفاة اللورد نورثكليف ، مساعد ناظر الدولة للشؤون الخارجية ، في سنة ١٩٢٢ . كما ان السيد ج. م. ن. جفريز ، وهو صحفي ، كتب بعض المقالات العنيفة ضد الصهيونية ومن جملتها ترجمة جديدة لمراسلات الشريف حسين والسير هنري مكماهون(١٤٧). وفي مجلس اللوردات أعلن اللورد غراي ، الذي سبق له أن منح تأييده لتصريح بلفور ، بأنه اذا كان ٩٣ بالمائة من السكان عربا ، فمن الضروري اقامة حكم عربي في فلسطين(١٤٨). فالهجرة خضعت لقيود أشد صرامة بعد اضطرابات ١٩٢١ ، ولم يمر وقت قصير على ذلك حتى كان وفد عربي فلسطيني يصل الى لندن لعرض قضيته(١٤٩).

وفي حزيران (يونيو) ١٩٢٢ هزمت حكومة الائتلاف في مجلس اللوردات بواسطة اقتراح يقضي باعلان الانتداب غير مقبول حتى يصار الى تعديله وفقا للتعهدات المعطاة للعرب . بيد أن التصويت جاء معكوسا في تموز (يوليو) من العام نفسه وداخل مجلس العموم عندما سقط اقتراح يدعو الى اعادة النظر في الانتداب والى اجراء تحقيق في امتياز روتنبرغ(١٥٠). فقد قال ونستون تشرشل في معرض هجومه على زعيمي المعارضة ، السير وليام جوينسون – هيكس واللورد سادينهام ، ما يلي : « لا يحق لكما تأييد التصريحات العلنية والرسمية الصادرة باسم وطنكم ابان ازمة الحرب ورحاها الدائرة، ثم تتراجعون عنها فيما بعد لكي تعيدوا النظر فيها بهدوء وتؤدة »(١٥١).

كما صرحت لجنة وزارية في تقرير لها بان حكومة صاحب الجلالة لا يسعها التخلي عن الانتداب لاسباب تتعلق بالاستراتيجية والمكانة الرفيعة(١٥٢).

وبناء عليه ، وحتى لو كان نفر من الرجال يريدون « اعادة النظر بهدوء وتؤدة » فيما استصدره بعض الرجال ابان « ازمة الحرب وسخونتها » ، فان فقدان المركز الاستراتيجي وخسارة ماء الوجه كانت اكثر أهمية بالنسبة للاغلبية . فالكتاب الابيض

الذي أصدره تشرشل في ٦ تموز (يوليو) ١٩٢٢ ساهم في تهدئة بعض أعداء الصهيونية الاكثر اعتدالا ، وبعد الموافقة عليه بوقت قصير جرى القبول بالانتداب على فلسطين وتصديقه .

يتبين لنا من هذا العرض الموجز للمواقف والاراء السياسية ازاء فلسطين بعد الغاء « ادارة مناطق العدو المحتلة » بان بعض رجالات الدولة البريطانية على الاقل ، حين وجدوا انفسهم وجها لوجه أمام المشاكل العملية الناجمة عن الصهيونية ، مثل الاضطرابات العامة والاعباء الاضافية لدافعي الضرائب ونشوء القومية العربية ، كانوا أقرب احتمالا الى تبني مواقف في فلسطين شبيهة بالمواقف التي اتخذتها « ادارة مناطق العدو المحتلة » . فالادارة العسكرية ادركت على الفور المشكلة العملية المتأصلة في اتباع سياسة ممالئة للصهيونية . لكن رجالات الدولة والساسة لم يدركوا بان حلهم المثالي لمختلف المشاكل الطارئة في زمن الحرب كان بحاجة الى اعادة نظر الا عندما واجهتهم المشاكل العملية داخل أطار الوحدة الصغرى ، اي داخل فلسطين بالذات . وعليه ، ففي اصدار حكم على ولاء « ادارة مناطق العدو المحتلة » للحكومة البريطانية، ينبغي التذكر بان مواقف المسؤولين والضباط العسكريين من الوضع السياسي في فلسطين كانت من نواح مختلفة سباقة ورائدة لمواقف الساسة ورجالات الدولة في أوقات وفترات لاحقة .

---

١ — Weizmann, *Trial and Error, 1949,* p. 276.

٢ — Meinertzhagen, *Middle East Diary,* 1959, p. 79.

٣ — Antonius, *The Arab Awakening,* 1965, p. 170.

٤ — Newton, *Fifty Years in Palestine,* 1948, p. 129.

٥ — Sykes, *Two Studies in Virtue,* 1953, p. 161.

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٧١ .

٧ — Stein, *The Balfour Declaration,* 1961, p. 133.

٨ — انظر صحيفة **المانشستر غارديان** ، عدد ٢٢ نوفمبر ، ١٩١٥ .

٩ — Sidebotham, *British Imperial Interests in Palestine,* p. 2.

١٠ — Sidebotham, *The Future of Palestine,* 1922, p. 4.

١١ — **المصدر نفسه** ، ص ٥ .

١٢ — Marlowe, *Rebellion in Palestine,* 1946, p. 96.

١٣ — انظر سايكس ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٤ .

ص ٥٥٠ .

١٤ — انظر Stein ، **المصدر السابق** ،

١٥ — Esco, *Palestine,* 1947, p. 114.

١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١١٤ .

١٧ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٤ .

١٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٦ .

١٩ — راجع Stein **المصدر السابق** ، ص ١٤٣ .

٢٠ — Herbert Samuel, *Great Britain and Palestine,* 1935, p. 9.

٢١ — ماينرتزهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٦٣.

٢٢ — George, *The Truth about the Peace Treaties,* 1938, p. 1116.

٢٣ — Asquith, *Memories and Reflections,* 1928, p. 78.

٢٤ — راجع شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ١٤٤ .

٢٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٦٠ .

٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٦ .

٢٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٦ .

٢٨ — انظر سايكس ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٨ .

٢٩ — راجع Stein ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٩ .

٣٠ — Hertzberg, *The Zionist Idea,* 1959, p. 46.

٣١ — انظر Stein **المصدر السابق** ، ص ٢٧٢ .

٣٢ — Leslie, *Mark Sykes,* 1923, p. 70.

٢٣ — Kedurie, *England and the Middle East*, 1956, p. 85.

٢٤ — انظر Sykes ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

٢٥ — راجع Newton **المصدر السابق** ، ص ١٢٦

٢٦ — انظر Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ٨٥ .

٢٧ — S. Hadawi and R. John, *The Palestine Diary*, Vol. I, 1970, p. 28.

٢٨ — انظر انطونيوس : **يقظة العرب** ، ١٩٦٦، (الترجمة العربية) ، ص ٣٧٤ .

٢٩ — Marlow, *The Seat of Pilate*, 1959, p. 29.

٤٠ — انظر ماينرتزهاغن ، **المصـــدر السابق** ، ص ١٢ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ٦ .

٤٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

٤٣ — انظر Stein ، **المصدر السابـــق** ، ص ١٥٩ .

٤٤ — راجع Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٤٥ — Mark Sykes, *Dar Ul Islam*, 1904, p. 178.

٤٦ — Kedourie ، **المصدر السابـــق** ، ص ٦٨ .

٤٧ — T. E. Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom*, 1965, p. 67.

٤٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٣ .

٤٩ — راجع Kedourie ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ .

٥٠ — Suleiman Mousa, *T. E. Laurence: an Arab View*, 1966, p. 260.

٥١ — راجع Kedourie **المصدر السابق** ، ص ١٥١ .

٥٢ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ١٨ .

٥٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٥١ .

٥٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٨ .

٥٥ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

٥٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٣١ .

٥٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٣١ .

٥٨ — انظر George ، **المصدر السابق** ، ص ١١٣٥ — ١١٣٧ .

٥٩ — راجع Leslie ، **المصدر السابق** ، ص ٥٤ .

٦٠ — انظر Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٨ .

٦١ — راجع Marlowe **المصدر السابق** (١٩٥٩) ، ص ٢٩ .

٦٢ — انظر Sykes ، **المصدر السابـــق** ، (١٩٥٣) ، ص ٢٢٨ .

٦٣ — Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ .

٦٤ — Storrs, *Orientations*, p. 360.

٦٥ — *Palin Report*, Public Record Office, F. O. 371/5121, K 9379/85.

٦٦ — Ashbee, *A Palestine Notebook*, p. 78.

٦٧ — Bentwich, *England in Palestine*, p. 28.

٦٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٨ .

٦٩ — انظر *Palin Report*, p. 28.

٧٠ — راجع Newton ، **المصدر السابق** ، ص ١٣١ .

وفي ذلك يقول أحد الباحثين العرب الذين درسوا تصريح بلفور مـــا يلي عن البعثة : « وعلـــى الرغم من ان الهدف الظاهري لهذه البعثة كان — كما صرح بلفور في البرلمان — هو بحث حالة المستعمرات التي قاست من ويلات الحـــرب ، فقد كانت للبعثة أهداف اخرى منها دراســـة امكانيات فلسطين الاقتصادية وتمهيد الســبيـــل أمام الهجرة اليهودية المنتظرة وانشاء جـــامعة عبرية والعمل على اقامة عـــلاقات ودية مـــع العرب ، كما كان في النيـــة زيـــادة اختصاص اعضاء البعثة تدريجيا حتى تتدخل في النظـــام الاداري ، وبذلك تصبح البعثة الصهيونية نواة للوجود اليهودي في فلسطين باختصاصات ادارية حكومية » . (انظر الدكتور محمد حسن صالح منسى : **تصريح بلفور** ، مع قسم خاص عـــن فلسطين في **تقارير** بيل الامريكية ، القاهـــرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٣٩) .

٧١ — Jeffries, *Palestine : The Reality*, p. 223.

٧٢ — انظـــر Meinertzhagen ، **المصدر** السابق ، ص ٢٥ .

٧٣ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ١٩٥٩ ، ص ٧٦ .

٧٤ — انظر Palin Report ، **المصدر السابق**، ص ٥٠ .

٧٥ — راجع وايزمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٣ .

٧٦ — Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٧٧ .

٧٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٦ .

٧٨ — Duff, *Sword for Hire,* 1934, p. 118.

٧٩ — انظر Jeffries ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦٩ .

٨٠ — انظر Palin Report ، ص ٥٠ .

٨١ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٨٢ — Horace Samuel, *Unholy Memories of the Holy Land,* 1930, p. 27.

٨٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٦ .

٨٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٥١ .

٨٥ — انظر Palin Report ، ص ٨٢ .

٨٦ — انظر Horace Samuel **المصدر** السابق ، ص ٥٧ .

٨٧ — راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٨٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

٨٩ — Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٩٠ — Sykes, *Crossroads to Israel,* 1965, p. 55.

٩١ — وايزمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧٤ .

٩٢ — راجع Meinertzhagen ، **المصدر** السابق ، ص ١٢ .

٩٣ — انظر Newton ، **المصدر السابق** ، ص ١٣١ .

٩٤ — انظر Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ .

٩٥ — راجع Palin Report ، ص ٣١ .

٩٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ .

٩٧ — انظر Storrs ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦ .

٩٨ — راجع Hadawi and John ، **المصدر السابق** ، ص ٦٥ .

٩٩ — تقرير بالين ، ص ٣٧ .

١٠٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٤٠ .

١٠١ — انظر Storrs ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦٠ .

١٠٢ — راجع Newton ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٦ .

١٠٣ — راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٨٦ .

١٠٤ — انظر Horace Samuel ، **المصدر السابق** ، ص ٣٥ .

١٠٥ — راجع Ashbee ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢ .

١٠٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٥ .

١٠٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

١٠٨ — انظر Horace Samuel ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣ .

١٠٩ — Palin Report ، ص ٥٠ .

١١٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٣ .

١١١ — راجع ستورز ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٥ .

١١٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٠١ .

١١٣ — Graves, *The Land of Three Faiths,* 1923, p. 209.

١١٤ — Garden, *Allenby,* 1965, p. 216.

١١٥ — Public Record Office, D.S. 126.

١١٦ — راجع ستورز ، **المصدر السابق** ، ص ٣٧٢ .

١١٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٧١

١١٨ — تقرير بالين ، ص ٥٦ .

١١٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٤ .

١٢٠ — انظر Storrs ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٤ .

١٢١ — Public Report Office, D.S. 126.

١٢٢ — Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 145, 1921, Col. 1540.

١٢٣ — Palin Report, p. 17.

١٢٤ — راجع Newton **المصدر السابق** ، ص ١٢٥ .

١٢٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٦ .

١٢٦ — انظر George ، **المصدر السابق** ، ص ١١٤٨ .

١٢٧ — راجع Meinertzhagen ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢ .

١٢٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٢ .

١٢٩ — Palin Report, p. 88.

١٣٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٥ .

١٣١ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٨ .

١٣٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٨ .

١٣٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٦١ .

١٣٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٦٢ .

١٣٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ .

١٣٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٨ .

١٣٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٩ .

١٣٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٤٠ .

١٣٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٢ .

١٤٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٦ .

١٤١ — انظر George ، **المصدر السابق** ، ص ١١١٧ .

١٤٢ — Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 151, 1922, Col. 1947.

١٤٣ — انظر Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٧٢ .

١٤٤ — Commons Debates, Vol. 151, 1922, Col. 1947.

١٤٥ — **المصدر نفسه** ، مجلد ١٥١ ، ١٩٢٢ ، عمود ١٥٣٤ .

١٤٦ — **المصدر نفسه** ، مجلد ١٥٦ ، ١٩٢٢ ، عمود ٢٩٨ .

١٤٧ — راجع Sykes ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

١٤٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٥ .

١٤٩ — انظر Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ .

١٥٠ — Commons Debates, Vol. 156, 1922, Col. 298.

١٥١ — **المصدر نفسه** ، المجلد ١٥٣ ، ١٩٢٢ ، عامود ٣٣٣ .

١٥٢ — راجع Marlowe ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

مراجعـــات

المقاومة الفلسطينية في اربعة كتب

Hisham Sharabi, **Palestine Guerrillas, Their Credibility and Effectiveness** (The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1970).

ميزة هذا الكتاب من حيث المنهج ، انه يقوم جزئيا على اسلوب علم النفس الاجتماعي (على الطريقة الاميركية) ، وهذا يعني قبـل كل شيء تجريد الظاهرة المنوي درسها عن سياقها الاجتماعـي والتاريخي الشامل ، وحصرها في جانب ثانوي من جوانبها . والظاهرة المدروسة في الكتاب هـي ظاهرة « الفدائيين الفلسطينيين » متمثلة ومحصورة في أمرين « الصدق » و« الفعالية » . ومن خلال المطالعة التحليلية لهذا الكتاب يتبين لنا ان الكاتب، الاستاذ شرابي ، قد خرج منذ البداية ، عـن موضوعه ، اذ ان منهج بحثه غير الواضح والمحدد كفاية ، لم يسمح له بأن يدرك مضمون الفاعلية واشكالها وضوابطهـا الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية والعسكرية ، التي تتصل واقعيا بسلوكية الفدائيين واشكال تحركهم ونموهم ووعيهم التغييري عبر صراعهم . فمن قال للكاتب ان الفاعلية مبنية على الصدق ؟ أليس الصدق — بالمعنى الوثوقي الذي ذهب اليه — من اسباب كما هو من نتائج الفاعلية ؟ ان الكاتب لا يمكنه تجاوز علم الاجتماع والتاريخ حتى وان اراد ان يفهم ظاهرة نفسية اجتماعية ، فمثل هذه الظاهرة لا يمكن عزلها ، كما انه لا يمكن تبيان « صدق وفاعلية » الفدائيين الفلسطينيين من خلال تبيان الظاهرة ذاتها عند النقيض — اي عند الاسرائيليين — . ومن هنا بالذات كان افتقار عام في كتابه الى وحدة البحث، ومن ثم عدم توصله الى نتائج محددة بخصوص موضوعه الاصلي .

اما من حيث مضمون الكتاب فيبدو التشتت واضحا، اذ ان الكاتب وقد اختار فرضية بحث « صـدق وفاعلية ... » ، انطلق فورا من تجريد عام للظاهرة المنوي درسها ، ومثال ذلك قوله : « ان الوثوق ، بمعنى صدق الشيء ، هو أداة مهمة في اي صراع ، وبخاصة في صراع يتنوع **مشاهدوه** وتكون نتائجه عالية » . ألم يكن من واجب الكاتب ان يبحث اولا في الصراع ، ثم في القائمين به وليس في « المشاهدين » ، وانطلاقا من ذلك يحدد الفاعلية أولا ثم الصدق الناجم عنها ؟ وهنا لا بد من سؤال عام : ما هي ثقة الكاتب نفسه ؟ فاعليته ؟ وما هو مدى قدرته على الصدق ؟ ويزداد التجريد عند الكاتب باعتماده مقياس « اكثر » للعدو ، و« أقل» للعرب . وهنا نسأله : لماذا لا يحاول تقصي الواقع الفلسطيني الراهن طالمـا انه يتناول فدائييـه بالدرس ؟ ولماذا يجمد بحثه عند سطح الظواهر ولا يحاول — لكي يكون علميا على الاقل — كشف العلاقات القائمة بين مجمل ظواهر صراع الفدائيين الفلسطينيين والقوى المعادية لهم ؟ ان ضرورة مثل هذا البحث تعني اول ما تعني : التعمق في فهم دوافع ومعيقات الفاعلية الذاتية والموضوعية عند الفدائيين . الا ان الكاتب اكتفى بتحديد الكابح الاسرائيلي فقط .

ثم ينتقل فجأة الى باب « النقائص » . نقائـص الاعـلام الفدائي يصنفهـا « قابلة للاصـلاح » و « ذاتية » . ونقائص الاعلام الاسرائيلي يصنفها « كبت كلي للاخبار » ، « انكار كلي » ، « اختيار عفوي » . ومن النقائص ينتقل الى « افتراضات عن العرب » — افتراضات الاسرائيليين طبعا — التي يعتبرها الكاتب « اجتماعية علمية » . هكذا بكل بساطـة دون ان يلاحـظ الركام الميثولوجي والعنصري الذي يستندون اليه ضد العرب .ولكي لا تنكشف هذه اللعبة يقول : « ويبدو ان هـؤلاء

المحللين ، مدفوعين قبل كل شيء باعتبارات فعالة ، قد تأثروا في استنتاجاتهم بالحاجة الى السيطرة اكثر من الحاجة الى الفهم ...» ويغيب عن بال الاستاذ شرابي العلاقة القائمة بين دوافع الفهم ودوافع السيطرة . اليست السيطرة هي في نهاية المطاف وبمعناها الواسع غاية للفهم ، لكل فهم ؟ ان علماء الاجتماع يدركون ذلك جيدا . الذين درسوا التجربة الهتلرية لم يفتهم مثل هذه الملاحظة الاستنتاجية . واية صفة علمية اجتماعية يضيفها الكاتب على المحللين الاسرائيليين الذين يستنتجون على حد قوله « .. بأنه في اخر الامر لا شيء يمكن ان يغير طبيعة الجندي او الضابط العربي » . فأي علم قال لهم وله : بثبات طبيعة الانسان أصلا ؟

وبعد ، يعرض النظرة الاسرائيلية الى الفدائيين: « ارهابيون » « متسللون » « مخربون » . هذا رأيهم . فما هو رأي الكاتب ؟ في تناوله « تقويم الفدائيين » ، يقول : « ويعتبرونهم ظاهرة عابرة على سطح مسرح الشرق الاوسط » ، « ... اسرائيل تستطيع الصمود في وجه الارهاب العربي الى الابد » . طبعا نحن لا نريد من الكاتب ان يقول لنا « ان العرب سيزيلون اسرائيل غدا » ، مثلا ، ولكنا نفترض فيه مناقشة صحة الافتراضات والتقويمات الاسرائيلية لا اكثر ، خاصة وانه نسي انه يبحث في صدق وفاعلية الفدائيين الفلسطينيين — وليس في صدق وفاعلية الاسرائيليين . ويكتب عن اصابات الاسرائيليين والسياسة المضادة للحركة الفدائية . وعندما يتحدث عن الفدائيين لا يحلل بنيانهم الاجتماعي والنفساني ، وانما يعتمد اسلوب التصنيف الاميركي السائد عندهم في علم النفس الاجتماعي الرسمي ، ويسحب خلفيته السياسية على قضية الفدائيين ، فيقول : « واذا اصبحت سيطرة اسرائيل اكثر احكاما واشد كبحا ، اتجهت اعداد متزايدة من افراد **الطبقة الوسطى والطبقة الوسطى الدنيا** الى اتخاذ موقف اكثر تحديا لقوى الاحتلال والى مساعدة المقاومة». نحن نعرف منهج التراتب الاجتماعي **La stratification sociale** الذي يهيمن على علم الاجتماع الرسمي الاميركي، ويصنف الناس الى طبقات : طبقة عليا عليا ، طبقة عليا دنيا ، طبقة وسطى عليا ، طبقة وسطى دنيا ، طبقة دنيا عليا ، طبقة دنيا دنيا . فهل ينطبق مثل هذا التراتب — غير الصحيح حتى في المجتمع الاميركي — على الفلسطينيين والعرب وكيف ؟ العمال والفلاحون والطلاب الفلسطينيون من هم طبقيا ؟

اما « فاعلية الحركة الفدائية » فيعالجها في خمس صفحات ونصف لا غير . وليس انتقادنا لكمية الصفحات لو ان الكاتب وفى الموضوع حقه من البحث والتدقيق . فهو يحصر هذه « الفاعلية » في العقاب الجسدي العام والوفيات اثناء التدريب ، وبأن « كثرة الانفار اصلهم من الطبقة الوسطى الدنيا » . هل تأكد تحليليا من صحة اقواله ؟

ثم يخرج كليا عن الموضوع ، بعد ان خرج عنه جزئيا فيما سبق نقده . فيتناول تعدد المنظمات الفدائية — المحصورة وقتها باثنتين — ، ويستطلع « المرحلة القادمة » و « المرحلة القادمة مشكلاتها ومطامحها » . ولا نرى ما هي الحكمة في تصنيف المرحلة القادمة ودرسها في فصلين مستقلين . وبدلا من ختم كتابه باستنتاجات محددة ، يختمه عمليا بملاحق وصور . بقي لنا ملاحظة اخيرة هي ان هذا الكتاب الصغير ، فكرا وكمية ، يعتبر باهظا جدا (٨٨ صفحة ، ٤ ل.ل. ، في حين ان كتبا اخرى افضل نوعا واكبر حجما هي في حدود الليرة او الليرة والنصف) .

ابو همام ، المقاومة عسكريا (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١)

« المقاومة عسكريا »، لابي همام ، موضوع من وجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وأول ما نود تسجيله هو ان هذا الكتاب ليس مؤلفا مترابط الاجزاء بالمعنى العلمي للتاليف والبحث ، فهو في واقعه نتاج عدة مطالعات ومراجعات بوجه عام ، وفيه فصل يدخل في نطاق الدرس الميداني للمقاومة — وهو افضل فصل في الكتاب ، لجهة تناول موضوع المقاومة الفلسطينية — العربية عسكريا — : « ارفعوا ايديكم عن الميليشيا » الذي سنقف عنده وقفة تدقيق ، ونتمنى على كاتبه الاستناد اليه منهجا ومحتوى اذا عاد مرة اخرى الى الكتابة الميدانية البالغة الاهمية ، بعد ان اجتاحت المنطقة العربية سيول من كتب التعميم والتنظير التجريبي الخارجي .

يقول ابو همام في مقدمة كتابه : « ولقد جمعنا في هذا الكتاب مجموعة من الكتابات التي وضعت خلال فترة نشاط المقاومة [وبعض هذه الكتابات مترجم في رأينا] ، وكانت تخدم عند وضعها هدفا دقيقا محددا ، ولكنها تشكل بمجموعها اسهاما في القاء الضوء على بعض زوايا المقاومة وسبل نضالها ... » — حتى الان نلاحظ ان الكتاب جملة ينسجم مع هذا الغرض — « وطرحا لعدد من المسائل الهامة بأسلوب جديد ، يؤمن الانسجام بين النظرية والتطبيق ، ويجد صلة الوصل بين المبادىء النظرية والحقائق النابضة الملموسة على أرض المعركة » — وليسمح الان ابو همام ان نختلف معه حول هذه النقطة الاخيرة ، اذ ان كتابه لم يشبعها بحثا الا في فصل واحد ، ووقف عند حدود الملاحظات العامة والمواقف . وهذا بدء لمستقبل . والكتاب يحتفظ بقيمته رغم ذلك . فقضية التقيد بمنهج البحث واهداف البحث ، هي قضية عامة تنطبق على معظم كتابنا وباحثينا .

فهذا الكتاب ، بين الموضوع والمترجم ، هو كتاب نظري عموما ، فيه نسق تعليمي ، قوامه القراءات الاستعراضية وبعض التأملات الميدانية . ولهذا فاننا ، مع ضرورة التعريب والاقتباس ، نحتاج اكثر الى كتابات عربية ميدانية لا سيما في مجال المقاومة عسكريا — والميدانية هنا تجذبنا الى التغلغل في تفاصيل واقعنا الذي تنطلق منه وتجري فوقه المقاومة . واذا كان لكتاب « ابو همام » من وحدة فكرية معينة فانما نجدها في عمومية البحث العسكري السياسي .

يبدأ كتابه بالسؤال اللينيني : ما العمل ؟ ويعطي الجواب من الخارج الى الداخل (أليس العكس هو الاجدى عمليا — الجواب فلسطينيا ، عربيا وعالميا ؟) ، مستندا الى تصنيف للوضع الدولي: مع ، وسط ، ضد . بكين مع ، موسكو — والحكومات « شبه التقدمية » (كما يقول) وسط، الولايات المتحدة ضد . وسرعان ما ينتقل الى وصف الجماهير العربية بالتقاعس عن تكريس قواها لمعركة المصير الفاصلة — ولكنه لا يبحث تفصيليا في الوضع الراهن لهذه الجماهير ، كما يصفها بالعجز « عن ايجاد صيغة تربطها بدول المعسكر الاشتراكي برباط لا يقل قوة عن رباط اسرائيل مع دول المعسكر الامبريالي » . وكان يجدر بالكاتب : اولا ان يراعي منطقه ذاته ، فحينما صنف المعسكر الاشتراكي بأنه ذو موقف وسط ، عاد فورا وسمح لنفسه بمطالبة الجماهير العربية ان تفرض على هذا المعسكر « موقف مع » ، وثانيا كان لا بد له من تحليل معطيات السياسة الدولية الراهنة لكي يوضح لنا اسباب ونتائج تصنيف المواقف الذي أخذ به . ومن مميزات كتابته استخدام تعابير شائعة من طراز : عملية الخداع (وسائل الاعلام) ، « حلم هذا الشعب » ، « الصدمة » ، « التشاؤم ... » الخ . وليسمح لنا الكاتب ان نوضح اننا لم نفهم ما يعنيه بوصف الجيش الملكي بانه « ابيض » ، والبورجوازية الاردنية بانها « بيضاء » . هل عنى بذلك انهما بعيدان عن بصمات الدم أم ماذا ؟ كما اننا لم نفهم ماذا يعني تحديدا بـ « نرجسية » المقاومة ، و « النرجسية الثورية » ؟ هل يعني الانانية ؟ وهل الانانية شيء غير طبقي ، غير اقتصادي واجتماعي ونفسي ؟ شيء خارج التاريخ ؟

وبعد يقدم الجواب على سؤال ما العمل — بعد تحديد ثلاثة اهداف كبرى للمقاومة : البقاء ، احباط المشاريع التصفوية ، قلب ميزان القوى —: بأن العمل المطلوب هو استنزاف العدو الاسرائيلي عربيا ، وتنمية القوة الذاتية الفلسطينية اولا والعربية ثانيا . ويضيف : « ان الطريق طويل ، والخطوة الاولى هي بناء الحزب ضمن صراعنا

من أجل البقاء » . وكم كنا نتمنى تخصيص بحث خاص بهذه المقولة المهمة والتي تأخذ مكانتهـا في النقاش السياسي وفي عمل المقاومة . اي حزب؟ حزب فلسطيني ام حزب عربي ؟ وعمليا اية علاقة ستكون لهذا الحزب (المشروع ، او القائم ؟) مع الاحزاب الاخرى ؟ وهل هذا الحزب يقدم نفسه بديلا صراعيا للاحـزاب الاخرى ، في الواقـع والاهداف ؟

ويعالج ابو همام موضوعة مهمة جدا في علم الثورة والتغيير العنفي ، هي موضوعة « تفتيت جيش القمع واجب ثوري » . ويسأل : « لمـاذا لـم يتفتت الجيش خلال الصراع رغم وجود عدد كبير من الوطنيـين الاردنيـين والفلسطينيين داخـل صفوفه ... » . « ويبقى السؤال بلا جـواب مقنع ... حتى .. وحتى ... » . كنا نتمنى على الكاتب الاسهام بأجابة ميدانية بدلا من الاكتفـاء بشروط الاجابة . ولكنه ينتقل الى استعراض عام لجيش القمع واراء الكتاب العسكريين والثوريين في كيفيات تفتيته . غيفارا ، دوغلاس برافـو ، لينين ، ماوتسي تونـغ ، نيوبـيرغ ، جياب ، ريجيس دوبريه ، غابرييل بونيه . ومع ذلـك ، فابو همام يلتفت الى بعض المشكلة ، فيصيـب ويخطىء : يصيب عندما يصنف زمـرة الجيوش الاولى (الامبريالية والرجعية المرتبطة بهـا في المستعمرات وشبه المستعمرات) بأنها واحـدة، ويخطىء عندما يصنف « جيوش التحرير الوطني المناضلة ضد الامبريالية في سبيل الاستقلال الوطني والثورة الديموقراطية » بأنهـا « غير ثورية » . ونسأله كيف يمكن لجيش تحرير وطني مقاتل فعلا ان يكون جيشا « غير ثوري » ؟ وما هي الشروط لثوريته ؟ الايديولوجيا ام الممارسة الثورية ؟ وهل ينفصلان عمليا ؟ ام ماذا ؟

وينتقل الى موضوع « المناطق المحررة في حـرب العصابات » ، ويبدأ بالقول : « يكشف لنا تحليل احداث سبتمبر (ايلـول) كثـيرا من الدروس السياسية والعسكرية .» . ولكنه لا يذكرها . فما هي هذه الدروس؟ اننا بأشد الحاجة الى معرفتها، أليس كذلك ؟ يقول ايضا : « لسنا هنا بصـدد تقييم هذه التجربة ، وتحديد ايجابياتها وسلبياتها، والوصول الى استنتاجات عملية حولها » . اذن نحن بصدد ماذا ؟ ان الكاتب بصـدد العـرض النظري ... وهذا ضروري ولكنه لا يكفي . وفي خلاصة هذا الفصل يختمه بقوله : « ان علـى العصابـات ان .. وان ... وان .. وان .. وان ... وان ... » . وهذا من شأن التعليمية الثورية وليس من شأن التحليل الميداني الذي لا تعنينا « أن » من الانتقال اليه .

اما موضوعة « في سبيل فهـم الديموقراطيـة العسكرية بشكل افضل » فتدور حول التجربتين الصينية والفيتناميـة ، استنـادا الى قرارات ومراجع ، ويرتكب خطأ بسيطا — هو من نوع سوء التعبـير او المعنى المعاكـس — حـين يقول : « وينعكس الدور الذي تلعبه القوات المسلحـة انعكاسا على العلاقات القائمة في داخلها ... » والسؤال يطرح نفسه : أية طبقة اجتماعية بنت هذا الجيش ، على اية علاقات ، واي دور معطى لها ؟ الدور نتيجة للطبقة الذي بنته ، وهو نتيجة للعلاقات ، وليس العكس اجمالا .

واما فصـل « قتال العصابات ضد الدبابات في المدن » فهو لا يشير الى اية تجربة يستند الكاتب اليها ، وكان يجدر به كما في النص ان يضبـف صفة « المحررة » للمدن . ولكننا نحن بحاجة الى معرفة قتال العصابات ضد الدبابات في المـدن المحتلة . وهناك فرق كبير بين الوضعين .

ويأتي فصل ممتاز واصيل عنوانه « ارفعوا ايديكم عن المليشيا » يعرض فيه عملية بناء القواعد في الاردن ومصاعبها ، ويكشف الحيلة التي انخدعت بها بعض فصائل المقاومة : « الجيش الاردني درع المقاومـة » ، « واستـرخاء اصحاب العقليـة البورجوازية التوفيقية على هدهدة هذا الحلم » ، ويحلل التراجعات ورفض الجبهة الشعبية تسليم سلاح الميليشيا « لانها ترفض المشاركة في دفـع المقاومة الى مقبرة الثورات » . ويعدد المبررات التي لجأ اليها البعض ضد الميليشيا ووجودها في المدن . ويختم كتابه بعرض نظري تعليمي لـ « مفهوم القتال التراجعي في حرب العصابات » وهذا الفصل فيه مفاهيم ميدانية مهمة . ونأسف لكون الكاتب لم يختم كتابه ولو بخاتمة استنتاجية تعين القارىء على الخطوط التي تشد او لا تشد فصول كتابه .

الياس مرقص ، المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن (دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧١)

نقرأ على غلافه الاخير ما يلي : « ارادت المقاومة ان تكون في واقعها وممارستها نفيا للواقع العربي والممارسة العربية . فكانت ايديولوجيا المقاومة تثبيتا لهذا الواقع وهذه الممارسة . وصارت ايديولوجيا المقاومة هي واقع المقاومة وممارستها » . « حرب التحرير الشعبية ومطاردة « الحل التصنوي » الفاظ بلا مضامين ،ومضامين بلا حدود ، ادراك اجمالي غامض ، وانفصال الاقوال والاعمال — الياس مرقص يفك هذه الآلية ويبين الطريق » . هذا الكتاب يقرأ من الغلاف الاخير ، فهو يكشف ان الاستاذ مرقص يريد ان يلعب دور المرشد — بدون مزدوجين على طريقته — في هذه المرحلة . اما منهجه الخاص به — فهو ليس لينينا وان رغب في ذلك — ، لان قوامه الانطلاق من افكار مسبقة بقصد التبشيرية السياسية الفجة ، بأسلوب التهشيم — دون الالتزام بموقع وممارسة نضالية محددة ، كما كان يفعل لينين الذي يتسلح به مرقص لضرب « اليسار الزائف » والمقاومة جمعاء . وهو يحكم مسبقا باعدام المقاومة — لماذا ؟ لان المقاومة = الايديولوجيا . لكن من قال له ذلك ؟ انه « يأمر بتطع رأس المقاومة » لان كتابات مثقفين ومنكرين من خارج المقاومة عموما ، لم تعجبه ولم تدخل في خرم الابرة اللبنينية التي يتسلح بها . ولانه يعتمد على اخبار صحفية واستخبارية ، ولا يهتم بدرس المقاومة كاتجاه ثوري ، وكواقع نضالي له قضيته الواضحة .

الكتاب حملة ضد محمد كشلي و ن.خ. ونايف حواتمه وصادق جلال العظم الخ . ويتميز الكتاب بأسلوب التنبؤ والمراهنات . فعلى صعيد التنبؤ يقول « من الجهة الاولى — الهدف العربي — اقول : ايا كانت التطورات المقبلة ، وحتى فيما لو اختفت المقاومة الفلسطينية او فيما لو حررنا فلسطين وانتهت القضية موضوع الركب ، فان هذا اليسار العربي الزائف سيجد ذريعة اخرى وشكلا اخر » . ويجنح الى القول بأن « ... هذه المنظمة [الديموقراطية] هي التي تقود المقاومة الفلسطينية » . ويقدم فكره ، هو ، بأنه المرشد: « هذا اليسار الزائف لا علاقة له بالماركسية ، بينما الايديولوجيا المقاومة ليست غريبة عنه » . ويتهم المقاومة بالتوحد ضد عبد الناصر ، والحقيقة انها توحدت في نضالها ضد الحل السلمي . وعبد الناصر نفسه ، قال ان موقفه لا يلزم المقاومة ، فلماذا يريد الاستاذ مرقص الزامها بما لم يلزمها به عبد الناصر نفسه ؟ ولماذا يطرح نفسه وصيا او وكيلا عليها ؟ الا ينبغي التعامل معها — فكرا على الاقل — كحركة مستقلة ؟

وينتقل الاستاذ مرقص الى التشكيك بعمليات المقاومة ، وتزوير مفاهيم الحرب الشعبية ، والوقوف ضدها . والحرب الشعبية تعني — خلافا لما يفهمه الاستاذ مرقص — حرب الجميع وفي مقدمتهم القوى الوطنية الاكثر طليعية وثورية . والحرب النظامية ضد الامبريالية واسرائيل هي من صميم حرب الشعب ، وهنا لا يكون تعارض بينها وبين المقاومة ، وانما التعارض كامن بين اطلاق النار ووقفه ، بين الصراع وتجميده . وكثيرا ما يستند الى امثلة افتراضية او تصورية ويقول انه قرأها في مجلات عربية . ولكن ما هي هذه المجلات ؟ ومن كتب فيها ؟ وما صلة المقاومة بذلك؟ لا جواب . ويعتبر ان كل سلاح المقاومة شعارات بشعارات — لا شيء — : « حين نسمي الثورة الفلسطينية شعارا والمقاومة شعارا والكفاح المسلح شعارا ورفض التصفية شعارا الخ فاننا نغرق في الشعارات » . ويتناول موضوعة حرب التحرير الشعبية فيعتبرها اسطورة طرحت بدلا من الواقع . ويعلن — فضلا عن تحفظه ازاء الثورة الفلسطينية — وقوفه ضد حرب التحرير الشعبية. لسبب هو انه يكره بعض المثقفين الذين يعرفهم او يجهلهم . ويحمل كرهه وسخطه للمقاومة نفسه . ويزور المفاهيم : فمن قال له : ان « قتال الجيش المصري او الجيش السوري ليس كفاحا مسلحا » ؟ وحصر هذه الصفة بالعمل الفدائي وحده ؟ وينتهي الى القول : « اننا نقترح على المقاومة الفلسطينية ان تقيم لنظرية حرب التحرير الشعبية الاحتفال المهيب الذي يليق بها : الدفن » (ص ٥٧) . اما الحل السلمي فهو امر غير محتمل بنظر مرقص (١٪ فقط) ، وحق اللاجئين في العودة شبه مستحيل (واحد بالالف) . لماذا ؟ لان « مصر الثورة بلغت سن الرشد » .

وينتهي الكتاب وكأن كل المشكلة هي : سوء كلام

أو تعبير من جانب المقاومة ، وحسن كلام من جانب الياس مرقص . هذا الكتاب تزوير كامل لموضوعه نفسه « المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن » ، واستعلاء على بحثه ميدانيا ، لان الكاتب أبى منذ البدء فهم المقاومة ودورها ، وفهم نقيضها « الحل السلمي » ودوره في تفتيتها ، ولم يؤمن بعد ان نسبة الواحد بالمائة قد أرتفعت كثيراً ، وذلك لاسباب عربية ودولية ، وليس بسبب الايديولوجيا أو شعارات المقاومة . فهو يعرف ان الايديولوجيا الشعائرية لا تصنع التاريخ ، فكان عليه ان يشدد ولو من باب التواضع على دور البشر — خاصة الاحياء منهم .

منير شفيق ، **حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية** (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١) .

هذا كتاب نظري ، فيه اتجاه توجيهي ، موقفي وتعليمي واضح . والجديد فيه انه يعتمد على التجربة الميدانية انطلاقا من قراءات ذكية في موضوعة التناقض . وفضلا عن ذلك ، يتميز « حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » بأنه مؤلف علمي ملتزم بكل معنى الكلمة ، قائم على منهجية بحث واضحة ، مطبقة في مجرى الكتاب بشكل سليم ومتسلسل . ينطلق الكاتب ، الاستاذ منير شفيق ، من منظور علمي لفهم الثورة الفلسطينية على اسس المنهج الجدلي(الديالكتيكي)، ويعتبر درس تناقضاتها على مستوى ممارستها للعمل الثوري ، من اساسيات التخطيط الواعي للنضال التحرري . وهو يستند في دراسته للتناقضات الاساسية والثانوية في الثورة الفلسطينية من تحليل موضوعي يرمي الى دفع الثورة الفلسطينية قدما ، وليس الانتقاص من قيمتها ودورها وفاعليتها .

ويشدد الاستاذ منير شفيق على ان التناقض الاساسي هو بين « اسرائيل » بوصفها كيانا صهيونيا ، متحالفا عضويا مع الاستعمار العالمي وفي مقدمته الاستعمار الاميركي الشمالي ، وبين جماهير الثورة الفلسطينية المتحالفة عضويا مع جماهير امتها العربية . ويصنف هذا التناقض بأنه من النوع العدائي ، وبالتالي لا سبيل لحله بغير الكفاح المسلح ، اي ثورة الجماهير المسلحة وحرب الشعب العربي الطويلة المدى . ويعلل رأيه باعتبار هذا التناقض الاساسي وليد عدوان احتلالي توسعي استيطاني قامت به الصهيونية وحلفاؤها . ويؤكد مرارا انه لا سبيل لحله الا بتصفية احد طرفي التناقض بقوة السلاح . كما يعتبر ان الشعب الفلسطيني يعيش بغالبيته خارج حدود وطنه ولا يمكنه الرجوع الى فلسطين بأي أسلوب سلمي او شرعي ، اذ أن سلاح العدو الصهيوني موجود على طول الحدود للحيلولة دون هذا الرجوع الشرعي . ويستنتج : « ان هذا الوضع يحكم حل التناقض بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الصهيوني بأسلوب وحيد هو الثورة المسلحة » ولا شيء عداها سوى قبول الشعب العربي الفلسطيني بالفناء » . ويوضح الاستاذ شفيق ان الوضع القانوني في الكيان الصهيوني (اسرائيل) يمنع القيام بأي نشاط سياسي يرمي الى ازالة الكيان المذكور وبناء الدولة الفلسطينية الديموقراطية مكانه . كما ان وجود اسرائيل ارتبط تاريخيا بوجود الاستعمار في كل المنطقة العربية ، فكان وجودها من صنع الاستعمار بالذات ، ليشكل قاعدة عسكرية واقتصادية وسياسية مهمتها الحفاظ على مصالح الامبريالية في المشرق العربي . وعلى هذا ، يعتبر الكاتب انه لا سبيل لتحقيق التحرر العربي اقتصاديا وعسكريا وسياسيا من النفوذ الاستعماري الا بقوة السلاح ، لان التجربة التاريخية اثبتت ان الامبريالية العالمية — وبالاخص الاميركية — لا يمكن ان تتخلى عن مواقعها الا بقوة السلاح .

ان ابراز هذا التناقض العدائي الاساسي هو في منتهى الضرورة بالنسبة الى تحديد عقدة القوة والضعف في طرف النقيض الامبريالي والصهيوني، وتحديد عقدة القوة والضعف في طرف النقيض الاخر الفلسطيني والعربي ، وذلك لتحديد : اين نوجه

الضربة الرئيسية التي تؤدي الى حل التناقض بكل جوانبه واطرافه . وهذه الضرورة العلمية لتحليل التناقضات ، جعلت الكاتب ينتقل مباشرة الى درس طرفي النقيض بشكل تفصيلي . فمن جهة يلاحظ ان المعسكر الاستعماري والامبريالي في الوطن العربي اشمل واوسع من نفوذ الكيان الصهيوني المتمثل في اسرائيل ، وان واقع التجزئة في الوطن العربي — هذه التجزئة التاريخية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا وثقافيا — قد جعل حل التناقض الرئيسي مع الاستعمار واسرائيل ، امرا في منتهى التعقيد ، وذلك للاسباب الموضوعية التالية : — واقع التجزئة جعل حل التناقض الرئيسي هذا يأخذ شكلا مجزءا ، متفاوتا زمنيا بين هذا البلد العربي وذاك .. — واقع التجزئة حال ويحول دون تحرك جماهيري عربي شامل وموحد لتصفية الاستعمار والصهيونية تصفية كاملة في وطننا .. — واقع التجزئة فرض وضعا حصاريا على اي تحرك مجزأ تقوم به الجماهير العربية ضد الاستعمار واسرائيل والرجعية .. — واقع التجزئة لا يسمح لتحرر اي جزء من اجزاء الوطن العربي بأن يكون حلا للتناقض الرئيسي مع الاستعمار واسرائيل ، اذ ان هذا التحرر الجزئي سرعان ما يتعرض لحصار وهجمة شرسة من جانب قوى التناقض الرئيسي العدائي .

وفي هذا المنظور للتناقضات الرئيسية يلاحظ الكاتب « ان تحرير فلسطين يعني الدخول في معركة رئيسية فاصلة مع النفوذ الامبريالي كله في المنطقة، ستقرر نتيجتها ليس بقاء الكيان الصهيوني فحسب وانما ايضا وجود الامبريالية بأسرها في منطقتنا كلها » . وهذا يفسر لنا شدة حساسية المعسكر الامبريالي حينما تطلق رصاصة واحدة على اسرائيل، اذن عقدة الطرف الاستعماري الصهيوني هي اسرائيل بالذات .

ومن جهة ثانية يقول الكاتب ان الجماهير الفلسطينية تشكل جزءا عضويا من الجماهير العربية ، وتشكل فلسطين جزءا عضويا من الوطن العربي . والجماهير الفلسطينية هي ، واقعا ، كالجماهير العربية جزء اصيل في الصراع الرئيسي مع الاستعمار والصهيونية ، ولكنها هي الجزء المباشر من الجماهير العربية الذي وجد نفسه في مقابل الكيان الصهيوني والذي تعرض لاكثر ضربات السحق من جانب النفوذ الاستعماري ، بسبب قيام الكيان الصهيوني مباشرة على أرض فلسطين . ويستدرك الكاتب انه لا يقلل ابدا من اهمية الضربات التي وجهت للنفوذ الاستعماري في الوطن العربي ، ولهذا فهو يشدد على ضرورة توجيه المزيد منها حيثما امكن ذلك . ولكن الكاتب قصد من كلامه السابق التشديد على ان طريق تحرير فلسطين من خلال حرب الشعب العربي ، هو طريق التصفية الكاملة للاستعمار والكيان الصهيوني معا ، وانجاز الثورة في الوطن العربي، اي انجاز التحرر والوحدة والثورة الاجتماعية . ويلاحظ بشكل واضح نوعية الترابط والوحدة داخل هذين الطرفين المتناقضين جذريا : فضرب الاستعمار في اي جزء يؤثر على وضعه في الاجزاء الاخرى،وعلى كل النفوذ الاستعماري والصهيوني في الوطن العربي . واستنادا الى التحليلات السابقة ، يرصد الكاتب تخبط استراتيجية الثورة العربية وتكتيكها بين انحرافين يميني ويساري . فالانحراف اليميني ناجم ، برأيه ، عن اهمال حل التناقض الاساسي والانصراف الى حل منفرد لتناقضات كل قطر عربي بأسلوب الانقلابات العسكرية الفوقية او النضالات السياسية القاصرة ، ومتجسد في محاولات لتفتيت الجماهير الفلسطينية وامتصاصها ، بدلا من دعمها بوصفها طليعة ضارية ضد الكيان الصهيوني : فالثورة الفلسطينية هي شرارة اشعال الثورة العربية وليست بديلا لها . واما الانحراف اليساري فناجم عن الاعتقاد بأمكان بناء « الاشتراكية » في الوطن العربي قبل حل التناقض الرئيسي العدائي اي قبل حل مسألة التحرر الوطني . ويقول الكاتب : ان هذا « الانحراف اليساري » تحول الى « انتهازية يمينية » ، لان القفز عن المراحل التاريخية لم يؤد الا الى سلوك طريق المغامرة والابتعاد عن الجماهير ، خاصة وان شعار الاشتراكية بقي شيئا نظريا الى جانب افراغه من المضمون العملي ، اي عدم فهم الاشتراكية العلمية وعدم تطبيق القوانين العامة والخاصة بالبناء الاشتراكي . ويستنتج الكاتب : وهكذا التقى « الانحرافان اليميني واليساري » عند نقطة مشتركة هي عدم رؤيتهما للكيان الصهيوني كبؤرة تجمع لكل النفوذ الاستعماري والرجعي في المنطقة . فغاب عن نظرهما انه لا يمكن تحقيق التحرر والوحدة والثورة الاشتراكية الا من خلال توجيه الضربة الرئيسية

الى اسرائيل التي يمكن ، مع حلهـا او اثنـاء تصفيتها ، حل تناقضات المجتمع العربي الاخرى. ونجم عما تقدم طرح شعارات غير قابلة لحشد أوسع الجماهير العربية حولها . بينما الشعار الاساسي هو الكفاح المسلح لتحرير فلسطين . فسار الانحراف اليميني في طريق الضغوط السياسية او المفاوضات ، وخلط الانحراف اليساري بين مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي وبين مرحلة الثورة الاشتراكية .

ويطرح الكاتب سؤالا فاصلا : ما هي المرحلة التاريخية التي تمر بها الثورة الفلسطينية والعربية الان ؟ انها مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي ترمي الى ازالة الكيان الصهيوني والاستعماري بكل مؤسساته الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية ، وارجاع الشعب العربي الفلسطيني الى ارضه وتحريرها كليا من الصهيونية الامبريالية ، وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية والديموقراطية ومحتوى الديموقراطية هو تصفية الكيان الصهيوني والنفوذ الامبريالي . وتحديدا للموقف الصحيح ، يقول الكاتب : « لذلك فأن اي برنامج تتبناه أية منظمة في الساحة الفلسطينية لا يكون برنامج تحرر وطني ديموقراطي يتضمن العنف الثوري المسلح كطريق لتحقيق البرنامج ، يكون برنامجا يعبر اما عن انتهازية يمينية او يسارية . ومن هنا يظهر بوضوح ان المنظمات التي تطرح في الساحة الفلسطينية برنامج ثورة اشتراكية ... ثورة بروليتارية ، انما تقع في حمى المزايدة « فوق اليسارية » و « الانتهازية اليسارية » . ان الخطأ الفادح الذي يمكن ان يقع فيه المثقفون وهم يناقشون البرنامج انما هو المناقشة التجريدية ، بحيث تؤخذ نصوص برنامج ما وتقارن ببرنامج « نموذج » ... وهذا ما يفعله عادة الذين جاءوا الى الساحة الفلسطينية ببرنامج اشتراكي (نموذج) ، والذين وقعوا في التجريد والغيبيات وابتعدوا عن المنهج الجدلي .

ويتساءل الكاتب : اذن ما هو المعيار العلمي للحكم على ثورية برنامج او عدم ثوريته ؟ انه المعيار النابع من المنهج الجدلي في البحث ، اي مقارنة البرنامج بتحليل الواقع الموضوعي ورؤية مدى مطابقته لحاجات وامكانات احداث التغيير الثوري في ذلك الواقع ، واخيرا فحص النتائج التي أحدثها ذلك البرنامج على ارض الواقع . صفوة القول: ان البرنامج الثوري هو الذي يحدث التغيير الثوري رغم كل تعقيدات الظروف الداخلية والخارجية ، وهو الذي يستطيع ان يصنع الثورة، وبالتالي من الضرورة بمكان عدم الخلط بين النظرية التي هي دليل للعمل ومنهج للتحليل تصلح لكل الحالات ، وبين برنامج العمل ذاته .

اما القسم الثاني من الكتاب فيتناول الثورة الفلسطينية والتناقضات الثانوية ، وفيه يحدد الكاتب اهمها انطلاقا من تحديد التناقض الاساسي، ويشدد على ان طريقة حل التناقضات الثانوية تمكننا من حل التناقض الثانوي . وتتلخص هذه التناقضات الثانوية بالنسبة الى الثورة الفلسطينية فيما يلي : التناقض بين الرأسمالية الوطنية والعمال ، التناقض بين منظمات المقاومة المختلفة، التناقض داخل صفوف الوحدة الوطنية ، تناقض الثورة الفلسطينية مع الانظمة العربية الرجعية المتحالفة مع الامبريالية، تناقض الثورة الفلسطينية مع الانظمة العربية المعادية للامبريالية ، التناقضات في صفوف الجماهير نفسها ، التناقضات بين المركزية والديموقراطية ، تناقض المبادرة في الحركة الثورية مع مبدأ الانضباط الثوري ، تناقضات العمل السري مع العمل العلني بالنسبة الى كل حركة ثورية .

الدكتور خليل احمد خليل

الايديولوجية العربية المعاصرة ، تأليف عبدالله العروي ، ترجمة محمد عيتاني (دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ، تشرين الاول ١٩٧٠)

تنبع الاهمية الفريدة لكتاب العروي من كونه يحاول بشكل شمولي ان يقوم بعملية تحليل للتكوين الايديولوجي العربي المعاصر . وهو ينطلق في تحليله هذا من منطلقين : ١ ــ تحديده لمدلول كلمة « الايديولوجية » . فهي هنا تستعمل بوصفها « الفكر غير المطابق للواقع » وبتحديد اكثر فهي « بناء نظري مأخوذ من مجتمع آخر ، ليس مندرجا تماما في الواقع لكنه آخذ في ان يغدو كذلك » او

بعبارة أدق ، انه يستخدم بمثابة نموذج ، وذلك بالضبط كي يحققه العمل » . ٢ — انطلاقه من السؤال العربي البالغ الدلالة « من هو الاخر ومن انا » مركزا في فهمه للتكون الايديولوجي العربي من خلال العلاقة بالغرب . علاقة القهر والاستعباد التي تأخذ على المستوى الايديولوجي شكل التحدي اليومي . هل العرب أمة قابلة للحياة ؟ وكيف تدخل العرب مسار التقدم الحضاري الذي يصنعه الغرب ؟

من هذين المنطلقين يحاول العروي ان يمسك بأربع قضايا رئيسية شكلت مادة الايديولوجية العربية المعاصرة : ١ — العرب والاصالة . ٢ — العرب والاستمرار التاريخي . ٣ — العرب والعقل الكوني . ٤ — العرب والتعبير . هذه القضايا الاربع تشكل باستمرار الهاجس الايديولوجي العربي انطلاقا من المقدمة النظرية التي تعتبر احتكاك العرب بالغرب على المستويين الثقافي والسياسي نقطة انقطاع تاريخية . وبالتالي نقطة تحول سياسية وايديولوجية . والواقع ان قراءتنا لهذا الكتاب تسمح لنا بأن نعتبر ان الهاجس الرئيسي الذي يتحكم بالكاتب هو هاجس نهاجي . فالعروي لا يأتي بأجوبة نهائية . انه بالدرجة الاولى يحاول ان يطرح الاسئلة وان يبلور نهاجية انتقادية تاريخية تسمح على المدى البعيد بالاجابة على هذه الاسئلة ، باعتبار التحليل الذي يقدمه هذا الكتاب يقوم بعملية عزل للمستوى الايديولوجي عن الواقع الذي انتجه ، جاعلا هذا الواقع يتحرك ضمن مساحة الاحتكاك والصراع الغربي — العربي على مستوى البنى الفوقية ، دون الاهتمام بالتطورات التي حصلت على مستوى البنى التحتية والتي سمحت لهذا الاحتكاك والصراع ان يأخذ المسار الذي اخذه .

ان هذه الملاحظة النهاجية ليست تقويما لعمل العروي . انها فقط محاولة لوضعه في اطاره الصحيح . فالحاجة الى دراسة الايديولوجية العربية كبنية مستقلة نسبيا لا توازيها سوى الحاجة الى القيام بعملية ربط بالغة التعقيد بين البنى الفوقية والبنى التحتية تسمح بعملية رصد علمية للاتجاهات الحقيقية التي تعصف بالمجتمع العربي منذ نهايات القرن الماضي .

١ — عندما يطرح العروي سؤاله العرب والاصالة ، يقوم ثلاثة رجال بمحاولة الاجابة عليه. الشيخ ورجل السياسة وداعية التقنية : يرى الشيخ في التعارض بين العرب والغرب ، تعارضا بين المسيحية والاسلام . والحل الذي يرفعه لحل ازمة العقل العربي امام التخلف هو العودة الى السلف الصالح . مشكلتنا هي في التخلي عن الاسلام . ولا نهضة سوى بالعودة اليه . وهو يتجاهل متعمدا القيام بعملية تحليل نقدية للتاريخ العربي . ولا يرى فيه سوى ايجابيته . في المقابل فان رجل السياسة الليبرالي ينطلق من الانفتاح على الغرب ، بدمج روسو بمونتسكيو ويقوم بعملية نقد بدائية لأزمة المجتمع العربي ، ليصل الى انشقاق تركي عربي، والى ضرورة الديمقراطية والمؤسسات العصرية . اما داعية التقنية فالمشكلة بالنسبة اليه تصبح اكثر سهولة . يكتشف سر تفوق الغرب : الصناعة . لذلك فهو داعية للتصنيع. يقفز مرة واحدة عن ماضيه . لا ينتقده . انه يتطلع الى المستقبل . والمستقبل بالنسبة اليه هو الصناعة اي القوة . انه ذهنيا رجل ارهابي . هؤلاء الرجال الثلاثة يشكلون ثلاث لحظات في الوعي العربي وهذه اللحظات متداخلة في بعضها. لكن كل واحدة منها تحتفظ باستقلالها التاريخي . فمحمد عبده ولطفي السيد وسلامة موسى يختصرون الوعي العربي في موقفه من قضيته الكبرى ، من الغرب . وهم بأصواتهم الحقيقية وبما يمثلونه من اتجاهات فكرية ، يحاولون ، كل على طريقته ، صياغة اجابة حادة على الواقع العربي. والاجابات الثلاث تمثل على المستوى الواقعي فكرات الدولة المستعمرة (الكولونيالية) ، والدولة الليبرالية ، والدولة القومية .

ان هذه « النمذجة » (Typologie) الايديولوجية العربية المعاصرة تستطيع فعلا ان تختصر الاتجاهات الايديولوجية العربية . لكنها وان امسكت بطرف السلسلة « العلاقة مع الغرب » فانها في الواقع تفتقد الى الطرف الاخر . الى آثار العلاقة مع الغرب على البنى الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي . وبالتالي تطرح سؤالا محددا . على اية قواعد مادية نشأت هذه التيارات الفكرية وتحولت عمليا الى واقع سياسي . فالدولة القومية لم تبق مجرد تصور في رأس سلامة موسى بل خرجت الى حيز التطبيق اعتمادا على شريحة اجتماعية في تموز ١٩٥٢ . هنا نود ان نطرح سؤالا : هل يكفي تعميم من نوع « في قرارة كل ايديولوجية من ايديولوجياتنا يوجد حقا مدلول طبقي ، لكنه لا

يتعلق بالدرجة الاولى ببنية المجتمع العربي ، بل ذلك المدلول هو ، بالعكس الذي يساعد بقوة هذه البنية على التبلور دون أن يكون رغم ذلك ، السبب الاولي لهذا التكون في طبقات » أم نحن بحاجة الى تحديد اكثر ، والى الذهاب عميقا في البحث عن العلاقات داخلبنية العلاقة الكولونيالية. هذه العلاقات التي تقوم بعملية تدمير اقتصادية وايديولوجية للمجتمع المستعمر . وعلينا ان نبحث من خلال الربط بين هذين المستويين عن اجوبة لتساؤلاتنا . اي ان عملية الغزو الاقتصادية الايديولوجية تخلف عبر ارتطامها ببنى المجتمع المستعمر اجوبة هذا المجتمع الايديولوجية والطبقات التي تستطيع ان تحمل هذه الاجابات ؟

اذا كانتساؤلنا صحيحا فانالافغاني يجب ان يوضع بوصفه ابا للمدارس الثلاث في هذا السياق وبالتالي لا يمكن فهمه بمعزل عن تصوره للسقوط التراجيدي للسلطنة العثمانية ، باعتباره اعظم مصلحيها وآخر المدافعين عنها برؤية حضارية . يظهر العروي في تقويمه لعملية البحث العربي عن الاصالة مبلغ التداخل الايديولوجي الذي يفرضه الغرب . فمحمد عبده يصبح لحظة في وعي الغرب نفسه ، باعتباره جزءا من عملية الالتفاف الغربية . والرجالات الثلاثة يصبحون في الواقع نقطة التقاطع التاريخية بين وعي الغرب لذاته ووعي العرب لذاتهم .

٢ — الاستمرار التاريخي . يطرح نفسه امام جدلية التحدي هذه وانعكاساتها . فالتاريخ يصبح خادما للاهوت . او بالمقابل تنقطع اوصاله بحثا عن استمرارية تاريخية ترفض كل شكل من اشكال الانقطاع عن التاريخ العربي . هذا الموقف تقابله الثقافة القومية التي تؤقنم التاريخ وتغرف في ثقافة استهلاك وتمتح وفي ثقافة انشطارية تصل بها الى الانا التي تتفحص اللغة . وتصير اللغة وسيلة لالتقاط استمرارية تاريخية تتزايد وهميتها ؟ في المقابل فان التاريخ الوضعي — اي مدارس الاستشراق — تفشل هي الاخرى في صياغة هذا الماضي.فمدرسة غولدزيهر تكتفي بالتاريخ السلبي ومدرسة جيب — النقد التحليلي ، تحاول ايهامنا باستطاعة الاقتصار على هذا النقد . البحث عن الاستمرار التاريخي في ظل هذا القصور في الوعي، اي في ظل عدم القدرة على صياغة منهج تاريخي انتقادي ، يبقى وكأنه يسير خلف سراب استمرارية تاريخية جاءت الدولة القومية لتقطعه نهائيا .

هنا نود ان نطرح سؤالين : أ — ان الانهيار العثماني قد خلق عمليا تقويما جديدا للماضي التاريخي العربي . هذا التقويم حافظ في شكليه الليبرالي والتقني على مظاهرالاستمرارية التاريخية من خلال تركيزه على جوانب محددة من التاريخ العربي . هذا المظهر الاستمراري يحمل في داخله محاولة لاستمرار الماضي بشكل جديد . فالى اي حد نستطيع ان نؤكد على ظاهرة الاستمرار هذه في ظل عدم قدرة الايديولوجية العربية على تأكيد الانقطاع . وهل الدولة القومية تستطيع على المستوى الايديولوجي ان تؤكده في غمرة عزلتها الجماهيرية بحكم فشلها الموضوعي في تحقيق شعارها الرئيسي التبرجز (بمعناه التقدمي) ؟ اذا سلمنا بفرضية فشل الدولة القومية فما هو البديل العملي الذي يستطيع ان يتصدى لهذه المهمة ؟

ب — يمر العروي بسرعة على ظاهرة اللغة . رغم تحليله النافذ لاقنمتها وعبادتها يبقى السؤال مطروحا : فالنماذج الثلاثة الشيخ والليبرالي وداعية التقنية ، لم تستطع ان تمس اللغة . ان تطورها باتجاه اكثر تحررية . فلماذا ؟ وهل الطابع الميتافيزيقي الذي للغة العربية يمكن تجاوزه عبر وعي الدولة القومية ، ام انه بحاجة الى وعي من نمط مختلف ؟

٣ — في داخل الدولة القومية هنالك منطقان : المنطق الاول هو منطق العمل والنشاط ، المنطق التقني ، والمنطق الثاني هو منطق الفكر : الاصالة . والتعارض بين هذين المنطقين يبدو واضحا . فهل من سبيل الى ازالة هذا التعارض. النزعة الوضعية تكشف عن حدودها بسرعة . فهي تدعو الى محاكمة الماضي ثم تبين استحالة هذه المحاكمة . لان هذه المحاكمة تعني التنكر الكامل للماضي كما عند جيب . الماضي لا يعود موضوعا قابلا للتحليل باعتباره واقعا جامدا ومندرجا في الحاضر . من هنا استحالة الوصول الى المعادلة الصحيحة . الوصفية الغربية تحلل مجتمعا معطى والمجتمع العربي يعيش في غمرة تكونه . من هنا تأخذ الدولة القومية الوضعية بوصفها وصفات للعمل وليس بوصفها طريقة لفهم الذات .

في المقابل تبرز النزعة الماركسية الموضوعية كما يسميها العروي . انها المحصلة المنطقية لهاجس التقدم والعمل في الدولة القومية . الماركسية هنا تصبح وسيلة للتقدم . نتيجة وليست طريقة

للتحليل ، وسيلة للبرمجة الاقتصادية وللتقدم الصناعي . الماركسية الموضوعية هي محاولة الحل التي ياتي بها التقني في سبيل وتيرة اسرع للتنمية. ماركس ينفصل على قياس العرب ، وعلم الاجتماع الماركسي يصبح وسيلة لاذكاء حماسة الحرب التي خاضتها البرجوازية الصغيرة ضد الاقطاع والبرجوازية الليبرالية . ثم انها في الوقت نفسه تستعمل كمنهج للتحليل الادبي والثقافي . رغم تصورها فانها تأتي بسرعة لتشكل البديل الذي يستطيع وحده ان يقف في هذه الساحة بالذات .
امام هذا الواقع يطرح العروي تصورا لحل : من جهة فان الاستخدام الايديولوجي للديالكتيك سيكون « كممهد لتسهيل الانتقال من الانا التقليدي الى اللاانا » هذا الانتقال في فترة تحقق مشروع الدولة القومية العظيم — التصنيع — يعني ان ضرورات العمل ستستمر في التقدم على ضرورات معرفة الذات . في طرحه لمنطق النزعتين الوصفية والماركسية الموضوعية ، فان الافق المغلق لا يستطيع الديالكتيك ان يفتحه لان المرحلة السابقة — الليبرالية والتقنية — لم تتحقق تاريخيا بعد . غير ان هذا لا يعني ان الديالكتيك لا دور له ، بل قد يستطيع وضع مثل الوضع المغربي انقاذ ممهداته — الديالكتيك على الاقل .

ان محاكمة العروي لوضع الماركسية العربية الوصفية يطرح امامنا ثلاثة اسئلة : أ — ان مقولة الماركسية الموضوعية بحاجة الى توضيح . فهي ، كتيار سياسي وثقافي كما تتمثل في الدولة القومية اليوم ، تستطيع ان تكون مجرد مرحلة انتقالية الى العودة الى الدولة الليبرالية في ظل المأزق التاريخي الذي تواجهه هذه الدولة في مواجهة الامبريالية او قد تكون في المقابل مقدمة لاطلاق حركة الجماهير الواقعية من عقالها . ب — لقد قام العروي وبسرعة شديدة بالقفز على ادبيات الاحزاب الشيوعية العربية . وبرأينا فان تجربة طويلة وبالغة الغنى والتعقيد كتجربة هذه الاحزاب تستحق وقفة اكثر موضوعية . فعلى الرغم من ان خط هذه الاحزاب يندرج اليوم بنسب متفاوتة ضمن خط الدولة القومية ، فانها قد عبرت عن معاناة حقيقية لمشكلة الدخول الفكري ووسط الجماهير . وحاولت بنسب متفاوتة ان تقوم بعملية تقييم لهذا الدخول . ج — ان الطابع الايديولوجي الصرف لهذا الكتاب ، يدفعنا الى التساؤل عن جدوى النتائج النظرية في حالة عدم ربطها بحركة الصراع الوطني والطبقي الذي يخوضه العرب اليوم . هنا يبرز السؤال الرئيسي : اين يقع دور الطبقة العاملة ؟ ان اجابة سريعة كاجابة العروي في مقدمة الطبعة العربية (ص — ١٧) : « لا يكفي ان نردد ان الطبقة العاملة هي نقطة الارتكاز ، التي بوعيها ستصوب وعينا المغلوط ، لان الزمن الذي مر بنا بعد ماركس قد علمنا ان تلك الطبقة ، واضعة التاريخ اذا هي قامت بواجبها بعد تربيتها وتوعيتها على يد المثقفين الثوريين ، يمكن ان تتخلى عن هذا الواجب بسبب ضغط الطبقات المتحكمة او التأخر الثقافي او التخاذل الناجم عن ضائقة اقتصادية ، او باختصار بمقتضى تخلف المجتمع ذاته » .

ان هذا السؤال ليس له فقط دلالته السياسية . انه وبشكل اساسي يطرح مفهوم الوعي من خلال تبلور وتبنين الطبقات في المجتمع العربي . من هنا فان التقليل من دور الطبقة العاملة ، يضع المسؤولية على عاتق الانتلجنسيا العربية وحدها . وهذا في رأينا ، يقود التحليل من اطاره الاجتماعي الى اطر اخرى ويزيل المقياس السوسيولوجي الداخلي ، ليفرض منطق العلاقة الكولونيالية واثرها الايديولوجي كمنطق احادي .

٤ — هذه المقدمات النظرية التي صاغها العروي تسمح له في القسم الاخير من كتابه « العرب والتعبير » ان يقوم بعملية نقد واسعة للتراث الادبي العربي المعاصر . ونقده لا يتوقف عند الظواهر ، بل يحاول عبر تحليله للظواهر الادبية ان يحاكم العقل الادبي العربي بشكل عام . عوضا ان يقوم العروي بعملية استعراض نقدية لاشكال التعبير الادبي العربي ، فانه يقوم بعملية طرح جذرية للاسئلة : ففي المسرح السؤال الرئيسي هو « هل يمكن ان يكون ثمة مسرح مأساوي بدون وعي مأساوي ؟ » والجواب تعطيه دراسة سريعة لانتاج توفيق الحكيم وربط هذا الانتاج بالواقع الذرائعي الوضعي للدولة القومية من جهة وللموقف من التراث من جهة اخرى . وفي الرواية فانه يحدد الرواية على ان « موضوعها المفضل هو الكشف عن بنية اجتماعية عبر تجربة فردية ، وعن نجاحاتها واخفاقاتها المباشرة او غير المباشرة » . من هنا ولان البرجوازية العربية هي غريبة ، حقيقتها تأتيها من الخارج ، فان العمل الروائي هو عمل برجوازي صغير . انه رواية اطرافية .

من هنا خفتها واصطناعيتها . هذه المحاكمة حين تصل الى الاقصوصة التي يعتبرها التعبير عن مرحلة جديدة حين تحل وجهة النظر البرجوازية الصغيرة مكان وجهة النظر البرجوازية ، ولكن الكاتب في غمرة نقده الاقصوصة العربية لا يعطينا التفسير لخلو الاقصوصة العربية من هاجس الخلق .

حين يقوم العروي بعملية نقد اشكال التعبير الادبية ، فانه يقوم بنقده بسرعة فائقة . فمقدماته النظرية ، بحاجة الى اثبات في الواقع ، ولا يكفي العرض السريع لاعمال الحكيم ومحفوظ في اعطائنا صورة شاملة عن الواقع الذي تتم عملية نقده . فالحركة الادبية العربية داخل الدولة القومية ، محكومة بالطابع الايديولوجي لهذه الدولة . من هنا فان اشكال التعبير الادبي تتقولب ضمن قوالب جاهزة لا يسمح لها باعادة خلق نفسها . انها داخل المثقفين صغار البرجوازيين . والخروج من هذه الدائرة لا يقتضيه التأكيد على الطابع البرجوازي للرواية فقط بقدر ما يقتضي تلمس طموحات الطبقات الثورية وخروج هذه الطموحات الى دائرة الضوء التعبيري في الادب . فالتعبير الادبي العربي قاصر ليس بذاته بل بوصفه تعبيرا عن واقع راكد وقاصر . هذه الدائرة كيف يتم الخروج منها . وهل من سبيل الى هذا الخروج ؟ لست أدري بالضبط لماذا أهمل العروي الشعر . ففي رأيي ان الشعر في المشرق العربي على الاقل ، شكل المحور لكل انواع التعبير الادبية ، وحمل عبر تمرده المستمر احلام المثقف البرجوازي الصغير الى حيز التطبيق . فالعنصر الدرامي الذي نفتقده في المسرح والشخصية المتعددة الابعاد التي نفتقدها الرواية والبحث الذي تفتقده الاقصوصة ، هذه العناصر الثلاثة تعود لتتجمع في الشكل التعبيري الشعري . لكن هذا الشكل لا تتكشف ابعاده مجانا ، انه تعبير عن البنية الاجتماعية نفسها وعن الايديولوجية نفسها. لكن الشعر يسمح للاطراف ان تكتشف نفسها عبر لغته بشكل اكثر طواعية واكثر بطولة تمردية .

هكذا نخرج من قراءة هذا الفصل يائسين . فالعروي في بحثه عن الشكل الادبي الملائم لا يطرح حركة الصراع بوصفها مولدا لهذا الشكل ، لكنه ، حين يقوم بتحليل الفولكلور ، فانه يضعه من خلال العلاقة الكولونيالية وانعكاساتها المحلية في موضعه الصحيح ، فالفولكلور عنده يصبح ترفا تائها في ظلال المعاملة البرجوازية المدينية التي يلقاها . انه أفق مغلق . ماض لا نحياه ، بل يحياه السياح من خلالنا كلحظة في ماض لن يعود .

لان العروي محكوم بالمنطق الداخلي للدولة القومية فانه لا يكتشف ابعاد الحركة الجماهيرية . الدولة القومية تتساقط تحت ضربات الامبريالية . والخروج الظافر من هذه الدولة هو دخول ظافر في التاريخ والحضارة . وكون العروي يعتمد منهجا نقديا مثاليا ، فهو لا يستطيع اكتشاف العوامل البنيوية التاريخية ، التي تكون لحظة الفعل التاريخي . هذا العجز عن ايصال التحليل الى ارضه ، يظهر من خلال نقده لاشكال التعبير . فهي تبدو وكأنها باقية الى الابد بأشكالها الحالية . هذا يعود الى كونه لا يرى فيها لحظة انتقال الى مستويات أخرى، يبشر بها الارتداد الثوري — الذي يضرب عميقا في أرض الواقع — المتبلور في تبني الطبقات داخل المجتمع العربي،ومن الدور المنتظر للطبقة العاملة في قيادة المرحلة الثورية.من هنا يجب ان يعود التحليل ليكتشف قدميه . ان يعود ليكتشف ان الطبقة العاملة تستطيع عبر قيادتها لحركة المجتمع العربي ان تحسم التناقض لمصلحتها . هذه القيادة لا ننظر نحن اليها بشكل دوغماتي . انها قيادة تتولد من الرحم نفسه الذي يحدثنا عنه العروي بجدارة فائقة . تتولد من رحم العلاقة الصراعية مع الغرب . وخروجها من هذا الرحم هو تغليب منطق جديد، منطق انتقادي وتاريخي في آن يستطيع ان يعلن القطيعة ويبدأ من جديد . لقد حاولنا ان نطرح بضعة اسئلة حول هذا الكتاب المهم . والاكيد لدينا ان هذا الكتاب قد حاول ولاول مرة في تاريخ الفكر العربي المعاصر ان يطرح مشاكل هذا الفكر بمثل هذا العمق والشمول . من هنا فشهادة العروي بحاجة الى الكثير من الدرس والتقييم .

الياس خوري

أيهود بن عيزر ، ليست الحرب للأبطال (أ. لفين افشتين ، تل أبيب ١٩٧٢) .

وجد ايهود بن عيزر ، الذي بحث عن جو سياسي اجتماعي ذي مناخ حماسي لرواية اجتماعية نقدية، الجو مناسبا للاحداث السياسية ايام « قضية لافون »، فاختار بطله من الطلبة الذين توهموا انهم يحاربون الى جانب العدل. وعلى هذا النحو أصدر روايته « ليست الحرب للابطال » التي هي قصة تاريخ حياة فتى اسرائيلي، خلال عامه الاخير، حتى انتحاره خلال فترة الاحداث هذه . وبطل الرواية الفتى رفائيل شومرون المسمى بوليك الذي يترك الكيبوتس، ويعتمد على نفسه في القدس ، ويحصل على قوته بالكاد من توجيه الشباب . والصورة الاولية تظهره وهو في حالة وله مع صورة عارية ليست لها صلة بعفرة صديقته ، ويدرس الفلسفة في الجامعة ، وعلى وشك ان ينتهي من بحث عن افلاطون يمتاز بالاصالة والنبوغ . اما امه وزوج امه فانهما يعيشان في تل ابيب ويحتقران اهتماماته الدنيئة ويرفضانه . أما والده فقد انتحر في طفولته سواء « لانه من الاحسن الانتحار قبل ان يصل الالمان الى البلاد » (ص ٥٠) ، أم لانه وشى لدى البريطانيين عن رجال العمل السري من اليهود . وهنا نجد ان الغموض الذي يلف موت والده يزيد من حساسية بوليك وآلامه ازاء حالات القهر وموضوعات الجيش والامن . وحينئذ تصبح الحياة في اسرائيل داخل حدودها المحاصرة ، عبئا عنيفا على حياته الشخصية حينما تصطدم واجباته كرجل احتياطي مع الحرية ، تلك الحرية الحيوية بالنسبة له لكي يكمل بحثه الفلسفي . ويزيد من حدة الاحساس بالغربة عنده ابتعاد عفرة الغارقة هي الاخرى في مشاكلها عنه . كذلك فان اثارة قضية لافون تزيد فيه الاحساس بالاضطهاد والضائقة لدرجة انه يشبه مصيره الشخصي بالخطر الذي يتهدد — في رأيه — استمرار وجود الديمقراطية في اسرائيل — ومع تغلب يأسه يترك بوليك دراساته ، ويتحاشى رفاقه ويشتبه فيهم ، ويضاجع عفرة المقدسة لديه ، وبذلك يدنس ذلك الشيء الوحيد الذي كان يحتفظ به داخل نفسه مع هالة من القداسة والاجلال . وبطارده مصيره ويستسلم للتجنيد في وحدة الاحتياطي التابع لها التي تتعرض لكمين بجوار الحدود . وهنا وفي لحظة التنوير التي يدفع فيها بوليك بكل ثقل وآلام حياته ومصيره ، يندفع باحساس انتحاري نحو رصاصات الكمين العربي التي تصيب منه مقتلا .

ان ايهود بن عيزر يصف في هذا الرواية انطباعات فتى منغلق ، وحساس ، وجائع للحب ، وتواق للاعتراف بأعماله وللحرية ، ومنسحق حتى درجة الانتحار في حالات من الضغط ، لا يمكن لروحه أن تصمد في مواجهتها . ونهم البطل في هذه الرواية نحو الافق الانساني الذي يحتمل وجود حب خالص فيه ، عملية بحث دينية ، أعدت للبطل لكي يهرب اليها كلما ضاقت عليه حلقة ظروف واقع الطوارىء الامنية في اسرائيل . ومجال المناورة الطبيعي بين بؤرات الحياة المختلفة للبطل أعد لكي يجد في النهاية انه لا مفر امامه من الاستسلام لاوامر الاستدعاء المتوالية للاحتياطي ، والتي تفرضها الظروف الامنية لدولة اسرائيل ، بالاضافة الى جو الشك والاضطرابات الخاص بقضية لافون ، وابتعاد محبوبته وفقدانها ، وقضية موت والده او روح النكبة التي تمثلها محاكمة ايخمان . ان دفع بوليك الى كل هذا الجو الذي يخلق منه انسانا منسحقا أعد من اجل اقناع القارىء ، بأن انتحاره متوقع ، وحتى يصبح اصبع الاتهام في هذه الحالة موجها من القارىء الى ذلك الواقع الذي تجمعت عناصره الاجتماعية والسياسية والامنية حول البطل — المثقف الحساس واخرجته عن وعيه وعن حياته . وفي هذه الحالة نجد أنفسنا هنا امام رواية من المفروض تناولها على المستوى الايديولوجي أكثر مما يجب ان تتناول على المستوى الفني . ومن السهل التكهن بأنه كان هناك أمام بن عيزر نموذجان كبيران لدى كتابته لهذه الرواية — دستويفسكي وعلى الاخص في روايته « الشياطين » ، ويوسف حييم برينر الاديب اليهودي ، في تخبطاته النفسية وانتقالاته المتطرفة من حالة نفسية الى حالة اخرى . ان البطل بوليك يشبه نفسه ببطل « الشياطين » شاطوف وذلك حينما قال لصديقه زفي « انه ايضا يشبه الى حد ما ... وهؤلاء ... تماما مثل حدث في «الشياطين» لن يدعوا احدا يفلت من تحت أيديهم» (ص ٢٤) انه يشعر بانه مضطهد وبأنه ضحية . هذا هو احساسه الاساسي . ومثل شاطوف بطل دستويفسكي الذي قتل بصورة مقززة على ايدي الثوريين القوميين ، يقتل بوليك على أيدي أصحاب الحق الشرعي في الارض السليبة ، بسبب

مضطهديه في الواقع الاسرائيلي عام ١٩٦٠/١٩٦١. ولا شك ان ايهود بن عيزر قد استخدم شخصية شاطوف في رواية دستويفسكي لكي يوحي للقارىء مقدما بالنتيجة المتوقعة لبطله بوليك ... الانتحار على مذبح الواقع الاسرائيلي .

ومن الاشياء المحورية في الرواية ذلك الصراع الذي يدور في داخل نفس بوليك حينما يتم استدعاؤه من حين لاخر للاحتياطي : « انني احلم في كل ليلة بأنهم يجندونني باستدعاءات مفاجئة ، ويجعلونني اجري فوق التلال ويعذبونني » (ص ٢٢) ومرة اخرى : « لقد حكى بوليك ان لديه ضائقات مع الاحتياطي . انهم لا يتيحون له الدراسة ولا يدعونه يعمل في بحثه . ويتهيأ له احيانا انهم ينتقمون منه » (١٣٨) . واحيانا يناقش هذه القضية بينه وبين نفسه محاولا الفصل بين مشاكل الاحتياطي وحالته الشخصية : « أليس العرب والاحتياطي ذريعة رخيصة لذلك الخواء الذي في الكائن الحي ! » (ص ١٧٤) . وفي ذروة المأساة ، حينما كان يفكر فيما اذا كان يذهب الى المحلل النفسي ام لا يقول لنفسه : « كيف سيكون واثقا مما اذا كان يبحث عن الهدوء لنفسه ام يبحث فقط عن ذريعة لكي يتهرب من واجبه كجندي ! » .

وبن عيزر الذي بدأ كتابة روايته في عام ١٩٦٣ ، وانتهى منها في عام ١٩٦٩ يحاول ان يضفي صفة الاصالة على الخلفية التاريخية في الرواية فكدسها بالكثير من تقارير الصحافة الاسرائيلية عن « القضية » وتطوراتها وملأها بالكثير جدا من التفاصيل عن هذه الفترة . ويشبه هذا الامر من يكتب رواية عن الثورة الفرنسية وينقل فيها صفحات كاملة من مناقشات الجمعية الوطنية الفرنسية .. الخ . وهذه المادة الوثائقية تزيد من الارهاق الذي يصاب به القارىء خلال قراءة الرواية ، وتجعل من الوثائقية أمرا محل شك . واذا كان بن عيزر قد اراد بذلك ان يجعل من الرواية وثيقة تاريخية ، فانه قد فشل في هذا وذلك لانه استخدم المواد الخام التاريخية دون ان يجعلها تخضع لعملية تكرير ادبية . و« البرينرية » (نسبة الى حييم برينر) الموجودة عند بوليك شومرون بطل الرواية هي وضع نفسي وعقلاني . وقد جاء « الجنون الداخلي » عند بطل « ليست الحرب للابطال » من اجل التمويه على حقيقة ان بن عيزر يتناول بجدية مطلقة تلك الاقوال التي يضعها على لسان بوليك ، وان بوليك هو بن عيزر ، وهنا يثور الاحساس بأن بن عيزر لم يكتب الرواية من خلال الواقع بل من خلال الادب وبطله يعيش في عالم من القضايا الادبية ، ويقوى هذا الاحساس حينما يتضح ان بوليك شومرون يعيش بالفعل في « وسط » مقالات بن عيزر عن مشاكل الادب العبري الحديث ، وانعكاس الواقع الاسرائيلي في هذا الادب ، وان بوليك يقتبس أقوالا من مقالات بن عيزر ، ومن سلسلة المقابلات التي نشرها في حينه في مجلة « موزنايم » (الميزان) تحت عنوان « ثمن الصهيونية » الخ .. وقد كتب بن عيزر بحثا عن المرحلة التي اصبح العرب في نهايتها في الادب العبري بمثابة « كابوس وجودي » ، وقد تناول وجهة النظر هذه بجدية ، ودون ان يميز بين تطورات الموضوع الادبي من خلال الاحتياجات الفنية ، يفترض بالفعل ان القضية العربية في الادب العبري تعكس الوعي التاريخي في المجتمع الاسرائيلي .

ونظرا لان بطل بن عيزر يعيش في داخل الادب ، وليس في داخل الحياة ، (وذلك لان موضوع الحياة كان بمثابة خلفية لتبرير المصير الذي حدده بن عيزر سلفا لبطله بوليك وهو الموت واخذ يسعى الى تحقيقه بأي وسيلة) ، فان هذه الشخصية جاءت باهتة ، ولا تحوي الافكار التي يطرحها اي شيء مفاجىء او جديد . والجرأة التي تحويها هذه الافكار ، (استنكار الانسحاق الذي يفرضه وضع اسرائيل الامني على الفرد في اسرائيل ، ونبذ كل ما يترتب على ذلك ومحاولة الهروب منه ، وتعرية الديموقراطية الزائفة .. الخ) ، هي بالفعل ، من الاشياء التي اصبحت معهودة في كل التناول الادبي الاسرائيلي لمثل هذه القضايا ، وخاصة في الادب العبري اعتبارا من الستينات . ويبدو احيانا ، ان بن عيزر قد حاول ان يكون سيموجراف ادبي لاتجاهات موجودة في المجتمع الاسرائيلي . وفي نهاية الامر ، فانه مما لا شك فيه ان ايهود بن عيزر قد نجح في كتابة رواية اجتماعية نفسية يظهر فيها بوضوح الجهد الايديولوجي العقلاني من أجل تعرية الواقع الاسرائيلي بكل عوراته وخباياه خلال الستينات ، وان كان هذا قد طغى على الكيفية الادبية التي كان من المفروض ان يوجهها لهذا العمل الروائي .

رشاد الشامي

تقارير عن اسرائيل

الطلاب الاجانب من اليهود الغربيين في اسرائيل

تسعى اسرائيل والصهيونية العالمية ، عن طريق برامج جامعية وحلقات دراسية وتدريبية خاصة ، لاجتذاب اكبر عدد من الطلاب الاجانب من اليهود للدراسة والتدريب في معاهد التعليم العليا الاسرائيلية . وترمي الدولة اليهودية والصهيونية من وراء ذلك الى حثهم للاستيطان بفلسطين المحتلة بصورة دائمة . فالطلاب الاجانب من اليهود عامة والطلاب اليهود الاميركيين خاصة هم الطلاب المدللون في اسرائيل ، اذ ترى فيهم مهاجري المستقبل العتيدين ورجال غدها . وتركز اسرائيل في حملتها هذه على اقتلاع الطلبة اليهود الجامعيين، لاسباب عديدة تتعلق بنوعيتهم العلمية والفنية ودرجة ثقافتهم العالية ، وكذلك لما يملكون من فيض كبير من القابليات والامكانات القيادية القادرة على التأثير على الشعب في اسرائيل نفسها او في البلدان الغربية وشعوبها على حد سواء . هذا وتعتبر الجامعات في اسرائيل ، بنظر الدكتور جورج وايز ، رئيس جامعة تل ابيب ، بمثابة « المفتاح للهجرة » . فهو يعتقد بأن الطلاب في تلك السن ، أهم اكثر استعدادا لتقبل التأثيرات واكثر حيوية للسفر والتنقل . كما يعتبر نائب رئيس الجامعة المذكورة بأن الجامعة بمثابة « جسر الى الشتات الدياسبورا » . لذا ، يتلقى الطلاب الاجانب من اليهود عناية فائقة واهتماما بالغا من قبل المسؤولين الاسرائيليين . فكل طالب يهودي ، مثلا ، يعرب عن رغبته في الدراسة في اسرائيل يستطيع ان يحصل على منحة مالية لهذا الغرض(١).

بالرغم من ان اسرائيل تجتذب عامة الطلاب اليهود من شتى اقطار العالم ، الا انها تسعى ايضا لاجتذاب الطلاب غير اليهود وخاصة من البلدان النامية ، كما ذكرنا في دراسة سابقة(٢). وذلك لان اسرائيل تعتبر نفسها مركزا للتعليم والتدريب للطلاب وللعلماء من غير اليهود . وتظهر اسرائيل مثلا انها مركز للدراسات المسيحية ، حيث تستقطب العلماء والمفكرين المسيحيين للبحث والدراسة في « الاراضي المقدسة » او « ارض التوراة »(٣). لاسرائيل رغبة خاصة في اجتذاب الطلبة اليهود من شتى اقطار العالم وخاصة مواطني البلدان الغربية الميسورة والمتقدمة ، الى معاهد التعليم العليا فيها . وذلك لانها تعتبر نفسها محور الحياة اليهودية لجميع اليهود في العالم ، كما تشعر بأن من واجبها ان توفر خدمات تربوية تستهدف من ورائها اغناء الحياة اليهودية واثرائها وتقوية هوية الطالب اليهودي الذي يدرس ضمن حدود الدولة اليهودية في فلسطين المغتصبة . وفوق ذلك فان اسرائيل تعتبر نفسها حلقة وصل بينها وبين الدياسبورا . كما تأمل ايضا من بعض هؤلاء الذين يدرسون في اسرائيل ان يقرروا الاستيطان فيها بشكل دائم نتيجة لرحلتهم الاسرائيلية . ومنذ حرب الايام الستة في سنة ١٩٦٧ يبدو ان الهدف الاخير قد اخذ في التحقق على نطاق واسع ، على ذمة احد الباحثين(٤). ومما يجب التشديد عليه الان هو ان اسرائيل تنطلق من حملتها هذه من فكرة عدد من المربين اليهود الذين ينادون بأن التدريب للخدمة الفنية ليس بكاف لليهود العلمانيين ، ما لم يكن مقرونا ، على الاقل، بزيارة الى اسرائيل . وقد أنشأت لهذا الغرض عددا من البرامج المنوعة ، التعليمية والثقافية ، لاجتذاب الالف من الطلبة اليهود وخاصة من الولايات المتحدة ، كما سنوضح في هذا التقرير . وفي هذا البحث ، سنحاول تقديم صورة واضحة ، بالحقائق والارقام ، عن نشاط اسرائيل والصهيونية العالمية لاجتذاب الطلاب اليهود الاجانب وخاصة الاميركيين منهم للدراسة وللاستيطان في فلسطين المحتلة بصورة دائمة . وينحصر هذا البحث في الطلاب الجامعيين او خريجي الجامعات فقط ، اي ما بين السنوات ١٨ و٢٥

سنة من العمر وخاصة اولئك الناطقين باللغة الانكليزية .

ويجدر بنا الان ان نلقي نظرة سريعة على الطلاب الاجانب الذين يدرسون في اسرائيل . تفيد احدث الاحصاءات المتوفرة ان عدد الطلاب الاجانب في اسرائيل بلغ ٨٠٠٠ بالاضافة الى ١٥٠٠ طالب في المدارس اليهودية من بين ٤٥٠٠٠ طالب وطالبة في معاهد التعليم العليا الاسرائيلية ، اي ان نسبة الطلبة الاجانب بلغت ١٨ في المائة ، وذلك للعام الدراسي ٧٠ — ١٩٧١(٥). واما الطلبة اليهود وحدهم فيبلغ عددهم اكثر من ٥٠٠٠ طالب وطالبة في العام ٦٩ — ١٩٧٠(٦). والطلبة الاجانب اتوا من ٦٣ قطرا في العالم . ومن حيث التقسيم الجغرافي ، نجد ان اقل من نصف الطلبة الاجانب قدموا من اوروبا (الغربية والشرقية) بنسبة ٤٥٫٦ في المائة يلي ذلك الولايات المتحدة وكندا (١٢٫٩ في المائة) فأميركا اللاتينية (١١٫١ في المائة) فالشرق الاوسط وآسيا (١١٫١ في المائة) و١٢٫٥ في المائة من بلدان مختلفة(٧). واما من حيث نوع تأشيرة الدخول فيؤخذ من الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ان من بين ٢٢١٣ طالبا وطالبة من الاجانب اليهود في معاهد التعليم العليا ثمة ٦٣٥ (٢٩ في المائة) يحملون تأشيرة «مهاجر» و١٣٣١ (٦٠ في المائة) « مهاجر محتمل » و١٣٥ (٦ في المائة) « زائر » و٩٧ (٤ في المائة) « سائح » . وعلى صعيد فرع الدراسة ، نجد ان ٤٢ في المائة من هؤلاء هم من الطلاب الملتحقين في برامج نظامية او عادية و٤٥ في المائة في السنة الاولى التحضيرية و١٣ في المائة في برامج خاصة تستغرق سنة واحدة(٨).

معاهد التعليم العالية الرئيسية

والحديث عن الطلاب الجامعيين يقودنا بطبيعة الحال الى الكلام بشيء من الايجاز على الاقل عن الجامعات والكليات العاملة في فلسطين المحتلة . ففي اسرائيل اليوم سبعة معاهد رئيسية للتعليم العالي ، وجميعها تمنح شهادات البكالوريوس ، كما يمنح البعض منها شهادات الماجستير والدكتوراه . وتدعم الحكومة الاسرائيلية هذه الجامعات كما يدعمها ما يسمى « بالاصدقاء » في الخارج . وتبلغ ميزانيات معاهد التعليم العالي نحو ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية . وفيما يلي عرض سريع جدا عن كل من تلك المعاهد الاسرائيلية . الجامعة العبرية : اكبر جامعة ، تأسست عام ١٩١٨ في القدس وبدأت قبول الطلبة النظاميين على نطاق واسع في عام ١٩٢٥ . بلغ عدد طلابها نحو ١٥٫٥٠٠ منهم نحو ٤٠٠٠ من الطلبة الاجانب وذلك للعام ٧٠ — ١٩٧١ . معهد التكنيون : اقدم معهد للتعليم العالي في فلسطين المحتلة ، اذ تأسس في عام ١٩١٢ في حيفا الا انه لم يبدأ قبول الطلبة على نطاق واسع الا في سنة ١٩٢٦ . وهو معهد لتدريب العلماء والمهندسين ، بلغ عدد طلابه ٦٠٠٠ منهم اكثر من ١٠٠٠ من الطلبة الاجانب . جامعة بار ايلان : اسستها في عام ١٩٥٥ منظمة المزراحي العالمية وتقع في رامات غان بالقرب من تل ابيب . وهي جامعة دينية تهدف الى تنشئة العلماء والمثقفين ورجال العلم المتبحرين في الشؤون الدينية . يبلغ عدد طلابها ٥٢٠٠ منهم ٦٠٠ طالب اجنبي . جامعة تل أبيب : تأسست في عام ١٩٥٣ وتم تدشينها في عام ١٩٥٦ وهي تنمو بسرعة فائقة وتنافس الجامعة العبرية نفسها ويبلغ عدد طلابها ١٢٫٥٠٠ منهم ١٠٠٠ طالب اجنبي . فيها مدرسة طبية . جامعة حيفا : تدير شؤونها الاكاديمية بمساعدة الجامعة العبرية في القدس ويبلغ عدد طلبتها ٤٣٠٠ منهم ٦٠٠ طالب اجنبي. جامعة النقب : تأسست في عام ١٩٦٥ وهي احدث جامعة من نوعها في فلسطين المحتلة وهي تحت رعاية الجامعة العبرية والتكنيون ومعهد وايزمان للعلوم واشرافها . كانت تعرف سابقا بمعهد التعليم العالي في بئر سبع ثم تم تحويلها الى جامعة . يبلغ عدد طلابها ٢٧٠٠ منهم اكثر من ٣٠٠ طالب اجنبي . معهد وايزمان للعلوم : تأسس في سنة ١٩٣٤ ويقع الان في ريفوت وهو معروف كمعهد للبحوث العلمية والتقنية ولكن يشمل ايضا مدرسة للدراسات العليا . واخيرا لا بد لنا من ان نذكر في هذا المجال الكلية الاميركية : التي انشئت مؤخرا وهي كلية جديدة للاداب لاجتذاب الطلبة الاميركيين . ويجري التدريس فيها باللغة الانكليزية ونظام التعليم تابع للنظام الاميركي، وذلك بقصد تشجيع اولئك الطلبة الاميركيين الذين يعجزون عن التكيف مع النظام الاسرائيلي الجامعي(٩).

ومما يذكر ان هناك عميدا في كل جامعة خاص بالطلبة الاجانب وكذلك مرشدا يرعى امورهم . ومما يجب ذكره ان الجامعات الاسرائيلية ليست مراكز للعلم فقط بل ان عددا كبيرا من طلبة

الجامعات الاسرائيلية قد اشترك في حرب الايام الستة السوداء ضد الدول العربية في ١٩٦٧ . وينبغي القول ان ثمة علاقة وثيقة بين الجامعات في اسرائيل والجامعات في الولايات المتحدة . هذا يعني بكلام اوضح ان الطلبة الاميركيين يأتون الى اسرائيل في جماعات تحت اشراف مباشر من قبل جامعاتهم . ومن بين تلك الجامعات الاميركية ، جامعة برانديس ، التي توفر جميع الوسائل والتسهيلات والترتيبات لطلابها لقضاء خمسة اشهر من الدراسة في القدس المحتلة وهناك ايضا عدد آخر من الجامعات الاميركية التي تتبع البرنامج نفسه ، بحيث يمكن لطلبتها متابعة بعض دراساتهم في اسرائيل . وفي هذا المجال تنشط المنظمات الصهيونية واليهودية في الولايات المتحدة وكذا مركزة على اقتلاع طلبة الجامعات هنالك للدراسة في اسرائيل او لزيارتها على الاقل لفترة وجيزة(١٠).

البرامج الدراسية

والبرامج الدراسية التي تقدمها الجامعات الاسرائيلية او الحلقات الدراسية التي تقام في الصيف لطلاب التخصص جميعها برامج مدروسة وتستهدف اجتذاب اكبر عدد من الطلبة لتعليمهم في اسرائيل ولزيارة فلسطين المحتلة تحت ستار الدراسة المؤقتة او الالتحاق بدورات تدريبية قصيرة المدى اثناء العطلة الصيفية . والمعروف ان البرامج الدراسية في اسرائيل يسبقها برامج تحضيرية وتعتبر ضرورية جدا وخاصة الى هؤلاء الذين لا يعرفون اللغة العبرية ، لغة التعليم الرسمية في اسرائيل . ولا يمكن للطالب الاجنبي ان يتلقى التعليم دون معرفة هذه اللغة . وفوق ذلك ان الدراسات الدينية اليهودية (التوراة) تعتبر مهمة جدا في كل برنامج دراسي في اسرائيل . وعليه ، ثمة دروس خاصة للطلاب الاجانب لتهيئتهم لدخول الجامعة ، تهدف لتحضير الطلبة وادماجهم في الحياة الاسرائيلية وفي نظامها التعليمي والتربوي. وتقسم البرامج التحضيرية الى قسمين : القسم الاول يقع تحت اشراف مؤسسات التعليم العالي وهيئة الطلبة ، والقسم الثاني تحت اشراف الكيبوتز ، حيث يشمل البرنامج في الكيبوتز « نصف يوم عمل ونصف يوم دراسة » ، هذا بالاضافة طبعا الى النشاطات الثقافية والاجتماعية(١١).

وبالاضافة الى البرامج النظامية او العادية في الجامعات ، تقدم الجامعات الاسرائيلية وغيرها من المؤسسات التعليمية والثقافية دورات وحلقات خاصة بالطلاب اليهود وخاصة من الاجانب الاميركيين منهم . ويتولى امر الاشراف على توزيع البرامج الاسرائيلية هذه وترويجها مؤسسة الشبيبة الصهيونية في نيويورك وفروعها في المدن الاميركية والكندية الكبرى . وتستغرق الدراسة الصيفية ما بين ٧ و١٢ اسبوعا يتخللها دراسة وتدرب ثم رحلات ومحاضرات وزيارات وعمل ميداني في الكيبوتزات . وتبلغ تكاليف السفر ذهابا وايابا من نيويورك الى فلسطين المحتلة ما بين ٧٩٩ الى ١٠٧٥ دولارا،كما يتضح من الجدول على الصفحة التالية. واما جامعة تل أبيب ، فانها تقدم برنامجا صيفيا باللغة الانكليزية والبرنامج الصيفي للعام ١٩٧٢ يتضمن اربعة أسابيع في تموز وآب (يوليو واغسطس) ويحق ان يلتحق بهذا البرنامج طلاب الجامعات المؤهلين (١٨ — ٢٥ سنة) ، اذ يحصلون بنهايته على ستة وحدات (Credits) جامعية . والبرنامج المذكور ، على خلاف غيره ، لا يتطلب من الطالب معرفة اللغة العبرية، لان لغة التدريس هي في اللغة الانكليزية. ويتضمن البرنامج دورتين متساويتين ، كل منهما اربعة اسابيع، ففي الدورة الاولى ، مثلا ، يتلقى الطالب تعليما مقداره ست وحدات جامعية ، يدرس خلالها اللغة العبرية وتاريخ الشرق الاوسط والتركيب السياسي لاسرائيل وسوسيولوجية الاستيعاب في اسرائيل والفلسفة اليهودية . واما الدورة الثانية ، فتشمل رحلات ميدانية تربوية في البلاد وعملا في الكيبوتز ونشاطات اجتماعية وثقافية . وتبلغ تكاليف الدورتين ٩٧٥ دولارا وتشمل تذكرة السفر ذهابا وايابا من نيويورك الى فلسطين المحتلة بالطائرة كما تشمل القسط التعليمي وبدل الرحلات والمحاضرات والحفلات والنشاطات الاجتماعية والثقافية بالاضافة طبعا الى تكاليف السكن والطعام . ويشرف على البرنامج هذا جامعة تل ابيب بالاشتراك مع منظمة الشبيبة الصهيونية الاميركية في نيويورك التي تسعى لاجتذاب الطلبة اليهود وتقوم بمقابلات شخصية لتجنيد الطلبة للبرنامج(١٢).

وبالاضافة الى كل ما تقدم ثمة عدد من معاهد التعليم العالي في اسرائيل تنظم برامج خاصة للطلاب الزائرين من الخارج . وهذه الدروس تمتد اما لسنة واحدة او لنصف سنة او لفترة

برنامج الصيف لطلاب الجامعات في اسرائيل للعـــام ١٩٧٢ (العمـــر ١٨ ــ ٢٥ سنة)

نوع البرنامج او الحلقة	فترة التدريب (بالاسبوع)	التكاليف الكاملة بالدولار	ملاحظـات حـول البرنـامج
١ ــ معهد اسرائيل الصيفي	٧	٩٦٠	رحلات منظمة واسعة النطاق ، واسبوعان عمل في مركز الكيبوتز ، و١٠ ايام في القدس واسبوع في مدرسة الطبيعة ومحاضرات حول مختلف اوجه الحياة في اسرائيل .
٢ ــ حلقة دراسية حـرة للـرقص الفولكلوري	٧	٩٩٩	تشبه معهد اسرائيل الصيفي. تهتم بالرقص الحديث والفولكلوري . يستغرق التعليم ٧ ــ ١٠ ايام من التدريس المنظم يليه حلقة في احدى ميادين الرقص .
٣ ــ حلقة الفنون	٧	٩٦٠	تنطلق من نفس الفكرة في الرقص الفولكلوري السابقة . يركز على الهواة من طلاب الفن الحديث والرسامين ، الخ . يقضي الطلاب نصف اوقاتهم في رحلات سياحية والنصف الاخر في حلقة دراسية .
٤ ــ حلقة دراسية حرة للدراما	٧	١٠٠٧٥	٣ أيام درس عميق على يد اخصائيين من نيويورك . مشاهد كلاسيكية ومعاصرة حـول شكسبير والتكتيك والتدريب . محاضرات من قبل فناني المسرح الاسرائيلي . رحلات لمدة اسبوعين في اسرائيل واسبوعين آخرين في الكيبوتز .
٥ ــ جماعات الدراسة الجامعية	٨	٩٧٥	٤ اسابيع دراسة في جامعة تل ابيب او جامعة حيفا ، ينال في نهايتها ست وحدات جامعية . الدراسة بالانكليزية . و٤ اسابيع اضافية ، يتخللها رحلات ومحاضرات وزيارات للكيبوتزات .
٦ ــ حلقة علم الاثار	٨ ــ ١٠	٧٩٩	يستطيع الطالب ان يحصل على ٦ وحدات في جامعة تل ابيب في اسبوعين من المحاضرات ثم ٣ أسابيع اضافية من الرحلات الكشفية في العمل الميداني (حفر) يتخللها زيارتان الى النقب ومحاضرات اضافية في بئر السبع واسبوع اضافي من الرحلات الكشفية .
٧ ــ برنامج طبي صيفي	٨ ــ ١٠	ــ	موقوف على طلاب الطب الذين كان من المتوقع انهاء مرحلتهم الدراسيــة الاعداديــة الاكلينكية بحلول حزيران (يونيو) ١٩٧٢ . يدرس الطلاب ويعملون في المستشفيات الاسرائيلية ، يلي ذلك برنامج من ١٠ ايام في الحلقات العامة والرحلات .
٨ ــ صيف في الكيبوتز	٩ ــ ١٢	٦٦٠	ستة ايام عمل في الكيبوتز ، مع اسبوعين من الرحلات والحلقات الدراسية .

المصدر : *1972 Israel Summer Programs*. New York: American Zionist Youth Foundation (one page brochure, n. d.).

الصيف فقط . ويمكن الالتحاق بهذه البرامج بالكتابة مباشرة الى الجامعة او الى ممثلي الجامعة في الخارج ، الا ان الطلبة الذين يلتحقون بهذه البرامج لا يحق لهم المساعدات المالية من « هيئة الطلبة »(١٣).

برنامج طوعي لخريجي الجامعات

وبالاضافة الى ذلك هناك برنامج طوعي خاص بخريجي الجامعات يدعى « شيروت لاعام » يستغرق سنة واحدة ويرمي الى اجتذاب الطلبة اليهود من الولايات المتحدة وكذا ولا سيما من ارباب المهن الحرة لقضاء سنة من العمل الطوعي في الكيبوتزات والمناطق الانمائية (اي المدن التي انشئت بعد سنة ١٩٤٨) والتي يستوطنها عامة المهاجرون اليهود من شمال افريقيا الذين يواجهون مشاكل الاستيعاب في«المجتمع العصري» وللوقوف على كافة جوانب الحياة الاسرائيلية . وتقسم السنة الى فترتين : الاشهر الثلاثة الاولى هي تحضيرية ، اي يتعلم المتطوعون اللغة العبرية وتكاليف التعليم هذه على نفقة المتطوع نفسه . والفترة الثانية (٩ اشهر) يقضيها المتطوع في العمل الميداني الطوعي ، في المناطق ، حيث تحتاج الصناعات الحديثة هناك ومؤسسات التعليم والخدمات العامة الموجودة حاليا الى عمال اضافيين لمساعدة العمال المتوفرين حاليا . وجدير بالذكر ان المتطوعين الاخصائيين في المهارات الفنية والتقنية ، كالاطباء والممرضات والمساعدات في المختبرات وغيرهم ، يضمن لهم اعمال في حقول اختصاصاتهم . والمؤهلات التي يتوجب على المتطوع ان يملكها تتلخص في ان يكون حائزا على شهادة جامعية او شهادة من معهد يؤهل رجالا من ذوي الاختصاص الفني والتقني المتوسط على مستوى سنتين جامعة . وأن يكون ما بين ٢٠ و٣٠ سنة بيد ان معرفة اللغة العربية ليس شرطا . وعلى المتطوع ان يعمل دون ان يتقاضى راتبا ، وذلك على حد تعبير المسؤولين في اسرائيل ، « لانه يكسب خبرة شخصية نتيجة اطلاعه على شؤون البلاد » ، ولكن يتقاضى علاوة شهرية بدل نفقاته الخاصة . ويعيش المتطوع في غرفة مع اثنين او ثلاثة من المتطوعين الاخرين . وتبلغ تكاليف السنة الكاملة، مع تذكرة السفر ذهابا وايابا من نيويورك الى فلسطين المحتلة مع سكن وطعام مبلغ ٥٩٥ دولارا(١٤).

وفي محاولة لاجتذاب الطلبة المهاجرين الى اسرائيل ، تقام نشاطات اجتماعية وثقافية مختلفة واسعة النطاق وتنظم خصيصا لغرض الاستيعاب. وتشمل البرامج والنشاطات هذه لقاءات مع الاسرائيليين ومحاضرات حول الشؤون المدنية في اسرائيل ومناقشات حول المشاكل الحاضرة والشؤون الاسرائيلية ورحلات الى كل زاوية من فلسطين المحتلة . ويتولى هذه المهمة اتحاد الطلبةوعمداء الطلابالاجانب ومرشدوهم واتحادات المهاجرين . « واما « هيئة الطلبة » فانها تخطط وتنسق وتمول بعض الاحيان تقوم نفسها بهذه النشاطات(١٥).

« هيئة الطلبة » والمساعدات المالية

ومن أبرز المؤسسات الطالبية التي تقوم بتقديم مساعدات مالية ومعنوية هي « هيئة الطلبة » Student Authority وهي جزء من وزارة الهجرة والاستيعاب . وتأسست الهيئة في عام ١٩٦٧ بغية مساعدة طلبة ما وراء البحار في عملية ادماجهم ، كطلاب في اسرائيل ، وتقوم بالادوار والمهمات التالية : انها تلعب دور الرجل الوسيط بين الطلبة وبين المعهد الذي يرغب الطالب في ان يلتحق به ، وتقدم له كافة المعلومات الضرورية حول المعهد كما تساعده في عملية التسجيل في المعهد . وتقدم ايضا نصائح وارشادات الى الطلبة الاجانب حول الامور والمشاكل التي تواجهم . كما تعمل ايضا كضابط ارتباط بين الطلبة الاجانب من جهة وبين الطلبة الاسرائيليين والشعب الاسرائيلي من جهة اخرى. وعلى صعيد المساعدات المالية والمنح ، فان الهيأة المذكورة تقدم منحا مالية الى الطلاب المؤهلين . وخاصة الى اولئك اليهود الذين يأتون الى فلسطين المحتلة كمهاجرين او قد يصبحون مهاجرين . وتشمل المساعدات المالية الطلبة الاجانب من اليهود النظاميين الذين يدرسون في معاهد التعليم العليا المعترف بها كما تشمل الطلبة الذين بدأوا الدراسة الجامعية في الخارج ولكن يرغبون في متابعة دراستهم في اسرائيل . وتمنح المساعدات المالية حسب الحاجة والدخل واوضاع الطالب العائلية والمدنية والمالية . ويحق للطالب مثلا ان يتقدم للمساعدة المالية من الهيأة المذكورة ، اذا كان الايجار اكثر من ٢٥ ليرة

اسرائيلية بالشهر وتمنح الهياة مساعدة مالية قدرها ٥٠ ليرة اذا كان الايجار اكثر من ٢٥ ليرة شهريا وذلك لفترة عشرة اشهر بالسنة فقط . ومما يذكر ان معدل الايجار في المنامات الجامعية تقدر بنحو ٧٥ ليرة بالشهر . وتمنح الهياة مساعدات مالية لفترة ست سنوات فقط ، ابتداء من تاريخ قدوم الطالب الى فلسطين المحتلة ، وذلك بغض النظر عن وضعه الدراسي وتمنح المساعدة على اساس السنة الواحدة ، وقابلة للتجديد . ويتطلب من الطالب أن يلتحق بالجامعة ويتابع دراسته بانتظام ودون انقطاع عن الدراسة . هذا وتقدم الهياة مساعدات مالية وتربوية خاصة لطلبة الدراسات العليا ، اي الطلبة الحائزين على شهادات الماجستير والدكتوراه ويعدون للحصول على الدكتوراه . وتساعد هؤلاء الطلبة الجامعات التي يلتحقون بها بواسطة وزارة الاستيعاب . وزيادة على ذلك تساعد الهياة اولئك الطلبة بغية استيعابهم في المجالات التالية : ارشاد وتوجيه في اوقات التسجيل ، تحضير البرنامج الدراسي اثناء فترة الدراسة وذلك بواسطة تحضيره لغويا، مساعدة في السكن ، مساعدة في الاقساط وفي علاوة السكن ، وتقوم ايضا بتنظيم نشاطات اجتماعية وثقافية(١٦).

وبلغة الارقام ، يؤخذ من احدث الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ان من بين ٣٢٢١٣ من الطلبة الجامعيين (اليهود) نجد أن الغالبية الساحقة يحصلون على منح مالية ، اي ٧٨ في المائة مقابل ٢٢ في المائة بدون منح وذلك لغاية شهر ايار (مايو) ١٩٧٠ . ومن بين الحاصلين على منح ثمة ٢٩ في المائة حصلوا على منح كبيرة و٤٠ في المائة على منح صغيرة و١٠ في المائة على منح اخرى . ويبدو أن ثمة علاقة بين اعطاء المنح وبين الاستيطان في اسرائيل . تدل الارقام الرسمية على ان ٩٠،٥ في المائة من الذين حصلوا على منح للعام ٧٠ — ١٩٧١ كانوا من الذين اعربوا عن رغبتهم في الاستيطان مقابل ٩،٥ في المائة لاولئك الذين بدون منح . كما حصل على ٧٦،٤ في المائة من الطلبة المحتمل استيطانهم في فلسطين المحتلة مقابل ٢٦ في المائة للطلبة الزائرين(١٧). هذا يعني، بالاختصار ، ان الطلبة الذين يرغبون في الهجرة والاستيطان يتلقون مساعدات مالية اكثر بثلاثة اضعاف من الطلبة الزائرين .

الدراسة الصيفية في الكيبوتز

وعلى صعيد الكيبوتز ، ثمة برنامج خاص بذلك ، تستهدف الدراسة فيه توفير اسباب العمل والعيش وذلك بغية التعرف على هذا النمط من الحياة الجماعية ، ويتضمن البرنامج للعام ١٩٧٢ النشاطات التالية : من خمسة الى ستة اسابيع عيش وعمل في الكيبوتز ، حيث تستغرق فترة العمل سبع ساعات يوميا ، ويساهم الطالب بالاضافة الى ذلك في مختلف نشاطات الحياة الاجتماعية ، كما يطلع عن كثب على حياة الكيبوتز، فيمختلف اوجهها الاقتصاديةوالانسانية والايدولوجية ومشاكلها . وزيادة على ذلك يصبح ملما بالارض والثقافة والشعب والمشاكل والتطلعات نحو المستقبل . وبالاضافة الى ذلك هناك اسبوعان من الزيارات والحلقات الدراسية وتشمل المناطق الرئيسية من فلسطين المحتلة ، كايلات والنقب وحيفا والقدس وتل ابيب والخليل وكذلك الضفة الغربية والجولان المحتلتين . ويحق لاي طالب جامعي او خريج جامعة ، ان يلتحق بالبرنامج شريطة الا يزيد عمره على ٢٥ سنة كما يجب ان يتمتع بصحة جيدة والا يكون من ذوي العاهات تمنعه من العيش والعمل . ويبدأ الطالب السفر من نيويورك في غضون حزيران (يونيو) ويعود بعد ثمانية او احد عشر شهرا . ويبلغ مجموع التكاليف ٥٩٩ دولارا وتشمل تذكرة السفر ذهابا وايابا من نيويورك ونفقات السكن والطعام والنشاطات في الكيبوتز والزيارات والحلقات والتأمين الصحي . ويشرف على البرنامج الصيفي مؤسسة الشبيبة الصهيونية الاميركية في نيويورك بالاشتراك مع منظمات صهيونية اخرى وكذلك بالاشتراك مع هيئات ومنظمات اسرائيلية في الارض المحتلة نفسها(١٨).

الحصول على الجنسية

ومن بين الوسائل المغرية التي تستخدمها السلطات الاسرائيلية الاعتراف بمبدأ الجنسية المزدوجة ، اي أن اي مواطن اسرائيلي يستطيع قانونيا ان يحمل جنسية بلد آخر كما يحق لمواطن الولايات المتحدة او كندا ان يحمل جوازي سفر . فجواز السفر الاسرائيلي ، مثلا يستعمل في مغادرة البلاد وفي العودة اليها ، واما جواز السفر الاخر فانه يستعمل في الدخول من الولايات المتحدة او كندا او الخروج من كل منهما . لذا نجد ان اسرائيل

تمنح بسخاء جوازات سفر لمواطني الولايات المتحدة وكندا . وينبغي ان نعيد الى الاذهان ان اسرائيل، حسب قانون العودة في عـام ١٩٥٢ ، تمنـح الجنسية الاسرائيلية بشكل آلي لاي يهـودي مقيم يطلب الجنسيـة ، شريطـة ان يصبح مقيمـا مؤقتا اولا . والمقيم المؤقت يستطيع ان يحصـل على اجازة الاقامة فور وصوله الى الارض المحتلة او فور تغيير وضعه ، مثلا ، من سائح الى مقيم مؤقت(١٩). وعلى هذا ، يحق لاي طالب يهودي أن يهاجر ، حسب قانون العودة ، وان يحصل على الجنسية الاسرائيلية فور وصوله الى فلسطين المحتلة ومن ثم يحق له ان يلتحـق بـالجيش وبالخدمة العسكرية(٢٠).

نتيجة الحملة الاسرائيلية والصهيونية

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد كل ما تقدم هو: ما هي نتيجة حملة اسرائيل لاجتذاب الطلبة الاجانب من اليهود ، عن طريق الدراسة والعمل، ومحاولة استيطانهم في الارض المغتصبة ؟ يؤخـذ مـن الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية لشهر ايار (مايو) ١٩٧٠ انه من بين ٢،٢٠٨ من الطلبة الجامعيين ثمة ١،٥٩٤ طالبا اعربوا عن رغبتهم في الاستيطان وليس في الدراسة . وهنا لا بد من الاشارة الى أن هؤلاء اعربوا عن رغبتهم في الاستيطان وهذا لا يعني انهم قرروا الاستيطان بشكل نهائي . فالانسان قد يعرب عن رغبته اليوم ولكـن قد لا يحقق هذه الرغبة غدا . فهناك دراسة ، مثلا ، شملت ١،٥٠٠ طالب من الذين تدربوا في معهد القيادة باسرائيل ، وقد استغرقت فترة التدريب سنة كاملة ، ومن بين أولئك ، ان نحو الثلث فقط عادوا وقرروا الاستيطان في فلسطين المحتلة . ومن بين الاسبـاب التـي ذكـرها البعض ان قرارهم في الاستيطان يعـود الى « استيائهـم وسخطهم او عدم تكيفهم في مجتمعاتهم غير اليهودية وذلك على اعتبار انهم يجدون ما يصبون اليه من رضى في حياتهم كيهود » وقال احد الذين قرروا الاستيطان : « هنا اشعر في وطني ، اشعر بأني كائن موجود » ، « استطيع ان اعيش عيشة يهودية متكاملـة » ، « ابنائي يتربون تربيـة يهودية »(٢١). ماذا يعني ذلك ؟ ان دل على شيء فانما يعني ان الدافع الرئيسي للهجرة والاستيطان هو الدافع الديني والاستقرار النفسي اي التخلص من العقدة اليهودية في الخارج .

وجاء في دراسة شملت ٧،٢١٥ شابا وشابة من المتطوعين والذين ينتمون الى ٤١ بلدا ان ٤٠ في المائة من نحو ١٦،٠٠٠ من هؤلاء الذيـن اجريت معهم مقابلات ، يرغبون في العودة الى بلادهم دون ان يكونوا مرتبطين بأي مؤسسة او منظمـة اسرائيلية ، بينما اعرب نحو ١١،٥ في المائـة عن اهتمامهم بالانضمام الى « حركة التطوع » حين رجوعهم الى بلدانهم الاصلية ، واما عـن امكانية هجرتهم الى اسرائيل في وقت ما بالمستقبل، فقد اعرب نحو ٤٠ في المائة من المتطوعين عن رغبتهم في تمديد اقامتهم . ويذكر ان نحو نصف هؤلاء قدموا من البلدان الناطقة باللغة الانكليزية ، كما ان نحو نصفهـم لا ينتمـون الـى منظمـات صهيونية او شبه شبيبة يهودية(٢٢).

ويؤخذ من دراسة علمية مسهبة ومفصلة شملت ٨٧ طالبا يهوديا اميركيا ممـن قضوا عاما في الجامعة العربية بالقدس (٦٦ — ١٩٦٧) ان بعض الطلبة الذين قضوا وقتا في الكيبوتز اصبحوا أقل رغبة في الاستيطان في هذا النوع من الحياة الجماعية من ذي قبل ، اي قبل الاقامة فيه . وتعتبر الاكثرية من هؤلاء الطلبة ان الاستيطان في اسرائيل بالنسبة لليهود غير منطقي كي يصبـح اليهودي « يهوديا صالحا » . وهذا الرأي يتناقض مع فكرة طلاب المدارس الثانوية في اسرائيل الذين يضعون الاستيطان في فلسطين المحتلة على قائمة الصفات الحميدة « لليهودي الصالح » . ويقول الطلبة اليهود الاميركيون ان المستوطنين الاسرائيليين يطرحون اسئلة عليهم تتعلق بما اذا كان لديهم رغبـة في الاستيطان ، الا ان الطلبة تذمروا ، لان الاسرائيليين يشعرون بأن كل فرد يجب ان يأتي الى هنا كيهودي . واعترف هؤلاء الطلبة ان الغالبية الساحقة من الاسرائيليين (٨٦ في المائة) ينظرون اليهم كأميركيين اولا وآخرا مقابل ١٣ في المائة فقط ينظرون اليهم كيهود اولا وآخرا ، وثمة ١٢ في المائة ينظرون اليهم كمقيمين في اسرائيل . وعلى صعيد الطلبة الاسرائيليين نجد ان ٩٢ في المائة ينظرون الى الطلبة الاميركيين كأميركيين مقابل واحد في المائة فقط كيهود . ومن جهة اخرى نجد ان الطلبة اليهود انفسهـم (الاميركيين) يرون انفسهم كأميركيين اولا وذلك بنسبة ٧٢ في المائة مقابل ٩ في المائة فقط كيهود(٢٣). هذا يعني بكلام أوضح ان طابع القومية الاميركية يغلب على طابع الدين اليهودي . ويبدو ان الاقامة لفترة سنة

في اسرائيل يؤثر على وجهة نظر نسبة كبيرة بشكل سلبي . فقد أعرب قبل المجيء الى فلسطين المحتلة أقل من نصف الطلبة (٤٧ في المائة) ان مصير الفرد منهم يرتبط بمستقبل الشعب اليهودي وتطلعاته مقابل ٣٧ في المائة بعد الاقامة في اسرائيل . ولا شك في ان المرء يتوقع أن يحدث العكس . وكان ١٤ في المائة من الطلبة ينظرون نظرة جيدة الى الاسرائيليين مقابل ٧ في المائة فقط بعد قضاء سنة كاملة في اسرائيل ، كما ارتفعت نظرتهم السلبية من ١٤ في المائة قبل قدومهم الى اسرائيل الى ٢١ في المائة بعد اقامة عام فيها . وصرح أحد الطلبة : « اشعر اني جزء لا يتجزأ من المجتمع الاميركي ، بيد اني ما زلت اشعر بأني غريب هنا (في اسرائيل) » . وتذمر الطلبة اليهود الاميركيين من ان الاسرائيليين متعصبون ضد الاجانب . ويمكن القول انه في نهاية الاقامة في اسرائيل فقط ثمة تغييرات محدودة طرأت على وجهات نظر هؤلاء الطلبة(٢٤).

وهكذا يتضح ان اسرائيل ، بالاشتراك مع الصهيونية العالمية ، تحاول ، عن طريق جامعاتها ومعاهدها ، اجتذاب الطلبة الاجانب من اليهود وخاصة الغربيين منهم للدراسة في اسرائيل وبالتالي للاستيطان فيها بشكل دائم . فالجامعة بالنسبة لاسرائيل ، تعتبر بمثابة « المفتاح للهجرة » لما في الطلبة الجامعيين من استعداد لتقبل التأثيرات وحيوية السفر والتنقل . لذا ، يستطيع كل طالب يهودي يرغب في الدراسة بفلسطين المحتلة ان يحصل على منحة مالية . ويذهب عدد من المربين الصهيونيين الى ان الثقافة والتدريب الفني ليسا كافيين لليهود العلمانيين القاطنين في الخارج ، ما لم يقرنا ، على الاقل ، بزيارة الى اسرائيل . وقد نظمت لهذا الغرض برامج دراسية متنوعة ، تعليمية وتدريبية وثقافية وترفيهية .

الدكتور الياس زين

---

١ — سلمى س. حداد ، **الطلاب في اسرائيل** (بيروت ، مركز الابحاث ، م.ت.ف. ١٩٧١)، ص ٢٨ — ٣٢ .

٢ — الدكتور الياس زين ، « الطلاب الاجانب في اسرائيل » في **شؤون فلسطينية** ، عدد ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ، ص ٢٨٠ — ٢٨٩ .

٣ — Simon N. Herman, *American Students in Israel* (Ithaca: Cornell University Press, 1970), p. 25.

٤ — **المصدر السابق** ، ص ٢٣ .

٥ — *Student's Guide* (Brochure), Jerusalem: Student Authority Office, November 1971), p. 7.

٦ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣ .

٧ — *Higher Education in Israel*, A Guide for Overseas Students. Ministry of Immigrant Absorption, March 1970, p. 31.
Herman, *op. cit.*, p. 23.

٨ — *Statistical Abstract of Israel 1971* (Jerusalem), p. 139.

٩ — *Student's Guide* (Brochure), *op. cit.*, pp. 4-7.
وانظر ايضا ، سلمى حداد ، في **المصدر المذكور** اعلاه ، ص ٩١ — ٩٦ .

١٠ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤ .

١١ — Student's Guide, *op. cit.*, p. 14.

١٢ — *Summer Institute in Israel at Tel Aviv* University (an 8-Week Program), July-August 1972. Brochure printed in U. S. A. in cooperation with the American Zionist Youth Fund, New York City.

١٣ — *Student's Guide, op. cit.*, p. 22.

١٤ — *Sherut La'am*. Service to the People. Year Program in Israel. New York, n. d.

١٥ — *Student's Guide, op. cit.*, p. 22.

١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٨ — ٢٦ .

١٧ — *Statistical Abstract of Israel 1971*, p. 141.

١٨ — *Israel 1972: Summer in Kibutz* (Brochure). New York: American Zionist Youth Foundation.

١٩ — *Guide for the Oleh*, Ministry of Immigrant Absorption (April 1971), pp. 7-8.

٢٠ — *Student's Guide, op. cit.*, p. 28.

٢١ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

٢٢ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧** (بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ، ص ٤٧٧ — ٤٧٨ .

٢٣ — هيرمان ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٠ .

٢٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٠١ — ٢١٦ .

ثروات البحر الميت المعدنية واستغلال اسرائيل لها

السيطرة على ثروات الشعوب المتخلفة واستغلالها ونهبها صفة مميزة للاحتكارات الاستعمارية والامبريالية ، واقامة اسرائيل في فلسطيننا اضافة لخدمتها للمطامع الصهيونية العنصرية تخدم استراتيجيا مخطط الاحتكارات الامبريالية في ايجاد دولة تكون الحامي والسند لعملاء هذه الاحتكارات وحماتها في المنطقة . وحديثنا عن البوتاس المستخرج من البحر الميت يعطي لنا صورة واضحة المعالم للعلاقة بين الاحتكارات الاستعمارية والمطامع الصهيونية وعلاقتهما بالرجعية العربية . وان من يعتقد ان الصهيونية العالمية مجسدة باسرائيل لم تفكر باستغلال ثروات فلسطيننا المعدنية الا بعد الاحتلال الصهيوني يكون واهما او تنقصه الرؤية العلمية على أحسن الاحوال . فبعد ان احتل البوتاس والصناعات البوتاسية وخاصة صناعة الاسمدة الكيمياوية مكانتها العالمية سعت الاحتكارات البريطانية الصهيونية الى استغلال مخزن البوتاس الطبيعي في فلسطين ممثلا بالبحر الميت . فكان وعد بلفور عام ١٩١٧ وكانت اول الخطوات العملية في تنفيذ اغراض الاستعمار والصهيونية هي حصول شركة البوتاس الفلسطينية على حق استثمار ثروات البحر الميت في العشرينات من هذا القرن . باشرت هذه الشركة اعمالها بعد عامين فقط من حصولها على حق الاستثمار وانشأت لهذه الغاية معملين لاستخلاص البوتاس من مياه البحر ، الاول يقع جنوب غرب البحر الميت والثاني شمال غرب البحر ، واستمرت هذه الشركة في استغلال ثروات البحر الميت حتى كان عام النكبة . وفي عام النكبة ومن خلال العمليات الحربية الصورية التي جرت هناك نرى الدليل القاطع على ما جاء اعلاه . فكلنا يعرف أن هناك اتفاقا سريا وقع بين الصهاينة والامبرياليين والرجعية العربية على اقتسام فلسطين وان حدودا جرى الاتفاق عليها قبل اعلان الحرب ومع ذلك وحماية للصناعة البوتاسية الصهيونية ـ البريطانية دمر كلوب باشا معامل الشركة شمال البحر الميت حيث كان الاتفاق على أن يبقى هذا الجزء عربيا وترك المعمل الثاني دون أن يمسسه احد في ارض كان الاتفاق ان تكون لاسرائيل مع العلم ان موقعي المعملين لم يكونا ضمن منطقة العمليات الحربية ، وهكذا بقي المعمل الاول في الجزء العربي اطلالا حتى وقتنا الحاضر في حين باشر المعمل الثاني في المنطقة الاسرائيلية انتاجه بعد ثلاث سنوات من النكبة .

وتمر الايام ويتداعى المخلصون من الفنيين والاقتصاديين العرب الى ضرورة استثمار ثروات البحر الميت بالسرعة الممكنة اولا من أجل خدمة الانسان العربي في الاردن ولخلق اقتصاد وطني سليم فيها لا يعتمد كثيرا على المساعدات الخارجية وثانيا من اجل احلال البوتاس العربي محل البوتاس الاسرائيلي في الاسواق العالمية . بعد ذلك انشئت اسميا شركة سميت بشركة البوتاس العربية لتنفيذ هذه الغاية بأشراف الحكومة الاردنية ورصدت لها الدول العربية الاموال اللازمة . فكلفت الحكومة الاردنية شركة امريكية لاجراء الدراسات الاولية الاستثمارية لهذا المشروع وبين اخذ ورد اكتشفت الدول العربية ان الشركة الاستثمارية هذه شركة صهيونية غايتها افشال هذا المشروع وكان ان اعطيت الدراسات الاستشارية مرة اخرى الى شركة اخرى تبين فيما بعد انها أيضا شركة صهيونية لها غايات الشركة الاولى نفسها .

وعندما حاولت بعض الشركات اليابانية اقامة المشروع تقدم البنك الدولي لابداء مساعدة مزعومة واستمرت المفاوضات حتى كان الاحتلال الصهيوني الحزيراني وضاعت الضفة الغربية وتهددت كل المشاريع في منطقة البحر الميت . وهكذا بقي مشروع البوتاس الاسرائيلي المشروع الوحيد لانتاج البوتاس في منطقتنا العربية وعلى رأس قائمة الدول المصدرة للبوتاس في العالم . وبحثنا هذا يتطرق الى تاريخ استثمار ثروات البحر الميت منذ عشرينات هذا القرن وحتى وقتنا الحاضر فلعل فيه ذكرى وعظة لقوم ما زالوا يذكرون فلسطين ومصالح العرب في ثرواتهم وضرورة الحفاظ عليها واستثمارها لمصلحة الانسان العربي .

البوتاس :

البوتاس اسم تجاري يطلق على مركبات البوتاسيوم الملحية بصورة عامة (علميا البوتاس هو اوكسيد البوتاسيوم K_2O وهو ليس معدنا طبيعيا ولا مركبا صناعيا) . كان البوتاس وحتى عام ١٨٩٠ يستعمل في العديد من الصناعات اهمها صناعة الصابون، الزجاج، الكبريت، والمتفجرات

وبعد تطور صناعة الاسمدة الكيمياوية ازداد انتاج العالم واستهلاكه للبوتاس بصورة كبيرة، وللاسمدة البوتاسية سوق دولية رائجة اليوم ومن المتوقع ان تزداد الحاجة الى البوتاس خلال السنوات القادمة نتيجة التضخم السكاني الذي من المتوقع حدوثه في نهاية هذا القرن . ولذلك تولي العديد من الدول عناية خاصة للدراسات المتعلقة بكيفية تطوير وزيادة الاستفادة من مركبات البوتاس . الاحتياطي العالمي للبوتاس كبير ولكن توزعه الجغرافي يجعل من دول محددة فقط مصدرا لهذه المادة مع أن استهلاك الاسمدة البوتاسية يعم ارجاء العالم ولهذا فان الموقع الجغرافي لفلسطين يجعلها تحتل في القريب العاجل اول القائمة الدولية لمصدري البوتاس والاسمدة البوتاسية . ويبلغ الاحتياطي العالمي للبوتاس (ملايين الاطنان من اوكسيد البوتاسيوم) في روسيا ١٧٦٠٠ — ٣٠٣٠٠ ، المانيا الغربية ٢٠٠٠ — ٢٠٠٠٠ ، كندا ١٧٥٠٠ ، المانيا الشرقية ١٤٠٠٠ ، البحر الميت ٢٠٠٠ . اضافة الى وجود كميات من الاحتياطي البوتاسي في كل من فرنسا — الولايات المتحدة الامريكية — واسبانيا ولكن بكميات قليلة نسبيا .

البحر الميت : البحر الميت هو اوطأ بقعة في العالم انخفاضا تحت سطح البحر حيث تتجمع فيه مياه نهر الاردن ويمتاز عن غيره من بحار العالم في ان نسبة الاملاح في مياهه تصل الى ٣٠ ٪ في حين ان معدل احتواء مياه البحار والمحيطات في العالم لا تتعدى الـ ٤ ٪ من الاملاح . وما يحويه البحر الميت من املاح لا تقتصر فقط على الاملاح البوتاسية بل هنالك املاح اخرى عديدة وهي حسب كمياتها في مياه البحر الميت كما يلي :

كلوريد المغنسيوم ٢٤٠٠ مليون طن ، كلوريد البوتاسيوم ٢٠٠٠ مليون طن ، كلوريد الصوديوم ١١٠٠ مليون طن .. اضافة لاحتوائه على كميات كبيرة من املاح بروميدات المغنسيوم .

ولمنطقة البحر الميت مناخ مميز عن غيره فدرجات الحرارة هناك مرتفعة طوال ايام السنة والضغط الجوي عال ، وهناك شحة في الامطار وقلة في رطوبة الجو مما يسمح باستغلال الطاقة الشمسية وبأسلوب علمي لاستخلاص الاملاح من مياه البحر بسهولة وبتكاليف اقتصادية .

شركة البوتاس الفلسطينية (١٩٢٩ — ١٩٤٨) : منذ مطلع هذا القرن وعندما ركزت الصهيونية العالمية على انشاء وطن قومي لها في فلسطين بدأ العديد من الخبراء الصهاينة يتوافدون على فلسطين لتحري مكنونات التراب الفلسطيني من الثروات المعدنية — وكان من اهم هذه الثروات الاملاح البوتاسية في البحر الميت . ومن اجل استغلال هذه الثروات التي تزخر بها مياه البحر تكونت شركة البوتاس الفلسطينية وسجلت في لندن واستحصلت موافقة السلطات البريطانية المنتدبة على فلسطين ذلك الوقت على حق الاستغلال هذا . تشكلت هذه الشركة عام ١٩٢٨ وبدأت انتاجها من البوتاس مع مطلع عام ١٩٣٠ . بدأت شركة البوتاس الفلسطينية عملها بانشاء مركزين رئيسيين لاحواض التبخير ومعمل للتنقية في كل من المركزين . المركز الاول كان جنوب غرب البحر الميت بالقرب من بلدة سدوم والثاني شمال غرب البحر الميت.كانت طريقةالانتاج المتبعة بسيطة للغاية وتتلخص بأن تسحب مياه البحر الميت الى احواض خاصة حيث تتعرض لاشعة الشمس وبعد عملية التبخر هذه ترسل الاملاح البوتاسية مع ما تحويه من شوائب الى مراكز التعويم وسنأتي على ذكر الطريقة تفصيلا في مكان آخر من بحثنا هـذا .

كان معدل الانتاج السنوي من البوتاس من قبل الشركة يتعدى (١٢٣) الف طن وكان هـذا الانتاج يصدر بكامله الى العديد من الاسواق في العالم واستمرت هذه الشركة باستغلال ثروات البحر الميت حتى عام ١٩٤٨ عندما أقام الاستعمار ركيزته اسرائيل في المنطقة .

الاستغلال الاسرائيلي لاملاح البحر الميت : مع بداية عام ١٩٥٢ واستمرارا لمخططات اسرائيل والاستعمار في استثمار ثروات البحر الميت انشئت شركة اعمال البحر الميت لتقوم بهذه المهمة ، ساهمت فيها الحكومة الاسرائيلية بمقدار ٥١ ٪ من رأس المال واعطيت لشركة البوتاس الفلسطينية المسجلة في لندن لقاء ما تملكه من منشآت ومعدات في منطقة عملها جنوب غرب البحر الميت ولقاء حقها في استثمار املاح البحر الميت ١٦ ٪ من أسهم الشركة أما بقية الاسهم والبالغة ٣٣ ٪ فلقد اعطيت للبنوك الاسرائيلية وللقطاع الخاص الاسرائيلي .

بدأت الشركة اعمالها في المنطقة الجنوبية من البحر موقع شركة البوتاس الفلسطينية السابق نفسه

حيث اجرت اولا توسيعا جزئيا لاحواض التبخير وجلبت مضخات كبيرة لضخ مياه البحر الى احواض التبخير واتبعت الاسس التكنية السابقة نفسها في عمليات استخلاص البوتاس من بقية الاملاح التي تحويها مياه البحر وتتلخص عمليات الاستخلاص بما يلي : تسحب مياه البحر وتضخ في أحواض مصممة خصيصا لهذه الغاية وهي أحواض قليلة العمق تقع الواحدة منها بجانب الاخرى بحيث تلعب خاصية الجذب القوة الدافعة لانتقال المياه من حوض لاخر ومن ثم الى البحر ثانية — واعتمادا على خاصية الفرق في درجة ذوبان أنواع الاملاح في المياه يتم فرز الواحد منها عن الاخرى ففي أحواض التبخير الاولى وكنتيجة لفعل اشعة الشمس وتبخر جزء من المياه تترسب أملاح كلوريد الصوديوم على شكل بلورات بعد ذلك تسحب المياه وما تحويه من املاح اخرى الى احواض خاصة حيث يتخلص من الشوائب غير الملحية ومن ثم تضاف كميات من المياه الحلوة وبمقادير معينة لتذيب املاح المغنسيوم ويبقى بعد ذلك فقط املاح البوتاس وقليل من أملاح الصوديوم وهذه ترسل الى مراكز التعويم لفصلها الواحدة عن الاخرى .

ومع بداية الستينات وزيادة الطلب العالمي على الاسمدة البوتاسية خططت اسرائيل لزيادة انتاجها وتطويره فاقترح بادىء الامر زيادة مساحات أحواض التبخير وذلك بانشاء احواض جديدة واقامة معامل حديثة بطاقة انتاجية كبيرة وبعد مداولات ودراسات أجرتها شركة اعمال البحر الميت مع المسؤولين اعتمدت خطة اخرى لزيادة الانتاج وتطويره تنفذ على مرحلتين تبدأ الاولى عام ١٩٦٢ وتنتهي عام ١٩٦٦ حيث تبدأ المرحلة الثانية وتنتهي هذه في مطلع عام ١٩٧٠ . وتقضي الخطة انشاء سدود وحواجز ضخمة بين البحر والمساحات التي اعتزم تجفيفها واعدادها لتكون احواض تبخير تبلغ مجمل مساحة هذه الاحواض (١٠٠) كيلو متر مربع اضافة الى الـ ٣٠ كيلومترا مربعا المستعملة سابقا ، وحيث تملك اسرائيل عندها ما مساحته (١٣٠) كيلومترا مربعا من احواض التبخير . اضافة الى اقامة هذه السدود والحواجز كانت الخطة تشمل ايضا اقامة معملين حديثين للتنقية واستخلاص الاملاح البوتاسية وكلا المعملين سيقامان في مدينة سدوم ، والطاقة الانتاجية لكل منهما — السنوية — تبلغ(٢٤٠)الف طن من اوكسيد البوتاسيوم ويكلف المعمل الواحد من هذه المعامل نحو (١٥) مليون دولار ... والغاية المرجوة من هذه الخطة هي أن تمتلك اسرائيل مقدرة انتاجية تبلغ مليون طن سنويا من كلوريد البوتاسيوم .

خططت لهذا المشروع ووضعت التصاميم اللازمة له شركة المانية تدعى شركة Voorhern J Hosset en de Koning ولقد قدرت هذه الشركة مبلغا مقداره (٧٥) مليون دولار كلفة اجمالية له جمع هذا المبلغ من البنك الدولي (٢٥ مليون)، ومن مجموعة من البنوك الامريكية (١٠ ملايين) اضافة لمبلغ ٢٧ مليون دولار جمعت من الاثرياء الصهاينة والامريكان داخل اسرائيل وخارجها.وبعد ان طرحت اسرائيل تنفيذ المشروع بمناقصة عالمية فازت بالعطاء مجموعة من الشركات الامريكية هي:

— Construction Aggregates Corporations of Chicago.
— Kaiser Engineering & Contractors Inc. of Oakland - California.
— Macco Corporation of California.

وحسب التصاميم المقدمة من الشركة الالمانية المصممة للمشروع كان لا بد من انشاء ما طوله (٤٧) كيلومترا من السدود الحاجبة منها سد كبير يبلغ طوله (٣٨٫٠) كيلو مترا ، تقام هذه السدود حسب المواصفات الموضوعة باستعمال الحصى والرمل وتحمى من تاثير موجات البحر بواسطة غطاء حجري طيني . يبلغ ارتفاع هذه السدود (٨) امتار وعرض قاعدة السد تبلغ (٧٢) مترا. وفي بداية عام ١٩٦٢ وتنفيذا للمشروع اجريت أبحاث طبوغرافية وهيدرولوجية وجيولوجية لمنطقة العمل ولمواقع السدود لتحديد مدى تأثير فعل الامواج والرياح والعوامل الفاعلة الاخرى المؤثرة في انشاء السدود كما اخليت منطقة كبيرة جنوب غرب البحر الميت تمهيدا لاقامة المشروع ولقد تكلف بناء الحاجز المؤقت في منطقة العمل (١٢) مليون دولار . خلال اقامة السد حدث العديد من المشاكل فلقد عدلت الخطة جزئيا من قبل الشركات المنفذة للمشروع وبعد ان باشرت وانهت ما طوله (٢٠) كيلومترا من جسم السد تعذر على الشركات الامريكية المنفذة تكملة الحواجز والسدود اذ ادعت هذه الشركات ان اقامة السدود حسب مواصفات الشركة الالمانية واضعة التصاميم غير ممكنة وهذه السدود غير قادرة على منع تسرب المياه من البحر الى احواض التبخير ولذلك

اقترحت تعديل الخطة بكاملها وارجاء تحويرات عليها ، كلفة التحويرات هذه تقدر بـ (٢٥) مليون دولار . ولقد رفضت اسرائيل ذلك واصرت على اقامة السدود حسب المواصفات الالمانية وشكلت لبحث هذا الموضوع لجنة تضم ممثلا عن الشركات الاميركية والتي كانت ترئسها شركة كايسر للهندسة هوالادميرال بن موريل الخبير السابق في البحرية الاميركية لاعمال الحديد ممثلا عن شركة اعمال البحر الميت صاحبة المشروع وممثلا عن القضاء الاسرائيلي ولم تسفر اعمال هذه اللجنة عن أية امور ايجابية . عندها تقدمت ثلاث شركات (فرنسية ، امريكية ، وبريطانية) لاتمام المشروع وحسب المواصفات الالمانية بكلفة (٧) ملايين دولار اضافة لاستعمالها كافة معدات الشركات الاميركية السابقة ولكن عطاء هذه الشركات لم يلق تجاوبا من الحكومة الاسرائيلية . ونتيجة لما قام به الجانب الاسرائيلي من أبحاث اسفرت هذه عن انشاء شركة اسرائيلية خاصة لاتمام المشروع حسب المواصفات الاصلية وفي الفترة الزمنية نفسها المحددة لاتمام المشروع وسميت هذه الشركة باسم « تاماسيت » . وخلال اقامة السدود كانت الاراضي المحجوزة المجففة من المياه تستعمل مباشرة وتحول الى احواض تبخير وتجفيف ومساحة ما حصلت عليه اسرائيل من جراء اتمام المشروع برمته يعادل ٤٠ ٪ من مياهها الاقليمية قبل العدوان الحزيراني . فعند اتمام الجزء الاول من السد حصلت اسرائيل على مساحة ٦ كيلومترات مربعة وفي المرحلة الثانية على ١٢ كيلومترا مربعا وفي المرحلة الثالثة كان مجموع ما تملكه اسرائيل من أحواض التبخير يعادل ما مساحته (١٣٠) كيلو مترا مربعا .

وطريقة استخلاص البوتاس وتنقيته في المعامل الجديدة تختلف تكنيا عن الطريقة المتبعة في المعامل القديمة وتتلخص بما يلي : تسحب مياه البحر الميت (وزنها النوعي ١٤٢) الى احواض التبخير ونتيجة لفعل حرارة الشمس والتبخر الحادث تترسب بلورات ملح كلوريد الصوديوم ولقد وجد ان احتواء المياه في أحواض التبخير على اصباغ خضراء يزيد من سرعة التبخر بمعدل ١٥ ٪ . وعندما يصل الوزن النوعي للمياه في الاحواض الى ١٤٣ تسحب الى احواض تختلف حجما وشكلا عن الاولى وذلك للحصول على الكارناليت ($KCe, Mg Cl_2 6H_2O$) الحاوي عبادة على كميات من املاح الصوديوم ومن ثم يرسل الكارناليت الى معامل التنقية والتكرير التي صممتها شركة Steerns - Rogerss Corp. of Denver. وكلف الواحد منها (١٥) مليون دولار . يحوي كل معمل من معامل البوتاس الجديدة على مولدات كهربائية تستعمل الغاز السائل المستخرج من حقل روش زوهار الذي يبعد (٢٧) كيلومترا عن موقع المعامل في مدينة سدوم ، وحتى شهر آب من عام ١٩٦٥ كان حقل زوهار لا يجهز المعامل البوتاسية الا بجزء من احتياجاتها من الغاز وبعد ذلك التاريخ وتطوير الحقل اصبح المجهز الوحيد لكل احتياجات المعامل من الغاز السائل . طريقة التنقية والتكرير المتبعة في المعامل الجديدة تختلف عن طريقة التعويم السابقة وتعتمد خاصية التبلور للحصول على البوتاس — وتتم هذه العملية بأن يغسل الكارناليت المتجمع نتيجة عملية التبخير حيث يتم فصل السيلفانيت (KCl+Na Ce) عن كلوريد المغنسيوم والاول يكون على شكل غروي اما الثاني فيبقى ذائبا في المياه التي تعاد ثانية الى أحواض التبخير . تغسل بعد ذلك السيلفانيت بمياه حارة للتخلص من كلوريد الصوديوم ليبقى بعد ذلك فقط كلوريد البوتاسيوم الذي يتم ادخاله الى معامل التبلور (Vacum Crystallizers) حيث يتعرض الى تبريد شديد يتغاير تبعا لاحجام البلورات البوتاسية المراد انتاجها . ترسل البلورات هذه بعد ذلك للتجفيف ومن ثم الى مجمعات الغربلة ليتم فصل الاحجام المختلفة للبلورات .

كما أسلفنا فان عملية زيادة الانتاج البوتاسي وتطويره في اسرائيل تمت على مرحلتين انتهت المرحلة الاولى باقامة السدود تقريبا ومعمل واحد من المعامل الجديدة مع نهاية عام ١٩٦٦ . ومنذ عام ١٩٦٧ ورغبة من اسرائيل في الاسراع في بلوغ غايتها من انتاج مليون طن من البوتاس سنويا وبعد مداولات بين شركة اعمال البحر الميت ووزارة الاقتصاد الاسرائيلية والقرارات المتخذة من قبلهم وافقت الحكومة على تقديم عون للاسراع في انجاز المشروع وكان مقدار المعونة يزيدعلى (٨٤٣) مليون دولار وذلك لاقامة مصنع جديد ينتهي العمل فيه قبل نهاية عام ١٩٧٠ . واضافة الى ما قامت به اسرائيل من مشاريع في الفترة ما بين ١٩٦٢

ـ ١٩٦٤ في مجالات الصناعة البوتاسية نفذت العديد من المشاريع الصناعية الاخرى اعتمادا على النواتج العرضية من عمليات استخلاص البوتاس وانتاجه فانشأت معملا لاستخلاص البرومين في نهاية ١٩٦٢ طاقته الانتاجية السنوية تربو علـى العشرة الاف طن ، وانشأت كذلك في مدينة بئـر السبع مصنعا كيمياويا لانتاج مركبات البرومين بطاقة انتاجية سنوية تقدر بالفي طن . أما فيما يتعلق باملاح كلوريد الصوديوم والناتج العرضي المهم الاخر فلقد اقامت اسرائيل مصنعا اوليـا لانتاج ملـح الطعام النقي (٩٩ ٪ كلوريـد الصوديوم) وبدأ هذا المصنع انتاجه عام ١٩٦٣ بطاقة انتاجية سنوية مقدارها (٢٠) الف طن وهذا سيسد حاجة اسرائيل من هذه المادة مع امكانية تصدير الفائض . ولقد طور هذا المعمل فيما بعد بحيث زادت طاقته الانتاجية وحسـن انتاجه .

كذلك اقامت اسرائيل معملا لانتاج المغنزايت حيث تستعمل في صناعة امـلاح كلوريد المغنسيـوم المستخرجة من البحـر الميت اضافـة للصخور الدولوماتية المستخرجة من المقالع القـريبة مـن سدوم والمنتشرة في المنطقة ومن هذه المواد تصنع اسرائيل حاليا الطابوق الحراري المستعمل فـي افران الحديد والصلب .

وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٦ انشـأت اسرائيل في مدينة سدوم مصنعا لانتاج حـامض الهيدروكلوريك من باقي املاح كلوريد الصوديوم المستعملة في انتاج ملح الطعام ، طاقة هـــذا المصنع الانتاجية السنوية تقدر بـ (٥٠) الف طن وكانت التقارير قد اشـارت الى ان المصنع كلف (١،٢) مليون دولار هذا اضافة الى ان المصنع نفسه ومن خلال عمليات انتاج الحامض سينتج عرضيا (٨) الاف طن مـن المنغنيز . ويستعمل حامض الهيدروكلوريك حاليا لاستخلاص البرومين وبذلك حل محل غاز الكلورين الذي كان ينقل الى منطقة العمل من مدينة حيفا . وفي مدينة حيفا انشأت اسرائيل مشروع الكرمل الكيمـاوي لانتاجمئةالف طن فيالسنة مننترات البوتاسيوم(١٣٪ N + ٤٤ ٪ K_2O) و (٢٣) الف طن مـن حامض الفوسفوريك العالي التركيز . ولقـد ساهم بعض المؤسسات الفرنسية في اقامـــة هذا المشروع الذي اعدت المخططات له واجرت الدراسات اللازمة لانشائه Kreles and Cie. وتملك مصفاة النفط في حيفا ٧٥ ٪ من رأس مال هذا المشروع اما الـ ٢٥ ٪ الباقية من راس المال فتملكها مؤسسة الصناعات التعدينية .

وأود الاشارة هنا الى ان انتاج نترات البوتاسيوم بهذه الطاقة الكبيرة سيجعل من اسرائيل اكبـر الدول في العالم انتاجا وتصديرا لهذه المادة التي تجد لها اسواقا متزايدة في العديد من الـدول وخاصة التي تهتم بزراعة التبوغ . والجدول ادناه يبين الطاقة الانتاجية لاكبر الدول في العالم انتاجا لمادة نترات البوتاسيوم والمواد الاولية المعتمدة في انتاجها وطريقة استحصالها تكنولوجيا والنواتج العرضية لكل منها .

مصدر البوتاس $+K$	مصدر النترات NO_3	الناتج العرضي	الطريقة التكنولوجية	الطاقة الانتاجية الاف الاطنان
KCl	NH_4NO_3	NH_4Cl	Auby (فرنسا)	١٠
K_2SO_4	$Ca(NO_3)_2$	$CaSO_4$	Victor (المانيا الغربية)	٢٠
KCl	HNO_3	Cl_2	Amax (الولايات المتحدة)	٧٠
KCl	HNO_3	HCl	Haifa Che. (اسرائيل)	١٠٠

ومن الجـدول اعلاه نرى ان الطاقة الانتاجيـة الاسرائيلية تعتبر اكبر طاقة انتاجية عالية لنترات البوتاسيوم وتعادل وحدها (٥٠ ٪) من انتاج الدول المذكورة اعلاه . يستهلك مصنع الكرمـل الكيماوي سنويا (٧٥) الف طن من البوتـاس و(٦٠) الف طن من الفوسفات وما بين (١٢) الى (٢٠) الف طن سنويا من الامونيا والطريقة التكنولوجية الاسرائيلية لانتاج نترات البوتاسيوم

تتلخص بالتالي: تحول املاح كلوريدات البوتاسيوم الصلبة الى نترات البوتاسيوم الصلبة بخطوة واحدة ضمن درجات حرارة وظروف محددة وبموجب المعادلة الكيمياوية التالية



$$KCl + HNO_3 = KNO_3 + HCl.$$

ثم يفصل السائل المتكون وهو هنا حامض الهيدروكلوريك بدرجة حرارة الجو العادية .واهم ميزة لهذه الطريقة التكنولوجية الاسرائيلية هي ان نترات البوتاسيوم الناتجة تكون خالية من الكلوريدات وهذا يعني انتاج اسمدة كيمياوية بوتاسية محسنة . والمواد التي تحتاجها معامل الكرمل وبموجب الطريقة سالفة الذكر لانتاج طن واحد من نترات البوتاسيوم هي كالتالي :

حامض النتريك (١٠٠ ٪) ٠،٤٧٤ طن ، امونيا ٠،٠٦٢ طن ، مواد مذيبة ٥ كيلوغرام ، بخار ٣ كيلوغرام ، طاقة ٧٠ كيلو واط ، ماء للعملية ١ متر مكعب ، ماء للتبريد ٤٠ مترا مكعبا .

أما فيما يتعلق بالامور التسويقية والاقتصادية لمشاريع استخراج وتصنيع البوتاس والثروات الاخرى التي يزخر بها البحر الميت فيمكننا ان نحدد هذه السياسة التسويقية بمرحلتين الاولى كانت تعتمد انتاج البوتاس ثم تصديره كمواد اولية للعديد من الاقطار وعدم التركيز على الاستفادة من النواتج العرضية او باقي المعادن من مياه البحر الميت باستثناء البوتاس . والمرحلة الثانية للسياسة التسويقية الاسرائيلية في هذا المضمار هي المرحلة التي بدات فيها اسرائيل انتهاج سياسة تصنيع ما يمكن تصنيعه من البوتاس المستخرج وتصدير الباقي واقامة مصانع ومشاريع للاستفادة من كل النواتج العرضية الناتجة عن عملية استخلاص البوتاس من مياه البحر الميت ، وايجاد مراكز تسويقية جديدة واقامة الطرق الحديثة وامتلاك وسائل نقل جيدة وغاية كل هذه التسهيلات تقليل كلفة النقل التي تشكل نسبة كبيرة من مجمل تكاليف الانتاج .

في مطلع الستينات عام ١٩٦١ — ١٩٦٢ انتجت اسرائيل (١٩٢) الف طن من البوتاس صدر منها (١٩٠) الف طن ، منها (١٥٠) الف طن عن طريق ميناء حيفا و(٤٠) الف طن عن طريق ميناء ايلات التي تبعد بمسافة (١٢٠) ميلا عن مدينة سدوم حيث مواقع المعامل البوتاسية ، وانتاجها هذا كان يمثل زيادة مقدارها ٤،٥ ٪ عن انتاجها عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ . ولكن انتاج اسرائيل في العام التالي اي ٦٢ — ١٩٦٣ تناقص الى (١١٥) الف طن صدر منها عن طريق ميناء ايلات (٥٠) الف طن ، عاد انتاج اسرائيل بعد ذلك للارتفاع اذ سجل زيادة في عام ٦٣ — ١٩٦٤ تقدر بـ ٢٥ ٪ عن العام الذي سبقه وبلغ انتاجها في حينه (١٨٨) الف طن وكان ذلك العام يمثل نهاية المرحلة الانتاجية التسويقية الاسرائيلية الاولى. بعدها ومع بداية عام ١٩٦٤ دخلت اسرائيل المرحلة الانتاجية الثانية اذ استطاعت في آب من العام نفسه تسويق اول انتاج لها من البوتاس من انتاج معاملها الجديدة . وللمساعدة وبدون طلب من اسرائيل ارسل البنك الدولي خبيرين الى اسرائيل الاول اقتصادي والاخر كيمياوي في منتصف الستينات لدراسة المشاريع الاسرائيلية المتعلقة بتطوير انتاج البوتاس وتحسينه تمهيدا لمساهمة البنك في استثمارات مشاريع التطوير الاسرائيلية . وطورت اسرائيل خلال الفترة نفسها آلات تحميل السفن في ايلات حيث ابتاعت آلات بامكانها تحميل الف طن في الساعة وانشأت مخازن سعتها (٤٥) ألف طن لخزن البوتاس اضافة لمخازن اخرى سعتها (٣٠) الف طن لخزن الفوسفات . وفي ميناء اسدود الذي اقامته اسرائيل من اجل سهولة تسويق البوتاس والفوسفات ولاغراض تسويقية اخرى بدلا من ميناء حيفا البعيد نسبيا عن مراكز انتاج هذه المعادن ، في ميناء اسدود هذا اقامت اسرائيل ايضا مخازن مشابهة لتلك التي اقامتها في ايلات . وتجدر الاشارة الى ان قيمة ما صدرته اسرائيل عام ١٩٦٤ من البوتاس بلغ (١١) مليون دولار . عام ١٩٦٥ وبعد ان باشرت المعامل الجديدة انتاجها وصل انتاج اسرائيل من البوتاس (٣١٩٧٩٦) طن وكان هذا يمثل طفرة في انتاج اسرائيل من البوتاس . عام ١٩٦٦ افادت تقارير شركة اعمال البحر الميت بخصوص انتاجها من البوتاس ان الطاقة الانتاجية والمبيعات قد ازدادت خلال ذلك العام الا ان الارباح ونتيجة لزيادة الاجور وارتفاع تكاليف الانتاج الاخرى والتي عانت وتعاني منها اسرائيل ادت هذه الاسباب الى نقص معدل ارباح الشركة اذ بلغ مجمل ارباحها ذلك العام (٣٧٨) الف دولار فقط وهذا الرقم يمثل ثلث ارباحها عن عام ١٩٦٥ . ولايجاد حل لتناقص الارباح وبناء على طلب الشركةشكلت الحكومةالاسرائيلية لجنة حكومية لايجاد الحلول الاقتصادية المناسبة وسبل تعاون

الحكومة في تحمل بعض النفقات العامة التي كانت تتحملها الشركة .

ووصلت الطاقة الانتاجية لمعمل سدوم الاول الجديد في الربع الاول من عام ١٩٦٦ اعلى حد لها اذ انتجت (٣٣٧١٩٤) طن اي ما يعادل (٦٨ ٪) من انتاج اسرائيل ذلك العام اما المعامل القديمة فكان مجمل انتاجها في العام نفسه فقط (١٦١١١٤) طن وبهذا كان مجموع الانتاج من البوتاس عام١٩٦٦ يقارب النصف مليون طن . وكنتيجة حتمية لزيادة الانتاج في تلك المرحلة زادت مبيعات اسرائيل الداخلية والخارجية بمقدار (٣١ ٪) عن عام ١٩٦٥ . (مجموع ما استهلكته اسرائيل ذلك العام كان ٣٥٠٠ طن) ومن جملة ما عانته اسرائيل ذلك العام ايضا من متاعب اقتصادية ان صناعة الاسمدة البوتاسية في اوربا قد تأثرت نتيجة سوء الاحوال الجوية في حينه . ونتيجة لقلة الارباح ايضا والبالغة (١ ٪) فقط دعا ذلك مساهمي شركة البوتاس الفلسطينية والتي تملك اسهما في شركة اعمال البحر الميت تبلغ قيمتها (١٤٠٤١) مليون جنيه استرليني واموالا سائلة بقيمة (٨٩١) الف جنيه استرليني الى التفكير في حل الشركة وبيع حصتهم فيها . ونتيجة لكل ما سبق فكرت اسرائيل في خطة تقضي بانشاء أنابيب لنقل البوتاس من سدوم الى اسدود لتقليل كلفة نقل البوتاس الى اوروبا وقدر لهذا المشروع مدة سنة ونصف السنة لانجازه بكلفة تتراوح ما بين (٥،٦) و(٧) ملايين دولار .

عام ١٩٦٧ زاد الانتاج الاسرائيلي من البوتاس بمقدار (٣،٢ ٪) عن عام ١٩٦٦ فزاد انتاج اسرائيل ذلك العام على النصف مليون طن ووصل الى (٥١٤٠٤٤) طنا من البوتاس ، اضافة لانتاجها (٦٦٠٧) اطنان من البرومين و (٣٩١٤٢) طنا من املاح الصوديوم اما مبيعات اسرائيل عام ١٩٦٧ من البوتاس فبلغت (٥٠٤٦٩٥) طنا اي بزيادة قدرها (٣٦،٧ ٪) عن مبيعات عام ١٩٦٦ .

وبوشر في العام نفسه في انشاء المعمل الثالث في منطقة سدوم لاستخلاص البوتاس وانتاجه ، ومن المقدر ان تكون طاقة المعمل الانتاجية السنوية (٤٠٠) الف طن من كلوريد البوتاسيوم لتصل بذلك الطاقة الانتاجية الاجمالية لاسرائيل من البوتاس الى ما يزيد على المليون طن سنويا . كذلك فكرت الحكومة الاسرائيلية في انشاء خط للسكة الحديد يربط بين سدوم وديمونة واسدود مساهمة في تقليل كلفة نقل البوتاس الى موانىء التصدير . واستمرت عمليات زيادة الانتاج وتحسينه على المنوال نفسه حتى وصل انتاج اسرائيل من البوتاس عام (١٩٧٠) الى (٧٠٧) آلاف طن بلغت قيمتها اضافة لقيمة النواتج العرضية من أملاح اخرى مبلغ (٧٧،٢) مليون دولار .

شركة البوتاس العربية : منذ ان الحقت الضفة الغربية بالملكة الاردنية الهاشمية وبعد أن دمر كلوب باشا منشآت شركة البوتاس الفلسطينية شمال البحر الميت كانت هناك فكرة لاعادة بناء المنشآت تمهيدا لاستثمار املاح البحر الميت اولا لمحاولة احلال البوتاس العربي محل البوتاس الاسرائيلي في الاسواق العالمية وثانيا لانعاش المنطقة وايجاد صناعات وطنية تعتمد الخامات الوطنية في الاردن بالاضافة للفوسفات المستخرج من الرصيفة والحسا ليصبح الاردن دولة منتجة لانواع الاسمدة الكيمياوية ومصدرة لها لكي تبني اقتصادا وطنيا متينا . عام ١٩٥٨ اقترح اقامة مصنع للبوتاس شمال البحر الميت حيث وجدت مساحة من الارض مناسبة مساحتها تصل الى (١٢) كيلو مترا مربعا لاقامة احواض التبخير للمياه المسحوبة من البحر في الجهة الجنوبية منه ووجد ايضا ان من الممكن تجفيف مساحات اخرى للغاية نفسها مساحتها (٤٠) كيلومترا مربعا وبذلك يمكن للاردن انتاج (٦٠٠) الف طن من البوتاس في السنة . وتداعت الدول العربية لمساعدة الاردن لتنفيذ المشروع وساهمت كل منها بقسط من رأس المال اللازم للبدء بالمشروع الذي انيطت مهمة اخراجه الى حيز الوجود بالاردن . وبعد اجراء مناقصة عالمية اعطى الاردن شركة Western Knapp Engineering Comp. San Francesco. الامريكية عطاء لاعداد الخطط اللازمة لاقامة هذا المشروع وقدر في حينه أن يبدأ الاردن انتاجه من البوتاس عام ١٩٦٥ ويصل المشروع الى طاقته العظمى مع بداية عام ١٩٧٠ ـ قدر لهذا المشروع ان يكلف (٢٠) مليون دولار تدفع من الدول العربية اضافة لمبلغ يتراوح ما بين (٥) الى (١٠) ملايين دولار لانشاء طريق يربط ما بين المنطقة وميناء العقبة . وتكنيا فان طريقة استخلاص البوتاس من مياه البحر الميت المقترحة كانت تقضي باستعمال طريقة التبخير والتعويم وذلك بأن تسحب المياه من قاع البحر حيث الوزن

النوعي للمياه اكثر من المياه على سطح البحر وكذلك كمية ما تحويه من املاح ـ تسحب هذه المياه (وزنها النوعي ١،٢٣٥) الى احواض التبخير حيث تترسب املاح الصوديوم ويصل وزنها النوعي الى (١،٣) تضخ هذه المياه بعد ذلك الى احواض اخرى بما تحويه من املاح بوتاسية وكلوريدات الصوديوم والمغنيزيوم وطريقة التنقية المقترحة كانت كما يلي : ١ ـ بعد عمليات التبخير وعزل املاح الصوديوم يتم تحليل الاملاح الى كلوريد البوتاسيوم وكلوريد المغنسيوم وذلك باضافة كمية محددة من المياه الحلوة في احواض خاصة . ٢ ـ يتم فصل الناتج الحاوي على كلوريد البوتاسيوم والذي يحوي عادة كميات من كلوريد الصوديوم . ٣ ـ ترسل املاح البوتاسيوم بما تحويه من شوائب الى خلايا التعويم للحصول على كلوريد البوتاسيوم نقيا قدر المستطاع . ٤ ـ ترسل الاملاح البوتاسية بعد التعويم الى مراكز العزل والتجفيف .

والطريقة هذه كانت ستعطي نواتج من الاملاح البوتاسية تحوي ٩٦ ٪ كلوريد البوتاسيوم و٤ ٪ من كلوريد الصوديوم ، اضافة الى ان نسبة استخلاص الاملاح البوتاسية من مياه البحر وبالطريقة المذكورة اعلاه ستكون ٨٥ ٪ وهي نسبة جيدة . وبعد ان اوجدت الشركة والحكومة الاردنية العديد من العقبات امام هذا المشروع وبعد ان تردد في العديد من الاوساط العربية ان الشركة التي اخذت تعهد اعداد الدراسات اللازمة لاقامة المشروع هي شركة صهيونية ولها علاقة مع اسرائيل الغي الاتفاق معها طبعا بعد ان استلمت اجورها .

بعد ذلك اجرى الاردن مفاوضات مع وكالة التطوير الدولية التابعة للولايات المتحدة الامريكية اسفرت هذه المفاوضات عن تكليف شركة امريكية اخرى لاعداد الدراسات اللازمة والشركة هذه هي
Jacoles Engineering Co. Pasdena.
Calif. U. S. A.
مع العلم انه تقدمت في الوقت نفسه للحكومة الاردنية مجموعة من الشركات اليابانية هي
Ebara Mfg. Co.
Mitsui Co.
Taisei Construction Co.
بعرض لاقامة مشروع البوتاس واخراجه الى حيز الوجود بطاقة انتاجية مقدارها نصف مليون طن سنويا وقدرت مجموعة الشركات اليابانية هذه ان كلفة المشروع ستكون في حدود (٢٢،٦) مليون دولار .

بعد ذلك وعلى المخطط نفسه دخلت الحكومة الاردنية بمفاوضات مع البنك الدولي لاخذ قرض لتنفيذ المشروع بعد ان تبين ان الشركة الامريكية الثانية المكلفة باعداد الدراسات صهيونية الميول ايضا . وبقي مشروع شركة البوتاس العربية يسير من سيء الى اسوأ حتى كان حزيران وكان الاجتياح الصهيوني الجديد . والاردن لا يزال ومنذ عشرة اعوام قبل العدوان يخطط لاقامة المشروع .

وحديثا وجدت الفرق الجيولوجية في الاردن ترسبات للبوتاس في وادي اللسان جنوب غربي الاردن وايضا كلفت الحكومة الاردنية في هذه المرة شركة المانية غربية لاعداد الدراسات اللازمة لاستثمار هذه الثروة . اخيرا بقيت اسرائيل وحدها المنتج والمصدر الرئيسي للبوتاس ومشتقاته في الشرق الاوسط وبقينا نخطط وننتظر معجزة النظام الاردني لوضع هذه الثروة في خدمة الانسان العربي في الاردن من أجل تقدمه ومن اجل الدفاع عن قضية الحق العربي في فلسطين .

الدكتور فلاح سعيد جبر

الصناعات الالكترونية في اسرائيل

نقدم فيما يلي ترجمة لتقرير عن الصناعات الالكترونية في اسرائيل يعطي صورة مفصلة عن الشركات التي تقوم بهذه الصناعات . ويتضح من التقرير امران هامان جداً : الاول ، ان الصناعات الالكترونية في اسرائيل مسخرة في الاساس للاغراض العسكرية، والثاني ، ان هذه الصناعات تعتمد اعتماداً كبيراً على الشركات الاميركية فهي اما ان تكون فروعاً لهذه الشركات او انها تعتمد على المساعدات التي تتلقاها منها ، بالاضافة الى التسهيلات التي تقدمها الولايات المتحدة لتسويق المنتجات الالكترونية الاسرائيلية في السوق الاميركية . هذا وقد كتب التقرير رالف دوبراينر ونشر في مجلة « التصميم الالكتروني » الاميركية في العدد الرابع ، ١٧ شباط ١٩٧٢ وترجم في مركز التخطيط .

« في خلال السنتين او الثلاث سنوات القادمة ، ستصبح تايوان المعدات الالكترونية المعقدة » . صاحب هذه النبوءة « اوديد فيريد » ، مدير دائرة المنتجات التقنية التابعة للمعهد الاسرائيلي للتصدير / تل ابيب . وليس لهذه النبوءة علاقة بكون الوكالة الحكومية المذكورة تقف جهودها لتشجيع الصادرات الاسرائيلية الى البلدان الاخرى ، ذلك ان المهندسين ومدراء شركات الهندسة في كافة انحاء اسرائيل تقريبا يرددونها . ان التقدم في معظم قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي في السنوات الاخيرة لا يمكنه منافسة معدل النمو في قطاع صناعة الالكترونيات الذي يتراوح ما بين ٢٠٪ — ٣٠٪ سنويا : ففي سنة ١٩٦١ انتجت شركات الالكترونيات ما تقارب قيمته ٣ ملايين دولار من المعدات . وفي سنة ١٩٧١ اشرف الرقم على ١٣٠ مليون دولار . اما في سنة ١٩٧٥ فان انتاج هذه الصناعة سوف يتراوح بين ٣٠٠ — ٥٠٠ مليون دولار بحسب تقديرات وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي . هذا التعاظم المفاجيء تحقق في غالبيته بعد حظر شحنات السلاح الفرنسي . فقد اظهر قرار ديغول لاسرائيل المخاطر التي يمكن ان تنجم في حال اعتمادها على مصادر اجنبية لتزويدها بالسلاح . ونتيجة لذلك اتخذ صانعو السياسة الاسرائيلية ، في حزيران ١٩٦٧ ، قرارا يقضي بتعزيز الاكتفاء الذاتي مهما كلف من تضحيات فبدأت ملايين الدولارات تنهال على مراكز البحث والتطوير ، كما بدأت المؤسسات الصناعية المحلية تتلقى عروضا كانت في السابق توجه الى الخارج. ان صناعة الالكترونيات في اسرائيل ما زالت صغيرة الحجم وفقا للمعايير العالمية ، الا ان عناصر نجاحها مكفولة وهي : رخص التكلفة النسبي ، وعنصر العمل الذي يمكن الاعتماد عليه ، ومعين وافر من المقدرة الهندسية يندر وجوده لدى اي من دول العالم الصغيرة . وبتوافق هذه العناصر ستتمكن اسرائيل من تطوير احتياجاتها من المعدات الالكترونية عاجلا او آجلا ، هذا مع العلم ان بعضا منها قيد الانجاز بالفعل . ولكي تلائم بين حاجتها لزيادة صادراتها بالسرعة الممكنة وتلبية احتياجاتها العسكرية في آن واحد ، أخذت تعتمد بشكل كبير على عقد الاتفاقيات — التي تمنحها حقوق الصنع والحصول على المعرفة والامكانات التقنية — مع شركات اجنبية وبخاصة الاميركية منها . ومما يسهل الامر ان الشركات الاجنبية التي تنشيء مشاريع لصناعة الالكترونيات في اسرائيل تجد ان تكاليف انتاجها قد انخفضت ، لان المهندس الاسرائيلي يتقاضى ما يعادل (٤٥٠) دولارا في الشهر تقريبا بينما يتقاضى الفني الماهر حوالي (٣٠٠) دولار والفتاة العاملة في خط الانتاج تتقاضى حوالي (١٥٠) دولارا في الشهر .

ويلخص البيزر جروتوالد (مساعد مدير سلطة الاستثمار التابعة لوزارة المالية) ذلك بقوله : « بامكان المصنع الاميركي ان ينتج جهازا الكترونيا في اسرائيل بنفس المواصفات والجودة التي يمكن تحقيقها في الولايات المتحدة ولكن بتكلفة اقل . انني لا ادعي ان بامكاننا منافسة شركات جنرال الكتريك او جنرال موتورز في نطاق الانتاج الواسع، ولكن الانتاج المحدود النطاق امر محقق الفائدة بالنسبة لاسرائيل » .

تنتج مصانع الالكترونيات الاسرائيلية حاليا سلسلة واسعة من المعدات ذات الجودة العالية من ضمنها . اجهزة الاتصال العسكرية ، اجهزة رادارية لمكافحة الحرائق ، الدوائر الالكترونية المتقدمة والالكترونيات المصغرة ، وتشكيلة من

المعدات النووية والصناعية والطبية والبصرية والعلمية . وبالاضافة لذلك يجري تصنيع اجهزة مراقبة لشبكات التلفون ومعدات الانتاج بالجملة وما الى ذلك . كما يجري تصنيع عدد من السلع الاستهلاكية للسوق المحلية من ضمنها اجهزة التلفزيون والسيارات . ومن الجدير بالذكر ان هناك في الوقت الحاضر ما يقارب الثمانين صانع للمعدات الالكترونية في اسرائيل يزداد عددهم بمعدل عشر شركات جديدة تنشأ في كل سنة . ان معظم انتاج هذه الصناعة تستوعبه الحاجات المحلية والعسكرية بشكل خاص . ولكن بما ان اسرائيل تقوم بتوظيف امكاناتها لتصعيد حملة هدفها منها تقليل حجم الواردات وزيادة الصادرات ، من اجل ايجاد حل لمشكلة ميزان المدفوعات الحرجة ايضا، فان حجم الصادرات اخذ يزداد بشكل سريع نتيجة لذلك . ويكفي ان نعلم ان صادرات سنة ١٩٧٠ ادخلت الى اسرائيل مبلغ (١٦،٥) مليون دولار اي ما يعادل ستة اضعاف دخل الصادرات في سنة ١٩٦٧ .

تقود صناعة الالكترونيات في اسرائيل عشر شركات رئيسية توظف ٩٣٪ من القوة العاملة في هذه الصناعة وتنتج ٩٥٪ من انتاجها . اكبر هذه الشركات على الاطلاق شركة تاديران لصناعة الالكترونيات الاسرائيلية المحدودة ، وهي بمثابة جنرال الكتريك الشرق الاوسط ، واسهمها موزعة على النحو التالي : ٥٠ ٪ تملكها شركة كور المحدودة للصناعة (وهي اكبر مؤسسة صناعية في اسرائيل) ، ٣٥٪ تملكها شركة جنرال العالمية للتلفون والالكترونيات ، ١٥ ٪ تملكها وزارة الدفاع الاسرائيلي .

ومن الجدير بالذكر ان شركة تاديران كانت في اوائل الستينات شركة تنتج بطاريات المشاعل الكهربائية. اما الان فهي تتوقع ان تنتج ما تقارب قيمته (٦٠) مليون دولار من المعدات الالكترونية من جملتها اجهزة الاتصال العسكرية والمدنية ، وراديو السيارات ، ومسجلات الاشرطة ، واجهزة التلفزيون ومجموعة متنوعة من الدوائر الالكترونية للندمجة (integrated circuits) والمختلطة (hybrids) . ويقدر عدد العاملين في الشركة بحوالي (٣٥٠٠) — اي ما يزيد عن مجموع العاملين في شركات الالكترونيات الاخرى مجتمعة — من هؤلاء حوالي (١٨٠) مهندسا الكترونيا . تعتبر تاديران نفسها اكبر صانع لاجهزة الاتصال العسكرية خارج الولايات المتحدة . ويقول اسحاق توليدانو ، رئيس ادارة الشركة « اما فيما يتعلق باتساع المجال ، اعتقد اننا الشركة الاولى في العالم » . ومعظم المعدات العسكرية التي تصنعها تاديران تنبع من اجازات صنع بالاتفاق مع شركات امريكية من بينها : ماجنا فوكس وسيلفانيا للمنتجات الكهربائية ، ولنكيرت للكهرباء. ومن الجدير بالذكر ان عددا لا بأس به من هذه المنتجات معدل ليلائم الاحتياجات الخاصة بالجيش الاسرائيلي . ويقول توليدانو أن ٥٠٪ من انتاج تاديران العسكري يصدر الى دول عديدة في العالم، الا انه من المستحيل عمليا النفاذ الى سوق الولايات المتحدة . وهو يفسر ذلك بقوله « لكي نحقق هذا الهدف لا بد لنا من تخفيض اسعارنا لتصبح اقل ٥٠ ٪ من اكثر الاسعار المنافسة انخفاضا » ويضيف « في احدى المرات نزلنا الى ٤٠٪ ولكننا لم ننجح » .

ان السلسلة التي تنتجها تاديران من اجهزة الاتصال العسكرية ذات الذبذبات العالية (hf) والعالية جدا (vhf) وما فوق العالية (uhf) تتراوح ما بين اجهزة راديو اف. ام ثنائية الاتجاه تحمل باليد واجهزة ارسال واستقبال بعيدة المدى تعمل في نطاق الذبذبات الاحادية الجانب - Single Sideband وتتميز اجهزة الراديو العسكرية هذه سواء اكانت فردية (manpack) ام محمولة على الآليات او الطائرات ، بانها ذات تركيب قياسي كله من الترانزيستور ، والعديد منها يحوي طبقات كثيفة من الدوائر المختلطة والمندمجة (Thick - film hybrids and IC.).
كما ان المولفات التي يمكن التحكم في عملها بواسطة اصابع خاصة
(digitally controlled synthesizers)
في احد اجهزة الراديو العسكرية توفر مجالا للذبذبات العالية وفوق العالية من (٧٠٠٠) قناة للاتصال بينما توفر في جهاز اخر (١٦،٠٠٠) قناة للاتصال في نطاق الذبذبات العالية الاحادية الجانب . ومعظم هذه الاجهزة تأتي مرفقة بمعدات احتياطية مساعدة مثل معززات المدى (range boosters) او اجهزة لتنظيم الاتصالات الداخلية المتبادلة (intercom control boxes) .

ان جهاز LSA - 100 T الذي صنعته تاديران ما هو الا مثال بسيط ولكنه يتضمن تعديلا مبتكرا

لسلسلة من المنتجات العسكرية الاعتيادية . والجهاز عبارة عن صندوق صغير يزن (٢) باوند ويقارب عرضه عرض علبتين من علب السجائر ، ويحوي في داخله سماعة (loudspeaker) ومضخما (amplifier) ويوصل هذا الصندوق باجهزة اللاسلكي المحمولة على الظهر طراز AN/PRC-24 وطراز AN/PRC-77 (اللذان يمتازان بان القدرة السماعية التي يولدانها لا تكفي لتشغيل مكبر عادي للصوت) يتمكن القائد من الاستماع الى المحادثات اللاسلكية في الوقت الذي يكون فيه عامل الجهاز منهمكا باجرائها .

وقد انتهت الشركة ، في المدة الاخيرة ، من تطوير لوحة مفاتيح عسكرية صغيرة سوف تحل في نهاية الامر محل لوحة مفاتيح الميدان اليدوية الحالية المؤلفة من ١٢ خطا . وهي تعكف حاليا على انجاز سلسلة من لوحات المفاتيح الالكترونية من اجل التصدير ومن اجل ان يتبناها الجيش الاسرائيلي كاجهزة عسكرية معتمدة .

والى جانب كون تاديران صانعا رئيسيا لاجهزة التلفزيون في اسرائيل (بترخيص من شركة فوكسون في روما) ، فانها تعكف في الوقت الحاضر ايضا على تصميم آلة اقتراع الكترونية . ويعزى الى توليدانو قوله في هذا الخصوص ، ان تجربة الآلة في اول الامر ستتم في اسرائيل على الاغلب ومن ثم يجري عرضها للبيع في الولايات المتحدة . ويقول ايضا « من الواضح اننا لا نملك ان نصنع ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ آلة اسوة بالولايات المتحدة . ولكن لكي نخفض تكاليفها ، يعكف مصممونا حاليا على وضع كافة المعلومات التي ستلتقم بها الالة في خزائن غاية في الدقة تستخدم دوائر الكترونية ذات ذبذبات منخفضة السرعة ». اما في حقل انتاج قطع التركيب فان الشركة تنتج سلسلة من البلورات المصنوعة من الكوارتز ، للذبذبات من ١ — ١٥٠ ميجاهرتز . والمرشحات والمميزات البلورية crystal filters and discriminators لاستعمالها في معدات الاتصال العسكرية والمدنية . كما انها تعتزم انتاج اشكال من المرشحات البلورية المتراصة المتنافسة monolithic crystal filters . وتنتج ايضا طبقات كثيفة ، متعددة الاشكال ، من الدوائر المختلطة التي تستخدم بشكل واسع في صناعة معدات الاتصال العسكرية ، وهي بصدد تصميمها لتلائم الاستعمال في اجهزة راديو السيارات وغيرها من السلع المعدة للمستهلك الاسرائيلي . يقول توليدانو ان اسرائيل تستخدم الدوائر المندمجة في منتجاتها بشكل واسع ، كما ان استخدام الدوائر ذات الذبذبات البطيئة السرعة (L S I) والمتوسطة السرعة (MSI) ينمو بسرعة ، وحيث ان امكانيات صناعتها ليست متوفرة في اسرائيل حاليا ، لذلك يتم شراء معظمها من الولايات المتحدة .

ربما كانت شركة التا المحدود للصناعات الالكترونية التابعة لمؤسسة صناعة الطائرات المحدودة ، تأتي في الدرجة الثانية من حيث الحجم بعد تاديران . وتضم حوالي (١٤٥٠) مستخدما من بينهم حوالي (٥٠٠) مهندس منهم (١٤٥) مهندسا الكترونيا. وهي تنتج انواعا متعددة من المعدات لحساب وزارة الدفاع . ان من اكثر المنجزات التي قامت الشركة بتطويرها والتي تبشر بمستقبل مرموق جهاز فاحص ، مرسل ومستقبل ، وسهل الحمل في آن واحد ، يرمز اليه (TSI-ARC-51) . يزن هذا الجهاز (٢٥) باوندا وينتظر ان يحل محل مجموعة كبيرة من اجهزة الفحص التي يصعب نقلها لضخامتها . ويتميز بانه يعمل على تحديد الاعطال بدقة في نفس الوقت الذي يختبر فيه صلاحية عمل اجهزة لاسلكي الطائرات . ويوضح جاكوب باز ، Jacob Paz مدير المبيعات والتسويق في الشركة ، امكانيات تسويق الجهاز بقوله ان جهاز الاتصال اللاسلكي الذي صنعته شركة كولينز راديو وادميرال مركب على متن ما يقارب (٥٠) الفا من الطائرات التي تجوب مختلف انحاء العالم . ومن ناحية اخرى يقوم سلاح الجو الاسرائيلي باختبار وتقييم وحدة الفحص المذكورة في اسطول طائراته طراز سكايهوك ، وبالتالي يأمل « باز » في ان يباع الجهاز الى القوات المسلحة للولايات المتحدة .

ويقول « باز » ان شركة « التا » واتحاد الموجات الصغرى (microwave associates) في ولاية مين الامريكية تجهزان العدة لانشاء شركة مضاربة تستهدف تطوير معدات معقدة اخرى لصيانة وفحص اجهزة الطائرات ، ذلك ان تأمين هذه الخدمات باقصى ما يمكن من سرعة هو امر بالغ الاهمية بالنسبة لسلاح الجو الاسرائيلي اذا اخذنا بعين

الاعتبار المسافات القصيرة كما هو الحال بالنسبة للشرق الاوسط . ويضيف ماز موضحا « لا يجوز ان تستغرق عملية اعداد الطائرة العسكرية للتحليق مرة اخرى اكثر من ٧ دقائق على الارض اثناء العمليات العسكرية » .

بالاضافة الى ما سبق قامت الشركة بتطوير ما اسمته « رادار ذو نطاق ذبذبة احادي S-band radar » لا مثيل له في خدمة المطارات المدنية والعسكرية . ويتميز بان آلة حاسبة الكترونية صغيرة قد ادمجت فيه لغرض خاص هو تمكين الجهاز من اكتشاف الطائرات التي تطير على علو منخفض مقابل مستويات ارضية مرتفعة موزعة بشكل غير منتظم ، وهو من ناحية اخرى مصمم بطريقة تجعل من صيانته عملا سهلا ، اذ يحوي اجهزة داخلية لاختبار صلاحيته للعمل موصولة بلوحة الجهاز الامامية وقد وضع الى جوارها لوحة معدنية ترينا رسوما لاشكال الامواج التي يجب ان تظهر على شاشة الرادار . ومن الجدير بالذكر ان اول وحدة من هذا الرادار ستركب في مطار اللد ، تل ابيب ، كما ان الشركة تنافس شركات الرادار الكبرى ، في الوقت الحاضر ، في مناقصة لتركيب الجهاز المذكور في مطارين من المطارات الدولية .

ان « شركة البت المحدودة لصناعة العقول الالكترونية » هي عضو آخر مزدهر الاعمال في عداد الشركات العشرة الاولى التي تقود صناعة الالكترونيات في اسرائيل ، ويقع مركز ادارتها في حيفا . تصنع الشركة العقل الالكتروني المصغر (Elbit-100) والاجهزة المصغرة الخاصة به ، كما تصنع بناء على التوصية اجهزة مراقبة سير الانتاج الصناعي ومعدات عسكرية . وتملك شركة ضبط الحسابات (كونترول داتا كوربوريشن) ٥١٪ من اسهم الشركة بينما تملك شركة (الرون المحدودة لصناعة الالكترونيات) ٤٩ ٪ منها ، وهذه تعد من اكبر الشركات المالكة للاسهم الصناعية في اسرائيل . نتيجة لحدس شركة البت وتصورها لما ستكون عليه التطورات في المستقبل فقد صنعت في سنة ١٩٦٧ ما يمكن اعتباره فاتحة العقول الالكترونية المصغرة التي انزلت الى الاسواق .

ويشير عوزيا جاليل رئيس ادارة شركة البت المحدودة الى خطط الشركة المستقبلية بقوله انها قررت التركيز على انتاج انظمة كاملة تعتمد اما على خط العقل الالكتروني المصغر الذي صنعته واما على السلسلة الاكثر فاعلية من طراز CDC-1700 . واحد الامثلة على ذلك جهاز مخصص لتنظيم تسجيل الحسابات على اشرطة ويقوم هذا الجهاز باداء مهمته بمجرد تحريك المفاتيح الخاصة به ، وقد زود بهذا الجهاز عدد من البنوك الاسرائيلية . ومثال آخر ايضا جهاز يحوي نظاما الكترونيا خاصا بالحصول على المعلومات ، وقد تم صنعه في وقت سابق بناء على طلب كلية الزراعية في معهد التخنيون . ويقوم هذا الجهاز الذي يتميز بانه مقطور Trailor-mounted بمسح للارصاد الجوية كالحرارة والرطوبة وسرعة الريح ، واعداد البيانات اللازمة لاجراء التجارب الزراعية.

من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تحقيق الزيادة المثيرة فيصادرات اسرائيل من الالكترونيات، وجود شركة موتورولا اسرائيل المحدودة وهي تابعة لشركة موتورولا في الولايات المتحدة الاميركية . وموتورولا اسرائيل تأتي في الدرجة الرابعة من حيث الحجم . فقد اشرفت مبيعاتها على (١٥) مليون دولار في ١٩٧١ ثلثها دخل من الصادرات . تستخدم الشركة ما يزيد عن (١٠٠٠) عامل من ضمنهم (٩١) مهندسا ومن بين هؤلاء (٣٤) مهندس تصميم . تقع الشركة في تل ابيب وتقسم الى قسمين رئيسيين عاملين : **اولهما** قسم الاتصالات ويتولى صنع معدات راديو ثنائية الاتجاه (two-way radio) ، ومحطات ثابتة للقواعد (base stations)واجهزة لاسلكي قابلة للنقل ، (mobile radios) ، واجهزة ووكي توكي(walkie-talkies)واجهزة راديو اف.ام وتشكيلة اخرى من معدات الاتصالات . وتعكف موتورولا حاليا على تطوير جهاز متنقل للارسال والاستقبال بقوة ١٠٠ — وات ، يعمل في نطاق الذبذبات الاحادية الجانب mobile 100-w ssb) transceiver) وذلك من اجل طرحه في الاسواق العالمية . ويقول سكيفا ماير ، مساعد المدير العام للشركة ، ان تطوير هذا الجهاز يجري بالتعاون الوثيق مع مجموعة موتورولا في شيكاغو. كما تقوم الشركة بتطوير جهاز لاستقبال نطاقات الترددات والاطوال الموجية المختلفة band receiver لطرحه في الاسواق المحلية لاستعمال المواطنين . **وثانيهما** ، قسم الاشراف والرقابة وبث المعلومات : ويقوم بتصميم وتطوير

وصناعة اجهـزة للتحكـم في تغيير الذبذبـات (frequency - shift keying system) واجهزة بث المعلومات ذات السرعـة العاليـة (high-speed data transmission modems) واجهزة للاشراف والضبط النائي (supervisory and remote control) جميعها معدة للسوق المحلية. وتصدر الشركة جزءا كبيرا من اجهزة الاتصال التي تنتجها للدول النامية وبخاصة الدول الافريقية منها.

هناك اسم مألوف آخر هو مونسانتو ، ويتمثل في اسرائيل بشركة مونسيل المحدودة للالات الالكترونية التابعة لها . وتقوم مونسيل حاليا بصناعة سلسلة من الالات كانت تصنع في السابق في كالدويل الغربية بولاية نيو جيرسي . ويشمل انتاج مونسيل عدادات لقياس الذبذبة ، وعدادات للتوقيت ، واجهزة فولتميتر رقمية. تصدر مونسيل حوالي ٨٠٪ من انتاجها الكلي ، ومن هذه النسبة تتوزع ٧٠ ٪ الى الولايات المتحدة ويذهب الباقي الى الاسواق الاوروبية .

يعتبر الجميع شركة الرون المحدودة للصناعـات الالكترونية في حيفا ، رائدة هـذه الصناعة في اسرائيل . أنشئت في سنـة ١٩٦٢ برأس مـال ابتدائي من بنك الحسومات الاسرائيلي وعدد قليل من المولين الاميركيين . وكانت اول شركة تقوم بتطويـر وصنع معدات متخصصة معتمـدة على أسس تجارية ، وقد شملت هذه المعدات مجالا محدودا من الاجهزة النووية والطبية ، والالات المخبرية . ولما اخذت الشركة بالنمو شرعت في انشاء فروع عدة تابعة لها من ناحية ، ومن ناحية اخرى الاتفاق مع مؤسسات اميركية على انشاء شركات مضاربة . وبالتدريج تحولت جميع نشاطاتها الصناعية الى الشركات التابعة لها ، وبالتالي اصبحت شركة الرون تعمل بصفتها مالكـة لهذه الشركات فقط . للشركة اتفاقات مضاربة مـع مونسانتو (شركة مونسيل المحدودة) ، وشركة ضبط الحسابات (البت لصناعة العقول الالكترونية المحدودة) ، وشركة (Scientific Data Systems Israel Ltd.) Xerox Data Systems وهذه تنتـج خزائـن للذاكـرة تمتاز بسهولـة الحصـول على المعلومـات التـي تتضمنهـا (rapid-access disc memories) . ومـن الشركات التي تمتلك الرون كامل اسهمها شركة التك المحدودة التي تنتج لوحات مطبوعة للدوائر الالكترونية وشركة السنت المحدودة (للالات العلمية).

هناك عامل رئيسي في سوق أدوات المختبـرات المتخصصة ، وهو شركة السنت المحدودة في حيفا. لقد طورت هذه الشركة سلسلة مكونة من (٥٠) اداة للابحاث النووية من ضمنها مضخمات للزيادة الطارئة على الموجات النبضية (high-gain pulse amplifiers) واجهـزة لقيـاس الطيـف (spectrometers) ، وعـــدادات الايمـاض Scintillation detectors ، وكاشفات لتحديد شكل الموجات النابضة Pulse-shape detectors واجـهـزة لاختبـار النشـاط الاشـعـاعي (radiation monitors) ، وأجهزة علميـة مقترنـة بالعقـول الالكـترونيـة . تضـع شركة السنت آمالها في تصدير جهاز يقوم بالكشف الحسابي والمرئي الملون عـن النظائر المشعـة (radio isotope digital video scanner) وقد عرض هذا الجهاز لاول مرة في الولايات المتحدة في فصل الصيف الماضي ، ويشـير مناحيم ماترا (مدير مبيعات الشركة) الملاحظة التالية وهي ان مصانع اخرى في الولايات المتحدة انتجت اجهـزة اوتوماتيكية مماثلة ولكن في جميع هذه الاجهزة كانت الحاسبة الالكترونية توضع في مكان منفصل ، ويضيف قائلا « ان الجهاز الذي انتجناه يقترن بحاسبة الكترونية هي (Elbit - 100) وتكاليفه تقدر بنصف تكاليف الاجهزة الاميركية » .

وتتوقع الشركة ان تقدم نسخة متقدمة ، ومعدلة لاستخدامها في المستشفيات في ربيع هذا العام . تقوم الشركة ايضا بصناعة سلسلة من المولدات الكهربائية العادية لاستهلاك السوق المحلية ، وذلك بترخيص من شركة لامبدا للالكترونيات في ملفيل بولاية نيويورك .

هناك شركة تعتمد عليها القوات المسلحة بشكل رئيسي لتزويدها بمعدات وقطـع تركيب اجهـزة الاتصال التي تستخدم الموجات الصغرى والتي تصنع وفقا للمواصفات التي تحددها . وهذه هي شركـة ايـل الاسرائيليـة المحـدودة AEL Israel Ltd. ، وهي تابعة تملكها المختبرات الالكترونية الاميركية في كولمار بولاية بنسلفانيا . تتجه شركة ايل اسرائيل حاليا الى تخفيف اعتمادها على العقود العسكرية . ومن الجدير بالذكر ان عمر الشركة اربع سنوات فقط وقد بلغت مبيعاتها في السنة الماضية حوالي (٢٫٨) مليون دولار وتتوقع ان تزيد صادراتها بما يعادل ثلاثة اضعاف هذا المبلغ في العام القادم . ان معظم المعدات

التي تقوم الشركة ببيعها عبارة عن مرتجمعات الاجهزة العسكرية التي انتجتها : وتتضمن تشكيلة من قطع تركيب اجهزة الموجات الصغرى ذات الحالة الصلبة (solid state) وهياكل التجميع (functional assemblies) بما فيهـا شبكات الهوائيات، ومعدات اتصال متينةثابتة،وقابلةللنقل، وشبكات مجهزة بمضخمات للقوة ذات مجال تردد واسع systems with wide-band power amplifiers ، ومرشحات ، ومجزئيات splitters ومخلفضات attenuators وتقوم الشركة الى جانب كل ذلك بتشغيل مختبر لصناعة طبقات رقيقة وكثيفةمن الدوائر المختلطة (thin and thick-film bybrids) ، ودوائر (stripline) .

بالاضافة الى شركات الالكترونيات الرئيسية التي يقارب عددها العشرة ، هناك جمهرة من المؤسسات التي يتراوح ما تنتجه بين قطع التركيب الدقيقة ، ومعدات لصناعة اشباه الموصلات ، وللعديد منها نشاط ملحوظ منذ سنوات وبالتالي فان وضعها الاقتصادي قابل للنمو . ولكننا نجد ان الاوضاع الاقتصادية لمؤسسات أخرى أكثر دقة وحرجا ، اذ ان وجودها يعتمد على ايجاد سوق تصدر اليه انتاجها من الالات والاجهزة التي تستعمل في مجالات اختصاص محددة . ومن اكثر المؤسسات التي تنتج قطع التركيب نجاحا وازدهارا شركة فيشي اسرائيل المحدودة التابعة لمؤسسة فيشي انترتكنولوجي في مالفيرن بولاية بنسلفانيا . وتصنع فيشي اسرائيل مقاومات كهربائية بالغة الدقة موضوعة فيأغلفة مفرغة من الهواء flat-pack (ذات قدرة احتمال مقدارها ۰،۱ ٪ ، ومعامل حراري مقداره + ١ ppm / درجة مئوية) . وتتوقع الشركة ان تحقق ما قيمته (٢) مليون دولار من المبيعات في هذا العام ، في حين انها لم تحقق المليون دولار في سنة ١٩٧١ . والشركة تصدر ٩٥ ٪ من انتاجها الى الولايات المتحدة واوروبا .

وهناك وافد جديد الى الساحة ، هو شركة مبدأ المحدودة لصناعة الاجهزة والادوات العلمية ، وقد انشئت في رامات جان سنة ١٩٧٠ ، وكان اول ما باشرت بانتاجه رادار لقياس الارتفاع بواسطة الموجات النبضية (Pulsed radar altimeter) يرتفع في الجو بواسطة بالون ، ويستخدم في حقل الارصاد الجوية ، والجهاز المذكور يعمل على تردد مقداره (٤٠٣) ميجا هيرتز ، ومصمم بحيث يقيس الارتفاعات ما بين ١/٢ — ٣٥ كيلومتر بدقة تعادل (+ — ١٠) امتار . ومن الجدير بالذكر ان مؤسسة ناسا الامريكية NASA ابتاعت (١٥) وحدة من هذا الجهاز من اجل تجربتها . وتأمل الشركة في تسويق نسخة معدلة منه في الولايات المتحدة لاستخدامه كرادار لقياس الارتفاع في الطائرات الخفيفة وذلك لرخص ثمنه .

هناك ايضا شركة جديدة نسبيا تقوم بصناعة لوحات مطبوعة متعددة الطبقات للدوائر الالكترونية ولوحات قابلة للانثناء Multi-layer and flexible printed circuits. وهذه الشركة هي شركة كور المحدودة للاجهزة والابحاث والتطوير والهندسة في بتاح تكفا . ولعدة شهور خلت ، كان انتاج الشركة جميعه يورد للاستعمال العسكري ، ولكنها تحاول الان النفاذ الى سوق الولايات المتحدة بعرض تشكيلة من لوحات الدوائر الالكترونية المتعددة الطبقات (multi-layer PCs) التي يمكن بيعها بنصف ثمن مثيلاتها هناك .

وفي عداد المشاريع الاخرى الناجحة مختبرات ناماش للعلوم التطبيقية في رامات ابيب ، وتصنع اجهزة وأدوات سماعية والكترومافنيطية متخصصة وتابور للالكترونيات في حيفا وهي مرتدة من مونسيل وتعمل في صناعة سلسلة خاصة بها من العدادات المؤقتة الاوتوماتيكية ومولدات الاشارة والجيسم Eljim وهي تابعة لشركة KMS للصناعة في الولايات المتحدة ، وتقوم بأبحاث تستهدف تطوير الرادار واجهزة الاتصالات لحساب الجيش . والشركة المحدودة لصناعة الالكترونيات المصغرة في حولون وتقوم بصناعة المكثفات الدقيقة (precision capasitors) وشركة الهندسة الالكترونية المحدودة في تل ابيب وتقوم بتزويد سلاح الجو الاسرائيلي بمعدات الفحص التي يحتاجها ، وتعد ايضا من أكبر المستوردين لمنتجات الولايات المتحدة في حقل الالكترونيات .

رالف دوبراينر

ثلاث رسائل

الرسالة الاولى

اليسار الانكليزي والقضية الفلسطينية

ان المتتبع للقضية الفلسطينية وتحرك القوى المؤيدة والمعارضة والدعاية العربية في انكلترا يرى ان القضية الفلسطينية قد مرت بثلاث مراحل : فترة ما قبل حرب حزيران ، فترة ما بعد حزيران وحتى ايلول ١٩٧٠ ، فترة ما بعد ايلول وحتى الان . ولقد كان هناك تغير ملحوظ في الجهاز الدعائي العربي ما قبل حرب حزيران وما بعدها . فقبل حزيران كانت سيطرة الاجهزة الدعائية التابعة للسفارات وللجامعة العربية مهيمنة على الدعاية للقضية الفلسطينية . ولا حاجة لان اناقش موقف هذه الاجهزة من القضية الفلسطينية . ان هذه الاجهزة كانت تتوجه بالدرجة الرئيسية الى مناشدة حزب العمال والمحافظين وشخصيات منفردة الى تأييد القضية الفلسطينية وتركت بصورة تامة الدعاية بين الاحزاب والهيئات الشعبية مما منع تطور وجهة نظر هذه الاحزاب والهيئات نحو القضية الفلسطينية . اما بعد الحرب فقد استلمت اجهزة دعائية ناشطة الدعاية بين الاوساط المختلفة مسنودة بالنشاط المتنامي للمقاومة الفلسطينية في الشرق الاوسط ، ولاول مرة تتحرك تظاهرات ضخمة عبر شوارع لندن والمدن الاخرى . لقد كان تحرك الطلاب العرب داخل انكلترا ظاهرة اثرت كثيرا في الحركات اليسارية وطورت نظرتها الى حد بعيد تجاه القضية العربية بصورة عامة والفلسطينية بصورة خاصة . اما بعد ايلول الاسود فنلاحظ انحسار المد الطلابي نتيجة لعوامل كثيرة اهمها : قبول الجمهورية العربية المتحدة لمشروع روجرز ، وموقف المقاومة من الوضع في الاردن قبل ايلول وعكس هذا الانحسار نفسه على الدعاية في بريطانيا . فمرة اخرى تصبح الدعاية وقفا على اجهزة اثبتت فشلها لاسباب مختلفة ، وسبب هذا الانحسار ليس متأتيا فقط من انحسار المد الطلابي العربي داخل بريطانيا بل ايضا مرتبط بطبيعة الحركات اليسارية في بريطانيا وهي موضوع هذا التقرير .

ينقسم الراي العام الانكليزي المؤيد للقضية الفلسطينية الى قسمين :

أ ــ الشخصيات المنفردة والتي تتراوح في عقائدها بين اليمين واليسار . نجد هذا المزيج واضحا في مجلس الصداقة الانكليزية ــ العربية والنشرات التي تصدر عن هذا المركز . فبينما نجد احدى نشرات المجلس حول النزاع العربي ــ الاسرائيلي (وعنوانها الصراع العربي الاسرائيلي، صادرة عن المجلس المذكور) تمتاز بوجهة نظر ليبرالية تجاه هذا الموضوع (وكما نرى ايضا في كتابات انتوني نتنج) نجد كتيبا اخر يقيم النزاع العربي الاسرائيلي (تأليف بيل هيللر ، بعنوان اسرائيل وفلسطين) تقييما صحيحا من حيث انه استيطان استعماري على ارض فلسطين بكل ما يمثله هذا الاستيطان من استغلال وتوسع .

ب ــ الاحزاب السياسية وخاصة اليسارية منها وهذه تنقسم الى عدة حركات واحزاب سياسية نستطيع ان نصنفها تحت : ١ ــ الحزب الشيوعي الانكليزي ــ خط موسكو . ٢ ــ التروتسكيون وهؤلاء ينقسمون الى عدة اقسام منها مثلا جماعة الماركسيين الامميين (جماعة طارق علي) . ويوجد حزب نشط بين هذه الكتلة وهو الحزب الشيوعي ــ تروتسكي ــ والذي لا يعترف بالحزب الشيوعي الموالي لموسكو وايضا جماعة الاشتراكيين الامميين . ٣ ــ الماويون ، وهؤلاء ينقسمون الى عدة كتل متصارعة فيما بينها وليس لها خط واضح ــ عدا الحزب الماركسي اللينيني ــ ولكنها تتقيد في نظرتها تجاه الوضع الدولي بموقف الصين منها.

٤ — يسار حزب العمال (الشباب الاشتراكي) وهذا هو جناح صغير جدا داخل حزب العمال ولكنه فعال ، كذلك يسار حزب الاحرار — الشباب الحر وهؤلاء اقلية ايضا . ٥ — الفوضويون ، وهؤلاء ايضا عدة اقسام وليس لهم اي خط سياسي واضح حتى انهم لا يمثلون الخط التاريخي للحركة الفوضوية . ٦ — القوة السوداء ، وهذه انقسمت الى عدة اقسام وهي ناشطة بصورة خاصة بين الطلاب والعمال الملونين وتوجد حركة نامية هي حركة الفهود السود ، وهؤلاء الى الان في دور التكوين في بريطانيا بعكس امريكا حيث انهم يشكلون القوة الرئيسية وسط الملونين .

ان الصفة المميزة لليسار الانكليزي هي انه منقسم الى اقسام كثيرة جدا ذات ولاءات مختلفة . وكثير من هذه المجموعات يفتقر الى المنهج السياسي الواضح والمتكامل لذلك تاتي اعمالها بعيدة عن التناسق المطلوب من هذه الحركات. ان السبب في ذلك هو ان النظام الراسمالي خلال قرون عديدة قد شوه المفاهيم الاشتراكية واحل بدلها مفاهيم منصرية شوفينية لذلك فان انبثاق حركات سياسية يسارية (ذات اتجاه ماركسي — لينيني) في مجتمع كهذا لا بد ان يعاني من امراض كثيرة . ان كثيرين من الشبان الذين ينضوون الى هذه الحركات انما يبحثون عن مهرب من الحياة الرتيبة التي يعيشونها . ومن هذا فان نفس هذا الشباب تصير فلا يلبث بعد مدة ان يمل العمل السياسي . علاوة على ان الانقسامات في المعسكر الاشتراكي تركت اثرها على هذه الحركات بصورة واضحة ونكاد ان نقول ان الاتجاه الاشتراكي المعارض للاتحاد السوفياتي يكاد ان يطغى على الاتجاه اليساري المؤيد له . ان هذه هي بعض الصعوبات التي تؤثر على الحركات السياسية اليسارية ، وهي تعكس نفسها على مواقف هذه الحركات من حركات التحرر العالمي . وسأناقش فيما يلي نظرة هذه الاحزاب والمنظمات الى القضية الفلسطينية باختصار .

١ — الحزب الشيوعي الانكليزي — خط موسكو : ان هذا الحزب يؤيد موقف الاتحاد السوفياتي من مشكلة الشرق الاوسط ولذلك فهو يعترف بقرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . وهنا سأناقش باختصار الكتيب الذي نشره هذا الحزب بعد العدوان الاسرائيلي (بعنوان الازمة تدعو الى الحل بقلم برت راملسون) والذي يلتزم الحزب بما جاء فيه ، يبدأ المؤلف بان يقول : « ان الحزب الشيوعي التزم بسياسة تأييد دولة فلسطينية تضمن فيها حقوق الاقليات حتى سنة ١٩٤٧ ، وفي ١٤ ايار ١٩٤٧ صرح غروميكو بان الاتحاد السوفياتي يؤيد ايجاد دولة عربية يهودية بحقوق متساوية للطرفين ولما كان هذا شيئا غير مستطاع فان الاتحاد السوفياتي يوافق على التقسيم ، وبناء على هذه النظرة وافق الحزب الشيوعي الانكليزي على التقسيم » . ويتبعها بان يقول « ان دولة اسرائيل الان حقيقة بكل ما للدولة من حدود ، واقتصاد ولغة » . والمؤلف يقول « ان اعطاء وعد بلفور لاسرائيل كان نتيجة نظرة بعيدة للسياسة الانكليزية لانه سيمكن بريطانيا من المضي في استغلال الشرق الاوسط بالصورة التي تراها. **ان الاستعمار اوجد اسرائيل** لان اسباب الانقسام كما نجدها بين الهند والباكستان كانت معدومة بين العرب » . ثم يقول المؤلف « ان هناك فرقا بين الصهيونية واسرائيل وبان الصهيونية فلسفة رجعية بائدة اما اسرائيل فحقيقة ماثلة » . ثم يتكلم على تدخل العرب سنة ١٩٤٨ بقوله : « ان بريطانيا وقفت ضد اسرائيل وحاولت ان تقف ضد قرار الامم المتحدة وقامت بحرب ضد اسرائيل بتحريك الدول العربية الموالية » . ثم يستنتج بان حرب سنة ١٩٤٨ بالنسبة لاسرائيل « **كانت حرب تحرير للشعب اليهودي من الاستعمار البريطاني . ولهذا السبب ايد الاتحاد السوفيتي والاحزاب الشيوعية هذه الحرب** » . ثم يقول المؤلف « ان الماركسيين يناقشون القضايا كما هي لا كما ممكن ان تكون وعلى هذا الاساس نحن نؤمن بوجود اسرائيل ونعمل من اجل بقائها وتطورها لتعمل بسلام مع العرب » .

ثم يقول ان اسرائيل اضاعت فرصة السلام للاسباب التالية : أ — لانها كانت تتوسع باستمرار ولو انها وافقت على بقائها ضمن الحدود التي اوصت بها الامم المتحدة لكسبت العرب . ب — ان اسرائيل حينما ربحت الاستقلال بمساعدة المعسكر الاشتراكي كان يمكنها ان تقف مع العرب والعالم الثالث لهذا السبب . ج — ان مساعدة العرب في اسرائيل كان يمكن ان تكون الاساس لسياسة سلمية .

ونلاحظ بان التقرير يحوي الكثير من التناقضات فهو اولا يعترف بان سياسة انكلترا كانت تهدف الى

اقامة اسرائيل كـراس جسر ضد حركة التحـرر العربية ثم يخرج باستنتاج الا وهو بان حرب ١٩٤٨ كانت حرب تحرر الشعب اليهودي ويعتمد في ذلـك على استنتاجات منها تحرك الدول العربية المسنودة من انكلترا ضد اسرائيل ذلك الوقت والحقيقة ان هذا الخطأ ينتـج من : ١ ـ ان حركة التحـرر الفلسطينية كانت قد اجهضت سنة ١٩٣٦ . ٢ ـ ان الدول العربية التي تحركت ضد اسرائيل كانت دولا مسنودة من قبل انكلترا وانها تحركت لتمييع الرنض القوي للشعب العربي ذلك الوقت . ان انكلترا كانت تعلم مسبقا نتيجة التدخل العربي . ٣ ـ تأييد الاتحاد السوفيتي لهذه الحرب لانهـا كانت ضد انكلترا ولان اسرائيل كانت تعتمد على مهاجـرين مـن الـدول الشرقيـة ذوي الاراء الاشتراكية .

اما النقطة التي يأتي بها هذا التقرير فهو انه ايد ايجاد دولة فلسطينية في سنة ١٩٤٧ وبعد ذلـك ونتيجة لتغير سياسة الاتحاد السوفيتي فلقد ايد الحزب الشيوعي الانكليزي قرار التقسيم . ان هذا يدل على ان الحزب الشيوعي الانكليزي يفتقر الى نظرة وتحليل ذاتيين يستندان على النظريـــة الماركسية اللينينية علما بأن هذا الحزب نفسـه عارض الاتحاد السوفيتي عندما احتلت القوات الســوفيتية براغ ١٩٦٨ . ان هـذا يعـزى أيضا الى قـوة النفـوذ الموالي لاسـرائيـل داخـل الحزب الشـيوعي الانكليزي نفســه نتيجة لوجود عدد كبير من اليهود فيه . ولقد فصل الحزب الشيوعي الانكليزي عددا كبيرا من اعضائه بعد الحرب ١٩٦٧ نتيجة لموقفهم الرجعي الى جانب العدوان الاسرائيلي .

ان التقرير يقول بان مهمة الماركسي ان ينظر الى الواقع كما هو لا كما ممكن ان يكون ولذلك فـان اسرائيل حقيقة وستبقى حقيقة وهذا شيء مناف لكل المبادىء الماركسية فالماركسي بالعكس يستند عـلى دراسة الواقـع ثم تطويـره علـى ضوء الماركسية .

ان كل هذه الاسباب جعلت موقف الحزب الشيوعي الانكليزي ازاء هذه القضية موقفا اصلاحيا ، ولكن الذي ينبغي قوله بان التأييد الفعلي والعملي الذي يعطيه الحزب الشيوعي للقضية الفلسطينية هـو كبير جدا بحيث انه يتناقض في كثير من الاحيان مع الموقف النظري للحزب .

ان الحزب الشيوعي له عدة مراكز قوة اهمهـا في نقابة عمال الميناء في لندن وبعض النقابات العمالية كنقابات عمال الفحـم والصلب . ولكن الحـزب الشيوعي ضعيف في اوساط الطلبة لعدة اسباب لن نناقشها هنا .

٢ ـ اما التيار الثاني في الحركة اليسارية فهـو التيار التروتسكي وهو ينقسم الى :

أ ـ الحزب الشيوعي (التروتسكي) ويصدر هذا الحزب مجلة « التزم اليسار » وجريدة يوميـة هي « صحيفة العامل » . ان لهذا الحزب امتدادات في الحركة العمالية وخاصة في الشمال كما ان لـه امتدادات (ضعيفة نسبيا) في اوساط الطلبة ولقد صدرت لهذا الحزب دراسات نظرية كثيرة قبل الحرب وبعدها (انظر اعداد « نشرة الاخبار » من ١٩٦٧ الى ١٩٧١) . ويكاد هذا الحزب ان يكـون اول الاحزاب والمجموعات اليسارية التي ايدت القضية الفلسطينية ما قبل حـزيران ١٩٦٧ . وان هذا الحزب يمتاز بمواقف نظرية تكاد ان تكون صحيحة الى درجة كبيرة حيال القضية الفلسطينية . فهو الذي تنبأ بكثير من التحركات التي حدثت في السنتين الماضيتين كمذابح الاردن وحوادث لبنان وفقـدان المقاومة لمواقعها الواحدة بعد الاخرى لفقدانهـا النظرية السياسية القائدة . الا ان هذا الحزب كان يفتقر الى المواقــف العملية . فقد رفض ان يساهم في المشاركة في بناء جبهة مساندة فلسطين وفي الاشتراك في أي من التظاهرات التي قامت بتأييد المقاومة الفلسطينية .

ب ـ جماعــة طارق عــلي « البريد الاحمر » : وهؤلاء كتلة صغيرة وذات فاعلية بصورة خـاصة في المحيط الطلابي في لندن وهؤلاء يؤيدون القضية الفلسطينية بصورة كاملــة وهم يلتقون مع كـل الجماعات والاحزاب اليسارية التروتسكية في نقد المقاومة لافتقارها الى الخط السياسي والى النظرية الثورية . ولقد قامت هذه المجموعة بنشر الوعي عن قضية الخليج العربي بصورة مستمرة خـلال السنتين الماضيتين .

ج ـ جماعة (التزم الاسـود) وهؤلاء انشقوا عن مجموعة طارق علي الا انهم يلتقون مع جماعة طارق علي في تحليل القضية الفلسطينية وقضايا الخليج العربي .

د ـ جماعــة الامميــين الاشتراكيين : وهــذه

المجموعة قوية بصورة جزئية في اوساط الطلاب وبصورة قليلة جدا بين عمال الموانىء في الجنوب وهم يصدرون مجلة دورية شهرية هي الاشتراكية الدولية وصحيفة اسبوعية هي العامل الاشتراكي. ولقد ظهرت لهم عدة تحليلات حول القضية الفلسطينية اولها مقال « اسرائيل والاستعمار » (في الاشتراكية الدولية رقم ٣٢ سنة ١٩٦٨) . وفي هذا المقال يناقش الكاتب مراحل تكون دولة اسرائيل ودورها منذ البداية كحليف متقدم لكل من تركيا والمانيا ثم انكلترا واميركا . ويقول عن ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ « قاد الفلسطينيون انتفاضة ضد الجيش البريطاني بحيث ان نصف الجيش البريطاني كان مشتركا في هذه الحرب التي قمعها الجيش البريطاني والتي تركت المجال مفتوحا امام الانكليز والصهيونية». ويقول المؤلف في الصفحة نفسها عن الحرب اليهودية الانكليزية ١٩٤٥ — ١٩٤٧ « ان سبب هذه الحرب الرئيسي هو ان الانكليز منعوا الهجرة الى فلسطين والسبب الاخر هو ان الصناعة المحلية كانت اثناء الحرب بيد اليهود وكانت المونة للجيش البريطاني ولكن عندما انتهت الحرب بدأت الصناعة البريطانية تنافس الصناعة اليهودية وكان الاصطدام بين الراسمالية اليهودية النامية وبين المنافسة الانكليزية حتميا » .

ان المؤلف هنا يثبت نقطة مهمة وهي بالضبط نقيض لموقف الحزب الشيوعي منها ، فالمؤلف — وهو يهودي لا صهيوني — يقول عن الحرب بين الفلسطينيين والانكليز انها حرب تحرير بينما الحرب التي قادها الصهيونيون ضد الانكليز لم تكن اسبابها الا لتغليب الراسمال اليهودي وقوى اميركا النامية داخل الحركة الصهيونية وهو بهذا يعتبر هذه الحرب حربا بين راسماليتين .

اما توني كلف (في كتيب « الصراع في الشرق الاوسط » الصادر عن الاشتراكية الدولية) فهو يرى بان حل القضية الفلسطينية لن يكون بمعزل عن التطورات في العالم العربي وهو يقول بان الحل الوحيد للقضية الفلسطينية هو في انهاء الصهيونية وقيام دولة اشتراكية في الشرق الاوسط .

ان هذه الحركة تولي القضية الفلسطينية اهتماما كبيرا . ولقد حدث تغيير كبير في اتجاه هذه الحركة فبعد ان كانت تؤيد حق المصير بالنسبة للفلسطينيين وترفض القضاء على الكيان الصهيوني قبل ١٩٦٧، تحولت هذه الحركة بين ١٩٦٧ و١٩٧٠ الى تبني الموقف القائل بان الحل الوحيد هو القضاء على اسرائيل وقيام فلسطين ديمقراطية .

٣ — الحركات الماوية : وهنا يجب التفريق بين ما تعنيه الماوية كحركة ثورية متكاملة وما تعنيه الحركات الماوية في داخل انكلترا . ففي داخل انكلترا يمتاز الماويون بفوضى فكرية . والحركات الماوية تعاني من انشقاقات متواصلة . اما موقفها من القضية الفلسطينية فهو قائم على موقف الصين من القضية الفلسطينية . وتمتاز اقسام هذه الحركة (واهمها الحزب الماركسي اللينيني — جماعة الصين) بمشاركتها في كل التظاهرات التي قامت تأييدا للقضية الفلسطينية واسنادها لجبهة مساندة فلسطين اسنادا كاملا حين تكوينها . ولكن هذه الحركات رغم موقفها العملي الواضح فانها تفتقر الى تحليل ذاتي للقضية الفلسطينية وفي هذا اضرار كبير بالحركة الفلسطينية ، لان التأييد الذي لا يقوم على موقف نظري هو تأييد وقتي . ولكن بعض هذه الحركات الماوية كالحزب الماركسي — اللينيني يحاول بين فترة واخرى تقديم تحليل نظري للقضية الفلسطينية . ولكن هذه الحركات لا تزال بعيدة عن التحليل النظري الصحيح للقضية الفلسطينية.

٤ — جناح الشباب العمالي (يصدر صحيفة اسبوعية militant) : وهؤلاء يشكلون كتلة الشباب الاشتراكي داخل حزب العمال ويقومون بالقاء محاضرات دورية عن القضية الفلسطينية وغيرها من قضايا التحرر . واتجاه هذه المجموعة هو اتجاه تروتسكي ، وهؤلاء يؤيدون القضية الفلسطينية على الصعيدين النظري والعملي . الا ان عددهم قليل جدا رغم انه آخذ بالتنامي البطيء جدا . والسبب في ذلك هو ان المنشقين عن حزب العمال لا ينضمون الى هذه الكتلة بل ينضمون الى الحركات اليسارية الاخرى .

اما جناح الشباب الحر فهو الجناح اليساري داخل حزب الاحرار وله مواقف واضحة ومؤيدة للقضية الفلسطينية وله ممثلون في جبهة مساندة فلسطين.وقد قرر الحزب فيما بعد سحب ممثلي هذا الجناح من جبهة مساندة فلسطين . الا ان الشباب الحر بقي يساند القضية الفلسطينية على الصعيد العملي خارج جبهة مساندة فلسطين . وهو ايضا يفتقر الى تحليل نظري للقضية .

٥ — الفوضويون : وهؤلاء عدة اقسام وليس لهم

اي تحليل نظري للقضية الفلسطينية لذلك تتراوح نظرة المنتمين الى هذا الاتجاه بين التأييد الكامل للقضية الفلسطينية والمقاومة وبين معارضتها . وتلعب الاتصالات الفردية للطلبة العرب باعضاء هذه المنظمات دورا رئيسيا في تبنيهم للاتجاه العربي .

٦ — حركة القوة السوداء : وهذه تنقسم الى عدة اقسام الا ان هذه الحركة تتبنى القضية الفلسطينية وتؤيد المقاومة بصورة عامة وفتح بصورة خاصة ، بعكس المنظمات اليسارية التي تؤيد الجبهة الشعبية الديمقراطية وتقف موقف المعارض من فتح . ان هذه الحركة تستند بصورة عامة الى تحليل ستوكلي كارمايكل قائد الحركة السوداء في امريكا القائلة بان القوة السوداء هي جزء من حركة التحرر في العالم الثالث وبان من واجب القوة السوداء تأييد جميع حركات التحرر في العالم الثالث واستنادا الى ذلك فان القوة السوداء في انكلترا تعتبر اسرائيل استيطانا اوربيا في الشرق الاوسط ومن الواجب ازالته وطريق ازالته هو عن طريق المقاومة الفلسطينية . ومن هذا المنطق نفسه يتحرك حزب الفهود السود في انكلترا الذي يكون مجموعة صغيرة جدا وسط القوة السوداء . وطبعا لا تزال هذه الحركة في بدايتها الا انها ذات تأثير كبير جدا على العمال والطلاب والملونين في انكلترا وخاصة في لندن وفي وسط انكلترا وشمالها .

هذه هي الحركات الرئيسية اليسارية في بريطانيا ولقد تكتل بعضها مع الطلبة العرب وكونوا فيما يعرف بجبهة مساندة فلسطين . وكانت اهم العناصر المساهمة في هذه الجبهة هي : الماركسيون الاميون (الماويون) ، الشباب الحر ، قليل من الشباب التروتسكي، اعضاء من الحزب الشيوعي الانكليزي (انصار موسكو) ، الطلبة العرب . وقد بدات جبهة مساندة فلسطين خليطا غير متجانس . ورغم ذلك فقد استطاعت ان تحرك تظاهرات كثيرة في مناسبات مختلفة تأييدا للمقاومة الفلسطينية . الا ان هذه الجبهة بدات تعاني في نهاية ١٩٧٠ من ضعف كبير . وهذا ليس جديدا . فقد حدث الشيء نفسه بالنسبة لجبهة مساندة فيتنام . وسبب فشل الجبهة كما تراه احدى المجلات اليسارية هو : ١ — ان الكفاح الذي يجري في فلسطين هو اعقد كثيرا من ذلك الكفاح الذي يجري في فيتنام ، ٢ — سيطرة الماويين على جبهة مساندة فلسطين بدون افساح المجال للمجموعات الاخرى . ٣ — سيطرة عناصر ليبرالية على قيادة الجبهة . ٤ — ان الطلبة العرب القياديين في الجبهة هم عناصر قومية بحتة وذوو ارتباطات رجعية .

هذه هي الملامح الرئيسية للمجموعات اليسارية في بريطانيا وهي تتراوح بين التأييد المطلق غير المدعوم باي تحليل نظري الى التأييد القائم على النقد البناء بموجب نظرية وتحليل للقضية الفلسطينية . ان هناك تأييدا لهذه العناصر اليسارية في قطاعات الطلبة وتسيطر هذه المجموعات على اتحادات طلابية كثيرة في بريطانيا. الا ان الطلبة العرب يفتقرون الى شن الدعاية اللازمة بين هذه القطاعات والقطاعات الموالية لها والسبب يعود الى ان كون الطلبة العرب يعزلون انفسهم بصورة عامة عن الواقع السياسي الذي يعيشون فيه ، عكس المبعوثين الاسرائيليين الذين يحاولون المستحيل للنفوذ الى هذا القطاع المهم في الحركة السياسية البريطانية .

ان من واجب انصار المقاومة من الطلبة العرب في الخارج تركيز جهد اكثر لكسب هذه الحركات وتطوير نظرتها الى القضية الفلسطينية . وهذا لا يتم بدون ان يتعاون الطلبة العرب مع اليسار الانكليزي في جميع المهام والقضايا ، وليس في القضية الفلسطينية وحدها . ان على الطلبة العرب ان يتفاعلوا بصورة اكثر مع هذه المنظمات وهذا لا يتم بدون الايمان بان النضال العربي ونضال المقاومة هو جزء من حركة النضال العالمي.

الدكتور سلمان رشيد سلمان

الرسالة الثانية

اذاعة لندن في عيد ميلادها الخمسين .. والعرب

في شهر تشرين الثاني الماضي احتفلت هيئة الاذاعة البريطانية بمرور خمسين عـاما على تأسيسها ، فخصصت الصحف الاعمدة الطويلة في تعليقاتهـا وافتتاحياتها لهذه المناسبة . ومع ان ليس كل ما كتب كان مديحا خالصا للبي بي سي ، اذ وجدت أكثر من جهة بريطانية ثغرة في الاذاعة وجهت اليها نقدها ، الا أن الراي اجمالا كان بأن البي بي سي، باذاعتها الانكليزية لما وراء البحار ، وبرامجها الاجنبية المذاعة في خمس وثلاثين لغـة ، تؤدي خدمات اعلاميـة جيدة تجلب الدعاية الطيبـة لبريطانيا . ولم يخطر ببال صحيفة من الصحف البريطانية أن تفحص سجل البي بي سي في مـا يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، لتبين ما اذا كان موقف الاذاعة الشهيرة موضوعيا ام منحازا ، ولا سيما في ضوء الحملة المصرية الاخيرة التي اتهمت اذاعة لندن باختلاق الانباء واتخاذ المواقف المعادية للعرب . وعلى اية حال ، لم تكن الحملة المصريـة اول مرة تثـار فيهـا ضجـة عربية حول موقف الاذاعة المذكورة من العرب ، اذ كانت « شؤون فلسطينية » في عددها الثالث الصادر في تموز ١٩٧١ قد تضمنت بحثا عنوانه : رسالة بريطانية : الاذاعة البريطانيـة والصراع العربي الاسرائيلي ، وفيه وضعت البي بي سي بالميزان انطلاقا من حديثين لاذاعيين بريطانيين نشرا بعد اذاعتهما في مجلة « ذي ليسنر » التي تصدر عن اذاعة لندن . وكان الاذاعيان براين ماغي وف. ر. مكنزي قد تحدثا عن التحيز ضد العرب في الاوساط الاعلامية البريطانية ، وعن الملاحقة التي تعرض لها بعض الاذاعيين البريطانيين من قبل الصهيونيين لانهم التزموا الموضوعية في عملهم . وقد نشر هذان المقالان في عـدد « ذي ليسنر » الصادر في ١٩٧٠/٣/١٩ وبدا منهما ومن رسائل القراء التي نشرت في ستـة اعداد متتاليـة ان المشرفين على البي بي سي سيعيدون النظر في سياستهم الاذاعية تجاه العرب . الا ان الاشهر التي تلت ظهور المقالين شهدت المزيد من التحيز في برامج الاذاعة . فقد بقي الصهيوني مايكل الكنز الذي عرف بارتباطه بالشين بيت (الاستخبارات الاسرائيلية) مراسلا للبي بي سي في اسرائيل ، مع ان مراسليها في بقية انحاء العالم هم مـن البريطانيين . كما ان معلقي الاذاعة أمثال ستانلي ميز وجورج غريتن ووليم فوريست واصلوا التهجم على العرب . وبدا تحيز الاذاعة واضحا ايضا في الطريقة التي يتم فيها ترتيب فقرات الانباء في نشراتها الاخبارية ، وفي انتقائها لتعليقات الاذاعات العربية والاسرائيلية ضمـن البرنامج الاسبوعي « ما تقوله الاذاعات الاخرى » وفي اختيارهـا للساسة والمعلقين للاشتراك في ندواتها الاذاعية التي تبحث شؤون الشرق الاوسط . هذا كله ورد بتفصيل في البحث المنشور في « شؤون فلسطينية » الذي أعادت نشره ملخصا مجلة اسبوعية بيروتية. كما وصلت نسخة من العدد الى مدير البرامج في اذاعة لندن . وبدا لفترة بعد ذلك وكأن البيبيسي تحاول التخفيف مـن تحيزها ضد العرب . فان دونالد وات ، المحاضر في معهد الدراسات الدولية بلندن ، الذي كانت الاذاعة تطلب منه بين الحين والاخر التعليق على التطورات في الشرق الاوسط ، والذي عرف بحقده الشديد على العرب ، لم يعد يعلق على الشؤون العربية . وكذلك خفت وطأة التهجم في أحاديث المعلقين الاخرين ، ولكن موقف الاذاعة الاساسي المناوىء للعرب لم يتغير .

ثم جاءت حادثة المناضلين اليابانيين الثلاثة في مطار اللد ، فانقلبت الموازين مرة اخرى ، وحلت نبرة تكاد تكون هستيرية في احاديث المعلقين لاول مرة منذ حوادث خطف الطائرات في أيلول ١٩٧٠ . والغريب ان المعلق الذي كان الاكثر تهجما وعدائية في هذه الفترة هو جيمس تومسن ، المدير السابق للبرنامج العربي في الاذاعة . فقد بز حتى دونالد وات في تحامله ونقمته على العرب . ومما يجدر ذكره ان تومسن هذا كان قد كتب مقالا في العدد الرابع من مجلة ميدل ايست انترناشنل (تموز١٩٧١) التي يصدرها مجلس التفاهم العربي البريطاني (كابو) عنوانه : الصدق وحده يفيد — هذا هو استنتاج البي بي سي . في هذا المقال استعرض تومسن تاريخ البرنامج العربي في اذاعة لندن ، ذاكرا ان الاذاعة قاومت جميع الضغوط الحكومية عليها اثناء حملة السويس عام ١٩٥٦ من اجل ان تبقى مستقلة ومحايدة « وقد كوفئت على تفضيلها

الصدق على الدعاية العارية ، فكسبت ثقة مستمعيها وضاعفت ساعات بثها » ونوه تومسن بالمصالح البريطانية ذات المدى البعيد في العالم العربي ، مختتما مقاله بالعبارة التالية : « ان هدف الاذاعة الاول هو تقديم المعلومات ، والمعلومات كاية سلعة أخرى لن تجد سوقا لها اذا لم يكن صدق الاذاعة فوق الشبهات » . تعليقا على هذا الادعاء ينبغي القول ان البرنامج العربي في البي بي سي لا يحتوي على عشر التحامل على العرب الذي يحتويه البرنامج الانكليزي العام . اذ لو كانت التعليقات نفسها التي تذاع في البرنامج العام تكرر في البرنامج العربي ، لفقدت الاذاعة الاغلبية الساحقة من مستمعيها العرب خلال اسابيع معدودة ، وكان المفروض على جيمس تومسن ان يسجل هذه الحقيقة الواضحة لكل من يستمع الى البرنامجين ويعقد المقارنة بينهما . فالبرنامج العربي ، مثلا ، لا يدعو الدعائي الصهيوني المحترف جون كمشه ليعلق على التطورات السياسية في البلاد العربية ، مثلما يحدث في البرنامج الانكليزي العام . كما ان تعليقات دونالد وات لا تترجم الى العربية ، اذ ليس من مصلحة البرنامج العربي ان يعلم المستمع كم هي درجة الحقد ضد قومه لدى بعض المعلقين البريطانيين . ولكن الاغرب من ذلك كله أن يتولى الحديث عن الصدق والموضوعية رجل مثل تومسن ظل يشهر بالعرب في تعليقاته . وليس تومسن هو المعلق الوحيد الذي يفتقر الى النزاهة . فهناك ايضا بيتر جونسن الذي يحمل في تعليقاته على الاتحاد السوفياتي لرفضه السماح لليهود بالهجرة الى « ارض اجدادهم » . كما انه في تعليق آخر موضوعه : الزواج المدني في اسرائيل والازمة الوزارية ، سارع الى تبديد أي شك قد يدور حول ديمقراطية اسرائيل ، حينما قال بأن « هذه الازمة قد تبدو لغير المطلع وكأن اسرائيل دولة ثيوقراطية ، بينما هي في الواقع دولة نظامها ديمقراطي حي » . (٢٢ — ٦ — ١٩٧٢) .

وفي تعليق ألقاه ستانلي ميز في ٣ — ٧ — ١٩٧٢ ودار موضوعه حول انشاء مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في لندن ، والاشاعة الدائرة حول احتمال زيارة ابو عمار لبريطانيا ، كانت العبارة النهائية في التعليق هي : « اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية تبغي ان يسمع صوتها في الغرب ، فعليها ان تتنصل من خطف الطائرات والقتل المستهتر » . ولم يجد هذا المعلق داعيا لان يتساءل لم لم يسمع الغرب صوت الفلسطينيين عندما لم يكن هناك لا قتل ولا خطف طائرات .

وقد بلغ الحقد على العرب أوجه اثر حادثة الالعاب الاولمبية في ميونيخ عندما لعب تومسن دورا رئيسيا في تعبئة مستمعي البي بي سي ضد العرب . ولم تهدأ عاصفة النقمة هذه حتى بعد مرور اشهر على الحادثة . وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٧٢ اذاعت البي بي سي في نطاق برنامجها المدعو « العالم اليوم » احاديث مسجلة لكل من الملك حسين والجنرال ديان ورئيس بلدية غزة المقال رشاد الشوا ورئيس الوزراء صائب سلام والناطق الرسمي باسم المنظمة كمال ناصر والعميل الاسرائيلي محمد ابو شلباية . ولقد وجه الاسئلة وعلق عليها الاذاعي الان هارت . وكان هارت قد سجل برنامجا مماثلا بعد مجازر ايلول ، تضمن حديثا مع ابو عمار . الا ان صوت ابو عمار لم يسمع في ذلك البرنامج ، كما سمع صوت هارت وهو يصرخ مكررا : « لقد هزمتم ، فلماذا لا تعترفون بالهزيمة !! » وقد توجه هارت بعد ذلك الى اسرائيل حيث سجل احاديث مع بعض الساسة الاسرائيليين . وفي هذه الاحاديث اعلن هؤلاء بدون مواربة عن تصميمهم على البقاء في اجزاء كبيرة من الاراضي التي احتلت بعد حرب حزيران حتى لو تم التوصل الى تسوية نهائية مع العرب . وقد تركهم هارت يتحدثون دون مقاطعة او تعليق هذه المرة . اما في برنامجه الاخير (١ — ١١ — ١٩٧٢) فقد ضرب هارت رقما قياسيا في التعصب الاعمى ضد الفلسطينيين . تساءل هارت في بداية برنامجه ، وبعد ان تحدث عن منظمة أيلول الاسود واستشهد بمعلومات الاستخبارات الاردنية عنها ، عما اذا كان « الارهاب » هو الخيار الوحيد بيد الفلسطينيين ، ثم اجاب على سؤاله هو بالاشارة الى مشروع الملك حسين للتسوية ، ذاكرا ان هذا المشروع يستهدف التفاهم مع اسرائيل فيما لو أعادت الى الاردن الجزء الاكبر (كذا) من الضفة الغربية . وبعد ذلك تحدث الملك حسين فأبدى حرصه على وجوب احتفاظ الفلسطينيين بهويتهم المميزة في الكيان الفدرالي المتيد . وتبعه المذيع روبرت ديهانلند ، زميل هارت ، الذي تحدث عن الخدمات البلدية التي تعتزم اسرائيل ايصالها الى مخيمات اللاجئين في غزة ، وعن اقالة الاسرائيليين

لرشاد الشوا، واصفا هذه الاقالة بأنها تناقض ادعاء المقاومة الفلسطينية بأن الشوا هو عميل اسرائيلي. واخيرا يأتي دور الشوا ، فنسمع صوته يقول ان الناس قد سئموا المشكلة كلها ، ويتمنون التوصل الى اتفاق ، وان التسوية المرتجاة هي التي تتضمن الاحتفاظ بغزة عربية والحاقها بالضفة الغربية ، وربط المنطقتين بالاردن في اتحاد فدرالي . ويعقب ديهانيلند على ذلك بقوله ان غزة كانت منذ ١٩٤٨ ارضا خصبة لاكثر الفلسطينيين تطرفا ، ومستطردا من ذلك الى القول بأن مستوى المعيشة قد ارتفع ثلاثة اضعاف في غزة بسبب العمل الذي وجده ابناؤها داخل اسرائيل . ويتبعه محمد ابو شلبايه الذي يقدمه المذيع الى المستمعين على انه كاتب ومحاضر فلسطيني بارز ، فيؤكد استعداد السكان للقبول بتواجد القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية حتى في حالة اجراء الانتخابات العامة لتقرير مصير المنطقة المحتلة باشراف الامم المتحدة . ويتدخل هارت ليعلن بأنه كلما ازداد «الارهاب الفلسطيني» تبع ذلك ازدياد في التصلب الاسرائيلي . ويوافقه ابو شلبايه على رأيه هذا معتبرا ان « الاعمال المماثلة لما حدث في ميونيخ ستزيد من تباعد المعتدلين الاسرائيليين عن الاهتمام بحل القضية حلا منصفا » . ويدلي الجنرال ديان ايضا بدلوه في النقاش فيؤكد لهارت بأن اهالي الضفة الغربية وغزة راضون تماما عن الوضع الحالي ولا يوجد اي مانع يحول دون استمرار هذا الوضع مدة طويلة . واخيرا يصل البرنامج الى ذروته عندما نسمع تسجيلا لاطفال يهتفون ، وتعليقا لهارت يقول فيه : « هذا المشهد يتكرر كل صباح قبل الدخول الى الصفوف ، والشعارات هي نفسها : الى فلسطين ، التحرير ، الجهاد ، القتال ، اقتلوا . وكثير من الاطفال الذين تغسل ادمغتهم بهذه الطريقة هم في الثالثة او الرابعة او الخامسة من العمر . وعندما يبلغون التاسعة او العاشرة ، يقضون بعض الوقت في معسكرات التدريب ليتعلموا استخدام السلاح ورمي القنابل اليدوية » .

ان هارت لم يكن ليتخذ هذا الموقف المتطرف في تحيزه ضد العرب ، فيتهجم عليهم ويشوه دوافعهم لو لم يكن يعلم انه بذلك يسير على خط الاذاعة المرسوم . وللتخفيف بعض الشيء من تحيزه ، يتظاهر هارت بالوقوف موقف المحايد العاطف على العرب . فهو يروج لمشروع الملك حسين الرامي الى التفاهم مع اسرائيل في حالة اعادتها **الجزء الاكبر** من الضفة الغربية اليه ، ويدفع عن الشوا تهمة العمالة مستندا الى اقالة الاسرائيليين له .

اما ديهانلند الذي يفترض فيه ان يكون قد زار غزة وشهد الظروف القاسية التي يعيش فيها اهاليها فالشيء الذي وجده ايجابيا ويستحق الذكر هو الخدمات البلدية التي تبغي اسرائيل ايصالها الى مخيمات اللاجئين . وهنا مرة اخرى تبرز الصورة التي ترسمها الدعاية الغربية للفلسطيني : انه هو الذي يفضل البقاء في بؤرة بؤسه وشقائه، رافضا كل يد تمتد اليه بالمساعدة. ولا ينسى ديهانلند ان يذكر المستمع بمستوى المعيشة الذي ارتفع ثلاثة اضعاف بفضل الاسرائيليين . وبعد ذلك يقدم للمستمع محمد ابو شلبايه، مقتبسا الاسلوب نفسه الذي كان يستخدمه الدعائي الصهيوني جون كمشه في مجلة نيو مدل ايست . فكمشه هو الذي خلق النكرة ابو شلبايه من لا شيء عام ١٩٦٨ وجعله ناطقا باسم الفلسطينيين « لاعتداله ورجاحة عقله واخلاصه لقومه » . اما نقطة الذروة في البرنامج ، فتقع في الصورة الصوتية لهتاف الاطفال وتعليق هارت عليها . ان الهتاف الصادر عن اطفال المدرسة ليس واضحا ليعلم المستمع ما هي الكلمات الواردة فيه ، ولكن هارت يتولى اخباره : ان الاطفال يدعون الى القتل وسفك الدماء ، ورجال المقاومة يقومون بعملية اجرامية عندما يغسلون عقول الاولاد الابرياء ويحرضونهم على القتل . اي ان المقاومة الفلسطينية كلها هي عصابة من القتلة ذوي العقول المنحرفة الشاذة التي تلتذ برؤية الدماء .

ولا يقتصر تحيز اذاعة لندن على التعليقات والندوات الاخبارية ، بل يتجاوزه الى النشرات الاخبارية . فالاذاعة تجاهلت الغارة الاسرائيلية على القرى السورية في بداية تشرين الثاني ، وهي الغارة التي نتج عنها مقتل وجرح العشرات من المدنيين بينهم الاطفال والنساء . وتجاهلت ايضا اغتيال الشهيد وائل زعيتر في روما مع ان هذا الخبر احتل الصدارة في الصحف الاوروبية . ولكنها كانت السباقة في الكشف عن محاولة انقلابية مزعومة في مصر . ويجب مقارنة ذلك مع تجاهلها لمحاولة الانقلاب في الاردن ، فمراسل البي بي سي لم « يكتشفها » الا بعد ان اعترف الملك حسين بها . والغريب انه في الوقت الذي يقف فيه البرنامج الانكليزي الخارجي هذا الموقف المعادي

للعرب ، نجد البرنامج العربي يضاعف جهوده من اجل كسب المزيد من المستمعين العرب . ففي تشرين الاول الماضي دب القلق في نفوس المشرفين على هذا البرنامج من جراء منافسة اذاعة مونت كارلو العربية لاذاعتهم ، وبعثوا بأحد المسؤولين الانكليز في البرنامج ليقوم بجولة في بعض الاقطار العربية ، يستطلع الاراء فيها ، ويدرس ردود الفعل العربية (على صعيد المستمعين) لمناهج البي بي سي العربية . ومن الواضح ان هيأة الاذاعة البريطانية حريصة جدا على الاحتفاظ بمستمعيها العرب ، بل وحتى في زيادة عددهم . ونحن نعلم من مقال الاذاعي كيث كايل في « ذي ليسنر » ان البي بي سي تعرضت لضغط صهيوني قوي بعد حرب حزيران . فقد قام وفد من النواب اليهود في مجلس العموم البريطاني بزيارة اللورد هيل ، رئيس مجلس ادارة الاذاعة . ونتج عن الضجة الصهيونية التي افتعلت في بريطانيا ان اضطر المستر كوران مدير عام البي بي سي الى دعوة السفير الاسرائيلي وملحقه الصحفي الى الغداء والاجتماع بمديري الاذاعة. وكانت ثمرة ذلك كله استخذاء بريطانيا غريبا امام هذا الابتزاز ، علما بأن هيأة الاذاعة البريطانية ليست مثل التايمز ، صحيفة تعيش على الاعلانات . انها مؤسسة مستقلة ضمن الحكومة البريطانية ، وميزانيتها تاتي من دافع الضرائب البريطاني وليس من اعلانات شركة مارك اند سبنسر وغيرها من الشركات اليهودية ، كما هي الحال مع الصحف . ومن الجدير بالذكر ان كيث كايل قال في خاتمة مقاله ان الاقطار العربية تمتلك وسائل ضغط قوية لمواجهة النفوذ الصهيوني في بريطانيا ، الا انها لا تستخدمها . ولذا فانه في غياب أي محاولة للضغط على البي بي سي ، يمكننا ان نتوقع المزيد من التحيز من هذه الاذاعة الكبرى ذات النفوذ الواسع بين اذاعات العالم . فانها أساسا تتحدث بلسان المؤسسة البريطانية القائمة التي هي بحكم طبيعتها الامبريالية ضد أماني العرب وتطلعاتهم ، فكيف اذن اذا وقعت تحت الضغط الصهيوني الشديد ؟ ان الفرق بين اليوم وقبل خمسين عاما هو التالي : يومذاك كانت اذاعة لندن تخدم مصالح الامبراطورية البريطانية ، اما اليوم وقد غربت الشمس عن هذه الامبراطورية ، فالاسد العجوز المتقاعد اصبح يضع خدماته الصحفية والاذاعية والسياسية تحت تصرف القوة التي خلفته في منطقة الشرق الاوسط : اسرائيل .

ف. المنصور

الرسالة الثالثة

الانتخابات الاميركية في عام ١٩٧٢ واليهود الاميركيون

في ٧ تشرين الثاني ١٩٧٢ نال الرئيس نيكسون من اصوات اليهود ثلاثة اضعاف ما ناله من هذه الاصوات تقريبا عام ١٩٦٨ . وحسب دراسة لعينة من الدوائر الانتخابية ، قامت بها وسائل الاعلام ، فاز نيكسون بـ ٤٣ ٪ من الاصوات اليهودية على المستوى القومي[١]. وقد أظهرت الردود التي توفرت ان اكبر حجم للاصوات اليهودية المساندة لنيكسون قد سجلت في المناطق التي يجتاحها التوتر العنصري . ففي ميتشيغان حاز نيكسون ٢٥ ٪ من الاصوات اليهودية بالمقارنة مع ١٠ — ١٢ حصل عليها قبل ٤ سنوات . وكذلك أعطت مقاطعة كانارسي في بروكلين ، حيث تشتد الكثافة اليهودية، والتي يشتد فيها الجدل حول مشكلة الباصات ، أعطت نيكسون ٥٤ ٪ من اصواتها مقابل ٢٣ ٪ عام ١٩٦٨[٢].

ان انماط التصويت اليهودية في انتخابات ١٩٧٢ قد أثارت اهتماما خاصا ، بالنظر الى الجهود المكثفة التي بذلها كل من ماكغفرن ونيكسون لارضاء الناخب اليهودي . اذ بينما يشكل اليهود ٣ ٪ من السكان فان الاصوات اليهودية حاسمة في ١١ ولاية أساسية — نيويورك ، كاليفورنيا ، اوهايو ، بنسلفانيا ، الينوي ، فلوريدا ، نيو جرسي ، ماساتشوستس ، كونكتيكت ، رود ايلاند وميتشيغان . ولهذا ، ركز المرشحان على القضايا التي تهم اليهود بشكل خاص ، والتي تخرج عن دائرة القضايا الداخلية البحتة . وهذه القضايا كانت بشكل أساسي ، دعم التوسع الاسرائيلي والقلق بشأن اليهود السوفيات . ان تحسن موقف نيكسون بين اليهود يعزى ، الى حد كبير ، الى شعور ، ساد دوائر يهودية كثيرة ، بأنه قد «وفى» بعهده لدعم اسرائيل بينما كان ماكغفرن كمية مجهولة رغم تصريحاته الكثيرة المؤيدة لاسرائيل . كان هناك ميل لدى اليهود لربط ماكغفرن باليسار الجديد الصاخب والمعادي لاسرائيل، وبالراديكاليين الاخرين الذين تبنوا موقفا مؤيدا للعرب[٣]. ويعتقد ان مواقف كهذه قد لعبت دورا في تخلي يهود عن ولائهم التقليدي للحزب الديموقراطي . ففي سنة ١٩٥٢ ، مثلا ، صوت ٧٣٫٩ ٪ من يهود الولايات المتحدة لصالح ادلاي ستيفنسون ، وفي سنة ١٩٥٦ بلغت النسبة ٧٧ ٪[٤].

ان التغييرات العملية التي يمكن توقعها هي قليلة ، هذا اذا وجدت ، كنتيجة لهذه الانتخابات ، عند النظر في علاقات الولايات المتحدة واسرائيل ، ومسألة اليهود السوفيات ، من قبل لجنتي العلاقات الخارجية والتخصيصات في مجلسي النواب والشيوخ . لقد لقيت كل من قضيتي اليهود السوفيات واسرائيل اهتماما وديا خلال فترة الكونغرس الثاني والتسعين الذي خصص اكثر من ٧٥٠ مليون دولار لاسرائيل . وسيستمر السناتور وليام فولبرايت (ديموقراطي من اركنساس) كرئيس للجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ . لكن السناتور وليام سبونج وهو ديموقراطي من فرجينيا كان يدعم اسرائيل ، لن يعود . وهناك أربعة أعضاء في لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ، مناصرين لاسرائيل ، رشحوا وأعيد انتخابهم . وهم ، من الحزب الجمهوري شارلز بيرسي من الينوي وج. ب. بيرسون من كانساس ، ومن الديموقراطيين كليربورن بل من رود آيلاند وجون سباركمان من الاباما ، وجميعهم اصدقاء لاسرائيل .

بعض من اصدقاء اسرائيل الذين هزموا : خسر السناتور جـ. كيلب بوغز (جمهوري من ديلاوير) الذي كان صديقا لاسرائيل الحملة لاعادة انتخابه ولن يعود الى اللجنة . وكذلك الامر مع السناتور غوردون الوت (جمهوري من كولورادو) الذي كان أيضا صديقا لاسرائيل وليهود الاتحاد السوفياتي . وهو رئيس اللجنة السياسية للحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ . وقد خسر بوغز لصالح ر. بايدن ، وهو محام عمره ٢٩ عاما .

---

١ — **جويش ويك** ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، ص ٤ .

٢ — **جويش تلغرافيك آجنسي** ، ٩ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، ص ١ .

٣ — **المرجع نفسه** .

٤ — **المرجع نفسه** .

وكان يوصف بأنه « ايجابي جدا » تجاه « المسائل اليهودية » . وستظل لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب والمؤلفة من ٣٩ عضوا ، يقودها ، كما في الماضي ، الدكتور توماس مورغان (ديموقراطي من بنسلفانيا) ، الذي يملك سجلا مؤيدا لاسرائيل بقوة . وهناك عضوان لن يعودا هما جون مورغان (ديموقراطي من كونكتيكت) وج. ايرفنغ والي (جمهوري من بنسلفانيا) وقد كانا يدعمان اسرائيل بقوة . وقد ربح النائب جيمس ابو رزق (ديموقراطي من داكوتا الجنوبية) مقعدا في مجلس الشيوخ بعد ان امضى فترة نيابية واحدة في مجلس النواب . وهو أول شخص من أصل عربي يخدم في مجلس الشيوخ .

١٢ يهوديا في مجلس النواب : سيكون هناك على الاقل ١٢ يهوديا في مجلس النواب عندما يجتمع الكونغرس الثالث والتسعون . وهذا هو عددهم نفسه في الكونغرس الثاني والتسعين ، واقل بعضوين من الرقم القياسي في الكونغرس التسعين عام ١٩٦٧ . وقد أعيد انتخاب ثمانية يهود لمجلس النواب : بيلا س. أبزوغ ، ادوارد كوخ ، برترام بودل ، بنجامين روزنتال وليستر وولف عن مدينة نيويورك ، وسيدني ييتس عن شيكاغو ، وجوشوا آيلبرغ عن فيلادلفيا ، وسام ستايغر عن أريزونا . وجميعهم ، باستثناء ستايغر الجمهوري ، ديموقراطيون . وقد انتخب أربعة يهود جدد هم : اليزابيث هولتسمان عن بروكلين ، نيويورك ووليام لهمان عن ميامي بيتش وادوارد مزفنسكي عن مدينة ايوا ، وكلهم ديموقراطيون ، وبنجامين فيلمان ، جمهوري عن ميدل تاون ، نيويورك . ومزفنسكي هو أخو نورتون مزفنسكي اليهودي المعادي للصهيونية . وورد في التقارير انه يعارض سياسة أخيه المعادية لاسرائيل . أما الانسة هولتسمان البالغة من العمر ٣١ عاما وخريجة كلية القانون في هارفارد فتحل محل ايمانويل سيلار البالغ ٨٤ عاما وهو رئيس ذو نفوذ للجنة القضائية التابعة لمجلس النواب . وهناك خسارة كبيرة لليهود تمثلت في سقوط النائب آبنر ميكفا ، ديموقراطي من شيكاغو ، لصالح الجمهوري صموئيل يونغ وهو محامي شركة .

والان وقد انتهت الانتخابات هل تتقدم الولايات المتحدة بمبادرة جديدة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي ؟ حسب ما جاء في صحيفة « ايفننغ ستار آند ديلي نيوز » الصادرة في واشنطن العاصمة والمقربة من ادارة نيكسون « ليس من المحتمل ابدا ان يحدث تقدم مثير نحو السلام في الشرق الاوسط ، وعلى الاقل ليس قبل انتخابات السنة القادمة (١٩٧٣) في اسرائيل ، وحتى آنذاك من المستبعد ان تلعب الولايات المتحدة دورا قياديا »(٥).

عوده أبو ردينه

---

٥ — ايفننغ ستار آند ديلي نيوز ، ٤ كانون الاول ١٩٧٢ ، ص A 18.

فلسطين في ثلاثة مؤتمرات

المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثـورة الفلسطينية

لا شك ان انعقاد المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية كان بحد ذاته ، بغض النظر عن كل المناقشات والمساجلات التي تخللته — والتي كانت على اي حال ايجابية ومثمرة — حدثا عربيا بالغ الاهمية خاصة في ظل الظروف الراهنة التي تتميز قبل كل شيء بحالة من الترقب القلق والتردد القاتل والانحسار الواضح لحركة التحرر العربية بشكل عام . ولا شك أيضا ان وصـول حركة التحرر العربية الى هذا المأزق هو النتيجة الحتمية والثمن الذي لا بد من دفعه لهزيمـة حزيران . ومن الطبيعي ان لا يكون أي لقاء عربي في وضع كهذا متقدما كثيرا على مجمـل الوضع العربي العام مهما كانت نوعية القوة المشاركة فيه ومهما كانت مواقعها متقدمة ، ان كل ما يمكن أن يقدمه لقاء من هذا النوع بالتحليـل الاخـير مساهمة اكيدة وثمينة في بلورة وتوضيح المهـام الراهنة الملقاة على عاتق حركة الثورة العربيـة ومن ضمنهـا الثورة الفلسطينيـة . وقبـل ان نحاول تقييم نتائج هذا المؤتمر الشعبي يبدو لنا من الضروري القاء بعض الاضواء على اعماله والهدف الاساسي منه والمواضيع التي عالجها والقوى التي مهدت لانعقاده بالاضافة الى تلك التي شاركت فيـه .

فكرة المؤتمر : بعد مجازر ايلول ومحاولات تصفية **المقاومة الفلسطينية في الاردن وازاء ردود الفعل** الشعبية الغاضبةفي مختلف أرجاء الوطن العربي على كل ما حدث للمقاومة التي كانت تذبح على مرأى من الجماهير العربية دون ان تستطيع هـذه الاخيرة ان تتجاوز مرحلة ردود الفعل الى مرحلة **العمل الحقيقي المنظم ، بدأت بعـض الاسئلـة** تطرح بالحاح في محاولة لتحديد نقطة الخلـل في **كل هذا : لمـاذا لم تستطـع الجماهير العربية** الخروج من غضبتها العفوية لتسانـد الثـورة الفلسطينية عمليا وفعليا ؟ هل أن « فلسطينية » العمل الفدائي كانت هي السبب وهل ان انعدام الالتحام العضوي والتنظيمي بين مختلف فصائـل الثورة العربية وبين طلائعها المسلحة كان له دور أساسي في نجاح النظام الاردني باستفراد المقاومة؟ **ام ان الخلل كامن في الثورة الفلسطينية نفسها سواء من حيث ممارساتها ام تنظيمها وفكرها ؟**

من الصعب جدا الاجابة بشكل قاطع على هـذه التساؤلات الا ان ما لا نستطيع نكرانه وتجاهله هو أن المقاومة بدأت تكتشف بوضوح ان معركتهـا لا يمكن ان تكون منتصرة ما لم تكن في الـوقت نفسه معركة كل القوى الوطنية والتقدمية علـى امتداد الوطن العربي . من هنا كان هذا المؤتمر سواء من حيث القوى المشاركة والمراقبة التـي دعيت اليه أم من حيث المناقشات الحادة التـي تخللته ، بداية مهمة وجدية للاجابة على التساؤلات الكثيرة والملحة التي افرزتها الاوضاع الراهنة .

طبعا لم يكن هذا المؤتمر اول تجمع وطني وتقدمي يشهده الوطن العربي كما أن فكرته لم تكن وليدة ساعتها . لقد كان هناك **ملتقى الخرطوم الفكري ونِدوة الاشتراكيين العرب** في الجزائـر وكذلـك **المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني** الـذي حشد وفودا تقدمية من مختلف انحاء الوطن العربي الا أنه لميتجاوز حدود التظاهرة الاعلامية علىالرغم من مبادرة الوفود العربية التي دعيت لحضوره الى الدعوة لمؤتمر عربي واسع لكل القـوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي . ثم اخيرا كان هناك **المؤتمر الشعبي الفلسطيني** الذي انعقد في القاهرة في شهر نيسان الماضي وصدرت فيه عـن الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية المدعوة مبادرة بالدعوة الى مؤتمر شعبي عربـي لنصرة الثورة الفلسطينية . وقد بدأت هذه المبادرة تتجسد عندما تشكلت اثر ذلك لجنة تحضيرية أخذت على

عاتقها تحضير هذا المؤتمر وتنظيمه . وقد ضمت هذه اللجنة الاحزاب والمنظمات التقدمية العربية التالية : ١ — الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر. ٢ — حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق . ٣ — الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا . ٤ — الجبهة القومية في اليمن الشعبية الديمقراطية. ٥ — حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية . ٦ — الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان . ٧ — حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية . ٨ — منظمة التحرير الفلسطينية . ٩ — حزب العمل الاشتراكي العربي . ١٠ — الحركة الوطنية في المغرب . وقد عقدت هذه اللجنة التحضيرية اجتماعين في بيروت في ايار الماضي بحثت خلالهما في الوثائق الاساسية التي عرضت على المؤتمر وفي مشروع البرنامج السياسي العام وأوكلت مهامها الى مكتب الامانة الدائم في بيروت الذي وجه الدعوات ونظم المؤتمر وتمكن من التغلب بمرونته على الصعوبات والعراقيل الكثيرة التي اعترضت سبيله سواء من ناحية الدعوات أم التنظيم أم حتى الخط السياسي العام ، وقد كسب المؤتمر بذلك ، حتى قبل ان يبدأ اعماله ، مناعة ضد الفشل التام الذي كان يتوقعه له الكثيرون من المشككين بجدية مثل هذا المؤتمر نظرا لطبيعة القوى المشاركة فيه ومواقعها الفكرية والاجتماعية والاستراتيجية .

المؤتمر من الداخل : مهد للمؤتمر ببيان صحفي صادر عن اللجنة التحضيرية جاء فيه أن الهدف من هذا المؤتمر هو « اقامة جبهة من الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والتقدمية العربية على اختلاف منطلقاتها الفكرية والاجتماعية للمشاركة في كفاح الشعب العربي الفلسطيني انطلاقا من ضرورة تغليب التناقض الرئيسي ، أي التناقض مع القوى المعادية ، على التناقضات الثانوية القائمة بينها ... »

عقدت الجلسة الافتتاحية صباح الاثنين ٢٧ تشرين الثاني في فندق بوريفاج وكانت مخصصة لالقاء الكلمات وخاصة كلمات الوفود الاجنبية الصديقة التي دعيت الى حضور المؤتمر بصفة مراقب . وكانت هذه الوفود تمثل البلدان الاشتراكية وحركات التحرر في العالم وبعض الاتحادات والمنظمات التقدمية . ثم فتحت المناقشات بعد ذلك وانقسم المؤتمر في اليوم التالي الى لجنتين : لجنة لمناقشة البرنامج السياسي العام والوثائق السياسية التي أعدتها اللجنة التحضيرية ولجنة تنظيمية لوضع الاسس العامة للجبهة المرتقبة . وبقدر ما كان عمل اللجنة الاولى شاقا وصعبا فان اللجنة التنظيمية تمكنت من التغلب على عقباتها بسهولة اكثر .

لقد شهدت اللجنة السياسية مناقشات حادة حول عدة قضايا أساسية منها : ١) الموقف من قرار مجلس الامن . ٢) الحريات الديمقراطية وقضية التحرير .

● **الموقف من قرار مجلس الامن** : لعلنا لا نغالي اذا قلنا أنه كان هناك شبه اجماع على الرفض الضمني لهذا القرار الا ان الخلاف نشب واحتدم عندما ارادت بعض القوى عدم الاشارة اليه بشكل واضح اي بتسميته بأسمه . وحول هذه القضية كانت هناك ثلاثة مواقف : **الموقف الاول** : القوى القابلة بالقرار دون أن تطلب من الاخرين بتأييده ولا برفضه بالاسم . **الموقف الثاني** : القوى الرافضة لقرار مجلس الامن ولكن غير المتمسكة برفضه شكليا وبالاسم حفاظا على وحدة المؤتمر . وقد عبرت عن هذا الموقف احدى الشخصيات الوطنية ، مشاركة في المؤتمر عندما أعلنت : « ان البرنامج السياسي للمؤتمر نص على الشيء الاساسي وهو دعم الثورة في تحرير كامل التراب الفلسطيني . اما قرار مجلس الامن ، فبرغم ان قبوله هو في نظري موقف استسلامي ، فلا يجوز ان يتحول النقاش حوله الى مشكلة زائفة تعرقل قيام جبهة تضم قوى حركة التحرر العربية . » **الموقف الثالث** : رفض قرار مجلس الامن والدعوة الى تبني رفضه من المؤتمر . وكانت حجة القائلين باتخاذ مثل هذا الموقف هو أن التطورات والتراجعات التي شهدتها حركة التحرر العربية عامة والمقاومة الفلسطينية خاصة انما تعود الى قبول قرار مجلس الامن من خلال الموافقة على مشروع روجرز التصفوي . كما ان الموقف من هذا القرار يجب ان يكون استراتيجيا بمعنى أن كل قبول تكتيكي به هو من نوع الاعتراف بميزان القوى الراهن الذي هو لصالح اسرائيل والامبريالية والرجعية . وبعد نقاش سياسي حاد استطاع المؤتمر التوصل الى نص برفض قرار مجلس الامن بشكل واضح ولكن دون الاشارة اليه بالاسم فجاء القرار كما يلي :

« مقاومة كل المشاريع التصفوية التي تقوم على

تكريس الكيان الصهيوني والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى بالحدود الامنة وتحول القضية الفلسطينية من قضية تحرير قومية الى مشكلة لاجئين وتجعل من تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية حركته الوطنية ثمنا لمختلف التسويات والحلول الكلية والجزئية المطروحة لقضية الاراضي العربية المحتلة خلال عدوان حزيران ١٩٦٧ . وتؤكد القوى الوطنية والتقدمية العربية تأييدها ومشاركتها للمقاومة الفلسطينية في تنفيذ استراتيجيتها في هذا المجال » .

● **الموقف من الديمقراطية وقضية التحرير** : وهنا ايضا انقسم المؤتمرون الى تيارين متمايزين : **التيار الاول** يدعو الى الاكتفاء بما اتفقت عليه اللجنة التحضيرية من صيغ عامة اي التأكيد على الترابط العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ولكن دون تعديد نقاط الصدام بين الحركة الثورية العربية وبين الرجعية العربية . **التيار الثاني** حاول دفع المؤتمر الى التخلي عن عمومياته وتحديد هذه المواقع بالاسم . وكان أشد المدافعين عن هذا الموقف الوفود القادمة من الخليج بالاضافة الى الوفد السوداني . وهنا أيضا تم التوصل الى صيغة معدلة أوضح من تلك التي كانت في مشروع البرنامج السياسي فجاء التعديل كما يلي : « التصدي بحزم للقوى الامبريالية والرجعية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي التي تشكل كتلة معادية للثورة العربية عن طريق القواعد العسكرية الاجنبية ونهب الثروة النفطية وفتح الباب واسعا أمام التغلغل الصهيوني المباشر وغير المباشر والتفريط بالسيادة العربية على جزر واراضي المنطقة ومحاصرة حركة الجماهير الوطنية والديمقراطية والانظمة التقدمية بقوة السلاح ... دعم وتأييد الحركة الوطنية الجماهيريةوالديمقراطية والمسلحة في تلك المنطقة ونضالاتها والتصدي بحزم لسياسة القوى الصهيونية والرجعية في منطقة البحر الاحمر ، هذه السياسة التي فتحت الطريق للقواعد والنفوذ الصهيوني من أجل السيطرة على مداخل هذا البحر ضمانا لصالح العدو الصهيوني وللمصالح الامبريالية البترولية ... » كما انه اضيف هدف اخر الى أهداف الجبهة هو التأكيد على الحريات الديمقراطية كضمانة للثورة . وقد تمت صياغة هذا الهدف على الشكل الاتي : « مقاومة كل اشكال القمع الموجهة الى الحركة الشعبية في الوطن العربي والتأكيد على الحريات الديمقراطية للجماهير العربية في التعبير عن ارادتها الوطنية المستقلة في التحرير الشامل وعلى الحقوق الديمقراطية للتنظيمات السياسية والنقابية الشعبية . » وقد تحفظ مندوب واحد فقط على اضافة هذه الفقرة هو مندوب اتحاد قوى الشعب العامل في لبنان .

هذه كانت اهم نقاط الخلاف التي أمكن في النهاية التغلب عليها . أما النقاط التي كان الاتفاق عليها اجماعيا فكانت : — ضمان حرية المقاومة العسكرية والتنظيميةوالسياسية — ضرورة النضال من أجل اسقاط النظام الهاشمي العميل في الاردن — الاتفاق على صيغة الجبهة التنظيمية الى حد ان تبادل الترشيح من قبل أطراف مختلفة ايديولوجيا كان ظاهرة ايجابية ملفتة للانظار . فحزب البعث العربي الاشتراكي رشح مثلا مندوب الحزب الشيوعي العراقي لمقعد الامانة العامة كما ان الحزب الشيوعي اللبناني قام بالخطوة نفسها تجاه مندوب حزب البعث في لبنان .

وبالنسبة الى اللجنة التنظيمية فقد أقرت لائحة داخلية تحدد قيام مؤسسات الجبهة الوطنية وطريقة عملها وانعقادها وتعميمها في كل قطر عربي .

نظرة تقييمية : ان ولادة الجبهة الشعبية العربية كان الى حد بعيد حدثا سياسيا بالغ الاهمية يمكن ان يكون له دور فعال في تطوير العمل الثوري العربي اذ انها المرة الاولى التي يعرف فيها الوطن العربي تنظيما جبهويا على مثل هذا الاتساع وقائما على هذا الحد الادني الواضح من الاتفاق . وهي بهذا المعنى تشكل قفزة نوعية لا يمكن التقليل من اهميتها ولعل كل تشبيه بجامعة الدول العربية او بالمؤتمرات التي تعقد بين الحين والحين ولا تؤدي الى شيء هو من قبيل سوء النية او التشاؤم المرضي في احسن الحالات . الا ان هذا لا يعني بأي حال من الاحوال ان خطر الوقوع ضحية الشلل التنظيمي او الذيلية ليس واردا خاصة اذا علمنا ان الاحزاب التقدمية الحاكمة ممثلة كلها في الامانة العامة . والنتيجة الايجابية الاخرى التي خرج بها هذا المؤتمر هو تأكيده على الابعاد العربية للثورة الفلسطينية . ان كون المؤتمر قد ركز على ان حركة التحرر العربية ليست مجرد حليفة او سند للثورة الفلسطينية وليس الاثنان مجرد شريكين تلتقي مصالحهما هنا وهناك ضمن افق زمني ما بل

انهما ذات واحدة ، هو بالتحليل الاخير انتصار حقيقي للثورة الفلسطينية ، خاصة عندما يصدر مثل هذا الكلام عن مؤتمر شعبي، لا عن مؤسسات حاكمة . ان المؤتمر عندما يقول بان « القوى الوطنية والتقدمية ليست مدعوة فقط لدعم الثورة بل لها ايضا الحق وعليها نفس الواجب للمشاركة فيها جنبا الى جنب مع الشعب الفلسطيني » فانما يكون قد آمن بمركزية الصراع المصيري ضد الصهيونية وبضرورة اضفاء طابع الالحاح والاستعجال على قضية تحرير الارض العربية الفلسطينية لا بل ان المؤتمر يذهب الى أبعد من ذلك فيجعل من قضية فلسطين قضية داخلية في كل بلد عربي . « ان الوجود الصهيوني الغاصب لا يهدد وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه القومية وحسب وانما يستهدف نضال الامة العربية من أجل الوحدة والتحرر والتقدم ، ويلعب دور المخفر الامامي للامبريالية من أجل الحفاظ على وجودها ومصالحها في المنطقة » . ان هذا الحد الادنى من الوضوح الفكري والسياسي الذي تميز به خط الجبهة العام كان أكثر شمولا مما توقع له الكثيرون خاصة اولئك الذين كانوا يترقبون ان يكون هذا المؤتمر تظاهرة خطابية لاعلان التأييد اللفظي للثورة الفلسطينية . ان البعد القومي العربي الذي تجلى في خط الجبهة والمؤسسات التنظيمية المنبثقة عنها اثبتا ان هذا المؤتمر كان « حدثا » شعبيا عربيا خاصة وانها المرة الاولى في تاريخ الحركة الثورية العربية التي تجمع فيها القوى الوطنية والتقدمية شملها في عمل جبهوي يتوفر فيه الحد الادنى المطلوب لنجاح استمراريته وفعاليته . طبعا كانت هناك محاولتان سابقتان في هذا المجال في كل من سورية والعراق الا انهما لم تتجاوزا الاطار المحلي لتشملا الوطن العربي ككل كما هي الحال مع المؤتمر . ولعل وعي ضرورة العمل ضمن الاطر الجبهوية يشكل تقدما واضحا ومحسوسا لا بد وأن ينعكس ايجابيا على مسار الحركة الثورية العربية في المستقبل .

ان الاطار التنظيمي والسياسي العام للثورة العربية قد توضح مع ولادة الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية . الا أن الاهم من كل هذا هو ترجمة هذا الخط العام الى ممارسات ثورية حقيقية واعطاء المضمون الموضوعي . وهذا في رأينا لا يمكن ان يتأكد وينمو ويتطور ويتبلور الا من خلال الدفع بالوضع العربي الراهن الى الصدام الفعلي مع معسكر الاعداء من خلال حمل السلاح ضد العدو الصهيوني وتفجير الثورة الاجتماعية على صعيد الوطن العربي وتوجيه الضربات القاضية للوجود الاستعماري في المنطقة وتكريس الديمقراطية الحقيقية . عندئذ ، وعندئذ فقط يكون هذا المؤتمر لا حدثا عربيا بل بداية « الحدث العربي بعد الخامس من حزيران » .

ماجد نعمه

الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من اجل فلسطين

في الفترة ما بين ١١ الى ١٦ ايلول ١٩٧٢ ، انعقد في مدينة كنتربري (انكلترا) المؤتمر الثاني للندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين — وقد ضم المؤتمر اكثر من ١٢٠ موفدا يمثلون عشرين قطرا وينتمون الى مختلف الكنائس الكاثوليكية والبروتستنتية والارثوذكسية . وقد شارك في اعمال المؤتمر سبعة مطارنة وعدد من كبار اللاهوتيين والمسؤولين عن معاهد وحركات وصحف مسيحية من مختلف انحاء العالم . وننشر فيما يلي عرضا لاعمال المؤتمر بقلم احد المشتركين وهو الكاهن الجزائري الفرنسي الاصل هنري تيسييه مدير مركز الدراسات واللغة العربية في ابرشية الجزائر والذي يعد حاليا اطروحة دكتوراه عن تاريخ الجزائر .

انكلترة تعيش احداث ميونيخ

صباح الثلاثاء ٥ ايلول ، وفي الوقت الذي كنت أتجه فيه الى مطار الجزائر لانضم الى اللجنة اللاهوتية التي حضرت للندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين ، كانت كل اذاعات العالم تبث أخبارا عن ميونيخ حيث كان فدائيو ايلول الاسود واقعين بين تصلب غولدا مائير اللاانساني من جهة وبين تباطؤ ومماطلة الشرطة البافارية من جهة اخرى . عند نزولنا من الطائرة، استقبلتنا عناوين الصحف البريطانية المسائية التي كانت تفرض علينا من خلال كلماتها القاسية رد الفعل البريطاني ازاء ما كان يجري في القرية الاولمبية . ادركنا عندئذ حالا الوضع الذي على الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين ان تعمل ضمن اطاره والذي يختلف تماما عن الوضع الذي أحاط بولادة الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين في بيروت منذ حوالي سنتين .

كانت العاصمة اللبنانية حينذاك قد امتلأت بأعلام الندوة مرحبة أحر ترحيب بالمؤتمرين . كما ان قاعة الاونيسكو الكبيرة وضعت تحت تصرفنا وافتتح رئيس الجمهورية اللبنانية نفسه اعمال المؤتمر بجلسة احتفالية . اما في لندن فقد كانت جوازات سفرنا الجزائرية تجعلنا نخشى من عدم التمكن من دخول بريطانيا خاصة في جو التشنج المعادي للعرب الذي فجرته أزمة ميونيخ . على كل حال فقد استدعي احد أعضاء وفدنا من قبل الشرطة ، بعد أن اجتاز مرحلة التدقيق الروتينية الصعبة ، حيث اضطر لتقديم التوضيحات الوافية قبل ان يتمكن من الالتحاق بنا . ولم تتغلب السلطات الدينية نفسها على ما يبدو على هذا السخط الوحيد الاتجاه فكان أول اتصال لي مع اخبار اذاعة لندن (البي. بي. سي) هو سماعي عظة يهاجم فيها كبار رجال الكنيسة الانكليزية الارهاب بدون ان يدينوا في الوقت ذاته المظالم المرتكبة بحق شعب فلسطين منذ عشرات السنين. ما ان وصلنا الى ضاحية كنتربري التي انعقدت فيها الندوة وبدأنا نشعر بشيء من الراحة بسبب جمال الطبيعة الانكليزية وجو العمل الذي يوفره لنا هذا المكان حتى وردنا خبر بأن عددا معينا من أصدقائنا لن يتمكنوا من الاشتراك في الندوة لان وزارة الخارجية البريطانية ترفض ان تعطيهم تأشيرة الدخول . وهكذا فقد منع بعض اللبنانيين من الانضمام الينا كما أن المندوبين الفلسطينيين الذين جاءوا ليشتركوا في هذه الندوة لم يستطيعوا الدخول هم أيضا . ولم يستطع الا ثلاثة منهم فقط ان يحضروا جلسة الافتتاح بعد ان نجحوا بوسائل مختلفة في الانضمام الينا ، في حين ان ثلاثة اخرين لم يتمكنوا من الحضور الا عشية الجلسة الختامية. وهكذا فقد فهمنا بشكل أفضل معنى وجودنا ذاته في كنتربري . فعندما يطالب الفلسطينيون بحقوقهم وهم يحملون السلاح فان الراي العام العالمي يدينهم . وعندما يحاولون ان يشرحوا قضيتهم في مؤتمر سلمي اقيم بموافقة السلطات المسؤولة ، يرفضون منحهم تأشيرات الدخول أو يؤخرون ذلك لكي يقللوا جزئيا من فعالية حضورهم .

التقيد بالبرنامج أم تتبع الاحداث ؟

لقد ارغمتنا خيبات الامل هذه التي اصبنا بها حتى قبل أن تبدأ الندوة على اعطاء عمل هذه الندوة كل ما تستحقه من الجدية . على كل ، فان المناخ الذي خيم على ندوة بيروت كان من الممكن ان ينسينا بأن المعركة طويلة الامد . وفي التحليل الاخير فقد كان من السهل جدا سنة ١٩٧٠ الكلام

عن حقوق شعب فلسطين اذ ان كل الدول العربية كانت تؤيد نجم المقاومة الفلسطينية الصاعد وحتى الملك حسين نفسه اضطر آنذاك الى اخفاء نواياه الحقيقية .

قررنا اذن أن نخطو خطوة جديدة معا فالتقى كل المشتركين مساء الاثنين ١١ أيلول . واستلم جورج مونتارون رئيس تحرير مجلة « الشهادة المسيحية » الفرنسية وسكرتير عام الندوة الكلام ورسم لنا باختصار المراحل التي قطعتها الندوة منذ اجتماع بيروت . كان انشاء اللجان القومية في عدة بلدان بالاضافة الى المنشورات التي أصدرتها أمانة باريس او أمانة بيروت قد بدأ يعطي ثماره بالنسبة الى الرأي العام داخل الكنائس . ولكن ما السبيل الى اكمال هذا العمل ؟

الا ان رئيس الجلسة وجد نفسه في صباح اليوم التالي أمام مهمة صعبة . لقد كان من المفروض ان يخصص هذا النهار لكي نبحث ونطور معا أفضل السبل الاعلامية حول الوضع الراهن للنضال الفلسطيني وذلك بعد أن تقدم كلوفيس مقصود تحليلا مطولا للوضع ، غير أن عددا معينا من المشتركين أرادوا أن تقوم الندوة ، في الحال ، بعمل سريع وصاعق موجه الى رئيس كنيسة انكلترة ومسؤولي الكنائس الانكليزية الذين كانوا مجتمعين في مجلس مسكوني في بيرمنغهام . عند افتتاح الندوة قرأ أمامنا المسؤول عن العلاقات الخارجية في الكنيسة الانكليكانية رسالة لم يكن من الممكن ان تمر بدون جواب . هل كان بامكاننا ان نؤجل الى وقت آخر المناقشة حول هذا الجواب ؟ ماذا علينا ان نقول لمجمع بيرمنغهام ؟

وعلاوة على ذلك فقد اصيب اللاجئون الفلسطينيون وسكان سوريا ولبنان في التاسع من أيلول بتنكيل فظيع من جراء عمليات القصف الاسرائيلية . ألم يكن من واجب الندوة أن تعبر لحكومتي هذين البلدين ولمنظمة التحرير الفلسطينية عن تعاطفها أمام هذا القدر الكبير من الموت والدمار ؟ واخيرا فان الرأي العام العالمي كان قد عبر عن ردة فعله ازاء عملية ميونيخ من خلال وجهة معينة ومعروفة. فهل كان من الممكن ان نتجنب التعبير عن موقف الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين ازاء هذه النقطة ؟ كان على مسؤولي الندوة ان يحسموا هذا الامر . لم يكن بامكاننا ان نكرس الوقت القليل المتوفر امامنا لبحث مسألة معروضة علينا من قبل الاحداث الآنية وحدها، فتقرر اذن ابقاء البرنامج كما هو وتكليف لجنة الاعلام ولجنة التحرير بمهمة تحضير الوثائق التي ستوجه الى السلطات الدينية البريطانية .

اللجان تبحث عن وحدتها

بعد ظهر الثلاثاء انقسم المؤتمرون الى أربع مجموعات حسب ما أعلن في البرنامج الرسمي . لجنة حقوق الانسان ، اللجنة اللاهوتية ، لجنة « القدس » ، لجنة « الاعلام » . الا ان ضرورة تنظيم الجهود بشكل دائم أدت الى انشاء لجنة خامسة هي لجنة التنظيم وكانت مهمتها ان تقترح على الجمعية العامة نظام تنسيق بين اللجان القومية وأمانتي بيروت وباريس الدائمتين .

على كل حال يمكن قراءة محاضر اعمال كل لجنة من هذه اللجان في مكان آخر . ثم ان مختلف « الامزجة الكنائسية » أو الحساسيات « الشرقية » او الغربية لم تكن أحيانا تتفق الا بصعوبة . فبعض الغربيين مثلا اعتبروا انه من غير الضروري احاطة القدس بتفكير خاص ، أليست هي عاصمة فلسطين ؟ الا ينبغي تجنب كل ما يمكن ان يميزها عن باقي المدن الفلسطينية وبالتالي تشجيع كل اولئك الذين يريدون ان يجدوا لها وضعا آخر غير الوضع الفلسطيني ؟ الا ان الشرقيين كانوا يجيبون بأنه توجد حاليا في اسرائيل سياسة منظمة تهدف الى تصفية العرب تدريجيا من القدس القديمة لذلك يجب لفت انتباه الرأي العام المسيحي بشكل خاص الى قضية تهويد القدس . وهنا يجيب الغربيون : نعم ! ولكن ينبغي عدم استعمال الحجج الدينية (القدس مدينة مقدسة الخ ..) والا فاننا نكون نزود الصهيونية بالاسلحة لانها هي أيضا تزعم انها تقيم حقوقا سياسية على أساس ذكريات دينية .. وقد قادت هذه الاختلافات في الامزجة الجمعيات العمومية عدة مرات الى حافة القطيعة . وقد ظهر ذلك بشكل خاص عندما بات على الندوة ان تصل الى اتفاق حول نص أعدته اللجنة اللاهوتية . فقد أصر الغربيون على أن يشار في النص الى العداء للسامية الذي طبع في الماضي طوائفهم . الا ان الشرقيين رفضوا ادراج تأكيدات لا تتصل مباشرة الا بتاريخ المسيحية الغربية ضمن اعلان صادر عن ندوة عالمية للمسيحيين .

غير أن مجموع المشتركين كانوا موحدين جدا

بالهدف الاساسي من اجتماعهم وهو « التضامن مع الفلسطينيين » مما لم يفسح المجال امام هذه الخلافات الثانوية لتمنعهم من الوصول الى نهاية مثمرة لعملهم . لذلك باتت المفاوضات الشاقة ضرورية للوصول ، احيانا في ساعات متأخرة من الليل ، الى صيغ توفيقية . وهكذا فقد صارت ادانة المعاداة للسامية مثلا الى ادانة لكل عنصرية ، سواء أكانت ضد العرب أم ضد اليهود . ان صعوبة الوصول الى لغة مشتركة بين مسيحيي الشرق ومسيحيي الغرب قد اظهرت الى أي حد هي ضرورية مثل هذه اللقاءات بين الكنائس الشرقية والغربية .

في الواقع يجب ان نخاطب الراي العام الغربي بكلمات يفهمها . الا انه يجب ، في الوقت نفسه ، الكلام عن فلسطين بتعابير يقبلها مسيحيو الشرق، والذين هم المعنيون المباشرون ، ويجعلون مواطنيهم المسلمين يتفهمونها ويقبلونها .

الجمعية العمومية وخطباؤها

الا ان هذا لم يكن يعني ان عمل اللجان كان يستأثر بكل انتباه المؤتمرين . ففي الجمعيات العمومية كانت هناك دراسات قيمة ساهمت هي الاخرى بالاعلام عن وضع الفلسطينيين ونشاط الصهاينة في العالم بالاضافة الى نشاطات بعض اللجان القومية . وبالرغم من أننا لا نستطيع ان نلخص هنا كل هذه الدراسات الا اننا لا نستطيع كذلك الا ان نستعرض بسرعة بعض المداخلات الاساسية .

كان اليوم اللاهوتي الاول مطبوعا بمداخلات جورج خضر ، مطران الروم الارثوذكس عن جبل لبنان ، العميقة : « ان التقليد الصوفي اليهودي في القرون الاخيرة قد ادان الصهيونية الدينية — السياسية. كان هذا التقليد يرى ان شتات اليهود سوف ينتهي بعودة سلمية . انها تمثل خطوة الى الوراء بالنسبة الى المسيانية المسيحية التي ترفض الخلط بين ملكوت الله وقوة قيصر ، انها تنادي بالتعصب الديني في الوقت الذي بدأ فيه العالم العربي يتحول الى مفهوم علماني للسلطة . وحتى المجتمع الاسلامي التقليدي ينادي بوضع يحمي تعدد الطوائف الممثلة فيه . اننا امام خلط بين السياسة واللاهوت يجعل من دولة اسرائيل نفسها المسيح ويجعل « المسيانية الدولية » عقيدة لا يمكن المساس بها .

أما مداخلة الاب سكريما ، اللاهوتي الروماني المعروف ، فقد ساعدت كل مشترك في الندوة على رؤية نتائج الاستغلال اللاهوتي المنظم الذي تقوم به الصهيونية الدينية على كافة انظمتنا اللاهوتية. ان اللاهوت يمكن أن ينحدر الى درك الايديولوجية عندما يستعمل بدهاء لتبرير اختيارات سياسية اتبعت في السابق على أساس احكامنا المسبقة . ولكن اللاهوت يستطيع ايضا ان يكون باستمرار حكما نافذا لبواعثنا الحقيقية واختياراتنا بأسم نور يهبط من أعلى . وهذه الطريقة الثانية في النظر الى اللاهوت هي التي ينبغي ان تقود خطانا . انها تحررنا من مفاهيمنا الخاطئة وستساعدنا في أن نرى في المسألة الفلسطينية قضية انسانية يجب ان يظل فيها احترام العدالة المعيار الوحيد المقبول .

وعلى صعيد عملي اكثر عرض الاب ريان Ryan وهو يسوعي أميركي ، على الجمعية بحثا فكريا عن القدس الهدف منه تعبئة الرأي العام المسيحي. وقد أثبتت له تجربته ، من خلال عمله كمدير حلقات المناقشة عن الشرق الاوسط في الولايات المتحدة الاميركية ، ان الرأي العام في بلاده لا يمكن أن يهتز او يتأثر بالقضية الفلسطينية الا عن طريق القدس . ذلك أن القدس تخص ايضا مسيحيي العالم قاطبة وعلى هؤلاء المسيحيين ان يقولوا كلمتهم حتى تحقق العدالة لسكان المدينة العرب . ومن بين المداخلات التي لم تكن مدرجة في جدول اعمال الندوة ينبغي التنويه بشكل خاص بالتصريح الذي قاله السيد آرون رينه ريندورف ، وهو من مجموعة اصدقائنا البلجيكيين ، لقد رفع صوته عاليا ، بصفته مناضلا من أصل يهودي ، حتى يفهم جيدا كل المشتركين في الندوة بأن نضالهم الى جانب الشعب الفلسطيني هو في الوقت نفسه نضال من أجل انقاذ يهود العالم المهددين بالايديولوجية الصهيونية . واثباتا لاقواله فقد قدم للمؤتمر وقائع محسوسة مستمدة من حياة الطائفة اليهودية في بلجيكا ، هذه الطائفة التي يظن سفير اسرائيل ان من حقه ان يتدخل في شؤونها كما لو أن اليهود البلجيكيين هم مواطنون اسرائيليون ! وتكفي بعض الامثال من هذا النوع لتظهر كيف أن الصهيونية تعمل على تحضير موجة جديدة من العداء للسامية . وانطلاقا من هنا فان معركة الفلسطينيين تبدو كأداة تحرير لا للعرب انفسهم وحسب بل أيضا لليهود .

كان يوم الخميس مخصصا للرأي العام ومسؤوليته ازاء الفلسطينيين . وقد كان هذا اليوم مناسبة لاطلاع الجمعية العمومية على ابحاث مفيدة بهذا الصدد : فقد استمعت الجمعية اولا الى عرض عن النفوذ الاسرائيلي في افريقيا الشرقية قدمته الى الندوة الانسة آنار كاسام Anar Kassam التي قدمت من تنزانيا لهذا الغرض . ثم استمعت الندوة الى تقرير عن الراي العام في الولايات المتحدة قدمه السيد جيم فين ، أحد المسؤولين في المجلس الوطني للكنائس الامريكية ، حيث تبين ان هناك تغيرا لا يكاد يذكر في طريقة تأويل الاخبار الواردة من الشرق الاوسط بشكل أقل تحيزا . كما أن السيد مايكل أدامز ، الصحافي البريطاني الشهير حاول هو الاخر ان يرينا من خلال مراجعة صحافة الايام القليلة الماضية ان هناك تطورا بطيئا في التفكير وان المستقبل يدعو الى تفاؤل أكبر . الا ان أدق اختبار قدم للندوة كان هذا الاختبار الذي قدمته مجموعة عمل عمدت الى تجميع عدد معين من الصحف بصورة منتظمة ثم عرضت علينا ان نقوم « بتمرين » على قراءتها . وقد أثبت التحليل اللغوي والسيكولوجي للطرق التي « تعالج » بها الصحافة الغربية احداث ميونيخ ان هناك طريقة منهجية يمكن بواسطتها ان تميز الافكار والايديولوجيات المتسترة وراء ما سمي « بالاعلام الحر » . وقد قدم هذا العمل الجماعي ، السيد غي باجوا استاذ علم الاجتماع في جامعة بروكسيل البلجيكية .

من « مسيرة » كنتربري الى « اعلان » كنتربري

لقد جاءت الدراسات الدقيقة لمضمون الصحافة فيما يتعلق بالشرق الاوسط لتعيد الندوة الى ارض الواقع المباشر ... كنا قد اجتمعنا في كنتربري بهدف اقامة حوار مع الراي العام البريطاني والانكلوسكسوني من خلال هذا المركز الذي يعني الشيء الكثير بالنسبة الى الطائفة الانكليكانية . الا ان صحيفة التايمز اكتفت بالاشارة الينا بزاوية صغيرة جدا تحت عنوان مهذب هو : « محادثات كنتربري » وذلك في يوم افتتاح الندوة بالذات . ومنذ ذلك الحين لم تنشر كلمة واحدة ... هل كان بامكاننا ان نغادر بريطانيا دون أن نقيم مثل هذا الاتصال مع الراي العام ؟ كيف نحطم جدار الصمت ؟

عندئذ اقترح أن ننظم مسيرة في شوارع كنتربري قبل ان تنهي الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين اعمالها . الا ان الندوة كانت منقسمة أمام هذا الاقتراح ذلك ان المؤتمر كان اجتماعا للعمل وبهذه الصفة لم يكن يضم عددا كبيرا من الاشخاص . وهل ستكون مسيرة مجموعتنا الصغيرة في شوارع كنتربري ذات مغزى كاف للاعلان عن شهادتنا لصالح القضية الفلسطينية ؟ طرح الرئيس الاقتراح على التصويت فنال أغلبية كبيرة . وعندها بدأنا حالا بكتابة اليافطات وعرضها في القاعة . ثم تم الاتصال بالصحافة والمصورين ... وكذلك بالشرطة (وقد قيل لي ان الاتصال تم أيضا بالاسعاف ...) وهكذا أصبح كل شيء جاهزا لمساء اليوم التالي .

ولكن قبل ذلك كان الشيء الاهم ما يزال بدون انجاز كان ينبغي آنذاك رفع مقررات كل لجنة الى الجمعية العمومية . ارسل الى كل الكنائس وشرح لها فكر الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين .. لقد كان هذا الاعلان من عمل مجموعة عمل صغيرة كانتقد قامت بعمل مماثل اثبت فعاليته في ندوة بيروت . ولكن طبعا كنتربري ليست بيروت ! ومنذ القراءة الاولى لهذا الاعلان بدا واضحا ان الجمعية العمومية غير متفقة على ما ورد فيه خاصة فيما يتعلق بتطور المقاومة الفلسطينية ، بعد ايلول ١٩٧٠ وبالاساليب التي لا يفهمها الجمهور العريض في الغرب وبمشكلة العنف الدقيقة والحساسة . وخلال بضع ساعات من النقاش الطويل داخل الجمعية العمومية تم الوصول الى وضع نص جديد ، مناقشته فقرة فقرة . وقد سهل حضور ثلاثة اصدقاء فلسطينيين الندوة في آخر ساعة عملية الوصول الى التوفيق بين مختلف الاتجاهات واعطى للمناقشين امكانية التعبير عن موافقتهم التامة مع وجهات نظر المقاومة الفلسطينية . وفجر السبت كان كل شيء قد انتهى وبدأت الوفود تستعد للتوجه الى بلادها .

وقد اكتشفت الامانة العامة ان الوقت لم يعد كافيا مهما كان استعداد المؤتمرين للاستمرار في العمل كبيرا .

بدات أول جلسة نهار الجمعة برئاسة الاب كارلتون . الا اننا اضطررنا ، لكي تنهي مهمتنا ، الاستعانة في المساء برئيسة للجلسة وهي السيدة مانويلا سيكس ، العضو السابقة في مجلس

العموم البريطاني . لقد كانت هيبتها وخبرتها البرلمانية ضرورية للانتهاء من التصويت على كل النصوص قبل منتصف الليل .

لقد كان العمل الاهم للندوة هو الاعلان النهائي الصادر عن المؤتمر جاء فيه :

« منذ ان انعقد في بيروت — ايار (مايو) ١٩٧٠ — المؤتمر العالمي الاول للمسيحيين من أجل فلسطين ، ووضع الشعب الفلسطيني يثقل الوجدان العالمي. ففي الارض التي احتلتها اسرائيل ازدادت سياسة الاضطهاد تصلبا، تأخذ شكل تهجير السكان وطردهم ، شكل التعذيب والاعتقال . ومن جهة اخرى طعنت المقاومة الفلسطينية بقسوة، خصوصا في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وتموز (يوليو) ١٩٧١ . ورغم الصعوبات الحقيقية التي تعاني هذه المقاومة منها ، فانها بوصفها تعبيرا نضاليا عن الشعب الفلسطيني ، تواصل معركتها من أجل التحرير .

ان المؤتمر الثاني العالمي للمسيحيين من أجل فلسطين المنعقد في كانتربري من ١١ الى ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، والوضع على ما هو عليه ، ليذكر مسيحيي العالم اجمع بالنداء الذي أطلقه من بيروت ، ويضيف :

١) ان حق الشعب الفلسطيني في وجوده القومي، وفي تقرير مصيره الذاتي على أرضه ، ذلك الحق الذي جرد منه منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما، بالرغم من اجراءات دولية وديبلوماسية مستمرة ، هذا الحق ليطلبه اليوم الشعب بنضال ذاتي يتخذ أشكالا متنوعة .

لقد أدى الظلم المدبر عمدا منذ عام ١٩٤٧ ضد الشعب الفلسطيني ، والعنف الذي أصبح من مقومات الدولة الصهيونية ، الى الوضع الراهن، حيث العنف الثوري الشعبي هو الجواب على عنف دولة من نموذج استعماري .

ان الاحداث الدامية التي واكبت هذا النضال لتثير القلق لدى الرأي العام الدولي . فمما يجب الا ينساه المسيحيون في البلدان الغربية ، هو أن السلم الحقيقي ، في العالم كله ، لا يمكن ان يشاد الا على العدالة ، وعلى احترام حقوق الانسان ، وحقوق الشعوب المظلومة والمستغلة ، وبصورة خاصة حق الشعب الفلسطيني .

٢) ان تضامننا مع الشعب الفلسطيني، ومناهضتنا الكلية للصهيونية ، ليندرجان في افق انساني اوسع ، الا وهو رفض كل تمييز عنصري ، او ديني ، او ثقافي ، وخاصة رفض كل الاشكال الصريحة او الخفية للاسامية ، وللعنصرية المناهضة للعرب .

ويطيب لنا ، علاوة على ذلك ، ان نحيي بشكل خاص اليهود الذين يدينون، بشجاعة، الصهيونية، على أنها خطر مأساوي على اليهودية . فعملهم هذا ينضم الى الهدف الاساسي للمقاومة الفلسطينية، الا وهو انشاء دولة ديمقراطية وعلمانية ، في فلسطين ، يعيش فيها معا على قدم المساواة ، مواطنون من كل المعتقدات .

٣) على كنائسنا ان تعمل جاهدة ، ايا كانت المناسبة ، من أجل العدالة والسلم في الشرق الاوسط . فانجيل السلام ، اذ يعلن ان اله ابراهيم هو سيد البشر اجمع ، يحرر المرء من كل تفرقة ، كما يحطم الحواجز كلها بين البشر . ونحن ، اذ نعي متطلبات الانجيل ، نستمد منها قناعتنا ، لمصممون على دعم عملنا وتوسيعه ، داعين كافة المسيحيين الى الاسهام فيه . »

لا شك ان اختلاف وتنوع المجموعات التي كنا نمثلها كاد أن يودي مرارا عديدة بنقاشاتنا . ولكن، وكما أشار الى ذلك غابي حبيب السكرتير العام للندوة في النهاية ، فان علينا ان نتجاوز أنفسنا للالتقاء بالاخرين ضمن اطار الاعتراف بالاختلاف والتمايز . ان القدس لا يمكن ان تصبح مدينة سلام الا عندما تنفجر احياء الزمان الماضي المغلقة. وما كنتربري الا مرحلة على هذه الطريق . ان الفلسطينيين سيخرجون شيئا فشيئا من عزلتهم ويفرضون على الرأي العام العالمي ان يفهمهم من خلال الحوار بين الشرق العربي والغرب التقدمي وحركات العالم الثالث .

هنري تيسييه

حلقة تيسير تداول الكتاب العربي...

عقدت في الدوحة عاصمة قطر في الفترة من ٤ — ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ حلقة لدراسة الوسائل الكفيلة بتيسير تداول الكتاب العربي باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد اشترك في هذه الحلقة مندوبون عن معظم الدول العربية . وفي الوقت ذاته افتتح في الدوحة معرض للكتاب العربي اشتركت فيه معظم دور النشر في الدول العربية . اشترك مركز الابحاث في اعمال الحلقة ضمن وفد فلسطين الذي ترأسه الاخ ياسين الشريف مدير مكتب منظمة التحرير في قطر . كان الدافع الاساسي وراء عقد الحلقة احساس المنظمة العربية بان هناك عقبات كثيرة تعترض تسويق الكتاب العربي في البلاد العربية كافة وان لا بد بالتالي من تدارس هذه العقبات واقتراح الحلول التي يمكن بواسطتها التغلب على هذه العقبات . هذا وقد تقدم مركز الابحاث بمذكرة الى الحلقة حول الصعوبات التي تعترض تسويق الكتاب الفلسطيني . وفيما يلي نص المذكرة :

تأسس مركز الابحاث الفلسطينية في شباط (فبراير) ١٩٦٥ . والمركز مؤسسة علمية غايتها البحث العلمي في مختلف جوانب وابعاد القضية الفلسطينية والصراع العربي — الصهيوني استنادا الى المصادر الاولية واعتمادا على المنهج العلمي في البحث والتأليف . وهكذا فالمركز ليس دار نشر بالمعنى المتداول اذ انه بمثابة معهد علمي فيه باحثون متخصصون متفرغون يعملون وفق خطة بحث عامة متكاملة تمتد لعدة سنوات وتغطي موضوع اهتمام المركز (القضية الفلسطينية) . وتمر البحوث والدراسات التي يعدها هؤلاء الباحثون في مراحل متعددة من الاشراف الدقيق والمراجعة والتمحيص على يد مشرفين اختصاصيين قبل ان تسلم الى المطبعة تمهيدا للنشر . هنا يبدأ دور مركز الابحاث كمؤسسة نشر وتبدأ الصعوبات التي تواجه المركز على صعيد النشر والتوزيع .

ومنذ تأسيس مركز الابحاث صدر عنه ما يزيد عن المئتي وخمسين كتابا موزعة على عدة سلاسل تختلف كل سلسلة عن الاخرى من حيث الحجم والموضوع فهناك السلاسل التالية :

— سلسلة حقائق وارقام وهي كتيبات صغيرة تحتوي على معلومات وارقام حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية وقد صدر منها حتى الان ٤٠ كراسا .

— سلسلة ابحاث فلسطينية وهي كتيبات تحمل وجهات نظر وتحليلات علمية في موضوعات متخصصة . وقد صدر منها حتى الان ٣٠ بحثا .

— سلسلة دراسات فلسطينية وهي كتب صغيرة بحجم الجيب تختص بالدرجة الاولى في دراسة كل جوانب الكيان الاسرائيلي العدو السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية والفكرية . وقد صدر منها حتى الان ٩١ دراسة .

— سلسلة كتب فلسطينية وهي كتب من الحجم الكبير تتناول معالجات مطولة لموضوعات رئيسية صدر منها حتى الان ٣٩ كتابا .

— سلسلة كتب مصورة وهي كتب تحتوي معالجات لجوانب معينة من القضية معتمدة بالدرجة الاولى على الصور والرسومات .

— سلسلة خرائط فلسطينية وهي خرائط فلسطين والمدن الفلسطينية وخرائط طرق المواصلات في فلسطين .

— سلسلة شؤون فلسطينية وهي مجلة شهرية علمية متخصصة صدر منها حتى الان ١٦ عددا .

— الى جانب هذه السلاسل يصدر المركز نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية تتضمن الاخبار والبرامج السياسية والمقابلات واقوال الصحف ، وهذه النشرة لا تعرض في الاسواق .

وينشر مركز الابحاث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية كما ترجمت بعض منشوراته الى الدانمركية والسويدية والارمنية واليابانية . وبالتالي فان المركز يحاول الوصول الى جميع الاسواق العالمية دون استثناء بالنظر الى المهمة الاساسية التي يعمل من اجلها وهي التعريف بالقضية الفلسطينية وبالحق العربي في فلسطين ومحاربة العدو الاسرائيلي الصهيوني وكشف دعايته ودحضها . ويعتمد المركز في توزيعه منشوراته على اسلوبين : **الاول** الاشتراك المباشر والطلبات المباشرة لمنشورات المركز . **والثاني** شركات التوزيع او متعهدي التوزيع او الجمعيات

الصديقة او اتحادات الطلبة العرب في الخارج. ورغم الصعوبات التي يواجهها مركز الابحاث فيما يتعلق بتوزيع منشوراته والتي سنتعرض لها بعد قليل ، فقد لاقت منشورات المركز رواجا كبيرا . ان نحو نصف انتاج المركز يعتبر في عداد النافد رغم اعادة طباعة بعض الكتب مثنى وثلاث ورباع وفي ثلاث حالات اعيدت الطباعة ست مرات .وعلى سبيل المثال فان عدد النسخ التي طبعت من مجلة شؤون فلسطينية قد ارتفع بنسبة الثلث منذ العدد الثالث ثم تضاعف منذ العدد السابع وارتفع الى ثلاثة اضعاف منذ العدد الحالي السادس عشر وبعد مرور اقل من سنتين على صدور المجلة . هذا وان سياسة المركز تقوم على اساس من عدم الربح وبالتالي فان اسعار الكتب والمنشورات والمجلة تحدد على اساس التكلفة وبالتالي فان اسعارها تعتبر عادة اسعارا شعبية رغم ما يولده ذلك لنا من مشاكل على صعيد التمويل .

صعوبات التسويق : لا يواجه مركز الابحاث مشكلة تسويقية رغم تخصصه في موضوع واحد هو القضية الفلسطينية بل بالعكس فان هناك شعورا دائما لدينا بان هناك طلبات متزايدة على انتاجنا، وبان هناك اسواقا جديدة لم نطرقها بينما هي تطلب انتاجنا . ان الصعوبات التي يواجهها المركز في مجال التسويق هي :

١ — بينما تتخذ معظم الحكومات العربية موقفا ايجابيا من المركز على الصعيد المعنوي ، قلما يقترن هذا الموقف بدعم فعلي على صعيد شراء مجموعات من منشورات المركز علما بان هذه المنشورات ذات فائدة اساسية وحقيقية سواء على صعيد التثقيف الشعبي (المكتبات العامة) او على صعيد العمل الاعلامي وذلك بتزويد اجهزة الاعلام والسفارات بمنشورات المركز . **اننا نسعى بالفعل للوصول الى كل الاجهزة السياسية المسؤولة والاجهزة الاعلامية في البلاد العربية لاننا نؤمن ان رسالتنا لا تكتمل دون ذلك** . وفي حالة عدم تسلمنا طلبات شراء من هذه الاوساط ، فاننا نبادر الى تزويدها بما تحتاج دون مقابل . ٢ — ان وجود انظمة رقابة على المطبوعات في بعض الدول العربية يؤثر على تسويق كتب المركز سواء من حيث تأخر وصولها الى الاسواق المختلفة في الوقت المناسب ، ام من حيث حجمها في احيان اخرى . ٣ — ويتسبب البريد في عدد كبير من الدول العربية بتأخير وصول الطرود التي نرسلها وفي كثير من الاحيان بضياع هذه الطرود مما يخلق مشكلة مزدوجة : فمن ناحية هناك خسارة مادية ، ومن ناحية اخرى هناك ازمة ثقة لدى الذي يطلب منا منشورات معينة ولا تصله في الوقت المناسب او لا تصله ابدا . اننا نتسلم يوميا على الاقل رسالة او رسالتين في هذا الشأن . ان الكتب التي نرسلها الى الدول الاوروبية تصل قبل الكتب التي نرسلها الى الدول العربية . ٤ — ان انظمة تحويل العملة الى الخارج في بعض الدول العربية، تؤثر تأثيرا سلبيا على تسويق منشوراتنا . هناك اقطار مقفلة كليا في وجهنا لهذا السبب حيث ان الموزعين الذين نتفق معهم لا يستطيعون تحويل اي مبلغ لنا ، وهناك اسواق نبيع فيها ولكننا لا نستطيع استلام اي من المبالغ المستحقة لنا من مبيعاتنا فيها . ٥ — ومن المشاكل التي تواجهنا عدم تعود بعض مؤسسات التوزيع العربية على الترويج للكتب ذات الطبيعة المتخصصة وتسويقها، اذ نرى هذه المؤسسات تتجه نحو الربح السريع ونحو الوصول الى القارىء العادي وتيأس امام اول صعوبة تواجهها في مجال تسويق المنشورات المتخصصة . ومن ناحية اخرى فان مؤسسات التوزيع العربية غالبا ما تقتصر في نشاطاتها على العواصم دون المدن والقرى الاخرى ، كما انه لا توجد هناك مؤسسة توزيع عربية تصل بنشاطاتها الى جميع الاسواق العربية لذا ترانا مضطرين للتعامل مع اكثر من موزع او متعهد . ٦ — نأتي الان الى تسويق الكتاب الفلسطيني خارج الوطن العربي . ان المشكلة الرئيسية التي نواجهها هي عدم توفر موزعين فعالين في العواصم الغربية راغبين في توزيع منشورات معادية للصهيونية بالنظر الى وقوع معظم دور النشر والتوزيع هناك تحت التأثير الصهيوني سلبا او ايجابا . ان الصهيونية العالمية تحارب بشدة وصول منشورات مركز الابحاث الى الاسواق العالمية لادراكها ما تحتويه هذه المنشورات من دحض علمي موضوعي لحججها ودعاياتها . وقد وصل بها الامر الى حد ان امين مكتبة جامعة اكسفورد العريقة اعاد لنا مجموعة من كتب المركز بالانكليزية مشيرا الى « ان مكتبة الجامعة لا تهتم بمثل هذه المواد » علما بان هذه المكتبة تغص بالكتب الصهيونية والمؤيدة للصهيونية . كما وصل الامر بالصهيونية الى نسف مكتبة فلسطين في باريس وهي المكتبة التي انشأها

بعض الشباب العربي في محاولة لتسويق انتاجنا بانفسهم . والجدير بالذكر اننا قد قمنا بسلسلة من الترتيبات المماثلة في عدد من العواصم العالمية . الى جانب ذلك ، هناك اجور الشحن المرتفعة جدا الى الخارج . اننا ، مثلا ، ندفع ضعف ثمن مجلة شؤون فلسطينية التي نرسلها الى الولايات المتحدة طوابع بريد .

اقتراحات : ١ — اننا نعتقد ان وجود اتحاد عام للناشرين العرب امر هام وحيوي لمواجهة هذه الصعاب وسواها وللنهوض بمستوى الكتاب العربي وتعزيز مكانته . ٢ — اننا نرى ان انشاء شركة عربية للتوزيع ضرورة ملحة لتلافي العديد من الثغرات التي تطرقنا اليها على ان يكون من مهمة هذه الشركة الترويج للكتاب العربي بالاعلان والوسائل الاخرى الى جانب الاهتمام العملي بتوزيعه . ٣ — ان من الضروري برأينا ، وبالنظر الى المهمة القومية الموكلين بها والتي لا تقوم على الربح ، ان يعفى مركز الابحاث من دفع الرسوم البريدية على المطبوعات التي يرسلها الى الخارج. ٤ — اننا نتمنى لو امكن احداث تعديلات معينة على انظمة تحويل العملة بحيث يمكن استحداث استثناءات معينة تتعلق بالكتاب العربي عامة والفلسطيني خاصة . ان تداول الكتب وانتقالها من قطر عربي لاخر عامل اساسي هام في توليد ثقافة عربية مشتركة وخلق تفاعل ثقافي حي في اوساط القراء العرب . ٥ — نقترح تشجيع دور النشر العربية على اعتماد مبدأ النشر المشترك اذ ان ذلك يعود بالفائدة على الاطراف المشتركة جميعها ويعمم الفائدة من الكتب المنشورة . ٦ — ان اقامة معارض عامة ومعارض متخصصة للكتاب العربي اسلوب فعال في الترويج للكتاب العربي وتيسير سبل تداوله على ان توضع خطة شاملة لمثل هذه المعارض تكفل تواترها وتوزعها . ٧ — نقترح اعتماد اسلوب الاشتراكات بالقسائم .

٨ — من الوسائل التي تساعد في ترويج الكتاب نشر مقتطفات من الكتب التي ستصدر ونشر مراجعات نقدية للكتب التي تصدر في الصحف والدوريات العربية . ان من الضروري دفع الصحافة العربية الى الاهتمام بصورة اوسع بتتبع الانتاج العربي الفكري على صعيد الكتب وعرضه ونقده للقراء . ٩ — اننا نرى ان من المفيد اصدار مجلة عربية تهتم بتتبع اخبار الكتاب العربي في جميع الاقطار على ان تصدر هذه المجلة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ١٠ — وختاما فان هناك اقتراحا بان تقوم كل دولة عربية بشراء مجموعات من كتب مركز الابحاث وتوزيعها على مكتبات الجامعات والمعاهد والمدارس والمكتبات العامة فيها . لو حصل مثل هذا الامر فان نسبة لا بأس بها من انتاج المركز ستسوق ، وبالتالي فان نسبة رئيسية من تكاليف الانتاج ستغطى .

وقد انقسمت الحلقة الى ثلاث لجان رئيسية هي : لجنة دراسة وسائل تيسير تداول الكتاب العربي، لجنة دعم اتحاد الناشرين العرب ، لجنة ايجاد شبكة مترابطة بين المكتبات المدرسية والعامة في البلاد العربية . هذا وقد اتخذت اللجنة الاولى توصيات تتفق في روحها مع الاقتراحات الواردة في مذكرة المركز بالاضافة الى عدد من التوصيات الجديدة . اما اللجنة الثالثة فقد اقرت توصية خاصة بالنسبة لمركز الابحاث دعت الى **ضرورة تزويد جميع المكتبات المدرسية والمكتبات العامة في البلاد العربية بجميع منشورات المركز باعتبارها تقدم تعريفا موضوعيا وعلميا بالقضية الفلسطينية.** وختاما ، فاننا نعتقد ان الحلقة كانت مفيدة من حيث تبادل الاراء والتعارف بين المهتمين بالكتب وبنشرها في البلاد العربية . ويبقى تنفيذ هذه التوصيات او بعضها هو المحك الحقيقي لجدوى الحلقة .

ابراهيم العابد

(١) المقاومة الفلسطينية

واجهت حركة المقاومة صراعا مثلث الاطراف ، مثل امتدادا لصراعات سابقة على جبهات مختلفة ، بحيث يقارب عام ١٩٧٢ على الانتهاء وجو الازمة والتحدي يحيط بحركة المقاومة من كافة الجهات . خاضت المقاومة صراعها الاول في لبنان ، من جملة الصراعات التي يبدو انها (وكما قلنا في باب سابق) أصبحت قانون علاقات العمل الفدائي المتواجد فوق الارض اللبنانية. ثم خاضت المقاومة صراعها الثاني مع الاردن ، عبر عمليات المتفجرات في لبنان ، وأنباء الانقلاب العسكري الاردني . وأخيرا خاضت المقاومة صراعها الثالث مع اسرائيل ، من خلال الاعتداءات المتواصلة على سوريا ولبنان ، وكذلك من خلال الرسائل المتفجرة المرسلة الى ممثليها ومندوبيها في اكثر من بلد .

وتقصي انباء هذا الصراع المثلث الاطراف يوضح الصورة السياسية التي عاشتها حركة المقاومة خلال الفترة الماضية الممتدة من ١١ ت٢ — ١٠ ك١ ١٩٧٢ .

الازمة في لبنان :

على اثر الازمة الماضية ، تم الاتفاق بين المقاومة والسلطة اللبنانية على بنود عملية اساسية شكلت المدخل لعدم تفجر الوضع . أبرز هذه النقاط : ١ — الاستمرار في تجميد العمل الفدائي العسكري المنطلق من لبنان . ٢ — عدم التواجد الفدائي المسلح في القرى . ٣ — الاتفاق على حجم القوات المتواجدة في القطاع الاوسط .

ومنذ ذلك الوقت بدا واضحا ان الصراع لن يتوقف ، ولكنه لن يتخذ بالضرورة شكل صراع مكشوف وسريع ، بل سيتخذ شكل تكتيكات لبنانية صغيرة ومتلاحقة ، تضمن للسلطة فرض هيمنتها على مناطق الجنوب ، بحيث يبقى العمل الفدائي موجودا ، انما في ظل هذه الهيمنة ، وتحت سيطرة نتائجها المعروفة . وقد برز من هذه التكتيكات حتى الان ، تنظيم التظاهرات المعادية للعمل الفدائي ، والاكثار من حواجز التفتيش والتدقيق على تنقلات الفدائيين اثناء المهمات ، ومطالبة بعض القواعد الفدائية بتغيير أماكنها والانتقال الى أمكنة أخرى بحجة ضرورات الامن .

وقد انفجرت الازمة الاخيرة حين طلب من قاعدة فدائية أن تترك مواقعها وتنتقل الى مكان آخر ، مع ان المكان الذي كانت تقيم فيه لا يتعارض مع ما هو متفق عليه مع السلطة اللبنانية ، وحين رفض آمر القاعدة تنفيذ هذا الطلب حصل اشتباك بين الجيش والفدائيين أدى الى استشهاد اربعة فدائيين وجنديين لبنانيين ، واصابة ٥ جنود لبنانيين و٥ فدائيين بجراح . وقال بيان لحركة المقاومة (٨ ك١) : قامت قوات من الجيش اللبناني بمهاجمة قواعدنا . ان الثورة الفلسطينية ... ما زالت ترى انه من مصلحة الجميع حل المشاكل بروح التفاهم والتفهم ومنع الامور من التدهور والانزلاق نحو المذابح الدموية . وعليه فاننا نناشد المسؤولين هنا وقف هذا الهجوم . وعلى اثر هذا البيان عقد اجتماع بين وفد من المقاومة ورئيس الوزراء صائب سلام ، صرح سلام على أثره انه: رغم فداحة الحادث الاليم فالواجب يقتضي منا ان نتعاون على حصره . وصرحت مصادر المقاومة ان وفدنا أعرب عن أمله في ان لا تتكرر مثل هذه الحوادث .

وفي اليوم التالي (٩ ك١) طرأ تطور جديد . أعلنت المقاومة استشهاد فدائي آخر برصاص الجيش ، واستشهد شرطي لبناني في كمين في احد شوارع بيروت لم يعرف من أقدم عليه . وبالمقابل تغيرت لهجة الرئيس سلام في أحاديثه ، من الدعوة الى شعار « التفهم والتفاهم » الى التهديد ، وذلك حين قال في حديث صحفي : صارحتهم في الاجتماعات

انه لا يجوز بعد اليوم ان يتناسوا ما قد تجره هذه الاحداث من مآس عليهم وعلينا . وتعليقا على حادث مقتل الشرطي (الذي لا يزال حادثا غامضا) ربط الحادث فورا بالمقاومة ، وقال بلهجة اشد تهديدا : كيف يمكن أن نقبل هذه الاعمال ؟ **يجب ان يفهموا وبشكل نهائي اننا لن نتساهل ولن نسمح بذلك ابدا ... حتى الان تمكنا من معالجة المشاكل وحصرها ... بات من الضروري ان يقف ذلك كله عند حد ولا يتخطاه** . فهل يكون هذا التهديد مقدمة لازمات أخرى أعنف وأشد ؟

ردا على مثل هذا الاحتمال كان هناك نشاط مضاد على صعيد آخر ، ولتطويق أي تطور محتمل . ففي ذروة الازمة صادف ان مر في بيروت عبد العزيز بوتفليقه ، وزير خارجية الجزائر ، وفي اجتماعاته مع الرئيس فرنجيه ومع صائب سلام بحث في موضوع الازمة مع المقاومة وضرورة الاتفاق على حل ايجابي (٨ ك١) . وفي اليوم نفسه أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية في لبنان بيانا نبهت فيه الى وجود مؤامرة لتصفية المقاومة ، تقوم بها الرجعية اللبنانية بالاتفاق مع امريكا والرجعية العربية . وأرسلت حركة المقاومة خالد الحسن عضو اللجنة التنفيذية ورئيس الدائرة السياسية فيها الى القاهرة ، حيث قابل الرئيس السادات وسيد مرعي الامين العام للاتحاد الاشتراكي وبحث معهما الوضع في لبنان على ضوء التطورات العامة المحيطة بأزمة الشرق الاوسط (١٠ ك١) . ويبدو ان جملة هذه المواقف والاتصالات قد ساعدت على عقلنة الموقف اللبناني ، حيث كان اثناء ذلك يتطور باتجاه التأزيم . فقد امتدت الاشتباكات الى القطاع الشرقي ، واصدرت قيادة الجيش اللبناني بيانا قالت فيه ان مسلحين اطلقوا الرصاص على مراكز الجيش والاماكن الآهلة ، فقتلوا جنديين وجرحوا سبعة مدنيين . وقد أثار هذا البيان استنكار المقاومة فأصدرت بيانا توضيحيا (١٠ ك١) قالت فيه ان بيان الجيش تجن على الحقيقة ، يصدر في الوقت الذي يسود فيه الهدوء مناطق الاشتباكات ، ولذلك لا يسعنا الا أن نوضح الحقائق التالية :
— تعرضت مواقعنا الى قصف مدفعي شديد ادى الى وقوع عدد من القتلى والجرحى . — قصف الجيش هو الذي أصاب المدنيين وأوقع بهم الخسائر .

وقالت نشرة « وفا » تعليقا على ذلك ان : القوى المعادية للثورة تعمل ليل نهار لكي يتحول لبنان الى مقصلة اخرى يحاولون نصبها لثوار شعبنا .
وقد أدى هذا التوتر ، مع تأثير الاتصالات العربية، الى عقد اجتماع في منزل الرئيس سلام بين السيد ياسر عرفات وبعض قادة الجيش اللبناني ، بحث فيه الموقف في الجنوب ، وخاصة في القطاع الاوسط . وعاد رئيس الحكومة على اثره الى لهجته القديمة فصرح بأن الاتفاق كان تاما .

الاردن والمتفجرات والانقلاب :

كانت الساحة الاردنية خلال الشهر الماضي ميدانا لاحداث هامة ومتلاحقة ، يمكن ادراجها ضمن العناوين التالية :

١ — متفجرات بيروت : القي القبض مساء يوم ١٩ ت ٢ ، وبالجرم المشهود ، على هشام لطفي يوسف ، واسمه الحقيقي هشام عصفور ، مساعد شفيق جميعان ، الملحق العسكري في السفارة الاردنية ببيروت ، وهو يقوم بتسليم احد عملائه أمام فندق ريفيرا حقيبة متفجرات بلاستيك . القي القبض على مساعد الملحق بواسطة رجال الامن اللبنانيين ، بناء على معلومات قدمها لهم أبو يوسف رئيس اللجنة السياسية العليا في لبنان . وفي التحقيق الاولي مع المعتقل تبين انه كان مكلفا بالقاء المتفجرات على مكتب اعلام فتح ، وتدبير اغتيال ابو يوسف والعقيد سعد صايل قائد قوات اليرموك . ونقلت معلومات التحقيق انه اعترف بـ : ١ — علاقته ببعض المتفجرات التي القيت ببيروت مؤخرا . ٢ — نفي علاقته بمتفجرات كنيستي مار جرجس ومار يوسف . ٣ — لم تعلن مصادر التحقيق معه اسماء ٦ اشخاص كانت لهم علاقة بمتفجرات سابقة .

وقد اتجه رد فعل مسؤولي السفارة الاردنية في البداية الى ابداء الاستغراب واعلان النفي . فقد قال السفير الاردني اكرم زعيتر : استغرب الامر كل الاستغراب ... وأنا لا اعرف موظفا بالسفارة بهذا الاسم ولا أتعرف عليه . وقال شفيق جميعان انه فوجىء بهذه المعلومات . وقال ناطق رسمي باسم السفارة « ان السفارة ودائرة الملحق العسكري فيها تنفيان نفيا قاطعا أي علاقة او معرفة حول ما تردد من وجود متفجرات في حوزة أحد موظفيها ... علما بأن هشام لطفي يوسف وظيفته ادارية وليس مساعدا للملحق العسكري». ولكن الكذب كان يفوح من كل هذه التصريحات ،

وكان ابسط وابلغ رد عليها ، نشر صورة لرسالة تحمل توقيع المعتقل ولقبه كمساعد للملحق العسكري الاردني ، وكسكرتير لرابطة الملحقين العسكريين ببيروت . وكذلك نشر صورة للمعتقل مع مجموعة من الملحقين العسكريين في احد لقاءاتهم ببيروت . وعلى ضوء ذلك صرح ابو يوسف اننا ننتظر نتائج التحقيق ... ليعرف الشعب اللبناني من هو المجرم الحقيقي الذي يقف وراء الكثير من العمليات التخريبية في بيروت » (٢٠ ت٢) .
المفاجأة الكبرى كانت حين أعلن الرئيس سلام صباح ٢١ ت٢ ابعاد هشام يوسف الى الاردن ، وقال ان التسليم تم لان المتهم يحمل صفة ديبلوماسية . مع انه من المعروف ان الحصانة الديبلوماسية تسقط عن صاحبها عندما يلقى عليه القبض بالجرم المشهود . وقد كان هذا التسليم السريع ، وقبل ان ياخذ التحقيق مداه ، متعدد النتائج : فهو اولا خدمة بالغة للنظام الاردني تحفظ له ماء وجهه ، وهو ثانيا طعنة لحركة المقاومة التي وضعت ثقتها باجهزة الامن اللبنانية ، ورفضت أن تتولى القضية بنفسها ، مع أنها هي التي كشفتها . وهو ثالثا تقصير في حق الشعب اللبناني وامنه ، لان التسليم السريع قطع امكانية تقصي حوادث المتفجرات السابقة ومعرفة كافة تفاصيلها واسماء المشاركين بها .

وقد ردت عمان على هذه البادرة الايجابية من الرئيس سلام بأن قامت باستدعاء ملحقها العسكري الى عمان ، واستدعي مع الملحق جميع الموظفين التابعين لها (٢٣ ت٢) . وكان هذا الاستدعاء بحد ذاته اعترافا اردنيا بمسؤولية الملحق العسكري ودائرته في بيروت عن الحادث . وبالرغم من ذلك فان هذا الاعتراف لم يمنع حكومة الاردن من اعلان كذبة مضحكة حين قالت يوم ٢٧ ت ٢ ان التحقيق مع هشام يوسف اثبت انه كانت له علاقة بحركة فتح ، وانه كان يعمل لحسابها ، وان ابو يوسف قام بترتيب العملية معه . ورد ابو يوسف على هذا الادعاء ببيان جاء فيه ان التحقيق مع العميل الاردني اثبت انه تلقى اوامره من مدير الاستخبارات العسكرية الاردنية الزعيم عبود سالم ، وبموافقة شفيق جميعان . وطالب الامن العام اللبناني باصدار توضيح رسمي بناء على ما لديه من اعترافات . ولكن الامن العام اللبناني لم يتجاوب مع هذا الطلب ، ولم يقدم توضيحا لذلك . وكان من آخر ذيول هذه القضية، المعلومات التي قالت بأن سفير الاردن في بيروت راغب في الاستقالة، او ربما يطلب من حكومته منحه اجازة طويلة او نقله الى مكان اخر .

٢ ــ الانقلاب العسكري :

لم تعلن انباء الانقلاب العسكري في الاردن بشكل مباشر . بداية الانباء كانت تكهنات عن احداث غامضة تجري في عمان . ففي ١٨ ت ٢ اعلن أن الملك حسين قد ادخل الى المستشفى بحالة من التعب الشديد ، ثم اعلن ان صحته جيدة وسيغادر المستشفى خلال يومين ، ونشرت الصحف الاردنية صورا له وهو يتفقد القوات العسكرية . واوحت هذه الانباء بأن شيئا ما يحدث في الاردن . ولم تنشر معلومات منفصلة عن انقلاب عسكري كان يجري الاعداد له الا يوم ٢٥ ت ٢ ، وقالت هذه المعلومات الصحفية انه بعد اعلان الملك حسين عن مشروعه الداعي لانشاء المملكة العربيةالمتحدة، بدأ تكوين تنظيم سري هدفه الاطاحة بالنظام الملكي واعلان الجمهورية وتكوين حكومة وحدة وطنية . وأن هذا التنظيم كان على صلة بجهتين عربيتين تقدميتين ابدتا استعدادا للدعم حين يتحرك للتنفيذ في نهاية شهر ت ٢ . وقد كشف امر الانقلاب في بيروت من خلال اتصال الدكتور سعيد الدجاني، وهو مدير البنك الاردني ووزير سابق مع جهات عربية في بيروت ، وجرت على اثر ذلك اعتقالات واسعة شملت ٣٠٠ عسكري ومدني ، معظمهم من اللواء ٤٠ التابع للفرقة المدرعة ، وعلى رأسهم الرائد رافع الهنداوي . كما جرى وضع بعض السياسيين في الاقامة الجبرية .

وقالت المعلومات أيضا أن هذا التنظيم قام بسلسلة من عمليات التفجير داخل الاردن . وبالفعل فان السلطات الاردنية كانت قد اعلنت يوم ٢٠ ت١ أن انفجارا وقع في مكتب الجوازات بالزرقاء ، أدى الى مقتل احد رجال الشرطة واصابة المبنى بأضرار . وفي ٢٦ ت ٢ اعلن أن عبوة ناسفة انفجرت في منطقة الرصيفة ، بين عمان والزرقاء ادت الى مقتل ثلاثة اشخاص . ولكن السلطات الاردنية لم تعلن ، حتى بعد انكشاف التنظيم انه كان وراء عمليات التفجير .

اما المعلومات الرسمية عن الانقلاب فقد وردت في حديث صحفي للملك حسين (٢٦ ت ٢) هون فيه من شأن التنظيم السري قائلا انه كان مقتصرا

على عدد قليل من الاشخاص ، وانهم المقاومة الفلسطينية بالتخطيط للانقلاب بمساعدة ليبيا ، وان الرائد رافع الهنداوي كان الضابط الوحيد بالعملية ، وكان على صلة مع صلاح خلف احد قادة فتح .

والمهم في انباء هذا الانقلاب انه يأتي ردا على قضيتين حاول النظام الاردني بعد مجازر أيلول ١٩٧٠ ترسيخهما من خلال اجهزته الاعلامية . القضية الاولى هدوء الوضع الداخلي واستتباب حالة الامن . والقضية الثانية ولاء الجيش الاردني الكامل للملك والنظام . فانباء الانقلاب وأنباء الاعتقالات الواسعة ، المدنية والعسكرية التي رافقته تنقض عمليا هذا الادعاء الاردني . وتهدم جهدا اعلاميا واسعا بذل طوال المدة السابقة .

٣ — فتح الحدود :

في ١٩ ت ٢ اعلنت السلطات الاردنية انها عادت عن قرارها القاضي بمنع الشاحنات السورية من المرور عبر الاراضي الاردنية في طريق عودتها من السعودية والخليج الى سوريا . وكانت السلطات الاردنية قد منعت هذه الشاحنات قبل نحو شهر من العودة الى سوريا عبر طريق الاردن ، قائلة أن على تلك السيارات ان تستخدم في طريق عودتها ، الطريق ذاتها التي تسلكها في ذهابها . وفي ٢٣ ت ٢ أعلن ان الاردن قد وافق على مشروع الطريق البحري المصري الذي يربط بين الاسكندرية والسويس برا ثم بين السويس والعقبه بحرا . بحيث يتم نقل البضائع للاردن عن هذا الطريق بمدة ١٥ يوما ، بينما يقتضي نقلها عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وبسبب اغلاق الحدود السورية — الاردنية ٣ أشهر .

وفي ٣٠ ت ٢ اعلنت سوريا فتح حدودها مع الاردن والتي اغلقت منذ تموز ١٩٧١ بعد معارك جرش . وقالت سوريا توضيحا لموقفها انه « رغبة من سوريا في تخفيف الاعباء والمصاعب التي يعاني منها الشعب العربي في الاردن الشقيق نتيجة اغلاق الحدود ، وحرصا على خلق المناخ الملائم ليأخذ الجيش العربي الاردني الشقيق مكانه في مواجهة العدو » .

ولم يصدر عن حركة المقاومة اي تعليق على هذا القرار ، والتساؤلات حوله في اوساط المقاومة، انصبت على النقاط التالية :

— هل كان القرار السوري ردا على الموقف المصري — هل تعتقد سوريا أن الاعباء المعيشية التي يعاني منها المواطن الاردني نابعة عن اغلاق الحدود ، أم من السياسة الاقتصادية التي يتبعها النظام الاردني ، ويترك فيها لكبار التجار حرية التصرف بالاسعار ؟ — هل تعتقد سوريا ان الجيش الاردني يستطيع ان يلعب دورا في مواجهة العدو الاسرائيلي بعد أن قطع الاردن شوطا طويلا على طريق التسوية المنفردة وبالعلاقات الخاصة مع اسرائيل ؟

ويعتقد ان الاتصالات التي جرت بين المقاومة والمسؤولين السوريين قد حاولت استطلاع اجاباتهم حول هذه الاسئلة . وقد لوحظ ان جورج صدقني رئيس القسم الثقافي في القيادة القومية تعمد أن ينفي اي دافع اقتصادي وراء القرار السوري ، وان ينفي بشكل خاص علاقته بالقرار المصري .

اسرائيل والاعتداءات والارهاب :

واصلت اسرائيل تنفيذ سياستها الرامية لضرب العمل الفدائي وذلك باتباع اكثر من اسلوب . اولا اسلوب ضرب القواعد الفدائية بشكل مباشر . وثانيا اسلوب ضرب القوات العسكرية العربية ، وبشكل خاص المناطق الآهلة بالسكان ، لتشكيل ضغط على الحكومات العربية يدفعها للتضييق على العمل الفدائي. وثالثا متابعة عمليات الارهاب ضد قادة الفدائيين وممثليهم في الخارج . فكيف جرى وضع هذه الاساليب موضع التطبيق ؟

في ١١ ت ٢ أعلن الجنرال اسحق هوفي قائد الجبهة الاسرائيلية المواجهة لسوريا ولبنان : ان الجيش الاسرائيلي تبنى سياسة جديدة تقضي بمهاجمة قواعد الجيش السوري ، وليس مخابىء الفدائيين العرب فقط ... ان السياسة الجديدة انبثقت من معرفة واضحة بأن النشاط الفدائي ينفذ بدعم وتشجيع من الحكومة السورية .

وعلى اثر ذلك اعلنت قيادة الجيش اللبناني انتهاك الطائرات الاسرائيلية لاجوائها اكثر من مرة ، وقيام هذه الطائرات بعمليات الاستكشاف وخرق جدار الصوت فوق مدن وقرى الجنوب . وبعد هذه التصريحات ، وبعد سلسلة عمليات الاستكشاف دارت على الجبهة السورية يوم ٢١ ت ٢ حرب حقيقية استمرت اكثر من ١٠ ساعات ، وكان تحرك الجيش السوري اثناءها حيويا وفعالا ، وادى نشاطه إلى اسقاط ٣ طائرات لاسرائيل ،

وتدمير ١٤ دبابة ، بينما ادعت اسرائيل انهـا أسقطت ٦ طائرات سورية ودمرت رادارا و١٥ دبابة . أما على الجبهة اللبنانية فقـد هاجمت اسرائيل يوم ٢٤ ت ٢ قاعـدة فدائية قـرب حاصبيا تابعة للجبهة الشعبية (القيادة العامة) قتل فيها فدائي وجرح ٤ ، ولم تعترف اسرائيل الا بجريح واحد . وقد عادت هذه الاشتباكات وتجددت مرة اخرى على الجبهة السورية يوم ٢٥ ت ٢ . وبينما كان موشي دايان يعلن في لندن (٣ ك ١) : ان سوريا هي اكثر جيراننا تطرفا ، كانت مصادر فلسطينية تتوقع هجوما واسعا على سوريا (٤ ك ١) ، وتقول ان الجيش السوري يقف في اقصى درجات التأهب ، وكانت مصادر لبنانية تعلن ان تحركات اسرائيلية مريبة ، مع طلعات متعـددة للطيران ، تجري عند حدود لبنان (٧ ك ١) . وفي هذا الجو من التوقع للاعتداءات الاسرائيلية كانت الصحف السورية تشن حملة شديدة ضد وقف اطلاق النار على الجبهات العربية وتطالب دول المواجهة بفتح النار من جديد (١١ ت ٢) . واستمرت هذه الحملة لفترة من الوقت ، بحيث أثارت تساؤلات جدية حول العلاقات الداخلية بين دول اتحاد الجمهوريات العربية .

اما على صعيد عمليات الارهاب فقد قامت اسرائيل بارسال عدد من الرسائل المتفجرة الى مندوبـي وممثلي المنظمات الفدائية في اكثر من بلد . ففي يوم واحد (٢٩ ت ٢) انفجرت في المانيا رسالة ملغومة بالسيد عدنان حماد داخل منزله . وانفجرت رسالة ثانية في ستوكهولم بالسيد عمر صوفـان في شقته ، وانفجر في تونس طرد ملغوم في مكتب البريد اصيب به ٣ موظفين بجراح . وفي اليوم التالي (٣٠ ت ٢) انفجرت في كوبنهاجن رسالة ملغـومة أصابت بجراح ، بائعـا دانمركيـا متجولا ، وشابا فلسطينيا يدعى احمد عوض‌الله . وتبع ذلك انفجار يوم ٨ ك ١ في منزل محمـود الهمشري ممثل منظمة التحرير في باريس ، حيث اصيب بجراح بالغة . وبذلك تكون اسرائيل قـد أوصلت حرب الارهاب المحمي من قبلها رسميا الى حدود عالمية ، بينما هي تطالب في الامم المتحدة ، باتخاذ اجراءات دولية ضد الارهاب .

بلال الحسن

توضيح من الاتحاد العام لعمال فلسطين — فرع لبنان

في العدد رقم ١٦ وفي باب « شهريات » وتحت عنوان « المقاومة الفلسطينية » كتب الاخ ب. ح. عن اوضاع المقاومة الفلسطينية الداخلية وعن عملياتها ، وقد اثار استغرابنا ان ينتهي الاخ كاتب المقال عن حادث الصدام بين عمال مصانع البفندور وقوى الامن وذلك لما في انتقاله الى هذا الموضوع من دلالة على انه يعتبر قضية « عمال الغندور » جزءا من نشاط المقاومة الفلسطينية . ويهم الاتحاد العام لعمال فلسطين — فرع لبنان ان يوضح انه لا يناقش احدا رأيه او افكاره حول صيغة العلاقات بين العمل النقابي المحض والكفاح المسلح ولكنه يأخذ عليه الزامه الاخير التدخل في شؤون نقابية لبنانية فلسطينية بحت ، كما يهم الاتحاد ان يصحح بعض المغالطات الواردة في سياق تعليق كاتب المقال فيعلن :

اولا — لم تتدخل « بعض القوى من المقاومة » لا لمعرفة اوضاع ومصير العمال والعاملات الفلسطينيين ولا لاي غرض اخر وذلك لوعي من هذه القوى بأن هذا الشأن هو من اختصاص الاتحاد العام لعمال فلسطين والذي لم يتقاعس عن القيام بواجبه وخاصة عند اعتقالهم .

ثانيا — لم يكتف بيان الاتحاد العام لعمال فلسطين — فرع لبنان بتحذير العاملات الفلسطينيات من الاتصال بفصائل المقاومة كما اوحت الفقرة المجتزأة التي أوردها الاخ كاتب المقال بل تعدى البيان ذلك الى القول بضرورة « ابقاء الاتصالات محصورة ضمن نطاق الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحادات العمالية اللبنانية » وهذا التحذير ابلغت به العاملات ولجنة الاضراب قبل وقوع المجزرة بأيام .

ثالثا — لم يكن تحذير الاتحاد المذكور يهدف الى اي غرض سوى قطع الطريق على بعض الاوساط الرجعية العربية التي تفيد من التناقضات الكيانية الفلسطينية اللبنانية للتحريض ضد الفلسطينيين وضد المقاومة الفلسطينية في اطار اجهاض وتصفية القضية الفلسطينية كلها وهذا ما اوضحه البيان .

رابعا — اما قول الاخ كاتب المقال انه كان حريا بالاتحاد ان يعتبر نفسه شريكا في المسألة ، ان لم يكن من اجل التساند النقابي فمن اجل العمال والعاملات الفلسطينيين الذين يحتاجون للدعم والمساندة من قبل القوى السياسية والنقابية الفلسطينية لا يمكن تفسيره الا بتضمين هذا التفسير معنى محاولة ضرب وحدة الحركة النقابية اللبنانية الفلسطينية وابعاد العمال الفلسطينيين عن اتحادهم . كما هو يحمل افتراضا يفيد بان الاتحاد غائب عن ملابسات الحادثة المذكورة متجاهلا اعلان البيان وقوف الاتحاد بشدة الى جانب الاتحادات العمالية اللبنانية وتأييده الكامل للمطالب العمالية الشرعية ومتجاهلا ايضا رفض الاتحاد ان تسوى قضية العاملات الفلسطينيات بمعزل عن قضية العاملات والعمال اللبنانيين .

خامسا — ان الاتحاد العام لعمال فلسطين — فرع لبنان كان منذ بدء الاضراب وبعد المجزرة على اتصال دائم مع الاتحادات النقابية اللبنانية ولجنة الاضراب والعمال بهدف انجاح الاضراب وتحقيق مطالب العمال وهو يستغرب مرة اخرى استناد الاخ كاتب المقال الى موقف من سماها بـ « الاوساط العمالية اللبنانية » ويطالبه بتوضيح هوية هذه الاوساط وكيفية الحصول على موقف منها على اتساع قطاعها .

هذا ويريد الاتحاد العام لعمال فلسطين — فرع لبنان الا يخوض في تفسير باقي ما ورد في تعليق الاخ كاتب المقال حتى لا يشعره بثقل الخطأ الذي ارتكبه دون قصد كما نريد أن نعتقد .

أمين سر الفرع
موسى جريس

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية :

حضرت المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة ما بين ٦ و١٠/٤/٧٢ وفود تمثل الحركات العربية الوطنية والتقدمية . وعلى الرغم من غياب بعض القوى الوطنية العربية ، وخاصة القوى الوطنية والتقدمية في الخليج العربي ، فان عدد الوفود التي شاركت في المؤتمر الشعبي الفلسطيني يفوق عدد الوفود التي شاركت في اي مؤتمر عربي آخر . وكان مشروع البرنامج السياسي الذي قدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني قد تضمن بابا خاصا حول : « العلاقة مع الجماهير والقوى الثورية العربية » . وجاء في هذا الباب : « ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الفلسطيني — الاردني ، بحكم الحتمية التاريخية والمصيرية ، وبحكم الضرورة الموضوعية لا يمكن الا ان يكون جزءا لا يتجزأ من الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، بل ومحورا استراتيجيا من محاورها الرئيسية . لذلك فان مهمة الثورة الفلسطينية وقيادتها (منظمة التحرير الفلسطينية) والجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية ان تسعى للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني الديمقراطي العربي أينما كانت ، وان تهيء بنضالها المناخ القتالي المساعد على بروز هذه القوى حيث تعترض الصعوبات بروزها ، وأن تفتح صفوفها للمناضلين العرب لان النضال على الساحة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني الامبريالي هو نضال استراتيجي رئيسي للثورة العربية في مجموعها » .

وقد تبنى المؤتمر الشعبي الفلسطيني النص المذكور أعلاه ، كما ان ممثلي القوى الوطنية والتقدمية العربية المشاركة في المؤتمر قد اجتمعوا في ما سمي لجنة الجبهة العربية المشاركة ، واقروا مشروع البرنامج المقدم ، مع بعض التعديلات . وقد قدمت لجنة الجبهة العربية المشاركة الى المؤتمر مجموعة من التوصيات منها : ١ — الموافقة على الدعوة الى قيام جبهة عربية مشاركة واعتبار حركة المقاومة طرفا اساسيا فيها . ٢ — « تشكيل لجنة اتصال من المقاومة الفلسطينية تتولى البحث مع ممثلي كل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية في تنفيذ تلك الدعوة على اساس تأليف لجنة تحضيرية تهيء لعقد مؤتمر شعبي عربي بشكل أساسا لبناء الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيد العربي ، وعلى أساس وضع جدول زمني تلتزم به اللجنة التحضيرية لتنفيذ مهمتها هذه . ولقد مارست بعض الوفود العربية المشاركة في المؤتمر ضغوطا من اجل تغيير بعض فقرات البرنامج ، ولكن المؤتمر لم يوافق على ذلك بل أوكل الى رئيس منظمة التحرير « تعديل صياغة بعض الفقرات » .

وبدأت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير اتصالاتها لتنفيذ هذا القرار . وكان ان وجهت دعوة لعقد اجتماع بهذا الشأن ، يبدأ يوم ٧٢/٥/٧ ، ويمتد الى ١٠/٥ . وجاء في الدعوة ان اللجنة التحضيرية تضم ممثلين بصورة مؤقتة عن : ١ — حزب جبهة التحرير الجزائرية ، ٢ — جبهة الكتلة الوطنية المغربية ، ٣ — الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، ٤ — الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر ، ٥ — حزب البعث العربي الاشتراكي (سوريه) ، ٦ — حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق) ، ٧ — القوى الوطنية والتقدمية في لبنان ، ٨ — الجبهة القومية لليمن الديمقراطية ، ٩ — الجبهة الوطنية الاردنية ، ١٠ — منظمة التحرير الفلسطينية .

كما ان الدعوة تنص على ان هدف الاجتماع وضع « ... قرارات اللجنة العربية المنبثقة عن المؤتمر الشعبي الفلسطيني موضع التنفيذ . ومن أجل التحضير لعقد مؤتمر الجبهة الذي يشمل كل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في البلاد العربية لوضع نظام ولائحة وأهداف هذه الجبهة». وقد تم الاجتماع ، واقتصر البحث في جلسة الافتتاح على « بلورة طبيعة المؤتمر واهدافه وتحديد جدول الاعمال » . اما الاجتماع الثاني فقد شكلت فيه الامانة العامة التحضيرية من ممثلين عن : الاتحاد الاشتراكي العربي — مصر ، الاتحاد الاشتراكي العربي — ليبيا ، حزب جبهة التحرير — الجزائر ، حزب البعث — العراق ، حزب البعث — سورية ، حزب الجبهة القومية — اليمن الديمقراطية . يضاف الى هؤلاء ستة ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية على ان يراعى في ذلك ان يكونوا ممثلين للمنظمات الاساسية ، كما يضاف اليهم ممثلون عن الاحزاب والمنظمات اللبنانية

التالية : الحزب التقدمي الاشتراكي ، الحـزب الشيوعي اللبناني ، حزب البعث ، منظمة حزب البعث ، منظمة العمل الشيوعي ، الحركة اللبنانية المساندة ، الحزب الديمقراطي .

وقد انتخب لطفي الخولي رئيسا للدورة ، وجرى اختيار امانة السر من الدكتور نبيل شعث وتوفيق صفدي ، على ان يساعدهما في مهمتهما مركـز التخطيط . وناقش المجتمعون القضايا التالية : ا ــ طبيعة المؤتمر : وتوصل المجتمعون الى ضرورة « الانطلاق من الواقع العربي الراهن بالرغم من تناقضاته ، وذلك حرصـا على انجاح المؤتمـر والجبهة ، وبالتالي مباشرة العمل بالحد الادنى وتجنب كل ما من شأنه ان يسهم بشكل او آخر في عرقلة قيام الجبهة » . ب ــ اهداف المؤتمر ، وقد جرت بعض التعديلات على النصوص المقترحة. جـ ــ تحديد القوى التي ستشارك في المؤتمر : اقرت اللائحة المقترحة ، بعدما اضيفت بعـض القوى الجديدة : وهـي حزب البعث العربـي الاشتراكي في اليمن ، وحزب الاستقلال في المغرب، والجمعية المغربية لمساندة الثـورة الفلسطينية واتحاد الخلايا الماركسية اللينينية وحزب العمال العربي الثوري في لبنان . كما جرى تعديل صيغة الدعوة الموجهة الى الكويت ، فباتت الدعـوة موجهة الى القوى الوطنية في الكويت ، بعد ان كانت موجهة الى حركة القوميين العرب .

كما اضيف عدد من المدعوين الجدد الى أسماء المدعوين : الجبهة الوطنية في لاوس وكمبوديا ، الجيش الشعبي التركي، القوى الثورية الايرانية، منظمة التوباماروس ، الفهود السود في اميركا ، منظمة القارات الثلاث ، اتحاد الوسط في قبرص ، الحزب الاشتراكي الموحد في فرنسا .

وتقرر ان تكلف الامانة العامة التحضيرية باختيار ما بين ١٥ و٢٠ شخصية وطنية تمثل جميع الاقطار العربية . كما اتفق على ان يمثل كل تنظيم بعدد يتراوح بين شخص وثلاثة . د ــ موعد المؤتمر ومكانه : حدد النصف الاول من ايلول على انه زمان المؤتمر ، كما قرر ان تكون بيروت مقـرا لانعقاده . وعقد اجتماع ثان للجنة التحضيرية ، تم فيه البت بكل القضايا التي بحثت في الاجتماع الاول . ولكن الامور اخذت تزداد تعقيدا فيما بعد. فلقد انسحبت ليبيـا أولا ، ثم بدت مصر غـير متحمسة للمشاركة . وأبدت سوريه موقفا مماثلا .

وكان على المهتمين بعقد المؤتمر ان يزوروا القاهرة ودمشق لضمان مشاركتهما . وقد تم الاتفاق ، بعد الاتصالات ، على ان يعقـد المؤتمر في نوفمبـر (تشرين الثاني) وعقد المؤتمر في ٧٢/١١/٢٧ ، ودام يومين فقط .

الحضور : حضرت معظم القوى الاساسية في الوطن العربي : ما عدا حزب البعث العربـي الاشتراكي (سوريه) ، الاتحـاد الاشتراكي العربي (ليبيا) ، القـوى الوطنيـة في تونس (الحزب الشيوعي ، حزب البعث) اذ حضر ممثل عن الحزب الدستوري الحاكم ، كما لم يدع حزب التحرر والاشتراكية في الجزائر ، ولقد حضر ممثل الاتحاد الاشتراكـي السوداني ولكنـه اضطـر للانسحاب ، بسبب وجـود الحزب الشيوعـي السوداني .

ولقد شاركت مصر ، ولكن وفدها كان لا يمثل ثقلا سياسيا ، مع انه يضم شخصيات مهمـة في الحياة الفكرية والادبية والصحفية . ولم تشارك الصاعقة ، من بين المنظمات الفلسطينية ، في أعمال المؤتمر بوفد على مستوى القيادة ، كما فعلت المنظمات الاخرى .

الوفود الاجنبية : حضـر عدد كبير من الوفـود الاجنبية ، ولكن لوحظ غياب الصين والبانيا ، وممثلي الماويين والمنظمات المسانـدة للثورة في اوروبة . ومع ان الصين والبانيا قد دعيتا الا ان دعوتهما جاءت متأخرة . امـا الحركات الماوية والمنظمات المساندة للثورة في اوروبه فانها لم تدع.

أعمال المؤتمر : قدمت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوثائق التالية : ١ ــ مشروع برنامج العمـل السياسي للجبهة ، ٢ ــ مشروع اللائحة الداخلية للجبهة ، ٣ ــ مشروع برنامج سير اعمال المؤتمر، ٤ ــ مشروع نظام المؤتمر .

وقد بدأت المناقشة بمناقشة مشروع برنامج سير اعمال المؤتمر ومشروع نظام المؤتمر. وبعد الموافقة عليهما انتخبت رئاسة المؤتمر . وجرى الاتفاق على جدول الاعمال على أساس ان تجري مناقشة عامة حول البرنامج السياسي واللائحة الداخلية ، ثم ينقسم المجتمعون الى لجنتين احداهما تناقش مشروع البرنامج السياسي والثانية تناقش اللائحة الداخلية . وجرى النقاش في جلسة المناقشة العامة ، وكان أبرز ما فيه تركيز عدد من المتحدثين

على ضرورة ادانة قرار مجلس الامن . وكان ابرز الذين تحدثوا في هذا المجال : ابو اياد ، نايف حواتمه ، محمد اليازغي ، ممثل القوات الشعبية في المغرب .

اما في اللجنة السياسية فكان هنالك اتجاهان : اولهما : يريد ان يدين قرار مجلس الامن صراحة، ويستهدف ادانة تحركات الرجعية العربية المتآمرة مع الامبريالية والصهيونية ، والثاني يريد عدم ذكر قرار مجلس الامن وعدم الاشارة الى النشاطات الرجعية العربية المتآمرة مع الامبريالية ، والموافقة على البرنامج السياسي كما قدمته اللجنة التحضيرية .

وكان اهم ما دار من نقاش في اللجنة التنظيمية هو النقاش الذي دار حول قضية اساسية واحدة: وهي توسيع التمثيل في اطار المؤسسات القيادية للجبهة . ولقد كان مشروع اللائحة الداخلية المقدم من اللجنة التحضيرية يحدد عدد اعضاء اللجنة التنفيذية بخمسة عشر عضوا ، وعدد اعضاء الامانة العامة بخمسة . وقد استبدلت اللائحة الداخلية التي اقرها المؤتمر اللجنة التنفيذية بمجلس عام يضم ممثلا واحدا من كل حركة مشاركة . كما استبدلت الامانة العامة المؤلفة من خمسة اعضاء بأمانة عامة تبلغ نحو واحد وعشرين عضوا .

ولقد كان النقاش السياسي في اللجنة السياسية يتركز على النقاط التالية : (أ) قرار مجلس الامن وخطورته وضرورة ادانته في البرنامج . (ب) دور الرجعية في محاربة الحركة الوطنية العربية عموما ، والحركة الوطنية في الجزيرة والخليج خصوصا . (ج) ادانة اساليب القمع الدموية التي لجأ اليها نظام الحكم في السودان . (د) الاشارة الى الدور التآمري والعدواني الذي تلعبه ايران في الخليج العربي . (هـ) اعتبار قضية العرب في فلسطين القضية الاساسية او ساحة اساسية ومتقدمة . وانتصرت وجهة النظر هذه، بعد نقاشات طويلة . وادخلت تعديلات على نصوص مشروع البرنامج تشمل هذه النقاط روحا لا نصا . فيما يتعلق بقرار مجلس الامن تجاهل مشروع البرنامج هذه القضية نصا ، وان كانت روح مشروع البرنامج ضد التصفية عموما ، ولكن البرنامج السياسي الذي اقره المؤتمر نص على ما يلي في باب اهداف الجبهة :

« ١ ــ مقاومة كل المشاريع التصفوية التي تقوم على تكريس الكيان الصهيوني والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى الحدود الآمنة وتحول القضية الفلسطينية من قضية تحرير قومية الى قضية لاجئين ، وتجعل من تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية حركته الوطنية ثمنا لمختلف التسويات والحلول الكلية والجزئية المطروحة لقضية الاراضي العربية المحتلة خلال عدوان حزيران ١٩٦٧ ... » . وهذا النص لا يرفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فقط ، بل يرفض اية تسوية تحت اي اسم كانت . ومع ذلك فان مشروع البرنامج لا يشير الى القرار بالاسم .

وفيما يتعلق بدور الرجعية تضمن البرنامج المقر الاضافة التالية : « ١٢ ــ التصدي بحزم للقوى الامبريالية والرجعية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي التي تشكل كتلة اخرى معادية للثورة العربية عن طريق القواعد العسكرية الاجنبية ونهب الثورة النفطية وفتح الباب واسعا امام التغلغل الصهيوني المباشر وغير المباشر والتفريط بالسيادة العربية على جزر واراضي المنطقة ومحاصرة حركة الجماهير الوطنية والديمقراطية والانظمة التقدمية بقوة السلاح » (ص ٤) . وواضح في هذه الفقرة من المقصود ، ولكن دون التعرض بالاسم .

اما موضوع التصفية الدموية في السودان فقد وردت في الفقرة ١٣ من الاهداف في البرنامج المقر وتقول هذه الفقرة : « مقاومة كل اشكال القمع الموجهة الى الحركة الشعبية في الوطن العربي والتأكيد على الحريات الديمقراطية للجماهير العربية في التعبير عن ارادتها الوطنية المستقلة في التحرر الشامل ، وعلى الحقوق الديمقراطية للتنظيمات السياسية والنقابية » .

وفيما يتعلق باعتبار القضية الفلسطينية ساحة اساسية او الساحة الاساسية اكتفى البرنامج المقر بالتالي : « كما تشكل قضية الشعب الفلسطيني بكفاحه المسلح ، ساحة اساسية ومتقدمة من ساحات الصدام بين حركة التحرر العربي وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ». وهذه الصيغة التي جرى التوصل اليها بعد نقاش كانت نتيجة الصراع بين مفهومين : الاول يرى ان التناقض العدائي بين الامة العربية من جهة ودولة الاحتلال الصهيوني بكل ما تمثله من احتلال استيطاني وارتباط عضوي بالامبريالية هو التناقض

الاساسي ، وبالتالي فان ساحة القتال في فلسطين هي الساحة الاساسية . أما الثاني فكان يرى ان هذا الصراع يكوّن ساحة اساسية ومتقدمة فقط . وكان بعض المدافعين عن وجهة النظر الثانية يخشى ان تقود وجهات نظر الطرف الاول الى تجاهل اهمية الصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة التي تدور رحاها في طول الوطن العربي وعرضه . ولقد كان انصار المفهوم الاول يرون ان كون القضية الفلسطينية القضية الاساسية للامة العربية لا يعني انها فوق الصراعات الدائرة الان ، او انها تلغيها . فالقضية الفلسطينية هي القضية الاساسية للثورة الوطنية الديمقراطية العربية . والثورة الوطنية الديمقراطية العربية تشمل قضية الوحدة العربية وقضية تحرير البلاد العربية من السيطرة الامبريالية المباشرة وغير المباشرة وانهاء مخلفات القرون الوسطى ، والقضاء على مواقع الاقطاع والكمبرودور . ولكن الساحة الاساسية في هذا كله هي معركة فلسطين . ولم تستطع وجهة النظر هذه ان تدخل الى البرنامج ، مع ان عدم دخولها يعتبر مؤشرا على مدى استيعاب القوى الوطنية والتقدمية العربية لطبيعة المعركة الدائرة الان بين الامة العربية ودولة الاحتلال الصهيوني بكل ما يمثله .

ملاحظات على المؤتمر : ١ — لقد جاء هذا المؤتمر متأخرا عن تاريخ عقده سنوات ، اذ كان يجب ان يعقد سنة ١٩٦٨ . ولكن الثورة الفلسطينية لم تكن سنة ١٩٦٨ مهتمة بعقده لاسباب عديدة . ومع ذلك فان لعقده في هذه المرحلة اهمية . انه اولا يجمع القوى الوطنية والتقدمية العربية لاول مرة من اجل نصرة الثورة الفلسطينية . وهو ثانيا يأتي في وقت تحتاج فيه الثورة الفلسطينية ، وتحتاج فيه كل القوى الوطنية العربية الى التعاضد والتكاتف من اجل مجابهة مؤامرة التصفية والاستسلام .

٢ — لقد التقت القوى الوطنية والتقدمية العربية، ودار بينها نقاش ، حاد حينا ، هادىء حينا ، واضح حينا ، مناور حينا ، ولكنه نقاش ضروري من اجل بلورة نقاط الاتفاق وتحديد نقاط الاختلاف، ومن اجل المزيد من التعارف والتعرف . وما دامت فصائل الحركة الوطنية العربية متباعدة ، لا يجمعها جامع ولا تربطها رابطة ، فان اي لقاء مفيد ، فكيف اذا توّج ببرنامج ؟!

٣ — ولقد نص البرنامج المقر على الالتزام بقضايا مهمة منها : أ — تحرير كامل التراب الفلسطيني . ب — مقاومة كل المشاريع التصفوية . ج — «... ان الثورة الفلسطينية هي جزء من حركة التحرر العربي ، وان للقوى الوطنية العربية نفس الحق وعليها نفس الواجب للمشاركة فيها جنبا الى جنب مع الشعب الفلسطيني .» . د — اقامة جبهة وطنية عربية مشاركة .

وهذه قضايا هامة يشكل الاتفاق عليها منطلقا نحو مزيد من التفاعل والتفاهم والعمل المشترك .

٤ — ولقد كان تقدما فعلا ان توافق الاحزاب الشيوعية العربية على برنامج يكرس القضايا المذكورة اعلاه ، وخاصة قضية تحرير كامل التراب الفلسطيني ، ولكن الخلاف على الموقف من قرار مجلس الامن يكشف الى اي مدى تختلف فصائل الحركة الوطنية العربية على قضايا بديهية واساسية .

٥ — ولقد جاء البرنامج المقر برنامجا لجبهة وطنية ديمقراطية تقدمية ، ولكن هذا البرنامج يجب ان يكون مطمحا للنضال ، لان وضع القوى الوطنية العربية وعلاقاتها لا يجعل قضية العمل على تنفيذه سهلة .

خاتمة : ان انعقاد المؤتمر الشعبي والاتفاق على البرنامج السياسي والتنظيمي للجبهة يمثل حدثا هاما في تاريخ الحركة الوطنية العربية . وعلى كل القوى المشاركة ان تناضل حتى تصبح الجبهة جبهة في الممارسة ، وحتى لا يبقى شعار المشاركة مع الثورة الفلسطينية شعارا معلقا في الهواء .

ن. ع.

تقرير : اعمال ونتائج
« لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب » في الكويت

في الفترة الواقعة بين ١٥ ــ ١٨ ت٢ ١٩٧٢ عقدت في الكويت اجتماعات « لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب » تنفيذا لقرار مجلس الجامعة العربية المنعقد في ١٩٧٢/٩/١٣ « بشأن العدوان الاسرائيلي ، ووضع الاسس لمواجهته وفق خطة عمل عربي مشترك، محددة الوسائل والالتزامات». وهدفنا من هذا التقرير ان نقدم صورة عن نقاشات المؤتمر ، وعن النتائج التي انتهى اليها بشكل عام ، مع تركيز خاص على ما يمس القضية الفلسطينية منها ، وعلى دور الوفد الفلسطيني في هذا المؤتمر .

١ ــ نشاط سبق المؤتمر: قامت الكويت، باعتبارها مضيفة للمؤتمر ، بنشاط سياسي واضح قبل انعقاده ، من اجل تأمين حد ادنى من النجاح له. وأجرت في سبيل ذلك اتصالات سياسية استهدفت ما يلي : أ ــ ازالة التوتر في العلاقات العربية الثنائية ، وبشكل خاص العلاقات بين الاردن وكل من سوريا ومصر والجزائر ، التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع الاردن بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ ضد المقاومة الفلسطينية . وكذلك العلاقات بين الاردن وكل من الكويت وليبيا ، حيث قامت الكويت **بتجميد** دفع المعونة الاقتصادية للاردن ، كما أقرت في مؤتمر القمة بالخرطوم عام ١٩٦٧ . وحيث قامت ليبيا **بقطع** هذه المعونة . ب ــ البحث في امكانية عودة التفاهم بين النظام الاردني والمقاومة الفلسطينية بحيث تستطيع المقاومة ان تعود الى الاردن ، وان تمارس دورها النضالي ضد اسرائيل من اراضي الضفة الشرقية . ج ــ البحث في مدى استعداد الاردن ، والدول العربية الاخرى ، لاحياء الجبهة الشرقية ، باعتبار ان هذا الموضوع ، يشكل ركنا أساسيا في اي خطة عربية مشتركة لمواجهة اسرائيل .

والذي جرى ان كافة الدول العربية المعنية وضعت شرطا واحدا لكي تعود علاقاتها مع الاردن الى صورتها الطبيعية ، ويتلخص هذا الشرط في الوصول الى اتفاق بين المقاومة والنظام الاردني، على أساس ان هذه الدول اعتبرت ان لا وجود لاي مشكل بينها وبين الاردن سوى موضوع الموقف من المقاومة . وانطلاقا من هذا البحث في ازالة توتر العلاقات العربية ، وجدت الكويت نفسها محصورة في نطاق العلاقات الاردنية ــ الفلسطينية، فنشأ ما تناقلته الصحافة العربية على انه وساطة كويتية جديدة بين المقاومة والنظام الاردني . لقد كانت هناك وساطة بالفعل ، انما من هذا المدخل، وتؤكد مصادر منظمة التحرير ان هذه الوساطة لم تأخذ مداها ، اذ اكتفت الكويت ببحث الموضوع مع النظام الاردني ، ولم تبادر لمعرفة راي منظمة التحرير الفلسطينية . وفي هذه اللقاءات الكويتية ــ الاردنية اعلن الاردن استعداده لبحث موضوع الجبهة الشرقية ، وعودة حركة المقاومة ، انما منضمن خطة عربية متكاملة،ومن ضمن تصور شامل للتحرير ، تأخذ حركة المقاومة في الاردن دورها من خلاله . وكان هذا الموقف تكتيكا ذا مظهر ايجابي ، ظهرت دوافعه الحقيقية السلبية عبر مناقشات المؤتمر ، كما سنرى فيما بعد .

٢ ــ جدول اعمال المؤتمر : كان من المقرر ان يبحث المؤتمر النقطة الوحيدة المدرجة على جدول أعماله والتي تنص على ما يلي : « ... تقييم الواقع العربي ، ووضع أسس خطة عربية مشتركة ، محددة الوسائل والالتزامات ، لمواجهة العدوان الاسرائيلي » . ولكن الذي جرى عمليا أن المؤتمر أحدث تغييرا على جدول اعماله ، وبدلا من ان يبحث في خطة عربية مشتركة ، اكتفى ببحث نقطتين : ١ ــ بحث الخلافات العربية القائمة ، والسعي لتصفيتها . وهنا كان التركيز على علاقات الاردن بالمقاومة ، وعلاقات الاردن بالدول العربية الاخرى . ٢ ــ قام رؤساء الوفود والعائد معظمهم من اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة ، بتبادل المعلومات المتوفرة لديهم حول الوضع الدولي والمواقف المنتظرة بصدد أزمة الشرق الاوسط .

وبهذا التغيير في جدول الاعمال تحول المؤتمر ، من مؤتمر تخطيطي لوضع أسس خطة مشتركة ، الى مؤتمر للنقاش والحوار ومعرفة وجهات النظر المختلفة . وعلى اساس ذلك يمكن القول انه فشل منذ البداية . وهنا يجب ان نلاحظ ان هذا التغيير في جدول اعمال المؤتمر . قد ترافق مع الاعلان عن مبادرة امريكية جديدة ، ينتظر الكشف عنها في

فترة لاحقة ، ولذلك ركزت كثير من تعليقات الصحف والاوساط السياسية ، على الارتباط القائم بين المبادرة الامريكية وتغيير جدول الاعمال ، كما كان لهذه القضية ايضا أمتداداتها الى داخل المؤتمر .

٣ — أوراق الوفد الفلسطيني : ترأس الوفد الفلسطيني الى المؤتمر السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، وضم الوفد في عضويته ممثلين عن فتح والصاعقة والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية . وذهب الوفد بعد ان انجزت الدائرة السياسية اعداد مجموعة من المذكرات طرح مضمونها على اللجنة التنفيذية ، فكان بذلك الوفد الوحيد ، بالاضافة الى الوفد السوري ، الذي استعد سلفا لبحث الموضوع الاساسي الذي كان مدرجا على جدول اعمال المؤتمر ، ولكن التغير الذي طرأ على جدول الاعمال أدى الى عدم البحث في مذكرة الوفد الفلسطيني ، فاكتفى الوفد بتوزيعها على اعضاء الوفود العربية الاخرى . اما المذكرات التي أعدت فهي : ١ — مذكرة تتضمن عرضا عاما لاسس خطة استراتيجية عربية لمواجهة العدوان الصهيوني . ٢ — مذكرة تتضمن عرضا عاما للواقع العربي ، ونقاط القوة والضعف فيه . ٣ — مذكرة تتضمن عرضا عاما للموقف الفلسطيني. ٤ — دراسة عن دور النفط في الاقتصاد الاسرائيلي . ٥ — دراسة بعنوان « سبل استخدام النفط العربي لصالح القضية الفلسطينية» أعدها الدكتور يوسف صايغ (نشرت في شؤون فلسطينية — العدد ١٦) . وابرز ما جاء في هذه المذكرات :

— ... والواقعية العربية الان ، والتي جوهرها اليأس من مجابهة العدو وقهره ، تعبير مادي عن الاستسلام مغطى بفلسفة تبررها اوهام وخيالات لنظريات المصالح والتوازن العالمي والعامل الاوربي . ولم يستطع العرب حتى الان ان يقرروا بأن الحل الصحيح لمسالة الصراع بينهم وبين العدو الصهيوني ، بيدهم ، وعلى الارض المحتلة بالذات ... وباتوا يعتقدون ان سلما سيفرض في المنطقة بتأثير القوى الكبرى ، وبهذا يضمنون براءة الذمة من النضال ضد العدو .

... ان واجبنا ان نوضح ان العدو يستهدف القضاء على كل الامة العربية ... فلا مداراته ولا الاستسلام له، ولا الحلول السياسية والسلمية معه بقادرة على تغيير الحقيقة — حقيقة العدو وغزوته ، وحقيقة الصراع معه ، حيث انه صراع حياة أو موت ، لا صراع حدود او قرارات دولية. وعليه كان لزاما علينا أن نقرر موقفنا بجرأة وحزم . نختار بين المواجهة او الفناء الحضاري والمدني .

— وفي مسيرة الصراع بيننا وبين العدو الصهيوني ظهرت عدة آراء تجعل تحرير الارض المحتلة أمرا معلقا في الفراغ . وفي اعتقادنا ان استراتيجية المواجهة يجب ان تنبثق عن الواقع القائم بكل سلبياته ، بمعنى ان يكون الواقع هذا ، موضع تفكرنا لتغييره ، لا مصدر تفكيرنا للعمل من خلال معطياته السلبية ... بحيث يتم تغيير الواقع من خلال النضال ، وليس من خلال حالة اللاسلم واللاحرب .

— ان بقاء الواقع العربي على وضعه الراهن ، سيكرس السلبيات ويجمد عناصر القوة ، ويؤدي الى بقاء منطلق السياسات العربية مستندا الى حالة الشعور بالضعف، ومن ثم الشعور باستحالة المجابهة الناجحة . وبالتالي فان المنتصر الحقيقي في أي حل غير التحرير ، سيكون العدو نفسه . وحين انتقلت المذكرات الى تحديد الاهداف المرحلية والبعيدة المدى ، شددت على مرحلة العمل النضالي الذي يتطور من الدفاع السلبي الى مرحلة التصدي ، الى مرحلة الردع ، ثم الى مرحلة الهجوم ، مقابل النظرية المضادة القائلة بأن التسويات السياسية تشكل مرحلة أولية للتحرير .

٤ — موضوعات المؤتمر : طرحت في المؤتمر ، وفي نطاق تبادل المعلومات فقط ، قضية المبادرة الامريكية الجديدة . وذلك حين أشار رئيس الوفد الفلسطيني السيد خالد الحسن الى ان المبادرات الامريكية تظهر قبل كل اجتماع عربي من هذا النوع . واكد قناعة منظمة التحرير بأن « هدف هذه المبادرات الامريكية تمييع الاجتماعات العربية، واستغلال عامل الزمن لصالح اسرائيل » .

ثم تحدث في الموضوع السيد عبدالعزيز بوتفليقه رئيس الوفد الجزائري فروى ان التصور الامريكي للتسوية السياسية ، حسب ما ابلغه به وليم روجرز وزير الخارجية ، يقوم على الاسس التالية:
١ — ان ينطلق الحل المصري الاسرائيلي من فتح قناة السويس كتمهيد للمفاوضات حول بقية

القضايا التي يتناولها الحل الشامل . ٢ — ينطلق الحل الاردني الاسرائيلي من مشروع الملك حسين الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة . ٣ — يكون الحل الفلسطيني الاسرائيلي من ضمن مشروع المملكة العربية المتحدة . وعلى ضوء هذه المعلومات طلب من الدكتور محمد حسن الزيات رئيس الوفد المصري أن يعرض ما لديه من معلومات . فنفى باصرار ان تكون هناك اية مبادرة أمريكية جديدة ، ولكنه لم يحدد موقف بلاده اذا ما عرضت مثل هذه المبادرة . وهنا لفت الانظار بشكل خاص حديث الوفد السوري الذي دعا أكثر من مرة الى ضرورة تأكيد لاءات مؤتمر الخرطوم الثلاث (لا صلح ، لا تفاوض ، لا اعتراف) .

وبعد تبادل المعلومات حول موضوع المبادرة الامريكية جرى البحث في موضوع العلاقات بين الاردن والمقاومة الفلسطينية . فتكلم صلاح ابو زيد رئيس الوفد الاردني الذي لخص موقف حكومته على الشكل التالي : ١ — يعلن الاردن استعداده للعمل الجماعي العربي ويتمسك به . ٢ — يعلن استعداده لقيام الجبهة الشرقية والاسهام فيها . ٣ — يشترط ان يكون وجود حركة المقاومة الفلسطينية ودورها العسكري المنطلق من الاردن جزءا من وجود الجبهة الشرقية وخطة عملها . ٤ — يشترط أن يتم كل ذلك من ضمن خطة عربية شاملة ، وليس من ضمن اتفاقات ثنائية .

وقد كان هذا الموقف الاردني ، مدار جدل ونقاش واسع ، لانه ربط موضوع الجبهة الشرقية ، وموضوع حركة المقاومة ، بوجود خطة عربية شاملة ، وهو يعرف سلفا ان هذه الخطة لن توضع في هذا المؤتمر ، أولا بسبب الخلافات العربية الواضحة ، وثانيا بسبب التغيير الجذري الذي أدخل على جدول الاعمال . وبذلك يكون التركيز على الخطة العربية الشاملة مجرد حجة للتهرب من الالتزام بأي قرار مهما كانت درجته . وفي كواليس المؤتمر ، حاولت بعض الوفود اقناع الوفد الاردني بتغيير موقفه ، ولكن كل هذه المحاولات لم تثمر .

بعد الوفد الاردني تكلم السيد عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري ، الذي تقدم باقتراح يدعو لتشكيل لجنة عربية تضم مصر وسوريا وليبيا والكويت والسعودية ، تقوم بدراسة موضوع العلاقات بين المقاومة والاردن ، وتضع تصورها للحل ، ثم تقوم باجراء اتصالات ثنائية مع الطرفين لمعرفة رأيهما . فاذا كان هناك مجال للاتفاق ، يدعو وزير الدفاع السوري الى اجتماع مشترك في دمشق لبحث الوسائل العملية للتنفيذ .

أخيرا تكلم السيد خالد الحسن رئيس الوفد الفلسطيني فانتقد مواقف الحكومات العربية التي تعتبر نفسها طرفا محايدا وتقول « لا شيء بيننا وبين الاردن ، اذا اتفق على حل مشكلاته مع المقاومة » فأعلن رفضه لمعالجة القضية من زاوية العلاقات الثنائية بين الاردن والمقاومة ، وطالب بأن تحدد الدول العربية أولا موقفها من القضية الفلسطينية، وأسلوب التصدي لها ، قبل أن تحدد موقفها من العلاقات الثنائية ، لان عودة العلاقات ليست غاية بحد ذاتها ، بل وسيلة لغاية أساسية هي العمل من أجل التحرير . ثم حدد رئيس الوفد الفلسطيني الاسس التي ترى منظمة التحرير الفلسطينية أنها المنطلقات الضرورية لاية وساطة وهي : ١ — ان يكون البحث في احياء الجبهة الشعبية ، وفي عودة حركة المقاومة الى الاردن ، وفي ازالة الخلافات العربية ، وسيلة لوضع خطة عربية شاملة من اجل التحرير ، وليس غاية بحد ذاتها . ٢ — الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني . ٣ — مستقبل الشعب الفلسطيني يقرره هو بنفسه ، ولا يقرره مشروع المملكة العربية المتحدة ، او اي مشروع آخر . ٤ — عدم الارتباط الفلسطيني بأية تسوية سياسية تعقدها الدول العربية . ٥ — عدم الارتباط الفلسطيني بأي قرار لوقف اطلاق النار تم في الماضي ، او يتم في المستقبل . ٦ — ان يمتلك العمل الفدائي المنطلق من الاردن ، حرية الحركة العسكرية ، وحرية الاتصال بالجماهير والعمل على تعبئتها .

وبعد تحديد الموقف الفلسطيني على هذه الصورة، سئل الوفد الاردني في الجلسة الرسمية عن موقفه النهائي ، على ضوء الاقتراح السوري ، ثم على ضوء النقاط التي حددها الوفد الفلسطيني، فأعلن تمسكه بموقفه المعلن ، مبينا انه لا يمتلك صلاحيات بالبحث في أي موضوع خارج اطار الموقف الذي عرضه .

وعلى ضوء هذا الاستعراض للقضايا الاساسية التي بحثت في المؤتمر ، يمكن القول انه قد فشل، وان هذا الفشل يعود الى اسباب عدة ابرزها :

اولا : انه عجز عن بحث الموضوع الاساسي الذي اجتمع من اجله . ثانيا : عجز من ايجاد حل لازمة العلاقات بين الدول العربية . ثالثا : الموقف الاردني الذي أدى عمليا الى تعطيل اي بحث في انشاء الجبهة الشرقية ، وفي عودة المقاومة للاسهام بدورها في العمل ضد اسرائيل . رابعا : رفض المؤتمر البحث في موضوع النفط، وكيفية استخدامه كسلاح في المعركة ، بالرغم من المذكرة الفلسطينية المقدمة .

ونتيجة لهذا الفشل جاءت توصيات المؤتمر في النهاية ، توصيات عامة ولفظية لم تخرج عن اطار : « ان مسؤولية المواجهة للعدوان الصهيوني هي مسؤولية عربية ، يتحتم على الدول العربية كلها تحملها والمشاركة فيها » . « ... الاستمرار في رفض الدول العربية للحلول الجزئية الضارة بالقضية الفلسطينية ». « التنسيق بين الدول العربية في مختلف المواقف ، وتبادل المعلومات مباشرة او بواسطة الامانة العامة للجامعة » ... الخ . واتفق في المجال العسكري على عقد اجتماع لرؤساء الاركان العرب لتحديد الاحتياجات التي تستلزمها الخطة العسكرية للتحرير ، على ان يرفع رؤساء الاركان تقريرا الى مجلس الدفاع المشترك الذي سيعقد في شهر كانون الثاني لعام ١٩٧٣ .

ب. ح.

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

عندما تم انتخاب نيكسون الى منصب الرئاسة الامريكية منذ اربع سنوات حاول أن يخلق في بداية عهده جوا من الارتياح والتفاؤل بالنسبة للسياسات العالمية التي قال انه سيتبعها وخاصة في مناطق الاضطراب الاساسية مثل الفيتنام والشرق الاوسط . على هذا الاساس وعد بانهاء الحرب في فيتنام وادلى بتصريحات حول الشرق الاوسط تفيد بانه يريد اتباع سياسة اكثر « توازنا » من سلفه بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي . وتبع ذلك بارسال مبعوثه الخاص — وليم سكرانتون — الى منطقتنا من اجل تقصي الحقائق . ولكن لم تمض الا فترة قصيرة حتى تبين ان نيكسون يعمل على دفع السياسة الامريكية الخارجية باتجاه المزيد من العدوانية والشراسة والتصلب الامبريالي، خاصة في منطقتي جنوب شرقي اسيا والشرق الاوسط . بعد تجديد الولاية للرئيس نيكسون في الشهر الماضي لم يحاول ان يخلق اية اجواء مرتاحة ومتفائلة كما فعل في المرة الاولى ، بل على العكس من ذلك ادلى بمجموعة تصريحات حول السياسات التي ينوي اتباعها في السنوات الاربع المقبلة تشير الى ان البرنامج الذي سيطبقه في الحقل الداخلي سيكون بالتأكيد اكثر يمينية بكثير من برنامج الرئيس جونسون ، وانه لن يخفف في دفعه للسياسة الامريكية الخارجية باتجاه المزيد من التصلب الامبريالي ، خاصة في الشرق الاوسط . وهذا يعني انه لا يمكن ، في هذه المرحلة ، انتزاع اي مكسب وطني ضد المصالح الامبريالية بدون مواجهات حامية معها ومع قواها المسيطرة والمهيمنة بقوة السلاح في منطقتنا . وقد بدأ هذا الاتجاه في سياسة نيكسون يتضح بعمليات التلكؤ والمماطلة بالنسبة لقضية توقيع اتفاقية النقاط التسع التي تم التوصل اليها بين كيسنجر وممثلي الثورة الفيتنامية في باريس عشية الانتخابات الامريكية الاخيرة . هذا مع تكثيف القصف الجوي والبحري لفيتنام الى مستوى لم تعرفه الحرب من قبل . اما بالنسبة للشرق الاوسط فان كل الدلائل تشير الى ان حكومة نيكسون ما زالت غير مهتمة ولا ترى انه في مصلحتها الضغط على اسرائيل من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او من اجل الموافقة على مذكرة يارينغ المشهورة ، مثلا . كما انه لا يوجد اية دلائل تشير الى ان تغيرا سيطرأ على الموقف الامريكي فيما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي وبالنسبة لاصرار امريكا على استمرار الوضع القائم في الشرق الاوسط الى اطول مدة

ممكنة عن طريق الامتناع عن فرض اية تسوية للنزاع من الخارج (هيئة الامم ، الدول الاربع الكبرى ، الخ) ، والدعوة لايجاد حل من قبل الاطراف المعنية بالنزاع مباشرة بواسطة مفاوضات من نوع ما . يضاف الى ذلك العودة المتكررة لطرح فكرة محادثات الجوار بين مصر واسرائيل من اجل تحقيق مشروع التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس . ويكتسب هذا الموقف الامريكي اهميته عندما نقارنه بالمطالب التي ما زالت الدبلوماسية المصرية توجهها الى امريكا من اجل الضغط على اسرائيل لتنفيذ التسوية السياسية في المنطقة. على سبيل المثال ، يقول وزير خارجية مصر في مقابلة مع النهار (٥ كانون الاول) أجريت اثناء وجوده في هيئة الامم « ان الطريق الذي يمكن ان تتدخل فيه الولايات المتحدة في الشرق الاوسط هو ان تمنع اسرائيل من الاستمرار في موقفها وذلك بايقاف الشحنات العسكرية والمادية اليها والاشتراك بعمل دولي ، كفرض العقوبات او تهديد اسرائيل بالطرد من الامم المتحدة لدفعها الى تغيير موقفها . وفي خطابي (في الجمعية العامة لهيئة الامم) طلبت من امريكا كل هذه الطلبات ومنها الكف عن تقديم المساعدة لان ذلك يعني اشتراكها في احتلال الاراضي العربية ، كما طلبت منها ومن كل الدول البحث في موضوع الطرد وموضوع فرض العقوبات ويكفينا من امريكا ان تكف عن تقديم المساعدات العسكرية والمادية . » وواضح ان توقعات الدبلوماسية المصرية وطلباتها من امريكا تتعارض تعارضا تاما مع الموقف الثابت والدائم لهذا البلد من النزاع في الشرق الاوسط . وجدير بالذكر هنا ان نيكسون اعطى لهذا الاتجاه المتصلب في سياسته الخارجية تغطية مستمدة من الدبلوماسية الشخصية الهادئة التي تمثلت بصورة دراماتيكية في الزيارات التي قام بها لعدد من العواصم العالمية واهمها بكين وموسكو . وبالنسبة للشرق الاوسط بدأت تغطية الخط السياسي النيكسوني المتشدد تظهر على شكل : (أ) اخبار صحافية حول نية الرئيس الامريكي القيام « بمبادرة جديدة » لاحلال السلام في الشرق الاوسط مما خلق جوا من الترقب والانتظار سيستمر لفترة في المستقبل القريب . (ب) اخبار صحافية ترددت في مصر حول عزم هنري كيسنجر — مستشار نيكسون الرئيسي — زيارة عواصم الشرق الاوسط على امل ان يتمكن من تحقيق نجاح في احلال السلام يشبه النجاح الذي يقال انه حققه في التوصل الى اتفاقية النقاط التسع للسلام في فيتنام . (ج) الخبر الذي اطلقته صحيفة « الفيغارو » الفرنسية والقائل بأن مصر والولايات المتحدة قد اتفقتا تقريبا على مشروع وضعه كيسنجر للسلام في الشرق الاوسط يدعو لانسحاب اسرائيل من منطقة قناة السويس بعد اعادة فتح القناة ، والى اجراء مفاوضات مع اسرائيل واقامة كيان فلسطيني مستقل في الضفة الغربية وقطاع غزة . ونشر الصحافي الامريكي جاك اندرسون — الذي يدعي انه على اطلاع على بعض الوثائق السرية لوكالة الاستخبارات المركزية — في احدى مقالاته انباء تقول ان كيسنجر يعد مشروعا سريا لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وان الرئيس نيكسون سيبحث في هذا المشروع مع الزعيم السوفياتي بريجنيف عندما يلتقيان في واشنطن في العام المقبل (د) الانباء الصحفية التي ترددت في بيروت (منسوبة الى مصادر مطلعة في واشنطن) بأن الرئيس نيكسون ينوي زيارة القاهرة وتل ابيب في الربيع المقبل من اجل حل النزاع العربي الاسرائيلي . وذكرت هذه الانباء ان الرئيس الامريكي سيلجأ لهذا الاسلوب لان زيارته لكل من بكين وموسكو حققت نتائج ايجابية على صعيد الانفراج في العلاقات الدولية وباتجاه تسوية النزاعات المزمنة عن طريق المفاوضات وبالاساليب السلمية . (هـ) الدعوة التي اطلقها احد كبار المعلقين الصحفيين في صحيفة « النيويورك تايمز » حول ضرورة اعادة العلاقات الدبلوماسية بين امريكا ومصر . (و) أخبار ترددت حول وساطة تجريها تونس حاليا بين مصر والولايات المتحدة بعد الزيارة الاخيرة لرئيس الحكومة التونسية — الهادي نويرة — للقاهرة حيث تمت مناقشة موضوع الوساطة مع الرئيس السادات بصورة مطولة . ويبدو ان موضوع الوساطة يدور حول موضوع قديم هو ما اذا كانت الولايات المتحدة مستعدة للضغط على اسرائيل من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتفسيره السوفياتي — المصري ام لا . وقد اشار المصمودي بايجاز الى هذه الوساطة في مقابلة اجرتها معه صحيفة النهار (٢٢ تشرين الثاني) حيث قال ان بلاده « تسعى الى اطلاع امريكا على الوضع الذي وصلت اليه مصر نتيجة سلوك الدول الكبرى » . وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى ان مصادر البيت الابيض نفت وجود خطط عند الرئيس نيكسون في الوقت الحاضر

لزيارة الشرق الاوسط ، كما نفت السفارة الامريكية في بيروت ان يكون لديها اي علم بمشروع اعده كيسنجر من اجل السلام في المنطقة . الا ان وزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — صرح في نيويورك ان بلاده مستعدة لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة اذا كانت لدى الاخيرة الرغبة في ذلك على ان تكف عن مساعدة اسرائيل في الحفاظ على الاراضي العربية المحتلة. وبالرغم من التشويش الذي تخلقه هذه الدفعة من الانباء المتشابكة والمتضاربة احيانا يمكننا ان نقول ان تحركا امريكيا جديدا في الشرق الاوسط ليس مستبعدا بعد فترة غير طويلة نسبيا . الا انه سيكون بالتأكيد من نوع التحركات القديمة بأهدافها الامبريالية المعروفة ، وبهذا المعنى لن يكون في التحرك اي شيء جديد . ويبدو ان نتائج زيارة دايان الاخيرة لواشنطن تشير بهذا الاتجاه وتعطينا لمحة عن حقيقة الاتجاه الذي ستسير فيه السياسة الامريكية في منطقتنا . قابل دايان وليم روجرز ، وهنري كيسنجر وجوزيف سيسكو وكبار المسؤولين في وزارة الدفاع بالاضافة الى مدير وكالة الاستخبارات الامريكية ريتشارد هيلمز . وقد صرحت مصادر وزارة الخارجية الامريكية حول الزيارة انه بعد مناقشة الوضع في الشرق الاوسط من كافة وجوهه مع دايان تبين ان هناك اتفاقا حول الحاجة « لعملية دبلوماسية من نوع ما » في المنطقة . وقد اوضحت هذه المصادر ان دايان اطمأن على استمرار وصول طائرات الفانتوم وتاذفات أ — ٤ الى اسرائيل كما طلب الحصول على اسلحة اضافية اهمها : صاروخ ارض — ارض « لانس » مداه ٥٠ ميلا ، الطائرة العمودية « كوبرا » المشهورة بتحصينها المدفعي ، الصاروخ الموجه بالتلفزيون « مافريك » وقنابل موجهة بأشعة لايزر تستعملها امريكا فيفيتنام. واكد دايان لمضيفيه ان الوضع في الشرق الاوسط افضل بكثير مما كان عليه قبل عام لان الخبراء السوفيات خرجوا من مصر ، ولان لبنان اصبح على استعداد اكبر لمنع الفدائيين من العمل من اراضيه ، ولان نظام الحكم في الاردن في وضع مستقر اكثر من اي وقت مضى . بالنسبة للعلاقات العربية السوفياتية يمكننا ان نقول ان هناك رغبة واضحة من قبل الطرفين لترميمها بعد التدهور الذي اصابها على اثر اخراج الرئيس السادات الخبراء السوفيات من مصر . وقد قطعت عمليات الترميم هذه شوطا بعودة كل من السفير السوفياتي والمصري الى منصبه الرسمي ، وقيام الرئيس صدقي بزيارة موسكو في النصف الثاني من شهر تشرين الاول ١٩٧٢ . وكان اخر تحرك بهذا الاتجاه قيام وفد عسكري مصري برئسه قائد سلاح الجو — الفريق حسني مبارك — بزيارة موسكو في النصف الثاني من شهر نوفمبر . واجرى الوفد محادثات مع كبار القادة العسكريين السوفيات بهدف متابعة الحوار بين البلدين ووضع الترتيبات اللازمة لاستمرار ارسال انواع معينة من الاسلحة وقطع التبديل الى مصر. وقد ترددت انباء صحفية حول امكانية عودة عدد محدود من الخبراء السوفيات الى العمل في مصر، وحول موافقة الاتحاد السوفياتي على شحن بعض اسلحة دفاعية جديدة الى مصر . وبمناسبة احتفالات الذكرى الخامسة والخمسين لثورة اوكتوبر القى الماريشال غريشكو خطابا تعهد فيه باستمرار تقديم المساعدات السوفياتية لفيتنام والدول العربية التقدمية . كما القى النائب الاول للحكومة السوفياتية خطابا في الكرملين بهذه المناسبة شدد فيه على موقف الاتحاد السوفياتي كصديق وحليف للشعوب العربية في نضالها ضد السياسة التوسعية الاسرائيلية المدعومة من قبل القوى الامبريالية . كما اكد ان بلاده تعمل على تحقيق سحب كامل للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة مع مراعاة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني باعتبار ان ذلك شرطا ضروريا من شروط احلال سلام عادل وراسخ في المنطقة . واشار الى ان الاتحاد السوفياتي يعمل بثبات على تطوير صلات الود والتعاون مع الدول العربية التقدمية .

أما بالنسبة للموقف الاوروبي الغربي من النزاع في الشرق الاوسط فلم تحدث اية تطورات مهمة اثناء هذا الشهر باستثناء المفاوضات الجارية بين مصر وبريطانيا لشراء اسلحة دفاعية انكليزية . وقد اكد بيان صادر عن وزارة الخارجية البريطانية في النصف الثاني من شهر نوفمبر وجود هذه المفاوضات . وترددت انباء صحفية تقول انه تم التوصل الى اتفاق بين الدولتين اثناء زيارة وزير خارجية مصر للعاصمة البريطانية ، وان الصفقة تقدر بنحو ١٠٠ مليون جنيه استرليني وتشمل دبابات خفيفة وزوارق دورية وصواريخ متوسطة المدى وسيارات مدرعة ، وكلها اسلحة ذات طابع

دفاعي . الا انه من المرجح الا توافق بريطانيا على تزويد مصر بطائرة لايتنينغ الاعتراضية .

استعدادا لفتح مناقشة قضية الشرق الاوسط في هيئة الامم بعث الرئيس السادات برسائل الى ٣٥ دولة لاطلاعهم على اخر التطورات التي طرأت على النزاع العربي الاسرائيلي وللتحذير من مغبة المخاطر التي ينطوي عليها الجمود المخيم على الازمة في الوقت الحاضر . وفي هيئة الامم نفسها تمت مناقشة موضوع الارهاب الدولي في الجمعية العامة ، وهو موضوع ادرجه الامين العام على جدول اعمال الجمعية بعد الهجوم الذي شنه فدائيو ايلول الاسود على الجناح الاسرائيلي الاولومبي في مدينة ميونيخ . ومعروف ان دولا كثيرة تحفظت ازاء مناقشة هذا الموضوع في هيئة الامم تخوفا من استخدام المناسبة كسلاح ضد حركات التحرر الوطنية في كافة انحاء العالم من قبل الدول الاستعمارية والامبريالية عامة . وكانت نتيجة المناقشة قيام معظم دول المنظمة بتسجيل موقف ضد الارهاب الدولي من حيث المبدأ ومن ثم تحويل القضية الى اللجنة القانونية من اجل دراستها واعداد مسودة اتفاق حول مواجهة الارهاب الدولي . وقد عبر موقف الاتحاد السوفياتي عن شعور الدول المتخوفة من ادخال هذا الموضوع الى المنظمة الدولية ومضاعفاته بالنسبة لحركات التحرر . وتلخص هذا الموقف بتاييد احالة الموضوع الى اللجنة القانونية ، والاعلان عن معارضة كل محاولة لاستخدام مناقشة موضوع الارهاب للنيل من الكفاح « المشروع والعادل الذي يخوضه المناضلون في سبيل حريتهم الوطنية والاجتماعية » علما بأنه كفاح اعترفت المنظمة الدولية بشرعيته .

في اواخر تشرين الثاني بدأت الجمعية العامة مناقشتها السنوية الشاملة لقضية الشرق الاوسط، بعد تأجيل موعد افتتاح المناقشة عدة مرات لاسباب مختلفة . حضر المناقشة الوسيط الدولي غونار يارينغ ، ووزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — كرئيس لوفد بلاده ، ولم يحضر ابا ايبان (خلافا لما كان يجري في السنوات السابقة) في محاولة واضحة من قبل اسرائيل للتقليل من شأن المناقشة واهميتها . اما اهم وجهات النظر التي تم ذكرها في المناقشة فكانت : (أ) عودة الولايات المتحدة الى الاعلان من جديد عن استعدادها لمساعدة مصر واسرائيل على عقد تسوية مؤقتة تسمح باعادة فتح قناة السويس ، وعن تمسكها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي تعلق عليه اهمية كبيرة باعتباره يحدد الاطار الاساسي لتسوية ازمة الشرق الاوسط . وشدد المندوب الامريكي — بوش — في خطابه على اهمية المفاوضات ودورها في تسوية النزاع مستشهدا بالانفراج الدولي الحاصل (عقب زيارة الرئيس نيكسون للصين والاتحاد السوفياتي) وبالمفاوضات الجارية بين بعض بلدان المعسكر الاشتراكي والمعسكر الراسمالي لتسوية النزاعات المزمنة او العالقة منذ فترة طويلة . كما اكد ان لبلاده مصلحة كبيرة في بدء مثل هذه المفاوضات بين الاطراف المعنية بمشكلة الشرق الاوسط . (ب) اعراب المندوب البريطاني عن قلق بلاده بسبب الاجراءات التي تتخذها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة التي من شأنها تبديل طبيعة هذه المناطق وذكر تحديدا اقامة المستوطنات الاسرائيلية فيها . كذلك حذر اسرائيل من مغبة هذه الاعمال لانها تشكل عقبة امام امكانات تحقيق السلام في المنطقة ان لم تقض عليها كليا . وأكد على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن تنفيذا كاملا كأساس لاحلال السلام في الشرق الاوسط . من الواضح ان وجهة النظر البريطانية في هيئة الامم لا تتعدى الموقف المعروف لدول اوروبا الغربية حول النزاع العربي الاسرائيلي وكيفية تسويته . واهم ما في هذا الموقف رفضه الكامل لاية محاولة دولية هدفها فرض عقوبات على اسرائيل لحملها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتنفيذ بنود قرار مجلس الامن . (ج) احدث خطاب مندوب السنغال ضجة في المنظمة الدولية بسبب هجومه على اسرائيل وعلى موقفها من البعثة الافريقية للسلام التي زارت الشرق الاوسط السنة الماضية برئاسة الرئيس السنغالي سنغور (بعثة حكماء افريقيا) . وقد ترددت انباء حول امكانية قيام دولتين افريقيتين اضافيتين — السنغال والنيجر — بقطع علاقاتهما مع اسرائيل بعد ان فعلت ذلك كل من غينيا والتشاد واوغنده . (د) في الخطاب الذي القاه ممثل مصر في المنظمة الدولية ركز على عدة نقاط كان اهمها : دعوة دول العالم الى عدم دعم اسرائيل وتأييدها ماديا ومعنويا ، والى عدم تزويدها بالسلاح طالما هي مستمرة في احتلالها للاراضي العربية . وفي معرض مطالبته هيئة الامم باتخاذ الإجراءات اللازمة لانهاء الاحتلال الاسرائيلي

اكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ودعا الى معاقبة اسرائيل . كذلك شدد ممثل مصر على تمسك بلاده بالمادة ٥١ من ميثاق المنظمة الدولية التي تنص على حق كل دولة بالدفاع عن اراضيها ، وهذا يعني التلويح باللجوء الى الحرب لاستعادة ما فقدته مصر من اراض على اثر هزيمة ١٩٦٧ . الا ان الزيات اكد ايضا ان ثقة بلاده بعدالة الامم المتحدة ما زالت موجودة وستستمر مصر في الوقت الحاضر بالاعتماد على هذه الثقة من اجل تحقيق حل سلمي للنزاع . ووجه الزيات النقد بصورة خاصة الى الولايات المتحدة متهما اياها بالتحالف غير المعلن مع اسرائيل وبمدها بالاسلحة « مما يشجعها على الاستمرار في الاحتلال والتمادي في متابعة اعتداءاتها » .

على صعيد اخر ذكر الزيات في مقابلة تلفزيونية في نيويورك ان بلاده لا تريد من هيئة الامم المتحدة فرض عقوبات على اسرائيل ، بل تريد منها اصدار تحذير للدولة المحتلة . واكد ان مصر تريد السلام وهي مستعدة لدفع الثمن . ولكن بالمقابل على اسرائيل التعهد باعادة سيادة مصر ضمن حدودها الدولية المعترف بها تاريخيا .

وفي تصريح اخر له اكد من جديد التزام مصر بعقد اتفاق سلاح مع اسرائيل ، وان اي اتفاق مؤقت حول تسوية النزاع يجب ان يكون حلقة اولى في سلسلة متواصلة من المراحل نحو تسوية نهائية للصراع في المنطقة . اما بالنسبة للمشروع الامريكي الداعي الى « محادثات الجوار » بين مصر واسرائيل فقد قال الزيات ان حكومة بلاده لا تعارض اجراء مثل هذه المحادثات شرط ان يكون الفريق الثالث فيها محايدا . ورفض فكرة القبول باجراء محادثات مباشرة مع اسرائيل . بالاضافة الى ذلك شدد — بصفته وزيرا لخارجية بلاده — على استمرار مصر في الموافقة على مذكرة يارينغ المشهورة (٨ شباط ١٩٧١) التي رفضت اسرائيل الالتزام بمحتوياتها . وقال « لقد قبلنا في الماضي ونقبل الان وسنقبل كل جهد ممكن من شأنه ان يفعل شيئا لانهاء هذه الحرب . واية طريقة لانهائها ستلقى ترحيبنا » .

(هـ) اما مندوب اسرائيل — جوزيف تكواع — فقد تجاهل في خطابه امام الجمعية العامة موضوع الاحتلال ومهمة يارينغ وقرارات هيئة الامم السابقة بما فيها قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وركز على مسألة «الارهاب» قاصدا به نشاط المقاومة الفلسطينية . وكرر اعلان الموقف الاسرائيلي — الامريكي المعروف بدعوته مصر للجلوس الى طاولة المفاوضات عن طريق قوله « ان الطريق الوحيد للوصول الى السلام هو الحوار بين الاطراف المعنية . وكل ما عدا ذلك قد تمت تجربته وفشل » . كما كرر القول ان اسرائيل مستعدة للدخول في محادثات ثنائية من اجل الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس . بعد انتهاء المناقشة العامة تبنت الجمعية العامة مشروع القرار الذي اعدته دول كتلة عدم الانحياز في المنظمة الدولية بعد ادخال تعديلات على بنوده اقترحتها فرنسا وغيرها من الدول الاوروبية الغربية من اجل تخفيف لهجة القرار ضد اسرائيل حتى تتمكن الدول الاوروبية المذكورة من التصويت الى جانبه . وقد نص القرار بصورة رئيسية على : (أ) التعبير عن الشعور بالانزعاج العميق بسبب عدم تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وعدم تحقق السلام في الشرق الاوسط حتى الان . والتعبير عن القلق الشديد بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . (ب) التأكيد على انه يجب الا تكون اراضي اية دولة هدف احتلال او استيلاء من قبل دولة اخرى بواسطة استخدام القوة او التهديد باستخدامها ، والتأكيد على ان اجراء اية تغييرات في الطبيعة المادية او السكانية للاراضي المحتلة مخالف لمبادىء ميثاق الامم المتحدة واهدافه . وعلى هذا الاساس دعا القرار اسرائيل الى الاعلان عن تمسكها بمبادىء عدم ضم الاراضي عن طريق استخدام القوة والى الانسحاب الفوري وبدون شروط من الاراضي العربية المحتلة وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما اعلن ان التغييرات التي اجرتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة فيها انتهاك لاتفاقات جنيف عام ١٩٤٩ وهي بذلك باطلة وعلى اسرائيل ابطال مفعولها من الان فصاعدا والامتناع عن كل السياسات والممارسات التي تؤثر على الطابع المادي والتركيب السكاني لتلك الاراضي . كذلك دعا القرار كل الدول الى عدم الاعتراف بأي من التغييرات والاجراءات التي قامت بها اسرائيل في المناطق العربية المحتلة . (ج) التأكيد على ان الوضع القائم في الشرق الاوسط يشكل تهديدا خطيرا للسلام الدولي ، وعلى مسؤولية الامم المتحدة في احلال السلام والامن في المنطقة في المستقبل القريب . (د) التنديد بعدم

تقيد اسرائيل بقرارات هيئة الامم السابقة بما فيها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقرار الجمعية العامة الذي دعا اسرائيل الى الرد ايجابيا على بـادرة السلام التي قدمهـا الوسيط الـدولي يارينغ في مذكرته المعروفة (٨ شباط ١٩٧١) . يضاف الى ذلك الاعـراب عن دعم الجمعية العامة الكامـل لجهود الامين العام لهيئة الامم وممثله الشخصي يارينغ . (هـ) دعوة الدول الاعضاء في المنظمـة الدولية الى الامتناع عن تزويد اسرائيل بمساعدات تهدف الى تمكينها من المحافظـة على احتلالهـا للاراضي العربية . وكانت هذه الدعوة أهم ما تم تعديله من قبل فرنسـا وغيرها من الدول الاوروبية الغربية في مشروع القرار . كان المشروع الاصلي، كما اقرته كتلة دول عدم الانحياز ، يدعو كل الدول الى الامتناع عن تـزويد اسرائيـل بالمساعـدة الاقتصادية والمالية التي تتيح لها استغلال الثروات الطبيعية في الاراضي المحتلة . والى عدم تزويدها بأية معونة تجعلها قادرة على مواصلة احتلالهـا للاراضي العربية (المعونات العسكرية) . وقد تم تخفيف هـذا البند عـلى النحو الوارد اعـلاه وللاسباب المذكورة سابقا . (و) الاعتراف بـأن احترام حقوق الفلسطينيـين (وليس الشعـب الفلسطيني) عنصر لا يمكن الاستغناء عنه في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسـط . (ز) دعوة مجلس الامن بالتشاور مع الامين العام وممثلـه الشخصي الى اتخاذ كل الخطوات الملائمة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في شكل تام وسريع مع الاخذ في الاعتبار كل القرارات والوثائق التابعة للامم المتحدة التي لها علاقة بهذا الامر . (حـ) الطلب الى الامين العام ان يقدم تقريرا الى مجلس الامن والجمعية العامة في شأن التقدم الذي احرزه هو وممثلـه الشخصي في ما يتعلق بتنفيذ قـرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والقرار الحالي . (ط) ارسال القـرار الحالـي الـى مجلس الامـن لاتخاذ الاجراء المناسب والطلب الى مجلس الامن ابقاء الجمعية العامة على اطلاع بما يجري .

وتم تبني هذا القرار بأكثرية ٨٦ صوتا وعارضته ٧ دول من امريكا اللاتينية بالاضافة الى اسرائيل. وكان بين الدول التي امتنعت عن التصويت كل من الولايات المتحدة، والدول السكندنافية بحجة الرغبة في عدم احراج مهمة يارينـغ ، والصين والبانيـا بسبب اعتبارهـا القـرار ضعيفا . وتغيبت عن جلسة التصويت الدول العربية التالية : الجزائر، جمهورية اليمن الديمقراطية ، العراق ، ليبيـا وسوريا وذلك لاسباب شبيهة بالتي جعلت الصين والبانيا تمتنعان عن التصويت . في مقابلة مـع صحيفة النهار البيروتية (١٠ كانون الاول ١٩٧٢) اعتبر وزير خارجية مصر نتيجـة التصويت نصرا معنويا كبيرا للجـانب العربي وتعبـيرا عن ضيق الرأي العام العالمي بتصرف اسرائيل . كما بين ان العنصر الجديد في القرار هو كونه يدعو الـدول الى الامتناع عن تقديم المساعدات الى اسرائيل ويحيل نفسه الى مجلس الامن من اجل اتخاذ كل الخطوات اللازمة بالاشتراك مـع الامين العـام والوسيط الدولي لتطبيق قرار المجلس رقم ٢٤٢ . وفي مجال اخر علق الزيات في تصريح له في نيويورك على تبني الجمعية العامة للقرار بقوله ان الجمعية قد اكدت بتبنيها القرار عزمها الجماعي على العمل لصالح العدل والسلام في المنطقة العربية . كمـا ذكر ان مصر تقدر موقف الدول التي امتنعت عن التصويت او تغيبت كليا عنه لان في ذلك تعبيرا عن نفاد صبرها من استمرار الوضع الحالي في الشرق الاوسط .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

برزت خلال الفترة الاخيرة في المناطق المحتلة عدة موضوعات ، ناجمة بالاصل عن الاحتلال ونابعة من الرغبة في تثبيته واستدامته ، وتتمثل هذه الموضوعات في النقاشات التي احتدمت مؤخرا بين التيارات الفاعلة في السياسة الاسرائيلية ، حول مصير المناطق المحتلة ، وفي الاجراءات التي تمت في المناطق المحتلة تحت ظلال تلك النقاشات ، وفي حركة الاستيطان التي اشتدت وتيرتها ، وفي قضية الحرم الابراهيمي الذي امتدت اليه حمى التوسع الاسرائيلي . اتسمت هذه الفترة بكثرة التصريحات التي وصلت الى درجة الاسفاف ، للزعماء الاسرائيليين حول مستقبل ومصير المناطق المحتلة ، وقد دارت المنافسة في الادلاء بالتصريحات ــ كالعادة ــ بين ثلاثة تيارات (١) التيار اليميني ــ الديني عناصره من كتلة « جاحال » حيروت الاحرار وحزب « المفدال » الحزب الوطني المتدين ويدعو هذا التيار الى ابقاء جميع المناطق المحتلة تحت الهيمنة الاسرائيلية مع امكانية الانسحاب من جزء من سيناء (٢) التيار اليميني العمالي (فئة الصقور) من عناصر حزب العمل الحاكم ويدعو الى ابقاء الهيمنة الاسرائيلية على هضبة الجولان وقسم من الضفة الغربية وعلى منطقة شرم الشيخ وشمال سيناء وقطاع غزة (٣) التيار اليميني العمالي (فئة الحمائم) من عناصر حزب العمل و« التجمع العمالي » ويدعو الى ابقاء السيطرة الاسرائيلية على هضبة الجولان وقسم من الضفة الغربية ومنطقة شرم الشيخ في سيناء . ويختلف هذا التيار عن التيار الثاني باضفاء مسحة من « التساهل » على مطلبه . ومن ابرز العناصر التي خاضت النقاش عناصر التيار الثاني وهي التي تملك يدا طولى في بلورة السياسة الاسرائيلية ، فقد أعربت غولدا مئير رئيسة الحكومة عن استعدادها لاعادة قسم من الضفة الغربية مع تأكيدها « بأن حكومة اسرائيل لم تتخذ بعد قرارا بهذا الشأن » أما بالنسبة لقطاع غزة فانه «سيبقى جزءا من اسرائيل » ، وفيما يتعلق بهضبة الجولان أشارت الى أنها على استعداد للتفاوض مع سوريا شريطة أن تضمن الحدود الجديدة التواجد الاسرائيلي في الهضبة ، ويبدو ان الحدود الجديدة التي تسعى اليها رئيسة الحكومة هي خطوط وقف اطلاق النار نفسها ذلك انها تعتقد « ان السوريين يرابطون اليوم بالضبط في المكان الذي ينبغي فيه تعيين الحدود » أما وزير الدفاع موشيه ديان فقد أعرب هو الاخر عن اعتقاده بضرورة بقاء السيطرة الاسرائيلية في منطقة شرم الشيخ وان حدود السلام بين مصر واسرائيل ينبغي ان تمر في « مكان ما » من صحراءسيناء من شرم الشيخ حتى البحر المتوسط ، وفيما يتعلق بالضفة الغربية فيرى ضرورة بقاء القوات الاسرائيلية مرابطة على امتداد نهر الاردن ومنع اي « قوات عسكرية اجنبية » من اجتياز النهر غربا ، اما هضبة الجولان وقطاع غزة فينبغي ابقاؤها الى الابد تحت السيطرة الاسرائيلية (هآرتس ٧٢/١١/٢٤) كل ذلك شريطة موافقة الجانب العربي على اجراء مفاوضات مباشرة والتوقيع على اتفاقية سلام مع اسرائيل . وحول هذا التصور لمصير المناطق المحتلة دارت نقاشات حادة تتسم بالغطرسة والغموض من جانب الاطراف الاخرى ، نقاشات حول ضرورة ضم جميع .. او الاكتفاء بجزء .. دون تحديد هذا الجزء تحديدا واضحا . ومع ذلك فان التيارات المختلفة تجمع على تأييد الاجراءات الاسرائيلية التي تتخذ في المناطق المحتلة ، اذ أن هذه الاجراءات هي اخطر بكثير من تصريح لذلك التيار او تلك الفئة او كما تقول صحيفة هآرتس « ان الوقائع اليومية التي تخلق في المناطق تقرر مصير هذه المناطق بشكل أنجع من أي قرار يتخذه حزب العمل » . ما هي الاجراءات الاسرائيلية التي ترمي الى حسم مصير المناطق لصالح الاحتلال ؟

الاجراءات الاسرائيلية : اتخذت سلطات الاحتلال خلال الفترة الاخيرة عددا من الاجراءات امتدادا لاجراءاتها السابقة بقصد تكريس احتلالها وحسم مصير المناطق المحتلة لصالحها هي ، وتتمثل هذه الاجراءات في الامور التالية :

١ ــ زيادة رواتب موظفي الحكومة ، اذ أقدمت سلطات الحكم العسكري على زيادة رواتب موظفي الحكومة ، وتصل نسبة الزيادة الى ٢٨٪ من الرواتب الاساسية للموظفين ، وستشمل هذه الزيادة ايضا معلمي المدارس الحكومية وموظفي البلديات والدوائر الحكومية ، اذ ستشمل ٩٣٠٠ مستخدم ، منهم نحو ٦٠٠٠ معلم . وتحاول سلطات الاحتلال بذلك خلق شريحة تشعر بالافادة

من الاحتلال ، وفي الوقت نفسه جعل موظفي وكالة الغوث يشعرون بالغبن اللاحق بهم من خلال مقارنة معاشاتهم بمعاشات زملائهم الموظفين الحكوميين تمهيدا لانهاء اعمال وكالة الغوث بغرض طمس قضية اللاجئين . ومن الجدير بالذكر ان عدد العمال والمستخدمين في الضفة يبلغ ١٢٠ الفا ويحتل الموظفون نسبة ٨ ٪ من هذا العدد ، واذا أخذنا بعين الحسبان عدد العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل بالاضافة الى عدد المستخدمين الحكوميين يتضح لنا مدى ما وصلت اليه سياسة ديان المعروفة بسياسة الدمج الاقتصادي منخطورة ومدى تبعية اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي .

٢ — موافقة لجنة المالية التابعة للكنيست على مضاعفة القروض التي تضمنها الدولة في المناطق المحتلة من ٢١ مليون الى ٥٠ مليون ليرة تمشيا مع توجيه وزارة الدفاع وبنك اسرائيل حيال التوسع في النشاط الاقتصادي في « المناطق المدارة » . ومن الجدير بالذكر هنا أن اقتصاد المناطق المحتلة اصبح مرتبطا ارتباطا وثيقا بالاقتصاد الاسرائيلي فهناك أكثر من ٤٥ الف عامل عربي من الضفة الغربية يعملون في اسرائيل كما وان ٩٩ ٪ من المنتوجات المباعة في الضفة الغربية هي من صنع اسرائيلي (كما جاء في صحيفة هآرتس ١٩٧٢/١١/٢٦) .

٣ — المضي في ربط مدن وقرى الضفة الغربية بشبكة الكهرباء الاسرائيلية فقد تم مؤخرا ربط شركة الكهرباء التابعة للقدس القديمة بشركة الكهرباء الاسرائيلية ، وبذلك اصبحت الشركة الاسرائيلية تغطي مدن رام الله البيرة بيت لحم بيت ساحور بيت جالا اريحا وعشرات القرى الواقعة في تلك المنطقة ، وتعتزم سلطات الاحتلال توسيع خطوط الشركة لتشمل مدينة الخليل ، وذلك في أعقاب مؤتمر عقده وجهاء المدينة والمنطقة للتباحث حول قضية الحرم الابراهيمي ، وقد استغل رئيس بلدية الخليل « مؤتمر » الوجهاء وحشر موضوع كهربة المدينة في الاجتماع في محاولة لاشراك الوجهاء في دراسة الموضوع والخروج بموافقة عليه من قبل المجتمعين ، لكي تبدو موافقة مجلس البلدية وكأنها استجابة لمطالب وتوصيات شعبية ! ومن الجدير بالذكر ان عملية ربط المدن والقرى العربية بشبكة الكهرباء الاسرائيلية تواجه معارضة من قبل العناصر والهيئات الوطنية ، حتى ان جريدة « الشعب » التي تصدر في القدس القديمة تجرأت وهاجمت سلطات الاحتلال بقولها: « ان المصلحة الوطنية ومصلحة الشعب اهم بكثير من اشعال المصابيح واستخدام البرادات . لقد عشنا نحن واباؤنا على ضوء القنديل ، وبالرغم من ذلك كان اباؤنا أوفر سعادة واكثر صحة منا .. ليست كهرباء المحتلين تحترق قبل أن تضيء . ان السجين لا يمكنه الا ان يتحدث فقط عن الحرية . وليس بالكهرباء وحدها يحيا الانسان » .

٤ — ومما زاد الطين بلة وعزز موضوعيا من عملية « الضم الزاحف » اتخاذ السلطة الاردنية قرارا بفرض رسم على البضائع المنقولة من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية مع أن الاردن يعتبر الضفتين بلدا واحدا ، وتبلغ نسبة الرسوم المفروضة ١٢ ٪ من قيمة البضائع المستوردة . وقد اثارت هذه الخطوة استياء في الضفة وخاصة بين اوساط الشريحة البرجوازية هناك التي بلغ بها الاستياء اشده نتيجة الاجراء لدرجة ادى بها الى اتهام الملك بأنه يعمل للتخلي عن الضفة الغربية . فقد عقدت بلديات الضفة بتاريخ ٢٧/١١/٧٢ اجتماعا تدارست فيه الموضوع وقررت القيام بعمل منسق فيما بينها وارسال مذكرة الى الملك حسين موقعة من قبل رؤساء البلديات والغرف التجارية والمنظمات المختلفة في الضفة احتجاجا على « الخطوة التي تجيء لزرع الفرقة بين الضفتين ، انكم بعملكم هذا تخلقون دولتين منفصلتين ، وهذا يعني بأنكم تتخلون عنا ، وتعترفون بذلك بأن الضفة الغربية لم تعد تخصكم». اما رئيس بلدية نابلس معزوز المصري فقد كان رده يتسم بالغضب معتبرا ان الاجراء الاردني هو بمثابة الخطوة الاولى نحو الانفصال التام بين الضفتين. واضاف متهما النظام الاردني « ان جميع الاحاديث حول وحدة الامة هي مجرد حماقات وهراء » (معاريف ٢٨/١١/٧٢) .

حركة الاستيطان : من ابرز معالم السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة سياسة الاستيطان اليهودي ، سياسة اقامة معالم جديدة محل معالم قديمة ، فقد حرصت اسرائيل منذ الاحتلال ولا زالت تحرص على اقامة مستوطنات في جميع المناطق العربية المحتلة ، فأصبح في هضبة الجولان ١٧ مستوطنة و١٦ مستوطنة في الضفة الغربية و١١ مستوطنة في سيناء وقطاع غزة ، هذا باستثناء

الضواحي ذات الصبغة المدينية مثل الضواحي اليهودية في القدس العربية و« كريات اربع » في الخليل وضاحية « اوفيرا » في شرم الشيخ . لا يقف هوس الاستيطان الاسرائيلي عند حدود الـ٤٤ مستوطنة القائمة، بل ستعمل السلطات الاسرائيلية خلال عام ١٩٧٣ على رفع العدد ليصبح خمسين مستوطنة كما صرح بذلك مدير قسم الاستيطان التابع للهستدروت الصهيونية ، وقد خصصت السلطات المسؤولة مبلغ ٣٥ مليون ليرة للمستوطنات الست الجديدة التي ستبنى خلال العام ١٩٧٣: مستوطنتان في غور الاردن ، مستوطنتان في غوش عتسيون (منطقة الخليل) ، مستوطنة في رفح ، واخرى في الجولان .

وفي غضون ذلك انهمكت سلطات الاحتلال في الاونة الاخيرة بتعزيز المستوطنات القائمة وباقامة مستوطنات جديدة ، ففي هضبة الجولان تم الاحتفال بتدشين مصنع في جنوب الهضبة في مستوطنة « بني يهودا » يحمل اسم « صناعات الجولان ، معدن والكترونيكا » واشترك في الاحتفال كل من وزير المالية بنحاس سبير ووزير التجارة والصناعة حاييم بارليف وقائد المنطقة الشمالية يتسحاق حوفي وعدد من المسؤولين الاسرائيليين ، وسيقوم المصنع بانتاج الادوات المعدنية وبتركيب وانتاج الاجهزة الالكترونية، وسيعمل فيه مستوطنو « بني يهودا ». وقد بلغت تكاليف اجهزة المصنع ٣٠٥ مليون ليرة اما تكاليف المبنى فقد وصلت الى ٤ ملايين ليرة . وذكرت الاوساط المسؤولة عن الاستيطان ان مصنعا مماثلا سيقام عند مشارف رفح في المنطقة الشمالية من سيناء . الى جانب ذلك احتفلت سلطات الاحتلال خلال شهر نوفمبر الماضي بتدشين مستوطنتين في قطاع غزة ، فقد تم الاحتفال في ٧٢/١١/٦ بتدشين مستوطنة « ناحال نيتسريم » على بعد ٥ كم جنوبي مدينة غزة ، وحضر الاحتفال قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي وقائد منطقة قطاع غزة يتسحاق موندالك وقائد سلاح الناحال اشر بن دان ، وقال قائد المنطقة الوسطى في هذه المناسبة كلمة تحمل بين ثناياها تلخيصا للاسلوب الذي انتهجته الحركة الصهيونية لكبت الانسان الفلسطيني وسلب ارضه : « ان تعقل جيران مستوطني الناحال هو الذي سيقرر باي مدى سيشحذ الناحال المنجل او السيف ، ففي اثناء تصاعد اعمال الارهاب (كما يقول) سيكون من واجب مستوطني الناحال شحذ السيف ، وفي اوقات السلم سينهمكون في شحذ المناجل فقط ابان الحصاد » (معاريف ٧٢/١١/٧) . ويبدو ان الارض العربية في القطاع اخذت تستهوي بشكل قوي « مناجل الناحال » فبعد مرور ثلاثة ايام فقط على الاحتفال بتدشين هذه المستوطنة احتفل سلاح الناحال ببروز مستوطنة جديدة تحمل اسم « ناحال موراج » جنوبي خان يونس .

تعويضات القدس : من بين الامور التي شغلت بال سلطات الاحتلال الاسرائيلي لفترة طويلة قضية تعويضات سكان القدس العربية عن ممتلكاتهم في فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ وذلك بغرض تكريس الاحتلال وطمس الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني . فقد انهمكت وزارة العدل الاسرائيلية منذ اواخر شهر تموز من العام ١٩٧١ باعداد مسودة مشروع قانون بخصوص التعويضات ، وقد احدثت تعديلات كثيرة على مشروع القانون الى ان تمت صيغته النهائية في ٧٢/١١/٨ بواسطة اللجنة الوزارية لشؤون التشريع برئاسة وزير العدل يعقوب شمشون شبيرا . ومن المفترض ان تطرح الصيغة النهائية امام الحكومة واذا لم يتقدم عليها اي اعتراض من قبل احد اعضاء الحكومة، فسيقدم مشروع القانون الى الكنيست للمصادقة عليه .

من بين اهم التعديلات التي احدثت في مشروع القانون ، تعديل حول منح تعويضات لعرب المنطقة المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، فقد ورد في مشروع القانون المعدل « ان القانون يشمل ايضا عرب اسرائيل قبل ١٩٦٧ الذين لم يتلقوا بعد تعويضات عن ممتلكاتهم » . ومن المعروف ان هنالك قوانين سنتها سلطات الاحتلال بخصوص دفع تعويضات لعرب المنطقة المحتلة سابقا ، ويجيء التعديل الجديد بغرض خلق اطار موحد يشمل «المواطنين» العرب في اسرائيل من اجل خلق انطباع في نفوس عرب القدس بأن مصيرهم اصبح مثل مصير عرب المنطقة المحتلة منذ ١٩٤٨ .

ومن أجل الاسراع في عملية سلب الممتلكات بواسطة طعم التعويضات نصت التعديلات الجديدة على امكانية تقديم طلبات تعويضات للغائبين بواسطة الاهل او الاقارب ، وعلى سبيل المثال يمكن للاخ ان يطالب بتعويضات عن ممتلكات اخيه او اخته او عمه ... الموجودين في اميركا او استراليا او الدول العربية وذلك بتفويض منه ، ولم يكن هذا الامر متبعا بالنسبة لعرب المنطقة المحتلة سابقا .

وقد تحسب واضعو القانون للمعارضة الشعبية لهذه التعويضات ، فسنسوا تعديلا غريبا يتسم بالخبث والدهاء لامتصاص معارضة تسم كبير من السكان العرب اذ نص التعديل الجديد على دفع تعويضات لمستأجري الممتلكات ، يدفع بموجبه لكل مستأجر تعويضا بنسبة ١٥ ٪ من قيمة التعويضات، اي ان الشخص الذي كان مستأجرا بيتا فانه يحصل على ١٥ ٪ من قيمة التعويضات دون ان يؤثر ذلك على المالك بشيء ، كل ذلك من اجل اغراء قطاع من الشعب والحيلولة دون قيام معارضة قوية . وربما يتبادر الى الذهن صعوبة اثبات الاستئجار من قبل المستأجر لعدم وجود أوراق ثبوتية لديه ، الا ان القانون كريم ولا يحتاج الى أوراق ثبوتية بل يكتفي بشهادة بعض الاشخاص ويكتفي أيضا بشهادة المستأجر نفسه !

ومن المنتظر ان تبدأ اسرائيل بتطبيق القانون في عام ١٩٧٥ ، وحتى ذلك التاريخ ستطرأ تعديلات اخرى عليه ، وليس من المستبعد ادخال تعديل عليه تلبية لدعوة بعض الوزراء الاسرائيليين بضرورة توسيع سريان مفعول القانون ليشمل ايضا اللاجئين في المناطق المحتلة (للاستزادة انظر شهريات المناطق المحتلة ، شؤون فلسطينية ، عدد ١٢ و٤) .

قضية الحرم الابراهيمي : امتدادا لاعمال السلب والنهب التي تقوم بها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة ، والمتمثلة في الاجراءات التوسعية ، مثل الاستيلاء على مشارف رفح وطرد سكانها منها ، وتتويج عملية السلب بهدم البيوت والابار وطرد سكانها منها ، وملاحقة الفلاحين الذين « تسللوا » لقطف ما تبقى من ثمار بساتينهم بواسطة طائرة هليكوبتر تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي ومثل السيطرة على اراضي قرية عقربة في الضفة الغربية وتتويج عملية النهب بقيام طائرة تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي بالاغارة على سنابل القمح الممتدة على مسافة ٥٠٠٠ دونم وتحويل هذه البقعة الخضراء من جراء شريط السموم الذي خلفته الاغارة وراءها الى بقعة صفراء ، وتثبيت عمليتي السلب والنهب باقامة مستوطنات اسرائيلية في مشارف رفح وفي اراضي قرية عقربة ، هذه الاجراءات التي كشفت القناع عن وجه اسرائيل الحقيقي في نظر بعض الكتاب الاسرائيليين مثل الكاتب عاموس كينان الذي وصفها بانها دخلت عصرا جديدا من عصر الكولونيالية وانها بمثابة « خليط برجوازي ديني عسكري » . امتدادا لاعمال السلب والنهب هذه واعمال غيرها سبقتها، امتدت حمى التوسع وهوس الاستيطان الى الحرم الابراهيمي في الخليل ، ومن خلال هذا المنظور فقط يمكن لنا الوقوف على « قضية » الحرم الابراهيمي .

كنا قد تطرقنا في شهريات (العدد ١٥) الى الصراع الذي نشب بين المستوطنين وجهاز الحكم العسكري في الخليل حول الترتيبات التي اتفق عليها بين جهاز الحكم العسكري من جهة وبين رجال الدين الاسلامي في الخليل من جهة اخرى بشأن اداء الشعائر الدينية في الحرم ، والى استياء مستوطني الخليل من هذه الترتيبات واتهام جهاز الحكم العسكري بانه يقف حجر عثرة امام حق اليهود في « مغارة المكبيلاه » ، والى طرح الموضوع أمام مجلس الوزراء . وقد رافقه تذمر المستوطنين أعمال مشينة ، شبيهة « بالاعمال الهمجية » كما جاء على لسان ديان التي اتخذت في قرية عقربة . وتتلخص هذه الاعمال في الامور التالية (١) السرقة: سرقة البسط من المسجد وسرقة احذية المصلين المسلمين اثناء تأديتهم الصلاة (٢) الازعاج : امعانا في الغطرسة اعتاد المستوطنون رفع اصواتهم اثناء الصلاة في المسجد دون مراعاة شعور المسلمين (٣) الاعتداء على الاحياء : قام المستوطنون اكثر من مرة بشتم واهانة رئيس سدنة الحرم الابراهيمي (٤) الاعتداء على حرمة الموتى: حاول المستوطنون اكثر من مرة قلب جنازة موتى المسلمين اثناء تأدية فريضة صلاة الجنازة في الحرم (٥) انتهاك حرمة القرآن : انتهك المستوطنون حرمة القرآن حين اقدموا على سرقة خمس نسخ منه موجودة في الحرم ، وقاموا بتمزيقها ، وامعانا في الغطرسة وضعوا النسخ الممزقة داخل مراحيض الحرم !

ازاء هذه الاعمال ، وجد جهاز الحكم العسكري نفسه مضطرا للكشف عنها ، خشية ان تسيء الى « سمعة » اسرائيل والى صورة « الاحتلال الليبرالي » ، والى الاعلان عن التمسك بالاتفاق الجنتلماني بين ديان ووجهاء الخليل بشأن الترتيبات في الحرم ، بيد ان ذلك لم يرق في نظر المستوطنين فقاموا بحملة دعائية بين الاوساط الحكومية والجماهيرية ، ونجحوا في ذلك بفضل وقوف الحزب الوطني المتدين الى جانبهم وبفضل الرغبة الجامحة والدفينة بين الاوساط الحاكمة في السيطرة اليهودية

على « مغـارة المكبيلاه » بالرغم من ان الحرم الابراهيمي يعتبر مسجدا وملكا للاوقاف الاسلامية. ومن خلال الحملة الدعائية للمستوطنين ووقوف تيارات يمينية دينية الى جانبهم ، وهيجان الرغبة الدفينـة بين الاوساط الحاكمـة فـي تحويل الحرم الابراهيمي الى مكان لليهود ، وتمشيا مع سياسة « الضم الزاحف » في المناطق المحتلة ، انتهكت سلطات الاحتلال الاتفـاق الجنتلماني ، باتخاذها قرارا من جانب واحد يلغي الترتيبات السابقة ويحل محلها ترتيبات جديدة تتمثـل في التالي :

١ ــ « الاستيلاء على قاعة يعقوب وتحويلها الى مكان للمصلين اليهـود ، بالاضافة الى قاعـة ابراهيم التي كانت قد خصصت في السابق لهم .

٢ ــ بناء سقف للباحة الواقعة بين قاعة يعقوب وقاعة ابراهيم واعداد المكان للمصلين اليهود .

٣ ــ حظر دخـول الزوار اثناء تأدية اليهـود لشعائرهم الدينية .

٤ ــ بسبب وجود صيغ مختلفة للصلاة اليهودية ستقام حواجز مؤقتة للفصل بين الطوائف اليهودية.

٥ ــ ابان فترة الاعياد وعندما لا تكون هنالك امكنة كافية يستخدم المصلون اليهود **اماكن اخرى** في مغارة المكبيلاه .

٦ ــ اذا لم يهتم الوقف الاسلامي ببنـاء سقف للباحة ، فان جهاز الحكم العسكري هو الذي سيقوم بذلك » (هآرتس ٧٢/١١/٦) .

من الواضح ان هذه الترتيبات الجديدة قد اشبعت رغبات دعاة الضم الجزئي بواسطة الاستيلاء على ثلاثة اماكن من الحرم وفي نفس الوقت اشبعت مطامح دعاة الضم الكلي بواسطة الحق الذي منح لليهود « في استخدام أماكن أخرى في مغارة المكبيلاه » تمهيدا للسيطرة على الحرم وتحويله في المستقبل الى كنيس خاص باليهود ، تماما كما هو الحال بالنسبة الى اطماع اسرائيل في مناطق معينة من المناطق المحتلة . ومن الجدير بالذكر هنا ان سلطات الاحتلال لم تبلغ هذه التعليمات الى الهيئة الاسلامية في القدس وهي المسؤولة عن الاوقاف الاسلامية ، بل اكتفت بابلاغها الى المسؤولين عن الحرم في الخليل ، وقام هؤلاء بدورهم بنقل التعليمات الى الهيئة الاسلامية في القدس . عند ذلك عقدت الهيئة جلسة طارئة لدراسة الموضوع وارسلت بعثة الى الخليل للوقوف عن كثب حول ما يدور هناك ، وقررت اجراء مقابلة مع وزير الدفاع موشيه ديـان بغرض الغاء الترتيبـات الجديدة ، بيد ان ديان رفض مقابلة اعضاء الهيئة واعرب عن استعداده لمقابلة وفد عن مدينة الخليل فقط في محاولة منه للتهرب من مقابلة اشخاص يملكون الجراة في ابداء معارضتهم للخطوات التي تتخذ لتهويد الحرم الابراهيمي ولا يقبلون الحلول الوسط ، ومما يذكر ان الحكومة الاسرائيلية لا تعترف بشكل رسمي بالهيئة الاسلامية التي يترأسها الشيخ حلمي المحتسب وتضم بين اعضائها انور نسيبه وانـور الخطيب والمؤرخ عارف العـارف وشخصيات اخرى . وفي اعقاب رفض ديان مقابلة وفد عن الهيئة اصدرت الهيئة بيانا شجبت فيـه الخطوات الاسرائيلية جاء فيه :

« (١) ان المبررات التي اعتمدت عليها الادارة العسكرية لاتخاذ قراراتها الاخيرة وهي زيادة عدد المستوطنين في كريات اربع مرفوضة ، وان الهيئة تعترض على اقامة كريات اربع أصلا فاننا بالتالي نجد في الربط بين الحرم الابراهيمي وبين كريات اربع واتساعها وزيادة عدد سكانها عملا خطيرا يتهدد مستقبل مدينة الخليل والحرم الابراهيمي الذي يشكل جزءا منها .

(٢) ان موضوع الحرم الابراهيمي وهو مسجد اسلامي منذ ١٤٠٠ سنة لا يمكن ان يعالج بالحلول الوسط ولا يستطيع احد ولا يملك احد ان يفاوض او يوافق على اقامة كنيس في اي جزء منه .

(٣) ان الهيئة تناشد الرأي العام في الداخل والخارج بأن يتفهم موقفنا ، ونحـن نعلن عدم موافقتنا واستنكـارنا واحتجاجنا على جميـع الاجراءات التي قامت بها السلطات الاسرائيلية في الحرم الابراهيمي .

(٤) نطالب بأن يترك الحرم الابراهيمي للمسلمين وحدهم تحقيقا للعدالة وتأكيدا للتصريحات التي اعلنها المسؤولون في الحكومة الاسرائيلية بان الحرم الابراهيمي هو مسجد اسلامي ، وتطبيقا لجميع القوانين والاعراف الدولية والشرائع السماوية .

(٥) لا تقر شريعة من الشرائع ولا قانون مـن القوانين ان يقام كنيس تمارس فيه شعائر وطقوس وصلوات غير اسلامية في مسجد اسلامي » .

تبع هذا البيان مؤتمر عقد في الخليل حضره وجهاء

المنطقة واتخذ قرارات بنفس روح بيان الهيئة الاسلامية ، الا ان الجعبري استغل المؤتمر وحشر فيه موضوع ربط مدينة الخليل بشركة الكهرباء الاسرائيلية . الا ان الهيئة الاسلامية استمرت في نشاطها ضد الاجراء الاسرائيلي ، وطلبت من أئمة المساجد شجب الاجراء في خطبة الجمعة وناشدت المسلمين باداء « صلاة النازلة » (وهي صلاة يؤديها المسلمون في حال وقوع كارثة) واستجابت مساجد الضفة الغربية للنداء ، وفي بعض الاماكن تم توزيع منشورات ضد « الاستيلاء الاسرائيلي التدريجي على الحرم الابراهيمي » .

وازاء الاستياء الشعبي في الضفة الغربية ، وخوفا من وصول الاحتجاج الى الاوساط الدولية والرأي العام العالمي ، اخذ ديان يدلي بتصريحات بأن الغرض من هذا الاجراء ليس تحويل « مغارة المكبيلاه » الى كنيس بل لتمكين اليهود من زيارة « رفاة الاجداد » والصلاة هناك . والحقيقة ان الخطر لا يتمثل في تحويل المسجد الى كنيس بقدر ما يتمثل في انتفاء الحق العربي على الحرم ، ولا يعود ذلك الى تزهد حكام اسرائيل من جعله كنيسا بل الى الاختلاف في وجهات النظر بين الحاخامين اليهود حول مسألة اقامة كنيس يهودي في الحرم الابراهيمي ذلك « ان الكهنة لا يستطيعون تأدية الشعائر الدينية في مقبرة » بيد ان مستوطني الخليل وهم مجموعة من المتدينين قد تخطوا المحظور وطالبوا « بضرورة اقامة كنيس في المكان » كما وطالبوا « بأن تعاد الى الشعب اليهودي قطعة الارض اليهودية الاولى في ارض اسرائيل » (هآرتس ٧٢/١١/١٠) .

ويبدو ان تلاعب ديان بالالفاظ لم يحل دون تصاعد الاستياء ، الامر الذي تطلب وقوع حادثة مثيرة للتغطية على ما يجري في الخليل ، وتسليط سيف الارهاب ضد المناوئين للاجراءات الاسرائيلية ونعتهم بصفات التعصب ، وجاء الحادث سريعا في صبيحة ٧٢/١١/٢٣ : لقد مزقت نسخ من التوراة في الحرم الابراهيمي ، واحرقت نسخ اخرى على يد مجهولين ! واخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث باسهاب وبشكل درامي حول الكتب المقدسة الممزقة ، واعطت صحيفة معاريف وصفا كئيبا لمنظر ما حدث « هيكل مدمر ، كتاب توراة ممزق ، وكتب مقدسة محروقة ممزقة ومبعثرة .. » وفي مكان اخر وبالقرب من مطعم المستوطنين وصفت معاريف الكتب المقدسة الممزقة هناك بقولها « خلال توجهه نحو باب المطعم شاهد (احد المستوطنين) على البلاط سفر نشيد الانشاد وبالقرب منه ورقة محترقة ، وعندما انحنى لرفعه شاهد عشرات من قطع الاوراق مبعثرة في الساحة .. صفحات من الكتاب المقدس قسم منها تم تمزيقه بواسطة اليد ، واخر بقصه بواسطة المقص وثالث امتدت اليه السنة النيران .. » (معاريف ٧٢/١١/٢٤) وتحدثت بقية الصحف ووسائل الاعلام بنفس الروح مع توجيه اصبع الاتهام ضد العرب ، ووصف الفاعلين بأقذع الاوصاف ، وحرصت صحيفة هآرتس على نشر صورة لمنظر كتب التوراة الممزقة والمحروقة .

كان من نتيجة ذلك ان خفت شدة الاحتجاجات في الضفة الغربية ضد الاجراءات الاسرائيلية ، واخذ الوجهاء يشجبون هذا العمل تحاشيا لاصابع الاتهام الموجهة ضد العرب ، واخذ الوزراء الاسرائيليون ينشطون في المجيء الى الخليل « لتهدئة النفوس » والمحافظة على « التعايش بين اليهود والعرب »، وفي نفس الوقت انهمك مستوطنو الخليل باستغلال الحادث ابشع استغلال بمساعدة من الفئات الاسرائيلية المتطرفة ، فقد ارسل هؤلاء مذكرات الى رئيسة الحكومة ونائبها والى الوزير جليلي يطالبون فيها بضرورة توسيع ضاحية كريات أربع والبدء باقامة ٥٠٠٠ وحدة سكنية اخرى ، لان هذا الامر « يحول دون الاعمال الهمجية التي تمت البارحة » وحرصت لجنة المستوطنين على توجيه نداء الى الجمهور الاسرائيلي تقول فيه « لقد وطىء الغرباء ارضك ، ودنسوا هيكل قدسك. ان قلب كل يهودي يتفطر اسى وحزنا على تدنيس كتاب التوراة في مغارة المكبيلاه وعلى تمزيق أسفار نشيد الانشاد واحراقها وبعثرة صفحاتها في الشارع المؤدي الى مغارة المكبيلاه . ان هذا العمل المفجع يذكرنا بأحداث عام ١٩٢٩ التي وقعت هي ايضا نتيجة التحريض من القدس والخليل . اننا نطالب الحكومة باتخاذ اجراءات سريعة للحيلولة دون تكرار اعمال كهذه » (هآرتس ٧٢/١١/٢٤) .

من الملاحظ ان ردود الفعل الاسرائيلية سارت في اتجاهين (١) اتجاه يرمي الى خلق حالة ذعر بين صفوف العرب من خلال التذكير باحداث عام ١٩٢٩ (٢) واخر يدعو الى توسيع رقعة الاستيطان في الخليل كحل نهائي للمشكلة . وقد حرصت ردود

الفعل على عدم التطرق الى المطالبة بالكشف عن الفاعلين والحاق العقاب الصارم بحقهم . ومع ذلك فقد قدمت قوات الامن للتحقيق في الحادث ، وخرج المحققون الاسرائيليون بنتيجة غـريبة ! اذ اثبت التحقيق ، كما ذكرت الصحف الاسرائيلية « بـأن الخزانة التي تحتوي على الكتب المقدسة لم تدمر وان الكتاب المقدس لم تمتد اليه يد بسوء » ولـم يعثر المحققون على شيء يدل على محاولة لتدنيس الكتب المقدسة . اما الشيء الوحيد الذي اثـار انتباه المحققين فيتمثل في وجود خيطين مهترئين من بين الخيوط التي تلصق عادة بالكتب للتأشير على الصفحة التي ينتهي القارىء عندهـا ، الا انـه اتضح بعد ذلك « ان الخيطين مهترئان منذ مدة » ! هذه هي النتيجة التي توصل اليها المحققون لحادثة مثيرة اريد منها تشويه صورة العرب للتغطية على اجراءات تهويد الحرم الابراهيمي . بعد ذلك اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تصف الحادث بانه مبالغ فيه واخذت تحرص على عدم الخوض في الموضوع في محاولة منها للتستر عليه وكأنها لم تسهب بشكل درامي في وصف تلـك الكتب المقدسة « الممزقـة والمبعثرة » . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ماذا حدث صبيحة ٧٢/١١/٢٣ ، هل انتهكت حرمة الكتب اليهودية المقدسة في ذلك الصباح ؟ ومن هو الفاعل ؟ لقد اسهبت الصحف الاسرائيلية في وصف الحادث ونشرت صورا للكتب المقدسة الممزقة ، الى ان جاء المحققون الاسرائيليون بنتيجة غريبة ، ضاربين بعرض الحائط الصور التي تثبت وقوع الحادث في محاولة للفلفة الموضوع .

اذن وقع الحادث ، فمن هو الفاعل ؟ طبعا يمكن معرفة الفاعل ضمنيا من خلال عملية اللفلفة ، الا ان الاستنتاجات الضمنية تكون عادة قابلة للطعن ، وتحتاج الى برهان انصع ، ولعل الجلسة التـي شهدتها الكنيست بتاريـخ ٧٢/١١/٣٠ لتـداول موضوع انتهاك حرمة الكتب المقدسة في الحـرم الابراهيمي خير شاهد على الفاعل : انهم مجموعة من المتطرفـين اليهـود « ومن خلفهم عدد مـن السياسيين في حزب معين » . ففي اثناء النقاش الذي احتدم اشار عضو الكنيست بن مئير الـى الاشخاص الذين وقفوا وراء الحادث بقوله : « ان محتقري التوراة ومنتهكي قدسية المقدسات وعلـى رأسهم رؤساء المـدارس الدينية المتطرفين ومـن خلفهم عدد من السياسيين في حزب معين ، هؤلاء ... » وقبـل ان يكمل قاطعـه عضو الكنيست كاربين صائحا « ... لا تتهم ، هذه تهمة دم . هذه وقاحة . ان الذي مزق كتب التوراة فعل هذا لانه عدو لاسرائيل ، اليهود لم يفعلوا هذا » . (انظر رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٠٢ مركز الابحاث) . من هنا يمكن القول ان قضية تدنيس الكتب المقدسة اليهودية هي قضية مفتعلة حيكت من قبل عنـاصر يهودية متطرفـة لصرف الانظـار عن الاجراءات الاسرائيلية الرامية الى تهويد الحرم الابراهيمي ، وعند اكتشاف هذا الامر للمحققـين الاسرائيليـين وجدوا انفسهم مضطرين لاخفاء الحقيقة والتستر عليهـا .

عبد الحفيظ محارب

٦ — ج.ش.ت.ف.	١٠/١٩	٧٠٠	كريات اونو/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جزء من بنك لئومي	—	—	—	هـ. ١٧٨ ص٦	١١/١٨
٧ — ج.ش.ت.ف.	١١/ ٧	١٥٣٠	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	حرق سيارة	—	—	—	هـ. ١٨١ ص ٥	١٢/ ٩
٨ — ج.ش.ت.ف.(٢)	١١/ ٩	١٥٣٠	غـزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	—	—	—	—	هـ. ١٨١ ص ٥	١٢/ ٩
٩ — ق.ع.ق.ث.	١١/١٦	٨٠٠	المرتفعات السورية	هجـوم	اسلحة مختلفة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفـا	١١/١٨
١٠— ق.ع.ق.ث.	١١/١٧	—	خسفين وناحال هاجولان	تفجير	شبكة الغام	غير محدد	تدمير آليتين	—	—	—	وفـا	١١/١٨
١١— ق.ع.ق.ث.	١١/١٨	—	اشدوت يعقوب/غور الاردن	تفجير	شبكة الغام	٢ —	—	—	—	—	ف.ث. عدد٢٣ ص٤	١١/٢٩
١٢— ق.ع.ق.ث.	١١/١٩	—	حيفـــا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق ملهى « بيجال »	—	—	—	وفـا	١١/٢٠
١٣— ق.ع.ق.ث.	١١/٢١	—	القـــدس	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق مبنى شتراوس	—	—	—	ف.ث. عدد٢٣ ص٤	١١/٢٩
١٤— ج.ش.ق.ع.	١١/٢٢	١٢٠٠	راشيا الفخار/لبنـــان	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدد	غير محدد	١	—	—	الى الامام عدد٣٨٥ ص٦	١٢/ ١
١٥— ق.ع.ق.ث.	١١/٢٤	٢٣٠	الخريبة/لبنـــان	انزال	اسلحة مختلفة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفـا	١١/٢٤
١٦— ق.ع.ق.ث.	١١/٢٩	—	القـــدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد	تدمير وحرق مبنى تجمع الشباب	—	—	—	وفـا	١١/٣٠
١٧— ق.ع.ق.ث.	١١/٢٩	—	القدس	حرق	غير محدد	— —	حرق باص تابع لشركة ايجـد	—	—	—	وفـا	١١/٣٠
١٨— ق.ع.ق.ث.	١٢/ ١	—	تل ابيب	تفجير	غير محدد	— —	مستودع ومصنع للاخشاب	—	—	—	وفـا	١٢/ ١
١٩— ق.ع.ق.ث.	١٢/ ١	٢٣٠٠	بير النحاس/الخليل	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير وحرق جرافة ومدحلة وغنم بعض الاسلحة والعتاد	—	ـر	—	وفـا	١٢/١١
٢٠— ق.ع.ق.ث.	١٢/ ٣	—	بين يافا وعكا	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدد	اصابة سيارتين محملتين بجنود واخرى بالذخيرة	—	—	—	وفـا	١٢/ ٤
٢١— ق.ع.ق.ث.	١٢/ ٣	—	شبعا وجبات الزيت/الجولان	تفجير	شبكة الغام	غير محدد	تدمير آليتين	—	—	—	وفـا	١٢/ ٤
٢٢— ق.ع.ق.ث.	١٢/ ٧	١٩٣٠	الدبوسية/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة خفيفة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفـا	١٢/ ٨
٢٣— ق.ع.ق.ث.	١٢/١٠	١١٣٠	القـــدس	القاء قنبلة	قنبلة حارقة	غير محدد	اصابة باص تابع لشركة ايجـد	—	—	—	وفـا	١٢/١١
٢٤— ق.ع.ق.ث.	١٢/١٠(٢)	—	عـــكا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير وحرق مصنع تروم اسبست للتجارة	—	—	—	وفـا	١٢/١١

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١١/١٣ — ١٩٧٢/١٢/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق.ث.ف.	١١/١٣	—	كفار داروم	تفجير	لغم	—	—	اصابة جرار مدني	—	—	—	ن. عدد٨٩ ص١٠	١١/١٤
٢	ق.ث.ف.	١١/١٦	١٢٣٠	غـزة	تفجير	قنبلة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٢ ص٦	١١/١٧
٣	ق.ث.ف.	١١/١٧	—	ناحال جولان	تفجير	الغـام	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٥ ص١١	١١/٢١
٤	ق.ث.ف.	١١/١٧	—	ناحال جولان	اطلاق رصاص	غير محدد	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٥ ص١١	١١/٢١
٥	ق.ث.ف.	١١/١٧	—	مرتفعات الجولان	تفجير	الغام ، هاون	غير محدد		اصابة سيارتين	—	—	—	ن. عدد٩٦ ص٤	١١/٢٣
٦	ق.ث.ف.	١١/٢١	—	ناحال جولان	تفجير	لغم	—	—	—	—	—	—	ن. عدد٩٥ ص١١	١١/٢١
٧	ق.ث.ف.	١١/٢١	—	القدس	تفجير	—	—	—	حرق مبنى شتراوس	—	—	—	ن. عدد٩٦ ص٤	١١/٢٣
٨	ق.ث.ف.	١١/٢٤	١٠٠	منطقة نهر الحاصباني/ جنوب لبنان	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدد		—	١	٤	—	ن. عدد٩٨ ص٣	١١/٢٥
٩	ق.ث.ف.	١١/٢٨	—	لهبوت هباشان	تفجير	—	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد١٠٠ ص٨	١١/٢٨
١٠	ق.ث.ف.	١٢/ ٣	—	حيفا عكا	تفجير	—	—	—	انفجار شحنة من الذخيرة	—	—	—	ن. عدد١٠٥ ص٦	١٢/ ٤

١ — أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العمليات ٢٦ و٢٨ في جدول العدد الخامس عشر من « شؤون فلسطينية » كما أعلنت ايضا عن مسؤوليتها عن العمليات ١٥-١٩-٢٠-٢٣-٢٥ من جدول الشهر الماضي . راجع الهدف ، العدد ١٧٨ ص ٥-٦ بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٨ .

٢ — وردت هذه العمليات بعد صدور الجدول الماضي .

٣ — راجع لمزيد من التفاصيل ولاعتراف اسرائيل بالعملية « نشرة رصد اذاعة اسرائيل » عدد ١١١ ص ١ بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١١ .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ — ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في م.ت.ف.

٣ — هـ : الهدف ، صحيفة اسبوعية تصدر عن ج.ش.ت.ف.

٤ — الى الامام : صحيفة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبية — القيادة العامة .

٥ — ج.ش.ق.ع. : الجبهة الشعبية — القيادة العامة .

٦ — ج.ش.ت.ف. : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

٧ — ق.ث.ف. : قوات الثورة الفلسطينية .

٨ — ن. : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

« الجبهة الحمراء »

● الاسرائيليـــون ، اليوم ، في حالـــة ذهـــول ودهشة . لقد اكتشفوا ان الايديولوجية الصهيونية قابلة للخيانة . ولعل مجرد حالة الذهول التـــي تنتابهم من اكتشاف اربعة شباب يهود في تنظيـــم سري عربي ــ يهودي كمـــا يقولون هو تعبير عن هـــوة الغرور القومي التي وصلوا اليها . لقـــد وضعوا انفسهم في موقع المعجزة والايمان بحصانة هذا الموقع وصلابته ، فالمهم ان يجدوا شذوذا عن قاعدة الاجماع والرأي الواحد .

« أخطر شبكة تجسس وتخريب » ، هكذا تصـــف الشرطـــة الاسرائيليـــة واجهزة الاعلام « الجبهة الحمراء » اليسارية . « لم يحدث هذا في تـــاريخ اسرائيل » . ولقد اشار وزير الشرطة الاسرائيلية الى ثلاثة عوامل اساسيـــة في قضية مـــا يسميه الاعلام الاسرائيلي « شبكة التجسس » . العامل الاول ــ هو اشتراك يهود من اسرائيل في «الشبكة التي تعمل لصالـــح احـــدى الدول العربية » . والعامل الثاني ــ هو مدى الضرر الذي ألحقـــه أعضاء الشبكة حتى الان ــ (أحد اعضائها اليهود عمل في المفاعل الذري ، واخـــر خدم في مـــلاح المظليين) . والعامل الثالث هو أن عربا من سكان اسرائيل هم الذين نظموا الشبكة .

وان اكثـــر مـــا يشغـــل المسؤولـــين والمعلقـــين الاسرائيليين ، في القضية كلها ، هو البحث عن دوافع اشتراك الشباب اليهود في تنظيم سري معاد لاسرائيل على اساس ايديولوجي ، وكيفية تطور مفهوم المعارضة الفكرية الداخليـــة الى ممارسة عملية تنتهك « حرمة » قاعدة العمـــل السياسي المتبعة في اسرائيـــل . هذه القاعـــدة التي تربط المعارضة وتلزمها بالاعتراف بالمبادىء الصهيونية التي قامت عليها اسرائيل ، وبمعنى اخـــر ــ ان شرعية العمل السياسي داخل اسرائيل تدور في اطار «الاعتراض ضمن الاعتراف» او ان الاعتراف بشرعية اسرائيل شرط لشرعية العمل السياسي . ولقد وقع المعارضون دائما في التناقض الصعب بين شرعية الاعتراض على اشكال الممارسة الصهيونية في فلسطين وبين دفاعهم عن جوهر اسرائيل الذي هو اعلى اشكال تطبيق الايديولوجية الصهيونية . وكان نوع اخر من المعارضة يبني قاعدته السياسية على أساس رث : الاعتـــراض على ممارســـات صهيونية دفاعا عن « طهارة » الفكرة الصهيونية .

وان ما حدث فيما يطلقون عليه اسم « الجبهـــة الحمـــراء » هـــو أن رفـــض الصهيونية كفكـــرة وايديولوجيا يستتبع رفض التطبيق المادي لها وهو اسرائيل . ولقد وصل هـــذا المنطق الى التمرد على الشرعية لان الشرعية دفن لهذا المنطق ذاته وعودة الى « الاعتراض ضمن الاعتراف » .

هذا هو الجديد في المسألة كلها من الناحية الفكرية. ولقد كتبت صحيفة دافار : « ان الانتقـــال مـــن ممارسة الدعاية الراديكالية والصراع السياسي للقضاء على نظام الحكم القائم في اسرائيل الـــى عمليات تخريب وتجسس ينطوي على مغزى خطير». وحاولت صحيفة « هآرتس » ان تحلل هذه الظاهرة فكتب زئيف شيف : « ان الارضية التي نمت عليها الشبكة هي رفض حق اسرائيل في الوجود وليست « الموضة » التي ظهرت مـــع حـــرب فيتنام » . وتساءل الكاتب : « لماذا لـــم تكتشف شبكـــات تجسس مختلفة وناتجة عن دوافع ايديولوجية خلال الخمسينات والستينات ؟ ان الذين يجدون الجواب عن ذلك في الموضة التي انتشرت بين الشبيبة التي تنتمي الى شعوب متورطـــة في الحروب يتمسكون بالحل السهل . هنالك من يدعي بأنه بعد حرب ٦٧ اضيفت الينا مناطق محتلة وسكان محتلون ، ولذا ازداد الاحساس بالظلم . وقبل ٦٧ ألم تكن في أيدينا مناطق احتللناها من العرب ؟ ألم تكن قبل ذلك معسكرات لاجئين واعمال ظلم ؟ ».

ووصفت صحيفة « دافار » العملية بانها « خيانة ايديولوجية » . ويحاول المفكرون الاسرائيليون دراسة هذه الظاهرة ، فيقول البروفسور بنيامين اكتسين انه لم يفاجأ بها لانه منذ الاعلان عن انه لا يجب التجنيد في الجيش الاسرائيلي ، ومنذ أن بدأ التعبير في صفوف ماتسبين وغيرها عن الشك بشرعية وجود دولة اسرائيل توقعت ان يظهر شخص ليقول انه اذا كان الامر كذلك فلا بد من الصراع ضد هذه الدولة التي لا حق لها بالوجود. وأضاف : ان هناك من يثير الشك ، في نظر الشباب ، بعدالة الاسس والاتجاهات السياسية لبلده متحملا بذلك مسؤولية كبيرة جدا بالنسبة للاستنتاجات التي يستخلصها سامعوه . وقال الدكتور متتياهو بيلد «هناك جزء من الشباب لا يدرك الفرق الاساسي القائم بين النقاش حول أساليب العمل السياسي وبين النقاش حول المبادىء الصهيونية .. المبادىء التي ترتكز عليها دولة اسرائيل » .

واختلف المعلقون الاسرائيليون على توجيه الاتهامات بشأن من المسؤول عن انتقال شباب اسرائيليين من الدعاية والتحريض السياسي ضد السياسة الاسرائيلية الى العمل ضد الدولة ، فقالت صحيفة « معريب » : « اذا كان هنالك من نتهمه ، فيجب ان نتهم انفسنا فقط لاننا لم نقدر بما فيه الكفاية الحاجة الى تثقيف صهيوني عميق لاولئك الذين ولدوا مع ولادة الدولة . ولاننا لم نجد ثورتنا ذهب مختلف الشباب للبحث عن الثورة في حقول الاخرين » !.. اما النائب شموئيل تمير فقد اتهم بعض الاوساط الحاكمة بالمسؤولية فكتب برقية الى رئيس الكنيست يقول فيها : « ان الشباب الذين يتشربون ، يوميا ، من شخصيات بارزة الوعظ بأن وجودنا المستمر في المناطق هو احتلال أجنبي، وأن عودتنا الى ارض الوطن هي ضم تعسفي مرفوض ، من الطبيعي ان يظهر بينهم ، في نهاية الامر ، من يتوصل الى الاستنتاج انه ينبغي القيام بمساعدة الفلسطينيين المظلومين » .

وكانت الفرصة مواتية لشن حملة قوية على اليسار والمعارضة ، فكتبت دافار : « ان الخطر على أمن الدولة من اليسار المتطرف يكمن ، اساسا ، في الارتباط بين يهود راديكاليين وقوميين عرب . وان اعضاء الشبكة نموا في ظل هذا التنظيم الثنائي القومية » . وكتبت صحيفة « يديعوت احرونوت » : « ان الايديولوجيا اليسارية هي التي أدت بهؤلاء الشباب الى التجسس » . .

وتفيد التعليقات الاسرائيلية ووجهة التفكير في هذا المجال بأن السلطات الاسرائيلية تستغل هذه القضية لتحويل المعارضين الى جواسيس في نظر الرأي العام الاسرائيلي ، سواء كان هؤلاء المعارضون ممن ألقي القبض عليهم بتهمة التنظيم السري ولم يقدموا للمحاكمة بعد ، وسواء كانوا المعارضين خارج هذا الاطار . ان العرب والقوى اليسارية في اسرائيل معرضة الان لحملة تشهير وتحريض خطيرة . وقد لمحت وسائل الاعلام الاسرائيلية الى ان السلطة ستتخذ اجراءات ضد الجماعات اليسارية سمتها زيادة المراقبة على نشاطها . وقد حذر رئيس المخابرات السابق ايسر هرئيل من المبالغة في الرقابة ، واوصى باليقظة الامنية الى اقصى حد من جهة ، وباتجاه متزن من جهة اخرى « لكي لا نخسر الانجازات والميزات التي حققناها نتيجة لتطور العلاقات بين اليهود والعرب منذ حرب الايام الستة » .

ومن المتوقع ، بالاضافة ، الى زيادة المراقبة وتصعيد موجة العداء للعرب واليسار ، شن حملة جديدة من غسيل الدماغ والقمع الفكري لان تهمة الجاسوسية ستكون مسلطة على اي رأي معارض حتى لو انحصر في نطاق المطلب الديمقراطي . وقال متتياهو بيلد « ان وضعنا في السنوات الخمس الاخيرة كان مختلفا عن وضعنا قبل حرب الايام الستة ، وذلك لاننا نواجه اليوم عددا من الاختيارات البديلة واتجاهات العمل . ويبدو ان النقاش هنا وهناك مؤهل لان يثير أو قد اثار فعلا شكوكا بالنسبة للاسس التي نرتكز عليها . وهذه نقطة ضعف ، واعتقد انه قد أصبح من الضروري عندما نجري مناقشات في المستقبل ان نؤكد ان النقاش هو حول المناهج والسبل وليس حول النقاط الاساسية والمبدئية » .

ان كابوس « الامن » سيسود الحياة الاسرائيلية مرة اخرى . قمع اليسار سيكون «ضرورة أمنية». وتصعيد اضطهاد العرب سيثبت انه « ضرورة أمنية » . ولكن السؤال حول شرعية اسرائيل قد انفجر .. وفي الوعي الاسرائيلي ذاته .

الاشتباكات الاسرائيلية ــ السورية

● كان اندلاع النار على خطوط وقف اطلاق النار بين سوريا واسرائيل ، في نهاية الشهر الماضي ، محور الاهتمامات السياسية الاسرائيلية الى حد جعل المراسلين السياسيين المقربين من اوساط الحكومة الاسرائيلية يستوحون تقديرا خطيرا مستمدا من أعلى المصادر ، مفاده ان الوضع في الشرق الاوسط ، في الشهر الاخير ، شديد الشبه بالوضع عشية حرب حزيران ، وان حربا شاملة جديدة ليست مستحيلة النشوب .

ومن الطبيعي ان يسرع الجنرال موشه ديان ، وهذه هي فرصته ، الى الادلاء بتصريحات تلخصت في ان « على اسرائيل ان تتوقع فترة طويلة من العمليات العدائية على حدودها مع سوريا . وان السوريين لن يمنعوا الفدائيين من اجتياز الحدود لمحاربة اسرائيل » (١٢/٣) . وأضاف ديان انه اذا ما قررت مصر محاربة اسرائيل فان سوريا ستساعد مصر اكثر من أية دولة عربية أخرى « وربما ليس في نية سوريا أن تحارب من أجل الوصول الى تل ابيب ، ولكنها ستفتتح النار وتعلن الحرب على اسرائيل » .

وفي الوقت الذي كان كثير من المحللين الاسرائيليين يستبعدون احتمال نشوب القتال في الشرق الاوسط ، اعتمادا على اطمئنانهم الى قوة اسرائيل ، أعلن موشه ديان مرة اخرى (١١/٣٠) بأن على اسرائيل ان تنتبه الى رائحة البارود المنبعثة من العالم العربي « وان هنالك اشارات واتجاهات بين العرب لتجدد القتال ستحطم امكانية التوصل الى اية تسوية » . وتحدث عن الجبهة السورية « ان سوريا تشكل لنا حائطا أصم لا نستطيع الكلام معه ، لان سوريا لا تعترف بكيان اسرائيل . ووفقا لموقفها السياسي فانها تعطي التغطية الكاملة لعمليات الارهاب الموجهة ضدنا » .

وحين حاولت اسرائيل دراسة دوافع الاحداث الاخيرة التي جرت على الجبهة السورية ونتائجها قدمت لها كل الاسباب والاجتهادات واغفلت ، كعادتها ، حق سوريا في الرد على الاعتداءات الاسرائيلية ، وركزت كل المسألة في نقطة واحدة هي أن سوريا ارتكبت « مخالفة » او عدوانا على اسرائيل . لقد بلغت الصفاقة والغطرسة الاسرائيلية حدا جعلها « تستغرب » أن تبادر سوريا الى الدفاع عن نفسها امام الغارات الاسرائيلية ، وجعلت من هذا الدفاع السوري سببا قد يشعل الحرب في المنطقة .

كيف فسرت اسرائيل عملية الضرب السورية اذن ؟

قالت نشرة رصد اذاعة اسرائيل العبرية (١١/٢٤) ان المراقبين الاسرائيليين يعتقدون ان تسخين الحدود ناجم عن سببين اساسيين من جانب السوريين : اولا ــ محاولة اثارة العالم بهذا القطاع ، في الوقت الذي تحاول فيه الدول الكبرى تسوية نزاع الشرق الاوسط ، وثانيا ــ محاولة سوريا وضع نفسها على رأس الدول العربية في نضالها ضد اسرائيل . واضافت : « ان النظام السوري يواجه معضلةصعبة ، فقد كانت سوريا تضطر الى الظهور على رأس حملة لواء الحرب ضد اسرائيل. والمعضلة الثانية هي كيفية استيعاب المساعدة العسكرية السوفياتية دون ان يؤدي ذلك الى تدخل متزايد من جانب الروس داخل سوريا » .

اي ــ أن اسرائيل ترى أن من الاسباب الاساسية التي جعلت سوريا تدافع عن نفسها هو التنفيس عن مشاكل داخلية سورية وعربية .

وكعادتها ، مرة اخرى ، نسبت اسرائيل الى الفدائيين الفلسطينيين وعلاقة سوريا بهم المسؤولية عن الاحداث الاخيرة ، ولكن اذاعة اسرائيل في التعليق المشار اليه قالت ان أسباب الاحداث هذه المرة كانت اعمق « فان مكانة سوريا اليوم في المنطقة العربية واستغلال عامل الضعف الذي يسودها قد يكون المفتاح الرئيسي لفهم النشاط السوري . كل العالم العربي ، عمليا ، يقف عاجزا بالنسبة الى الصراع الاسرائيلي العربي . وهذه هي فرصة تاريخية بالنسبة لسوريا في محاولة الدخول الى الصورة ، والى الاستيلاء على تاج الزعامة الفعالة ضد اسرائيل بعدما استولت على تاج الزعامة الفلسطينية » . ويضيف المعلق: « ان الوجود الفلسطيني في سوريا هو الاكبر ولا توجد امكانية للتفريق بين الفدائيين وبين الجنود السوريين النظاميين ، فهم يشكلون وحدة واحدة. ولكنني لا اعتقد ان الوجود العسكري الفلسطيني اصبح قوة سياسية . ونحن نعلم ان سوريا حتى هذا اليوم لا تزال قادرة ، عندما تريد ، على المحافظة على الهدوء في الجبهة ، فلا تسمح

بالنشاط . اي أن الفلسطينيين لم يصبحوا عاملا قائما بذاته ، بل انهم عامل محدود داخل النظام، وما زال النظام يستغله لاهداف عدة . واحد هذه الاهداف هو اثبات ان سوريا غير مستمرة في الطريق الذي سارت فيه اولا ، وهو ارسال مجموعات « المخربين » فقط من لبنان والاردن . أما اليوم فهي تحاول ان تثبت انها الوحيدة التي تحافظ على الوجود العسكري الفلسطيني ، بل تخاطر لمجرد وجوده وتدافع عنه » .

أما رئيس الاركان الاسرائيلية دافيد العازار فانه يعتقد ان الاحداث التي وقعت على الجبهة السورية هي « جزء من المعركة للمحافظة على وقف اطلاق النار على الحدود السورية . وان على وقف اطلاق النار ان يبقى على جانبي الحدود او لا يكون اطلاقا . ومن غير المعقول ان يكون وقف اطلاق النار من جانب واحد وان تستمر اختراقات الحدود واعطاء تسهيلات « للمخربين » لزرع الالغام من الجانب الاخر » (١١/٢٢) .

وعن هذا المعنى ، تحدث المعلق العسكري لصحيفة « هآرتس » زئيف شيف (١١/٢٤) فكتب : « ان مشكلة اسرائيل هي كيفية تحقيق هدفها وهو وقف اطلاق النار المطلق دون ان تتورط اكثر مما ينبغي ودون ان تقوم هي بكسر وقف اطلاق النار . بينما مشكلة سوريا هي ، كيفية امتصاص الضربات الاسرائيلية دون مساعدة عربية ودون التنازل عن نظرية الكفاح المسلح ضد اسرائيل » . ويجيب الكاتب على هذا السؤال : « قد تكون سوريا قررت انها قادرة على امتصاص حوادث اطلاق النار ما دامت لا تخرج عن منطقة الجبهة ولا تنطوي على فقدان مناطق ، ولكن اذا كان الامر كذلك فلا يجب الافتراض ان حكام دمشق سيسمحون لانفسهم بالتعرض ، عدة مرات ، لما تعرضوا له في ٢٠ تشرين الثاني . فقد يصلون الى مرحلة لا يجدون فيها من مفر الا التوجه الى الاتحاد السوفييتي لتزويدهم بمظلة جوية . ونظن ان سوريا لن ترغب في تكرار الخطأ المصري ، ولكن الامور قد تتغير وفقا للضغوط والاخطار ويجب ان نورد ذلك بالحسبان » .

أما من الناحية الاسرائيلية ، فيقول الكاتب ان مشكلة اسرائيل في المواجهة مع سوريا هي : « كيف نعمل دون ان نتورط اكثر مما ينبغي . ان هدف اسرائيل هو وقف كل النشاط العسكري من جانب سوريا ، حتى زرع الالغام . واسرائيل تطمح الى المحافظة على وقف اطلاق النار من جانب السوريين و « المخربين » . وسيكون من العبث ان تؤدي عملياتنا ، في هذا الكفاح ، الى الكسر المطلق لوقف اطلاق النار ، والى صدامات واسعة للغاية والى احتلال اراض ، والى حرب شاملة . ولكن اسرائيل قد تقع في هذا الوضع العبثي حتى لو لم تشأ ذلك ، وقد تجر الروس الى تدخل عسكري في سوريا » . ويخلص الكاتب من ذلك الى القول ان اسرائيل قد قررت « السير حتى النهاية ، حتى نهاية الحرب الشاملة » .

ويقول شالوم روزنفالد في مقال في صحيفة « معريب » (١١/٢٩) ان تأزم الموقف العسكري في منطقة الشرق الاوسط الان قد يجعل الاحداث تتحكم بالحكام ، وقد تندلع حرب شاملة في المنطقة. ويرى ان الاحداث الاخيرة على الجبهة السورية هي جزء من الاستراتيجية العربية الرامية الى طرح ازمة الشرق الاوسط على خارطة الاحداث ، وان لها ثلاثة اهداف : الاول — التأثير على مجرى المناقشة ، حول قضية الشرق الاوسط ، في الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وعلى صياغة القرار . والثاني — تنشيط أية مبادرة دولية ، امريكية ام غيرها حتى وان لم تؤد الى اي حل ، ولكنها تمنح العرب مهلة اخرى . والثالث — التخلص من الضغط الداخلي على الزعماء العرب.

وقد شرح الوزير يسرائيل جليلي المفهوم الاسرائيلي لوقف اطلاق النار بقوله (١١/٢٢) : « ان كل ما هو مطلوب من اجل المحافظة على الهدوء على الحدود الشمالية هو المحافظة على استمرار وقف اطلاق النار كما هو ، ليس فقط عدم اطلاق نيران مدافع الجيش ، بل عدم القيام بعمليات زرع الغام وتخريب ، وعدم السماح لعناصر « المخربين » بالعمل هناك بصورة حرة » .

ولم يستبعد رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست حاييم تسدوك امكانية تصاعد الموقف على الجبهة السورية ، فقد صرح يوم ١٢/١١ بأنه « من الجائز ان نشهد اشتعال الوضع على الحدود الشمالية نتيجة أعمال التخريب من الاراضي اللبنانية او السورية . وخلافا للوضع في لبنان فان على اسرائيل في حال حدوث اعمال « تخريبية » من الاراضي السورية ان لا تضرب قواعد المخربين فحسب ، بل الجيش السوري نفسه » .

وبهذا المعنى ايضا ، معنى تثبيت المفهوم الاسرائيلي لوقف اطلاق النار صرح السفير الاسرائيلي في واشنطن يتسحاق رابين (١١/٢٤) « بأن الولايات المتحدة تأمل في الا يشكل الرد الاسرائيلي على سوريا خطرا على وقف اطلاق النار ، خاصة على الحدود مع مصر » . واضاف : « ان اسرائيل والولايات المتحدة اتفقتا على أن افضل طريق للتقدم نحو التسوية هي التوصل الى تسوية جزئية ، تشمل اعادة فتح قناة السويس ، وتدعيم وقف اطلاق النار » .

ان الربط بين الحديث عن تسوية تشترط المحافظة على وقف اطلاق النار والتأكيد على خطورة تصاعد الموقف العسكري على الجبهة السورية ، تؤكده صحيفة « دافار » التي نقلت تقدير الاوساط الاسرائيلية الرسمية ، فقد نشرت يوم ١١/٢٧ « ان التقدير الاسرائيلي السائد هو ان سوريا تسخن الحدود لدوافع الصراع العربي الداخلي . ويبدو ان سوريا معنية بتوريط مصر في انتهاك وقف اطلاق النار على القناة . وبذلك تخرب كل امكانيات التسوية الجزئية بين اسرائيل ومصر ».

وتضيف الصحيفة نقلا عن هذه الاوساط انه « ليس من المستبعد ان تخلق مجموعة ملابسات تؤدي الى تدهور شبيه بعشية حرب الايام الستة ،وذلك على الرغم من التقدير الشائع في الدول العربية — بما فيها سوريا ومصر — من انها لا تستطيع المواجهة العسكرية مع اسرائيل » .

ولكن هذه الاوساط — تضيف الصحيفة — « لا تعرف حتى الان ما هو دور الاتحاد السوفييتي في التطورات الاخيرة . ان بعثات الاسلحة مستمرة في التدفق الى سوريا بكميات كبيرة » . ولقد سئل يسرائيل غليلي عن امكانية « التعجيل في تغلغل السوفييت في سوريا » من جراء الاعتداءات الاسرائيلية فأجاب : « ان جهود التغلغل الروسية في سوريا قد سبقت ردود الجيش الاسرائيلي . وفي الفترة الاخيرة ازدادت هذه الجهود في اعقاب اخراج القوات السوفياتية من مصر . ويحاول السوفييت البحث عن مناطق اخرى يتمسكون بها من أجل ان يضمنوا لانفسهم موقفا استراتيجيا سياسيا » . وحاول الوزير الاسرائيلي ان ينفي العلاقة بين الاعتداءات الاسرائيلية وبين العلاقات السورية — السوفياتية بقوله : « من الخطأ ربط جهود التغلغل السوفياتي بدفاعنا عن انفسنا » .

ولكنه اضاف : « وبالمقابل فانني اريد ان اشير الى خطورة ميل السوريين للاعتقاد بان العلاقات بينهم وبين السوفييت بحد ذاتها سوف تردعنا عن الدفاع عن مستعمراتنا . وأنا لا أفترض ان عمليات الجيش الاسرائيلي سوف توقف جهود التغلغل السوفييتي لسوريا » (١١/٢٢) .

وكتبت صحيفة « دافار » مقالا عن تصعيد التوتر على الجبهة الشمالية ، فرفضت التفسيرات السهلة القائلة ان سوريا تسخن خطوط وقف النار بسبب مشاكلها الداخلية . وقالت : « ليس هنالك الا تفسير واحد معقول هو أن دمشق تريد ان تنسف امكانية المحادثات في الشرق الاوسط من ضمنها الاتصالات بين اسرائيل ومصر ، وبين اسرائيل والاردن . وعلى هذا الصعيد تلتقي مصلحة سوريا مع مصلحة الفدائيين » (١١/٣٠).

ومن ناحية ثانية ، كثر الحديث في اسرائيل عن مبادرة امريكية لعقد تسوية جزئية في المنطقة . ومن مظاهر هذا الاعتقاد الاسرائيلي اتهام سوريا بأن قيامها بضرب القوات الاسرائيلية في الجولان انما يهدف الى نسف احتمالات التسوية الجزئية . ومن مظاهره الاخيرة تلخيص نائب رئيسة الحكومة يغال ألون نتائج محادثاته في واشنطن . فقد قال في اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي (١٢/١٧) « ان المسؤولين الامريكيين يعتبرون ان الوضع ملائم الان أكثر من اي وقت مضى لتحقيق تقدم في اتجاه ايجاد حل جزئي او شامل للنزاع بين اسرائيل ومصر من جهة ، وبين الاردن واسرائيل من جهة اخرى » .

وكان يغال ألون قد صرح في حديث تلفزيوني في واشنطن (١٢/١٢) « انه لم يظهر أي دليل يشير الى ان واشنطن ستتقدم بمبادرة جديدة في الشرق الاوسط . الا انه من الممكن الافتراض انها ستتقدم على هذا في وقت قريب او بعيد » . وكانت اذاعة اسرائيل قد خصصت برنامجا خاصا لبحث التوقعات بشأن المبادرة الامريكية المتوقعة بشأن الشرق الاوسط . وقالت ان المشروع الامريكي ما زال مجهولا لاسرائيل ولمصر . وأضاف معلق الاذاعة (رصد اذاعة اسرائيل ١٢/١٢) ان الامريكيين قد صرحوا مرة تلو المرة ، وبعد فترة وجيزة من انتخابات الرئاسة بأن في نيتهم تجديد نشاطهم لكسر الجمود المحيط بأزمة الشرق الاوسط. وقد أعاد مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون

المشرق الاوسط جوزيف سيسكو على سمع السفير رابين القول ان الولايات المتحدة متمسكة برأيها ان الطريق الوحيد للتوصل الى حل هو التسوية الجزئية » .

خروج اسرائيل من تشاد

● بعد أوغندا .. قطعت تشاد علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، فصار من الممكن التساؤل حول مستقبل النفوذ الاسرائيلي في افريقيا . وان الاوساط الاسرائيلية لا تخفي توقعاتها بأن مبادرة تشاد الاخيرة قد تعقبها مواقف دول افريقية اخرى ، الامر الذي يشير الى انفراط العقد الاسرائيلي في افريقيا . ويربط المعلقون الاسرائيليون بين خطوة أوغندا السابقة وخطوة تشاد اللاحقة . وتقول صحيفة « معريب » (١١/٢٩) « ان الفارق بين الحدثين ليس فارقا في الماهية بل في الكيفية ، فالوجود الاسرائيلي ، السياسي والدبلوماسي والاقتصادي ، كان ضئيلا » . وعبرت الصحيفة في مقالها الافتتاحي عن عدم وجود ضمان في الا تسير دول افريقية أخرى في أعقاب تشاد واوغندا . ولكنها حذرت من أنه ليس محتما ان يكون قطع علاقات تشاد مع اسرائيل بداية سياسة ابتعاد دول افريقيا عن صداقة اسرائيل . « ومن واجبنا ان نكون اكثر حذرا في تنمية العلاقات والاستثمارات والصفقات المشتركة وتقديم المساعدة . يجب الا نبالغ في الامتناع عن النشاط في أفريقيا ، ولكن يجب الا نبالغ ايضا في توسيع مجال نشاطنا في القارة السوداء ازاء التطورات الاخيرة » .

ولقد عبرت الحكومة الاسرائيلية عن أسفها لقطع العلاقات . وصرح الناطق بلسان وزارة الخارجية (١١/٢٨) بأن الحكومة قد سجلت امامها ، بأسف ، بيان حكومة تشاد حول قطع العلاقات مع اسرائيل . وأكد الناطق انه منذ استقلال تشاد نشأت بين البلدين علاقات صداقة وجدت تعبيرها في التعاون الاقتصادي والمساعدة الفنية . وأضاف ان الحكومة الاسرائيلية ترى انه لم يكن في العلاقات بين الدولتين أمر يفسر خطوة حكومة تشاد .

ويلاحظ المراقب لرد الفعل الاسرائيلي على خطوة تشاد اصرار المسؤولين الاسرائيليين على حصر دوافع تشاد لقطع علاقاتها في اطار بعيد عن المسلك الاسرائيلي السياسي وموقفها من الاراضي العربية المحتلة . ويعزون خطوة تشاد الى الضغط الليبي عليها ، والى قضايا داخلية في تشاد . ولكن رئيس تشاد فرانسوا تومبالبي قد فسر خطوته في الثالث عشر من الشهر الفائت لدى تسلم اوراق اعتماد السفير الليبي بأن سياسة التوسع الاسرائيلية قد اثارت معارضة الاسرة الدولية . وأكد ان قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل أمر نهائي ولن يعدل عنه . وكان رئيس تشاد قد اعلن في خطابه يوم ١١/٢٨ ان وجود مندوبي اسرائيل في تشاد يعرض للخطر أمن الدولة وأمن دول افريقية اخرى .

وقد استهانت الاوساط الاسرائيلية بهذا الاتهام ووصفته بأنه « اسطوانة على طريقة عيدي امين » (معريب ١١/٢٩) . وجردت خطوة تشاد من اي مضمون سياسي ذي علاقة بالدور الذي تقوم به اسرائيل في افريقيا ، واعتبرته مجرد رضوخ لضغط الرئيس الليبي . ولكن مراسل « معريب » في أوروبا كتب في ١١/٢٩ نقلا عن مصادر وصفها بأنها مصادر مطلعة « ان الرئيس الليبي كان يخشى ان تتحول تشاد الى قاعدة للعمليات الاسرائيلية ضد ليبيا مما دفعه للضغط على تومبالبي لقطع العلاقات مع اسرائيل » . وتضيف المصادر ذاتها انه تجري مفاوضات ، منذ مدة ، بين القذافي وتومبالبي بشأن اخراج اسرائيل من تشاد . وقد ازداد الضغط الليبي في الآونة الاخيرة خوفا من عمليات اسرائيلية انتقامية ضد ليبيا بسبب تأييدها المقاومة الفلسطينية .

ويعتقد وزير الخارجية الاسرائيلي أبا ايبن — في كلمة القاها في كتلة التجمع في الكنيست يوم ١١/٢٨ — ان قطع العلاقات الدبلوماسية من جانب تشاد « جاء نتيجة ضغط ليبي وسعودي . فاقتصاد تشاد في وضع متدهور وهي تحتاج الى اموال لا نستطيع منحها اياها . وان ليبيا والسعودية اللتين تقدمان المساعدة الاقتصادية لتشاد تشترطان قطع العلاقات مع اسرائيل » .

وتعتقد الاوساط الاسرائيلية ان خطوة تشاد قد تمت « بمباركة فرنسا » . وترد هذه الاوساط المباركة الفرنسية الى حالة تمرد قبائل الشمال المسلمة على السلطة المركزية . ويأتي الدور الفرنسي من وجود قوات فرنسية في تشاد تساعد الحكومة في محاربة المتمردين في الشمال والذين يحظون بمساعدة ليبيا وتأييدها ، بسبب كونهم مسلمين وقريبين من الحدود الليبية التشادية . وتربط الدوائر الاسرائيلية بين صفقات الاسلحة الفرنسية مع ليبيا وبين التمرد في تشاد الذي يحظى بمساعدة ليبيا من جهة ومحاربة القوات الفرنسية من جهة اخرى . وتقول هذه الدوائر ان باريس قد طلبت من ليبيا ، اثناء المفاوضات على تزويدها بطائرات الميراج ، ادخال بند في الاتفاقية يلزم حكومة ليبيا بعدم مد المتمردين في شمال تشاد بالمساعدة وبعدم تمكينهم من العمل من الارض الليبية .

وتقول هذه المصادر الاسرائيلية ان الوضع في تشاد قد تأزم في الآونة الاخيرة . واتضح ان ليبيا ليست وحدها تساعد المتمردين في الشمال ، فقد ساندتهم الجزائر ايضا ، وان مقر « الجبهة الوطنية لتحرير تشاد » يقع في الجزائر . فلجأ رئيس تشاد الى قطع العلاقات مع اسرائيل ، بناء على طلب من ليبيا التي وعدته بعودة الهدوء الى بلاده التي تبلغ مساحتها ضعف مساحة فرنسا .

اما فرنسا التي ساندت تومبالبي في حربه ضد المتمردين ، فقد حاولت التوسط بينه وبين ليبيا . ولكن عندما اتضح لها ان قطع العلاقات مع اسرائيل هو الطريق الوحيد لعودة الهدوء الى تشاد شجعته على اتخاذ هذه الخطوة .

وتقول صحيفة « معريب » (١١/٢٩) ان العلاقات بين تشاد واسرائيل ينتابها الفتور منذ ثلاثة اشهر، وصارت مهمة السفير الاسرائيلي في تشاد تزداد صعوبة يوما بعد يوم ، الى درجة ان العلاقات بين البلدين بلغت حد الجمود ، الامر الذي جعل اسرائيل تشعر ان تشاد ستمضي في اعقاب اوغندا عاجلا ام اجلا .

وتعود العلاقات بين اسرائيل وتشاد الى عام ١٩٦٠ عندما استقلت عن فرنسا واعترفت بها اسرائيل . وفي عام ١٩٦٢ انشئت سفارة اسرائيلية في العاصمة بورلامي . وكان رئيس تشاد قد زار اسرائيل قبل الاستقلال عام ١٩٥٨ ثم زارها زيارة رسمية بعدما تولى الرئاسة عام ١٩٦٥ .

م٠ د٠

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليـة التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للراي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

اليوميات الفلسطينية

أول وأدق سجل علمي شامل للقضية الفلسطينية

في تطوراتها وأحداثهـــا واخبارهـــا

مـــدة ست سنـــوات ونصف السنة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧١/٦/٣٠)

ثلاثة عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عـــام

٧١٠٠ صفحة مـــن القطع الكبـــير

سعر المجموعة ١٤٥ ل. ل.

(عدا اجور البريد)

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث ـــ م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ ـــ بيروت

بطرس طنوس
الموزع العام
لبارفون فرانس

تجهيز هاتفي - صيانة وتصليح
هاتف: ٢٨٤٨٧٣ فرن الشباك - بيروت

ص. ب. ٥٠٢٤٥ فرن الشباك
سجل تجاري ٢٤٥٨٤





tele com

SPECIALISTE EN TELEPHONIE
TEL: 284873
FURN EL CHEBBACK-LIBAN

BOUTROS TANNOUS
DISTRIBUTEUR
EXCLUSIF* BARPHONE

P. O. Box 50245 Furn el Chubbak
R. C. 24584

AL JAMHOUR

الجمهور

اطلالة اسبوعيـة

علـى

قضايـا المقـاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العـالم وشعوبه

معالجـة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صبـاح كل يوم اربعـاء

تطـل

الجمهـور

على قرائهـا الموزعين

فـي

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

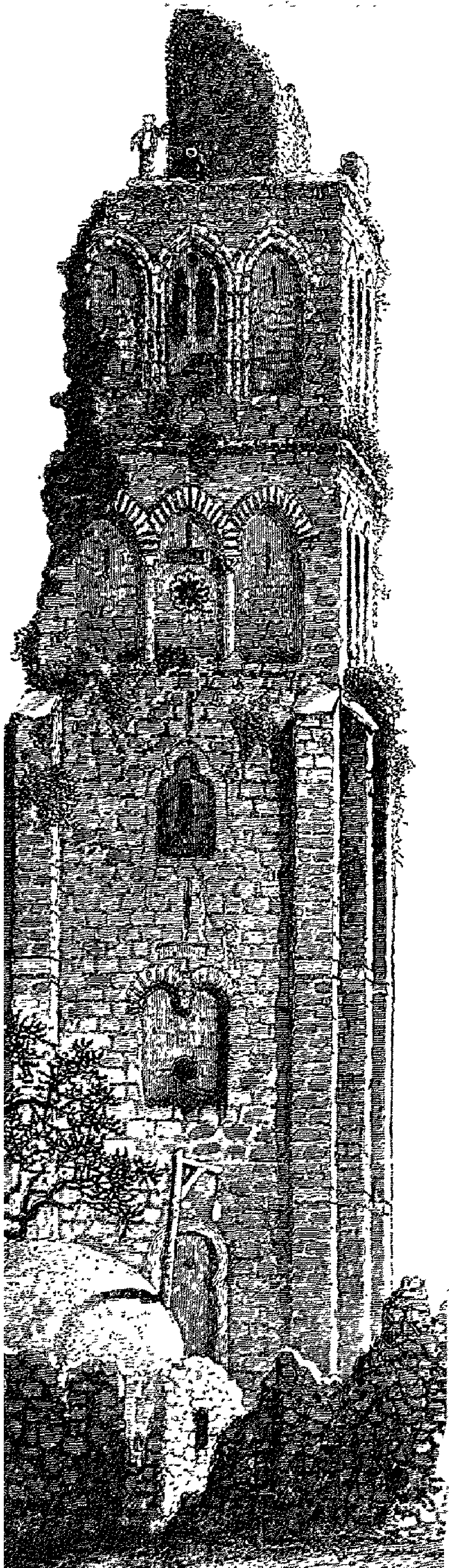
مطبعة الغريب
بيروت

السعر ٢½ ل.ل. في الوطن العربي او ما يعادلها

شؤون فلسطينية

١٨

شباط (فبراير) ١٩٧٣







شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

١٨ — شبـــاط (فبراير) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعـــالجة احداث القضية الفلسطينية وشـــؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحـــاث في منظمـــة التحرير الفلســـطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد   **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بنايـــة الدكتـــور راجي نصر ، شـــارع كولومبـــاني (متفرع مـــن الســـادات) ، راس بـــيروت ، بـــيروت ـــ لبنـــان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

اعتبارا من ١٩٧٣/٣/١ ولمدة سنة

ثمن العـــدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٥ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٨٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

ملاحظة : الدولار الاميركي يساوي ٣ ل.ل.

صور الغلاف : (١) برج مدينة الرملة ، (٢) جنوب البحر الميت ، (٣) بلدة عين كارم .

المحتويـــات

صفحة

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

بهذا العدد تختتم « شؤون فلسطينية » سنتين من مسيرتها في خدمة فلسطين ، بلدا وشعبا وحقا وثورة ، وتقف على عتبة عام ثالث ، تتابع فيه المسيرة ذاتها وانما بالمزيد من الخبرة والتجربة . وتعني السنتان في حياة هذه المجلة ثمانية عشر عددا ، أي اربعة آلاف وسبعمئة صفحة من المعالجات الفلسطينية ، السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والادبية والفنية ، اشترك بكتابتها مئتان وخمسة واربعون كاتبا عربيا وأجنبيا . وتعني السنتان قفزا بالتوزيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما كان عليه عند صدور العدد الاول في مارس ١٩٧١ . وتعني السنتان ، ايضا ، وجودا وامتدادا مكّنا المجلة من ان تصبح ضرورة اساسية للمثقف العربي الملتزم . ولكن هذا كله ، على ما فيه من معاني النجاح ، ما هو الا حافز للمجلة لكي تعطي أكثر وأفضل مما أعطت ، ولكي تخدم، في عامها المقبل وما نرجو ان تتلوه من أعوام ، خدمات أكبر . وحتى تستطيع ان تفعل ذلك تناشد المجلة قراءها ، وهم مقياس نجاحها ، ان يغذوها بملاحظاتهم وباقتراحاتهم وبتوجيهاتهم . فاننا نود كثيرا ان نعرف ما هي رغباتهم في مجلة مثل « شؤون فلسطينية » . ولعل فهارس السنتين الاوليين التي سنوزعها مع العدد القادم (شاملة المواضيع والكتّاب) تساعد قراءنا على اخذ فكرة مفصلة عن محاولات المجلة معالجة أوسع مجال من المواضيع والقضايا بأكبر عدد ممكن من الاقلام. ولكن الفهارس تساعد، من الجهة الاخرى ، على ملاحظة الضعفات والنواقص ، خاصة من حيث وجود مواضيع تهم القارىء ولكن المجلة لم تكتب بها كفاية ، أو وجود كتّاب يود القارىء ان يقرأ لهم على صفحات مجلتنا التي لم تستكتبهم بعد لسبب او لآخر .

ان السنتين في عمر مجلتنا قصيرتان اذا ما قيستا بالنسبة الى ما نود ان نحققه او بالنسبة الى ما يريدنا القارىء ان نحققه . وما الانتاج الذي تم خلالهما الا عطاء بسيط تزداد فاعليته باستمراره وبنموه في خدمة فلسطين — وفلسطين ، على كل حال ، تحتاج الى أكثر ، وتستحق أكثر . هذه الحقيقة ، وحدها ، تجعلنا نتخطى المصاعب والعراقيل التي تواجهنا مصممين على الاستمرار وعلى النمو مهما كانت التحديات .

محمود الهمشري :
شهيد القرية الفلسطينية

كانت تراوده بين حين وآخر فكرة الموت ، وكان يرى نفسه احيانا في الحلم ملقى بلا رمق فوق احدى تلال فلسطين ...

ولم يمت في فلسطين ...

ومات بعيدا عن فلسطين ...

ولكنه مات من أجل فلسطين وباسم فلسطين

قتلوه كما قتلوا وائل وكما قتلوا الف وائل ومحمود قبلهما لانهما من فلسطين بكل ما غدت تحمل هذه الكلمة الدامية من تحديات ومسؤولية .

كان وائل ابن المدينة الفلسطينية (نابلس) المثقف والمتصوف

وكان محمود ابن القرية الفلسطينية (ام خالد) الطيب والمندفع

ووائل ومحمود هما شعب فلسطين ...

وكل شعب فلسطين وائل ومحمود

فليعلم ياريف ودايان واسيادهما في واشنطن و وول ستريت ان أيديهم ان امتدت الى حياة مناضل على أرض الوطن أو خارجه ، ونفاثاتهم ان سحقت بنابالها مئات الاطفال والعزل من فلسطين أو أقطار عربية أخرى فلن تنال من ايماننا بعدالة نضالنا ولن تقوى على عزمنا في رفض الخضوع للمنطق البوليسي للتاريخ .

وليعلموا ، ان كل طفل منا يلد اليوم أكثر حقدا واصرارا على المضي في التحدي من وليد الامس .

وليعلموا ، وان لم يفهموا ، بأن اليوم ليس بعيدا الذي فيه سترتد بنادق الذين خدعوا يوما بأسطورة وحدة الشعب اليهودي لتتجه مع بنادق ثوار العرب والعالم نحو قتلة محمود وكل شهداء ثورات الشعوب .

داود تلحمي

التطورات السياسية والعسكرية لقضية الشرق العربي بعد عدوان حزيران ١٩٦٧

أكرم ديري

تمهيد : لقد استخدمت بداية تعبير قضية الشرق العربي بديلا عن تعبير « ازمة الشرق الاوسط » الذي شاع بعد العدوان على الامة العربية ، ذلك اننا نستخدم هذا التعبير الاستعماري دون تأمل . فالازمة التي نعيشها ليست أزمة الشرق الاوسط بكل ما تعنيه في نظر الاستعماريين ، بل هي ازمة زرع اسرائيل في جسم الوطن العربي وامتداداتها العدوانية على ارضنا ، وخطورة وجودها الاستعماري والاستيطاني وارتباطه العضوي بالامبريالية العالمية واهدافها الاستعمارية . ولقد بدأت « قضية الشرق العربي » منذ بدء الغزو الصهيوني في مطلع القرن الحالي ، وشهدت فترات أزمة حادة وفترات ركود متعاقبة ، وكان آخر الازمات وأخطرها عدوان ١٩٦٧ الذي كان عبارة عن حرب مدروسة على أعلى المستويات السياسية والعسكرية . فهي نموذج مكرر للحرب التقليدية الخاطفة التي تستهدف فرض « الامر الواقع » ، بعد أن يتفوق أحد الخصمين تفوقا تقنيا وعسكريا ملحوظا لتحقيق هدف سياسي في منطقة من المناطق الحساسة في العالم ، وهو واثق من أن تحقيقه لهدفه خلال أسبوع كحد أقصى سيجنبه مخاطر التصعيد النفسي في الرأي العام العالمي . وقد اكتملت عناصر هذه الاستراتيجية بحصول الخصم على « حرية الاجواء » وعلى السيادة الجوية الكاملة ، بعد تحطيم الطائرات العربية وكل وسائل الكشف والاعتراض لدول المواجهة . وهكذا أمكن بواسطة سرعة العدوان شل أي رد فعل دولي من جانب الدول الصديقة للعرب أو الدول المحبة للسلام . وبالمقابل ، اثبتت هذه الحرب على الجانب العربي خطأ كبيرا في الحساب والتقدير ، وتهويننا من قوة العدو ، وعدم قيام أية ردة فعل دفاعية أو هجومية مدروسة . وكان أهم خطأ حدث في هذه المواجهة هو الافتقار الى تقدير صحيح لقوات الخصم ونواياه ، والافتقار الى تصميم سياسي صحيح مبني على دراسة تحليلية لكل العوامل مع تحديد هدف عربي سياسي واضح ، بالاضافة الى تناقض التصميم العسكري مع التصميم السياسي . وقد اتضح هذا التناقض وعدم التوافق والتطابق بعد المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٨ مايو (ايار) عندما أعلن بأن مصر لن تكون البادئة باطلاق النار . وانها ستدافع عن سورية اذا ما قامت اسرائيل بأي هجوم عليها . وكان ميزان القوى الحقيقي يجعل من المفروض على هيئات العمليات في الجيوش المواجهة لاسرائيل ، وعلى الاخص هيئة عمليات الجيش المصري — بعد هذا المؤتمر الصحفي — ان تحتفظ باحتياط استراتيجي هام غرب قناة السويس ، وان تتخذ كل الاحتياطات والتدابير لحماية قواتها الجوية وتوزيعها واخفائها وتمويهها لكي تتقي شر الضربة الاولى لان تلقي الضربة الاولى في أية حرب « تقليدية » سيسبب خسارة كبيرة للجانب المدافع . ولو ان مصر احتفظت باحتياطيها الاستراتيجي على الضفة الغربية للقناة ، ووزعت قواتها

الجوية في حظائر مسلحة ومحمية ومحصنة ، اذن لتغير وجه المعركــة عند وصول اسرائيل الى قناة السويس ، التي بلغ عندها الهجوم الاسرائيلي نقطة الذروة ، واعتبارا من هذه النقطة كان زخم الاندفاعة الاسرائيليـــة قد بدأ في الانحدار ، وكانت القوى الذاتية المادية الاسرائيلية قد بدأت بالاضمحلال والضمور . وكان من الممكن القضاء عليها بهجوم مصري مضاد ، خصوصا وان القوة الجوية الجزائرية كانت قد وصلت مساء يوم ٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

وبالاضافة الى التناقض بين التصميم السياسي والتصميم العسكري العربيين ، فقد لعب في الصراع عامل آخر هو التناقض بين اعدادات العرب واعدادات عدوهم . ففي الوقت الذي كانت فيه الاستراتيجية الاسرائيليـــة شاملة كـل الابعــاد السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والدعائية والعسكرية ، كانت الاستراتيجية العربية الشاملة مجرد « تكتيكات » لا رابط بينها ، وافسحت المجال واسعا وفسيحا **لحريـــة العمل** المتاحة أمام الخصم ، لان وسائله قوية ومعدة بعناية ، وهدفه كبير ، وتمكن من الحصول على النتيجة الحاسمة بتوافق هائل بين العمـــل العسكري المباشر ، والضغط غير المباشر ، وبسلسلة من الهجمات المتتالية التي استخدمت أسلوب « القضم » المتتالي المستوحى من الاسلوب العسكري النازي .

ومما ساعد اسرائيل على تحقيق هدفها ان العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، الذي انتصرت فيه اسرائيل عسكريا علـــى الجيش المصري في حين حققت الحركة القومية العربية بزعامة عبد الناصر انتصارا سياسيا عليها بمعونة المعسكر التقدمي العالمي ، ودول العالم الثالث ، قد تحول الى انتصار عسكري للجيش المصري بفعل عمل دعائي عربي تضليلي دون أن يلفت النظر الى أن هناك هزيمة لا بد من معالجة أسبابها . وبقيت الامة العربية كلها بتأثير الدعاية العربية الخاطئة والمضللة تتصور انها انتصرت عسكريا علـــى عدوان اسرائيل وعدوان دولتين كبيرتين هما بريطانيا وفرنسا . ولما توتر الوضع في عام ١٩٦٧ تصور الجميع ان اسرائيل التي لم تكن قادرة على الهجوم وحدها دون تغطية بحرية وجوية في عام ١٩٥٦ ، لن تكون قادرة على الهجوم في عام ١٩٦٧ وحدها ضد مصر ، أكبر طاقـــة عربيـــة سياسية واقتصاديـــة وعسكرية وبشرية . واننا نعتقد ان هذه الخطيئة « السيكولوجية » الكبرى هي التي خلقت نوعا من الاطمئنان والاستسلام الى ان اسرائيل لن تجرؤ على الهجوم . وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد اهدى انتصاره السياسي خـــلال العدوان الثلاثي الى الجيش المصري ، وكرر في خطابات متعددة موجهة الى الشعب العربي ان اسرائيل لم تتمكن من خرق الجبهة المصرية مع ان قوات الجيش المصري في ذلك الوقت كانت قوات قليلة . وهكذا تركز في اذهان كثيرين من القادة العسكريين العرب ، ان الهزيمة حتى ولو وقعت ، فستتحول بعبقرية « عبد الناصر » السياسية الى انتصار . الا ان هذه المعجزة التي حدثت في عام ١٩٥٦ لم تقع في عام ١٩٦٧ لان المسرح العالمي شهد متغيرات دولية لم توضع في التقدير والحساب ، ولان اسرائيل أعدت نفسها لمعركة تخوضها ـــ في المسرح العملياتي ـــ وحدها وبقواها الذاتية مع تغطية الامبريالية لها على المسرحين السياسي والاستراتيجي .

ولقد وضعت اسرائيل في اعتبارها قبل بدء العمليات كل العوامل الدوليـــة المحيطة بالصراع العربي ـــ الاسرائيلي . فباحتلالها لما تبقى من فلسطين بحدودها الدولية المصطنعة ولجزء من الاراضي العربية فانها تعزز موقفها العسكري ، وتحقق هدفها السياسي ، حتى ان عامل الزمن ذاته والذي ادعى البعض بأنه لصالح العرب قد غدا عاملا من العوامل التي تعمل لمصلحتها في تعزيز احتلالها للارض ، واستيطانها ، وتحصينها ، ودفع أي هجوم عن مواقعها الحيوية في الداخل . ولو كنا أقوياء بما فيه

الكفاية ، لقلبنا هذا الاحتلال لصالحنا ، ولكن أمد احتلال الارض قد طال أكثر مما ينبغي لتحقيق نتيجة حاسمة من وراء استعدادنا العسكري التقليدي . وفي الوقت الذي تمارس فيه اسرائيل استراتيجية الوقفات القصيرة ، والمراحل الوسيطة التي تشبه الى حد كبير ما فعله الرومان في حروبهم ، يمارس العرب استراتيجية الجمود التام وتفجير النزاعات الداخلية وعمليات التمزيق المستمرة . وهكذا فان الاراضي العربية المحتلة أضحت قاعدة عمليات جديدة لاسرائيل ، وتجديدا وشحذا لقوتها .

ان هدف اسرائيل السياسي كما ادعت عند عدوانها هو فك الحصار عن خليج العقبة ، الرئة الثانية التي تتنفس منها اسرائيل ، ودفع القوات المصرية والسورية والاردنية بعيدا عن مناطقها الحيوية لانها تشكل خطرا عليها ، ولكنها لم تطالب بمفاوضات مع الدول العربية لتخطيط حدود جديدة في ذلك الوقت ، كما انها لم تعلن بأن حربها تستهدف تحقيق هذا الهدف . وترى حكوماتنا واجهزتها بعد حرب ١٩٦٧ أننا انتصرنا سياسيا لاننا رفضنا الاعتراف بدولة اسرائيل رغم احتلالها لجزء من أراضينا . فهل هذا هو فعلا هدفنا السياسي ؟ . أما اسرائيل فانها قد حققت هدفها السياسي من وجهة نظرها ، فهي لا يهمها أبدا في الوقت الحاضر جر العرب الى مائدة المفاوضات ما دامت تعيش في أمان داخل حدودها الجديدة وتواصل عدوانها على كل الارض العربية دون أن تتلقى أي رد اليم . ان اسرائيل قد حققت بعد عدوانها عام ١٩٦٧ ما لم تكن تحلم بتحقيقه خلال عشرين عاما . فقد احتلت هضبة الجولان السورية التي تعتبر خط الدفاع الاول عن دمشق . واحتلت اسرائيل الضفة الغربية من الاردن ، التي كانت تشكل مقتلا لاسرائيل ، وجيبا عربيا مغروزا في لحمها . واحتلت سيناء وهذا هو الاهم ، رغم ما يروجه البعض من انه لا اهمية لسيناء ، ولا مطمح لاسرائيل فيها . ان اسرائيل بوصولها الى الضفة الآسيوية من قناة السويس ، وباحتلالها لخليج العقبة تشكل بوضعها الحالي حاملة طائرات تستطيع أن توجه حممها وقنابلها وجنودها الى شواطىء البحر الاحمر ، والى كل الاعماق المصرية . وهي بما حققته من توسع على حساب ثلاث دول عربية تشكل خطرا لا يعادله ولا يوازيه خطر المفاوضات المباشرة الذي تحاول بعض الحكومات العربية استخدامه كدليل على صمودها .

آثار العدوان الاسرائيلي ونتائجه على الوضع العربي العام : ١ — ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان امريكا هي العدو الاستراتيجي الاول للامة العربية . وبفضل هذا الخصم الاستراتيجي ما زال المعتدي يهزأ بكل قرارات الامم المتحدة والمنظمات الدولية . وامريكا ضالعة في العدوان على الامة العربية منطلقة من دوافع امبريالية واضحة . ولقد تزايد هذا العداء منذ العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، بل منذ ان تراجعت عن قرارها بمنح قرض لمصر لبناء السد العالي في ١٩ يوليو (تموز) ١٩٥٦ . وقد أكد فيما بعد آلن دالاس مدير المخابرات الامريكية آنذاك ما يلي : « كانت مصالح المخابرات مطلعة تمام الاطلاع على ما ستفعله اسرائيل على سبيل الاحتمال ، وما ستفعله بريطانيا وفرنسا ...... وأكد الرسميون الامريكيون بأن بلادهم لم تخطر مسبقا بهذه الاعمال . والواقع ان مصالح المخابرات الامريكية اطلعت الحكومة الامريكية على الوضع يوما بيوم » (١) . كما ان الاسطول السادس كان موجودا في مياه قبرص وفي منطقة البحر الابيض المتوسط وعلى الشواطىء الاسرائيلية . ولا يعقل ان تخفى عليه تحركات الاساطيل الجوية والبحرية لدولتين من حلفائه في حلف الاطلنطي وهو يسيطر سيطرة كاملة على أجواء المتوسط ومياهه ، ويملك أحدث أجهزة الكشف والانذار . لقد تظاهرت امريكا بمعارضتها للعدوان كما اثبت فيما بعد الجزء من المذكرات التي نشرها هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا الاسبق تحت عنوان

---

١ — **اسرار الحروب** — البرت غوردن — دار البلاغ — تحت الطبع .

« وسط العاصفة » (١) . وبرزت بعد العدوان الثلاثي نظرية ملء الفراغ التي سميت بمبدأ ايزنهاور ، الا ان هذا المشروع اخفق عندما تصدت له مصر وسورية .

ولما وجدت امريكا انها غير قادرة على ايقاف المد الوحدوي التقدمي في المنطقة العربية دفعت حلفاءها في حلف الاطلنطي الى تسليح اسرائيل ودعمها « فكانت صفقة الاسلحة السرية لالمانيا التي تعتبر أكبر حدث سياسي في العلاقات العربية ـــ الغربية بعد حرب السويس ، كما كانت أكبر فضيحة للغرب بعد فضيحة التآمر في تلك الحرب » (٢) . ثم تلا هذا مباشرة اتفاقية التعويضات الالمانية لاسرائيل ، ومساعدات المانيا لاسرائيل في البحوث العلمية ، وفي المجالات النووية والكيميائية والبيولوجية . وحقق العرب نصرا معنويا في معركة صفقات السلاح السرية ربما نسيه كثير من العرب اليوم .

الا أن امريكا تمكنت من دفع فرنسا لتسليح اسرائيل ، وانشاء علاقات تعاون بينها وبين اسرائيل ، وتلقت اسرائيل الطائرات وكثيرا من الاسلحة من فرنسا ، وتعاونت معها في كل المجالات . وعندما خرجت فرنسا من دائرة النفوذ الامريكي في عهد الجنرال شارل ديغول اضطرت امريكا الـــى القيام بدور سافر في تسليح اسرائيل وتقديم كل المعونات اللازمة لها . كما ان نجاح الحزب الاشتراكي في المانيا الغربية اضطر امريكا أيضا الى كشف القناع الذي كان يغطيها أمام العرب ، ودعم اسرائيل علانية بالمال والسلاح . وما سيل التصريحات الامريكية المتتالية عن ضمان التوازن في منطقة الشرق الاوسط و « التزام نيكسون من حيث المبدأ » بارسال أي عدد من طائرات الفانتوم « للمحافظة علـــى ميزان القـــوى في الشرق الاوسط » (٣) ، ومـــا حديث ستيوارت سيمنغتون (ديمقراطي) وهو أحـــد المرشحين السابقين لرئاســـة الجمهورية من ان اسرائيل « حاملة طائرات غير قابلة للغرق » وحديثه عن التسهيلات العملية والمادية المعطاة اليها ، ومعونتها بأجهزة الاستكشاف الامريكية وتقديم كل المعونات لتمكينها من صناعة الاسلحة الا دليل مادي على الترابط العضوي الاسرائيلي ـــ الامبريالي .

وقد آن الاوان لكي يتفتح العقل العربي ويعي وعيا كاملا ان الولايات المتحدة الامريكية لا تقف هذا الموقف المعادي للعرب بحكم تعداد الناخبين اليهود وأثرهم في السياسة الامريكية ، ونفوذهم وقيمة أصواتهم . ان اليهود الامريكيين يقفون مؤيدين لاسرائيل لانهم منطلقون من موقف وطني امريكي يحافظ على المصالح الامريكيـــة في كل أنحاء العالم . وهو ينطلق من منطق استعماري بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ويستمد هذا الموقف الامريكي الداخلي قوته من قيمة اسرائيل ذاتها أيضا كأداة قمع للشعوب العربية اذ اثبتت حتى الآن انها قادرة على القيام بهذا الدور كلما تأزم الموقف بينها وبين العرب ، أو بين بعض العرب والامريكيين . وان من مصلحة العرب أن يكفوا عن ملاحقة وهم ازالة آثار العدوان بعد الانتخابات الامريكية بحجة ان الرئيس الجديد لن يتخـــذ أي مـــوقف سياسي قبـــل كسبه للاصوات اليهودية . ان هـــذه الاصـــوات اليهودية الامريكية جزء من الاصوات الامريكية عموما ، والتي ما زالت تعيش بعقلية الحروب الاستعمارية السابقة . ان موقف الناخبين اليهود في امريكا جزء من موقف امريكي عام يرى في اسرائيل قاعدة امامية للامبرياليـــة الامريكيـــة في منطقة الشرق الاوسط ، وفيلقا متقدما لحماية مصالحها . والدليل على هذا تلك التصريحات الاخيرة التي صدرت عن بعض القادة العسكريين الاسرائيليين التـــي تهدد بضرب المنشآت

---

١ ـــ صحيفتا **الاهرام والاخبار** بتاريخ ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ .

٢ ـــ **المساعدات العسكرية الالمانية لاسرائيل** ـــ العميد الركن حسن مصطفى ـــ ص ٥ ، دار الطليعة .

٣ ـــ حديث الاحد ـــ الاستاذ احمد بهاء الدين ـــ **الاهرام** ١٣ فبراير (شباط) ١٩٧٢ .

البترولية العربية . ولو فهم العرب ماذا يعني هـذا التهديد لعرفوا كيف يستثمرونه ويستغلونه . فهناك اتجاه عربي عام للتعامل مع أوروبا الغربية ، وتطمينها بأن الدول العربية لن تقطع البترول عنها نكاية بأمريكا . وهذا التلويح بالتهديد الاسرائيلي هو هجوم غير مباشر على أوروبا التي تحاول أن يكون لها موقف سياسي من العدوان الاسرائيلي حفاظا على مصالحها الاقتصادية والسياسية مع الوطن العربي .

٢ ـ العدو الميداني هو اسرائيل والصهيونية العالمية ، واسرائيل قاعدة أمامية مفتوحة على البحر الابيض المتوسط ، وعلى الاسطول السادس ، تدعمها الامبريالية الامريكية في منطقة الشرق العربي ولهما استراتيجيـــة واحدة . وان « ظروف تكوين اسرائيل والسياسة التي انتهجتهـــا منذ تأسيسها تشكل منهـــا دولة استعمارية محكوما عليها بانتهاج مسلك عدواني توسعي (واستيطاني) ، أي بأن تكون اداة في أيدي الدول الاستعمارية الكبيرة وعلى رأسها الاستعمار الامريكي . »(١)

ان سلوك اسرائيل العدواني منذ تأسيس اولى المستعمرات العسكرية الزراعية في فلسطين وحتى هذا التاريخ يثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن السلم لا يمكن أن يستتب ويسود بين امة اغتصبت أراضيها وبين مجموعة من الغزاة اقامت على هذه الاراضي المغتصبة . ومن هنا فان التناقض بـين الوجود الصهيوني والوجود العربي تناقض اساسي لا يمكن أن يزول الا بزوال سبب الصراع وسيطرة أحد الطرفين . ان اسرائيل في وضعها الحالي تطالب بأرض الآبـاء والاجداد . ولهذا فان أي حل سلمي معها سيؤدي الى تهيئة صدام دموي معها ، مهما طالت مدة اعداده أو قصرت . واسرائيل في سلوكها السياسي ، ترتبط بالحرب دوما ، وتعتبر الابادة المبدأ الاول لها . وتهدف الابادة الشاملة في نظرها الى انهاء كل مطالبة بالارض « بالقضاء على المطالبين » . ولهذا فان أي سلم معها لا يمكن ان يكون مصدر هدوء للعرب اينما كانوا ، « انه سلم تمور فيه الاشباح والمخاوف . » انه سلم كسلم ديموقلس مليء بالوعيد والرعب . ولا يتم بناء السلم مع اسرائيل الا بنزع ظاهرة العدوان منها . ولن نستطيع نزع ظاهرة هذا العدوان الا بازالة اسباب التناقض الاساسية التي تولد الحرب عاجلا أم آجلا . ان وجود اسرائيل في حد ذاته هو ظاهرة حرب مفروضة علينـــا ، وعلى ابنائنا من بعدنا . ولا يمكن اقامة سلم معها الا استنادا الى حق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه والمحافظة على عروبة هذا القطر . وقد فشلت كـل المعاهدات السلمية عبر التاريخ رغم استنادها الى دعائم اجتماعية وحقوقية اذ لا بد من تحديد « سبب النزاع » واستئصال الروح العدوانية بالقضاء على الروح الفاشيستية العنصرية الاسرائيلية . ولقد حاول الزعماء عبر التاريخ وحتى يومنا هذا صيانة السلم والحفاظ عليه . كما حاولوا تأخير موعد النزاعات الدموية ، باستخدام القوى المعطلـــة أو باللجوء الى المهدئات . ولكنهم لم ينجحوا الا في تأخير موعد النزاع . ثم نشبت الحرب بعد أن زادت الضغوط خـلال فترات السلم والهدوء ، واختل التوازن الى حد كبير فأصبح الانفجار أقوى واعنف داخليا وخارجيا .

ان هدف السلم بالنسبة لاسرائيل هو التحكم بمصائر العرب ومستقبلهم واخضاعهم . وان سلما مع اسرائيل تهدر فيه حقوق شعب فلسطين في أرضه وتقرير مصيره بنفسه تعسف وظلم . ولكن هذا الظلم لا يمكن ان يدوم فلقد اثبت التاريخ أن الامم الحية لا بد وأن تمتص صدمة العدوان الاولى وتعبىء قواها لدحر المعتدين مهما كبرت التضحيات . « ان غازيا شرها وظالما يخضع أمة من الامم ، ويفرض عليها قبول شروط قاسية ، ومخجلة ، وثقيلة ، فان الضرورة تضطرها الى الخضوع . غير ان هذا الهدوء الظاهر

---

١ ـ شارل بتلهايم ـ **الطليعة** ـ عدد سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ ـ القاهرة .

لا يعتبر سلما : انه ظلم تعانيه ، على حين تفتقر الى الوسائل التي تسمح لها بالتخلص منه ، وسيهب الرجال الاقوياء لدى أول فرصة ملائمة ضده » . (امريخ دوفاتيل)

التصدي العربي بعد ٦٧ وحرب الاستنزاف : ما أن انتهى عدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بقرار وقف اطلاق النار في ٨ يونيو (حزيران) حتى هبت الجماهير العربية من المحيط الى الخليج في يوم ٩ و ١٠ من الشهر ذاته تعلن تصميمها على مواصلة النضال والكفاح المسلح . وقد أثبتت جماهير الامة العربية في هذه الهبة انها لن ترضى بديلا عن متابعة المعركة وانها مستعدة للبذل والفداء مهما كان الثمن . وكانت دول المواجهة قد خرجت محطمة من الحرب الخاطفة . ولهذا بدأت مصر وسورية بتنفيذ خطة اعادة بناء القوات المسلحة بمعونة الاتحاد السوفييتي . وسارت خطة اعادة البناء العسكري مع خطة اعادة البناء السياسي في خطين متوازيين : ١ ــ الخط السياسي ولا سيما في مضمار الدبلوماسية باعتبارها مظهرا يعبر عن السياسة . ٢ ــ الخط العسكري باعتباره تجسيدا للتصميم السياسي على متابعة الكفاح .

اما ما يتعلق بالخط السياسي : فقد بدأ بمؤتمر وزراء الخارجية في الكويت اثر الهزيمة مباشرة . وكان الهدف الاساسي المعلن لهذا الاجتماع هو تنظيم الخطة التي ينبغي ان تتبعها الدول العربية في مداولات المنظمة الدوليـــة . وذهب وزراء الخارجية العرب لحضور الدورة الطارئة لمنظمة الامم المتحدة ، وعكفت جهودهم علـــى محاولة فضح العدوان وكشفه للراي العـــام العربي . ثم عقد مؤتمر القمة في الخرطوم تحت لواء التضامن العربي من أجل ازالة آثار العدوان(٦) ولم تتخذ في هذا المؤتمر أية قرارات فعالة أو ايجابية تحاول ان تجتث النكسة من جذورها وتعالج أسبابها الحقيقية . وقد اتخذت في هذا المؤتمر التدابير الكفيلة بالصمود أمام العدوان ، وهكذا كانت قرارات المؤتمر التي أعلنت للجماهير العربية .

وبدأت مصر تقود نضال الامة العربية سياسيا من خلال **العمل الدبلوماسي** ، اذ أخذت تتحرك في هذا المجال ضمن نطاق الامم المتحدة وخارجها . وهنا لا بد من التأكيد من ان العمل الدبلوماسي العربي الذي مارسته مصر كان عملا دؤوبا ومتواصلا . فلا يمكن في هذا العصر اهمال أثر الراي العام العالمي ، ودور المنظمات الدولية ، وهو ما يسمى في التقنية السياسية والاستراتيجية **المناورة الخارجية** وهي المناورة التـــي ربحتهـــا اسرائيل قبل أن تبدأ حربها في يونيو (حزيران) علـــى صعيد الرأي العام العالمي . وساعد على ذلك الرواسب الموجودة في العقل الغربي ضد العرب منذ الفتح الاسلامي وحتى الحروب الصليبيـــة وحروب التحرير واستقلال الدول العربيـــة وتحررها من الاستعمار الغربي . ومن هذه الزاوية تمكنت الدبلوماسية العربية ، والمصرية بشكل خاص من فضح هذه الاسطورة وخاصة عندما تأزم الوضع في جبهة قناة السويس ، وشنت اسرائيل حربها التدميرية ضد مدن القناة وضد المنشآت الصناعية . وتمكنت هذه الدبلوماسية النشطة التي تحركت في كـــل انحـــاء العالم ، مدعومـــة بالاتحاد السوفييتي والدول المحبة للسلام من الحصول على قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . واستمرت الدبلوماسية المصريـــة في عملها السياسي لتكسب الرأي العام العالمي في كل ما يتعلق بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ وسار الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الخط عندما قبل مشروع روجرز لحل الازمة . وتبدى موقف امريكا السافر المعادي للعرب بعد قبول هذا المشروع ، وظهر أنه لا يعدو كونه مناورة من مناورات الامبريالية الامريكية .

مما لا شك فيه ان قبول مصر التسوية السلمية لآثار العدوان مـــع تحفظاتها بشأن

٦ ــ **حوار واسرار مع الملوك والرؤساء** ــ أحمد الشقيري ــ دار العودة ــ بيروت ــ ص ٢٢٣ .

انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية كان نتيجة لمعركة استنزاف متبادلة بين مصر واسرائيل قدمت فيها مصر كثيرا من الضحايا ، وقد كانت صفحة البلاد المصرية كلها ومؤخرات القوات المسلحة المصرية معرضة لغارات الاعماق ، وللانزال الجوي نظرا للتفوق الجوي الاسرائيلي . وأتاح مشروع روجرز لمصر استراحة وسط حرب الاستنزاف تم خلالها وفي فترة قصيرة جدا من الزمن بناء شبكة قواعد الدفاع الجوي القادرة على تأمين الدفاع الجوي عن البلاد . ومن ناحية أخرى كشف قبول هذه التسوية الموقف الامريكي السافر المؤيد لاسرائيل ، والتسليح الامريكي الكثيف ، واهداف امريكا المعادية للعرب على طول الخط . بيد ان قبول مشروع روجرز دون اتفاق مع الدول العربية والمقاومة الفلسطينية أحدث انشقاقا في صفوف الدول العربية وجزأ الرأي العام العربي الى مؤيد ومعارض ، وافسح المجال رحبا وفسيحا للملك حسين لتصفية المقاومة الفلسطينية على الارض الاردنية . كما ان قبول المشروع وقبول تمديد وقف اطلاق النار فيما بعد أوقف حرب الاستنزاف التي بلغت قمتها في فترة تساقط الطائرات الاسرائيلية بأعداد كبيرة من ٦/٣٠ وحتى ١٩٧٠/٧/٢٠ ، والتي كانت قد بدأت تتطور لمصلحة دولتي المواجهة الاساسيتين .

ثم قبل الرئيس محمد أنور السادات بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فتح قناة السويس كحل جزئي مرتبط بتوقيت زمني لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تاريخ ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ . وكانت امريكا في هذا الوقت تغذي اسرائيل بسيل من طائرات الفانتوم (ذات مدى العمل الطويل) والسكاي هوك القادرة على ادراك الاعماق المصرية وضرب كل مؤخرات الجبهة وراء قناة السويس ، وتزودها بأحدث الاجهزة الاليكترونية وبالمتطوعين الامريكيين ذوي الولاء المزدوج (لاسرائيل ولامريكا) .

وكان من أهم ما حدث في هذه الفترة قيام حركتي السودان وليبيا ، اللتين اعطتا لمصر عمقا جغرافيا واستراتيجيا امام الهجمة الصهيونية والامبريالية . وبعد تعثر حركة السودان ، تعتبر الحركة الليبية — ذات الايديولوجية التحررية الوطنية — انجازا عربيا يمنح القوى المعادية للصهيونية دفعا وزخما هائلين على الصعيد السياسي والاستراتيجي .

وهكذا بوسعنا ان نلخص التطورات الهامة على الصعيد الدولي والعربي بما يلي : ١ — كسب قطاعات هامة من الحركات التقدمية العالمية لصالح القضية الفلسطينية وبروز رأي عام أوروبي لصالحها . ٢ — انبثاق المقاومة الفلسطينية كواقع عربي وكتجسيد لحركة رفض « الامر الواقع » الاسرائيلي . واستمرار الصمود والمقاومة العربية ضد احتلال الارض العربية هو أمر لم يحدث في عام ١٩٤٨ .

وفي المجال الوطني الداخلي تحققت البدايات التالية التي لا بد من الاستمرار في اعطائها المضمون الحقيقي : ١ — اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي في مصر — بيد ان هذه الخطوة لم تعط أية نتائج مثمرة حتى الآن . ٢ — قيام الجبهة التقدمية في سورية — هذه الخطوة التي ستكون عند تعميقها وتبلورها حقيقة حية تجسد وحدة القوى المكافحة ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل مستقبل أفضل . ٣ — قيام وضع قومي عربي ملائم في ليبيا حقق بعض الانجازات على الصعيد العربي والداخلي . ٤ — قيام اتحاد تعاقدي بين مصر وسورية وليبيا يمكن أن يعتبر الرد العملي على الهزيمة لو تمكنت رئاسته وحكوماته من الاتفاق على ميثاق عمل ثوري واحد ، ووضع سياسة واحدة ، واستراتيجية واحدة تشمل كل الابعاد .

على الصعيد العسكري لم يكن هناك أي تطابق بين عملية البناء العسكري للقوات المسلحة وبين الحركة الدبلوماسية العربية في كل المجالات . واذا كان بعض التطابق

قد حدث حتى منتصف عام ١٩٧٠ ، فان البناء العسكري للقوات المسلحة العربية الذي احرز تقدما ملموسا في المجالين الجوي والبري ، لم يتوصل حتى الآن الى المستوى الذي يسمح له بتحقيق نصر حاسم على العدو . ومما لا شك فيه ان القوات المسلحة العربية كانت بحاجة الى ثلاث سنوات كاملة لاعادة بناء نفسها، ومع ذلك ما كادت القوات المصرية تنفض عنها غبار الهزيمة حتى وقفت في معركة رأس العش بتاريخ ٢ و ٣ يوليو (تموز) تواجه القوات المدرعة الاسرائيلية مدعومة بالسلاح الجوي المصري ، فصدت هذا التقدم ، ودمرت هذه القوات .

وكان الوضع العسكري العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ كالتالي : ١ ــ القوات المسلحة المصرية مفككة ومشتتة وقد فقدت أكثر من ٨٠٪ من عتادها ومعداتها . ٢ ــ جبهة قناة السويس مكشوفة والطرق مفتوحة أمام قوات العدو(١) . وينطبق هذا الوضع على القوات المسلحة السورية التي فقدت معدات قوات الجبهة وعتادها وقسما كبيرا من القوة الجوية ، وأصبح الطريق الى دمشق مفتوحا كما أصبحت الجبهة السورية مكشوفة تماما .

وهنا ظهر الموقف المشرف للاتحاد السوفييتي الذي دعم الصمود في مصر وسورية ، ولا نجد كلمات أبلغ من الكلمات التي قالها الاستاذ محمد حسنين هيكل في مقاله الاسبوعي بتاريخ ١٩٦٩/٩/٢٦ يصور هذا الموقف الصديق : « لاسابيع متصلة في النصف الثاني من شهر يونيو ، وطوال شهر يوليو سنة ١٩٦٧ ــ فان الاتحاد السوفييتي أقام جسرا جويا بين موسكو والقاهرة ، وعلى هذا الجسر كانت طائرات النقل الضخمة تصل بمعدل طائرة واحدة كل عشر دقائق تحمل من المعدات ما أمكن به بناء خط دفاع مصري في مواجهة العدو الى الضفة الشرقية من قناة السويس . » . وأضاف يقول : « ان جهدا كبيرا فوق ما كان يتصوره احد ، بذل في تلك الظروف لتعزيز جبهة القتال اقتصاديا ، وذلك بعمل مركز خلاق في مجالات الزراعة والصناعة والتوجيه الاقتصادي العام . »

وكانت عملية بناء القوة العسكرية تسير جنبا الى جنب مع عمليات ايجابية كان لها وزنها وأثرها لو انها استمرت وتصاعدت حتى هذا الوقت . ولا مجال هنا لسرد كل العمليات التي قامت بها القوات العربية المسلحة المصرية والسورية والمقاومة الفلسطينية ، ولكن من المفيد أن نلاحظ « أن هذه العمليات الايجابية تدرجت فبدأت بالعبور لنسف مستودعات الذخيرة والحصول على اسلحة للعدو ورص زرع الالغام على طرق التحرك شرقي القناة وعلى الشاطىء الشرقي للخليج حتى وصلت الى الاغارة بقوة كتيبة »(٢) ومن أهم العمليات التي تمت في ذلك الوقت اغراق المدمرة ايلات في ٢١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ ، وتعرض مرفأ ايلات لاغارة بالمغاوير البحريين يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ وتدمير سفينتين حربيتين . وتمت عملية الهجوم على معسكر مصفق بتاريخ ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩ ، ووقعت الاغارة البحرية بالمدمرات ليلة ٩/٨ نوفمبر (تشرين الثاني) على رمانه وبالوظه ، والاغارة بالضفادع البشرية على ميناء ايلات يوم ٥ فبراير (شباط) ١٩٧٠ ، ويوم ١٦ مايو (ايار) ١٩٧٠ . هذا بالاضافة الى كثير من عمليات الاغارات والكمائن والتراشق بنيران المدفعية . وقد قامت القوات الجوية المصرية بعدد كبير من الطلعات الجوية وقصفت مواقع العدو على الضفة الشرقية للقناة مباشرة وفي العمق ... كما قامت

---

١ ــ **مجلة القوات المسلحة المصرية** ــ ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠ .

٢ ــ المرجع المذكور سابقا .

بأعمال الاعتراض الجوي لطائرات العدو . واعتبارا من ٦/٣٠ وحتى ٧/٢٠ تم اسقاط ١٣ طائرة منها ٦ طائرات فانتوم وأسر ٦ طيارين للعدو(١) .

هذا على الجبهة المصرية ، اما على الجبهة السورية فقد تصاعدت الاعمال الحربية ايضا . واشارت جريدة جويش اوبزرفر بتاريخ ١٩٧٠/٤/١٠ الى ذلك تقول : « لقد حدث خلال الشهرين الماضيين حوالي ٢٠٠ هجوم وتسلل في مرتفعات الجولان نفذ الكثير منها من قبل القوات السورية النظامية ، ومهما يكن سبب تصعيد الاعمال القتالية فان سورية اعلنت بمباهاة بأنها تقوم بدورها كاملا في معركة الاستنزاف التي أعلنها ناصر » .(٢) وقام الجيش السوري بأفضل اعمال الرد في جبهته عندما احبط بتاريخ ١٩٧٠/٦/٢٦ هجوما قام به العدو ، وشن عليه هجوما معاكسا من المكان ذاته ، وفي الوقت نفسه قام باغارة ناجحة بالقوات المدرعة في قطاع آخر من الجبهة(٣) وشهدت الجبهة السورية قيام أول اغارة جوية قام بها الطيران السوري ضد المواقع الاسرائيلية في الجولان بعد عدوان يونيو (حزيران) بتاريخ ٣١ يوليو (تموز) ١٩٦٩ . وفي ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ جرت فوق سماء دمشق والجبهة السورية معارك جوية بين اسرائيل وسورية اسفرت عن اسقاط طائرتي ميراج . ثم ازداد التوتر على الجبهة السورية في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، وجرت في ٢ و٨ اشتباكات برية وجوية كان العدو يبغي من ورائها اقناع السوريين «باحترام وقف اطلاق النار والتزام الهدوء» على حين كانت غاية القوات العربية السورية « الرد على الضربة بضربة » و « عدم الخضوع لتهديدات العدو وردعه » الرامية الى اجبار السلطات السورية على شل نشاط المقاومة الفلسطينية في منطقة الجولان وفي عمق الاراضي الفلسطينية المحتلة . ولقد خسر الطرفان في الاشتباكين عددا من المعدات والطائرات ، ولكن الطيران العربي السوري اثبت خلالها كفاءة قتالية ليلية ونهارية اعترف بها العدو ، كما استطاعت القوات البرية السورية الحاق اضرار كبيرة بمواقع العدو ومستوطناته . والاهم من هذا كله هو ان عنف الرد السوري وطبيعته واتساعه يعني انخفاض مستوى الردع الاسرائيلي الى حد قد يجبر الاسرائيليين على التروي قبل اجراء أي تصعيد جديد او على الاضطرار للقيام بعمليات واسعة النطاق لاعادة الردع الى مستوى يعيد الجبهة السورية ـ الاسرائيلية الى « حالة البرودة » .

أما المقاومة الفلسطينية فقد شنت ضد العدو حرب استنزاف من نوع اخر ، وقامت بمعارك مشرفة داخل الاراضي المحتلة ، والحقت بالعدو خسائر مادية ومعنوية بالغة . وكان من الممكن استنزاف العدو بالفعل لو استمرت حرب الاستنزاف النظامية على القناة والجبهة السورية ، مع تصعيد عمليات الاستنزاف بحرب العصابات والحرب السرية داخل الارض المحتلة . ولا تستطيع اسرائيل ـ على حد قول وزير خارجيتها ابا ايبان « تحمل حرب طويلة . ولن نرضى بأن تمتد الحرب بيننا وبين العرب الى مائة عام»(٤) . وهذا يفسر بما لا يدع مجالا للشك سبب العنف في الهجمات الاسرائيلية الاخيرة على الوجود الفدائي في جنوب لبنان ، وعدوانها الجوي على قواعد الفدائيين في فبراير (شباط) من عام ١٩٧٢ واوائل مارس (اذار) . بالاضافة الى اعتداءاتها الاخيرة في سوريا ولبنان .

لقد كانت المعارك البطولية في جبهة قناة السويس التي اشرنا اليها الى ان تم قبول

---

١ ـ المرجع المذكور سابقا .
٢ ـ نقلا عن كتاب : **الكفاح المسلح** ـ اللواء الركن مصطفى طلاس ـ ص ١٩١ .
٣ ـ المرجع المذكور سابقا .
٤ ـ **الصياد** ـ عدد ١٢٩٣ ـ عام ١٩٦٩ ـ مقال العمل الفدائي كما تراه اسرائيل .

مقترحات روجرز تتسم بارتفاع مستواها التكنولوجي . وعندما ستفتح وثائق الطرفين عن هذه الحرب سيظهر واضحا ان اسرائيل استخدمت افضل ما توصلت اليه امريكا في المجال التقني والتكنولوجي ، غير ان الانسان العربي تمكن من الصمود كما تمكن من الردع . ولو أن هذه الحرب قد طالت ، مهما وجهت اسرائيل من غارات الى الاعماق ، لكانت اسرائيل اليوم هي التي تطالب بالمفاوضات وهي المستعدة للانسحاب ، ولولد من هذه الحرب مجتمع عربي جديد يتطلع الى مجتمع السلم المنشود بتفاؤل أكبر .

وقد سادت في الاوساط العربية نظرية تقول بأن حرب الاستنزاف ستكون استنزافا متبادلا اذا ما استمرت ، وان بوسع اسرائيل ضرب الاعماق العربية بواسطة طائرات الفانتوم البعيدة المدى . ولكن لو أن حرب الاستنزاف بدأت بالقوة نفسها من كل الجبهات العربية ، وكان دور المقاومة محددا ومعينا فيها ومرتبطا بمسارح العمليات ، لما كانت هذه الحرب استنزافا متبادلا . فما الذي نخشى عليه في الاعماق لو ان شعبنا سلح ودرب على حماية مؤخراتنا . اننا لا نملك صناعة حربية نخشى عليها ، ولا صناعات متقدمة ، ولا نعتبر من الدول الصناعية التي تضطر الى نقل مصانعها ومؤسساتها الى داخل البلاد واعماقها لاستمرار المجهود الحربي . فمن المعروف اننا نتلقى الدعم والسلاح من الاتحاد السوفييتي ، فاذا وجد حليفنا أن ارادة التصميم لدينا ارادة لا تلين ، واننا حلفاء جديرون باستمرار الدعم استمر في دعمنا واستمرت مقاومتنا. ان اسرائيل معرضة في أعماقها أكثر منا ، وان الحرب طويلة الامد هي الحرب التي لا طريق امامنا غيرها . فليس في وسعنا حتى الان شن حرب شاملة خاطفة ، فلماذا لا نستمر في اقلاق العدو وازعاجه وتوجيه أكبر الاخطار لمواقعه الحيوية ومؤسساته . وان شرارة واحدة تبدأ في الجبهة المصرية والسورية كافية لاشعال حماسة الشعب العربي من المحيط الى الخليج ليتدفق لهذين البلدين سيل عربي لا ينقطع من العتاد والسلاح والمال والمتطوعين .

ان التعلل بعامل الجغرافيا الذي لا يساعد على قيام حرب شعبية لا سند له خصوصا وان جيوشنا النظامية موجودة وقائمة بالاضافة اليها . وان عدم وجود التضاريس والجبال والكهوف في الارض العربية لا يبرر السكوت على العدوان الى الابد . وان عدم وجود طائرة مقاتلة قاذفة بعيدة المدى تعادل مزاياها مزايا الفانتوم لا يبرر العطالة العسكرية . لقد حارب الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية وهو لا يملك طائرة للقصف الاستراتيجي . وكانت كل قوته الجوية مخصصة للدعم التكتيكي . وقد يرد البعض على هذا بأن الحلفاء تولوا عمليات القصف الاستراتيجي لالمانيا والرد على هؤلاء ان القصف الاستراتيجي لم يحسم المعركة . ولاثبات هذا نقتطف بعض اقوال تشرشل عن الهجوم الجوي : « من غير المنطقي الادعاء بأن الهجوم الجوي سينهي الحرب وحده ... فالاعتياد على الغارات الجوية ومنظومة من الخنادق والملاجىء الجيدة، ورقابة حازمة تقوم بها الشرطة والسلطة العسكرية كافية للمحافظة على سلامة القوة الهجومية والدفاعية لشعب من الشعوب »(١) ولم يصبح الهجوم الجوي ضد المانيا عملية استراتيجية حقا الا عندما وجه ضد منابع الطاقة وضد وسائل التوزيع(٢). ان تنظيم المؤخرات وتعبئة الشعب بكامله وتنظيم الدفاع المدني ، وحصر الاهداف الحيوية في الداخل كاف لتقليل مردود القصف الاستراتيجي وحصره في حدود معينة .

المعنى الاستراتيجي للاتحاد بين مصر وسورية وليبيا كما يجب ان يكون : بتاريخ ٢

---

١ — **ادارة الحرب** — الجنرال فوللر — ص ٤٤٢ — منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
٢ — **المرجع السابق** ، ص ٤٤٨ .

سبتمبر (ايلول) ١٩٧١ قام اتحاد الجمهوريات العربية الذي ضم مصر وسورية وليبيا كخطوة على طريق الوحدة . وكان هذا الاتحاد اول محاولة جادة بعد عدوان ١٩٦٧ كواقع طبيعي على طريق الوحدة العربية الشاملة بالرغم من أن عالمنا المعاصر هو عالم الاحلاف والكتل السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تجاوزت مرحلة القومية (ما فوق القوميات) . ولم يكن هذا الاتحاد الكونفيدرالي اول محاولة لتوحيد الدول العربية. فقد جرت قبله محاولات عدة وسنقتصر بحثنا على الآثار الاستراتيجية للاتحاد كما يجب أن تكون: ١ ــ الاتحاد أو الوحدة ضرورة استراتيجية لمواجهة الصراع العربي ــ الاسرائيلي الامبريالي ، وهو الرد العملي على هزيمة يونيو (حزيران) . ومن المفترض ان سياسة اتحاد الجمهوريات العربية هي ازالة آثار العدوان ، وتحرير فلسطين من العدوان الاسرائيلي الاستيطاني . وبوسع الاتحاد ان يضع لهذا الغرض استراتيجية شاملة ، سياسية واقتصادية ، وعسكرية ، واعلامية . وبوسع هذا الاتحاد بواسطة مجلس رئاسته ان يضع استراتيجيته القريبة المدى وان يحدد مراحلها ، كما ان بوسعه ان يوحد موقفه ازاء قضية الحرب والسلم ، ويوزع الادوار بين اعضائه .

وفي المؤتمر الثاني لمجلس الرئاسة الذي تم في ٢٢ و٢٣ ديسمبر (كانون الاول) تشاور الرؤساء الثلاثة وتدارسوا الوضع العام في الشرق الادنى ، وصدر بيان عن اتفاقهم على مبدأين اساسيين : آ) ضرورة تحرير الاراضي التي احتلتها اسرائيل خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . ب) ضرورة احترام الحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وقرر مجلس الرئاسة بالاضافة الى هذا دعم الثورة الفلسطينية .

٢ ــ الاتحاد عامل أساسي في تحقيق التكامل الاقتصادي وتعبئة الطاقات والموارد للاكتفاء الذاتي ولمعركة المصير . ان بوسع مجلس التخطيط والشؤون الاقتصادية تحقيق مشروعات استراتيجية هامة لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الثلاث وخاصة في مجال البترول ، والصناعات المعدنية ، والصناعات الحربية ، والتطوير الزراعي ، واقامة صناعة للالات والجرارات الزراعية ، واعادة التأمين ، وتوحيد النقل البحري ، والجوي ، والتجارة ، والسياحة ، واقامة مشروعات اقتصادية اخرى تشكل دعامة من دعائم الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية .

٣ ــ ان تحقيق الوحدة السياسية يستتبع بالتالي تحقيق الوحدة العسكرية الحقيقية . ان الشكل الذي يتخذه الصراع العربي ــ الاسرائيلي يحتم معالجة امن الدول العربية المواجهة لاسرائيل على أساس قومي لا على أسس اقليمية . ومن المؤكد ان الوحدة على المستوى السياسي والعسكري ضرورية جدا في هذه المرحلة ، وستكون اثرا من آثار هذا الاتحاد بالالزام . ومن المفيد هنا ان نذكر بأن نابليون كان يعتبر وحدة القيادة هي « أولى الضروريات في الحرب » و « ان قائدا سيئا واحدا يقود بمفرده [قائد عام] أفضل من قائدين جيدين » . وان : « لا شيء اكثر أهمية في الحرب من وحدة **القيادة** . وعندما لا نخوض الحرب الا ضد دولة واحدة ، ينبغي ان لا يكون هناك سوى **جيش** واحد . . . يقوده قائد واحد » . وقد عبر الجنرال جوفر في الحرب العالمية الاولى عن المعنى ذاته عندما قال في عام ١٩١٥ : « ان وحدة القيادة تفرض ذاتها في كل عمل حربي، لانها تشكل الشرط المطلق للنجاح » . وهناك مبدأ أساسي في اسلوب قيادة العمليات في القوات المسلحة يتمثل **بوحدة الحرب ، ووحدة القيادة التي تديرها(١)** . ويؤكد هذا المبدأ ضرورة وجود مستوى قيادي عال للادارة والقيادة .

ومن الممكن توفير مثل هذا المستوى السياسي القيادي ضمن اطار اتحاد الجمهوريات

---

١ ــ الجنرال دولا شابيل ــ مدير مدرسة الحرب العليا في فرنسا سابقا . **الدفاع الوطني** .

العربية . ومن الممكن ان تتم اجتماعات دورية لرؤساء الحكومات التي تقبل بقومية المعركة ، او ممثلين عنهم تتخذ فيها القرارات المتعلقة بالاستراتيجية العليا ، وتكون ملزمة لكل الاطراف . وقد اثبت التاريخ أن وجود مثل هذا المستوى السياسي في حالة عدم توفر وحدة سياسية او اتحاد امر ممكن . ففي الاشهر الاولى من الحرب العالمية الاولى كانت تتم مؤتمرات دورية بين رؤساء حكومات الحلفاء وقامت هذه المؤتمرات بدور الحكومة بالنسبة لكل الاعضاء .

وفي الحرب العالمية الثانية كان رئيسا حكومتي فرنسا وانكلترا يجتمعان ثم أخذت الاجتماعات شكل مؤتمرات للثلاثة الكبار (ستالين وروزفلت وتشرشل) . ووصلت انكلترا وامريكا الى قمة التعاون الانكلو سكسوني حتى أنهم استخدموا بعض مواردهم بصورة مشتركة ، وتحملوا الاعباء معا ، وخلقوا مجموعة من الاجهزة المختلطة الدائمة ، كانت قادرة في كل المجالات على اعداد التوجيهات التي وضعتها الحكومتان وتنفيذها . وفي مطلع عام ١٩٣٩ لم تشكل ادارة موحدة للحلفاء على مستوى الحكومات ، غير انهم اكتفوا بوحدة السلطة والقيادة على مسارح العمليات ووزعت بين الحلفاء على الشكل التالي : الفرنسيون على جبهتهم وفي غربي البحر الابيض المتوسط ، والبريطانيون شرقي البحر الابيض المتوسط وفي الشرق الاوسط واسكندينافيا . وعلى مستوى الادارة العسكرية للحرب ، كان الجنرال ايرونسايد رئيس هيئة الاركان العامة للامبراطورية البريطانية ، والجنرال غورت قائد قوة الغزو على القارة الاوروبية يجتمعان مرارا مع الجنرالين غلامان وجورج . غير ان هذه الاجتماعات كانت للتداول وتبادل الاراء . ولم تتخذ صفة التقرير والامر ، وقد وجدوا ان الضرورة لا تحتم انشاء جهاز حليف دائم .

وفي مؤتمر « اركاديا » الذي انعقد في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ ويناير (كانون الثاني) ١٩٤٢ تألفت لجنة رؤساء الاركان لجيوش الحلفاء . فكانت هذه اللجنة اهم المنجزات في تاريخ حروب الوحدات والتحالفات(١) . وقد علق عليها الجنرال مارشال رئيس هيئة اركان القوات المسلحة آنذاك قائلا : « لم يتخذ الحلفاء في ساحة المعركة مبادرة اهم من هذه المبادرة ولا ابعد اثرا على قيادة الحرب » . واضاف قائلا بأنها « سمحت بتوحيد كامل للجهد العسكري بين امريكا وبريطانيا . . . وقد اعتبرت الادارة الاستراتيجية لقوات الدولتين وتوزيع الأفراد والذخائر ، وتنسيق الاتصالات ، والاشراف على مصالح المعلومات العسكرية ، وادارة المناطق المحتلة ، اعتبرت الادارة الاستراتيجية لكل هذا ادارة عمل مسؤولة مسؤولية تضامنية » .

ولو أخذنا الروابط القومية التي تربط الدول العربية بعضها ببعض النابعة من وحدة الارض العربية ، ومن وحدة تراثها الحضاري ، ومن وحدة عقيدتها ، وجدنا ان كل هذه الروابط تسهل الوحدة العسكرية كنتيجة طبيعية للاتحاد ، وتسهل عملية اضخم للدول العربية الاخرى المساهمة في معركة المصير . وتتطلب وحدة القيادة حشد كل **القوى الجاهزة** بقيادة **قائد واحد** على مسرح العمليات **الرئيسي** الذي ينبغي ان تحسم فيه المعركة . ان حشد الطاقات والوسائل يتطلب من هذا القائد أيضا تحديد صفة الحرب التي يخوضها وشكلها العام ، واحتمالاتها وشروطها وعلاقاتها بالاوضاع الدولية ، ومن ثم لا بد للقائد العام من تقييم **هدف الحرب السياسي** بغية تحديد الادارة العسكرية اللازمة لتنفيذه .

وقد يبدو لاول وهلة ان التنسيق العسكري بين جيوش دول الاتحاد ، او التنسيق بين الجبهة الشرقية (لو تمت اقامة هذه الجبهة) والجبهة الغربية مسألة سهلة . والحقيقة ان كل العسكريين الذين عالجوا موضوعات التنسيق بين جبهات متباعدة بهذا الشكل

---

١ ــ المرجع المذكور سابقا ــ الجنرال دولا شابيل .

وجدوا أنها مشكلة معقدة ، وبخاصة عندما يتطلب الوضع نقل قطعات من جبهة الى اخرى . ان دولة الطوق التي يسعى كل المؤمنين بوحدة المصير العربي الى اقامتهـا ضرورة قومية لتطويق العدو من الشمال والجنوب ، وانهاكه على جبهتين بآن واحد ، واجباره على توزيع مجهوده الجوي والبري . ولكن هـذا الواقع يخلـق صعوبـات استراتيجية هائلة . فبوسـع الجيش الاسرائيلي ان يقاتل دفاعيا في عدة جبهات بـآن واحد نظرا لاعداد اسرائيل الدفاعي ووضع جيشها المركزي . كما ان بوسعه خـوض معركة دفاعية على جبهتين وخوض معركة تعرضية هجومية على جبهة ثالثة يتم فيهـا الحسم نظرا للترتيبات الدفاعية المحدثة على كل الجبهات . ان المستعمرات الاسرائيلية تقام على مرمى الاسلحة العربية على مختلف عياراتها . وقد نظم الدفاع عنها لتكون اشبه بحدود طبيعية تشكل « عائقا دفاعيا » على حد قول يغال آلون ولمنع اختراقها من اي جيش ميكانيكي . كما أن الدفاع المدني منظم فيها على احسن وجه . ويشتـرك التجمع الصهيوني في اسرائيل لمواجهة اي طارىء ، على حين ما أن يتم اي اشتباك بين الدول العربية واسرائيل حتى يهجر سكان الحدود من العـرب قراهم وموطن آبائهم واجدادهم نظرا لافتقارهم للتنظيم والتسليح والتعبئة الشاملة .

ان الاستراتيجية مملكة الكتل والمساحات والمهل الزمنية الكبرى . ولهذا فان الهجوم من عدة جبهات لا يعطي في المساحات الواسعة (المجال الاستراتيجي) النتائج نفسها التي يعطيها في مجال التكتيك ، كما أن ميزة الخطوط الداخلية التي يتمتع بها خصمنا تزداد مع اتساع المساحات التي توجد فيها هذه الخطوط ، ولن يتحقق حسم المعركة معه الا عندما تستطيع القوات المسلحة السورية بلوغ سهل عكا في الوقت الذي تكون فيـه القوات المسلحة المصرية قد عبرت قناة السويس واجتازت مساحة لا بأس بها من أرض سيناء ، وفي الوقت الذي تضطره القوات المسلحة العربية في كل الجبهات ، كما تضطره المقاومة الفلسطينية التي تقوم بدورها على مؤخراته الى توزيع مجهوده الجوي على عدة جبهات بآن واحد ، مع الاهتمام بأمن مؤخراته . وهنا تلعب الجبهة الشرقية بكاملها دورا اساسيا في المعركة . وينبغي ان نتوقع قيام العدو بقتال تأخيري في بعض المناطق وهجوما صاعقا في مناطق اخرى .

وهكذا فان **الوحدة العسكرية الحقيقية** لدول الاتحاد ، وللدول التي قـد تقرر وضـع امكاناتها العسكرية تحت تصرفها تستهدف اول ما تستهدف تضافر كل الجهود نحو هدف واحد . وبما ان العدو المدعم بالامبريالية الامريكية هو عدو واحد يفكر هو واركانه على نسق واحد اذن لا بد لمثل هذا الاتحاد من تطبيق مبدأ **وحدة الحرب** ، مهما كانت أشكالها، مستندة الى **تصميم استراتيجي** واحد ، **وخطة حرب واحدة** تكون بمثابة دليـل لكـل الاطراف تحدد فيها المراحل المختلفة لتنفيذها ، مع الاهداف المرحلية الوسطية . وضمن هذا الاطار تؤمن **وحدة ادارة العمليات العسكرية بخطة ميدانية واحدة،** وبخطة عمليات موحدة تراعى فيها المراحل المتوافقة مـع الامكانات والوضع العربي والدولي . ومن الممكن ان تتضمن **خطة الحرب** دورا دبلوماسيا أو سيكولوجيا تقوم به هذه الدولة أو تلك طبقا لامكاناتها وارتباطاتها ، على ان تتضمن بالتأكيد **تضامنا استراتيجيا** للجبهات ، بما فيها دور المقاومة الفلسطينية . ومثل هذا التضامن يخلق نوعـا من الارتباط بين الجبهات يجعل كلا منها مستفيدة من الميزات التي تحصل الجبهة الاخرى عليها ، كما يجعل كل واحدة منها مسؤولة عند انهيار اية جبهة من الجبهات .

ان خصمنا على درجة عالية من الكفاءة القتالية ، تدعمه الوسائل التكنولوجية الحديثة، وفي مواجهته بصورة فعالة لا بد من : ١) استخدام كل **القوى** التي نملكها حتى آخـر مورد من الموارد . ٢) تعبئة كل قوانا وطاقاتنا المكشوفة والكامنة . ٣) حشد قواتنا في المناطق التي ينبغي ان توجه منها الضربة الحاسمة . ٤) عدم تبديد الوقت وسرعة

أعداد جبهاتنا ومؤخراتنا . ٥) تسليح شعبنا لكي يكون مستعدا للدفاع عن المرافق الحيوية وعن اعماق بلادنا . ٦) الاستعداد لحرب شاملة وطويلة المدى مهما كانت التضحيات ، ومهما بلغت الخسائر .

ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي يتطور تطورا خطيرا يهدد امن الامة العربية كلها ، ومن هنا فان الاتحاد خطوة على طريق تعبئة كل القوى العربية في وجه التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي في خدمة قضية واحدة ، وفي قوة عسكرية وسياسية واقتصادية وديموغرافية واحدة .

مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي : اتسمت الفترة بين حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وحتى قبول مشروع روجرز بالحيوية بالنسبة لدولتي المواجهة الرئيسيتين مصر وسورية ، وبالنسبة للمقاومة الفلسطينية التي تمكنت من توجيه ضربات كان من الممكن ان تتطور مع الزمن وتنمو لتصبح ذات اثر عسكري أكثر فعالية . وكان الانطباع السائد بأن الدولتين الاساسيتين من دول المواجهة ـ وعلى الاخص مصر ـ قد وصلتا الى مرحلة لا بأس بها من التدريب والتسليح . الا ان عامي ٧١ و٧٢ كشفا بصورة لا تدعو الى اللبس أو الغموض ان القوى الرئيسية في مواجهة اسرائيل لا تملك حتى الان تفوقا نوعيا يمكنها من شن حرب خاطفة على غرار الحرب الميكانيكية الخاطفة لاستعادة أرضها وتحريرها . كما ان المقاومة الفلسطينية التي كانت تملك عدة قواعد في الارض العربية لشن عمليات ضد اسرائيل قد فقدت معظم هذه القواعد ، وغدا من واجبها اعادة النظر في استراتيجيتها السابقة ، وان تقتصر في استراتيجيتها ـ في الوقت الحاضر على الاقل ـ على سياسة البقاء على قيد الحياة لتوفير العنصر البشري المقاتل ، وفي انتهاج العنف كوسيلة عمل ثورية على ان يكون هذا العنف ضمن خطة متكاملة داخلية وخارجية ، تشمل المؤسسات الحيوية الاسرائيلية في الداخل والمؤسسات الصهيونية أو المتعاونة معها في الساحة الدولية . وليست ممارسة العمل الفلسطيني للعنف دليلا على اليأس ، ولا يعتبر تخلفا عن العصر ، بل انه اسلوب من اساليب العمل الثوري المعاصر ، شريطة أن لا يبقى محصورا ضمن اطار الساحة الدولية ، بل أن يتم بشكل مترابط بين داخل اسرائيل والساحة الدولية .

ولنقم الآن بمقارنة بسيطة بين الوضع العسكري العربي والوضع العسكري الاسرائيلي: ١ ـ تقوم اسرائيل في المناطق المحتلة باقامة المستوطنات والمصانع والمرافق الاساسية دون خوف من أية دولة عربية . ٢ ـ اقامت اسرائيل خطوطا دفاعية متكاملة ومنسقة عمقا داخل الاراضي العربية المحتلة لم يستطع اي جيش عربي اختراقها حتى الان ، على الاقل منذ قبول مشروع روجرز حتى هذا اليوم . ٣ ـ ما زالت اسرائيل تهاجم و«تعربد» في كل الاجواء وعلى كل خطوط وقف اطلاق النار دون ان تتلقى ردعا كثيفا وشاملا من أية دولة عربية . ٤ ـ ما زالت ردود الفعل للدول العربية ـ وبعضها للحقيقة يحاول الرد (سوريه) ـ ردودا ضعيفة في معظم الاحيان . ٥ ـ التجمع الاسرائيلي منظم للحرب في الداخل والخارج ويمكن أن نقول بأن اسرائيل دولة مستعدة للحرب في كل وقت .

اما الموقف العربي فما زال يتلخص بما يلي : ١ ـ ما زالت الجبهات العربية على خطوط وقف اطلاق النار مشابهة للجبهات السابقة على حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، ولم يطرأ عليها اي تغيير من ناحية التصميم الاستراتيجي والعسكري . ولنضرب مثلا على هذا : ان الحياة ما زالت قائمة في المستعمرات الاسرائيلية على حين لا حياة على الضفة الغربية لقناة السويس ، مع ان بوسع الجيش المصري اعادة بناء الخط الاول في القناة بشكل قرى صغيرة حديثة ومنيعة على غرار المستعمرات الصهيونية تشكل كل منها مركز مقاومة في كل الاتجاهات . وينطبق هذا القول على الجبهات الاخرى التي ينبغي ان يعاد

النظر فيها لكي يشكل الجيش قوة ضاربة احتياطية ، في حين يتولى المواطنون الدفاع عن اجزاء من هذه الجبهة يعاد تنظيمها وبناؤها على أساس عسكري ومدني . ٢ — ما زالت الدولتان الاساسيتان في المواجهة لا تملكان استراتيجية واحدة متفقا عليها تحدد اسلوب مواجهة الخطر الصهيوني وتزيل آثـار العدوان . ان تحديد الاستراتيجيـة الواضحة يحدد نوع الحرب التي سنخوضها ونوعية القوات المسلحة التي نحتاج اليها لاننا غير قادرين على اللحاق بالمكننة الحديثة اسوة باسرائيل . ٣ — عدم الاستفادة من عامل الجغرافيا حتى الآن ، فبدلا من أن نجعل احتلال الارض عبئا على العدو جعلناه مغنما له ، ولهذا فان العدو يتحدانا في كل يوم بانجاز جديد في الارض المحتلة دون ان يكون هناك من جانبنا أي رد . ٤ — ما زال العدو متفوقا علينا في المجال التكنولوجي . وهذا أمر طبيعي لاننا جزء من العالم الثالث ، ولكننا لم نحاول التعويض عن هذا النقص في نواح اخرى كما تفعل دول اخرى في مواجهة خصم اقوى واعتى واكثر جبروتا مـن خصمنا . ٥ — **قومية المعركة** — ما زال كثير من الدول العربية البعيدة عن دائرة الخطر تتصرف وكأن المعركة في مستقبل الايام لا تعنيها مع ان ارتباط كـل الشعب العربي بأهداف التحرير ارتباط عضوي لا شائبة فيه ، الا أن الحكومات العربية ما زالت عاجزة عن شحذ الشعور القومي واستخدامه في المعركة . ٦ — لم تعدّ حتى الآن الجبهات الداخلية بشكل تكون فيه قادرة على تحمل الصدمة الجوية الصهيونيـة ، وبصورة تستشعر معها دورها كاملا في المعركة . وقد اثبتت الاحداث الاخيرة التي وقعت في جنوب لبنان منذ شهر فبراير (شباط) ١٩٧٢ والتي قامت خلالها القوات الاسرائيلية لاربعة ايام على التوالي بمهاجمة قواعد الفدائيين ، ثم هجومها على قواعد الفدائيين في سوريا ورد القوات الجوية السورية بمهاجمتها اهدافا عسكرية في الهضبة السورية واحتلال جنوب لبنان في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٢ وقصف القرى السورية واللبنانية منذ ذلك الوقت حتى الآن اننا ما زلنا نفتقر ، بالاضافة الى الاستراتيجية العربية الواضحة ، لمعنى التضامن الاستراتيجي بين الجبهات كلها .

ان الموقف العربي يزداد خطورة من يوم الى يوم ، ومما لا شك فيه — ولا يعقل أبدا الا ان يكون كذلك — ان الجبهات العربية قد اكتسبت خلال السنوات الخمس الماضية القوة الكافية للدفاع عن الارض العربية ومنع اكتساحها ، وقوة كافية لردع خصمها والرد عليه ردا ايجابيا وفعالا يمنعه من الاستمرار في استراتيجية الانتقام الكثيف التي دأب عليها ومارسها خلال عشرين عاما من الصمت العربي ، والجمود الدفاعي .

ومن خلال الصراع العربي — الاسرائيلي خلال الاعوام الاخيرة تأكدت الحقائق الاساسية التالية : ١ — هناك تناقض اساسي بين الوجود الامبريالي الصهيوني والوجود العربي ، بل ان هذا الوجود العربي معرض للاخطار ولا يتمتع بأي أمن . ووجود أرض عربية محتلة بيد الصهيونيـة عامل من عوامل ابادة الجنس العربي . ٢ — برغم الهزيمة العسكرية للجيوش العربية، ما زالت طاقات الدول العربية الظاهرة والكامنة قادرة على المقاومة والصمود ، ويتطور في البلاد العربية شعور بالحقد القومي ضد اسرائيل .

ما هو مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي ، وكيف ستتطور المواجهة العسكرية مع اسرائيل ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال ، لا بد للسياسة مـن ان تحدد هذه المشكلـة تحديدا صحيحا يتفق مع اهدافنا ، ومع طبيعة المشكلة ذاتها محليا ودوليا . ولكي يكون بحثنا مجديا ومفيدا للقارىء العربي يجدر بنا ان نتجنب المفاهيم الميتافيزيقية والحتميـة التاريخية في هذه المشكلة . « ان الارادة والعقل » كما يقول الجنرال اندريه بوفر « هما مفتاحا المستقبل يملكهما الانسان لشق طريقه الصعب وسط الاحداث المعقدة » . وقد تتخذ الاحداث في بعض الاحيان شكل مصير حتمي ، بيد أن الانسان سرعان ما يفهم آلية التاريخ ويحصل على قدرة متزايدة على المناورة والعمل في سبيل صنع المستقبل . فلا

يمكن التنبؤ بالمستقبل ولكن من الممكن بناؤه في كل لحظة اذا احسنا فهم مشاكل الحاضر على ضوء استقراء الماضي وأعددنا كل ما يلزم لبنائه بناء عقلانيا . ان الباحث المتجرد على حد قول الجنرال أندريه بوفر ايضا يرى ان كثيرا من الاحتمالات الضعيفة قد تحققت في التاريخ ، في حين ان هناك احتمالات أقوى واكثر توقعا اكتملت لها كل شروط التنفيذ ولكنها لم تتحقق .

ان الوضع العربي ساعد اسرائيل الى حد كبير في انتصارها العسكري عام ١٩٦٧ . وان الاستسلام الذي تطالبنا به الامبريالية والصهيونية حافز اساسي لكي تستخدم الدول العربية كل وسائلها دفاعا عن مصيرها .

ولكي نطابق وسائلنا مع اهدافنا ينبغي باديء ذي بدء تحديد الهدف الاساسي من معركتنا . فما هو الهدف ؟ هل هو اسقاط دولة اسرائيل مع الحفاظ على عروبة فلسطين . أم هل الهدف اقامة دولة ديمقراطية يتعايش فيها العرب مع اليهود ؟ وهنا لا بد من الاشارة الى ان أي مفهوم لتحرير فلسطين لا يحقق ازالة اسرائيل من الوجود مع بقاء عروبة فلسطين مفهوم مرفوض من اساسه . فكيف تحل مشكلة اليهود الباقين على أرض فلسطين . وهل الهدف في المرحلة الحالية هو ازالة آثار العدوان ، وما هي الوسائل السياسية والعسكرية الكفيلة بتحقيق هذا الهدف . وعندما نتفق على تحديد الهدف السياسي ، نقوم بعملية تقييم للوسائل التي نملكها لتحقيق هذا الهدف .

وهنا لا بد من تقييم الوضع الدولي بعد تقدير الوسائل والامكانات ومطابقتها مع الهدف السياسي ، ويدخل في هذا التقييم تحليل العوامل الدولية كلها على المدى البعيد والقريب . وفي هذا المجال لا بد من تحليل وتقييم لموقف الدول الكبرى : الاتحاد السوفييتي ، الولايات المتحدة الامريكية، الكتلة الاوروبية وعلى رأسها فرنسا ، الصين، العالم الثالث ، والموقف العربي . والموقف العربي مهم جدا لان أخطار اسرائيل المتزايدة ضد الوجود العربي في مصر وسوريه والاردن ولبنان ستؤدي الى الوحدة ، لان هذه الوحدة ستكون ضرورة استراتيجية وقومية .

ولا يجوز بأي حال من الاحوال ان نبدأ الحرب مع اسرائيل الا اذا طرحنا السؤال التالي: ما هو الامر الذي نسعى للوصول اليه بواسطة الحرب ومن خلالها ؟

ان تقييم الهدف السياسي وتحديده والاتفاق عليه بين كل الاطراف العربية ضرورة قومية. ولا يكفي ان نقيمه بالنسبة **لوجهة نظرنا** وبالنسبة **لوجهة نظر** العدو فقط ، بل لا بد من تقييمه بالنسبة لوجهة نظر **القوى الدولية** الصديقة لنا والمعادية لنا . كما لا بد ان نأخذ بعين الاعتبار الاثار الدولية والعربية والمحلية لحربنا .

وعندها نقيم الهدف السياسي ، ونحدده ، نحدد مركز ثقل الخصم ، ونقاطه الضعيفة . ولكي ننتصر على خصمنا ينبغي ان نتذكر ان الحرب المقبلة معه ستدور أقرب ما يمكن من العواصم ، وفي المؤخرات ، وان حربنا معه كما قال الرئيس انور السادات « حرب شاملة لا تعني أن يقابل جيش جيشا آخر ، وليست جبهة قتال تواجه جبهة اخرى . الحرب الشاملة حرب في كل مكان ، والسلاح في الحرب الشاملة لا يقتصر على المدفع والبندقية والغواصة ... هي حرب الوطن كله ، هي حرب الشعب كله » .

وينبغي ان يقود الشعب هذه الحرب بنفسه ، ويدافع فيها عن مؤخرات جيشه لان هذه الحرب ستتخذ الشكل التالي : ١ ـــ شكل تدخل مظلي سواء عن طريق نقل قوات بالطائرات العمودية عندما تتحقق السيطرة الجوية الكاملة ، او بهبوط المظليين عندما يكون التفوق الجوي تفوقا نسبيا ... وستكون أهداف هذا التدخل في قلب البلاد العربية بعيدا عن الجبهات المحصنة الحالية . ٢ ـــ تراشق بصواريخ ارض ـــ ارض وجو ـــ ارض ، وبحر ـــ ارض . ٣ ـــ شكل عمليات هجومية صاعقة تتمثل بالتقدم على

محاور غير متوقعة ، وبتقرب غير مباشر ، وتثبيت الجبهات والالتفاف حولها ، واختراق بعض المواقع فيها .

وان التريث والانتظار لحصول أوضاع سياسية ملائمة خطأ كبير ، فقد تتبدل العوامل السياسية الملائمة لنا من سنة الى اخرى كما أن من المحتمل ظهور أوضاع دولية معقدة تمنعنا من القيام بأية حركة ، كما حدث عند الحرب بين الهند والباكستان . كما ان انتظارنا للدعم والتقوية ، وزيادة كفاءة القدرة القتالية لجيوشنا يسمح للعدو بالحصول على مزايا تعادل المزايا التي سنحصل عليها أو تفوقها .

وقد كان وضعنا في عام ١٩٧٠ أفضل من وضعنا في عام ١٩٧٢ . فخروج الاردن ، بعد تصفيته للمقاومة الفلسطينية على أرضه ، من جبهة دول المواجهة ، ظاهرة خطيرة ورهيبة لا بد من ايجاد حل لها لتكون هذه الساحة الهامة بيد قوى التحرير الحقيقية ، كما ان عدم انشاء الجبهة الشرقية رغم كل الجهود التي بذلت من اجل انشائها ، وبقاءها هيئة شكلية لفترة من الوقت كارثة حلت بالامة العربية ، لان أرض الجبهة الشرقية هي مقتل العدو وأقرب الجبهات الى نقاط ضعفه المؤثرة . ان الجبهة الشرقية تضم **العراق** ، وهو يمثل تغذية بشرية ووجودا ميدانيا على أرض المعركة ، كما تضم **الاردن** كقاعدة للعمل الفلسطيني ، وقاعدة انطلاق الى أهداف حيوية في اسرائيل تصدع الكيان الاسرائيلي وتفتته .

وفي الوضع الراهن ليس هناك أمام اسرائيل سوى الجبهة الشمالية التي يقوم الجيش السوري بأعبائها . والجبهة الجنوبية التي يقوم الجيش المصري بأعبائها .

علما بأن التضامن العربي الاصيل يفرض بأن لا تتحرك الجبهة الجنوبية لعبور قناة السويس والدخول الى سيناء نظرا لصعوبات الارض الجغرافية وامتدادها العمقي ، وتركيز اسرائيل جوا وبرا عليها الا عندما تتحرك من الجبهة الشرقية ثلاثة جيوش عربية مع قوات المقاومة الفلسطينية ولا هدف لها سوى الانتصار والوصول الى البحر ومرج ابن عامر لكي يكون عملها مؤثرا وحاسما ودافعا للقيادة العسكرية الاسرائيلية الى سحب قسم كبير من قواتها من الجبهة الغربية .

الاستراتيجية العربية المثلى : ان النموذج الاستراتيجي المتاح أمام الامة العربية هو خوض معركة طويلة ضد جيش يملك قيادة على درجة عالية من الكفاءة ، وتنظيما جيدا ، ومدعوما بكل الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تمنحها له بسخاء اقوى واعتى دولة امبريالية . وتزداد خطورة التهديد المتمثل بالوجود الصهيوني لان عدونا يملك تنظيما دقيقا له فروعه في كل انحاء العالم . ولهذا التنظيم تحالفات متعددة مع قطاعات هامة في العالم لها أثرها على الراي العام العالمي. ومن هذه الزاوية فاننا لا نحارب ٢،٨٠٠،٠٠٠ اسرائيلي بل بأربعة عشر مليون صهيوني مدعمين بالامبريالية العالمية . وتزداد خطورة هذا التهديد أخيرا لان خصمنا يواجه قوى عربية مجزأة ما زالت تعتبر جزءا من العالم الثالث النامي . وهو لا يواجه قوة عربية واحدة ، بل عدة قوى . وهو لا يواجه جبهة واحدة بل عدة جبهات ، كل منها لوحدها ضعيفة على حين لو انها كانت مرتبطة بالجبهة الاخرى تنظيما وتخطيطا وقيادة لكانت اكثر فاعلية وأقوى اثرا . واخيرا ان في وسع الحركة الصهيونية تجنيد كل الطاقات اليهودية والامبريالية لتحقيق هدفها وان تضع في خدمة هذا الهدف أروع فنون التشتيت التي برعت فيها .

ولكن الجانب العربي يملك امكانات هائلة كامنة لمقاومة هذا الخصم ، مهما بلغ من دهائه ومهما تعددت أساليبه ووسائله . وان الهدف الحربي بالنسبة الينا يبقى نزع سلاح العدو لاكراهه على تنفيذ ارادتنا . والحقيقة ان من الممكن ان نستهدف نزع سلاحه ماديا ، كما يمكن أن نستهدف نزع سلاحه معنويا ، بشكل

نصل فيه الى تحقيق هدف الحرب باحدى الطريقتين التاليتين :
(أ) العمل على انتزاع امكانية استمراره في محاولاته الهجومية او تحطيم خططه التي تستهدف اخضاعنا ، مهما كانت ارادة القتال لديه ، وذلك بتدمير قواته المسلحة أو وضعها في موقف يمنعها من متابعة القتال ، ومن ثم احتلال الارض التي انتزعها منا بالقوة والعنف . (ب) القضاء على ارادة القتال لديه بحرب ثورية طويلة الامد وبوسائل سيكولوجية وسياسية ، تتضمن العنف كجزء من العمل الثوري .

وقد علمنا التاريخ ان كل الحروب حسمت بالطريقة الاولى . وكان الحل الثاني بديلا للحل الاول . الا ان الحل الاول يحتاج في باديء الامر الى تعديل في ميزان القوى ، ولحاق بالتقدم التكنولوجي يبدو ان الامة العربية بوضعها الحالي عاجزة عن تحقيقه حتى الان .

غير ان الحل الثاني بدأ اليوم يزيد فن الحرب غنى بالدروس والتعاليم . فالحرب « السيكولوجية » والسياسية المعتمدة في الوقت ذاته على الدعاية المضادة لاهداف الخصم ، وعلى التحريك المستمر للقضية ، وعلى العنف الثوري بشتى أنواعه ، وعلى الاقناع ، وعلى التشتيت والرعب ، وعلى العمل السري والثوري ، ان هذه الحرب تشكل سلاحا أساسيا ممهدا للحرب التقليدية ، لانها بشكلها هذا تستهدف روح التجمع الصهيوني من يهود العالم الى دولة اسرائيل ، وتحويل قناعاتهم وتجزئتهم الى معسكرات متعددة . وتستهدف مثل هذه الحرب في الوقت ذاته اقناع الصهيونيين بعدم واقعية حلمهم الذي يودون تحقيقه ، وتحطيم معنوياتهم ومعنويات قادتهم . كما تستهدف مثل هذه الحرب أضعاف تحالفات العدو او القضاء عليها بعمل قومي منسق شامل .

وينبغي أن ندرك أن مثل هذا الصراع سيكون طويلا جدا ، ولا يعني استخدام مثل هذا الحل أننا سنرغم اسرائيل على الخضوع فورا . ان الحل الذي ندعو اليه هو مزيج من « الحرب التقليدية » و« الحرب الثورية » . ان الصمود العربي والطاقات العربية الكامنة قادرة على اكتشاف حل له كل فرص الاستمرار مهما تكن الاسلحة المستخدمة ضده . ان الحرب **الشعبية الشاملة** المزوجة بحرب **تقليدية « نظامية »** هي سلاح الفقراء في هذا العصر . وبوسع أربع دول عربية هي مصر وسوريه والعراق وليبيا خوض مثل هذه الحرب بمعونة قوات جوية من الدول العربية الاخرى الراغبة في المعركة ، وبعض المتطوعين العرب في صفوف المقاومة الفلسطينية . ولنوقف الآن وهم التفوق الجوي على اسرائيل ، ووهم الحصول على طائرة تعادل طائرة الفانتوم من حيث حمولتها بالمتفجرات والصواريخ ، ومدى عملها . ان التفوق الجوي الاسرائيلي سينتهي مفعوله خلال أسابيع من المعركة ، وسنضطر حلفاءنا الى دعمنا بكل ما يملكون من اسلحة من خلال المعركة واستمرارها واحتدامها .

لقد آن الاوان لكي نوقف نزيف الطاقات الاقتصادية لامتنا ، واحتواء الخطر الذي يتهدد أجيالنا الصاعدة . وهذه المعركة الطويلة التي ستكون شاملة كل الابعاد ستتدخل فيها الجماهير الشعبية في كل مكان لمنع العدو من تحقيق أي عمل تخريبي ضد منشآتنا الحيوية وضد مؤخراتنا ، وستتصدى هذه الجماهير لاية قوة محمولة جوا بفضل استلامها لاعباء الدفاع عن صفحة البلاد كلها .

ان هذا التصور ليس وهما ولا طوباوية . انه التصور الوحيد لبناء الانسان العربي الحر الذي تتحدد آفاق مستقبله من خلاله . ان مستقبل أمة من الامم لا يتقرر بمعركة واحدة، ولا باستحواذها على سلاح يعادل سلاح الخصم . انه يتقرر من خلال اصرارها على استخدام كل وسائل التحرير مهما كان عنفها ، ومهما كانت نتائجها عليها وعلى خصمها وعلى المجتمع الدولي . وعندما يتحقق النصر تزول كل الاوهام وتتبدد كل الرواسب .

الفلسطينيون والاونروا

مجموعة بحث ميداني

مقدمة :

لربع قرن تقريبا ، كانت الاونروا هي الجهاز او المؤسسة الادارية المسؤولة رسميا عن الشعب الفلسطيني اللاجيء والمشرد . وكانت هذه المؤسسة (وما زالت الى حد ما) تتحكم بالمقومات الاساسية لمعيشة ذلك الشعب وهي : الطعام ، المسكن ، التعليم ، والتطبيب . وغني عن القول ان من يتحكم بهذه الامور يستطيع اذا اراد ومارس ضغوطا كبيرة ، التحكم بالمصير السياسي لرهائنه وبتطورهم الاجتماعي . رغم خطورة هذه الحقائق لم يحاول اي مسؤول عربي تقدميا كان ام رجعيا أن يدرس طبيعة هذا الجهاز وتأثيره على الفلسطينيين كشعب وكأفراد ، او ان يعرف نظرتهم اليه وموقفهم منه . لقد قبل كل العرب على كل المستويات الرسمية وغير الرسمية وصاية الاونروا على الشعب الفلسطيني دون ان يحاولوا اثارة اية اسئلة حول هذه الوصاية وآثارها ومدلولاتها . ومن المهازل التي مرت على الشعب الفلسطيني ، من جملة ما مر عليه في المنفى ، ان تقوم الامم المتحدة باعلان اهداف جهازها هذا وباعطاء تصورها لما يجب ان يكون عليه وضع الفلسطينيين ، وان تقوم الدول الاستعمارية ، التي تسببت في مأساة الشعب الفلسطيني ، في مناسبات عدة بابداء رايها او باعطاء تعليماتها بما يجب ان يكون عليه وضع الفلسطينيين ومصيرهم . الكل يعطون ارائهم ولا احد يسأل عن راي الضحية .

كل هذه الامور جعلتنا نؤمن بان من واجبنا تسجيل راي الفلسطينيين ونقله . لان معرفة وتقديم وجهة نظر الفلسطينيين حول الاونروا تشكل بحد ذاتها سببا كافيا لاجراء البحث. لكن هنالك جانبا اخر يزيد من ضرورة اجراء هذا البحث وهو قياس تأثير الاونروا كمؤسسة وكجهاز اداري ، نفسيا واجتماعيا وسياسيا ، على الفلسطينيين ، والتوصل في النهاية الى تقييمهم وتقديرهم لمدى الافادة او الضرر الذي الحقته الاونروا بهم مع تحديد نوعه .

اهداف البحث : لا يهدف البحث الحالي الى قياس « حقائق » او الى اختبار «معلومات» الفلسطينيين حول الاونروا وخدماتها وموظفيها ومصادر تمويلها ، لكنه يهدف الى قياس مشاعر الفلسطينيين ونظراتهم ومواقفهم من الاونروا وخدماتها وموظفيها واهدافها ومن يمولها . لا يهمنا في هذا البحث اذا كان الفلسطيني يعرف او لا يعرف من يدفع الجزء الاكبر من تمويل الاونروا ، ولا يهمنا اذا كان يعرف او لا يعرف الاهداف المعلنة للاونروا، ولا يهمنا ان يعرف او لا يعرف طبيعة دور الموظفين الاجانب او العرب في الاونروا . انما الذي يهمنا والذي سيكون محور البحث هو تصور الفلسطيني لمن يمول الاونروا ، ومن يشرف عليها ولاهدافها ودور موظفيها لان هذا التصور سواء كان مبنيا على معلومات او على اوهام يعكس شعور الفلسطيني وعاطفته وموقفه من هذه الامور ، وبالتالي من الاونروا كمؤسسة ادارية . كما ان شعور الفلسطيني هو الامر الحقيقي

الوحيد في واقعه ، لانه يبقى المحصل النهائي لنفسية الفلسطيني بغض النظر عن جودة او رداءة خدمات الاونروا وموظفيها ومشاريعها . الامر نفسه ينطبق على قياس مدى الضرر او الافادة التي احدثتها الاونروا عند الفلسطينيين . ففي هذا المجال لا يهمنا حقيقة الضرر او الافادة التي اصابت الفلسطينيين من جراء الاونروا ، انما يهمنا تصور الفلسطيني لطبيعة وحجم الافادة او الضرر الذي اصابه من جراء الاونروا . وغني عن القول ان تصور الضرر او الافادة احيانا ، لا بل غالبا ، ما يكون مبنيا على هذه الحقيقة وان جرى تضخيمه . الهدف الاخير للبحث هو مدلولات وآثار وصاية مؤسسة كالاونروا على الشعب الفلسطيني بالنسبة لثورة هذا الشعب ولنضاله الطويل من اجل التحرير .

طريقة البحث : يتواجد الفلسطينيون في لبنان في مكانين اساسيين ، المخيمات والمدن . لذلك راينا ضرورة دراسة الفلسطينيين في المخيمات والمدن . وقد اخترنا ستة مخيمات في مختلف المناطق اللبنانية وهي : (البداوي ، نهر البارد ، الجليل الاعلى (بعلبك) ، عين الحلوه ، النبطية ، برج البراجنة) ثم قررنا اختيار عينة المدن من مدينة بيروت لان فيها اكبر تجمع لفلسطينيي المدن . وقد حددنا حجم عينة المخيمات بـ ١٦٠ شخصا وعينة المدن بـ ٤٠ شخصا . اما طريقة اختيار عينة المخيمات فكانت عشوائية ، اذ طلبنا من كل عداد ان يبدأ من اية نقطة في المخيم ويجري مقابلاته في كل خامس بيت يلي تلك النقطة. لذلك يمكن اعتبار عينة المخيمات ممثلة تمثيلا صحيحا لسكان المخيمات في لبنان . اما عينة المدن فلم يكن بالامكان اختيارها بطريقة عشوائية نظرا لعدم تجمع الفلسطينيين في مناطق معينة من المدينة ، لذلك تم اختيارها على اساس لا عشوائي ، مثلا كنا نعرف ان في ذلك البيت او في تلك الشركة فلسطينيا فكنا نذهب لمقابلته وقد اخترنا عينة بيروت من عدة مناطق سكنية . وبناء على طريقة اختيار عينة بيروت يمكننا القول بانها عينة غير عشوائية لا تمثل فلسطينيي المدن وبالتالي لا يمكننا دمج العينتين في عينة واحدة . وسيرتكز تحليل البحث على عينة المخيمات لانها عشوائية . اما عينة المدن فستستعمل بشكل جزئي لوضع تساؤل على بعض الامور اذا بدا اي تفاوت كبير بين مواقف فلسطينيي المخيمات وفلسطينيي المدن . كما انها ستستعمل لتدعيم استنتاجاتنا من عينة المخيمات اذا ظهر وجود تقارب كبير في اراء عينة المدن وعينة المخيمات .

كنا ننوي اجراء الدراسة على اساس الجنس ومكان الاقامة . لكن المطلعين على آراء الفلسطينيين حول الاونروا اشاروا علينا بان الجنس لن يكون عاملا مميزا في هذا الموضوع بالذات ، وانه لا فرق في مواقف النساء والرجال من الاونروا . وقد اثبت لنا الاختبار التجريبي الذي جرى على عشر نساء وعشرة رجال صحة ذلك القول ، كما اثبته البحث نفسه اذ كان بين المجيبين عدد من النساء لم تختلف آرائهن عن آراء الرجال .

وضعنا استمارة أو استبيانا للبحث وقد جرى اختباره وتعديله . وقد تضمن الاستبيان دراسة المواضيع التالية :

١ ــ راي الفلسطينيين بطبيعة الاونروا كمؤسسة . ٢ ــ راي الفلسطينيين باهداف الاونروا والسبب في وجودها . ٣ ــ شعور الفلسطينيين تجاه الاونروا بشكل عام .
٤ ــ راي الفلسطينيين بمن يمول الاونروا ومن يسيطر عليها ومعنى تلك السيطرة .
٥ ــ راي الفلسطينيين بخدمات الاونروا . ٦ ــ راي الفلسطينيين بموظفي الاونروا .
٧ ــ مدى اعتماد الفلسطينيين على الاونروا حاليا ومدى رغبتهم في استمرار عملها .
٨ ــ راي الفلسطينيين بالاغاثة والمساعدات بشكل عام . ٩ ــ تقييم الفلسطينيين لمدى الافادة او الضرر الذي اصابهم من الاونروا ، وطبيعة تلك الافادة او الضرر .
١٠ ــ راي الفلسطينيين بأمور عامة كدور الارادة في تقرير المصير ، ورأيهم في العمل وفوائده وضروراته .

ويمكن جمع هذه المواضيع في موضوعين رئيسيين هما : موقف الفلسطينيين من الاونروا وكل ما يمثلها ويتفرع عنها ، ومـدى الضرر او الافادة التي يعتقـدون ان الاونروا قد جرتها عليهم . وكجزء من الموضوع الثاني هـل ادت الاونروا فعلا الى خلق النفسية الاتكالية والاستسلامية والانهزامية عند الفلسطينيين ؟

التحليـل

خصائص العينة : من المتوقع دائما في العينات العشوائية المثلـة لفئة من الناس ان تأتي مماثلة للتوزيع الطبيعي لهؤلاء الناس من حيث العمر والمهنة وحجم العائلة والحالة المدنية والجنس ومستوى التعليم والمدخـول . ويبدو توزع عينة المخيمات معقولا في مجمله . عدد افراد العينة ١٦٠ يتحلون بالخصائص التالية :

العمـر :

فئة العمر	العدد	النسبة المئوية (٪)
١٦ — ١٩	٣٠	١٨،٧
٢٠ — ٢٩	٦٠	٣٧،٥
٣٠ — ٣٩	٤٠	٢٥،٠
٤٠ — ٤٩	١٧	١٠،٦
٥٠ او اكثر	١٣	٨،١
المجموع	١٦٠	٩٩،٩

الحالة المدنية :

		٪
متزوج	٧٨	٤٨،٨
اعزب	٨٢	٥١،٢
المجموع	١٦٠	١٠٠ ٪

حجم العائلة وعدد العاملين في العائلة :

حجم العائلة	عـدد العـاملين في العـائلـة					
	ولا واحد	**واحد**	**٢—٣**	**٤—٦**	**لا جواب**	**المجموع**
٢ — ٥	—	٢٠	٢	—	٥	٢٢
٦ — ٩	٣	٢٥	٨	٤	٧	٤٠
١٠— ١٢	٢	٢٤	١٣	١	١	٤٠
١٣— ١٧	—	٥	٣	١	١	٩
لا جواب	—	٦	٢	—	٢٧	٤٩
المجموع	٥	٧٤	٢٦	٦	٨ +٤١	١٦٠

المدخول الشهري :

فئة الدخل ل.ل.	العدد	النسبة المئوية
١ — ٩٩	١٥	٩،٣
١٠٠ — ١٩٩	٢٧	١٦،٨
٢٠٠ — ٣٩٩	٢١	١٣،٠
٤٠٠ — ٥٩٩	٧	٤،٣
٦٠٠ — ٧٩٩	٢	١،٢
٨٠٠ — ٩٩٩	—	—
١٠٠٠ او اكثر	—	—
لا جواب	٨٨	٥٥،٠ ٪
المجموع	١٦٠	٩٩،٦

مستوى التعليم :

المستوى	العدد	النسبة المئوية
امي	١٣	٨،١
يقرأ ويكتب	١٤	٨،٨
ابتدائية	٣٠	١٨،٧
اعدادية	١٥	٩،٣
ثانوية	٤٩	٣٠،٦
مهنية	٨	٥،٠
جامعية	٢٥	١٥،٦
لا جواب	٦	٣،٧
المجموع	١٦٠	٩٩،٨

المهنة :

المهنة	العدد	النسبة المئوية
(فلاح) مزارع	٤	٢،٥
عامل يدوي	٢٦	١٦،٢
عامل مهني	١٤	٨،٨
معلم	١٧	١٠،٦
طالب	٤٥	٢٨،١
(صاحب دكان) تاجر صغير	١٨	١١،٢
مهندس ، طبيب	٢	١،٢
محاسب ، موظف	٦	٣،٧
ربة منزل	٩	٥،٦
لا مهنة	١٠	٦،٢
لا جواب	٩	٥،٥
المجموع	١٦٠	٩٩،٦

من الامور البارزة في هذه العينة النسبة العالية للطلاب (٢٨،١٪) وكذلك للجامعيين (١٥،٦٪) والتي أعتقد بانها ترجع الى تنازل الاهل عن الاجابة لابنهم المتعلم . وقد حدث هذا معنا مرارا اذ كنا نخاطب الاب او الام ، لكنهما كانا يرفضان الاجابة ويقولان ان ابنهما او ابنتهما يمكنها ان تعبر عن ارائهما بشكل افضل . وكان الوالدان يوافقان على كل آراء ابنهما ، واذا خالفاه الرأي كانا يتدخلان بالحديث لابداء رأيهما حول تلك النقطة المعينة . لكن الحالات الاخيرة كانت نادرة . ومن الامور البارزة ايضا انخفاض نسبة الذين تلقوا او يتلقون تعليما مهنيا (٥٪) وهذه الحقيقة هي انعكاس لواقع الفلسطينيين التعليمي . ويمكن ملاحظة الانخفاض الهائل في نسبة الفلاحين او المزارعين (٢،٥٪) رغم ان فلسطين كانت بلدا زراعيا في الاساس وبالتالي كانت غالبية سكانها من المزارعين والفلاحين . ويرجع هذا الانخفاض الى تحول اعداد كبيرة من المزارعين الفلسطينيين الى عمال يدويين غير مهرة لانهم فقدوا الارض ، ولان مجالات العمل في لبنان مجزية ومتوفرة في قطاع الخدمات والاشغال العامة اكثر منها في القطاع الزراعي. ومن الملاحظ ايضا انخفاض نسبة العاطلين عن العمل او الذين لا مهنة لهم (٦،٢٪) . وهذا الواقع اثبات جزئي لعدم تقاعس الفلسطينيين عن السعي وراء العمل ولعدم اتكالهم على خدمات الاونروا (سنعالج هذه النقطة بالتفصيل في مكان لاحق) . الامر الاخر البارز في العينة هو كبر حجم العائلة الفلسطينية ، وقلة عدد الذين يعملون لاعالة

العائلة بحيث يقع عبء اعالة العائلات الكبيرة في معظم الحالات على شخص واحد . فمن اصل ١٦٠ عائلة جرت مقابلتها ، اجابت ١١١ عائلة منها حول سؤالنا عن عدد افراد العائلة وعدد العاملين منهم ، بينما لم تجب ٤٩ عائلة على عدد افرادها ، أو عدد العاملين منهم او الاثنين معا . ومن أصل العائلات المجيبة كان هنالك ٢٢ عائلة عدد أفرادها ٢ ـــ ٥ ، و ٤٠ عائلة عدد افرادها ٦ ـــ ٩ ، و ٤٠ عائلة أخرى عدد أفرادها ١٠ ـــ ١٢ و ٩ عائلات عدد افرادها ١٣ ـــ ١٧ . وهناك ٧٤ عائلة (٦٦،٦٪) منها لا يعمل منها سوى فرد واحد ، و ٢٦ عائلة (٢٣،٤٪) يعمل منها ٢ ـــ ٣ افراد ، و٦ عائلات فقط (٥،٤٪) يعمل منها ٤ ـــ ٦ أفراد . يمكن الاستنتاج من هذه الارقام بان الاب الفلسطيني في المخيم يتحمل مسؤولية جسيمة ولا بد من ان يناضل بمرارة لاعالة العدد الكبير من المعتمدين عليه .

١ ـــ **طبيعة الاونروا** : سألنا سؤالين للوصول الى راي الفلسطيني بطبيعة الاونروا كمؤسسة . كان السؤال الاول يترك حرية تحديد الراي للمجيب كما يشاء : « ما هي الاونروا (الوكالة أو الهيئة) بنظرك ؟ » ووضع السؤال الثاني بعض التصورات التي تسمع في اوساط الفلسطينيين حول طبيعة الاونروا كمؤسسة وقد صغنا السؤال بالشكل التالي : « هل تعتقد ان الاونروا : مؤسسة دولية خيرية، مؤسسة استعمارية، مؤسسة خلقتها اميركا ، مؤسسة يهودية أو صهيونية ، غير ذلك ، لا جواب / لا اعرف ؟ » . كنا نهدف من السؤالين الى أخذ أي تصور قد كونه الفلسطينيون عن الاونروا ثم الى جعل المجيب يختار واحدا من عدة تصورات شائعة . وعند تحليل الاجابات على السؤال الاول لم نجد اية تصورات خارج التصورات التي حددها السؤال الثاني ولذلك سنستعمل اجابات السؤال الثاني ثم نستشهد ببعض الأقوال من السؤال الاول ، جاء توزع الاجابات كالآتي :

	العدد		النسبة المئوية
أ ـــ مؤسسة دولية خيرية	١٤		٨،٨ ٪
ب ـــ مؤسسة استعمارية	٧٠		٤٣،٨ ٪
جـ ـــ مؤسسة خلقتها اميركا	٤٧		٢٩،٤ ٪
د ـــ مؤسسة يهودية او صهيونية	٢٤		١٥،٠ ٪
هـ ـــ لا جواب / لا راي	٥		٣،٠ ٪
المجموع	١٦٠	أي	١٠٠٪

وقد كان موقف عينة المدن شبيها بموقف عينة المخيمات ، فقد قال ٥٠٪ من عينة المدن ان الاونروا مؤسسة استعمارية ، وقال ٢٥٪ منهم انها مؤسسة خلقتها اميركا ، بينما قال ١٠٪ منهم انها مؤسسة صهيونية أو يهودية ، ولم يقل سوى ١٢،٥٪ منهم انها مؤسسة دولية خيرية .

ومن الاقوال التي وردت ردا على السؤال الاول :

ـــ منظمة دولية وجدت لتمييع القضية الفلسطينية . ـــ الاونروا مؤسسة امبريالية صهيونية تعمل على طمس الشعب الفلسطيني وبالتالي تصفية قضيته عبر كافة اساليبها . ـــ هيئة متآمرة على الشعب الفلسطيني . ـــ مؤسسة غير انسانية تعمل بوحي من الامبريالية والاستعمار . ـــ حمار استعماري . ـــ سفارة اميركية . ـــ هي عبارة عن مؤسسة من المخابرات الاميركية . ـــ جمعية لكم افواه الفلسطينيين . ـــ مؤسسة هدفها تخدير الشعب الفلسطيني والهائه عن قضيته . ـــ مؤسسة أسستها الدول الاستعمارية لاضعاف الروح الثورية في الشعب الفلسطيني . ـــ هي

وكالة وظيفتها اخماد اي نضال فلسطيني . ــ مؤسسة لنشر روح الخمول في نفوس الشعب الفلسطيني .

من الواضح من هذه الاجابات ان ما لا يزيد على ١٠٪ من الفلسطينيين يعتقدون ان الاونروا مؤسسة دولية خيرية وجدت لاغاثتهم ومساعدتهم ، بينما يعتقد ٧٥٪ منهم تقريبا انها مؤسسة استعمارية او مرتبطة بالاستعمار (امـيركا) ويذهب ١٥٪ منهم تقريبا الى حد الاعتقاد بانها مؤسسة يهودية او صهيونية صرفة .

٢ ــ **اهداف الاونروا ، والهدف من انشائها** : سألنا سؤالين حول هذا الموضوع ايضا ، وقد راينا خلال هذا البحث ترداد الاسئلة بطرق مختلفة للتأكد من المعلومات التي نحصل عليها ومن حقيقة مشاعر ومواقف الفلسطينيين من الموضوع المطروح . كـان السؤال الاول : « برأيك ، ما هو الهدف من انشاء الاونروا ؟ » . وكان السؤال الثاني : « هل تعمل الاونروا لوجه الله ، ام لها هدف معين ما هو ؟ » .

قال ٣ اشخاص من عينة المخيمات و ٣ اخرين من عينة المدن ان الاونروا « تعمل لوجه الله » . بينما قال ١٥٢ من عينة المخيمات (٩٥٪) و ٣٥ من عينة المدن (٨٧،٥٪) ان لها هدفا معينا . وحين السؤال عن ماهية ذلك الهدف ثم عن الهدف من انشاء الاونروا لم يميز المجيبون بين الهدف من انشاء الاونروا وبين اهداف الاونروا من وراء عملها (وفي الواقع كان اي تمييز صعب ان لم يكن مستحيلا) اما راي الفلسطينيين بـأهداف الاونروا والهدف من انشائها فكان كالتالي : يعتقد ٣٧،٦٪ من افراد عينة المخيمات بان الهدف من انشاء الاونروا هو « الهاء الشعب الفلسطيني عن ارضه ووطنه » ، ويعتقد ١٤،١٪ منهم ان الهدف هو محو القضية الفلسطينية والقضاء على الشعب الفلسطيني، ويعتقد ١٢،٩٪ منهم ان الهدف هو تخدير الروح الثورية الفلسطينية وقتلها . ولا يخفى الترابط الواضح بين هذه الاقوال الثلاثة ، اذ انها جميعها تشير الى ان الهدف الاساسي من انشاء الاونروا ومن عملها هو تصفية قضية الشعب الفلسطيني نهائيا والعمل على اسكانه حيث هو والحيلولة دونه ودون التفكير بالعودة او النضال من اجلها . ومجموع الذين يعتقدون بهذا الهدف من افراد العينة يبلغ ١١٠ اشخاص او ٦٥٪ ومقابـل هذا العدد يعتقد ١٧ شخصا فقط او ١٠٪ ان الهـدف من انشائها هو مساعـدة اللاجئين والمنكوبين . امـا الباقون فيعتقدون ان انشاء الاونروا كـان تكملة لانشاء اسرائيـل (١ و٤ ٪) ، وخدمـة الاستعمار ومصالحه (٤ و٦ ٪) ، وخلق النفسية الاتكالية (١،٧٪) ، وخنق الحريـات واسكـات الشعب الفلسطيني وتغطية اعمـال العدو (٨،٢٪) ، والقضاء على ثورات الشعوب المضطهدة (١،١٪) . ولم يعط ٣،٥٪ منهم جوابا .

٣ ــ **من يمول الاونروا ومن يسيطر عليها ومعنى تلـك السيطرة** : حول هذه النقطـة سألنا السؤالين التاليين : ــ « برأيك من يدفع ميزانية الاونروا : كل الدول في الامـم المتحدة ، اميركا فقط ، اميركا وبريطانية وفرنسة والمانية الغربية ، اسرائيل ، روسية والدول الاشتراكية ، غير ذلك ، لا جواب / لا ادري » . ــ « برايك من يسيطر عـلى الاونروا ويوجهها ؟ ماذا تعني تلك السيطرة ؟ »

يعتقد ٤٣،٨٪ من افـراد العينة ان اميركا وبريطـانية وفرنسة والمـانية (الـدول الاستعمارية) تدفع ميزانية الاونروا ، بينما يعتقد ٢١،٩٪ ان اميركا فقط هي التي تدفع تلك الميزانية ، ويعتقد ٠،٥٪ ان اسرائيل تدفعها . اما الذين يعتقدون ان كل الدول في الامم المتحدة تدفع ميزانية الاونروا فتبلغ نسبتهم ٢١،٩٪ . ولم يعط ٦،٢٪ جوابـا . اما عينة المدن فتركز (٧٥٪) على ان الدول الاستعمارية الاربع هي التي تدفع ميزانية الاونروا . ويعتقد ٢٠٪ منهم ان كل الدول في الامم المتحدة تدفع تلـك الميزانية . هنا

أيضا يمكن الاستنتاج ان ٧٥٪ تقريبا من الفلسطينيين يعتقدون ان الدول الاستعمارية مجتمعة او منفردة هي التي تمول الاونروا . ويعتقد ٤٨،٧٪ من افراد العينة ان اميركا هي التي تسيطر على الاونروا ، ويعتقد ٢٥٪ منهم ان الدول الراسمالية الاستعمارية هي التي تسيطر على الاونروا ، ويعتقد ١٣،٧٪ ان اميركا والصهيونية تسيطران على الاونروا ، ويعتقد ٧،٥٪ ان الصهيونية العالمية وحدهـا تسيطر على الاونروا . اما الذين يعتقدون ان هيئة الامم المتحدة كلها تسيطر على الاونروا فتبلغ نسبتهم ٢،٥٪ من العينة . ولم يعط ١،٢٪ منهم جوابا . يمكن القول اذن ان ٩٦٪ من الفلسطينيين في مخيمات لبنان يعتقدون ان المعسكر الامبريالي بكافة اطرافه او بعضهم هو الذي يسيطر على الاونروا .

اما معنى تلك السيطرة بالنسبة للفلسطيني فهي اساسا ابقاؤه خارج ارضه وتثبيت وجود اسرائيل والقضاء على الشخصية الفلسطينية وتخدير الفلسطينيين ومنعهم من الثورة . ويتبنى هذا التفسير للسيطرة الاستعمارية على الاونروا ٥٠٪ من افراد العينة . بينما يعتقد ٢٣،٧٪ منهم ان تلك السيطرة تعني تأمين مصالح الاستعماريين (الاستعمار الجديد) ، ويعتقد ٥،٦٪ انها تعني السيطرة على الدول العربية ، ويعتقد ٣،٧٪ منهم انها تعني التجسس وجمع المعلومات للمخابرات الاميركية . ولم يعط ١٨،٧٪ منهم اي تفسير لمعنى تلك السيطرة . وقد جاء توزع الفئة الاولى من افراد العينة (٥٠٪) حول معنى تلك السيطرة على الاونروا كالتالي :

	العدد	النسبة المئوية
أ ـ ابقاء الشعب الفلسطيني خارج ارضه: أو تثبيت وجود اسرائيل	١٤	٨،٨ ٪
ب ـ تصفية القضية الفلسطينية :	١٧	١٠،٦ ٪
جـ ـ القضاء على الشعب الفلسطيني (محو هويته وشخصيته)	١٩	١١،٨ ٪
د ـ القضاء على الروح الثورية الفلسطينية :	١٧	١٠،٦ ٪
هـ ـ تخدير الشعب الفلسطيني المشرد :	١٠	٦،٢ ٪

٤ ـ **شعور الفلسطينيين تجاه الاونروا بشكل عام** : سألنا حول هذا الموضوع سؤالا واحدا هو : « شخصيا ، هل تحب الاونروا وعملها ، تكره الاونروا وعملها ، تعتبر الاونروا مصدر معيشة فلا تكرهها ولا تحبها ، لا جواب / لا ادري » . لقد تعمدنا استعمال كلمتي « تحب » و « تكره » لانهما كلمتان عاطفيتان ومليئتان بالمشاعر الجياشة ويعود ذلك التعمد الى ان علاقة الفلسطينيين بالاونروا كانت مليئة بالمشاعر والعواطف التي سنتعرض لها في نهاية البحث .

قال ٣،٧٪ فقط من افراد العينة انهم يحبون الاونروا وعملها ، بينما قال ٦٨،٨٪ منهم انهم يكرهون الاونروا وعملها . وقال ٢٥،٦٪ منهم انهم لا يحبونها ولا يكرهونها بل يعتبرونها مصدر معيشة فقط . ولم يعط ١،٨٪ منهم جوابا . ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة للذين يكرهون الاونروا وعملها من عينة المدن اذ بلغت نسبتهم ٧٠٪ . لكن نسبة الذين يحبون الاونروا وعملها بينهم اكبر منها بين عينة المخيمات اذ بلغت ٢٠٪ . ولا يكن ٧،٥٪ منهم اي حب أو كره للاونروا وعملها .

٥ ـ **رأي الفلسطينيين بخدمات الاونروا** : هناك جانبان اساسيان يجب ان يتوفرا في أية دراسة لخدمات الاونروا ولراي الفلسطينيين بهذه الخدمات . الجانب الاول هو نوعية الخدمات والجانب الثاني هو طريقة توزيع هذه الخدمات وما تتركه من اثر نفسي على المستفيدين منها . تقدم الاونروا ، بالاضافة الى المسكن ، ثلاث خدمات اساسية

للفلسطينيين هي الطعام (المواد الغذائية) والعلاج الطبي ، والتعليم . وقد سالنا اولا عن راي الفلسطينيين بهذه الخدمات كجزء من التقييم لقسم اساسي من عمل الاونروا وهو المساعدات والاغاثة المباشرة . وقد سالنـــا اولا عن مدى رضى الفلسطينيين عن هذه الخدمات بشكل عام ، ثم طلبنا تقييمهم لكل قطاع من هـــذه الخدمات على اساس الدرجات التالية : ـــ ممتاز ، ـــ « منيخ » (جيد) ، ـــ وسط ، ـــ عاطل ، ـــ زفت .
قال ٥٣،٣ ٪ من افراد العينة انهم غير راضين اطلاقا عن خدمات الاونروا عامة ، بينما قال ٢٣ ٪ منهم انهم غير راضين عنها . مقابل ذلك قال ٢،٥ ٪ منهم انهـــم راضون تماما عن خدمات الاونروا ، وقـــال ١٥ ٪ منهم انهـــم راضون الى حد ما (او بعض الشيء) عن تلك الخدمات . وقال ٣،٧٪ انهم لا يملكون ان يرضوا او لا يرضوا على تلك الخدمات ، ولم يعط ٢،٥٪ منهم جوابا . وكان الاتجـــاه العام بين عينة المدن ايضا نحو عدم الرضى اطلاقا على خدمات الاونروا عامة . لم يقل اي شخص ان الاعـــاشة (المواد الغذائية الشهرية) التي توزعها الاونروا ممتازة . وقـــال شخصان فقط انها « منيحة » ، وقال ٢٦ شخصا او ١٦،٢ ٪ انها وسط اي مقبولة . وفي المقابل قال ١٠٦ اشخاص أو ٦٦،٢ ٪ انها زفت (رديئة جدا) ، وقال ٢١ شخصا او ١٣ ٪ انها عاطلة (رديئة) ، ولم يعط ٣ ٪ أي جواب . ولم يقل أي شخص أيضا ان العلاج الطبي الذي توفره الاونروا ممتازا ، بينما قال ٢،٥ ٪ منهم انه جيد، وقال ١٣،٧ ٪ منهم انه مقبول. وفي المقابل قـــال ٧٠ ٪ منهم انـــه زفت ، وقال ١٣،٧ ٪ منهم انـــه سيء . امـــا التعليم فكان اوفر خدمات الاونروا حظا في تقييم الفلسطينيين . فقد قال ٢،٥٪ منهم انه ممتاز ، وقال ١٣ ٪ منهم انه جيد ، وقال ٤١،٢ ٪ منهم انه مقبـــول . اي ان ٦٠ ٪ تقريبا من الفلسطينيين راضـون عن تعليـــم الاونروا . امـــا الاخرون فقد انقسموا الى قسمين : ١٠،٦ ٪ منهم قالوا انه سيء ، ٣١،٨ ٪ منهم قالوا انه زفت .

يمكن القول اذن ان ٧٥٪ من الفلسطينيين غير راضين عن خدمات الاونروا عامة ، وان ذلك يرجع الى رداءة الاعاشة والتطبيب الذي يتلقونه . كمـــا يمكن القول ان اكثر من نصفهم بقليل راض عن التعليم الذي توفره لهم الاونروا .

وسألنا الفلسطينيين عن رأيهم بالطريقة التي توزع بهـــا الاونروا الاعـــاشة الشهرية والثياب المستعملة . وقد انقسم الفلسطينيون حول طريقة توزيع الاعاشة الى الفئات التالية :

طريقة توزيع الاعاشة	العدد	النسبة المئوية
أ ـــ مذلة جدا ومهينة وفيها احتقار لكل فلسطيني	٤٧	٢٩،٣
ب ـــ سيئة جدا (زفت)	٤١	٢٥،٦
ج ـــ جيدة (منيحة)	٢٢	١٣،٧
د ـــ غير مرضيـــة	٧	٤،٣
هـ ـــ غير منضبطة	٩	٥،٦
و ـــ قبيحة وقذرة	٣	١،٨
ز ـــ لا انسانيـــة	٣	١،٨
ح ـــ لا جواب / لا أعرف	٢٨	١٧،٥
المجمـــوع	١٦٠	٩٩،٦

يبدو واضحا من هذا الجدول ان معظم الفلسطينيين غير راضين عن الطريقة التي توزّع بها الاعاشة عليهم لانها تجرح كرامتهم وتذلهم . ومن الاقوال العديدة التي وردت حول تلك الطريقة : ـــ اذلال وامتهان لكرامة الانسان . ـــ طريقة لا انسانية تذكرني بحظائر الحيوانات . ـــ كابرة المورفين تعطى للمريض اخر كل شهر . ـــ اشبه « بالشحادة ».

ـسيجعلوننا نتقاتل كي نحصل على شيء تافه . ـ المقصود بطريقة التوزيع قتل نفسيتنا والدوس على كرامتنا . ـ لم يسطر التاريخ على الامة العربية عارا اكبر من هذا العار.

ولم يختلف راي الفلسطينيين كثيرا بالطريقة التي توزع بها الثياب المستعملة عن رأيهم بطريقة توزيع الاعاشة ولذلك لا داعي للتكرار . لكن يجدر بنا ان نسجل ان بعض الفلسطينيين يعتقدون ان مخصصاتهم الشهرية من الطعام والثياب المستعملة التي تجمع لهم تسرق من قبل موظفي التوزيع ورؤسائهم .

يمكن الاستنتاج اذن ان معظم الفلسطينيين غير راضين عن خدمات الاونروا نفسها ، وقد لخص احدهم عدم الرضى بقوله « انهم يحملوننا جميل على شي فاضي » ، وانهم مستاءون كثيرا من طريقة توزيع تلك الخدمات بشكل اقل ما يقال فيه انه لا انساني .

٦ ـ **رأي الفلسطينيين بموظفي الاونروا** : يهمنا معرفة راي الفلسطينيين بموظفي الاونروا كجزء من تلك المؤسسة ، ولانهم الجهاز الحي واليومي الذي يحتك بالفلسطينيين ويتعامل معهم ، ويوصل اليهم الخدمات المختلفة ، ويعرض عليهم المشاريع المختلفة . ولذلك غالبا ما كان غضب الفلسطينيين او كرههم او حبهم للاونروا ينصب على موظفيها . ومن احتك بالفلسطينيين خلال ربع القرن الماضي يعرف انهم يميزون بين موظفي الاونروا ويقسمونهم الى ثلاث فئات هي : الموظفون الاجانب ، (رئاسة الاونروا) ، والموظفون العرب الكبار (الاداريون) ، الموظفون العرب الصغار (المعلمون ، المحاسبون ، الكتبة ، السكرتيرات ، السواقون ، والحراس ، الخ) . وقد اتبعنا التقسيم نفسه عند قياسنا راي الفلسطينيين بموظفي الاونروا . وقد طرحنا اسئلتنا بشكل مفتوح ودون تحديد اوصاف محتملة لهؤلاء الموظفين لئلا نؤثر على راي المجيب او طريقة تفكيره فيهم . لذلك سألنا ببساطة « ما رأيك بموظفي الاونروا الاجانب ، ثم العرب الكبار ، ثم العرب الصغار ؟ » .

يعتقد ٤٧٫٢٪ من افراد العينة ان موظفي الاونروا الاجانب جواسيس . ويعتقد ٢٦٫٢٪ انهم عملاء للاستعمار . ويعتقد ١٠٪ انهم اعداء للفلسطينيين ، بينما يعتقد ٧٫٢٪ انهم مرتزقة . اما ٢٫٧٪ فيعتقدون انهم طيبون ، ولم يعط ٦٫١٪ جوابا . ومن اطرف الاوصاف لهؤلاء الموظفين قول احد المجيبين : « انهم الثالوث المقدس : عملاء للاستعمار ، جواسيس ، اعداء للفلسطينيين » . وكان موقف الفلسطينيين معاديا ايضا من موظفي الاونروا العرب الكبار (ومعظمهم من الفلسطينيين) . فقد قال ٤٠٪ منهم ان الموظفين العرب الكبار هم عملاء للاونروا ، بينما قال ٢٥٫٦٪ انهم مرتزقة (يعملون من اجل الراتب فقط) ، وقال ١١٫٢٪ انهم اعداء لشعبهم . وقال ١٣٪ انهم لعبة في ايدي الموظفين الاجانب ، وينهبون المساعدات . وقال ٣٪ انهم طيبون ، وقال شخص واحد (٠٫٦٪) انهم يخدمون مصلحة شعبهم ، بينما قال شخصان (١٫٢٪) انهم يعطفون على شعبهم . ولم يعط ٥٪ منهم جوابا . ومن الاجوبة المفصلة عن هذه الفئة من الموظفين : « بعضهم رجال تدربوا على ايدي المخابرات البريطانية ايام الانتداب على فلسطين وبعد النزوح كان عليهم ان يقوموا بالدور المطلوب لتنفيذ سياسة الاونروا المرسومة في البيت الابيض وتل ابيب وسابقا في لندن . ومن الطبيعي ان يغلفوا خدماتهم في ثوب انساني من تدبير انصار ومحاسيب صغار في تنفيذ مآربهم . ونظرا للوضع المعقد الذي يعيشه شعب فلسطين من الطبيعي جدا ان يكون بين هذا الطابور اناس طيبون وجدوا في الاونروا مصدرا لمعيشتهم ، ولا مانع ان يكون ماضيهم الوطني لا غبار عليه وذلك كي تظهر الاونروا للشعب بانها منظمة انسانية لا هدف لها الا الاغاثة » . الموقف الاساسي الذي وقفته اكبر فئة من افراد العينة (٣٨٫٢٪) من موظفي الاونروا العرب الصغار هو انهم يعملون مع الاونروا من اجل العيش ومن اجل اعالة عائلاتهم . وتلتها فئة تعتقد انهم طيبون (١٤٫٧٪) ، واخرى تعتقد انهم يخدمون مصلحة شعبهم

(١١،١ ٪) ، واخرى تعتقد انهم يعطفون على شعبهم (٧،٦ ٪) . امـــا الفئات التي تقف موقفا معاديـــا من هؤلاء الموظفين فتعتقـــد الاولى منها (١٣،٥ ٪) انهم عمـــلاء للاونروا ، وتعتقد الثانية (٣،٥ ٪) انهم اعداء لشعبهم . امـــا الفئة الثالثة (٧،٦ ٪) فتعتقد انهم آلات توجهها الرئاسة والموظفون الكبار ، وانهم ينهبون المساعدات مثـــل رؤسائهم . ولم يعط ٣،٥ ٪ جوابا .

يمكن الاستنتاج اذن ان معظم الفلسطينيين لديهم رايا سيئا جدا بموظفي الاونروا بشكل عام ، وخاصة بالموظفين الاجانب وكبار الموظفين العرب اذ يعتبرونهم اما عملاء مباشرين للاستعمار وجواسيس له او عملاء للاونروا واعـــداء للشعب الفلسطيني او مرتزقة ينفذون مخططات الاونروا لقاء تأمين المكاسب والمنافع التي تقدمها لهم الاونروا . لكن لا يخلو هؤلاء الموظفون من عدد من الاشخاص الطيبين الذين يعملون بصدق واخـــلاص لخدمة الشعب الفلسطيني . اما النظرة العامة الى صغار الموظفين العرب فهي انهـــم طيبون يعملون لاعالة عائلاتهم ويتعاطفون مع شعبهـــم ولا قوة ولا سلطـــة لديهم على مجرى الامور في الاونروا .

٧ ـ مدى اعتماد الفلسطينيين في لبنان على الاونروا ورغبتهـــم في استمرار عملهـــا :

نهدف من هذا السؤال الى معرفة مدى رغبة الفلسطينيين في استمـــرار عمل الاونروا اكثر مما نهدف الى معرفة نسبة الذين يتكلون عليها اتكالا تاما ، او جزئيا او الذين لا يعتمدون عليها بتاتا . فالشطر الاول يهتـــم بمعرفة شعور الفلسطينيين ازاء استمرار اغاثة الاونروا لهم ، بينما يصبح الشطـــر الثاني واردا اذ طـــرح موضوع انهاء عمل الاونروا جديا . قال ٦٤،٤ ٪ من افراد العينة انهم لا يعتمـــدون على الاونروا بتاتا . وقال ٢٦،٢ ٪ انهم يعتمدون عليها اعتمادا جزئيا ، وقال ٣ ٪ انهم يعتمـــدون عليها الى حد كبير ، وقال ٢،٥ ٪ انهم يعتمدون عليها كليا . ولم يعط ٣،٧ ٪ جوابا . وكانت عينة المدن مشابهة لعينة المخيمات هنا اذ قـــال ٧٥،٥ ٪ منهم انهم لا يعتمدون عليها بتاتا ، وقال ١٤ ٪ انهم يعتمدون عليها جزئيا ، وقال ٧،٥ ٪ انهم يعتمدون عليها الى حد كبير . ولم يقل اي شخص انه يعتمد عليها كليا . وعند سؤال الذين يعتمدون على الاونروا كليا او جزئيا حول ما اذا كانوا يودون التخلص من ذلك الاعتماد اجابوا جميعهم بـ « نعم » . وهذا الجواب الاجماعي مؤشر يدل على ان الفلسطينيين غير مرتاحين الى الاتكال على الاونروا في معيشتهم ومشاكلهم الحياتية الاخرى . وقد سألنا الذين قالوا انهم يحبون ان يتخلصوا من الاتكال على الاونروا كيف سيفعلون ذلك ، فتوزعت اجاباتهم كالتالي : قال ٦٥،٢ ٪ منهم انهم يرون التخلص من ذلك الاتكال من خلال مضاعفة جهودهم في العمل والعمل الثوري الذي سيؤدي في النهاية الى العودة والتحرير . وقال ١١،٧ ٪ منهم انه يجب طرد الاونروا فورا للتخلص من ذلك الاتكال . ولم يعط ٢٣،١ ٪ منهم جوابا .

يمكن الاستنتاج اذن ان كل فلسطيني يود التخلص من الاتكال على الاونروا بكل اشكاله، وان معظمهم يرون في العمل الثوري وتصاعد الثورة السبيـــل الى خلاصهم من ذلـــك الاتكال البغيض .

وقد سألنا سؤالا اضافيا حول رد فعل الفلسطينيين في حال توقف خدمات الاونروا وهو: « كيف تتدبر معيشتك في حال توقف خدمـــات الاونروا : تعتمد على نفســـك وتضاعف مجهودك في العمل ، تحاول الحصول على خدمات مجانية من منظمة التحرير ، تحاول الحصول على خدمات مجانية من جامعة الدول العربية ، غير ذلك (حدد) ، لا جواب / لا ادري » . هنا ايضا قال ٦١،١ ٪ منهم انهـــم سيعتمدون عـــلى انفسهم ويضاعفون جهودهم في العمل ، وقال ٧،٥ ٪ انهـــم لا يتأثرون بذلـــك . وقال ٤،٣ ٪ منهم انهـــم سيحاولون الحصول على خدمات مجانية من منظمة التحرير ، بينما قـــال ١،٢ ٪ انهم سيحاولون الحصول على خدمات مجانية من جامعة الدول العربية ، ولم يعط ٢١،٩ ٪

جوابا . ويظهر من هذه الاجابات ان معظم الفلسطينيين عازمون على الاعتماد على انفسهم في تدبير معيشتهم ، وان فئة قليلة لا تزيد على ٥٪ منهم ما زالت تفكر بالاعتماد على دول او مؤسسات لتدبير معيشتها . ولو كانت نفسية الفلسطينيين قد تحولت الى نفسية « شحادين » واتكاليين لكان رد فعلهم المتوقع الاحتجاج والتظاهر والمطالبة الجماعية باستمرار الاونروا في تقديم خدماتها .

٨ ــ **رأي الفلسطينيين بالاغاثة والمساعدات بشكل عام** : لكي نعرف مدى تغلغل فكرة الاعتماد على المعونات والاغاثة عند الفلسطينيين كمصدر لمعيشتهم رأينا ان نسألهم سؤالا اكثر تحديدا وهو : « اذا كان لك ان تختار من بين عدة مصادر للاغاثة ، اي مصدر تفضل ولماذا ؟ »

وقد توزع المجيبون حول هذا السؤال كالتالي : قال ٥٠٪ من افراد العينة انهم لا يريدون اية اغاثة (ولا واحدة منها) . ولم يعط ٣٫٦٪ منهم جوابا . اما الباقون فقد اختاروا اساسا اغاثة عربية (١٩٫٣٪) واغاثة اسلامية (١٨٫١٪) ، وقالت فئة صغيرة انها تفضل اغاثة دولية كالاونروا (٤٫٣٪) ، بينما قالت فئة صغيرة اخرى (٥٫٦٪) انها تقبل اية اغاثة (اي واحدة منها) . يبدو ان نصف الفلسطينيين في لبنان تقريبا ما زالوا يتقبلون فكرة الاغاثة ، خاصة اذا كانت من مصدر صديق كالدول العربية او الاسلامية . لكن هذه النتيجة تتناقض مع ما وجدناه عندما سألنا كيف ستتدبر معيشتك في حال توقف خدمات الاونروا اذ بدا ان ٥٪ فقط من الفلسطينيين يفكرون بطلب اغاثة . ونحن نرجح نظرا لدقة السؤال الثاني (اذا كان لك ان تختار فاي اغاثة تفضل) ان معلوماته افضل وان الذين لم يجيبوا على السؤال الاول (٢٢٪) قد حددوا موقفهم في السؤال الثاني .

وقد حاولنا معرفة من يتقبل فكرة الاغاثة ومن لا يتقبلها (اي ما هي اعمار ومهن ومستوى تعليم الذين اختاروا اغاثة عربية او اسلامية او غيرها) ، لكننا فشلنا في ايجاد اية علاقة بين الموقف من الاغاثة وبين هذه العوامل الثابتة كما يظهر من جدول قياس الموقف من الاغاثة والعمر ادناه .

مصدر الاغاثة	العمر					
	١٦ــ١٩	٢٠ــ٢٩	٣٠ــ٣٩	٤٠ــ٤٩	٥٠ او اكثر	المجموع
دولية كالاونروا	١	١	٢	٢	١	٧
عربيــة	٥	١٤	٥	٢	٥	٣١
اســلامية	٨	٨	٤	٤	٥	٢٩
اي واحدةمنها	١	—	٢	١	٣	٧
ولا واحدة منها	٢١	٣٤	١٧	٦	٢	٨٠
لا جــواب	—	١	٣	٢	—	٦
						١٦٠

عند السؤال عن السبب في اختيار اغاثة معينة اعطى الذين اختاروا اغاثة اسلامية الدافع الديني والاخوي كسبب لاختيارهم ، واعطى الذين اختاروا اغاثة عربية الدافع القومي كسبب لاختيارهم . السبب في هذه الحالات واضح ومتوقع . اما الناحية التي ركزنا عليها فهي سبب رفض اية اغاثة من قبل نصف الفلسطينيين تقريبا . ويظهر الجدول ادناه الاسباب المختلفة التي اعطتها الفئة الرافضة ووزن كل سبب منها .

يمكن القول بناء على الجدول التالي ان الفلسطينيين الذين يرفضون الاغاثة يفعلون ذلك

لسببين اساسيين هما الحفاظ على كرامتهم وتفهمهم للثمن السياسي الذي سيدفعونه مقابل الاغاثة ، ووعيهم الى ان لا شيء في عرف الدول والحكومات يعطى لوجه الله .

السبب في رفض اية اغاثة	العدد	النسبة المئوية
ا ــ لان اية مساعدة تقيد حركتنا وتشكل ورقة ضغط علينا	٩	١١٫٢
ب ــ لا دولة تعطي دون اخذ اضعاف ما تعطي	١٠	١٢٫٥
جـ ــ لاني اريد لشعبي ان يعاني ويثور	١١	١٣٫٧
د ــ يجب ان نتوقف عن الشحادة	١٨	٢٢٫٥
هـ ــ لان معظم الدول التي ذكرتها تخدم الاستعمار او هي دول رجعية	١٤	١٧٫٥
و ــ المساعدات أداة للتخدير	٧	٨٫٧
ز ــ غير ذلك (المساعدات توقف البروليتاريا الثورية عن عملها)	١	١٫٢
د ــ لا جواب	١٠	١٢٫٥
المجموع	٨٠	٩٩٫٨

٩ ــ مدى وطبيعة الضرر والافادة التي لحقت بالفلسطينيين من جراء الاونروا : لقد انشئت الاونروا لافادة ومساعدة الفلسطينيين . ويمكن لرئاسة الاونروا ان تعدد بالارقام مقدار مساعداتها للشعب الفلسطيني خلال ربع القرن الماضي فتقول علمنا كذا شخص ووزعنا كذا مواد غذائية وعالجنا كذا مريض . لكن هذا لا يكفي ولا يعطي الصورة الحقيقية عن الافادة الفعلية او الضرر الفعلي لهذه المساعدات . ان الفلسطينيين هم وحدهم القادرون على تقييم الافادة والضرر الفعليان لهذه المساعدات ولعمل الاونروا واشرافها عليهم ، وهم وحدهم القادرون على القول أين اصابهم اكبر قدر من الضرر ومن الفائدة وفي أية نواحي . لذلك سنهمل في تحليلنا هذا الجانب الكمي والعيني لما قدمته الاونروا ، ونركز على ما يعتقده الفلسطينيون ويقولونه بأنفسهم . بناء على هذا التصور سألنا الاسئلة التالية : ١ ــ « برأيك ، هل أفادت (نفعت) الاونروا الفلسطينيين ، كثيرا ، بعض الشيء ، قليلا ، لم تفدهم ، (اذا كانت قد افادتهم ، كيف افادتهم ، في أية نواحي) . ٢ ــ برايك ، هل أضرت الاونروا بالفلسطينيين ؟ (نفس ترتيب السؤال الاول) . ٣ ــ هل تعتقد ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين اتكاليين ؟ ــ نعم ــ كلا ــ لا جواب/لا اعرف . (اذا « نعم » . كيف) . ٤ ــ هل تعتقد ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين مثل الشحادين ؟ ــ نعم ــ كلا ــ لا جواب/لا اعرف . كيف ؟

حول السؤال الاول ، قال ٣٫٧ ٪ من افراد العينة ان الاونروا قد أفادت الفلسطينيين كثيرا ، وقال ٢٥٫٦ ٪ منهم انها قد افادت بعض الشيء ، وقال ٢٨٫١ ٪ منهم انها قد افادت قليلا ، وقال ٣٦٫٨ ٪ منهم انها لم تفدهم ، ولم يعط ٥٫٦ ٪ جوابا . اذا أخذنا الافادة بغض النظر عن مقدارها نجد ان ٦٠ ٪ من الفلسطينيين يعتقدون ان الاونروا قد افادتهم بدرجة او بأخرى . اما نواحي الافادة في نظر هؤلاء فتنحصر في رأيهم بالامور الحياتية . وقد نال التعليم الحظ الاوفر من الثناء ، اذ قال ٤٣٫٤ ٪ من الذين يعتقدون بأن الاونروا قد أفادت الفلسطينيين « انها أفادت في التعليم فقط » . وقال ١٨٫٩ ٪ من هذه الفئة انها افادت في توزيع الطعام (الاعاشة) . وقال ١١٫٣ ٪ انها افادت في التعليم والعلاج (خاصة المستشفيات) ، وقال ٨٫٤ ٪ انها افادت في التوظيف (تأمين العمل للفلسطينيين) . وقال ٢٫٨ ٪ انها افادت في كل جوانب الحياة . ولم يذكر ١٥ ٪ من هذه الفئة نواحي الافادة . حول السؤال الثاني ، قال ٦٠ ٪ من افراد العينة ان الاونروا قد اضرت كثيرا بالفلسطينيين ، وقال ١٥ ٪ منهم انها اضرت ببعض الشيء ، وقال ٥٫٦ ٪ انها اضرت قليلا . وقال ٧٫٥ ٪ فقط انها لم تضر بالفلسطينيين .

ولم يعط ١١،٨ ٪ منهم جوابا . يمكن القول بشكل عام ، وبغض النظر عن الدرجة ، ان ٨٠ ٪ من الفلسطينيين يعتقدون ان الاونروا قد اضرتهم بشكل او بآخر .

قد يبدوللوهلة الاولى ان هناك تناقضا هائلا في رأي نفس الاشخاص فيما اذا كانت الاونروا قد افادتهم أو أضرتهم . لكن يبدو ان المسألة ليست اسود أو أبيض بالنسبة لتأثير الاونروا ، وان تأثيرها في الواقع يجمع الاثنين معا الضرر والفائدة وان كان بدرجات مختلفة وفي نواحي مختلفة . وان أي عملية تقييم للضرر أو الافادة اللذين أحدثتهما الاونروا يجب ان تعتمد اساسا على نواحي الضرر ونواحي الافادة او على نوعية الضرر ونوعية الافادة . لكن قبل الانتقال الى عملية التقييم هذه علينا أن نرى النواحي التي يعتقد الفلسطينيون ان الاونروا قد اضرتهم فيها . يبدو ان تصور الفلسطينيين للضرر الذي الحقته بهم الاونروا يمس ثلاث نواحي اساسية وهي :
(أ) ــ الناحية السياسية (اضرت بالقضية الفلسطينية وبالنضال الفلسطيني) ،
(ب) الناحية النفسية (الكرامة الشخصية ، الاتكالية ، سلب الرجولة ، سلب الارادة).
(جـ) الناحية الحياتية (التعليم السيىء ، المواد الغذائية السيئة) . فقد قال ٣٧٪ من أفراد العينة ان الاونروا أبعدت الفلسطينيين عن قضيتهم وأخمدت روح الثورة عندهم وقال ٣،٥ ٪ أنها حققت أهداف الاستعمار . وقال ١١،١ ٪ منهم انها جعلتهم اتكاليين ، وقال ٨،٨ ٪ انها خدرتهم كالمورفين ، وقال ٤،٧ ٪ انها سلبتهم ارادتهم ، وقال ٢،٣ ٪ انها سلبتهم رجولتهم ، وقال ٤،٧ ٪ انها اعطتهم تعليما سيئا ، بينما قال ٦،٤ ٪ انها أضرت من جميع النواحي ، وقال ٣،٥ ٪ انها أضرت بالتجسس على الفلسطينيين ولم يذكر ١٤،١ ٪ نواحي الضرر .

اذن يركز ٤٠ ٪ من الفئة التي تعتقد ان الاونروا اضرت بالفلسطينيين على الناحية السياسية ، بينما يركز ٢٧ ٪ منهم على الناحية النفسية ، ويركز ٨ ٪ على الناحية الحياتية . وللتأكيد نود ان نذكر ان عينة المدن لها الاراء نفسها حول مدى وطبيعة الافادة والضرر الذي سببته الاونروا للفلسطينيين .

واذا قارنا رأي الفلسطينيين بافادة الاونروا ورأيهم بضررها نجد ما يلي : من ناحية الكمية هناك فرق شاسع بين الذين يعتقدون ان الاونروا أفادت كثيرا (٣،٧ ٪) والذين يعتقدون انها أضرت كثيرا (٦٠٪) . ومن الناحية النوعية نجد ان الافادة قد اقتصرت على الخدمات (التعليم ، الطعام والعلاج) وهي خدمات يشكو منها الفلسطينيون بمرارة كبيرة وبشكل دائم ، والتي لم يرض عنها ٧٦،٣ ٪ من افراد العينة التي شملتها الدراسة . فالتعليم مشكوك بقيمته العلمية من ناحية ، ويتعارض مع الوضع السياسي للفلسطينيين من ناحية أخرى ، اي انه تعليم ابعد ما يكون عن النضال والدفع الثوري . والمواد الغذائية من أدنى المستويات ولا تفي بحاجات الجسم وطاقاته. والعلاج رديء بشكل عام ، وجيد في حالات معينة ، ويمكن القول انه يخفف قليلا من مصائب الفلسطينيين . اما الضرر ، من الناحية النوعية أيضا ، ففادح . الضرر الاساسي كان في الناحيتين السياسية والنفسية . ففي الناحية السياسية حاولت الاونروا ، من خلال عدة مشاريع كبرى ، توطين اللاجئين في الدول المضيفة وحاولت خلق واقع جديد لهم لكنها فشلت في ذلك نظرا للوعي الوطني الفلسطيني ولقوة ارتباط الفلسطيني بأرضه. وذلك الدور الذي لعبته الاونروا كان بحد ذاتهخدمة كبرى للاستعمار وخدمة أكبر لاسرائيل ولتثبيتها فوق أرض فلسطين عن طريق تثبيت الشعب الفلسطيني خارج أرض فلسطين . وفي الناحية النفسية لعبت الاونروا بواسطة مساعداتها وبطريقة توزيع تلك المساعدات دورا نشطا في كسر ارادة الفلسطيني وسلبه رجولته وتخديره واذلاله . بناء على هذه المقارنة الواضحة لكفتي الافادة والضرر الذي سببته الاونروا للفلسطينيين يمكن الاستنتاج بأن الاونروا قد أضرت ضررا فادحا بالشعب

الفلسطيني ولم تفده في شيء لانها رغم تقديمها لضرورات الحياة اليومية (المأكل والملبس والعلاج) فقد كانت هذه الخدمات سيفا ذا حدين أضر أكثر مما نفع لانه اضر نفسيا ونفع جسديا . فقد قال ٤٠،٦ ٪ من افراد العينة — ردا على السؤال الثالث — ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين اتكاليين ، بينما قال ٤٦،٨ ٪ انها لم تجعلهم كذلك ، ولم يعط ١٢،٥ ٪ جوابا . وقال معظم أفراد الفئة الاولى ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين اتكاليين باعتمادهم على الاعاشة وبتأمين الاكل والتعليم والطب لهم .

وقال ٥٥،٦ ٪ من افراد العينة — ردا على السؤال الرابع — ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين مثل الشحاذين ، بينما قال ٣٢،٥ ٪ انها لم تجعلهم كذلك ، ولم يعط ١١،١ ٪ جوابا . ويعتقد معظم افراد الفئة الاولى (٧٠ ٪) ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين مثل الشحاذين بطريقة توزيع الخدمات : الانتظار والتدافع للحصول على الاعاشة ، الوقوف على ابواب العيادات ، توسلهم للموظفين والممرضات كي يسهلوا امورهم ، وتحملهم الاهانات من المسؤولين عن توزيع الخدمات المختلفة . ويشدد ٨ ٪ من هذه الفئة على ناحية هامة لكن غير ملفتة للنظر — مثل طريقة توزيع الخدمات — وهي اعلان الاونروا كل عام في الجرائد وكافة وسائل الاعلام عن عجزها عن تأمين الخدمات للفلسطينيين مما يطعن الفلسطيني في كرامته .

١٠ — رأي الفلسطينيين بأمور عامة تعكس قيمهم وحالتهم النفسية :

طرحنا بضعة اسئلة تهدف الى اختبار مدى صحة الصورة الشائعة للفلسطيني ، على الاقل قبل الثورة ، والتي تكونت على الشكل التالي : الفلسطيني أصبح انسانا اتكاليا فاقد الارادة لا يثق بنفسه ، فاقدا كرامته ، ومستسلما لقدره . سألنا الاسئلة التالية حول موقف الفلسطيني من الارادة ونظرته الى ارادة شعبه ثم الى تأثير الثورة الفلسطينية على وزن ارادة الفلسطينيين : « هل تعتقد ان ارادة الفلسطينيين تؤثر في تقرير مصيرهم ؟ » — « هل تكفي الارادة وحدها لتغيير مجرى الامور ؟ » — « هل أعطت الثورة الفلسطينية أي وزن لارادة الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ؟ »

قال ٤٦،٨ ٪ من أفراد العينة ان الارادة تكفي دائما لتغيير مجرى الامور ، وقال ٢٢،٥ ٪ انها تكفي أحيانا لتغيير مجرى الامور . وقال ٢٦،٢٥ ٪ انها لا تكفي أبدا . ولم يعط ٤،٣ ٪ جوابا . وقال ٨١،٢ ٪ من أفراد العينة ان ارادة الفلسطينيين تؤثر في تقرير مصيرهم الى حد كبير ، بينما قال ١١،٢ ٪ انها تؤثر في تقرير مصيرهم الى حد ما . وقال ٣،٧ ٪ فقط انها لا تؤثر اطلاقا في تقرير مصيرهم . ولم يعط ٣،٧ ٪ جوابا . وقال ٧١،٢ ٪ من أفراد العينة ان الثورة الفلسطينية قد أعطت وزنا كبيرا لارادة الفلسطينيين ، بينما قال ١٥،٦ ٪ انها أعطت وزنا معقولا لارادة الفلسطينيين ، وقال ٦،٢ ٪ انها أعطت وزنا بسيطا لتلك الارادة . وقال ٥ ٪ من أفراد العينة ان الثورة الفلسطينية لم تعط أي وزن لارادة الفلسطينيين . ولم يعط ١،٨ ٪ جوابا .

وتعكس هذه الارقام التي أتت كحصيلة السؤالين الاولين ثقة عالية في النفس عند الفلسطينيين ، كما تعكس شعور الفلسطينيين بتأثير ارادتهم في تقرير مصيرهم . وهذه الصورة أبعد ما تكون عن صورة الانسان الفاقد لارادته والمستسلم . وقد جاءت النسبة العالية للذين يؤمنون بارادة شعبهم مغايرة تماما لما يتوقعه المراقبون نظرا للظروف الاجتماعية والنفسية التي خضع لها الفلسطينيون قبل انطلاق ثورتهم . ويبدو ان العامل الاساسي في انعاش تلك الارادة وفي ايقاظ تلك الثقة بالنفس كانت الثورة الفلسطينية التي أعادت لشعب مسحوق ومغلوب على أمره ثقته بنفسه وبقدراته .

وسألنا سؤالين حول موقف الفلسطينيين من العمل ونظرتهم الى السبب الذي يعمل من

اجله الانسان هما : ١) « هل توافق أو لا توافق على أن العمل شقاء وتعب بلا فائدة وبالتالي فمن يعيش على حساب الاونروا عايش مثل الذي يشتغل ويتعب » . ٢) « هل اشتغلت من أجل : ــ تحسين وضعك المادي فقط ، ــ الحفاظ على كرامتك فقط ، ــ تحسين وضعك المادي والحفاظ على كرامتك ، ــ لان العمل يفيد ويرفع المعنويات ، ــ للتخلص من الملل ، ــ غير ذلك (حدد) ، لا جواب/لا أعرف » . قال ٨٧،٥ ٪ من افراد العينة انهم لا يوافقون على الكلام الذي ورد في السؤال الاول . وقال ٧،٥ ٪ منهم فقط انهم يوافقون على ذلك الكلام . ولم يعط ٥ ٪ منهم جوابا . ان هــذا الموقف الاجتماعي يثبت بشكل قاطع ان الفلسطينيين لم يصبحوا كالحشرات الطفيلية التي تقبل العيش على حساب دول أخرى دون أن تبذل أي مجهود لاعالة نفسها ، فهم لا يوافقون على ان « العيش » كله واحد ، ويميزون بين مصادر العيش ، ويعطون وزنا كبيرا لطريقة تحصيل المعيشة .

وتأتي اجاباتهم على السؤال الثاني لتؤكد موقفهم هذا ، اذ قال ٦٦،٩ ٪ منهم أنهم قد اشتغلوا من اجل تحسين وضعهم المادي والحفاظ على كرامتهم . وقال ٢٣،٦ ٪ منهم انهم اشتغلوا من أجل الحفاظ على كرامتهم فقط . بينما قال ٤،٧ ٪ منهم انهم اشتغلوا من أجل تحسين وضعهم المادي فقط . وقال ٣،٩ ٪ انهم اشتغلوا لان العمل يفيد ويرفع المعنويات . بينما قال شخص واحد (٠،٨ ٪) انه اشتغل للتخلص من الملل . يظهر هنا بوضوح مدى تشديد الشعب الفلسطيني على كرامته ، ويثبت لنا أنه شعب يهمه الحصول على خبزه بكرامة . ولولا هذا الموقف وهذه القيمة لتحول الشعب الفلسطيني منذ سنين عديدة الى شعب اتكالي يكتفي بالمعيشة عن طريق الاغاثة التي تقدمها له الاونروا . فالعمل بحد ذاته يشكل قيمة عند الفلسطيني لانه مرتبــط ارتباطا وثيقا بالكرامة .

الاستنتاج العام للبحث :

بناء على الحقائق التي وردت في هذا البحث ، يمكننا تسجيل نظرة الفلسطينيين في لبنان الى الاونروا على النحو التالي : ان الغالبية الساحقة من الفلسطينيين في لبنان (٩٠٪) يعتبرون الاونروا مؤسسة استعمارية أوجدتها الدول الاستعمارية الغربية وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، بينما يذهب قسم منهم لحد الاعتقاد بأنها مؤسسة يهودية أو صهيونية خلقت لخدمة الاهداف السياسية الصهيونية . وهناك ١٠ ٪ فقط من فلسطينيي لبنان يعتبرون الاونروا مؤسسة دولية خيرية أنشئت من أجل مساعدتهم . وبالتالي فان معظم فلسطينيي لبنان يكرهون الاونروا وعملها ويمقتون كل ما تجسده هذه المؤسسة او تمثله . يمكن الاستنتاج ، بشكل عام ، من هذه الحقائق ان العلاقة بين الفلسطيني والجهاز الاداري المتحكم به هي علاقة كره عميق وريبة كبيرة وانها لم تتحول في أي يوم من الخمسة وعشرين عاما الماضية الى ادنى مستوى من الحب أو الثقة . والاونروا بصورتها الحالية مرفوضة من قبل الفلسطيني لكنها مفروضة عليه فرضا .

اما موقف الفلسطينيين من جهاز الاونروا بالتفصيل فهو : يعتقد معظم الفلسطينيين في لبنان ان الهدف الاساسي من انشاء الاونروا هو تصفية قضية الشعب الفلسطيني نهائيا، والعمل على اسكانه حيث هو ، والحيلولة دونه ودون التفكير بالعودة أو النضال من أجلها . ويعتقدون ايضا ان الدول الاستعمارية الغربية ، وخاصة اميركا ، تمول الاونروا من أجل تحقيق هذا الهدف . ويعتقدون بالتالي ، وكمحصلة طبيعيــة ، ان المعسكر الامبريالي بكافة اطرافه ، وخاصة أميركا ، يسيطر على الاونروا ، وان تلك السيطرة تعني ابقاء الشعب الفلسطيني خارج أرضه وتثبيت وجــود اسرائيل والقضاء على الشخصية الفلسطينية وتخدير الفلسطينيين ومنعهم من الثورة .

وان معظم الفلسطينيين في لبنان غير راضين عن خدمات الاونروا ومستاءون الى ابعد الحدود من الطريقة التي توزع بها تلك الخدمات لانهم يلمسون فيها دوسا لكرامتهم وجرحا لعزتهم وكبريائهم . كما انهم يعتبرون موظفي الاونروا الاجانب عملاء للاستعمار واعداء للشعب الفلسطيني وجواسيس عليه ، ويقفون ايضا موقفا معاديا من موظفيها العرب الكبار لانهم يعتبرونهم عملاء للاونروا واتباع للموظفين الاجانب ينفذون رغباتهم ويسكتون على مؤامراتهم على الشعب الفلسطيني . اما فئة صغار الموظفين (العرب) فتحظى بعطف الشعب الفلسطيني ولا تعتبر شريكة في المؤامرة .

يهمنا فيما يتعلق بمدى الضرر أو الافادة التي لحقت بالفلسطينيين ان ننقل مشاعرهم فقط : يشعر معظم فلسطينيي لبنان أن الاونروا قد أفادتهم في التعليم (أي تعليم أبنائهم) وفي جزء من العلاج الطبي (أدخالهم الى المستشفيات) . ويشعرون انها قد أضرتهم في ناحيتين أساسيتين هما الناحية السياسية والناحية النفسية . فمن الناحية السياسية ، يشعر الفلسطينيون بأن الاونروا قد أضرت وعرقلت نضالهم وانها دفعتهم للاندماج في الدول المضيفة وساعدتهم على اكتساب المهارات اللازمة للاندماج في تلك المجتمعات مما اثر على قضيتهم الاولى وهي العودة واستعادة ارضهم واعادة بناء مجتمعهم الخاص بهم . ومن الناحية النفسية ، يشعر الفلسطينيون بأن الاونروا كانت تحاول ، ونجحت في بعض الحالات ، في دوس كرامتهم وسلبهم رجولتهم واخضاع ارادتهم وجعلهم يتكلون عليها . قد يبدو ان هناك تناقضا أو استحالة الجمع بين الشعور بالضرر السياسي والضرر النفسي لانه كيف يمكن للاونروا التي تعلم الفلسطيني مهارات تمكنه من العمل والنجاح — وبالتالي الاندماج — في المجتمعات المضيفة ان تحاول في الوقت نفسه جعله اتكاليا ومسلوب الارادة . في الواقع أن من عايش تحكم الاونروا بالفلسطينيين يتفهم امكانية الجمع بين الامرين . فالاونروا تمارس عملية الاذلال واخضاع الارادة وخلق الروح الاتكالية أولا ، ثم تقوم بتعليم هذا الانسان المسلوب الارادة حرفة ما أو تؤمن له عملا ما يضمن اندماجه وتأقلمه حيث يقيم .

لكن هل حققت الاونروا الهدف الذي يعتقد معظم الفلسطينيين في لبنان انهـــا قامت لتحقيقه ؟ الجواب الواضح هـــو كلا . ووضوح الجواب لا يأتي فقط مـــن اجابات الفلسطينيين على أسئلة معينة حـــول بعض القيم ، وانما يأتي مـــن ويتمثل بالثورة الفلسطينية نفسها . فالشعب الذي ثار بعد عشرين عاما شعب لم يهزم ولم تهزمه أو تثبط عزيمته الاونروا بمشاريعها المختلفة . انشئت الاونروا اساسا لمدة عامين فقط ، ثم مدد لها عامان آخران ، ثم مدد لها أعوام أخرى واستمرت الى اليوم . لماذا أنشئت الاونروا لمدة عامين ولماذا مدد لها كل هذه السنوات ؟ لان من ورائها من المستعمرين اعتقدوا ان مشاريعهم الاستيطانية كفيلة بتصفية القضية خلال عامين . خاب أملهم فمددوا عامين آخرين ، وخاب مرة أخرى فمددوا أيضا . وفي الوقت الذي كانت الاونروا تحاول فيه تفتيت الشعب الفلسطيني ومحو شخصيته وترتيب أوضاعه حيث يقيم بشكل نهائي كانت تردد الجملة الجوفاء « شرط الا تمس هذه المشاريع حقوقهم في العودة أو التعويض كما نصت عليها قرارات الامم المتحدة » .

اما فيما يتعلق بالمدلولات السياسية لعمل الاونروا ومشاريعها ، فنحن نعتقد ان الاونروا بكيانها الحالي وطريقة عملها الحالية تتعارض مع اي عمل ثوري يقوم به الفلسطينيون ومع المجرى العام للثورة الفلسطينية وتصاعدها . ونحن ندعو الى المزيد من العمل الثوري في أوساط الجماهير الفلسطينية ، وخاصة الـــى انشاء مجالس شعبيـــة في المخيمات تحقق للفلسطينيين ادارة ديمقراطية في اماكن تجمعهم وتكفل لهم تسيير شؤونهم باستقلالية وبشكل يعطي دفعا وزخما لمسيرة ثورتهم الطويلة نحو النصر والعودة .

اسرائيل والعمليات الخارجية للمقاومة

شحاده موسى

مقدمة : اكتسبت العمليات التي قامت بها حركة المقاومة خارج الارض المحتلة في عام ١٩٧٢ أهمية خاصة لارتباطها بما يمكن اعتباره مرحلة جديدة ليس في أسلوب مواجهتنا مع العدو فحسب بل وفي المسيرة النضالية الفلسطينية والعربية معا . فعلى الصعيد العربي جرت عدة تطورات تركت انطباعات لدى الجماهير بأن ما يجري يدل على العجز العربي ، والسير في عكس اتجاه المعركة . وعاشت حركة المقاومة سلسلة من التوترات الداخلية والضغوطات الخارجية أدت الى ما يمكن اعتباره تجميدا للعمل الفدائي من لبنان . وتعرضت حركة المقاومة لموجة من الارهاب الاسرائيلي ــ الصهيوني في الدول العربية وفي العالم الخارجي ، باسم محاربة الارهاب العربي . واعلنت اسرائيل انها في حرب شاملة مع منظمات المقاومة ، وربطت صراحة بين قبولهـا بالتسوية السلمية وتصفية المقاومة ، ومارست ضغوطات مختلفة على الدول العربية لاخماد صوت المقاومة على أراضيها .

ولقد واجهت الاوساط الاسرائيلية والصهيونية عمليات عام ١٩٧٢ ، وتحديدا عمليتي اللد وعملية ميونيخ بردود فعل غير معهودة من حيث شمولها وحدتها وطابعها الانفعالي الشديد ، وعكست نظرة جديدة في استراتيجية اسرائيل تجاه المقاومة . فهي لم تعد تكتفي بهدف شل الفعالية العسكرية لحركة المقاومة ، وانما تطلب الغاء وجودها كله . ان ما الحقته هذه العمليات باسرائيل من خسائر ، في الارواح والممتلكات ، كان طفيفا بالنسبة لعمليات المقاومة الاخرى ، فلماذا جاءت ردود الفعل الاسرائيلية والصهيونية على هذا المستوى ؟ من الصعب فهــم السلوك الاسرائيلي بمعزل عــن الستراتيجية الاسرائيلية تجاه حركة المقاومة بشكل خاص . ومع ان هذه المقالة لا تعالج مثــل هذه الستراتيجية* ، الا انه يمكن القول ، خاصة بعد مجزرة أيلول عام ٧٠ وتصفية المقاومة في الاردن ، **أن هذه العمليات تخرق اطار فهم اسرائيل ودعايتها حول حركة المقاومة** . فقد دأبت اسرائيل على تصوير المقاومة بأنها أحد الجوانب المترتبــة على حرب الايام الستة ، والمرتبطة بسياسة الدول العربية « لارغام » اسرائيل على القبول بتسوية سياسية . أي ان المقاومة ظاهرة طارئة ، محدودة الفعالية والاثر .

تتركز هذه المقالة على استعراض الموقف الاسرائيلي تجاه عمليات ١٩٧٢ أو ما أسمته بالارهاب العربي ، وكما انعكس هذا الموقف في وسائل اعلام العدو وتصريحات مسؤوليه ثم الاجراءات السياسية والعسكرية التي قام بها . واذا كان لمثل هذا الاستعراض من هدف ، فهو ابراز ما جسدته ردود فعل العدو من قضايا ينبغي الا تغيب عن فهمنا لطبيعة معركتنا مع العدو ، ومن ثم لمسيرتنا النضالية . ولكي يتم وضع ردود الفعل هذه في

---

* راجع في هذا المجال كتاب ابراهيم العابد ، **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، منشورات مركز الابحاث، بيروت : ١٩٧١ ، الفصل الاخير .

سياقها الصحيح ، يحسن أن نستعيد كيف واجهت اسرائيل عمليات المقاومة اجمالا طيلة اعوام نشاطها ، أي اننا سنتكلم بايجاز عن مواجهة اسرائيل لعمليات الداخل والعمليات الخارجية القديمة ، ثم عمليتي اللد وميونيخ بشكل خاص .

١ ـــ **عمليات الداخل** : نعني هنا بعمليات الداخل كل عمليات المقاومة الموجهة مباشرة ضد الوجود الصهيوني فوق الارض الفلسطينية سواء تمت على يد خلايا المقاومة داخل الارض المحتلة ، أو عبر الحدود ، وذلك مقابل العمليات الخارجية المتمثلة بخطف الطائرات او ضد الوجود الاسرائيلي والصهيوني خارج المنطقة . ويبدو ان اسرائيل كانت تشعر بقدرتها على المواجهة **السياسية ـــ الاعلامية** لحركة المقاومة ، وخاصة اذا استطاعت حصر عملياتها في نطاق الحدود . واعتمدت اسرائيل في ذلك على مبدأ طمس حقيقة المقاومة وهويتها الفلسطينية والسياسية ، وذلك بأن دأبت على الصاق العمل الفدائي بالدول العربية بغية تشويهه واستخدامه في الوقت ذاته في دعاية معادية مضللة تكرر قصة تعرض اسرائيل الدائم لخطر العداء العربي . فقد حرصت اسرائيل باستمرار على محاولة طمس الهوية الفلسطينية وانكار وجود شعب فلسطيني . فبروز الشخصية الفلسطينية من خلال ممارسة المقاومة كحركة تحرير وطنية سيجعل السؤال الفلسطيني مطروحا على صعيد دولي وبشكل جديد . وخطورة ذلك لا تتمثل بما يمكن أن يحدثه من ردود فعل رسمية او في أروقة الامم المتحدة فقط، بل بما ستنجزه حركة المقاومة من علاقات مع حركات التحرير والاوساط التقدمية في العالم وتكسب تأييدها . وبالمقابل ، سوف يتضح موقع اسرائيل كمخفر امامي للامبريالية ، ودورها المضاد لحركات التحرر في منطقة الشرق الاوسط . وسوف يدحض هذا الوضع بالملموس الزعم الصهيوني القديم والذي حاولت اسرائيل أن تجعله بمثابة الحقيقة المسلم بها حول الصحراء التي حولت الى جنة واقيمت عليها اسرائيل .

لم يكن بامكان اسرائيل الا اطلاق تعبير « المخربين العرب » و« تنظيمات التخريب » على العمل الفدائي ، بمعنى ان الفدائيين ليسوا سوى « أشخاص » يتسللون عبر الحدود ، بدفع من الدول العربية ، ويقومون بتخريب منشآت مدنية أو يقومون بقصف المستوطنات المدنية من خلف الحدود ، اي ان اسرائيل تواجه **تخريبا عربيا** . من جهة أخرى ، يبدو ان اسرائيل لم تجد نفسها محرجة كثيرا من الناحية السياسية ـــ الاعلامية نتيجة لعمل المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة . فبالاضافة للاعتبارات السابقة لا تنكر اسرائيل ظاهريا ان هذه المناطق محتلة ، وهي تطلق عليها اسم المناطق المدارة، وتدعي ان بقاءها فيها مرهون بالتسوية السلمية مع الدول العربية .

اما في **المواجهة العسكرية** فقد كان يهم اسرائيل ان تظل عمليات المقاومة بعيدة عن قلب اسرائيل أو ما يسمى بالحزام الاخضر ، اي أن تظل بعيدة عن المناطق الصناعية والمكتظة بالسكان . وذلك بهدف الحفاظ على شعور المواطنين الاسرائيليين بالاطمئنان . وللغاية ذاتها حاولت اسرائيل ، وكان بمقدورها حين يكون العمل الفدائي بعيدا عن قلب اسرائيل ، التخفيف اعلاميا من خطر المقاومة واخفاء أخبارها وتشويه أعمالها . وسلامة قلب اسرائيل أيضا أمر مهم لعناصر حيوية في وجود اسرائيل واستمرارها ، مثل الهجرة والسياحة والاستثمارات الاجنبية . واتبعت اسرائيل وسائل عديدة للحد من نشاط المقاومة مثل الاعتقالات والابعاد ونسف البيوت في الاراضي المحتلة ، وشق الطرق واقامة الاسلاك الشائكة على طول الحدود ، وضرب قواعد المنظمات والمدنيين بهدف عزل المقاومة عن جماهيرها ... الخ(١).

٢ ـــ **العمليات الخارجية القديمة** : يمكن القول ايجازا ، ان مواجهة اسرائيل لعمليات ما قبل عام ٧٢ اتسمت بالاجراء الدفاعي أو رد الفعل ، اي ان اسرائيل كانت تقوم بعمل ما في أعقاب كل عملية . فقد اعلنت اسرائيل أن هجومها على مطار بيروت مثلا في نهاية

عام ٦٨ واحراق عدد من الطائرات اللبنانية كان ردا على مهاجمة فدائيي الجبهة الشعبية لطائرة اسرائيلية في مطار اثينا . وردا على اختطاف الجبهة الشعبية لعدة طائرات وانزالها في مطار الثورة شمالي الاردن في أوائل ١٩٧٠ ، قامت اسرائيل باعتقالات جماعية في الاراضي المحتلة مهددة بأن مصير المعتقلين متوقف على مصير الرهائن في الاردن ، وحاولت تدويل القضية في محاولة لتجنيد الراي العام العالمي ضد المقاومة والدول العربية وتمهيدا لاي عمل قد تقوم به ، وممارسة ضغوط قوية على الدول العربية ، وخاصة الاردن آنذاك ، لتصفية حركة المقاومة . كما كانت اسرائيل تقوم في اعقاب كل عملية بمهاجمة قواعد الفدائيين ، الا أن كل ذلك ظل في اطار رد الفعل أو الاجراء الدفاعي . غير ان أصواتا كانت قد بدأت ترتفع في اسرائيل مطالبة بأن تبادر اسرائيل الى الهجوم المختلف نوعيا عن الردود السابقة والمقتصرة على مطاردة الجيش للفدائيين وضرب قواعدهم . وقد يكون مفيدا أن نستعيد بعض وجهات النظر هذه ، ذلك ان اسرائيل قد تبنتها عمليا بعد العمليات الخارجية للمقاومة في عام ٧٢ . فبعد عدة عمليات (معظمها قامت بها الجبهة الشعبية) ضد الطائرات او المؤسسات الاسرائيلية والصهيونية في الخارج ، وتحديدا بعد اختطاف طائرة أميركية من قبل الجبهة الشعبية وانزالها في دمشق في أواخر آب ٦٩ ، كان عليها بعض الاسرائيليين ، وقيل يومها ان المقصود بالعملية كان اسحق رابين سفير اسرائيل في واشنطن ورئيس أركان الجيش الاسرائيلي في عدوان ٦٧ . بعد ذلك بدأت تظهر في اسرائيل دعوات للقيام بعمليات ارهابية داخل الدول العربية . فدعا المحرر السياسي لصحيفة هآرتس الى اقامة وحدات من الجيش الاسرائيلي للقيام بأعمال تخريبية « صغيرة » داخل البلدان العربية ، بالاضافة الى عمليات الانتقام الكبيرة التي يقوم بها الجيش . فقال ان معنى الارهاب هو سلسلة متلاحقة من عمليات صغيرة تبادر اليها ولا تكون مرتبطة بعملية تخريب معينة ، وهدفها زعزعة الحياة في كل دولة تنفذ منها عمليات ارهابية من أي طراز ضد اسرائيل او ضد اسرائيليين في الخارج(٢) . وأكد ذلك عميحاوي باجلين ، رئيس قسم العمليات في الارجون سابقا ، (اعتقل في اسرائيل مع عناصر بارزة في رابطة الدفاع اليهودية ، بعد عملية ميونيخ بتهمة تهريب أسلحة الى الولايات المتحدة للقيام بأعمال ارهابية ضد العرب هناك) اذ قال « أن الرد على الارهاب يجب الا يكون بواسطة عمليات رد على ما يقوم به العرب ، بل يجب أن تكون هناك مبادرات من جانبنا ضمن نطاق برنامج عملي عسكري مخطط . . . اذ ليست مهمة جيش الدفاع الاسرائيلي أن يلتزم بحرب على المواقع . . . »(٣) . وكتبت مجلة هاعولام هازيه لذلك العام تفسر نظرية « الارهاب المضاد » بقولها « . . . وحين يصبح الموضوع أعمال ارهاب خارج حدود اسرائيل ، مثل اوروبه فان جيش الدفاع الاسرائيلي لا يستطيع أن يتدخل مطلقا . لذلك فان الطريقة الوحيدة الباقية لمحاربة انتشار الارهاب هي أن تقوم منظمات لا تعرف صلتها باسرائيل، ولا تنشر العمليات التي تقوم بها في البيانات الرسمية ، ولا تتحمل حكومة اسرائيل اية مسؤولية تجاهها . لمحاربة الارهاب العربي يجب اتباع نفس الاساليب التي يتبعها الارهاب . صحيح انه لا حاجة لنسف طائرة مدنية عربية كرد على نسف طائرة اسرائيلية او طائرة تحمل ركابا لاسرائيل ، لكن يمكن القيام بأعمال تبرهن لمنظمات الارهابيين وللدول المضيفة لهم ، بأن هذا النوع من الحرب له وجهان وان استمرارهم فيه لا يفيدهم . ان الهدف من حرب الارهاب المضاد سيكون : نقل الحرب الى داخل الدول العربية ووضع المخربين في موقع الدفاع بدلا من مواقع الهجوم » . وحددت المجلة بعض النواحي التي ينبغي أن يتوجه اليها هجوم مضاد شامل، مثل (أ) ضرب القواعد الفدائية بصورة مستمرة ، (ب) القيام بعمليات ارهابية في العواصم العربية، (ج) القيام بنشاط سري ضد تشكيلات المخربين في أوروبه وضد أولئك العرب المقيمين في الدول الاوروبية والمشتبه بأنهم على صلة بمنظمات الارهاب(٤) .

بالاضافة الى هذا التفكير الارهابي ، اكدت عملية الاختطاف الجماعية للطائرات في ٦ أيلول عام ٧٠ أمرا مهما هو عدم استعداد اسرائيل للتفاوض مع حركة المقاومة ، وعدم استعدادها لاطلاق سراح الاسرى من الفدائيين . فقد قامت اسرائيل يومها باعتقال حوالي ٥٠٠ شخص قالت هآرتس انهم من الوجهاء والشخصيات المختلفة ومن العائلات، من بينهم نساء كثيرات من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهم من أبناء عائلات ينتمي بعض أفرادها الى الجبهة الشعبية ، وذلك كوسيلة ضغط ضد الجبهة(٥). وصرح ابا ايبن في ٦ أيلول أن حكومة اسرائيل مصممة على عدم اجراء مفاوضات رسمية الا مع حكومات فقط(٦). وفي الوقت ذاته حذر رئيس رابطة الدفاع اليهودية شبه العسكرية في الولايات المتحدة ، الحاخام مئير كهانا ، في مؤتمر صحفي يوم ٨ أيلول في نيويورك ، بأن رابطته ستبادر الى اتخاذ اجراءات انتقامية ضد العرب والطائرات العربية في حالة تعرض الرهائن في الاردن للخطر . وقال « لهذا قررنا العزم على ملاقاة العرب بالعمل المماثل ، فاذا قتلوا فسنقتل نحن ايضا »(٧). وهكذا تصاعدت لدى الاوساط الاسرائيلية والصهيونية الدعوة للقيام بعمل ارهابي ضد عناصر المقاومة ، وعدم الاكتفاء بمهاجمة القواعد ، وذلك لقناعة هذه الاوساط بأن مثل هذا العمل هو الذي يرغم المقاومة على ترك هذا الاسلوب .

٣ ـ **اسرائيل في مواجهة عمليات ١٩٧٢** : تعرضت حركة المقاومة بعد مجزرة أيلول الى سلسلة من التراجعات بحيث أصبح حجم العمل الفدائي على حدود الاراضي المحتلة أو عبرها ، ضئيلا جدا في عام ٧٢ قياسا بما كان عليه في السابق . وقد ساعدت المجزرة وما تلاها ، اسرائيل للتفرغ لضرب قواعد المقاومـــة في جنوب لبنــــان ، حيث كانت المستوطنات الاسرائيلية في الشمال تتعرض لحالة شبيهة بما تعرضت له مستعمرات الغور من قبل . ومع أوائل عام ٧٢ اصبح العمل الفدائي في جنوب لبنان بحكم المجمد . جاءت عمليات عام ٧٢ لتقطع هذا السكون المخيم ، وكان شنها في الوقت الذي تعرضت فيه حركة المقاومة لضغوط عربية مختلفة يضعف الى حد ما الحجة الاسرائيلية بأن حركة المقاومة ما هي الا عناصر مخربة مدفوعة من الدول العربية . وهذه العمليات انتهت بشكل مأساوي كان لا بد وأن يترك ردود فعل مختلفة على مستوى دولي . واستمرار مثل هذه العمليات لا يساعد اسرائيل في محاولتها طمس الهوية الفلسطينية وانكار وجود شعب فلسطيني . وبالفعل تناولت عدة صحف غربية بعد هذه العمليات مسألة شعب فلسطين وضرورة وضع حد لمأساته ، بل وطرح أيضا أن تسوية وضع الفلسطينيين ضرورة للتسوية العامة في الشرق الاوسط . وامتازت هذه العمليات أيضا بأنها توجهت الى **قلب اسرائيل** ، وتناولت **المواطن الاسرائيلي** ، وهو ما تحرص اسرائيل على الا يصله عمل المقاومة . وهكذا كان لا بد وأن يكون الرد الاسرائيلي مختلفا في حدته وشراسته ونوعيته .

عملية اللد الاولى : تمت هذه العملية على يد أربعة عناصر من منظمة أيلول الاسود حيث استولت على طائرة تابعة لشركة سابينا وأنزلتها في مطار اللد يوم ٧٢/٥/٨ ، وطالبت بالافراج عن مئة من الفدائيين والا نسفت الطائرة بمن عليها . كانت تلك هي المرة الاولى التي يتم فيها انزال طائرة في اسرائيل ، بما يمثل ذلك من جــراة وتحد مباشر للحراب الاسرائيلية . وحول ذلك كتب المعلق العسكري لصحيفة هآرتس ، زئيف شيف ، في ٧٢/٥/١٠ يقول : « يجب أن نعترف بأن الفدائيين الاربعة الذين خطفوا طائرة سابينا تمتعوا بمستوى كبير من الجراة ، ليس لمجرد خطف الطائرة وانما لفكرة دخولهم عرين الاسد ، اسرائيل ، واجراء مفاوضات لتحرير فدائيين من السجن الاسرائيلي ، بينما طائرتهم محاطة بالجنود الاسرائيليين . ومن هذه الناحية ، فقد وصلت جراتهم الى قمة لا مثيل لها في أعمال الخطف السابقة والصدام مع مسافرين غير مسلحين » . وقد أشار

المعلقون الاسرائيليون الى أن السلطات الاسرائيلية لم تفاجأ بوقوع حادثة الخطف ذاتها، لكن الذي فاجأها هو خطف الطائرة الى مطار اللد بالذات ، وأن هذه العملية تدل على أن فتح بدأت هي الاخرى تسير على طريق المنظمات الفلسطينيـــة المتطرفة . ومثلت العملية مشكلة خطيرة بالنسبة لاسرائيل بدت مظاهرها مـــن خلال اهتمام المسؤولين الاسرائيليين وحضور عدد منهم الى المطار، وبقائهم هناك للاشراف على مجريات الامور. كذلك قررت الحكومة الاسرائيلية في الحال تفويض معالجة الوضع الى وزيري الدفاع والمواصلات ، دايان وبيرس ، وأعلنت ما يشبه حالة الطوارىء بين أعضائها ، فطلب من جميع الوزراء البقاء على اتصال دائم استعدادا للطوارىء . فقد وضع الفدائيون اسرائيل أمام خيارين كل منهما مشكلة بحد ذاته . فتدمير الطائرة بركابها ــ لو تم ذلك ــ يرتب على اسرائيل مسؤولية خطيرة يصعب تجنب وزرها . كما ان ذلك سيكون بمثابة الاعلان الصريح لكل قادم الى اسرائيل بأن سلامته ليست مضمونة ، وأن هناك اعتبارات اخرى بالنسبة لاسرائيل أهم من سلامة القادمين . أما الاختيار الآخر فكان يعني هزيمة معنوية لاسرائيل ، اذ سيكون ذلك بمثابة الاغراء لعمليات مشابهة . ولا تكمن الخطورة في احتمال تفريغ سجون اسرائيل من الفدائيين ، وانما في اضطرار اسرائيل للتفاوض مع الفلسطينيين والاعتراف الضمني بوجودهم كشعب وكحركة مسلحة مستقلة. وهذا الامر ترفضه اسرائيل بشدة ، اذ ربما كان ذلك بداية طرح جديد للمسألة مؤداه ان في الشرق الاوسط قضية خاصة بين اسرائيل وشعب فلسطين . وذلك يقلب الطرح الاسرائيلي ــ الصهيوني للمسألة ، والذي يقفز كليا عن هذه المشكلة ليقول ان أزمة الشرق الاوسط أو النزاع العربي ــ الاسرائيلي ناجمة عن عداء الدول العربية لاسرائيل . لذلك كان القرار الاسرائيلي منذ اللحظة الاولى **هو عدم الرضوخ** لطلبات الفدائيين ، بأي شكـــل ومهما كلف الثمن ، والقت مسؤولية العملية على الدول العربية . ولجأت الى المماطلة والخداع بأن أوهمت الفدائيين انها أطلقت سراح مئة فدائي سجين ، واستغلت الصليب الاحمر الدولي ، حتى تمكنت من انهاء العملية على النحو المعروف . وعكست بعض التعليقات الصحفية الموقف الاسرائيلي فعلقت هآرتس في افتتاحيتها يـــوم ٥/١٠ على الحادث بقولها : « ان عملية الخطف هذه التي انتهت بالتغلب السريع على المخربين ، كانت من النوع الذي لا يجوز معه اعطاؤهم جائزة عن طريق الاستجابة لطلباتهم . واذا كان ثمة مجال ، في الحالات الماضية ، لاتفاقية مبادلة ، فلم يكن ذلك جائزا هذه المرة ، لان قصدنا هو عدم تشجيع الارهابيين على الاستمرار في عملهم . ان ما ينطبق على مطار اللد لا ينطبق على مطار الجزائر أو الزرقاء مثلا . ولو حررنا ارهابيين محكومين من السجن ، استجابة لعمل القرصنة هذا الذي لا يوجد أوقح منه ، لما عاد باستطاعتنا ، في المستقبل الطلب من أية حكومة معارضة ابتزاز المخربين » . وعلقت معريف في اليوم ذاته (٥/١٠) تقول « ان هدف العملية الاسرائيلية بالاستيلاء علـــى الطائرة لم يكن انسانيا فقط (انقاذ ركاب الطائرة) وانما كان الهدف الجوهري هدفا عسكريا وسياسيا بالدرجة الاولى : بتر ذراع الارهاب على أرض اسرائيل ، والبرهنة علـــى ان خطف الطائرات ، المسافرة الى اسرائيل ، هو عملية خطرة لا تتم » . كذلك صرح دايان بعد العملية بقوله ان نجاح هذه العملية كان سيعني اعطاء العمل الفدائي تحركا كبـــيرا للانطلاق .

وحول مسؤولية الدول العربية أعلنت اسرائيل ان خاطفي الطائـــرات يتمتعون بتأييد الحكومات العربية وعلى الخصوص مصر والجزائر وسوريا ولبنان . واتهم السفـــير الاسرائيلي جوزف تكواع ، في رسالة بعث بها الى فالدهايم ، هذه الحكومات بالسماح بتمركز قواعد الفدائيين ومنظماتهم ، وان أعمال هذه المنظمات تنطلق من أراضي تلك الدول(٨). كذلـــك ذكر المراسل العسكري لصحيفة هآرتس في ٥/١٠ ان الحكومـــة الاسرائيلية قررت توجيه تحذير الى لبنان . وقالت الصحيفة ان تل أبيب تعتبر بيروت

مسؤولة عن جميع الاعمال الفدائية التي تقوم بها احدى المنظمات الفلسطينية المتطرفة التي لها قواعد في لبنان حتى لو وقعت هذه الاعمال خارج اسرائيل .

عملية اللد الثانية : جاءت هذه العملية قبل أن يمر وقت طويل على العملية الاولى . كانت اسرائيل لا تزال مزهوة « بانتصارها » على مجموعة الشهيد علي طه ، جاءت العملية الجديدة في ٣٠ ايار وعلى يد ثلاثة فدائيين يابانيين ينتمون الى الجبهة الشعبية، واشتركت معهم احدى الخلايا السرية العاملة في الارض المحتلة ، ونفـذت في مطار اللد ذاته وكانت حصيلتها مقتل ٢٦ شخصا واصابة ٨٧ بجـراح واعطاب طائرتين ، وإستشهاد اثنين من الفدائيين وأسر الثالث . وقد ولدت العملية حالة ذعر هستيرية في المطار وافقدت اسرائيل صوابها وتجلى ذلك في ردود فعلها الانفعالية العصبية . فهذه العملية تقلب الصورة بالنسبة لطرفي النزاع : الجماهير الفلسطينية واسرائيل . أصبحت اسرائيل الآن ملاحقة في عقر دارها ، والمقاومة لا زالت قادرة على الرد ، والرد الموجع. وحملت العملية أبعادا عميقة . فأعطت للمسألة بعدا أمميا تجسد بعلاقة الجبهة الشعبية ومنظمة الجيش الاحمر اليابانية التي قام عناصر منها بتنفيذ العملية. وأعطت انعكاسات عربية تأرجحت بين الاستحسان الشعبي والخوف الرسمي . كما طرحت العملية سؤالا كبيرا بالنسبة لاسرائيل : ماذا لو استمرت مثل هذه العمليات ؟ ان حركة المقاومة الان قد استطاعت لا أن تكسب المزيد من الاصدقاء فحسب ، ولكنها توسع الجبهة المستعدة لمقاتلة اسرائيل والموت في سبيل قضية الشعب الفلسطيني الذي يحارب ضد احدى جبهات الامبريالية ــ واسرائيل قد حاولت باستمرار ان تبعد هذه الصفة عنها . ومثل هذه العمليات تعطي مردودا معنويا قويا بالنسبة للجماهير الفلسطينية . وهي علـى الصعيد الاسرائيلي تعني عدة أمور : انها تصيب قلب اسرائيـل ، وتهزم بذلك سعي اسرائيل الدائم لغرس الطمأنينة في نفوس مواطنيها واقناعهم بأن عمل « المخربين » لا يستطيع ان يتخطى الحدود ، والجيش الاسرائيلي غير قادر هنا على تأمين الحماية ، كما يصعب على المؤسسة الاسرائيلية اخفاء أخبار هذه العمليات بتفاصيلها . وهي فوق ذلك تؤثر ماديا وبشكل مباشر على حركة السياحة والسفر الى اسرائيل ، وتغير صورة اسرائيل بنظر القادمين اليها ، ففيها التعرض للموت الاكيـد الآن وليس التجـول والاستمتاع بحرية . وعلى سبيل المثال نقلت احدى وكالات الانباء بعيد العملية ، عن احدى السائحات قولها حين سئلت ان كانت ستبقى في اسرائيل لمدة شهر فأجابت « هل تمزح ؟ انني راحلة من هنا بأسرع ما يمكن »(٩). وتأثرت السياحـة الاسرائيلية فعلا نتيجة للعملية . فقد نسبت صحيفة هآرتس في ١٦ حزيران الى جهات مسؤولة عن قطاع السياحة ان هناك انخفاضا في حركة السياحة الى اسرائيل ، وقالت انه وصلت الى بعض الفنادق اشعارات بالغاء الحجز الذي كان قد تم لشهري تموز وآب . وقالت دافار في ٢٦ حزيران انه « في اعقاب كارثة اللد انخفض عدد الشباب اليهود الذين سيحضرون الى معسكرات الصيف في اسرائيل بنسبة ٧ ــ ٨ بالمئة بالمقابلة بعدد المسجلين » . ولا يقل عن كل ذلك أهمية ان هذه العمليات المأساوية بما تتركه من انعكاسات على مستوى دولي ــ في ظل المحاصرة العربية للمقاومة ــ ربما أعادت مع الزمن المسألة الفلسطينية ــ الاسرائيلية الى وضعها الطبيعي : **هناك شعب فلسطيني ، وليس ارهابيون عرب ،** يرفض اسرائيل ويناضل من أجل تحرير وطنه المغتصب .

لهذا كله كان رد الفعل الاسرائيلي انفعاليا ومتوترا بشكل لم يسبق له مثيل ، وعكست ردود الفعل هذه قناعة اسرائيل بأن عدم الرضوخ لمطالب الفدائيين وعدم مفاوضتهم لم يعد كافيا ، بل يجب ان تتوقف هذه العمليات فهي خطيرة فعلا . ووسيلة ذلك : اثارة الرأي العام العالمي ضد « الارهاب العربي » ، وممارسة ضغوط اسرائيلية ودولية فعالة ضد الدول العربية ، وضرب رأس حركة المقاومة . فعلى صعيد دولي ، حاولت اسرائيل

منذ اليوم الاول للعملية اشعار كافة الدول وشركات الطيران بأن الامر يعنيها كما هو بالنسبة لاسرائيل تماما وان على هذه الدول وشركات الطيران ان تتخذ الاجراءات الكفيلة بوقف الارهاب . فذكرت وكالة رويتر في ٦/١ ان الدبلوماسيين الاسرائيليين قدموا مذكرات الى العواصم الاجنبية تتضمن : ١ — يجب منع تكرار مثل هذه الاعمال الفظيعة . ٢ — يجب ان يتحمل لبنان ومصر خاصة مسؤولية مثل هذه الاعمال . ٣ — يجب المحافظة على مراقبة دقيقة فيما يتعلق بنشاط العرب في العديد من البلدان . ٤ — يجب وضع مراقبة شديدة على مكاتب الجامعة العربية في البلدان الاجنبية لان كل طفل يعرف انها واجهة لنشاط الارهابيين . وفي الخطاب الذي القته جولدا مئير امام الكنيست في ٥/٣١ حول الحادث حاولت القاء المسؤولية على شركات الطيران الاجنبية فقالت : « اننا نتخذ الاحتياطات لحماية طائراتنا وهي آمنة فعلا اذ اننا اتخذنا كافة الاجراءات لحماية اي شخص يأتي الى اسرائيل او يغادرها على طائراتنا . ولكن ما لم تحذ البلدان الاخرى حذونا فسيظل الخطر قائما »(١٠). وحذا الون حذو مئير حين قال في اليوم ذاته « انا لا افهم لماذا تقف شركات الطيران الاجنبية غير مبالية بهذا الشكل تجاه المسألة » . وفي ٦/١ بعثت جمعية وكلاء السفر والسياحة الاسرائيلية برسائل الى جميع شركات الطيران التي تقوم برحلات الى اسرائيل اعلنت فيها انها ستحذر زبائنها من السفر مع اية شركة لا تتخذ الاحتياطات الضرورية . كذلك اعلن الاتحاد العام لنقابات العمال الاسرائيلية ان على العمال في جميع انحاء العالم وخاصة عمال النقل الجوي ان يندوا بالهجوم الذي وقع في اللد . وحث على ان تكون الخدمات التي تقدم للطائرات التي تقوم برحلات للدول العربية ومنها مشروطة بتنفيذ اجراءات امن مناسبة في جميع المطارات(١١). وتلقت شركة اير فرانس ، وهي الشركة التي سافر الفدائيون اليابانيون على احدى طائراتها ، تهديدات في فرنسا ، كما قام متظاهرون صهيونيون في نيويورك بمحاصرة مكاتب الشركة احتجاجا على عدم توفر اجراءات الامن من قبل الشركة(١٢). وفي ٦/٦ اعلنت جمعية الطيارين الاميركية انها ستقاطع كل بلد يمنح حق اللجوء لخاطفي الطائرات . من جهة اخرى ، كانت هذه التصريحات تخدم اسرائيل على الصعيد الذاتي في اقناع مواطنيها بكفاءة اجراءات الامن الاسرائيلية ، والقاء المسؤولية على شركات الطيران الاجنبية .

وفي الوقت ذاته تركزت التصريحات والتهديدات الاسرائيلية على الدول العربية ، وخاصة لبنان ومصر ، محملة اياها المسؤولية الاولى في العملية . ففي خطابها المذكور امام البرلمان قالت مئير « ليس سرا ان بيروت تقدم تسهيلات كاملة لمنظمات الارهاب التي تقيم مراكزها في وسط المدينة . فهناك يجري تخطيط العمليات ، ومن هناك ينطلق اصحابها الى الدول الاخرى ، ومن هناك تذاع انتصاراتهم . فهل يمكن للحكومات وشركات الطيران ان تقبل بذلك؟ » . وبعث جوزف تكواع رسالة الى رئيس مجلس الامن جاء فيها انه « على الرغم من الدعوات المتكررة التي وجهتها اسرائيل وطلبت بموجبها انهاء هذه النشاطات الاجرامية ، فان لبنان والدول العربية واصلت ايواء منظمات الارهاب في اراضيها وواصلت تأييد عملياتها . وترى اسرائيل ان عليها ان تصر على ان الحكومات العربية وعلى الاخص لبنان ، التي تواصل المنظمات الفدائية عملياتها من اراضيها وبرعايتها وبحرية تامة ، ان تضع فورا وبصورة فعالة حدا لهذه النشاطات الشنيعة »(١٣). وفي ٦/٥ وجه دايان في مقابلة اذاعية مع راديو العدو تحذيرا الى مصر ولبنان جاء فيه انه ليس اسهل من قيام اسرائيل بشل مواصلاتهما الجوية « اذا حاول اي منهما ان يشل خطوط مواصلاتنا بمساعدة من الارهابيين » . وفي اليوم التالي صرح شمعون بيرس ، وزير المواصلات ، بأن على الدول العربية ان تدرك امرين هما اما ان تكون كافة المطارات في الشرق الاوسط مفتوحة لاستقبال المسافرين او لن يكون هناك اي مطار مفتوح . وفي ٦/٥ انهى الكنيست مناقشاته حول الحادث واتخذ قرارا جاء فيه

ان «على الحكومات التي تعمل منظمات القتل والاغتيال تحت رعايتها ان تتحمل مسؤولية هذه الاعمال ، وان اسرائيل ستعمل ضد المنظمات والذين يقدمون لها المساعدات ، وذلك بدافع من حق اسرائيل بالدفاع عن نفسها وعن مواطنيها ، ولن تسلم بأي اساءة تلحق بحياه رعاياها ورعايا شعوب اخرى يجيئون اليها » .

وشنت الصحف الاسرائيلية حملة عنيفة ضد الدول العربية والمنظمات الفدائية وطالبت بضرورة الرد العنيف على عملية اللد . فكتبت صحيفة هآرتس في ٦/١ تقول ان الحكومة اللبنانية تحولت الى شريك للقتلة وان اسرائيل ستلاحق الفدائيين أينما وجدوا ولن تقبل أن تقوم حكومات مثل حكومة بيروت بايوائهم . وقالت جيروزاليم بوست في اليوم نفسه ان التساهل وعدم الاكتراث الذي أبدته بعض الحكومات وشركات الطيران أوهم الفدائيين بأنهم يتمتعون بتأييدها . وقالت سوف يتضح لجورج حبش في النهاية انه حتى بيروت ستضطر الى العمل ضد منظمته من اجل أن تحفظ مصالحها الخاصة .

أما بالنسبة للمقاومة فكانت ردود الفعل الاسرائيلية تتلخص بالمطالبة براس المقاومة ، وذلك على مستويين : التهديد العنيف للدول العربية وخاصة لبنان — حيث التواجد الرئيسي للمقاومة — بوجوب وضع حد لنشاط المقاومة، والا تعرضت للانتقام ، والاعداد لضرب المقاومة مباشرة وبأسلوب جديد . وبالنسبة للناحية الاولى ، رأينا نماذج من التهديدات الاسرائيلية والتي لم توجه الى لبنان وحده وانما شملت دولا اخرى خاصة مصر حيث أشارت الصحف المصرية في ٦/٣ بعناوين بارزة الى التهديدات الاسرائيلية . وفي ٦/٤ قال رئيس الاركان الاسرائيلي ، اليعازر ، « ان لبنان هو المتهم الاول في الحادث لكنه ليس المتهم الوحيد ، فالدول العربية الاخرى التي تشجع الارهابيين مشتركة في الجريمة ويجب محاسبة هذه الدول » . وكانت صحيفة الجيروزاليم بوست قد ذكرت في ٦/٣ ان اسرائيل وجهت انذارا الى لبنان عن طريق دولة غربية كبرى وحددت مهلة زمنية للانذار ، وان الانذار ذكر بالتحديد ان اسرائيل ستهاجم الطيران المدني اللبناني ومنشآته ان لم يضع لبنان حدا للعمل الفدائي . ثم كرر أبا ايبن أن لبنان مسؤول عن نشاطات حركة الفدائيين التي تعمل في كل أنحاء العالم لان مقر قيادات الفدائيين في لبنان . ولم تكتف اسرائيل باعلان لبنان عن وقف النشاط الاعلامي للجبهة الشعبية على أرضه. فأكدت الدوائر السياسية الاسرائيلية ان قرار الحكومة اللبنانية هذا لا يكفي وسيلة جادة لمعالجة المشكلة ، وان ما ينبغي عمله هو اعتبار المنظمات الفلسطينية خارجة على القانون ، واغلاق القواعد التي يتدرب فيها الفدائيون ، ومنعهم من استخدام الاراضي اللبنانية منطلقا لنشاطهم(١٤) .

وبالنسبة للناحية الثانية ، أي الرد المباشر على المقاومة ، كانت التهديدات الاسرائيلية وتعليقات الصحف واضحة . ففي خطابها أمام الكنيست قالت مئير « انا واثقة من ان اسرائيل ستجد علاجا وطريقة تضمن أن لا يتكرر مثل هذا العمل » . وفي ٦/٢ قال اسرائيل جاليلي ، أحد أقرب مستشاري مئير « لن يكون الرد الاسرائيلي متسرعا وتحت ضغط الرأي العام المطالب بسرعة الانتقام ، ولكنني أود أن أؤكد من جديد أن دم الضحايا لن يذهب هدرا وسنثأر له »(١٥) . وفي ٦/١٧ نسبت صحيفة المحرر اللبنانية الى أوساط صحفية مطلعة في باريس قولها ان الحكومة الاسرائيلية اتخذت قرارا سريا بتكليف أجهزة المخابرات تدبير عملية الرد على حادثة اللد والتخطيط لها . واستبعدت تلك الاوساط ان يقوم الجيش الاسرائيلي برد كلاسيكي وقالت أن أجهزة سرية تلقت مهمة اعداد خطة دقيقة مفاجئة قد تأخذ في الغالب الطابع التخريبي .

وبدأت الصحف الاسرائيلية تحرض على ملاحقة قادة المقاومة في أشخاصهم ، وتذكر أسماء ومعلومات عن هؤلاء القادة وخاصة بالنسبة للجبهة الشعبية . فكتب الدكتور الياهو بن — اليشر في هآرتس في ٦/١٢ عن النشاط العلني الذي يبديه قادة المقاومة

والمتحدثون باسمها في التنقل ومقابلة رجال الصحافة ، فقال : « يجب أن نسأل أنفسنا من أين يستمد أشخاص كجورج حبش وياسر عرفات وآخرين مثل هذا الشعور بالحصانة والامن . الا يوجد هنا حقا اخفاق اسرائيلي ؟ بدلا من الانصراف الى لوم انفسنا على الفشل في اللد ، أو الى تحديد مسؤولية الحكومات العربية التي لم يكن متوقعا أن تتخذ موقفا مغايرا للموقف الذي اتخذته ، من الاجدى أن نسأل انفسنا اذا كنا قد فعلنا حقا كل شيء من أجل المطالبة بثمن الدم الذي سفكه زعماء المخربين انفسهم، اولئك الزعماء الذين يسافرون من بلد الى بلد ويظهرون باستمرار في الاماكن العامة... والحقيقة ان جميع هؤلاء القادة والمتحدثين العرب لم يرتأوا النزول الى السرية لان اية جهة اسرائيلية لم تجبرهم على ذلك . وحتى الآن ، لم يتم افهامهم انهم قد يدفعون شخصيا ثمن الجرائم التي ينفذها مبعوثوهم ... » واشار الكاتب الى ان اسرائيل لجأت في السابق الى ملاحقات من هذا النوع (مصطفى حافظ ، حافظ اسماعيل ، العلماء الالمان في مصر) ليخلص الى ان اسرائيل لم ترفض ، بصورة مبدئية ، سياسة العنف الشخصي ضد مخططي القتل ومساعديهم . وقال « منذ مدة كتب جون بولوك ، في صحيفة صنداي تلغراف ، ان عملاء اسرائيليين حاولوا التعرض للدكتور وديع حداد ببازوكا وضعت مقابل مكتبه وسط بيروت . وحداد نفسه ، كما هو معروف ، هو الدماغ الذي يقف حتى هذا اليوم ، وراء معظم عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، بما في ذلك خطف الطائرات . كما انتشرت شائعات بأن ليلى خالد أنقذت بمعجزة من محاولة القتل . لهذا لا مكان للاعتقاد ان اسرائيل تنفر من استخدام الوسائل غير التقليدية » . وحرض الكاتب على القيام بمثل هذه الملاحقات في بيروت بالذات ، « فهي المدينة المفتوحة والعالمية حيث عشرات الآلاف من السياح الغربيين وآلاف الاجانب يسكنون فيها بصورة دائمة ... » . وكشف الكاتب عن ان « أصواتا كثيرة طالبت في الايام الاخيرة ، باقامة منظمة يهودية خاصة من المتطوعين ، لمحاربة المخربين في قواعدهم » لكنه عارض هذه الدعوة ودعا حكومة اسرائيل الى القيام بهذا العمل في اطار مؤسساتها .

وذكرت معريف في ٦/٦ ان أحد اعضاء الكنيست طالب اثناء الجلسة « بانزال عقوبة شديدة بما في ذلك الموت بالنازيين ومساعديهم بما فيهم الجبهة الشعبية التي يرئسها جورج حبش » . وفي ٦/٩ نشرت الصحيفة ذاتها مقالا بقلم أوري دان ، جاء فيه « ان جورج حبش هو الاب الروحاني للارهاب ، وصاحب النظرية المتطرفة الداعية للاجرام والتي انبثقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ويظهر ان نشاطه الان محدود بعد اصابته بمرض القلب ، ولكن ينوب عنه في الادارة مساعده وديع حداد وغيره مثل غسان كنفاني . كما ان هناك بعض الشخصيات المتطرفة مثل نايف حواتمه . وبالطبع من الصعب ايقاع العقوبة بكل شخص متطرف وكل مسؤول فلسطيني ، ولكن يمكن انزال العقوبة برؤساء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والذين يشكلون مثالا يقتدى به أمام الآخرين . ومنذ أربع سنوات وهؤلاء يسددون الضربات لاسرائيل دون أن تفعل شيئا ضدهم حيث اعتبرت ان مثل تلك التصرفات هي مشكلة عابرة ، بل والكثيرون سخروا بالفلسطينيين . لقد نجح الفلسطينيون بأن توغلوا في كل أنحاء العالم وهم يشكلون خطرا لاسرائيل في كل مكان بما في ذلك ارض اسرائيل » .

وجاء الرد الاسرائيلي على جنوب لبنان والمقاومة ليؤكد ان المطلوب هو رأس المقاومة وايقاف نشاطها في لبنان . بالنسبة للبنان جاء العدوان منفذا للتهديدات الاسرائيلية بان لبنان سيدفع الثمن غاليا ما لم يوقف نشاط الفدائيين على ارضه ، وتعمدت اسرائيل ضرب المدنيين اللبنانيين بهدف توليد ضغط شعبي ومبرر منطقي للحكومة اللبنانية لكي تأخذ الخطوة الحاسمة بايقاف العمل الفدائي. ففي ٢١ حزيران تعرضت حاصبيا لعدوان عنيف تركز على المدنيين واسفر عن اكثر من ٥٠ قتيلا و٧٥ جريحا بالاضافة للتدمير

الواسع الذي اصاب البلدة . وفي ٢٣ حزيران تعرضت عدة قرى في الجنوب لقصف المدفعية الاسرائيلية ، ثم اغارت الطائرات على دير العشاير وأدت الى مقتل حوالي ٤٠ شخصيا وتدمير عدد كبير من منازل البلدة . واتبعت اسرائيل ذلك بالتمركز في بعض المناطق موحية باستعداد اسرائيل لاحتلال الجنوب ما لم ينفذ لبنان المطلوب منه تجاه الفدائيين . فكتبت صحيفة يديعوت احرونوت في يوم العدوان تقول ان الرد المطلوب هو ان يقوم الجيش الاسرائيلي بعمليات فعالة لاعادة الهدوء الى « فتح لاند » ليس على طريقة اضرب وانسحب وانما عن طريق الضرب والبقاء في المنطقة. وعلقت عل همشمار على العدوان قائلة ليس المطلوب عقد اتفاق مع الفدائيين بل ابعادهم وطردهم من منطقة الحدود ، اذ بهذا فقط تصبح الحدود هادئة . وحذر اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، في ٦/٢٤ لبنان من عمليات اخرى داخل حدوده اذا لم يغير سياسته. وقال ان اسرائيل ستواصل اتخاذ كافة الخطوات اللازمة لتضمن الامن والهدوء على الحدود الشمالية . وبالفعل عقدت سلسلة من المحادثات السرية بين المقاومة والسلطات اللبنانية انتهت بالاعلان عن تجميد نشاط العمل الفدائي من لبنان . ولكن مع ذلك استمر تواجد القوات الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية . ففي ٧٢/٨/١٦ اذاع راديو العدو ان مراقبي الامم المتحدة على الحدود اللبنانية ــ الاسرائيلية ارسلوا تقارير الى مقر الامم المتحدة في نيويورك تشير الى تواجد القوات الاسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية ، وان المسؤول عن وفد لبنان في الامم المتحدة صرح للمراسلين بأن لبنان قد يطلب مساعدة مجلس الامن لسحب القوات الاسرائيلية من اراضيه(١٦).

بالنسبة للمقاومة لم ينحصر الرد الاسرائيلي في ضرب القواعد في جنوب لبنان ، وانما اتبعه بمسلسل ارهابي يستهدف زعماء المقاومة وذلك تنفيذا للتهديدات الاسرائيلية الصريحة بهذا الشأن . وقد اعلن في ٦/٢٧ ما يفيد ان الرد الاسرائيلي قد انتقل الى مرحلة الهجوم فقال ان التشديد في الفترة القادمة سيكون على ردع الفدائيين ومنعهم من القيام بنشاطاتهم من داخل الاراضي اللبنانية اكثر مما سيكون على التدابير الدفاعية داخل الاراضي الاسرائيلية(١٧).

وفي شهر تموز ٧٢ قامت اسرائيل بتنفيذ عدة عمليات ارهابية في مدينة بيروت استهدفت قادة حركة المقاومة وقادة الفكر والاعلام الفلسطينيين . ففي ٨ تموز وضعت متفجرة في سيارة المناضل الشهيد غسان كنفاني ، الناطق الرسمي بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورئيس تحرير مجلة الهدف ، ادت الى استشهاده مع ابنة شقيقته . وفي ١٧ تموز ارسل طرد متفجر الى « ابي الحسن » ، احد مسؤولي فتح ، وقد اكتشف الطرد وتم تفجيره . وفي ١٩ تموز انفجرت رسالة ملغومة بين يدي الدكتور انيس صايغ مدير عام مركز الابحاث ورئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية ، وادت الى اصابته بجراح . وفي ٢٠ تموز اكتشفت ثلاث رسائل ملغومة موجهة الى غسان كنفاني ، وشفيق الحوت ، مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت ، ومروان دجاني . وفي ٢٥ تموز ارسل لغم داخل كتاب الى بسام ابو شريف ، احد مسؤولي الجبهة الشعبية ، انفجر بين يديه واصابه بجراح ، وفي اليوم نفسه اكتشف طرد من النوع ذاته مرسل الى صلاح صلاح ، ممثل الجبهة الشعبية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. وكانت رسالة ملغومة قد انفجرت بنائب مدير بنك الريف ، مرسلة الى مسؤول فدائي لم يعرف اسمه ، بعد ان اعيدت الى عنوان البنك الذي استعمل اسمه للتضليل .

وقد تناولت الصحف الاسرائيلية هذه الحوادث بلهجة متشفية وكأنها تريد ان تقول ان هذا هو الرد الاسرائيلي المناسب على « الارهاب » ، وهذا هو الثمن الذي يجب ان يدفعه زعماء المقاومة . كذلك كانت هذه الصحف تورد معلومات دقيقة عن الاشخاص المستهدفين . فتعليقا على استشهاد غسان كنفاني كتب زئيف شيف مقالا في هاآرتس

بتاريخ ٧٢/٧/٩ ركز فيه على علاقة غسان « بجماعة السفاحين اليابانيين اعضاء الجيش الاحمر » ، وأضاف : « بحسب جميع الدلائل ، كانت له علاقة مباشرة بعملية تخطيط المذبحة في مطار اللد »، وقال شيف « ان المخربين سيفهمون موت كنفاني على انه انتقام لمجزرة اللد». ووصف كنفاني بأنه الرجل الثالث في الجبهة الشعبية بعد جورج حبش ووديع حداد ، وانه كان مكشوفا اكثر منهما بسبب مهمته كناطق باسم الجبهة ومحرر لمجلتها ، الهدف . وأوفدت هاآرتس أحد مراسليها الى عكا ونشرت معلومات عن غسان وعائلته قبل النزوح . وعلقت دافار على الحادث فقالت « ان موت كنفاني هو ثمرة نشاطه في حياته . أن التحريض على الارهاب وتبريره هو جزء لا يتجزأ من تدبيره وتنفيذه . ولجميع الذين يمارسونه المصير نفسه . ان العبرة غير محصورة بشخص واحد ، وقد تسري على جميع اولئك الذين يساعدون الارهاب ، ونهايتهم دفع الثمن بالعملة نفسها التي جعلوها هم انفسهم متداولة . . . ان هذا الامر لا ينطبق فقط على المخربين من القاعدة الذين يفقدون حياتهم ، وانما على الذين يرسلونهم ايضا ، والذين يظهرون بمظهر السياسيين والكتاب » . وعلقت معريف في ٧/١٠ مفسرة **الردع** الذي تكلم عنه دايان فقالت : « ان بيانات المخربين تربط مقتل كنفاني باسرائيل وتتهمها بهذه العملية . ان اسرائيل لا تنفي ذلك ولا تؤكده . لكن يكفي ان يعيش فلسطينيون من « الجبهة » وقد سيطر عليهم الشعور بان يد اسرائيل طويلة . ان هذا ينطوي على الردع . . . » « ينبغي ان يكون مقتل غسان كنفاني بالنسبة اليهما (جورج حبش ووديع حداد) انذارا صريحا . لكن لا يجوز ان يكون مقتل كنفاني عملا ينفذ مرة واحدة . . . وينبغي اليوم اكثر من أي وقت مضى ، ان يكون الزعماء الفلسطينيون مكشوفين للارهاب الشخصي . ان مقتل كنفاني يدل على ان الامر ممكن ، ولا ينطوي على صعوبات خاصة » .

وحول الطرد الذي ارسل الى « ابي الحسن » قالت دافار ان الشخص هو هاني الحسن احد رؤساء حركة فتح البارزين ، وهو الثاني من ثلاثة اخوة عاملين في حركة المخربين . وذكرت الصحيفة معلومات عن نشاطه منذ كان رئيسا لمنظمة الطلاب الفلسطينيين في المانيا الغربية . وتكلمت الصحيفة في العدد نفسه عن الدكتور انيس صايغ (في اليوم الثاني لاصابته) فقالت « انه يبلغ من العمر ٤١ عاما ، ينتمي لعائلة من طبريا ، عرف ان بعض افرادها قاموا هناك بأعمال معادية لاسرائيل . وقد ألف عدة كتب حول المشكلة الفلسطينية وكذلك كتب ضد الهاشميين ، وله عشرات المقالات ويعمل منذ عدة سنوات كرئيس لمركز الابحاث الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا المركز له أهميته من حيث المعلومات التي يصدرها بخصوص الصراع الاسرائيلي — العربي . كما ان انيس صايغ هو محرر المجلة الشهرية التي تصدر عن المركز باسم شؤون فلسطينية . هذا وله نشاطات متعددة لخدمة المخربين والجامعة العربية . وهو أخ الدكتور فايز صايغ والدكتور يوسف صايغ وكلاهما من الرجال البارزين في الميدان الفكري العربي بخصوص المشكلة الفلسطينية » . وكتبت معريف في ٧/٢٦ حول حادثة بسام ابو شريف فقالت ان الياباني الذي بقي حيا بعد عملية مطار اللد اعطى قائمة باسماء ستة من رجال الجبهة الشعبية ، واسم بسام شريف في رأس القائمة ، حيث افاد بأنه تعرف عليه في اليابان عندما كان بسام يشكل ضابط ارتباطات بين الجيش الاحمر والجبهة الشعبية » . وهكذا تطور رد الفعل الاسرائيلي من عدم الرضوخ الى مباشرة الهجوم واعتماد الارهاب الشخصي ضد قادة حركة المقاومة .

عملية ميونخ : لم يمض وقت طويل على عملية اللد حتى جاءت عملية ميونخ التي لم تقل عنها اثارة وأثرا . فبعد ثلاثة أشهر من عملية اللد ، وتحديدا في الخامس من ايلول قام ثمانية فدائيين من منظمة ايلول الاسود باقتحام مقر البعثة الاسرائيلية في مدينة الالعاب

الاولمبية في ميونخ بالمانيا الغربية ، واحتجزوا تسعة من اعضائها ، وقتلوا اثنين اثناء عملية الاقتحام . وحدد الفدائيون مطلبهم باطلاق سراح ٢٣٠ فدائيا اسيرا في المعتقلات الاسرائيلية، والا قتلوا الرهائن الاسرائيليين ورفضوا كل الاغراءات التي قدمتها حكومة المانيا الغربية . ثم طلبوا ، ازاء الرفض الاسرائيلي ، ان يتم نقلهم مع رهائنهم الى عاصمة عربية ، وفي هذه الاثناء كان قد تم اتفاق بين المانيا واسرائيل على اعداد كمين لاطلاق سراح الرهائن حتى ولو ادى ذلك الى مقتلهم ، وحضر مسؤول اسرائيلي كبير الى المطار العسكري القريب من ميونخ حيث أعد الكمين وأدى الاشتباك الى مقتل الرهائن الاسرائيليين واستشهاد خمسة من الفدائيين واعتقال ثلاثة منهم [افرج عنهم في عملية ميونخ الثانية عن طريق « منظمة الشبيبة القومية العربية لتحرير فلسطين »].

جاءت عملية ميونخ بعد ان قامت اسرائيل بتنفيذ عمليات ارهابية ضد قادة المقاومة ، وبعد ان عززت اجراءات الامن على مؤسساتها ، وكأن العملية أتت لتؤكد لاسرائيل امكان تحقيق الاحتمالات التي توقعتها لهذه العمليات ، اي زعزعة الطمأنينة في نفوس المواطنين الاسرائيليين ، وبروز الشخصية الفلسطينية ، وطرح السؤال الفلسطيني على صعيد دولي . كما انها أدت الى ازدياد حراجة الموقف الاسرائيلي بالنسبة للقادمين اليها والمسافرين على طائراتها ، فاذا كانت اسرائيل مستعدة للتضحية بأرواح مواطنيها فهل يمكن ان تحرص على سلامة الآخرين في حال تعرضهم للخطر ؟ كما جاءت العملية لتعزز حقيقة كون الفدائي الفلسطيني لا يهاب الموت . فقلبت بذلك التقديرات الاسرائيلية التي كانت تقوم على فرضية ان الفدائيين في النهاية يؤثرون النجاة على الموت.لذلك جاء رد الفعل الاسرائيلي اكثر انفعالا من الرد السابق،ومكملا لاطار ذلك الرد على الصعيد العملي دوليا وعربيا وتجاه المقاومة.فلم يعد مطلوبا مجرد استنكار دولي للارهاب وضغط على الدول العربية وانما اجراءات عملية . ولم يعد يكفي تهديد الدول العربية بضرب مصالحها ، بل لا بد من ضربها مباشرة ، وخاصة قواتها العسكرية . اما بالنسبة للمقاومة فلم يعد المطلوب رأسها فقط وانما جثتها كاملة أي انهاء وجودها .

عبر البيان الذي أصدرته حكومة اسرائيل في ٩/٦ ، اثر جلستها الطارئة ، حول حادث ميونخ ، عن الموقف الاسرائيلي بأبعاده الثلاثة ، وكشف عن مخطط اسرائيلي للعمل على هذه المستويات . فألقى البيان المسؤولية على كافة الدول ، واوضح ان ضربات اسرائيل لن تقتصر على منظمات المقاومة . جاء في البيان : « ان عملية كهذه تؤكد الهوية الاجرامية لمنظمات الارهاب العربية ، وتظهر الخطر الذي تمثله ليس على دولة اسرائيل ومواطنيها فحسب بل على سلامة كافة الشعوب ... وستستمر اسرائيل في حربها ضد منظمات الارهاب ولن تعفي من يساعد هذه المنظمات من تبعة عمليات الارهابيين ، وستطالب الحكومة حكومات العالم باتخاذ تدابير فعالة ضد خلايا وبعثات المنظمات الارهابية بغية وقف اعمالها وتدمير قواعدها »(١٨) .وجاءت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين بعد ذلك لتؤكد المخطط الاسرائيلي وتعلن ان اسرائيل قررت شن حرب ابادة على حركة المقاومة ليس في قواعدها ، وانما على امتداد الوجود الفلسطيني في العالم . ففي تأبين القتلى الاسرائيليين قال اسرائيل غاليلي ان الشعب اليهودي سينتقم لدماء ابنائه . وقال حاييم بارليف : « على العالم أجمع ان يستخلص من هذا العمل الاجرامي العبر والنتائج ، ونأمل ان تقوم الدول والشعوب المحبة للسلام باجتثاث هذا المرض من بين ظهرانيها . وواجبنا نحن ، ان نعمل في المجال الدولي لتحقيق هذه الغاية ، وأمتنا كأمة ودولة ترى لزاما علينا ان نحارب منظمات الارهاب هذه ونسحقها ونبيدها ونقضي عليها » . وقال شمعون بيرس « ان شعب اسرائيل لن يهدأ او يرتاح حتى يجتث الارهاب من جذوره ويقهر هذه المنظمات الهمجية »(١٩). وفي ٩/٨ عقد ابا ايبن ، وزير خارجية اسرائيل ، مؤتمرا صحفيا في تل ابيب أكد فيه الموقف الاسرائيلي واوضح ان لا تسوية سلمية بوجود

حركة المقاومة . قال ايبن ان اسرائيل « ترى مهمتها الاساسية الآن هـي محـاربة الارهابيين في اي مكان يتواجدون فيه وبكل ما أوتيت من قوة . . . انني لا افكر في هذه اللحظة بالسلام ، وانما بكيفية ازالة هذا الوباء من العالم » . ودعا حكومات العالم الى اتخاذ اجراءات عملية ضد « الارهاب »(٢٠). وفي ٩/١٦ اذاع راديو العدو مقابلة مع ابا ايبن حول نتائج الجهود الدبلوماسية الاسرائيلية على الصعيد الدولي جاء فيهـا قول ايبن : في محادثاتنا الثنائية مع دول العالم نحاول تحقيق ما يلي : « أن نضمن ان تنظر الدول المعنية لهذه القضية على انها قضية دولية تستلزم ضرورة تحملـها مسؤوليتها . وان نضمن ، ثانيا ، بان يحيطوا الارهاب العربي بجو عدائي والرغبة في استئصاله . ولقد بحثنا مع هذه الدول في وسائل استئصال الارهاب ، وقد تم احراز تقدم معين في الآونة الاخيرة » .

على صعيد دولي كان هناك « استنكار » رسمي شبه شامل للعملية ، ولكن في الوقت ذاته كان هناك تركيز واضح ، في التصريحات وحتى في الصحف اليمينية الكبرى ، على الارهاب والظلم الذي أحاق بالشعب الفلسطيني ، وان ذلك هو سبب هذا النوع من العمل . وكان أبرز المواقف المعادية ، موقف المانيا الغربية وموقف الولايات المتحدة . ولم ينحصر موقف حكومة المانيا الغربية بالتواطؤ مع اسرائيل في اعداد كمين المطار الذي انهى العملية بالشكل المعروف ، وانما امتد الى اتخاذ اجراءات معادية تجـاه الفلسطينيين والعرب عموما . وتمثل ذلك في عدم اعطاء تأشيرات دخول لعدد كبير من العرب ، ثم بأعلان حكومة المانيا اتحادي طلاب وعمال فلسطين منظمتين غير شرعيتين، وشنت الشرطة الالمانية في كافة المدن الالمانية ، حملة ارهابية ضد العرب والفلسطينيين بشكل خاص ، بحيث كانت تداهمهم حتى اثناء نومهم ، لتعتقلهم وتصـادر ممتلكاتهم وتبعدهم الى الخارج . وقد أبعد كثير منهم الى الاردن حيث تكون المعتقلات الاردنية بانتظارهم . أما الولايات المتحدة فقد أخذت المبادرة لتنظيم عملية قمع دولية ضد المقاومة. فبعث وزير خارجيتها بمذكرة الى كافة الدول التي لاميركا علاقات دبلوماسية معها ، أشار فيها الى انه ونيكسون على قناعة تامة بأن حكومات العالم تستطيع ، وهي ملزمة ايضا ، باتخاذ خطوات أكثر فعالية ضد «الارهابيين» ، واقترح ان توقع جميع الحكومات على اتفاقات دولية بشأن الاعمال التي تتم ضد الطيران المدني . وصادق مجلـس الشيوخ على مشروع قرار طالب الرئيس نيكسون بالنظر في تجميد المساعـدات الاقتصادية للدول التي تمنح المأوى « للارهابيين » . وتبنت الولايات المتحدة موضوع الارهاب في الامم المتحدة وقدمت مسودة ميثاق دولي لمنع الارهاب ومعاقبـة الذين ينفذونه . ولما فشلت بذلك حذرت من ان بعض الدول ستضطر الى اتخاذ اعمال مستقلة وان ذلك قد يلحق الضرر بالمواصلات والعلاقات الدولية .

على الصعيد غير الرسمي صبت التعليقات الاسرائيلية في اطار الموقف الرسمي كما تمثل بتصريحات المسؤولين وقرار الكنيست في جلسته الطارئة ، وخاصة بالنسبة للمقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، حيث عبرت هذه التعليقات عن يقظة الفكر الارهابي الصهيوني بتحريضها على توسيع الارهاب الشخصي ضد الفلسطينيين الى خـارج المنطقة ، والدعوة الى حرب ابادة شاملة ضد حركة شعب فلسطين النضالية . تناول زئيف شيف ، المعلق العسكري لصحيفة هاآرتس ، الموضوع في عدة مقالات في الصحيفة المذكورة . كتب في ٩/٨ يقول : « ان الحرب ضدهم ، الفدائيين ، يجب ان تدور دون رحمة ودون توقف يمكنانهم من استعادة قواهم . والسبيل الوحيد الذي يجب انتهاجه نحو هؤلاء السفاحين هو اسلوب الملك حسين بالذات ــ ابادة ومطاردة حتى النهاية ». وطالب بان تتناول الاعمال الارهابية الدول العربية ايضا ، فقال « كان من المعتقد حتى مقتل غسان كنفاني ان حياة زعمائهم محصنة جدا . ومن قتل كنفاني أثبت انه قادر على

عمليات ناجحة مع من اراد ذلك . ومن المهم ان نؤكد ان عنوان هذه الضربات ليس المخربين وحدهم ، فمنظمات المخربين تعتمد اليوم على الدول العربية اكثر من اي وقت مضى » . وفي مقال آخر (٧٢/٩/١٢) دعا شيف الى انتهاج اسلوب الارهاب الشخصي خارج المنطقة ، واشار الى اعمال اسرائيل السابقة في ارسال الطرود المتفجرة والى حادثة كنفاني ، وقال « فالارهاب الشخصي خارج حدود المنطقة لن يحل كل شيء ... لكن دون اسلوب الارهاب الشخصي ... نكون كأننا القينا ، بأيدينا سلاحنا جانبا » . وتحدثت معاريف في ٩/٦ حول الموضوع فقالت « الوقت غير مناسب لاجراء حسابات صغيرة مهما كانت أهميتها ، فحسابنا أكثر شمولا وعمقا ، انه حساب الدم مع المخربين ومرسليهم ، كما اننا لن نفعل مثلهم بل سننقل الميدان الى اماكن بعيدة ونضربهم في عقر دارهم ... لقد بدأت مرحلة جديدة ، ليست مرحلة استنكار او شجب ، ولا مرحلة مشاركة بالاسى والاسف من جانب شعوب العالم ، بل مرحلة القضاء على المخربين » . وقالت دافار : « ان الحرب الدفاعية هامة ولكنها ليست كافية ، وان التحول سيطرأ عندما تأخذ اسرائيل زمام المبادرة لتصفية المخربين في كل مكان يتواجدون فيه » . اما عل همشمار فقالت في ٩/١١ انه يتوجب على دول أوروبا الغربية ، التي يتجمع فيها المخربون ، العمل على قطع دابرهم من اراضيها . وربطت هآرتس في ٩/٢٤ بين الحل السلمي وتصفية المقاومة حين قالت « من الضروري ان نؤكد على تجميد كل جهد سياسي طالما لم تعلن الدول العربية عن رغبتها في انهاء الارهاب » . وأكدت صحيفة اومر ، في اليوم ذاته ، على اهمية تأييد الولايات المتحدة لموقف اسرائيل « والذي يقضي بعدم الدخول في أية مباحثات للوصول الى اتفاق طالما ظل الارهاب العربي قائما » . وفي ٩/٢٢ نقل راديو العدو تصريحا لدبلوماسي اسرائيلي لم يكشف هويته للصحفيين في واشنطن ، قال فيه « لن توافق اسرائيل على حل سياسي في الشرق الاوسط الى ان تتوقف عمليات المخربين ... وسنضرب هؤلاء في الشرق الاوسط وخارجه، ولن ننتظرهم حتى يضربوننا »(٢٢) .

من جهة اخرى ظهرت دعوات لفرض عقوبة الاعدام على الفدائيين . فطالب أمنون روبنشتاين ، عميد كلية الحقوق في جامعة تل ابيب ، والمعروف بآرائه الليبرالية في موضوع العلاقات بالعرب في اسرائيل والمناطق المحتلة ، طالب باصدار احكام اعدام ضد الفدائيين المعتقلين ، وقال : « ينبغي في نطاق محاربة الارهابيين ، اعادة النظر في مسألة فرض عقوبة الاعدام . لقد تحدد الموقف الرسمي ضد عقوبة الاعدام — الذي أيده كاتب هذه الاسطر — خلال ايام كنا نمارس فيها حربا صغيرة ضد جماعات من المخربين كانت تعبر نهر الاردن . في اطار هذه الحرب لم يكن هناك سبب وفائدة من فرض عقوبة الاعدام ... ولكن تغيرت الظروف اليوم تغيرا تاما ... »(٢٣) . وشكلت اسرائيل لجنة لبحث قضية فرض عقوبة الاعدام على الفدائيين ، وأكد ذلك يعقوب شابيرا ، وزير العدل الاسرائيلي ، الذي أكد في حديث اذاعي يوم ٧٢/١٠/١٠ وجود مثل هذه اللجنة ونفى الاخبار التي انكرت وجودها . ومما قاله شابيرا ان اكثرية اعضاء اللجنة رأت ان لا مبرر لتغيير الوضع القائم ، لانه اذا ما فرضت تلك العقوبة فسيكون وقعها سيئا على عرب المناطق ، وانها لن تؤدي الى تقليص اعمال الارهاب »(٢٤) .

وعلى الصعيد الخارجي اخذت المنظمات الصهيونية الارهابية تمارس نشاطا مماثلا لما كانت تقوم به قبل ١٩٤٨ . ففي ٧٢/٩/١٩ اعلن اعضاء رابطة الدفاع اليهودية في تل أبيب عن عزمهم على انشاء منظمة يهودية « مضادة للارهاب » ، ودعوا يهود العالم للاتصال بهم لهذا الغرض . وأعلن اعضاء الرابطة في مؤتمر صحفي بأن أحد رفاقهم قد اعتقل قبل اسبوع بتهمة محاولة ارسال صندوق اسلحة وذخيرة الى اعضاء الرابطة في الولايات المتحدة ، وان الهدف من ارسال الاسلحة هو استخدامها في ضرب السفارات

العربية ومكاتب « الارهابيين » في الولايات المتحدة واوروبا(٢٥). ومن المعروف انه جرى في تلك الآونة اعتقال زعيم رابطة الدفاع اليهودية الحاخام كهانا وبعض زعمائها مثل عميحاوي باجلين ويوسف شنايدر بتهمة تهريب اسلحة الى خارج اسرائيل ، ثم افرج عنهم ، واجرت الاذاعة الاسرائيلية حديثا مع كهانا قال فيه « لقد حان الوقت لان تعلم دولة اسرائيل انها تمثل جميع الشعب اليهودي ، وعليها ان تدافع عن جميع اليهود حيث كانوا »(٢٦). وفي ١٠/٤ أعلنت حركة مسادة انها المسؤولة عن نسف المكتبة الفلسطينية في باريس قبل يوم واحد . كذلك ذكرت هآرتس في ١٠/٨ ان جماعة صغيرة من الفتيان اليهود الذين ينتمون الى جبهة الطلبة اليهود الغربية من « بيتار » (منظمة الشبيبة التابعة لحركة حيروت) ، تقوم بعمليات ملاحقة وأعمال تجسس في اوساط كبار المتعاطفين مع حركة فتح في القنصليات العربية ، ووفود الدول العربية في الامم المتحدة . وكشفت هآرتس ان موشيه عميرام ، رئيس فرع بيتار في نيويورك ورئيس منظمة الطلبة الاسرائيليين في الولايات المتحدة ، يرئس مكتبا ميزانيته ١٢ الف دولار سنويا يقدمها قسم الشبيبة في الوكالة اليهودية .

الرد الاسرائيلي : جاء الرد الاسرائيلي سريعا ولا زال مستمرا ، خاصة على الجبهة السورية ، فهي حرب دائمة كما أعلنت اسرائيل الى ان يتم ايقاف حركة المقاومة على الارض العربية . وجاء الرد ينفذ التهديدات الاسرائيلية ، اي توجيه ضربات مباشرة الى الدول العربية وتحديدا سوريا ولبنان ، وضد المقاومة بمختلف الاساليب . على الصعيد **العربي** كان التهديد الاسرائيلي واضحا من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين وتعليقات الصحف ، والذي لخصه قرار الكنيست في الجلسة الطارئة يوم ٩/١٢ اذ جاء في القرار « ان اسرائيل ستعمل بصورة متواصلة ضد منظمات الارهاب وقواعدها والذين يقدمون لها المساعدة حتى يتم وضع حد لعملياتهم » . واستهدف الرد الاسرائيلي هذه المرة ضرب القوات العسكرية العربية ، والمدنيين العرب — لا مجرد انتهاك الحدود لضرب قواعد الفدائيين — بهدف ارغام الدول العربية على منع العمل الفدائي تفاديا لاستمرار الضربات الاسرائيلية المباشرة . وقد نجح العدو الاسرائيلي في لبنان ، بعد العدوان الاسرائيلي الواسع على القطاع الاوسط في جنوب لبنان ، حيث نشبت أزمة قوية بين المقاومة والسلطات اللبنانية انتهت بالاتفاق على استمرار تجميد النشاط الفدائي ، وخروج الفدائيين من المدن والقرى اللبنانية(٢٧). أما على الجبهة السورية فلا زال العدوان مستمرا حيث تقوم اسرائيل ، ردا على عملية فدائية في منطقة الجولان المحتلة ، بالاغارة على مواقع القوات السورية ، وعلى القرى السورية ، وتتوغل الطائرات الاسرائيلية احيانا الى العمق السوري حتى اللاذقية لتضرب قواعد عسكرية سورية . وبالمقابل اعلنت سوريا مرارا وعلى لسان رئيسها ، انها لن تتوقف عن دعم حركة المقاومة . وتقوم بالتصدي ، **وحيدة** ، في الجو والبر للقوات الاسرائيلية ، وتوجه ضربات نارية كثيفة الى القوات والمستوطنات الاسرائيلية في منطقة الجولان ، ردا على الاعتداءات الاسرائيلية وضرب المدنيين .

بعد عملية ميونيخ بثلاثة أيام ، اي في ٨ أيلول ، شنت اسرائيل سلسلة من الغارات الجوية الوحشية على سوريا ولبنان ، استهدفت المدنيين بالدرجة الاولى . ففي لبنان ضربت الطائرات الاسرائيلية مخيم نهر البارد وقرية الرفيد وراشيا الوادي ، وادت الى مقتل نحو ٢٠ شخصا وجرح نحو ٤٠ ، معظمهم من الاطفال والنساء. وفي سوريا أغارت الطائرات على عدة مناطق في الساحل الشمالي ومنطقة دمشق والسويداء ومخيم للاجئين السوريين في سحم الجولان . وأسفرت هذه الغارات عن مقتل اكثر من ٢٠٠ شخص وجرح عدد مماثل . في اليوم التالي ردت سوريا بضرب المواقع العسكرية الاسرائيلية ، تلا ذلك اشتباكات جوية خسرت فيها سوريا ثلاث طائرات ، وأسقطت لاسرائيل ثلاث

طائرات ايضا . وفي ٩/١٦ ، اي بعد مضي أسبوع على العدوان الاول ، قامت اسرائيل بهجوم واسع على جنوب لبنان حيث توغلت القوات الاسرائيلية حوالي ٢٠ كلم في الاراضي اللبنانية ، ووصلت الى مشارف صور . وقصفت الطائرات الاسرائيلية مواقع الجيش اللبناني بالاضافة الى الاشتباكات البرية بين الجانبين . كانت خسارة لبنان كبيرة اذ فقد ١٨ شهيدا و٤٦ جريحا من العسكريين ، و٨٠ شهيدا من المدنيين عدا الخسائر في المعدات والممتلكات . وخسرت المقاومة ٢٠ شهيدا . وعكست التعليقات الاسرائيلية بأن المقصود من ذلك دفع لبنان لايقاف العمل الفدائي كليا على أرضه . فقالت جيروزاليم بوست في ٩/١٩ : ان الهدوء سيخيم على المنطقة فقط عندما يقوم لبنان بايقاف عمليات « المخربين » من اراضيه . وقالت صحيفة الانباء ان لبنان يجب ان يلوم نفسه فقط لان الاتفاق الذي وقعه في القاهرة مع منظمات « التخريب » قد أنزل الحكومة الى مستوى هذه المنظمات.وأوضح المعلق السياسي في الاذاعة العبرية مطلب اسرائيل، حين رد في ١٠/٤ على تصريحات رئيس الحكومة اللبنانية بأن « الفلسطينيين فعلوا كل ما هو مطلوب لعدم اعطاء اسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » ، وقال المعلق : « ان موضوع الامن على الحدود لا ينتهي بمجرد ان يستجيب المخربون لطلب الحكومة ولا يدخلوا القرى . ان مجرد وجود المخربين خطر على أمن الحدود »(٢٨).

اما بالنسبة لسوريا ، فقد ذكرنا أن العدوان الذي بدأ عقب عملية ميونيخ يعتبر انه لا زال مستمرا وأصبح توقع حدوثه ممكنا . ففي كل مرة تعلن اسرائيل عن اكتشاف لغم في الجولان المحتل او عن تعرض قواتها لهجوم فدائي،تتبع ذلك بهجوم على المواقع السورية. وأصبح مألوفا ايضا ان ترد سوريا سريعا على كل اعتداء . وكان من أبرز الاشتباكات الاسرائيلية السورية يوم ١٠/٣٠، اي في اليوم التالي لاختطاف طائرة لوفتهانزا واطلاق سراح فدائيي ميونيخ ، قامت الطائرات الاسرائيلية بضرب أربع قواعد فدائية في منطقة دمشق.ردت القوات السورية عند الظهر بقصف القوات الاسرائيلية في الجولان، ثم عادت الطائرات الاسرائيلية بعد الظهر وضربت معسكرا للجيش السوري في تل كلخ . وعقد اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي مؤتمرا صحفيا في ١٠/٣١ قال فيه « ان هناك دلائل تثبت ان السوريين ينوون الاستمرار في السماح للمخربين في البقاء في الاراضي السورية والعمل من هناك . وهذه نية لا نحتملها »(٢٩). وعلقت هآرتس بقولها : ليس في نية اسرائيل توسيع الحرب لكنها ستواصل العمل ضد المخربين والذين يقفون وراءهم . في ١١/١١ أعلن قائد القوات الاسرائيلية في منطقة الشمال ان الجيش الاسرائيلي تبنى سياسة جديدة تقضي بمهاجمة قواعد الجيش السوري وليس مخابىء الفدائيين العرب. وفي ١١/٢١ جرت اشتباكات اسرائيلية ــ سورية عنيفة في البر والجو استمرت اكثر من عشر ساعات . وقد أوقعت سوريا خسائر بشرية ومادية كبيرة في المستوطنات الاسرائيلية ، باعتراف اليعازر ، اضافة للخسائر العسكرية ، اذ اطلقت القوات السورية في ذلك اليوم اكثر من ألفي قذيفة(٣٠). وفي الايام الاولى من العام الجديد وقع اشتباكان ، الاول كان اشتباكا جويا في ٢ ك٢ ، امتد الى الاجواء اللبنانية ، وحدث الثاني في ٨ ك ٢ في البر والجو واستمر حتى المساء وتوغلت الطائرات الاسرائيلية حتى اللاذقية حيث ضربت موقعا للجيش السوري هناك . أعلنت سوريا انها خسرت ٣ طائرات وأسقطت للعدو أربع . وعقد ضابط اسرائيلي كبير مؤتمرا صحفيا قال فيه ان هدف العمليات هو اقناع السوريين باحترام وقف اطلاق النار والتزام الهدوء . وقالت دمشق عبر الاذاعة ان التأييد العربي المعنوي لا يكفي ، فالسكوت يعطي العدو فرصة لقفزة توسعية جديدة(٣١).

اما بالنسبة **للمقاومة** فكان الرد الاسرائيلي اعلان حرب شاملة تمثلت بضرب القواعد والمخيمات (نهر البارد والنبطية) وتوسيع نطاق الارهاب الشخصي على اعتبار ان

ضرب القواعد وحدها لا يكفي لاخماد حركة المقاومة بشكل كلي وهو هدف اسرائيل الواضح كما عبر عنه اليعازر في ١٠/٢٥ اذ قال ان حرب اسرائيل لم تنته ، وانه طالما هناك قواعد « للمخربين » فانه ينبغي علينا المبادرة بشن حرب هجومية شاملة . وبعد العدوان الكبير على لبنان كتبت يديعوت احرونوت في ٩/٢٤ تقول هل ستكتفي اسرائيل بعملية محدودة في لبنان ، والم يحن الوقت بعد لضرب كل المكاتب واجهزة البحث التابعة لمراكز الارهاب المختفية في بيروت . لكن اسرائيل حرصت في هذا الجانب من نشاطها ، ان تحيطه بالسرية الكاملة وتلجأ الى أساليب الخداع . فبعد عملية ميونيخ قتل موظف في السفارة الاسرائيلية في بلجيكا تبين فيما بعد ان الذي قتله كان يعمل لحساب المخابرات الاسرائيلية . وفي أعقاب العملية بدأت رسائل ملغومة تصل الى السفارات الاسرائيلية في مختلف دول العالم والى داخل اسرائيل نفسها ، واستمرت حملة الرسائل هذه حوالي شهرين ، ولكنها جميعها اكتشفت قبل وصولها الى اصحابها ، باستثناء رسالة انفجرت يوم ٩/١٩ في احد موظفي السفارة الاسرائيلية في لندن وأدت الى مقتله . أما الرسائل التي وجهت الى عناصر فلسطينية فلم يكتشف معظمها وانفجرت بمن ارسلت اليهم ، خاصة في أوروبا . لجأت اسرائيل في عمليات الارهاب الشخصي الى السرية من جهة والى توكيل المهمة الى الاجهزة الاسرائيلية نفسها ورفضت باصرار ان تقوم منظمات صهيونية بهذا العمل ، لما في ذلك من احراج دولي تريد اسرائيل أن تتجنب مأزق الدخول فيه . ففي ٩/٢٩ اجرت اذاعة العدو مقابلة مع الجنرال حاييم هرتسوغ ، رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق ، حول أساليب مواجهة « الارهاب » الفلسطيني . أكد هرتسوغ ان هذا الموضوع يجب أن يكون بعيدا عن النقاش العلني ، وان لا يناقش أيضا في جلسات الحكومة . واعتبر هرتسوغ ان قيام منظمات صهيونية بتنفيذ الارهاب الاسرائيلي بمثابة « كارثة قومية » . واتفق هرتسوغ بذلك مع رئيس المخابرات الاسرائيلية في حديثه للاذاعة يوم ٩/٢٧ والذي تكلم فيه عن أساليب أخرى لمحاربة « الارهاب » غير العمليات العسكرية ضد القواعد الفدائية . وبالطبع لم يذكر هذه الاساليب بل رد على المذيع حين سأله عن ذلك بقوله « هل تنتظر مني أن أجيبك على هذا السؤال ؟ »(٣٢). وعلى الصعيد التنفيذي وقعت عدة حوادث ، وبوسائل مختلفة ، لعناصر فلسطينية ، كما فشلت عدة محاولات أخرى . ففي ١٠/١٦ اغتيل المناضل وائل زعيتر في روما . في ١٠/٢٤ اكتشفت في القاهرة رسالة ملغومة موجهة الى الاخ فاروق القدومي . في ١٠/٢٥ انفجرت رسالة ملغومة في الاخ ابو خليل مسؤول منظمة التحرير في الجزائر . وفي اليوم نفسه انفجرت رسالة بين يدي مصطفى زيد ، موظف في مكتب منظمة التحرير في ليبيا . في ١٠/٢٦ اكتشفت ٣ رسائل في القاهرة انفجرت احداها بضابط مصري كان يحاول ابطال مفعولها . وفي ١٠/٢٨ اكتشف حارس بناية في بيروت رسالة ملغومة موجهة الى شاب فلسطيني يقيم في البناية . وفي ١١/٢٩ انفجرت رسالة بالسيد عدنان حماد داخل منزله . وفي اليوم ذاته انفجرت رسالة في ستوكهولم بعمر صوفان ، وانفجر طرد في مكتب البريد في تونس أصاب ٣ موظفين بجراح . وفي اليوم التالي انفجرت في كوبنهاجن رسالة بالسيد احمد عوض الله . وفي ١٢/٨ وقع انفجار في منزل محمود الهمشري ، ممثل منظمة التحرير في باريس اصابه بجراح خطيرة ، ما لبث ان فارق الحياة على اثرها بعد حوالي شهر .

النتائج : لقد أكدت العمليات الخارجية التي قامت بها حركة المقاومة ضد اسرائيل عام ٧٢ وقبله ، عدة نتائج بالنسبة للمقاومة والجماهير الفلسطينية ، وبالنسبة لاسرائيل ذاتها . فهذه العمليات شديدة الاثر على اسرائيل ومن النوع الذي لا يمكن أن تتحمل السكوت عليه . ذلك ان هذه العمليات تشكل لاسرائيل ، داخليا وخارجيا ، اشكالات عدة . ولذا تطورت ردود الفعل بسرعة تجاه هذه العمليات في عام ٧٢ ، وانتقلت ردود الفعل من عدم الاعتراف بحركة المقاومة وعدم الرضوخ لمطالبها الى شن حرب ابادة

شاملة ومستمرة ، واشترطت صراحة تصفية المقاومة عربيا كمقدمة للتسوية السلمية ومن انتهاك الحدود العربية لضرب قواعد المقاومة الى ضرب هـذه الدول مباشرة . وشنت حملة ارهاب شخصية تطورت من محاولة تصفية قادة المقاومة في بيروت الى محاولة تصفية كافة العناصر البارزة في العمل الوطني الفلسطيني ، على امتداد الساحة العالمية . وها هي تتفرغ بصورة متواصلة للاعتداء على سـوريا وضرب مواقعهـا العسكرية والمدنية . وكشفت عمليات اسرائيل انها تعرف عنا ما لا يجب ان تعرفه .

ولقد ردت حركة المقاومة على عمليات اسرائيل ، وبشكل موجع ، حين كانت اسرائيل تعلن انها وجهت ضربة قاسية للمقاومة . كما ان ردود الفعل الاسرائيلية قـد أكدت بالملموس ابعاد المعركة التي كانت جماهيرنا تعرفها منذ وقت طويل . فجماهيرنا تدرك ان حربنا مع اسرائيل هي بالفعل حرب ابادة بكل معانيها . وجماهيرنا اندفعت للقتال وهي تعي ذلك ولكنها لا تخشاه . ورغم ان اسرائيل قد وسعت حربها الارهابية الا انها تخاف امتداد مثل هذه المواجهة وتوسعها لانها ليست في صالحها . فنحن شعب لا يملك ما يخسره غير بؤسه وقيوده ، أما هم فعندهم كل شيء يخسرونه . ان دخول العدو في حرب ارهابية طويلة ، سيفضح بديهيات وجوده المزيفة ، ويجلـو صورة المأسـاة الفلسطينية المشوهة ، ويعيد الصراع العربي ــ الاسرائيلي الى اساسه : دولة عنصرية قامت على الارهاب والتوسع من جهة ، وشعب يريد حريته وارضه في الجهة المقابلة.

---

١ ــ راجع ابراهيم العابد ، **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، منشورات مركز الابحاث ، ١٩٧١ ، الفصل الاخير .
٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .
٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٧ .
٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٨ ــ ١١١ .
٥ ــ صحيفة **هآرتس** الاسرائيلية ، ١٩٧٠/٩/١٤
٦ ــ صحيفة **عل همشمار** ، ٧٠/٩/٧ .
٧ ــ صحيفة **معريف** ، ٧٠/٩/٩ .
٨ ــ صحيفة **النهار** اللبنانية ٧٢/٥/١٢ .
٩ ــ صحيفة **البناء** اللبنانية ، ٧٢/٦/٣ .
١٠ ــ صحيفة **نيويورك تايمز** ، ٧٢/٦/١ .
١١ ــ صحيفة **الانوار** اللبنانية ، ٧٢/٦/٢ .
١٢ ــ **المصدر نفسه** .
١٣ ــ صحيفة **الحياة** اللبنانية ، ٧٢/٦/١ .
١٤ ــ صحيفة **الاهرام** القاهرية ، ٧٢/٦/٦ .
١٥ ــ صحيفة **لندن تايمز** ، ٧٢/٦/٣ .
١٦ ــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » اليومية ، مركز الابحاث الفلسطينية .
١٧ ــ **المصدر السابق** .
١٨ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٦ .
١٩ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٧ .
٢٠ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٨ .
٢١ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/١١ .
٢٢ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .
٢٣ ــ **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، عدد ١٨ ، ١٦ ايلول ١٩٧٢ ، ص ٥٤١ .
٢٤ ــ **رصد اذاعة اسرائيل** ، ١٩٧٢/١٠/١٠ .
٢٥ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .
٢٦ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/١٠/٦ .
٢٧ ــ راجع **شؤون فلسطينية** ، عـدد ١٥ ، شهريات المقاومة ، ص ٢١٧ ــ ٢١٩ .
٢٨ ــ **رصد اذاعة اسرائيل** ، ١٩٧٢/١٠/٤ .
٢٩ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/١٠/٣١ .
٣٠ ــ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/١١/٢٢ .
٣١ ــ صحيفة **النهار** ، ١٩٧٣/١/٩ .
٣٢ ــ صحيفة **النهار** ، ١٩٧٢/٩/٢٧ .

تحليل اجتماعي للتكييف الايديولوجي بواسطة وسائل الاعلام *

ج ـ مون كراو
ابن الاشقر

يعالج هذا التحليل النصوص التي نشرتها بعض الصحف الفرنسية والبلجيكية بصدد الاحداث التي وقعت اثناء الالعاب الاولمبية في ميونيخ في أيلول ١٩٧٢ . لقد كان هذا البحث ثمرة جهد جماعي مشترك وقد ارتكز على الصحف السياسية التالية : في بلجيكا : لا سيتي (٨ أيلول) لوسوار (٨ أيلول) لا ليبر بلجيك (١١ أيلول) . في فرنسا : لوموند (١٠ ، ١١ أيلول) لو فيغارو (٧ أيلول) ، لورور (٦ ، ٩ ، ١٠ أيلول) لا نوفيل ريبيبليك (٧ أيلول) ليكيب (٧ أيلول) لو كورييه دو لويست (٦ أيلول) باري ماتش (١٦ أيلول) . كما تمت مراجعة الصحيفة اليومية الاميركية التي تصدر في باريس : الهيرالد تريبيون .

لقد بدا لنا من المناسب ، ازاء اجماع هذه الصحف على استعمال التعابير نفسها لادانة عمل الفدائيين الفلسطينيين ، أن نشير الى مصادرنا بشكل مجمل ودون تسمية كل مصدر باسمه حتى لا يكون النص مثقلا بالاشارات والمراجع . ذلك ان صحيفة اللوموند كانت الوحيدة التي عبرت عن آراء أكثر اعتدالا . أما بالنسبة الى الصحف الاخرى فمن المؤكد انها لم تستعمل جميعها كل التعابير والاحكام التي استشهدنا بها ، الا انه من الواضح أن الصحافة الغربية في معظمها وقفت بقوة ضد الفلسطينيين كما لم تفعل ذلك الا نادرا في حالات أخرى من هذا النوع .

« هل تتمكن العاب العصور الحديثة ، هذه الالعاب التي نكبت بهذه المأساة وتلوثت بالدم من البقاء والاستمرار مع العلم بأن الالعاب القديمة كانت قد انقرضت بعد انحطاط طويل عندما تم القبول بمشاركة البرابرة فيها بعد أن كانت في الاساس من امتياز الهيلينيين الانقياء ؟ »

(لو كورييه دو لويست ـ ٦ أيلول ١٩٧٢)

١ ـ شيء من علم اجتماع الايديولوجية :

ان الصحافة المكتوبة أو الناطقة ، مثلها في ذلك مثل المدرسة والاحزاب السياسية ونقابات العمال او ارباب العمل والكنيسة والمؤسسات القضائية الخ . . . يمكن أن **تحلل** بصفتها جهازا ايديولوجيا وذلك لانها تنتج كلاما عن النظام الاجتماعي . اذن ، لكي

* قدمت هذه الدراسة التحليلية لردود فعل وسائل الاعلام الغربية تجاه حادث ميونيخ الى الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من اجل فلسطين التي انعقدت في كنتربري (انكلترا) بتاريخ ١١ ـ ١٦ أيلول ١٩٧٢ وسوف تنشر قريبا في كتاب يضم كل وثائق الندوة العالمية .

ندرك تماما تأثير الصحافة ، علينا أن نحلل كلامها بصفته نتاجا ايديولوجيا . ان علم اجتماع الايديولوجية الذي اتى به ماركس وانجلز في « الايديولوجية الالمانية » يقدم لنا ادوات تحليل ، ما زالت حتى الآن جنينية . ونجد هذه الادوات كذلك عند مفكرين كلويس التوسير وانور عبدالملك وفيدال وبولنتزاس(١) .

لنبدأ أولا بتحديد موجز للايديولوجية وصياغة بعض الملاحظات النظرية الاساسية حول هذا الموضوع . « ان الايديولوجية السائدة هي الاطار البنيوي ــ الفوقي ــ الافكار ، النظريات ، الاساطير ، المعتقدات ــ الذي يبرر ، على صعيد البنية الفوقية الظاهرة والضمنية ، عقلانيا وشعوريا ، النظام السياسي ــ الاجتماعي أي انه يبرر نمط أو طريقة ابقاء تشكيلة أو مجموعة تشكيلات اجتماعية اقتصادية وطنية بشكل دائم في مجتمع ما في مرحلة معينة من تطوره التاريخي » (انور عبد الملك ، **الجدلية الاجتماعية** ، ص ٢٤) . وهذا ما يدفعنا الــى التأكيد على بعض الافكار :

أ ــ ان كل ايديولوجية هي تتابع : فهي ليســت بنظام تيم سابقة الوجود بالنسبة الى النظام الاجتماعي الذي يكون والحــالة هذه قائما عليها بل أنها على العكس من ذلــك تتابع هذا النظام الاجتماعي وهذا التتابع يتغير بتغير النظام . فنحن لا نبني مثلا نظاما اجتماعيا باحتراف مبادىء الديمقراطية مثلا بل اننا ننتج نظام القيم المسمى بالديمقراطية لتبرير نظام اجتماعي قائم ولاضفاء الشرعية بممارسات اقتصادية وسياسية محددة . الا ان النتيجة الاولى التي تعطيها الايديولوجية هي انها توهمنا بالعكس فتجعلنا نعتقد ان النظام الاجتماعي هو نتاجها وان القيم هي التي تملي او تفرض الممارسات .

ب ــ الايديولوجية السائدة هي من تتابع الاجهزة الايديولوجية (العائلة ، المدرسة ، الكنيسة ، وسائل الاعلام الخ ..) التي تقيمها طبقة مسيطــرة لتبرر ممارساتهــا الاقتصادية والسياسية ولتحافظ على النظام الاجتماعي الذي تفرضه . ذلك أنه ليس هناك الا طريقتين للابقاء والمحافظة على الاستغلال الاقتصادي الذي تمارسه طبقة ضد اخرى : الطريقة الاولى ذات طبيعة سياسية وهي القوة والقمع والعنف القانوني التي تحولت الى مؤسسات من خلال الاجهزة السياسية . أما الطريقة الثانية فتتلخص في جعل المستغلين لا يدركون انهم مستغلون فيجدون ان المكان الذي يحتلونه في العلاقات الاجتماعية هو مكانهم الطبيعي والعادي والمقبول : وهذا ما يسمى بالايديولوجية .

ج ــ تنتج الايديولوجية السائدة ثلاثة تأثيرات : ١ ــ تأثير من جهة **المعنى** : فهي تعطي معنى للعلاقات الاجتماعية وتحدد مغزى الممارسات الاقتصادية والسياسية . ٢ ــ تأثير من جهة **النظام** : فهي تبرر النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم وتضفي عليه غطاء من الشرعية وتعطي مظهر الوحدة والاجماع . وهكذا تحول دون نشوء وعي طبقي ، وعي صراعي ــ صدامي وتحول بالتالي وتعوق الصراع الطبقي. ٣ ــ تأثير من جهة **الحركة** : فهي تعبىء العناصر العاملة في المجتمع وتعطيها اندفاعا وحماسا ورغبة في العمل والانتاج داخل نظام العلاقات الاجتماعية التي حددتها الطبقة السائدة .

د ــ لا غنى عن الايديولوجية في اي حياة اجتماعيــة (فهي ليست شــرا ولا خيرا) والانسان ، بدون الايديولوجية ، لا يستطيع أن يعيش . وهي ضرورية في المحافظة على سيطرة ما (الايديولوجية المسيطرة) بقدر ما هي ضرورية للنضال ضدها (الايديولوجية

---

١ ــ كارل ماركس وف. انجلز : **الايديولوجية الالمانية** .

ــ لويس التوسير : ١ ــ **دفاعا عن ماركس** . ٢ ــ **الايديولوجية والاجهزة الايديولوجية للدولة** .

ــ أنور عبد الملك : ١ ــ **الجدلية الاجتماعية** . ٢ ــ **الايديولوجية والنهضة الوطنية** .

ــ د. فيدال : ١ ــ **ملاحظات عن الايديولوجية** . ٢ ــ **محاولة عن الايديولوجية** .

ــ بولنتزاس : ١ ــ **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية** . ٢ ــ **الفاشية والدكتاتورية** .

الاصلاحية أو الثورية) . وبحثنا الآن سيقتصر على حالة تطبيقية مستمدة من الايديولوجية السائدة (المسيطرة) .

٢ ــ ميونيخ : ايديولوجية الصحافة :

المسألة هنا مسألة اظهار **كيف وبأية وسائل وطرق** ، انتجت الايديولوجية المسيطرة ، من خلال ادوات تعبيرها وكلامها ، غطاء من الشرعية على الممارسات الاقتصادية والسياسية . وبصورة أدق في هذا الوضع المحدد الذي يهمنا كيف أن الصحافة الفرنسية والبلجيكية ، من خلال كلامها عن أحداث ميونيخ، قد أنتجت غطاء من الشرعية على الممارسات الصهيونية في فلسطين والشرق الاوسط وخلقت تعبئة للرأي العام ضد الفلسطينيين والعرب . ولاظهار هذا سوف نلجأ الى الاستعانة **بسبعة مبادىء لتحليل الايديولوجية السائدة** : وسيظهر كل مبدأ الطريقة التي تم الحصول فيها على الشرعية والتعبئة .

[١] مبدأ تعريف العناصر العاملة : ان الايديولوجية السائدة تنتج تأثيراتها بنشرها لتحديد خيالي للعناصر العاملة وعملها وشركائها أو أخصامها بشكل يبدو فيه هذا التحديد ، في نظر الاشخاص الموجه اليهم ، طبيعيا وعاديا وأكيدا ومقبولا .

وهكذا فقد حددت الصحافة ، بمناسبة أحداث ميونيخ ، مجموعة الفدائيين الفلسطينيين بأنها « **عصابة من الارهابيين** » ، من « **الخارجين على القانون** » و « **المتعصبين** » و« **المذنبين** » و« **اليائسين** » و« **المجرمين الواعين والمنظمين** » و« **المجرمين الجبناء** » و« **المجانين المنعزلين** » و« **الاشخاص الذين أعماهم الانتقام والحقد** » و« **المتطرفين المغامرين** » و« **المرضى** » و« **القتلة الذين لا شعور عندهم** » و« **الاشخاص المنحطين والشيطانيين** » .

كما حدد عملهم على أنه « مجزرة » ، « فظاعة » ، « مأساة مؤلمة » ، « شناعة » ، « مذبحة بغيضة » ، « كابوس » ، « حمام دم رهيب » ، « هجوم وحشي » ، « بربرية دموية » ، أو في أحسن الحالات ، كما جاء في الصحف الاقل صهيونية (لوموند ، لاسيتي ، والاومانيته كذلك) ، « كعمل يائس قام به مغامرون غير مسؤولين اساءوا فيه الى قضيتهم ذاتها » . لقد كان عملهم يحدد دائما على أنه « فورة عنيفة جاءت لتعكر صفو نظام أو هدنة أو جزيرة سلام أو نشاط هادىء وبريء وغير سياسي » .

أما الشعب الفلسطيني فكان يحدد ، عندما يجري الكلام عنه ، بأنه « شعب بائس محروم من وطنه وبيته وقابع في المخيمات وتحت رحمة الاحسان العالمي » .

وبالنسبة الى الرهائن الاسرائيليين فقد حدد وضعهم على أنهم « ضحايا بريئة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ومقيدة ومربوطة تماما مثل تلك النخبة الرياضية التي كانت ملأى بالحيوية والقوة ثم فجأة حطمت ودمرت بشكل عنيف واعتدي عليها » .

أما اسرائيل والشعب اليهودي اللذان يتم الخلط بينهما بشكل دائم فقد حددا على أنهما « معتدى عليهما ومهاجمان » . وقد تم التذكير بتاريخ هذا الشعب الطويل « الذي تعذب كثيرا وبصورة خاصة في المانيا ــ داخاو ليست بعيدة ــ على أيدي النازيين » . و« طالما أن هذا الشعب قد هوجم فمن الطبيعي أن يدافع عن نفسه » . فقد كتب ريمون كارتييه في مجلة باري ماتش : « ان الانتقام الذي يسلط سيفه ليس انتقاما الهيا بل بشريا » . ان هذا الانتقام هو عنف مشروع وقانوني وعلى كل حال فان اسرائيل ليست ارهابية ولم تكن كذلك في يوم من الايام ! طبعا لا بد من ذكر الارغون وشترن ولكن الم يعارضهما بن غوريون ؟ أما دير ياسين فكانت خروجا على القاعدة أدين رسميا ! وبعد كل ردود انتقامية سيقولون بأنه لم تكن لدى الطيارين الاسرائيليين ارادة القتل **نفسها** .

وتحدد بلدان الشرق الاوسط بأنها ملجأ « القتلة » من مختلف المنظمات الفلسطينية : ويوصف موقف هذه البلدان بصورة تثير سخط المجتمع الدولي : فالقاهرة تتجرأ وتفاخر بانسانية الفلسطينيين . وفي بعض الحالات يشار الى حيرة وعجز هذه البلدان عن اتخاذ موقف حاسم : فهي لا تريد أن تتورط فتتبرأ من المسألة . والمسؤول العربي الوحيد الذي جاءته اللياقة لادانة الفدائيين بشكل واضح كان حسين ملك الاردن . ولا بد من ان نذكر هنا أن « أيلول الاسود » الذي حملت اسمه هذه المنظمة الفلسطينية هو أيلول سنة ١٩٧٠ الذي قدم فيه الجيش الاردني الى اسرائيل خدمة لا تقدر بثمن عندما ضرب قسما مهما من المقاومة الفلسطينية .

اما السلطات الالمانية فتحدد بأنها قد ارتبكت وطار صوابها وتخطتها الاحداث . لقد فعلت هذه السلطات كل ما في وسعها لكي ينسى العالم فظائع الحربين العالميتين وتقدم صورة جديدة عن ألمانيا الا أن « ألعاب الفرح » هذه انقلبت فجأة الى ألعاب الحقد والدم . وقد تركت الصحافة مجالا للشك في مسؤولية السلطات الالمانية التي وجهت اليها اسرائيل اللوم لانها لم تعرف كيف « تنقذ لها فتيانها » .

واخيرا فان المجتمع الدولي (أي الغربي) قد حدد بأنه ساخط وحزين ومصاب بصدمة عنيفة وغاضب وثائر على سرطان الارهاب وقلق وبشكل خاص منزعج في طمأنينته لجره الى قضية لا تعنيه ، قضية تخص العرب والاسرائيليين . وفي كل الاحوال فان كل عواطفه الودية وتعازيه تتجه صوب اسرائيل .

ان هذه التحديدات تدفعنا الى ابداء ملاحظتين :

— ان العناصر العاملة المتجابهة التي وضعت أمامنا [أي من جهة القتلة ومن جهة اخرى الضحايا البريئة] ليست العناصر العاملة الحقيقية في الصراع الذي نشب بمناسبة أحداث ميونيخ . ان العناصر العاملة الحقيقية هي تلك العناصر التي انتجتها العلاقات الاقتصادية — الاجتماعية التي أقيمت في الشرق الاوسط وعلى الاخص في فلسطين ، بواسطة التغلغل الصهيوني ، أي ان هناك من جهة الطبقة الاسرائيلية الشوفينية والامبريالية المسيطرة التي تعبىء وراءها قسما كبيرا من الشعب الاسرائيلي وتعتمد على الدول الامبريالية العظمى ، ومن جهة ثانية **الطبقة الفلسطينية المسيطر عليها** التي تشكل غالبية الشعب الفلسطيني . الا انه من خلال هذا المنظور علينا الا ننسى وجود طبقة مسيطر عليها في اسرائيل بدأت تعي تدريجيا المضمون الحقيقي للممارسات الصهيونية ووجود طبقة فلسطينية مسيطرة كذلك فقدت الان سلطتها بعد أن سهلت كثيرا حتى سنة ١٩٤٨ التغلغل الصهيوني في فلسطين .

ان القارىء ، من خلال اطلاعه على ما قالته الصحافة عن أحداث ميونيخ ، يرى ان الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع بين الطيبين والاشرار ، بين الشرفاء والخونة ، بين المتمدنين والبرابرة ، بين الخارجين على القانون و« النظاميين » الخ ... اذن الصراع يدور بين عناصر عاملة وهمية بمعنى أن هذه العناصر ليست حقيقية بل من انتاج ما أفرزته الايديولوجية السائدة من خيال وتصورات .

— ان هذه التصورات الايديولوجية وهذه التحديدات للعناصر العاملة تبدو طبيعية وعادية وأكيدة ومقبولة بالنسبة الى من توجه اليهم أي الى القراء الفرنسيين والبلجيكيين . ذلك أن ما قالته الصحافة لا يعدو كونه تطبيقا بسيطا على حدث خاص للمنطق الايديولوجي للطبقات المسيطرة ، هذه الطبقات التي استخدمت وما زالت تستخدم حتى الان لاضفاء الشرعية ، في المجتمعات الغربية ، العلاقات الاقتصادية والسياسية التي تقيمها مع البلدان « النامية » . ان منطق الغرب الامبريالي ، الذي أرسيت أسسه منذ مدة طويلة ، يقابل هو ايضا بين متمدنين وهمجيين ، بين مسالمين

وبرابرة . وكل ما فعلته أحداث ميونيخ هو أنها اعادت بشكل آلي احياء وعي أيديولوجي (هذا اذا كان هنـــاك من حاجة الى مثل هذا الاحياء) ، يتراوح مـــن العنصـــريه الاشد تشنجا الى الابوية الاكثر «انسانية»،وعي متأصل بعمق في الثقافة الغربيةالحديثة.

[٢] مبدأ تحديد العلاقات : ان الايديولوجية السائدة تنتج تأثيراتها بتحديدها الشروط العملية لامكانية العلاقات بين العناصر العاملة وبشرحها للاسباب العملية التي تبرر هذه العلاقات . ان الايديولوجية المسيطرة لا تنكر وجود صراع : انها تنكر فقط وجود تناقض. انها تقر باختلاف المصالح الا أنها تسعى الى وضع الصراع ضمن حدود مؤسساتها وذلك بتحديدها لقوانين اللعبة التي يجب ان تحترم حتى تكون العلاقات ممكنة ، لا متناقضة . انها تقول ما هو قانوني وما هو غير قانوني ، ما هو مسموح وما هو ممنوع .

وهكذا فقد كلمت الصحافة قراءها ، بمناسبة أحداث ميونيخ ، عن قوانين اللعبة التي ينبغي على الفلسطينيين ان يحترموها اذا أرادوا أن يحلوا مشكلاتهـم مع الاحتفاظ بعلاقات ممكنة ومقبولة ونظامية مع المجتمع الدولي ومع اسرائيل .

لقد كان على الفلسطينيين الا يخلقوا تعارضات او تناقضات مهما كانت الظروف ذلك ان هذه لا تخدم قضيتهم . عليهم أن يحترموا قوانين التضامن والاخاء الدولية . وقد قالت الصحافة آنذاك لقرائها بأنه ليس هناك تعارض بين الشرق والغرب ، بين الشمال والجنوب بل هناك تعارض فقط بين اناس يريدون ان يعيشوا بسلام واناس «ارهابيين» يهددون الاخاء الانساني بضربة قاضية .

كان عليهم (اي الفلسطينيين) ايضـــا ان يمروا بالمؤسسات القائمة لحل مشـــكلاتهم ضمن حدود الشرعية لا ان يأتوا ويعكروا صفو نشاطات « غير سياسية » لا علاقة لها البتة مع هذه المسائل . (من المفيد الاشارة هنا الى ان الامم المتحدة قد أدانت اسرائيل ٦٣ مرة منذ ١٩٤٨ لاظهار مدى عجز هذه المنظمة عن تنفيذ مقرراتها) .

كان عليهم ان يحترموا القيم الانسانية لحضارتنا كما كان عليهم ، بشكـــل خاص الا يعكروا صفو الهدنة الاولمبية . عليهم ان يفهموا انه من غير المناسب توسيخ الروح الرياضية ، فالقضية لا تتحمل مثل هذا الاستخفاف . لقد سبق وتمت خسارة المعركة الاولى حين تم الخضوع لابتزاز الافريقيين بصدد روديسيا : ان الروح الاولمبية ليست هكذا والا فلنغلق ابواب الملاعب !.. عليهم ان يفهموا ان العالم ، بالضرورة ، غير كامل فلا يطالبوا بكمال مستحيل . عوضا عن ان يكونوا متطرفين الى هذا الحد ، عليهم ان يسعوا الى التفاوض والمساومة ، عليهم ان يكونوا واقعيين وتجريبيين ويقبـــــلوا بالتسويات ويفتشوا عن الحلول السياسية والتعايش السلمي . لماذا لا يستجيبون لدعوات اسرائيل الى السلام ؟ وهنا يوجه الاتهام اليهم بأنهم يريدون على العكس ان يفسدوا مبادرات السلام لانهم يعلمون ان الخطر الاكبر بالنسبة الى الثورة الفلسطينية هو في السلام الذي قد ينتج عن التسوية .

عليهم اخيرا ، وبشكل خاص ، عدم استعمال هذه الوسائل المنفرة التي يسمونهـــا ارهابية ، هذه الاساليب الجنونية ، المغامرة ، المتطرفة ، الطفوليـــة ، اللاواعيـــة ، اللامسؤولة واللاانسانية والتي لا تخدم قضيتهم بل تؤدي في النهاية الى اظهار التفوق **الاخلاقي** لخصمهم . ان هذه الاساليب هي غير فعالة ، **اذن** لا اخلاقية ولا شرعية .

اما اذا كان لا بد ، في اقصى الحالات ، من العنف فليكن عنفا نظيفا كما هي الحـــال بالنسبة الى النظام القائم وبالنسبة الى الجيوش النظامية . الا ان هذا « الاعـــدام التعسفي » للرهائن هو عنف قذر لا يمكن القبول به . وبالمقابل فان « الردود الثأرية » (قصف القرى والمخيمات بالنابالم) هو أمر انساني ، مفهوم ، فعال ، شرعي ومنتظر ! طبعا ليس هذا بحل الا انه شيء مفهوم : انه شريعة الثأر الموجودة في التقاليد التوراتية

والتي تقول : العين بالعين والسن بالسن . على كل حال كان من الضروري على اسرائيل ان تظهر قوتها لتقابل التأثير النفسي الذي أحدثته عملية ايلول الاسود في الجماهير العربية .

وكما نرى فان هذا المنطق الوعظي الاخلاقي الذي تبثه الصحافة الغربية الساخطة كان هدفه تحديد شروط **امكانية العلاقات** بين العناصر العاملة المتواجدة . وفي الحالة التي تعنينا هنا ، وبشكل عام ، تعظيم فوائد وفعالية المفاوضة في حل المشكلة المطروحة . وهكذا فان الايديولوجية المسيطرة تعرض التفاوض والقبول بتسوية « عادلة » والسعي وراء الحل السياسي على شعب مسحوق تحت اقدام قوة اقتصادية وعسكرية مسيطرة تملي عليه شروط التسوية وحدودها. ان المسألة هنا هي التصرف كما لو ان قوة الطرفين متساوية ونكران واخفاء اختلال ميزان القوى بينهما .

واذا خاطر هذا الشعب المسحوق ورفض عرض المفاوضات او ، وهذا أسوأ ، تجرأ واستعمل ، للدفاع عن نفسه ، نفس الاسلحة التي سحقته فعندئذ يعم السخط المجتمع الدولي فيغضب ويهدد بردود ثأرية ويطلق على الذين قاموا بهذه الجريمة صفة البرابرة والقتلة . ان الاسلوب واضح : اذ ان المسألة هنا تتعلق بادخال هذه العلاقات الصراعية بين اطراف غير متساوية ضمن مؤسسات الوضع القائم وتثبيت هذه العلاقات غير المتساوية والابقاء عليها .

[٣] **مبدأ الاستجواب** Interpellation : **ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها باستجواب العناصر الاجتماعية العاملة باسم مطلق وهمي (باسم مفهوم معين للانسان وللعالم) . وعلى هذه العناصر ان تؤمن او تخضع لهذا المطلق مقابل مكافأة للذين يؤمنون به او تهديد بالعقوبات للذين لا يستجيبون له .**

من هذه المطلقات : ملكوت الله ، التاريخ ، الوطن ، العائلة ، الواجب ، الديمقراطية ، العدالة ، الحرية ، الشرف ، التقدم ، الطبيعة ، العلم ، الشريعة ، المدنية ، التنمية ، الاشتراكية ، الامة ، المصلحة العامة ، السلام ، ارض الميعاد ، الخ...

ان كل ايديولوجية تكون مبنية حول مطلق مسيطر أو غالب الا ان هذا لا ينفي توجهها الى مطلقات اخرى غيره .

وهكذا فان الصحافة في الحالة الخاصة التي هي أحداث ميونيخ قد توجهت الى الاطراف المعنية ، والى الرأي العام باسم **النظام** من جهة وباسم السلام من جهة اخرى . لقد كانت الالعاب الاولمبية تجسد هذين المطلقين الايديولوجيين في وقت واحد معا . لقد كانت جزيرة سلام وهدوء ومسرح مجابهة من اهدأ المجابهات واكثرها استقامة وفي الوقت نفسهكانت تعبر كذلك عن النظام السياسي الاجتماعي العالمي القائم على التعايش السلمي . وعلى كل حال ففي كل مرة كانت تلغى فيها هذه الالعاب كان النظام العالمي القائم هو السبب بسبب دخوله في حروب وصدامات . لقد عكر الفدائيون الفلسطينيون صفو هذه الالعاب ، من الخارج ، باقتحامهم « بعنف وبربرية هذا الانسجام البريء ، غير السياسي والشريف ، هذا اللهو غير المؤذي » ، راحة الضمير هذه التي كان الغرب يحاول ان يتظاهر بها . ان الالعاب الالمبية تجسد تماما الايديولوجية البورجوازية : التضامن ، تآخي الرياضيين ، تكافؤ الفرص ، تخطي الارقام القياسية الفردية ، الشجاعة ، الارادة ، التنافس النزيه ، روح الفريق ، ان مهاجمة هذه الالعاب التي تشكل نموذجا مصغرا عن الحضارة البورجوازية كان يعني وضع هذا الضمير الراضي بذاته وهذه الصورة الجميلة التي كانت هذه الحضارة البورجوازية تختلقها لنفسها من أجل انكار اللامساواة والصراعات التي هي مسؤولة عنها موضع التساؤل والشك .

لقد تعاقب ، في تاريخ الايديولوجية الامبريالية ، مـــن النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى ايامنا هذه ، مطلقان مسيطران (أو غالبان) تم باسمهما التوجه الى العناصر العاملة وما زالا حتى الان متأصلين وراسخين بعمق في الوعي الغربي . لقد كان هناك اولا **الحضارة الانسانية والكونية الشاملة** وكان يراد بها فرض مفهوم الانسان والمجتمع الغربي على العالم أجمع ، ثم كان هناك ، انطلاقا من سنة ١٩٤٥ ، **حـــركات التحرر الوطني** في معظم البلدان المستعمرة (بفتح الميم) التي ادت ، في خلال عشرين عاما ، الى حصول هذه البلدان على استقلالها السياسي الشكلي . ومنذ ذلك الحين صار من الصعب على المنطق الايديولوجي الغربي وصف هذه الشعوب بالبربرية والهمجية : من مثلا يجرؤ على الادعاء بأنه يمدن المصريين ؟ بات اذن من الضروري ايجاد شيء آخر يستطيع ان يضفي الشرعية على العلاقات الجديدة والممارسات الاقتصادية والسياسية التي يمارسها الاستعمار الجديد . وهنا اصبح **التعلق بالسلم** المطلق المسيطر والغالب : التعايش السلمي ، المفاوضة ، المحافظة على النظام ، اللاعنف ، السعي وراء الحلول السياسية ، ادخال العلاقات بين الاطراف الى مؤسسات الوضع القائم بهدف تغطية او تجميد عدم المساواة في القوى . وقد جاء حادث ميونيخ ليزعزع هذين المطلقين زعزعة عنيفة .

[٤] مبدأ التحويل : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها عن طريق تحويل مرمى العلاقات الاجتماعية ، من خلال مبدأ التحديد والاستجواب، من صعيد حقيقي ومحسوس الى صعيد وهمي وأخلاقي وشعوري . وتتخذ عملية النقل وتغيير المواقع هذه ، في حال التعارض ، شكل انقلاب في مواقف المتخاصمين .

وفي معظم الاحيان تعطي عملية النقل هذه انطباعا وهميا بان عدم المساواة قد اختفت من العلاقات بين الاطراف المعنية .

لقد عرضنا سابقا باختصار كيف كانت العلاقات الحقيقيـــة المحسوسة التي فرضها التغلغل الصهيوني في فلسطين : لقد كان الهدف من هذه العلاقات اقتصاديا وسياسيا . وكان هذا الوضع السبب الاساسي لاحداث ميونيخ ولم يكن هدف الايديولوجية التي كانت تبثها الصحافة الغربية الا نقل هذه العلاقات الحقيقية الى مستويات أخرى .

فقبل كل شيء نقلت الصحافة المشكلة الاقتصادية السياسيـــة الى صعيـــد شعوري واخلاقي . ويكفي برهانا على ذلك ان نعيد قراءة التعابير المستعملة لتحديد الاطراف المعنية : الحزن ، الغضب ، التأثر ، الخجل ، الذهول ، المجزرة ، المذبحة ، الفاجعة الخ ... ثم تقلص الحدث الى مستوى « عمل مجـــرم ودنيء » وكانت بعض عناوين الصحف تذكرنا احيانا بعناوين الروايات البوليسية : ضرب الفدائيون عند الفجر ، قتلة الفجر ، مافيا المجرمين . أما قائد المجموعة الفلسطينية فقد شبه بآل كابوني كما تم التلميح الى ان منظمة ايلول الاسود تعمل في تهريب المخدرات . وجرت الاشارة الى تفصيل مثير وهو ان غلاف المخدرات يحتوي على صورة بالالوان لفدائي مسلح .

كما أن بعض النصوص (وكانت قليلة) ارجعت الحدث الى صعيد العنصرية المعادية للسامية فكتبت صحيفة الاورور في ٦ ايلول : « لقد سقط ايضا المزيد من ضحايا روح ميونيخ . ان العالم يريد ان يعرف ما اذا كان الرهائن التسع قد قتلوا في ميونيخ اللعينة لمجرد انهم من اليهود » . وكتب ريمون كارتييه في باري ماتش : « لقد وقعت فاجعـــة يهودية جديدة في المانيا ، على بعد بضعة كيلومترات من مكان داخاو المخزي » . وبما ان الحدث وقع في المانيا فان الايديولوجية لم تكن لتترك الفرصة تفوتها دون التذكير بلاسامية النازيين .

واخيرا فان بعض النصوص أشارت الى علاقات المنظمات الفلسطينية بمنظمات أقصى

اليسار الاوروبي وحتى بمنظمات الفوضويين (مجموعة بادر — ماينهوف العدمية في المانيا) .

وكما نرى فان هذه التغييرات في المستويات تؤدي الى تحويل مرمى العلاقات الاجتماعية الى غير محله . فلم يعد الامر بالنسبة الى الصحافة اظهار التعارض بين الطبقة الصهيونية والامبريالية المسيطرة وبين الطبقة الفلسطينية المسحوقة بل بين النظام والفوضى ، بين السلام والارهاب ، بين الحضارة والبربرية ، بين الشرف والجريمة ، بين البراءة والشر ، بين الشجاعة والجبن ، بين الحب والحقد ، بين الحياة والموت .

بالاضافة الى ذلك علينا أن نشير الى **الانقلاب الكامل في المسؤوليات** الذي قامت به الصحافة على مستوى الصراع الاسرائيلي العربي . ان أصل هذا الصراع كان التغلغل الصهيوني المتتابع في فلسطين منذ سنة ١٨٩٠ وبصورة خاصة منذ سنة ١٩٤٨ . تاريخيا اذن الصهيونية ، « هي التي بدأت » وهي التي تتحمل مسؤولية الصراع .

الا أن الصحافة كانت تضع اسرائيل في موقع المهاجَم ، المعتدى عليه . أما الغارات الجوية على القرى والمخيمات في لبنان فكانت تسميها « ردود ثأرية » يطالب بها شعب يطالب « بالانتقام » . ان اسرائيل تدافع عن نفسها «كما ينبغي» ضد الاعمال العدوانية. ان اي أمة لن تجرؤ على ادانة اسرائيل ببراءة . وهكذا فان انقلاب المسؤوليات واضح.

[٥] مبدأ العمل : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها بتحفيزها العناصر العاملة على العمل أي بعرضها عليها أهدافا عملية ووسائل استراتيجية وتكتيكية من أجل الوصول اليها . ان الايديولوجية توظف قوتها التعبوية في جهاز ايديولوجي مسيطر .

وهكذا فبعد أحداث ميونيخ شددت الصحافة على ضرورة حل مشكلة الارهاب ، هذا السرطان الحامل بذور الحقد . وقد وجه الرئيس نيكسون ، مستنكرا ، نداء الى كل الشعوب لوضع الوسائل الفعالة من أجل الحفاظ على النظام والسلام موضع التنفيذ . الا أنه ينبغي ايضا قطع الشر من جذوره والاسراع بالمفاوضات بهدف الوصول الى سلام دائم في الشرق الاوسط . وقبل كل شيء ينبغي حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. ويعتقد البعض (ستروي رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي في افتتاحية لصحيفة لا ليبر بلجيك) أن العرب والاسرائيليين عاجزون عن حل هذه المشكلة بأنفسهم ويقترح هذا البعض ما يشبه « مشروع مارشال » يهدف الى اسكان الفلسطينيين في منطقة واعطائهم البنية التحتية الاساسية في النمو الاقتصادي . (لم تعر الامم المتحدة اقتراح السيد ستروي أذنا صاغية) كما اقترح البعض الحد من الارهاب والعنف بواسطة التربية والنظام . أما بعض الانكليز فقد عبروا عن روح هجومية واضحة عندما أعلنوا عن استعدادهم للانخراط في الجيش الاسرائيلي لتصفية المقاومة الفلسطينية (أوردت هذا الخبر صحيفة لا نوفيل ريبيبليك) . وتم الايعاز ايضا ببعض الاعمال الرمزية : فجرى ، هنا وهنالك ، الوقوف دقيقة (أو عدة دقائق) صمت حدادا على الرياضيين الاسرائيليين . الا أن ما يهم الصحافة بشكل خاص كان عدم الوقوع تحت تأثير صدمة هذه الاحداث و« انقاذ الالعاب » وعدم الخضوع للابتزاز واستئناف الالعاب الاولمبية .

وهكذا كما نرى فان الصحافة ، انطلاقا من اقتراحات مستمدة من مشكلة تم اقتلاعها من أسسها السياسية والاقتصادية ، تواجه وسائل عمل هي الاخرى وضعت في غير محلها اذ انها لا تضع الصهيونية المجسدة في دولة اسرائيل والتي هي اصل المشكلة موضع الشك والاتهام .

[٦] مبدأ الزمنية : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها بوضعها العناصر العاملة في المجتمع ضمن اطار الزمان وببنائها لها ماضيها من خلال اعادة تاويله (من اين جئنا ؟) وبرسمها لها مستقبلها (الى اين نحن ذاهبون ؟) .

وتنبغي الاشارة هنا الى عنصرين متعلقين بهذا المبدأ وردا في اقوال الصحف : ـ لقد تم التذكير بتاريخ الالعاب الاولمبية وبروح هذه الالعاب وبشكل خاص بالطابع المقدس للهدنة الاولمبية . وتم التذكير كذلك بالحروب التي كانت السبب في الغاء هذه الالعاب أربع مرات : ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ ـ ١٩٤٤ . وتذكرت الصحافة أيضا سنة ١٩٣٦ التي كانت فيها الالعاب ذريعة لاقامة عيد كبير للفاشية المسببة والمعلنة للحرب . ثم جرى التعبير عن القلق حول مستقبل الالعاب : لقد ظلت القيم الاولمبية والرياضية من أواخر القيم التي لم تشملها حركة الرفض التي شملت في كل مكان تقريبا سلطة المدرسة والكنيسة والعائلة . . . هل هذه آخر العاب أولمبية ؟ لقد ماتت الالعاب واحترقت حية مع الضحايا ! اننا الان نشهد احتضار الروح الاولمبية ! هل سيكون مصير الالعاب الاولمبية في العصر الحديث مصيرها نفسه في العصور القديمة عندما زالت واندثرت مع قبول البرابرة في المشاركة فيها ؟ الم يكن من الافضل الابقاء على هذه الالعاب وقفا على « الهيلينيين الغربيين الانقياء » ؟

ـ ثم تم التذكير بتاريخ الشعب اليهودي وربطه بقوة بتاريخ النازية . وظهر رسم كاريكاتوري يمثل هتلر بثياب رياضي ينقل الشعلة الاولمبية الى شخص عربي . العرب يخلفون النازيين لاضطهاد الشعب الاسرائيلي . ويتم التذكير بالبدايات الصعبة للمستوطنين الصهاينة الذين كانوا هدفا لفظاعات الفلسطينيين التي كانت أسوأ من الفظاعات النازية . أما في اسرائيل فقد وجه الاتهام الى الالمان : هل من الممكن أن نأمل أن ينقذوا أرواحا يهودية ؟

[٧] **مبدأ الارتباط والارتكاز (التمفصل) : الايديولوجية المسيطرة تنتج تاثيراتها بالارتباط والاستناد الى ايديولوجيات أخرى وبشكل خاص الى الايديولوجيات السياسية والدينية المسيطرة في وسط أجتماعي ـ تاريخي معين . وتعتمد قوة التاثيرات الايديولوجية (اعطاء المعنى ، اضفاء الشرعية ، التعبئة) على تماسك هذا الربط وهذا التركيب .**

ان الوعي الغربي يشبه الآلة الميكانيكية الحسنة التزييت التي تحتوي على عدد واسع من القيم الانسانية والشمولية التي تعرف الصحافة أن تلعب بها بمهارة . في الحالة التي تهمنا ، المطلق المسيطر بالنسبة الى هذا الوعي هو النظام المسالم . الا ان الصحافة اشارت الى العديد من المطلقات الاخرى التي تصيب الاوتار الحساسة للنفس الغربية :

ـ **الدين** لقد انتهك الفلسطينيون الروح المسيحية واحترام القريب والاخاء والمحبة وداسوها بأقدامهم . لقد كان الملعب مثل حرم مقدس وكان انتهاكه يشبه انتهاك كاتدرائية أو جامع . ـ **الحرية** لا يمكن اجبار الناس على الاطلاع على مشكلة سياسية لا يريدون الاطلاع عليها رغما عنهم والاهتمام بالمشكلة في الوقت الذي قرروا فيه أن يتفرغوا للهو بريء . ـ **المدنية** لقد وقعت ضحية اقتحام بربري عنيف ، جاء من الخارج ، من عالم لا تعترف به كمتمدن . ـ **الشرف** لقد جرت المقابلة بين شجاعة ونبل وكرم الرياضيين وبين جبن الفلسطينيين الذين أطلقوا النار بكل برود على أبرياء مربوطين ومقيدين وعاجزين عن الدفاع عن أنفسهم . ـ **التاريخ** لقد لطخ الفلسطينيون التاريخ . ـ **الوطن** لقد نكست الاعلام . ـ **العائلة** جرى التفكير بعائلات الرياضيين الاسرائيليين اللابسة ثياب الحداد . ـ **القدر** الحظ والقدر الاعمى يتحالفان للحيلولة دون الوصول الى حل سعيد للقضية . ـ **النازية** التي جرى التذكير بفظائعها . ونحن نعلم مدى حساسية الفرنسيين والبلجيكيين بالنسبة الى هذه النقطة . ـ **العنصرية** جرى التذكير بالمعاداة للسامية وبدأت العنصرية المعادية للعرب بالانفلات من عقالها . ـ **الطبيعة** جرى التذكير بالحق الطبيعي للانسان بالحياة . وصار هناك اتجاه الى فرض القبول بالنظام الاجتماعي الذي يدافع عنه على انه نظام طبيعي وبالتالي تحديد اللذين يهاجمونه

بأنهم ضد الطبيعة : انهم مجانين ، لا واعين ، لا مسؤولين ، منحطون ، عقول مريضة .
وتترابط كل هذه المطلقات بشكل ممتاز في الوعي الغربي الذي يجمع فيما بينها وينسقها .
ان الهجوم على نظام التعايش السلمي أدى الى زعزعة كل النظام الايديولوجي وحصره في موقع الدفاع . لقد داس الفلسطينيون في ميونيخ النظام الايديولوجي « الانساني » المتماسك في الغرب . وهذا ما يفسر هيجان الصحافة الخارق للعادة . وبالمقابل فعندما يكون النظام هو الذي يقتل في فلسطين أو فيتنام أو في أي مكان آخر فان الصحافة تنقل ببرود الروايات الرسمية للأحداث فتحصي عدد القتلى والدبابات والطائرات والشاحنات المدمرة . في هذه الحالة يكون العنف قانونيا وشرعيا وطبيعيا فلا تحول الصحافة القضية الى مأساة .

٣ ــ **التحالف بين منطق الصحافة الغربية والايديولوجية الصهيونية :**

في نهاية هذا التحليل للكلام الايديولوجي الذي كتبته الصحافة بصدد حدث خاص ، من المفيد والمناسب الانتقال الى مستوى كاف من التجريد لاستخلاص بعض الاستنتاجات الكلية :

نستطيع أن نحدد النظام الاجتماعي ، بشيء من التبسيط ، بأنه بنية العلاقات الاجتماعية.
وتحتوي هذه البنية على مستويين : البنية التحتية الاقتصادية والبنية الفوقية السياسية والايديولوجية . والذي يحدد ، في المطاف الاخير ، شروط الوجـــود الاجتماعي للبشر (البنية الفوقية) هي شروط انتاج واعادة انتاج الحياة المادية (البنية التحتية) .
ولكي تؤمن الطبقة المسيطرة اعادة انتاج علاقات الانتاج فانها تضع موضع العمـــل طريقتين تنتميان الى عالم البنية الفوقية : ــ **جهاز سياسي قمعي** : يحدد هذا الجهـــاز أصول وقواعد اللعبة التي يسمح بها النظام الاجتماعي فيوضح ما هو ممنوع وما هو مسموح ، ما هو قانوني وما هو غير قانوني ، ما هو وارد وما هو غير وارد . ــ **أجهزة ايديولوجية** : وهي عبارة عن أساليب تنتمي الى عالم البنية الفوقية وميزتها انها تمارس ضغطا أكثر « لياقة » وأكثر « نظافة » وأكثر دواما وفعالية من الجهاز السياسي القمعي.
ونعني بالاجهزة الايديولوجية للدولة عددا معينا من الوقائع التي تظهر أمـــام المراقب المباشر بشكل مؤسسات متمايزة ومتخصصة : الجهاز الديني ، المدرسي ، العائلي ، القانوني ، السياسي (نظام الاحزاب) ، النقابي ، الثقافي (أدب ، فنون جميلة ، رياضة الخ ...) وكذلك الجهاز الايديولوجي **الاعلامي** (وسائل الاعلام والاتصال) .

ان هذه الاجهزة الايديولوجية لا تمارس « عنفا مباشرا » كما هي الحال بالنسبة الى الجهاز القمعي .

ان الوظيفة الايديولوجية لهذه الاجهزة هي اعادة انتاج علاقات الاستغلال بدون اللجوء الى « القوة » العنيفة . انها تهدف الى جعل الناس « يمشون مـــن تلقاء أنفسهم » ويقبلون الوضع الذي وضعوا فيه على انه وضع طبيعي وألا يدركوا الاستغلال اللاحق بهـــم .

وهكذا تصبح الايديولوجية في الوقت نفسه تمثيلا للواقع وتشويها وطمسا له . من هنا فليس هناك أي انسان يعيش خارج نظام قيم ايديولوجية ، أو أكثر من ذلك ليس هناك انسان حر ازاء الايديولوجية المسيطرة التي تنتج ضغوطها الثقافية اليومية . ويمكن أن تظن الارادة انها حرة طالما انها تجهل تماما العوامل التي تحددها .

ليس هناك أي حاجة للضغط العنيف في وضع كهذا طالما ان كل كلمة وكل حركة هي في الواقع من افرازات مؤسسات الايديولوجية السائدة . وهكذا فان المواقع والبنى

القائمة تبدو وكأنها قواعد طبيعية **وبديهيات** . وانطلاقا من هنـا يتم تكريس الواقع وتقديس التقاليد ويصبح كل تساؤل أو شك كفرا فظيعا .

ان هذا الحصار الثقافي الذي يريد ان يحصر الاطراف الاجتماعية العاملة ضمن شبكة من الانماط المفروضة هو ، الى حد كبير ، من انتاج **« وسائل الاعلام والاتصال »** . من هنا جاءت ضرورة كشف ، على الصعيد النظري والمنهجي ، طرف عمل الايديولوجية كما تبدو في كتابات الصحفيين والمذيعين والسينمائيين وفضح التحويرات التي تحدثها في الوقائع المحسوسة . لقد أردنا أن نظهر كيف ان هذا المنطق الايديولوجي ينتج معنى وهميا للعلاقات الاجتماعية فيضفي عليها الشرعية ويبررها ويعبىء الجمهور ويؤطر عمله ويوجهه وفق الاتجاه الذي يتناسب مع أمنيات الطبقة المسيطرة وحاجاتها .

ان دراسة منظمة للانتاج الايديولوجي للطبقة المسيطــرة لا بد وأن يقودنا الى طرح سؤال أساسي : كيف تساهم الايديولوجية المسيطرة في الابقاء والمحافظة على العلاقات الاجتماعية للسيطرة العالمية واعادة انتاج هذه العلاقات ؟ ان القضية ، بالنسبة الى الحالة الخاصة التي ندرسها هنا الآن ، هي معرفة كيف يساهم المنطق الايديولوجي لوسائل الاعلام في ادامة العلاقات الامبريالية بين الغرب والعــالم العربي وعلاقات السيطرة التي يمارسها الصهاينة في فلسطين .

لقد أتاح لنا هذا البحث توضيح **التحالف العميق بين الصهيونية والطبقات الامبريالية** . ويعبر هذا التحالف عن ذاته أيضا في المنطق الايديولوجي لوسائل الاعلام . ان تحليلا قصيرا **للايديولوجية الصهيونية** ، استنادا الى المبادىء التي ذكرناها أعلاه ، يكفي لاظهار هذا التحالف . ان منطق الصحافة الذي حللناه أعلاه يعالج بالضبط نفس المقولات كما يعالجها المنطق الايديولوجي الصهيوني . فلنحلل هذا الاخير :

١ ــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل ايديولوجية الطبقة الامبريالية ، قد أنتجت ، منذ بداية استيطان فلسطين ، غطاء شرعيا للعلاقات الاجتماعية وذلك بعرضها على الاطراف المعنية **تحديدا خياليا** لانفسهم وللطرف الآخر ، تحديدا كان يبدو طبيعيا ، أكيدا وعاديا ومقبولا من الذين كان يوجه اليهم هذا المنطق . وهكذا فان الصهاينة كانوا يظهرون أنفسهم كرسل مدنية في حــين ان الفلسطينيين كانوا يوصفون ضمنيا بأنهم برابرة . وقد كتب هرتزل ، مؤسس الصهيونية : « بالنسبة الى أوروبا ، سنبني هناك جزءا من الحصن الذي يقف في وجه آسيا وسنكون حارسا متقدما للمدنية ضد البربرية» . لقد كان هذا التصريح يتناسب تماما مع روح ذلك العصر . ذلك ان الشعور بالتفوق الاوروبي كان قد زرع في العقول فكرة ان كل أرض خارج أوروبا يمكن أن تكون مكانا قابلا للاحتلال الاوروبي . كان لا بد من ايجــاد أرض فارغة . وفارغة هنا لا تعني بالضرورة الغياب الحقيقي للسكان بل نوع من « الفراغ الثقافي » . وكما كان يقول مترنيخ فقد كان بالامكان ، خارج حدود المدنية ، زرع « مستعمرات » أوروبية وسط شعوب متخلفة دون أن يكون هذا ضدها ، بكل حرية لان هذه المستعمرات لا يمكن ان تكون الا « أقطاب تنمية وتطور » .

بالاضافة الى ذلك كانت الايديولوجية الصهيونية تحــدد الفلسطينيين بأنهم **حساسية سياسية** وليس كقضية انسانية وقضية ضمير . ان وجود العرب ، في نظرهم ، لم يكن **الا أمرا عارضا** تماما كما هي الحال بالنسبة الى بعض قطع الاثاث التي ينساها أصحابها في شقة أجرت بشكل مؤقت الى غرباء ... لقد كان الصهاينة يطلبون من العرب أن « يظلوا ساكتين » وأن ينظروا اليهم ، دون أن يبدوا حراكا ، وهم يستولون على بلدهم ويحكمونه **بكفاءة ومقدرة** لمصلحة الجميع . وهكذا فان الايديولوجية الصهيونية تصف اليهودي الذاهب الى فلسطين كـ « ممدن ، كفوء وكريم » لانه يأتي اليها للعمل لمصلحة

الجميع . كان اليهودي المهاجر يعتبر نفسه عضوا من « الجنس المختار » في حين ان العربي كان يجد نفسه في « وضع أدنى بالنسبة اليه » . وكانت فلسطين توصف بأنها صحراء وكان الشعار الذي كان الجهاز الايديولوجي الصهيوني يطلقه هو : **أرض بلا شعب** لشعب بلا أرض .
وبعد انشاء دولة اسرائيل استمرت الايديولوجية في تقديم الاسرائيليين كـ « رواد » و« عمال » و« ديمقراطيين » وأناس منفتحين على « الحوار » و« عشاق سلام » و« مزارعين » يدافعون عن أنفسهم . وبالمقابل كان الفلسطينيون يوصفون «بالخياليين» و« الارهابيين » و« التنابل » و« الكسالى » و« المعتدين » . ان الصحافة البورجوازية تتناقل هذه التحديدات الخيالية للاطراف المعنية المتواجهة وتجعل الرأي العام الغربي يتقبلها على نطاق واسع .

٢ ــ ان الايديولوجية الصهيونية تؤدي الى اضفاء الشرعية على العلاقات الاجتماعية بتحديدها للظروف العملية للعلاقات بين العناصر الفاعلة المعنية . وبهذا الصدد من المناسب ذكر نص من وثيقة صادرة عن الاشتراكيين الاسرائيليين : « عندما بدأت الهجرة الصهيونية المنظمة تصب في فلسطين في بداية هذا القرن لم يعد بالامكان تجاهل الواقع **المذهل** وهو أن البلاد كانت آهلة بالسكان . وككل مجتمع مستعمر (بكسر الميم) فقد كان على المستوطنين الصهاينة ان يخطوا لهم سياسة محددة تجاه السكان المحليين . . . لم تكن الصهيونية ترغب فقط في الاستيلاء على موارد فلسطين بل كانت تريد أيضا الاستيلاء على البلاد بالذات ، هذه البلاد التي استخدمت لانشاء دولة قومية جديدة . لقد كان مقدرا أن يكون لهذه الامة الجديدة طبقاتها الاجتماعية الخاصة بما فيها الطبقة العمالية وبالتالي فان العرب لم يكونوا هدف الاستغلال بل كان عليهم **ان يزاحوا** كلية » . كان شعار « عمل يهودي ــ انتاج يهودي » موجها لتغطية أعمال استغلال واقتلاع السكان العرب من فلسطين . انطلاقا من هذا الواقع ، فان العلاقات بين الاطراف الفاعلة كانت علاقات **اغتصاب سياسي** (لان المستعمرين الصهاينة احتكروا كل سلطة لاتخاذ القرارات السياسية) **واقتصادي** (لان العرب أخرجوا بكل بساطة من الدورة الاقتصادية اليهودية باسم شعارات تبريرية) **وثقافي** (لان المستعمرين فرضوا قيمهم وتصوراتهم الخاصة على تفكير كل السكان) .

وبعد انشاء دولة اسرائيل وطرد مليونين من الفلسطينيين من منازلهم والابقاء على مليون ثالث تحت الاحتلال انقلبت الايديولوجية الصهيونية الى ايديولوجية « اليد المحدودة » و« التفاوض » و« المشاورات » و« الحوار » .

وتقدم الايديولوجية الامبريالية المسيطرة في هذه المناورة دعما ايديولوجيا قويا الى اسرائيل . ذلك أن الزمن الذي كانت ترفع فيه القيم المطلقة كالحضارة المسيحية أو الغربية قد ولى تقريبا . لقد جاء الآن زمن التفاوض و« التعايش السلمي » . ان هذا من آثار الايديولوجية المسيطرة التي تنفي التناقضات او التعارضات وتتصور ان صراع الطبقات ناتج عن **سوء تفاهم** وقابل للحل عن طريق **التسوية** .

ان كل « تفاوض » يرمي في الواقع الى طمس عدم المساواة الحقيقية في ميزان القوى بين الاطراف المتواجدة . انه يفترض الابقاء على الامبريالية المتمثلة في فلسطين بالاستيطان الصهيوني المميز كما يفترض أيضا استمرار البورجوازية في الاحتفاظ بسلطتها مع تجنب عدم تجاوز الخط الذي قد يؤدي الى قيام الطبقة المسحوقة (وهي هنا في فلسطين غالبية الشعب الفلسطيني الذي انتزعت منه كل سلطة على اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية) بردود فعل خطرة . ان التفاوض ، اذا نظر اليه من هذه الزاوية ، هو

سلاح ايديولوجي وسياسي في خدمة « النظام الاجتماعي القائم » (وفي اسرائيل ، في خدمة الامر الواقع) .

٣ ــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل الايديولوجية الامبريالية المسيطرة التي هي جزء لا يتجزأ منها ، تنتج تأثيراتها عن طريق التوجه الى الاطراف الاجتماعية العاملة ومناداتها باسم مطلق خيالي عليها أن تؤمن به وتخضع له . وهكذا فان الجنس اليهودي والشعب المختار وأرض الميعاد والفردوس والعمل اليهودي والانتاج اليهودي والوطن والدولة والوحدة المقدسة هي كلها مطلقات بنيت الايديولوجية الصهيونية حولها واستمرت في المحافظة على التماسك القومي وعلى اضفاء الشرعية على الممارسات الاقتصادية والسياسية التي أدت ، في الوضع الفلسطيني ، الى مقاطعة اليد العاملة العربية (باسم العمل اليهودي والانتاج اليهودي) والى اقتلاع الفلسطينيين من اراضيهم (باسم أرض الميعاد والشعب المختار) والى توسيع حدود اسرائيل (باسم اسرائيل الكبرى والامر الواقع) والى اخضاع أهالي المناطق المحتلة (باسم مبدأ الاقوى) .

أما بالنسبة الى مطلق « الوحدة المقدسة » فقد أتاح للطبقة الحاكمة أن تطمس استقلالها وراء شبح « العدو الخارجي » الذي « يدور حول حدود اسرائيل ويسعى الى رمي الجميع في البحر » . ان الصراع الطبقي داخل اسرائيل قد أوقف وتم اطفاء حدته بواسطة هذا المطلق الايديولوجي . وقد نتج عن ذلك أن امكانية ربط صراع الطبقة العاملة الاسرائيلية بنضال الحركة الثورية في المنطقة قد جمدت . ان على المنظمات الثورية داخل الدولة الصهيونية أن تعري المناورات الايديولوجية التي تقوم بها الطبقة المسيطرة وتساهم في خلق وعي طبقي قائم في البداية على قاعدة سياسية .

٤ ــ ان الايديولوجية الصهيونية تنتج تأثيراتها عن طريق نقل مرمى العلاقات الاجتماعية، من خلال التحديد والتوجه ، من صعيد حقيقي ــ محسوس الى صعيد خيالي ، أخلاقي ، ديني وشعوري . ان المرمى الحقيقي للعلاقات القائمة في فلسطين هو عبارة عن استيطان الصهاينة في أرض عربية منذ آلاف السنين . لقد هاجر الصهاينة الى فلسطين واحتلوها في الواقع ثم بعد انشاء دولة اسرائيل بدأوا يشرعون ويسنون القوانين لتبرير هذا الاحتلال قانونيا . لقد حور الصهاينة ، بفضل أجهزتهم الايديولوجية مرمى العلاقات ونقلوه الى صعيد ديني عن طريق وصفهم للصراع بأنه صراع أديان .

لقد وصف العرب بأنهم « معادون للسامية » مخيفون و« نازيون » (يجري دائما التذكير برحلة مفتي القدس الى برلين) ويريدون القيام « بحرب مقدسة » (الجهاد) ليطردوا خارجا اليهود الصغار المساكين الذين يوصفون كلهم بأنهم « داود الصغير » . كما جرى التحوير والتشويه على الصعيد الاخلاقي . ذلك ان الفلسطينيين لم يريدوا أن يستعيدوا فلسطين الا لان الصهاينة ، كما يؤكدون ، قد استغلوها . ولان الدول العربية لا تريد أن تستوعب الفلسطينيين ولان الفلسطينيين ليس عندهم علما وطنيا الخ ...

وتغير اسرائيل كذلك حقيقة المشكلة عندما تصفها على انها قضية حدود ينبغي بالضرورة التوصل الى حل لها اذا كان هناك رغبة في احلال السلام في المنطقة . ان النقاش الذي كان يدور في الاساس حول سبب الاستعمار الصهيوني لفلسطين واقتلاع أهلها منها تغير الان وحور فأصبح يدور على رسم الحدود . وتساهم الايديولوجية الامبريالية في هذا التحوير وتباركه (قرارات الامم المتحدة ، مشروع روجرز ، مشروع الملك حسين ، مشروع دايان ، مشروع آلون الخ ...)

وتقلب الايديولوجية الصهيونية المشكلة الحقيقية وتحولها الى مشكلة لاجئين . ألم يكن هناك دائما في تاريخ هذه الانسانية المعذبة لاجئون ؟ لقد كان هناك ، يقول الاسرائيليون،

دائما لاجئون . ان الفلسطينيين ليسوا الوحيدين الذين اقتلعوا وشردوا . ان هـذه الاقتلاعات ، والتي كان سببها على كل حال الدعاية العربية لا الارهاب اليهودي ، كانت شرا لا بد منه ، على حد قول الايديولوجيـة الصهيونية . وفي اقصـى الحالات فان الاسرائيليين يعلنون عن استعدادهم للمساهمة مع كل الدول الاخرى لاعادة توطين الفلسطينيين في اي مكان آخر غير فلسطين . على كل حال الم يعرض رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي بول ستروي «مشروع مارشال» لاعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين؟ وهكذا فان الايديولوجية الصهيونية ، بتحويرها للمشكلة ، تصل الى **قلب المسؤولية** ، كما قلنا أعلاه . فيصبح الفلسطينيون المطرودون من أراضيهم والذيـن يفتقرون الى وسائل الانتاج في قفص الاتهام في حين يوضع الصهاينة في موقع المعتدى عليهم والذين يدافعون عن أنفسهم كما يستطيعون .

ه ـــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل الايديولوجية المسيطرة ، تدعو الى العمل . ففي بداية الاستيطان الاستعماري الصهيوني كان ينبغـي العمل لتحويـل « فلسطين الى بلد يهودي كما ان انكلتره هي انكليزية » . ولتحقيق ذلك تم وضع أهداف عملية ووسائل استراتيجية وتكتيكية . فأنشىء الصندوق القومي اليهودي والوكالة اليهودية والهستدروت والحرس القومي والكيبوتزات والاحزاب السياسية. وبعد انشاء دولة اسرائيل وجه نداء الى شتات اليهود في العالم « للعودة الى أرض الاجداد » ووجهت نداءات من أجل التماسك القومي و« رص الصفوف » و« الوحدة المقدسة » . وأمام « المد » الفلسطيني اقترح انشاء مخططات ارهابية مضادة لاقناع العرب بالاستسلام .

٦ ـــ ان الايديولوجية الصهيونية تنتج تأثيراتها بوضعها للاطراف الفاعلة ضمن اطار زمني عن طريق اعادة تأويل ماضيها وعرض مستقبل عليها . وهكذا يتم التذكير بأرض الميعاد ، بأرض الجدود التي كان يسيل فيها اللبن والعسل ، بالهيكل ، بحائط المبكى وبالثورات اليهودية المثالية ضد الرومان . كما يتم التشديد على الهوية اليهودية المتميزة التي حفظت اليهود من العدوى ببقية الاجناس . وبالمقابل فان وجود الفلسطينيين في فلسطين يوصف بأنه كان وجودا عابرا ولم يغير شيئا في طابع البلاد « اليهودي » . على كل حال فان هذا الوجود لم يكن ابدا في يوم من الايام وجودا مستقلا كما يقولون . لقد كان الفلسطينيون تحت الاحتلال التركي ثم البريطاني . ان مبدأ الزمنية هذا يهدف الى اعلاء شأن الماضي وتفخيمه وتقييم التراث اليهودي مع رفض كل حق للفلسطينيين في الرجوع الى ماض أو حاضر .

٧ ـــ وتستعمل الايديولوجية الصهيونية باستمرار مبدأ الارتباط (التمفصل). فالصهيونية هي من نتاج الموجة القومية البورجوازية والامبريالية في الغرب ومن هنا فانها تنقـل وتحرر قيم وأفكار واساطير ومعتقدات المجتمع الذي أنتجها . ان الايديولوجية الصهيونية ترتكز ، مثلها مثل الايديولوجيات المسيطرة في البلدان الامبرياليـة ، على العوامـل الايديولوجية الاخرى المسيطرة في المجتمعات الغربية . وهذا ما يفسر لجوء الايديولوجية الامبريالية باستمرار الى قيم الدين ، الحرية ، المدنية ، الشرف ، النفوذ ، التاريخ ، الامة ، القدر ، الجنس (المعاداة للسامية) .

ان المنطق الصهيوني والصحافة الغربية عندما يتوجهان الى الشعبين الفرنسي والبلجيكي فانهما يعيران الاحداث المميزة التي طبعت تاريخ هذين البلدين المعاصر اهتماما خاصا . فمن الاساسي مثلا التذكير بفظائع النازية كما ان من الاساسي جدا ان يجهل هذان الشعبان الى أي حد تشبه المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيونـي المقاومة التي قادهـا الوطنيون في هذين البلدين ضد الاحتلال النازي من سنة ١٩٤٠ حتى ١٩٤٥ . ذلك انه اذا ظهر مثل هذا التشابه فمن الممكن ان يغير الرأي العام الغربي مواقفه .

وهكذا فان البناء الايديولوجي الصهيوني ينكشف أمام المراقب المباشر على انه صورة مصغرة عن النظام الايديولوجي الغربي . لذلك فان كل وضع لهذا البناء الاسرائيلي موضع شك وتساؤل وكل مجابهة شاملة معه وكل رفض للممارسات الاقتصادية والسياسية الحقيقية لاسرائيل يعتبر في الغرب كفرا واعتداء على المقدسات .

خاتمة : يجب أن يفهمنا القارىء بوضوح : ان هذا النص لا يهدف الى تأييد أو ادانة ما تسميه الايديولوجية المسيطرة « بالارهاب » بكل بساطة . ان موت انسان ، أيا كان هذا الانسان ، هو أمر يؤسف له .

ان لهذا العمل هدفان : الاول نظري ومنهجي . انه يريد أن يعطي القارىء للصحافة ، ولكل ما هو ايديولوجي ، الوسائل البسيطة لفضح محتواها الايديولوجي واكتشاف التحويرات والتشويهات التي تحدثها بالنسبة الى الوقائع التي تتكلم عنها .

الثاني سياسي . انه يريد أن يكشف عن التحالف العميق الذي نشأ بين الصهيونية واجهزة الصحافة التي تسيطر عليها الطبقة الامبريالية الغربية بقوة . انه يهدف بالتالي الى ابراز الطبيعة الامبريالية للصهيونية . وهو يريد أيضا أن يظهر العنصرية المعادية للعرب المتأصلة في وعي الفرنسيين والبلجيكيين . وأخيرا ، انه يريد أن يلفت الانتباه الى التشابه القائم بين المقاومة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني في البلدان التي يقال عنها انها في طور النمو : ان الهدف في الحالتين واحد وهو كسب معركة الاستقلال والتنمية ضد الامبريالية .

المجالس الوطنية الفلسطينية والوحدة الوطنية الفلسطينية

الدكتور سعيد حمود

مدخل عام : لهذه الدراسة غرض أساسي تسجيلي تاريخي يتتبع مشاريع الوحدة الوطنية الفلسطينية على امتداد المجالس الوطنية والمؤتمرات التي عقدها الفلسطينيون منذ بداية عملهم الثوري مع محاولة أولية تتناول جوهر المشاريع وبنودها ، ووصولا الى تصور جديد محدد للوحدة الوطنية فلا بد أن تكون أمام حركة المقاومة الآن وأمام قيادات المستقبل وكذلك أمام الباحثين والدارسين والمهتمين صورة متسلسلة مترابطة عن الكيفية التي قارب بواسطتها الفلسطينيون قضية أساسية مثل الوحدة الوطنية عبر تعرجات المراحل المختلفة : ومن ناحية ثانية ، ومع كون الوحدة الوطنية سلاحا حاسما من أسلحة المرحلة الحالية ، فانه من الحيوي جدا أن يستنير العمل الفلسطيني بتجربته وبتصور محدد نابع منها ومن دروسها . وستتجنب هذه الدراسة عن عمد الدخول في مناقشة الظروف الموضوعية والذاتية التي رافقت مسيرة الوحدة الوطنية الفلسطينية واحاطت بها على أمل ان تكون هذه المناقشة موضوعا لدراسة اخرى .

مقدمة : صرف من الجهد ، كتابة وخطبا ومناقشات واجتماعات (على مختلف المستويات) على قضية الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ما لا يمكن حصره او تسجيله . وبرغم ذلك ، فاننا اذا وجهنا سؤالا محددا الآن الى كافة الاطراف الفلسطينية الرئيسية ، حول ماهية هذه الوحدة التي ينشدون ، أي حول تعريف محدد لها ، لاختلفت التعبيرات والمواقف اختلافا غريبا . وكذلك اذا أردنا أن نذهب خطوة أبعد في السؤال قاصدين السبب أو الاسباب التي لم تتحقق الوحدة من أجلها ، لتباينت الاقوال والمحركات بشكل يكاد لا يصدق . من هنا فلعله مجديا ان نحاول وضع تعريف شامل للوحدة الوطنية أولا ، وأن نصيغ تحديدا شاملا لاسباب فشل الوصول اليها ، ثانيا .

أولا : الوحدة الوطنية الفلسطينية هي لقاء الفصائل المقاتلة فيما بينها والجماهير الفلسطينية معها حول برنامج سياسي محدد وبرامج عمل مشتركة ومحددة ايضا ، (يقول لي ذوان السكرتير الاول للجنة المركزية في الحزب الشيوعي الفيتنامي) : « ان الجبهة تجمع في وحدة متناقضة عديدا من الطبقات الاجتماعية تختلف الواحدة منها عن الاخرى ، وتتوحد كلها على أساس برنامج نضال مشترك ومحدد ... » (الثورة الفيتنامية المشاكل الرئيسية والمهمات الرئيسية — دار الطليعة ، بيروت ، كانون الاول ١٩٧١ ، ص ٢٢) .

انها اداة أساسية من أدوات النضال الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي يخوضها الآن . (على هذا الاساس فالوحدة الوطنية ليست بحد ذاتها هدفا ، وانما العمل على تحقيقها يمثل فقط هدفا مرحليا) ، **وهي في الوقت نفسه الاطار العام**

الذي يحتوي في داخله الاختلافات في وجهات النظر والصراع عليها . (يقول لي ذوان : « ان وحدة من جانب واحد ، وبدون صراع ستنتهي في الواقع بتدمير الوحدة ، وبتصفية الجبهة الوطنية . ومعرفة كيفية ادارة صراع مؤسس على المبادىء اي على اساس برنامج سياسي مشترك وبهدف تحقيق هذا البرنامج ، لن يؤدي الى تحطيم الوحدة او الى اضعاف الجبهة ، على العكس ، ذلك هو الشرط الوحيد لتعزيز الوحدة ولدعم الجبهة . » المرجع السابق ، ص ٢٣ .)

يعطي هذا التعريف الوحدة الوطنية الفلسطينية ثلاثة مضامين ، نرى من الضروري الاطلال عليها تفصيليا ، تحقيقا لمزيد من الوضوح وتجنبا للصيغ العامة التي يمكن ان تعني اي شيء وكل شيء :

١ ــ الوحدة الوطنية هي لقاء حول برنامج سياسي محدد وبرامج عمل مشتركة محددة ، ولقد تمكن العمل الفلسطيني من التوصل الى وضع برنامج سياسي محدد ، وذلك في المؤتمر الشعبي وفي المجلس الوطني الاستثنائي العاشر المنعقدين في القاهرة بين ٦ و ١٢ نيسان ١٩٧٢ . يمكننا هنا تلخيص اهم بنود البرنامج السياسي على اساس المحاور الاستراتيجية الاربعة (مع التفصيلات اللازمة) التي ستركز منظمة التحرير الفلسطينية نضالها عليها :

أ ــ « مواصلة وتعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه في حرب شعبية طويلة المدى من اجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديموقراطيين » . في هذا الصدد اكد البرنامج على ضرورة مواصلة الكفاح المسلح من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ، وايضا على النضال ضد كافة مشاريع التسوية ، وضرورة تعزيز روابط الوحدة الوطنية بين جماهير شعبنا في الداخل والخارج ، وعلى مقاومة سياسة تفريغ الارض وتعبئة الجماهير في الضفة والقطاع للدفاع عن اراضيها ، وكذلك على ضرورة العناية بالمؤسسات النقابية وبدعم صمود العمال والفلاحين في الاراضي المحتلة عام ٦٧ والعناية بأوضاع شعبنا في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وبمصالح شعبنا في كل مجال يوجد فيه . كما أكد البرنامج السياسي على دور منظمة التحرير في التشبث بحقوق الشعب الفلسطيني وبتقرير مصيره .

ب ــ « لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير أردنية ــ فلسطينية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكي العميل ، الذي يشكل قناعا هاشميا للسيطرة الصهيونية الفعلية على الضفة الشرقية وحارسا مأجورا شرسا للاحتلال الصهيوني نفسه على فلسطين » . في هذا المجال حلل البرنامج السياسي حقيقة السياسات التي ينتهجها النظام الملكي في الاردن ، متيحا المجال فيها للسيطرة الصهيونية والامبريالية ، والمؤدية الى الافقار المتزايد للجماهير الاردنية ــ الفلسطينية ، والى قهرها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . كما اشار البرنامج الى هجمة أيلول الشرسة على المقاومة والى الهجمات التي تلتها مؤكدا على ضرورة قيام الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية لتتولى المهام التالية : الاطاحة بنظام الحكم في الاردن وتحرير كامل التراب الفلسطيني والعمل على تنمية نضالات الجماهير وصولا الى هذه الاهداف والى : تعبئة وتنظيم الجماهير ، اشراك ابناء الشعب الاردني بالكفاح المسلح ، التأكيد على حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومنه ، مقاومة الاجراءات البوليسية الارهابية ، وغيرها من المهام النضالية على الساحة الاردنية .

جـ ــ « ربط النضال الفلسطيني ، والفلسطيني ــ الاردني بالنضال العربي العام من خلال جبهة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار

الجديد » . بعد أن حدد التقرير السياسي مضمون مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديموقراطية العربية بالنقاط التالية : تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل ، والقضاء على كل اشكال الوجود الامبريالي ، وتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني — الامبريالي ، وتحرير الجماهير العربية العاملة في الريف والمدينة من كل أشكال الاستغلال ، ووضع موارد الامة العربية الاقتصادية والذهنية في خدمة تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية ، أكد على « ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الفلسطيني — الاردني ، بحكم الحتمية التاريخية والمصيرية ، وبحكم الضرورة الموضوعية لا يمكن أن يكون الا جزءا لا يتجزأ من الثورة الديموقراطية العربية » . من هنا فان مهمة الثورة الملحة هي « السعي للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني العربي » باقامة جبهة تقدمية عربية تكون منطلقاتها : الدعم الايجابي للثورة الفلسطينية وللنضال الفلسطيني الاردني ، النضال ضد كل مشاريع ما يسمى بالحلول السلمية أو التسويات الجزئية ، النضال لتصفية اشكال الوجود الامبريالي في الوطن العربي ، مع منطلقات اساسية أخرى نابعة منها . (ولقد توصلت قيادة منظمة التحرير مع القوى العربية التقدمية مؤخرا في ١٩٧٢/١١/٢٨ الى اعلان تشكيل جبهة عربية مشاركة للثورة الفلسطينية لتتولى تحقيق المهام المذكورة ، وذلك في مؤتمر شعبي عربي واسع عقد في بيروت .)

د — « التفاعل مع حركة النضال العالمي ضد الامبريالية والصهيونية ، من اجل التحرر الوطني » . أكد البرنامج السياسي في هذا الصدد على « ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الديموقراطي العربي هما جزء لا يتجزأ من حركة النضال العالمي ضد الامبريالية — العنصرية ، ومن أجل التحرر الوطني » . وثبت البرنامج جملة مبادىء لعلاقات الثورة أمميا : النضال الوطني العربي هو بشكل حاسم وثابت الى جانب وحدة كل قوى الثورة العالمية ، ان اسهام النضال العربي في حسم اية خلافات في الحركة الثورية العالمية يتمثل بالتوجه لمعالجة قضاياه ثوريا وبنجاح ، « ان اهداف النضال العربي واساليبه الآخذة بالقوانين العامة للثورة العالمية التي هي خلاصة تجارب حركات التحرر الوطني العالمية هي من شأن القوى الوطنية التقدمية العربية » ، مع ابقاء الابواب مفتوحة للاستماع المخلص والايجابي لملاحظات ونصائح الاصدقاء .

هذه باختصار أهم عناصر البرنامج السياسي الذي أقرته اللجنة التنفيذية بعد المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الاخيرين . اذن ، فنحن امام برنامج سياسي محدد ، نابع من فهم طبيعة المرحلة، شامل لمهماتها وأساليبها ، ولا يجوز مطلقا التأخر او التردد في صب الجهود من أجل ارساء الصيغ العملية التي تتيح لهذا البرنامج طريقه للتحقيق . ولعلنا اذا تمكنا من الاشارة المحددة الى بعض البرامج المشتركة القابلة للتنفيذ ، نسهم في اغناء المضمون الاساسي الاول لقضية الوحدة الوطنية كما عرفناها من جهة ، ونشترك ايجابيا في عملية ارساء الصيغ الممكنة لتحقيق البرنامج السياسي من جهة ثانية :

— العمل في المخيمات وفي أماكن تجمع الفلسطينيين ، حيث توجد سلسلة من القضايا تتعلق بحياة هؤلاء اليومية متدرجة من المشاكل الحياتية والتعليمية اليومية حتى مشاكل التوعية والتعبئة السياسية . هذه القضايا ذات طبيعة مشتركة بين الجماهير ، فهي ، اذن ، تقع داخل اطار الاهتمامات المشتركة لجميع الفصائل .

— العمل داخل الارض المحتلة كلها ، حيث كل القضايا المعيشية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، هي قضايا مشتركة بين الجماهير وكذلك بين الفصائل الفلسطينية المقاتلة . موضوعيا وعمليا فان التوجه لها جديا سوف ينتج سلسلة من البرامج التطبيقية المشتركة .

ــ العمل على صعيد الاردن ، يتطلب بداية تشكيل لجنة مشتركة من أجل تحديد برامج عمل مشتركة ومحددة . وهذا الامر قابل للتنفيذ حالا طالما حدد البرنامج السياسي المتفق عليه الخطوط العريضة للعمل على الساحة الاردنية . هناك ثمة قضايا (في هذا المجال او غيره) قد تختلف وجهات النظر حولها ، فليكن التركيز ، اذن ، على القضايا المحسوم أمرها : مثل اقامة الجبهة التقدمية الاردنية ــ الفلسطينية ومثل قضايا العمل النقابي الخ .. (مع ضرورة التنبه الى ابقاء الحوار مفتوحا حول القضايا المختلف عليها) . لو أردنا البحث اكثر عن مجالات عمل مشتركة لوجدنا العديد منهــا ، المهم ان تكون واضحة ومتواضعة وقابلة للتنفيذ .

٢ ــ والوحدة الوطنية هي **اداة أساسية من أدوات النضال الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي يخوضها الآن** . ان الثورات الوطنية في مواجهة الامبريالية وجبروتها وتقدمها العلمي والتكنولوجي وقبل كل هذا شراستها في سحق قوى الثورة في كل مكان حفاظا على مصالحها الممتدة ومطامعها الدائمة والمتصاعدة ويقظتها ويقظة عملائها كلهم . ان الثورات الوطنية في مواجهة هذه الامبريالية تملك عدة أسلحة : الوعي الثوري والتيقظ المقابل والجماهير الفقيرة المسلحة والمنظمة نخوض بهــا ومعها حرب الشعب الثورية (الطويلة الدؤوبة المليئة بالتضحيات) ، ولعل أهم أسلحة الثورات فتكا في الامبريالية ومخططاتها هو تماسكها وتضامنها وتجنيدها لكافة القوى صاحبة المصلحة بالثورة أي **جبهتها الوطنية** وكذلك الاممية . دون هذه الجبهة تصبح اسلحة الثورة الاخرى ، أسلحة مؤقتة قليلة الفعالية لا تلبث الامبريالية ان تتمكن من الفتك بها ومن تقطيعها واحدة بعد الاخرى اربا اربا . ومع اتساع معسكر اعداء الثورة ، تزداد قيمة الجبهة الثورية كأداة حاسمة في المجابهة . ان نظرة سريعة على معسكر اعداء الثورة الفلسطينية كفيلة بأن تبرز مدى ضخامة واتساع وقوة هذا المعسكر ، في المقابل ، فان نظرة مماثلة على اوضاع معسكر الثورة واصدقائها تبرزها في المرحلة الراهنة متردية ضعيفة قابعة في مواقع الدفاع وقبل كل هذا مفتتــة متفرقة مشرذمة . مــن القراءة الموضوعية لهذا الواقع تنبع جدية فهم الوحدة الوطنية نواة لجبهـــة ثورية عريضة ، كأداة أساسية من أدوات النضال الفلسطيني .

٣ ــ الوحدة الوطنية هي أيضا **الاطار العام الذي يحتوي في داخله الاختلافات في وجهات النظر والصراع عليها** . تعمدنا تثبيت هذا المضمون في تعريف الوحدة الوطنية حتى يكون جليا أمامنا ، أن الجبهة الوطنية لا تعني بأي حال من الاحوال انسجاما فكريا أو عقائديا كاملا بين القوى المكونة لها ، انها **لقاء حول برنامج سياسي محدد** في مرحلة معينة من مراحل النضال . القضية هنا ليست ارادية ، فالجبهة الوطنية تعني لقاء عدة اطراف وقوى ذات منطلقات ومواقع واتجاهات مختلفة (لو كان الامر غير ذلك لما كان هناك داعيا لجبهة وطنية) . في هذا الصدد يقول لي ذوان : « واذا كانت هناك بعض الطبقات لها مصالح اساسية متشابهة، فان هناك طبقات أخرى لا ترتبط مصالح كل منها بمصالح الاخرى الا بقدر معين . وكل طبقة اجتماعية ، من أجل مصالحها الخاصة ، ومن أجل المصلحة المشتركة تدخل في وحدة مع الطبقات الاخرى في اطار الجبهة الوطنية . وفضلا عن ذلك فان هذه المصلحة المشتركة ذاتها تتصورها كل طبقة من وجهة نظرها الخاصة» . (المرجع السابق ، ص ٢٢) ثم ان الصراع حول وجهات النظر المختلف عليهـــا (داخل الجبهة وخارجها) يعتبر أمرا حاسما ، اذ انه من العوامل الاساسية المحركة لانبثاق الحزب القائد الحقيقي داخل الجبهة وفي مرحلة النضال المعينة . وبدون الحزب القائد المستقطب للجماهير التي تتطابق مصلحتها والمصلحة الوطنية بشكل كامل ، فان الجبهة الوطنية تفقد عمودها الفقري . (ان دور الحزب قائدا للجبهة الوطنية بحاجة الى تحليل شامل في ضوء ظروف العمل الفلسطيني ، ربما لا يكون هنا مجاله المناسب) . من هنا

فانه من الخطأ الفادح تصور وحدة وطنية دون خلافات في وجهات النظر ودون صراعات. المهم ان يكون الاتفاق على البرنامج السياسي المحدد وعلى تطبيقه متوفرا وقائما وفعالا .

ثانيا : قد يساعدنا تعريف الوحدة الوطنية كما بيناه آنفا في الاجابة الدقيقة على السؤال المطروح وهو : لماذا لم يحقق الفلسطينيون حتى الان وحدتهم الوطنية ؟ والاجابة الدقيقة على هذا السؤال ، بدورها ، تستهدف تحقيق أمرين : الاول ، انهاء حالة الاجتهادات والتبريرات (العقيمة في غالب الاحيان) حول اسباب تعثر الوحدة الوطنية ، تلك الاجتهادات والتبريرات التي برهنت التجربة العملية انها ساهمت في تعميق التعثر وليس ، كما هو مفروض ومنطقي ، ان تكون ، عاملا مساعدا في تخطي الازمة. الثاني ، ارساء قاعدة عملية شاملة ينطلق منها التوجه الوحدوي ، ولا يعود الى ما ورائها (طبعا اذا توفرت القناعات حولها كاملة) .

لماذا لم يحقق العمل الفلسطيني وحدة وطنية حتى الآن ؟ لان فصائل حركة المقاومة غير واعية لماهية الوحدة الوطنية المنشودة في هذه المرحلة وبالتالي هي خائفة منها ومن أحكامها وأيضا فهي عاجزة عن تغليب فهمها للفوائد المشتركة الممكنة من وحدة وطنية حقيقية (في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي) **وعلى فهمها لمصالحها الفئوية الخاصة ونتيجة لكل هذا لم تتبلور ارادة جماعية جادة بالوحدة الوطنية** . لهذا السبب ظلت قضية الوحدة الوطنية مرتعا للمزايدات ولاحكام المواسم وللمشاريع الفوقية غير القابلة للتنفيذ. ولعل جوهر العقدة يكمن في أن حركة المقاومة منذ انطلاقتها (برغم تفاوت مشاربها ومنطلقاتها) لم تتسلح باطلالة جادة على التجربة الثورية في العالم وخاصة فيما يتعلق بموضوعة الجبهة الوطنية . وأكثر من ذلك ، فبرغم تجربتها الطويلة المكثفة احيانا والمليئة بالعبر والدروس ، فقد ظلت عاجزة عن استخلاص النتائج الموضوعية المؤدية الى فهم عميق لماهية الوحدة الوطنية المطلوبة ولحجمها يقضي على المخاوف ويغلب فهم الفوائد المشتركة الممكنة للمرحلة على فهم المصالح الخاصة والفئوية . ان الفهم الحقيقي لماهية الوحدة المنشودة لا يجيز ولا يستدعي اطلاقا مناورات الكواليس المعهودة بحثا عن مكسب خاص ولهثا وراء تسجيل موقف معين — ان الفهم الحقيقي لماهية الوحدة الوطنية ولدورها كأداة حاسمة في هذه المرحلة كفيل بأن يريح المنظمات من « عذاب » **الكواليس** وان يوفر وقتا لتحرك مفيد وايجابي .

قد نتساءل هنا حول امكانية وقدرة القوى والعلاقات القائمة فيما بينها ، في هذه المرحلة، على احداث عملية التغيير في ضوء التعريفين المحددين للوحدة الوطنية ولاسباب تعثرها. وقد نجيب انه في ظروف نضالنا القائمة لا بد من احداث التغيير وانه من الممكن احداثه باعادة نظر جذرية في قواعد واساليب المسيرة . وقد يكون الجواب ان الامر مستحيل ولا بد من تغيير أكثر جذرية في كافة الاوضاع والقوى القائمة . غير اننا نترك الجواب النهائي في ثنايا التطورات القادمة . ان التجربة العملية تبقى المحك الاصيل الوحيد والحقل المتاح لصقل اجابة موضوعية وحاسمة .

اطلالة على المجالس الوطنية الفلسطينية :

نحاول في هذه الاطلالة متابعة القرارات الخاصة بالوحدة الوطنية وحيثياتها التي شهدتها المجالس السابقة ، بالطبع ، دون الخوض في التفاصيل والمشاكل التي كانت تنشأ حسب ظروف كل مرحلة . وسنعتمد في هذا الصدد على الوثائق الصادرة عن منظمة التحرير المتوفرة في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية . ومن حيث المنهج ، فان تقسيم الموضوع الى مرحلتين يبدو أمرا ضروريا : المرحلة الاولى تعني بالمجالس الوطنية الثلاثة الاولى التي عقدت في المواعيد التالية :

ــ المؤتمر الاول بين ٦٤/٥/٢٨ و١٩٦٤/٦/٢ (في القدس) ، ــ المؤتمر الثاني بين ٦٥/٥/٣١ و١٩٦٥/٦/٤ (في القاهرة) ، ــ الدورة الثالثة بين ٦٦/٥/٢٠ و٥/٢٤/١٩٦٦ (في غزة) . ويمكن وصف هذه المرحلة من حياة منظمة التحرير بأنها مرحلة ما قبل المنظمات ، اي قبل دخول فصائل حركة المقاومة الى مجالس منظمة التحرير (وحتى قبل نشوء العديد منها) . ومن هنا فان الاطار الذي تناقش ضمنه قضية الوحدة الوطنية يختلف بشكل واضح عن اطار المرحلة الثانية .

اما المرحلة الثانية فتشمل المجالس الوطنية التالية : ــ المجلس الوطني الرابع بين ١٩٦٨/٧/١٠ و١٩٦٨/٧/١٧ (في القاهرة) ، ــ المجلس الوطني الخامس بين ٢/١/١٩٦٩ و١٩٦٩/٢/٤ (في القاهرة) ، ــ المجلس الوطني السادس بين ١٩٦٩/٩/١ و١٩٦٩/٩/٦ (في القاهرة) ، ــ الدورة السابعة بين ١٩٧٠/٥/٣٠ و١٩٧٠/٦/٤ (في القاهرة)، (تلت هذا المجلس دورة استثنائية بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٧ في عمان)، ــ الدورة الثامنة بين ١٩٧١/٢/٢٨ و١٩٧١/٣/٥ (في القاهرة) ، ــ الدورة التاسعة بين ٧/٧/١٩٧١ و١٩٧١/٧/١٣ (في القاهرة) ، ــ الدورة العاشرة (وكانت استثنائية) بين ١٩٧٢/٤/٦ و٧٢/٤/١٢ (في القاهرة) .

على اساس مقارنة بين الموضوعات والقضايا التي تناولتها دورات هذه المرحلة (من حيث نسبة المناقشات والوقت والصياغات) فان قضية الوحدة الوطنية تحتل المكان الاول ، مما يتيح لنا وصف هذه المرحلة بأنها مرحلة **حيوية ونضوج البحث عن الوحدة الوطنية** .

١ ــ **المرحلة الاولى** (الممتدة بين ١٩٦٤/٥/٢٨ و١٩٦٦/٥/٢٤) . ميز هذه المرحلة افتراض قيادة منظمة التحرير وجود وحدة (بحد ادنى) بين الفلسطينيين حول الميثاق الوطني الفلسطيني ، لذلك لم تشهد المؤتمرات الاولى الثلاثة لجانا لبحث قضية الوحدة الوطنية بشكل خاص . غير ان هذه المؤتمرات قاربت الموضوع بشكل أو بآخر . من هنا يمكننا متابعة الموضوع عبر الميثاق الوطني نفسه وكذلك عبر القرارات العامة التي خرجت بها المؤتمرات .

أ ــ المؤتمر الفلسطيني الاول (في القدس بين ٦٤/٥/٢٨ و ١٩٦٤/٦/٢) . انعقد المؤتمر الاول للفلسطينيين بعد فترة طويلة من الضياع والتخبط (وكان المؤتمر ومنظمة التحرير الفلسطينية التي انبثقت عنه ، بالاضافة الى شعور الفلسطينيين بالحاجة اليها والسعي نحوها ، ثمرة مؤتمر القمة العربي الاول الذي انعقد في القاهرة في ١٩٦٤/١/١٤) . لذلك كان العاملان الموضوعيان المحركان اللذان سيطرا على التوجه في ذلك الحين هما : ابراز الشخصية الفلسطينية وارساء الكيان الفلسطيني بمعنى وضع الفلسطينيين في اطار مؤسسة واحدة ذات أهداف واحدة ونظام أساسي واحد . على هذا الاساس وعلى أساس فهم المسؤولين في تلك الفترة لطبيعة المرحلة جاء في الميثاق الوطني الفلسطيني حول الوحدة الوطنية ما يلي : **المادة ٩** : « المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية او اقتصادية لا تشغل أهل فلسطين عن واجبهم الاول في تحرير وطنهم ، والفلسطينيون جميعا جبهة وطنية واحدة يعملون لتحرير وطنهم بكل مشاعرهم وطاقاتهم الروحية والمادية » . **مادة ١٠** : « يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات ، الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير ، وبعد أن يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطيني لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

المادة ٢٥ : « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما

تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي » (المرجع : م. ت. ف. المؤتمر الفلسطيني الاول وثائق مركز الابحاث م. ت. ف. ٨١ ، ص ٤٥ و٤٩) .

كما جاء في النظام الاساسي: **مادة ٣** : « تقوم العلاقات داخل المنظمة على اساس الالتزام بالنضال والعمل الوطني في ترابط وثيق بين المستويات المختلفة من قاعدة المنظمة الى قيادتها الجماعية ، وعلى أساس احترام الاقلية لارادة الاغلبية وكسب ثقة الشعب عن طريق الاقناع ومتابعة الحركة النضالية والعمل على استمرار الدفع التحريري لدى الجماهير ... » **مادة ٤** : « الفلسطينيون جميعا اعضاء طبيعيون في منظمة التحرير الفلسطينية يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » . (المرجع السابق ص ٥٠) .

ربما كانت بعض المقتطفات من كلمة الاستاذ احمد الشقيري (رئيس المؤتمر ورئيس المنظمة بعد انتهاء المؤتمر) تعيننا في تأكيد المنحى الفكري الذي كان سائدا آنذاك فيما يتعلق بقضية الوحدة الوطنية (نؤجل مناقشة خلفيات وأصول هذا المنحى والنهج الذي اتبع في التعبير عنه الى ما بعد تسجيل الدلائل العملية على خصوصية المرحلة الاولى في النظرة الى قضية الوحدة الوطنية) : « ... ولكن مؤتمرنا هذا في يومنا هذا ليعلن للدنيا بأسرها اننا نحن اهل فلسطين أصحابها الشرعيين قد التقينا ، قد اجتمعنا ، قد التقينا واجتمعنا على تحرير فلسطين ... ونحن هنا لا نمثل الفلسطينيين في سوريا ولبنان والعراق وقطاع غزة ولكننا نحن هنا شعب واحد ووطن واحد وكفاح واحد ... وهذا المعنى الكبير الذي يتجلى في تجمع الشعب الفلسطيني يجاوره في جلاله وخطره ذلك هو اجتماع الامة العربية ممثلاً بيننا ... واذا كان الركب العربي قد خطا خطوات واسعة في ميدان القوة العسكرية والاقتصادية فقد بقي علينا نحن الشعب الفلسطيني أن نسير في موازاة هذا الزحف العربي فنبني كياننا ونجمع صفوفنا ونعبىء كل طاقاتنا وكفاءاتنا فتعود القضية لشعبها ويعود الشعب لقضيته ... ولهذا فاني أتقدم اليكم بهذا الهيكل العام (الميثاق والنظام الاساسي) ، اعرضه ولا افرضه ومن كان لديه مشروع آخر يمكن تحقيقه ويستطيع ان يضع يده على الوسائل التي تيسر الانجاز والتنفيذ فاني مستعد أن اسير وراءه بأن أعمل في خدمته وأن أضع يدي تحت تصرفه فان قضية فلسطين تتطلب منا جميعا التجرد والاخلاص والتفاني وانكار الذات ... الكيان الفلسطيني تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجىء والمقيم ، الطلاب والشباب ، الرجال والنساء ، فالكيان للشعب وفي خدمة الشعب ومفتوح لكل أفراد الشعب . ومن شاء أن يعمل ومن شاء أن يبني فليتفضل . ان ميدان العمل رحب فسيح للذين يعملون للذين يعزمون على البناء ... » (المرجع السابق صفحات ٣٦ ــ ٣٩) . هذه العناوين والشعارات كانت السائدة في المؤتمر الفلسطيني الاول ، وفي ظلها جرت عملية وضع أسس منظمة التحرير الفلسطينية . غير انه من الضروري أن نذكر ان تناقضا ما كان قائما حتى في تلك المرحلة حول العديد من القضايا الاساسية بين من كان يمثل الافكار المطروحة في المؤتمر وبين القوى المنظمة التي كانت موجودة في الساحة (واستمر غالبها بشكل أو بآخر كما سنبين في الاطلالة على المرحلة الثانية) .

ب ــ المؤتمر الفلسطيني الثاني (في القاهرة بين ٦٥/٥/٣١ و١٩٦٥/٦/٤) لم يخرج المجلس الوطني الفلسطيني (كان المؤتمر الاول قد اتخذ قرارا بتسمية نفسه مجلسا وطنيا) في دورته الثانية عن الاطار العام الذي بيناه آنفا ، من زاوية الافكار المحددة حول الوحدة الوطنية . « أقر المجلس قانون التنظيم الشعبي كأداة قادرة على حشد الفلسطينيين بكل طاقاتهم وكفاءاتهم لتحرير فلسطين .. وحتى يقوم العمل على أساس الالتزام بالنضال والكفاح وعلى مفهوم وجوب التضحية والفداء بالمال والنفس وعلى عنصر الايمان ... وحدد النظام الاساسي للتنظيم الشعبي ان سبيل تحرير الوطن هو

الجهاد والنضال المسلح ... وان مرحلة التحرير تقضي ايجاد الترابط الوثيق بين قاعدة المنظمة وهي الشعب وبين قياداتها الجماعية ». (المرجع : الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الهيئة التنفيذية « المجلس الوطني الفلسطيني في دورات انعقاده » ، ص ١ ، وثائق مركز الابحاث م.ت.ف. ٧٣) . يلاحظ من النظام الاساسي للتنظيم الشعبي — ودون الخوض التفصيلي في مناقشة أحكامه وخلفياته — أن المبدأ الرئيسي الذي هيمن على عملية وضعه ، انما ارتكز على قاعدة تجميع الفلسطينيين بكافة فئاتهم وتنظيماتهم (مهما اختلفت مشاربها) وتجمعاتهم في اطار منظمة واحدة ذات نظام واحد وتوجه واحد ، وهذا ما يعكس النظرة التي كانت سائدة في ذلك الحين الى قضية الوحدة الوطنية .

جـ — الدورة الثالثة للمجلس (في غزة بين ١٩٦٦/٥/٢٠ و١٩٦٦/٥/٢٤) : اعتبر الاجماع الذي اقر به المجلس قرارات وتوصيات اللجان مؤشرا أساسيا لتحقيق الوحدة الوطنية التي جمعت ابناء فلسطين (تقرير الامين العام للمجلس حول كلمة رئيس المجلس في ختام الدورة : الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني — غزة — ٢٠ — ٢٤ أيار (مايو) ١٩٦٦ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٨٢ ، ص ١١) .

وقد جاء في خطاب الافتتاح الذي القاه رئيس المنظمة — رئيس المجلس : « ... أيها الاخوان بقي علي أن اختم حديثي اليكم ، في أمر كان محل اهتمام المجلس الوطني يوم انعقد في القاهرة ، واتخذ بشأنه قرارا غير مدون طلب فيه الى رئيس المنظمة ان يتصل بالمنظمات الفلسطينية كلها سرية أو علنية عقائدية أو حزبية عسكرية أو شبه عسكرية ، بغية توحيد العمل الفلسطيني ، واني استجابة لضميري ولتوصيتكم غير المدونة ، عملت كل جهدي في اللقاء مع الاخوان جميعا المنتسبين الى هذه المنظمات والى هذه الحركات.. الشعب الفلسطيني رفع شعار الوحدة القومية .. الشعب الفلسطيني ملتف حول منظمة التحرير لانها أمل الشعب .. لانها رمز الشعب .. عنوان كفاح الشعب ونضال الشعب من أجل التحرير ، والتقى اخواننا من هذه المنظمات في اجتماعات متتالية في بيروت ، حضرت بعضها لوضع منهاج لتوحيد العمل الثوري واريد ان أعلن هنا ان قيام هذه المنظمات وتعدد هذه المنظمات كان أمرا طبيعيا في الماضي .. كانت مرحلة لا بد منها ... (وأشار الى أن التعدد كان تعبيرا عن حيوية شباب فلسطين ولقائهم من أجل العمل لوطنهم وتفكيرهم الدائم به وبقضاياه) ... كانت هناك نخبة من رجالنا ومن شبابنا يفكرون في الوطن وماذا يصنعون للوطن وبهذا نشأت منظمات بعضها عسكري وبعضها عقائدي وبعضها حزبي ، حمدت لهم هذا النشاط لانهم عبأوا جانبا من الفراغ ، تلك مرحلة مضت أحمد لهم فيها اخلاصهم وتفانيهم وتجردهم ، ولكن المرحلة التي نحن فيها هي مرحلة وحدة النضال ، وحدة القوى الثورية كلها ، وحدة الشعب الفلسطيني كله ، ومن اجل هذا فان لقاء اخواننا في بيروت قد انتهى الى مرحلة طيبة .. هناك ابحاث ودراسات استطاعوا بها أن يجدوا نقاط تلاق فيما بينهم ، ووضعوا لهم منهاجا نظريا ... اننا اليوم في هذه المرحلة ، مرحلة الوحدة الوطنية الثورية التي تجمع كل طلائعنا كل شبابنا كل رجالنا وكل قواتنا الثورية » . (المرجع السابق : صفحات ٤٥ ، ٤٦ و٤٧) .

نلاحظ باستمرار ان مقاربة الوحدة الوطنية في تلك المرحلة كانت تتم عبر الدعوة الى الانضمام في اطار المنظمة الواحدة ذات النظام الواحد والاداة الواحدة . ولعل المجلس الوطني الثالث كان أوضح وأكثر مباشرة من سابقيه في التعبير عن هذا المنحى ، اذ جاء القرار السياسي الثاني المتخذ في تلك الدورة تحت عنوان : وحدة العمل الثوري . « لما كان النضال الفلسطيني من أجل استعادة فلسطين يتطلب توحيد جميع القوى الوطنية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية وعلى اساس مخطط ثوري للعمل ، ولما كانت القوى الثورية الفلسطينية قد أقرت مبدأ توحيد عملها تمهيدا لتوحيد تنظيمها كلـه ، وأقرت

المبادىء التي يقوم عليها هذا التوحيد والصيغة التنظيمية التي تتجسد بهـا ، لذلك :
(١) يؤيد المجلس الوطني هذه الخطوة التي بادرت قيادة منظمة التحرير الى اتخاذها والتي تعتبر ولا شك نقطة تحول هامة في مسيرة النضال الفلسطيني باعتبار ان توحيد القوى الثورية يشكل الدعامة الشعبية الراسخة لمنظمة التحرير الفلسطينيـة ويدعو جميع الفئات والتنظيمات الثورية الى الاشتراك الهادف للانصهار في هذا العمل الموحد.
(٢) يفوض المجلس رئيس اللجنة التنفيذية بان يقدم الى هذا التنظيم جميع التسهيلات التي يتطلبها لوضع التنظيم أمام مسؤولياته الجسيمة في هذه الفترة الحاسمة من فترات نضالنا لاسترداد الوطن السليب . (٣) يطلب المجلس انبثاق القيادة الجماعية الثورية عن هذا العمل الثوري الموحد انسجاما مع طبيعة المرحلة الجديدة التي وصلت اليها قضية فلسطين . (٤) الى ان يتم انصهار القوى الثورية انصهارا تاما يطلب المجلس من رئيس اللجنة التنفيذية ان يتعاون مع هذه القوى حتى يتحقق هذا الهدف (المرجع نفسه : صفحات ٦٤ و٦٥) .

باختصار كانت هذه مرحلة فهم الوحدة الوطنية على أساس انها تجميع كافة القوى وحشد كافة الطاقات في اطار منظمة التحرير ، بأسلوب تميز بالمناشدة والدعوة الى الالتقاء وترك الخلافات جانبا، وبتصور انه من الممكن تحقيق ذلك طالما اتفق الفلسطينيون على ميثاق وطني وعلى نظام أساسي . غير ان المرحلة انتهت دون ان تشهد وحدة وطنية فلسطينية حقيقية .

٢ ــ **المرحلة الثانية** (الممتدة بين ١٩٦٨/٧/١٠ و١٩٧٢/٤/١٢) . اذا كان الافتراض الذي ميز المرحلة السابقة قد ارتكز على انه بوجود الميثاق الوطني والنظام الاساسي وباستمرار التركيز على الدعوة للانضواء في اطار منظمة التحرير تتوفر العوامل الكفيلة بتحقيق الوحدة الوطنية ، فان المرحلة الثانية ، التي نحن بصددها ، قد تميزت بتصور آخر لبلوغ الغاية ذاتها . ارتكز التصور على دعامتين : الاولى تتمثل بصياغة المشاريع الكبيرة المتكاملة حول الوحدة (مثلا صيغ الوحدة العسكرية ، والتوحيد المالي والاعلامي والتنظيمي) ، والثانية تنشد اعلان المنظمـات المختلفة موافقتها علـى هذه الصيغ واستعدادها للتقيد بها وتنفيذها . بعد هزيمة حزيران ازداد ثقل المنظمات نوعا وكما ، وغدا هذا الثقل محورا رئيسيا للوحدة الوطنية ، وبالذات لان الفصائل دخلت منظمة التحرير وتسلمت قيادتها .

أ ــ المجلس الوطني الرابع (في القاهرة بين ١٩٦٨/٧/١٠ و١٩٦٨/٧/١٧) ربما يكون المجلس الوطني الرابع ، باعتماد مؤشرات المشاركة الشاملة ، وحيوية المناقشات وجديتها والتركيز على قضية الوحدة الوطنية ، مـن أهم المؤتمرات التي عقدهـا الفلسطينيون في مرحلة عملهم الثوري الراهن ، فيه جرت تعديلات اساسية على الميثاق الوطني والنظام الاساسي ، وفيه بدأت نغمة المشاريع الوحدوية الكبيرة (مع العلم ان أحد الأعضاء أو مجموعة منهم كانوا متنبهين الى قضيـة التدرج الطبيعي في مقاربـة الوحدة ، غير أن هذا الامر لم يعكس نفسه بقوة على قرارات المجلس)، وفي هذا المجلس اتخذ القرار بانشاء مركز التخطيط . وكانت القرارات السياسية شاملة ودقيقة ، بحيث يمكن اعتبارها قاعدة جيدة لبرنامج سياسي مرحلي واستراتيجي .

وقد جاء في الميثاق الوطني الفلسطيني (الميثاق كما وضعه المؤتمر الاول كان يسمى الميثاق القومي) الذي اقره المؤتمر : « المرحلة التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين ولذلك فان التناقضات بين القوى الوطنية الفلسطينية هي من نوع التناقضات الثانوية التـي يجب ان تتوقف لصالح التناقض الاساسي فيما بين الصهيونية والاستعمار من جهة ، وبين الشعب العربي الفلسطيني من جهة ثانية ، وعلى هذا الاساس ، فان الجماهير الفلسطينية سواء من كان منها في

ارض الوطن او في المهاجر ، تشكل منظمات وافرادا ، جبهة وطنية واحدة ، تعمل لاسترداد فلسطين وتحريرها بالكفاح المسلح » (المرجع : م. ت. ف. المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة من ١٠ — ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، باب الميثاق الوطني الفلسطيني ، المادة (٨) ، وثائق مركز الابحاث م. ت. ف. ٥٢ ، ص ٢١) . كما نصت المادة (١٠) على ان : « العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية وهذا يقتضي تصعيده وشموله وحمايته وتعبئة كافة الطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية وتنظيمها واشراكها في الثورة الفلسطينية المسلحة وتحقيق التلاحم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب العربي الفلسطيني وبينها وبين الجماهير العربية ضمانا لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها » . المادة (١١) : « يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات : الوحدة الوطنية ، والتعبئة القومية ، والتحرير » . (المرجع السابق : صفحات ٢١ و٢٢) .

وجاء في القرارات السياسية تحت : ثالثا : الاداة ، وفي فقرة التطبيق العملي في مجال الكفاح المسلح : « (١) منظمة التحرير الفلسطينية هي تجمع للقوى الفلسطينية في جبهة وطنية من اجل ثورة مسلحة تحرر الارض . ٢) ولهذه المنظمة ميثاق يحكم سيرها ، ويحدد اهدافها ، وينظم عملها ، ولها مجلس وطني وقيادة تنفيذية يختارها المجلس الوطني ، كما يحدد ذلك النظام الاساسي . وتقوم اللجنة التنفيذية بوضع خطة عامة موحدة للعمل الفلسطيني على مختلف مستوياته وفي كافة مجالاته ، يصير تنفيذها من خلال ادوات الثورة التي جرى لقاؤها داخل هذا المجلس . وعليها جميعا ان تكون ملتزمة بدورها فيها ، وبما يصدر عن هذه القيادة من قرارات » . (المرجع السابق : ص ٣٩) . وتضمنت التوصيات الاعلامية : « ٣) أن يراعي الاعلام الموجه الى العرب الفلسطينيين نشر المبادىء التالية والتأكيد عليها : ... ب) ان العمل الوطني اساسه الوحدة الوطنية » . (المرجع نفسه : ص ٦١) . اما القرارات العسكرية فقد احتوت في البند (ب) — توحيد القوى المقاتلة الفلسطينية كما يلي : « ١ — تشكل قيادة عسكرية لقوات المنظمات الفدائية الممثلة في المجلس الوطني . ٢ — تسمى هذه القيادة مؤقتا — قيادة قوات الفدائيين — الى ان يتم الاتفاق على اسم جديد . ٣ — تضع هذه القيادة مشاريع الانظمة والقوانين والصلاحيات التي ترتأيها مناسبة لتحقيق حسن سير العمل والغاية المرجوة من هذه القيادة وترفعها الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ليصار الى مناقشتها واقرارها وبالتالي لتكون نافذة المفعول بعد ذلك . ٤ — تقوم هذه القيادة باتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيق الوحدة الكاملة لقوات المنظمات الفدائية خلال اقصر فترة ممكنة . ٥ — تصدر البلاغات العسكرية عن هذه القيادة مع ذكر الجهة التي قامت بالتنفيذ — مرحليا — . ٦ — تقوم الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية بالتنسيق بين قيادة الجيش وهذه القيادة من جهة والربط بين هاتين القيادتين واللجنة التنفيذية من جهة اخرى . ٧ — تكلف اللجنة التنفيذية بتنفيذ هذه القرارات » . (المرجع نفسه : صفحات : ٦٤ و٦٥) . وفي القرارات العامة جاء ما يلي : « ٩ — تلتزم كافة الفئات الفلسطينية المقاتلة والممثلة في المجلس الوطني المنعقد في القاهرة يوم ١٠/٧/١٩٦٨ باصدار بيانات تتضمن لقاءها وتوجهها منحى الوحدة والاخاء مع ضرورة شرح فحوى هذه البيانات على افراد المنظمات وابلاغهم ضرورة الالتزام والامتناع عن كل ما يسيء لهذا التوجه الجديد . ١٠ — تصدر اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا على الشعب العربي الفلسطيني يوضح هذا اللقاء والالتزامات التي ترتبت عنه » . (المرجع نفسه ص ٦٦) .

في المجلس الوطني الرابع جرت عملية استبدال النظام السابق للتنظيم الشعبي وجاء في مقدمة قرارات التنظيم الشعبي « ... واقتناعا من

المجلس الوطني بالصمود البطولي لشعبنا يرى حتميـة وضرورة تنظيم صفوف الشعب وحشد طاقاتـه في وحـدة وطنية تصعد بالثورة حتى النصر ... » (ص ٦٧) . وفي القرارات نفسها : « ٣) أ ـ يلتزم المجلس الاعلى بمقررات المجلس الوطني واللجنة التنفيذية فيما يختص بالتنظيم الشعبي ويعمل على تنفيذها بما يحقق الوحدة الوطنية » (ص ٦٩) . وجاءت القرارات المالية منسجمة ايضا مع المنحى التوحيدي الذي أقره المجلس وعكسه في الميثاق الوطني وكافة القرارات الآنفـة الذكر (انظر صفحة ٧٢) لقد تجلت ، في المجلس الوطني الرابع ، روح الشعور بالمسؤولية وقناعة المنحى العلمي في توجيه النضال ، ومعاني الفهم المسؤول للعمل الموحد ، والمناشدات الكبيرة من أجل ضرورة الالتزام بالقضايا المتفق عليها . وكان اشتراك كافة المنظمات العاملة شاملا ، مما أعطى لهذا المؤتمر اهمية تاريخية خاصة .

ب ـ المجلس الوطني الخامس (في القاهرة بين ١٩٦٩/٢/١ و ١٩٦٩/٢/٤) ، كانت مناقشات هذه الدورة في اطار المنحى الذي اعتمده المؤتمر السابق ، وقد شاركت فيه تقريبا المنظمات الفلسطينية كافـة واعتمدت في قراراتها توصيات وقرارات المجلس الوطني الرابع . وجاء في القرارات العسـكرية « ٣ ـ تنفيذ مـا ورد في القرارات الصادرة عن المجلس الوطني الرابـع بخصوص توحيد القوى المقاتلـة الفلسطينية وخاصة ما يتعلق منها بتشكيل قيادة عسكرية واحدة للعمل الفدائي » (المرجع : منظمة التحرير الفلسطينيـة ، المجلس الوطنـي الفلسطيني المنعقد في القاهرة أول شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ١٧ ص ٨) كما جاء في البيان السياسي الصادر عن المجلس الوطنـي الخامس ما يلـي : « ان المجلس الوطني الفلسطيني اذ يحقق خطوة اساسية محوريـة هامة في طريق بناء الوحدة الوطنية القتالية ، يناشد جميع أبناء الشعب الفلسطيني وقواه العاملـة الى تعميق الوحدة الوطنية لزيادة قدرات حركة المقاومة وتصعيدها . ولا يسع المجلس الوطني في هذا المجال ، الا أن يؤكد الحقيقة المطلقة : ان السلاح الذي يحمله المقاتلون ، انما يحملونه لتصويبه نحو هدف واحد فقط . هو العدو الصهيوني باعتبار أن التناقض الاساسي في هذه المرحلة هو التناقض مع العدو الصهيوني والاستعمار . وانه يجب أن تتوقف كافة التناقضات الاخرى الداخلية باعتبارها تناقضات ثانوية . » (المرجع السابق ، ص : ٣ من البيان السياسي) .

في الناحية المالية تقرر « ١ ـ التأكيد على القرار الذي اتخذه المجلس الوطني الرابع بتوحيد الجباية المالية وتكليف اللجنة التنفيذية بوضع الخطـة اللازمة لتنفيذه ، مع مراعاة أن تؤدي تلك الخطط الى زيادة الموارد المالية . والى أن يتم توحيد الجباية يقوم كل تنظيم فدائي بالانفاق على نفسه ، ويستثنى من ذلـك كل تنظيم يحل نفسه ويذوب في قوات التحرير الشعبية . ٢ ـ العمل على توحيد المكافآت الممنوحة لعناصر العمل الفدائي في كافة المنظمات الفدائية . » (المرجع السابق ، ص : ٨)

ج ـ المجلس الوطني السادس (في القاهرة ، بين ١٩٦٩/٩/١ و ١٩٦٩/٩/٦) ، كان موضوع عضوية هذا المجلس أحد المؤشرات في قضية الوحدة الوطنية ، اذ تمت فيه عمليات تثبيت عضوية شملت المنظمات كافة تقريبا ، وبلغ عدد أعضاء المجلس ١١٢ عضوا . في هذا المجال (عضوية المجلس) اتخذ المجلس قرارا « ٥ ـ بتكليف مكتب رئاسة المجلس الوطني واللجنة التنفيذية بمتابعة الحوار مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من أجل المشاركة في أعمال المجلس الوطني ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية » (المرجع : قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة المنعقد بالقاهرة من ٩/١ ـ ١٩٦٩/٩/٦ ، اولا ـ عضوية المجلس ، ص ١ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٤) .

ثم جاء في القرارات التي اتخذت بعد مناقشة تقارير اللجان المحالة الى المجلس ، في الناحية المالية : « ٩ ــ تكليف اللجنة التنفيذية الاسراع في اتخاذ الاجراءات اللازمة لتوحيد الجباية المالية ...... ١٠ ــ تكليف اللجنة التنفيذية المبادرة في توحيد الجباية المالية في الاردن فورا وبموجب الاجراءات التالية : أ ــ يورد كل ما يجمع من المال في الاردن لحساب الصندوق القومي الفلسطيني . ب ــ يضع الصندوق القومي ثلثي حصيلة الجباية الموحدة في الاردن تحت تصرف اللجنة التنفيذيــة لصرفها على قيادة الكفاح المسلح والقوات المقاتلة الموضوعة تحت تصرفها فعليا من المنظمات الفدائية المشتركة في قيادة الكفاح المسلح والمجلس الوطني ...... » (المرجع السابق : ص ٤)

اما في المجال العسكري وفيما يتعلق بالجانب التوحيدي فكانت القرارات التاليــة : « ٢٦ ــ اللجنة التنفيذية هي التي تقر عضوية أية منظمة جديدة تطلب الانضمام الى الكفاح المسلح الفلسطيني ، وهي التي تقر انهاء عضوية أيــة منظمة من المنظمات الاعضاء وذلك بناء على توصية من قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني . ٢٧ ــ تلتزم منظمات الكفاح المسلح الفلسطيني الالتزام الكامل بقرارات وتعليمات وتوجيهات وأوامر قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني . وقد احتوت القرارات من ٢٨ لغاية ٣٦ تفاصيل عديدة في صدد التوحيد ». (المرجع السابق : صفحات ٦ و٧) . في كافة قرارات هذه الدورة « تأكيد الحرص على متابعة الجهود لتحقيق الوحدة الوطنية على الوجه الاكمل لتكون اداة فعالة في تصعيد الكفاح المسلح وتطويره » (وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ٧٣ ، ص ٩) .

وكانت التوصيات السياســية لهذه الدورة قــد تضمنت : « عــلى الصعيــد الوطني ١ ــ لا يمكن للوحدة الوطنيــة الفلسطينية ان تكون تامة ومنســجمة مع معطيــات العلم والتجربة ، الا بتوافر الوحدة والهدف والاسلوب والاداة والمسيرة والقيــادة ، ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية تمثل تجمعا للقوى الفلسطينية في جبهة وطنية واحدة من أجل ثورة مسلحة تحرر الارض ولها ميثاقها الذي اتفق عليه وعلى تطويره من خلال التفاعل الحي بين القوى المشتركة فيها ، فان المجلس الوطني يقرر تطوير اللقاء الجبهوي القائم بين منظمات حركة المقاومة الفلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية الى شكل من اشكال الجبهة القائمة على برنامج عمل محدد (يلاحظ هنا التنبه الى هذه الناحية) ، ويترك للمنظمات حرية الحوار من اجل الوصول الى هذه الصيغة المتقدمة . ٢ ــ لما كان تحقيق الوحدة الوطنيــة الفلسطينية لكافــة القوى والعناصر الوطنية يمثل خطوة ضرورية ولا بد من انجازها والمحافظة عليها ، فان من الواجب ان لا يسمح بتحول هذا الشعار الى ستار يحمي القوى الرجعية الفلسطينية المضادة للثورة والنزعات الطائفية والعائلية والفردية والمحلية التي لا بد من تعريتها وعزلها . ٣ ــ يلاحظ المجلس أن هنــاك منظمات تنشأ دون أن يكون لنشوئها مبرر تاريخي فكريا كان أم سياسيا . وهذه الظاهرة تزيد في تفتيت المقاومة المسلحة ، كما ان أي تبني عربي لها ، يزيد المشكلة تعقيدا ، ويمثل خطرا على أمن المقاومة ومستقبل القضية الفلسطينية ، ولذلك يطالب المجلس بوقف تشكيل مثل هذه المنظمات التي لا مبرر لها ، كما يطالب انظمة الحكم العربية بوقف تبنيها لمثل هذه المنظمات . (توصيات اللجنة السياسية والاعلامية للمجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة ــ وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٢ صفحات ١ و٢) ، اما في التوصيات الاعلامية فقد ورد : « د ــ توحيد الاعلام الفلسطيني في جهــاز واحد ، والتركيز علــى الدعوة للقضية الفلسطينية ومنطلقات الثورة » (المرجع نفسه : ص ٦) .

[لقد وردت الاشارة سابقا الى أن جهود التوحيد لــم تكن فقط في اطــار المجالس الوطنية . اذ ان البحث عن الوحدة الوطنية كان محورا لكافة اللقاءات والاجتماعات .

ولعلنا نجد تعبيرا صادقا عن هذه الحالة في البيان الذي أصدرته القيادة الموحدة في السادس من أيار ١٩٧٠ ، وكانت قد تداعت للاجتماع بعد انتهاء الدورة السادسة ، وتحت ضغط التطورات السياسية وخاصة على الساحة الاردنية ، وهذا ملخص ما جاء في البيان الهام : « عقدت جميع فصائل المقاومة المشتركة بالقيادة الموحدة سلسلة من الاجتماعات بعد انتهاء ازمة ١٩٧٠/٢/١٠ للبحث في الوصول الى وحدة وطنية متماسكة مرتبطة ببرنامج عمل سياسي وعسكري يمثل برنامج الحد الادنى الذي تم الاتفاق حوله في مناقشات القيادة الموحدة : في الصيغة التنظيمية : اعتبار منظمة التحرير الاطار العريض للوحدة الوطنية ــ القضايا المتفق عليها يلتزم بها جماعيا والقضايا الاخرى يمارسها كل فصيل ضمن رؤياه مع اعتبار الجماعية فيما يتعلق بأمن الثورة ــ اشتراك الجميع في المجلس الوطني والمؤسسات دون أن يصبح موضوع الحجوم موضوع بحث ــ تشكيل لجنة مركزية تحل محل القيادة الموحدة (اللجنة التنفيذية زائد ممثلين عن المنظمات ورئيس المجلس وقائد الجيش وبعض المستقلين . ثم جرى تثبيت خطوط سياسية عريضة منسجمة مع الميثاق الوطني ومقررات المجالس المتعاقبة ...... » وقعت هذا البيان في عمان اثنا عشرة منظمة بتاريخ ١٩٧٠/٥/٦ . (المرجع : وثائق مركز الابحاث م. ت. ف. ٧٣ : صفحات ١٠ ــ ١٣)]

د ــ المجلس الوطني السابع (في القاهرة بين ١٩٧٠/٥/٣٠ و ١٩٧٠/٦/٤) : كانت الساحة الاردنية تغلي بالتحركات والاحتمالات عندما عقد المجلس الوطني دورته السابعة . وقد انعكس ذلك بشكل جلي على القرارات التي اتخذها المجلس من حيث الموافقة الكلية على بيان القيادة الموحدة الصادر في ١٩٧٠/٥/٦ . الموافقة على تأليف اللجنة المركزية بقرار من المجلس الوطني على الشكل التالي (كما ورد في القرارات السياسية) :

أ ــ رئيس المجلس الوطني ، ب ــ اعضاء اللجنة التنفيذية ، ج ــ القائد العام لجيش التحرير (بحكم مناصبهم) د ــ ثلاثة من المستقلين من اعضاء المجلس الوطني تنتخبهم اللجنة التنفيذية بالتشاور ، هـ ــ مندوب قيادي يمثل كل منظمة من المنظمات الفلسطينية الموقعة على اتفاق ٥/٦ مفوض بكافة الصلاحيات ولا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من بين أعضاء المجلس الوطني . ويكون رئيس اللجنة التنفيذية رئيس اللجنة المركزية . تبقى اللجنة المركزية قائمة ما لم يقرر المجلس الوطني تعديلها أو استبدالها أو حلها . تمثل اللجنة المركزية القيادة العليا للنضال الفلسطيني في الامور التي تطرح عليها وذلك ضمن صلاحياتها وتقوم بما يلي : أ ــ البت في الامور والقضايا العاجلة والطارئة بما لا يتعارض وأحكام الميثاق الوطني الفلسطيني . ب ــ العمل باستمرار على ايجاد صيغ أكثر تقدما واكثر عمقا واتساعا للوحدة الوطنية . ج ــ متابعة تنفيذ قراراتها وقرارات المجلس الوطني . د ــ مناقشة الامور المطروحة عليها من اللجنة التنفيذية أو أحد اعضائها وتتخذ القرارات الملزمة وفق النظام الداخلي الذي تقرره اللجنة المركزية . (المرجع : قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده السابعة من ٥/٣٠ حتى ١٩٧٠/٦/٤ ، ج. ش. ت. ف. ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٠٨ ، ص ١) . واحتوت القرارات العسكرية الامور التالية : « الوحدة العسكرية للمقاتلين : ١ ــ تكلف اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بانشاء قيادة عسكرية واحدة للثورة الفلسطينية تتكون من : أ) مجلس عسكري يضم أعلى القيادات العسكرية في التنظيمات والمؤسسات الموجودة في الساحة الفلسطينية . ب) هيئة أركان تنبثق عن المجلس العسكري . ... ٣ ــ توضع القوات العسكرية العاملة في الثورة الفلسطينية تحت تصرف هذه القيادة التي يكون لها الحق في قيادة هذه القوات وتطويرها وتحريكها وتوجيه عملياتها » . وتلا ذلك سلسلة من القرارات التوحيدية العسكرية . (المرجع

السابق : ص ٤) ، وايضا قرارات تؤكد ضرورة التوحيد المالي) المرجع السابق : ص ٦) . وكان بيان رئيس المجلس الوطني قد اشار الى محاولات التوحيد التي تمت في المجالس وخارجها (قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني والقيادة الموحدة ....) مستخلصا في النقطة (٨) من بيانه : « وها نحن اليوم ، نعقد الدورة السابعة للمجلس الوطني الفلسطيني ، وقد قررت جميع المنظمات القائمة المشاركة في أعمال هذه الدورة ، التي سيكون في مقدمة اعمالها ولا ريب ، دراسة الاسباب التي حالت دون تنفيذ كثير من القرارات التي سبق ان قررها المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته السابقة ، خصوصا تلك القرارات المتعلقة بتوحيد الجهود السياسية والعسكرية والمالية ، والاعلامية ووضع الخطط اللازمة لحماية الثورة الفلسطينية ، ولمواجهة الحلول التصفوية ولتعبئة الطاقات والامكانات الفلسطينية والعربية ولتحقيق الوحدة الوطنية .... » (المجلس الوطني الفلسطيني — الدورة السابعة — بيان رئيس المجلس حول تقييم المرحلة التي يمر بها العمل الفلسطيني — وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ص ٣) ثم عدد الاخطار وابرزها : « جـ — تعدد المنظمات ... ، د — قيام تناقضات بين القوى المتعددة .... هـ — عدم الانضواء تحت قيادة واحدة ... » (المرجع السابق : ص ٤) قائلا : « ان مجرد الاتفاق النظري ، لم يعد كافيا لتحقيق ما يطلبه شعبنا ، كما أن مجرد اللقاءات لم يعد كافيا لتحقيق ما تنشده جماهيرنا ، ولا بد من توفر الثقة ، ونبذ العصبيات التنظيمية الضيقة ، ومواجهة الموقف بتجرد ، ونزاهة ، واخلاص . » (المرجع نفسه : ص ٥) . وجاء في المقترحات التي قدمها رئيس المجلس والحقها ببيانه ضرورة اصدار قرار « يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني ضرورة المباشرة فورا لتوحيد العمل الفلسطيني في جميع المجالات ، وخصوصا في المجالات العسكرية ، والسياسية ، والمالية ، والاعلامية ، ويدعو اللجنة التنفيذية الى اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ ذلك » . وقدم جملة مقترحات اخرى تدعو للتوحيد واخضاع التناقضات لصالح التناقض الرئيسي (انظر المرجع السابق — المقترحات صفحات ٣ ، ٤ ، ٥ و ٦) .

وفي بيانها امام المجلس استعرضت اللجنة التنفيذية نشاطاتها على الصعيدين العربي والدولي وعدد من المخاطر المحدقة بالثورة والتحديات التي نواجهها ثم خلصت الى القول « ... وعلى هذا الاساس فان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تؤكد لكم ان الوحدة الوطنية شرط اساسي من شروط نجاح مرحلتنا القادمة ويتوقف عليها مستقبل واستمرار هذه الثورة . ومع ان المنظمة حققت خلال المرحلة السابقة خطوات في مجال هذه الوحدة لا يجوز اغفالها واستطاعت أن توفر اطارا شكليا للقاء القوى العاملة في الساحة ، كما أن قيادة الكفاح المسلح تمثل الحد الادنى للتنسيق الا ان هذا الحد لم يعد مقبولا لدى الجماهير ، هذه الجماهير التي ادركت بحسها السليم ان الانتقال الى مرحلة جديدة من الكفاح المسلح يقتضي خلق صيغ للوحدة الوطنية اقوى فعالية وأشد تماسكا ، فعندما حلت أزمة ١٠ شباط في الاردن لم تجد القيادات الفلسطينية بدا من الاجتماع والتداول في أسلوب مواجهة تحديات مرحلة جديدة ، فالتقى تحت صيغة القيادة الموحدة لحركة المقاومة جميع الفصائل التي تمثلونها .... لنسير على الدرب اخوة في السلاح رفقاء عمل واحد وتنظيم واحد وأمل واحد ومصير واحد » (المرجع : المجلس الوطني الفلسطيني الدورة السابعة ، القاهرة أيار ١٩٧٠ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٨ ، ص ١٠ و ١١) .

[مباشرة بعد انتهاء دورة المجلس الوطني السابع تحركت السلطة الاردنية لضرب حركة المقاومة (في ٧ حزيران ١٩٧٠) ، اجتمعت اللجنة المركزية اجتماعا طارئا دعت

على اثره المجلس الوطني لعقد دورة استثنائية في عمان لبحث الموقف واتخاذ القرارات المناسبة لحماية الثورة والقضية الفلسطينية من التصفية . انعقد المجلس الوطني في عمان بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٧ . واتخذ قرارات أكد فيها على قراراته السابقة برفض قرار مجلس الامن وكافة المشاريع الاستسلامية ، واكد على وحدة الساحة الاردنية — الفلسطينية ، وعلى حق المجلس في تمثيل الشعب الفلسطيني الرافض للاستسلام . وقرر « أ — ان وحدة القيادة ووحدة التحرك النضالي لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة شرط اساسي هام للنجاح ولاحباط المشاريع والخطط التصفوية لذلك يجب ان تعزز صلاحيات اللجنة المركزية وكافة القيادات والاجهزة التي تتوحد من خلالها جميع فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة وبصفة خاصة القيادة العسكرية التي يجب أن تصبح قادرة على السيطرة والقيادة للقوات المسلحة لكافة المنظمات وتحريكها بشكل مركزي فعال » . . . (المرجع : وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٧٣ ص : ٢٠) بالاضافة الى جملة من القرارات السياسية الهامة .]

هـ — المجلس الوطني الثامن (في القاهرة بين ١٩٧١/٢/٢٨ و ١٩٧١/٣/٥) .

(يجدر التذكير هنا ، اننا في متابعتنا للمجالس الوطنية المتعاقبة ، نركز فقط على ابراز القرارات والتوصيات المتعلقة بقضية الوحدة الوطنية دون التوغل في الجوانب الاخرى ، ذلك بهدف ابقاء الدراسة ضمن اطارها المرسوم ، ربما كان من المفيد أن يتم ، في دراسة اخرى ، الاطلال على الكيفية التي عالج بها الفلسطينيون ، في مجالسهم الوطنية ، جوانب نضالهم المتعددة) .

تندرج دورة المجلس الثامن تحت المؤتمرات الفلسطينية ذات الاهمية (من حيث المشاريع والبرامج الشاملة سياسيا وتنظيميا) ، اذ انها نجحت في ارساء برنامج عمل سياسي وتنظيمي للثورة الفلسطينية ، وكذلك عقد في اطار هذه الدور مؤتمر وطني اردني — فلسطيني (في ١ و ١٩٧١/٣/٢) ، دعت اليه المقاومة بهدف ارساء قاعدة لوحدة وطنية في الاردن بعدما آلت اليه الاوضاع هنا في ايلول ١٩٧٠ وبعد ذلك . وايضا كانت حصيلة مناقشات ومقررات هذه الدورة نغمة « ... وتحقيقا لذلك ، قرر المؤتمر توحيد النضال الفلسطيني سياسيا وعسكريا وماليا واعلاميا في اطار منظمة التحرير الفلسطينية » ، طبعا « على اساس الالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني ، وبمقررات المجلس الوطني في دوراته المتعاقبة ، وبالبرنامج السياسي الذي اقره المؤتمر في هذه الدورة » .

جاء في برنامج العمل السياسي : « على الصعيد الفلسطيني ١ — ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد لجماهير الشعب العربي الفلسطيني بمختلف منظماته المقاتلة والسياسية ، وبجميع هيئاته واتحاداته وجمعياته مهما تكن اتجاهاتها وأفكارها شريطة التزامها التام بمبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني وقرارات الاجهزة التشريعية والتنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبالبرنامج السياسي والعسكري واللائحة الداخلية للمنظمة ، قدر التزامها ايضا بالنضال في سبيل تحرير كامل التراب الفلسطيني ، وعودة الشعب الفلسطيني الى وطنه ، ولا يجوز على الاطلاق استبعاد أي فرد أو فريق من عضوية المنظمة ، الا في الحالات التي تمس امن الثورة أو تشكل خروجا على مبادىء الميثاق الوطني .... » (المرجع : برنامج العمل السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية ، كراس « فتح » ناطقة بلسان اللجنة المركزية للمنظمة صفحات ٦ و ٧ ، انظر أيضا وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٥٨ ، ص ٢) ... « طبيعة الثورة الفلسطينية ١ — .... وهذا يعني ان الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وفئاته وسائر منظماته وجماعاته على اختلاف أفكارها ومبادئها ، مدعو الى الانخراط صفا واحدا متماسكا في ثورته الوطنية المسلحة ... » (المرجع السابق ، ص ٩) .

واحتوى البرنامج التنظيمي الاحكام التالية : « مبادىء عامة : تقوم الوحدة الوطنية على الاسس التنظيمية التالية : أولا : منظمة التحرير هي الاطـار الذي يضم كافة القوى الثورية الفلسطينية .... تقوم القيادة بوضع خطة عامة موحدة للعمل الفلسطيني على مختلف مجالاته يصير تنفيذها من خلال مؤسسات المنظمة التي تضم كافة أدوات الثورة . ثانيا : تشترك كل المنظمات الفدائية والقوى المقاتلة والهيئات والاتحادات والشخصيات الوطنية في الوحدة الوطنية .... ثالثا : ان الاندماج بين المنظمات الفدائيـــة ذات الايديولوجيـــة الواحدة أو المنطلق الفكري السياسي الواحد في منظمة واحدة هو ضرورة وطنية ، والى أن يتحقق ذلك فان من حق كل منظمة أن تحافظ على وجودها التنظيمي على أن تحل كافة مؤسساتها الاخرى وتدمج جميع هذه المؤسسات في منظمة التحرير . يراعى في المؤسسات التشريعيـة للمنظمة وفي المؤسسات التنفيذية العليا الالتزام بقاعدة المركزية الديموقراطية والقيادة الجماعية والتزام الاقلية بالقرارات التي تصدرها الاكثريـــة ...... رابعـا : يضع المجلس الوطني استراتيجية مرحلية ، سياسية وعسكريـــة واعلامية ومالية ملزمة للجميع . خامسا : تشكل قيادة تتولى مسؤولية قيادة النضال الفلسطيني في كافة أوجهه ومجالاته . سادسا : الالتزام بقرارات القيادة شرط اساسي لوحدة المسيرة . » (المرجع السابق : صفحات ٢٠ ـــ ٢٣ ، وايضا وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ٥٧) أما الهيكل التنظيمي فقد أرفق بالبرنامج التنظيمي متخذا الشكل التالي : « ١ ـــ مجلس وطني ، ٢ ـــ لجنة مركزيـــة ، ٣ ـــ المكتب السياسي ، ٤ ـــ الاجهـــزة والمؤسسات والدوائر والمكاتب ، ٥ ـــ قيادة عسكريـــة للثورة الفلسطينيـــة ، ٦ ـــ الصندوق القومي » . وتحت باب مهام القيادة العسكرية وردت جملة أحكام توحيدية ، وفي باب الصندوق القومي جرى تأكيد على توحيد مالية الثورة الفلسطينية . (المرجع السابق صفحات ٢٤ ـــ ٢٨ ، وايضا وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٥٧) . لم يكن بلوغ هذه القرارات عملية سهلة علـــى العمل الفلسطيني ، لقد جاءت بعد مخاض طويل وتجارب متراكمة ومناقشات واختلافات لا حد لها ولا نهاية .

و ـــ المجلس الوطني التاسع (في القاهرة بين ١٩٧١/٧/٧ و ١٩٧١/٧/١٣) : مرة أخرى اعتبرت مشاركة الفصائل كافة في هذا المجلس مؤشرا بارزا على طريق الوحدة الوطنية . « لقـــد جاء تكوين المجلس حسب القرار المتخذ في الدورة الثامنة ، بحيث تمثلت فيه جميع الفصائل المقاتلة للثورة الفلسطينية بواقع ٨٥ عضوا ، والنقابـــات والاتحادات المهنية بواقع ٢٦ عضوا ، وأصحاب الكفاءات الفكرية والاختصاصية بواقع ٤٤ عضوا ، وبذلك جاء ملبيا لارادة الشعب الفلسطيني في الوحدة الوطنية » . (المرجع: المجلس الوطني الفلسطيني ـــ الدورة التاسعة ـــ من ٧ ـــ ١٣ تموز (يوليو) ١٩٧١ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٢٥ ، ص ٨) . يبدو انه ، تحت ضغط الاحداث الجسيمة التي كانت تعيشها المقاومة ، (خاصة في الاردن في ذلك الحين ، حيث بدأت تتفاقم هجمة السلطة الشرسة على بقايا المقاومة في أحراش جرش وعجلون) . حدث ارتفاع شاهق في حرارة الدعوة الى الوحدة الوطنية ، وانصب تقريرا اللجنة التنفيذية حول هذا الموضوع خاصة تقرير رئيس اللجنة ، حيث قال « ... لا خيار أمامنا ، في سبيل انجاح ثورتنا وتحقيق وحدة اداتها ، الا الطريق الديموقراطي لهذه الوحدة ، وان المجلس الوطني في دورته هذه ، بتمثيله لكافـــة القوى الفلسطينية ، قد حقق الجبهة الوطنية العريضة التي تتسع لكافة القوى الوطنيـــة والثوريـــة في مرحلـــة التحرر الوطني ». (المرجع السابق ، ص ١٢) كما تركز النقاش الذي دار حول تقرير اللجنة التنفيذية وتقرير الصندوق القومي ، على أهمية وضرورة الوحدة الوطنيـــة وتحقيقها بسرعة وبالاسلوب الديموقراطي . ولاول مرة في مؤتمرات المرحلـــة الثانيـــة التي نستعرضها تتألف لجنة خاصة بالوحدة الوطنية (أي ان المؤتمر التاسع كان أول مؤتمر

تشكلت فيه لجنة خاصة لمناقشة قضية الوحدة الوطنية) ، مع العلم ، وكما اتضح معنا من الاستعراض حتى الآن ، ان هذه القضية اخذت مداها الكامل من حيث المناقشات والقرارات . اما فيما يتعلق بتوصيات اللجنة فقد اتخذ المجلس القرار التالي : « رد توصيات لجنة الوحدة الوطنية والاستعاضة عنها بالبرنامج السياسي والهيكل التنظيمي الذي اقره المجلس في دورته الثامنة ، وطلب المجلس من اللجنة التنفيذية القادمة تطبيق البرنامج السياسي بحرفيته ، كما طلب اليها الغاء كل المؤسسات والمظاهر التي تتنافى والوحدة الوطنية أو التي تثبت التعدد ، وذلك بشكل فوري » (المرجع السابق : ص ١٥) ، وكانت توصيات اللجنة قد تضمنت توصيات في صدد « اعتماد صيغة الوحدة الجبهوية على المستوى السياسي ابتداء من العضوية في المجلس الوطني وانتهاء باللجنة التنفيذية . وتشكيل لجنة مركزية تنبثق عن المجلس الوطني تكون ابرز مهماتها تمثيل المجلس الوطني اثناء غيابه في حالة انعقادها . وكذلك بعض الاحكام في انعقاد ومهمات وكيفية تشكيل هذه اللجنة » . (المرجع : المجلس الوطني — الدورة التاسعة ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٠١ ، ص ٢) . اما في القرارات الاعلامية فقد جاء « اولا : العمل على خلق جهاز مركزي لاعلام الثورة الفلسطينية يكون من حقه ممارسة التخطيط المسبق والرقابة اللاحقة على كل النشاطات والاجهزة الاعلامية الثقافية الفلسطينية بما يمكن هذه الاجهزة مجتمعة من أن تبلور رأيا عاما موحدا ومتماسكا ازاء القضية الفلسطينية ... ثم سادسا : يقرر المجلس التركيز الشديد على ضرورة توحيد جميع وسائل اعلام الثورة ، بحيث تعكس صوت الثورة قويا موحدا » . (المرجع : وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٢٥ صفحات ٢٧ و ٢٨) . وكذلك فقد احتوت القرارات في المجال العسكري تأكيدا على قضية الوحدة وأحكاما عديدة في صددها .

ز — المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الاستثنائي العاشر (في القاهرة بين ٧٢/٤/٦ و ١٩٧٢/٤/١٢) : بسبب كون هذه الدورة للمجلس الوطني عقدت فقط لاقرار ومباركة انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، فان الامر الذي طبع المناقشات والابحاث هو اجواء المؤتمر الشعبي نفسه . وايضا نظرا للظروف العامة التي عقد في اطارها المؤتمر الشعبي فان حدة المناشدة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية ارتفعت بشكل شديد . وبرغم ان الانجاز الاساسي للمؤتمر الشعبي كان الاتفاق على برنامج سياسي موحد رفع كتوصية للمجلس الوطني (وقد لخصنا محتوياته في مقدمة هذه الدراسة) فان دعوة الوحدة الوطنية كانت مهيمنة على اجواء المؤتمر . وشهدت مناقشات لجنة الوحدة الوطنية حيوية وحوارات على درجة كبيرة من الاهمية . يمكننا تلخيص التوصيات في هذا الصدد على الشكل التالي : « ان لجنة الوحدة الوطنية .. ترى ان الظروف الراهنة تحتم ... ضرورة الوصول الى صيغة متقدمة للوحدة الوطنية الفلسطينية يبدأ تنفيذها فورا وعلى مراحل ... واللجنة تعرب عن أسفها واستيائها من عدم تنفيذ معظم قرارات المجالس الوطنية السابقة المتعلقة بالوحدة الوطنية ومن عدم تحقيق اية خطوات فعالة في هذا المجال ... وتوصي : اولا اعتبار الخطوط الاساسية التي تضمنها مشروع البرنامج التنظيمي لتوحيد فصائل الثورة الفلسطينية الذي أعده مركز التخطيط .... اساسا لوضع برنامج عملي ومرحلي لتحقيق وحدة فصائل الثورة وقوى الشعب الفلسطيني في منظمة التحرير .. وفق الاسس التالية : تشكيل الهيئات القيادية على اسس جبهوية — توحيد جميع القوات المسلحة في مؤسسة عسكرية واحدة ... يتم التوحيد الكامل لجميع مصادر الجباية وجميع مجالات الصرف ... — يتم توحيد اجهزة الاعلام ووسائله ... في جهاز مركزي واحد ... — يتم توحيد جميع اجهزة العلاقات الخارجية ... — تشكيل لجنة لدراسة الاوضاع التنظيمية في الوطن المحتل والاردن لوضع الصيغة الملائمة للتوحيد ضمن الظروف

النضالية والامنية . . . ـــ يحتفظ كل فصيل باستقلاله الايديولوجي والتنظيمي الداخلي .. ثانيا : ـــ تعلن فصائل المقاومة فورا الوحدة الوطنيـــة وفق الاسس العامة .. خامسا : ينتخب المجلس من بين اعضائه لجنة لمتابعة تنفيذ القرارات الوحدوية ... على ان تبدأ خطوات التنفيذ في فترة لا تتعدى الثلاثة أشهر الخ .... » (المرجع : وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٣٧ ، صفحات ٧٢ ـــ ٧٥ .)

(ولقد نشرت « شؤون فلسطينية » تقريرا عن اعمال لجنة المتابعة في العدد ١٣ صفحة ٨٣ ، كما ان لجنة المتابعة قدمت تقريرا شاملا عن أعمالها أمام المجلس الوطني العاشر في القاهرة بتاريخ ١٩٧٣/١/٦) .

خـــاتمة :

مـــا تقـــدم يمثـــل قليـــلا من كثير ، يمثـــل جزءا مـــن الجهود المضنيـــة من اجل تحقيق الوحـــدة الوطنية ، هنـــاك مواقف المنظمـــات وبيـــاناتهـــا حـــول هـــذا الموضوع ، هنـــاك الاجتماعـــات واللقاءات الثنائية وغيرها ، وهناك الجهـــــــود تتعثر ولا نلمس آثار أي تقدم يذكر على صعيد الواقع . انها ليست لعنة مكتوبة على العمل الفلسطيني أن لا يتوحد ، ولا هي حتمية تاريخ ، ولا هي نوايا تآمرية مركزة وشديدة الاثر ، أنها باختصار قضية ارادة من جهة ، وقضية ايجاد الاسلوب الصحيح من جهة ثانية . ولا يمكن أن تعبر عن ارادة حقيقية كافة المناورات والمزايدات ، ولا يمكن أن يكون الاسلوب الصحيح بالمناشدات والضغوطات العاطفية . ان قيام الجبهة الوطنية الصلبة المقاتلة في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي ، عملية تاريخية ، ولا يمكن أن تكون مقاربتها الا في مستوى تاريخي . ان محاولة تعريف الوحدة وتحديد اسباب تعثرها ، التي تمت في مقدمة هذه الدراسة ، قد تعين في بلورة الارادة وبلوغ الاسلوب الصحيح . ان تثبيت هذا الامر لا ينفي مطلقا الادراك العميق بأن لا بديل عن جبهة وطنية فلسطينية في مرحلة نضالنا الراهنة ، ولا مجال لسحب رؤوسنا من عملية المناطحة والمحاولة من أجل اجتراح معجزة الوحدة الوطنية . لن نحقق النصر الذي نؤمن به مع اكتمال شروط النصر ، الجبهة الوطنية تعتبر من الشروط الاساسية بعد أي تحليل .

بناء امبريالية جديدة :
اسرائيل والضفة الغربية

شيلا ريان

بعد ان ضاعفت حرب حزيران عام ١٩٦٧ المساحة التي تخضع لسيطرة اسرائيل اكثر من ثلاث مرات ، حصل نقاش في اوساط الطبقة الحاكمة الاسرائيلية حول كيفية التصرف بالمناطق المحتلة حديثا . فبالنسبة للبعض ، مثل الوزير بنحاس سابير ، كانت الاراضي المحتلة تشكل حصان طروادة يضم مليون عربي هدفهم « تدنيس » يهودية دولة اسرائيل وحضارتها . واذا حاولت اسرائيل ابتلاع المناطق الجديدة فانها ستختنق . وبالمقابل ، فان انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة ذات الكثافة السكانية العربية الكبيرة لا يعني تنازلها عن أي شيء ، بل يعني « تحررها من عبء » كما تقول جماعة « اسرائيل الصغيرة »(١).

ويتفق هذا الرأي تماما مع الاستعمار الاستيطاني الغريب في نوعه الذي بنيت دولة اسرائيل على اساسه . فبعكس المستعمرين الفرنسيين في الجزائر والبريطانيين في روديسيا — الذين استولوا على مساحات شاسعة من الاراضي واعتمدوا على العمال الوطنيين الذين يشتغلون بأجور زهيدة من أجل جعل زراعتهم مربحة — قام الصهاينة بتمويل محصولهم الزراعي ، على ارض معزولة عن الفلاحين الفلسطينيين ، من التبرعات الصهيونية الضخمة من الخارج . وقاموا أيضا بتشغيل العمال الزراعيين اليهود وطرد معظم العمال الفلسطينيين عام ١٩٤٨ . وتذكرت جماعة « اسرائيل الصغيرة » ايام حملات « العمل العبري » ، اثناء الانتداب البريطاني ، عندما جرت مقاطعة اليد العاملة العربية من اجل بناء (وحماية الوضع الجيد) للطبقة العاملة اليهودية .

وكان هذا النوع من الاستعمار فعالا جدا ، لسوء الحظ ، من حيث تمكين المستوطنين من غرس جذور عميقة وتثبيت أنفسهم بمتانة في فلسطين . ومنذ انشاء اسرائيل ، اعتمد الصهاينة على المساعدة العسكرية الاميركية والغربية الاخرى من أجل المحافظة على ابقاء اسرائيل دولة يهودية بحتة .

ولكن انتصار اسرائيل عام ١٩٦٧ شكل بداية النهاية بالنسبة لسيطرة هذا النوع من الصهيونية ، ووضع اساس نوع جديد من الامبريالية الذي حدده ابا ايبان بقوله ان اسرائيل ترغب في ان تكون علاقتها بالدول العربية كعلاقة الولايات المتحدة بأميركا اللاتينية(٢) .

ومنذ نشوء اسرائيل ، قامت الدول المجاورة بعزلها تجاريا ضمن اطار المقاطعة العربية التي شكلت قيدا قاسيا على الاقتصاد الاسرائيلي . وكما أشارت دراسة حديثة لمؤسسة راند « ان الاسواق الاكثر طبيعية لاسرائيل هي الدول العربية » ، ولكن اسرائيل أجبرت

اساسا على التجارة مع العالم الصناعي : تذهب ٧٠٪ من صادراتها الى أوروبا الغربية واميركا الشمالية (٣). وهناك عدة عقبات هامة تقف في وجه استمرار نمو الصادرات الاسرائيلية الى الدول الراسمالية المتقدمة . فالحمضيات التي كانت تشكل عام ١٩٥٠ نصف الصادرات الاسرائيلية اصبحت اليوم تشكل ١٥ ٪ منها فقط . واذا اخذنا بعين الاعتبار مشاكل المنافسة في الاسواق الاوروبية ونضوب الارض الخصبة ومصادر المياه، لا يبقى سوى نسبة ضئيلة من نمو صادرات الحمضيات الاسرائيلية على المدى البعيد(٤). والالماس المصقول ، احد الصادرات الاسرائيلية الرئيسية (شكل اكثر من سدس مجموع صادرات اسرائيل عام ١٩٦٨ ، اي ١٩٤ مليون دولار) « أصبح عاملا مهيمنا في السوق العالمي ولكن من المتوقع ايضا ان تقل نسبة نموه في المستقبل »(٥). كما ان الصادرات الصناعية الاسرائيلية الرئيسية — الورق ، الخشب ، الاسمنت ، العجلات ، وغزل القطن — لم تنم الا قليلا في السنوات الاخيرة بسبب « المنافسة الحادة في السوق العالمي ، والتي كان بعضها مع الدول النامية ... اما اهم عامل في نمو تلك الصادرات في الماضي فكان تشجيعها بوسائل اصطناعية مثل المعاهدات التجارية الثنائية ، ونسب التبادل العالي ... والاتفاقيات التي تشكل حماية للسوق المحلي . ولكن هذه الحماية خفت مع مرور الزمن ... »(٦). والصادرات ذات اهمية حيوية بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي لانه يعتمد الى حد كبير على الواردات ، وخاصة العسكرية منها . وتقع اسرائيل تحت عجز هائل في ميزان المدفوعات يبلغ بليون دولار تقريبا في السنة .

وكأي اقتصاد راسمالي آخر ، يسير الاقتصاد الاسرائيلي بحافز الربح . كما ان توفير مستوى معيشة عال أمر ضروري جدا بالنسبة لليهود الاوروبيين في اسرائيل لان المهاجرين الاوروبيين (وخاصة المهاجرين الروس حاليا) لن يبقوا في اسرائيل الا اذا قدمت لهم مستوى معيشة غير واقعي ومرتفعا بالنسبة لاقتصاد الشرق الاوسط . فقد توقف تدفق المهاجرين غير المهرة من شمال افريقيا وآسيا الى اسرائيل ، وبالتالي تجد اسرائيل نفسها مضطرة لطرق ابواب جديدة لكي تجد الناس الذين يقبلون القيام بالاعمال التي تحتقرها الطبقة المميزة في اسرائيل . وان هذا العامل بالاضافة الى البحث عن الاسواق يشكلان حافزا لدمج اقتصاد المناطق المحتلة حديثا بالاقتصاد الاسرائيلي . وعندما ترددت غولدا مائير في السماح بتشغيل ابناء الضفة الغربية في اسرائيل ، كتب اسرائيلي غاضب في جريدة **هاآرتس** ، « اذا كانت السيدة مائير تشعر بمتعة من رؤية العمال العبريين ينضحون عرقا في أيام الصيف الحارة فهذا شأنها . ولكن لا يمكن ان يصبح هذا هو المقياس الوطني الذي نستعمله لاقناع الجمهور بأنه لا يجب علينا دمج اقتصاد الضفة الغربية ... ان كل أم يهودية تريد أن ترى ابنها ينهي الدراسة الثانوية والجامعية ويصبح كيماويا ، او مهندسا ، أو فنيا ، أو على الاقل سمكريا مدربا . من الذي يدرب الشبان الصغار اليوم على المهام البسيطة مثل نقل اوعية الاسمنت او الاسفلت لتعبيد الطرق ؟ لا بد ، خلال الوقت ، ان نحتاج الى العمال العرب للبناء والزراعة والصناعة . والمهاجرون الجدد الذين يفدون كل عام يمتلكون حرفا أبعد ما تكون عن تلك المهام البسيطة »(٧).

ويشكل هذان العاملان الاقتصاديان — الرغبة في الاسواق القريبة المربحة واليد العاملة الرخيصة — اساس سياسة موشي دايان فيما يتعلق بالاراضي المحتلة . فقد نقلت صحيفة **نيويورك تايمز** عن دايان قوله : « ان الحل الممكن الوحيد الذي تقبله اسرائيل يجب ان يعتمد على علاقة مسالمة وعلى التبادل التجاري بين اسرائيل وجيرانها العرب». واضاف انه يجب زيادة التعاون الاقتصادي بين اسرائيل والمناطق المحتلة اذا كانت ادارة هذه المناطق ستتم بشكل مربح(٨).

تأثيرات الاحتلال : ان تصور موشي دايان لحكومة الضفة الغربية هو ان تقوم هـذه الحكومة بالاندماج الاقتصادي مع اسرائيل والابقاء على منفذ اقتصادي الى الضفة الشرقية (الاردن) ، على ان تتولى الزعامات التقليدية الامور الادارية ، وان يؤجل اتخاذ قرار حول مستقبل الوضع السياسي للضفة الغربية(٩).

وقد تم في أقل من خمس سنوات من الاحتلال اعادة توجيه اقتصاد الضفة الغربية بشكل جذري بعيدا عن الضفة الشرقية وباتجاه اسرائيل . فقبل الحرب ، لم تشتر الضفة الغربية طبعا ، كسائر العالم العربي ، اية بضائع من اسرائيل . ولكن حصة اسرائيل من واردات المناطق المحتلة بلغت ٧٦ ٪ عام ١٩٦٨ ، و٨٠ ٪ عام ١٩٦٩ ، وارتفعت الى ٨٦ ٪ عام ١٩٧٠(١٠).

وقد قالت وزارة الدفاع الاسرائيلية في تقريرها ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** : « في الواقع ، ان حرب الايام الستة قد ادت الى ازالة «الخط الاخضر» الذي كان يفصل اسرائيل عن المناطق التي تديرها حاليا، ومن الطبيعي والمحتم ان تعتمد هذه المناطق الآن على اسرائيل في كل الخدمات والمسائل الاقتصادية »(١١). ولكن تشدد اسرائيل في منح رخص الاستيراد عبر نهر الاردن هو المسؤول — وليس التوجه الطبيعي — عن تدني حصة الضفة الشرقية من صادرات المناطق المحتلة من ٨ ٪ عام ١٩٦٨ الى ٤ ٪ عام ١٩٧٠(١٢). وان ضآلة هذه النسب تدهش أكثر عندما نعلم ان كل واردات الضفة الغربية ، قبل حرب حزيران ، كانت تأتي عبر نهر الاردن — البضائع الاجنبية، والبضائع الصناعية ، وكمية كبيرة من الحبوب والقطمان — من الضفة الشرقية نفسها .

وكان سوق منتجات الضفة الغربية الزراعي والصناعي ، ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ، يقع عبر النهر . ففي النصف الثاني من عام ١٩٦٨ كانت الضفة الشرقية ما تزال تستورد ٧٩ ٪ من صادرات المناطق المحتلة ، ولكن التدني منذ ذلك الحين كان كبيرا : من ٤٧ ٪ عام ١٩٦٨ الى ٤١ ٪ عام ١٩٧٠(١٣). وقد ارتفعت حصة اسرائيل من صادرات الضفة الغربية ، في الوقت نفسه ، من لا شيء قبل الحرب الى ٤٠ ٪ عام ١٩٧٠(١٤). وقد وصفت وزارة الدفاع الاسرائيلية هذا الوضع ببلاغة في تقريرها عن **التنمية والوضع الاقتصادي في يهودا والسامرة وقطاع غزة وشمال سيناء** ، حين قالت : « تعتبر هذه المناطق سوقا مكملا للبضائع والخدمات الاسرائيلية من ناحية ، ومصدر عوامل انتاجية — وخاصة اليد العاملة — للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية اخرى »(١٥).

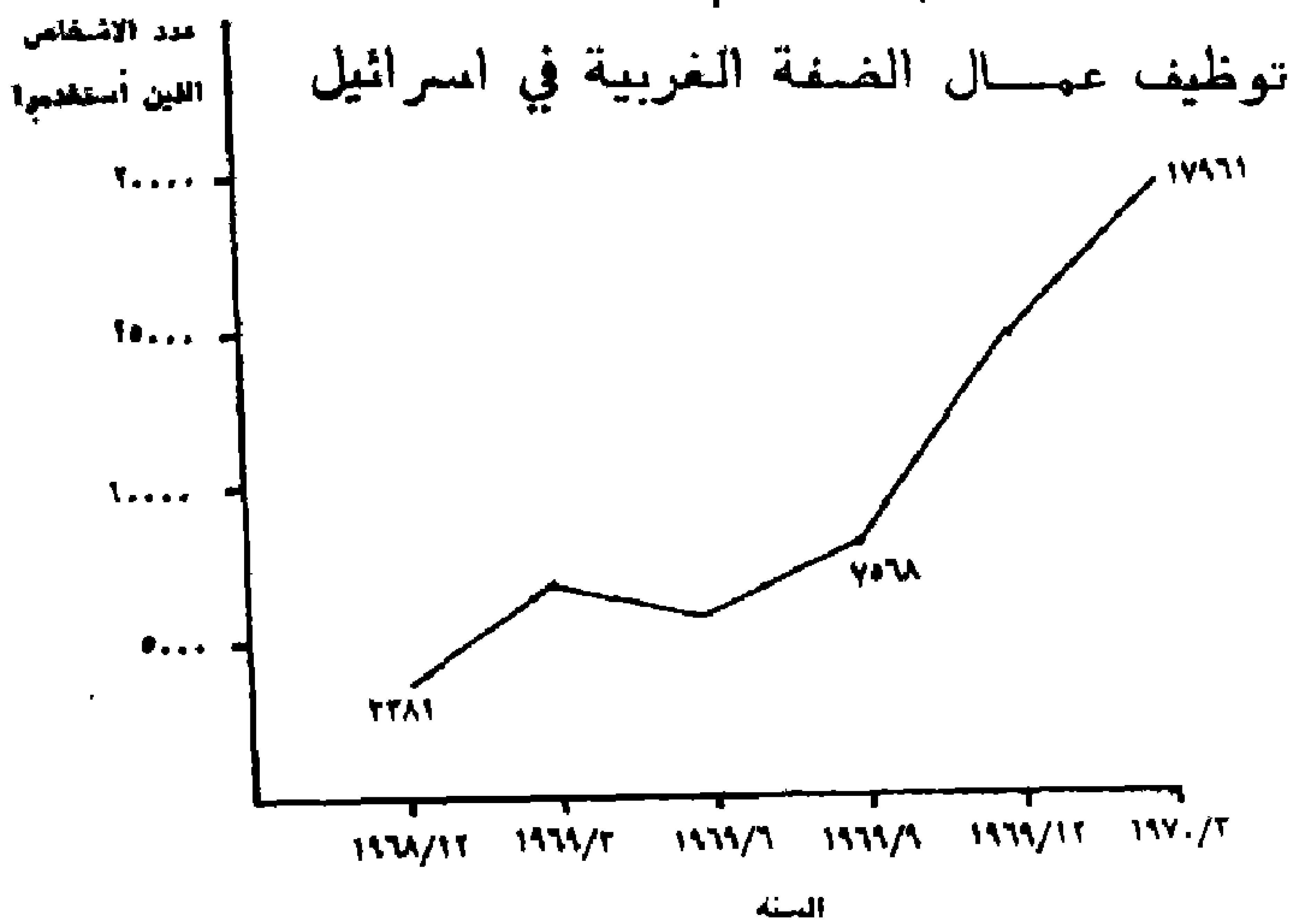
وتزداد أهمية المناطق المحتلة كسوق للاقتصاد الاسرائيلي بشكل مضطرد : فقد صدرت اسرائيل ، عام ١٩٦٩ ، ٩ ٪ من مجموع صادراتها الى المناطق المحتلة . ويشكل هذا الرقم زيادة ١٢ ٪ عن رقم السنة السابقة(١٦). وفي الوقت الذي تقوم فيه اسرائيل بزيادة اسواقها في المناطق المحتلة ، تقوم ايضا باستخراج المزيد من « العوامل الانتاجية » . كما ان سياسة اسرائيل في احتلال الضفة الغربية تهدف الى اعادة تنظيم اقتصادها بحيث يمكن استخراج « المزيد من العوامل الانتاجية » منها في المستقبل . ونتيجة لذلك ، تأخذ الضفة الغربية يوما بعد يوم ، من حيث التوظيف والزراعة والصناعة ، شكل مستعمرة اسرائيلية .

التوظيف : ان ابرز السياسات الاقتصادية الاسرائيلية التي تهدف الى استعمار الضفة الغربية ، هي سياسة تشغيل عمال الضفة الغربية في اعمال يدوية بأجور زهيدة في اسرائيل . فقد تم عام ١٩٧١ تشغيل خمس (١/٥) القوى العاملة للضفة الغربية في اسرائيل (هذا غير العمال الصناعيين للضفة الغربية الذين توظفهم اسرائيل بطريقة غير مباشرة في تلبية احتياجات الصناعة المحلية)(١٧). راجع جدول رقم ١ .

ويرجع قرار الحكومة الاسرائيلية بالسماح بتشغيل عمال الضفة الغربية وغيرها من

المناطق المحتلة في اسرائيل الى وجود نقص في القوى العاملة كان يهدد امكانية توسيع الاقتصاد الاسرائيلي . فقد عارضت سلطات التخطيط الاقتصادي الاسرائيلية ، في تموز ١٩٦٧ ، تشغيل عمال المناطق المحتلة لانها تخشى ازدياد البطالة بين الاسرائيليين(١٨) .

جدول رقم ١



المصدر : منسق عمليات الحكومة في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، حزيران ١٩٧٠ ، ص ١٦ .

وقد قام موشي دايان بتعديل الخطة بعد عام وتم اقرارها بسبب النقص في القـــوى العاملة وبسبب حاجة الاقتصاد الاسرائيلي للمزيد من العمال . وحتى في ذلك الحين ، أصرت وزارة العمل على «التأكيد على ان ذلك لن يؤثر على المواطنين الاسرائيليين»(١٩) . وفي الحقيقة فقد زودت الضفة الغربية والمناطق المحتلة الاخرى الاقتصاد الاسرائيلي ، بالعمال الذين كان يحتاج اليهم للتوسع الذي تم بعد الحرب . وقد ورد في وثيقة لوزارة الدفاع ما يلي : « . . . تشكل المناطق خزانا من القوى العاملة للاقتصاد الاسرائيلي : وكانت زيادة عدد العمال من المناطق المحتلة عام ١٩٦٩ تعادل خمس زيادة مجموع الاشخاص المستخدمين في اسرائيل من كل المصادر . وقد انخفض عدد الاسرائيليين — من اليهود وغير اليهود — المشتغلين بالزراعة عام ١٩٦٩ بنسبة ٢،٥ ٪ وتم ملء الفراغ بعمال من المناطق المحتلة : وقد ارتفع عدد العاملين في المجال الصناعي ٦ ٪ وجاء ربع الزيادة تقريبا من المناطـــق المحتلة **وفي مجال البنـــاء شكلت زيـــادة القوى العاملة من المناطق المحتلة اكثر من نصف مجموع الزيادة** في عدد العاملين في هذا الحقل، ورافقتها عملية انسحاب خطيرة للعمال اليهود من قطـــاع البناء »(٢٠). (نحن اضفنـــا التشديد) .

وفي عام ١٩٧٠ كان ٦٠ ٪ من عمال المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل يشتغلون في حقل البناء حيث « كانت الحاجة اليهم ملحة »(٢١) . وقد ساهم العمال العرب هنا ليس في تحقيق أهداف اسرائيل الاقتصادية القصيرة المدى فحسب بل وفي تحقيق الاهـــداف الاسرائيلية السياسية الاستراتيجية الطويلة الامد . وقد تم تشغيل الاف العمال العرب من المناطق المحتلة في بناء حلقة من المباني الاسرائيلية حول الجزء العربي من القدس مما ادى الى عزل القدس العربية عن الضفة الغربية . . . وهذا كسب استراتيجي لاسرائيل في حال تجدد الحرب . وقد شيدت هذه المباني لاسكان المهاجـــرين اليهود ، وهي جزء اساسي من خطة اسرائيل لتحويل القدس الى مدينة يهودية .

ويزداد استغلال العمال الفلسطينيين من المناطق المحتلة يوما بعد يوم وتتناقص اجورهم ويصبحون جزءا من قطاع نصف المهرة او غير المهرة من الطبقة العاملة الاسرائيلية ، ولا توكل اليهم سوى الاعمال الحقيرة في البناء والزراعة (راجع جدول رقم ٢) . وقد ساهمت الحكومة الاسرائيلية مباشرة في جلب العمال من الضفة الغربية وضمهم الى القوى العاملة الاسرائيلية ، وتوزيعهم على فئات الطبقة العاملة .

وقد قامت سلطات الاحتلال ، على اثر سماح الحكومة الاسرائيلية باستخدام العمال من المناطق المحتلة في اسرائيل ، بفتح مكاتب توظيف في الضفة الغربية وغيرها من المناطق المحتلة . وهناك الان ما لا يقل عن ١٧ مكتب توظيف تعمل في الضفة الغربية(٢٢) . وهدف هذه المكاتب تجنيد ابناء الضفة الغربية للعمل في اسرائيل ، فقد تم تشغيل ٩٪ فقط من العمال الذين تقدموا بطلبات عمل لهذه المكاتب في اوائل عام ١٩٧٠ في الضفة الغربية(٢٣) (راجع جدول رقم ٣) .

جدول رقم ٢

المستخدمون حسب المصدر وحقل العمل في اسرائيل

المنطقة	مجموع المستخدمين	المستخدمون في البناء	المستخدمون في الزراعة	المستخدمون في الصناعة
المجموع	٪١٠٠،٠	٪١٠٠،٠	٪١٠٠،٠	٪١٠٠،٠
الضفة الغربية	١،١	٦،٩	٢،٢	٠،٥
قطاع غزة وشمال سيناء	٠،٣	٢،٢	٠،٦	٠،٢
المجموع من المناطق المحتلة	١،٤	٩،١	٢،٨	٠،٧
غير اليهود في اسرائيل	٩،١	٢٠،٧	٢١،٥	٧،٢
غير اليهود .. المجموع	١٠،٥	٢٩،٨	٢٤،٣	٧،٩
اليهود	٨٩،٥	٧٠،٢	٧٥،٧	٩٢،١

المصدر : وحدة تنسيق النشاط في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **التنمية والوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء : ١٩٦٧ — ١٩٦٩** ، ملخص .

تقوم سياسة الحكومة الاسرائيلية بتوزيع العمال الفلسطينيين على ناحيتين سلبية وايجابية : سلبيا برفض اعطاء تصاريح عمل للفلسطينيين من المناطق المحتلة لاية وظيفة يمكن ان يشغلها اسرائيلي عاطل عن العمل ، وايجابيا من خلال برامج التدريب المهني السريعة في المناطق المحتلة ، تشكل « تعزيزا غير مباشر للقوى العاملة » على حد تعبير مجلة **الايكونومست الاسرائيلية**(٢٤) .

ومنذ آب ١٩٦٨ قامت الحكومة الاسرائيلية بفتح ١٩ مركزا تدريبيا مهنيا في الضفة الغربية(٢٥) . وهناك تشديد كبير على مهنة البناء ، فمن اصل ١٢٦٠ شخصا انهوا تدريبهم المهني عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ تعلم ٧٠٠ شخص مهنة البناء(٢٦) . ويعطى للذين يتدربون على مهنة البناء ٢½ ليرة اسرائيلية عن كل يوم دراسة ، بدلا من ١،٧٥ ليرة اسرائيلية التي تدفع للذين يتدربون على مهن اخرى(٢٧) . (يعطى المتدربون ، بالاضافة الى هذا المعاش ، كمية شهرية من الطعام توزعها جمعية (Care) من خلال برنامج « الطعام من اجل العمل »(٢٨) . وتستمر دورة تدريب البناء مدة ثلاثة اشهر بينما تستغرق مدة دورات مهن اخرى سنة واحدة . وقد قال استاذ عربي من مركز التدريب المهني التابع للاونروا في غزة ، في صيف ١٩٧١ ، ان برامج التدريب الاسرائيلية تعلم المشتركين « كيف يفرقون بين المطرقة والمنشار . وعند انتهاء الدورة يكونون في احسن

الحالات نصف مهرة ... ولا يمكـن القول أنهم عمـال مهرة . انهم يعلمون ما يكفيهم للعمل باشراف ناظر اسرائيلي »(٢٩). ويتفق مستوى التعليم المهني السيء الذي تقدمه اسرائيل مع الاتهامات التي ترتفـع في الضفة الغربية بـان الاسرائيليين يهتمون فقط بتشغيل العرب في اعمـال حقيرة وانهم في الواقع يشجعون العمـال المهرة في الضفة الغربية على الهجرة »(٣٠).

ويبذل الاسرائيليـون جهدهـم لتشغيل النساء ، اللواتـي اعتدن العمـل مجـانا في مزارع العائلة ، (رغم ان هذا النمط بدأ يتغير قبل احتلال ١٩٦٧ بوقت طويـل) . وقد جاء في احدى وثائق وزارة الدفاع الاسرائيلية : « يبدو ان القوى العاملة من الرجال في المدن (الضفة الغربية) قد استهلكت تماما ، وبالتالي فان اي توسع للقوى العاملة لن يكون ممكنا الا بتشغيل النساء وبالزيادة الطبيعية للسكان الذين في سن العمل »(٣١). وقد خصصت سبعة من المـراكز المهنية الاسرائيلية في الضفة الغربية لتدريب الفتيات والنساء على الخياطة ... وتحضيرهن خصيصا للعمل في مصانع الثياب الاسرائيلية . وفي عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ أتمت ١٨٠ امرأة تلك الدورات التدريبية(٣٢).

وهناك دلائل عديدة على ان اسرائيل تخطط لاستغلال القوة العاملة في الضفة الغربية الى ابعد حد ممكن . وقد استنتجت دراسة اشرفت عليها مؤسسة « راند » ومولتهـا مؤسسة « فورد » وقام بها اربعة اساتـذة جامعيين اسرائيليين ما يلي : « اذا استمر الاقتصاد الاسرائيلي بالتطور على اساس نسبة نموه الحالية، فيمكنه استيعاب ٣٠،٠٠٠ عامل اضافي من المناطق المحتلة عام ١٩٧٣ ، و ٢٠،٠٠٠ عامل اخر حتى عام ١٩٧٨ ، اي ان الاقتصاد الاسرائيلي سيوفـر ٧٥،٠٠٠ وظيفة لابناء المناطـق المحتلـة عـام ١٩٧٨ »(٣٣).

جدول رقم ٣

معلومات حول العمال الذين استخدمتهم مكاتب العمـل الاسرائيلية من الضفة الغربية حسب أشهر معينة

الشهر	مجموع الذين طلبوا العمل	الذين استخدموا في المنطقة	الذين استخدموا في اسرائيل	الذين لم يجدوا عملا
كانون الاول ١٩٦٨	١١،٧٤٧	٢٦٧١	٣٣٨١	٤٦٩٢
آذار ١٩٦٩	١٢،٠٣٤	٣٤٣٥	٥٥٠٦	٣٠٩٣
حزيران ١٩٦٩	٨،٨٢١	١٨٠٥	٥٠٩٧	١٩١٩
أيلول ١٩٦٩	١١،٥٠٥	١٧٥٣	٧٥٦٨	٢١٨٤
كانون الاول ١٩٦٩	١٦،٧٨٤	١١٥٣	١٣،٠٣٦	٢٥٥٤
آذار ١٩٧٠	٢٢،٠٠٨	١٦٢٤	١٧،٩٦١	٢٤٢٣

المصدر : منسق العمليات الحكومية في المناطق المحتلة ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري ، ١٩٦٩ — ١٩٧٠**، حزيران ١٩٧٠ ، ص ١٥ .

الزراعة : قررت السلطـات الاسرائيلية في الاشهر التي تلت الحرب اتبـاع سياسة « الجسور المفتوحـة » ، اي السماح للضفة الغربية ببيع فـائض انتاجهـا الزراعي والصناعي في الضفة الشرقية(٣٤). (الجسور «مفتوحة» باتجاه واحد طبعا ، ولا يسمح بحرية الاستيراد من الضفة الشرقية) . وان سياسة « الجسور المفتوحة » تساعد على المدى الطويل على حفظ الروابط الاقتصاديـة بين الضفة الغربية والمناطق العربيـة المجاورة ... وهذا اعتبار مهم جدا اذا كانت اسرائيل تأمل بتحقيق حلمها في النفاذ الى اسواق الدول المحيطة بها .

اما من الناحية الآنية ، فقد خلت هذه السياسة مشكلة اسرائيل في كيفية التخلص من فائض الانتاج الزراعي للضفة الغربية . فمن ناحية ، لو ترك ذلك الفائض دون ان يباع، لانهار اقتصاد الضفة الغربية تماما واصبح يشكل عبئا على الاقتصاد الاسرائيلي، وربما ادى الى زيادة مقاومة الاهالي في المناطق المحتلة . ومن ناحية اخرى ، لو وصل انتاج الضفة الغربية من الفواكه والخضار الى اسرائيل لانخفض بيع الانتاج الاسرائيلي من الفواكه بنسبة ٢٠ الى ٢٥ ٪ (٣٥) . وقد عمد الاسرائيليون الى حصر بيع محصول الضفة الغربية في اسواق اسرائيل بعدد من القوانين تتطلب تصاريح خاصة، واجراء فحص صحي على الطعام المصنع ، وشهادة بان المحصول المستورد لن يؤدي الى وجود فائض اسرائيلي(٣٦) .

وقد وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ، بالتشاور مع وجهاء الضفة الغربية و« قادتها الزراعيين»، خطة جديدة لزراعة الضفة الغربية(٣٧) . وقد هدفت هذه الخطة في الاساس الى تخفيض اعتماد مزارعي الضفة الغربية على الاسواق العربية ، وتغيير محصولاتهم لكي تلبي الاحتياجات الاسرائيلية وذلك بزرع مواد كانت اسرائيل تستوردها من الخارج ، وبتزويد الصناعة الاسرائيلية بمواد اخرى(٣٨) .

والمثال الساطع على جهود سلطات الاحتلال الاسرائيلية لخفض اعتماد مزارعي الضفة الغربية على الاسواق العربية هو محاولة دفعهم لعدم زرع البطيخ والفواكه المائية الاخرى والتي تعتبر مادة مهمة للتصدير للدول العربية القاحلة(٣٩) . وقد انخفض محصول الضفة الغربية من البطيخ ما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ من ٣٦،٠٠٠ طن الى ٢٠،٥٠٠ طن(٤٠) .

وتقوم اسرائيل بتحقيق خططها الزراعية للضفة الغربية من خلال تشجيع زراعة المحاصيل الجديدة المطلوبة بعدة وسائل : « المشاريع التجريبية » التي تقدم الحبوب للمزارع وتدفع له اسعارا اعلى من اسعار محصوله السابق ، « اللجان الزراعية » المؤلفة من الوجهاء وكبار المزارعين ، ثم من خلال نشاطات « مسؤول التسويق » الملحق بسلطات الاحتلال(٤١) . فمثلا ، تنص الخطة الزراعية لعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ على ما يلي: « نوصي بأن على المزارعين الذين يزرعون بندورة وباذنجان ان يصدروا فائض محصولهم الى اسواق اسرائيل خلال شهري آذار ونيسان . فخلال تلك الفترة يكون هناك طلب على هذه المحاصيل في الاسواق الاسرائيلية . ويمثل هذا البرنامج حافزا للمزارعين العرب لتوقيع عقود تصدير »(٤٢) . ويضيف التقرير ايضا « ان العقود توقع الان ما بين المزارعين ومصانع التعليب الاسرائيلية بمساعدة وزارة الزراعة . وهكذا سيزيد المزارعون مساحة المحاصيل التي كان على اسرائيل استيرادها سابقا »(٤٣) . ويزداد في الضفة الغربية انتاج المزروعات الصناعية التي تحتاجها المصانع الاسرائيلية: ما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ مثلا ارتفع انتاج السمسم من ٧٠٠ طن الى ١٧٠٠ طن ، كما يجري تشجيع زيادة انتاج القطن والتبغ وقصب السكر ومزروعات صناعية اخرى(٤٤) .

وقد ركزت الدعاية الاسرائيلية على « الفوائد العظمى » التي قدمتها التكنولوجيا الاسرائيلية « للزراعة المختلفة » في الضفة الغربية (بينما في الحقيقة ان مستوى انتاج المحاصيل كان متعادلا مع مستوى انتاج المزارعين العرب في اسرائيل)(٤٥) . ومما لا شك فيه ان « الفوائد العظمى » عادت على صناعة الكيماويات الاسرائيلية في تنمية زراعة الضفة الغربية : لاحظت سلطات الاحتلال الاسرائيلية ان الزراعة الاسرائيلية تستعمل كمية من السماد في الدونم الواحد تزيد ٢٠ مرة على الكمية التي يستعملها مزارعو الضفة الغربية ، وشددت على قيمة المواد الكيماوية والسماد اثناء « الاستعراضات التجريبية » التي كانت تقدم للمزارعين العرب(٤٦) . وتحتل الكيماويات

حاليا المرتبة الثانية (بعد العلف) في قائمة المواد الزراعية التي تستوردها الضفة الغربية من اسرائيل(٤٧) .

الصناعة : وكان لاسرائيل في حقل الصناعة ايضا خطط تتعلق بالضفة الغربية . فالصناعة في الضفة الغربية محدودة وعلى نطاق ضيق ، وبالتالي فان اغراق اسواقها بالمنتجات الصناعية الاسرائيلية — ٧٥٪ من صادرات اسرائيل للضفة الغربية بضائع من الانتاج الصناعي — لن يؤدي حتما الى تشجيع النمو المستقل لصناعة الضفة الغربية(٤٨) . واحد تأثيرات السياسة الاقتصادية الاسرائيلية على الضفة الغربية هو في الحقيقة منع لاي تصنيع بارز . وتستنتج دراسة راند التي اشرنا اليها سابقا ان الضفة الغربية ، مثل العرب في اسرائيل ، « لن تتمكن من احراز اي تقدم ملحوظ في مجال التنمية الصناعية »(٤٩) .

وقد بدأت اسرائيل ، مع ذلك ، محاولة السيطرة على صناعة الضفة الغربية . فقد اعلنت الحكومة الاسرائيلية ، في آب ١٩٦٩ ، عن تقديمها معونات مالية للمستثمرين الاسرائيليين والاجانب في المناطق المحتلة ، بما فيها الاعفاء من الضرائب وضمان الطمأنينة وتخفيض اسعار المواد الخام . (وفي حال قيام مشاريع مشتركة ، لا يحق للشريك المقيم في الضفة الغربية الحصول على تلك المعونات)(٥٠) . ولكن نظرا لان مستقبل المناطق المحتلة السياسي ما يزال موضع شك ، فقد ابدى الاسرائيليون ترددا في استثمار اموالهم هناك . وقد بدأت تظهر بعض المصانع الاسرائيلية في غزة حيث تقول الحكومة الاسرائيلية انها تنوي الاحتفاظ بها تحت الحكم الاسرائيلي .

وتقوم المصانع الاسرائيلية ، بدلا من الاستثمار المباشر ، باعطاء عقود عمل لمصانع الضفة الغربية وذلك للاستفادة من اليد العاملة الرخيصة . ففي عام ١٩٦٩ ، بعد مضي عامين فقط على الاحتلال ، كان ٩٪ من العمال الصناعيين في الضفة الغربية يعملون على تلبية الطلبات الاسرائيلية(٥١) . (راجع جدول رقم ٤) . وقد ذكرت صحيفة **جيروزاليم بوست** ان معامل الخياطة تنتشر في الضفة الغربية « لتلبية طلبات مصانع آتا ، ركس ، بربير ، الاستكس وغيرها . وقد قال السيد بشار (مسؤول في وزارة التجارة والصناعة) «لدينا ثمانية مصانع أخرى مستعدة لتقبل الانتاج اذا كان هناك من يصنعه» . كما ان معامل المفروشات تعطي عقودا للضفة الغربية : فقد تعاقد معمل رامات في اللد مع شركات في بيت لحم ونابلس . وكانت احدى الشركات الاسرائيلية تعتزم بناء مصنع خاص بها للفراش المصنوع من الاسفنج ، لكنها تعاقدت عوضا عن ذلك مع مصنع في الضفة الغربية على القيام بالمهمة بمبلغ ٤٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ ، وستضاعف المبلغ هذا العام »(٥٢) .

ويقوم مسؤول التجارة والصناعة في الضفة الغربية ، وهو ملحق من قبل وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية بسلطات الاحتلال ، بالتنسيق ما بين صناعات الضفة الغربية واحتياجات اسرائيل . واحدى مهامه اقامة اتصالات بين الصناعيين الاسرائيليين الذين يمتلكون معدات مستعملة برسم البيع وبين صناعيي الضفة الغربية الذين يرغبون في شراء تلك المعدات ، وان معظم المعدات « الجديدة » التي تصل معامل الضفة الغربية هي في الواقع معدات اسرائيلية مستعملة جرى تجديدها . ومن مهام هذا المسؤول الاخرى : « اسداء النصح وتقديم المشورة العملية لاصحاب المصانع والمعامل حول كل ما يتعلق بشراء المواد الخام من اسرائيل والخارج ... وتقديم النصيحة الفنية حول كل جوانب مستوى الصناعة الاسرائيلية التي تدخل في انتاج المنتوجات المختلفة ... وتشجيع الصناعيين في المناطق المحتلة على الاشتراك في المعارض التجارية في اسرائيل والخارج ، وارسال عينات من منتوجاتهم لكي تعرض في المعارض الاجنبية »(٥٣) .

جدول رقم ٤

العقود مع المصانع الاسرائيلية (حسب المنطقة)

المنطقة	١٩٦٨	١٩٦٩
نابلس	٤٨٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	٨٨٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
رام الله	٣٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	٥٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
بيت لحم	٣٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	٤٣٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
الخليل	ــــ	٢٥،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
المجموع	٨١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	١،٣٨٥،٠٠٠ ليرة اسرائيلية

خلاصة : لقد فرضت اسرائيل امبريالية حديثة على الضفة الغربية ، اذ اغرقت اسواقها بالبضائع الاسرائيلية واستغلت طبقتها العاملة في اعمال حقيرة في اسرائيل ، واستعملت زراعتها لتلبية حاجات المستهلك الاسرائيلي والصناعة الاسرائيلية . وهذا النمط يعني في النهاية ان السيطرة على الحياة الاقتصادية للضفة الغربية هي في يد اسرائيل ، وما لم يتم انهاء هذا النمط فان اي « تقرير مصير » سياسي يكون بلا معنى. وتمتد اهمية سياسة اسرائيل الاقتصادية في الضفة الغربية المحتلة الى ما وراء نهر الاردن . فان الشعب العربي في الشرق الاوسط يواجه مشروع سلام خطير جدا : ... هو عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل تتم رغما عنه بعد القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية . ومن ثم توجه يميني في أنظمة الحكم العربية . والسلم يعني ، كما قال الاسرائيليون مرارا ، حدودا اقتصادية مفتوحة . وهذا النمط من مشاريع السلم انما يعني ان اشكالا مختلفة من الامبريالية الاقتصادية التي فرضت على الضفة الغربية ستفرض حتما على مناطق اخرى في المشرق العربي .

---

١ ــ اذاعة اسرائيل ، ٩ تشرين الثاني ١٩٦٨.

٢ ــ **تقارير** مريب (Merip) العدد ٣ ، تشرين الثاني ١٩٧١ .

٣ ــ ميخائيل برونو ، **مشاكل التنمية الاقتصادية في اسرائيل ١٩٧٠ ــ ١٩٨٠** ، راند ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٥٩ .

٤ ــ برونو ، ص ٣٥ .

٥ ــ برونو ، ص ٥١ .

٦ ــ برونو ، ص ٥٤ .

٧ ــ رسالة من ايلي مايس ليش ، وبيتر تكفاك الى **هآرتس** ، ١٥ أيار ١٩٦٩ . ترجم في ايسراكا (Israca) عدد ٢ ، حزيران ــ تموز ١٩٦٩ ، ص ٨ .

٨ ــ **نيويورك تايمز** ، ٢ حزيران ١٩٦٩ .

٩ ــ يعالج هذا الجزء من المقال اقتصاد الضفة الغربية بالذات . ان اقتصاد الضفة الغربية يختلف عن اقتصاد غزة ، وكذلك تأثيرات الاحتلال عليهما ، وبالتالي فان اقتصاد غزة يحتاج الى معالجة خاصة به . لقد تم « توحيد » القدس الشرقية مع القدس الغربية (اي ضمت الى اسرائيل) ، ويبدو ان غزة تهيأ لنوع ما من الاندماج السياسي والاقتصادي مع اسرائيل . وبما ان سياسة اسرائيل في الضفة الغربية هي سياسة الدمج الاقتصادي دون الامتصاص السياسي ، فمن المفيد ان ندرس اقتصاد الضفة الغربية لكي نستمد بعض المؤشرات حول الانماط المحتملة لعلاقة اسرائيل الاقتصادية بالعالم العربي اذا تم فرض حل سلمي على العرب . وحيث لا تتوفر معلومات عن الضفة الغربية وغزة ، كل على حدة ، نستعمل الارقام المتوفرة للمناطق المحتلة ككل .

١٠ ــ مكتب الاحصاء الاسرائيلي المركزي ، **النشرة الشهرية** ، كانون الاول ١٩٧٠ . **والايكونوميست الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٧١ .

١١ ــ منسق العمليات الحكومية في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، حزيران ١٩٧٠، ص ٤ .

١٢ ـ مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي ، **النشرة الشهرية** ، كانون الاول ١٩٧٠ **والايكونوميست الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٧١ .

١٣ ـ **المصدر نفسه** .

١٤ ـ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٧١.

١٥ ـ وحدة تنسيق النشاط في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **التنمية والوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء : ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ ، ملخص** . تشرين الاول ١٩٧٠ ، غير مرتم .

١٦ ـ **المصدر نفسه** .

١٧ ـ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، حزيران ١٩٧١ ، ص ٢٠٨ .

١٨ ـ **جيروزالم بوست** ، ٣١ تموز ١٩٦٧ .

١٩ ـ **نيو آوتلوك** ، تشرين الاول ١٩٦٨ ، ص ٥٤ .

٢٠ ـ **التنمية والوضع الاقتصادي** ...

٢١ ـ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، تشرين الاول ١٩٧١ ، ص ٣١٩ .

٢٢ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ١٤ . تم فتح خمسة مكاتب في المناطق ، واحد في كل من الخليل ، وبيت لحم ، ورام الله ، ونابلس ، وجنين وطولكرم . وتم انشاء مكاتب قروية في مناطق الخليل ، ورام الله ، وجنين وطولكرم .

٢٣ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٥ .

٢٤ ـ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، تشرين الاول ١٩٧١ ، ص ٣١٩ .

٢٥ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ١٧ .

٢٦ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٨ .

٢٧ ـ **المصدر نفسه** .

٢٨ ـ **المصدر نفسه** .

٢٩ ـ قام المؤلف باجراء المقابلة ، ٢٦ حزيران ١٩٧١ .

٣٠ ـ **المقاومة في الشرق الاوسط** ، خريف ١٩٧١ ، ص ٩ .

٣١ ـ **التنمية والوضع الاقتصادي** ...

٣٢ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ١٧ .

٣٣ ـ حاييم بن شاحار ، ايتان برجلاس ، يايير موندلاك ، وارزا سادان ، **البنيان الاقتصادي وآفاق التنمية للضفة الغربية وقطاع غزة** ، مؤسسة راند ، أيلول ١٩٧١ ، ص ١٢٦ . ويقول المؤلفون في مقدمتهم : « هناك افتراض واحد ذو طبيعة سياسية يقوم هذا التحليل على اساسه : انه ستكون هناك علاقات اقتصادية بشكل او بآخر بين المناطق المحتلة واسرائيل ». ص ١ .

٣٤ ـ يباع ثلث محصول الضفة الغربية الزراعي في الضفة الشرقية .

٣٥ ـ آن موسلي لش ، **احتلال اسرائيل للضفة الغربية ، اول سنتين** ، اطروحة ماجيستير ، دائرة العلوم السياسية ، جامعة كولومبيا ، ١٩٦٩ ، ص ٣٤ .

٣٦ ـ **جيروزالم بوست** ، ٢٢ تشرين الاول ، ١٩٦٧ .

٣٧ ـ أريه شسكين ، « اقتصاد الضفة الغربية بعد الحرب » ، تشرين الاول ١٩٦٩ ، ص ٢١ ، **نيو آوتلوك** .

٣٨ ـ وزارة الزراعة الاسرائيلية ، **الضفة الغربية وقطاع غزة : خطط التنمية الزراعية لعام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠** .

٣٩ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢ .

٤٠ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٢٧ .

٤١ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ و ٢٤ .

٤٢ ـ **خطط التنمية الزراعية** ، ص ٣ .

٤٣ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢ .

٤٤ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٢٤ و ٢٧ .

٤٥ ـ لش ، ص ٣٥ .

٤٦ ـ وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ادارة اسرائيل في الضفة الغربية وغزة : سجل تقدم** ، ص ٤١ .

٤٧ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٢٨ .

٤٨ ـ **التنمية والوضع الاقتصادي** ...

٤٩ ـ بن شاحار واخرون ، ص ١٠٤ .

٥٠ ـ **هآرتس** ، ١١ آب ١٩٦٨ . ترجم في ايسراكا أيار ١٩٦٩ .

٥١ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٣٢ .

٥٢ ـ **جيروزالم بوست اوفرسيز ويكلي** ، ١٧ شباط ١٩٦٩ ، ص ٧ .

٥٣ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٣٣ .

اسرائيل واوغنده

محمد نعمان كنفاني

كان من الطبيعي في ظل الظروف المحيطة بالكيان الصهيوني ــ وحتى بعد مرور ربع قرن على قيامه ــ وفي ظل الرفض العربي لوجود هذا الكيان واستمراره والمتمثل في الحصار السياسي والاقتصادي ضده ، كان من الطبيعي ، وحتى يستطيع هذا الكيان الاستمرار في الوجود ، وفي ان يلعب دوره الاستعماري التوسعي تحت مظلة مباركة دولية ، ان يتوجه الى جميع الدول الاخرى ، وان يبذل كل ما يمكنه من اموال ، ويقدم لها كافة اشكال المساعدات ، حتى يضمن من جهة أولى هذه المباركة العالمية ، ومن جهة ثانية اسواقا لتصريف بضائعه ورؤوس أمواله وقواه العاملة الفائضة . ودول العالم الثالث ــ والافريقية منها خاصة ــ هي المؤهلة طبيعيا لان تكون الموقع الخصب للسياسة الاسرائيلية هذه ، بظروف استقلالها الحديث ، وبعدها عن تفاصيل القضية الفلسطينية ، وظروف تخلفها القاسية ، وحاجتها الى مشاريع تنمية واسعة لضمان حياة انسانية لمواطنيها ، والتي كانت عوامل مساعدة لان يأخذ التغلغل الاسرائيلي في أفريقيا حجما كبيرا واشكالا متعددة ، ولا بد ان نذكر أيضا اثر الغياب العربي عن القارة الافريقية ــ مع وجود كل هذه الدول العربية الافريقية ــ ودوره في فتح الطريق واسعا أمام التقدم الاسرائيلي ، وان يجعل العقبات في طريقه نادرة الوجود .

وبالرغم من اننا لن نهمل الهدف الاقتصادي لاسرائيل من وراء تقديمها للمساعدات والخبرات وتنفيذها للمشاريع في دول العالم الثالث ، الا اننا نلاحظ ، ان الاعتبارات السياسية وتوكيد وجود الكيان الصهيوني وأمنه ، كان الهدف الاساسي لهذا التغلغل ، وان كان العامل الاقتصادي يلعب بالطبع دورا هاما وواسعا كمحصلة لهذا التغلغل على المدى الطويل ولكن ، وعلى المدى القصير كان الاعتبار الاقتصادي في الخطة الاسرائيلية هو المرتكز الجوهري في سبيل تحقيق الهدف السياسي . أي ان الاهتمام بالربحية للمشروعات والقروض كان يحل دائما في مرتبة الاهمية الثانية بالنسبة الى اسرائيل في أفريقيا .

وبالرغم من ان دراستنا تتعلق أساسا بالعلاقات الاسرائيلية الاوغندية ، الا ان القيام بهكذا دراسة ومتابعة التطورات الاخيرة التي طرأت عليها ، لا بد ان تكون مبتورة ، اذا قفزت فوق الوجود الاسرائيلي في القارة الافريقية كلها ، لان أوغندا في نهاية الامر ، ما هي الا حلقة في سلسلة تاريخ هذا الوجود الطويل ، وربما لم تكن هي الحلقة الاقوى (واردات اسرائيل من الجابون تعادل اربعة اضعاف وارداتها من أوغندا في ١٩٦٩(١)) . اضافة الى ان المواقف الرسمية الاوغندية من الحق العربي ظلت مواقف ايجابية بخطوطها العامة وذلك على عكس عدد غير قليل من الدول الافريقية الاخرى ، من هنا فان ربط دراسة العلاقات الاوغندية ــ الاسرائيلية بموضوع الوجود الاسرائيلي في كامل انحاء القارة ، يعكس في الحقيقة كون بتر الوجود الاسرائيلي من أوغندا ليس

هدفا بقدر ما هو خطوة على طريق تصفية كامل وجودها في القارة الافريقية ، ومن هنا تبقى أهمية التجربـــة الاوغنديـــة ــ الاسرائيليـــة محصورة بدلالتهـــا ، كمؤشر على فشل محتم تاريخيا للسياسة الاسرائيلية تجاه دول العالم الثالث ، لان العلاقات بينهما ، ومهما تعددت وجوهها ، تبقى علاقات دولة مستغلة (بكسر الغـين) ودول مستغلة (بفتح الغين) ، وتبقى علاقات غير متكافئة ، استفاد منها طرف بظروف التخلف المريع الذي يعيشه الطرف الآخر .

وبهذا فان التخلص من الوجود الاسرائيلي لا يمكن الا ان يكون جزءا من القضاء على كافة اشكال التحكم الامبريالي في ثروات القارة ومقدراتها ، فمن الصعب تصور قدرة القارة على التخلص من التوسع الاسرائيلي فيها دون ان يرافق ذلك عمليات تغيير جذرية في هذه القارة على الصعيد السياسي والاقتصادي ، لان الخروج الامبريالي منها دون ان يرافق بهذه التحولات الاجتماعية (؟؟) مهدد دوما ، وفي اية لحظة ، بعودة مظفرة سواء عقب تغيير حكومة .. او بعد انقلاب عسكري ...

من هنا يصبح كشف العوامل والاهداف الحقيقية لهذا الوجود ، هو في النهاية الخطوة الاولى على الطريق الصحيح لقطع كل علاقة بين الاعداء الطبيعيين ، ولتوطيد وتعزيز وتوحيد صفوف الحلفاء الطبيعيين ايضا . دراستنا هـــذه ستتوقف قليلا عند الوجود الاسرائيلي في افريقيا ، لنتابع بعدها دراسة العلاقات الاوغنديـــة ــ الاسرائيلية ، ولدراسة تفاصيل الازمة الاخيرة والتي انتهت بتصفية الوجود الاسرائيلي هناك .

ــ اسرائيل في افريقيا ــ

قد يتعذر الحصول على بضع دول افريقية لم يصل اليها الاخطبوط الاسرائيلي ، فالاطباء والمستشارون العسكريون ، والخبـــراء الزراعيون ، والتقنيون ، والمشرفون علـــى نشاطات الشباب والمدربون الرياضيون الاسرائيليون ، يقومون بنشاطات واسعة في مختلف انحاء القارة الافريقية (في الدول غير العربية) .

ولقد تصاعد هذا التغلغل بشكل سريع بدءا من ١٩٥٨ . اذ ان اسرائيل واجهت قبل هذا التاريخ ١٩٥٠ ــ ١٩٥٧ هزائم شديدة في ميدان التنافس الدولي أدت الى عزلتها عن البلدان الافرواسيوية . فبالاضافة الى رفض الدول الاسيوية الكبرى (الهند ، باكستان ..) الموافقة على قرار التقسيم ، وعدم اعترافهـــا مطلقا بشرعيـــة الكيان الصهيوني ، ساهم انضمام اسرائيل الى الدول الغربية في الحرب الكورية عام ١٩٥٠ واقتراح « بن جوريون » على بريطانيا والولايات المتحدة التوقيع على معاهدة عسكرية عام ١٩٥١ ، واستعداد اسرائيل للموافقة على قيام قواعد عسكرية غربية في اراضيها اضافة الى تركيز الجهد الاسرائيلي في ذلك الوقت على الامور والمشاكل الداخلية .... ساهم كل هذا الى مزيد من حساسية دول العالم الثالث تجاهها بالتالي الى اســـتبعاد دعوتها الى مؤتمر « باندونغ » الشهير في ١٩٥٥ والذي وضع اسس ودعائم دول العالم الثالث ككتلة مميزة وكوجود مستقل .

ولكن هذا الفشل الذي عانت منه الدبلوماسية الصهيونية في أول عهدها ، كان حافزا قويا لها لتوحيد الجهود وتركيز العمل ، واستغلال برامج المساعدات والمعونات في نطاق البلدان حديثة الاستقلال ، في افريقيا اساسا لتعويض ما خسرته في قارة اسيا . ولتعويض الرفض الكامل من قبل (الهند وباكستان والصين) لوجودها . اذن ، تنبهت اسرائيل الى القارة الافريقيـــة كمخـــزن سياسي واقتصادي ثمين ، وعبر قادتهـــا السياسيون عن أهميـــة الوجود الاسرائيلي في هـــذه القارة بمجالات عديدة . يقول « ليفي اشكول » بهذا الصدد : « ان مستقبل الاجيال المقبلة في اسرائيل مرتبط الى حد كبير بنشاطنا في القارة الافريقية(٢) » . ومن اجل ضمان « مستقبل الاجيال » هذا ،

قامت غولدا مائير بأول رحلة لها الى افريقيا عام ١٩٥٨ ، ومن ثم قامت في غضون السنوات السبع التالية بأربع زيارات غطت فيها كل بلدان القارة تقريبا ، ثم قام رئيس الدولة « بن زفي » بأول زيارة رسمية له عام ١٩٦٢ الى الكونغو (بطرفيها) وليبيريا والسنغال وأفريقيا الوسطى ، وقام اشكول عام ١٩٦٦ بزيارة منهكة مضنية لرجل في مثل سنه الى سبع دول افريقية من ضمنها أوغنده ، هذا عدا الزيارات العديدة التي قامت بها الوفود على مستوى الوزراء ومستوى الاتحادات النقابية والاحزاب ، والتي كان ابرزها الزيارة الاخيرة لوزير الخارجية (أبا ايبان) لعدد كبير من الدول الافريقية وكان من ثمارها عدد من الاتفاقات المختلفة الاهداف . وهكذا وجهت اسرائيل كل ثقلها الدبلوماسي الى افريقيا ، وعرضت على دول القارة خبرتها في مجالات التنمية وفي المجالات العسكريـــة ، وساهمت الدول الاستعماريـــة ايضا بتمهيد الطريق للتقدم الاسرائيلي نحو بلدان هذه القارة قبل مغادرتها لها . وما ان حل عام ١٩٦٨ حتى كان لاسرائيل علاقات دبلوماسية مع ٣٠ دولة افريقية (بعد ان قطعت موريتانيا علاقاتها مع اسرائيل عقب حرب ١٩٦٧)(٣) .

وتنفق اسرائيل مبالغ طائلة في سبيل المحافظة على أوضاعها في افريقيا ، ومن أجل تعزيز وجودها هناك ويبلغ مجموع هذا الانفاق السنوي حوالي ١٠٠ مليون ليرة اسرائيلية (٣٣ مليون دولار)(٤) . وهناك ٦٥ دولة نامية تستفيد من البرنامج الاسرائيلي للتعاون الدولي(٥) . ولقد قام ثلاثون بلدا افريقيا بعقد اتفاقيات للتعاون التقني مع اسرائيل(٦) . ومـــع ان اسرائيل لا تنشر أي معلومات عن قروضها الموزعـــة وانما تلحقهـــا ببنود الميزانية الاخرى الا اننا ومن مراجعة كتاب (لوفر) نستطيع ان نقدر هذه القروض بـ (٥٨) مليون دولار خلال الفترة ١٩٥٨ ـــ ١٩٦٣ . اضافة الى ذلك يلعب الخبراء دورا هاما في استراتيجية هذا التغلغل . اذ يبلـــغ ما توفده الحكومة الاسرائيليـــة والمؤسسات القومية والشركات ، حوالي ٦٥٠ خبيرا في المتوسط سنويا(٧) يتوزعون على ثلاثين دولة افريقية . والوجه الآخر لهذا هو استقبال الطلاب والموظفين الافريقيين ليتابعوا دورات تدريبية في اسرائيل ، حيث يقدر عددهم سنويا بـ ١٥٠٠ طالب في معاهد التعليم العالي والمهني والدورات الخاصة(٨) ومن ناحية المساعدات العسكرية فلقد غطى نشاط اسرائيل بهذا المجال ١٦ دولة افريقية حتى ١٩٦٥ وارتفع الرقم الى ٢٣ دولة حتى ١٩٧٠(٩) . وتتراوح هذه المساعدات بين تدريب الجيوش واقامة المدارس العسكرية وادارتها ، وبيع الاســـلحة ، واقامة القواعـــد العســـكرية ومراكـــز الاستخبارات .

اما من ناحية المشاريع الانشائية بالقارة الافريقية ، فان اسرائيل تعتمد في تنفيذها على اسلوبين اساسيين أولهما الشركات الاسرائيلية وثانيهما الشركـــات المختلطة (بين الحكومات او بين الحكومة الافريقية والشركات الاسرائيلية) ويركز الاسرائيليون عادة على الاسلوب الثاني حيث يكفل ضمانات اكثر قوة لرأس المال الاسرائيلي ويقلل من عامل المخاطرة فيه ، فضلا عن كونه مظهرا اكثر عدالة . ولقد قامت هذه الشركات والحكومة بأكثر من ٣٠٠ مشاركة وبرأس مال يفوق ٥٠٠ مليون دولار خلال الفـــترة ١٩٥٨ ـــ ١٩٦٦ ، ووفرت العمل لاكثر من ٥٠٠٠ خبير اسرائيلي ، وحققت ما يزيد عن ١٠٠ مليون دولار ارباحا صافية(١٠) . وتغطي الشركات الاسرائيليـــة العاملة بالقارة (سوليل بونيه التابعـــة للهستدروت ، ماير اخوان ، اميران ...) كل النشاطات الاقتصادية وتسيطر بشكل فعال على عدة مجالات ابرزها أمور التجارة الخارجية (١١) . اما على صعيد التبادل التجاري فلقد كانت المبادلات التجاريـــة شبه معدومة في عام ١٩٥٧ . وبدأتها اسرائيل من جانب واحد متحملة العجز في ميزانها التجاري مع بلدان القارة . ثم ما لبث ان تغير الوضع وبدأ الميزان التجاري يميل الـــى صالحها وارتفع

حجم التجارة بينهما من ٢٠ مليون دولار عام ١٩٦٢ الى اكثر من ٤٠ مليونا عام ١٩٦٧ ووصلت علاقاتها ببعض الدول الى حد الاحتكار الكامل لبعض اصنـــاف منتجاتهـــا الرئيسية كحال اثيوبيا ، والجابون ، واوغندا(١٢) .

ولاسرائيل دوافع عديدة لتغلغلها في افريقيا . فالى جانب توسيع رقعة الاعتراف الدولي بها وبسيادتها ، والاقرار بوجودها والى زيادة عدد الاصوات المؤيدة لها في الهيئات الدولية او الى تحييد اصوات هذه الدول على الاقل والى جانب ايجاد وفتح أسواق جديدة للسلع الاسرائيلية ولرؤوس الاموال المستثمرة كبديل للاسواق العربية وبهدف كسر الطوق المضروب حولها ، تلعب العلاقة بين اسرائيل والاحتكارات الغربية دورا هاما في اطار هذه الدوافع . فلقد كانت البلدان الغربيـــة في بادىء الامر مرتابة نوعا ببرامج المساعدات الاسرائيلية الى دول العالم الثالث ، مما ادى الى وقوع خلافات وتعارض وتنافس بينهما احيانـــا . ولكن سرعـــان مـــا زالت الشكوك ، واكتشفت الاحتكارات الغربية ان اسرائيل امتياز حقيقي لهـــا ، اذ انهـــا بتمويل المساعدات الاسرائيلية والوقوف خلفها يمكنها بسهولة ، ودون اثارة مخاوف او شكوك أحد من السيطرة على أسواق هـــذه البلدان ، ويتحدث سافران الاستاذ في جامعـــة هارفرد حول هذا الموضوع .. « اذا كان ثمة اية بواعث حقيقية لبرامج المساعدات الاسرائيلية الخارجية ، فهي تتمثل في املها بالحصول على مكافآت سخية من الولايات المتحدة ، لكونها تخدم الاغراض والغايات ذاتها التي تتوخاها الحكومة الامريكية من وراء برامج مساعداتها ... »(١٣)

ان هذا الاسلوب هو ما يطلق عليه اسم (اسلوب الدولـــة الثالثة) ، والفائدة التي تجنيها اسرائيل من وراء هذا كونها تستطيع ايجاد علاقات تجارية واقتصادية هامة وان تقدم مساعدات كبيرة وتساهم بمشاريع استثمار واسعة عن طريق استغلال كمية محدودة من رؤوس اموالها ، وذلك بأن يتم تحويل جزء من المساعدات الامريكية الى الدول النامية عن طريق غير مباشر ، اي عبر اسرائيل او المنظمات الدولية ، ولقد اثبت فريق افريقيا للابحاث في كراسة (داوود يتعاون مـــع جوليات في افريقيا) كيف ان المساعدات الخاصة والحكومية التي تقدمها اسرائيل الى الدول النامية تأتي اساسا وكما ذكرنا من المنظمات والحكومة الامريكيـــة(١٤) . ولقد كـــان ارنولد ريفكين من طليعة الامريكيين الذين اظهروا علنـــا المواقف التـــي تبرر لامريكـــا الافادة من التقاء مصالحها مع المصالح الاسرائيلية : « ان دور اسرائيل كقوة ثالثة يمكن ان يقوى عن طريق استخدام وهمي لتقنية البلد الثالث . ان دولة من العالم الحر تريد أن توسع مساعداتها لافريقيا ، بامكانها ان تمرر جزءا من هذه المساعدات من خلال اســـرائيل وذلك بسبب المواصفات الخاصة التي تتمتع بها اسرائيل ، والتي ظهر تقبلها لدى عدد من الدول الافريقيـــة .. »(١٥) اي بسبب ان اسرائيـــل ليست من الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية ، اضافة الى كونها دولة اسيوية صغيرة .. مما يكسبها ميزة نفسية هامة جدا في أوساط الافريقيين المستقلين حديثا . أو كما تقول « غولدا مائير » : « اننا دولة ديمقراطية صغيرة ، ليست لها مطامع توسعية ، وتتمتع بالخصال التي تلفت نظر الافارقـــة فنحن مثلهم دولة جديدة ، واجهت وما تزال مشاكل متشابهة . ولقد اكتسبنا بعض الخبرات الفريدة في مناهج التنمية وأساليب العلاج التي تفيد هذه الدول كثيرا .. »(١٦)

هذه هي بعض الملامح الاساسية للوجود الاسرائيلي في افريقيا . وهي بالتأكيد تترك انطباعات عديدة في الاذهان وخصوصا بوجود ست دول عربية افريقية تسيطر على كامل الشمال الافريقي وتربطها علاقات (ان لم نقل تاريخية او روابط مصـــير واحد) جغرافية مع باقي معظم الدول الافريقية .

اكتسب شرق افريقيا موقعا هاما في مخطط التغلغل الصهيوني في افريقيا . وذلك منذ عام ١٩٥٦ عقب فتح خليج العقبة امام البواخر الاسرائيلية ، حيث شكل هذا المنفذ البحري لاسرائيل . ولقد قفزت حركة التفريغ والشحن من هذا الميناء (ايلات) من لا شيء عام ١٩٥٦ الى ٥٧٥ الف طن حتى عام ١٩٦٦(١٨) هذا باستثناء البترول . وازدادت اهمية هذه المنطقة ايضا عقب عام ١٩٦٧ بعد اقفال قناة السويس وذلك لان الطريق الذي يصل بين البحرين الابيض والاحمر عبر الطريق البري الاسرائيلي يوفر لبلدان شرق افريقيا ١٥ ٪ من تكاليف النقل عبر راس الرجاء الصالح(١٩) لذا لم يكن من المستغرب ان ترسل اسرائيل بعثة خاصة الى دول شرق افريقيا هذه مباشرة بعد حرب حزيران لاجراء الدراسات وتوثيق العلاقات . اضافة الى قرب هذه المنطقة « للمواقع » الاسرائيلية والى انها تشكل ظهر المنطقة العربية مما يكسبها أهمية استراتيجية كبيرة . ويعني ان يحتل شرق افريقيا (اثيوبيه ، كينيا ، تنزانيا ، اوغنده) مكان الصدارة في الاولويات الجغرافية للوجود الاسرائيلي في افريقيا ككل .

تبلغ مساحة أوغنده ٩١٤٠٧٦ ميلا مربعا وعدد سكانها ٨٤١٣٣٤٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٦٩ منهم نحو مليوني مسلم ، ويحدها شمالا السودان وجنوبا تنزانيا وراوندي وشرقا كينيا وغربا الكونغو ولقد نالت استقلالها عام ١٩٦٢ حيث كانت مستعمرة بريطانية(٢٠) وانتسبت على اثر هذا الاستقلال الى الكومنولث البريطاني . وهي عضو في السوق المشتركة لدول شرق أفريقيا منذ ١٩٦١ مع تنزانيا وكينيا ، وعضو منتسبة الى السوق الاوروبية المشتركة مع ٢١ دولة أفريقية اخرى(٢١) . وهي بالطبع ككل الدول الافريقية تعتمد النشاط الزراعي كمورد اساسي لدخلها القومي حيث يتولد ما يزيد عن ٧٠٪ من هذا الدخل نتيجة هذا النشاط ، ويرتفع الرقم اذا اضيف له النشاط الاقتصادي المرتبط بالارض كوسيلة انتاج . ويعمل في هذا القطاع ٩٥٪ من مجمل القوى العاملة الاوغندية . ويبلغ نصيب الفرد من الدخل القومي فيها ٧٨ دولارا سنويا فقط(٢٢) .

اهم انتاج اوغنده الزراعي القطن ، والبن ، والفستق ، والتبغ . ويشكل القطن ٧٩٪ من مجمل الصادرات الاوغندية ، والبن ١٦ ٪ من هذه الصادرات ، اي ان القطن والبن يشكلان ٩٥٪ من مجمل صادرات اوغنده الى العالم الخارجي(٢٣) . كل هذه الارقام تعكس لنا ظروف التخلف القاسية التي تعيشها اوغنده والتي جعلتها فعلا فريسة سهلة امام مخططات ومشاريع التغلغل الصهيوني عبر برامج المساعدات والقروض وتقديم الخبرات .

اتخذ الوجود الاسرائيلي في اوغنده ومنذ ١٩٦٢ طابعا عسكريا وذلك عقب توقيع الاتفاقية الاولى للمساعدة العسكرية الاسرائيلية لتنظيم جيش اوغنده وتدريبه ، وقامت اسرائيل بتدريب هذا الجيش الذي لم يكن يزيد وقتذاك عن كتيبتين ، وسلاح طيرانه عن بعض الطائرات الاسرائيلية(٢٤) جميع طياريها كانوا من الضباط الاسرائيليين وتصاعدت هذه المعونات العسكرية واصبح الخبراء العسكريين الاسرائيليين يشرفون على كل فروع الجيش الاوغندي وينظمون قوات الحدود ويراقبونها . وحتى عام ١٩٧١ كان هناك ١٣٠ عائلة اسرائيلية موفدة من اسرائيل كخبراء عسكريين الى اوغندا ، منهم ١٠٠ عائلة تقيم في (انطابا) حيث يوجد هناك المطار الرئيسي للدولة والقاعدة الرئيسية لسلاح الجو الاوغندي(٢٥) . ويساعد المدرسون والمستشارون هؤلاء في تدريب الطيارين وتدريب القوات البرية وتدريب الشرطة وصيانة الاسلحة والمعدات . اضافة لذلك كان الخبراء هؤلاء يعملون على بناء قوة بحرية اوغندية صغيرة على ضفاف بحيرة فكتوريا(٢٦) . وفي ١٩٦٣ اعادت اسرائيل تنظيم سلاح الجو ودربت ٥ طيارين

و ١٥ ضابطا واقامت مدرسة للطيران في اوغندا زودتهـا بأكثـر من ٦٠ مستشارا عسكريا . وباعت لها ٦ طائرات كعملية اعادة بيع وارسلت معها ١٢ خبيرا لتدريب الاوغنديين عليها(٢٧) وكانت هناك مباحثـات لبيع عـدد آخر من طائرات (عرفـا) الاسرائيلية(٢٨) وعند انهاء الوجود الاسرائيلـي توقفت المعامل الاسرائيلية لتركيب السيارات عن تنفيذ طلب ٦٠٠ عربة للجيش الاوغندي بعد أن تم تسليم ٢٤ منها حتى ذاك التاريخ(٢٩) وفي سنة ١٩٧٠ باعت اسرائيل الى اوغندا عشر دبابات (شيرمان) كانت قد اخرجت من الخدمة بالجيش الاسرائيلي(٣٠) وعند نهاية ١٩٧١ كانت البعثة الاسرائيلية العسكرية في اوغندا أكبر من أية بعثة اسرائيلية أخرى في أنحاء العالم في أي وقت مضى(٣١) .

واذا تركنا الآن المجال العسكري الى بقيـة المجـالات فسوف نلاحظ ان الشركات الاسرائيلية (سوليل بونيـه اميران ، موتورولا ، لورد ..) تعمل بنشاط واسع في اوغنده ، حيث تبني معسكرات الجيش ومبانـي البنوك ومكاتب الحكومـة والمباني السكنية وتشق الطرق وتخطط لمشاريع الري ، والاسرائيليون في اوغندا يدرسون في الجامعات ويعملون على الآلات الحاسبة ويشرفون على مزارع الشاي والقطن ...(٣٢) ويمكن ان نوضح توسع نشاط اسرائيل في اوغندا بالاشارة الى توسع حجم البعثات الاسرائيليـة حيث كـان هـذا لا يتجـاوز ١٨ خبيرا في عـام ١٩٦٣(٣٣) فارتفـع الى ٧٠٠ شخص (بمـا فيهم اعضاء السـفارة وخبراء موظفي الشـركات)(٣٤) .

اما بالنسبة الى الشركات فيكفي ان نذكر (لنوضح حجم اعمالهـا هناك) ان شركة سوليل بونيه – وهي التـي انشأت ١٧٠٠ وحدة سكنيـة في كمبالا العاصمة وثكنتين عسكريتين ومصرفا حكوميا – نقلت الى اوغندا معدات تقدر قيمتها بـ ٣ ملايين ليرة اسرائيلية(٣٥) هذا بالاضافة الى ان شركة (رالي) الاسرائيلية ، كانت قد احتكرت كامل محصول البن الاوغندي واصبحت هي المصدر الوحيد له عبر البلاد ، علما انه يشكل ١٦٪ من مجمل صادرات اوغنده .

ولقد تعززت العلاقات الاوغندية – الاسرائيلية عقب الزيارة التي قام بهـا الرئيس الاوغندي لاسرائيل عام ١٩٦٦ والزيارات المختلفة التي قام بها المسؤولون الاسرائيليون الى اوغنده وابرزها زيارة اشكول عام ١٩٦٦ والزيارة التي قام بها ابا ايبان في ١٩٦٩ بدعوة من الحكومة . والتي كان يعقبها توقيع المعاهدات والاتفاقيات وابرزها توقيع اتفاقية ثقافية بين سفير اسرائيل ووزير الثقافة الاوغندية لزيادة التعاون بهذا المجال وتبادل البعثات الدراسية والوفود في عام ١٩٦٦ اضافـة الى الاتفاقات الاقتصادية واتفاقات زيادة حجم التبادل التجاري .

وعند انتهاء الوجود الاسرائيلـي من اوغندا ، كانت مجمل المطالب الاسرائيليـة من اوغندا (ومهما جاء على لسان دان هلبرن مستشار وزير المـال الاسرائيلي) تقـدر بـ ٢٩ مليون دولار وان كان قد صرح انه سيعاد النظر في الحساب لاقرار المبلغ بصورة نهائية(٣٦) .

ولقد كانت برامج الشركات الاسرائيلية في اوغندا عام ١٩٧١ تشمل المشاريع التالية : (٣٧) – اقامة ٣ فنادق سياحية مجموع اسرتها ١٠٠٠ سرير مما سيضيف الى خزينة اوغنده ٢٥٠ الف ليلة سياحية . وتبلغ الاموال التي ستستثمر في المشروع حوالي ٥ ملايين دولار ، ستقدم المصادر الاسرائيلية ٦٠٪ منها بقرض – مشروع مصنع للمبيدات الحشرية بمشاركة اسرائيلية ومصنع آخر للادوية . – اقـامة مصـنع لانتاج القهوة الجاهزة حيث تمول شركة (عيليت) ربع استثماراته أي ١،١ مليون دولار . وهي التي سوف تشرف على ادارة المصنع أيضا . – مشروع لاستغلال مصادر الميـاه المحلية والجوفية بكلفة ١٧ مليون دولار ويشمل مشاريع تنمية زراعية . – مزرعة لاشجار

الزيتون ، ومزرعة لانتاج لحم البقر تصدر انتاجها (١٢ مليون دولار) بالطائرات الى اوروبا . ــ مصنع لتركيب الادوات المنزلية بمساهمة شركة (ايزنبرغ) وستقوم هذه الشركة بالمساهمة في ثمانية مشاريع ، وستقوم أيضا بفتح مكتب دائم لها في كمبالا . ولقد تم تنفيذ بعض هذه المشاريع وتوقف البعض الآخر بسبب الاحداث الاخيرة .

اذا انتقلنا الآن الى العلاقات التجارية سوف نلاحظ ان هناك تطورا واسعا في حجم هذا التبادل وبمعدات مرتفعة . ففي السنوات ١٩٦٢ ــ ١٩٧٠ بلغت صادرات اسرائيل الى اوغندا بالدولار على التوالي : ٢٠،٠٠٠ ـــ ٢٠،٠٠٠ ـــ ١٥٠،٠٠٠ ـــ ٢،٦٩٩٠،٠٠٠ ـــ ٤٩٠،٠٠٠ ـــ ١،٦٣٢،٠٠٠ ـــ ٣،٥٨٠،٠٠٠ ـــ ٣،٣٥٠،٠٠٠ ـــ ٥،٦١٤،٠٠٠ . وبلغت واردات اسرائيل من اوغندا في الفترة ذاتها على التوالي : ٣٥٠،٠٠٠ ـــ ٦٤٠،٠٠٠ ـــ ٤٥٠،٠٠٠ ـــ ٣٧٠،٠٠٠ ـــ ١،٤٤٠،٠٠٠ ـــ ٢،٨٦٩،٠٠٠ ـــ ١،٨١٥،٠٠٠ ـــ ١،٨٣٥،٠٠٠ ـــ ٢،١٣٦،٠٠٠ .(٣٨)

وحتى نحصل على فكرة اكثر وضوحا عن التبادل التجاري بينهما لا بد ان نرجع الى تفاصيل المبادلات . وسنأخذ فقط بعض ارقام الميزان التجاري الاسرائيلي ــ الاوغندي لعامي ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ وهي على الشكل التالي :(٣٩)

١٩٦٩

القيمة (دولار)	واردات اسرائيلية	صادرات اسرائيلية	القيمة (دولار)
١،١٩٧،٠٠٠	حب البن	حديد وفولاذ	١،٥١١،٠٠٠
٦٤٦،٠٠٠	قطن	مبيدات حشرية	١٨٣،٠٠٠
		محركات وعربات	٧٧،٠٠٠
		المنيوم	٧٠،٠٠٠
		« قهوة جاهزة »	٢،٠٠٠

١٩٧٠

القيمة (دولار)	واردات اسرائيلية	صادرات اسرائيلية	القيمة (دولار)
١،٩١٩،٠٠٠	حب البن	حديد وفولاذ	٢،٤٨٦،٠٠٠
٢١٣،٠٠٠	قطن	محركات وعربات	٧٣٣،٠٠٠
		المنيوم	٣٢٧،٠٠٠
		الواح بلاستيكية	٤٤،٠٠٠
		رب البندورة	٢٦،٠٠٠

نلاحظ من الجداول ان ٩٠٪ من مجمل صادرات أوغنده الى اسرائيل عام ١٩٧٠ كان البن . وانه منذ ١٩٦٢ وحتى ١٩٦٤ كان هناك عجز سنوي في الميزان التجاري لصالح اوغنده ولكن منذ ١٩٦٥ وحتى النهاية كان هناك فائض لصالح اسرائيل ، وكان هــذا الفائض بازدياد مستمر ، فضلا عن ان نظرة بسيطة الى تفاصيل الصادرات والواردات تعطي لنا انطباعا حول المميزات والفوائد التي تجنيهــا اسرائيل . فمعظم صادراتها صناعية وكل وارداتها زراعيــة . وذلــك بظل التدهور الذي يصيب شروط التبادل التجاري بين نوعي المنتجات هذين . اذ ان هناك دائما هبوطاً مستمرا لاسعار المواد الزراعية بمقابل المواد المصنعة . وتحتاج اوغندا باستمرار الى كميات متزايدة من احجام المواد الزراعية المصدرة الى اسرائيل كي تحافظ على ميزان تجاري متعادل مقابل حجم الصادرات الصناعية الاسرائيلية نفسها . واهمية السوق الاوغندية بالنسبة الى اسرائيل تأتي من عجزها عن تصريف هذه البضائع الصناعية في أوربا (لذا فهي توجه كل صادراتها الزراعية الى هناك) وتشكل اسواق دول العالم الثالث المتخلفة الفرصة

الوحيدة امام الصناعة الاسرائيلية كي تضمن النمو والازدهار حتى تستطيع الوقوف على قدميها والحصول على خبرات أوسع وتكلفة أقل .

ومع كل هذه الارقام ، وكل هذا التوسع في الوجود الاسرائيلي هناك ، الا ان الموقف الاوغندي من القضايا العربية ومن الصراع في الشرق الاوسط ظل ايجابيا في اطاره العام ، فعشية حرب حزيران اعلن وزير الخارجية الاوغندي في الامم المتحدة « ان انسحاب القوات الاسرائيلية يجب ان يكون أول خطوة نحو الحل العادل ، وان بلاده اذ تؤيد وجود اسرائيل ووحدة أراضيها ، ترفض المكاسب القائمة على الغزو العسكري » ووقفت اوغندا ايضا مع الدول العربية بتأييد المشروع الافرواسيوي بشأن الارض المحتلة عقب حرب حزيران ١٩٦٧ ومع مشروع القرار الباكستاني المقدم الى الجمعية العمومية حول مصير القدس ، وعارضت أيضا مشروع القرار الامريكي اللاتيني مع الدول العربية والصديقة . وفي دورة ١٩٦٨ للامم المتحدة اكدت اوغندا مواقفها من جديد ، وطالب وزير خارجية اوغندا بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وباحترام الوحدة الاقليمية لجميع دول المنطقة(٤٠) . ولاوغنده تمثيل دبلوماسي مع ثلاث دول عربية على مستوى سفارة هي مصر وليبيا والسودان . ولقد كانت اسرائيل تتجاهل دوما في علاقاتها مع اوغنده هذه المواقف ، ولا تناقشها او تجعلها عثرة في سبيل استمرار العلاقات الحسنة بينهما ، وذلك كحالها مع عدد كبير من الدول الافريقية . ولكن الصبر الاسرائيلي نفذ كما يبدو ، وخرجت اسرائيل عن وقارها التقليدي في هذه المسألة عقب صدور البيان المشترك عن المحادثات التي اجراها الرئيس الاوغندي في ليبيا وذلك بمطلع ١٩٧٢ . فعلى اثر صدور هذا البيان طلب وزير خارجية اسرائيل من السفير الاسرائيلي بكمبالا الاتصال بالجنرال عيدي امين وطلب التوضيحات حول هذا البيان ، وابلاغه رفض اسرائيل للتفسير الاوغندي للبيان بأنه لقاء مساعدات اقتصادية ؛ ويبدو ان السفير الاسرائيلي طلب ايضا من الرئيس الاوغندي التراجع عن بيانه السابق او ان ينشر بيانا مضادا متوازنا مع بيانه المشترك مع ليبيا(٤١) . وكان الاعتقاد السائد في أوساط وزارة الخارجية الاسرائيلية انه لا يمكن لرئيس اوغنده بعد زيارته لاسرائيل وبعد الاستجابة لكل مطاليبه ، ان ينشر بلاغات بروح معادية كهذه ، حتى وان كانت لا تؤثر على العلاقات العملية بين اسرائيل واوغنده . وتصاعد رد الفعل الاسرائيلي واستعرض مجلس الوزراء نص البيان الليبي — الاوغندي المشترك والذي « وضع اسرائيل في صف واحد مع الدول التي تقدم مساعدات اقتصادية لاوغندا (أمريكا ، روسيا ، الدول الاوروبية) » على حد تعبير وزير الخارجية الذي تابع .. « ان التخوف يزداد من تقرب عيدي أمين الى بعض الدول العربية والتي يواصل وصفها بالاخوة والشقيقات »(٤٢) . ولقد عبرت صحيفة (هاآرتس) عن الاسباب التي جعلت ردة الفعل الاسرائيلية بهذه الحدة في افتتاحيتها بـ ١٩٧٢/٢/١٨ فكتبت تقول : « يسود الانطباع بأن البيان المشترك عن زيارة رئيس وزراء اوغندا الى ليبيا ، والذي يتماثل فيه مع جميع الشعارات العربية المعادية لاسرائيل ، يتجاوز قليلا الحد الذي عودنا عليه اصدقاؤنا بين زعماء افريقيا ... ولقد اذيعت بيانات معادية لاسرائيل (أقل شدة بكثير) وعادت اوغندا لتنفيها من جديد ، ولكن يبدو ان المقصود حاليا هو ظاهرة لا يستطيع التسامح الاسرائيلي الشهير تجاه الافريقيين ان يتغاضى عنها بسهولة » .

وتوقف التصعيد الاسرائيلي على صعيد رسمي لهذه المسألة عند هذا الحد ، دون استجابة مباشرة أو مؤيدة من أوغنده وذلك خوفا من ان يفلت زمام الامور من يد الدبلوماسية الصهيونية ، وان يؤدي هذا التصعيد الى نتائج خطيرة تؤثر على اوضاعها في انحاء القارة . ويبدو ان هذه الدبلوماسية كانت تريد ان تعرض عضلاتها ، وان

تقتل اي تحرك عربي في افريقيا وهو في المهد . وان تنهي اسس تلك اللعبة التي احتملتها مدة طويلة مع عدد من الدول الافريقية ، وذلك بأن تقدم مساعدات واسعة وقروضا ومشاريع لصالح هذه الدول ومع ذلك تكون لهذه الاخيرة مواقف غير ودية من اسرائيل على صعيد سياسي وتصوت غالبا ضدها في لجان الامم المتحدة . ولكن كان التمادي بهذا الاتجاه ومحاولة جعل اوغندا درسا كما ذكرنا يهدد بمشاكل حقيقية للدبلوماسية الصهيونية في ظل الموقف الاوغندي الصلب .

وفي الواقع لم يكن التصور الاسرائيلي يصل الى حد ان تقف اوغنده هذا الموقف ، خاصة وان اسرائيل زادت من دعمها العسكري بشكل كبير عقب انقلاب عيدي أمين حيث ازداد حجم بعثتها العسكرية هناك بمقدار ٢٠ شخصا(٤٣) اضافة الى انه عندما اطاح « امين » بـ « اوبوتي » تريث الامريكيون والبريطانيون في موضوع المساعدات ، بينما أعادت اسرائيل فورا العلاقات الى حجمها الكامل ، لا بل زادت حجمها(٤٤) كذلك كان للزيارة التي قام بها « امين » الى اسرائيل (علما انه تدرب هناك مدة طويلة) في ١٩٧١ والمحادثات التي اجراها مع معظم المسؤولين والاستقبال الحافل الذي لاقاه هناك ، اثرا في ان تعتقد الدبلوماسية الصهيونية ان تحركها يتم على ارض صلبة .

اذن .. ردة الفعل الاوغندية وموقفها المتصلب ، جعل اسرائيل تتريث قليلا في حملتها الدبلوماسية والاعلامية . ومن ناحية اخرى ربما دفعها لان تفكر جديا بتدبير امر للجنرال أمين قبل ان يتمادى اكثر في تقربه العربي . ولكن الموقف الاوغندي كان سريعا بأكثر مما تصور جميع المراقبين . فلقد أعلن عيدي أمين في ١٩٧٢/٣/٢٣ بأنه لن يجدد الاتفاقات الخاصة بالتدريب العسكري بين بلاده واسرائيل ، وانه لن يجدد اية اتفاقات معها ، واتهم الحكومة الاسرائيلية بممارسة نشاط تخريبي ضد حكومته عن طريق سفارتها في كمبالا ، وانه اصدر اوامره الى رجال المخابرات الاسرائيلية باوغندا بأن يحزموا امتعتهم ويعودوا الى اسرائيل باسرع وقت ممكن . وفي اليوم التالي اذيع في كمبالا انه طلب الى اسرائيل ان تسحب بعثتها التي تقوم بتدريب الجيش الاوغندي وقوات المظليين فيها من البلاد . واصابت الدهشة المسؤولين الاسرائيليين ، وحاولوا جهدهم ان يطوقوا الازمة قبل اتساعها . فأعلن وزير الخارجية « ابا ايبان » عن استغرابه الشديد لقرار الرئيس الاوغندي ، وانه ليس لاسرائيل اي عملاء سريون . وقال انه ليس لديه اية معلومات بشأن تجميد العلاقات بين اوغندا واسرائيل(٤٥).

وعقب صدور القرار الاوغندي بطرد البعثة العسكرية الاسرائيلية ، اجتمعت رئيسة الوزراء (مائير) مع وزيري الدفاع والخارجية ، وصدر قرار بسحب جميع المستشارين العسكريين ، وتتراوح اعدادهم بين ٦٥ و ٧٠ شخصا ، بعد اربعة ايام . اي في ١٩٧٢/٣/٢٨ اعلن راديو كمبالا ان رئيس الوزراء (امين) اعلن ليلة امس حالة التأهب الكامل في الجيش الاوغندي ، واصدر امرا الى السفير الاسرائيلي بالعمل فورا على ترحيل جميع الاسرائيليين . ويبلغ عددهم نحو ٨٠٠ شخص . ولم يتضح فيما اذا كان القرار يشمل اغلاق السفارة . وفي ١٩٧٢/٣/٣١ اعلن رئيس الوزراء بأنه اصدر امرا باغلاق السفارة الاسرائيلية وأمهل اعضاءها عشرة ايام حتى يغادروا البلاد . وصرح (وادي كبيري) وزير الخارجية الاوغندي « ان قطع العلاقات كان سببه الدعاية المناوئة التي ظهرت في الصحف الاسرائيلية ضد اوغندا . كذلك محاولات الهدم والتخريب من جانب الاسرائيليين . وقيام العسكريين منهم بزيارات مشبوهة وغير مصرح بها لمعسكرات الجيش في كمبالا » وصرح مصدر اسرائيلي انه لن يبقى هناك اسرائيليون في اوغندا بعد ١٩٧٢/٤/٨ . اي ان اسرائيل فقدت كل مواقعها ، وخرج كل مستشاريها وخبرائها وشركاتها في اوغندا خلال ١٥ يوما فقط . وكانت التحليلات

الاسرائيلية الفورية لهذه الضربة .. « ان الجنرال أمين يريد بمواقفه هذه تغطية الاتفاقات والمساعدات التي عقدها مؤخرا مع ليبيا ومصر » .

ولكن ... هل كان انهاء الوجود الاسرائيلي من اوغنده مفاجأة لجميع الاسرائيليين ؟ وهل هو فعلا كما فسرت الصحف عشية الحوادث محاولة لتغطية معونات اخرى ؟ قبل ستة اشهر من الازمة الاسرائيلية في اوغنده كتب مبعوث صحيفة (هاآرتس) رسالة من افريقيا تحدث فيها عن اوضاع الخبراء الاسرائيليين واوضاع الشركات .. ولقد كتب حول اوغندا ما يلي : « تثقل النفقات العسكرية موازنة الدولة ، ويعرب بعض المسؤولين الغربيين عن خوفهم من وقوع ازمة اقتصادية خطيرة خلال الاشهر القريبة ، ويدعي هؤلاء — ومعهم بعض الاوغنديين — ان اسرائيل ، التي يساعد مستشاروها على تقوية الجيش هي المسؤولة الاساسية عن العجز الهائل بموازنة الدولة ... في السنة المالية الجارية ، تضاعفت نفقات بنود الامن ، وبلغت ٢٠ ٪ من الموازنة العامة ... ، ويذكر البعض ان شخصيات من اوغنده توجهت بصورة غير رسمية الى اسرائيل طالبة التأثير على الحكومة الاوغندية لتخفيض النفقات العسكرية ، ويقول المطلعون انه سيكون لاوغندا جيش ممتاز ، ولكن الانفاق عليه خصوصا مع انعدام التوسع بالنشاط الاقتصادي سيضعف الدولة ، لان المزيد من الطائرات يعني مدارس ومستشفيات اقل . والانطباع لدى المواطنين ان اسرائيل تزج اوغندا في انفاق هائل ، ربما بسبب مصالحها الاستراتيجية وربما في سبيل الربح المادي . واذا ما تعرضت اوغندا الى ازمة اقتصادية شديدة فان العديدين سوف يلومون اسرائيل ... »(٤٦)

اذن كان هناك اختيار اسرائيلي في اوغنده بين التركيز على مصالحها الاقتصادية ، او التركيز على مصالحها السياسية بالتنازل عن جزء من ارباحها في سبيل مصلحة البلد في مقابل استمرارها في اوغنده . وهو ما استطاعت اسرائيل في العديد من الدول الافريقية حسمه بشكل متوازن . ولكن في اوغنده كان التركيز الاسرائيلي على المصلحة الخاصة للشركات وللحكومة على حساب البلد المعني وقدرته على الاستمرار . ان هذا الاختيار الاسرائيلي كان عاملا اساسيا في دفع البلاد الى طريق ازمة اقتصادية خانقة وبالتالي دفعها الى التخلص من هذا الوجود الاسرائيلي ، والبحث عن مساعدات في جهات اخرى اكثر مراعاة لمصالح اقتصادها ، واكثر ايجابية من اجل دفع هذا الاقتصاد الى الامام .

من هذه الزاوية يمكن لنا ان نفهم المطالبة الاسرائيلية (بعد خروجهم من اوغندا) للاستفادة من هذا الدرس وذلك بأن تقدم اسرائيل الى افريقيا مساعدات تعجز الاخيرة على الحصول عليها من اي مكان آخر . « ادركنا من كل هذا ، اننا اذا كنا سنفعل ما يستطيع الآخرون القيام به ، سيكون من السهل استبدالنا مع ان احتمالاتنا للنجاح كثيرة جدا في المجالات ذات الخاصية الاسرائيلية (الناحال) . لانه يصعب على اي بلد أن يرسل مزيج مكون من ضابط وفلاح مثل رجل الناحال »(٤٧) .

لقد كان من الواضح ان المتضرر الاكبر من الازمة هذه ماديا كانت الشركات الاسرائيلية. ولكن الحكومة بالطبع لم تترك هذه الشركات وحيدة في الميدان . فلا يوجد للحكومة الاسرائيلية مطالب على اوغندا الا ما يمكن ان تطلبه مقابل عمليات التدريب هناك ، اما الشركات فقد بلغت مطاليبها حسب آخر تقدير ٢٠ مليون دولار كما جاء على لسان وزير الخارجية . ومع ذلك فان الحكومة الاسرائيلية في النهاية ، هي التي ستتحمل مجمل هذه الخسائر ، اذ ان ممتلكات الشركات هذه مؤمن عليها من قبل التأمين الحكومي ضد اخطار الحرب . تقول «دافار» بهذا الصدد .. «على الحكومة الاسرائيلية ان تقف على رأس هذه المعركة ، سواء من اجل حماية اموالها او اموال الشركات التي

خرجت متضررة دون ذنب اقترفته ، لان الخسائر اذا لم تعوض من قبل اوغندا فانها ستغطى في النهاية من أموال دافع الضريبة الاسرائيلي .. »(٤٨).

وهكذا اخذت وزارة الخارجية على عاتقها معالجة مجمل المشاكل المالية التي نتجت في اعقاب الازمة وذكرت الصحف ان وزارة الدفاع ايضا تكرس اهتماما خاصا للموضوع (؟) ، حيث ذكر ناطق باسمها ان هناك بعض القضايا المعلقة ، والتي تتطلب توضيح وحسابات متبادلة(٤٩) . وضمن هذا الجو الصاخب كان هناك ايضا مجال لطول النفس الاسرائيلي المعهود والخبيث . فلقد صرح (مائير روزين) المستشار القضائي لوزارة الخارجية الى انه ليست هناك الآن اية نية لاتباع خطوات قضائية ضد اوغنده ، بسبب خرق المعاهدات والاتفاقيات وان اسرائيل تفضل الآن الدبلوماسية الهادئة ، وفقط اذا استنفدت جميع الطرق المعتمدة في العلاقة بين دولتين ، عندها هناك حاجة لدرس طرق اخرى(٥٠) . ولكن ذلك لم يمنع وزارة المالية ، ذات العلاقة المباشرة مع ادارة البنك الدولي من تقديم طلب له للضغط على اوغنده بواسطة تجميد القروض واغلاق الموارد المالية على انواعها(٥١) . ولقد ظهرت آثار هذا في تجميد المعونة الامريكية المقدمة الى اوغندا في نهاية العام ١٩٧٢ .

اذا تركنا الآن المجال الرسمي الى الآراء التي سيطرت على الصحف الاسرائيلية سوف نرى ضياع الرزانة الاسرائيلية كليا هنا ، اذ انحدرت مستوى الاتهامات ضد اوغندا وضد عيدي امين شخصيا* وخرجت المسألة عن الاسباب العملية والحقيقية للطرد الاسرائيلي ، وتعددت آراء الصحف والآراء شبه الرسمية ، بين مهدد وناقم على كل برامج المساعدات وانتشر الحديث المقيت عن عدم الوفاء للجميل الاسرائيلي ، وعن التضحيات التي تبذلها اسرائيل في سبيل اصدقائها ، ولكن دون اي عرفان لهذا الجميل .

اما تلك الاصوات النادرة ، التي فهمت حقيقة الموضوع والتي حاولت استخلاص الدروس منه لزيادة دعائم وركائز الوجود الاسرائيلي في دول العالم الثالث ، فلقد كان ابرزها ـــ الياهو سلفطر ـــ خبير الشؤون الافريقية في صحيفة (هاآرتس) الذي كتب يقول : « اذا تعلمت اسرائيل وايضا دول الغرب من تجربتها في مشاريع المساعدة ، فان الحصول على التقدير لا يمكن ان يشكل غاية لها ، ... ولهذا توصلت دول الغرب الى رأي انه في حالات كثيرة ليست المساعدة على اساس اتفاقات ثنائية هي الطريق الافضل لمساعدة دول فقيرة ، والحصول على تأييدها ، والاتجاه المتزايد هو منح مساعدات أكثر فأكثر بواسطة منظمات دولية ، ... ان هيئات دولية مختلفة تعرض على اسرائيل اقتراحات لتحويل المساعدات عن طريقها بدلا من اعطائها مباشرة ... ويعتقد الخبراء الاسرائيليون انه بالنسبة لنا ما زال من الافضل الاستمرار باسلوب العلاقات الثنائية مع الدول»(٥٢) ولكن « سلفطر » هذا لا يلاحظ مطلقا ان اسرائيل ذاتها هي دولة ثالثة في العلاقة بين الدول الغربية والدول النامية كما اوضحنا سابقا ، اي ان المساعدات تمر بالغالب عن طريق اسرائيل كما تمررها الدول الامبريالية عبر المنظمات والهيئات الدولية . وبهذا يصبح موقف « الخبراء الاسرائيليين » سليما بالتركيز على فائدة اسلوب العلاقة المباشرة مع الدول النامية . اذ كيف يمكن لدولة ثالثة في العلاقة بين طرفين ان تحول الاموال الى الهيئات الدولية اي الى طرف

---

* قالت يديعوت احرونوت مثلا في ٧/٢٨ « ان امين يرفض حتى اعادة الطائرة من نوع (كومودور جت) التي وضعت تحت تصرفه من قبل الصناعة الجوية الاسرائيلية » . بالرغم من ان صحيفة معاريف كانت قد ذكرت في ٧/١٢ عند زيارة امين لاسرائيل « نزل امين من طائرته البيضاء (يضع شارة سلاح المظليين الاسرائيليين على صدره) من نوع (كومودور جت) كانت اوغندا قد اشترت طائرتين منها في وقت سابق ».

رابع ..؟؟ ويتابع « سلفطر » موضحا للرأي العام الاسرائيلي .. « من الافضل ان نتخلص من ثلاثة اوهام ما زالت منتشرة عندنا بالنسبة للمساعدات الى دول افريقيا ، الاعتراف بالجميل : خاصة بصورة علنية ، وبصورة تصويت اذ انـــه ليس الصورة المقبولة اليوم في العالم من قبل البلدان التي تتلقى مساعدات . ثانيا . ليس صحيحا انه لا تعود على اسرائيـــل اية فوائد من المساعدة ، حتى وان لم تبـــرز في المجالات السياسية والدولية ، اذ يمكن القول انه بالنسبة الـــى ما نستثمره ما زالت الفائدة كبيرة وعظيمة . ثالثا : ان المساعدات الاسرائيلية بعيدة عن بلوغها اموالا طائلة اذ اننا نصرف على هذه الغاية ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية سنويا فقط ... »(٥٣)

وهكذا تعود بعض الاصوات في اسرائيل لتفسير المكاسب والفوائد التي تحققها اسرائيل امام الاندفاع باتجاه التحسر على هذه الاموال التي تقدم كمساعدات نزيهة وشريفة لبلدان العالم الثالث. وترسل اسرائيل وفدا منكبار الموظفين والخبراء الى عدد من البلدان الافريقية من اجل الوقوف عن قرب على التطورات السياسية فيها « ولايقاف الحملة العربية ـــ الليبية التي بدأت في اوغنده ومستمرة الان في تشاد ... وتقوم السفارات الاســـرائيلية التي تعتقد بأن هناك ضرورة ، باجـــراء اتصالات اخـــرى مع الحكومات في الـــدول التي يـــلاحظ فيها نشاط عربي ـــ ليبي وتقـــوم باســـتضافة الخبـــــراء الاسرائيليين .. »(٥٤). وهكذا تعود الدبلوماسية الاسرائيلية بالتحرك في نشاط محموم بهدف تطويق الازمة ولحصرها قدر الامكان في اوغندا خوف ان تمتد آثارهـــا الى بقية البلدان الافريقية . وتستطيع الدبلوماسية الصهيونية ان تجعل من هزيمتها في علاقاته السياسية والاقتصادية مع اوغندا درسا تستطيع الافادة منه في علاقاتها مع بقية الدو الافرو آسيوية . ولتستخلص (والصحف الاسرائيلية منها) النقاط الاربع التالية(٥٥) ـــ ان تحديد الاولويات الجغرافية امر مقيد بواسطة المعطيات المحلية ، ومع اهمية هذ الاولويات لكنها لا تشكل القرار النهائي . فمع أهمية شـــرق افريقيا ، الا ان الاوضا الآن فيه (اوغنده عـــلى الاقل) تنـــاقض سلم الاولويات المرغوب بهـــا في المصـــالح الاسرائيلية. ـــ ان المساعدات العسكرية ربما كانت الوسيلة السريعة والمفيدة للحصو على مكانة وتأييد لدى الحكومة التي تطلب مساعدة من اسرائيل. ولكن الاهم والمطلو توسيع العلاقات الى مجالات اقوى تتطور بها صلة واسعة قدر الامكان . ـــ ان مد استقرار علاقات اسرائيل مع دول افريقيا هو دالة الاستقرار الاقتصادي والسياسي دول افريقيا المختلفة لذا يجب اضافة مقياس ثبات المواضيع التي تستثمر فيها الجه عند تحديد الاولويات . ـــ يجب التصرف بهدوء وروية وبعدم حساسية تجاه التصرفا والتصريحات للزعماء الافريقيين اذ أن المصلحة الحقيقية تتطلب البقاء والمحافظة علـ المواقع التي وصل اليها الوجود الاسرائيلي وخاصة في المناطق ذات الاهمية الجغرا والسياسية ، كشرق افريقيا .

---

١ ـــ شحاده موسى ، **علاقات اسرائيل مع دول العالم** . مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت: ١٩٧١ ، ص ٥١٢ .

٢ ـــ المهدي بن بركة ، « اسرائيل وافريقيا » ، مجلة **الطليعة** (المصرية) العـــدد ٥/٦٦٦ ، ص ٦٥ .

٣ ـــ صحيفة **دافار** ١٩٦٨/٥/٣ . **والكتـــاب السنوي للقضية الفلسطينيـــة عام ١٩٦٨** ، مؤسسة الدراسات ، بيروت .

٤ ـــ ttegah Tom, *How Israel Secret gents Subvert Africa*, 1968, p. 15.

٥ ـــ رياض القنطار ، **التغلغل الاسرائيلي ف افريقيا** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

٦ ـــ متري حمارنة (مترجم) ، صحيفة الثورة السورية عن الشؤون الدولية، **الثورة** (٢٠١٣) ١٩٦٩/١٠/٨ .

٧ — Laufer Leopold, *Israel and Developing Countries*, U.S.A. 1967, p. 76.

٨ — رياض القنطار **المرجع نفسه** ص ٣١ .

٩ — محمد المشوفي ، **التغلغل الاسرائيلي في افريقيا** ، رسالة ماجستير بجامعة الاسكندرية ، ١٩٧١ ، ص ٢٧١ .

١٠ — Lenczowski George, *The Middle East in the World Affairs*, U.S.A. 1963 p. 105.

١١ — رياض القنطار ، **المرجع السابق** ، ص ٢١١ .

١٢ — شحادة موسى **المرجع السابق** ، ص ٤٣٢ .

١٣ — Nadav Safran, *The United States and Israel*, Harvard, 1963.

١٤ — لجنة ماديسون ، « اسرائيل وجنوب افريقيا » ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ١٩٧٢ . العدد الثامن ص ٩٦ .

١٥ — شحادة موسى ، **المرجع السابق** ، ص ٤٢٤ .

١٦ — المهدي بن بركة **المرجع السابق** .

١٧ — **هاآرتس** ١٩٧٢/٣/٢٦ .

١٨ — نداف سفران ، **المرجع السابق** ، ص ٢٦١ .

١٩ — **الجويش اوبزرفر** ٦٧/٨/١ عن الكتاب السنوي .

٢٠ — دائرة المعارف البريطانية المجلد السادس ص (٩٦٨) والسابع ص (٨٦٢) .

٢١ — د. مصطفى كامل سعيد ، **الاهرام الاقتصادي** ١٩٦٩/٣/١ .

٢٢ — د. راشد البراوي ، **مشكلات افريقيا السياسية والاقتصادية** ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢٣ — د. وهبي غبريل ، « الحركة التكاملية في افريقيا » ، مجلة **السياسة الدولية** ، تموز (يوليو) ١٩٦٩ .

٢٤ — المهدي بن بركة ، **المرجع السابق** ، ص ٦٧ .

٢٥ — ملحق **هاآرتس** ١٩٧١/١١/٥ ص ١٢ .

٢٦ — **هاآرتس** ١٩٧١/٩/٢٨ .

٢٧ — Laufer ص ١٧١ — ١٧٣ .

٢٨ — **معاريف** ١٩٧١/٧/١٢ .

٢٩ — **الاهرام** ١٩٧٢/٣/٢٩ .

٣٠ — **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٤/١٦ ص ٢٠٨ .

٣١ — **هاآرتس** ١٩٧٢/٤/٧ .

٣٢ — ملحق **هاآرتس** ١٩٧١/١١/٥ .

٣٣ — Tettegah ص ٢٠ .

٣٤ — **الاهرام** ١٩٧٢/٣/٢٩ .

٣٥ — **يديعوت احرونوت** ١٩٧٢/٧/٢٨ .

٣٦ — **المرجع السابق** .

٣٧ — ملحق **هاآرتس** ١٩٧١/١١/٥ .

٣٨ — U. N. year book of international trade statistics.

يوسف شبل ، **تجارة اسرائيل الخارجية** ، بيروت : ١٩٦٩ — مركز الابحاث .

Israel Central Bureau of Statistics. 1970, Part I Exp. p. 418.

Foreign Trade Statistics Quarterly, Part II Imp. p. 513.

٣٩ — Israel Central Bureau. **المرجع السابق** .

٤٠ — شحادة موسى ص ٤٤١ — ٤٤٩ .

٤١ — **هاآرتس** ١٩٧٢/٢/٢٠ .

٤٢ — **هاآرتس** ١٩٧٢/٢/٢١ .

٤٣ — **هاآرتس** ١٩٧٢/٤/٧ .

٤٤ — **هاآرتس** ١٩٧١/٩/٢٨ (نشرة مؤسسة الدراسات) .

٤٥ — **الاهرام** ٣/٢٣ و٣/٤/١٩٧٢ .

٤٦ — **هاآرتس** ، نشرة مؤسسة الدراسات ١٩٧١/١٠/١٦ ص ٢٤٤ .

٤٧ — **هاآرتس** ٧٢/٤/٧ .

٤٨ — **دافار** ١٩٧٢/٤/٣٠ ص ١٣ .

٤٩ — **يديعوت احرونوت** ٧٢/٧/٢٨ .

٥٠ — **المرجع السابق** .

٥١ — **المرجع السابق** .

٥٢ — **هاآرتس** — نشرة مؤسسة الدراسات ، اول نيسان ١٩٧٢ ص ١٨١ .

٥٣ — **المرجع السابق** .

٥٤ — **هاآرتس** ١٩٧٢/٤/١٨ .

٥٥ — **المصدر نفسه** .

اسرائيل وتشاد :
نحو سياسة عربية جديدة في افريقيه

محمود فلاحة

الى حين كتابة هذه السطور كانت جمهورية مالي في أفريقيا الغربية هي آخر الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل وذلك في نهاية الاسبوع الاول من العام الجديد ١٩٧٣ ، وكانت كل من جمهوريتي النيجر والكونغو برازافيل قد وجهتا لاسرائيل لمناسبة حلول العام الجديد صفعة مماثلــة في تتابع مدهش يصحح منطــق الاشياء وصورة الاوضاع في القارة الافريقية . وبذلك يبلغ عدد الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل في غضون الاشهر العشرة الاخيرة خمس دول هي على التوالي : اوغنده في آذار ١٩٧٢ ، وبعد ذلك جمهورية التشاد في الثامن والعشرين من تشرين الثاني الماضي ثم جمهورية الكونغو برازافيل وبعدها بساعات جمهورية النيجر في مطلع العام الجديد ثم جمهورية مالي في الخامس من كانون الثاني ١٩٧٣ . وكانت غينيا قد قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل اثر حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة ، كما ان موريتانيا كانت قد بادرت الى ذلك قبيل اندلاع الحرب المذكورة أيضا .... وهذا يعني أن غالبيــة الدول الافريقيــة الممتدة عبر الصحراء الافريقية الكبرى في قطاع عرضي واسع يمتد جنوبي الدول العربية في شمال القارة الافريقية قد بادرت الى قطع علاقاتها باسرائيل الصهيونية ، وهي بذلك قد أعطت الدول العربية المؤشر للعمل على مساعدة البلدان الاخرى في القارة الافريقية للتخلص من اخطبوط اسرائيل الصهيوني .

وهذا يقتضي وقفة نستشرف منها نقطة البدايــة في علاقــات اسرائيل بدول القارة الافريقية ، ونستعرض فيها مظاهر نمو هذه العلاقات وتطورها الى أن وصلت الى مرحلة الجزر والانحسار الحالية ، كما نتفحص دواعي ذلك وأسبابه علنا نستخلص من هذه التطورات العبر فنستفيد منها في ارساء معالم سياسية عربية جديدة تجاه شعوب وبلدان القارة الافريقية الشقيقة للعمل على تطهير كافة أنحاء القارة الافريقية من هذا النفوذ الصهيوني الذي استشرى في الجسم الافريقي وازداد خطرا وشراسة بحيث أصبح لا يهدد البلدان العربية المجاورة له فحسب ، بل أخذ يمتد الى بلدان العالم الثالث يعيث بها فسادا وينسج خلال بنيتها شبكة من المصالح الاستغلالية تنخر كيانها وتمتص دماءها لصالح الاستثمارات الصهيونية والاستعمارية .

اسرائيل وجمهورية تشاد : الحصاد المر :

سنستعرض بشيء من التفصيل العلاقات بين اسرائيل وجمهوريــة تشاد كمثال على الفشل الذي أخذت تمنى به سياسة اسرائيل في أفريقيا لعل ذلك يساهم في القاء مزيد من الاضواء على مختلف جوانب المسألة المطروحة .

ان جمهورية تشاد هي من جمهوريات افريقيا الوسطى وتقع في قلب الصحراء الكبرى

الافريقية ، وهي من البلدان الكبيرة مساحة (١٬٢٧١٬٠٠٠ كيلومتر مربع) اي أن مساحتها تبلغ نحو ٦٠ ضعفا قدر مساحة اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ ، بيد أن سكانها قليلو العدد نسبيا فهم يبلغون حسب احصاء ١٩٦٤ حوالي ٣٬٢٥٠٬٠٠٠ منهم نحو ٧٦٠٠ من الاوروبيين ، وعاصمتها مدينة فورلامي . وهي جمهورية داخلية ليس لها سواحل على البحر وتحدها ليبيا من الشمال ونيجيريا والنيجر من الغرب والكاميرون وجمهورية وسط أفريقيا من الجنوب والسودان من الشرق . والديانة السائدة بين سكانها هي الديانة الاسلامية ، ولكن كثيرا من قبائلها ما زالت تعتنق بعض الديانات الوثنية البدائية التي هي من أشكال عبادة الطبيعة ، كما أن قسما من السكان يعتنق الديانة المسيحية. وتعيش بعض العناصر العربية فيشمال جمهورية تشاد وجنوبها. وقد كانت تشاد في العصور الوسطى مركزا لعدد من السلطنات الاسلامية تمزقها الخلافات والحروب . وفي أواخر القرن التاسع عشر تولى حكمها جميعها عربي من السودان هو رباح زبير ، وفي عهده اقتسمت الدول الاوروبية أفريقية ، وكانت تشاد من نصيب الفرنسيين . وقد قاوم رباح الفرنسيين وقتل في سنة ١٩٠٠ لتقع تشاد كلها تحت سيطرتهم .

وقد منحت السلطات الفرنسية التشاد بموجب القانون الدستوري الصادر سنة ١٩٥٧ نسبة كبرى من الاستقلال الذاتي ، حيث شكلت الحكومة التشادية الاولى برئاسة غبرييل ليسيت الذي كان من قبل موظفا اداريا ثم رئس الحزب التقدمي التشادي . وفي تشرين الثاني ١٩٥٨ أعلنت تشاد جمهورية مستقلة ضمن المجموعة الفرنسية ، ثم أعلنت جمهورية مستقلة تماما في ١١ آب سنة ١٩٦٠ ، وان ظلت ترتبط بفرنسا بشبكة من الروابط الاقتصادية والعلاقات الثقافية والمعنوية . وما زالت في التشاد قاعدة عسكرية جوية فرنسية كما يوجد فيها نحو (١٥٠) ضابطا وخبيرا عسكريا فرنسيا يعملون على تدريب جيش جمهورية تشاد الذي يبلغ عدده نحو (٦٠٠٠) رجل . وفيما بعد نحي غبرييل ليسيت عن الحكم ونصب بديلا له شخص اكثر قبولا لدى المعارضة هو فرنسوا تومبالباي الزعيم النقابي الجنوبي .

وفي آذار ١٩٦١ استطاع تومبالباي وهو الرئيس الحالي لجمهورية التشاد أن يدمج الحزب التقدمي التشادي والحزب الافريقي التشادي المعارض ويؤلف منهما حزبا وحيدا هو حزب « اتحاد تشاد التقدمي » .

لغة تشاد الرسمية هي اللغة الفرنسية . وفي المجال الخارجي تلتزم التشاد باستمرار بكتلة الدول الناطقة بالفرنسية ، وهي الآن عضو في منظمة الاوكام — المنظمة المشتركة الافريقية الملغاسية African and Malagasy Common Organisation. وقد انضوت منذ عام ١٩٦٤ الى اتحاد جمركي يضمها مع الكاميرون والدول الاعضاء سابقا في اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية . فجمهورية التشاد اذن هي من جمهوريات المجموعة الفرنسية في افريقيا ، كبيرة المساحة ، قليلة السكان ، اقتصادها زراعي متخلف ، محدودة الموارد ، يدين قسم أساسي من سكانها بالاسلام ، ويحكمها منذ نشوئها فرنسوا تومبالباي بصفته رئيسا لحزب اتحاد تشاد التقدمي وفق نظام الحزب الواحد . وهي محاطة بعدد من الدول العربية (السودان وليبيا) ، والاسلامية (نيجيريا والنيجر والكاميرون) .

نشوء صلات اسرائيل وتشاد :

جاءت صلات اسرائيل بتشاد متأخرة بعض الوقت عن صلاتها بدول افريقية عديدة أخرى مثل اثيوبيا وغانا ونيجيرية والكونغو — كينشاسا (زائير) ومالي وليبيرية

واوغندة وكينيا والغابون وداهومي وغيرها ، بالاضافة الى انظمة التمييز العنصري فيها مثل روديسيا وجنوب أفريقيا . ومن الممكن اعتبار سنة ١٩٥٧ نقطة تحول كبرى في علاقات اسرائيل بأفريقيا بشكل عام . ففي أواخر ذلك العام ، وبعد العدوان الثلاثي الاسرائيلي ـــ البريطاني ـــ الفرنسي على مصر ، **فتحت مضايق تيران وخليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية مما سهل الاتصال البحري عن طريق البحر الاحمر بين اسرائيل ودول شرقي افريقيا** . كذلك شهدت تلك السنة بدايات استقلال الدول الافريقية ، مما جعل اسرائيل تتحرك بكل طاقاتها مدعومة بالامبريالية وبأجهزة المنظمات الصهيونية بالطبع ، من أجل كسب هذه الدول وصداقاتها وبالتالي اعترافها ودعمها .

وتحدث مسؤولون ومعلقون اسرائيليون وصهاينة صراحة عن علاقات اسرائيل بأفريقيا والاهداف منها . فقد أوضح عاموس بن فيريد ، في مجلة l'Observateur du Moyen-Orient et de l'Afrique, 24 Juillet 1964, Paris, P; Q. في معرض حديثه عن « برنامج المعونة الفنية الافريقية » . . . « بان هذه الروابط أي روابط التعاون مع أفريقية ، انما هي المرتكز الرئيسي لاسرائيل مع العالم الخارجي ، ما وراء وفوق السور العدائي الذي اقامه العرب حولها . هذه الروابط هي الطريق غير المباشرة الى السلام بالنسبة لاسرائيل » .

ولم يختلف أمر تشاد عن باقي الدول الافريقية الاخرى حديثة الاستقلال . فحالما نالت تشاد استقلالها من فرنسا في ١١ آب ١٩٦٠ حتى سارعت اسرائيل الى الاعتراف بها عارضة خدماتها وتقديم المساعدات اليها وتوجيه الدعوات الى مسؤوليها القائمين أو الموعودين لزيارة اسرائيل . وفي عام ١٩٦٢ أقامت اسرائيل علاقات دبلوماسية رسمية لها مع تشاد ، وانشأت سفارة لها في فورلامي ، ووقعت في سنة ١٩٦٤ معها اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني . واستمرت العلاقات بين اسرائيل وتشاد تنمو وتتقوى ، فزار تومبالباي نفسه وهو رئيس دولة اسرائيل عام ١٩٦٥ ، وكان قد زارها قبل ذلك عام ١٩٥٨ ، كما زارتها زوجته عام ١٩٧١ ، كذلك تم تبادل الزيارات بين المسؤولين الاخرين في كل من تشاد واسرائيل .

ورغم أن العلاقات بين اسرائيل وجمهورية التشاد قد اشتملت على اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والمساعدات الفنية الا ان الوجود الاسرائيلي في التشاد عند قطع العلاقات كان ضئيلا ، اذ كان « يقتصر على السفير الاسرائيلي يتسحاق بن نافون وديبلوماسي آخر وخمس عائلات لخبراء اسرائيليين يقومون بالتدريب في مجال الزراعة والطباعة وارشاد الشباب »(١).

انكشاف هوية اسرائيل أمام أفريقيا : أخذت الاحداث في المنطقة العربية تكشف طبيعة اسرائيل القائمة على العدوان والتوسع والتمييز العنصري ، **وتثبت انها ليست كما قالت جولدا مايير حين كانت وزيرة للخارجية :« نحن دولة صغيرة المساحة ، ديمقراطية ، ليست لنا اية تطلعات توسعية . لنا مميزات تجذب الينا الافريقيين . نحن مثلهم دولة حديثة نواجه بشكل مستمر بمشاكل من نوع مشاكلهم . لقد توفرت لنا تجربة أصيلة في مجال التطور الاقتصادي وكرواد كذلك نفيد الدول الحديثة »** . وانها ليست أيضا كما قال ايبان ذات يوم وهو يخطب في حشد أفريقي : **دولة اقامها أناس عانوا من التفرقة الدينية كما عانى غيرهم من التفرقة بسبب اللون . وبعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ، وما تلاه من تطورات ، انكشفت اسرائيل تماما على حقيقتها ، وتعرت بشكل خاص أمام الدول الافريقية .**

---

١ ـــ نشرة **« رصد اذاعة اسرائيل »** الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية ، في ١٩٧٢/١١/٢٨ .

وقد بلغت قمة هذه التطورات واشتراك افريقية عامة بها في عام ١٩٧١ ، حين شكل مؤتمر القمة الثامن لمنظمة الوحدة الافريقية الذي عقد في اديس ابابا لجنة من عشرة رؤساء افارقة ، اوكل اليها بذل المساعي من اجل ايجاد حل للوضع الذي خلقه عدوان اسرائيل في الشرق الاوسط . ثم اختصرت لجنة العشرة هذه نفسها ، وشكلت لجنة « حكماء افريقيا الاربعة » من رؤساء دول زائير والكاميرون والسنغال ونيجيريا وكلفه بالمهمة هذه . وزار «الحكماء» مصر واسرائيل ، ثم اعلنت فشلها بسبب موقف اسرائيل منها والتي رفضت مهمة « الحكماء » ، وطلبت من افريقيا ان « تجمع أطراف النزاع في الشرق الاوسط الى مائدة مفاوضات » . واخذت افريقيا تعيد ، وبشكل عام ، تقييم موقفها من اسرائيل . واتخذت بعض الاجراءات التي تحد من نشاط اسرائيل الافريقي . وكانت غينيا قد قطعت علاقتها باسرائيل بعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ . وفي الاسبوع الاخير من آذار الماضي ١٩٧٢ تدهور الوضع بين اوغندة واسرائيل فقطعت أوغندة علاقاتها باسرائيل وطردت بعثاتها من بلادها .

مؤتمر القمة الافريقي التاسع : ثم جاء مؤتمر القمة التاسع لمنظمة الوحدة الافريقية ، الذي عقد في الرباط ما بين ١٢ — ٧٢/٦/١٥ ليكرس خطا افريقيا غير مؤيد كليا لاسرائيل ، بل ومعاديا لها في بعض المجالات . وقد ندد ذلك المؤتمر بموقف اسرائيل ودعاها الى الانسحاب من الاراضي العربية .

التشاد تقطع علاقاتها مع اسرائيل :

بعد أوغندا جاءت التشاد تؤكد بقطعها علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل في ١٩٧٢/١١/٢٨ أن الرياح في أفريقيا تهب معاكسة لاسرائيل ... وهذه التطورات المتلاحقة تقتضي بعد أن استعرضنا الظروف الخارجية العامة ، التي أدت اليها ، القاء شيء من الضوء على اوضاع التشاد الداخلية التي وجهت دفة الاحداث باتجاه بر الامان خلاصا من الاخطبوط الصهيوني .

ان علاقات التشاد بالعالم العربي والاسلامي هي علاقات تاريخية عميقة الجذور وبعيدة المدى . ومنذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر والحركة السنوسية تقوم بجهد كبير لنشر الاسلام بين قبائل بلاد التشاد وقد لاقت جهودها المخلصة في هذا السبيل نجاحا كبيرا قوى لحمة الروابط بين التشاد والعالم العربي والاسلامي ولا سيما مع ليبيا . ولم تهادن العناصر والقوى الاسلامية الاستعمار الفرنسي خلال سيطرته على التشاد،وبعد الاستقلال سار الرئيس فرانسوا تومبالباي في خط موال للسياسة الفرنسية . وسعى الى اضعاف شوكة القوى الاسلامية في البلاد ، واتهمها في سنة ١٩٦٣ بتدبير مؤامرة ضده وضد أمن البلاد ، فحل الجمعية الوطنية وأعلن الاحكام العرفية لمدة من الزمن ، واعتقل عددا من الوزراء الاعضاء سابقا في الحزب الافريقي التشادي ، ولكن العناصر الاسلامية في التشاد التي تتركز قوتها بين قبائل شمال البلاد المسلمة نظمت نفسها في حركة سياسية هي « الجبهة القومية لتحرير التشاد » التي تعرف باسم « فرولينات » ، وتتخذ مقرا لها في طرابلس الغرب بليبيا اعتمدت الكفاح المسلح منهجا لعملها منذ نحو تسع سنوات . وكانت تتلقى المساعدة من ليبيا ، فاستطاعت هذه الحركة أن تصمد وأن تستمر ، وهي بطبيعة الحال حركة معادية لاسرائيل ، ولعل في اتجاه الرئيس فرنسوا تومبالباي لقطع العلاقات مع اسرائيل محاولة لرأب الصدع داخل بلاده بالتفاهم مع ليبيا ولبناء علاقات حسن جوار مع ليبيا وغيرها من الدول العربية والاسلامية المحيطة بالتشاد . وقد ساعده في توجهه السليم هذا انكشاف

هوية اسرائيل العدوانية العنصرية التوسعية في ضوء تطورات الاحداث اللاحقة لحرب حزيران والتي اسلفنا شرحها .

ومن جهة اخرى ، لقد نشأت صلات اسرائيل بالتشاد ومعظم الدول الافريقية الاخرى في اواخر الخمسينات اي في أعقاب حرب السويس عـام ١٩٥٦ وابان اشتداد اوار الثورة الجزائرية يوم أن كانت فرنسا تتخذ موقفا معاديـا معاداة تامة لكل القضايا العربية وتدعم اسرائيل دعما كاملا وتاما . أما الان ، فان علاقـات فرنسا الحسنة بالعالم العربي بصورة عامة ، ومع ليبيا بوجه خاص ، لا ريب أنها ساعدت الرئيس فرنسوا تومبالباي على ان يعيد مراجعة حساباته ومواقفه مع اسرائيل ، سيما وأن التشاد بصفتها من الدول الافريقية الناشئة لا بد وانها أخذت توجس خيفة من مخاطر اشتداد بأس اسرائيل بعد أن انكشفت طبيعتها الكولونيالية في المناطق العربية المحتلة ، وهذا ينطوي على مغاز ومضامين تثير الحذر والريبة لدى بلدان العالم الثالث الناشئة الحريصة على استقلالها السياسي والاقتصادي معا . وفي ضوء هذا يمكن فهم المغزى الذي انطوى عليه قول الرئيس تومبالباي في بيانه الذي اذاعه تبريرا لقطع العلاقات حيث قال : « ان وجود مندوبين اسرائيليين في التشاد يسيء الى أمن الدولة وأمن دول اخرى في افريقيا »(٢).

ومنذ شهر آب ١٩٧٢ كانت بوادر التغيير التشادي تلوح في الافق . فقـد أصدرت حكومة تشاد في ذلك الشهر بيانا ادانت فيه العدوان الاسرائيلي ، وايدت حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير أرضه ، ثم جاء بيان ١٩٧٢/١١/٢٨ ، ليؤكد هذا التغيير ويضع حدا لكل علاقة بين التشاد واسرائيل .

ردة الفعل الاسرائيلية على قرار التشاد :

اتسمت ردة الفعل الاسرائيلية على قرار التشاد قطع العلاقـات الديبلوماسية معها بشيء من البلبلة رغم أن المسؤولين الاسرائيليين ووسائل الاعلام الاسرائيلية قد بذلت جهداً كبيرا لاخفاء مشاعر الالم المبرح الذي أصابهم في الصميم . فلتخفيف وقع الصدمة على الراي العام الاسرائيلي جهدت اذاعة اسرائيل في نشرة اخبارها بالعبرية في توضيح أن الوجود الاسرائيلي في التشاد ضئيل وبالتالي فان الامر ليس بذي أهمية تذكر اذ قالت :

« ان الوجود الاسرائيلي في التشاد ضئيل ويشمل السفير يتسحاق نافون وديبلوماسي آخر ، وكذلك يوجد في التشاد خمس عائلات لخبراء اسرائيليين يقومون بالتدريب في مجال الزراعة والطباعة وارشاد الشباب(٣). وكذلك من اجل الالتفاف حول أيـة مشاعر من خيبة الامل في فعالية الديبلوماسية الاسرائيلية وكفاءتها قد تتولد لدى الراي العام الاسرائيلي وللايحاء بأن السلطات الاسرائيلية لم تؤخذ على حين غرة ، حرصت اذاعة اسرائيل على أن تذيل الخبر ذاته بالتأكيد على أنه « في جلسة الحكومة يوم الاحد السابق أعلن وزير الخارجيـة أبا ايبان أمام الحكومة عن احتمال قيام التشاد بقطع علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل(٤).

ولكي يقطع وزير الخارجية الاسرائيلية أبا ايبـان الطريق علـى خصومه السياسيين ومنتقديه ، وهم كثيرون ، فلا يستغلوا هذا الفشل للتخلص منه حرص على أن يصرح في مساء اليوم ذاته أمام أعضاء تكتل المعراخ في الكنيست ان « قطع العلاقات بين تشاد

---

٢ ــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، في ١٩٧٢/١١/٢٨ .

٣ ــ **المصدر السابق** في اليوم ذاته .

٤ ــ **المصدر السابق** في اليوم ذاته .

واسرائيل لم يكن مفاجأة تامـــة ، وان هذا يجب الا يؤثر ضد صالح الميزان العام لعلاقاتنا بالدول الافريقيـــة »(٥). ثم حاول أن يتذف الكـــرة ببراعة نحو خصومـــه السياسيين ومنهم غولدا مئير نفسها فبرر هذا الفشل الدبلوماسي بقلة الامكانيات المادية والفنية التي توفرها الحكومة لوزارته لكي تحقق ديبلوماسية انجح اذ قال : « ان أربع دول افريقية قدمت لنا في الفترة الاخيرة طلبات للمساعدة والتعاون الفني ، ولم تستطع اسرائيل تلبية مطالب هذه الدول بسبب العجز في القوى البشرية اللازمة لهذه الاغراض » أما يتسحاق نافون سفير اسرائيل في التشاد حينذاك فلم يستطع أن يتمالك اعصابه فهو يدرك ان قطع العلاقات هذا قد ينطوي على نهاية فاشلة لحياته الديبلوماسية بمجملها ، فقد سبق له أن طرد من سيلان قبل ذلك بيوم أن قطعت هذه علاقاتها مع اسرائيل في عام ١٩٧٠ . وقد أجاب بالهاتف من فورلامي عاصمة التشاد على أسئلة مندوب اذاعة اسرائيل يصف وقع الخبر عليه قائلا : « استدعوني واطلعوني على الخبر أنا والسفير الصيني الوطني وقالوا أنهم سيقطعون العلاقات ، وهذا كل شيء ، وعلينـــا ان نغادر بأسرع وقت ممكن ، وقد فاجأنا هذا الامر . . . »(٦). اذن السفير يتسحاق نافون فاجأه الخبر ، أما وزير الخارجية أبا ايبان فلم يفاجأ ! !

وقد بادرت مختلف المصادر الاسرائيلية منذ اللحظة الاولى الى القاء تبعة قطع العلاقات هذه على الضغوط العربية وبالذات ضغوط ليبيا ، وغمزت من قناة الافريقيين ومتانتهم الخلقية بأن اشارت الى الاغراءات الماليـــة التي قدمها بعض العرب للتشاد ومنوهة بالذات بخزائـــن العقيد القـــذافي المليئـــة بالذهب . فقـــالت جـــريدة « يديعـــوت احرونوت » الاسرائيليـــة المسائيـــة في ١٩٧٢/١١/٢٩ « ان وراء العمليـــة التـــي قامت بهـــا التشاد قرضا عربيا ودفاتر كمبيـــالات مالية . » ، واعربت عن اعتقادها ان « عمـــل التشاد الذي لم يكـــن له اي تفســـير معقـــول يثبت ان بعـــض دول افريقيا المتحررة تعلمت التلون مـــن حكامها السابقين »(٧) اي تقصـــد المستعمرين الفرنسيين والانكليز. وقالت جريدة معاريف في اليوم ذاته : « ينبغي اعتبار هذا العمل في نطاق السعي للتخريب الذي تمارسه ليبيا ضدنا » واضافت انه « يحتمل في أعقاب تشاد أن تقوم بذلك دول أخرى . ان صندوق حاكم ليبيا القذافي مليء ، ودول افريقيا بحاجة الى أموال كثيرة ، لذلك يتوجب على اسرائيل الحذر في علاقاتها مع دول افريقيا في الاستثمارات والصفقات المشتركة وفي كافة المساعدات الاخرى »(٨).

وعبرت صحيفة هآرتس عن خيبة أمل عارمة من حصيلة جهود اسرائيل السياسية في أفريقيا ولم تخل نبرتها من قلق شديد دفين اذ قالت : « لقد ثبت بأننا لن نستطيع هدم سور العداء العربي بمساعدة افريقيا ، ويجب علينا ان نقوي وندعم موقفنا الدفاعي السياسي في أفريقيا ، ولكننا لن نستطيع تقليص هذه الجبهة بمبادرتنا الفردية » . أما صحيفة أويكليت فقد ذهبت الى حد اتهام فرنسا وليس ليبيا فقط بأنها وراء قرار التشاد هذا .

واستمرت وسائل الاعلام الاسرائيلية تروج للفكرة ذاتها وتكررها بأشكال متعددة فقد أوردت الاذاعة الاسرائيلية في نشرة الاخبـــار بالعبرية في ١٩٧٢/١١/٢٩ نبـــأ تعيين ليبيا أول سفير لها في التشاد فقالت : « وهذه هي المرحلـــة الاخيرة في المصالحة بين الدولتين بعد خلاف طويل نشب عقب تأييد ليبيا للثوار المسلمين في التشـــاد . وكانت

---

٥ — **المصدر السابق** في اليوم ذاته .
٦ — **المصدر السابق** في التاريخ ذاته .
٧ — نشرة **« رصد اذاعة اسرائيل »** في ١٩٧٢/١١/٢٩ .
٨ — **المصدر ذاته** .

تشـاد قد قطعت أمس علاقاتها باسرائيل ، وقد تم اليوم افتتاح بنك في موريتانيا لتشـاد وليبيا » . . . اذن تمت الصفقة وفتح البنك في راي الاذاعة الاسرائيلية .

أما ييغال آلون نائب رئيسة الوزراء فلم يفوت هذه الفرصة للغمز واللمز على فشل ابا ايبان وزير الخارجية فقال : « يبدو ان ليبيا قد رشت ذلك البلد ، انه يجب أن لا يؤدي هذا الى خيبة أمل اسرائيل بالنسبة الـى القارة الافريقية كلهـا ، وقد تضطر اسرائيل الى ان تعيد النظر في جهازها الديبلوماسي » .

وقد استمرت الابواق الاسرائيلية في ترديد هذه النغمة رغم أن رئيس تشاد فرانسوا تومبالباي نفى نفيا باتا الانباء القائلـة ان بلاده قطعت علاقاتهـا الديبلوماسية مع اسرائيل بسبب ضغط من جانب دولـة معينة أو نتيجة للرشوة ، بل اكد ان قطع العلاقات مع اسرائيل قد كبد التشاد خسائر باهظة والحق ضررا بالمشاريع التي خطط لاقامتها في العام المقبل »(٩). وأوضح ان سياسة التوسع الاسرائيلية اثارت معارضة الاسرة الدولية .

ولعل أشد ما أغاظ الاسرائيليين هو أن التشـاد قد قطعت علاقاتها أيضا بزمرة تشان كاي تشيك في اليوم ذاته الذي قطعت فيه علاقاتها بهم واستدعي السفيران الاسرائيلي والفورموزي معا الى الخارجية لابلاغهما ذلك ، . . . ولهذا ما له من دلالات ، ولم تفت هذه المذيع الاسرائيلي لبرنامج « شخصيات وأحداث في الاخبار » فقال : « يجب أن نذكر أن تشـاد قطعت علاقاتها أيضا مع فورموزا وذلك لوضعنا في موضع مخجل الى حد بعيد » .

وجدير بالملاحظة أنه عندما قطعت الكونغو برازافيل والنيجر علاقاتهما باسرائيل عادت هذه الى ترديد التهم ذاتها والغمز من سلامة ونقاء أخلاقية الدول الافريقية ، فقالت صحيفة هاتسوفيه جريدة حيروت المتطرف : « وهم ينسون (الافريقيون) أن اسرائيل قد ساعدتهم أثناء عمليـة اعـادة بناء دولهم بينما ستؤدي أموال القذافي وفيصل الى استعبادهم » .

أما ابا ايبان وزير الخارجية فقد وجد نفسه في موقف لا يحسد عليـه أمام خصومه ومنافسيه من السياسيين الاسرائيليين ولـم يجد أمامه بدا من اعداد الراي العام الاسرائيلي لتلقي مزيد من الصدمات اثـر قطـع الكونغو والنيجر علاقاتهما باسرائيل فتوقع أن « تبادر دول أفريقيـة جديدة الى قطع علاقاتها باسرائيل » كما توقـع أن « تمارس على بعض الدول الافريقية ضغوط كالتي تعرضت لهـا الدول التي قطعت علاقاتها باسرائيل » ، وأضاف قائلا : « لدينا بعثات ديبلوماسية في عدد كبير من الدول الافريقية ولن نكون البادئين باغلاقها »(١٠).

أما ردة الفعل الاسرائيليـة الاخرى ، غـير السخط والاتهام ، فكانت تكثيف الجهد الاسرائيلي الديبلوماسي والاعلامي في أفريقيـا ، فقد ذكـرت صحيفتا « معاريف » و « يديعوت أحرونوت » يوم ١٩٧٢/١٢/٣ ان « اسرائيل ستدعم تمثيلها الديبلوماسي في أفريقيا ، وانهـا قررت فتح ثـلاث سفارات جديدة لهـا في رواندا وسوازيلاند وبتشوالاند » . كذلك سارع ابا ايبان الى ارسال مستشاره الشخصي أهود افرييل الى دولة زائيري اي الكونغو كينشاسا لاجراء محادثات تتعلق بمشاريع التطوير في زائيري ، وكان هذا المستشار نفسه قد قام بجولة في افريقيا قبل عدة أشهر(١١) ولعل ذلك في

---

٩ ــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، في ١٩٧٢/١٢/٦ .

١٠ ــ جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١/٤ .

١١ ــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » في ١٩٧٣/١/٣ .

محاولة لقطع الطريق على اتجاه المزيد من الدول الافريقية الى قطع علاقاتها باسرائيل .
وقد بادر الاسرائيليون فورا الى اجراء المناقشات حول أبعـــاد التطورات في أفريقيا واخذوا يتلمسون الخيوط التي عليهم أن يشدوها في القارة الافريقية لاحباط أي تضامن بين الدول الافريقية فيما بينها ضد اسرائيل أو لقطع الطريق على أي محاولات جديدة للتقارب بين الدول الافريقية والبلدان العربية ، ونقتطف في هذا الصدد أجزاء من حوار جرى في برنامج « شخصيات وأحداث في الاخبار » في الاذاعـــة الاسرائيلية بين مقدم البرنامج والبروفيسور دان افني سيجرت حول علاقات اسرائيل بالنيجر وبقية الدول الافريقية :

((**المذيع** : يبدو لي أن هناك موضوعا آخر يجدر ذكره وهو أن بعض عشرات الآف سكان النيجر يعملون في حقول النفط الليبية .

البروفسور سيجرت : نعم ، ولكن هناك نقطة اخرى لا تقل أهمية ، وهي رحلة الملك فيصل ملك السعودية الى النيجر في تشرين الثاني الماضي ، فلقد وجد هناك ضغط مزدوج من الشمال الى الجنوب من الجانب الليبي ، ومن الشرق الى الغرب على المحور الجديد الذي ينوي الملك السعودي اقامته من السودان الى السنغال ، وبالذات باتجاه مضاد لليبيا .

المذيع : هل يمكن أن تشرح علاقاتنا مع أفريقيا ؟

البروفيسور سيجرت : كلما كانت الدولة افقر وكلما زادت نسبة عدد سكانها المسلمين تزداد الاخطار لقطع علاقاتنا الديبلوماسية معها ، دون أدنى شك ، ولكن مع تحفظ واحد :

مثلا : ان تدخل ليبيا لصالح أوغندا ضد تنزانيا يؤدي الى أن دولة **مثل تنزانيا (التي لا تقف من اسرائيل موقفا وديا) سوف تدرس مليا قضية قطع علاقاتها معنا ، بالذات بسبب تدخل ليبيا الى جانب الدول الافريقية المعادية لها .**

المذيع : هل تعتقد أن هذا هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ؟

البروفيسور سيجرت : كلا ، لان هنالك العديد من الخلافات في أفريقيا ، وهكذا يحتمل أن يتكرر الامر ، ويجب علينا أن نذكر أمرا واحدا : **ان أفريقيا كوحدة ليست قائمة ، فهنالك كتل ، وداخل هذه الكتل توجد خلافات ، ويحتمل جدا أنه ينبغي علينا التفكير أكثر بسياسة تتعامل مع افريقيا كأجزاء مختلفة وليس كوحدة متجانسة))**(١٢) .

اذن هو الاسلوب الصهيوني المعهود البحث عن ثغرات للنفاذ منها ودس الدسائس واشاعة الفرقة والخلافات ، فترى هل ستتوجه الدول العربيـــة الى دراسة الواقع الافريقي على الطبيعة تمهيدا لرسم خطوط سياسية سليمة تجاه هذه الدول التي يقضي كل منطق ان تكون حليفا طبيعيا لنا بدل أن نتركها تقع ضحية المؤامرات الصهيونية . . . هل تفعل الدول العربية ذلك ؟

استخلاص العبر من التطورات الاخيرة في أفريقيا : ترى ما هي ملامح هذه السياسة الجديدة تجاه افريقيا التي يجدر بالامة العربية انتهاجها لمقارعة اسرائيل والصهيونية المدعومتين من الامبريالية العالمية عامة ، وامبريالية الولايات المتحدة خاصة ؟

قبل أن يجاب على هذا السؤال ينبغي ان تحدد ملامح السياسة العربية تجاه افريقية وغيرها . . . والتي كانت قائمـــة حتى الى ما قبل فترة وجيزة ، والتي أفادت منهـــا اسرائيل في تحقيق وجود لها فيها .

---

١٢ – **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** في ١٩٧٣/١/٣ .

الملامح السلبية : هنالك ملامح سلبية عديدة في هذه السياسة يمكن ايجازها فيما يلي :

١ ــ غياب المنافسة والوجود العربيين : لقد كانت المنافسة العربية للتحرك والجهود الاسرائيلية في افريقيا ، وحتى الى ما قبل فترة وجيزة ، معدومة تقريبا على رغم كون ست دول عربية واقعة في افريقيا هي مصر وليبيا والسودان والجزائر ومراكش وتونس ... ويمكن أن تضاف اليها موريتانيا .

صحيح ان الاستعمار ، وقبل ان تستقل عنه دول افريقية عديدة ، عمل كل ما في وسعه على عزل الامة العربية ودولها عن القارة الافريقية خشية تسلل عناصر اليها تربطها بشعوب القارة الافريقية أكثر من رابطة كالدين واللغة ووحدة المصير ولان الوجود العربي كان ، لو أتيح له الدخول الى افريقية ، سيؤدي الى طرد الوجود الصهيوني الذي غرسته الدول الاستعمارية في القارة الافريقية ، او الحد منه على الاقل . ولكن هذا الغياب لم يعد له ما يبرره ، لا سيما بعد أن بلغت الدول الافريقية المستقلة اكثر من ثلاثين دولة وأخذت تلعب دورا ليس بالقليل في المحافل الدولية .

وقد يعطي التبادل الدبلوماسي بين اسرائيل وافريقية وبين الدول العربية مجتمعة وافريقية صورة عن الفرق بين الوجودين . ففي سنة ١٩٦٥ مثلا كان لاسرائيل في افريقيه ٣١ بعثة دبلوماسية في ٣١ بلدا افريقيا ، هي الدول الافريقية المستقلة جميعها تقريبا ، منها ٢٩ بعثة على مستوى سفارة وبعثة على مستوى مفوضية وبعثة على مستوى قنصلية . ولهذه الدول في اسرائيل ١١ سفارة . على حين كان هنالك وفي السنة نفسها اثنتا عشرة دولة افريقية لم تعتمد لديها اية بعثة عربية سواء على المستوى القنصلي أم غيره . وهذه الدول هي : بورندي ، جمهورية افريقيه الوسطى ، الغابون ، غامبيه ، ليسوتو ، مدغشقر ، النيجر ، رواندا ، جنوب افريقيه ، فولتا العليا ، زامبيه وأخيرا جزر مورس .

٢ ــ اتخاذ المواقف السلبية من الدول الافريقية ولا سيما المتعاونة منها مع اسرائيل . لقد درج العرب على معاداة كل من يقيم علاقات باسرائيل معاداة سلبية ... مهما كان شكل هذه العلاقات . وانتهزت اسرائيل ذلك لتوسع من شبكة علاقاتها في العالم ومن وضع العلاقات العربية ــ الاجنبية ، والافريقية منها بشكل خاص في طريق التدهور . وهذا ما أدى في النهاية الى شبه حصار لا حول اسرائيل وانما حول الدول العربية . سيما وان الدول العربية في الحالات القليلة التي اتخذت فيها مواقف معادية من احدى الدول التي تمالىء اسرائيل أو حتى تعادي العرب اكتفت بقطع العلاقات بصورة سلبية دون أن توقف التعامل الاقتصادي وتضرب مصالح هذه الدول ، كما حدث مع المانيا الغربية عندما اعترفت باسرائيل وهذا هو أسوأ المواقف لانه يضمن كسب عداوة تلك الدولة دون ان يشكل رادعا لها خوفا على مصالح او خشية من خسارة .

٣ ــ ضعف الجهود الاعلامية العربية في الخارج ، وفي افريقيه بشكل خاص . ويتضح هذا في الشبكات الاذاعية العربية التي تعير افريقيه أقل قدر من العناية والاهتمام . على خلاف الاذاعات عند العدو والموجهة الى القارة الافريقية ودولها . كما يبدو ذلك في عدم وجود مكاتب للاعلام العربي في العواصم الافريقية الهامة تكون على الاقل ملحقة بالسفارات العربية ومزودة بالموظفين من اصحاب الكفاءة والخبرة والاختصاص ، وتتبع جهازا اعلاميا عربيا واحدا ينسق فيما بينها ويرسم لها خطواتها ، وتتولى مهمة الاتصال المباشر بالسكان .

٤ ــ الاقتصار في النشاطات الاقتصادية العربية مع افريقيه ، وبشكل عام ، على التبادل التجاري ، رغم وجود أوجه أخرى عديدة لهذه النشاطات ... منها على سبيل المثال الشركات المشتركة وبرامج المساعدات الفنية والاقتصادية وتبادل الخبرات .

٥ — اغفال الجاليات العربية في الخارج وفي افريقيه . وهذه الجاليات تستطيع القيام بدور كبير في تعبئة محيطها من اجل نصرة القضايا العربيـة اذا أحسن تنظيم هـذه الجاليات .

هذه بعض الملامح السلبية في السياسة العربية في افريقيه بشكل خاص ، ولكن هذه الملامح لا تنفي ان اسرائيل لم تجابه على الاطلاق في شتى الميادين في العالم . لقد جوبهت اسرائيل ولكن بشكل غير كاف ، ومن الممكن ان تجابه بشكل أفضل فيحد من نشاطاتها. لقد كانت هنالك جهود عربية متفرقة وغير منظمة او شاملة لمقاومة تحركات اسرائيل في افريقيه ، ولكنها لم تعط الثمرات التي تتطلبها معركة الكفـاح العربي ضد اسرائيـل والصهيونية .

صحيح ان اسرائيل ، وحتى عام ١٩٦٦ ، لم تحضر اي مؤتمر انعقد باسم دول عدم الانحياز أو باسم مؤتمر القمة الآسيوي — الافريقي او باسم الشعوب الآفرو— آسيوية، ولم تفلح في الانضمام الى مجموعة الدول الافرو — آسيوية في الامم المتحدة او مؤتمر هافانا لتضامن القارات الثلاث . صحيح هذا كله ولكن من الممكن ، وبسياسة عربية سليمة وبجهود عربية منسقة مكثفة ، أن يلغى الوجود الاسرائيلي ، كما حدث في اوغنده وتشاد والدول الاخرى او أن يقيد ويحد .

وهنالك من الامور ما يساعد التحرك العربي في هـذا المضمار . فاسرائيل قد باتت مكشوفة الآن بعد عدوان حزيران ١٩٦٧، ليس بعدوانيتها وعرقيتها وتوسعيتها فحسب، وانما بتبعيتها للامبريالية العالمية ، وبتصرفها كأداة لهذه الامبريالية . ان على المجابهة العربية لاسرائيل على مستوى القارة الافريقية ان تفيد لكي تصبح فعالة من النقاط السلبية السابقة وتضع لنفسها سياسة تكون لها الملامح التالية :

١ — ان تكون السياسة العربية عامة موحدة في القارة الافريقية وغيرها ، تفيد من كون ست دول عربية تقع في القارة الافريقية وهي اعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ولها بالتالي القدرة على القيام بدور فعال لصالح السياسة والقضايا العربية .

٢ — ان يعزز التمثيل الدبلوماسي العربي وتتخذ الدبلوماسية العربية في القارة الافريقية طابعا هجوميا يتحدى الوجود الصهيوني والاسرائيلي فيها . ان هـذا الشكل مـن الدبلوماسية الايجابية يجرد الدبلوماسية الاسرائيلية في معظم دول افريقية من الدعائم التي تقوم عليها .

وللدبلوماسية الهجومية مظاهر عديدة ، منها اقامة العلاقـات الوثيقة بين رؤسـاء الحكومات والدول في افريقية والرؤساء العرب .

٣ — توسيع العلاقات الاقتصادية ، بشتى صورها ، بين افريقيه والدول العربية التي نمتلك من الامكانيات الاقتصادية ما تستطيع سد وتغطيـة المجالات التي تدخل اليهـا أسرائيل ، سواء في مجال المشروعات المنفـذة ام الشركات المشتركة ام المعونـات الاقتصادية المقدمة الى الدول الافريقية . وقد كشف قطع العلاقات الاوغندية الاسرائيلية عن زيف النشاطات الاقتصادية الاسرائيلية في اوغنده ، وعن قدرة العرب علـى أن يملأوا بامكاناتهم الهائلة كل مكان يوجد فيه الصهاينة .

٤ — وينبغي ان يصحب الدبلوماسية العربية الهجومية اعلام عربي منسق موحد — هجومي ايضا ، يزيد في كشف حقيقة اسرائيل وعلاقاتها مع الامبريالية وأنظمة الحكم العنصرية ومعاداتها لحركات التحرر في العالم . وينبغي لهذا الاعلام الهجومي ان يكون مباشرا ، عن طريق مكاتب اعلام في العواصم الافريقية او غير مباشر عن طريق وسائل النشر من كتب ومجلات ونشرات أو عن طريق الاذاعات او عن طريق تأسيس جمعيات

صداقة عربية افريقية او عن طريق تعبئة الجاليات العربية في الدول الافريقية .

٥ ــ ان تطوير العلاقات الانسانية بين الشعوب هو اشد الاساليب فعالية لخلق روابط انسانية متينة ودائمة وهذا هو انجح وسائل الاعلام والديبلوماسية معا . ولذلك ، فان اية سياسة عربية تجاه افريقيه ينبغي ان تشتمل على رسم برامج عملية فعالة للتبادل الثقافي والفني وتبادل الوفود والزيارات بين فئات الشباب والطلاب والعمال والهيئات المهنية المختصة ، كما ينبغي ان تتضمن منح بعثات دراسية للطلاب ووضع برامج تدريبية ... وقد يقتضي هذا انشاء معهد مماثل للمعهد الآسيوي الافريقي الذي انشأته اسرائيل في تل أبيب خصيصا لتدريب الشباب والطلاب من شتى انحاء هاتين القارتين .

٦ ــ ان العلاقات الاقتصادية بين الدول الافريقية والدول العربية ، وهي أهم دعائم العلاقات السياسية الجيدة واضمن ضماناتها يجب أن لا تترك عرضة للنزوات والعوارض ،بل ينبغي أن تعمل على تنميتها هيئة عربية خاصة مسؤولة ، كما يجب أن يتوفر لهذا الغرض صندوق عربي للتنمية في افريقيا ترصد له مبالغ محترمة من الدول العربية القادرة والمعنية كما توضع في خدمته كفاءات اقتصادية وفنية ممتازة تتيح له دراسة المشاريع الافريقية وتقديم التوصيات المناسبة بشأنها .

٧ ــ ان مسألة توفير الخبرات الفنية القديرة للدول الافريقية لتحل محل الخبراء الاسرائيليين هي مسألة بالغة الصعوبة بنوع خاص ، لان الدول العربية لا يتوفر لديها كفايتها من هذه الكفاءات ، ولكن المصلحة القومية جديرة بكل تضحية لمن تهمهم المصلحة القومية .

ان الرياح الآن مواتية للعمل وبسرعة ، وان لم يتم العمل بكفاءة ونشاط وسرعة فقد تحدث نكسة نتيجة خيبة أمل الافريقيين في الدول العربية ويكون لهذه التطورات الايجابية حاليا آثار معكوسة تثبت أقدام اسرائيل ليس في أراضي الافريقيين فحسب بل في قلوبهم أيضا .

خمسون سنة من المقاومة (١٩١٧ ـ ١٩٦٧) في الفولكلور الفلسطيني

نمر سرحان

القسم الاول : ايام الانتداب البريطاني

الواقع ان الارض الفلسطينية عرفت المقاومة منذ ان عرفت الاحتلال البريطاني وما انطوى عليه من تعاطف وانحياز لجانب الصهيونيين . وكانت هذه المقاومة ايجابية بالنضال المسلح الدامي وسلبية بأسلوب التظاهرات والاحتجاجات . ومنذ عام ١٩١٧ الذي صدر فيه وعد بلفور والذي جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ونظر للعرب على انهم جماعات غير يهودية مقيمة في فلسطين بدأ الشعب العربي الفلسطيني يسجل اولى احتجاجاته ويمارس ارادته الشرعية في رفض الاستيطان والهجرة اليهودية والتحكم الاستعماري في فلسطين . منذ ذلك العام اشار الوجدان الشعبي الفلسطيني باصبع الاتهام للحلفاء الذين حارب معهم ضد الحكم العثماني . لقد أحس الوجدان الشعبي اذ ذاك بخيانة اصدقاء الامس وأحس بسقوط أولى الاقنعة عن الوجوه المتآمرة وبذلك عبر بهذه الكلمات التي لا تنسب الى شخص معين بعينه وانما هي تراث الجماعة والتعبير الصادق عن رأيها الواضح الصريح :

وعد بلفور هالمشؤوم جائر — على الاسلام والرهبان جائر
تناسى العدل واضحى الظلم جائر — ملوك الغرب وما فيهم رجا

وفوجئت الجماهير العربية بفرض الانتداب والتحكم الاستعماري على أقطار الوطن العربي ومنها فلسطين . ومع ذلك فقد تشبثت الجماهير برفض القهر القومي الذي مارسه حلفاء الامس ازاءهم . وفي فلسطين تركزت المطالب القومية برفض الانتداب والهجرة الصهيونية ووعد بلفور والمناداة بتحرير فلسطين ضمن الوحدة العربية السورية . وفي ذلك الوقت كان سكان فلسطين ٧٠٠ الف نسمة منهم ٥٦ الف يهودي لا يملكون سوى ٢ ٪ من الاراضي الزراعية . وقد كانت أهمية اليهود من الضآلة بحيث ان أحدا ما لم يلتفت الى تسللهم الذي تزايد في الفترة ما بين ١٨٨٢ ـ ١٩١٣ ولم يكن احد يشعر بخطرهم. وعن ذلك يكتب احمد الشقيري في مذكراته : « ولقد كانت المعالم هي المعالم من غير تغيير يذكر ، فالقرى العربية بأهلها واصحابها والسهول يعمل فيها الفلاحون العرب وهم يهزجون رجالا ونساء ، والرعاة يسوقون مواشيهم والمزمار يرسل الحانه عبر الفضاء ولا ترى على امتداد البصر الا يهوديا واحدا او اثنين هنا او هناك . وكذلك فان القطار على تعدد عرباته وازدحام ركابه لم يكن فيه الا نفر قليل من اليهود ، جلهم او كلهم من اليهود القدماء ، فقد كان اليهود في ذلك العهد (١٩٢٤) لا يتجاوزون سبعين الفا معظمهم من اليهود الاوائل »(١). كما يذكر احمد الشقيري في مكان آخر من مذكراته ان (العرب في يافا كانوا يؤون اليهرد في ثورة ١٩٢٠ ، ١٩٢١) .

وكان العرب الفلسطينيون يشعرون انهم اسياد البلد الذين لا ينازعهم احد ويتطلعون الى خروج الانجليز واستقلال بلدهم فهم اصحاب الارض واسيادها والغالبية العظمى من سكانها . وبذلك تغني اهل القرية في اغاني السامر :

واحنا كبار البلد واحنا كراسيها ... واحنا رماح القنان تعكزت فيها
وبلادنا المشرقة واحنا الشباب فيها ... وان عجعج العرب بالبارود نحصيها

واذا استعرضنا قصائد الشعراء الشعبيين في هذه الفترة ، نجدها خلوا من المضمون الوطني وتتحدث عن التوسل الى الله بطلب الستر واغداق الخير ووفرة المناسف والذبائح والمضافة التي يتردد عليها جارين السبيبومن هذا اللون قصيدة يرويها الشيخ عبد الطريفي(٢) يقول فيها :

يا ونة ونيتها من بعد شعار ... ما ونها شاعر ولا خطيب
يا رب طالب منك عشرة تماثيل خيار ... على العشرة يا رب واكتب نصيبي
الاولة يا رب مظافة جوا الدار ... يتناجزوها جارين السبيب
والثانية يا رب حورية مثل ما صار ... لمن تربي اطفال تكثر تجيب
والثالثة يا رب مهرة تسبق الخيل بهجار ... والبندقية والسيف يرد الصعيب
والرابعة يارب سترك منميلة الدهر ان دار ... لانه الدهر ميلاته عجيبة
والخامسة يا رب خمس قطع اغنام بالدار ... واطلع بهم على روس المناسف خطيب
والسادسة يا رب ستر الولايا من العار ... في مجمع السقال هرج يطيب
والسابعة يا رب عزوة مفاليح شطار ... ارجع بهم اذا ضاع حق الطنيب
والثامنة يا رب تطويل لعمار ... تعرف عدوي من صديقي من حبيبي
والتاسعة يا رب تسع حجب من النار ... القي بهن يومن يقوم ناكر ونكير
والعاشرة يا رب اكون البيت الله زوار ... وازور بيت الله واشاهد حبيبي

ولقد كانت هذه القصيدة وامثالها من الشعر الشعبي الذي يصر على قضايا الكرم والتوسل الى حد معقول من الرفاه وكذلك القصائد المستوحاة من القصص الشعبي والتي تحض على الفضائل القبلية مثل الشجاعة والوفاء والنجدة هي الثقافة الشعبية الاساسية المتوارثة والتي تكفل بتعميمها الشاعر الشعبي أو اي متقن للقراءة ويستطيع تلاوة هذه الاشعار والتي تزخر بها الروايات الشعبية في الدواوين والمضافات . وقد استمرت هذه المادة التراثية تشكل ثقافة الجماهير فترة من الزمن .

وجاءت الانتفاضة الاولى للشعب الفلسطيني منذ الاحتلال البريطاني (١٩٢٠ — ١٩٢١) ومحاباته للصهيونية ، بأداته الوقحة (هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني اليهودي) الذي بدأ يقطع اليهود مئات الالاف من الدونمات ويطرد الفلاحين العرب منها بقوة الجيش والبوليس . وبينما كان العرب الفلسطينيون يجرون احتفالهم التقليدي بموسم النبي موسى(٣) في الرابع من نيسان عام ١٩٢٠ اعترضهم بعض اليهود محاولين اختطاف العلم العربي واهانة حامله ودارت معركة اصطف فيها العرب الى جانب اليهود والجيش البريطاني الى جانب آخر وحاصر الانجليز القدس واستمر القتال حتى نهاية الخامس من ابريل وقال البلاغ البريطاني ان القتال اسفر عن موت تسعة من اليهود وأربعة من العرب وسقط ٢٥٠ جريحا . وفي العام التالي (١٩٢١) حصلت الانتفاضة الثانية في يافا وقد هاجم الشعب المستعمرات اليهودية المجاورة وقتلوا اكثر من خمسين يهوديا وجرحوا ١٥٠ . ووقف الانجليز كعادتهم الى جانب اليهود مما سبب خسارة خمسين من الشهداء العرب وجرح ٧٥ آخرين . وبين هذين العامين عقدت عدة مؤتمرات فلسطينية باشتراك القرويين واهل المدن ورجال العشائر أعلن فيها الفلسطينيون رفض الانتداب ووعد بلفور والهجرة اليهودية واصر السكان على ان

فلسطين جزء من الاراضي العربية السورية . ولم تحقق هاتان الانتفاضتان والتظاهرات الدورية في ذكرى وعد بلفور اية نتائج ذلك لان الانجليز قد اصروا على تنفيذ خطة الوطن القومي اليهودي واستغلت الصهيونية العالمية نفوذها الدولي والقت به ضـد شعب بسيط طيب(٤) لم يحدد ايديولوجيته الثورية بعد ورضي بالقيادات الانتهازية ذات النفس القصير المدى في النضال والتي لم تكن لتجرؤ على رفع العصا في وجه الاستعمار وتتشبث بمفاوضات حلفاء الامس . ولكي يكسب الانجليز انصار المفاوضات والمهادنة اصدروا الكتاب الابيض عام ١٩٢٢ والذي أكدت فيه بريطانيا اصرارها على تنفيذ وعد بلفور مع اعطاء ضمانات شكلية للعرب . وحققت بذلك جوا ضبابيا ساهم في تمييع الحقيقة امام اعين السواد الاعظم من الناس وفتح باب المساومة حتى تضرب الصهيونية والامبريالية بجذورها على ارض فلسطين .

وفي اليوم التاسع من آب عام ١٩٢٩ يوم عيد خراب الهيكل (هيكل سليمان) نصب اليهود ستارة حول حائط المبكى بجدار الحرم الشريف في القدس ليصنعوا من ذلك مـا يشبه غرفة . وأحضروا منضدة وضعوها في الداخل ليضعوا في جارورها ثياب شماسهم وكتبهم . ثم أحضروا مقاعد صفوها في الداخل ليجلسوا عليها مع انهم طوال حياتهـم كانوا يبكون وقوفا . وملأوا ثقوب الحائط بأوراق الاسترحامات وعلى الجملة فقد جعلوا من حائط المبكى غرفة. وفي يوم ١٥ آب اقبلت جموعهم من تل ابيب وقد حملوا الاعلام الصهيونية وربطوها بالشرائط السوداء حدادا وانضم اليهم يهود القدس وغيرها وراح خطباؤهم وهم في الطريق يحثونهم على امتلاك البراق وانتزاعه من العرب . ووصلوا المبكى او البراق فرفعوا على حائطه العلم الصهيوني وأنشدوا نشيد الهاتكفا (الامل) وكان لا بد من ان تقوم الجموع العربية بالدفاع عن حائط الحرم الشريف فمزقوا الستارة التي نصبها اليهود وحطموا منضدة الشماس وأحرقوا كتب الصلاة واخرجوا اوراق الاسترحامات التي وضعت في ثقوب الحـائط . وانطلقت شرارة الصدامات ، فقامت معركة عنيفة عند جدار البراق في بيت المقدس ولم يتمكن البوليس من انهائها الا بجهد ومشقة ودارت المعارك داخل القدس من ركن الى ركن . ثم سرت انباء الثورة الى انحاء فلسطين ، ففي الخليل هاجم الثوار الحي اليهودي ، وفي نابلس هاجم المتظاهرون ثكنة البوليس واستولوا عليها كما ثار الشعب في كل من يافا وحيفا وبيسان وصفد . وقد قتل في صفد ٢٨ يهوديا . واستدعت بريطانيا ١٣ طائرة في اليوم الاخير من آب (١٩٢٩) لتحلق فوق المسجد الاقصى . وامتدت الثـورة لقبائل النقب واستمرت الاضطرابات وبنتيجتها حكمت السلطات البريطانية بالاعدام على ٢٠ عربيا وسجنت ٧٩٢ آخرين . اما الصهيونيون والجنود البريطانيون فلم ينلهم العقاب رغم ان اللجنة العربية العليا فندت مزاعم المندوب السامي وتواطأه مع اليهود وتسليحهـم واثبتت ان الجنـود البريطانيين قتلوا النساء والرجال والاطفال في فراشهم في صور باهر ، وان جنكيز الشرطي اليهودي قتل هو ورفاقه بجوار يافا عائلة عون بكاملها ــ بقر بطن الام وحطم رؤوس ابن اخيه وزوجته وطفله البالغ ٣ سنوات من العمر . وقد ابدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد ثم العفو .

لقد كانت الصدامات التي حصلت فورة شعبية غذاها تذمر الشعب الفلسطيني من تواطؤ الحكم الامبريالي مع الصهيونية وتسهيله عملية انتقال الارض العربية الفلسطينية الى اليهود بأساليب غير شرعية . وكانت التحرشات الدينية التي قام بهـا اليهود بجدار البراق مناسبة لانفجار الغيظ العربي على الصهيونيين وحماتهم البريطانيين . وكانت الفورة الشعبية شاملة تقريبا لاكثر المناطق الفلسطينية. ومن ابرز الشباب العرب الذين شاركوا في هذه الفورة الدموية كان فؤاد حجازي وهو مواطن فلسطيني من صفد وخريج كلية سابيل في صفد (٢٧ عاما عند اعدامه) وكذلك محمد جمجوم وعطا الزير مـن

الخليل . وحدد يوم الثلاثاء السابع عشر من حزيران عام ١٩٣٠ لتنفيذ حكم الاعدام بحق كل من حجازي وجمجوم والزير وذلك في عكا والتي كانت قلعتها التاريخية قد جولت الى سجن لا يرى النور . والى هناك كان يحمل المحكومون بالاعدام من كافة ارجاء فلسطين عدا القدس . وكان يوم الثلاثاء دائما هو اليوم المقرر للاعدام وترتفع الراية السوداء على القلعة ساعة الاعدام لتخبر وتنذر . وقد ارتبط ذكر عكا وقلعتها وسورها في ذهن الجماهير الشعبية بالرهبة منذ أيام الجزار . وقد وصف المغني الشعبي الفلسطيني سور تلك المدينة بشيء من التهويل يحمل في طياته التوجس والخوف :

سور عكا ويا عالي البنيان	فرد الشتاير ما يصيب عاليها

وارخ المغني الشعبي ذكر اعدام الابطال الثلاثة في بيت من الدلعونا يحمل معاني الحقد على السلطات المتواطئة وعلى رأسها المندوب السامي كما يحمل البيت دعوات الضعيف الى ربه ليجازي الطغاة . وماذا كان بيد الشعب الاعزل الذي لا يملك السلاح ولا القيادة المخلصة ولا الاسلوب الثوري النضالي ، غير ان يتوجه الى الرب بالدعاء ضد الجلادين :

من سجن عكا وطلعت جنازة	محمد جمجوم وفؤاد حجازي
جازي عليهم يا ربي جازي	المندوب السامي وربعه عموما

وفي بيت آخر من الدلعونا لا يملك المغني الشعبي وهو الآخر واحد من العزل الفاقدي اية وسيلة من وسائل الادراك الكامل لما يحدث اذ يصف بأن اعدام الابطال الثلاثة هو من قبيل « المقدر والتقادير .. وحكم المولى عز وجل » :

محمد جمجوم ومع عطا الزير	فؤاد حجازي عز الزخيرة
انظر المقدر والتقادير	باحكام المولى تا يعدمونا

وقد وصفت جريدة الزهور الحيفاوية (١٩ حزيران ١٩٣٠) احداث يوم الاعدام بقولها : « لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوما مثل يوم ١٧ يونيو (حزيران) الرهيب . لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس وولولت النساء وتصاعد عويلها في البيوت وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد » . وأنشدت الجماهير :

يا ظلام القبر خيم	اننا أسرى الظلاما
ليس بعد الليل الا	فجر مجد يتسامى

وقد خيمت روعة الموت وسادت رهبة الموقف بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وايابا والمدفع معد والسيف مصلت والطيارات سابحات في الفضاء الواسع تراقب الوضع عن كثب . وقد تقرر ان يعدم الثلاثة في الساعة الثامنة صباحا والتاسعة والعاشرة تباعا ، اما فؤاد حجازي فقد سبق رفيقه للمشنقة واما عطا الزير ومحمد جمجوم فقد خضبا أيديهما بالحناء وكأنهما يسيران الى عرسهما . وعلى لسان فؤاد حجازي صور مغني الدلعونا تصورات البطل الموقف امه :

امي الشفوقة بالسجن تنادي	ذاقت عليها كل البلاد
نادوا فؤاد ومهجة فؤادي	قبل نتفرق تا يودعونا

كما قال مغني الدلعونا على لسان جمجوم مخاطبا أخاه يوسف :

يوسف يا يوسف وصاتك امي	واصح يا يوسف بعدي تنهمي
منشان الوطن رخصت بدمي	يوم الثلاثاء تع ودعونا

وعندما ارتفعت الراية السوداء على قلعة عكا التاريخية معلنة شنق البطل الاول لم يرتفع عويل النسوة بل دوت مهاهاة لاحدى النسوة :

هـي ويـا والمشنقـة تاجـك	هـي والقيـد الـك خلخـال
هـي وموتـك عـن بلادك عـز	هـي ويـا زينـة الرجـال

وتلتها زغاريد . وازهر الحزن في قلوب الجماهير الفلسطينية .. وصمم الالاف من الشباب والشيوخ على حمل السلاح في مناسبة قادمة . فالمثل الشعبي الفلسطيني يقول : عمر الاسى ما بنتسى .

وابتداء من عام ١٩٣٣ بدأ الشعب العربي الفلسطيني يتململ بعد هدوء نسبي في أعقاب انتهاء احداث ١٩٢٩ واعمال التنكيل التي قامت بها السلطة البريطانية وايقن الشعب انه يقوم بنضال مزدوج ضد الانجليز واليهود الذين يراهم يقفون صفا واحدا في كل مناسبة يعبر فيها أصحاب البلاد عن غضبهم ازاء محاولات اغتصاب ارضهم ومنحها للغير . وفي تشرين الاول من هذا العام قامت تظاهـرات في القدس ويافا وفي جميع انحاء فلسطين وقرر الشعب الاضراب لمدة سبعة أيـام احتجاجا على اعتقال بعض القادة الزعماء . وبدأت البلاد تشهد أعمالا بطولية ، فمنذ أوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربي (جنين ـ نابلس ـ طولكرم) سيلا من الاغتيالات للضباط الانجليز ونسفت القطارات وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني وقتل أي عربي يتعامل مع الانجليز . وقد قامت بهذه الاعمال تشكيلات سرية ترأسها الشيخ عز الدين القسام فباشر يجمع أعوانه في حلقات متعددة حدد لكل مجموعة من هذه الحلقات مهمة خاصة (التهيئة والاعداد الثوري ، التمويل ، المجموعة الفدائيـة ، مجموعـة الوعظ والدعاية ، المجموعة السياسية) . واكتشف أمر الثورة . وأعلن القسام الجهاد المقدس في ليلة ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ عندما جمع رفاقه في مدينة حيفا وأبلغهم انه أعلن الجهاد وطلب منهم ان يودعوا أهلهم واتفقوا على الاجتماع في بيت القائد محمد سالم المخزومي. وارسلت القوات البريطانية كتيبة من الجنود والانجليز يقدر عددها بخمسمائة جندي الى قرى نابلس كما توجهت قوات أخرى الى حيفا وقراها . وجرت معركة في قرية يعبد احدى قرى نابلس سقط على اثرها الشيخ عز الدين القسام . وذلك في ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٣٥ وأسر الاخرون .

وبعد اخماد ثورة القسام ومصادرة ٤٠٠ الف متر مربع من أراضي المدينة الزراعية العربية بطولكرم وسلسلة من التظاهرات ظهرت فجأة جماعة عربية مسلحة واعترضت سيارات عربية كانت تعبر الطريق الى يافا فسلبت أموالها وقالت للركاب العرب « اننا نأخذ أموالكم لكي نستطيع أن نحارب العدو وندافع عنكم » وقتلت يهوديا وهاجم اليهود عربيين فقتلوهما عند مستعمرة بتاح تكفا اليهودية واستمرت الحوادث وتطورت الى قتال بين العرب واليهود في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ حتى بدا الاضراب الشامل الذي استمر الى ٢ تشرين الاول ١٩٣٦ والذي طال نحو سـتة أشـهر . ويعتبر هذا الاضراب الدائم المستمر أطول اضراب في التاريخ . وتكونت اللجنة العربية العليا التي ضمت كل أحزاب فلسطين حتى حزب المعارضة الذي يمثله راغب النشاشيبي والذي يتهـم بالاعتدال ويرى الفائدة في التفاهم السلمي مع الانجليز . واعلنت اللجنة انها سوف تستمر في دعوة الشعب الى الاضراب والجهاد ريثما تجاب المطالب التي حددتها في « وقف المهاجرة اليهودية نهائيا ومنع انتقال الاراضي الى اليهود وانشاء حكومة وطنية في حياة برلمانية » .

ونفذ الشعب الفلسطيني قرارات اللجنة فأضرب طلاب المدارس وتوقف المحامون عن حضور المحاكمات وأغلقت الغرف التجارية في القدس وحيفا ويافا ونابلس وجميع

ارجاء فلسطين . وامتنع عن العمل رؤساء المدن والمناطق ومديرو البلديات واغلق المجلس الاسلامي دوائره العديدة وامتنع السجناء العرب عن العمل الذي اعتادت السلطة تكليفهم به ، واصر رجال البوليس العربي في طولكرم ويافا والقدس على الاضراب ، واعلن الاطباء العرب انهم سوف يعالجون المرضى مجانا مهما طال الاضراب واضرب سائقو السيارات والموظفون والمدرسون واغلقت المتاجر الصغيرة والكبيرة وامتنع القرويون عن انزال محصولاتهم الى الاسواق واغلق بائعو الخضروات متاجرهم . ولم تبق الا الصيدليات والافران توزع الخبز والدواء تحت ارشاد زعماء الاضراب . وبدأت انفعالات الاضراب العربي تتحول الى جهد مسلح فاشعل العرب حريقا هائلا في ساحة الاخشاب بميناء يافا وحرائق جديدة في أنحاء مختلفة من فلسطين . وقطعت المواصلات بين يافا وتل أبيب . وأطلقت النار على سيارة يهودية كانت بين الرملة ويافا واشتعلت الحرائق في معمل الظروف بقرية عتليت وفي أيار (١٩٣٦) بدت مدن فلسطين تترنح بين القنابل والحرائق ، وتصادم المساجين العرب مع حراسهم .

وللقارىء هذه « الوثيقة الفولكلورية » « عن الاخوة في سجن عكا » . أبطال فلسطين الثلاثة ، والتي يرويها الشاعر الشعبي الفلسطيني محارب ذيب وتحكي هذه الوثيقة قصة هرب ثلاثة من السجناء من سجون الانتداب وهي تعطي صورة عن الحياة السياسية من وجهة النظر الشعبية في هذه الفترة وتعرض لنا نماذج انسانية متعددة . فالابطال الثلاثة محمد محمود العديلي وقاسم أبو سليقة العقرباوي وحميدة الطموني مثال العداء للسلطة الاستعمارية وقد حملوا السلاح لمقاومة الاحتلال البريطاني ويقف في الطرف المقابل « عابدين بك » الضابط العميل الذي ينفذ أوامر (مستر ميللر) رئيسه البريطاني ويستعين عابدين بعميل اخر من مرتبة ادنى هو « شعبان تبع بيسان » الذي يتجسس على الابطال الثلاثة ويشي بهم . ومن النماذج الشعبية الاخرى ما يوضح التعاون الشعبي مع رجال المقاومة . فالمباحث الشعبية (ويعني بهم الراوي العناصر الشعبية المتعاونة مع المقاومة) ساعدوا الابطال في الحصول على السلاح وسهلوا لهم موضوع الهرب . وعندما وصل هؤلاء الابطال الى بلدة المزرعة قام السكان باستضافتهم وحرسوهم . اما « المدني النابلسي » فهو وان تصرف بوحي من وضعه الطبقي كبرجوازي بعدم الاعلان عن موقفه الصريح في مقاومة الاحتلال الا انه قام بتمويه صالح وهو أخ لاحد الابطال والذي يريد الثأر من عابدين كما نقله بسيارته واستعد لنقله ثانية اذا خرج سالما من السرايا .

وفيما يلي النص الاصلي للحكاية كما رواها محارب ذيب وهي منقولة عن تسجيل حفل حضره الشاعر الشعبي في قرية بيتونيا — رام الله في اذار عام ١٩٦٥ .

سنعود اليكم ايها الاخوة للجماعة اللي تركناهم في سجن عكا ابطال فلسطين الثلاثة هناك لما المساجين في سجن عكا فكوا الاضراب عن الطعام المساجين الثلاثة عملوا استرحام للمندوب السامي لحتى ينقلوهم من سجن عكا لسجن نابلس فعلا أجت موافقة من المندوب السامي . انقلوهم على سجن نابلس ولكن اللي كان مسؤول عن سجن نابلس في هذاك العصر واحد انكليزي اسمه المستر ساندرس ، والثاني انكليزي اسمه المستر بيلر والمستشار الهم ابن عرب اسمه عابدين بك هناك عملوا اجتماع في السجن في نابلس ولكن اللي قاموا معهم المباحث الشعبيين الوطنيين مش المباحث اللي يخبر عن اخوه بنص دينار هذا مش مباحث هذا يحسب خائن . ادخلوا المباحث عليهم ثلاث قطع من السلاح على سراية نابلس وذخيرة تكفاهم للدفاع عن انفسهم . .

قاموا في المؤامرة في ليلة من الليالي في الساعة الواحدة بعد نص الليل أول ما اطلقوا

النار على اللي علـــى الاحوال السنترال رموه بالرصاص اطلقوا النار ثانيـــة على الشرطة العسكرية اللي على ظهر السطح اطلقوا النار ثالثا على الحارس البراني اللي باب سراية نابلس قالوا للمساجين اللي يحب يطلع على عاتقنا يتفضل يا شباب راح التلفون حالا للمستر ميللر والمستر ساندرس حضروا في سراية نابلس عملوا اجتماع لضباط أولاد العرب قالوا لهم فش يا شباب واحد يبيض السجن الا أمر من الملك جورج في لندن . انو اللي مستعد يلقي القبض على محمد محمود العديلي وعلى قاسم أبو سليقة العقرباوي وعلى حميدة تبع طمون اللي تبرع في القاء القبض عليهم عابدين بك عابدين بك بوخذ وحدة مسلمة واخيرا بجوز يهودية قال لهم يا مستر ميللر اعطوني مهلة ثلاثة أسابيع اما بجيبهم مقاتيل اما بجيبهم ع سرايـــة نابلس مذابيح والمباحث حاظرين المؤامرة وحاظرين الاجتماع ظلوا يسالوا عن الجماعة تمنهم عينوهم في غور الجفتلك واحد من المباحث ركب في هالسيارة وراح اعطاهم الخبر الكامل قال لهم احتذروا من عابدين بك لانــــه تبرع بالقاء القبض عليكـــم واذا مـــا ذبحتش عمركم ما بتستريحوا في لواء نابلس ، محمد محمود العديلي تناول هالكتـــاب وكتب مكتوب بالخط الاحمر وبعثه مع واحد يورد جبنة ع نابلس قال له من فضلك ارميه باب سراية نابلس أخطار لعابدين بك اذا ما تراجعتش عن رأيك والا تقتل رميا بالرصاص بعدها باسبوعين يا اخوان راح الخبر لمحمد محمود العديلي من المباحث قالوا لهم اذا انتم ابطال قد حالكم سكروا الخط العام عند عيون الحرامية بين نابلس والقدس اذبحوا عابدين بك لانه في الساعة الفلانية في اليوم الفلاني بده يطلع من نابلس عالقدس ، محمد محمود العديلي وربعه على حسب وعد المباحث ركبوا خيلهم العصر ونص الليل حولوا ع بلد اسمها المزرعة الشرقية هلموجودة حاليا واللي لفوا عليه حي يرزق رئيس المجلس القروي في المزرعة الشيخ عبده . حولوا عند الشيخ واكرموهم اهل المزرعة وشباب المزرعة أتسلحوا بسلاحهم ووقفوا حراسة عليهم ، مـــع الفجر نزلوا ع واد البلاط ع الساعة والدقيقة ع اخبارية المباحث الا سيارة عابدين جاية من نابلس عالقدس اشهروا السلاح عالسائق . سائق السيارة وقـــف عالسدد عالطريق نزلوا ركـــاب السيارة الا هي مرت عابدين بك المسلمة واولادها والسائق عابدين بك مش موجود في السيارة محمد محمود العديلي قال لها منين انت يا بنت قالت انا مرت عابدين بك قال لها يا بنت شوفي الكفر للرجال مش عيب والرجل اللي بقشط مش عيب عليه هذه كار الرجال والطمع في صدورها ولكن العيب على الرجل واللي يقل قيمة الرجل في مجالس الرجال اللي بلتفت على عرض اجاويد الله بسوء واللي بحافظش على عرض الناس الله ما بحافظ على عرضه ويا بنت الحلال اللي بضيع مـــال بجيب مال غيره لانه المال مثل الريح يروح وبيجي . ولكن اللي بضيع شرفه بين الناس والله لو يصرف واد مصاري ما بيشتري له شرف واحنا الثلاثة معاهد ينك اخوتك في كتاب الله واللي بدو يخونك قبيلته على الله بدنا نوخذك ونوخذ هالاطفال ونوخذ هالسائق معنا نوري عابدين بك البلاد النا والا اله اخذوهـــا واخذوا الاطفال واخذوا السائق واحرقوا السيارة على السدد روحوا فيهم على غور الجفتلك عند الامير علال المسعودي عند المساعيد راح الخبـــر لعابدين بيـــك ان المراة والشفير والاولاد مفقودين والسيارة محروقة فقعدت ، عشرة أيام بالتمام والكمال وهي عند اخوتها عند هالجماعة الطيبين شروة هاللحى ، لان الرجل الطيب هو اللي بحافظ على شرفه ، قالوا لها كون مذايقة يا اختي قالت لا والله ما اني مذايقة ولكن اللي مذايقني هالاولاد بدي اخذهم اسلمهم لابوهم لعابدين بك واتفاهم معاه انا واياه اذا تراجع عن رايه هيني مرته وبربيلـــو اولاده واذا ما تراجعش عن رايه بسلمو الاولاد وبرجع عليكم اذا الحكومة البريطانية ما القت القبض عليكو اقسم لكم بالله لنتحر وراكو . جابوا لها سيارة عن جسر دامية وقالوا للسائق هذي اختنا دير بالك باب سراية نابلس نزلها ونزل الاولاد نزلهم السائق

باب سراية نابلس نزلها باب السراية الخبر راح لعابدين بك قالوا له بنبشرك يا سيدي قال لهم ابشروا يا جنود قالوا له المراة والاطفال والسائق باب سراية نابلس طلع سلم عليهم سلام الاحباب اذا كانوا غياب قالت له شوف يا عابدين قال لها نعم قالت له هذول ابطال من ابطال فلسطين يا رجال وهذه حكومة بريطانيا ما خلتش ولا عين مفتحه في البلاد اذا بدك اظل رادد على حكومة بريطانيا لا انا مرتك ولا انت جوز الي اولادك خذهم وانا برجع على اخوتي . دار العز قريبة ولكن اذا بدك تتراجع عن رايك بعيش انا وياك بسلام وبربي الك هالاطفال عابدين بك ورى مرته صفاوة قلب ولكن قلبه من جوة ماكر على الجماعة مش مطمئن منهم بعد باسبوعين جابوا واحد في الليل محكوم مؤبد من سجن عكا على سراية نابلس قالوا له انت محكوم مؤبد قالهم نعم قالوا له الك خمسمائة دينار مكافأة والك انجيب لك براءة من المندوب السامي والك انوظفك مع الجيش البريطاني بشرط تلقي لنا القبض على محمد محمود العديلي وعلى قاسم ابو سليقه وعلى حميدة من طمون قالهم انا على اتم الاستعداد اخذوه اثنين انجليز رموه في وادي البيذان والصبح نشروا في الجريدة انه فلان الفلاني هرب من سجن عكا اللي بلقي القبض عليه اله مكافأة ميتين دينار وراحت الجريدة على غور الجفتلك الجماعة قراوا الجريدة قالوا هذا صاحبنا وصديقنا فر من سجن عكا وجب علينا نركب خيلنا وندور عليه ونجيبه لو كان وين ما كان ركبوا خيلهم ودوروا عليه وين ما كان تحوشوا معهم قعد ، عندهم خمس ايام بعد الخمس ايام قال لهم بتسمحوا لي بدي اروح اشق على الاولاد اطل عليهم واطمئنهم علي وارجع عليكو غاب عنهم ثلاث ايام اليوم الرابع روح عليهم قال لهم يا جماعة شفتلكم شوفة في الطريق قالوا له شو رايك قال لهم شفت شعبان تبع بيسان معه اربع ضباط من اولاد العرب راكبين خيل سويل ولابسين قنابيز وعبى كل واحد منهم بارودته تحت عباته بتعقبوا فيكم من مكان الى مكان لما اصبح الصباح قالوا له قدامنا انت عليك ادلنا اياهم واحنا علينا نرميهم بالرصاص قالهم يا جماعة صحتي محترفة اليوم وشايف في صحتي اختلاف انا خلوني عند بقية هالذخيرة وانتوا اولاد البلاد وعارفين الطريق تركتهم في المحل الفلاني الجماعة على نيتهم تركوه في المغارة وهم صدروا وبعد ما صدروا اتعشلق ، بسيارة عن جسر دامية راح اعطى الاخبارية الكاملة للمستر ساندرس وللمستر ميللر ولعابدين بك فعلا اطلعوا خمسة كشف كول شعبان تبع بيسان معهم واربع ضباط راكبين خيل سويل ولابسين اواعي سويل ولكن وراهم ٢٠٠ جندي مشاه من قوة الحدود . محمد محمود العديلي لمن شافهم قال له والله يا حميدة صديقنا ما هو كذاب هيات الخمسة مزبوط حولوا ، الطرفين عن خيلهم شعبان تبع بيسان كان يوخذ عشرة دنانير علاوة راتب على اطلاق النار فقط شعبان مد للاول الا هي في صدره وقباله طالعة تلمع من ظهره اللي انتخي على فوق راسه حميدة تبع طمون قال له عناك يا العديلي والله ما بنسحب من فوق راسك اما بذبح هالخمسة اما بنذبح على فوق راسك حميدة تبع طمون الله بعطيه السعد وبذبح الخمس ضباط بثأر ابوكباري وبفروا من الميذان لان بتتقاوى عليهم القوة محمد محمود العديلي بتاخذه حكومة بريطانيا وبتوفا معاهم في الطريق ويحملوه على ظهر بغل ويصيروا يفروا في شوارع نابلس اله اخو اسمه صالح ولو اخو اسمه جميل جلبتهم حكومة بريطانيا ونفتهم قعدوا بحزمه هالموجودة هذه ثماني سنوات ويتعرفهم مثل ما بنعرف هالوجوه صالح اخو ابو كبارى بصلي في صلاة الصبح وصدفة بعد الصلاة بقرا في سورة الرحمن الا اللي بدق في الباب قال له مين اللي طرق الباب قال له هذا انا ابن عمك يا صالح اجانا خبر ان اخوك مقتول ومرمي في سراية نابلس حضرت قرى جبل نابلس اربعة عشر بلد الصبح الا هن باب السراية هناك بدهم يعملوا ثورة عالقوات البريطانية اللي فينابلس اللي هذا الحركة حياة سليمان الشكعة الله يرحمه اخذوا ابو كبارى وروحوا عبيته بعد ما دفنوه في التراب شو قالوا

دار العديلي قالوا انتو يا مخاتير وختيارية الاربعتاعشر بلد والله ما فيكم واحد يمشي الا بعد ثلاث ايام الشباب بروحوا على اشغالهم تعدوا اختيارية ومخاتير الاربعتاعشر بلد من مشاريق نابلس في « بيتا » عند دار العديلي أول ليلة والثانية الليلة الثالثة بيجي حميده منشان يوخذ بخاطر أصحابه دار العديلي أول ليلة والثانية الليلة الثالثة بيجي حميده قالهم بشوف في خيل باب هالساحة قالوا له والله يا حميده هذول اربعتاعشر بلد اللي مجموعات في ساحة دار العديلي راح سلم عالختيارية وعلى مخاتير القرى واخذ بخاطر اصحابه قالهم معكم خبر يا دار العديلي قالوا له « لا » قالهم اللي وز على زلمتكم وسبب قتل زلمتكم فلان الفلاني من البلد الفلانية شو قال صالح العديلي قام قدام الاربعتاعشر بلد قالهم شوفوا يا أهل جبل نابلس قالوا له نعم يا صالح قالهم يحرم علي البس العقال(ه) بين الرجال ويحرم علي ارجع على بيتا وأصير من أهلهـا ويحرم علي انام في الفراش الحريم اما بذبح هالانسان في وسط سراية نابلس كوم اما بيجي مثل اخوي على ظهري كوم . الصبحيات صالح العديلي اخذ هالفرد البرابيلو وابو تاج بثلاث باغات احتياط للدفاع عن نفسه وروح على سرايـة نابلس الفشكة الفاظية في هذاك العصر كان حكمها يصرح من الثلاث سنوات الى الخمسة وان اجـا المسدس كان ينحكم الانسان خمستاش او اعدام صالح العديلي ثلاث ايام معرفش يفوت في سراية نابلس ولكن وين كان ينام عند صاحب اله من مدينة نابلس من دار الشكعة شو قال له المدني تبع نابلس قال له يا صالح بشوفك بتنامش في الليل . قال له انت والسر يا نابلسي قال له عليك الله ومحمد رسول الله قال لنا اقسمت اليمين ما بلبس العقال في هالجبل ولا برجع على بيتا ولا بنـام في فراش النسوان اما بذبح هالجاسوس الخائن في وسط سراية نابلس اما بنذبح جوة هالسراية والى ثلاث ايام مش صاحلي افوت قال لـه يا صالح المثل بقول الرجـال عند حاجاتها نسوان . الصبحيات بلبسك لبسة وحـدة من خواتي لبسة حظر وبوخذك في سيـارتي وبخلي موتور السيارة شغال باب سراية نابلس وبكتبلك استدعاء ع لسان بنت فعلا اللي بوخذ الاستدعيات هللي بدك تذبحه . اذا ذبحته ووصلتني اعرف انـه نفدتك واذا انذبحت قبل ما توصلني لا حول ولا .. قال له بس فوتني ما يهمكش انت الساعة ثمانية ونص الصبح قام صاحبه النابلسي لبسو لبسة وحدة مـن خواته لبسة حظر كتب له استدعاء على لسان بنت أخذه في سيارة لسرايا نابلس فات انو اللي لاقاه الخائن ابن الحرام قال له هات الاستدعا يا بنت واقعدي ع لبنك لما فات يحط الاستدعاء لما طلع من الاوظة صالح العديلي في ايده المسدس والفشكة تحت الظرب ولما طلع حط التسعة في صباحه . وهو نازل أنواللي لاقاه . لاقاه ولد من عصيرة الحطب عصيرة الشمالية اسمه عبد الرحمن كان صواري مع فايز بك الادريسي في القدس قال له انت صالح العديلي يا ولد قال له انا صالح أبعد عن طريقي مذبوح انت وغيرك كل واحد يعارضني مذبوح قال له من هان يا صالح انفذ المؤذي بقتل ولو في الكعبة لكن بظرب لك اشارة للحارس البراني اذا فتح لك طريق خير وكان به واذا الحارس مـا فتحلكش طريق اذبحه الثاني وحط في ظهري ما تخافش الحارس البراني فتح له طريق وصـاحبه الوفي محـظر له السـيارة مـن حد ما نفد في السيارة نفد فيـه عـلى غور الجفتلك قالوا انو اللي ذبح فلان قالوا له بنت اللـي ذبحتو صاروا يفتشوا في هالبنات . روح على بيته قلهم يا دار العديلي قيموا الافراح والليالي الملاح ذبحتلكم هالملعون في وسط سراية نابلس بروح صالح العديلي بعد اسبوعين يقول كلمتين قصيد وعمر السامعين يزيد ومن صلى على جمال النبي يربح ويستفيد .

أول كلامـــي في مديـــح محمـدا ... الهاشمـي سيــد ولـــد عدنـان
ليلة الثمانـي في ربيـــع الامجـدا ... نهـار الثلاثـا كنـت انـا فـرحان
فرحان في ذكر الالــــه تعبـــدا ... بقــرا واتلـــو بســورة الرحمـن

الا بطارش هاللـي بقولوا قد بدا | ما عنـدك علـوم الذي قـد كان
وقلت لـه والجسم منـي تبـددا | علـوم خـير تكـون يـا انسـان
قال لي على علـم نظـرته مؤكدا | وحيـاة ربـي مكـون الاكـوان
شفت ابو كبارى بالسرايـا ممـددا | حولـه العساكـر ناصبـة الميدان
لما سمعت الخبـر عقلي قـد غدا | واضحيت كنـي مـن الخمر سكران
واللـه من علـم علي قـد بـدا | فيه اخبـار بالشـوم والاحـزان
رحت عالسرايـا في حـال الـردا | قام النوبتشـي يا الربـع ناداني
قال لي على بغلـة جابوه ممـددا | طافـون فيـه ساحـة الميـدان
الويت راسي حتـى اسائل وانشدا | يا دمـع عيني تشوفهـا غـزران
رحت على السبيطار في حـال الردا | ارميـت نفسـي عالطبيب اهدانـي
شفتـه على تخت الرويـد ممـددا | والـدم جـار مبلـل القمصـان
يـا حيف سبع الغاب كـرم امجـدا | يصبـح دفـين بتـربـة الوهـدان
كل البلـد تبكـي عليـه وتتمجـدا | تبكي الرجـال وتنحـب النسـوان
شواربـه جنـح الغـراب مرقـدا | وعيونـه تشعـل كبـرق نيسـان
اربطوا للضبـاط هـم في المبتـدا | طلعوا دوريـة عـاد ع البلـدان
راح الخبـر لعابديـن مؤكـدا | اطلع لهم عسكـر نسـل شيطـان
حطوا المـوازر ع جنـوب الجودا | والواحد منهـم ما علـم بالثانـي
قال ابو اكبارى لحميـدة تعـددا | لنحـط فيهـم شعلـة النـيران
عديتهم خمسة مـا معاهم حـدا | والواحـد منـا مقومـن بثمانـه
احنا ان هربنـا عار ، طول المدى | وعلومنـا فاتت جبـل حـوران
صار الرمى بين الجماعـة سرمدا | وقع ابو اكبـارى والفتي شعبـان
قال ابـو كبارى لحميـدة مؤكـدا | وداعتـك يـا رفيـق لا تنسـان
قال له حميدة آه يا سبـع الفـلا | عنـدك لا بيـع الروح في الميـدان
قال له حميدة انهض تا شلك عاليدا | من فوق ظهري أوصلك الاوطـان
واجيبلـك خطيب قـاري معبـدا | وازرع ع قبـرك شجـرة الريحان
قال له حميدة كيف صرت لهم غدا | مـا زال بيـدك صنعـة الالبـان
قال له يا ابو ياسين راح اللي غدا | وقع القدر صـار البصر عميـان
واختـم كلامـي بالنبـي محمـدا | المصطفـى المخصـوص بالقـرآن

وخرجت التظاهرات في جميع المدن وطاردت الطائرات البريطانية رجال الثورة بقنابلها . واضرب العمال العرب في شركة البوتاس . وهاجم المجاهدون فصيلـة من الجنود البريطانيين ونسفوا الخط الحديدي بين القدس واللد ويافا . وقد ارخ الشعر الشعبي بعض هذه الاحداث واعطى صورة عن الثورة الشعبية :

المنـدوب فـي البلاغـات | قـال ومـا وقـع اصابـات
اعتـرف بجـرح الضبـاط | يعنـي الجنـد محجبـين
امـا نسـف القطـارات | صـار موضـة من الموضات
وانقـلاب الدبـابـات | شـلحوا العسـكر مرتـين
تـرخ عنـدك يـا زمـان | ظلـم وغـدر الغـربيـين

وهاجم الثوار مستعمرة كفار عصيون والتي ارخها الشعر الشعبي بهذه الابيات :

على كفـار عصيـون صار المنادى | يوم عبوس يـوم شـر واستطاره
حسين عمرو بنتخي مثـل زيدان | صبيان لعبـي اليوم عـج الغبارة
والحاج ناجـي بنتخي في اول القوم | يوم عبـوس يوم هـذا النهـاره

لقد كانت ثورة (٣٦ ــ ٣٩) عبارة عن شعب شبه اعزل مستنفر ضد قوات الانتداب البريطاني تؤازرها العصابات الصهيونية . وقد عبر الشعر الشعبي عن هذه الثورة بهذه الكلمات البسيطة التي تعكس حماس الناس للكفاح واستعدادهم للنضال :

وسجل يا قرن العشرين ع اللي جرى بفلسطين
ثلث سنين بالليالي ما نمنا بالعلالي
واحنا بروس الجبال للحرب مستعدين

ومن أبرز المعارك التي جرت معركة بلعا . ففي الثالث من أيلول عام ١٩٣٦ صدرت الاوامر لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجنود وطلب منها ان ترابط على الطريق بين طولكرم ونابلس للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية وعلمت بهذا قيادة الثوار من مخبريها الذين يعملون مع العدو ويخلصون للثورة فبثت الالغام في طريق السيارات وحين نزل الجند مفزوعين من السيارات أطلق الثوار رصاصهم وابتدأت معركة كبرى وكان الثوار يرابطون على جبلين متقابلين وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الاشجار وخلف الدبابات . ووصلت أثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس واصبح عدد الجند يقارب خمسة الاف جندي واشتركت خمس عشرة طائرة في المعركة واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان فحطم صخور الجبال وعصف بأثمار الاشجار وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين وكانت النسوة تزغرد لهم وتساعدهم بالعتاد والمياه والطعام . واصيبت في هذه المعركة اربع طائرات بريطانية وفقد الانجليز باعترافهم ضابط الطيران هنز والطيار لتكوني وضابطين آخرين والاونباشي دلكس .

ومن المعارك الاخرى التي خاضها الثوار الفلسطينيون معركة ترشيحا قرب عكا ومعركة جبع في قضاء جنين ومعركة بيت أمرين شمال غربي نابلس ومعركة الخضر التي استشهد فيها البطل السوري سعيد العاص ومعركة الدبابات في كفر صور ومعركة كبيرة في جبل الكرمل . وقد أرخ الشعر الشعبي لهذه المعارك وحيا مشاركة الاخوة العرب في المعارك :

جبل النار يا فوز الدين يفديك بالمال والبنين
ريح الجنة يا عالم فاح بمعركة وادي التفاح
استشهد فيها الفلاح حط السنجة بالمرتين
وقعة جرزيم وعيبال شيبت روس الاطفال
انخذلت فيها الانذال بفضل القائد فوز الدين
وبتطويقة بيت امرين كان فيها الثوار ستين
عنيك يا صلاح الدين اشوف شجاعة المجاهدين
انتشر الخبر بجبل النار هرعوا الناس اكبار وصغار
بمعركة مثلها ما صار تشبه لوقعة حطين
صار ادّمر خصم المي بمعركة جبع يا خي
طوت الامة الارض طي كرت على اللاعين
اما وقعة وادي دعون تشبه لحرب اليرموك
هذا الموت يا ظالم ذوق .. وهذه رجالك فلسطين
الدبابات في كفر صور تكسرت يا اورمسي غور
ان ما الغيت وعد بلفور اخرتكم تبقي مثل الطين
بتطويقة جبل المنطار دلى عقله منها طار
ما فيها طيارجي طار الا استجار بفوز الدين
أعظم معركة في بلعا كانت هي يوم الجمعة

استشهدوا فيها سبعة ... قتلاهم مش محصورين
والمندوب في البلاغات ... قال وما وقع اصابات
اعترف بجرح الضباح ... يعني الجند محجبين
اما نسف القطارات صار ... موضة من الموضات
وانقلاب الدبابات ... شلحو العسكر مرتين
فوزي البطل الشجاع ... اوقف ماله روحه باع
لتخليص هذه البقاع ... من ايدي المستعمرين
من بغداد دار السلام ... جانا ماشي ع الاقدام
يا نصارى يا اسلام هيوا ... القائد فوز الدين
بتطويقه نهر البركات ... جادوا العرب بالنجدات
والنسا رفعوا الرايات ... للشبان مزغرتين
قطعوا النهر بالامان ... والخصم شاهد عيان
ترخ عندك يا زمان ... ظلم وغدر الغربيين

وهذه القصيدة من مرويات الشاعر الشعبي محمود زقوت وهي تتألف من مقاطع والمقطع الواحد يضم ثلاث شطرات ذات قافية واحدة أما الشطرة الاخيرة فهي ثابتة بحرف النون . وقد حاول الراوي ان يستذكر معارك الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ — ١٩٣٩) ، وادى التفاح — جرزيم وعيبال — بيت أمرين — جبع — وادي دعوق — كفر صور — جبل المنطار — بلعا — وكذلك استعرض بطولات الثوار الفلسطينيين ومقارعتهم للانجليز واليهود دفاعا عن حقهم في أرضهم وضمن مطالبتهم بالغاء وعد بلفور والتشبث الاستعماري الصهيوني بالارض الفلسطينية .

ولقد كانت هذه المعارك معارك غير متكافئة يخوضها شعب شبه اعزل ضد قوات نظامية لأعتى دولة استعمارية في ذلك الوقت . وقد سجل المقاومون الفلسطينيون صفحات ناصعة من الاخلاص للوطن ونكران الذات . ومن ذلك انه حين تدهور القطار في كفر جنس ومحطة اللد كان الفاعل الشهيد حافظ صقر واقفا أمام القطار المتدهور يشاهده فأطلق عليه النار جندي فأصابه اصابة قاتلة ولما جاء رجال الشرطة يسألونه عن الذين اشتركوا معه في انتزاع قضبان الخط أجاب « لم يشترك معي أحد بل انا وحدي قمت بهذا الواجب الوطني .. اسقوني ماء » .. ثم اسلم الروح . وبينما كان العالم المسلم عبد الحفيظ أبو الفيلات يقود فريقا من المجاهدين كمنت له مفرزة من الجند واشتبك معها في معركة ، فلما سدد بندقيته اليهم لم ينطلق رصاصها لفساده فاستل خنجره وهجم يقاتل الجنود البريطانيين الذين عاجلوه برصاصة ذهب معها شهيدا . وتلك العروس الشابة التي لاحظت حزن زوجها حين لم يجد بندقية يشارك الثوار بها أمجادهم فباعت بيتها الموروث عن أبيها واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحا وشجعت زوجها محمود شحادة النابلسي على اللحاق بالثورة واسهم بشجاعة وبطولة حتى استشهد في معركة وادى الطواحين يوم ١٣ تموز ١٩٣٦ . ورغم الارهاب البريطاني والانذارات البريطانية فان ثورة ١٩٣٦ لم تتوقف الا برضوخ الهيئة العربية العليا لنداءات ثلاثة موقعة من ملك السعودية وملك العراق وأمير شرق الاردن الذين دعوا السكان للاخلاد والسكينة اعتمادا على حسن نوايا الحكومة البريطانية للصداقة . ووعدوا بمواصلة السعي في سبيل مساعدة الفلسطينيين .

وفي عام ١٩٣٧ عادت الثورة بعد توقف لم يزد عن أربعة شهور بعد الوساطة العربية . ومن أبرز الاحداث مقتل حاكم لواء الجليل اندروز بينما كان خارجا من الكنيسة الانجليكية في الناصرة وذلك ردا على اضطهاده للشعب وتشجيعه اليهود على سلب الارض العربية . وكذلك اغتيل موفات حاكم جنين والذي عرف بتحامله على السكان

العرب . فقد ارسل له يوسف ابو درة احـــد قادة الثوار من قتلـــه بعد انذار . ورد المندوب السامي على هذه الاعمال بحل اللجنة العربية العليا وعزل رئيس المجلس الاسلامي وابعدت من وقع في يدها الى جزيرة سيشل من اعضاء اللجنة المنحلة . أما الحاج أمين فقد اعتصم بالمسجد الاقصى ومنه هرب سرا الـى بيروت . وكان اسم الحاج امين يتردد في لازمة بعض أغاني السحجات « سيف الدين الحاج أمين » . وكان الحاج أمين يحظى بتأييد شعبي واسع لدرجة ان فنانا شعبيا قال فيه :

لـــو في نبـي بعــد النبـــي كان النبـــي هو الحاج امـــين

وازدادت الثورة شدة في عام ١٩٣٨ وقد تمكن الثوار في بعض الحالات من احتلال بعض المدن مثل بير السبع او اجـــزاء من مدن اخرى كما حصل في نابلس وازدادت أعمالهم الهجومية على مواصلات الانجليز وخطوط الهاتف والدوريات العسكرية . وظلت الثورة متأججة الاوار .. ولم يخمد لهيبها منذ اندلاعها في ١٩٣٦ وفي هذا العام ايضا تراجعت بريطانيا عن مشروع تقسيم فلسطين الذي اقترحته لجنة بيل قبل ذلك وفي عام ١٩٣٧ قالت ان هذا الحل لن يكون عمليا .

وعبر عام ١٩٣٩ ظلت الثورة مستعرة . وفي هذا العام استشهد القائد المشهور عبد الرحيم الحاج محمد خلال معركة مع القوات البريطانية فكان لذلك رنة حزن عميقة في البلاد التي رفعت الاعلام السوداء . واضربت المدن الفلسطينية لهذه المناسبة . وفي أيلول من عام ١٩٣٩ توقفت الثورة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية . وكانت القيادة مشردة . « كان المفتي الاكبر لاجئا في لبنان وكان يدير الحركة الوطنية من ملجئه . وكان يجب أن تدور حركته في أضيق الحدود والا طاردته فرنسا وحرمت عليه البقاء هناك . وكان عديد من زملائه ومساعديه موزعين بين لبنان وسوريا وكانت صلة الثوار بهذه القيادة تتم عن طريق التسرب الى البلدين العربيين الذين يئنان تحت وطأة الانتداب الفرنسي . ومن حدود سوريا ولبنان كان السلاح يهرب الى فلسطين . وكان يشترى من بعض المصادر التي كانت مفيدة مهما تصورنا ضآلتها وعدم حريتها في البيع . ولـــم يكن هناك سلاح غير ما يغنمه الثوار ويخطفونه من الجيش البريطاني او معسكراته»(٦) . وانتهت الحرب العالمية الثانية وكان قرار التقسيم والحرب العربية اليهودية عام ١٩٤٨ والتي عاش بعد هزائمها الشعب الفلسطيني سنوات المنفى .

القسم الثاني : أيام التشرد

بعد نهاية أحداث الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ وتوقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل من جهة وكل من مصر والاردن وسوريا ولبنان نشأ وضع سياسي جديد أدى الى غياب فلسطين عن الخارطة الدوليـــة للمشرق العربي وظهرت بدلا منهـــا دولة اسرائيلية ضمن أراضي النقب والجليل والسهل الساحلي الفلسطيني . أمـــا الجزء الباقي من الارض الفلسطينية فقد أصبح يعرف باسم الضفة الغربية من الاردن حيث أصبح الفلسطينيون فيها يحملون الجنسية الاردنية . وفي اسرائيل أطلقت السلطات المحتلة على السكـــان الفلسطينيين الذين ظلوا ضمن حدود الدولـــة المغتصبة اسم « العرب الاسرائيليين ! » . وكان من نتيجة الهزيمة العربية عام ١٩٤٨ وتشتت الشعب الفلسطيني ان تضافرت عدة عوامـــل خارجية وعـــربية تعمدت تغييب الشخصيـــة الفلسطينية عن الساحـــة المطالبة بحرية فلسطين واستقلالهـــا . وتواكلت الجماهير الفلسطينية واستكانت لوصاية الدول العربية على القضية الفلسطينية والتي اصبحت بارادة أصحاب المصالح المحلية والاجنبية قضية شعب من اللاجئين يحتاج الى حقوقه في الحياة على أرضه أو التعويض عن هذه الحقوق . وبدا ان مناقشة وجود الدولة الدخيلة المغتصبة للارض الفلسطينية أمر لم يعد يلح على المحافل الدولية. وقد استمر

هذا الوضع طوال العشرين عاما التي مضت بين حربي عام١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ والتي برز بعدها وجود الثورة الفلسطينية التي رفضت وجود الكيان الاسرائيلي المغتصب على أرض فلسطين ونادت بتحرير الارض الفلسطينيـــة من النفوذ الصهيوني الاستعماري واقامة دولة ديمقراطية يتعايش فيها وعلى الارض الفلسطينية كل من المسلم والمسيحي واليهودي . وقبل أن نتحدث عن صدى الفترة ما بـــين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ في الوجدان الشعبي الفلسطيني لا بد من رسم ملامح الاحداث الرسمية والشعبيـــة في الساحة الفلسطينية . ففي ٨ كانون الاول ١٩٤٧ قرر مجلس الجامعة العربية ان التقسيم باطل من اساسه وأمر بتزويد الفلسطينيـــين بالاسلحة والاموال والمتطوعين للدفاع عـــن أرضهم . وادى ذلك الى دخول الدول العربيـــة معركة فلسطين في أيار ١٩٤٨ وهم يعتقدون انهم يدافعون عن شرف الامة العربية ووحدة أراضيها . وبالرغم من ارتجال الدول العربية وعدم ثقتها ببعضها ببعض وعلى الرغم من سيطرة الاستعمار على معظم هذه الدول بشكل او بآخر فان مجـــرد تسيير القوات العربية في موعـــد واحـــد ضد الاستعمار الصهيوني يدل على التزام الامة العربية بالدفاع عن فلسطين . واستبشر الناس بجيوش الدول العربيـــة التي هبت لتحرير فلسطين من الصهاينة وقال المغني الشعبي في ذلك :

الجيش السوري دفع قواتـــه والجيش العراقـــي بمدرعاتـــه
والجيش الاردني باستحكاماتـــه ولا تنهمـــي يـــا فلسطينـــا

وعندما دخلت الجيوش العربية النظامية فلسطين ولم تفعل شيئا بسبب الهدنة وتخاذل القيادات السياسية في البلاد العربية ذهل الناس أمام الحقيقة المرة ، وأخذت الجماهير تستغرب موقف هذه الجيوش :

تقول جيوشنا ماكـــو اوامـــر غدا نحمـــي البلاد اذا أمرنا

كانت السخرية من « ماكو أوامر » وتخـــاذل القيادات السياسيـــة والعسكرية زاد الجماهير اليومي . وقد عانت الجماهير من خيبة امل كبيرة وهي ترى الجيش المصري ينهزم في النقب وتحاصر قواته في الفالوجة ، والجيش الاردني لا يستطيع القيام بشيء ازاء احتلال اللد والرملة ومطالبة اليهود بالمثلث والجيش السوري لا يستطيع القيام بأي انجاز . والجيش اللبناني يتراجع أمام العصابات الاسرائيلية . أما الجيش العراقي فلم يستطع احد أن يفسر معنى صمت مدفعيته العظيمة التي قيل انها قادرة على محو اليهود وتجفيف البحر . وعن هذه التساؤلات وعن خيبة الامل هذه عبر أحد الفنانين الشعبيين في مجلس شعبي بمدينة جنين ضم قادة الجيش العراقي وجماهير شعبية احتشدت للاحتفال بذكرى شهداء معركة جنين . وقد حضر الاحتفـــال ــ على حد رواية أحد الفنانين الشعبيين ــ مجموعة من مطربي الاحتفالات الشعبية منهم عبداللطيف العجاوي وحافظ موسى وابراهيم العراني وعساف ظاهر ويوسف البرغوني(٧) والحزرق . وبعد استعراض « اطراد » الخيل والدبكة والسحجة بدأ الفنانون الشعبيون في كيل المديح للجيش العراقي والمناضلين ، ثم طلب عساف الامان ليقول بيتا من العتابا فأمنه عبد الكريم قاسم ــ العقيد العراقي ــ فقال مخاطبا احد القادة العراقيين واسمه صالح زكي :

ليش ماكو اوامر يا ابو زكي وبناتنـــا بين الهاجانا بتشتكـــي
يومن جيتونا من العراق محافظين قلنا بفلسطين اكتسحنا المعركة

وبنتيجة حرب عام ١٩٤٨ غابت شخصية « القطر العربي الفلسطيني » عـــن خارطة الشرق الاوسط وانقسم هذا القطر الى ٣ فرق احداها سميت اسرائيل والثانية سميت « الضفة الغربية من الاردن » والثالثة « قطاع غزة » والذي الحق بالادارة المصرية .

وامتلك الصهيونيون اجزاء اخرى « المثلث وخمسين الف دونم من اراضي الخليل » بعد ذلك وبنتيجة اتفاقية الهدنة مع الاردن . وعبر سنوات الهدنة الطويلة من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٦٧ اقترف الاسرائيليون المزيد من الاعمال العدوانية عبـــر حدود الدول العربية كمجزرة قبية (١٩٥٣) والهجوم على نحالين (١٩٥٤) وعلى غزة (شباط ١٩٥٥) وعلى المواقع السورية (كانون الاول ١٩٥٥) وعلى قلقيلية (أواسط ١٩٥٦) وعلى سيناء وغزة بالتواطؤ مع فرنسا وبريطانيـــا في سورة الغضب الاستعمـــاري الصهيوني من تأميم شركة قناة السويس .

ومع ذلك فلقد ظل الوجدان الشعبي الفلسطيني يرفض الرضوخ للامر الواقع . ولم يكن من المعقول ان تتقبل الجماهير التسليم بخسارتها لاراضيها وديارها وتراثها وذكرياتها ذلك ان المليونين وثلاثمائة وستين الف صهيوني الذين يعيشون على الارض الفلسطينية والذين يمتلكون الان بوسائل الحديد والنار كل الاراضي الفلسطينية يمثلـــون في رأي الانسان الفلسطيني انجازا من انجازات الامبريالية ليس الا . فاليهود الذين تسللوا الى فلسطين او كانوا موجودين فيها ابان الحكم العثماني وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى لم يشكلوا سوى اقلية من ستة وخمسين ألف يهودي فقط يملكون (٢ ٪) من الاراضي الزراعية اما الامر الواقع فهو شيء لم يكن في تصور الانسان الفلسطيني مهما ساءت التصورات .

وقد كان رد فعل الوجدان الشعبي الفلسطيني ازاء الضربات المتكررة يتفاوت من اجترار الاحزان الى الذهول الى الرفض الى التحدي ثم الى طرح مبدأ المقاومة المسلحة . وعبر الاعوام العشـــرين التي تلت عام ١٩٤٨ وقبل ذلك وفي فترة الانتداب البريطاني ظل الوجدان الشعبي الفلسطيني يرفض الوصاية والاحتلال والتقسيم واذابة شخصيته وتمييع قضيته فالشعب الفلسطيني لم يساوم قط ولم يتخل عن مطالبه بالحرية والاستقلال ورفضه لاي شكل من اشكال الاستسلام . وقد عبرت الجماهير الشعبية الفلسطينية عن رفضها لكل تحرك في طريق الاستسلام وبالعكس غنت للثورة والثوار واصبحت الاهازيج التي تمتدح الثائرين أغاني يومية تقال في مناسبات زفة العريس :

هـز الرمـح بعـود الزيـن	وانتـو يـا نشامـى منـين
واحنـا شبـاب فلسطـين	والنعـم والنعمتـين
في بلعـا ووادي التفـاح	صارت هجمـة وضـرب سلاح
يـوم وقعـة بيـت امريـن	تسمـع شلـع المراتـين

واعتاد الشعراء الشعبيون ان يرددوا للجماهير المحتفلة في مناسبات الاعراس الشعبية الحكايات التي تداولتها الجماهير عن الثوار والثورات وذلك في لهجة متعاطفة مع أولئك النفر من الطلائع التي حملت السلاح وشهرته في وجه الاحتـــلال البريطاني والغـــزو الصهيوني للاراضي الفلسطينية ، كما يبدو في هذه القصيدة الشعبية التي يرويها محارب ذيب(٨) :

انا لخبـرك يا عمي عن اللي جرى لنا	واخبـرك بالصحيـح والموجـود
التقينـا خمس قواد في ساحة الوغى	معانـا شبـاب مسلحـة ببـارود
معانا ابو ديـة ولا يا عز ما انتخى	يا مثلـه بالملك ما صارش موجود
معانا ابراهيـم خليف هو وعصابته	بيده بارودة وشغـل ابـن داوود
ومعانا ابو الوليـد يا طيـب الثنـا	وسد على العسكـر ثلاث سـدود
وانا عبد القادر يا عمـي ما بينهم	يا ديمـة لذكرى بالملـك موجـود
صار الرمي يا عـم والله بيننـا	ثلاطاشر ساعـة كامـلات عـــدود
احرقنـا الدبابات يا عمـي جميعها	اكسبنـا ذخيرتهـم مـع البـارود

انسعبنا بسلم يا عمي جميعنا | ولطف بنا هالواحد المعبود
الا ومكتوب من الشلف جالنا | ان جبل الخليل في بعضه مفسود
بعد سبع ايام ركبنا خيولنا | نزلنا على ارض الخليل نرود
اخذنا مشايخ للصلح لا يا عمنا | لا ما يوخذوا بين القرايا مهود
نزلنا ع بني نعيم يا عمي جميعنا | الف مسلح كايلين عدود
اربع وعشرين طيارة ال حامن ع فوقنا | وميتين دبابة ال قامن لرعود
والفين جندي طوقوا بذيالنا | معاهم مدافع وحاملين بارود
بعيني نظرت السبع لما انه ارتمى | ابو خليف يا ابن الكرم والجود
غشيوه بالسنجات والله يا عمنا | ما كانوش يوخذوا عنه ردود
بلاكن ع ابو قدوم يا ويل حالتي | يا مثله بالملك ما صارش موجود
بارودته بالصوت لما انها ارخصت | تكسر يا عمي حجارة الجلمود

هكذا كانت روح المقاومة والتعاطف مع كل ثورة وانتفاضة بمثابة الخبز اليومي للجماهير التي كانت تغني لابطالها في العرس الشعبي وفي المجالس وحتى في الخلوات الفردية وأوقات العمل . ولنواكب المشاعر الشعبية وانطباعات الجماهير كما برزت في الفولكلور الغنائي الفلسطيني . فهناك ظاهرة عامة واساسية لا بد من ملاحظتها وهي ان شعب فلسطين لم يمل ولم يكل طوال فترة كفاحه ومطالبته بحقه بالحرية والاستقلال والعيش بسلام كما انه لم ينس جرائم أعدائه وتآمر جلاديه الذين ظلوا يعتدون على آماله وأمانيه ويضربون تطلعاته الخيرة . وكذلك عبر الفنان الشعبي عن هذه الظاهرة بقوله :

قال المثل عمر الاسى ما بنتسى | وع شط بحر الفن مركبنا رسى
هالطير هاللي بالامس جنحه انكسر | بحاول الفرار او ريشه كسا

فالهزائم المتلاحقة والضحايا الكثيرة التي قدمها شعبنا في طريق الحرية والاستقلال لم تكسر جناحه بحيث يتوقف عن مطالبته بحقوقه ، وظل شعبنا يتشبث بأهداف المقاومة وكلما فشلت ثورة او انتفاضة عاد يستجمع قواه في اصرار عنيد لتحرير أرضه . وطوال فترة النزال ظل شعبنا يغني للسلاح وحمله ، واصبح حمل البارودة ، ومصاحبتها أمرا مرادفا للثورة والشجاعة . وتغنت النساء ببطولة « البواردي » الذي يحمي العذارى ويرد كيد المعتدين لدرجة ان الوجدان الشعبي فضل البارودة على الام :

يا عربي يا ابن المجرودة | بيع امك واشتري بارودة
والبارودة خير من امك | يوم الثورة تفرد همك

ومع مضي الزمن ومع تخلف البارودة عن مواكبة التقدم التكنيكي في ميدان التسلح عاد الوجدان الشعبي يطالب :

بدنا مدافع بدنا سلاح | لوطننا هاللي راح

ثم اخذت الجماهير تتغنى بأنواع حديثة من الاسلحة اثبتت فاعليتها ومقدرتها على منازلة الأعداء . وتراجع السيف الذي كان يحتل مكانا مرموقا في الاغنية الشعبية وفي الوجدان الجمعي للناس . ومن الطريف أن يحتل اسم سلاح حديث مكان السيف حتى في الخط الواحد نفسه من أنماط الاغاني الشعبي . وبعد ان كان شعبنا يغني للسيف ويقول :

سيفنا يخلي الدم شلال

تراه اليوم يقول :

كلاشينكوف يخلي الدم شلال | وديكتريوف يغطي انسحابنا

وفي فترة نصف القرن موضوع الحديث كانت الامال الشعبية تتراوح بين الامل والتشاؤم بين الحزن والذهول مع الاصرار دائما على ان النصر لا بد أن يكون لنا . وقد ابتدع

الوجدان الشعبي للجماهير معتقدات راجت بأن الاعداء سيظلون في فلسطين سبعة ايام او سبعة اشهر او سبع سنين او سبعماية سنة . في الواقع لا يعنينا من هذا سوى شيء واحد هو وجود اعتقاد راسخ لدى الجماهير بأن الارض العربية الفلسطينية لا بد وان تتحرر يوما ما وان الاعداء لا بد ان يرحلوا والى غير رجعة عن بلادنا .

لقد كانت الفاجعة التي حصلت عام ١٩٤٨ بقيام دولة يهودية على انقاض الشعب الفلسطيني اكبر من ان يستطيع وجداننا ان يهضمها او يتقبلها . كانت الجماهير تنتظر يوم الخامس عشر من ايار لتحرر اراضيها من تكالب الغرباء . لقد كانت الفاجعة شيئا غريبا عجيبا لم يجد الغناء الشعبي ازاءه من تصرف سوى التفجع والذهول :

قال احوال الدهر خلتنا عجيبا	انتصار الخصم علينا غريبا
وبهذا الوقت شفت لكم عجيبا	سبع يا عرب في ثم ارنبا

وتتفجر ينابيع الحزن بهذه الكلمات :

قال عتابا وما بحطلك مذلة	والشكوى غير للمولى مذلة
الويش اللي نجع والسبع ذلا	وفرخ اليوم يصطاد العقاب

في هذه الكلمات ندب الشاعر الفلسطيني وتفجع على مصيره وعكست الاغاني الشعبية الدهشة الكبيرة من الهزيمة . كما كانت مقاييس الشعب للاحداث تعتمد على المقارنة بين الكثرة والقلة وبين الرجال الابطال والانذال :

قيسوا بني اسرائيل كالفرسان	التي كانت تغازينا ونغزيها

وصارت الدار رمزا لما يكدس الانسان الفلسطيني احزانه فيه فهو يودعها ويتشوق اليها ويعدها بالشيد والحنا اذا عاد اليها :

جيت اودعك يا دار شملاي	غريب امسح دموعي شملاي
انا ان طال الزمان ومارد شملاي	عيوني من البكا بترشح دما

ويقول :

يا دار يا دار من عدنا كما كنا	لاطليك يا دار بعد الشيد بالحنا

لقد بكى الانسان الفلسطيني وندب لكنه لم يستسلم . ظل الفنان الشعبي الفلسطيني يغني ليوم النصر والعودة . حاول ان يناقش اسباب الهزيمة ولاحظ ان ذلك كامن في تفرق العرب وعدم اتحاد كلمتهم . ويبدو الفلسطيني في اغانيه الشعبية طالب تحرير وطالب وحدة وهو يربط الوحدة بالتحرير ويراهما أمرين متلازمين :

قالوا خسارة العرب اكبر خسارة	اسلى هالجمع ما هو خسارة
على اللد وعلى الرملة خسارة	يدوسوها العدا ونحن عرب

ويصبح يوم التحرير حلما جماهيريا تهفو اليه قلوب الجماهير وتنتظره فهو اليوم الذي يغسل العار ويزيل الهزيمة والمذلة . لقد تصور شعبنا فرصة التحرير محصورة في الزعيم المحرر فغنى للزعماء واهتز طربا لتصريحاتهم وتحركاتهم وافتخر بهم . والفنان الشعبي يبدو تارة حزينا ينادي الزعيم المحرر المنتظر وتارة فخورا مترقبا :

يا ويلي وين الذي يحرر وطننا	يا ذكره بالملك شعشع وطنا
ولا بد يرتجع هو وطنا	لو نجوم السما بتسكب اطواب
بذكرك يا بطلنا طرب راسي	يااللي اسطولك باحياء الخصم راسي
قال عدوك في البحر لو كان راسي	بخيط العنكبوت بينسحب

هذا ما غناه الفنان الشعبي الفلسطيني في المنفى ، وفي الارض المحتلة لم يصلنا من اغاني شعبنا سوى تلك الاغاني التي تتحدث عن المقاومة والاستبسال والصمود . ولا شك ان اخواننا هناك قد غنوا للالم وندبوا الضحايا التي سقطت في الجليل والمثلث والجنوب وفي مجازر كفرقاسم وتظاهرات الناصرة والرملة . وهناك على الارض الفلسطينية حيث تتكاثف عناصر شعبنا في الجليل والمثلث والجنوب وغزة والضفة الغربية لم تعدم الاغنية الشعبية الفلسطينية وسائل التعبير عن الموقف الجديد .

لقد ظل الادب الشعبي بعد سقوط فلسطين عام ١٩٤٨ هو المكان الذي عبر فيه الشعب المغلوب على امره عن اشواقه للحرية . وكان الادب الشعبي وما زال قلعة المقاومة لان الادب الفصيح ظل يعاني من حصار ثقافي . وشاركت الاغنية الشعبية في المنطقة المحتلة في الاحداث الاجتماعية وسجلتها بصورها المتعددة واحتفظت برصيد زاخر منها كما تجاوبت تلك الاغاني في الاحداث العربية خارج الارض المحتلة وقد دلل الشعب المغلوب هناك على وحدة المصير مع العرب في كل مكان . ويبدو انه حين كانت تتحول الاعراس في الجليل الى تظاهرات عنيفة تندفع من تحت لسان القوالين والشعراء الشعبيين لم يكن بوسع السلطات الصهيونية الا ان تفتح النار على المتظاهرين ، وقد اضطرت هذه السلطات لتقديم القوالين والشعراء الشعبيين وحدائي الاعراس للمحاكمة العسكرية وان تضع رقابة صارمة على تحركاتهم . وكثير من عرب المنطقة المحتلة يعتقدون ان مصرع الشاعر الشعبي المعروف باسم « حميد » في ام الفحم وهو على راس تجمع كان محاولة للوقوف في وجه الاف المواويل والعتابا والميجانا التي كان يزرعها في طول البلاد وعرضها ضد الاغتصاب وحكم الاغتصاب .

لقد ارتفع صوت القوال في وجه المتعاونين مع المحتلين . وهذه القصيدة الشعبية يلوم فيها المغني سمعة من اشتركوا في قائمة اشكول الانتخابية :

اما تفرج يا سلام ع العجايب والتمام
شوفوا فرسان المراخ داخو ومعلمهم داخ
شوفوا سيف شوفوا ذياب اخشاب بشكل النواب
مع جبر وعوض نخلة وسليم وباقي الشلة
كل من يستنى سيدو اشكول تيحرك ايده
زلم تجمع الهموم مع الظالم ع المظلوم
لازم نصفع على طول كراكوزات ليفي اشكول

الاغنية الشعبية في المنطقة المحتلة ترفض الاحتلال الصهيوني وتؤكد عروبة الارض والشعب وتنادي بالاتحاد بوجه الغاصبين :

نادى المنادي في الجليل ارض العرب في العرب يا حلالي يا مالي
شاغورنا مالك مثيل وترابك اغلى من الذهب يا حلالي يا مالي
وبوحدة رجال الشاغور امر المصادرة انشطب يا حلالي يا مالي
دايان امرك مستحيل بالوحدة راح ينشطب

ان النصوص المتوفرة لدينا والتي تتردد على السنة الفنانين الشعبيين الفلسطينيين في المنطقة المحتلة تحمل نغمة التحدي بمقدار اكبر مما تحمله نصوص اخرى في الفترة نفسها للفنان الشعبي الفلسطيني في المنفى . ويفسر ذلك امران — الاول ، مدى الاضطهاد الذي يعانيه الانسان الفلسطيني داخل ارضه والثاني ، هو معايشة هذا الانسان للنكبة وهول الفاجعة التي يحس بها اللاجئون الفلسطينيون داخل فلسطين بالقرب من اراضيهم المصادرة وبيوتهم المهدومة .

لقد حملت فترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٥ ملامح واحداثا سياسية بارزة عاشتها الجماهير

الشعبية بكل دقائقها وبكل ما فيها من ساعات النصر والخذلان والنشوة والركود . ففي هذه الفترة انقسمت الارض العربية الفلسطينية الى قسمين : قسم محتل صار يحمل اسم اسرائيل ويضم نحو ٧٠ الف عربي تزايدوا الى ٣٠٠ الف عربي في حوالي عام ١٩٦٧ والقسم الاخر صار يحمل اسم الضفة الغربية من الاردن بعد توحيد ضفتي الاردن في مؤتمر اريحا . وبدا كأن ستارا حديديا زرع بين القسمين وبعد توقيع الهدنة لم يكن يجري بينهما سوى اتصال طفيف عن طريق رجال الهدنة وبوابة مندلبوم في القدس وفي الاعياد المسيحية وقد ازدهرت الصلات بين الضفة الغربية والضفة الشرقية من الاردن. وبمرور السنوات اخذ الفلسطينيون يتجهون شرقا ، الى غور الاردن وسهول حوران ومدينة عمان طلبا للرزق وبدأ يتكون مجتمع اردني فلسطيني متمازج . كما تزايدت علاقات الفلسطينيين مع اخوتهم العرب اللبنانيين والسوريين والعراقيين والمصريين وان كانوا قد حصلوا في هذه الاقطار على حقوق متفاوتة دون ان يحصلوا على جنسية القطر الذي يقيمون فيه . ومن ناحية اخرى فقد شارك الفلسطينيون في هذه الاقطار بشكل او باخر بالنشاط السياسي وفي كوادر جيوش هذه الاقطار . وبشكل خاص فقد انخرط الفلسطينيون في صفوف الاحزاب السياسية وتجاوبوا مع الاحداث العربية تجاوبا كاملا على اعتبار ان المخاض الذي تشهده الامة العربية هو المقدمة التاريخية لتحرير الارض العربية الفلسطينية . وقد انجذب الفلسطينيون بشكل خاص وفي مستهل هذه الفترة الى الاحداث في كل من مصر وسوريا ، فقد كانت العراق آنئذ في ظل العهد الملكي وتراود نفسها للارتباط بالقوى الغربية . ومع السنوات الاولى من قيام الثورة في مصر تجاوب الفلسطينيون أشد التجاوب مع موقف مصر من القضية الوطنية العربية بشكل عام . وكانت أجهزة الاعلام المصرية تعززها خطب الرئيس جمال عبدالناصر قد أخذت تبشر بالدعوة لتحرير الوطن العربي من « المحيط الاطلسي الى الخليج العربي » من النفوذ الاستعماري واقامة دولة عربية واحدة حرة مستقلة وردت الجماهير الوحدوية في المناسبات الوطنية :

من المحيط الهادر
الى الخليج الثائر
لبيك عبد الناصر

ولاقى ذلك حماسا منقطع النظير في اوساط الشعب الفلسطيني وخاصة بعد التعاطف الكبير الذي ابدته مصر ازاء الوقفة البطولية التي وقفها الفلسطينيون والاردنيون في وجه مبعوث حلف بغداد الجنرال تمبلر وكذلك في وجه الحكومة الاردنية (اذ ذاك برئاسة هزاع المجالي) التي كانت تود الدخول في حلف بغداد . وكان ان اقال الملك الحكومة تلبية لرغبة الشعب وارتفعت الارادة الشعبية باسقاط حكومة الاحلاف . وفي هذه الاثناء كسر عبد الناصر احتكار السلاح بالصفقة التي عقدها مع المعسكر الشرقي ثم قام بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس وصمد في وجه العدوان الثلاثي على مصر وتحقق انسحاب المعتدين في وقت لاحق . وقد لاقت المقاومة البطولية التي ابداها الشعب المصري في وجه العدوان الثلاثي تجاوبا شعبيا عربيا رائعا وتناقل الناس بفخر واعتزاز مساهمة الضابط السوري « جول جمال » في المركة البحرية التي ادت الى تحطيم السفينة الفرنسية « جان بارت » . واعتبر ذلك بادرة لوحدة الدم العربي والتي هي مقدمة لوحدة الامة العربية وقد هتف المتظاهرون العرب في القدس وعمان ودمشق وبيروت والقاهرة لشهداء العدوان وابطاله ولصمود مصر في وجه الغزو الثلاثي . ومن مرويات الفنان الشعبي الفالوجي « عبد العزيز كتكت » هذه الابيات من الشعر الشعبي التي تسجل شيئا من أحداث العدوان :

سنة الست وخمسين اي سووا تدابير   **على بور سعيد تا ينولوا القناة**

ولاقاهم جمال في دق النفير — قاله يا ايدن تقهقر لورا
انا عندي سلاح الروس وعن الحرب لومي — ارجع يا معكوس وعاود ع المياه
اهل المظلات اي عيشتهم شمات — راحو طعامات لحيتان المياه
رحمة الله على السوري جول جمال — اكبر بارجة برخها الهم في القناة

وبلغ التعاطف الشعبي مع عبد الناصر كزعيم عربي مؤهل لخوض معركة تحرير فلسطين ذروته :

مكتوب على جبيننا — عبد الناصر حبيبنا
مكتوب على قلوبنا — عبد الناصر محبوبنا

وتغنت الجماهير باسم الزعيم العربي البطل وصبت اللعنات على خصمه السياسي آنذاك نوري السعيد الداعية المتحمس لادخال البلاد العربية في الاحلاف الغربية ، وسخرت من ايدن زعيم الخطة الثلاثية على مصر :

عز العروبة لجمال — والذل لنوري السعيد
ايدن على كرسيه — سهم اصابو في الوريد

وقد غطى الولاء للزعيم او الحزب على الولاء للعشيرة او الولاء الديني وان ظلت بعض الملامح القبلية وبعض الحزازات الدينية كامنة . وابتداء من اوائل الخمسينات بدأت الاحزاب السياسية تقتسم الولاءات الشعبية ، فغنت جماهير البعثيين للوحدة ولزعماء حزب البعث :

لاطلع على ظهر الحيط — لاطلع على ظهر الحيط
وانادي للعروبة — وعلا
ويا عفلق الله يديمك — يا عفلق الله يديمك
حققت لنا الحرية — وعلا
ونادي بصوتك ع اكرم — نادي بصوتك ع اكرم
حققها اشتراكية — وعلا
ويلي ما احلاها — الوحدة العربية
ويلي ما احلاها

وحاولت جماهير هذا الحزب ان تترجم شعارات حزب البعث في الحياد والوحدة :

لا شرقية ولا غربية
بل عربية اشتراكية
بل بعثية اشتراكية

اما عن الوحدة بين سوريا ومصر ثم الاردن فقد هتفت جماهير حزب البعث طويلا لهذا الشعار :

وحدة مصر وسوريا — جسر الوحدة العربية
مصر وسوريا يا ناس — هن للوحدة اساس
بدنا الوحدة بكرة بكرة — مع مصر الشقيقة الكبرى
بدنا الوحدة باكر باكر — مع هالاسمر عبد الناصر

وشاركت جماهير حركة القوميين العرب وحزب البعث في الالحاح على الوحدة كمطلب شعبي وابراز عروبة الشعب العربي والواحد :

علم الوحدة بسبع نجوم — اولها نجمك يا ناصر
ثانيها نجمة سوريا — وثالثها نجمة وهران

شعبك جبار يا عروبة	حديد ونار يا عروبة
ع الاستعمار يا عروبة	على الرجعية يا عروبة
دمنا حديد يا عروبة	حديد ونار يا عروبة

اما جماهير الحزب الشيوعي فقد كانت على ولائها للحركة الشيوعية العالمية واستمرت تمجد الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية وحركة السلم العالمي وتندد بالاستعمار العالمي والتسلح النووي وتغني للسواعد التي تحمل المنجل والشاكوش :

خبز وسلم وحرية	مطالبنا الشعبية
شعار المنجل والشاكوش	ومبدا الماركسية
ساعة تقويط الحكام	بين صباح ومسية
تقويط حكام الكرتون	اهون من غمظ العيون
كل ما منها عم يهون	وبالثورات الشعبية
شعاري شاكوش ومنجل	فيه النصر بتعجل
يا مستعمر ترجل	عن البلاد العربية

وأود هنا ان اشير الى ظاهرة التحام الجبهة الفلسطينية الاردنية في وجه المؤامرات الغربية والاحلاف واعمال العدوان ويهمني من مظاهر هذه الجبهة في صدد بحثي هذا القواعد الشعبية الفلسطينية الاردنية وقد ساعد على تماس هذه القواعد ثم تلاحمها في وجه الابتزاز الاستعماري ان الحركات السياسية الوطنية ضمت في صفوفها الجماهير الفلسطينية والاردنية على السواء . وكان ابناء هذه الجماهير يهزجون في كل مناسبة وطنية وفي كل انتفاضة . ولم يكن الفلسطينيون وحدهم هم الذين نقلوا الى منافيهم الاهازيج الهادرة الثائرة بل ساهم شباب من الاحزاب السياسية الرئيسية في الاردن ببذر بذور اهازيج باللهجة المحلية في الضفة الشرقية من الاردن . واذكر ان جماهير لواء نابلس تلقفت بنشوة واهتمام اهزوجة وطنية بلهجة اربدية قدم بها محام شاب من جماهير حزب البعث :

يا عربي يا ابن المجرودة	بيع امك واشتري بارودة
والبارودة خير من امك	يوم الثورة تفرج همك

وبدأ يسود انطباع في اذهان الجماهير بان قضية التراب الفلسطيني لم تعد قضية الفلسطينيين وحدهم . واخذت تبشر الجماهير الوحدوية بنظرية مؤادها ان تحرير فلسطين سيكون نتيجة حتمية لوحدة الامة العربية . وقالوا ان ضياع فلسطين لم يكن الا نتيجة لتمزق الامة العربية وارتباط الحكام العرب بعجلة النفوذ الاستعماري يوم كانت اراضيهم محطات للقوى العسكرية الاستعمارية ويوم كانت قياداتهم السياسية مرتبطة جدليا ومصلحيا مع النفوذ الاستعماري .

وقبيل حرب حزيران عام ١٩٦٧ نحس بان النصوص الفولكلورية الغنائية تجتر احداث السنوات التسع عشرة التي تلت هزيمة ١٩٤٨ وتوحي هذه النصوص بخيبة الامل التي تحس بها الجماهير اثر الهزائم المتتالية التي نكبت بها وخيل للجماهير ان يوم التحرير قد اصبح يوما سرابيا وفي الوقت نفسه كانت الاحداث تشير الى ان العدو الاسرائيلي ينمي قوته العسكرية باضطراد دائم وعلى اسس علمية حديثة تدعمه في ذلك قوى المعسكر الغربي وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية ، فلقد انتكست حكومة التجمع الوطني في الاردن ١٩٥٧ وسرعان ما فشل الانقلاب العسكري في العراق ١٩٥٨ في تحقيق الثورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ثم كان الخلاف الذي اعلنه عبد الناصر بين اليسار العربي واليسار الشيوعي والذي حدا بشيوعيي العراق لمحاربة الوحدة العربية وارتكاب مجازر ضد الوحدويين في العراق واثر محاولة الشواف لقلب نظام الفريق عبد

الكريم قاسم . ثم جاءت الطامة الكبرى عندما تحطم امل الجماهير العربية في قيام دولة عربية واحدة في الوطن العربي بقيام الطغمة العسكرية التي فصلت الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة عن دولة الوحدة . وكان لذلك رنة حزن عميق في الاوساط الشعبية الفلسطينية/الاردنية . ولقد عبرت هذه الجماهير فيما بعد (بعد عام ٦٣) وعندما لاحت من جديد بشائر الوحدة بين اقطار مصر وسوريا والعراق عن تأييدها اللامتناهي للحركة الوحدوية العربية ولكنها صفعت بعنف في الداخل. وفي الخارج سرعان ما تلاشت الامال بقيام تلك الوحدة وبدأت المهاترات الكلامية والشتائم والسباب تتراقص على أجنحة الاثير والتي تبادلها اطراف الوحدة كل للاخر . وكان أن تبخرت فقاعات مؤتمر القمة عندما أغار الطيران الاسرائيلي على المشاريع العربية لتحويل مياه نهر الاردن ونسفت بذلك المشاريع ونسفت بذلك امال الذين تعلقوا بتلك المؤتمرات وقراراتها . ثم كانت الصفعة الأخيرة التي تلقتها الجماهير بعد انتفاضتها وغضبتها لما حدث في معركة السموع بين الاسرائيليين والجيش الاردني اثر نشاط فدائي ملموس في المنطقة . وكان أن بدأت التظاهرات الغاضبة لما حدث في الخليم ثم انتشرت الى سائر انحاء الضفة الغربية من الاردن . وبذلك كانت الاعوام التسعة عشر التي تلت هزيمة ٤٨ أعواما من الفشل وخيبة الامل والتهاون وخيانة المصالح الحقيقية للجماهير . وعن هذه الاعوام يتحدث الفنان الشعبي :

هاي عشرين عام واحنا في العسير	طالت المرظة ولا لقينا دوا
وكيلوا اليهود بالصاع الكبير	اخذوا فلسطين ما ردوا ع حدا
غضنا السنة والقرآن	ولحقنا اعمال الشيطان
كاتب علينا ننهان	كله مسطر ع الجبين
قدر علينا الستار	سلط علينا الكفار
بالقلة وقيزان النار	تركظ واحنا فزعانين
قدر علينا الخلاق	جينا ودشرنا الارزاق
شربنا علقم ما ينذاق	في الخان بنشحد طحين
وصرنا نبشر بعضنا	تاجانا السمنة والسردين
وضيعنا الاسم العتيق	صار اسمنا ملاجين
واللي بتعنقل كرته	مقتعس الصوص المسكين
ومش عارف يرجع عالدار	خلى اولاده جعانين
وحامل كيسه راح عالخان	قالوا لو اطلع من هان
كن جره من عرق الذان	قاله كرونك مقطوعين
يللي قطعت لكروت	ربتك ع جهنم تفوت
ما معنا ولا شحتوت	كل الخلق مفلسين

وفي ختام هذا المقال اضع بين يدي القارىء هذا النص الشعبي الذي يجتر احزان الاعوام العشرين ، ويصور الضياع الذي حل بالشعب الفلسطيني . ويعطي النص صورة عن الجماهير المشردة التي هامت على وجهها بعد الهزيمة الهزائم المتتالية باتجاه الشرق وبعد سقوط بعض المدن العربية الفلسطينية وتسليم البعض الاخر بالمؤامرات او بعد الاتفاقيات الذليلة . ويفيض النص بالتحدث عن « ذل الوقفة على باب التموين » تلك الوقفة التي اضطرت عليها الجماهير التي تعاني من الفاقه بعد ان خسرت بيوتها واراضيها وكافة مصادر ارزاقها . ولا ينسى مبدع النص بان يربط بين الحالة التعيسة التي آل اليها الشعب العربي الفلسطيني وبين مواقف القادة العرب وهو يعرض لنا شخصيتين قياديتين كل منهما على طرفي نقيض وهما البيه طه ـــ القائد العسكري للقوات المصرية في حصار الفالوجة والمواوى القائد العسكري للقوات المصرية في

فلسطين . فالاول حامي الدار الذي ذبح الكفار بالقلة وقيزان النار ، والذي طلب النجدة من فاروق وابن سعود دون جدوى . ورغم ان الحكومات العربية خذلته فانه ظل يهدر زي سبوع الغار . والثاني نموذج للقيادات العربية الخائنة التي اعتادت ان تصدر اوامرها لقواتها بالانسحاب تاركة البلاد مفتوحة أمام الغزو الصهيوني ومتخلية عن المناضلين والجنود وصغار الضباط من امثال البيه طه . ويقول النص ان الماواوى تخلى عن المجدل واسدود لانه ارتشى بالملايين . وهو يستحق ان يضرب على رأسه وجزاء خيانته « بالفقراوى ــ الحذاء القديم » .

والنص من مرويات عبد العزيز كتكت ، الشاعر الشعبي الفالوجي :

محمود طه حصاة الدار
بالقلة وقيزان النار
اشي شاهدته بعيني
انا رحت اورد له الحبات
صار يجونا الطيارات
يطلب نجدة من فاروق
يا ملك خل عندك ذوق
يطلب نجدة من ابن سعود
طوقونا هاليهود
راحوا وخلوا طه ع الدار
يهدر ذي سبوع الغار
بقي ينخي اولاد النيل
قالهم ما بدها تمهيل
فيها وجع دقيقات
الطلبة بدها ثبات
مالكوش الا باب الله
مالكوش الا باب الله
وليش ارضيتوا بالهدنات
بيجونا في الظلمات
من غربا خان الماداوي
بده ع راسه بفقراوي
خلى المجدل ويا سدود
مع شط البحر ممدود
خاف الله انه متبرطل
الحمد لله العالي
شوف الدولة الكوريين
عضهم قووا اليهود
صاروا يطلبوا الهدنات
فيهم حي وفيهم مات
وصلوا معاي يا حظور
على نبينا المشهور

يا ما ذبح من الكفار
ولما صاروا مكومين
وما سمعته من مخلوقين
اشتدت علينا الحملات
يحدفونا قيازين
سوق القوة لينا سوق
مش هيك فعل المسلمين
قود القوة لينا قود
في الفالوجة محصورين
والتمت حوله الكفار
صوته زي الشواهين
مثل الاسد يوم يغيل
ادخلوا ع الحور العين
هذا مهر الحوريات
وين أولاد المسلمين
واركن ع زندك اليمين
وبالمدافع الظرابين
وارخو علينا الطيارات
يحذفونا قيازين
شارد زهواة الواوي
ساحب جيش المسلمين
اصبح جيشه منهن مفقود
هيك احوال الخوانين
وميخذ منهم ملايين
ما بيغفل عن الظالمين
وقعتهم من وحل وطين
صاروا زينا ملاجين
ما ظلش معهم ثبات
وعلى الطرق مرميين
ع اللي عرفكوا بها لدين
اللي احنا به مسلمين

الحواشي :

١ ــ احمد الشقيري : اربعون عاما من الحياة العربية والدولية .

٢ ــ ولد في دير طريف ، بفلسطين المحتلة ، ونشأ فيها واحترف تلاوة القصائد الشعبية والعزف على الربابة . والشيخ الطريفي يمارس الطب الشعبي بالادوية وكتابة الحجابات . وهو يقيم الان بالرصيفة الاردن .

٣ ــ المواسم احتفالات جماهيرية شعبية ذات طابع ديني . ومن المواسم التي كانت تجري فيها تلك الاحتفالات موسم النبي « روبين » قرب مدينة يافا وموسم النبي موسى بين القدس واريحا وموسم وادي النمل قرب مدينة عسقلان التاريخية . وتستمر الاحتفالات في « الموسم » ثلاثة ايام في العادة تشهد العديد من الاحداث الحافلة ، اذ يأتي رجالات الطرق الصوفية الى الموسم بفرقهم واشاراتهم وطبولهم . كما يشترك اناس من مختلف الاعمار ، بعضهم يأتي للتجارة والربح وبعضهم للاصطياف والسياحة واخرون يأتون لايفاء النذور فيذبحون الذبائح ويطعمون الطعام . كما يشترك في الموسم افراد ذوو مواهب فولكلورية فيقدمون للجمهور اغاني ورقصات ودبكات شعبية . وتجري بين انصار الطرق الصوفية المختلفة مناقشات ومجادلات حول ارتباط كل طريقة من الطرق بالشيخ ومدى اصالة تلك الطريقة وانسجامها مع التعاليم الاساسية للدين الاسلامي . ويثور الجدل بين الرفاعية والبدوية أي انصار الشيخ الرفاعي والبدوي . وفي هذه المواسم تقدم مشاهد مثيرة منها ما يمكن ان يعزى لكرامات اهل الطرق الصوفية ومنها ما يمكن ان يعزى لمحترفي السحر والشعوذة والذين يأتون الى هذه المواسم لممارسة اعمالهم تلك والتكسب بها مستغلين تجمع تلك الجماهير القادمة للاحتفالات الموسمية . اما رجال الطرق الصوفية فيروى عنهم الكثير والذي يصعب على الانسان ان يصدقه اذ يروى ان احد المشايخ كان يأتي بقضيب دقيق من الحديد فيغرسه في خد شخص ما ، لينبثق من خده الاخر . وبعد لحظات يضع الشيخ الدرويش شيئا من الريق على اصبعه فيمسح به آثار الجرح . وبقدرة الله يبرأ المصاب ، وكأنه لم يمسه شيء . ويروى رجل معمر انه شاهد احد اتباع الطرق الصوفية يقطع انف رجل اثناء مشهد مثير في احد المواسم . ولدهشة المحدث عاد الصوفي فثبت القطعة المبتورة من الانف مكانها دونما ضرر . اما السحرة فيمارسون اعمال التحايل على انظار المشاهدين فيقومون باخراج سلسلة من الشفرات من انوفهم او افواههم كما يغمدون خنجرا في بطن اي شخص دون ان يؤذوه . وفي حالات تثير الاستغراب يقوم الساحر بحرق قطعة عملة ورقية علنا امام الجمهور بعد ان يكتب اسم صاحبها عليها وبعد لحظات من انتهاء عملية حرق قطعة العملة الورقية يعمد الساحر الى استخراج القطعة الورقية نفسها من جيب احد الواقفين بين دهشة الجمهور واستحسانهم . ثم يقوم الساحر بجمع اجره من الجمهور بطريقة طوعية ، واستعراضية في آن واحد .. اذ يطوف الساحر على الجمهور فيدفع احد الواقفين دينارا مثلا ويصرخ الساحر قائلا : وهذا دينار اخضر من فلان فينبري شخص اخر ويدفع دينارا ونصف دينار فيقوم الساحر باعلان استعراضي عن الحدث ويتبارى الحاضرون في منافسة كرم متواصلة تحقق المزيد من الربح لجيب الساحر . وهناك جانب اخر من احتفالات المواسم يقوم به اناس تخصصوا في العاب بهلوانية حيث تمشي فتاة رشيقة محترفة بحذاء ذى كعب عال على حبل منصوب على اعمدة من الخشب وهي تمسك بيدها قضيبا ثقيلا من الحديد تحفظ به توازنها . ويقدم اخرون تمثيليات مضحكة تتناول باسلوب ساخر مشاكل اجتماعية واقتصادية متباينة وهؤلاء ايضا لا يتقاضون اجرا محددا بل يعتمدون في كسب عيشهم على استدرار اهتمام الجمهور وعطفه وكرمه عندما يدفعون للتبرع لهم بسخاء عن طريق الاعلان الاستعراضي عن تبرع شخص معين . وهكذا تمضي ايام الموسم الثلاثة . وفيها تختلط العاطفة الدينية بالرغبة في قضاء اوقات طيبة ومرحة . وهي في الواقع فرصة لان يمارس فيها العديد من الناس نشاطات مختلفة . فالصوفي يقيم حلقات الذكر والساحر يمارس العابه ويتكسب من حرفته

والبهلوان يعرض العابه ، والجمهور الفنان يستعرض اغانيه ورقصاته ودبكاته . وبكلمة موجزة فان الموسم يمكن ان ينظر اليه على انه الفرصة التي تمارس فيها الجماهير الشعبية شتى انواع النشاطات الانسانية التي تعبر عن رغباتها وهمومها واهتماماتها .

٤ — من الامثلة الفولكلورية على ذلك ما تتضمنه النادرة الشعبية والنادرة في مفهوم الفولكلوريين حكاية مرحة تكون في العادة احدوثة قصيرة منثورة او منظومة تنتهي الى موقف فكه ومرح . ومن هذه النوادر ما يكون قد حدث فعلا ومنها ما يصنعه الشعب ويتداوله للسخرية من موقف معين وقد عرف شعبنا النوادر المحلية (والعربية وخاصة المصرية) والتي تندر بها الناس على الاحداث السياسية ومن النوادر التي توارثها شعبنا في هذه الفترة (١٩١٧ — ١٩٤٨) : كان جماعة من المتظاهرين يقفون تحت احدى الشرفات في يافا يستمعون الى احد الخطباء الذين يندِّدون بوعد بلفور . وكان احد البسطاء يسمع هدير الجماعة وهي تردد « فليسقط وعد بلفور » ولم يكن ذلك الشخص ليستطيع ان يميز الكلمات بسبب الضجة ولان بصره كان معلقا بالشرفة اخذ يهتف « فليسقط واحد من فوق » . وكان احد ممثلي الشعب في المجلس التشريعي يغط في نومه بينما كان المجلس يناقش جدول الاعمال واستمر النائب المحترم في النوم على مقعده حتى بعد ان انفضت الجلسة وخرج كل النواب . وعندما جاء الآذن ليغلق الابواب راى النائب النائم فاتجه اليه يوقظه وعندما لكزه انتفض النائب وقال : موافق ... موافق ...

٥ — اليمين الذي اقسمه صالح العديلي من الايمان الشعبية التي توحي بملامح الرجولة ويقول صالح بانه اذا لم يثأر لاخيه فلن يلبس العقال ولن يعود الى قريته ويفقد حق المواطنة فيها ولن ينام في فراش امرأته . وكل هذه الوعود تتضمن فقدانه صفة الرجولة اذا لم يثأر وانه في هذه الحالة (عدم الثأر) سيكون شبيها بالمرأة التي لا تلبس العقال ولا تتواجد في مجالس الرجال في القرية ولا تباشر وظيفة الرجل . ومن الايمان الشعبية المشابهة « على الطلاق من شنبي — شاربي » بمعنى اذا لم افعل كذا وكذا فلن يبقى لي شارب ولن اكون رجلا بالتالي لان المرأة لا شوارب لها . كما يقول اليمين الشعبي «على الطلاق من ذراعي» والذراع هنا رمز القوة ، والرجولة . واعتقد ان هذه الايمان تضرب جذورها الى قرون سلفت قد تعود الى عهد الجاهلية فهي تقسم بصفات مجدها العرب في تلك الفترة وتعكس موقف العربي البدوي من المرأة . ان هذا يوحي بحقيقة ان التراث الشعبي يظل طافيا على سطح الحياة الشعبية برغم المؤثرات الثقافية الاخرى — كالدين مثلا فالقسم بالله والانبياء والاولياء لم يبلغ القسم بالقيم الشعبية .

٦ — صالح بويصير ، **جهاد شعب فلسطين** ص ٢٧٤ .

٧ — للمعلومات عن هؤلاء انظر كتابي : **اغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الاردن** الطبعة الاولى ، عمان ، ١٩٦٨ .

٨ — فنان شعبي فلسطيني مولود في قرية جبع/القدس .

الشهيد محمود الهمشري
مثقف ثوري ممارس من طولكرم

زياد عبد الفتاح

اصغر من المدينة وأكبر من القرية تحاول ان تكون بلدة مثقفين وموظفين ولكنها في النتيجة كانت تنسحب على ذلك الجانب الاعم الاعظم من سكانها لتكون بلدة الفلاحـــين مهما تعلموا وثقفوا من أنفسهم ... وعلاقات الناس هناك في طولكرم ظلت تلك العلاقات الأسرية المتينة التي تعكسها علاقاتهم الاقتصادية كمزارعين وفلاحين ...

وفي الحقيقة كانت هناك بعض المظاهر البرجوازية تعبر عنها مجموعة الموظفين والتجار في طولكرم الا ان الاغلبية التي نبت منهم وعاش بينهم محمـــود الهمشري كانوا مـــن الفلاحين الفقراء ...

لذلك كانت منتهى طموحات طفولة محمود تنتهي عند ان يتعلم في المدرسة لا ليهجر الارض ولكن ليكون فلاحا مستنيرا يرتبط بالارض بالوعي والحب ...

وعانى في طفولته كثيرا ... المدرسة كانت على حساب العمل في الارض والعمل في الارض كان على حساب المدرسة ولكن لا بد من المشوار بعناد الفلاح الاصيل وبارادته الجبلية الصخرية التي لا تقهر ...

وربما عرفت طولكرم تلك المدينة القرية التي تطل من فوق هضبة متواضعة الارتفاع على السهل الساحلي الذي يمتد عبر البصر ليصل الى شاطىء المتوسط عند «ناتانيا»... ربما عرفت محمود الهمشري رقما في تعداد سكانها الطيبين او ربما اندرج فيها تحت عنوان أحد أطفال الفلاحين الفقراء فقط .

ولكن ، يقينا ان طولكرم تعرف الآن ان ابنها الفلاح الذي كان يتجول باقدامه الصغيرة العارية ، بين شعاب الجبال المحيطة بجهاتها الثلاث او عبر سهولها في الجهة الغربية الرابعة ...

يقينا ان طولكرم تعرف الآن ان محمود كان دائما وفي كل وقت ابنها الشرعي الاصيل الذي ظل وفيا لها رغم بعده عنها ... وانه ابن فذ لفلسطين كل فلسطين ...

* * *

ولد محمود مع بداية الحرب العالمية الثانية ... وفي الحارة الشرقية من البلدة حيث ولد معظم الفلاحين الاصلاء هناك... ولم يكن في طفولة محمود ما يوحي بأنه متميز... كان متوسطا جدا في دراسته وعاديا جدا في سلوكه متواضعا في تطلعاته وآماله ... ولم تكن أسرته تريد له أكثر من ان يتعلم من خلال المدينة ... والمدرسة الثانوية التي في المدينة ... ولم يكن هو يتطلع لاكثر من ذلك .

ومن قطعة الارض الزراعية الصغيرة المحيطة بالبيت (الجاكورة) الذي تسكنه الاسرة

كان معظم طعام أسرة محمود مثلما كان طعام كل أسر الحارة ... وفي السهل الساحلي كانت معظم أسر طولكرم الفلاحية تعمل .

وذات يوم ادرك محمود وكان صبيا اقترب الى الطفل ان السهل الساحلي بكامله قد اقتطع ضمن مسرحية حرب صغيرة وتافهة اشتركت فيها جيوش الدول العربية ثم خرجت لتسلم قطعة من فلسطين كان منها السهل الساحلي الممتد أمام طولكرم حتى البحر .

ولم يعد ممكنا لمحمود ان يتجول عبر حقول القمح المتناثرة في ذلك السهل يفتش عن « السيسعة » و « الحبلق » او يتجول عبر الارض المزروعة بالبطيخ « المقاتي » ليكسر بقبضة يده الصغيرة بطيخة يتركها دقائق تحت أشعة الشمس لتبرد ثم يبدأ « يقحف » منها ليأكل ...

لقد اغتصب الصهاينة الارض ... ووقفوا عند اول حجر في طولكرم بعد ان نهبوا كل السهل الساحلي ...

ويذكر محمود عندما ذهب قريب له ليحضر بعد أشهر من انتهاء مسرحية الحرب المهزلة بضع مئات من الجنيهات الفلسطينية كان قد اودعها في مخبأ داخل بيته عندما قالوا له ابتعد عن الخطر لاسبوع او اسبوعين فجيوش الدول العربية قادمة لمواجهة العدو الزاحف ... يذكر انهم قتلوا قريبه والقوا به على الحدود ... تلك الصورة ارتسمت في مخيلة محمود ...

وارتسمت في مخيلته كذلك صورة عشرات الجثث المقطعة الرؤوس والاوصال التي القي بها في « براكس النافعة » في طولكرم بعد ان نسف الصهاينة قطارا مليئا بالمواطنين الفلسطينيين بعضهم من طولكرم ... على الطريق بين طولكرم وحيفا ...

وارتسمت في مخيلة محمود صورة لطائرتين عدوتين كانتا تزوران طولكرم صباح مساء تلقيان القنابل « قازانات » بعضها ينفجر فيدمر وبعضها لا ينفجر فيهرع نحوه الاطفال يتفرجون لكن ما يلبث المتدربون من الكبار حتى ينهروا الاطفال ويبعدوهم عن القنابل وهم يصيحون انها قنابل موقوتة ...

وكثيرة كثيرة هي الصور التي اختزنها محمود ووعاها وتفجرت في قلبه الطيب حين التحق بالثورة في وقت مبكر .

محمود الهمشري الفلاح من طولكرم كان عاديا ... لم يكن يبدو انه سوف يتجاوز ظروف حياته الموضوعية ... وكان حتى نهاية دراسته الثانوية تلميذا متوسطا ... وكان يطالع ولكنه لم يكن مثقفا، وكان حتى وهو يطالع يفهم الامور ضمن فهمه البسيط للحياة وضمن بيئة الفلاح الخشن التي عاشها ...

لكن محمود ...

ولأنه يحب الارض كفلاح صميم ...

ولانه يعشق فلسطين وارض فلسطين ...

ولانه يملك حسا نقيا صافيا في لون القمح عند الحصاد ...

ولانه كان واضحا وضوح الشمس تغمر ارض فلسطين ...

لأنه كان فلسطينيا اصيلا ...

ولانه كان فلاحا فلسطينيا صميما ... فقد انفجر بالثورة طاقة جبارة ...

وشكل عبر وقت قصير ذاته من جديد ليصبح مثقفا ثوريا ممارسا ... يقاتل فوق الارض المحتلة بكفاءة الثائر الممارس الذي يعرف كيف يلامس اهدافه دون ضجة او اعلان .

ومثلما كان محمود مقاتلا يعرف كيف يمشي عبر شعاب فلسطين وفي أعماقه مرح الفلاح الذي يطير بالحماس والعافية وهو يعود الى الحقل ... كان سياسيا واعلاميا يقاتل بالروح الفلاحية المرحة نفسها وهو يتصدى للحديث عن القضية الفلسطينية ضمن أوسع المؤتمرات الاوروبية ... لم يكن يحس الحرج لانه كان « يرطن » الفرنسية او يتلعثم وهو يتحدثها ... لقد كان يهمه ان يصل صوت فلسطين بكل لغة وبأية لغة حتى ولو كان لغة لا يجيدها بطلاقة ...

ويظل الحديث عن محمود الهمشري مناضلا سياسيا واعلاميا في فرنسا وفي قلب باريس حديثا لا يمكن فهمه على أي حال اذا لم نتطرق بالحديث الى فترة مهمة في حياة محمود.. تلك الفترة التي تشكل فيها محمود وتعمد شيئا فشيئا مثقفا ثوريا ممارسا ... ونعني بها الفترة التي امتدت ما بين التحاق محمود بالعمل الثوري مقاتلا والفترة التي دخل فيها باريس ليقرع ابواب السوربون طالبا يتعثر في نطق اللغة الفرنسية ويقتحم أعتى حصون الحياة السياسية في باريس وفرنسا كلها ...

وكمقدمة للحديث عن هذه الفترة المهمة من حياة محمود فأنه لا بد من القول ان الفترة التي عاشها محمود بعد ان انهى دراسته الثانوية في نهاية الخمسينات وحتى عام ١٩٦٥ لم تكن فترة مميزة او متفردة في حياة محمود ...

لم يكن فيها ما يمكن التوقف عنده ... فمحمود كان يكتسب تميز حياته من ضمن التميز العام الذي كانت تكتسبه حياة كل الفلسطينيين ، التشرد والحياة الهائمة التي لا تستقر على أرض والتي حتى ان بدا استقرارها ظاهريا فوق ارض معينة فان ذلك الاستقرار لم يكن ليتجاوز بشكل او بآخر استقرار الظواهر دون استقرار الاعماق ...

وعندما رحل محمود الى الكويت بعد ان هجر طولكرم لم يستطع ان يجد نفسه هناك... فهو كفلاح مطبوع لا يستطيع ان يمارس الوقوف فوق أرض تموج من تحت اقدامه ... لذلك لم تطل به الرحلة في الكويت ... ولم يحط هناك بعصاه طويلا فانطلق ضمن اول فرصة اتيحت له نحو الجزائر وكان ذلك في عام ١٩٦٥ .

لكن كان في الكويت ... من تحدث معه في أمر الثورة ... الا ان الصورة لم تكتمل امامه هناك وان كان قد بدأ يتحفز ليعرف المزيد وليضع قدمه في اول الطريق ...

وفي الجزائر كان قد جرى الاتصال به بشكل مباشر وكانت استجابة حس الفلاح التلقائي فيه أكثر من استجابة الوعي لديه ... وبدأ يعمل ومن خلال العمل بدأ يشكل وعيه ويوسع مداركه ...

كان محمود من اوائل الذين تفرغوا للعمل الثوري بعد انطلاقة العاصفة عام ١٩٦٥ . وفي الجزائر استطاع ابن الحارة الشرقية في طولكرم ان يختصر مسافة واسعة من خلال الممارسة الثورية . فأصبح خلال فترة قصيرة من الزمن رئيسا لاتحاد طلاب فلسطين في الجزائر .

لكن كان لمحمود مهمة اخرى الى جانب تفرغه للعمل الطلابي ، كان محمود أحد المناضلين الذين ساهموا في تشكيل اول معسكر للتدريب في الجزائر ...

ثم ...

وبينما كانت الصدمة تهز جذور أعماق الانسان الفلسطيني والعربي بعد حرب حزيران ولما تمض أيام على تلك الهزيمة ... كان محمود الفلاح الطيب المؤمن الذي بدأ يعرف الوعي بالثورة ... يغذ السير عائدا الى حيث لا بد ان يكون ... بعد ان نال تدريبا جيدا ... وفي طريقه الى سوريا ثم فلسطين المحتلة كانت الابتسامة العريضة المعتادة

لا تفارقه ولم يكن يبدو ان الهزيمة التي أصابت من الجماهير الفلسطينية والعربية اعماق حماستها وتفاؤلها ... لم يكن يبدو انها نكلت بالهمشري ...

لقد تعلم بالثورة ولما يبدأ القتال ... ان يبدأ العد ...

انه مجرد الفشل الاول ... وكانت مسألة الحساب ما تزال في البداية ...

ومحمود يعرف انه سيعد كثيرا وسيقول انه مجرد الفشل العاشر والثالث عشر والعشرين ولكنه كان واثقا من انتصار الثورة ...

وعلى أي حال ...

يظل كثير من الحديث عن محمود الهمشري المثقف الثوري المارس . فالممارسة الثورية في زخمها واحتشاد تفاصيلها وتشعب النشاط والفعالية داخلها تجعل التفصيل في السرد مسألة في غاية الصعوبة خاصة وان جانبا كبيرا من حياة اي مثقف ثوري ممارس سوف يظل مطويا عن قصد ولضرورات أمنية ربما لفترة طويلة ... كما ان جانبا آخر يظل غير مرئي حتي لأقرب المقربين من اي ثائر وأعني به المهمات ذات الطبيعة الخاصة ...

لذلك فان هذا الحديث عن محمود يظل الحديث في خطوطه العريضة البارزة وتظل تنقصه اللمسات التفصيلية التي تشكل وتحدد الملامح الواضحة والابعاد الواقعية لحياة الثائر ...

ويقينا ... فانه سوف يمضي وقت طويل قبل أن يستطيع اي انسان ان يضع اصبعه على مكان ما من سلم التقييم ليقول هنا كان يقف محمود الهمشري ... وضمن أدق الادلة واصدق المقاييس ...

* * *

ومحمود ... كان يعاني من قصر النظر ...

ومحمود كان رغم ذلك يعبر الارض المحتلة يقارع طبيعتها الوعرة في الليالي المظلمة ... وحيث كان القمر ضروريا لمحمود يبتهج له وهو يقطع الطريق بين الحقل والبيت او يمشي بين شعاب الجبال المحيطة بطولكرم وهو مطمئن فوق ارض يحسها صلبة تحت قدميه ويحس بصلابته فوقها ... أصبح القمر نقمة على محمود لانه يمكن أن يكشف مواقعه أو يثبته كهدف وهو يتحرك بحذر فوق المسالك الوعرة في فلسطين المحتلة ...

ورؤي أن يتحول محمود بسبب ضعف نظره الى العمل السياسي ...

وصدرت اليه التعليمات بأن يتوجه الى الجزائر من جديد ...

ثم صدرت اليه التعليمات مرة اخرى في اغسطس عام ١٩٦٨ للمساهمة في العمل السياسي والاعلامي في فرنسا ...

وذهب محمود الى باريس ... ليلتحق بالسوربون وليبدأ العمل السياسي وانصب نشاطه بين صفوف الطلبة الفلسطينيين والعرب وتمكن من اقامة علاقات ايجابية مع الكثير من المنظمات السياسية الفرنسية الشابة وفي نهاية عام ١٩٦٩ اختارته فتح ليكون ممثلها الاول في فرنسا وبعد ذلك اختارته منظمة التحرير الفلسطينية ليكون ممثلها أيضا في فرنسا .

وأثناء نضاله الدائب في باريس تجاوز حدود فرنسا واستطاع من خلال فعاليته وديناميكيته ان يعقد علاقات قوية مع العديد من المنظمات اليسارية الاوروبية .

لقد شارك في عدة مؤتمرات أوروبية وساهم بفعالية فذة في طرح القضية الفلسطينية

ضمن اطارها الصحيح ... وبالاسلوب ذاته الذي تميز به محمود ... الصدق والبساطة والشجاعة ... ثم عناد الفلاح عندما تتسع أمامه رقعة الرؤية وعندما يتصل الامر بقضية عادلة وبنضال شرعي يطل في النتيجة على الوصول الى أرضه التي يقدس ذرات ترابها ...

محمود الهمشري ...

اسم لن ينمحي من ذاكرة وقاموس المثقفين الثوريين الممارسين في العالم ...

وسيظل علامة على الطريق ...

وفي صفحة من صفحات تاريخ نضالنا سوف يظل اسم محمود مزروعا ...

ليشكل نموذجا فذا للمثقف الثوري الممارس

وليظل شاهد اثبات على صعيد العالم ... شاهد اثبات على الارهاب الصهيوني الدموي الفاشي وستظل الصهيونية النازية العنصرية حتى وقت بعيد غير قادرة على توقي ردود الفعل الواسعة التي أحدثتها جريمتها ضد المثقف الثوري الممارس محمود الهمشري ...

وان قضية استشهاد المناضل محمود الهمشري على يد المخابرات الصهيونية في باريس تطرح من جديد قضية استشهاد المناضل وائل زعيتر في روما الذي اغتيل برصاص الارهاب الصهيوني ...

وتؤكد ...

بأن الارهاب الصهيوني يتجه نحو تثبيت المثقفين الثوريين الممارسين كأهداف ...

لانهم يشاركون في صنع قرار استمرار ارادة القتال ...

ولانهم يملكون أن يقتحموا ضمن فهمهم العميق والواضح لقضيتهم الثورية على الصهيونية أعتى معاقلها ...

مراجعـــات

الدكتور حامد ربيع ، **التعاون العربي والسياسة البترولية** (مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧١) .

يصدر المؤلف كتابه بسؤال يشغل ذهن كل عربي: ما هو مستقبل القارة العربية،خاصة ازاء اوضاع ما بعد نكسة يونية ١٩٦٧ ؟ ثم ينطلق من حقيقة بترولية هامة هي أن البترول العربي احد عناصر الموقف الدولي الذي يسيطر على منطقة الشرق الاوسط ، فينطلق من هذه الحقيقة ليتساءل : « كيف يمكن ان يتحول هذا المتغير (البترول) الى احد مظاهر القوة في الموقف السياسي المرتبط بمستقبل هذه المنطقة » ؟ . ان البترول هو أحد تطبيقات العمل العربي الموحد . من هذه الحقيقة الاخيرة يستطرد مؤلف الكتاب لبيان كيف أن مشاكل السيطرة على بترول الشرق الاوسط تكون الخلفية الاستراتيجية لحقيقة الصراع الدائر . ففي خطاب من ابا ايبان وهو يجيب على سؤال لمبعوث الامم المتحدة جونار يارنج عن مدلول ذلك الذي تقصده اسرائيل باقامة صلح مع البلاد العربية : «الصلح يعني اولا وقبل كل شيء اقامة علاقات اقتصادية متبادلة مع الدول المجاورة بقصد استغلال الثروات الطبيعية للمنطقة » .

وينتقل المؤلف بعد ذلك للتعريف بمدلول السياسة الموحدة ، وما يطلق عليه التعدد الدرجي — أي أن السياسة الموحدة لها درجات ، وباخضاع ذلك كله للدراسة والتساؤل ، نستطيع ان نحدد النموذج الذي يجب أن تخضع له السياسة البترولية العربية الموحدة . ويبين الكاتب بعد ذلك صورا من التناقض المصلحي بين الدول العربية في مجال البترول تمكنت الاحتكارات العالمية من خلقها وتعميقها مع الظروف المتجددة . والكاتب هنا يتعرض لاثر اقفال قناة السويس — على سبيل المثال — كمصدر لتعميق هذا التعارض والتناقض المصلحي . فمثلا : اشتداد الاقبال على البترول الليبي والجزائري .

نصل من ذلك الى ضرورات العمل على بناء سياسة بترولية عربية موحدة : أ — مواجهة السوق العالمية للبترول . ب — « المخاطر الحالية والتي تهدد باحداث انفصال نهائي اقتصادي وبالتبعية في الامد غير القصير سياسي بل وحضاري في المنطقة العربية بين منطقة شرق وغرب اسرائيل ». ج — متابعة التطور العالمي المعاصر من حيث اتجاهه نحو اقامة تكتلات اقتصادية او مناطق متكاملة . د — ان كل دولة عربية مصدرة للبترول لها مصلحة في اقامة صناعات بتروكيمائية محلية . والسبيل لذلك هو ضمان سوق مقفلة تتوفر بناء على سياسة تفضيل معينة وتعاون جمركي كامل . هـ — ان نزول اسرائيل كعامل منافس في مجال الاستغلال البترولي بالمنطقة لا يمكن مواجهته بدون تكتل وتنسيق عربي .

ثم يتساءل الكاتب مرة اخرى أين موضع القارة العربية من التطورات الاخيرة بالنسبة للتكتلات الاقتصادية ؟ يجمع كل من تعرض لهذا الموضوع ، عدوا أو صديقا ، أن أمل المجتمع العربي الوحيد في ان يرتفع بمستواه وان يحقق لنفسه وضعا اقتصاديا محترما هو في ان يحقق تكتلا اقتصاديا كاملا وحقيقيا . والاثار السياسية المترتبة على مثل تلك الوحدة واضحة. فهي وحدها سوف تسمح بمواجهة السيطرة البريطانية على منطقة الخليج وبعض اجزاء الجزيرة العربية . وهي وحدها سوف تحد من الاطماع الايرانية والتهديدات العديدة بالنسبة للجزء الشرقي من القارة العربية (بما فيها بعض مناطق العراق) . وهي أيضا وحدها التي تستطيع ان تشل الوجود الاسرائيلي في المنطقة .

وبعد أن يتعرض الكاتب لابعاد التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية وتوطين العائدات البترولية

للشركات الامريكية في المنطقة يبين الاهداف الواجب اخذها في الاعتبار بالنسبة للسياسة البترولية العربية الموحدة : أ — القضاء على التنافس المحلي . ب — التكتل في نطاق العمليات التفاوضية على النطاق الدولي . ج — اضعاف القوى الضاغطة التي تمثلها الشركات المستغلة على النطاق المحلي . د — تمكين كل دولة من التخصص في احدى (او اكثر) من الصناعات البتروكيمائية. هـ — توحيد عمليات التسويق الخارجي . و — خلق طبقة من الكوادر الفنية المتخصصة في المشاكل البترولية .

أما الفصل الثاني فيعالج ادوات ومراحل التوحيد للسياسة البترولية العربية ويتناول الكاتب هنا التعاون العربي وجهود جامعة الدول العربية ، والصراع بين النفوذ الانجليزي والمصالح الامريكية ثم التدخل الدبلوماسي السوفياتي في المنطقة واثره في تقوية مركز الحكومات العربية . ثم يعود ثانية ليعالج موضوع التقارب بين شمال افريقيا واوربا الغربية والاصداء الحضارية والسياسية المستقبلة الناتجة عن هذا التقارب .

وعن امكانات الدبلوماسية العربية ليس أبلغ من المعادلة التالية : وحدة بترولية مسيطرة على اقتصاد غرب اوروبا تحكم في السوق العالمي للبترول عامل حاسم في الاقتصاد العالمي . وادوات تنفيذ مرحلة توحيد أرضية التعاون البترولي العربي هي كما يلي : أ — هيئة فنية من الخبراء المتخصصين. ب — مركز عربي للدراسات البترولية . ج — عملية تمثيل محلية لجامعة الدول العربية لدى الدول الاعضاء .

اما عن الواقع بالنسبة للثروة البترولية وضرورة التحرك العربي فان الحقيقة التالية هي ابلغ تعبير: ٨٥ ٪ من البترول العربي يغادر الارض العربية في حالته الطبيعية ، في حين انه لا يخضع لعملية تكرير محلية سوى ٣،٥ ٪ فقط من الطاقة العالمية. اما الصناعات البتروكيمائية فلا موضع لهـا . ويكفي أن نتذكر ان اسرائيل دولة غير بترولية بها وحدها ما يفوق جميع الصناعات البترولية المماثلة الموجودة في جميع انحاء القارة العربية .

في الفصل الثالث يتناول المؤلف السياسة العربية الموحدة والمواجهة الاسرائيلية وهنا يتطرق لنظرية الامن الاقليمي لمنطقة البحر الابيض المتوسط وآثارها على طبيعة الصراع العربي الاسرائيلي وابعاده ، ليصل من واقع تقرير خطير أعدته دوائر اوروبية الى ان فكرة الامن الاقليمي في منطقة البحر المتوسط حقيقة واحدة لا تتجزأ . أي لا يمكن فصل شماله عن جنوبه . ويناقش هذا الفصل بجرأة وواقعية مخاطر الوجود الاسرائيلي على البترول العربي وكيف أن رأس المال اليهودي يمثل قوة ضاغطة تعمل من خلال الاحتكارات الرأسمالية التي تستغل البترول العربي .

وبعد هذا العرض الموجز لا مناص من القول أن هذا الكتاب يقدم تحليلا فيه واقعية وامانة يشير الى مصدر الخطر بالنسبة للخط الحالي للسياسة البترولية واحتمالات الخطر المستقبلة — وهي كثيرة — بالنسبة للمنطقة العربية كلها . كذلك يقدم الكتاب معالجة للموضوع في الاطار العام للصراع العربي الاسرائيلي والاستراتيجية الاستعمارية — الاسرائيلية المشتركة التي تخطط لسلب هذا الشعب العربي كل قدرات تقرير مصيره . ان هذا الكتاب يقدم مادة لا غنى عنها للمهتمين سواء بمسألة البترول العربي ، او بالقضية العربية كلها .

قسم البحوث والمعلومات في
ادارة الاعلام
جامعة الدول العربية

« انا يعقوب دروري ، الذي يبلغ من العمر اربع وثلاثون عاما ، أعمــل مهندسا للطرق ، وزوج مطلق ، وأب لفتاة ، وخلال الحــرب جلست في المنزل لان الاطباء أعفوني من الخدمة . انني بعيد النظر تماما ، وعرفت نفسي ، ولن أكون منعزلا وحيدا مرة أخرى » . هذه الجمل ، التي يختم بها شمعون بالاس روايته ، تخفي في طياتها كلا من الظلام والوضوح معا : معنىً انسحاق بطل القصة وعزلته وخلاصة الدرس الذي استفاده من حياة الماضي والحاضر من اجل بدء مستقبل جديد . ولكن من اجل ادراك المغــزى الخالص لهــذه الخلاصة ، يجب فحص الاسس التي يقيم عليها القاص قصته .

ان يعقوب دروري ، بطل شمعون بالاس هو انسان **منطو على ذاته** . وعلاقته بما يحيط به هي علاقة خفية في أساسها ، وذلك لان قناع وجهه مثـل الرخام ولا يستطيع الاخرون التسلل عبره لفحص خباياه ، ومع هذا ، **فهو حساس** ، وفي بعض الاحيان حساس أكثر من اللازم ، **ومنسحق** — ولكن كل هذا ليس بلا سبب تماما . ان القصة التي تطرح حبكتها في الرواية ، هي قصة ذات وجهين هي الاخرى . فعلى مستوى الحبكة الروائية هي عبارة عن قصة متسقة منطقيا عن عدة ايام من ايام حرب حزيران ١٩٦٧ وما بعدها ، محورها لقاء ثلاثي بين البطل وزوجته السابقة التي ترملت من زوجها الثاني خلال الحرب وبين امرأة اخرى ، عرضية وطارئة ، تحط رحالهـا فجأة في عالمــه المنعزل . وعلى المستوى الخاص بما فوق الحبكة الروائية تعتبر هذه الرواية قصة شخصية جدا لانسان منعزل ، يصل خلال الانجراف فـي تيار الاحداث الموضوعية الى ادراك ذاتي وحساب جاد للنفس . وكل وجه من وجوه هذه القصة يخفي فيطياته ارتفاعات وانخفاضات وجدير بالفحص الدقيق . ولنبدأ بالحبكة الروائية . تنحصر حدود هذه القصة ، كما قلنا ، في اطار ايام معدودة ، تبدأ من اول ايام العــدوان ، وتنتهــي بعــد توقف رحــى الحرب بعدة ايــام ، بينما كــان الجميع ما زال متأثرا بطابع ايام المعارك ومذهولا من نتائجها . ويعقوب دروري بطـل القصة لا يستدعى الى الجيش ، وذلك لانه مصاب بداء في القلب ، يجعله غير صالح للخدمة العسكرية . وفي ايام المعارك ، يظل يتمشى في الشوارع الخالية ، ولا يجد له مكانا ويبحث عن غضب لدماره . والجو الذي يتجول فيه يشير كثيرا الى عزلته . وفيما عدا صديق يدعى زئيف ، كان يبحث عنه ، لا يوجد له في العالم نفس قريبة منه ، سوى ، ربما ، صديق سمين يعد له رسالة جوابية ، يستخدمها القاص وسيلة للكشف عن العالم الداخلي للبطل . والبطل يتوه في ممرات الجامعة وفي المكتب الذي تــركه لاجازة . والبطل يستقبل في كل مكان بمودة ودون مشاكسة ، ولكنه هو نفسه يشعر بالاسئلة التي لا تسأل . وفي يوم الانتصار ، بينما كان عائدا من منزل صديقه وحيدا بعد وجبة العشاء (التي أعدتها زوجة زئيف حسب وصفة زودها بها يعقوب — خط آخر لشخصيته) يستقل تاكسيا ، ويتورط في نزاع بين امرأة وشاب (ابن زوجها الذي في لندن) ويجد نفسه ، دون وعي تقريبا ، بين ذراعي تلك المرأة وفي احضانها . وفي الصباح حينما يودعها تغادره وهو لا يعرف اسمها على الاطلاق . وحينما يعود للبحث عنها بعد يومين — تكون قد سافرت عائدة الى خارج البلاد . ان الغربة تطارده حتى في مغامرته الطارئة . وفي هذه الاثناء يتلقى نبأ بأن زوج مطلقته قد قتل اثناء المعارك . ويسافــر للاشتراك في جنازته ، ويرتبط من جديد بالعلاقة الاسرية البعيدة ويلتقي عرضا بابنته ججيت ، التي كان قد تركها مع أمها وتنكر لها خشية الا تكون ابنته بالفعل . ويولد اللقاء الجديد بعفرة (زوجته السابقة) موجة من الذكريات ، وحساب النفس والامال . وفجأة يتلقى رسالة من رينه (تلك المرأة التي التقى بها في التاكسي) وتصل اليه المرأة بشحمها ولحمهـا بسرعة ، وهــي حــرة مــن زوجها الانجليزي ، وليس لديها مكان تقيم فيه ، لان شقتها تم تأجيرها اثناء غيابها وليست خالية الان . وفي هذه الآونة ، وبينما تقيم معه رينة في بيته يدرك ان مصيره مرتبط بمصير عفرة . « هل كان كل هذا خطأ ، حسبما قالت عفرة — سأل يعقوب نفسه — هل كان من الممكن تسوية عدم التفاهم بينه وبينها لو كان قد أبدى شجاعة في الكشف عن مشاعره ؟ هل كانت كل الافكار التي فكر فيها عن الحرية الشخصية ، وعــن العزلة وعدم الارتباط ، هل كان كل هذا هو ثمرة خطــأ مصيري ؟ هل كان نتيجة خوف ؟ لقد خفت وفضلت

الهروب . وبعد ذلك بنيت بنيانا موقتا للهروب ، بناء اساسه من الرمال . وهامنذا الان ارى اللجة، وارى نفسي في داخلها واراها في داخلي . » هذه هي قصة الحكاية كلها .

اما اذا انتقلنا الى المستوى الآخر ، وهو المستوى الذي يجعل من هذه الحبكة الروائية ، ومن أحداثها ، أشياء ذات مغزى ، فاننا سنلاحظ ان القاص قد أجاد في جعل بطله يواجه نفسه ، وفي دفعه الى أركان اللاخيار وارغامه على التطلع الى نفسه من موقع استطلاع البعد النقدي .
ان أسس عزلة يعقوب دروري ، البطل المميز للادب الاسرائيلي في الاونة الاخيرة ، قد تم تفصيلها هنا بالكامل . ان الاغتراب ، كما تجلى في علاقة يعقوب بعفرة في خلال فترة زواجهما ، وابتعاده النفسي عنها ، بالرغم من العلاقة العاطفية العميقة التي لم يكن يدري بها بما فيه الكفاية الى ما بعد الانفصال ، هذه الغربة ولدت كذلك الاحساس بالشك تجاه ابوته للفتاة ، وذلك لان عفرة بسبب ابتعاده عنها اقتربت من ايلان ، التي وجدت لديه اذنا صاغية ونفسا متفتحة لاحاسيسها . وقد استمر حبها ليعقوب قوة من علاقاتها الودية مع ايلان . وكان الانفصال القاسي الذي فرضه عليها يعقوب بسبب محدوديته بمثابة جرح لا يندمل . وكان زواجها من ايلان بمثابة هروب الى احضان رجل ودود ولديه القدرة على فهمها ، ولكنه لم يكن على الاطلاق بديلا للحب الدفين الذي تكنه ليعقوب . ان جذوة النيران قد واصلت الاشتعال تحت الرماد سرا وتغذت من سطور الرسائل التي اهتمت عفرة بارسالها الى يعقوب من خارج البلاد. ولكن يعقوب كان يطوي الرسائل ، ولم يكن يمر بعيونه على أحر منها . لقد استمرت غربته الى ان جاءت الهزة الكبرى ، هزة الحرب . والانطواء على الذات ، هو صفة مميزة رئيسية ليعقوب ، وهو عنصر من عناصر عزلته . انه لا يعرف كيف يوزع حزنه وسروره ، ومشاعره وانشداهاته مع عفرة ولا مع رفاقه القلائل . وقد أدى هذا الانغلاق الى الاساس الثالث — وهو الانسحاق . لقد كان يتحسس طريقه في شك وكان حيثما يتوجه يخاف من أن يوجه للمحيطين به ظهره المكشوف .

والقاص يتعاطف مع بطله تعاطفا عميقا ولا يدخر رموزا وايضاحات من اجل وضع اسس شخصيته المعقدة . ولكن فيما وراء البطل الوحيد يثير القاص وجهة نظر ، تنادي بالانفتاح المعبر عن الثقة ، لان الحوار والاخوة هما اساس ثابت للمشاركة والاعانة النفسية حتى حينما لا يكون كل من الماضي والحاضر مصدر سعادة للانسان — وربما لانه من المهم للغاية بالنسبة للقاص ان يقنع القارىء بأن الايضاح سوف يأتي حتما ، فانه يصور صورة الغموض الذي سبق هذا الايضاح بألوان قاتمة وواضحة . والرحلة الى الوراء ، الى جذور كينونة يعقوب دروري ، هي رحلة طويلة ومليئة بالمحطات الكثيرة . وهذه المحطات موزعة تقريبا في كل صور ، وفي كل موقف ، وتلحق بالدائرة ، التي تغلق في يوم الحسم . والحسم النهائي للبطل هو اذن بمثابة نتيجة متجمعة للفرضيات الخاصة بالارضية الصلبة . ان البطل يكون في حالة استعداد قصوى من اجل التخلص من التطويق في اللحظة التي يكتشف فيها ، ان مطارديه في داخله ، وليسوا خارجه . ونضوج الوعي يؤدي الى انفتاحه ، وهو الامر الذي يصنعه القاص ليعطي به اساسا لامل جديد ، وكمخرج من العزلة والافتراب والانسحاق والانطواء ، وكل المثالب التي تعم نفسية بطله ، انسان المجتمع الاسرائيلي . وهذا النضوج يجعله القاص يحدث في لحظة مأساوية . ان لحظة التنوير في القصة تبدأ بالجنازة ، جنازة احد ضحايا حرب الايام الستة ، تلك الحرب التي لم يشترك هو فيها ، ولكنها خلصته من زوج مطلقته لتجعله يكتشف نفسه من جديد . اذن ، لا بد من الضحايا ، ولا بد من المأساة ، ولا بد من الدماء ، حتى يستطيع البطل المأساوي التخلص من كل آفاته ، آفات الانسان الاسرائيلي في أدب « الموجة الجديدة » ، من العزلة والاغتراب والانسحاق والانطواء على الذات. ولكن هل يتحقق هذا الامل ؟

رشاد الشامي

ف. بولشاكوف ، معـاداة الشيوعية مهنـة الصهيونية
(مطبوعات وكالة انباء نوفوستي للنشر ، موسكو ، ١٩٧٢)

ان اهمية هذا الكتاب تكمن في كونه احد الاعمال القليلة المتوفرة باللغة العربية والتي من شأنها ان تعطي القارىء العربي فكرة عن الاراء المتداولة في الاتحاد السوفياتي حول الصهيونية . والواقع ان هذا الكتاب من شأنه ان يسهم في التصدي للدعاية الصهيونيسة الرامية الى صرف اليهـود السوفيات عن المشاركة في حياة بلادهم وزجهم في خدمة الامبرياليسة تحت لواء دولة اسرائيـل . فالاطروحة الاساسية التي تمكن المؤلف من اثباتها في هذا الكتاب هي ان الحملة الدعائية الواسعة التي يقوم بها الصهيونيون (وخاصة صهيونيو الولايات المتحدة) ضد الاتحاد السوفياتي حاليا ، ليست تعبيرا عن حرصهم على « حقوق اليهود » في الاتحاد السوفياتي قدر ما هي تهدف الى ترويج مزاعم من شأنها ان تخدم مصالح الصهيونيـة والامبريالية وتسيء الى سمعة الاتحاد السوفياتي والشيوعية عامة . واعتقادي هو ان المؤلف اثبت هذه الاطروحة على شكلها العام هذا ، فاظهر ان الصهيونيين سبق وعبروا عن عدم اكتراثهم ليس فقط للحقوق بل وللارواح اليهودية في الماضي ، وعالج في احد اجزاء الكتاب مدى التعامل الذي كان قائما بين الصهيونيين والنازيين خلال تلـك الاعوام التي تمت فيها عملية تصفيـة الجموع اليهودية في اوروبة الوسطى بالملايين . الا ان الاطروحة التي ينم عنها عنوان الكتاب — معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية — لم تلق ما يكفي من التدعيم الوثائقي المحدد .

حصر المؤلف معالجته لموضوع عداء الصهيونية للاشتراكية في فترة ما بعد الثورة البولشفية . وتغطيته للاحداث المعنية منذ ذلك الحين حتى الان لم تكن شاملة ، ، فجاء كتابه على شكل بضعة أمثلة تثبت تعامل الصهيونيين مع أعداء الشيوعية. وقد برزت هذه الامثلة في معالجته لثلاثة مسائـل رئيسية . اولا ، مساهمة الصهيونيين في محاربة البلاشفة في اوكرانية بعيد الثورة . ثانيا ، التعامل والتعاون الذي قام بين الصهيونيين والنازيين خلال الثلاثينات واوائل الاربعينات . ثالثا ، عمـل الصهيونيين في الولايات المتحدة على معاداة الاتحاد السوفياتي والشيوعية عامة . والواقع ان المسالة الاولى عولجت باقتضاب ، والمسالة الثانية عولجت بقدر اكبر من الشمولية ، ، الا ان المسالة الاخيرة هي التي حظيت باكبر قدر من اهتمام المؤلف .

تحت عنوان « سويا مع مدبري المذابح » ، تكلم المؤلف عن تعاون الصهيونيين مع كافة القـوى الرجعية التي سعت لضرب الثورة وتحطيم السلطة السوفياتية خلال الحرب الاهلية . الا انه لم يعالج بالتحديد سوى تعاون الصهيونيين مع حكومة بتلورا في اوكرانية . ولعل المؤلف تعمد حصر المسألة في احداث اوكرانية حيث قامت حكومة بتلورا ضمن حملتها ضد البلاشفة بتنظيم المجازر التي بلغت اعداد ضحاياها ارقاما ضخمـة وتضمنت اعدادا كبيرة من الفقراء والعمال اليهود . وقد أورد المؤلف وصف احد شهود العيان لاحدى هذه المجـازر في بروسكورفه حيث « قتل رجال بتلورا حوالي الف رجل في الاحياء اليهودية الفقيرة على ضفة نهر بوج ، ولكنهم لم يمسوا بأذى ولا عائلة واحدة من التجار اليهود القاطنـين في شارع الكسندر الرئيسي » . وأورد المؤلف نقلا عن احد المؤرخين الاوكرانيين ان احد زعماء حزب بوعالي صهيون (المباي الاسرائيلي) ، اسمه ديفونتسكي ، كان متربعا في منصب وزارة الشؤون اليهودية في حكومة بتلورا ولم يحرك ساكنا ازاء المجازر ، بل وكان يمدح سياسة حكومـة بتلورا ، واقتصر عمله في الوزارة التي أسندت اليه على « تسجيل القرى والبلدان والمدن المدمرة وعدد الضحايا » . كما أورد المؤلف ان الزعيم الصهيوني جابوتنسكي جاء الى اوكرانية في وسط تلك الاحداث وتعاون مع رجال بتلورا واقتـرح تشكيل وحدات عسكريـة للمشاركة في القتال من اجل الهدف المشترك وهو « تحطيم السلطة السوفياتية واغراقها في الدماء ولو كان ثمن ذلك مئات الالاف من اليهود » . وعلى ذلك فقد وجه المؤلف الانتباه الى فصل هام من فصول تاريخ الصهيونية وهو فصل يثبت عـدم اكتراث الصهيونية للارواح اليهودية . الا ان هذا الفصل لا يمكن ان يكون سوى جزءا من قصـة تعاون الصهيونية ضد الشيوعية وضد الدولـة السوفياتية خلال الحرب الاهلية التي دارت رحاها في كافة مناطق وبلدان اوروبة الشرقية .

تحت عنوان « صفقة مع الشيطان » ، عالج المؤلف

فصلا آخر من فصـــول نشاط الصهيونية ضـد الشيوعية ، وعلـــى حساب الارواح اليهودية . وهذا الفصل مدعم بعدد كبير من المصادر والوثائق التي تثبت تعاون الصهيونيين مع الفاشستية ومع النازية بشكل خاص . والواقع ان هذا الفصل لا يفي الموضوع بشكل شامل رغم الجهد الذي يبدو ان المؤلف بذله فيه . وذلك لان المسألة لم تعالج سوى عرضيا من قبل . ولهذا فان عمل بولشاكوف حول هذه المسألة يمكن اعتباره عملا رائدا ، هذا مع التذكير بأنه لا يمكن ان يخدم سوى مقدمة نحو الموضوع . فالادلة التي أوردها المؤلف حول تعاون الصهيونية مع النازية هي ادلة قاطعة . الا ان وصف تفاصيل هذا التعاون لم يكن وافيا . ويمكننا مثلا ان نستنتج من عرضه للمسألة ان التعاون مر في مرحلتين محددتين ، المرحلة الاولى قبل عام ١٩٤٠ شهدت تنفيذ اتفاقيـــة عقدت بين الصهيونيين (ممثلي الوكالة اليهودية) لترحيل العناصر الشابة والقادرة على « النضال والقتال » من يهود المانية الى فلسطين . ويبدو ان هذه العناصر تم اختيارها وتدريبها في المانية بالذات على مرىء من ، وبمساعدة المؤسسات النازية (اس. اس مثلا) والحكومة الهتلريـــة طوال الفترة ١٩٣٣ — ١٩٣٩ . كما تم في هذه الفترة توثيق تأثير ونفوذ المانية بين يهود فلسطين وخاصة بقيام المنظمات الفاشستية مثل منظمة شتيرن . اما الفترة التالية فقد بدأت مع بداية الحرب مع ما رافقها من اصدار كتاب ماكدونالد البريطاني لتحديد الهجرة الـــى فلسطين ومراقبتها ، كما اتخذت طابعا خاصا نظرا لوقوع مناطق شرقي اوروبة باعداد اليهود الضخمة فيها تحت الاحتلال النازي . وما نفهمه من طرح المؤلف لبعض وثائق محاكمات نورنبرغ هو ان النازيين اتخذوا قرار تنفيذ « الحل النهائي » للمسألة اليهودية — ابادة اليهود بالملايين — بعد عام ١٩٤٢ . كما نفهم منه ايضا ان التعاون بين الصهيونيين والنازيين على تهجير العناصر المختارة من اليهود « المثاليين » غير « العقائديين » استمرت في هذه الفترة ولعب فيها ايخمان دورا هاما ، وربما اهم ما يثبته المؤلف هو ان الصهيونيين كانوا يعرفون بالمجازر التي كان يقوم بها النازيون ضد جماهير اليهود الذين زجوا في مخيمات الاعتقال الا انهم لم يحركوا ساكنا ، ولم يستخدموا اجهزة الاعلام المتوفرة لديهم لتوجيه الانتباه الى ما كان يجري ، بل بالواقع لم تلتزم قيـــادة الوكالة اليهودية بالصمت فحسب ، بل « واجبرت من يعرف بالامر على السكوت » . هذه الامور يثبتهـــا المؤلف بنـــاء علـــى مصادر اسرائيلية معنية . ان معالجة المؤلف لهذه الامور هي قيمة للغاية ، ولا شك ان انماء البحث فيها هو امر ضروري للتصدي للمزاعم التي تطلقها الصهيونية بغزارة مدعية الحرص على اليهود .

ان الجزء الذي يتناول العقدين الماضيين تناول عداء الصهيونيين للاتحاد السوفياتي بشكل خاص وركز على نشاطاتهم في الولايات المتحدة خاصة . وورد هذا في ثلاثة فصول متلاحقة . فتحت عنوان « ارادة السيد الجديد » تناول المؤلف نشاطات بعض المنظمات الصهيونية وسط مناخ « المكارثية » الذي عم الولايات المتحدة في اوائل الخمسينات حين بدا وكأن الولايـــات المتحدة « حلت محل الرايخ الثالث في تمثيل دور المدافع عن العالـــم ضد البولشفية الدولية » . وذكر المؤلف في هذا الصدد تهجم منظمة بنـــاي بريت ضد الاتحـــاد السوفياتي ودفاعها عن مكتب التحقيق الفدرالي الذي كان يقود الحملة المكارثية ضد التقدميين في الولايات المتحدة . الا ان المؤلف لم يقف طويلا عند هذه الفترة بل انتقل الى فترة « مد الجسور » التي وضعها دين رسك عام ١٩٦٤ والتي رافقها برأي المؤلف ، حملة « تفريغ الافكار من محتواها » في الشيوعية ، وقال ان الصهيونية لجأت بعد تلك الفترة من جديد الى « الشكل الاشتراكي » للصهيونية لمكافحة الشيوعيـــة وحركـــات التحرر الوطنـــي . وتكلـــم المؤلـــف عن احـــداث تشيكوسلوفاكية ، فقال ان الصهيونيين لعبوا دورا في احداثهـــا ، واورد فيما اورد قول صحيفـــة هـــآرتس الاسرائيليـــة في ديسمبـــر ١٩٦٧ ان اسرائيل « يجب ان تلعب دور الشوكة التي تنخر جسم الحـــركة الشيوعية والتي يتولد حولهـــا بالتدريج جزء متورم » وان اسرائيل تمتلك اكبر الامكانيات لتوجيه ضربة الى الاشتراكية في شرقي اوروبة وبالاخص في بولندة وتشيكوسلوفاكيا .

وتحت عنوان « رجـــال الصاعقة ذوي القمصان الزرقاء » ، قدم المؤلف عرضا لهوية « رابطة الدفاع اليهودية » التـــي تنشط في الولايـــات المتحدة ، بكافة الوسائل وعلى رأسها وسيلة العنف ، ضد الاتحاد السوفياتي (وضد اليسار الاميركي والحركة السوداء وضد المواطنين العرب

في اميركا) . وجاء تركيز المؤلف على الدور الرجعي الذي لعبه ويلعبه مؤسس وزعيم هذه الرابطة ، مائير كاهانا ، فوصفه على انه « موسوليني اليهود » وروى اخبار نشاطاته بالتعاون مع ، وفي خدمة ، المنظمات الاميركية اليمينية (جمعية جون بيرش والفيلق الاميركي وجمعية السلاح الوطنية على سبيل المثال) التي تنشط في الكشف عن التقدميين في الولايات المتحدة وفي التضييق عليهم . كما تطرق المؤلف الى عمل رابطة الدفاع اليهودية في اسرائيل حيث تجهد هذه الرابطة باسلوب هستيري شبيه باسلوب سليفاتها في المانية في الثلاثينات من اجل تفريق المظاهرات الموجهة للدفاع عن العرب في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ . ولا حاجة بنا ان نسهب في الكلام حول هذا الفصل من الكتاب ، فنكتفي بالقول انه يشكل مساهمة قيمة في ابراز الطابع الفاشستي الذي تتصف به الرابطة .

اما الفصل الاخير في الكتاب بعنوان « تحت راية العداء للاتحاد السوفييتي » ، فقد اعطى فيه المؤلف عرضا لمجمل المنظمات الصهيونية « المحترمة » التي تسعى الى نفس اهداف الرابطة دون ان تستعمل وسائلها والتي تتعاون في حملة اعلامية ايديولوجية ضخمة ضد الاتحاد السوفييتي من اجل الاساءة الى سمعة الاشتراكية ومن اجل تحقيق هجرة اليهود السوفيات لصرفهم عن مجتمعاتهم ولزجهم في خدمة الامبريالية في معسكر دولة اسرائيل . وبهذا فقد اعطى المؤلف فكرة في هذا الفصل عن الحجم الهائل للضغوط التي يقع تحتها الاتحاد السوفياتي ، كما بين ان هذه الضغوط تلقى التأييد الضمني والعلني من حكومات الدول الامبريالية .

لعل المؤلف يكون مقتنعا في تأكيده على ان معاداة الشيوعية هي مهنة الصهيونية . فهو يورد وثيقة صدرت عن مؤتمر صهيوني عقد بعيد الثورة البولشفية عام ١٩١٨ جاء فيه : « ان الاشتراكية تقطع الطريق امام الصهيونية . لذلك فان الصهيونية والشيوعية لا تعتبران قطبين متنافرين فحسب ، بل وعنصرين ينفي احدهما الآخر تماما » . ولكن بما ان المؤلف سعى لاثبات نظرته حول معاداة الصهيونية للشيوعية بالتركيز على معاداتها للاتحاد السوفياتي ، فالسؤال الذي يتوارد الى الاذهان هو ما اذا كان الاتحاد السوفياتي قد عادى الصهيونية بالقدر الذي هي عادته به طوال نصف القرن الماضي منذ الثورة ؟ ولا شك ان الدولة السوفياتية كانت قد وقفت موقفا عدائيا صارما بعيد نشوئها خلال السنوات الاولى التي تلت الثورة . فاللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية كانت قد اصدرت منذ تلك السنوات وثيقة (اوردها المؤلف) اعلنت فيها : « ان مشروع فلسطين هو محاولة لصرف انظار جماهير العمال اليهود عن النضال الطبقي ، والدعوة للانتقال الجماعي الى فلسطين ليست افكارا قومية وبورجوازية صغيرة فحسب ، بل وافكار مضادة للثورة من حيث الجوهر » . لكن تاريخ ما بعد تلك السنوات شهد فترة محددة خلال النصف الثاني من الاربعينات ساهم فيها الاتحاد السوفياتي في تدعيم مطالب الصهيونية فيما يتعلق بفلسطين . والواقع ان هذه المساهمة آنذاك ، هو ما اكسب الصهيونية قسطا كبيرا من قبولية تصديق اشتراكيتها المزعومة — هذه الاشتراكية الملفقة التي تستعمل الآن ، كما يقول لنا المؤلف ، من اجل مناهضة الشيوعية والاتحاد السوفياتي . وعلى ذلك فالسؤال الذي لم يعالجه المؤلف هو : ما هي الظروف التي أدت بالاتحاد السوفياتي في فترة ما من تاريخه الى تأييد خطوة حاسمة من خطى الصهيونية ، علما بان معاداة الشيوعية كانت ، آنذاك وقبل ذلك وبعده ، مهنة الصهيونية ؟ وقد يبدو ان هذا سؤالا كلاسيكيا يطرح مرارا في الاوساط العربية بشكل خاص . ولكن باعتقادي ، فان تصدي السوفيات له والاجابة عليه ، قد يلقي ضوءا هاما على نجاح الصهيونية النسبي في حملتها الحالية للاساءة الى سمعة الشيوعية ولاستدراج اليهود السوفيات ووضعهم في خدمة الامبريالية في اسرائيل ، الامر الذي يسهم في هدف الامبريالية في خرق تماسك الشعوب السوفياتية وتلاحمها ، في نفس الوقت الذي يؤدي الى المزيد من التوسع الصهيوني على حساب الشعوب العربية وعلى حساب الشعب العربي الفلسطيني بشكل خاص .

أ . ن . سعد

Victor Nasr, **Le suicide americain,** (Editions EPA, Beyrouth, 1972).

اذا كان « الكتاب يقرأ من عنوانه » ، كما يقول المثل الشعبي ، فان هذا ينطبق اكثر ما ينطبق على كتاب فيكتور نصر هذا الذي نحن بصدده . وليس هذا حدسا منا او حكما مسبقا او استخفافا بموضوع قد يكون صاحبه بذل جهدا حقيقيا في « دراسته » بل هو استنتاج من العنوان الطويل جدا الذي وضعه المؤلف لكتابه والذي يمكن أن نترجمه كالاتي :

« رسالة مفتوحة من لبناني موالي للغرب الى الولايات المتحدة الاميركية — سياسة اميركا الموالية لاسرائيل والصهيونية أو **الانتحار الاميركي** في الشرق الاوسط وفي العالم العربي وشمالي أفريقيا وحوض البحر الابيض المتوسط » .

اذن فان الكاتب ينطلق من موقع الموالاة للغرب ليدرس وينتقد ويتعجب من مواقف الولايات المتحدة الاميركية وسوء فهمها « للمأساة الفلسطينية التي هي أساس أزمة الشرق الاوسط الراهنة » . كل هذا حتى « يظل الغرب الديمقراطي والليبرالي منطقيا مع نفسه وحتى لا يسير نحو الدمار » (ص ٧) .

ان حرص فيكتور نصر على مصالح الولايات المتحدة الاميركية في الوطن العربي وعلى قيمها الليبرالية يعطي القارىء انطباعا عاما بأن هذا الكتاب لا يريد خدمة القضية الفلسطينية الا لانها قد تؤثر على وجود الغرب في المنطقة العربية . الا اننا لا نريد ان نظلم المؤلف لنحصر انفسنا ضمن حدود الانطباعات العامة بل سنحاول ان ندرس الكتاب دراسة مفصلة قبل اصدار أي حكم تقييمي .

يقول فيكتور نصر في مقدمة كتابه :

« ليست هذه الرسالة المفتوحة ، الموجهة بشكل أساسي الى الراي الاميركي (الغريب ان الكتاب بالفرنسية وينوي المؤلف نقله الى العربية قبل الانكليزية ؟ ...) وبالتالي الى حماة اسرائيل الغربيين ، عملا اعلاميا او وثائقيا بل هي عبارة عن ابداء رأي يهدف الى الحث على العمل لمواجهة الهجوم الشرس للمخططات والوقائع الصهيونية والاسرائيلية » (ص ١١) . اما كيف يمكن لهذا « الراي » ان « يجابه المخططات والوقائع الصهيونية والاسرائيلية » فأمر لا يوضحه لنا الكاتب وكأن المسألة مسألة سوء فهم او خطأ تاريخي وعدم نضوج سياسي . الا انه على كل حال لا يبخل علينا بشرح مستفيض للدوافع البعيدة والمواقع الفكرية والسياسية التي انطلق منها لابداء هذا « الرأي » . يقول فيكتور نصر بهذا الصدد :

«ان كاتب هذه السطور — مواطن في نظام ويمقراطي مستمد من الغرب ، مواطن من لبنان ذي النظام البرلماني مئة بالمئة والمتمسك بكل حزم بالحرية ، شكلا ومضمونا — يتطوع ليعكس ، بكل بساطة وبدون أي ادعاء ، الارتباك الذي يقع فيه الاف اللبنانيين والعرب الذين ، بالرغم من كونهم متضامنين مع القوى الحية التي تحارب ضد الشيوعية فانهم يستنكرون بعض الاساليب المستعملة لايقاف تقدم الانظمة الاستئثارية totalitaire ويطالبون مخططي الليبرالية العصرية الجديدة ان يعيدوا النظر جذريا وبسرعة برؤية معينة وتكتيك معين لم يؤديا ، خاصة في اطار الوضع في الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط الا الى فشل ذريع » (ص ١٩) .

هكذا اذن ، وبدون اقنعة ، يعلن المؤلف عن ارتباطه بالديمقراطية الغربية (أي « بالعالم الحر »)وموافقته على شن حرب صليبية ضد الشيوعية وضد الانظمة الاستئثارية (أي التقدمية) في المنطقة الواقعة تحت « النفوذ السوفييتي » (!) ومن هنا حرجه الزائد في الدفاع عن جوهر السياسة الاميركية القائمة على الديموقراطية والحرية ، هذه السياسة التي بدأها جورج واشنطن وابراهام لنكولن وغيرهما ... من رواد الاستقلال الاميركي والتي اصيبت في هذه الايام بعجز عن « التحليل والفهم » !.. أو التي ضللت بسبب النفوذ الصهيوني الواسع المسيطر عليها... انه لا يريد ان يصدق أن ما يسميه « بالديمقراطية الاميركية » لا وجود له وبالتالي فهو لا يفكر ولو للحظة واحدة ان الولايات المتحدة بالرغم من تمايزها عن اسرائيل والصهيونية الا انها في نهاية المطاف وبالتحليل الاخير العدو الاساسي للقضية

العربية (حتى ولو انطلقنا من مواقع الكاتب نفسه اي من الابحاث بالديمقراطية البرلمانية الشكلية) انه يرفض ان يرى في سياسة الولايات المتحدة الاميركية شيئا آخر غير سوء الفهم وعدم النضج السياسي . وها هو يتساءل بكل « سذاجة » : « هل تؤمن الولايات المتحدة باخلاص بأن سياستها الحالية تخدم قضية الديمقراطية وتساهم في ابعاد شبح الشيوعية عن الشرق الاوسط وكل حوض البحر الابيض المتوسط ؟ هل تؤمن الولايات المتحدة حقا بأن سياستها الحالية تخدم المصالح الاميركية الضخمة في العالم العربي ؟.. ألم تلاحظ بعد بوضوح ان غزو الاسطول السوفييتي للبحر المتوسط هو نتيجة مباشرة لجهلها او انكارها لمصالحها الحيوية ومبادئها الاكثر قدسية ؟ »

ان كل هذه التساؤلات التي يكاد لا يخلو منها أي فصل من فصول هذا الكتاب ان دلت على شيء فعلى جهل مطبق بحقيقة الصراع الذي تخوضه الثورة العربية ضد اعدائها المعلنين والمتسترين وعلى محاولة متعمدة ومشبوهة للتخفيف من مسؤولية الولايات المتحدة الاميركية كعدو أساسي في هذا الصراع . ان تصوير السياسة الاميركية المعادية لامال العرب في التحرر والوحدة والتقدم وكانها نتيجة « تخل عن الموضوعية » (الفصل الرابع) او « سخاء غربي متواطىء » (الفصل السابع) او « خطوات خاطئة » (الفصل العاشر) أو « عدم نضوج سياسي » او سيطرة اليهودية العالمية والصهيونية على مقدرات الاقتصاد الاميركي اي تصوير الولايات المتحدة وكانها ضحية أو اداة بيد الصهيونية الخ ... ان كل هذا لا يعدو كونه الا محاولة تمويهية تهدف بالدرجة الاولى الى تبييض صفحة الولايات المتحدة الاميركية زعيمة الاستعمار الجديد واعطاء صورة سطحية ومشوهة عن طبيعة الصراع الذي تخوضه الامة العربية في تاريخها المعاصر .

والخطير في هذا التصور هو أنه يلغي دور الاستعمار بشكل اعتباطي (على اعتبار ان الاستعمار لم يعد له وجود وان معظم الدول الصغيرة قد نالت « استقلالها » في هذا العصر) ويحصر الصراع بين العرب واليهود ويحمل الصهيونية المسؤولية ، كل المسؤولية ، في كل مشكلات العالم المعاصر باعتبارها ، استنادا الى ما ورد في كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » الذي يعلب الكاتب ان يذكرنا به ، حركة « شيطانية » و« لا أخلاقية » تريد ان تسيطر على العالم بأسره من خلال مخططات جهنمية مثيرة . طبعا نحن لا ننفي عن الصهيونية جرائمها وعنصريتها وعدوانيتها الا انه من السخف والغباء تحميلها قدرة سحرية وشيطانية واعتبارها ظاهرة خارقة للعادة تتحكم بمصير العالم وتسيره كما تشاء . ويكفي ان نذكر ان هذا المنطق يقود بعض القوى المعادية لحركة الثورة العربية الى اعتبار الشيوعية العالمية « اختراع جهنمي » من اختراعات اليهودية العالمية حتى ندرك المغزى المبطن والحقيقي لمثل هذه التفسيرات . بكلمة أخرى ، ان هذا المنطق يهدف في النهاية الى تبرئة ساحة الاستعمار — الاميركي بشكل خاص — وتصويره بمظهر العملاق المخدوع الذي لا يعرف مصلحته الحقيقية. ان فيكتور نصر بتبنيه لهذه الافكار يساهم مساهمة اكيدة في تشويه القضية الفلسطينية ويخدم موضوعيا — من حيث يدري او لا يدري — سياسة الولايات المتحدة الاميركية العدوانية والاستعمارية تجاه الشعب العربي . لو ان فيكتور نصر كلف نفسه عناء اعادة قراءة تاريخ العرب المعاصر لادرك ولا شك ان الصهيونية — وليست اليهودية — ليست سوى ظاهرة استعمارية كغيرها من الظواهر التي شهدها القرن التاسع عشر الاوروبي ، وهي رغم تمايزها وتفردها ببعض الخصائص الذاتية فانها في التحليل الاخير جزء لا يتجزأ من الاستعمار في أعلى مراحله وأبشعها وأشرسها . لو ان فيكتور نصر قرأ التاريخ العربي بامعان لادرك بكل تأكيد ان اسرائيل ما هي الا مشروع استعماري صرف بدأ يختمر في الدوائر الاوروبية الحكومية منذ بداية القرن الماضي وبشكل أخص منذ ان بدأ محمد علي يشكل خطرا حقيقيا — عندما ربط سوريه بمصر — على مطامع اوروبا في اقتسام اجزاء « الرجل المريض » . اما الدين اليهودي فلم يكن الا وسيلة استغلت أبشع استغلال لتوفير غطاء اعلامي لمشروع زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي لتكون عامل تجزئة دائمة وقاعدة متقدمة من قواعد الاستعمار في المنطقة . وهذا كله ان دل على شيء فعلى ان الصهيونية لا تقود العالم بل هي مجرد اداة استعمارية ذات طبيعة متميزة ومجرد ثمرة من ثمرات الامبريالية العالمية تماما كجنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال وغيرها ... اما القول بأن الولايات المتحدة الاميركية تقع تحت

تأثير الصهيونية العالمية التي قد تجرها الى حتفها الاكيد وتقضي على مبادئها «الانسانية والديمقراطية» فلا يرتكز على اي اساس واقعي لا بل انه يرتبط بوهم كبير مؤداه ان في الولايات المتحدة الاميركية ديمقراطية حقيقية وحرية لا غبار عليها . الا انه يكفي ان نذكر قضية الملونين في الداخل والحروب العدوانية في الخارج (حرب فيتنام مثلا) حتى ندرك بطلان هذا الادعاء . وهنا لا بد لنا من التساؤل : لماذا « تعامى » المؤلف عن هذه الوقائع التي تدين بوضوح « الديمقراطية الغربية » التي يؤمن بها ؟ ولكن من يدري فقد يكون هذا مقلبا شيطانيا من مقالب الصهيونية العالمية او قد يكون فيكتور نصر يعتبر وضع الملونين في الولايات المتحدة ناجم عن طبيعتهم الوراثية التي تدفع الى الكسل والخمول وان الحرب الاميركية ضد شعب فيتنام هي حرب العالم الديمقراطي الحر والمتمدن ضد قوى الشر المتمثلة بالشيوعية وأنه لذلك يتضامن معها من كل قلبه ولا يجد فيها ما يدعو الى الخجل او الاستنكار !...

على كل حال ، ومهما تكن تساؤلاتنا ، تبقى امامنا حقيقة أساسية تتجلى في كل فصل من فصول هذا الكتاب الانيق الطباعة والورق والاخراج وهي ان المؤلف يخاف خوفا حقيقيا على مصالح الولايات المتحدة الاميركية في الوطن العربي ولا يدعوها الى تغيير سياستها الا خوفا من « انتحارها » !...

وهو لا ينسى طبعا ان يشكك في صداقة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ويتهجم عليه بخبث من خلال تعريضه بحسن نواياه وقيمة مساعداته وفعاليتها ، مفردا لهذه الجملة فصلا كاملا بعنوان « سراب الدعم السياسي – العسكري للاتحاد السوفياتي الى البلدان العربية» (الفصل السادس عشر ، ص ١٣٩) الا اننا نريد ان نطمئن فيكتور نصر الى أنه لا خوف على الولايات المتحدة من « الانتحار » خاصة في ظل الظروف الراهنة التي تشهد ازدهارا متزايدا للمصالح الاميركية في المنطقة ولنوع معين من الكتابات التي لا مبرر لها الا الدفاع عن هذه المصالح بالذات والذي يندرج هذا الكتاب ضمن خطها العام . ان الولايات المتحدة لا ولن « تنتحر » بل على العكس نراها كل يوم تنحر المئات منا دون ان يمنعها ذلك من الكلام عن الديمقراطية والحرية . ان المعنى الوحيد لكلمة « انتحار » هو اتخاذ موقف تفرجي سلبي ازاء المصالح الاميركية في حين ان المهمة الاساسية والعاجلة هو « نحر » هذه المصالح بدل ان ننتظر، عبثا ، انتحارها ، ومحاربتها بشتى الوسائل وعلى كل المستويات وخاصة على المستوى الفكري والاعلامي ، من خلال فضح هذا النوع من الكتابات التضليلية والمعادية لحركة التحرر العربية والعالمية .

ماجد نعمه

Mark Braham, **Jews Don't Hate - How a Jewish Newspaper Died,** (Nelson, London, 1970).

في صيف ١٩٦٨ اوقفت صحيفة يهودية تصدر في استراليا منذ تسعين عاما صدورهــا اثر ضجة قامت حول أحد معلقيها شبيهة بالضجة التي كانت قبل ذلك بعام أدت الى طرد جون كمشه من رئاسة تحرير الجويش اوبزرفر اللندنيـــة . فان مـــارك براهام كان قد تجرأ في كتاباته على توجيه النقد الى اسرائيل . الا ان دوافعه اختلفت عن دوافع كمشه . فاذا كان الاخير قد تورط في النزاع بين جناحي بن غوريون وايشكول ، فان براهام ارتكز في نقده على نقطة جوهرية تتعلق بفلسفة الحكم في الدولة الصهيونية . وبراهام هو يهودي بريطاني تخرج من جامعة كمبرج ، وخدم برتبة ضابط في القوات البريطانية ابان الحرب العالمية الثانية . ثم انجرف مع الموجة الدينية التي جرفت عـــددا كبيرا من اليهود في الربع الاخير من هذا القرن نحو اليهودية الارثوذكسية ، فأصبح متدينا متزمتـــا ينعي على اسرائيل ابتعادها عن الايمان اليهودي الحقيقـــي . وفي احـــد مقالاتـــــه المنشورة في « الاوستراليان جويش هيرالد » كتب يقـــول ما معناه ان اليهودي الذي يصبح جنديا مظليا يحتاج الى شجاعة تقل عن شجاعة اليهودي الذي يختار ان يعيش حياة يهودية . هذه العبارة مست قدس الاقداس في اسرائيل ، واعتبرهـــا الصهيونيون تجريحا للجندي الاسرائيلي فـــي لحظة انتصـــاره الاكبر . فقامت القيامة على براهام ، ولم يشفع له كونه صهيوني متحمس ، وابن رجل طالما قدم الخدمات الجليلة للحركة الصهيونية ، ولا انه يتبرع بالمكافئات التي يحصل عليها مقابل مقالاته لاسرائيل ، ولا انه ارسل ابنه ليعمل في كيبوتز . كل ذلك لم يخلصه من غضب اسرائيل ، فاتهم بأنه عميل للعرب ، وقدم ممثلون رسميون من الدولة الصهيونيـــة الى استراليا للاشراف على حملة المقاطعة ضده ، فاقفلت الصحيفة التي كان يكتب بها ، وخيمت مؤامرة الصمت المعتادة التي يتقن الصهيونيون نسجها ، فوق آرائه .

ان الكتاب موضوع هذه المراجعة هو محاولة من براهام لتفسير وتبرير موقفه ، لا سيما بعد ان رفضت الصحف اليهودية في استراليا وبريطانيا ان نشر دفاعـــه عن نفسه . والكتاب يهم القارىء العربي لسببين : أولهما انه يبين الطرق التي تلجأ اليها اسرائيل في خنق أي رأي يهودي لا يتفق مع سياستها . والثاني ، انه يعبر عن اجتهاد اقلية يهوديـــة في العالم تناهض اسرائيل بسبب ابتعادها عن الدين اليهودي . ان براهـــام لا يتعاطف مع المجلس الاميركي لليهودية الذي يمثله (او بالاحرى كان يمثله) رجال مثل الحاخام المر بيرغر والفرد ليلينثال ، باعتبار ان هـــذا المجلس يمثل اليهوديـــة الاصلاحيـــة ، وليس اليهودية التقليدية المتزمتة التي يعتنقها براهام . كما ان براهام لا يؤيد مناهضة بيرغر للصهيونية . اما بالنسبة ، لموشي مينوحين ، فان براهام يعرب عن احترامه لاجتهاد هذا المفكر اليهودي ولاخلاصه للحقيقة كما هو يراها ، الا انـــه لا يتفق مـــع استنتاجاته ، بل يعتبرها مفتقرة الى التوازن . ان الفئة التي ينتمي اليها المؤلف هي ناتوراي كارتا (حراس المدينة) المعارضـــة لعلمانية الدولـــة الصهيونية ، ولذا فان اهم فصل في الكتاب هو ذلك الذي يناقش فيه براهام آراء تيودور هيرتزل ، مؤسس الصهيونية الحديثة ، ذات الاتجاه المتباعد عن اليهودية كدين .

يقول براهام ان الدافع الرئيسي وراء صهيونية هيرتزل لم يكن الدين اليهودي بقدر ما كان تأثير الرومانتيكية الجرمانيـــة الجارف على تفكيره . فالرجل عاش ومات وهو ليس يهوديا مؤمنا ، وان كان يتوخى زيارة المعبد في فترات انعقاد المؤتمرات الصهيونية ، وذلـــك ليحوز على ثقـــة اليهود المتدينين . كـــان هيرتزل من أشـــد المعجبين ببسمارك ، وهدفه في الحياة ان يلعب في تاريخ اليهود الدور الذي لعبه مستشار بروسيا الحديدي في التاريخ الالماني الحديث . وطيلة حياته كانت امنيته ان ينتمي الى طبقة النبلاء البروسيين ، ولكن لما كانت يهوديته تمنعه من ذلك ، فقد سعى للتعويض عن هذه الامنية الخيالية بالعمل لتحقيق هدف من شأنـــه ان يجعله ملك اليهـــود غـــير المتوج . ويقول براهام ان ابتعاد هيرتزل عن الدين اليهودي نجم عنه عذاب ضميري ادى الى تقصير حياته . ثم يستعرض بعض الجوانب من حياته التي تجاهلها كتاب سيرته ، فيؤكد على ان تربية امه له كانت المانية تماما ، حتى ان هيرتزل الشاب اخذ يقرض الشعر في تأليه الروح الجرمانية .

ولما تزوج ، لم تسر حياته الزوجية حسب النمط اليهودي التقليدي الذي يراعي تماسك عرى الاسرة . وهذا ادى في النهاية الى وقوع الفواجع . فان ابنه اعتنق ثلاث عقائد مسيحية ، قبل أن يعود الى اليهودية . ثم انتحر وهو في بداية الاربعين . اما ابنته ، فقد عاشت حياة « غير منتظمة » (على حد قول براهام الذي لا يوضح اكثر) ثم ماتت ، غير متزوجة ، وفي ظروف فاجعة ، بمدينة بوردو بفرنسا . وقد انتحر ابن هيرتزل في يوم جنازتها ، لانه « لام نفسه على اهماله لها . » ويذكر براهام انه يقال بأن ابن هيرتزل لم يكن مختونا ، وان هذه الاشاعة التي لا يمكن تأكيدها او نفيها صدمت اليهود الذين يحرصون على ختن أولادهم .

اما ابنة هيرتزل الصغرى ، فقد قضت سنوات عديدة في مستشفى الامراض العقلية ، ثم لاقت حتفها مع زوجها في افران الغاز النازية . وعندما علم ابنها الوحيد بالطريقة التي مات بها والداه ، قفز من بناية في واشنطن عام ١٩٥٢ ، وهكذا انمحى نسل هيرتزل . ومع ان براهام لا يقول ذلك صراحة ، الا انه بوضوح يعتبر هذه الفواجع كلها عقابا ربانيا لهيرتزل على ابتعاده عن الدين اليهودي ، وبنائه الدولة الصهيونية المعتمدة على أسس علمانية قومية مستعارة من بسمارك وفخته وربنان ، وليس من التعاليم اليهودية الالهية torah . ويشير براهام الى ان عددا كبيرا من الصهيونيين الاوائل كانوا من معادي السامية ، وهدفهم في انشاء دولة يهودية لم يكن الا محاولة مستترة لبعث شعب جديد لا يحمل الصبغة اليهودية التقليدية التي يمقتونها كل المقت . وبين هؤلاء ، علاوة على هيرتزل نفسه ، كل من ماكس نورداو وأحاد هاعام (آشر هنزبرغ) والدكتور حاييم وايزمن .

ويهاجم براهام خضوع رجال الدين اليهودي للسلطة السياسية في اسرائيل ، قائلا ان ذلك يتنافى تماما مع أصول التعاليم الدينية التي كانت دائما تعتبر الحاخامات المرجع الاعلى لشؤون اليهود . اما اليوم ، فاصبح الحاخام ، برأيه ، مجرد موظف يحرص على عدم اغضاب الجهة التي تعينه في منصبه وتدفع له راتبه . ويقول المؤلف انه احتكم الى رجال الدين ابان ازمته مع السلطات الاسرائيلية ، الا انه وجد تهيبا ملحوظا منهم ، وعدم رغبة في التورط بنزاع مع حكومة اسرائيل وربيبتها المنظمة الصهيونية . وهذا الموقف اعتبره خروجا مخجلا على التقاليد اليهودية ، وعلى نص الدين وروحه . صحيح انه وجد تفهما لموقفه من قبل الكثيرين من رجال الدين وغير رجال الدين ، الا ان هذا التفهم والتعاطف كان على الصعيد الشخصي الشفهي ولم يترجم الى افعال . فقد حوكم براهام وادين ولم تنشر صحيفة يهودية واحدة دفاعه عن نفسه ، مما اضطره للجوء الى صحف « الغويم » ، فاغتنم مثلا الجدل الدائر على صفحات مجلة الاذاعة البريطانية « ذي ليسنر » حول موقف البي بي سي من العرب ، ليفضح اسلوب الصهيونيين في خنق أي رأي يتعارض مع آرائهم .

وينقسم الكتاب الصغير الى ثلاثة أقسام : القسم الاول يدور حول الازمة العاصفة التي اثيرت حوله في استراليا وادت الى غلق الصحيفة التي كان يكتب فيها . والقسم الثاني يدور حول هيرتزل وبقية الصهيونيين الاوائل الذين اسسوا حركة علمانية خارجة على الدين اليهودي . أما القسم الثالث ، فيتضمن آراء المؤلف حول الصراع العربي الاسرائيلي ، وفيه يبرز براهام مؤيدا متحمسا للكيان الصهيوني . ويحمل الفصل الاخير عنوان الكتاب : اليهود لا يكرهون . ويفاجىء القارىء عندما يصل الى هذا الفصل ، اذ يجد بأن المؤلف جاد في عنوانه وليس ساخرا ، باعتبار ان الرجل الذي عانى من بني قومه مثلما هو عانى ، لا يمكن الا ان يكون ساخرا عندما يختار هذا العنوان لكتابه ، وللفصل الاخير فيه . ولكن لا ، فان مارك براهام لا يعترف بوجود شيء اسمه الكراهية اليهودية للعرب ، بل الامر على نقيض ذلك تماما ، في رأيه . وباستثناء عصابة الارغون التي يختلق لها المعاذير ، فالكراهية والتعصب والارهاب هي كلها أمور صادرة عن العرب « المتطرفين » . وهنا يبرز زيف هذا الكاتب وريائه ، اذ بينما تزخر بقية الفصول باستشهادات لا تحصى ، استقاها من الكتاب اليهود وغير اليهود ليدلل بها على صحة نظرياته ، نجده في هذا الفصل يستقي الشهادات من غتاة الصهاينة ذوي الوجهين ، مثل جيريميا بن جيكب ، ليؤكد على ان اليهود تعلموا دائما ان يحبوا العرب ، بل علموا اولادهم أيضا على ان يحبوهم ، ولكن وأسفاه ، فالشوفينية العربية قد نفثت فيها الفاشستية

سمومها ، فلم يبق لها هدف الا القاء اليهود في البحر ! ولا ينسى براهام ان يذكر القارىء بأن العنف العربي ضد اليهود بدأ عام ١٩٢٠ ، بينما تفوه طيب الذكر بن جيكب بكلمات حبه للعرب عام ١٩٤٢ ! كما انــه يغوص في التعاليم اليهودية ليبرهن علــى تسامح اليهود وسلامة قلوبهم من الحقد الاعمى ، فيصل به التحمس الى القول بأن اليهود لا يحقدون حتى على الالمان الذين احرقوا منهم ستة ملايين رجل وامراة وطفل في افران الغاز الهتلرية . وطبعا من يقل ذلك ، بامكانه ان يقول كل شيء ، فالحقائق الواضحة لن تجعله يتهيب عن الغوص ببحر الاكاذيب .

ما هي أهمية كتــاب براهــام بالنسبــة لليهود انفسهم ؟

لقد ظهر هذا الكتاب قبل عامين ، الا انه لم يحدث رجة لها اثر بين اليهود ، باعتبار ان الدعوة التي يتضمنها لا يمكن ان تثير اهتمام اليهود الطمائنين . فالرجوع الى دين صعب معقد تكثر فيه المحرمات كالدين اليهودي لا يمكن ان يستهوي افئدة أناس تسحرهم ابتكارات التكنولوجيا الحديثة التي تتيح لهم انتاج أسلحة الدمار . ان اليهودي المحارب موجود ليبقى ، وليست روحانيات مارك براهام هي التي ستنهي وجوده ، وانما المقدرة العسكريــة العربية فيما لو توفرت. ولذا ستظل اهمية كتاب براهام كامنة في الضوء الجديد الذي يلقيه على دوافع هيرتزل الحقيقية ، وعلى حياته الشخصية . انها صورة مقتضبة تلك التي يرسمها ، الا انها قد تكون فاتحة لدراسة موضوعية جديدة قد تكتب يوما ما عن الرجل الذي اراد ان يكون بسمارك اليهود .

ف. المنصور

مراجعة لمراجعة كتاب تيسير النابلسي ، **الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧** (مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت : ١٩٧٢)

في العدد الخامس عشر من مجلة شؤون فلسطينية في باب مراجعات الكتب استوقفتني مراجعة كتاب « حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان حزيران » لمؤلفه تيسير النابلسي ، وقد رأيت بعد ان فرغت من المراجعة التي قام بها السيد مصطفى كركوتي ، انه لم يقدم مراجعة للكتاب يحصل منها القارىء على فكرة واضحة عما احتواه الكتاب . فالفيتني أورد هذا التعليق مبينا ما اغفل المراجع اثباته للوصول الى الهدف المتوخى من وجود هــذا الباب في المجلة .

الكتاب بمجمله عرض لوقائع وحقائق حول حركة الهجرة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ والقضايا التي تثيرها هذه الحركة داخل فلسطين المحتلة مضافا اليه احصاءات وجداول احصائية وجانبا تحليليا حلل فيــه الكاتب مستقبل الهجرة علــى ضوء الحقائق التــي اوردهــا حول حركــة الهجرة وقضاياها .

يتضمن الكتاب بابين رئيسيين تتبع الاول فيهما حركة الهجرة اليهودية ابتداء من حزيران عــام ١٩٦٧ وانتهاء بأوائل عام ١٩٧١ ، ويقسم هذا الباب الى فصول اربعة ورد في الاول منها نظرة شاملة الى حركة الهجرة خلال الفترة عينها وتناول الفصل الثاني بالعرض حركة الهجرة خلال كل سنة من هذه السنوات الاربع ، اما الفصل الثالث فقد تناول الكاتب فيه حركة الهجرة من البلدان المختلفة خلال نفس الفترة محللا الظروف المختلفة التي اثرت على حجم الهجرة من هذا البلد أو ذاك . ويختتم الكاتب الباب الاول باستعراض لحركــة الهجرة المضادة خلال هذه الفترة ايضا ودوافعها . اما الباب الثاني فيتناول القضايا المختلفة التي تثيرها حركة الهجرة داخل فلسطين المحتلة مؤثرة فيها ومتأثرة بها ، وقد تناول الكاتب أربع قضايا أساسية هــي (١) استيعــاب المهاجرين . (٢) التأثيرات الاقتصادية لحركة الهجرة علــى الاقتصاد الاسرائيلي . (٣) الاساليب المتبعة لاستجلاب المهاجرين مع الاشارة الى التسهيلات والمزايا التي يتمتع بها المهاجر . (٤) اسكان المهاجرين وهي قضية تؤثر بشكل فعال على حركة الهجرة .

ويختتم الكتاب بخاتمة تحليلية يبين فيها الكاتب تأثير

حالة الحرب مع العدو على حركة الهجرة ثم نظرة الى مستقبل الهجرة .. ويمكن القول ان المعلومات والحقائق التي اوردها الكاتب في كتابه هذا جديدة وقيمة لم يسبق للمكتبة العربية ان عرضتها .

وبعد هذا العرض السريع لمحتويات الكتاب لا بد من الايضاح سلفا ان هذه الدراسة المختصرة لحركة الهجرة وقضاياها والتي تقع في حوالي مائتي صفحة من القطع الصغير لا يمكن ان تفي هذا الموضوع الهام حقه ، بل لا بد لاستيفاءه من دراسات موسعة وتفصيلية لاحقة .

آمل ان يشارك فيها السيد كركوتي لتفادي أوجه النقص في الكتاب . الا ان هذا لن يقلل من أهمية الكتاب .. واذا عدنا ثانية لمراجعة السيد كركوتي أو على وجه التحديد « انتقاداته » لوجدناها في غالبيتها اما مبالغا فيها او انها تستند الى معلومات مغلوطة وغير صحيحة نسبت للكتاب ، ففيما يتعلق بالهجرة من الولايات المتحدة يذكر المراجع ان الكاتب « لا يرى خطورة من هجرة يهود الولايات المتحدة ، وان الدافع الديني هو ابرز دوافع الهجرة الحالية » . الا ان العبارة التي اوردها الكاتب على الصفحة ٤٩ كانت كالتالي « ان الحركة الصهيونية لم تحقق حتى الان نتائج ملموسة في احاطة يهود الولايات المتحدة بجو نفسي للمدى الذي يدفعهم للهجرة ، ولذلك تبقى دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الى فلسطين المحتلة محدودة ببعض البواعث الدينية والسياسية والعسكرية » . ثم يتعرض الكاتب تفصيلا ليبين مدى هجرة العسكريين والعلماء من الولايات المتحدة الامر الذي يغذيه الدافعان العسكري والسياسي ويتبقى بعد ذلك الدافع الديني من ابرز الدوافع بالنسبة لهجرة الفئات الاخرى ... ولذلك فلا يمكن الوصول الى الاستنتاج الذي اورده المراجع من ان الكاتب لا يرى خطورة في هجرة يهود الولايات المتحدة أو حول تحديده للعامل الديني في هجرة هؤلاء اليهود .

يدعي المراجع ان أوضاع العمال اليهود خارج فلسطين المحتلة كانت من الاسباب التي دفعتهم للهجرة الى فلسطين المحتلة مع ان مثل هذا العامل كأحد دوافع الهجرة ضعيف لا يكاد يذكر ولئن صح مثل هذا العامل بالنسبة للهجرة التي تمت في أوائل الخمسينات من البلاد الشرقية الا انه لا يصح ابرازه الان وخاصة بعد عدوان حزيران .. حيث تميزت الهجرة بالنوعية وليست بالكم ويكفي النظر الى الاحصائيات بالنسبة لمهن المهاجرين للدلالة على قلة نسبة العمال علاوة على ان اليهود القادمين من البلاد العربية يتمتعون بمستوى عال من الدخل ولا يمكن القول بأن حافزهم للهجرة كانت حوافز اقتصادية لارتفاع مستوى دخولهم حسب ادعاء السيد كركوتي .

ثم يمضي المراجع في انتقاداته محاولا اضفاء اهمية اكبر ومبالغا فيها على الهجرة اليهودية من الولايات المتحدة بسبب الحرب الفيتنامية فرارا من الجندية والواقع ان هذا السبب لا يكاد يذكر لضآلة اهميته .

وكأن اسرائيل قد اضحت ارض السلام يأتي اليها اليهودي ليعيش في رخاء وأمن بعيدا عن مشاكل الحرب ، وهل حقيقة انتهت الحرب العربية الاسرائيلية ؟ ! ويغفل المراجع ايضا ان المواطن الاسرائيلي العادي هو مجند دائم يجاز من الخدمة العسكرية احد عشر شهرا ويلتحق بها شهرا في السنة .

وينتقد المراجع اعتماد المؤلف على التصريحات الرسمية والاحصاءات التي تصدر عن الجهات الاسرائيلية ورغم ان الكاتب يحاول اللجوء ايضا الى ما ينشر في الصحافة الاسرائيلية والاجنبية وبعض التقارير الخاصة الصادرة عن غير الرسميين بالاضافة الى التصريحات الرسمية فبودنا ان يرشدنا السيد كركوتي الى أية مصادر أخرى قد تكون متوفرة لديه عن مثل هذه الاحصاءات التي — كما نعلم — لا يمكن الحصول عليها بصورة رئيسية الا من مصادر العدو .

صحيح ان الكتاب لا يتضمن تحليلا موسعا لابعاد الدور الذي تقوم به الكفاءات المهاجرة لبناء الهيكل الاقتصادي والعسكري لاسرائيل وهو موضوع يستحق دراسة موسعة منفصلة الا ان الكاتب لم يغفل الاشارة الى هذا الموضوع وتحليله بايجاز اثناء دراسته الهجرة من الولايات المتحدة وعبء الاستيعاب الاقتصادي والتأثيرات الاقتصادية لحركة الهجرة وابرازه لهذا الجانب عند عرضه لاحصاءات وبيانات رقمية حول مهن المهاجرين التي يزخر بها الكتاب .

وفيما يختص بالهجرة من الاتحاد السوفييتي يذكر

المراجع بعض سطور من الكتاب على انها كل ما — خص الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، لقد ركز الكتاب في الصفحات ٥٦ — ٦٢ التي استهدفت بحث الهجرة من الاتحاد السوفيتي على الاساليب المختلفة التي تلجأ اليها اسرائيل والصهيونية للضغط على الاتحاد السوفيتي من اجل اطلاق سبيل الهجرة وهو امر هام اتى اكله مؤخرا خلال عامي ٧٢،٧١ بعد ان صدر هذا الكتاب — وهو موضوع يستحق ايضا دراسة موسعة .

يعيب المراجع في تعليقه على البحث المتعلق بالهجرة المعاكسة تخصيص عدة صفحات للحديث عن حركة النزوح خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ — ١٩٦٧ ، ولو عدنا للكتاب محل المراجعة لوجدنا انه تناول في الفصل الرابع حركة الهجرة المعاكسة في الصفحات ٧٤ — ٩٦ أفرد منها الصفحات الست الاولى للهجرة المضادة قبل عام ٦٧ في محاولة لاستخلاص العدد الحقيقي للمهاجرين خلال هذه الفترة ثم تناول في الصفحات المتبقية — ١٦ صفحة — حركة الهجرة المضادة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ .

ويتناول المراجع عبارة اوردها الكاتب هي « ربما كان من ايجابيات الاعلام العربي الموجه للعدو الصهيوني في فلسطين المحتلة قبل عام ٦٧ رغم سلبياته العديدة انه ركز الشعور بالخطر على مصير الدولة الصهيونية والسكان واثار فيهم اشد القلق وكان هذا دافعا لمزيد من الهجرة المعاكسة . ورغم فشل هذا الاسلوب فانه لا بد من أسلوب اعلامي جديد يتفادى كل او معظم مسببات الاسلوب الاعلامي الموجه سابقا وبنفس الوقت يكون عاملا مؤثرا في حركة الهجرة اليهودية في فلسطين للخارج مع التأكيد سلفا على ان قيمة أي عمل اعلامي بهذا الخصوص يعتمد أولا على استمرار الكفاح المسلح ضد الوجود الصهيوني الغاصب على أرض فلسطين » وانني لا أدري أين موقع النقد على هذا التحليل الجانبي الذي ورد لمجرد الاشارة الى حقيقة ملموسة بمناسبة الحديث عن دوافع الهجرة المعاكسة علما اننا هنا بصدد قضية محددة هي قضية الهجرة المعاكسة وليس دور الاعلام في خلق الكفاح المسلح .

ويقتطف المراجع فقرة وردت اثناء التحليل في الفصل الختامي على طريقة « ولا تقربوا الصلاة » ليضيف بعد ذلك عوامل تساعد على الهجرة ، وبالعودة الى الصفحة ١٩١ من الكتاب نجد الكاتب يقرر ما يلي : —

١ — ان الدافع الديني الخالص رغم اهميته لعب دوره في تحريك الهجرة الواسعة قبل تيسام الدولة الصهيونية خاصة في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن .

٢ — ان مجرد الانتماء لفكرة العقيدة الصهيونية لم يستطع مؤخرا ان يحرك هجرة واسعة رغم كونه دافعا رئيسيا للهجرة .

٣ — ان عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد هو الذي حرك هجرة واسعة من اوروبا الشرقية والمانيا قبيل واثناء انتشار الحركة النازية، ومن البلاد العربية — العراق .

اما العوامل التي اوردها السيد كركوتي فهي عوامل مساعدة وليست دوافع وقد سبق للكاتب ان تحدث عنها في الفصل الخاص باستجلاب المهاجرين بشكل مفصل على الصفحات ١٤٦ — ١٦٤ ويبدو ان السيد كركوتي تغاضى عنها او لم يطلع عليها .

واخيرا يختتم السيد كركوتي مراجعته بتكرار ما ابتدأ به « مراجعته » وهو الذي عاب على الكاتب التكرار فيما يدعيه من خلو الكتاب من الدراسة التحليلية والاحصائية . وكم كنت اود لو نبذ السيد المراجع الاتهامات التي وجهها للكتاب بقوله عن كل فصل انه ناقص ومشوه كغيره من الفصول . كما ان الجهد والموضوعية اللذين بذلا لانجاز الكتاب — وانا اعتقد انهما اثمرا — لا يستحقان القول بأن الدراسة لا تعدو كونها جمعا لتصريحات من هنا وهناك وانها جاءت ناقصة في اكثر من موضع ومكان ، وكم اتمنى ايضا ان يلتزم السيد كركوتي جانب الموضوعية في مراجعاته اللاحقة لتأتي كتاباته عرضا وتعليقا لا تجريحا لا يفيد القارىء بشيء .

فوزي تيم

رسائل اعلامية من اوروبا الشرقية

اللقاء العالمي للشباب العامل : موسكو (١٠ — ١٩٧٢/١١/١٥)

بمبادرة من اللجنة المركزية للكومسمول السوفياتي ولجنة منظمات الشباب في الاتحاد السوفياتي وبالتعاون مع الاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية عقد في موسكو في الفترة ما بين ١٠ — ١١/١٥/ ١٩٧٢ الاجتماع العالمي للشباب العامل ، حيث شاركت فيه وفود تمثل ٢٧١ منظمة من منظمات الشباب والاتحادات والنقابات وحركات التحرر والقوى والاحزاب التقدمية الوطنية منها والدولية في ١١٦ بلدا من كافة انحاء العالم ، عقد تحت شعار نضال الشباب ضد الامبريالية والاستعمار من اجل التقدم والاشتراكية والاستقلال والسلام. وقد تلقت منظمة التحرير دعوة للمشاركة في هذا المؤتمر بمندوبين كما دعي الاتحاد العام لعمال فلسطين لايفاد مندوب عنه وهكذا كان هناك وفد لفلسطين مشكل من ثلاثة اعضاء . كما شارك في هذا المؤتمر مندوبون عن التنظيمات السياسية والاتحادات وحركات التحرر والاحزاب التقدمية في كل من مصر ، العراق ، سوريه ، لبنان ، السودان ، المغرب ، تونس ، الجزائر ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي ، السعودية ، والجنوب العربي . وكان مستوى هذه الوفود كما كان مستوى الوفود الاجنبية الاخرى مستوى رفيعا ، وقد اعتبر للمؤتمر ست لغات رسمية : الروسية ، العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الاسبانية والالمانية . بدأ وصول الوفود الى موسكو في ١٩٧٢/١٠/٣٠ ، حيث وزعت في زيارات لجمهوريات ومدن الاتحاد السوفياتي، عادت جميعا الى موسكو في ٧٢/١١/٥ لتشارك في حضور الاحتفال بذكرى ثورة اكتوبر الاشتراكية والذكرى الخمسين لتاسيس الاتحاد السوفياتي وكانت تلك الفترة بداية اللقاءات الرسمية بين الوفود .

كانت المجموعة العربية قوة في المؤتمر وهكذا كان لا بد من ابراز دورها فيه ولكن كان لا بد من تنظيمها اولا . وعليه فقد دعا وفد فلسطين متعاونا مع بعض الاخوة من وفد المغرب والمندوب العربي لدى اتحاد الشبيبة الديمقراطية ، دعوا لاجتماع للمندوبين العرب انبثق عنه تشكيل مكتب تنسيق يتحدث باسم المجموعة العربية يضم مندوبين عن كل من : فلسطين ، المغرب ، مصر ، العراق ، لبنان ، واليمن .

وقد كان هذا مظهرا جيدا ظهرت به المجموعة العربية ، سلطت بسببه الاضواء بشكل عام عليها وعلى وفد فلسطين بشكل خاص لما لعبه من دور في تشكيل هذا المكتب وتوحيد الجهد العربي في المؤتمر وكانت من نتائج هذا التشكيل مشاركة المجموعة العربية في رئاسة المؤتمر . تمكن مكتب التنسيق العربي من اجراء اتصالات مع عدد من الوفود الاجنبية قبيل واثناء انعقاد المؤتمر وقد كانت لهم وجهات نظر متباينة في قضية النضال العربي بشكل عام وفلسطين بشكل خاص اثبتوها في كلماتهم أمام المؤتمر .

بدأت الجلسة الاولى صباح ٧٢/١١/١٠ برسالة تحية موجهة من بريجنيف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي متمنيا للمؤتمر كل نجاح مؤيدا نضال الشباب ضد الاستعمار والامبريالية من اجل الاستقلال والتقدم والاشتراكية والسلام. كما القيت كلمات أخرى لمندوبين عن جهات حكومية وشعبية سوفياتية ومندوبين عن اتحادات دولية من بينها اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي .. واتحاد النقابات العالمي وكانت جميعها تؤيد وتدعم النضال العربي وكفاح الشعب الفلسطيني من اجل حق تقرير مصيره . ثم وزع اعضاء المؤتمر على لجانه الثلاث وهي لجنة حقوق الشباب العامل ، لجنة نضال الشباب العامل في سبيل التقدم والاشتراكية والاستقلال والسلام ولجنة تضامن الشباب العامل في النضال ضد الامبريالية والاستعمار وهي اللجنة التي أطلق عليها اسم اللجنة السياسية .

كان على المجموعة العربية ممثلة بمكتب التنسيق ان ترتب الدور العربي في المؤتمر وان تنظم الكلمات التي ستلقى امام مختلف اللجان وهكذا تمكن مكتب التنسيق العربي من ان يصل بمندوبي فلسطين ، مصر ، العراق ، ولبنان الى هيئة رئاسة المؤتمر وان تشارك فلسطين ولبنان في رئاسة اللجنة السياسية ، ومصر والعراق في رئاسة اللجنتين الاولى والثانية .. كان للمؤتمر جلستان يوميا في الفترة ما بين ١١/١١ ، وحتى ١١/١٤ وقد استطاع مكتب التنسيق العربي من تنظيم الكلمات العربية بحيث تلقى أمام جميع اللجان وطوال مدة انعقاد المؤتمر كان الصوت العربي مسموعا ، وبهذه المناسبة فانه لا بد من الاشارة الى ان كلمات المندوبين العرب كانت متفاوتة في طرحها للقضية العربية ، فمثلا مندوب اليمن الجنوبي كان يعتقد ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ٦٧ حل مناسب لازمة الشرق الاوسط . بينما كانت كلمة مندوب جبهة تحرير الجزيرة العربية « سعودي » عبارة عن احصائية عن عائدات البترول فقط ولم يذكر شيئا عن الصراع القائم الان في المنطقة العربية بين الامة العربية والصهيونية والاستعمار .. وأما مندوب تونس فقد تغيب عن الجلسة التي حدد له دور فيها لالقاء كلمته وذلك لسبب اختلفنا في تبيانه .. بينما لاقت كلمة مندوب فلسطين استحسانا كبيرا لدى الجميع حتى ان رئيس الجلسة التي القيت اثناءها الكلمة وكان مندوب كوستاريكا قام وصافح مندوب منظمة التحرير الفلسطينية (مندوب فلسطين) بعد القاء كلمته مهنئا لروعة الكلمة على حد تعبيره وعندما سئل عن ملاحظاته بشأنها اعرب عن تقديره للنقاط التي تناولتها الكلمة .

« ان تعلن حركة المقاومة الفلسطينية نفسها حركة تحرر وطني وجزءا من حركة التحرر العالمي وانها فصيل من فصائل الثورة العالمية ضد الاستعمار والامبريالية وانها لا تقاتل اليهود على انهم شعب اعتنق ديانة معينة وانما هي تناضل ضد حركة الصهيونية العالمية العنصرية الفاشية وتعمل من اجل تحرير الانسان اليهودي من كابوس هذه الحركة العدوانية ليقيم والانسان العربي المجتمع الديمقراطي التقدمي في فلسطين الديمقراطية التي يتساوى فيها في الحقوق والواجبات كافة الطوائف بدون تمييز او تفريق » (هذا ما اشتملت عليه كلمة مندوب فلسطين ..) وهذا فضح للحركة الصهيونية وتعريف بهوية حركة المقاومةالفلسطينية. وهكذا تابع المندوبون القاء كلماتهم وكانت في مجملها تتناول قضايا الصراع مع الاستعمار العالمي وتدعم وتؤيد نضال الشعوب المتطلعة الى الحرية والاستقلال وكان الكثيرون من المندوبين يتناولون قضية الشرق الاوسط فيعربون عن شجبهم للعدوان الاسرائيلي على الاراضي والشعوب العربية ويؤيدون الشعب الفلسطيني في حق تقرير مصيره وبشكل اجمالي نستطيع ان نقول بأن صورة النضال العربي كانت واضحة امام مندوبي الدول الاشتراكية بشكل عام وكانوا يعربون عن تأييدهم للنضال العربي عامة والفلسطيني تخصيصا .

اما في افريقيا فكان كثير من المتحدثين يعربون عن تفهمهم للنضال الفلسطيني والعربي فيعلنون دعمهم وتأييدهم لهذا النضال بل اننا نستطيع ان نقول بأن بعضهم مثل ممثلي ناميبيا وموريتانيا وانجولا كانوا لا يقلون عن الاشقاء العرب حماسا لقضيتنا.

اننا نستطيع ان نقول بأن مندوبي الدول الاشتراكية قد ضمنوا كلماتهم عبارات التأييد والدعم للنضال العربي والفلسطيني والشجب والاستنكار للعدوان الاسرائيلي على الارض العربية وكذلك كانت الصورة لجانب ممثلي الحركات والقوى التقدمية في الكتلة الغربية وفي دول امريكا اللاتينية .. وبهذه المناسبة فاننا نورد وبدون تعليق ما أورده مندوبو « الحزب الشيوعي الاسرائيلي » في كلمتهم التي ألقيت امام اللجنة السياسية قبيل اختتام المؤتمر اعماله علما بأن الوفد كان يضم مندوبين احدهما عربي اسمه محمد شبيط ،والاخر يهودي اسمه بارها نسيم وهو الذي القى الكلمة وقد تضمنت النقاط التالية : — عدوان حزيران ٦٧ جاء ليهدد التحولات الاشتراكية في المنطقة وقد قام به حكام اسرائيل تنفيذا لمخطط امريكي لضرب حركة التحرر والانظمة التقدمية في سوريه . — اسرائيل تتبع سياسة توسعية عدوانية في المنطقة وفي اعقاب عدوان حزيران يحاول المعتدون تحقيق اهدافهم ولكن بفضل صمود حركة التحرر العربية والمناضلين في « اسرائيل » لم يتمكنوا من قطف ثمار عدوانهم . — البنتاجون توجه اسرائيل لقتل الالاف من الشباب العربي في سبيل اقرار سياسة الامر الواقع بالقوة . — هذا العدوان تستفيد منه جماعة الاحتكاريين الضالعين مع الامبريالية والاستعمار . — الوضع في اسرائيل مهلهل . — ازدادت ظاهرة رفض الخدمة العسكرية

والهرب من الجيش (ربع المجندين يهربون بسبب التفرقة) . — ثلث الشباب عاطلون عن العمل . — ازدادت الجرائم في الفترة الاخيرة . — عشرات الالاف من المتزوجين لا يجدون سكنا . — قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ هو الحل الامثل لمشكلة الشرق الاوسط . — نحن نؤيد الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني وملاحقتها بالاساليب التي يراها مناسبة . — تزداد حركة الشباب في معارضة حكومة اسرائيل وقد ظهرت حركة الفهود السود بعد سنة ١٩٦٧ وهم يناضلون جنبا الى جنب مع الشعوب العربية في نضالها ضد الامبريالية . — ونحن نطالب بتنظيم حملة للمطالبة بعودة اللاجئين الى قراهم . — يلاحظ ان اسرائيل في الفترة الاخيرة تشدد اعتداءاتها على سوريه وجنوب لبنان لقتل الشباب العربي الذين يرفضون سياسة الامر الواقع . — ان كل قوى الامبريالية لن تحولنا عن قيادة الشباب والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني من اجل اقرار الاخاء العربي اليهودي في دولة ديمقراطية . — نؤيد وندعم النضال العربي التقدمي .

وهكذا استمرت صورة الكلمات حتى نهاية المؤتمر فقد كان على اللجان ان تعد مشروعات توصياتها لتعرض على المؤتمر ، وفي هذه الحالة كان على اللجنة السياسية أن تعد مشروع البيان الذي يصدر عن المؤتمر وبينما كنا نناقش مع لجنة الصياغة مشروع بيان اللجنة السياسية فوجئنا بمندوب من امريكا اللاتينية يطلب شطب كلمة الصهيونية من البيان وحجته في ذلك أن المؤتمر يعقد تحت شعار النضال ضد الامبريالية والاستعمار ولم ينص على الصهيونية مما دفعنا لان ندخل معه في نقاش حاد موضحين العلاقة بين الاستعمار والصهيونية وانهما وجهان لعملة واحدة بل ان الصهيونية تمثل اعلى مراحل الاستعمار وقد أيدنا في موقفنا ووجهة نظرنا هذه مندوب المانيه الديمقراطية والهند والمندوب السوفياتي مما حسم الموقف وأدرج النص الذي أردناه فكان اتفاقنا على النص الآتي خاصا بالنضال الفلسطيني .

« ان المؤتمر يؤيد ويدعم نضال شباب وشعب فلسطين ضد الامبريالية والصهيونية واسرائيل في سبيل استرجاع حقوقهم الوطنية المشروعة » .

هذه ملاحظات موجزة على الكلمات وبيان المؤتمر نسجلها مع التنبه انه حصل هناك تحريف في القرار عند الترجمة اذ استبدلت كلمة Returning استرجاع بتعبير Re-establishment اعادة تأسيس وعندما راجعنا السكرتارية ونبهناهم لذلك اعتذروا وبينوا انه خطأ في الترجمة غير مقصود وأعيد النص الاصلي «استرجاع» Returning .

اما عن لقاءاتنا مع الوفود الاجنبية ووجهات نظرهم المختلفة في قضية الصراع العربي الصهيوني .. فاننا نستطيع ان نقول ان مجموع الدول الاشتراكية كانت كلها تركز على شجب واستنكار العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية والاعتراف للشعب الفلسطيني بحق تقرير مصيره والاعتراف بالاستقلال لكافة شعوب المنطقة اما القادمون من الكتلة الغربية فان هناك تباينا واضحا في وجهات نظرهم فمثلا بينما اعرب ممثلو الشبيبة الديجولية في فرنسا عن تفهمهم الكامل لحقيقة الصراع القائم في المنطقة لم يخفوا تأييدهم لنضال الشعب العربي الفلسطيني والدول العربية من اجل تحرير اراضيها المحتلة ، فان مندوبا من بلجيكا كان يطرح رأيا غريبا مفاده ان الدول الكبرى هي التي تبنت دولة اسرائيل منذ البداية واعترفت بها ولا يمكن لها ان تتخلى عنها وليتم توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية التي يقيمون فيها ويتم التعويض عليهم (وبطبيعة الحال وضح له خطأ هذه النظرية) .. اما عن القادمين من المانيا الغربية فقد اتفقنا مع اثنين منهم على ترتيب لقاء بين مكتب التنسيق العربي وبينهم الا اننا فوجئنا انه في الموعد المحدد يعود لنا المكلفان بترتيب اللقاء ليقولا ان زملاءهما من الالمان « لا يشرفهم ان يلتقوا بالمندوبين العرب خصوصا الفلسطينيين » .

هذا بينما لقيت اتصالاتنا مع الهند صدى جيدا اذ ان رئيسة وفد الهند وهي عضو في حكومة كلكتا وسكرتيرة لحزب المؤتمر في ولاية البنجال الغربية ادخلت تعديلا على كلمتها بما يتفق وطبيعة النضال العربي والفلسطيني الذي أيدته ودعمته كما انها وجهت دعوة لرئيس وفد فلسطين لزيارة الهند وعقد لقاءات واجتماعات جماهيرية هناك .. نفس الروح من التأييد والدعم لقيناه من مجموعة فيتنام وكمبوديا ولاوس . بقي ان نعرف موقف المضيف والداعي للمؤتمر وهم السوفيات .. لاحظنا ان هناك اهتماما بالغا بوفد فلسطين ، وحرصا على الاستماع اليه في كل المناسبات وتحليلا ومناقشة لكل كلمة تصدر عنه تجلى هذا في عدة مظاهر منها :

عند وصول الوفود بدىء في توزيعها لزيارة جمهوريات الاتحاد السوفياتي، كانت وجهة فلسطين طشقند حيث عقدت هناك عدة لقاءات شارك فيها من المجموعة العربية بجانب فلسطين المغرب وسوريه كما شاركت وفود افريقية وكان اول لقاء لنا مع اللجنة المركزية للكومسمول في طشقند حيث تحدث مندوب فلسطين باسم المجموعة العربية ضمن من تحدثوا ، فخرجت صحف اليوم التالي ومنها جريدة « اللينينية الصغيرة » وقد ابرزت في الصفحات الاولى صورة للمجموعة وكلمة مندوب فلسطين كما ان عددا من مراسلي اذاعة ازبكستان وصحفها قد طلبوا حديثا من مندوب فلسطين .. تكرر هذا المشهد في كل اللقاءات التي جرت في طشقند : في مصانع النسيج في المزارع التعاونية (الكولخوز) في المتحف حيث طلب من مندوب فلسطين تخصيصا تسجيل كلمة ، في معاهد التدريب المهني . وهناك مشهد لا بد من ذكره عند اختتام زيارتنا لطشقند اقيم حفل وداع على شرف الوفود تحدث فيه عضو اللجنة المركزية للحزب الرفيق جافورد جانوف وهو السكيرتير الاول للكومسمول في طشقند . ثم تحدث مندوبون آخرون وكان متفقا ان ينتظر المندوبون العرب للنهاية الا ان أحد الرفاق السوفيات جاء لمندوب فلسطين وسأله لماذا لا تتحدثون ؟ فاجيب بأننا ننتظر فرد لا ان الرفيق جافورد جانوف يريد ان يستمع الى وفد فلسطين وهكذا تحدث مندوب فلسطين وباسم المجموعة العربية حيث ابرزت الصحافة في اليوم التالي كلمته .

هذا كان في طشقند واما في موسكو فقد اتخذ الاهتمام والتعاون السوفياتي معنا طابعا اخر فقد كان لهم الفضل في اختيار فلسطين للمشاركة في رئاسة المؤتمر واللجنة السياسية ولجنة الصياغة كذلك تجلى هذا التعاون في مهرجان جماهيري اقيم في مساء ١١/١٠ في دار الثقافة التابعة لجريدة « برافدا » وكان تضامنا مع نضال الشعوب العربية. تحدث في هذا المهرجان مسؤولون سوفيات منهم مهندسة عضو في مجلس السوفيات الاعلى ومندوب عن اتحاد الطلاب في موسكو كما تحدث مندوب عن اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي والسكرتير الاول للجنة المركزية للشبيبة في جمهورية هنغاريا الشعبية وكلهم أعربوا عن تأييدهم ودعمهم للنضال العربي الفلسطيني واستنكروا العدوان الامبريالي الاسرائيلي على المنطقة العربية .. كما تحدث في هذا المهرجان مندوب فلسطين الذي استقبل بعاصفة حارة من التصفيق وبالهتاف لدعم النضال الفلسطيني وبسقوط العدوان الاسرائيلي وقد اثبت ما جاء في كلمة المندوب الفلسطيني واستقباله في نشرة « نوفوستي » وكالة الانباء السوفياتية في العدد ١٩٤٦ تاريخ ١٩٧٢/١١/١٦ ، كما اوردتها صحيفة موسكو والازفستيا كما تم التنويه بالمهرجان في البرافدا في اليوم التالي : ... كما اتضح التعاون بيننا وبين الرفاق السوفيات جليا اثناء فترة انعقاد المؤتمر : في المناقشات ، في لجنة الصياغة ، وعند اختتام المؤتمر اعماله وبترشيح من السوفيات تم اختيار مندوب فلسطين لتلاوة مشروع البيان أمام اللجنة السياسية وقد تم ذلك فعلا مما ساعد كثيرا في ان تتضح صورة التأييد السوفياتي لنضال الشعب الفلسطيني وثورته . اتضح ذلك ايضا اثناء اللقاءات التي عقدها وفد فلسطين مع ممثلي الكومسمول السوفيات والمجلس المركزي للنقابات ولجنة تضامن شعوب آسيا وافريقيه وفي التسهيلات التي قدمت عند زيارة وفد فلسطين لمدرسة الكومسمول العليا حيث التقينا بالطلاب الفلسطينيين والعرب الذين يدرسون هناك افادنا كثيرا في عملنا في المؤتمر واثناء لقاءاتنا مع الوفود الاجنبية ما حملنا معنا من مطبوعات مركز الابحاث وشعارات جيش التحرير الفلسطيني وكنا بحاجة ماسة الى مادة اعلامية مصورة خفيفة الحمل صغيرة الحجم Pamphlets ونشرات اعلامية اخرى (ملصقات مصورة) .

ختاما نحن ما دمنا في صدد وضع اضواء على مؤتمر الشباب ، فانه من المفيد التأكيد على ما يأتي : ١ — لقد اعطى مؤتمر الشباب اهمية كبيرة بعقده في موسكو وليس في مكان آخر . ٢ — اتضح في المؤتمر الاهتمام بالشباب ودوره في النضال ضد الامبريالية والاستعمار في العالم وضرورة بناء جبهة نضالية عالمية واحدة قوامها الشباب ، والشباب الفلسطيني والعربي جزء من هذه الجبهة وهذا بالتالي يتطلب اعداد الشباب الفلسطيني والعربي اعدادا ثوريا جيدا وتنظيمه حتى يتمكن من المشاركة في هذه الجبهة النضالية العريضة . ٣ — يعقد في الفترة ما بين ٢٨ تموز/٥ آب ٧٣ المهرجان العالمي للشباب في برلين عاصمة جمهورية المانيه الديمقراطية ومنظمات الشباب العربية مدعوة للمشاركة في هذا المهرجان ولا بد

من ان تساهم هذه المنظمات في الاعداد لبرنامج المهرجان واتجاهه وهذا يترتب عليه الاستعداد الفوري . ٤ — على الصعيد الفلسطيني مطلوب من منظمة التحرير الفلسطينية ان تولي هذا المهرجان اهتماما جيدا فتختار وفدا يتفق واهمية المهرجان يكون قادرا على تثبيت الصورة المشرقة للشباب الفلسطيني من خلال طرح علمي وموضوعي جيد للقضية تتوفر له الكفاءات الفنية المطلوبة يعطى خطا سياسيا واضحا من خلاله يتم طرح القضية . ٥ — هذا الصوت الذي ارتفع من فلسطين المحتلة لا بد وان يتكرر ليكون له صدى على الساحة الفلسطينية والعربية يغذى وينمى، ويستفاد منه بما يتفق واستراتيجية العمل الفلسطيني والعربي في تعرية الوضع القائم في فلسطين المحتلة وليعرف ماذا نريد من هؤلاء ولهم. ٦ — هناك جسور قوية للعلاقة بين الشباب الفلسطيني ومنظمات الشباب في الدول الاشتراكية فلتتوطد هذه العلاقة لما فيه مصلحة النضال المشترك .

يونس الكتري

مناقشات فلسطينية في بلغاريا

كيف ينظرون في بلغاريا الى القضية الفلسطينية بشكل عام ، والى المرحلة الحالية من الصراع العربي — الاسرائيلي بشكل خاص ، والى حركة المقاومة الفلسطينية ؟ هذه الاسئلة الثلاثة ، كانت بين مجموعة من الاسئلة التي حاولت العثور على أجوبة ، ولو مختصرة عنها ، خلال زيارة قصيرة لبلغاريا (من ٩ الى ٢٢ كانون الثاني — ديسمبر — ١٩٧٢) بدعوة من لجنة العلاقات الثقافية مع الشعوب .

في صوفيا العاصمة قدر لي أن أقابل عددا من الشخصيات الحزبية والحكومية والصحافية المتفاوتة في مستوى المسؤولية ، وكنت أحرص على أن أطرح سؤالاتي ، أو تساؤلاتي الثلاثة في كل لقاء ، وأنا على يقين من ان كل ما يمكن العودة به من هذا النوع من الرحلات السريعة لا يمكن ان يتجاوز الانطباعات العامة واللمحات اليسيرة ، ولكن هذه الانطباعات وهذه اللمحات تظل جديرة بالتسجيل ، والانضمام الى سائر ما نعرفه عن مواقف بلغاريا والمعسكر الاشتراكي ، وان كانت حتما لا تشكل اجوبة ثابتة واضحة على الاسئلة الثلاثة التي حاولت البحث عن اجوبة لها .

كانت أبرز الشخصيات التي قدر لي اقابلها السيد لاليو جانتشيف ، نائب رئيس جبهة الشعب الحاكمة ، وهي الجبهة التي يقودها الحزب الشيوعي البلغاري ، والتي الفها بطل بلغاريا القومي والشخصية اللامعة في المعسكر الاشتراكي اثناء حربه ضد النازية ، جورجي ديمتروف ، وتضم هذه الجبهة الاحزاب والقوى التقدمية التي حاربت الاحتلال النازي . مع السيد جانتشيف كان الحديث حارا وسريعا وواضحا حول القضية الفلسطينية ، والصراع العربي — الاسرائيلي وحركة المقاومة . وبما ان السيد جانتشيف كان من رفاق ديمتروف الذين لعبوا دورا في مقاومة الاحتلال النازي لبلغاريا في أوائل الاربعينات ، فقد كان حديثه عن حركة المقاومة حديث حماسة وعتاب .

قال ان ما يزعجه هو اضطراره لملاحقة انباء

المقاومة الفلسطينية من خلال أجهزة الاعلام الغربية . وضرب مثلا على ذلك فقال : لقد كانت الانباء الوحيدة التي وصلتنا في الاسبوع الاول لعملية ميونيخ انباء غربية . كنا نعلم الدوافع التي حركت فدائيي ميونيخ ، اما التفاصيل فقد كنا نتلقاها من اوساط معادية .

وهذا تقصير كبير من أجهزة الاعلام الفلسطينية والعربية . ونحن نفتش بصعوبة ، اثناء احتلال اخبار الفدائيين مركز الصدارة في الصحافة العالمية ، عن مصدر فلسطيني او عربي يزودنا بالاخبار التي يمكن ان ننشرها على الرأي العام البلغاري ، ولكننا نجد في ذلك صعوبات جمة . وبعد ان أنهى عتابه الحار المتدفق ، حاولت تركيز الرد في نقطتين : — الاعتراف بتقصير أجهزة الاعلام الفلسطينية والعربية ، التي طورت نفسها بعد النكسة ، ولكنها ما زالت تعمل بالاندفاع والحماس ، أكثر مما تعمل بالروح المنهجية التي لا تترك الامور للصدف ، بل تضبطها في اطار نظام دقيق للعمل . — التشديد على ان التقصير مشترك في هذا المجال ، وان السفارات الغربية واجهزة الاعلام الغربية تبذل في ملاحقة وجمع أخبار المقاومة الفلسطينية أضعاف ما تبذله السفارات والاجهزة الاعلامية الاشتراكية .

وشددت عند هذه النقطة على الطبيعة المشتركة للمعركة ، وكيف ان انتصار الحل الاميركي للازمة — اذا تم — لن يضرب حركة التحرر الوطني العربي (والمقاومة الفلسطينية احدى فصائلها) بل سيضرب المعسكر الاشتراكي وينصب حوله حصارا شديدا . وقد اثارت هذه النقطة بالذات اهتمام السيد جانتشيف واحد مساعديه ، فطلبا كتابة مقال حول الموضوع ، على ان يترجم الى البلغارية وينشر في صحيفة « جبهة الشعب » اليومية (ثاني صحف بلغاريا من حيث النفوذ السياسي والانتشار — ٢٤٠ الف نسخة يوميا) وفي المجلة الشهرية الفكرية التي تصدرها جبهة الشعب ايضا .

وقد حاولت تركيز هذا الموضوع في نقطة ثابتة مهمة ، فعبرت عن اعتقادي بان المشكلة بالنسبة لشعوب المعسكر الاشتراكي لا تقف عند حدود نقص المعلومات حول الاحداث الحالية للقضية ، بل حول الحقائق الاساسية لهذه القضية ، وخاصة تلك التي تعود الى مرحلة ما قبل انشاء دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ . وكان هذا الكلام مناسبة لطلب كتابة مقال ثان عن ابرز الحقائق الاساسية للقضية الفلسطينية قبل ولادة دولة اسرائيل ، ليترجم وينشر في الصحف نفسها المذكورة اعلاه . ثم عاد السيد جانتشيف الى تسلم دفة الحديث فأثار بطريقة مباشرة موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية ، متسائلا عن العراقيل التي تقف في طريقها ، مبديا استغرابه من عدم توحد فصائل المقاومة الفلسطينية بعد كل الضغوط القوية التي تعرضت لها .

وقد حاولت في هذا المجال ان اقدم بعض التفسيرات الموضوعية للعقبات التي ما زالت تعترض سبيل الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ولكن نائب رئيس جبهة الشعب البلغارية كان يهز رأسه بعدم الاقتناع ليعود فيقول :

كل ما تحدثني عنه معروف لدينا ، وقد جربناه في بلغاريا ، وعانينا منه ، ولكن صيغة الجبهة الوطنية ، التي ابتدعها وقادها جورجي ديمتروف، كانت المخرج الوحيد من كل هذه الصعوبات ... ولم تكتف الجبهة الوطنية بالنجاح في مقاومة الاحتلال حتى النهاية ، بل انها ما زالت حتى الآن ، وبعد مرور ربع قرن على التحرير ، تقود عملية البناء الاشتراكي . نحن نقدر كل الصعوبات التي تعترض طريق توحيد فصائل المقاومة الفلسطينية ، ولكننا ننظر الى تأخير هذا التوحيد بقلق ، ونتابع اخباره باهتمام. فلقد مررنا بالصعاب نفسها ، وبلونا المخاطر نفسها ، واكتشفنا بالتجربة ان الوحدة الوطنية الثورية هي العنصر الاساسي الذي يمكن ان يقلب ميزان الموقف الى صالح الشعوب المكافحة في سبيل تحررها الوطني .

المقابلة الثانية التي تستحق التسجيل ، كانت مع احد موظفي وزارة الخارجية البلغارية، السيد بناكياف ، وهو متخصص في التاريخ ، وفي القضية الفلسطينية بصفة خاصة ، ويعكف حاليا على وضع كتاب عن جذور القضية الفلسطينية بين ١٩١٧ (وعد بلفور) و١٩٤٨ (ولادة اسرائيل). والسيد بناكياف يحاول الآن العثور على اكبر عدد ممكن من المصادر الموثوقة لتجميع معلومات شاملة عن تلك الفترة . في بعض لحظات حديث السيد بناكياف عن تلك الفترة التي يحاول ان يؤرخ لها باللغة البلغارية ، كان يمكن ان تشعر

انك امام فلسطيني ، او أي عربي ، عندما كان يقول : عندما يتحدثون في الاوساط الدولية عن قضية فلسطين فانهم يقفون عند حدود ١٩٦٧ ، مع ان المشكلة الاساسية هي مشكلة ١٩٤٨ ، وهذا ما اريد ان اوضحه بتفصيل كلي في كتابي ». اما المقابلة الثالثة التي تستحق التنويه في هذا المجال فقد كانت مع نائب رئيس لجنة العلاقات الثنائية مع الشعوب . وقد تطرق الحديث الى محاولات اسرائيل لاستغلال ما يسمى « مشكلة اليهود » في دول العالم ، وخاصة في الدول الاشتراكية . فأكد لي نائب رئيس اللجنة ان بلغاريا لا تعاني مشكلة من هذا النوع ، ولا تعاني ضغطا من هذا النوع ، فاليهود فيها ليسوا بأعداد تذكر ، ولا يحتلون مراكز تذكر .

وحاولت ان اوسع دائرة الموضوع لتشمل المشكلة المتأزمة ليهود الاتحاد السوفياتي بالذات ، فقلت اننا لسنا من هواة اضطهاد اليهود ، ولسنا ممن يسرون لمثل هذه الانباء ، وتاريخنا القديم والحديث يشهد عن ذلك ، ولكن ما يقلقنا في مشكلة يهود الاتحاد السوفياتي ، اننا بدأنا نلاحظ في قضية « ضريبة الهجرة على خريجي الجامعات » ان اجواء التفاهم الدولي الجديد ، ومحاولات الاوساط الصهيونية في اميركا استغلال هذا الجو للضغط على الحكومة السوفياتية في مسألة هجرة اليهود ، قد اثمرت بعض التراجعات السوفياتية ، حيث تزداد يوما بعد يوم أعداد المهاجرين الجامعيين المعفيين ، دون سائر الجامعيين السوفيات ، من دفع ضريبة التعليم عند الهجرة . نحن لا نبالغ فنرى في هذه الظاهرة تحولا في سياسة الاتحاد السوفياتي العربية ، ولكننا ايضا لا يمكن ان نخفي قلقنا لنجاح محاولات الابتزاز الصهيونية ، ضد دولة كبرى ، وصديقة ، كالاتحاد السوفياتي. وكان جواب محدثي خروجا عن التفاصيل ، وتذكيرا بالمواقف الاساسية فقال ما معناه ان الدول الكبرى كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لا يمكنها ان تغير محالفاتها الدولية بسهولة . تماما مثل الافراد المشهورين الذين لا يستطيعون — عندما يتزوجون — ان يطلقوا بالسهولة التي يتم فيها طلاق انسان غير مشهور . وانتقل من ذلك ليؤكد ان تحالف الاتحاد السوفياتي مع الحق العربي في الصراع ضد اسرائيل تحالف استراتيجي بعيد المدى ، لا يمكن ان تهزه قضية فرعية مثل قضية ضريبة التعليم على المهاجرين اليهود الجامعيين .

وبعد ، فان خطوات كثيرة ما زالت أمامنا على طريق توطيد علاقات حركة المقاومة الفلسطينية ، وحركة التحرر العربي ، بالاوساط التي تملك معنا نقاط لقاء كثيرة ، ولكن هذه الخطوات تكون أسهل عندما تكون الجبهة التي نحاول توطيد العلاقة معها قد بنت تاريخها المعاصر (قبل ان توطد دعائم ثورتها الاجتماعية في الداخل) على مقاومة المحتل وطرده من ارضها ، ان كلمة « مقاومة » عند هذه الشعوب ، ما زالت تبعث البريق الغريب الى العيون ، والحرارة الى القلوب .

الياس سحاب

المؤتمر الصحي السادس في صوفيا

انعقد في مدينة فارنا — جمهورية بلغاريا الشعبية المؤتمر السادس لمنظمة (AMIEV) المنظمة العالمية لدراسة ظروف الصحة والمعيشة — في الفترة ما بين ٦—١٢ اوكتوبر ١٩٧٢ . وقد شارك في المؤتمر ممثلون عن ٦٠ دولة ومنظمة ، كان في عدادها وفد جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني الذي قدم للمؤتمر دراسة عن الاحوال الصحية والمعيشية للاجئين الفلسطينيين وتأثيرها على نموهم وعملهم ، كما أوضح النشاطات التي تقوم بها الجمعية ، المتعلقة بتقديم الخدمات الصحية لهم . لقد اتت هذه الدراسة نتيجة بحث علمي طبي احصائي ، قام به اطباء الجمعية عن علاقة معدلات نمو اطفال المخيمات بالظروف السيئة لتغذيتهم وبالجوانب المختلفة المتعلقة بمعيشتهم المتردية ، المتأتية عن الاغتصاب الصهيوني لوطنهم .

وتقدم الدكتور فاضل عباس الفحيلي ، ممثل العراق في المؤتمر دراسة عن اوضاع السكان الصحية والاجتماعية في الارض العربية المحتلة ، متعرضا للطابع الاستغلالي العنصري للكيان الصهيوني واثر ذلك على الامور الواردة في موضوع الدراسة التي دعمت بأرقام واحصائيات ووقائع عن التمييز المتبع تجاه عرب الارض المحتلة في مجالات التعليم والعمل والسكن . وتعرضت الدراسة للاعمال الاسرائيلية الارهابية ضد الاطباء العرب والعاملين في حقل الخدمات الصحية بحجة تعاونهم مع المقاومة ، وتحدث كذلك عن تحويل المستشفيات الى معسكرات للاعتقال . وقد خلصت الدراسة الى « ان المبادىء الانسانية السليمة تنطلق من موضوعة تنص على انه اذا كانت ظروف الوسط الخارجي المحيط (وبالذات الوسط الاجتماعي) ، غير انسانية ، أي انها معادية للانسان ، فان أي فضح لهذه الظروف (مهما أوتي من قوة) لن يساعد على وضع الامور في نصابها ، اذا كان مقتصرا على النقد النظري لها فقط ، ويتطلب فهم هذه الموضوعة تغييرا عمليا ثوريا لتلك الظروف بشكل يتحقق فيه تحولها الى ظروف انسانية حقة . ولقد اخذ الشعب العربي الفلسطيني على عاتقه القيام بتحقيق هذه المهمة عن طريق صموده ومقاومته وعن طريق نضاله الهادف لاقامة دولة فلسطين الديمقراطية التي يعيش فيها المواطنون بغض النظر عن اختلاف اديانهم ومعتقداتهم متمتعين بحقوقهم وواجباتهم بشكل متساو . اننا نرى ان من واجب الـ (AMIEV) دراسة مسالة العلاقة اللاانسانية للصهاينة تجاه شعب فلسطين وخاصة فيما يتعلق بظروفه المعيشية والصحية السيئة للغاية ، وذلك عن طريق ارسال بعثة استقصائية او عن طريق اي شكل آخر يساعد في نهاية المطاف على انتصار المبادىء الانسانية » .

وقد كان للدراستين المنوه عنهما اضافة الى الدراسة التي قدمها الوفد الفيتنامي عن الحرب الكيميائية وتأثيرها على الاوضاع الصحية للشعب الفيتنامي ، صدى كبير لدى الحضور . لقد حاولت المندوبة الامريكية التقليل من شأن هاتين الدراستين ، كما اعترضت على تقديمهما في المؤتمر متذرعة بان الطابع العلمي للمؤتمر لا يسمح باقحام السياسة فيه ، الامر الذي دعى رئيس جمعية (AMIEV) الدكتور جوزيه دهكاسترو الى التعقيب قائلا : « اعترض البعض على ان مؤتمرنا قد اقحم مسائل سياسية في موضوعاته ، وانني اعتقد بأننا مقصرون في التطرق الى مثل هذه الموضوعات ومن هو الذي يستطيع اليوم تحديد أين تبدأ السياسة وأين تنتهي ؟. » كما عقب البروفسور بتروف من الوفد السوفياتي على الموضوع نفسه واصما بالعار جرائم الامريكيين في الفيتنام وجرائم الصهاينة في الاراضي العربية المحتلة . وتلاه البروفسور برلينغ اور من الوفد الايطالي الذي شكر الاطباء العرب المحاضرين لتعريفهم المؤتمرين على ما تضمنته دراساتهم من وقائع هامة عن احوال اللاجئين الفلسطينيين وعن سكان الاراضي العربية المحتلة .

وقد اتخذ المؤتمر فيما يتعلق بفلسطين القرار التالي : لقد استمعنا باهتمام بالغ عن الاحوال الصحية المتردية لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويطالب المؤتمر اسرائيل بتطبيق قرارات الامم المتحدة وان تنسحب من الاراضي العربية التي احتلتها وتعيدها الى اصحابها الشرعيين ، كما يطالب المؤتمر العمل على استعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . هذا وقد عرضت في احدى قاعات المؤتمر صور عن ضحايا الجرائم الصهيونية وعن احوال المخيمات ونشاطات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني .

ب. ق.

مناقشـــات فلسـطينية في موسكو

في الفترة ما بين السابع عشر والسابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) ١٩٧٢ زار وفد من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الاخ ابو عمار الاتحاد السوفياتي بدعوة من رئاسة لجنة التضامن الافروآسيوي السوفياتية في موســكو . وخلال المحادثات الرسمية التـي جرت بين وفدي اللجنة التنفيذية ولجنة التضامن اتفــق على ان معالجة قضايا العلاقات الفلسطينية السوفياتية وتطوير هذه العلاقات يحتاج الى عقد مزيد مــن الحوارات بين وفود فلسطينية وسوفياتية ... واتفق على ان ذلك يتحقق من خلال تبادل الزيارات والوفود على كافة الاصعــدة والمســتويات ، واستمرار الحوار ومتابعته ضمــن اوسع اطار ممكن .

وقد تم بالفعل واثناء زيارة وفد اللجنة التنفيذية لموسكو في ذلك الحين توجيه الدعوة من قبل اتحاد الصحفيين السوفيات لوفــد اعلامي من منظمــة التحرير الفلسطينية وكذلك توجيه دعوة أخرى من اتحاد الشبيبة السوفياتية (الكمسمول) لوفد من الشبيبة الفلسطينيــة تشكله منظمــة التحريــر الفلسطينية وكذلك وفد مــن العمال الفلسطينيين لحضور مؤتمر الشباب الكادح .

ولم تمض فترة قصيرة على انتهاء زيارة وفد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لموسكو حتى بدأ الاعداد والترتيب لزيارة الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني لموسكو . وسافـر الوفد في الساعـة العاشرة من مساء ١٩٧٢/١٠/٢٧ متوجهــا الى موسكو . وقد تشكل من اربعة من اعضاء مجلس الاعلام لمنظمة التحرير بالاضافة الى رئيس تحرير ونائب رئيس تحرير « وفا » . وكان الوفد برئاسة الاخ ماجد ابو شرار .

وعلى اي حال ثمة ملاحظة هامة نسجلها هنا قبل أن يبدأ الحديث عن زيارة الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني الى موسكو هي ان ما يميز زيارة هذا الوفد عن غيره من الوفــود الفلسطينية للاتحــاد السوفياتي هو كونها أول زيارة يقوم بها وفــد صحفي فلسطيني بصفته هذه للاتحاد السوفياتي . وهذا يعني انها زيارة تكتسب اهميتها الخاصة من كونها زيارة تاريخية ضمــن معنى كونها فاتحــة الزيارات الصحفية الفلسطينية وضمن معنى كونها تكتب الاسطر الاولى في صفحات العلاقات الصحفية الفلسطينية السوفياتية . وسنحاول فيما يلي ان ننقل وقائع موجزة لاهم اللقاءات التي أجراها الوفد تاركين لمناسبة اخرى التعليق عليها واستخلاص النتائج والعبر .

في اليوم الاول للزيارة وكان يوم ٧٢/١٠/٢٨ قام الوفد الصحفي الفلسطينـي بزيارة مقر اتحــاد الصحفيين السوفيــات في موسكو للاتفاق علــى الترتيبات النهائية لبرنامج الزيـــارة وللتعرف على قادة الاتحاد . وقد ضم الاجتماع الاول بين وفد الصحفيين السوفيات والوفد الفلسطيني من الجانب السوفياتي فلاديمير رومــانوف نائب رئيس قسم العلاقات الدولية في اتحاد الصحفيين وأربعة اعضاء آخرين هم ميخائيل قسطينوف شادرين نائب رئيس قسم العلاقات الدولية لاتحاد الصحفيين ، باكوليف سكرتير ادارة اتحــاد الصحفيين السوفيــات ، نيقولين رئيس هيئة تحرير الشرق الاوسط في وكالة نوفوستي . ومن الجانب الفلسطيني كامل الوفد الفلسطيني . وقد بـدأ رئيس الوفد الفلسطيني الحديث بشكر اتحاد الصحفيين السوفيات لانه أتاح لنا هذه الزيارة . ثم قال « أرجو أن أبلغكم تحيات الرفيق ياسر عرفات الذي طلب مني ان ابلغكم نيابة عنه تحياته لجميع الرفاق » .

ورد الرفيق نيقولين قائلا « اننا نعتبر هذه الزيارة بمستوى زيارة تاريخية لانهــا اول زيارة صحفية فلسطينية وبعد وقت سيكون هذا تاريخا وسيسجل التاريخ هذا اليوم في تاريخ العلاقات بين المنظمات الصحفية السوفياتية والفلسطينية . وفي الحقيقة فقد أتيحت لنا الفرصة أكثر من مرة للالتقاء بالرفاق القادة الفلسطينيين . فمثلا الرفيق ابو عمار كلما زار الاتحاد السوفياتي كان يلتقي بالصحفيين ولقد أفدنا كثيرا من اللقاءات مع الرفيق ياسر عرفات اذ عرفتنا هذه اللقاءات جيدا بالمقاومة الفلسطينية وهذا ساعدنا في أن نكتب بصورة أكثـر واقعية وبدقة أكبر عن نضال الشعب الفلسطيني من أجل حقوقه المشروعة .

« انني أحب أن أعبر لكم بأننا مستعدون ان نعطيكم اي خبرة من خبراتنا في مجالات النشاطات الصحفية واذا احتجتم الى مساعدات فنحن على اتم استعداد

لتقديمها لكم وكما يقولون في الشرق الاوسط أهلا وسهلا بكم في الاتحاد السوفياتي . »

وبعد ذلك قدم الرفيق باكوليف فكرة عن اتحاد الصحافيين السوفيات .

ثم قدم الوفد الفلسطيني بالمقابل صورة من وضع الصحافة الفلسطينية على النحو التالي : « اننا نرغب في الواقع في التحدث ايضا بايجاز عن الصحافة الفلسطينية ونشاطاتها . فتاريخها كان وما يزال مطويا ومنسيا لاسباب كثيرة . لقد صدرت اول جريدة فلسطينية عام ١٩٢٠ . وبلغ عدد الصحف التي صدرت حتى عام ١٩٤٨ ١٤٠ جريدة ومجلة . هذه سنوات كانت حاسمة في نضال شعبنا لذلك برزت الصحافة الوطنية ولكن بالمقابل ظهرت بعض الصحف التي أنشأها الاستعمار لتكون تابعة له . وبعد عام ١٩٤٨ تشرد الصحفيون الفلسطينيون في معظم انحاء البلاد العربية وبدأوا يعملون من خلال اجهزة الاعلام العربية وساهموا مساهمة كبيرة في توجيه نضال الامة العربية وقد برز منهم صحافيون مشهورون جدا . لكن وخلال هذه الفترة وبسبب التشرد ذابت ملامح الصحافة الفلسطينية ... حتى كان عام ١٩٦٥ عام انطلاق ثورتنا . وفي اعقاب الهزيمة ومع ظهور تنظيمات المقاومة الفلسطينية الاخرى بدأت هذه الصحافة تعود الى استعادة ملامحها من ضمن الخط الثوري للمقاومة الفلسطينية .

ولعل الصحافة الفلسطينية قد استطاعت ومن خلال ارتباطها بالمقاومة وانبثاقها عنها ان تقول الحقيقة للجماهير أكثر مما تقولها اية صحافة عربية اخرى. ولقد استطاعت الصحافة الفلسطينية ان تحقق امتدادا خصوصا في اوروبا الغربية وامريكا. ولقد أنشأت المقاومة الفلسطينية صحفا بحوالي خمس لغات . وبلغ عدد الصحف والمجلات والنشرات لغاية توحيد الاعلام ٢٢ مجلة وصحيفة ونشرة . وقبل شهور رأت قيادة المقاومة الفلسطينية ان الظروف قد نضجت من اجل توحيد اعلام المقاومة وذلك ضمن توجه هذه القيادة لتوحيد حركة المقاومة .

وبتاريخ ٥ حزيران عام ١٩٧٢ بدأ توحيد الاعلام حيث اوقفت جميع المنظمات كافة الصحف والمجلات التي تصدر عنها . والان لدينا مجلة مركزية واحدة هي مجلة « فلسطين الثورة » واذاعة موحدة ووكالة انباء فلسطينية .

... اننا نعي خطورة المهام الملقاة على عاتقنا كصحفيين خصوصا وان الثورة الفلسطينية الان تمر بمرحلة حصار قاسية جدا ... واننا كصحفيين مطاردون من قبل الامبريالية والصهيونية والرجعية ... وما استشهاد الرفيقين غسان كنفاني ووائل زعيتر واصابة د. أنيس صايغ وبسام ابو شريف الا دليل على ذلك . كما اننا نجد صعوبة في تحقيق اتصال دائم بيننا وبين الصحفيين الفلسطينيين . ولكننا رغم هذا كله استطعنا ان نقيم اول اتحاد للصحفيين والكتاب الفلسطينيين خلال شهر أيلول سبتمبر من عام ٧٢ .

ولقد فاتنا ضمن انجازاتنا ان نحدثكم عن مركز الابحاث ومركز التخطيط ثم الدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

فمركزا الابحاث والدراسات متخصصان في اصدار الكتب والنشرات المتخصصة في القضية الفلسطينية. كما انهما يملكان اضخم ارشيف استطاعا ان يحققاه خلال سنوات قليلة جدا نسبيا وان يصلا به الى مستوى أضخم أرشيف في الشرق الاوسط متخصص في القضايا المتعلقة بالقضية الفلسطينية . كما ان مركز التخطيط متخصص في التخطيط السياسي والاعلامي للثورة وأخيرا أضيف اليه التخطيط التربوي .

ورغم كل هذا فما نزال مطالبين بتحقيق الكثير . وهذا لا يتم الا بتطوير امكاناتنا لان هذا يزيد من فعالية مواجهتنا لاعدائنا .

ولذلك فمع حرصنا على تبادل الخبرة معكم وفي الاساس الاستفادة من خبرتكم ... فاننا حريصون على ان نطلب منكم بصراحة ووضوح وبكل قوة وكبلد صديق ان تساهموا في تطوير امكاناتنا ضمن امكاناتكم » .

* * *

... وانتهى اللقاء الاول مع وفد اتحاد الصحفيين السوفيات ليبدأ لقاء مع وفد آخر هو وفد من صحفيي « البرافدا » (أي الامل) الواسعة الانتشار والاكثر نفوذا في الاتحاد السوفياتي على امتداد أرضه وتعدد جمهورياته .

* * *

بدأ الاجتماع في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر يوم ١٩٧٢/١٠/٢٨ وحضره من الجانب السوفياتي ممثلا جريدة البرافدا كل من :

نيكاراسيف نائب رئيس تحرير البرافدا والمسئول عن العلاقات الدولية ، انشنيكوف رئيس قسم البرافدا المسؤول عن شؤون آسيا وافريقيا ، بيرسيدا بافلدونشكي نائب رئيس قسم شؤون آسيا وافريقيا والمختص بالشؤون العربية .

وحضره من الجانب الفلسطيني كامل اعضاء الوفد الصحفي الفلسطيني . وقد رحب نيكاراسيف نائب رئيس تحرير البرافدا ورئيس الوفد السوفياتي بالوفد الفلسطيني ورد عليه رئيس الوفد الفلسطيني بقوله :

نحن نعتبر هذه الزيارة غير عادية فنحن نزور جريدة البرافدا الواسعة الانتشار والنفوذ والتي ساهمت في اطلاق ثورة اكتوبر وترسيخ الاشتراكية في هذا البلد كما ساهمت في تعميم اقوال الرفيق لينين بضرورة تعميق الصداقة بين الشعوب . ومن هنا فاننا نأمل ان تجد القضية الفلسطينية والقضايا العربية اهتماما في هذا المجال .

ورد احد اعضاء الوفد السوفياتي قائلا : لا شك في اننا نتابع باهتمام بالغ اخباركم ونعرف تاريخ الاحداث الاخيرة . وبالنسبة للمقاومة فان اهتمامنا بها كبير جدا لانها تمثل رأي الفلسطينيين وتعبر عن هذا الرأي .

اننا نعرف ان الشعب العربي الفلسطيني كان عليه ان يتحمل اكثر بكثير مما تحملت شعوب كثيرة . وبسبب الظروف التاريخية فان قسما من الشعب الفلسطيني يعيش مطرودا من بيته وأرضه بعيدا عن الوطن والقسم الثاني يعيش في الوطن حياة صعبة ومريرة تحت نير الاحتلال .

ونحن نعتقد ان القضية الفلسطينية العادلة لا بد ان تنتصر مهما كانت مدة الانتصار بعيدة . وجميع القوى الشريفة والتقدمية في العالم هي مع المقاومة في نضالها العادل . وان النضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني يلاقي شعبية واسعة وفهما كاملا بين جماهير واسعة من الشعوب السوفياتية. واننا نعتقد بأن الحالة المسيطرة في اوساط حكام اسرائيل هي حالة عصبية وهي نتيجة نضال المقاومة . وعلى سبيل المثال فان الخطاب الذي القته جولدا مائير في ١٥ اكتوبر والذي قالت فيه ان اسرائيل كانت تضرب المقاومة والبلدان العربية نتيجة نشاط المقاومة اما الان فانها سوف تضربها بلا أي سبب أو مبرر . ان هذا يدل على فقدان الاعصاب وهذا مكسب للمقاومة .

وقال الوفد السوفياتي في صحيفة البرافدا : اننا هنا كلنا اصدقاء ورفاق ولا بد ان نتكلم بصراحة حول جميع المواضيع . ولنبدأ بالاراء المختلفة التي أثارتها الاحداث في ميونيخ . وبداية نقول انه اثناء الحركة الثورية فان المنظمات الثورية كانت تستعمل اساليب مختلفة وفيما بينها تعابير الارهاب الثوري، فعندما تكون هذه الضربات الارهابية موجهة ضد الاوساط الرجعية فاننا نعتبرها من الاساليب الشريفة للنضال الثوري . . . اما ضد الناس الابرياء فالامر مختلف . ولا يفوتنا ان نؤكد ان المخابرات الاسرائيلية قد استعملت ولا تزال اساليب مختلفة ومعقدة من الارهاب وخاصة الطرود الملغومة التي أرسلتها هذه المخابرات الى المناضلين الفلسطينيين . وأنهم يقومون بهذه الاعمال الارهابية باسم المناضلين الفلسطينيين . اننا تحدثنا بصراحة في هذا الموضوع ونأمل ان يجري الحوار من طرفكم بصراحة ايضا .

هنا رد أحد أعضاء الوفد الفلسطيني قائلا : الواقع ان النقاش حول عملية ميونيخ ليس امرا سهلا ونود أن نوضح في البداية انه لا علاقة لمنظمة التحرير الفلسطينية بأيلول الاسود او بعملية ميونيخ . وكنا حريصين على أن لا نعلن تأييدنا او استنكارنا لهذه العملية . لماذا ؟ لاننا نعتبرها عملية مجموعة من الرجال الابطال الذين قرروا ان يموتوا لفك الحصار عن الثورة الفلسطينية .

واذا عدنا الى وقت العملية فسوف نلاحظ التالي :
● التضييق شبه الكامل على تحركات المقاومة الفلسطينية . ● وصول تأثير الرجعية العربية على الانظمة الوطنية العربية الى ذروته . ● بروز خطين في العالم العربي أحدهما يدعو الى قطع كل علاقة مع المعسكر الاشتراكي وتوثيق العلاقات مع امريكا والاخر يدعو الى القطيعة الكاملة مع الاتحاد السوفياتي وتوثيق العلاقة مع اوروبا الغربية . ● الامبريالية الامريكية تمد من نطاق تحركها ونشاطها عبر المنطقة متآمرة على المقاومة الفلسطينية والانظمة العربية .

في هذا الوقت السيىءجدا أتت عملية ميونيخ .. فكان ان حققت ما يلي : ١ ــ ضربت الخط الثاني الذي كان قد بدأ في الامتداد على طريق القطيعة مع الاتحاد السوفياتي وعلى طريق توثيق العلاقة

مع اوروبا الغربية . ٢ ـ اجبرت روجرز على ان يعود مجددا للتحدث عن الشعب الفلسطيني بعد أن تجاهلته امريكا طويلا . ٣ ـ اجبرت جولدا مئير على ان تعلن الحرب الشاملة على الشعب الفلسطيني . وهي بهذا قد اعترفت به لاول مرة . وان الاحداث التي اعقبت عملية ميونيخ بدأت تظهر اسرائيل على حقيقتها أمام العالم . وكما قال وفدكم قبل قليل فان حكام اسرائيل فقدوا اعصابهم واخذوا يضربون المخيمات بحقد وبذلك تكون عملية ميونيخ قد اجبرت اسرائيل على ان تعود لتأخذ وجه دولة العصابات وفقدت كل مقومات الدولة الحديثة . وبهذا نجد ان عملية ميونيخ قد حققت الكثير والكثير جدا . لكن ثمة ملاحظة لا بد أن نثيرها ونحن نتصدى للحديث عن عملية ميونيخ .. ان الرياضيين الاسرائيليين في دورة الالعاب الاولمبية هم جميعهم ضباط في الجيش الاسرائيلي وليسوا مدنيين . وان عملية ميونيخ لم تستهدف قتلهم ولولا تآمر اسرائيل والمانيا الغربية لكانت النتائج مختلفة .

فما كان من احد اعضاء الوفد السوفياتي الا ان قال : « شكرا لهذا التحليل العميق والممتع جدا . اننا عندما تكلمنا عن عملية ميونيخ كنا نفهم انها عملية جماعة من الناس مشبعين بالافكار الوطنية والمصالح القومية لكن من ضمن فهم خاص . وانتم تعرفون ان الاتحاد السوفياتي لم يستنكر العملية لا سيما وان الفلسطينيين الذين اشتركوا في هذه العملية كانوا أكثر شرفا من الاخرين ...

وعلى اي حال فان الصورة التي توضحت امامنا الان سوف تساعدنا في الكتابة اثناء نشاطنا الصحفي في البرافدا . اما بالنسبة للاعمال الارهابية التي تقوم بها بعض الفئات الفلسطينية المناضلة فاننا نعتبرها بصورة أساسية كأساليب شرعية لنضال الشعب . أساليب يمكن ان تحدث في ظروف معينة . وان الذين يقومون بهذا النضال هم الذين يستطيعون تحديد هذه الظروف . واننا نقول بصورة أساسية ايضا انه لا يمكن لاحد آخر أن يحدد أساليب النضال » .

واختتم احد اعضاء وفدنا الحديث بقوله : « لا شك ان اسلوب نضالنا محدد في الميثاق الاساسي وفي البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية . ان المعركة مع العدو ليست معركة فلسطينية اسرائيلية. أن قضية فلسطين قضية عربية وطابع المقاومة هو طابع عربي . وقد قدمت المقاومة الفلسطينية مئات العرب على طريق مسيرتها » .

* * *

وانتهى القسم الاول من الحوار بين وفد هيئة تحرير البرافدا السوفياتية وبين الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني ليتبعه القسم الثاني من الحوار وقد تناول هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة. بدأ الوفد الفلسطيني الحديث بالقول : نود أن نضع على مائدة الحوار قضية مهمة بالنسبة لشعبنا ... انها قضية هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل . وكما ينبغي ان يقع في اذهاننا جميعا فان هذه قضية حساسة جدا بالنسبة لشعبنا خصوصا وهو يقدر الاتحاد السوفياتي ويدرك بعمق ضرورة توثيق العلاقات معه . ولا سيما ايضا وان اجهزة الدعاية الاسرائيلية تركز كثيرا على الهجرة السوفياتية . وان التقارير التي تصلنا من داخل الارض المحتلة تؤكد ان الاسرائيليين في احاديثهم الى شعبنا هناك يقولون لهم لقد تلقينا اعدادا متزايدة من اليهود من الاتحاد السوفياتي هذا هو صديقكم الاتحاد السوفياتي وهذا هو موقفه منكم . ورد الوفد السوفياتي قائلا : **نحن ندرك حساسية هذه القضية .. ولكن نود أن نقول لكم بروح رفاقية عن مدى تعقيدها بالنسبة للاتحاد السوفياتي.** في العهد القيصري كانت القومية اليهودية هي الاكثر اضطهادا في روسيا .. كان ممنوعا على اليهود ان يسكنوا الا في مناطق محددة لهم وهي جنوب اكرانيا وجنوب روسيا . والسلطة السوفياتية احرزت الحرية لليهود كما احرزت لهم حقوقا متساوية مع القوميات الاخرى . ان عدد اليهود السوفيات قليل نسبيا « نحو ١ ٪ من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي » . واكثرية اليهود عندهم الثقة والايمان بالماركسية اللينينية واكثرهم لا يفكرون بأية هجرة . كما ان الاغلبية الساحقة من اليهود السوفيات يؤيدون سياسة الاتحاد السوفاتي ويؤيدون النضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . وفي صفحات البرافدا افردنا صفحات لممثلي اليهود ليعبروا عن تأييدهم للحقوق العادلة للشعب الفلسطيني ولنضال هذا الشعب وكذلك الشعوب العربية .

ولكن **بعض اليهود اثر عليهم الشعور القومي ضمن فهم غير صحيح لهذا الشعور ، لقد فكر بعضهم في**

انه لاول مرة في التاريخ تقوم دولة لليهود ولياخذوا بعين الاعتبار انها قاعدة استعمارية وشوفينية والحزب الشيوعي والصحافة السوفييتية تقوم بحملة دعائية تشرح اثناءها اهداف اسرائيل والحياة فيها كما تقوم بحملة اعلامية تشرح لليهود السوفييت معنى الحياة في دولة استعمارية خاصة بالنسبة لشخص يقيم في دولة اشتراكية غير عنصرية . كما قامت الدولة السوفييتية ببعض الاجراءات بالنسبة لليهود العاملين في المجال العسكري ومجال التكنيك المرتبط بالعسكرية ومجالات اخرى مرتبطة بسير الدولة . **لقد منعت الدولة هؤلاء الناس من الهجرة الى اسرائيل او اية دولة اخرى .**

واخيرا قامت الدولة بالاجراء الاخير وهو يقضي بأن كل شخص درس في المدارس العليا في الاتحاد السوفييتي لا بد ان يعيد للدولة وللشعب ما انفقه عليه الشعب والدولة لغرض دراسته اذا أراد أن يهاجر من وطنه . **وان مبادىء الديمقراطية الاشتراكية لا تسمح لنا ان نمنع اي شخص ان يترك وطنه في الوقت الذي لا تضر هجرته بمصالح الدولة ومصالح الشعب.** اننا نحاول ان نضع حدودا للناس غير الواعين الذين لا يفهمون اغراض الهجرة ونحاول أن نشرح لهم طبيعة الحياة خارج الاتحاد السوفييتي . وفي كثير من الاحيان فان **الذين يهاجرون من الاتحاد السوفييتي** يريدون العودة اليه لانهم يشعرون بأنه ليس هناك اية ايجابيات للحياة في دولة اسرائيل . **ان من اعتاد الحياة في دولة اشتراكية لا يستطيع تحمل الاضطهاد والاستغلال في الدولة الرأسمالية .**

وطبعا فان الاتحاد السوفييتي لا يقبل كل واحد من هؤلاء المهاجرين قبل أن يؤكدوا انهم فهموا القضية وانهم ادركوا انهم اخطأوا . وفي الحقيقة فأن الذين عادوا الى وطنهم بعد ان ادركوا حقيقة اسرائيل يشرحون للناس في الاتحاد السوفييتي أنهم لم يهاجروا بارادتهم وانما بسبب رسائل وردتهم من اقاربهم او بسبب الدعاية الامبريالية او بسبب نشاط المخابرات الاسرائيلية وحتى أنهم يذكرون اسماء العاملين في هذه المخابرات . والذين يظلون في اسرائيل منهم من يخدم المصالح الامبريالية والصهيونية ومنهم من يكتشف تدريجيا طبيعة الدولة الصهيونية كدولة عنصرية استعمارية ويبدأون في المشاركة بالنضال في الاوساط الديمقراطية . انها قضية معقدة كما ترون ولكنها ليست ضخمة الى الحد الذي تحاول الاجهزة الدعائية الامبريالية والصهيونية تهويله وتضخيمه والتي تحاول ان تؤكد ان كل اليهود السوفييت يمكن أن يهاجروا الى اسرائيل . **هناك اعداد كبيرة جدا لا تريد الهجرة وهناك عدد كبير من الذين ذهبوا يريدون العودة .**

وفي نهاية النقاش شكر الوفد الفلسطيني الرفاق السوفييت على هذه المعلومات وقال : « من جانبنا نحن فان خطنا الاعلامي حريص على تعزيز مكانة الاتحاد السوفيتي عند الجماهير العربية ولكن كما قلنا فان القضية بالنسبة لنا شائكة **وان شعبنا ينظر الى قضية الهجرة من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل بقلق شديد ويعتقد انها لا بد ان تتوقف ذلك ان استمرار هذه الهجرة قد يصيب العلاقات العربية والفلسطينية السوفياتية ويؤثر عليها كثيرا.** وعلينا ان نتحاور باستمرار حول هذه القضية » .

* * *

وكان اللقاء الاخير مع لجنة منظمات الشبيبة السوفييتية « الكمسمول » في الساعة ١١ من صباح يوم ١٩٧٢/١١/٩ . مثل اللجنة الرفيق فالنتين لازودكيت رئيس لجنة الاعلام والصحافة في لجنة المنظمات .

بدأ الوفد الفلسطيني الحوار كما يلي : لا بد في البداية من التأكيد على أهمية دور منظمات الشبيبة سواء أداخل الاتحاد السوفيتي ام في العالم من خلال المؤتمرات التي تلعب دورا بارزا في فضح الامبريالية والصهيونية والرجعية والتي تناضل لتلاحم شبيبة العالم ولقائها من حول مجابهة الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وعلى الصعيد الاعلامي وهو ما سنقصر حديثنا عليه فنحن لنا اهداف واحدة وعلى هذا الاساس لا بد من تنسيق جهودنا الاعلامية . فهناك جوانب لا نستطيع وحدنا ان نغطيها وهناك جوانب لا يستطيعون وحدهم تغطيتها ايضا ..

وبالنسبة لنا نحن فاننا نقوم بجهد متكامل لنخاطب الراي العام الفلسطيني ثم العربي ثم العالمي ليس هناك تخصص انتم تخاطبون الشبيبة في العالم أما نحن فنخاطب العالم في كل مكان .

وفي الحقيقة فهناك صعوبات كثيرة تقف في طريقنا اهمها سيطرة الامبريالية والصهيونية على معظم أجهزة الدعاية والاعلام في أمريكا واوروبا .

لذلك نحن نعتقد ان قيام الشبيبة في الاتحاد السوفييتي وفي البلدان الاخرى بجهد في فضح الامبريالية والصهيونية وخاصة في اوروبا وامريكا سيساعدنا كثيرا .. ومن ناحية ثانية ان لدينا كوادر اعلامية شابة كثيرة لديها الكفاءة والنشاط والفعالية ولكن تنقصها الخبرة واذا ما تبادلنا الخبرة فانا نكون قد افدنا كثيرا في نضالنا المشترك ضد الامبريالية والصهيونية .

ورد الوفد السوفييتي في الكمسمول قائلا : اننا سعيدون جدا اذ نسمع هذا الحديث الموضوعي والتطبيقي فهناك أشياء لا بد من التنسيق المشترك بشأنها . وهناك امكانية للمناقشة في الاساليب التفصيلية للتعاون .

ولكي تتضح امكانية التعاون ويتحدد أفق هذا التعاون فلا بد ان نشير الى انه خلافا للنشاطات السوفييتية التي نقوم بها فاننا نقوم بالدعاية لنضالات اصدقائنا في العالم فنقوم باصدار النشرات التي نكتب فيها عن قضايا النضال الفلسطيني والعربي الذي يقوده اصدقاؤنا . ونتصدى للدعاية الامبريالية والصهيونية من حيث نقوم بتحليل هذه الاساليب وفضحها والرد عليها .

وان امكاناتنا الحقيقية لنقوم بالاعلام على النطاق الدولي تتمثل باختصار بما يلي : نحن نقوم باصدار جريدة خاصة اسمها « الشبيبة » وذلك بالاشتراك مع جريدة انباء موسكو في مختلف انحاء امريكا واوروبا وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية حيث نهتم باخبار العالم . كما ان هناك تحليلات ودراسات تنشر بصورة واسعة وتتناول نضالات الشعوب العربية العادلة ضد الامبريالية والصهيونية . وكذلك فاننا بالتعاون مع وكالة انباء نوفوستي نقوم باصدار الجريدة السوفييتية المعروفة جيدا في البلدان العربية باسم « الشبيبة السوفييتية » والتي تصدر ايضا باللغات الشرقية النادرة كلغات هندستان وبعض اللغات الافريقية . ونقوم باصدار الملحق الاخباري الشهري لنشاطات منظمات الشبيبة في مختلف انحاء العالم . ويشترك في هذا الملحق أفضل الصحفيين السوفييت بمن فيهم الصحفيون الشباب . هذا الملحق يعطي لنا امكانية القيام بالدعاية المضادة بالنسبة لاهم المشاكل العالمية .

واحد الامثلة فان عدد شباط (فبراير) من الملحق سوف يكون مكرسا للنضال ضد الصهيونية .

وان من أهم اهدافنا في المرحلة المقبلة هو تحضير الشبيبة العالمية للتضامن مع الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني . انا نحضر لمهرجان برلين في شهر تموز لعام ١٩٧٣ وفي نطاق هذا التحضير نقوم بتنشيط الاعلام للتضامن مع نضال الشعوب العربية . ونحاول ان نعطي لهذا المهرجان مظهر تضامن شعوب العالم مع الشعوب العربية. **اننا نؤكد لكم ان نشاطنا الصحفي والاعلامي لدعمكم هو جزء من نضالنا ضد الامبريالية ومساندة حركة تحرر الشعوب** واننا نؤكد لكم اننا مصممون على توثيق الصلات بكم والتعاون معكم .

* * *

هذه كانت أهم جلسات العمل والحوار التي دارت بين الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني وبين الوفود الاعلامية والصحفية المختلفة اثناء زيارة الوفد لموسكو .. ويبقى ان نشير الى ان حوارات اخرى مهمة قد دارت في مقر رئاسة لجنة التضامن الافرو آسيوي وفي اذاعة موسكو ووكالة تاس ووكالة نوفوستي واذاعة انباء موسكو ولكن الحوار ظل ضمن المعاني الاساسية للحوار الذي دار في كل من اتحاد الصحفيين السوفييت وصحيفة البرافدا واتحاد الشبيبة السوفييتية « الكمسمول » بحيث ان تسجيل الحوار سيكون في معظمه تكرارا لما قيل او طرح .

زياد عبد الفتاح

(عضو الوفد الاعلامي لـ م.ت.ف. الذي شارك في المناقشات)

شـــهريات

(١) المقـاومة الفلســطينية

الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني

انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الحادية عشرة، مساء يوم السادس من كانون الثاني في مقر الجامعة العربية بالقاهرة ، وأنهى أعماله صباح يوم ١٢ ك ٢ ، وهو بذلك يكون أطول مجلس وطني من حيث الايام التي استغرقها . وقد كانت هذه الدورة دورة عادية ، ولكنها كانت في الوقت نفسه تنفيذا لقرار المجلس الوطني (التاسع الاستثنائي) الذي انعقد في نيسان ١٩٧٢ ، مع المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، للرد على مشروع الملك حسين الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة . في ذلك المؤتمر تقرر ما يلي :

١ ــ مشروع للوحدة الوطنية يتضمن برنامجا سياسيا وتنظيميا اوصى به المؤتمر الشعبي واحاله المجلس الوطني الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير للبت به نهائيا .

٢ ــ قرار بزيادة عدد اعضاء المجلس الوطني (بنسبة لم تحدد) ، على أن توزع هذه الزيادة بالمناصفة بين الاتحادات الشعبية ، والكفاءات من المستقلين .

٣ ــ قرار بعقد المجلس الوطني الحادي عشر في مدة أقصاها ثلاثة أشهر (امتدت الى تسعة أشهر) تكون اثناءها قرارات الوحدة الوطنية قد طبقت .

٤ ــ قرار بانشاء لجنة للمتابعة تراقب تنفيذ عملية التوحيد .

وعلى اساس هذه القرارات كان مفروضا بالدورة الحادية عشرة هذه أن تكون امتدادا لاعمال الدورة العاشرة الاستثنائية ، وسنحاول من خلال استعراض القضايا الاساسية التي اثيرت في الدورة الحادية عشرة ان نستكشف الى أي مدى كانت هذه الدورة بالفعل امتدادا للدورة السابقة وتنفيذا لقراراتها .

العضوية :

عرضت اللجنة التنفيذية على المجلس اقتراحاتها بشأن زيادة العضوية فأقرت بمجموعها دون اعتراض ، ولم يكن في هذه العضوية ما يلفت النظر الا اسم السيد فؤاد نصار ، الامين العام للحزب الشيوعي الاردني . وبهذه الزيادة الجديدة بلغ عدد أعضاء المجلس الوطني ١٨٠ عضوا . ومع ان توصيات العضوية الجديدة قد أقرت بسرعة وهدوء ، الا اننا نستطيع ان نسجل بصددها بعض الملاحظات ، أبرزها نقاش حاد دار بين الاتحادات واللجنة التنفيذية ، حول حق الاتحادات في تعيين ممثليها للمجلس ، اثار هذه المسألة الاتحاد العام لطلاب فلسطين ، اذ كان قد تقدم باسم ممثل له (الطالب خضر شحاده) ، ولم تعرض اللجنة التنفيذية اسمه في قائمتها المقترحة . ويبدو ان اللجنة التنفيذية لم توافق على ترشيحه لانه معتقل في مصر بتهمة انشاء تنظيم حزبي في اوساط الطلاب. وحين عرضت المسألة على المجلس الوطني صوت الى جانب ضم الطالب المذكور بأغلبية ٦٢ صوتا ضد ٣٣ ، مكرسا بذلك حق الاتحادات بتعيين مندوبيها دون تدخل من اي جهة . وقد كان لهذا التصويت مغزى سياسي واضح تجاه الاحداث الطالبية في مصر . كذلك لوحظ في موضوع العضوية غياب كامل اعضاء المجلس الوطني المقيمين في الاردن ، بعد ان منعتهم السلطات الاردنية من المغادرة . أما المنظمات الفدائية ، فقد لوحظ ان نسبة التبديل في أسماء اعضائها للمجلس ، كانت أعلى من أي مجلس سابق .

تقارير المجلس :

عرضت امام المجلس للمناقشة ثلاثة تقارير اساسية : تقرير لجنة المتابعة ، تقرير اللجنة التنفيذية ، والتقرير الذي قدمه الصندوق القومي . تقرير لجنة المتابعة قدم الى المجلس باسم رئيس اللجنة ، ولم يقدم باسم اللجنة ككل . وقد تقرر ذلك في اجتماع لجنة المتابعة الاخير الذي عقد في القاهرة مساء ٤ ك ٢ دون نصاب . اذ ضم ٩ اعضاء فقط من أصل ٢٢ عضوا . وقد رفض الاعضاء التسعة هذا التقرير بالاجماع لانه يقتصر على ذكر وقائع جلسات لجنة المتابعة ، دون أن يقدم عرضا لوجهات نظر المنظمات الفدائية بصدد قضية الوحدة الوطنية بحيث يكون المجلس الوطني قادرا على ادراك طبيعة الحوار الذي دار، وتحديد نقاط الاختلاف وتقييمها . ودون ان يقدم تقييما لاجهزة الوحدة الوطنية التي تم انشاؤها في المرحلة السابقة بين المجلسين،وتحديد ما اذا كانت هذه الاجهزة ، مثل جهاز الاعلام المركزي ، تفي بالغرض المطلوب منها أم لا . وكذلك لخلو التقرير من أي توصيات يسترشد بها المجلس في مناقشة قضية الوحدة الوطنية . ولما كان الوقت لا يسمح بكتابة تقرير جديد يتضمن النقاط المشار اليها ، فقد ارتأى السيد خالد الفاهوم ان يقدم التقرير للمجلس كما هو ، وبصفته رئيسا للجنة المتابعة، واضاف الى التقرير بندا يوضح ذلك. ويمكن القول بناء على هذه النتيجة ان لجنة المتابعة قد فشلت في مهمتها . فشلت اثناء ادائها لمهمتها ، لانها لم تكن تملك صلاحيات واضحة تتيح لها الضغط على المنظمات الفدائية ، فاقتصر دورها على السؤال والمراقبة . وفشلت بعد انتهاء مهمتها حين لم تستطع ان تقدم الى المجلس تقريرا تحليليا ، يساعد في تحديد نقاط الاختلاف التي عرقلت تنفيذ قرارات الوحدة الوطنية ، ليحاول البحث فيها او التصدي لحلها على اساس مقترحات التقرير .

أما تقرير اللجنة التنفيذية فقد تضمن ثلاثة بنود : قدم البند الاول عرضا سياسيا للظروف المحيطة بالعمل الفلسطيني . وعرض البند الثاني تقرير لجنة الوحدة الوطنية ، التي كانت قد شكلت من منظمات اللجنة التنفيذية ، للبحث في صيغ الوحدة الوطنية الممكنة على التجربة بين المجلسين . واعتبر ما أمكن التوصل اليه في هذا البند بديلا للجزء التنظيمي من برنامج الوحدة الوطنية الذي اوصى به المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الاستثنائي الناسخ . أما البند الثالث في تقرير اللجنة التنفيذية فكان عبارة عن البرنامج السياسي الذي اوصى به المؤتمر الشعبي ، بعد أن ادخلت عليه اللجنة التنفيذية تعديلات طفيفة . وحسب هذه التقارير التي عرضتها اللجنة التنفيذية ، يكون هناك اتفاق كامل بين المنظمات الفدائية على البرنامج السياسي، مع اتفاق على صيغة تنظيمية للعمل تعبر عن الصورة الواقعية التي أمكن للمنظمات ان تتفق عليها .

والتقرير الثالث الذي عرض على المجلس كان تقرير الصندوق القومي الذي أشار الى أن اوضاع الصندوق القومي ازدادت سوءا ، مما جعل الصندوق — للمرة الاولى في تاريخه — يسجل عجزا اضافيا بين الايرادات والصرفيات . كما أشار التقرير الى ان جميع الحكومات العربية بلا استثناء قد توقفت « عن تسديد أرصدة التزاماتها في ميزانية منظمة التحرير الفلسطينية ، وتخلفت جميعها عن الوفاء برصيد مساهماتها في نفقات ادامة جيش التحرير الفلسطيني ، بل ان بعض هذه الحكومات ما يزال مدينا بكامل التزاماته ومساهماته منذ السنة الاولى لقيام منظمة التحرير الفلسطينية حتى الان » .

المناقشات العامة :

كانت قضية جيش التحرير الفلسطيني أبرز القضايا التي نوقشت في الجلسات العامة . وكان لهذا النقاش دافعان : الدافع الاول توتر العلاقات بين فتح والجيش قبل انعقاد المجلس ، نتيجة لتصرفات غير انضباطية حسب ما ورد في تقرير لجنة الوحدة الوطنية . والدافع الثاني موقف سياسي لجيش التحرير نشر في كراس خاص . ويدعو هذا التقرير الى اندماج كافة الفصائل الفدائية في مؤسسات جيش التحرير الفلسطيني (الجيش كقوة نظامية ، وقوات التحرير الشعبية كقوة فدائية ، وقوات المقاومة الشعبية كقوة ميليشيا) بغض النظر عن الاتجاهات الفكرية والسياسية لهذه الفصائل . وعلى اساس هذين الدافعين نوقشت قضية الجيش من الزوايا التالية :

الزاوية الاولى : موضوع الانضباط والتسريحات والتجاوزات المسلكية . والزاوية الثانية : سعي الجيش من خلال ما يعلن عنه الكراس المشار اليه الى ان يصبح تنظيما سياسيا ، يكون بمثابة البديل

للعمل الفدائي الفلسطيني ككل . والزاوية الثالثة: مواقف جيش التحرير المقيم في الاردن من النظام الاردني ، عبر بعض المواقف والتصريحات التي تتناقض مع سياسة منظمة التحرير الفلسطينية . وقد كان بعض قادة فتح من أبرز الذين اداروا النقاش حول موضوع الجيش . وامتد هذا النقاش حتى بدا في بعض اللحظات ان الجو المتوتر الذي رافقه ينذر بانفجار . ولكن هذا الانفجار المتوقع لم يحدث ، وعادت الامور الى مجراها الطبيعي نتيجة موقفين . الموقف الاول موقف الاخ ابو عمار الذي أوضح بعض الاشكالات المحيطة بالجيش ، وبسبب بقاء جزء من قواته في الاردن ، فامتص بذلك عنف الجو المتوتر الذي احاط بنقاش الموضوع . والموقف الثاني موقف العميد مصباح البديري الذي رد على كافة القضايا المثارة بهدوء موضحا النقاط التالية : ١ — وجود بعض المخالفات المسلكية . واستعداد قيادة الجيش للبحث بها وتحديدها وحلها . (وقد شكلت بالفعل لجنة بحثت موضوع الجيش وقدمت للمجلس تقريرا يحدد ما له وما عليه) . ٢ — ان قيادة الجيش استدعت العقيد نهاد نسيبه من الاردن ، وبحثت معه في شأن تصريحاته الصحفية ، وأرسلت للجريدة التي نشرت الخبر تكذيبا للتصريحات لم تنشره الجريدة المعنية. ٣ — ان ما طرحه الجيش من آراء في الكراس الذي أصدره مجرد اجتهاد ، يخضع تنفيذه للجنة التنفيذية ، وهي التي تقبله او ترفضه . ٤ — ان علاقات الجيش مع الانظمة العربية تتم حسب اتفاقات عقدتها منظمة التحرير . وتغيير هذه العلاقات يجب ان يسبقه اولا تغيير للاتفاقات المعقودة .

وأمام هذين الموقفين ، موقف الاخ ابو عمار ، وموقف العميد البديري ، انحسر جو التوتر الذي ساد مناقشة موضوع الجيش ، وسيطر جو الهدوء من جديد .

وفي اطار المناقشة العامة برزت كلمتان يمكن اعتبارهما من أهم الكلمات التي قيلت في المجلس الوطني . الكلمة الاولى القاها الاخ خالد الحسن، والكلمة الثانية القاها الاخ ابو عمار . وفي هاتين الكلمتين جرى تحديد الموقف من العديد من القضايا السياسية .

ابرز الاخ خالد الحسن في كلمته عدم تطرق المجلس الى مناقشة قضايا سياسية مهمة تواجه العمل الفلسطيني ، وانشغاله بمناقشة قضايا جزئية . ثم قدم عرضا للسياسة الامبريالية وانعكاساتها على المنطقة العربية ، وتأثيراتها من ثم على العمل الفلسطيني ، وضرورة ان يتركز نقاش المجلس على هذا المخطط الاستعماري ، لوضع الخطط القادرة على مواجهته ، والحفاظ على ارادة القتال التي تمثلها الثورة الفلسطينية ، حتى يكون المجلس في مستوى المهمة التي يتصدى لها .

اما الاخ ابو عمار فقد ابرز في كلمته المصاعب التي واجهت الثورة الفلسطينية في السنتين الماضيتين، وقدرة الثورة الفلسطينية على الاستمرار والصمود رغم كل هذه المصاعب ، ورغم كل حملات التشكيك التي حاولت النيل منها . ثم أشار الى ضخامة المخطط الامبريالي ، والى اهمية الصمود في وجهه من خلال ارادة القتال . واستشهد بنماذج من ارادة الصمود التي يمارسها جنود مجهولون للثورة الفلسطينية في أكثر من مكان . وعلى أثر هاتين الكلمتين ساد انطباع في المجلس بوجود وجهتي نظر داخل اللجنة التنفيذية ، ولكن الاخ ابو عمار أصر على أن ينفي ذلك علنا ، مؤكدا ان الموضوع لا يخرج عن نطاق تبادل الاراء الذي يتم لدى مناقشة اي مسألة ، ثم يلتزم الجميع في النهاية بالقرار الذي يتخذ .

توصيات اللجان :

انبثقت عن المجلس الوطني ثلاث لجان . لجنة التنظيم الشعبي، ولجنة الخطة، واللجنة المالية. وعقدت هذه اللجان اجتماعاتها خلال يومين ، ثم قدمت توصياتها الى المجلس . ناقش المجلس توصيات لجنة التنظيم الشعبي بكثير من الانتقاد . لان اغلبها كان تسجيلا لجملة من البديهيات المتفق عليها ، ولم يتطرق للمشكلات الاساسية للتنظيمات الشعبية ، ولم يعرضها بشكل واف ، وخاصة ما يتعلق منها بتحديد هوية التنظيمات الشعبية وبنيتها النقابية ، وبدور التنظيمات الشعبية في العمل داخل الاراضي المحتلة ، ثم دور هذه المنظمات في ترسيخ عملية الوحدة الوطنية .

اما لجنة الخطة فقد حظيت بانتباه أكبر ، وسجلت جملة من القرارات العملية ، المتفقة مع خطوط البرنامج السياسي الذي اقر باجماع التنظيمات ، على أن تكون هذه القرارات بمثابة خطة عمل تعكف اللجنة التنفيذية على تنفيذها بين المجلسين ، وقد

ركزت هذه الخطة بشكل خاص على المهمات المطلوبة على الصعيد العسكري والجماهيري داخل الاراضي المحتلة ، وكذلك على المهمات المطلوبة لتنمية النضالات الوطنية الاردنية ، مؤكدة الخطوات العملية اللازمة لتنمية التحالفات مع القوى الوطنية العربية ، والقوى التقدمية العالمية .

ثم أقر المجلس الجزء الاكبر من اقتراحات اللجنة المالية ، التي اقترحت ميزانية جديدة لمنظمة التحرير ، بعد أن بقيت المنظمة تعمل لفترة طويلة على اساس الميزانية التي اقرت للعام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . واستجابت هذه الميزانية لبعض التطورات التي طرأت على وضع منظمة التحرير ، وعلى وضع الاجهزة الموحدة بداخلها .

انتخاب اللجنة التنفيذية :

سبق انعقاد المجلس الوطني نشر الكثير من الانباء الصحفية التي تتحدث عن وجود خلافات داخل حركة فتح . وقد انطلقت هذه الانباء من القرار الذي اتخذته حركة فتح بتبديل عضوين من أعضائها في اللجنة التنفيذية ، هما خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية ، وفاروق القدومي رئيس دائرة التنظيم الشعبي . ولكن اوساط فتح القيادية كانت حريصة على ان تؤكد باستمرار ان الهدف من هذا التبديل هو الالتزام بقرار لقيادة فتح بأن يتفرغ اكبر عدد من أعضائها الاول للعمل داخل الحركة من أجل تمتين الوضع التنظيمي ، لمواجهة مهمات المرحلة المقبلة . ولكن يبدو ان هذا الجو الذي ساد دفع حركة فتح لان تستمر في قرارها بتفرغ عضوين من اعضائها داخل اللجنة التنفيذية للعمل التنظيمي داخل الحركة ، دون أن تستبدلهما بعضوين جديدين . وقد صادف ان هذا التوجه يلقى قبولا لدى بعض المنظمات التي كانت تطالب بصيغة للجنة التنفيذية قريبة من الصيغة الجبهوية. وقد نوقشت هذه الصيغة في كواليس المجلس مطولا ، بين داع للبقاء على الصيغة القديمة ، وبين مؤيد للصيغة الجديدة لما تنطوي عليه من مغزى سياسي يساعد على تطوير مسألة الوحدة الوطنية. وفي النهاية أمكن الاتفاق على صيغة للجنة التنفيذية ، يغلب عليها طابع ممثل واحد لكل تنظيم . وبذلك تشكلت اللجنة التنفيذية من عشرة اعضاء على الشكل التالي : الاخ ابو عمار الذي انتخب بالاجماع رئيسا للجنة التنفيذية وقائدا عاما . الدكتور يوسف صايغ الذي انتخب بالتزكية رئيسا للصندوق القومي . الاخوة (محمد يوسف النجار — أديب عبد ربه — أحمد اليماني — عبد الوهاب الكيالي — زهير محسن) ممثلون للمنظمات الخمسة في اللجنة التنفيذية ، على اساس ممثل واحد لكل تنظيم . الاخوة (حامد ابو سته — كمال ناصر — محمد زهدي النشاشيبي) ويمثلون المستقلين .

واضافة الى ذلك قرر المجلس العودة الى صيغة اللجنة المركزية ، على أن تشكل من أعضاء اللجنة التنفيذية ، ومن ٩ — ١٢ عضوا من المنظمات الشعبية والكفاءات المستقلة . وتكون مهمتها مساعدة اللجنة التنفيذية في القضايا الطارئة بين دورتي المجلس .

بلال الحسن

ملاحظات عامة حول المجلس الوطني الفلسطيني
في دورته الحادية عشرة في القاهرة ١/٦ ـــ ١٩٧٣/١/١٢

ان أي تقييم لحدث من الاحداث أو اجتماع أو لقاء لا يرتكز على صورة التوقعات السابقة له ، يفقد قيمته الموضوعية . واذا لم تكن التوقعات التي تسبق الحدث أو اللقاء أو المؤتمر منسجمة مع واقع الامور ومع الحقائق العلمية تفقد صلاحيتها كمقياس للحكم على النتائج ، فهي اما تكون مغرقة بالتفاؤل أو تكون اقل مما تفرضه ظروف الامر الواقع ، وفي كلتا الحالتين لا تصلح كمقياس دقيق عند محاكمة النتائج . في العمل الفلسطيني ، يجوز للتوقعات ان تطمح قليلا أكثر من حدودها ، نظرا للوضع الخطير الذي تجتازه الان القضية الفلسطينية ، ولكن لا يجوز بأي حال ان تقفز التوقعات بعيدا عن الواقع ايضا للسبب ذاته . من هنا يمكن القول ان من توقع للمجلس الوطني الفلسطيني الاخير ان يخرج بخطة متكاملة علمية ودقيقة للتحرير ، يكون قد اغرق بتفاؤل غير موضوعي ، لا يمكن ان نعتمده حين النظر الى النتائج . بشكل عام وعلى اساس قراءة دقيقة لمسيرة التطورات في القضية الفلسطينية وحولها ، كانت هناك جملة من الامور قد تصبح ، من حيث ضرورة تحقيقها او من ناحية أهمية عدم حدوثها ، مقياسا حقيقيا للحكم على نتائج المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقدت دورته الحادية عشرة في القاهرة بين ١/٦ ـــ ١٩٧٣/١/١٢ : ١ ـــ الارتفاع الفلسطيني الى درجة الرؤيا الواعية لحقيقة الاخطار المحدقة بالثورة الفلسطينية ، دوليا وعربيا وفلسطينيا ، ٢ ـــ الارتفاع ثوريا الى مستوى التأكيد النهائي على رفض كافة مشاريع التسويات والصلح ، والتشبث الكامل بالكفاح المسلح في حرب شعبية طويلة المدى من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني وتصعيد القتال في هذا المنحى ، ٣ ـــ عدم الغرق في المهاترات والمزايدات وتسجيل المواقف غير المجدية فيما بين فصائل حركة المقاومة ، ٤ ـــ التنبه الثوري لاوضاع شعبنا داخل الاراضي المحتلة الذي يعيش ، وجها لوجه ، ارهابا وترغيبا ، محاولات العدو نحر رأس القضية الفلسطينية ، بالتهويد والتعايش بالمشاريع والاغراءات وبحفر « الحقائق الجديدة » يوما بعد يوم ، ٥ ـــ حل مسالة الوحدة الوطنية الفلسطينية ، اما بتحقيقها عمليا أو بادراك أسلوب جديد ، بعد التجربة المريرة ، لمقاربتها ، ٦ ـــ تحريك جمود الوضع فيما يتعلق بالساحة الاردنية ، أي عدم الاكتفاء بالتأكيد النظري على أساسية الساحة الاردنية للنضال الفلسطيني ، ٧ ـــ اعادة النظر في علاقات المقاومة عربيا ، وضرورة ارسائها على أسس عملية واقعية واعية ، ٨ ـــ الاطلال الجدي على وضع المقاومة في لبنان ، ووضع خطة عمل منسجمة مع الاوضاع القائمة واهداف المقاومة المرحلية ، ٩ ـــ حل مشكلة جيش التحرير الفلسطيني ، تلك المشكلة التي ظلت تجر نفسها على امتداد مرحلة طويلة دون التوصل الى حسم ما في صددها .

قد تكون هذه العناوين ملخصا أمينا لصورة التوقعات من المجلس الوطني أو أي لقاء فلسطيني في هذه المرحلة ، من جانب جماهير الشعب الفلسطيني والعربي المرتبطة بالمقاومة والعاملة معها والملتفة حولها ، التي ما زالت تراهن عليها وعلى قدرتها في مجابهة الظروف الصعبة التي تمر بها . وحتى تكتمل الصورة ، فلا بد من ذكر جملة توقعات من قبل اعداء الثورة والمشككين بها والشامتين بوضعها والمتطلعين في اتجاهات مغايرة لها ، المستسلمين ، قصيري النفس . يمكن تلخيص هذا النوع من التوقعات على الشكل التالي : ان تتخبط حركة المقاومة في خلافات فصائلها ، أن يبرز منحى فكري بين صفوفها يفلسف الاستسلام متذرعا « بالواقعية » ، ان يشكك البعض داخل صفوف المقاومة بالكفاح المسلح ، ان يجري البحث في فوائد « الدولة الفلسطينية » وان يحدث الانقسام الفلسطيني ، ان يتكرس اليأس امام ضخامة الهجمة الامبريالية والمؤامرات والمشاريع المطروحة، أو أن تزيد التداخلات العربية حدة التفسخ الفلسطيني ، والى ما هنالك من احتمالات في هذا الاتجاه .

على ضوء هذه الصورة ذات الوجهين من التوقعات يمكننا ابداء بعض الملاحظات حول ما جرى في المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الحادية عشرة:

١ ـــ وقف المجلس الوطني الفلسطيني بقوة ووضوح أمام الموقف الدولي محللا مخاطره واتجاه حركته ،

وأمام أوضاع العدو الاسرائيلي وطبيعة توجهاته ، مؤكدا على خط الثورة والكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة المدى طريقا لا بديل له من اجل تحقيق النصر ، رافضا الحلول المطروحة جملة وتفصيلا ، مشيرا بعد تحليل شامل لحركة الامبريالية الى انه رغم كافة ما تظهره من قوة وهيمنة ، الا انها تصاب بالهزائم واحدة بعد الاخرى ، وان سمة هذا العصر انما هي انتصار الشعوب واندحار الامبريالية اذا عرفت الثورات خوض نضالها بقوة وثبات وحزم وذكاء وحذر . كما انه برغم تصلب العدو الاسرائيلي وجرائمه وارهابه ومؤامراته فان الثورة الفلسطينية تدخل عامها التاسع مسجلة استمرارها المضطرد برغم مرحلة الانحسار التي تعيشها الان .

٢ — أكد المجلس الوطني ، دون أية خلافات ، أن الساحة الاردنية تمثل المنطلق الطبيعي للثورة الفلسطينية ، وعلى هذا الاساس لا بد من العمل الدائب من اجل الاطاحة بالنظام الملكي القائم في الاردن ، عبر اقامة الجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية وتدعيمها ، وتدعيم نضال الجماهير في الاردن تنظيما وعسكريا واجتماعيا وسياسيا في اتجاه هذا الهدف ، وأكد المجلس انه لا مجال للتفاوض أو التصالح أو الاتفاق مع النظام القائم.

٣ — تمت في المجلس الوطني وقفة مسؤولة أمام أوضاع شعبنا في داخل المناطق المحتلة ، وتناولت المناقشات كيفية دعم صمود شعبنا هناك وكيفية فتح الحوار الثوري معه في اتجاه اقامة التحالفات الصلبة مع القوى الرافضة للاحتلال والعمل معها على أساس برنامج وطني ، وجر القوى اللامبالية الى مواقع الثورة ، وشن الحرب على القوى المتعاونة مع العدو والمستسلمة له ولمخططاته . وقد اتخذت في المجلس المقررات الكفيلة بتحقيق وتنفيذ هذه القناعات .

٤ — استعرض المجلس اوضاع حركة المقاومة في لبنان مؤكدا على اهمية تجنب الصدام مع السلطة في حدود تتيح للمقاومة حرية الحركة في مختلف مجالات العمل ، كما جرى تأكيد على ضرورة دعم نضال الجماهير في الجنوب واقامة اقوى الصلات معها ، وتحصين المخيمات وتمتين العمل السياسي الواعي فيها . وقد اتخذت قرارات عديدة في هذا الصدد .

٥ — اما على الصعيد العربي ، فقد أكد المجلس على ان علاقات المقاومة تسير عبر حقل الغام خطير بسبب الحالة الصعبة التي تجتازها الانظمة العربية ، وقد تم الاتفاق على ضرورة قيام المقاومة بتحرك عربي مؤداه التبيان للانظمة العربية انه لا بد من القتال والاستعداد له من اجل الخروج من المأزق الصعب ، وانه لا جدوى من السير في اتجاه الحلول الجزئية وغير الجزئية ، لان هذا الاتجاه لن يوصل الا الى مزيد من التراجعات والتنازلات . في هذا الصدد تم التحذير من حركة الدول العربية الرجعية التي تخدم في النهاية مصالح الامبريالية ومحاورها التي تعمل على اقامتها على امتداد المنطقة . وثبت المؤتمر قناعة المقاومة ان العمود الفقري للعمل العربي انما يقوم على التحالف مع القوى الوطنية التقدمية العربية في اطار الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية التي انبثقت عن المؤتمر الشعبي العربي لمناصرة الثورة الفلسطينية الذي عقد في بيروت بتاريخ ١١/٢٧/ ١٩٧٢ . ومع أية قوى تقدمية يمكن استنهاضها . وقد أناط المجلس بالمقاومة والجبهة المشاركة مهمات واسعة للعمل المشترك في المجال العربي في اتجاه تنشيط الوضع وتصعيد التفافه حول المقاومة الفلسطينية وعملها وأهدافها المرحلية والاستراتيجية .

٦ — تبلورت في المجلس الوطني الاخير قناعة ثابتة مؤداها عدم جدوى الاسلوب السابق في فهم ومقاربة الوحدة الوطنية الفلسطينية ، الاسلوب الذي كان ينشد هذه الوحدة عبر المشاريع الكبيرة الطموحة (الوحدة العسكرية الكاملة ، الوحدة المالية ، التوحيد الاعلامي الخ ..) وضرورة تحقيقها بعد ثلاثة او ستة اشهر على الاكثر ، وتبنى المجلس أسلوبا جديدا في النظر الى هذا الموضوع يقضي بالتفتيش على صيغ متواضعة وقابلة للتنفيذ للعمل المشترك ، يجري العمل على تنفيذها تدريجيا ، بحيث ترتقي في عملية الوصول الى الوحدة الوطنية على أساس تراكم انجازها خطوة خطوة يوما وراء يوم . وقد تمكن المجلس (في لجنة الخطة) من تثبيت عدة صيغ متواضعة يمكن ان تشترك القوى في العمل من خلالها ، وبشكل مباشر وسريع . وبهذا يكون المجلس الوطني الفلسطيني الاخير قد تمكن من الخروج من دوامة المشاريع الكبيرة الفوقية ومن أسر ضغوط المواسم ، ليتجه بالعمل الفلسطيني في منحى عملي واقعي نحو الوحدة الوطنية . وقد عبرت هذه القناعة عن

نفسها بتشكيل جبهوي حقيقـي متماسك للجنـة التنفيذية لمنظمة التحرير .

٧ ــ حدثت في المجلس الوطني قفزة نوعية ، تبدو على درجة كبيرة من الاهمية من ناحية طبيعتها ، وهي رسوخ قناعة كافة القـوى بضرورة تركيـز مسيرة العمل الفلسطيني على الدراسات والابحاث العلمية وعلى التخطيط العلمي المستند اليها . وفي كافة مناقشات المجلس كان هناك تأكيد على دور مركزي الابحاث والتخطيط في هذا الصدد . ولم تكن صدفة ان يجري التأكيد (بقرار) في بداية مشروع لجنة الخطة . ان التوصيات الواردة في المشروع انما تمثل عناصر خطة ، تضعها اللجنة التنفيذية أمام مركزي الابحاث والتخطيط للتوغل بحثا ودراسة فيها ثم استخلاص الخطة المناسبة على اساس ذلك . ولم تشهد جلسات المجلس اية اختلافات حول هذا المنحى بالتفكير .

٨ ــ برزت في المجلس ضخامة وجدية الازمة المالية التي تعانيها المنظمة .

٩ ــ لا بد من تسجيل ملاحظة أخيرة ذات طابع سلبي ، وهي استمرار هيمنة جو من المرارة وعدم الايمان بالمطلق بجدوى المناقشات لدى العديد من أعضاء المجلس وخاصة في الايام الاولى ، وعدم الايمان بقدرة العمل الفلسطيني على تخطي أزمته. بالطبع ، ان هذا الامر ناتج عن طبيعة المرحلة التي يمر بها النضال الفلسطينـي وعن تجربة المؤتمرات السابقة ومصير قراراتها . الا ان هذا الجو قد ابتدأ بالتغير تدريجيا مع بلوغ المناقشات مستوى معينا من الجدية .

لا شك ان هذه الملاحظات تبقى دون اساس قبل دراسة تحليلية معمقة لقرارات المجلس الوطنـي الفلسطيني في دورته الحادية عشرة الامـر الذي لا بد من القيام به في فترة قريبة لاحقة . ولا شك أيضا ان صلابة وجدية القرارات تظـل مرهونة بالقدرة على تنفيذها والالتزام بها . ان صيغة تشكيل القيادة السياسيـة الجديدة تشير الـى احتمالات مهمة وشديدة الواقعية من زاوية القدرة على التنفيذ والالتزام . ان عملية مقارنة سريعة بين التوقعات والنتائج ، تظهر ان المجلس الوطني الاخير قد خطا خطوة جادة الى الامام على طريق العمل الفلسطيني الطويل والشاق .

س. ح.

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

استمرت دولة الاحتلال في حربها ضد سوريه ، ولقد صعّدت الحرب الى درجة لم تبلغها من قبل . فلماذا حدث ذلك ؟ وما هي أهدافه ؟ والى اين يرمي ؟

لقد حدث ذلك لان دولة الاحتلال ترمي الى جني ثمار حرب حزيران . وجني ثمار حرب حزيران يعني : الاستسلام العربي وفرض الامر الواقع الذي تريده دولة الاحتلال . ذلك ان حرب حزيران لم تأت لدولة الاحتلال الا بقسم من اهدافها . هذا القسم هو التوسع . أما القسم الثاني : الاستسلام السياسي فانه لم يأت بعد . ولن يأتي ما دامت المقاومة الفلسطينية موجودة ، وما دامت هناك دولة عربية مستعدة لرفض شروط الاستسلام المطروحة .

ولقد بدأت دولة الاحتلال الصهيوني مهمتها الثانية بعد حرب حزيران مباشرة . وعمدت في سبيل ذلك الى محاولة زرع القناعة في قلوب العرب بأن اية امكانية غير الاستسلام ليست واردة .

وعندما انطلقت المقاومة من جديد في أواخر آب ، بدأت قوات الاحتلال عملية المطاردة والسحق حتى لا تتسع المقاومة ، وحتى لا يحقق التوسع دون نصفه الآخر الاستسلام . ولكن المقاومة واصلت مسيرتها ، ومع مسيرتها بدأت عملية بناء القوات العسكرية في مصر وسوريه . وما لبثت حرب الاستنزاف ان بدأت على الجبهة المصرية . وكانت المقاومة تزداد عنفا وحرب الاستنزاف تزداد شراسة . وهنا ركزت قوات الاحتلال على ما يلي : أ ــ وسعت عملية المطاردة والملاحقة ضد المقاومة في الداخل ، آملة أن تستطيع خنقها قبل أن تمتد وتشتد . ب ــ وسعت عملية المطاردة والسحق في الخارج عن طريق القصف المدفعي والجوي وعمليات الاغارة البرية والجوية . جـ ــ استهدفت السكان في مناطق القتال ، حتى جلا معظم سكان مدن القنال ، ومعظم سكان الاغوار في الاردن ، وذلك من اجل خلق مشاكل اقتصادية واجتماعية ودفع المواطنين الى التناقض مع المقاومة ومع انظمتهم . د ــ استهدفت تجمعات القوات المسلحة قبل ان تستكمل استعداداتها من اجل ان تضربها قبل استكمال عدتها ، ومن اجل ان تهزمها معنويا .

وبدأت الولايات المتحدة في مثل هذا الجو مساعيها من اجل « السلام » فجعلت هدفها الاول وقف اطلاق النار ، واخذت تعمل على اقناع الاطراف العربية ، بأن وقف اطلاق النار هو الذي يتيح المجال للسلام ، وهو الذي يتيح للولايات المتحدة الفرصة لممارسة « ضغطها » في هذا السبيل . وتحرك روجرز ومساعدوه ، وراحوا يتصلون ويتجولون في المنطقة . وخرج من وسط الضباب مشروع روجرز ، ووافقت مصر في تموز سنة ١٩٧٠ على مشروع روجرز ، وتم تنفيذ وقف اطلاق النار . وكان اطلاق النار المطلوب شاملا ، وعلى كل الجبهات ، وكان هذا يستلزم أن تضرب المقاومة ، حتى تسكت البنادق ، لا على جبهة السويس فحسب ، بل على كل الجبهات .

وتحرك هذه المرة النظام الاردني ، كما لم يتحرك من قبل ، في ظل المؤامرة الدولية ، لضرب ارادة القتال لدى الجماهير الفلسطينية ، وكان هذا التحرك يحقق للنظام الاردني غايتين : الاولى : التخلص من قوة داخلية مخيفة تهدد السلطة الاردنية وتحرمها من مبرر وجودها الدولي : دورها في حماية الاحتلال الصهيوني . الثانية : حرية التفاوض دوليا من اجل حل استسلامي للقضية الفلسطينية .

ولكن مؤامرة النظام الاردني لم تنجح في أيلول ، وظل الاردن ميدان صراع حتى تموز سنة ١٩٧١ . وكانت الارض المحتلة ما زالت تقاتل ، بينما كانت المقاومة ما زالت موجودة في لبنان وسوريه .

وبينما كان النظام الاردني يضرب آخر معاقل المقاومة في الاردن ، كانت دولة الاحتلال تنقل المعركة الى الجبهة اللبنانية . وكان الهدف من ذلك اغلاق جبهة لبنان أمام المقاومة . ولقد استخدمت قوات الاحتلال في لبنان الاسلوب الذي استخدمته في الاردن من قبل : قصف قواعد المقاومة ومهاجمتها ، ضرب السكان المدنيين ، ايقاع خسائر ما بين الفينة والاخرى في الجيش . وبدأت المشكلة في لبنان تتعقد ، حتى اضطرت المقاومة الى التوقف عن استخدام جنوب لبنان في عملياتها .

وهنا بدأت دولة الاحتلال معركتها الاخيرة في سوريه . ففي سوريه قواعد اساسية لحركة

المقاومة ، ويعرف العدو ان تصفية هذه القواعد ستقود الى تحول حاسم في المنطقة . ذلك ان اجبار سوريه على تصفية هذه القواعد لا يعني فقط ان مجموعة جديدة من قواعد المقاومة قد ضربت فقط ، بل يعني أيضا ان بلدا عربيا له وزنه المادي والمعنوي في الحياة العربية قد انزلق الى مواقع الاستسلام ، ولهذا أثره في الحياة الفلسطينية والعربية كلها .

بقيت سوريه اذن وحدها ، فيما عدا المقاومة ، ويريدون الان أن يخضعوها . وهناك مجموعة من العوامل التي تساعد العدو على تحقيق أهدافه . ومن هذه العوامل :

أ — ان العلاقات العربية استمرت في التدهور منذ حزيران . وعلى الرغم من قيام الاتحاد الثلاثي فان أوضاع العلاقات العربية تردت بدلا من أن تتحسن . ويذكرني هذا بحديث لاحد قادة دولة الاحتلال ، أطلقه بعد حرب حزيران ، وربما بعد مؤتمر الخرطوم ، قال فيه : لا تظنوا ان العرب سيظلون متحدين ، ان جبهتهم ستتفسخ في المستقبل ، ولا بد من أن نذكر هنا ان دولة الاحتلال والولايات المتحدة الاميركية كانتا تعملان ، بكل ما لديهما ، على اشاعة الفرقة وبذر بذور الشقاق .

ولقد عقد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع في الكويت ، خلال نوفمبر الماضي ، ولكنه لم يسفر عن شيء . وتلاه مؤتمر رؤساء الاركان في ديسمبر ، ولم يسفر عن شيء أيضا . وما زالت الاوضاع العربية والعلاقات العربية ، تسير من سيىء الى أسوأ حسب ما تريد الدوائر الامبريالية والصهيونية وتشتهي .

ب — ان ارادة المقاومة العربية للاحتلال قد ضربت وما زالت تضرب من خلال ضرب المقاومة الفلسطينية ومحاصرتها ومن خلال اشاعة روح الاستسلام وادامة عوامل الهزيمة . ان هناك الكثير من العوامل التي تساهم في خلق مناخ الهزيمة . واذا كان ضرب المقاومة الفلسطينية واحدا منها ، فان استمرار التفكك عامل آخر لا يقل عنه اهمية . وهناك ايضا التراجعات المتلاحقة والهزائم المتكررة، والخنوع المتواصل امام السياسة العدوانية الاسرائيلية — الاميركية . وهكذا نجد أن الجماهير التي تريد ان تقاتل تضرب ارادة القتال لديها ، بدلا من أن تشحذ وتطور .

ج — ان الجماهير العربية ، بالاضافة الى ما سبق ، ما زالت تحس بأنها بعيدة عن المعركة ، وكأنما هي ليست معركتها . وما زالت قواها معطلة ، تتجاهلها السلطات الحاكمة ، فلا تعدها للقتال ، ولا تعدها للدفاع ، ولا تعد لها وسائل الحماية من غارات الطيران . وما زال الاهتمام مركزا على التوازن الدولي ، وعلى آخر منجزات التكنولوجيا العسكرية . أما الجماهير فيجري الحديث عنها لماما ، وبحياء . مع ان جماهيرنا هي قوتنا الوحيدة ، وهي القوة الوحيدة القادرة على دخول هذه المعركة الشرسة .

د — واذا كانت الجماهير لم تعد ، فان الجيوش لم تعد . الحرب ليست طوابير وأسلحة ، وليست طابور تحية العلم . وهي تحتاج الى المقاتلين الاشداء المؤمنين بقضيتهم ، المعدين ماديا ومعنويا أحسن اعداد . وجيوشنا عموما ما زالت دون هذا بكثير . واذا ظلت دون هذا فانها لن تستطيع ان تتجشم عناء الحرب وأهوالها وتواصل المسيرة حتى الانتصار . المطلوب اعداد هذه الجيوش للقتال ، لا بالبنادق الحديثة والصواريخ والدبابات فحسب ، بل بالروح المعنوية ايضا . واذا لم تشحن بالروح المعنوية التي تزعزع الجبال فان أكداس أسلحتها الحديثة لن تعصمها من الهزيمة .

ه — شنت الدوائر الرجعية العربية خلال السنة الماضية حملة شرسة على العلاقات العربية — السوفياتية خصوصا والشيوعية عموما . ولم يكن هذا غريبا ذلك ان الدوائر الاميركية — الصهيونية تعلم أن علاقاتنا مع الدول الاشتراكية مصدر قوة لنا . ولذلك فلا بد من ان تضرب هذه العلاقات . وخطورة هذه الحملة أنها جرفت معها أوساطا « وطنية » ليس لها في ان تقف في صف الامبريالية والصهيونية . وكانت مواقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين هي الغشاوة التي غطت بها هذه الفئات عوراتها .

ان هذه الحملات الخبيثة الشرسة ، لا تستهدف اغلاق ابواب المعسكر الاشتراكي في وجوهنا فقط ، بل تستهدف ايضا افتعال خلافات داخلية واثارة انقسامات . كما تستهدف دفعنا الى « أحضان » الولايات المتحدة الاميركية بعد ان تسد كل الابواب في وجوهنا .

ان كشف مرامي هذه الحملات واهدافها ومخاطرها على الحركة الوطنية أمر ضروري ولازم . ذلك ان

المعسكر الاشتراكي ، حتى ونحن نختلف مع كثير من دوله على قضايا أساسية ، هو احد مصادر قوتنا . ثم ان نزعة معاداة الشيوعية داخليا وخارجيا ، لا تقود الا الى المذابح الداخلية والارتماء بأحضان الامبريالية . وعلينا ان نقاوم محاولة جرنا على هذه الطريق . ولا نستطيع تجنب هذا المنزلق الا باعتبار الشيوعية أحد أركان حركتنا الوطنية وثورتنا الوطنية الديمقراطية العربية ، كما اعتبرها صن يات صن قبل اكثر من نصف قرن ، لان اتجاه محاربة الشيوعية هو طريق الهاوية .

فالى أين يقود استمرار التدهور ؟ انه يقود الى : ١ — تصفية المقاومة الفلسطينية ، ٢ — خضوع الانظمة العربية لسياسة الامر الواقع الاسرائيلية — الاميركية .

وهنالك أصوات بدأت تطرح الاستسلام بخبث ودهاء . انها لا ترى من الواقع الدولي في هذه الايام الا الاتفاق الاميركي — السوفياتي و« المجاملات » الصينية — الاميركية . وهي لذلك تعلن للملأ ان العمالقة قد اتفقوا واقتسموا العالم فيما بينهم ، وان هذا يعني ان « السلام » سيعم الارض ، وان « الصغار » لا يستطيعون ان يعملوا شيئا وهم مقيدون على موائد الكبار . اما في الواقع العربي فان هذه الاصوات لا ترى الا الانظمة الخانعة المستسلمة والجماهير المهملة والدول المتراجعة . وهي لا ترى على الصعيد الفلسطيني غير ثورة تموت وجماهير تسير على طريق الاستسلام . ان هذه الصورة القاتمة هي صورة استسلامية ، وهي صورة تقدم جانبا من الواقع ، ولا تقدمه في حركته الجدلية . ولنناقش الامر بشيء من التروي والهدوء .

على الصعيد الدولي : هنالك اتفاقات دولية منذ القرن التاسع عشر . ولقد كانت الدول الاستعمارية الكبرى تعقدها من اجل اقتسام العالم . ومع هذا فان هذه الاتفاقيات لم تمنع الثورات ، ولم تمنع تغيير خارطة العالم مرارا وتكرارا . ولقد اختلف الوضع العالمي منذ قيام ثورة اكتوبر ، ثم اختلف بعد انتصار الثورة الصينية . واذا كان الكبار في الماضي من الامبرياليين ، فان كبار اليوم ليسوا كلهم امبرياليين . وحتى اتفاقات السلام فيما بينهم ليست اتفاقات من طراز اتفاقيات الدول الاستعمارية الكبرى في القرن التاسع عشر ، او الدول الامبريالية الكبرى في القرن العشرين .

وهذه الاتفاقات ايضا لن تستطيع ان تفرض استقرارا لخريطة العالم ، ولن تكون علاجا سحريا لكل الثورات والانتفاضات . فما دامت هنالك شعوب مضطهدة وطبقات مستغلة فلن يكون هنالك سلام ، ولن تكون اية اتفاقية تعقد بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية « اقوى » من اتفاقية يالطا . ومع ذلك فان الحرب الباردة والساخنة ظلت تسيطر على العالم منذ ذلك الحين حتى الان . واستطاع نضال الشعوب في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ان يغير من خريطة عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية . وهذا لا يعني ان هذه « الاتفاقيات » لا تكون عثرات في طريق النضال ، ولا تفرض على الشعوب تضحيات أكثر ، ولكنها مع ذلك لا تستطيع ان توقف عجلة المسيرة المتقدمة .

على الصعيد العربي : هنالك فعلا تفكك وتراجع . وهنالك فعلا أنظمة تبحث عن استسلام « مشرف » وأنظمة راضية بالاستسلام غير المشرف ، ولكن هنالك ايضا الجماهير العربية وقواها الوطنية . ولولا هذه الجماهير وقواها الوطنية لصفيت القضية من أمد بعيد . ولكن وطنية هذه الجماهير ومقاومتها العفوية للاستسلام ومشاريعه ، والتضحيات التي قدمتها القوى الوطنية وما زالت مستعدة لتقديم المزيد منها ، منعت دعاة الاستسلام خلال أكثر من عشرين عاما من تصفية القضية حسب المخطط الامبريالي الصهيوني .

ان هذه الحقيقة مهمة ، وعدم ذكرها يقود الى اعطاء صورة غير حقيقية ، أو لنقل صورة من جانب واحد . وهذه الصورة « الجانبية » التي تركز على « الواقع الاستسلامي » في حياتنا هي بعض أساليب العمل الاستسلامية . انها تحاول ان تقنعنا ان الواقع العربي لا يحمل في ثناياه الا الاستسلام ، بينما هو يحمل في ثناياه الثورة أيضا .

على الصعيد الفلسطيني : هنالك عوامل وهن في المجتمع الفلسطيني . ولقد زادت هذه العوامل في السنوات الثلاث الاخيرة نتيجة اسباب عدة اهمها : أ — الضربات التي وجهت الى المقاومة ، والحصار المفروض على الشعب الفلسطيني . ب — التفكك العربي والتراجعات العربية امام دولة الاحتلال . ج — عجز المقاومة عن تعبئة جماهير الشعب

الفلسطيني . د ـ عجز المقاومة عن تحقيق وحدة وطنية حقيقية .

ولكن هــذا كله يجب الا يخفي عـن انظـارنـا حقـائق واضحة أهمها : أ ـ ان المقــاومة ما زالت موجودة وفعالة في الداخل والخارج . صحيح أنها لم تبلغ المستوى المطلوب ، وأنهـا تراجعت خلال السنوات الماضية ، ولكنها ما زالت القوة الفلسطينية غير المنازعة ، واحدى القوى العربية الهامة . ب ـ لم تستطع دولة الاحتلال او النظام الاردني ان يخرجا قيادة فلسطينية بديلة او موازية . ج ـ لم يستطع الاحتلال ان ينهي المقاومة في الداخل او في الخارج . د ـ ما زالت المقاومة تملك قوى منظمة ومسلحة وجماهيرية قادرة على أن تلعب دورا هـاما في احباط مؤامـرات التصفية ، اذا استخدمت جيدا .

ولهذا كله فان الاصوات الاستسلامية ، يجب ان تكشف وتفضح ، ويجب ان يكشف زيف منطقهـا الصوري ، ودعاواها المضللة . ولكن كشف هذه الاصوات وفضحها لا يتم بالدعاية فحسب . انه يحتاج الى العمل . والعمل يتمثل في تحرك حركة المقاومة من جديد ، على أسس جديدة . ان اثبات حركة المقاومة قدرتها على التحدي هو أفضل برهان على تهافت الدعوات الاستسلامية .

وتحرك حركة المقاومة يحتاج الى حماية عربية . وهذه الحماية لا يمكن توافرها بدون الجبهة العربية المشاركة . ولا بد لهذه الجبهة التي ولدت في تشرين الثاني الماضي من ان تتعزز وتتحول الى اطار نضال موحد مشترك لكل القوى الوطنيـة العربية . ولا نضيف جديدا اذا قلنا ان المقاومة تستطيع ان تلعب دورا أساسيا في هذا المجال . وتظل سوريه حلقـة أساسية في صمود المقاومـة واستمرارها ، وفي سقوط المؤامرات التصفوية . ولذلك يجب ان توفر لسوريه كل امكانات الصمود والتحدي . وهذا يعني :

على صعيد المقاومة : ان المقاومة مطالبة بما يلي : أ ـ القيام بنشاط فعـال ضد قوات الاحتلال ، سياسي وعسكري ، ب ـ القيـام بحملة تعبئة شعبية في البلاد العربيـة لمصلحة دعم سوريـه والمساهمة معها في ردع العدو ، ج ـ القيـام باتصالات رسمية في البلاد العربية لتوفير دعم مادي وسياسي لسوريه ، د ـ القيام باتصالات على الصعيد العالمي ، ومع الدول الاشتراكية بالذات ، لتوفير مزيد من الدعم المادي والسياسي أيضا .

على الصعيد السوري : ان السلطـة والحزب مطالبان بما يلي : أ ـ توسيع نطاق التعبئـة العسكرية ، لتتحمل الهجمات المتوقعة مستقبلا . ب ـ تعبئة الجماهير وتدريبها وتسليحها على نطاق واسع . ج ـ توسيع نطاق الجبهة الوطنية لتضم كل المعادين للاحتلال ، وزيادة فعاليـة الجبهة واجهزتها ، والعمل علـى زيادة تفاعل القـوى المشاركة فيها . د ـ العمل على الاستفادة من امكانات دولة الاتحاد في معركة الصمود . هـ ـ العمل على ضمان المساعدات العسكرية والمادية والسياسية اللازمة من الدول العربية. و ـ العمل بكل الوسـائل لزيادة المساعـدات العسكرية مـن الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي .

على الصعيد العربي : ان القوى الوطنية العربية مطالبة بما يلي : أ ـ التحرك بسرعة للوقوف في وجه الاتجاهات الاستسلامية والمشاريع التصفوية. ب ـ العمل على دفع الانظمة على مساندة سوريه والمقاومة ، والعمل من اجل مشاركة هذه الانظمة في الجهد المكرس للقتال وتستطيع الجبهة العربية المشاركة أن تبدأ نشاطاتها الفعالة فيهذه المجالات.

ان صمود سوريه واستمرار تحديهـا يلعب دورا أساسيا في صمود حركة المقاومة ، وفي تصاعد الموجة المعادية للاستسلام وللمؤامرات التصفوية. وعلينا أن ندرك أن نجاح دولة الاحتلال ، ومن ورائها الامبريالية الاميركية في فرض الاستسلام على سوريه يعني ان حركة المقاومة الفلسطينية ستعيش أياما سوداء ، أكثر من اي وقت مضى ، وان حركة التحرر الوطني العربيـة ستضرب ضربات قاصمة . ومن واجبنا الا نسمح بذلك مهما كانت التضحيات .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

عادت حالة الجمود لتسيطر من جديد على التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي ، وهي حالة كثيرا ما تتبع انتهاء مناقشات هيئة الامم لازمة الشرق الاوسط مما يعطي الفرصة لكافة الاطراف المعنية للتوقف قليــلا لاستيعاب نتائج المناقشات والقرارات وتقديــر مدى أهميتها وتأثيرها علــى الخطوات القادمة المزمع اتخاذها . وفي ظل هذا الجمود ما زالت الانبــاء تتردد بشكــل متقطع ومقتضب حول المبادرة الامريكية الجديدة من اجل اخراج جهود التسوية السلمية من المأزق الذي وصلت اليه . ويبدو ان الدوائر الامريكية الرسمية تغذي هذه الانباء وتشجع على نشرهــا متعمدة الغموض والعموميات والتقطع في تسريبها من أجل خلق جو من الترقب والانتظار محليا وعالميا ، وهو تكتيك كثيرا ما استعملته الدبلوماسيــــة الامريكية لتجميد الوضع على حاله وكسب المزيد من الوقت لصالحها وصالح اسرائيل واحتلالها . ومن الامثلة على استخدام هذا التكتيك جــزء من التقرير الذي نشره البيت الابيض (في منتصف شهر كانون الاول) بمناسبة انتهاء ولاية الرئيس نيكسون الاولى وقبل توليه مهام الرئاسة الثانية ، حيث جاء ان من أهم ما حققه حكم الرئيـــس نيكسون حتى الآن استمرار وقف اطلاق النار على قناة السويس « وتخفيف » الوجود الســوفياتي في مصر ، واعتبر التقرير ان مهمة « البحث عن السلام في الشرق الاوسط ستكون الاولويــــــة القصوى » في سياسة نيكسون اثناء ولايته الثانية. وبعد صدور التقرير صرح احد مستشاري الرئيس الامريكي انه بالرغم من استمرار وقف اطلاق النار على جبهة قناة الســويس « يظل الشرق الاوسط أخطر منطقة في العالم بسبب مخاطر الحرب الكامنة فيها ». كذلك صرح آلون بعد زيارته للولايات المتحدة في النصف الثاني من شهر كانون الاول بأن المسؤولين الكبار في واشنطن يعتبرون ان « الوضع في الشرق الاوسط أصبح ملائما أكثر من أي وقت مضى لتحقيق تقدم في اتجاه ايجاد حل جزئي او شامل للنزاع هناك ». كما صرح الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية ان الرئيـــــس نيكسون ووليم روجرز راغبان في استئناف الجهــــــود الدبلوماسية الامريكية بصورة نشيطة لتسهيـــل الوصول الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط . وواضح ان كل هذه التصريحات العامة تميل الى خلق الاعتقاد في الاوساط العربية والدولية بأن حكومة الولايات المتحدة مقدمة في المستقبل القريب على خطوة مهمة من شأنها ان تحرك الركـــود الذي يسيطر على مساعي التسوية السلمية في منطقتنا . لكن يبدو لنا ان المبادرة الامريكيــــة الجديدة ، عندما تأتي ، ستركز مرة اخرى على تجزئة النزاع العربي الاسرائيلي بحيث يكون هناك تسوية اسرائيلية اردنية من جهة ، وتســوية اسرائيلية مصرية من جهة اخرى ، كما انها لن تخرج عن حدود الموقف الامريكي الذي يصر على اجراء محادثات الجوار التي ينبغي ان تصل في مراحلها الاخيرة الى مستوى المفاوضات المباشرة، ويصر على انجاز التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس . وكل هذا واضح من كلام الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي كرر موقف بلاده المعروف بقوله « ان الاقتراح الامريكي الذي يدعو الى ايجاد حل مؤقت عن طريق فتح قناة السويس هو أفضل وسيلة لحل مشكلة الشرق الاوسط » . كذلك يبدو ان المبادرة الامريكية لن تأتي الا بعد اللقاء المتوقع بين الرئيس نيكسون وكل من غولدا مئير (في اوائل شــــهر آذار المقبل) والملك حسين في الربيع . ولا شك انه ان كان هناك مبادرة امريكية قيد الاعداد فانها ستناقش في هذين الاجتماعين مع الرئيس الامريكي.

الا انه يجب الا نستبعد ايضا تأخر ظهور هذه المبادرة بسبب المتاعب الاضافية التي يواجههـــا العدوان الامريكي في الهند الصينية . ان صمود الشعب الفيتنامي وعدم تنازل الثورة عن موقفها الاساسي ، وهو التنازل الذي كانت الامبريالية الامريكية تأمل بالحصول عليه كلما صعدت حــدة الحرب وكثافة القصف الجوي والبحري ، قــد اربك حكومة نيكسون وشغلها الى درجة لم تكن متوقعة ، وهذا يعني ان مشكلتها الاولى ستبقى لفترة غير قصيرة فيتنام وليس الشرق الاوسط . ومما يلفت النظر بالنسبة لتأثيرات الصمــــــود الفيتنامي على سياسة نيكسون الانباء التي ترددت عن نية الرئيس الامريكي التخلي عن مستشاره المشهور هنري كيسنجر . وقد ترددت هذه الانباء

على اثر انفضاح حيلة نيكسون في التراجع عن توقيع اتفاقية النقاط التسعة التي تم التوصل اليها بين كيسنجر وممثلي الثورة الفيتنامية في باريس وقيام كيسنجر بتحميل نيكسون علنا مسؤولية هذا التراجع في مؤتمر صحفي عقده لتفسير انهيار محادثات السلام بين الطرفين . ويبدو ان كيسنجر قد اصطدم في آخر الشوط بصخرة الصمود الفيتنامي تماما كما حدث في السابق مع وزير الدفاع ماكنامارا اثناء ولاية الرئيس جونسون . لكن حتى لو صحت انباء سقوط كيسنجر فان هذا الحدث لن يترك أية تأثيرات ملحوظة على سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، كما انه لا يعني ان نيكسون سيتخلى عن خط « فيتنمة » الصراعات التحررية وهو الخط الذي عمل كيسنجر على رسمه وتنفيذه .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي ونشاطه المتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي ، لم تطرأ أية تطورات جديدة في الفترة الاخيرة اذ ما زال الفتور يطبع العلاقات المصرية السوفياتية . كانت أهم الانباء التي ترددت في الشهر الماضي بالنسبة للاتحاد السوفياتي تتعلق بموضوع الهجرة ، أي هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل . فقد ذكرت انباء منسوبة الى مراجع مطلعة في موسكو ان ٣٢ الف يهودي سوفياتي حصلوا على تصريحات بمغادرة البلاد بهدف الهجرة الى اسرائيل خلال عام ١٩٧٢ . وقد أكد هذه الانباء مدير الوكالة اليهودية في تل أبيب الذي ذكر في مؤتمر صحافي ان حوالي ٣٠ الف يهودي وصلوا الى اسرائيل من الاتحاد السوفياتي خلال العام الماضي . الا انه من جهة اخرى فقد أعلن ان ٩٣ يهوديا كانوا قد هاجروا من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل عن رغبتهم في العودة الى وطنهم الاصلي . تجمع هؤلاء في مدينة فينا ووجهوا نداء شخصيا الى بريجنيف كي تسمح لهم السلطات السوفياتية بالعودة الى بلادهم . وبطبيعة الحال حاولت الدوائر الاسرائيلية التقليل من أهمية هذا التحرك على صعيد الهجرة المضادة من اسرائيل . وأثار موضوع الهجرة احتجاجا سوفياتيا في هيئة الامم تم تقديمه الى الامين العام فالدهايم بسبب قيام مسؤولين في المنظمة الدولية بتوزيع بيان وقعه عدد من اليهود السوفيات ينوون الهجرة الى اسرائيل باعتباره وثيقة رسمية من وثائق هيئة الامم . وقد اعتبر الاحتجاج السوفياتي هذا السلوك استخداما للمنظمة الدولية بصورة مخالفة لميثاقها وطالب بوقف مثل هذه التصرفات في المستقبل .

وعلى صعيد آخر اتهمت مصادر الصين الاعلامية، في عرضها لاهم التطورات التي جرت في الشرق الاوسط خلال عام ١٩٧٢ ، كل من امريكا والاتحاد السوفياتي بالتواطؤ من أجل الابقاء على حالة اللاحرب واللاسلم المتوترة في منطقتنا بهدف استغلال مواردها النفطية وكسب مناطق النفوذ مع تجنب اية مجابهة بينهما . وشددت المصادر الصينية على ان الولايات المتحدة قد واصلت تسليح اسرائيل وتحريضها على استفزاز الدول العربية ، وعلى ان الاتحاد السوفياتي عمل على ابقاء الدول العربية في حالة ضعف وفي وضع المحتاج باستمرار الى المساعدات السوفياتية . كذلك هاجمت هذه المصادر سماح الاتحاد السوفياتي لمواطنيه اليهود بالهجرة الى اسرائيل. وواضح ان المنظار الذي تطل به الحكومة الصينية على الصراع العربي مع اسرائيل محكوم الى حد بعيد بمتطلبات النزاع الصيني السوفياتي نفسه .

اما على صعيد اوروبا الغربية فقد أثارت الزيارة المنتظرة لغولدا مئير الى باريس من أجل حضور مؤتمر الاحزاب « الاشتراكية » متاعب اضافية في العلاقات الفرنسية الاسرائيلية . فقد اعتبر الرئيس بومبيدو انعقاد هذا المؤتمر اثناء فترة الاعداد للانتخابات البرلمانية تدخلا في شؤون فرنسا الداخلية . اذ ان الحزب « الاشتراكي » الفرنسي (فرنسوا ميتران) قد دخل في تحالف مع الحزب الشيوعي في جبهة يسارية على أمل الحاق هزيمة بالديغوليين في الانتخابات القادمة . وقد أشار الرئيس بومبيدو في معرض كلامه عن التدخل في شؤون فرنسا الداخلية الى قدوم غولدا مئير بشكل خاص ووصفها بالمتعنتة وأكد ان اية اتصالات من قبل الحكومة الفرنسية لن تتم مع الشخصيات البارزة التي ستحضر المؤتمر لانها أتت الى باريس بصفتها الحزبية وليس بصفتها الحكومية . وعاد الرئيس بومبيدو الى طرح موقف فرنسا الداعي الى حل ازمة الشرق الاوسط عن طريق اتفاق بين الدول الاربع الكبرى وعلى أساس الضمانات التي يقدمها مثل هذا الاتفاق لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كما أبدى تشاؤمه بالنسبة لتسوية النزاع واستبعد الوصول

الى اية تسوية في المستقبل القريب بما في ذلك تحقيق التسوية الجزئية التي تصر عليها امريكا . وتنشط اسرائيل حاليا من أجل كسب تأييد عدد من الدول الاوروبية لصالح وجهة النظر الداعية الى استبعاد أية اثارة لقضية الشرق الاوسط في مؤتمر الامن الاوروبي المتوقع عقده بعد فترة . اما بالنسبة لمصر فيبدو ان علاقاتها بالدول الاوروبية الغربية تتحسن ببطء كما يشير الى ذلك توقيع اتفاق تجاري بينها وبين السوق الاوروبية المشتركة يمنح مصر عددا من التسهيلات التجارية، واتمام صفقة شراء أسلحة بقيمة ١٠٠ مليون جنيه استرليني من بريطانيا. ومن بوادر تحسن العلاقات العربية مع الدول الاوروبية الغربية الخطوة التي اتخذت مؤخرا باتجاه اعادة العلاقات الدبلوماسية بين سوريا وبريطانيا . وتلخصت هذه الخطوة باتفاق بين الدولتين لارسال ديبلوماسيين اثنين الى عاصمة البلد الآخر قريبا . وقد أعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان هدف البلدين على المدى الابعد هو اعادة العلاقات الدبلوماسية الطبيعية بينهما .

وفي افريقيا استمر تدهور العلاقات بين اسرائيل وعدد من دول القارة . فقد اقدمت كل من جمهورية الكونغو الشعبية (الكونغو برازافيل) والنيجر ومالي على قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل . وقد شرحت هذه الدول أسباب اقدامها على هذه الخطوة بقولها ان عملها يعبر عن تنديد بالسياسة الامبريالية والتوسعية التي تتبعها اسرائيل في الشرق الاوسط ، وعن تضامنها مع شعب مصر ومع الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، كما يعبر عن استنكارها لرفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وغيره من قرارات هيئة الامم المتحدة وقرارات منظمة الوحدة الافريقية التي تطالب كلها بالجلاء الاسرائيلي عن الاراضي المحتلة .

وفي هيئة الامم وافقت الجمعية العمومية على ثلاث قرارات اضافية تتعلق بالاراضي العربية المحتلة وحقوق شعب فلسطين . يدعو القرار الاول الى وقف الاجراءات الاسرائيلية التي من شأنها التأثير على التركيب الطبيعي والجغرافي والسكاني للمناطق العربية المحتلة بما فيها قطاع غزة . ويدعو القرار الثاني اسرائيل الى الامتناع الفوري عن ضم أي جزء من الاراضي المحتلة والغاء كل اجراءات الضم التي تمت، كما اعتبر كل الخطوات التي اتخذتها اسرائيل للاستقرار في هذه الاراضي، بما فيها القدس ، باطلة ولاغية . وطالب القرار كل الدول الاعضاء وكل المنظمات الدولية بعدم الاعتراف بأية اجراءات تتخذها اسرائيل لاستغلال موارد الاراضي المحتلة وبعدم تقديم المساعدة لها في هذا الميدان . وطلب ايضا من كل الدول الموقعة على ميثاق جنيف ١٩٤٩ الخاص بحماية المدنيين في زمن الحرب ان تضمن تقيد اسرائيل بالتزامها بهذا الميثاق وتنفيذ بنوده . اما القرار الثالث فقد دعا الى ضرورة الاحترام الكامل لحقوق شعب فلسطين الثابتة باعتبار ان احقاقها يشكل شرطا أساسيا لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

أما بالنسبة لما سمي بقضية « الارهاب الدولي » التي أدرجت في جدول اعمال الجمعية العمومية بعد الهجوم الذي شنه الفدائيون الفلسطينيون على الجناح الاولمبي الاسرائيلي في ميونيخ فقد نجحت مجموعة من الدول الافريقية والاسيوية في احباط محاولات الولايات المتحدة واسرائيل وغيرهما من الدول المرتبطة بالامبريالية في تحويل قضية «الارهاب» الى أداة ضد حركات التحرر الوطني في العالم . على هذا الاساس انهت الجمعية العمومية مناقشة موضوع الارهاب بقرار يطلب من الدول الاعضاء تقديم ما عندها من أفكار حول موضوع الارهاب ومكافحته على ان تقوم لجنة خاصة بتقديم تقرير حول الموضوع الى الجمعية العمومية في دورتها المقبلة . واعتبر هذا القرار انتصارا لوجهة نظر دول العالم الثالث عامة والدول العربية خاصة لانها نجحت في تجميد قضية « الارهاب » المزعومة وتأجيلها الى العام القادم . وقد عارضت كل من الولايات المتحدة واسرائيل هذا القرار معارضة شديدة .

أما يارينغ فقد عاد الى منصبه كسفير لبلاده في موسكو. غير ان انباء ترددت عن مصادر اسرائيلية تقول بأن الوسيط الدولي اقترح عقد مجموعتين من المحادثات العربية ــ الاسرائيلية في آن واحد. هدف الاولى التوصل الى تسوية مؤقتة تؤدي الى اعادة فتح قناة السويس ، وهدف الثانية التوصل الى تسوية نهائية لازمة الشرق الاوسط . ويبدو ان اقتراح يارينغ يحاول ارضاء المطلب المصري الذي يصر على أن أية تسوية جزئية يجب ان

تكون خطوة اولى لتسوية النزاع في الشرق الاوسط تسوية شاملة على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . أي يحاول يارينغ عن طريق محادثات متوازية تجري في وقت واحد الربط بصورة شكلية وآلية بين التسوية الجزئية والتسوية الشاملة للنزاع . الا انه لا يبدو ان يارينغ ينوي التقدم بأية اقتراحات او مبادرات علنية جديدة في الوقت الحاضر .

لا بد من الاشارة كذلك الى ان الامين العــــام لهيئة الامم قد أعلن مؤخرا انه لا يستبعد قيامه بزيارة للشرق الاوسط اذا بدا له ان اتصالاته بزعماء الدول المعنية بالنزاع في المنطقة ستســـــاهم في الوصول الى تسوية سلمية . ويجب حمل كلام فالدهايم على محمل الجد لانه اعترف بأنه بحث قضية الشرق الاوسط مطولا مع وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز خلال الاجتماع الذي تم بينهما في اواخر كانون الاول ١٩٧٢ ، ولانه عاد للكلام عن مشروع كان قد طرحه سابقا ويتلخص بفكـرة عقد مؤتمر دولي يتولى حل النزاع العربي الاسرائيلي. واعتبر فالدهايم فكرة المؤتمر الدولي المبـــــادرة الرئيسية المطروحة حاليا حول التسوية السياسية الى جانب مشروع محادثات الجوار الامريكي .
وعلى صعيد آخر طالب البابا بولس السادس في حديث له بمناسبة عيد الميلاد بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وندد باجراءات ضم القدس الى اسرائيل .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

اتسمت الفترة الاخيـرة بالنقاشات المحتدمة بين أجنحة حزب العمل الحاكم حول مصـــير المناطق المحتلة ، وشهدت ولادة « مشروع الاقاليم » الذي تدمه الدكتور رعنان فايتس كعامل موحد للاجنحة المتصارعة ، وكذلك قرارات مؤتمر حزب مبام حول مصير المناطق العربية ، ومن ناحية اخرى شهدت اجراءات لتثبيت مواقع الاحتلال واستدامته ، تمثلت في أعمال توطين اللاجئين في القطاع والقيام بمصادرة أراض عربية واقامة مستوطنات يهودية .

جرت في الاونة الاخيرة نقاشات حادة حول مصير المناطق المحتلـــة بين ثلاث شخصيات اسرائيليـــة تجمعها صفة التنافس على وراثة رئيسة الحكومة غولدا مئير في حالة استقالتها ، هؤلاء الاشخاص هم موشيه ديان وزير الدفاع ويجال الون نائب رئيسة الحكومة وبنحاس سبير وزير المالية ، الاول يمثل التيار الداعي الى الضم بغض النظر عـــن الاعتبارات السياسية والدوليـــة ، والثاني يمثل التيار الداعي الى الضم مع وضع الاعتبارات السياسية والدولية في عين الحسبان ، والثالث يمثل التيار الداعي إلى الضم الجزئي ويضع وزنا كبيرا للاعتبارات السياسيـة والدولية . ينطلق الفريق الاول من وجهة النظر القائلة بأن احتمالات السلام بعيدة وانه ينبغي على اسرائيل ان تعتبر نفسها حكومة دائمة في المناطق المحتلة ، وان مصير المناطق المحتلة يتقرر حسب الوقائع الجديدة التي تقيمها اسرائيل هناك ، كما ويدعو الى سياسة الدمج الاقتصادي بين المناطق المحتلة واسرائيل ضاربا بعرض الحائط سياسة « العمل العبري » .
وقد سارت سلطــات الاحتلال على هدي هــذه السياسة وان لم تتبنهــا رسميا . وفي الآونـــة الاخيرة وخلال انعقاد مؤتمر حزب العمل أثـــار الفريقان الآخران انتقادات ضد هذه السياسة ، وسط جو من المنافسة على وراثة غولدا مئير ، حين تصدى يجآل الون لوجهة النظر التي يمثلها ديان معتبرا انه من الخطأ ان تكف اسرائيل عن السعي وراء السلام « لكون العرب يرفضون اليوم شروطنا ونرفض شروطهم » متهما الفريق الاول بقصر النظر لانه ينبغي العمل للحصول على السلام وعلى ثمار حرب حزيران معا دون التشدد على الثمار فقط ، كما جاء على لسان يجال الون « انني اومن ان اتفاقية سلام تضمن في المستقبل ايضا تعاونا اقتصاديا كما وتضمن المصالح المتبادلة ،

تنطوي على ضمان طرق مفتوحة ووصول حر الى المناطق حتى بدون ان تسيطر عليها بشكل مباشر ».
وقد اعتبر الون ان وجهة نظره لا تنفصل عن « الحقوق التاريخية لشعب اسرائيل » حين يدعو للتسوية ذلك لانه ينطلق من مفاهيم « السياسة الواقعية والصهيونية الانسانية » ومن خلال هذه المفاهيم يمكن معرفة الاماكن التي ينبغي خلق وقائع جديدة فيها . وفيما يتعلق بالوضع في المناطق المحتلة عارض ألون ديان بقوله : « اننا لسنا حكومة في المناطق ، كما واننا لسنا حكومة لسكان المناطق ، وفي حالة عدم وجود اتفاقية سلام فاننا نشكل جهاز الحكم هناك ، ولسنا حكومة » . اما بخصوص سياسة الدمج الاقتصادي فقد عارضها ودعا الى خلق تعاون بين كيانين منفصلين ، وابدى تحفظا ازاء فتح الحدود امام العمال العرب في اسرائيل وطالب بايجاد عمل لهم في المناطق المحتلة، وفيما يتعلق بحلول السلام فان الون ينطلق من مفهوم خريطة الضم التي تحمل اسمه ، ومع ذلك فهو يعترف على خلاف شخصيات اسرائيلية تحتل مراكز عليا مثل غولدامئير بـ«ان السكان الفلسطينيين موجودون بغض النظر اذا كانت تنطبق عليهم صفة شعب أم لا » . ويرى ان المشروع القريب من المشروع الذي يحمل اسمه ، مشروع الملك حسين ، الذي يعتبره من حيث الفكرة « نموذجا لحل عادل للقضية الفلسطينية » مع ابداء تحفظات بالنسبة للحدود ولبعض الاماكن .

اما وجهة نظر الفريق الثالث فيمثلها بنحاس سبير الذي ينطلق من النظرة الداعية الى صفاء المجتمع اليهودي والى سياسة العمل العبري ، ويبدي تخوفا من التكاثر السكاني في المحيط العربي في حالة ضم السكان العرب ، ولذا فقد أخذ يشدد ضد سياسة الدمج الاقتصادي وضد سياسة الضم الكلي ، وقد اعتبر ان السياسة الاسرائيلية الراهنة هي سياسة الضم الزاحف حين قال « من ناحية النتيجة ، ليس هنالك فرق بين القرار الرسمي بشأن الضم، كما يريد أولئك الذين يؤمنون بأرض اسرائيل الكاملة ، وبين ضم لم يتخذ بشأنه قرار ، كالضم الزاحف الذي نقوم به » . ان سبير لا يقف ضد ضم المناطق العربية ولكنه يقف بشدة ضد ضم السكان العرب ، ولو كانت تلك المناطق خالية لوقف الى جانب الضم الكلي ، بيد ان المسألة الديموغرافية تقلق باله وتشغل فكره ، فقد لجأ وزير المالية الى لغة الارقام ليثبت الخطورة الكامنة في حالة ضم السكان العرب ، ووفق ما جاء على لسانه سيصل عدد السكان في اسرائيل بعد عشرين عاما ٨ — ٩ ملايين في حالة استمرار الهجرة اليهودية بمعدلها الحالي ، وسيشكل العرب حينئذ ٤٨٫٥ ٪ من السكان . ويتساءل سبير كيف سيكون وجه هذه الدولة ؟ ففي حالة المساواة التامة سيحتل العرب نصف المراكز تقريبا في الدولة ومؤسساتها ، وكذلك سيشكلون نصف النواب تقريبا في الكنيست الامر الذي من شأنه ان يزيل الصبغة اليهودية عن الدولة وهذا ما لا يريده احد في اسرائيل حسب رأي سبير ، اما في حالة جعل العرب مواطنين من الدرجة الثانية فانهم سيتحولون الى أرقاء في عصر لا يقبل الرق « ولا يقبل ذلك أحد في اسرائيل » على حد قول سبير . وقد أخذ سبير يضرب على وتر مجمل الاوضاع التعيسة للعمال العرب الذين « ينامون بالقرب من سلال القمامة » ، معتبرا ان العمل العربي يشكل خطرا من الناحية الاجتماعية والسياسية والاخلاقية وكذلك الامنية مخالفا بذلك ديان . وخلال النقاش كشف سبير النقاب عن الاموال المستثمرة في المناطق المحتلة حين قال انه منذ ١٩٦٧ اقيم ٥٠ معملا باستثمارات وصلت الى ٣٣ مليون ليرة. ماذا يريد سبير ، انه ينتقد مجمل سياسة ديان في المناطق المحتلة بيد انه لا يضع بديلا واضحا ، انه ضد ضم السكان العرب لتخوفه من هاجس زيادة التناسل الطبيعي لدى العرب وفي الوقت نفسه يؤيد ضم مناطق عربية ولكن بمقدار اقل مما يدعو اليه ديان والون . وربما كان شمعون بيرس وزير المواصلات الذي يقف مع فريق ديان قد احرجه عندما قال : « لقد أصغيت جيدا لاقوال سبير حول الاسباب والاوصاف الكئيبة التي تحمل بين طياتها تهديدا لنا ، ولم أفهم شيئا واحدا : لماذا نحن في المناطق المحتلة ؟ ولماذا ننتظر ؟ اذا كنا سنواجه مستقبلا فظيعا فلماذا لا نزال نرابط هناك ؟ لماذا لم يقم سبير ليقترح انسحابا بقدر المستطاع ؟ اذا كان الوضع خطيرا لهذه الدرجة فلماذا نقدم استثمارات في المناطق ؟ » (معاريف ٧٢/١١/١٠).

مشروع الاقاليم : في غمرة النقاشات المحتدمة بين الاطراف الثلاثة ، ادلى الدكتور رعنان فايتس رئيس قسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية بدلوه حين تقدم الى اللجنة السياسية لكتلة التجمع العمالي ولفنيكرتارية حزب العمل مشروعا وسطا توفيقيا يحمل اسم « مشروع الاقاليم » حاول فيه التوفيق

بين وجهات النظر الثلاث المتصارعة بحيث يرضي رغبة ديان في التوسع ويشبع شهوة ألون في الجمع بين التوسع والسلام، ويزيل في الوقت نفسه هموم سبير وهواجسه بالنسبة لنقاء الدولة اليهودية . يعتمد مشروع الاقاليم على تقسيم اسرائيل ومعظم المناطق المحتلة الى ثمانية اقاليم ، خمسة يهودية وثلاثة عربية ، وتتشكل الاقاليم اليهودية من : (١) **اقليم صفد** : ويضم أقضية صفد وطبريا والجولان. (٢) **اقليم حيفا** : ويضم اقضية مرج ابن عامر وعكا وحيفا والخضيره وغور الاردن شمالي اريحا. (٣) **اقليم تل ابيب** : ويضم اقضية شارون وبيتح تكفا ورحوبوت وضواحي اللطرون . (٤) **اقليم اسدود** : ويضم اقضية عسقلان والقدس وغوش عتسيون ، دون ان يشمل القدس نفسها تصورا من الدكتور فايتس بأن القدس تشكل وحدة بحد ذاتها ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة واشنطن وولاية كولومبيا في اميركا ! (٥) **اقليم بئر السبع** : ويضم أقضية بئر السبع ومشارف رفح حتى مدخل العريش والشريط الارضي الواقع بين ايلات وشرم الشيخ وكذلك غور الاردن جنوبي اريحا . أما الاقاليم العربية الثلاثة فهي : (١) **اقليم نابلس** : ويضم أقضية جنين ونابلس وطولكرم ورام الله وأريحا . (٢) **اقليم الخليل** : ويضم قضاءي الخليل وبيت لحم . (٣) **اقليم غزة** : ويضم قطاع غزة بالاضافة الى منطقة صغيرة تقع داخل فلسطين المحتلة سابقا جنوبي جبل الخليل ومتصلة بشريط ارضي ضيق مع القطاع بغرض توطين اللاجئين في هذه المنطقة .

من الملاحظ ان الاقاليم اليهودية الخمسة قد توسعت على حساب الاراضي العربية المحتلة حديثا ، حيث ضم الدكتور فايتس اليها هضبة الجولان ومنطقة الاغوار شمال اريحا وجنوبها ، ومنطقة اللطرون وغوش عتسيون وكذلك منطقة شرم الشيخ والشريط الارضي الممتد من هناك حتى ايلات وكذلك مشارف رفح حتى العريش ، وفي مقابل ذلك منح الدكتور فايتس الاقاليم العربية الثلاثة جزءا صغيرا من فلسطين المحتلة سابقا في محاولة منه للتستر على مرض التخمة الذي ألم بالاقاليم اليهودية من جراء ابتلاعها لاراض عربية واسعة ، ومهما تكن الاسباب الكامنة وراء خطوة التخلي عن أرض تعتبرها السلطات الاسرائيلية جزءا من اسرائيل ، فان هذه الخطوة تعتبر فريدة من نوعها ، اذ لم يسبق لاحد من المسؤولين الاسرائيليين ان اقترح التخلي عن شبر من الاراضي المحتلة سابقا حتى ولو مقابل جميع الاراضي المحتلة حديثا .

اما فيما يتعلق بادارة الاقاليم فيقترح الدكتور فايتس اقامة سلطات محلية تعتني بالشؤون الداخلية لكل اقليم ، بينما تختص الحكومة المركزية بمعالجة قضايا الامن والخارجية والمالية والتنسيق بين الاقاليم. ويعتقد ان النشاط الاقتصادي سيزدهر في المناطق العربية المحتلة من خلال هذا التقسيم ، وبذلك ستخف حركة العمل العربي في الاقاليم اليهودية ، هذا علاوة على اعتقاد الدكتور فايتس بأن الاقاليم العربية ستكون قادرة على استيعاب نحو مئة الف من النازحين الموجودين في الدول العربية . ويقترح فايتس ان تقوم السلطات الاسرائيلية بتبني مشروعه في الحال وتبدأ بالعمل على هداه . اما في حالة عقد اتفاقية سلام مع الاردن فيقترح فايتس ضم الاقاليم العربية الثلاثة الى الاردن ، وفي حال تعذر التوصل الى اتفاق مع الاردن فيدعو الى اقامة دولة فلسطينية في هذه الاقاليم واقامة اتحاد فدرالي بينها وبين اسرائيل ، حيث يشمل الاتحاد الفدرالي الاقاليم الثمانية ويعتني بشؤون الامن والخارجية اما القضايا الداخلية فستكون من اختصاص الحكومتين الفلسطينية والاسرائيلية . وكحل لقضية التمثيل في الاتحاد يقترح فايتس تمثيلا متساويا لكل اقليم بغض النظر عن الحجم السكاني المختلف في كل اقليم ، كما هو متبع بالنسبة لتمثيل الولايات المتحدة الاميركية في مجلس الشيوخ الاميركي .

ومن الجدير بالذكر ان مشروع الاقاليم لا يغفل قضية الاستيطان اليهودي بل يضع لها مكانا بارزا ، فهو يدعو الى اقامة مدينة يهودية في هضبة الجولان تتسع لـ ٢٠ الف نسمة واقامة خمس مستوطنات اخرى في غور الاردن ، وثلاث مستوطنات اخرى في غوش عتسيون بالقرب من الخليل ، ومدينة تتسع لـ ٣٠ ألف نسمة في منطقة مشارف رفح ، ومدينة تتسع لـ ١٠ آلاف نسمة في شرم الشيخ وعشرات المستوطنات على امتداد الشريط الارضي بين شرم الشيخ وايلات باعتبار ان هذه المناطق تابعة للاقاليم اليهودية الخمسة (للاستزادة انظر معاريف ٧٢/١٢/١٥) .

مؤتمر مبام والمناطق المحتلة : وفي هذا الجو الذي تبادلت فيه التيارات الثلاثة الفاعلة في حزب العمل الحوار حول مصير المناطق المحتلة ، عقد حزب

مبام شريك حزب العمل في التجمع العمالي الحاكم مؤتمرا وخرج بمقررات جديدة تجاه مصير المناطق المحتلة ، فبالنسبة لمستقبل الضفة الغربية اتخذ المؤتمر قرارا يدعو الى انسحاب اسرائيل الى حدود جديدة « يتفق عليها » وتجريد الضفة من السلاح وحظر دخول اية قوات عسكرية غربي النهر . وفيما يتعلق بالهضبة طالب المؤتمر بأن تمر الحدود بمرتفعات الجولان على ان يتم تحديد المنطقة الواقعة بين الحدود التي « سيتفق عليها » وبين خطوط وقف اطلاق النار الحالية . وفيما يتعلق بالقطاع وسيناء فقد اتخذ المؤتمر قرارات بشأنها تختلف اختلافا جوهريا مع « مشروع السلام » الذي كان حزب مبام قد قدمه عقب حرب حزيران ، ففي ذلك المشروع (انظر شؤون فلسطينية عدد ٢ ، ص ٤٩) دعا حزب مبام الى (١) تجريد سيناء من السلاح واعادتها الى مصر (٢) ضم قطاع غزة الى اسرائيل ، أما في المؤتمر الاخير فقد انتقل هوس الضم الى جزء من الاراضي المصرية في شمال سيناء يعرف بمشارف رفح حيث دعا المؤتمر الى ضم هذه المنطقة الى اسرائيل ، كما دعا الى تعزيز الاستيطان الاسرائيلي هنـــاك . وبالنسبة لقطاع غزة لم يطالب المؤتمر بضرورة ضمه بل اكتفي بالقول انه ينبغي عدم اعادته مطلقا الى مصر و« ان الموقف السياسي تجاه القطاع يجب ان يحدد مع مرور الزمن مع الاخذ بعين الاعتبار شؤون الدفاع الاسرائيلية »، ومن الجدير بالملاحظة هنا ان الدعوة لضم القطاع الى اسرائيل قد ازيلت في المؤتمر ، بيد ان هذا لا يعني عدم جواز ضمه الى اسرائيل كما جاء على لسان الوزير المبامي شمطوف : « لا تنس اننا بالنسبة لقطاع غزة قررنا انه ينبغي عدم اعادته الى مصر ، ولم نقرر انه لا يجوز ضمه الى اسرائيل ، وما قررناه هو ان هذا الامر يبقى مفتوحا للمفاوضات » (رصد اذاعة اسرائيل ٢/١/ ٧٣) .

الجمهور الاسرائيلي والمناطق المحتلة : وفي غمرة الاحاديث والنقاشات حول مصير المناطق المحتلة بين القوى السياسية الفاعلة في اسرائيل اخذ الجمهور الاسرائيلي يدلي بدلوه هو الآخر ، ويفصح عن موقفه تجاه قضية مصير المناطق العربية المحتلة فقد اوضح استفتاء اجراه احد باحثي الجامعة العبرية ونشره معهدان علميـــان في اسرائيل ان الاكثرية الساحقة في اسرائيل تفضل الاستمرار في السيطرة على المناطق المحتلة على السلام المبني على الانسحاب والاعتراف بدولة اسرائيل ، وان ٥ ٪ فقط من الجمهور الاسرائيلي مستعدون للتخلي عن جميع المناطق المحتلة مقابل السلام . وقد شمل الاستفتاء ١٨٠٠ شخص يمثلون الشرائح الاجتماعية المختلفة ، وكانت نتيجة الاستفتاء كالتالي : شرم الشيخ ٩٠ ٪ يصرون على ابقائه الى الابد تحت الهيمنة الاسرائيلية ، هضبة الجولان ٩١ ٪ بينما يقف الى جانب الانسحـــاب ٢ ٪ فقط ، القدس ٨٨ ٪ بينما يقف الى جانب الحكم المشترك ١١ ٪ و١ ٪ فقط وافق على ارجاعها شريطة ان يكون بامكان اليهود الاقامة بها . القطاع ٧٠ ٪ ، بينما استعد ٦ ٪ للتخلي عن قسم منه و١٠ ٪ وافقوا على اعادته . الضفة الغربية ٤٧ ٪ بينما ابدى ٤٤ ٪ استعدادهم للتخلي عن جـــزء منها و٤ ٪ فقط وقفوا الى جانب اعادتها . سيناء ٣٦ ٪ بينما ابدى ٤٥ ٪ استعدادهم للتنازل عن جزء منهـــا و١١ ٪ عبروا عن استعدادهم للتنازل كليا عنها مقابل السلام (معاريف ٧٢/١٢/١٧) .

ومن الطريف ان نذكر هنا ان البحث اوضح ان عامل المستوى الثقافي له دوره في عملية البت في مصير المناطق المحتلة بين الجمهور الاسرائيلي ، فقد خرج الباحث باستنتاج يقول انه كلما ارتفع مستوى الثقافة تقل نسبة معارضي التنازلات ، وذكر ان نسبة ٥٦ ٪ من بين عديمي الثقافة يعتقدون انه ينبغي عدم التنازل عـــن اية منطقة ، مقابل ١٥ ٪ من صفوف الذين يتمتعون بثقافة اكاديمية . ولعل وجه الغرابـــة المشفوع بالطرافة هو ان الاستفتاءات التي اجريت في اسرائيل عقبحرب حزيران حول مصير المناطق المحتلة قد درجت على تذييل نتائج هـــذه الاستفتاءات بالاستنتاج الآنف الذكر بالرغم من ان نتائج الاستفتاءات متشابهة ولم يطرأ عليها تغيير . فاذا كان الامر كذلك فهل توقفت المؤسسات العلمية في اسرائيل عن القيام بدورها ؟ واذا كانت الثقافة حقا «وليست المصالح» هي التي تخفف منغلواء المحتلين وتضمن انسحابهم، فهل المطلوب من سكان المناطق المحتلة تثقيف هذا النوع من المحتلين ؟

الاجراءات الاسرائيليـــة : لم تشـــل النقاشات المحتدمة بين الكتل السياسية في اسرائيل حول مصير المناطق المحتلة ، الاجراءات الرامية لتكريس الاحتلال واستدامته والتي اتخذت في الآونة الاخيرة ثلاثة اشكال لها :

١ ـ الاستمرار في توطين اللاجئين : تمشيا مع سياسة تصفية قضية اللاجئين في قطاع غزة ، واصلت سلطات الاحتلال اعمال التوطين وتهجير اللاجئين من مخيماتهم الى ضواح سكنية جديدة ، ورافقت أعمال التوطين والتهجير اعمال هدم ونسف في بعض المخيمات (هدم ١٣٠ منزلا في مخيم رفح) بغرض اقامة « طرق امنية » واسعة داخلها . وكانت سلطات الاحتلال قد اتبعت هذه السياسة الجديدة عندما اقدمت على اقامة ضاحيتين جديدتين للاجئين بالقرب من مخيم رفح ، وبعد ذلك اخذت تعد وتخطط لاقامة ضواح سكنية جديدة بالقرب من كل مخيم في القطاع . ومن المنتظر ان تستغرق اعمال البناء والتوطين مدة طويلة بسبب كثرة عدد اللاجئين في القطاع ، اذ يشكلون ما يربو على مئتي الف لاجيء .

ومما تجدر الاشارة اليه ان جهاز الحكم العسكري قد اختار اسماء عبرية لبعض الضواحي ، مثل ضاحيتي رفح حيث دعيت الاولى بضاحية «ابراهام» تخليدا لاسم الضابط الاسرائيلي المقدم ابراهام زكس الذي لقي مصرعه في المنطقة نفسها على أيدي رجال المقاومة الفلسطينية ، والثانية دعيت بضاحية « شلومو » على اسم الرائد شلومو فردي الذي لقي مصيرا كمصير زميله . وقد اعترفت الصحف الاسرائيلية ان اسمي الضاحيتين « أثارا مشاعر السكان في المخيمات » خاصة وان هذين الضابطين قد لقيا مصرعهما على أيدي ابناء الضواحي الجديدة . هنالك ثلاثة أسباب دفعت سلطات الاحتلال الى بناء الضواحي : (١) تخفيف الكثافة السكانية في المخيمات التي تشكل « غابات بشرية » تمكن رجال المقاومة من الاختفاء والعمل داخلها . (٢) شق طرق « أمنية » واسعة داخل المخيمات القائمة بعد تخفيف الكثافة السكانية لتمكين قوات الاحتلال من التنقل بسهولة داخل المخيمات . (٣) تصفية قضية اللاجئين بواسطة توطينهم في أماكن جديدة وضمهم الى المجالس البلدية والقروية القائمة (للاستزادة انظر شهريات شؤون فلسطينية عدد ١٤ ص ٢٥١) .

٢ ـ الاستيلاء على اراض : اعترفت سلطات الاحتلال بأنها قد اصدرت أمرا ينص على الاستيلاء على منطقة واسعة تبلغ مساحتها ٧٠ الف دونم تمتد بين قرية العيزرية شرقي القدس وحتى مشارف اريحا . ومن الجدير بالذكر ان بعض مشاريع الاستيطان الاسرائيلية قد دعت الى اقامة مدينة في تلك المنطقة تدعى « معليه ادوميم » ، الا ان وزير الدفاع موشيه ديان رفض الافصاح في الكنيست عن الدوافع الكامنة وراء الاستيلاء على المنطقة .

٣ ـ الاعداد لاقامة مستوطنة في منطقة نابلس : وفي غضون ذلك كشف النقاب عن عملية سلب ونهب اخرى تقوم بها سلطات الاحتلال في منطقة نابلس ، وقد حاولت سلطات الاحتلال التستر على هذه العملية بيد ان سكان قرية بيت دجن الواقعة مسافة ١٥ كم جنوبي نابلس كشفوا عملية السلب والنهب حين عقدوا مؤتمرا صحفيا في مدينة نابلس ذكروا فيه ان سلطات الاحتلال « شرعت بتسييج اراض تابعة لقرية بيت دجن وضواحيها ، واعداد خطوط انابيب المياه ، والقيام بكل المستلزمات لاقامة مستوطنة » وعند افتضاح الامر رد المتحدث الرسمي باسم وزارة الدفاع « انه لا يعرف شيئا عن الموضوع » !

واذا كانت سلطات الاحتلال تعمل من وراء الستار في الضفة الغربية ، فانها تعمل في وضح النهار في مشارف رفح ، حيث وافقت الحكومة الاسرائيلية على اقامة مركز اقليمي هناك، ليقوم بتقديم الخدمات للمستوطنات اليهودية القائمة وللجيش الاسرائيلي. ومن المقرر ان تبلغ عدد العائلات في هذا المركز في عام ١٩٧٥ نحو ٣٥٠ عائلة .

ومن الجدير بالذكر هنا ان اليسار الاسرائيلي الجديد المعروف باسم « سيح » قد نشط في الآونة الاخيرة ضد الاستيطان في المناطق العربية المحتلة، حين قام نحو مئة من اعضائه من تل ابيب والقدس والكيبوتسات بمسيرة توجهت نحو قرية عقربة العربية ، احتجاجا على اقامة مستوطنة جيتيت فوق اراضيها ، بيد ان سلطات الاحتلال كانت لهم بالمرصاد وحالت دون وصولهم للقرية .

عبدالحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٧٢/١٢/١٣ — ١٩٧٣/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: أسير	المصدر	تاريخه
١ —	١٢/١٣	١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير ثلاثة مستودعات واشعال النيران فيها	—	—	—	وفـا	١٢/١٣
٢ —	١٢/١٥	—	ايلات	اشتباك	أسلحة مختلفة	غير محدد		غير محدد	١	—	—	الى الامام عدد٢٨٨ ص٦	١٢/٢٢
٣ —	١٢/٢١	٢٣٠٠	تل موسى/الجولان	اشتباك	تذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غير محدد		غير محدد	—	—	—	وفـا	١٢/٢٢
٤ —	١٢/٣٠	—	تل الصرمان	هجوم	مدفعية ثقيلة وتذائف صاروخية والرشاشات	غير محدد		تدمير مربض رشاش ٥٠٠ تدمير مستودع ذخائر واشعال النيران في مواقع العدو	—	—	—	الحرية عدد٦٠٣ ص١٢	١/ ٨
٥ —	١٢/٢٤	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تفجير محطة الباصات	—	—	—	الحرية عدد٦٠٣ ص١٢	١/ ٨
٦ —	١٢/٢٧	٨٣٠	منطقة داعل	تصف اسرائيلي	طائرات العدو	—	—	—	—	—	—	وفـا	١٢/٢٧
٧ —	١٢/٢٨	—	بانكوك/تايلند	احتلال	قنابل واسلحة رشاشة	—	—	احتلال مبنى السفارة الاسرائيلية	—	—	—	وفـا	١٢/٢٨
٨ —	١٢/٣١	١٨٠٠	تل ابيب	القاء قنابل	قنابل مولوتوف	—	—	حرق عدد من المستودعات	—	—	—	وفـا	١/ ١
٩ —	١٢/٣١	—	حيفا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في عدد من المستودعات	—	—	—	الحرية عدد٦٠٣ ص١٢	١/ ٨
١٠ —	١/ ٥	—	جان/بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد		اشعال النيران في قاعة سينما	—	—	—	وفـا	١/ ٩
١١ —	١/ ٨	—٠	جسر الرقاد/الجولان	هجوم	صواريخ	غير محدد		تدمير رشاش ٥٠٠	—	—	—	وفـا	١/ ٨

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧٢/١٢/١٣ — ١٩٧٣/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	١٢/١٣	—	القدس	تفجير	قنبلة مولوتوف	غير محدد		غير محدد	—	—	—	ن. عدد١١٥ ص٧	١٢/١٥
٢ —	١٢/١٥	—	ايلات	اشتباك	أسلحة رشاشة	—	—	—	١	—	—	ن. عدد١١٦ ص٥	١٢/١٦
٣ —	١٢/١٥	—	وادي الرقاد/الجولان	قصف	تذائف هاون	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١١٦ ص٦	١٢/١٦
٤ —	١٢/١٥	—	ناحال جولان /الجولان	قصف وتفجير	تذائف والغام	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١١٦ ص٦	١٢/١٦
٥ —	١٢/١٥	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	انفجار داخل مكتب العمـل	—	—	—	ن. عدد١١٦ ص٦	١٢/١٦
٦ —	١٢/١٦	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١١٧ ص١	١٢/١٨
٧ —	١٢/٢٨	—	بانكوك/تايلند	احتلال	قنابل واسلحة رشاشة	—	—	احتلال مبنى السفارة	—	—	—	ن. ملحق خاص	١٢/٢٨
٨ —	١٢/٢٩	—	رمات مجشيم/الجولان	تفجير	كاتيوشا	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١٢٦ ص١	١٢/٣٠
٩ —	١/ ٥	—	ناحال جولان/الجولان	تفجير	الغـام	—	—	اصابة جرار زراعي	—	—	—	ن. عدد١٣١ ص٦	١/ ٦
١٠ —	١/ ٧	—	القنيطرة/الجولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١٣٢ ص٦	١/ ٨

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرهـا

١ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ — الحرية : مجلة اسبوعية تصدر في بيروت .

٣ — ن. نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

الاضرابات في اسرائيل

كتب الصحافي الاسرائيلي شالوم روزنفلد في زاويته الساخرة « عندنا » في جريدة « معاريف » (١٢/١/٧٢) : « يقولون ان دولة افريقية اخرى ، تستعد لقطع علاقاتها باسرائيل ، الا انها تنتظر الاعلان عن ذلك ، ريثما يعيد عمـال الطيران المدني ربـط اسرائيل بالعالم الخارجي » .

ولقد كان في هذا القول — على ما فيه من سخرية وطرافة — تصوير للوضع في اسرائيل في مطلع الشهر الاخير من السنة الماضية ، وربط لقضيتين من القضايا الاربع الاهم ، التي شغلت في الشهر الماضي جميع الاسرائيليين ، من رسميين وشبـه رسميين ومواطنين عاديين .

هذه القضايا الاربع ، هي : ١ — الاضرابات العمالية . ٢ — المؤتمرات الحزبية . ٣ — توزيع فائض الاصوات في الانتخابات البرلمانية العامة . ٤ — العلاقات الاسرائيلية الافريقية .

كانت موجة الاضرابـات في اسرائيل في الشهـر الماضي ، واحدة من أعتى موجات الاضراب التي شهدتها في السنوات الاخيرة ، حيث كان من بين المضربين : مستخدمو الطيران المدني ، ومستخدمو الهندسة في البريد ، وعمال الصيانة في المطارات ، ومستخدمو شعبة البحر في ميناء عسقلان ، والعمال المؤقتون في ميناء حيفا ، وموظفو ضريبة الدخل ، كما أعلن التهديد بالاضراب العديد من العمال في قطاعات العمل المختلفة الاخرى . واذا اخذنا في الاعتبار ، ان اسرائيل لا ترتبط بخطوط مواصلات برية مع أي من الدول المحيطة بها ، تبين لنا ان هذه الاضرابات — وخاصة توافقها الزمني في مطلع الشهر الماضي — قد حولت اسرائيل الى جزيرة منقطعة تقريبا عن جميع دول الارض ، وهو ما دفع غولدا مئير ، رئيسة حكومـة العدو الى التصريح بلهجة التهديد : « ان الحكومة لا تستطيع السماح باستمرار وضع تكون فيه الدولة منقطعة عن العالم الخارجي » . (هآرتس ٣/١٢/٧٢) .

وكان اضراب مستخدمي الطيران المدني ، الذي شل حركة الطيران في ومن والى اسرائيل لمدة يومين ونصف اليوم — انتهى بعد ظهر يوم ٢/١٢/٧٢ — هو اطول اضراب من نوعه ، وبلغ مجموع الرحلات التي الغيت بسببه نحو ١٤٠ رحلة ذهابا وايابا (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٤/١٢/٧٢) ، وقدر رجال الطيران الخسائر والاضرار الناجمة عـن اضراب موظفي الطيران المدني بنحو ٤ ملايين ليرة اسرائيلية يوميا (المصدر ذاته) . وقبل الاضراب المذكور ، كان مطار اللد قد أغلق نتيجة لاضراب العمال فيه يوم ٦/٩/٧١ لمدة ثماني ساعات (من الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر حتى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل) ، « ويومها قيل ان الطيران المدني بالنسبة لاسرائيل هو بمثابة الاوكسجين الذي تنتهي الحياة بانقطاعه فورا » (هآرتس ٥/١٢/٧٢) .

ولكن عودة مستخدمي الطيران المدني الى عملهم بانتهاء اضرابهم الخاص ، لم يعد الحركة الى حالتها الطبيعية في مطار اللد ، حيث استمر عمال الصيانة في شركة العال في اضرابهم التباطئي ، الذيكان قد بدأ فيمنتصف شهر تشرين الثانيالماضي واستمر لاكثر من شهر ، « وقد أدى ذلك الى عرقلات خطيرة في جدول رحلات الشركة ، والى تأخيرات في مواعيد الاقلاع ، وقدرت الخسائـر بآلاف الليرات » (نشرة رصـد اذاعة اسرائيل ٧/١٢/٧٢) .

وكانت حكومة اسرائيل « تنظر بقلق غير عادي للاحداث في شركة العال » كما أعلن شمعون بيرس وزير المواصلات والاتصالات ، بعد ان اجتمع مع رئيسة الحكومة وبعض الوزراء ومدير شركة العال واطلعهم على « الوضع الخطير في الشركة » (رصد اذاعة اسرائيل ١١/١٢/٧٢) ، ورغم هذا « النظر

بقلق » فقد استمر الاضراب حتى يوم ٧٢/١٢/١٣ حين انهي بناء على اقتراح سكرتير الهستدروت بعد اعلانه « ان الهستدروت مستعدة لبحث مطالب مستخدمي الصيانة طبقا للاسس التي سيتفق عليها الاطراف » .

واذا كانت خسائر اضراب مستخدمي الطيران المدني قد قدرت بعشرة ملايين ليرة ، فان اضرابا آخر ، هو اضراب مستخدمي هندسة البريد ، قد ألحق اضرارا بالمعدات بلغت — كما ذكر يتسحاق رايزلر عضو لجنة العمال ، عبر اذاعة اسرائيل يوم ٧٢/١٢/٤ — بين ١٥ — ٢٠ مليون ليرة ، « اما الوقت المطلوب لاصلاح هذه المعدات فعدة اسابيع » .

وكان اضراب عمال هندسة البريد قد استمر خمسة ايام ، وانتهى صباح ٧٢/١٢/٤ ، ثم بدأ من جديد بعد نصف ساعة فقط من استئناف العمل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٤) . وقد سبق اعلان الاضراب الاول ، تقديم لجنة العمال يوم ٧٢/٤/١ لادارة وزارة الاتصالات قائمة من المطالب ، « حوت أكثر من خمسين مطلبا ، كان بينها : تقصير اسبوع العمل ليصبح من خمسة ايام ، تحويل فرع الهندسة الى شركة عامة للخدمات التلفونية، الاعفاء من دفع ضريبة الراديو والتلفزيون ، اعفاء المكالمات التلفونية ، تقليل ساعات العمل بسبب السن ، تعليم ثانوي مجاني لابناء المستخدمين ، تأسيس بنك اجازات لصرف مقابل ايام المرض ، وعلاوة بدل المخاطرة في المناطق » (هآرتس ٧٢/١٢/١) .

وعندما لم تلب مطالب هؤلاء المستخدمين ، أعلنوا الاضراب الذي لم يوقفوه الا بعد اجتماعات ومفاوضات عديدة في مكاتب الهستدروت . لكن وزير المواصلات والاتصالات ، قال لمراسل الاذاعة الاسرائيلية بعد ساعات من الاتفاق على استئناف العمل « ان المستخدمين لم يحصلوا على شيء استثنائي وقد أصررنا خلال الليل ، وطلبنا ايضا من الهستدروت ، لكي لا تخلق اوهام بعد ذلك ، بأن تكون المفاوضات في نطاق الاتفاق القائم بين الحكومة والهستدروت ، وعدم تجاوز هذا الاتفاق . وكانت محاولات رمت الى عدم ذكر هذا الاتفاق ، ولكن رئيسة الحكومة وأنا أوضحنا للهستدروت بأننا ملزمون بتوضيح الصورة على حقيقتها وكما هي بالفعل ، والصورة هي ان كل مفاوضات يجب أن تجري في نطاق الاتفاق الملزم بين الهستدروت والحكومة » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٤) . وفسر المستخدمون تصريح بيرس بأنه « مضاد لما تم الاتفاق عليه خلال المقابلة مع الهستدروت ، وقرروا استئناف الاضراب ردا على هذا التصريح ، واعلنوا أنهم مصممون على عدم عودتهم الى اعمالهم الى ان « يسحب الوزير الاقوال التي ادلى بها » (المصدر ذاته) .

واستمر هذا الاضراب من صباح ١٢/٤ حتى الساعة الثامنة والنصف مساء ، حيث انتهى اثر « جلسة صاخبة لسكرتيري لجان العمال في هندسة البريد استمرت حوالي ثلاث ساعات . وفي حوالي الساعة الرابعة وصل الى مبنى هندسة البريد — مكان انعقاد الجلسة — ثلاثة من مندوبي اللجنة كانوا قد عادوا من اجتماع مع سكرتير عام الهستدروت يتسحاق بن اهرون ، وقد نقلوا اقواله ، ويتضح ان السكرتير العام وعدهم بأن الاتفاق الذي وقعوه فجر اليوم ما زال قائما ، وان اي تصريح آخر لا قيمة له » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٥).

وبعد ظهر يوم ٧٢/١٢/٥ — اي بعد أقل من اربع وعشرين ساعة — على عودة مستخدمي هندسة البريد الى عملهم ثانية ، شل سبعون مستخدما في شعبة البحر ، العمل في ميناء النفط في عسقلان ، وذلك بعدم سماحهم ادخال او اخراج ناقلات النفط من الميناء ، لان مطالبهم المهنية لم تلب ، فاجتمع مجلس مصلحة الموانىء للبحث في هذا الموضوع وكذلك في الوضع الذي خلقه « نزاع العمل » الذي أعلنه عمال التشغيل في الموانىء الثلاثة (حيفا وعسقلان وايلات) ودراسة الخطوات التي يجب اتخاذها في حال اصرار عمال ميناء عسقلان على عدم العودة الى العمل (هآرتس ٧٢/١٢/٧) . ورغم ان الهستدروت بلسان سكرتيرها ، قد أعلنت معارضتها لـ « نزاع العمل » الذي اعلن في الموانىء الا انها مع هذا كانت تؤيد عمليا موقف مستخدمي التشغيل في المفاوضات لتجديد اتفاق العمل في الموانىء . وكان هؤلاء المستخدمون قد طالبوا اثناء المفاوضات التي سبقت اعلانهم « نزاع العمل » ببحث كل واحد من مطالبهم الـ ٨٦ التي كانوا قد قدموها من قبل الى مصلحة الموانىء ، وتلخصت هذه المطالب برفع الاجور عدة مئات في المئة ، فرفضت المصلحة هذه المطالب ، وعرضت في المقابل وضع حدود ونطاق شامل لرفع

الاجور ، ورفع الاجور اجماليا بنسبة ١٢ ٪ ، لكن المستخدمين رفضوا هذا الاقتراح ، ووصلت المفاوضات الى الطريق المسدود الذي لم يؤد الا الى اعلان المستخدمين عن « نزاع العمل » ، وهو الحلقة الاخيرة التي تسبق اعلان الاضراب .

وفي يوم ٧٢/١٢/١٩ اعلن ٢٥٠ عاملا مؤقتا يعملون في ميناء حيفا الاضراب ، الذي سببه « عدم الاستجابة لمطالبهم في تثبيت القدماء منهم ، وزيادة اجورهم ... لكن لم تنجم من الاضراب — خلال يومه الاول — اية عراقيل ، لان العمل في الميناء كان متوقفا تلقائيا ، بسبب ... الامطار » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/١٩) ، وبعد يومين من استمرار هطول الامطار ، وتوقف العمل في الميناء بالنتيجة « استؤنف العمل في ذلك المرفق بثلثي طاقته فقط نظرا لاستمرار اضراب عمال المناوبة الاولى — وهم العمال الـ ٢٥٠ المضربون » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢١) .

واستمر تصاعد موجة الاضراب في اسرائيل حتى نهاية الشهر الماضي ، ومطلع السنة الجديدة ، حيث أعلن ٣٠ ألفا من المهندسين والفنيين المهرة والفنيين ، وكذلك ٢٠٠٠ من مستخدمي العقول الالكترونية اضرابا تحذيريا لمدة ٢١ ساعة (من العاشرة صباح يوم ٧٣/١/٢ حتى السابعة من صباح اليوم التالي) احدث عراقيل في تزويد الطاقة الكهربائية وسير القطارات ، والاتصالات الدولية ، وتوقف البث التلفزيوني (باستثناء برنامج اللغة العربية وبرنامج الاخبار) ، وكذلك توقف العديد من برنامج الاذاعة (رصد اذاعة اسرائيل ٢/١/ ٧٣) .

وفي حين قدرت خسائر الاضرابات في القطاعات المختلفة بين عدة آلاف وعشرين مليون ليرة ، فان العقوبات (الاضراب التباطئي) التي فرضها ٣٢٠٠ من مستخدمي ضريبة الدخل قد نتج عنها اضرار «قدرت بخمسين مليون ليرة» ، واستمر المستخدمون في اضرابهم رافضين نداء سكرتير هستدروت موظفي الدولة ، الذي اقترح عليهم طرح مطالبهم امام لجنة مشتركة من الهستدروت والحكومة ، لكن بعد تشكيل لجنة خاصة من ممثلي الحكومة والهستدروت لدراسة « المطالب الخاصة » لمستخدمي ضريبة الدخل ، قرر المجلس القطري لهؤلاء المستخدمين (يوم ٧٢/١٢/١٣) الاستجابة لندائي وزير المالية والهستدروت وعادوا الى العمل المنتظم .

وكان بعض رجالات الاقتصاد في الحكومة قد قالوا ان الضرر نتيجة سلسلة الاضرابات المتتالية في بعض القطاعات ، قد شمل كافة القطاع الاقتصادي بسبب حوادث العطل التي طرات على اجهزة التلفون ، وحوادث العطل في الاعتدة الهندسية في البريد ، وخسائر شركات الطيران والفنادق وأماكن الضيافة ، والتأخير في استيفاء ضريبة الدخل ، ولم تحدد الخسائر المادية ، حيث اكتفت المصادر المذكورة بالقول « ان الاضرار تقدر بعشرات الملايين من الليرات ». (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٤).

وبشكل اجمالي فقد خسر القطاع الاقتصادي في اسرائيل ، كما أعلن ذلك يوسف الموغي وزير العمل في الكنيست (٧٢/١٢/٢٦) نحو ٢٠٠ الف يوم عمل ، اي حوالي ٢١ الف يوم عمل اكثر من العام الذي سبقه . وقبل الموغي كان ابراهام كاتس عضو الكنيست من قبل « غاحال » قد أعلن في الكنيست يوم ٧٢/١٢/١٩ ، ان القطاع الاقتصادي في اسرائيل قد « خسر في السنوات الخمس الماضية ما يناهز مليون يوم عمل ، بسبب الاضرابات التي كان معظمها في الخدمات العامة ».

وقد ردت صحيفة « هآرتس » (٧٢/١٢/١) ارتفاع موجة الاضرابات منذ مطلع الشهر الماضي الى وجود « لغم » في اتفاق الاجور الذي وقعته الحكومة وهستدروت مستخدمي الدولة يوم ٧٢/١١/١٢ . وهذا اللغم في اعتقاد صحيفة « هآرتس » هو البند ٢٧ من ذلك الاتفاق الذي نص على « ان هستدروت مستخدمي الدولة تحتفظ لنفسها حق تقديم الطلبات الاضافية المتعلقة بشروط عمل محددة ومتميزة ، فقط لاماكن عمل خاصة ، ليس لها اي اثر على أماكن العمل الاخرى في الدولة » . « وتفسير هذا البند » — تتابع الصحيفة — « انه بعد يوم ١٢/ ٧٢/١١ ، اليوم الذي وقع فيه اتفاق الاجور الذي ضم ٥٥ الف عامل في خدمة الدولة ، وضمن زيادة رواتب بلغت نحو ١٥ ٪ ، فتح الباب لمفاوضات جديدة حول زيادة الاجور في أماكن « محددة » . ويرى ، نتيجة هذا البند ، كل قطاع مستخدمين في اجهزة الدولة أن من صالحه الاعلان عن مكان ونوعية عمله بأنه « خاص ومتميز » ، ليخلص من هذا الى تقديم لوائح الطلبات مهددا سلفا بلجوئه الى الاضراب في حال رفض طلباته او تأجيل البت فيها .

أما اقدر القطاعات على فرض تميزها وخصوصية

عملها ، فهي تلك التي تشكل « مجموعات ضاغطة » ومن أبرزها ، في اعتقاد أمنون برزلاي في «هآرتس» (٧٢/١٢/١) « مستخدمو هندسة البريد ، الذين يقفون في صف واحد مع عمال الطيران وعمال الموانيء وعمال شركة الكهرباء ، حيث بمقدور هؤلاء عن طريق فرض بعض العقوبات ، شل جميع وسائل الاتصالات الداخلية والخارجية للدولة » . وكان أهرون زلتسر ، سكرتير لجنة مستخدمي هندسة البريد في تل ابيب ، (وعددهم ٥٥٠٠ مستخدم) قد اكد على هذا المعنى ، وزاد عليه — في مقابلة اذاعية (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢) — بقوله « اذا كان الامر يتطلب الخروج من هستدروت عمال الدولة، فليكن » ، وذلك لتخليص مستخدمي هندسة البريد من الالتزام بما يتفق عليه هستدروت عمال الدولة مع ممثلي الحكومة .

وحظيت هذه الموجة العارمة من الاضرابات في المرافق الحيوية ، باهتمام جميع الصحف الاسرائيلية ، التي خصتها بتعليقات وافتتاحيات معبرة عن وجهات نظرها المختلفة غالبا . فقد اعربت جريدة هتسوفيه (٧٢/١٢/٤) عن اعتقادها بأن « موجة الاضراب اصبحت مرضا، ومن المشكوك فيه ان تنتهي سلسلة الاضرابات هذه طالما ان الصراع على السلطة داخل حزب العمل لا يزال قائما » وكانت الصحيفة تشير بذلك الى الصراع بين الكتلة التي يتزعمها وزير المالية بنحاس سابير، وتلك التي يقف على رأسها يتسحاق بن اهرون سكرتير الهستدروت . اما سبب كون الوضع في اسرائيل على ما هو عليه ، فهو — في نظر جريدة عل همشمار (٧٢/١٢/٤) : « الفجوة بين الاجر وقيمته الحقيقية ، وهي تلك الفجوة التي تشكل أساسا للتوتر الاجتماعي المعبر عنه بموجة الاضرابات » .

وبعد أن استأنف عمال هندسة البريد اضرابهم ، كانت جريدة « هآرتس » (٧٢/١٢/٥) اكثر تشددا ضدهم ، ووصفت اضرابهم بأنه « اباحية » وقالت عنه « انه لا يختلف عن تصرف الخارجين عن القانون الذين يقومون بتدمير مراكز التلفون، والفرق هو ان الخارجين عن القانون يرسلون الى السجن ، في حين يقوم ممثلو المستخدمين باجراء المفاوضات » . وقد تنبأ الصحافي الاسرائيلي هـ. يوسطوس في جريدة « معاريف » (٧٢/١٢/١) بأنه « اذا استمر الوضع — اعلان الاضرابات والتهديد باعلانها — على ما هو عليه فانه قريبا لن تكون هناك ضرورة للاعلان عن اضراب ، بل سيكون من الاسهل الاعلان عمن هو ليس مضربا » .

اما يتسحاق بن أهرون ، فقد رد موجة الاضراب العنيفة — في مقابلة اجراها معه مراسل «معاريف» (٧٢/١٢/٢١) الى « فشل ربان الاقتصاد الواضح في لجم التضخم ، وهذا الفشل هو اصل كل سوء » ، وأعرب بن اهرون عن خيبة أمله لان « جميع الكتل في حزبي (حزب العمل) اتفقت على مبدأ « احرس لي واحرس لك » .

وانتقدت « معاريف » في افتتاحيتها (٧٢/١٢/١٨) الجدل الدائر في اوساط المسؤولين الاسرائيليين «وبدل ان يدور الجدل حول من يرئس الحكومة بعد الانتخابات ، ومن يذهب ومن لا يأتي — فان المهمة، والتحدي الفوري ، هو معالجة الوضع الحاضر لا الوضع الذي سينجم في تشرين الثاني ٧٣ » (وهو موعد اجراء الانتخابات للكنيست) وذلك « لان الاضرابات التي تهدد اقتصاد الدولة والخدمات فيها ، تفوق بخطورتها بما لا يقاس الاضرابات التي تمت في الاشهر الاخيرة » .

ومع اعلان عمال شركة « مكوروت » للمياه التهديد بالاضراب ، « تنبأت » معاريف (٧٢/١٢/١٤) بأنه « اذا لم نفشل هذا الاضراب ، فانهم سيحرموننا غدا لا من ماء الشرب فحسب ، بل من الهواء الذي نتنفسه » .

وقد رافق هذا التوتر على صعيد «الجبهة الداخلية» في اسرائيل ، عودة من جديد الى نغمة التحدث عن الخطر الداهم من الخارج ، فوافقت جريدة « اويكلت » في افتتاحيتها (٧٢/١٢/٤) على اقوال وزير الدفاع « اننا نعيش حالة طواريء ، ولذلك فان على الحكومة فرض النظام ومنع الاضرابات »، وتبع ذلك قول شمعون بيرس (هآرتس٧٢/١٢/١٢): « ان بتصرف الحكومة جميع الوسائل المطلوبة لوقف الاضراب في شركة العال » .

ويبدو انه ما زال بمقدور السلطات الاسرائيلية استخدام سلاحها السحري للتأثير على « الجبهة الداخلية » ، وهو سلاح « تسخين » الوضع على « جبهة الحدود » ، اذ بعد ايام من تصعيد الصدام على الجبهة السورية ، في مطلع الشهر الحالي ، امكن انهاء الاضراب التباطئي لمستخدمي

التشغيل في الموانيء .

وقد نقل ايلي مويال ، عضـــو المكتب التنفيذي للهستدروت ، هذه الحقيقة من « خانة الاحتمال » الى « خانة التأكيد والاعتـــراف » حيث قال في برنامج اذاعي (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١/١٠) بمناسبة انتهاء ذلك الاضراب : « لقد توصلنا الى اتفاق بالفعل ، وعاد الرفاق الى العمل، والاتفاقية في نفس الاطار الذي اقترحناه ، اي زيادة ٤٠٤٢٪ وبالفعل فقد استجاب المستخدمون لطلبنا نظـــرا للوضع القائم على الحدود الشمالية ... » .

مؤتمرات الاحزاب : الانتخابات في الافق

الاحرار المستقلون : دستور لاسرائيل

اعدادا واستعدادا للانتخابات البرلمانية المقبلة في اسرائيل ، التي يفترض ان تجري في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الحالي ، بدأت الاحزاب هناك تعقد مؤتمراتها العامة . وقد شهد الشهر الماضي مؤتمرين من هذا النوع :

- المؤتمر الحادي عشر لحركة حيروت ــ من ١٧ الى ٧٢/١٢/٢١ .
- المؤتمر السادس لحـــزب مبام ــ من ٢٧ الى ٧٢/١٢/٢٩ .

كذلك شهدت الساعات الاولى من اليوم الاول من الشهر الماضي ، اختتام المؤتمر التاسع لحـــزب « الاحرار المستقلين » ، الذي « انتخب بنحاس روزن زعيما للحزب ، وانتخب الوزير موشي كول رئيسا له ــ وهو منصب جديد ــ ، وانتخب لجنة مركزية جديدة للحزب مكونة من ٣٨١ عضوا ، وادارة من ١٠١ عضو ، واتخذ قرارا بأن تنتخب اللجنة المركزية ــ عندما يحين الوقت ، وبالاقتراع السري ــ قائمة مرشحي الحزب لعضوية الكنيست الثامنة » (هآرتس ٧٢/١٢/٣) .

على صعيد آخر ، اتخـــذ مؤتمر حزب الاحـــرار المستقلين عدة مقررات ، كان أهمها ما ورد تحت بند « حماية حريات المواطن » ، الذي جاء فيه : « ... ان الحزب يعود ويطالب بســن دستور مكتوب لاسرائيل ، يحدد حريات المواطن وواجباته، ويكون دليلا تثقيفيا جماهيريا ، يؤمن جوا مـــن الحرية والديموقراطية الحقة ، ... وسيستمر الاحرار المستقلون في العمل لتحقيق هذه الحاجـــة الوطنية والاجتماعية في الكنيست الثامنـــة » . (المصدر ذاته) .

ومعروف ان اسرائيل ما زالت بدون دستور ، رغم عشرات الدساتير المقترحة ، التي لم يبت في أمر اي منها ، خشية انفجار صراع يتوقع ان يكون في منتهى الحدة والخطورة لدى مناقشة بند « الدين والدولة » ، وبند « حدود الدولة » وبعض القضايا الاخرى . على ان هناك في اسرائيل عددا قليلا من القوانين ، التي سميت « قوانين تأسيسية » لها اهمية الدستور ، ولا يجوز الغاؤها او تعديلها ، الا بغالبية الثلثين من أعضاء الكنيست ، ومن بين هذه « القوانين التأسيسية » ، قانون الكنيست ، وقانون العودة ، وقانون التعليـــم الالزامـــي ، وغيرها .

حركة حيروت : انفجر الصراع

اما مؤتمر حركة حيروت ، الذي افتتح في « مباني الامة » في القدس ، بحضور رئيس دولة العدو زلمان شازار ، ورئيس الكنيست ، والحاخامين الرئيسيين ، والوزراء : دايان والموغي وبارليف وبورغ وفارهافتيغ ، وكذلك البميلخ ريملط ، رئيس حزب « الاحرار » الذي يشكل مع حركة حيروت كتلة غاحال ، وغيرهم ، فقد بدأ في ظل « وحدة داخلية » ، في حين انتهى ــ كما توقع له المراقبون سلفا ــ بانفجار الصراع الداخلي بين كتلتيـــه الرئيسيتين ، ثم أمكن ــ مع انتهاء المؤتمر ــ اقامة جسر فوق الهوة القائمة بينهما ، لكن ما لبث ان ظهر بأن هذه الهوة أعمق وأوسع من ان يمكن « التجسير » فوقها بسهولة ، فعاد الصراع ليكون

هو القضية الاهم ، التي تشغل بال اعضاء الحركة وقيادييها ، وشريكها في غاحال ، الذي تمنى — مبالغة في التفاؤل — بلسان رئيسه ريملط ، في جلسة الافتتاح « ان يدعم هذا المؤتمر توهيد غاحال ، ويعجل في تقدمنا نحو الهدف الكبير : هدف تحويل غاحال من « بديل بروغرامي » الى « بديل فعلي » ، ومن مدرسة فكرية الى قوة سياسية يمنحها الشعب ثقته ، ويوكل لها مهمة تشكيل حكومة » . (معاريف ٧٢/١٢/١٨) .

لكن بدل ان يدعم المؤتمر توحيد شطري غاحال ، كرس وجود كتلتين داخل الحركة الواحدة ، اعلن عن وجودهما رسميا — وبعد طول انكار — زعيم حيروت مناحيم بيغن يوم ٧٢/١٢/٢٠ بقوله : « انني اقف على رأس كتلة داخل الحركة » وهي كتلة الزعامة التقليدية التاريخية للحركة ، في حين يقف عيزر وايزمان — رئيس ادارة الحركة الى حين استقالته مع انتهاء المؤتمر — على رأس الكتلة الثانية . (معاريف ٧٢/١٢/٢١) .

وقد تبين من خلال المناقشات التي دارت في المؤتمر، عدم وجود خلافات فكرية بين كتلتي هذه الحركة اليمينية المتطرفة ، وان الخلاف محصور في نقاط شخصية ، اهمها تركيب اللجنة المركزية ، واختيار أعضائها من بين أنصار وموالي زعيمي كل من الكتلتين ، وكانت هذه اللجنة هي شغل اعضاء المؤتمر الشاغل الى درجة ان حاييم بلاتنير ، مراسل اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٣) قال انه « سيطلق في المستقبل على المؤتمر الحادي عشر لحركة حيروت اسم « مؤتمر اللجنة المركزية » لانها كانت نقطة الخلاف الرئيسية في المؤتمر ، وقد رأى اتباع وايزمان في هذه المؤسسة أداة اساسية لزيادة نفوذهم داخل الحركة ، حيث ان تلك اللجنة هي التي تقوم بانتخاب « الادارة » (وهو جهاز مواز للمكتب السياسي) ، والاهم من هذا هو انتخابها ايضا للجنة التي تقوم بتعيين المرشحين (من قبل الحركة) لانتخابات الكنيست » .

في جلسة افتتاح المؤتمر ، كان خطاب زعيم الحركة مناحيم بيغن هو الخطاب الاساسي ، عاد فيه على مبادىء وأهداف ومطالب حركة حيروت ، وهي تلك التي لا يختلف اعضاء الحركة حولها . ومن بين أهم ما قاله بيغن (معاريف ٧٢/١٢/١٨) : ● عن التسوية السياسية: « ان فلسفة اصحاب مبادرات التقسيم (ويقصد بذلك عودة جيش الاحتلال من الخطوط التي يقف عندها حاليا) هي : لانه ليس لدينا ما كان لدينا ، يجب ان لا يكون لدينا ما هو لدينا . وان اعضاء غاحال (وليس حيروت فقط) يريدون ان لا يعاد الى تقسيم ارض اسرائيل الى الابد ، ... ان العلاقة بين ما يدعى تسوية اقليمية وبين اتفاقية سلام هي من بنات الخيال ، ولا اساس لها في الواقع اطلاقا ، وفي المقابل فان تقسيم أرض اسرائيل يفرض علينا مخاطر امنية من النوع الاخطر ... واننا ندعو اعضاء « حزب العمل » (وهو الحزب الحاكم الذي ترئسه غولدا مئير) المؤيدين لمبدأ تكامل البلاد الى الوقوف معنا في المعركة التاريخية من اجل عدم تقسيم ارض اسرائيل » .

● وعن اعادة فتح قناة السويس : « اننا نطالب الوزراء ان لا يضغطوا على حكومة الولايات المتحدة مستهدفين ان تضغط هذه عليهم لفتح قناة السويس ، ... لان قناة السويس في وضعها الحالي، تشكل مفتاحا لاخذ المساعدات من الولايات المتحدة ، وذلك لان استمرار اغلاق القناة يعيق امكانية تقديم الاتحاد السوفياتي لمساعدات عاجلة لفيتنام الشمالية ، الامر الذي ينقذ حياة آلاف الجنود الاميركيين هناك » .

● وعن القضية الديموغرافية ومواطنة عرب المناطق المحتلة : « اننا نقترح ان يعطى للسكان العرب في ارض اسرائيل الخيار فيما يتعلق بالمواطنة . ان المواطن العربي في ارض اسرائيل الذي يطلب هوية المواطنة في الدولة تعطى له ، لكنها لا تفرض عليه . ونقترح تقديم منح لتشجيع زيادة النسل ، وللعائلات كثيرة الاولاد بحيث تقدم هذه المنح مؤسسة بهودية عالية » . (وذلك لكي يمكن حصر الاستفادة من هذه المنح في الوسط اليهودي الاسرائيلي فقط دون ان يشكل الامر اثباتا لعنصرية السلطة الاسرائيلية) .

● عن الاستيطان في المناطق المحتلة : « يجب اقامة مدن جديدة، دون رفض اقامة احياء للمواطنين اليهود في كل المدن القديمة في ارض اسرائيل : في نابلس والخليل وبيت لحم واريحا وغيرها » .

● عن العمل الفدائي : يجب اقامة وحدة خاصة في اطار شبكة الامن الرسمية ، تكون فيها خيرة عقول وخيرة قوى منظمات العمل السري والمخابرات سابقا ، (وهي التي تطور بعضها ليشكل فيما

بعد حركة حيروت) ، وبهذه الطريقة توضع نهاية للارهاب الدموي العربي » .

● عن يهود الاتحاد السوفياتي : « يجب القيام بمفاوضات — بمساعدة الدول التي تمثل اسرائيل في الاتحاد السوفياتي ، والاتحاد السوفياتي في اسرائيل — للوصول الى اتفاق تفريق بين الدولتين: على ان يكون في هذا الاتفاق « فصل » نهائي بين الشعب الروسي والشعب اليهودي » .

● عن الفقر والضائقة الاقتصادية : « ان الفقر في اسرائيل عار . وقد انوجد هذا الفقر في ظل نظام اشتراكي تحت تصرفه مصادر اقتصادية لا تحصى . ان على الاشتراكيين واجب الدفاع عن انفسهم على هذه الخطيئة الرهيبة » .

● عن الانتخابات العامة المقبلة : « نطالب بتقديم موعد اجراء الانتخابات العامة الى الربيع المقبل (بدل الخريف) ، لان الحكومة في «حالة استقالة»، حيث ان رئيسة الحكومة ، واثنين من كبار الوزراء يرددون انهم لن يشتركوا في الحكومة المقبلة (بعد الانتخابات) ، وبقاء حالة الاستقالة هذه لمدة عشرة أشهر يشكل سببا لانحلال كل اجهزة الدولة الرسمية » .

اما عيزر وايزمان ، فقد لخص خطابه في جلسة الافتتاح بجملة واحدة : « ان في الدولة شكوكا ، تخبطات ، انعدام ثقة ، وبشكل اجمالي جوا داخليا غير متناسق ، ان مؤتمرنا ينعقد ونحن مقبلون على معركة انتخابات تمنح كل مواطن امكانية المساعدة في تغيير الامور » . (معاريف ١٢/١٨/ ٧٢) . وعشية عقد مؤتمر حيروت ، كان وايزمان قد قال في مقابلة اذاعية (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/١٨) : « اذا أراد المؤتمر اتخاذ قرارات صحيحة وصالحة ، فعليه تطعيم القيادات بالعنصر الشاب ، وهذا حيوي ، اما ماذا ومن وكيف ، فهذا ما سيقرره المؤتمر » وقد فسر هذا الكلام على انه اثارة من جديد لقضية الخلاف الرئيسية بين كتلة وايزمان وكتلة بيغن من « التاريخيين » الذين يعني — في نظرهم — ادخال العنصر الشاب الى قيادة الحركة زحزحة لهم عن مواقعهم في لجان الحركة وصلونها القيادية .

لكن الصراع الاول في المؤتمر بدأ في اللحظات الاولى للجلسة الثانية — بعد جلسة الافتتاح — في مبنى « قلعة زئيف جابوتنسكي » في تل ابيب ، ودار حول طلب انصار القيادة التقليدية (جماعة بيغن) ضم عشرات من الاعضاء الجدد الى عضوية المؤتمر ، لكن « التجديديين » (جماعة عيزر وايزمان) تمكنوا — عبر الاقتراع في المؤتمر — من فرض ضم ١٣ عضوا جديدا فقط من هؤلاء . « ومنذ تلك اللحظة انتقلت ساحة الصراع الى الدور العلوي — الدور ١٤ — من مبنى « قلعة زئيف » ، الذي جرت فيه على مدى ٣٦ ساعة محاولات فاشلة لتشكيل « لجنة دائمة » مكونة من ٦٥ عضوا ، وكانت هذه « حرب استنزاف » بين الفريقين الذين أبدوا اهتماما خاصا لحقيقة كون مهمة اللجنة الدائمة تشكيل قائمة اللجنة المركزية الجديدة التي تزكي في النهاية قائمة المرشحين للكنيست » . (معاريف ٧٢/١٢/٢٢) .

وتتابع الجريدة : « وعندما توصل الطرفان الى تشكيل متفق عليه (وتبين فيما بعد انه كان فيه لانصار وايزمان غالبية مطلقة) تفجر الصراع حول انتخاب رئيس للجنة ، اصرت القيادة التاريخية على انتخاب المحامي ايسر لوبوتسكي الذي كان في حينه رئيسا للمحكمة الحركية التي ابعدت اعضاء « المركز الحر » عن حيروت ، واصر انصار وايزمان على انتخاب بتاحيا شمير رئيس قسم التنظيم في الحركة .

« وعندما اتضح ان هناك غالبية واضحة لانتخاب شمير ، برز الصراع وأصبح مكشوفا ، ولم يعد بالامكان الوقوف في وجهه ، وأوضح مناحيم بيغن للجنة انه يقف وراء ترشيح لوبوتسكي ، وهدد باستخلاص نتائج شخصية اذا أقر أمر آخر ، وأفاد هذا التهديد كما أفاد في الماضي ، وامتنعت اللجنة عن انتخاب رئيس دائم لها واكتفت بانتخاب رئيس مؤقت هو بتاحيا شمير .

«وازدادت حدة المواجهة عندما بدأت اللجنة الدائمة بتشكيل اللجنة المركزية ... وقوبلت الغالبية في اللجنة (وهم أنصار وايزمان) بمعارضة شديدة من قبل انصار القيادة التاريخية ... فاستدعي مناحيم بيغن على عجل وأدار على مدى اربع ساعات متواصلة نقاشا حادا مع اعضاء اللجنة الدائمة ، وأكد في هذه المناسبة انه لن يوافق على ان تقدم للمؤتمر قائمتان، واضاف انه سيستمر على رأس حركة حيروت شريطة ان تقدم الى المؤتمر قائمة مرشحين — لعضوية اللجنة المركزية — واحدة ووحيدة ... ثم اعلن انه يقف على رأس كتلة في

الحركة . وعدد اعضاء كتلته : اعضاء الكنيست : استر رزيئيل نأور ، حاييم لنداو وبن تسيون كيشت ، وكذلك السيد ايتان لفني ، وعندما قاطعه بعض اعضاء اللجنة الدائمة بالقول : « ان كل الحركة تقف وراءك وتريدك زعيما لها » اجاب بيغن : « اذا كنتم تناصروني صوتوا الى جانب القائمة التي سأقف على رأسها ، ولن اكون في اية قائمة اخرى » . (معاريف ٢١ و٧٢/١٢/٢٢) . وشكل موقف بيغن هذا سابقة ، حيث انه بعد « نجاح اتباع وايزمان ، في الحصول على اغلبية في اللجنة الدائمة التي من ضمن مهامها تأليف قائمة اللجنة المركزية ، كان يبدو ان انتصارهم قد تحقق . لكنهم لم يأخذوا في الحسبان أمرا واحدا ، هو التدخل الشخصي لرئيس الحركة عضو الكنيست مناحيم بيغن الذي اعتاد بشكل عام ان يترفع عن النزاعات الداخلية في الحزب . هذه المرة غير بيغن عادته ، وأعلن أمام أعضاء اللجنة الدائمة انه ازاء الوضع الذي استجد فانه ينوي الوقوف على رأس كتلة ، وخوض منافسة على منصب رئيس اللجنة المركزية ، الامر الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ حركة حيروت » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٢) .

... وانتصر بيغن .

ثم انتقل الى مقر اجتماعات المؤتمر العام ، وألقى خطابا دراميا ، ذكر فيه بتاريخ الحركة ونضالها حتى قبل ان تصبح حركة ، وحصد موجات من التصفيق — وهو فن يتقنه بيغن جيدا — وهاجم فيه وايزمان بسخرية لاذعة وخاصة اقتراح وايزمان تشكيل غاحال « لحكومة ظل » برئاسة بيغن الذي قال : انها اول مرة في حياتي يقترح علي تعييني رئيسا للحكومة ... هل تعلمون ماذا يعني هذا بالنسبة لي ؟... ومن الذي اقترح هذا التعيين — انه عيزر وايزمان ، القائد المحترم لسلاح الطيران ... » . (معاريف ٧٢/١٢/٢٢) .

وفي بداية خطابه الختامي دافع بيغن عن قرار خروج غاحال من « حكومة التكتل الوطني » (التي كانت قائمة منذ عشية حرب حزيران ١٩٦٧ حتى آب (اغسطس) ١٩٧٠) : « بعد سنتين امتنعت خلالهما عن التحدث في هذا الموضوع الذي تحدث فيه كثيرون ، انني اقول بأنه لو لم تترك غاحال الحكومة ، لما كانت حركة حيروت قائمة الان ، وربما كان الجسم سيظل قائما .. لكن روحه كانت ستكون خارجه ، وذلك لان قرار الحكومة في آب (اغسطس) ١٩٧٠ (عشية وقف حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس) كان تفسيره الالتزام بتقسيم ارض اسرائيل من جديد ، وهذا الامر يشكل الحاقا للضرر في مبدأ مقدس حملته حركة حيروت على مدى السنين » . (معاريف ١٢/٢١/ ٧٢) .

وانتقل بيغن بعد ذلك الى الرد على سياسة غولدا مئير واخذ مثلا على خطها السياسي قولها « انها لا تريد ٩٠٠ ألف عربي في الدولة وانها غير معنية بأن تكون في وضع تضطر فيه في صبيحة كل يوم لفحص ما اذا ولد طفل يهودي ام طفل عربي » وكانت تستحضر بذلك « قضية » احتمال تغيير الطابع السكاني « لدولة اليهود » نتيجة لتكاثر العرب الطبيعي الذي يفوق تكاثر اليهود ، وخلص بيغن من ذلك الى القول : « ... وهكذا خلق وضع اصبح يعبر فيه عن الوطنية ، بالمطالبة بالتنازل عن جزء من الوطن » . (المصدر ذاته) . واثر انتهاء بيغن من خطابه دار نقاش بينه وبين وايزمان ، اتهمه فيه انه يترأس كتلة تقف في وجه كتلة يترأسها هو (بيغن) . لكن وايزمان نفى هذه «التهمة» ، واشار الى ان بيغن وجماعته « يعملون كل شيء حتى لا تصل غاحال الى السلطة » . وعندما سأل بيغن وايزمان بلهجة في منتهى السخرية قائلا : « أردت التحدث الي يا « مون جنرال » ؟ » اوقف وايزمان النقاش ، واتخذ قراره الدرامي وهو قرار الاستقالة من منصبه كرئيس لادارة حركة حيروت ، وذكر في خطاب الاستقالة « انني مصاب بخيبة امل كبيرة من أمور كثيرة حدثت هنا ... وقد تعلمت درسا جديا للغاية في اساليب الديموقراطية ... تعلمت دروسا عديدة » . (معاريف ١٢/٢٢/ ٧٢) .

وفي مجال استخلاص النتائج من مؤتمر حيروت ، ومقارنة الخلافات داخل الحركة مع الخلافات داخل حزب العمل ، كتب المعلق الاسرائيلي شموئيل شنيتسار في معاريف (٧٢/١٢/٢٢) :

« اذا كانت هناك اسباب ايديولوجية وراء الخلاف الذي نشب في حركة حيروت ، فان هذه الاسباب لا يمكن ان ترى بالعين المجردة ، حتى وبعدسة مكبرة لا يمكن ملاحظة اي فرق بين مبدأ مناحيم بيغن ووجهات نظر عيزر وايزمان . انهم يتنبأون بالفعل بأسلوب مختلف يظهر الاختلاف الكبير في خلفيتهما

وشخصيتهما ، لكن من الصعب العثور على تناقض في نحوى كلامهما » .

« وليس هنا » يتابع شنيتسار « شيء يمكن مقارنته باختلاف الاراء العميق القائم في داخل حزب العمل ، سواء في مسألة حدود الدولة او في صورتها الاجتماعية . هناك (في حزب العمل) الاختلاف مبدأي ، ولا يحاول الحزب ان يخفي حقيقة انه اطار واسع مفتوح لوجهات النظر المختلفة ، وهناك ، بالطبع ، الى جانب اختلاف وجهات النظر احتكاكات شخصية . ويبدو كذلك احيانا ان الاساس الشخصي يغطي على الخصام المبدأي ، ومع ذلك يظل واضحا للجميع ان الاشخاص المتصارعين على السلطة يمثلون اساليب مختلفة ، رغبات مختلفة ، اساليب فهم مختلفة للصهيونية وللاشتراكية » .

« ليس الامر كذلك في حيروت . ان الصراع الذي شهدته هذا الاسبوع كان له طابع شخصي واضح. لم يكن هناك خلاف على الحدود ، او خلاف على العلاقات مع العرب او نقاش على السياسة الاقتصادية ، ولم يقدم احد افكارا جديدة . لقد كان هنا ، بوضوح ، صراع على الزعامة ، على المراكز الرئيسية ، على الكراسي » .

وتابع شموئيل شنيتسار : « لم تكن لحركة حيروت ساعة أبرك من تلك التي انضم عيزر وايزمان خلالها اليها . لم يكن رجل مبادىء كبيرا — لكن لم يكن ينقص حيروت رجال مبادىء . لم يكن سياسيا لامعا — لكن لم يكن نقص لديها بالسياسيين ، لقد كان تيار هواء عليل في غرفة ظلت مغلقة اكثر مما يجب ... واحتفل نشيطو الحركة القدماء أمس بانتصارهم ، وقرروا مصيرهم . اغلقت الشبابيك من جديد . واوقف تيار الهواء النقي ، واوضحت الحركة ملك من هي تكون ، ... ورفعت على كل فتحاتها يافطة جديدة : « لا دخول للغرباء » . وانتهى شنيتسار من ذلك الى القول : « انتصر مناحيم بيغن . ستظل حركته مرصوصة وموالية... وصغيرة ، لا يحتلها احد من الداخل ولا تحتل هي احدا في الخارج ، ويكون الجميع فيها موالين للقيادة التقليدية ... فهي تحكم الى الابد ، والى الابد لا تصل الى السلطة » .

وكتب شالوم روزنفلد ساخرا في معاريف (٢٢/١٢/ ٧٢) : « ليس صحيحا ان نظام الحكم الحالي ما زال قائما كل هذه السنين العديدة لانه ليس له بديل... انه قائم لانه ليس هناك بديل للمعارضة». وقالت جريدة « يديعوت احرونوت » (٢١/١٢/٧٢): « ان بيغن زعيم « كريزماتي » مثله مثل جابوتنسكي وكندي . ومع ان « الكريزما » قوة لها جاذبيتها ، الا ان ضعفها يكمن في امكانية الغائها حرية التفكير ... » .

وغداة انتهاء المؤتمر (٢٢/١٢/٧٢) كان مؤتمر حيروت واستقالة عيزر وايزمان من رئاسة ادارة الحركة (مع احتفاظه بعضوية الحركة وعضوية لجنتها المركزية) ، هي الموضوع الرئيسي الذي تناولته افتتاحيات الصحف الاسرائيلية (رصد اذاعة اسرائيل ٢٢/١٢/٧٢) :

« قالت هآرتس ان استقالة السيد وايزمان كانت عملا متسرعا ومؤسفا لكل من يفضل خروج حيروت من معبد المذهبية الجامدة ... وان هذا الحزب يشبه الكنيسة من عدة نواح . فهو مجموعة من المؤمنين يشكل الارتباط بزعيمها بالنسبة لها احد مبادىء عقيدتها » .

لكن الصحف الاسرائيلية ذات الانتماءات الحزبية ، كانت اكثر تهليلا وتشفيا بحركة حيروت : قالت « دافار » (شبه الرسمية والناطقة بلسان « الهستدروت » التي يسيطر عليها حزب العمل الحاكم) : « ان طابع الخلاف في حيروت هو شخصي ، وان النزاعات في المؤتمر كانت حول مراكز القوى وليس حول الامور العقائدية ، ومن هنا ، فان حيروت حزب منفك ، وجزء من تكتل (غاحال) مزعزع ، وطرح كتلة غاحال كبديل سياسي امر مسل من الناحية السياسية ، لكنه بالنسبة للديموقراطية الاسرائيلية أمر مهم جدا ». والى عكس هذا الاستنتاج (وهو قريب من استنتاج شنيتسار في « معاريف ») وصلت جريدة « عل همشمار » (الناطقة بلسان حزب مبام الذي يشكل مع حزب العمل ما هو معروف باسم « التجمع العمالي ») ، وقالت : « ان النزاع في حيروت يعكس أزمة عقائدية ... وان حركة حيروت تتجاهل الواقع السياسي ولذلك وصلت الى طريق مسدود » .

اما جريدة « هاتسوفيه » (الناطقة بلسان الحزب الوطني المتدين) ، فقد عبرت عن عدم استغرابها للشرخ الذي حدث في حيروت ، واطلقت على بيغن اسم « قائد العائلة المحاربة » ، وقالت انه لا يستطيع احد في معيته ان يعبر عن رأي مخالف

لارائه ، و... « ان الامـــر الواضح هو ان الشخصيات ذات المكانة لا تستطيع الاندماج في قيادة حيروت ، لان زعيم الحزب لا يتقبل آراء من يعارضونه ، وان حركته تعاني من جمود عقائدي ».

... ثم أمكن قبل نهاية الشهر الماضي التوصل الى تسوية للازمة داخل حيروت « وقد احتل عضـو الكنيست بيغن بموجبها منصب رئيس حركة حيروت ومنصب رئيس الادارة . واتفق ان يعمل عيـزر وايزمان في منصب رئيس هيئة الانتخابات لحركة حيروت » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٨).

لكن الصراع ما لبث ان عاد الى الظهور من جديد بعد اقل من اسبوعين على التوصل الى التسوية حيث رفض وايزمان ان يكون عضوا فـي ادارة الحركة التي يترأسها بيغن ، وقال وايزمان انه « يؤيد التبديلات (في تشكيل ادارة جديدة للحركة) وان اسلوب بيغن يوصل الى الجمود » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٠) ، وردت الادارة الجديدة لحركة حيروت ببيان ذكر انه « ... وبناء على هذا الاتفاق كان ينبغي على السيد وايزمان ان يكون عضوا في الادارة . ولذلك فان السيد وايزمان هو الذي يخالف الاتفاقية... وان وايزمان يحاول بخطوته الاخـيرة ان يفرض علـى رئيس الادارة السيد بيغن تعيين اشخاص لم ينتخبهـم الرئيس ، وطرد آخرين تم تعيينهم فـي الادارة الجديدة ... علما بأن تركيب الادارة الذي اقترحه السيد بيغن يطابق تماما التركيب الشخصي والعددي للادارة السابقة التي كان يترأسها عيزر وايزمان » (المصدر ذاته) ، وواضح ان مطلب وايزمـان الاساسي ، وهو احداث تغيير في اشخاص اعضاء ادارة المؤتمر وغيرها من اللجان ، لم يتحقق ، بل واعيد الاشخاص ذاتهم مع تقديم بيغن لهذا على انه « محاولة ارضاء لوايزمان » .

يبقى ان اطرف ما شهده مؤتمر حركة حيروت ، ونقلته اذاعة العدو من وقائعه ، خطاب « عضو » درزي في مؤتمر حركة حيروت العنصرية ، هو حاتم حلبي ، وقال فيه : « لم اتوقع مطلقا ان اسمع ان بعض اليهود ، بعد تحرير الوطن (!!) يفكرون، ويقومون برسم الخرائط لاعادة بعض المناطق ... ولمن نعيدها ؟ (!!) .. هذا ما لا اعرفه (تصفيق غير حاد) » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٠).

حزب مبام : خطوات الى الوراء

مؤتمر « حزب العمال الموحد — مبام » توبل بفتور بالغ من قبل جميع صحف اسرائيل، حتى ان صحيفة الحزب اليومية « عل همشمار » لم تتحدث عنه الا في افتتاحية واحدة فقط عشيـة انعقاده ، يوم ٧٢/١٢/٢٧ ، قالت فيها « ان المبادىء الاساسية، ورسالة الحزب لم تتغـير منذ البدايـة ... » وباستثناء افتتاحية جريدة « تريبونا » في اليـوم ذاته ، لم يحظ المؤتمر بأية افتتاحية في صحف اسرائيل .

ويبدو ان ابتعاد هذا الحزب — حتى في مجرد القول — عن مبادئه ويساريته — التي كان مشكوكا فيها من البدء ، والتي لم يبق من آثارها غير « الاخلاص » في انشاد نشيد « الانترنسيونال — الاممية » — بعد نشيد اسرائيل الوطني « هتكفا — الامل » — قد بدأ يدفع في اتجاه انهاء الحزب تماما مع اضمحلال مبرر وجوده ، ومع تلاشيه وذوبانه شبه النهائي في حزب العمل الحاكم الذي يشكل معه « المعراخ — التجمع العمالي » .

وفي مؤتمره الاخير ، تقدم حزب مبام خطوات عديدة في هذا الاتجاه ، يمكن اجمالها — واجمال وقائع المؤتمر بالنتيجة — على النحو التالي :

● دعا زعيم مبام مئير يعري — في خطاب افتتاح المؤتمر — الى استئناف مشاركة المبام في«المعراخ»، ودعت رئيسة الحكومة غولدا مئير التي حيت المؤتمر الى المحافظة على سلامة المعراخ « والوصول في نهاية المطاف الى اتحاد كامل » (رصد اذاعـة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٨) ، (والاتحاد الكامل يعني ذوبان مبام في حزب « العمل » الذي تشكل من الاحزاب : مباي واحدوت هعفودا ورافي) .

● في مقابلة اذاعية بمناسبة عقد المؤتمر ، سئل عضو الكنيست يعقوب حزان — الرجل الثاني في مبام — : هل يحتمل قيام كتلة يسارية يقف في مركزها حزب مبام ، وتنضم اليه قوى مثل « ماكي » (الحزب الشيوعي الاسرائيلي — جماعة ميكونس) وهعولام هزي ؟ .

اجاب حزان : كلا ، بأي حال من الاحوال. اولا — نحن بعيدون جدا الواحد عن الاخر . ثانيا — هؤلاء « الشركاء » صغار جدا ، وعديمو القيمة من ناحية وزنهم السياسي بحيث ان اقامة كتلة كهذه ، ما كانت لتبدل اي شيء في الخريطة السياسيـة في اسرائيل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٨) .

● قرر مؤتمر المبام بأغلبية ٥٦٦ ضد ٢٥٩ صوتا

الاستمرار في « المعراخ » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٩) ، اي ان نسبة المعارضين كانت ٢١٠٤ ٪ وكان نسبة هؤلاء في المؤتمر السابق اكثر من الثلث ، وتحدث سكرتير الهستدروت يتسحاق بن أهرون امام اعضاء المؤتمر ، وقال — قبل الاقتراع — انه اذا انفصل حزب مبام عن « المعراخ » فانه سيواصل الانقسام والتفكك . (المصدر ذاته) .

● قرر مؤتمر مبام ان وضع قطاع غزة السياسي ، يجب ان يحدد مع مرور الوقت ، مع الاخذ في الحسبان : شؤون الدفاع الاسرائيلية ، ورغبات السكان ، والاحتياجات اللازمة لحل مشكلة اللاجئين ، وقد اتخذ هذا القرار بأغلبية ٣٠٤ ضد ٢٦٦ صوتا (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٣٠).

● قرر المؤتمر ، بأغلبية كبيرة انه ينبغي ان تدخل مشارف رفح في نطاق دولة اسرائيل ، وطالب مؤتمر مبام كذلك باقامة مستوطنات امنية في مشارف رفح ... دون المس بحقوق البدو (أ) . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٢) .

● وقال وزير الصحة دكتور شمطوف (وهو من زعماء حزب مبام) في مقابلة اذاعية تعليقا على قرارات المؤتمر : « ان المسافة بيننا وبين حزب الاغلبية في المعراخ ، حزب العمل ، هي مسافة ناشئة عن تحفظنا على الاعتراف الشفهي الوارد في برنامج المعراخ في الكنيست . وان ما تم اقراره حاليا بالنسبة لقضايا الامن والسلام في مؤتمر مبام ، يقرب مبام من المعراخ ولا يبعده عنه ، ولا تنس اننا بالنسبة لقطاع غزة ، قررنا انه ينبغي عدم اعادته الى مصر ، ولم نقرر انه لا يجوز ضمه الى اسرائيل ، وما قررناه هو ان هذا الامر بقي مفتوحا للمفاوضات » . (المصدر ذاته).

« التمرد البرلماني » ...

هل يتمكن « التجمع العمالي — المعراخ » الحاكم في اسرائيل بالائتلاف مع غيره من الاحزاب ، من الحكم — بعد الانتخابات البرلمانية المقبلة — بمفرده؟ وبكلمات اخرى : هل يحصل المعراخ على أغلبية مطلقة في الكنيست — برلمان اسرائيل — في الانتخابات المقبلة ؟

اذا كانت نتيجة هذه الانتخابات مطابقة تماما لنتيجة الانتخابات الاخيرة (جرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩) ، من ناحية ، واذا اقر الكنيست مشروع تعديل قانون الانتخابات الذي تقدم به بصفة شخصية ، يوم ٧٢/١٢/١٨ كل من عضوي الكنيست : ابراهام عوفر (المعراخ) ، والدكتور يوحنان بدر (غاحال — اكبر كتل المعارضة) من ناحية أخرى ، فان الجواب على السؤال المطروح سيكون ايجابيا .

لكن مشروع تعديل القانون ، والذي سيتر على ما يبدو ، قوبل من قبل ثماني كتل برلمانية صغيرة، بما سمي « تمردا برلمانيا » هو الاول من نوعه في اسرائيل ، ثم بعد فشل هذا « التمرد » في المواجهة الاولى في « لجنة القانون ، الدستور والقضاء » — وهي احدى لجان الكنيست — وفي جلسة الكنيست يوم ٧٢/١٢/١٩ ، « أكد ممثلو هذه الكتل اصرارهم على نقل صراعهم الى الشارع » (معاريف ٧٢/١٢/٢٠) .

والتعديل الاساسي المقترح على « قانون الانتخابات » هو تغيير جذري للبند المتعلق بتوزيع « فائض الاصوات »، وتفيد منه بشكل خاص الكتل البرلمانية الكبيرة ، على حساب الكتل الصغيرة ، « وتكسب كتلة المعراخ بموجبه — اذا أقر نهائيا — مقعدين او ثلاثة من مقاعدها في الكنيست، وهذا هو بالضبط ما يريده المعراخ » (معاريف ٧٢/١٢/١٩) .

قبل الاسترسال ، شيء من التوضيح :

● ان عدد أعضاء الكنيست هو ١٢٠ عضوا ، وحصل « المعراخ » بالاضافة الى « الكتل العربية » المرتبطة به ، في الانتخابات الاخيرة على نصف مقاعد الكنيست تماما ، اي على ٦٠ مقعدا .

● بموجب قانون الانتخابات المعمول به في اسرائيل — والذي قدم المشروع لتعديله — توزع مقاعد البرلمان على قوائم المرشحين حيث ينجح من كل قائمة ، عدد من الاعضاء يساوي نتيجة تقسيم عدد الاصوات الصالحة التي تحصل عليها القائمة ، على « سعر » العضو ، الذي يساوي نتيجة تقسيم مجموع الاصوات الصالحة على ١٢٠ (آشر بن تسيدون « مجلس النواب » تل ابيب :

١٩٧١ ، ص ٣٧) . اي انه لو كان — فرضا — عدد اعضاء البرلمان هو ١٢ عضوا ، ومجموع الاصوات الصالحة هو ٩٦ ، فان « سعر » العضو يساوي ٨ اصوات ، ولو حصلت قائمة ما على ٤٣ صوتا ، فمعنى ذلك انها توصل الى البرلمان خمسة اعضاء ويتبقى لديها ٣ اصوات هي « فائض الاصوات » .

« وقد ثبت مع الوقت ان مجموع مقاعد الكنيست التي توزع على القوائم بموجب الاسلوب القائم هو ١١٤ مقعدا ، وتوزع المقاعد الستة الاخرى على القوائم بموجب حجم « فائض الاصوات » الذي يبقى لهذه القائمة او تلك (أي ان « سعر » الاعضاء الستة الآخرين يكون اقل من « السعر » الاساسي) وثبت مع الوقت — ايضا — ان الكتل البرلمانية الصغيرة هي المستفيدة اكثر من هذا الاسلوب » (معاريف ٧٢/١٢/١٩) .

« وجاءت الان كتلتا المعراخ وغاحال واقترحتا تغيير هذا الاسلوب ، بحيث لا توزع المقاعد على القوائم التي يتبقى لديها فائض أصوات اكثر من غيرها ، بل توزع بموجب سلم متوسط عدد الاصوات الذي « تدفعه » كل قائمة « ثمنا » للمقاعد التي تحرزها ... وهكذا فان « فائض المقاعد » يتوزع بشكل أساسي بين الكتل الاكبر (الكتلة هي مجموع الاعضاء الناجحين من القائمة) ، وهو بالضبط النتيجة التي يحاول المعراخ وغاحال الوصول اليها » (المصدر ذاته) .

● يقضي القانون الاسرائيلي ان يقدم كل « مشروع قانون » الى لجنة « القانون ، الدستور والقضاء » وتقرر هذه رده الى صاحبه أو تقديمه الى الكنيست ، وهناك يعرض على الاعضاء للتصويت عليه ثلاث مرات بعد ثلاث « قراءات » ، ثم ينشر في الجريدة الرسمية ويصبح قانونا معمولا به . (آشر بن تسيدون : « مجلس النواب ») . وقد قدم مشروع تعديل قانون الانتخابات المذكور الى « لجنة القانون » فأقرته هذه بـ ١١ صوتا ضد ٤ أصوات ، وأحيل هذا المشروع الى الكنيست للقراءات المختلفة اعدادا لاقراره نهائيا . (المصدر ذاته) .

● يقضي « قانون الكنيست » بأنه عند تقديم اي مشروع للاقتراع ، يحق للعضو ان يقترع مع أو ضد المشروع ، ولا يحق له الكلام في الجلسة الا اذا امتنع عن التصويت وقدم « تحفظا » .

وقد تجمعت هذه الحقائق معا ، في الشهر الماضي أمام أعين الكتل الصغيرة الثمانية التي عارضت المشروع (وهي « اغودات يسرائيل » و« بوعالي اغودات يسرائيل » — وهما حزبان متدينان — و« الاحرار المستقلون » — المنشقون من حزب « الاحرار » احتجاجا على تشكيله « كتلة غاحال » مع حيروت — و« القائمة الرسمية » و« راكاح » — القائمة الشيوعية الجديدة — و« المركز الحر » — المنشقون من حيروت — و« هعولام هزي » ، و« ماكي » — الحزب الشيوعي الاسرائيلي — وكذلك شالوم كوهين) ، ونتج عن هذا ، « التمرد البرلماني » الاول في اسرائيل ، الذي تمثل بتقديم تحفظات كثيرة جدا ومن قبل جميع الكتل المعارضة للمشروع ، « وقدم عضو الكنيست مناحيم باروش من اغودات يسرائيل ٢٥ تحفظا » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٣) .

لكن جهود الكتل الصغيرة — التي سماها عضو الكنيست شوستك من المركز الحر ، « القوائم النامية » — لم تؤد الى أية نتيجة ايجابية ، وأنهت الكنيست « القراءة الاولى » لمشروع القانون في « جلسة ماراتونية » استمرت ١٣ ساعة وانتهت في الساعة الخامسة من صباح يوم ٧٣/١/٢ . (المصدر ذاته) .

وخلال مناقشة هذا المشروع ، والمؤتمرات الصحفية التي عقدها معارضوه ، صدر عن عدد من اعضاء الكنيست تصريحات عديدة أظهرت مدى الخطورة التي ينظر بها هؤلاء الاعضاء الى تعديل قانون الانتخابات : ● مناحيم باروش : ان المعراخ يتصرف مثل « الافندي » الذي أصبح غنيا ويريد ان يسرق مال الفقراء القليل . ● اليعيزر شوستك : ان الاسلوب الجديد سيؤدي الى سرقة المعراخ ٤٠ الف صوت تقريبا من الكتل الصغيرة . ● أوري افنيري : لو كان لنا دستور ، لكانت المحكمة قضت برفض هذا التعديل اوتوماتيكيا ، ... ولذلك فانه ينتشر بين صفوف الشباب شعور بعدم وجود اي احتمال لاحلال تغيير في الدولة بالطرق البرلمانية والديموقراطية ، و« ان اللبيب من الاشارة يفهم » . ● مناحيم باروش : « بهذا الاسلوب المقترح ، يحتمل جدا ان يحصل المعراخ على ٤٥ — ٤٨ ٪ من مجموع الاصوات ، ورغم ذلك يحصل على ٦١ — ٦٢ متعددا في الكنيست » (معاريف : ١٩ ، ٧٢/١٢/٢٠) .

اسرائيل — افريقيا
فصل جديد من « سفر الخروج »

ارتفع عدد الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل الى خمس دول ، اذ « بعد اوغندا .. قطعت تشاد علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل » (راجع العدد ١٧ من مجلة « شؤون فلسطينية ») ، وبعد اوغندا وتشاد ، قطعت الكونغو برازافيل — في اليوم الاخير من السنة الماضية — ثم النيجر ومالي — في الاسبوع الاول من السنة الجديدة — علاقاتها مع اسرائيل، وبدأت ادعاءات العدو و« تفسيراته » حول دوافع هذه « الظاهرة الافريقية » — التي لم تعد « ظاهرة » — تتهاوى واحدا تلو الاخر .

في البدء ، اثر طرد الرئيس الاوغندي عيدي امين للاسرائيليين من بلاده ، منهيا علاقاته — وليس فقط « علاقاته الخاصة » — مع دولة العدو ، كان الاسرائيليون يعزون أنفسهم بالتركيز على ثلاث نقاط صاغوها بعبارات مختلفة، وكانت فحواها كالتالي :

- ان عيدي امين رجل « متقلب وغريب الاطوار ».
- ان قطع علاقات اوغندا مع اسرائيل ، مجرد حدث ولا يشكل بداية مرحلة جديدة في العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، وهو بذلك لا يختلف عن قطع غينيا لعلاقاتها مع اسرائيل سنة ١٩٦٧ .
- ان موقف رئيس اوغندا من اسرائيل ليس فشلا للسياسة الاسرائيلية ، حيث ساعد على « تمرير » هذا الادعاء طرد امين للاسيويين من بلاده . وكانت غولدا مئير آخر من ردد هذه النغمة من المسؤولين الاسرائيليين — قبل طرد اسرائيل من تشاد — حيث قالت في نادي « بيت برنر » في تل ابيب « انها لا تعتبر موقف رئيس اوغندا من اسرائيل بمثابة فشل بأي شكل من الاشكال .. وان حكومة اوغندا طلبت قبل طرد الاسرائيليين ببضعة أسابيع ، ان تمنحها اسرائيل طائرات فانتوم ، ولم تستطع اسرائيل كما هو مفهوم الاستجابة الى هذا الطلب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/١٣) .

وعندما قطعت تشاد علاقاتها مع اسرائيل ، بدأ الاسرائيليون يرددون ادعاءهم بأن « الرشوة » هي الدافع الاساسي وراء خطوة تشاد هذه ، حتى بعد ان صرح الرئيس التشادي فرانسوا تومبالباي «انه لا اساس من الصحة للانباء القائلة ان قطع العلاقات مع اسرائيل قد تم بسبب ضغط من جانب دولة معينة او نتيجة للرشوة » ولدعم اقواله ، قال رئيس تشاد « ان قطع العلاقات مع اسرائيل قد كبد تشاد خسائر باهظة وألحق ضررا بالمشاريع التي خطط لاقامتها في العام المقبل » — الحالي — (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٧) .

مع ذلك « اضيئت انوار الانذار الحمراء ، فوق أسماء عشر دول افريقية تقريبا » فبدأت التخوفات الاسرائيلية من حدوث انهيار في علاقاتها مع دول افريقيا تظهر للعيان ، عبر العديد من المقالات التي نشرتها صحف اسرائيل في الشهر الماضي .

وكتب دان مرغليت ، في جريدة هآرتس ٧٢/١٢/٨ مقالا بعنوان « سواد في افريقيا » قال فيه : « ان الصعوبة الاساسية هي في غرب القارة الافريقية ، وبشكل خاص فان الحساسية تظهر في الدول التي سكانها من المسلمين ورؤساؤها مسيحيون . وبعد سنتين من ظهور معمر القذافي زعيم ليبيا على المنصة السياسية ، بدأت اسرائيل تعي انها في صراع مزدوج على الجبهة الافريقية : ضد المال وضد الاسلام » . وتابع مرغليت : « في مواجهة الاسلام ، اعملت اسرائيل وسائل الشرح والتوضيح . ويمكن الافتراض ان اسرائيل تحاول ان تشرح في عدد من العواصم ضرورة الفصل بين الدين والدولة ... وتظهر قدرة القذافي — وبعده فيصل — في استغلال الاسلام لاهداف سياسية ، لدى مقارنتنا لعلاقات دول افريقية مختلفة مع اسرائيل ، حيث لا يقرر غنى الدولة في الغالب لعلاقتها مع اسرائيل بل يقرر ذلك تركيبها السكاني، والدول التي فيها مسلمون كثيرون ، هي الدول المعدة للاشكالات الدبلوماسية » . « رغم ذلك — تابع مرغليت — فان قضية المال ظلت هي السلاح الاساسي في يد حاكم ليبيا ، الذي جر ملك السعودية الان لمنافسته على كسب الافريقيين للعمل ضد اسرائيل » . وبعد شتم « رؤساء القبائل الافريقية الذين أصبحوا رؤساء دول » وكذلك « حكومات الالتزام الافريقية » انتهى مرغليت الى القول بأنه « لا بديل امام اسرائيل عن « معالجة » ليبيا ، التي هي محرك كل النشاطات المناهضة لاسرائيل » .

واذا كان الصحافيون والمعلقون الاسرائيليون قد

عبروا عن تحذيراتهم عبر مقالات وافتتاحيات في الصحف ، فان السلطة الاسرائيلية حاولت استباق الاصابة ، لمنعها ، بالعلاج الذي جاء على شكل تخفيض بنسبة كبيرة لحجم ممثلياتهـا في الـدول الافريقية . وقد قال مراسل اذاعة العدو اريبه مايكل عبر احد برامج اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٣) : « .. مع هذا فيجب ان نذكر ان قرار اسرائيل بتقليص وجودها في النيجر كان من قبيل استباق الضربة على غرار المحاولة التي جرت في الكونغو برازافيل لتقليص الوجود الاسرائيلي ، وذلـك بهدف الحيلولة دون قطـع العلاقات ، تلك المحاولة التي لم تنجح ، ويبدو ان نفس الامر قد تكرر في النيجر » .

وازاء ازدياد مد هذا التيار الافريقي ، عاد معلقو اسرائيل الى وجهة النظر الاسرائيلية الاولى ، مع بعض التعديل والاضافات ، التي كشفت عن حرص الاسرائيليين علـى استبعاد اي تفسـير لهـذه « الظاهرة » تشتم منه رائحة يقظة افريقية على حقيقة هوية اسرائيل العنصرية وانكشاف حقيقـة دورها في افريقيا كما في الشرق الاوسط . وقـال البروفيسور الاسرائيلـي دان افني سيغـرت ، (المصدر السابق) : « اننا نشاهد ظاهرة قطع العلاقات بيننا وبين دول كالكونغو برازافيل وتشاد ، التي تبيع اسرائيل لانها لا تملك شيئا آخر تبيعه » . وعلى عكس راي دان مرغليت ، يرى سيغرت انه « كلما كانت الدولة افقر ، وكلما زاد عدد سكانها المسلمين تزداد الاخطار لقطع علاقاتنا الدبلوماسية معها » . وقدم سيغرت « تفسيرا » جديدا لتدهور العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، هو « ان افريقيا كوحدة ليست قائمة فهنالك كتل وداخل هذه الكتل توجد خلافات ، ويحتمل جدا انه ينبغي علينا التفكير اكثر بسياسة تتعامل مع افريقيا كأجزاء مختلفة ، وليس كوحدة متجانسة » .

لكن بعد أقل من اسبوع علـى اعتبار افريقيـا « أجزاء مختلفة وغير متجانسة » ، وتجاهل حتى مجرد وجود « منظمة الوحدة الافريقية » جاء قرار مالي بقطع علاقاتها مع اسرائيل ، وهو القرار الذي تضمنه بيان مالي رسمي ، واظهرت فيـه تضامنها مع الشعوب العربية ، واستنكارهـا لسياسة اسرائيل « التي ترفض في تعنت الامتثال للقرارات العديدة التي اتخذتها الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة ومجلس الامن ومنظمة الوحدة الافريقية ، والتي تطالب بالجلاء عـن الاراضي العربية المحتلة » ... وتابع بيـان حكومة مالي الذي وزع يوم ٧٣/١/٥ : « ولكي تظهر حكومة مالي استنكارها وتضامنها مع الشعوب العربية قررت قطع كل علاقاتها الدبلوماسية والقنصلية مع دولة اسرائيل ، ويراد بهذا القرار الذي يتفق مع روح ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ان يكون مرة اخرى دليلا محددا على ارتباط شعب مالي وحكومتها بكل الشعوب التـي تناضل من اجـل استرداد استقلالها وحريتها في ظل عـالم منشود يسوده السلام والعدالة بين البشر والامم » .

عماد شقور

توضيح من الدكتور محجوب عمر حول مقاله في العدد الماضي

وردتنا الرسالة التالية من الاخ محجوب عمر حول المقالة التي نشرتها له شؤون فلسطينية في العدد السابق . واننا اذ ننشر هذه الرسالة نعرب عن اعتذارنا للدكتور محجوب على التغييرات التي تمت في المقال دون علمه بسبب ضيق الوقت . ومن ناحية ثانية ، فاننا نؤكد ايماننا بأن الحديث عن فتح هو في الوقت ذاته حديث عن الثورة الفلسطينية ، وبالتالي فان استبدالنا لبعض الكلمات لم يكن يعني بالنسبة لنـا الا تجسيدا لهذا الايمان .

السادة هيئة تحرير مجلة شـؤون فلسطينية :

تحية الثورة . فوجئت عند مراجعتي لنص المقال المعنون « رؤيا المستقبل » المنشور في العدد (١٧) كانون ثاني يناير ١٩٧٣ ان هناك تغييرا عن الاصل الذي سلمته لكم وما زلت احتفظ بنسخة منه . وينحصر التغيير في استبدال كلمة « فتح » بكلمة الثورة في كل جملة ترد فيها او تلغيها تماما وتضيف الجملة إلى ضمير موصول . والامثلة على ذلك : **ص ٦٠** ولقد اختارت « الثورة » الطريق الطويل وفي الاصل لقد اختارت « فتح » الطريق الطويل . ولم يكن اختيار «حركة الشعب طويلة الامد» وفي الاصل ولم يكن اختيار « فتح » لحرب الشعب. **ص ٦٢** واكدت ما طرحناه وفي الاصل واكدت ما طرحته فتح . **ص ٦٢** واكدت ما طرحته الثورة من ان الطريق الى الجماهير العربية وفي الاصل أكدت ما طرحته « فتح » . **ص ٦٣** اعباؤنا زادت بقدر ما أصبحت الثورة اطارا وفي الاصل بقدر مـــا اصبحت « فتح » . ولم ترد كلمة « فتح » الا عندما عجز رافعها عن رفعها او ربما تركها عمدا اذ وردت بين اتهامات معارضيها عام ١٩٦٥ .

لقد فاجأنني هذه التغييرات وحاولت ان اجد لها تبريرا يتفق وما كنت اظنه عن امانة مجلة شؤون فلسطينية ، فلم استطع ، فالتغيير متعمد ولا يمكن ان يكون خطأ مطبعيا وهو بهذا الشكل لا يتفق وما عرف في دوائر النشر من امانة ولا مع ما تعلنه المجلة على صفحتها الاولى من ان الآراء المنشورة تعبر عن وجهة نظر كاتبها . الا ان يكون السيد « المبدل » قد فرض نفسه وصيا ومصححا حيث لا مجال لوصاية او تصحيح . وفضلا عن هذه القواعد المعروفة في التعامل بين كاتب وناشر فان التصحيح (تأديا) خطأ فكري فاحش .

فلا شك انه مما يبعث الفخر في قلب كاتب من « فتح » ان يرى انسانا يطابق بين « فتح » وبين الثورة لدرجة يعطي لنفسه الحق في تبديل الكلمتين. ولكن الامر لا يتعلق بمشاعرنا الذاتية بقدر ما يتعلق بمسؤوليتنا الثورية . عندما نقول « فتح » فاننا نعتز بذلك لا شك وفي نفس الوقت فاننا نعلن مسؤوليتنا الكاملة عن الخطأ وعن الصواب خلال ممارساتنا ولا نلقي بهذه المسؤولية على (كيان) لا يمكن تحديده او على ثوار غيرنا في صـــفوف الثورة الفلسطينية .

والثورة فيما أفهم هي حركة تغيير تاريخية تتطلبها وتحتمها الضرورة التاريخية وتعبر عن نفسها بعدد من الافعال الواعية والعفوية المنظمة وغير المنظمة. « فتح » هي بلا شـك اكبر الافعـــال في الثورة الفلسطينية واكثرها وعيا وتنظيما ولكننا لا ندعي التفرد في الطريق كما لا ندعي التنبه لكل متطلباتها. من هنا نحرص على ان نقول « فتح » حرصنا على ان يظل للثورة الفلسطينية اداة منظمة لها قدرة التغيـــير الارادية في مجرى الاحداث اليوميـــة والمرحلية . وعندما تتطابق الممارسة الارادية مع الضرورة التاريخية تتطابق بلا شك التسميات . ولكننا مع استخدامنا لها نحرص في كل وقت على ان نذكر بالوجود التنظيمي المتمايز داخل الحركة اليومية والتاريخية العامة . والا فان تمييع هذا التمايز التنظيمي يؤدي حتما الى تمييع عام لكل الحركة الثورية والتي تتكرس العفوية فيها فضلا عن استحالة التقييم والحساب . ومع ان نشر رسالتي هذه لن يلحق بكل قراء العدد الماضي الا انه سيخفف قطعا من وطأة الظن بأمانة النشر في مجلتكم . وانها لثورة حتى النصر .

محجوب عمر

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليـــة التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

مع كل عدد من « شؤون فلسطينية » رقم ١٩

هـــدية

فهـارس

شؤون فلسطينية

السنتان الاوليان

١/٣/ ١٩٧١ – ١/٣/ ١٩٧٣

(الاعداد الثمانية عشر الاولى)

تسهيلا للقراء في ايجاد مادتهم المطلوبة من أعداد « شؤون فلسطينية » الثمانية عشر الأولى ، اعدت المجلة فهرسا مفصلا في خمسة أقســـام :
(١) الكتّاب (٢) المواضيع (٣) المراجعات (٤) المؤتمرات (٥) الشهريات.

Palestine Affairs

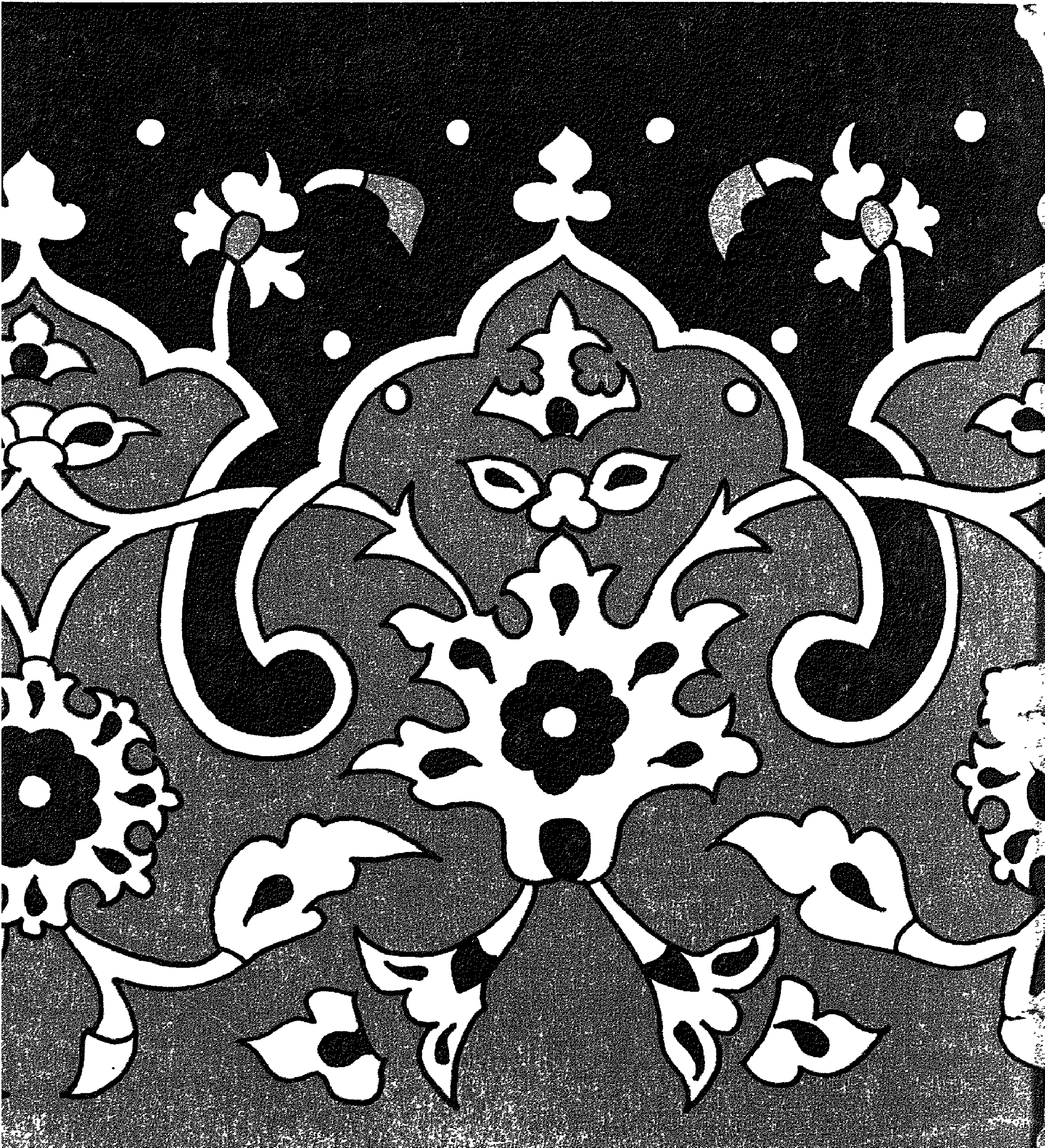
Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢١/٢ ل.ل. في الوطن العربي او ما يعادلها

شؤون فلسطينية

١٩

آذار (مارس) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

١٩ آذار (مارس) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢½ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

ملاحظة : الدولار الاميركي يساوي ٣ ل.ل.

صورة الغلاف : نقشة عربية من جدار قبة الصخرة المشرفة في القدس .

المحتويــات

شؤون فلســطينية

الدكتور انيس صايغ

تستقبل شؤون فلسطينية اليوم عامها الثالث . ويتساءل المرء ، وهو يقف على عتبة هذا العام الجديد ، التساؤلات نفسها التي يوجهها أبناء الشعب الفلسطيني والكثيرون من اخوانهم العرب في مطلع كل عام جديد عما هو قدر شعبنا ونضالنا في هذا العام ، وعما يحمله لنا الغد من مفاجآت . وبالطبع ، لا تبعث المؤشرات البارزة ، لا الدولية ولا العربية ولا المحلية ، على التفاؤل . فالجــو ملــوث بالتسويــات وبالاستسلامــات وبالانحرافات . وخيوط المؤامرة ضد ثورتنا الفلسطينية العربية تحاك من جديد وبدهاء وبضراوة أكثر من السابق . ويتفاقم خطر التحالف الشرير بين الصهيونية والاستعمار والرجعية ضد ثورتنا ويسفر التآمر المثلث عن وجهه بشكل اوقح مما اختبرناه طيلــة نضال ربع قرن من الزمان .

لكن هذا كله مجرد جزء من قدرنا . الجزء الاخر ، والاهم والاكثر فاعلية في النهاية ، هو عزمنا على التصدي للمؤامرات ، وارادتنا على الاستمرار في الثورة حتى النصر . وكلما ازدادت المخاطر حول مسيرتنا ازدادت هذه المسيرة تصميماً على المجابهة وعلى ابقــاء راية النضال مرفوعة من يد شهيد الى يد شهيد ومن يد جيل الى يد جيل .

ودور شؤون فلسطينية ، في هذا العام الجديد ، هو دور المقاتل الفلسطيني الثابت في الساحة . انها تعاهد زميلاتها من مؤسسات الثورة ، وتعاهد الشعب الفلسطيني الذي من أجل استعادة حقوقه وتحقيق أمانيه تقوم الثورة ، وتعاهد الجماهير العربية التي تلتحم مع الثورة وتشكل امتدادها الطبيعي في ارجاء الوطن العربي ، تعاهد الجميــع بأن تكون في هذا العام ، وهي بعد في سن الطفولة التي تحتاج الى المزيد من الخبــرة والجديد من التجربة ، سلاحا ماضيا في يد الثورة ضد الصهيونية وضد الاستعمار وضد الرجعية ، سلاحا ينزل بالعدو من الضربات ويوقع به من الخسائر ما لم يعهده العدو من قبل من مجلة لا تزال في مطلع حياتها .

عام شؤون فلسطينية الثالث هو نفسه عام الثورة الفلسطينية التاسع : ملاحقة للعدو ومنازلة مع العدو ، وفي النهاية ، في عام قريب او بعيد ، انتصار على العدو ، وعودة مظفرة لجيل من الفلسطينيين الى أرض فلسطين .

من فيتنام الى فلسطين

الدكتور كلوفيس مقصود

يسود اعتقاد في اوساط اكثر الانظمة العربية ان الوقت قد حان ان تنقل الولايات المتحدة اهتمامها من جنوب شرق اسيا الى الشرق الاوسط . ويترسخ هذا الاعتقاد بسلسلة من التصرفات تقوم بها هذه الانظمة بغية تشجيع الولايات المتحدة على القيام بما يسمى « مبادرة » من أجل تحقيق « التسوية السلمية » على أساس تنفيذ بنود قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، هذا يعني بادىء ذي بدء ان السلوك العربي الرسمي في هذا المضمار يضع كحد اقصى للطموح العربي المشروع تنفيذ بنود قرار مرفوض من الثورة الفلسطينية ومن القوى الشعبية العربية ، وتجيء خاتمة النزاع العسكري في الفيتنام وكأنها الفرصة المناسبة من أجل دفع الولايات المتحدة نحو التوجه الى « وضع ثقلها » الدولي في استخراج الحلول المناسبة التي تنقذ هذه الانظمة حتى تتمكن بدورها من الاسهام الفعلي بالمحافظة على المصالح النفطية والاقتصادية الاميركية في المنطقة . هذا يعني ان هذه الانظمة العربية تعمل على «اغراء» الولايات المتحدة بأن تقوم بتحرك دبلوماسي ضاغط على اسرائيل بالذات من شأنه ان يفوت على الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي فرص النشاط الفاعل والتملك الحقيقي على مجرى الاحداث . اي بكلام اوضح فان الانظمة العربية المشار اليها تغري الولايات المتحدة من اجل ان يكون بمقدورها « تسويق » مساوماتها على اسس القضية الفلسطينية عند الجماهير ولو الى فترة .

هذه الانظمة العربية والدوائر المحافظة والرجعية الدائرة في فلكها تنطلق في سلوكها وتحركاتها من قراءة خاطئة لما حصل في الفيتنام من حيث أنها تتصور ان الولايات المتحدة تملك الحل للقضايا المستعصية وبالتالي فان مهماتها تكمن في أن توجد للشرق الاوسط حلا لازمتها مثلما « أوجدت » حلا للازمة في فيتنام . واذا نحن اكدنا ان هذه القراءة الخاطئة تستهدف القيام بحملة تضليل على الجماهير العربية لادركنا ان اولى هموم هذه الانظمة والدوائر العربية هو أن لا ينتقل « عدوى » الثورة الفيتنامية الى الدائرة العربية وما ينطوي عليه هذا الانتقال من احتمالات تغييرات جذرية في واقع المجابهة المصرية مع اسرائيل والمحور الامبريالي ـ الصهيوني وما يستتبع هذه التغييرات بالضرورة من تغيير محتوم في أدوات المجابهة وأجهزتها . كما ان القراءة الخاطئة لاحداث فيتنام تستهدف تغييب التجربة الثورية الفيتنامية عن بصيرة الجماهير العربية من خلال حملة اعلامية نفسية مفتعلة تصور الاتفاقية التي حصلت في الفيتنام دليلا على استحالة صيرورة كل « الاهداف الثورية » في حال تصادمها مع احدى القوتين العظميين ـ وخاصة الولايات المتحدة .

وتومي هذه الحملة الاعلامية والنفسية الى ان الذي يتحكم بالازمات الاقليمية ليست الارادات الاقليمية نفسها بل المعادلات الدولية المستجدة خاصة المعادلة الستراتيجية القائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ويتوخى هذا الايماء بأن تترك

الجماهير العربية لهذه الانظمة حرية التصرف والمناورات من خلال تضاريس المعادلات الدولية القائمة واستخلاص ما باستطاعتها من « تنازلات » تؤمن ما تتصوره وما تعمل على تصويره بكونه « مصالحنا القومية » . فالى جانب اشاعة النزعة الاتكالية فان هذه الحملة الاعلامية والنفسية تؤدي في حال نجاحها الى حجب الجماهير تدريجيا عن فرص الفعالية والمشاركة من خلال السعي الى تيئيسها من جدوى التعبئة والتنظيم والتحرك الثوري . يضاف الى ذلك ان الغوص في العمل الدبلوماسي من شأنه طمس معالم المفارقات بين اهداف الانظمة المحافظة ـ الرجعية واهداف الانظمة الوطنية اذ أن التهافت على السلوك الدبلوماسي يفقد التمايز الفعلي القائم في الدوافع السياسية لهذه الانظمة . بكلام اخر فان الاقحام الدبلوماسي من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن يضع حتى ما يمكن اعتباره من متباينين واضداد في اطار واحد على الاقل مرحليا .

لكن هل يعني ان الثورة الفلسطينية ـ وقوى الثورة العربية ـ هي بالضرورة ضد أي تحرك دبلوماسي خاصة وانه باستطاعة الانظمة العربية وغير الانظمة استحضار Invoke السوابق والشواهد على بعض انجازات الدبلوماسية للثورات . وهذا صحيح اذا نحن ادركنا ان الثورة لها دبلوماسية من صلب مخططاتها المتعددة الابعاد والوجوه . الا انه يجب التثبت في حال اللجوء الى السبل الدبلوماسية ، من انها منبثقة عن خط ثوري وليست كما هي الحال في اوضاعنا الراهنة بديلا للثورة او عملية اجهاض لها .

وماذا نعني بالدبلوماسية الثورية او بدبلوماسية الثورة ؟ هي بداهة تعني الدبلوماسية الساعية لتحقيق اهداف الثورة . هذا يعني بالضرورة انها دبلوماسية ثورية ايضا من حيث أنها عملية حوار تفاوضي لا تباشر مهامها الا اذا ضمنت شروط تحقيق اهدافها المرحلية او النهائية ، وهي تسلم بأن دورها المفاوض لا يكون مجديا ما لم يسبق هذا الدور ويلازمه « حوار » قتالي مع العدو . هكذا نجد انه في هذا المضمار استهدفت دبلوماسية الثورة الفيتنامية ـ ودبلوماسية فيتنام الديمقراطية ـ أن يتخلى الاميركيون الاستعماريون وعملائهم في جنوب فيتنام لا عن مواقفهم فحسب بل عن بنية كيانهم القائم. ولم تكن الثورة الفيتنامية لتتمكن من توفير الشروط الملائمة لتحقيق مثل هذه الاهداف الستراتيجية لها لو لم يسبق موقف التفاوض حسم من قبل قيادة الثورة الفيتنامية فيما يتعلق بالتزام حرب التحرير الشعبية وما يترتب على ذلك من تحصين ذاتي ضد محاولات التحريف التي يلجأ اليها النظام الدولي عندما يعمل على افتعال حالة «استقرار» على حساب اهداف الثورات المشروعة .

يتبين لنا أن استراتيجية التحرير الكامل تفرض ان يكون ملازما للحوار القتالي مع المحور الامبريالي ـ الاسرائيلي استعداد دائم للحوار التفاوضي في مراحل تستوجب المفاوضة لاجل ازالة بنية الكيان الصهيوني وبناء التركيب البديل ـ أي فلسطين الديموقراطية العلمانية . الا أن هذا الهدف الستراتيجي لا يجيز اتباع منهج تفاوضي الا في المرحلة التي تكون الثورة الفلسطينية ـ والعربية ـ قد تمكنت من انضاج الاوضاع بحيث يصبح العدو مضطرا للتفاوض من أجل ازالة الكيان الذي سبب العداء وبالتالي مساهما في تنفيذ اهدافنا المشروعة في التحرير الكامل لفلسطين . الا ان هذا يستوجب ايجاد تغيير في موازين القوى القائمة في المنطقة .وهذا يعني تغييرا كيفيا في الواقع العربي يؤهله ان يباشر بالعمليات ـ العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ المطلوبة من أجل ترجيح قوة العرب فعليا في مجابهتهم المصيرية مع المحور الاميركي ـ الاسرائيلي . هذا التغيير الكيفي المطلوب يضع قوى الثورة العربية ـ والفلسطينية ـ بحالة افتراق وتباين وتناقض مع معظم الانظمة العربية وخاصة مع التي توافق على الحلول السلمية المعروضة . الا اننا هنا لسنا بصدد استشراف الصيغ للمعالجات

الشاملة الا من حيث أن رسم خطوطها العريضة يؤكد الالتزام الستراتيجي الذي يتحكم بمواقفها الانية والمرحلية والذي على ضوئه — وفي خدمته — نقيم الظروف والاوضاع التي نواجهها في هذه الفترة الانتقالية الدقيقة التي نمر بها .

يبقى نقطة أساسية من حيث اعتماد الثورة للدبلوماسية الثورية . وهنا يبدو النموذج الفيتنامي واردا جدا بمعادلاته المسلكية وان يكن من الضروري مراعاة المفارقات الموضوعية والظرفية . وهذه النقطة تتعلق بالعلاقات القائمة مع حلفاء متناقضين . في هذا الموضوع نجد كيف ان الثورة الفيتنامية عندما باشرت في تصديها الاصطدامي المباشر مع الامبريالية الاميركية وجدت نفسها متحالفة عقائديا وعسكريا وسياسيا مع حليفين اخذت بوادر التفكك تتزايد وتنمو بينهما . ففي أثناء احتدام العمليات العسكرية مع الوجود الاميركي النامي كانت تنمو في الوقت نفسه التناقضات الجغرافية والمذهبية بين الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي . ورغم هذه المفارقة الخطرة تمكنت قيادة الثورة الفيتنامية أن تبقي مسيرتها بمنأى عن التأثيرات السلبية الناتجة عن مثل هذه التناقضات خاصة وان المذهبية الماركسية اللينينية التي تشكل الالتزام المبدئي والسلوكي للتنظيم الفقري للثورة كان سيجعلها اكثر انغماسا في جو هذه التناقضات . الا ان الخط اللينيني أثناء مسيرة التحرر يعطي مناعة للثورة ويجعلها قادرة ان تخضع تناقضات لمستلزمات مسيرتها . فما دامت الثورة الفيتنامية قد عبأت قواها الذاتية وحققت في دوائرها المحررة القدر الكافي من التغيير الجذري في البنية الاجتماعية فهذا يعني أن استقلالها الفعلي يستجلب من كافة القوى المناهضة للامبريالية ان ترى الساحة الفيتنامية موقع التقاء وتفاعل لها وليس موقع تنافس أو تناحر . ورغم ما أوجد التناقض الصيني — السوفياتي من متاعب ادارية من حيث وصول المساعدات السوفياتية الا أن التلاحم المصيري مع الصين وحاجة الفيتناميين للمساعدات السوفياتية جعلهم يصرون على تجاوز هذه المفارقات وجعلهم في نهاية الامر يفرضون على الصين والاتحاد السوفياتي ترك تناقضاتهما عند حدود الثورة الفيتنامية. كما أن مزاولة النشاط الثوري المنجز بشكل مثابر جعل الثورة الفيتنامية مصدقة عند كل حلفائها بأنها تصر على محالفاتهم ومساعدتهم لكن دون الدخول بشكل من الاشكال في منازعاتهم . ولم تقتصر الثورة الفيتنامية على حصر تحالفها بالمعسكر الاشتراكي والصين فحسب بل أنها اكدت باستمرار رغبتها وتصميمها على اعتبار عدد من قطاعات العالم الثالث حلفاء لها وان كان بنسب متفاوتة.
ومن الملاحظ انه عندما كانت تحتد النزاعات السوفياتية — الصينية او الصينية — الهندية كانت فيتنام الديمقراطية والفيتكونغ يبرزان علاقاتهما مع كافة هذه الاطراف ويشددان على كونهما بدورهما متوحدين في تصديهما للامبريالية الاميركية في جنوب شرق آسيا .

يتراءى لنا اذن ان الدبلوماسية الثورية تستطيع أن تنتزع من حلفاء مختلفين او متناقضين تجاوز التناقض في موقع الثورة ولاهداف الثورة . هذا بدوره يساهم في تحديد وجهة السير للدبلوماسية الثورية التي يجب ان نعتمدها من حيث اتباع نهج يمكننا من ابقاء الثورة الفلسطينية خاصة — والثورة العربية عامة — بمنأى عن كل الخلافات والمنازعات التي ترزح تحت وطأتها القوى المناهضة للامبريالية في المعسكر الاشتراكي وفي العالم الثالث . فما دام باستطاعتنا ان نجعل دائرة ثورتنا القومية التحررية العامة موقعا تلتحم عنده كل القوى المصطدمة مع الامبريالية والصهيونية تتضائل عندئذ تناقضاتها على الاقل في دائرة الاصطدام التي نشكل نحن الطرف الثوري التحرري فيها .
في هذا المجال يتبين لنا اهمية التجربة الفيتنامية كاحدى النماذج الناجحة في أنتهاج الدبلوماسية الثورية مع حلفائها وما يتعين على هذا من تحديد مواقف وفي أنتهاج دبلوماسية ثورية مع الأعداء من حيث ان الحوار القتالي ينطوي بالضرورة على استعداد

للحوار التفاوضي من أجل تفكيك كيان الذي سبب القتال الثوري واستبداله بالبنية المناسبة للاهداف الثورية والقومية المشروعة . هذا لا ينفي ان يكون هناك فروق هامة في نواحي التركيز على أولويات بين حلفائنا من حيث الحاجات المادية او التناسق المذهبي الا ان ما هو وارد في هذا الخصوص هو أن لا نجعل اولوياتنا داخل تحالفاتنا مدخلا للانحراف عن اولويات نضالاتنا المباشرة . ولا أحد ينكر صعوبة مثل هذا النهج في ظرف كانت القوى العالمية المناهضة للامبريالية تبدو وكأنها أقل اهتماما في تقويض معالم الاستعمار وركائزه مما هي في تصفية حساباتها المصلحية والمذهبية . الا انه لن يكون بمقدورنا في مطلق الاحوال أكثر من الاقتداء بالمنهج الفيتنامي في هذا الشأن لانه يبقى سابقة جديرة بأن نسترشد بها في تحديد صيغ العمل لدبلوماسية الثورة .

الا ان التحدي هو الان في هذه المرحلة التي ينتقل اهتمام العالم من فيتنام الى معالجة القضية الفلسطينية . لذلك يتوجب علينا على ضوء التزاماتنا الستراتيجية لهدف التحرير ان نحدد تقييمنا نحن في مواجهة القراءات الخاطئة عن قصد وعن غير قصد من جهة وعلى تفنيد فوري لمبررات ودوافع ما أسميناه بالتهافت الدبلوماسي نحو الحلول السلمية . لقد كان هرع الملك حسين الى واشنطن فور توقيع اتفاقيات الهدنة بين الاطراف المتنازعة في فيتنام دليلا على أن القوى الرجعية العربية الضالعة مع المحور الاميركي — الاسرائيلي في المنطقة تعمل على الاستفادة من « مناخ المسالمة » العام من أجل تليين الموقف الاميركي . وهذا يقضي ان تبرز الانظمة العربية وكأنها عاجزة عن الحل ولكنها تنتظر من الولايات المتحدة باعتبار ان « مفتاح الحل بيدها » ان تضغط على اسرائيل بأن تتخلى عن مواقعها المتقدمة حتى تتمكن هذه الانظمة من ابقاء الحالة العربية سهلة الارتهان للمصالح الاميركية بما في ذلك مصلحة الولايات المتحدة في بقاء اسرائيل اداة ضاربة في حالة تهدد مصالح الولايات المتحدة النفطية والستراتيجية والاقتصادية . الا أن الملك حسين ، كما بدا في زيارته الاخيرة لواشنطن ، أوضح الخط البياني للحل السلمي الذي يسلم بالشروط الاسرائيلية الجوهرية لا الشروط الشكلية التي هي دائما مجال المساومة ، الا ان هذا الخط يحظى بالموافقة الضمنية من قبل أكثر الذين تتواجد عندهم المصالح النفطية والاقتصادية للولايات المتحدة . هذا بدوره يعني ان عددا من الانظمة المحافظة تدعم وتساند سياسة تليين الولايات المتحدة دون أن تبدو في الجولة الاولى وكأنها مشاركة بشكل مباشر فيها . اذ أن هذه الانظمة المحافظة التي بمقدورها أن تحول طاقاتها النفطية والاقتصادية الى عقوبات ضاغطة على الولايات المتحدة تختار أن تجعل من هذه الطاقات مدخلا للمزيد من الترابط الاقتصادي المستقبلي دون اعطاء الاعتبار الاولي لظروف الهدف القومي في فلسطين . من هنا تتشكل القناعة بأن الملك حسين وان بدا منفردا في مواقفه الا أن الولايات المتحدة تدرك أنه ليس معزولا وبالتالي فانها ستكون حريصة على تلبية المطالب الشكلية لهذه الانظمة حتى تتمكن من استبقاء مكاسب المحور الاميركي — الاسرائيلي الجوهرية في المنطقة ، الا أن هذه العلاقة العضوية بين نظام الملك حسين وعدد من الانظمة المحافظة تصبح أكثر وضوحا ابان اقتراب امكانيات تنفيذ « الحلول السلمية » بموجب قرار مجلس الأمن . ورغم ان الملك حسين قد يكون انفرد باتصالاته مع واشنطن الا أنه لم يتفرد وهنا مكمن الخطورة في الدور الذي يقوم به من أجل استعجال مبادرة اميركية لاحلال « السلام » في الشرق الاوسط . التفرد بهذا المضمار يعني القيام بمهمات بدون موافقة مسبقة أو ضمنية بينما الانفراد قد يكون من ضمن خطة حاصلة على موافقة الانظمة المحافظة على الاقل .

ورغم اننا نعفي الانظمة المحافظة من المشاركة المباشرة في مهمات الملك حسين الحالية في واشنطن من حيث انفراده بها الا أن هذا لا يعفي هذه الانظمة من كونها ساهمت في التمهيد لمثل هذه المهمات وفي مساندتها واعطائها لهذه المهمات وزنا معينا . الا أنه يجدر

التنويه ايضا بأن الانفراد المشار اليه كان من ضمن خطة تسعى الى ابقاء الانظمة المحافظة في وضع يمكنها ان تظهر وكانها حلقة وسيطة بين مهمات الملك حسين وبين الانظمة الوطنية الرافضة لسياساته ولاهليته بتمثيل اي قطاع عربي . من هنا تظهر جليا نقاط الالتقاء بين الثورة الفلسطينية وبين الانظمة الوطنية اذ ان تحالفهما القائم في هذا المضمار وما ينتج عنه من تقييم متشابه للمرحلة قد يساهم في تفويت — او بالواقع يفوت — على الملك حسين مجالات الظهور كمحاور لاية فئة عربية مع اية جهة دولية . الا ان نزع الاهلية بهذا الشكل القاطع لا يكون بالسهولة التي نأملها وهنا يصير دور الانظمة المحافظة في التصرف وكأنها حلقات وسيطة ، مرئيا وواضحا . فماذا رضخت الانظمة الوطنية او قبلت ان تضفي على الانظمة المحافظة سمة «الحلقة الوسيطة» بحكم اضطرارها الى المهادنة او حاجاتها للمساعدات المادية او تقديرها ان امكانياتها محدودة من التصدي للانظمة المحافظة في الاوضاع الراهنة فان هذا يعني ان الانظمة الوطنية تسعى الى «الحل السلمي» لكن بشروط اقرب الى البنود المطلوب تنفيذها اي الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة وتسوية « ما » لحقوق اللاجئين (الفلسطينيين) .

بكلام آخر فان الانظمة الوطنية تختلف بدوافعها السياسية في سعيها للحل السلمي عن النظام الاردني وعن الانظمة المحافظة ، الا أنها تتوحد معها من حيث ترجيح « الحل السياسي » على الحلول الثورية الاخرى . في هذا المضمار تنطلق الانظمة الوطنية في مسعاها الدبلوماسي — وليس في تهافت دبلوماسي — نحو تقوية عناصر تفاهمها مع الاتحاد السوفياتي على اعتبار ان هذا التفاهم يمكن أن يشكل عامل ضغط اضافي نحو تحقيق الحد الاقصى من الممكن تحقيقه في تنفيذ قرار مجلس الامن . الفرق الاساسي في هذا المضمار بين الانظمة المحافظة والانظمة الوطنية هو أن الاولى تضع نفسها بحالة انقطاع عن البعد السوفياتي — أو بالاحرى العامل السوفياتي — بينما الانظمة الوطنية تضع هذا البعد بنسب متفاوتة في صميم حساباتها . السؤال المطروح هنا يصبح كيف تقرأ الانظمة الوطنية حلول السلام في فيتنام ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال الهام لا بد من التسجيل ان القطيعة (أو الانقطاع) للاتحاد السوفياتي الذي يرافق المعادلات الدولية للانظمة المحافظة لا ترافقه قطيعة مماثلة — باستثناء جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والى حد ما العراق — بين الانظمة الوطنية والولايات المتحدة . بهذا الصدد تبرز حركة المقاومة الفلسطينية حاسمة في هذا الموضوع من أنها بحالة قطيعة تامة مع الولايات المتحدة باعتبارها السلطة الامبريالية الاساسية في العالم وفي المنطقة .

يبقى اذن ان القراءة التي تقوم بها الانظمة الوطنية لحلول السلام في فيتنام يشكل عنصرا هاما في كشف المرحلة الانتقالية القادمة في أزمة الشرق الاوسط . باستطاعتنا أن نلاحظ ان ليس هناك قراءة واحدة من قبل هذه الانظمة الا انه من حيث ان مصر هي مركز الثقل العربي داخل الانظمة الوطنية بشكل خاص وفي الواقع العربي بشكل اجمالي فان قراءة مصر للاحداث تشكل نقطة مركزية لاهتماماتنا في هذا الشأن . من هنا تتبين لنا أهمية البلاغ المصري السوفياتي المشترك الذي صدر في العاشر من الشهر الجاري والذي استبق أية محاولة اميركية في ان تقتصر المساعي الدبلوماسية الحالية على الاقتراع بحلول جزئية . لان الموقف المصري — السوفياتي في هذا الشأن يدرك أن ما سمي بالحل الجزئي ليس سوى مدخل من أجل تمكين اسرائيل في الامعان بمراوغتها في تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشكل عام وقرار مجلس الامن بشكل خاص . يتبين لنا من مدلولات البلاغ المشترك المصري — السوفياتي أن مصر قرأت احلال السلام في فيتنام كمنبه لها من أجل تحرير معادلاتها مع الاتحاد السوفياتي من أي لبس أو ارتباك . كما ان الاتحاد السوفياتي اثبت أن الذي يتحكم بعلاقاته مع الدول العربية هو الالتزامات التي تعاقد على تنفيذها اما بموجب المعاهدة التي تربطه مع مصر أو بموجب خطه السياسي العام المساند لقضايا

التحرر العربي على مختلف الاصعدة . كما ان الاتحاد السوفياتي أراد الاشارة الى ان تحمله مسؤوليات تنفيذ التزاماته لا يتأثر بمطلق حال بالتطورات الداخلية للاقطار العربية مع العلم ان هذه التطورات تسهم في تحديد الكثير من مواقف هذه الاقطار تجاه الاتحاد السوفياتي .

لكن الجدير بالذكر أن مصر قرأت تطورات الموقف في فيتنام بشكل جعلهـا تقيم حلول السلام في جنوب شرق آسيا وكأن هذا التطور يساهم بالفعل بترويض الولايات المتحدة لان الذي حصل في فيتنام لا يمكن اعتباره سوى انتصار لقوى الثورة التحررية فيها . واستتبع هذه القراءة الاسلم لتطورات الموقف في فيتنام والهند الصينية أن مصر توجهت نحو تقوية العناصر الثلاثة الرئيسية لامكانيات المجابهة العربية مع اسرائيل : **اولا** تثبيت المعادلة المصرية ــ السوفياتية على اسس صحيحة رغم ان العودة الى واقع المعادلة القائمة قبل ١٨ تموز ١٩٧٢ أصبح صعبا . **ثانيا** ــ مناشدة الاقطار العربيــة المنتجة للنفط ان تخضع هذه الثــروة لاهداف المجابهة ، رغم أن المناشدة كانت أفعــل لو ارتبطت بحركات شعبية ضاغطة أو كانت محصلة وضع متأجج على المستوى القومي . **ثالثا** ــ ترسخ القناعة بأن اسرائيل لن تتخلى عن الاراضي المحتلة الا مــن خلال نمو مصداقية التزام المعركة . ورغم ما اعترى هذه المصداقية من أزمات ثقة الا انها تبقى اكثر الالتزامات جدية في واقع الانظمة العربية . الا ان محصلة المعادلات الراهنة في العلاقات العربية تسهم في ابطاء صيرورة هذه العناصر الثلاثة وبالتالي من توفير الشروط الموضوعية اللازمة لاجتياز هذه المرحلة الصعبة بأقل الخسائر للامة العربية .

الا أن القراءة الاسلم لتطورات الفيتنام التي قامت بها الانظمة الوطنية ــ ومصر على الاخص ــ من شأنه أن يبرز الفروقات بين الدوافع والاهداف السياسيــة للمساعي الدبلوماسية التي تقوم بها هذه الانظمة وبين تلك الانظمة ــ مثل نظـام الحسين في الاردن ــ التي تفسر قرار مجلس الامن بما يناسب المصالح الرئيسية للمحور الاميركي ــ الاسرائيلي . الا أن هذه الفروق رغم اهميتها البالغة لا تكفي من أجل تأكيد الموقف الثوري في هذا المجال وهو يقضي بأنه قد حان وقت الفرز بين الانظمة فاذا ما حسم هذا الموضوع وظل مترددا في القيام بعملية الفــرز فان الثورة الفلسطينية قد تفقد في هذه الحقبة على الاقل فرصتها في تثوير المنطقة من خلال دفع الانظمة الوطنــية نحو النتائج المنطقية لالتزاماتهم وقناعاتهم . لكن تردد أو غموض الموقف الثوري في العمل سيرجح النزعة الذرائعية ــ البراغماتية الواقعية ــ عند هذه الانظمة مما يجعلها تندفع في مزيد من المهادنة مع الانظمة المحافظة وما يترتب على هذه المهادنة من تجميد للموقف عند واقعه المتردي الحالي .

*

الا أن القراءة الأسلم تبقى غير مستوفية بنظرنا لمقتضيات ضرورة القراءة السليمة لحلول السلام في الفيتنام . لقد كانت الهزيمة التي منيت بها الولايات المتحدة في فيتنام هزيمة سياسية ومعنوية بالدرجة الاولى وتعادل نسبي في المجال العسكري . الا أن محصلة الموقف الاميركي بعد فيتنام أوجدت عوامل نفسية جديدة تجاه النزاعات الدولية الباقية من حيث كونها أول هزيمة حقيقية لها . ولعل أهم ما في هذا الامر ان فيتنام الديمقراطية والفيتكونغ لم يبالغا بمعنى الانتصار الذي حققاه لانهما ادركا بأن تأكيد الانتصار يجب أن لا يحصل من خلال اعلان هزيمة الولايات المتحدة بمقدار ما يجب أن يبرز كونها هزيمة لسياساتها . ان احتباس الاعلان عن هزيمة الولايات المتحدة كان مؤداه انه في خلال مسيرة الثورة الفيتنامية التحررية تكونت داخل الولايات المتحدة قوى تصحيحية رأت في هذه الحرب الباطلة التي شنتها بلادهم على شعب الفيتنام انهـا بمثابة تآكل لقيمهم الديمقراطية وتهديدا صريحا لنظام الردع والتوازن بين مؤسسات الحكم . كما ان المثابرة

الدؤوبة والرائعة لشعب فيتنام التي ادت به الى تقديم ضحايا أفرزت، عن شعور عام بالاثم عند قطاع الجيل الجديد الاميركي . ولم يكن هناك أبلغ من التلفيزيون والصحافة التي روجت السلوك البشع الذي قامت به القوات المسلحة الاميركية.وكما اثبت «قرار تونكن» أن السلطة التنفيذية كادت تفرغ السلطة التشريعية بموافقة هذه الاخيرة من سلطاتها الدستورية كذلك فان تجربة الفيتنام أدت الى تعديلات جذرية هامة في داخل الجسم السياسي الاميركي . كما أن حادثة ماي لاي ـ وعددا كبيرا من شبيهات هذه الممارسات المجرمة بحق المدنيين العزل ـ أشعرت الملايين من الاميركيين بالخجل لدرجة صار الافصاح عنه حاجة ملحة عند الشباب . كما ان قطاعات متزايدة من الشعب الاميركي ادركت أن الحملة الاستعمارية في فيتنام كانت تستهدف استبعاد انفجار الحالة الاجتماعية ولجم روح المخالفة التي هي شرط الحيوية الديمقراطية . كما ان « اوراق البنتاغون » (وزارة الدفاع الاميركية) التي كشفها دانيال السبرغ ألقت أضواء كثيرة على الآلية الاجرائية في المؤسسة الحاكمة الاميركية وبالتالي على صحة الكثير مما عانته شعوب العالم الثالث منمآسي واستغلالدون التملك بالوثائقالمدينة والثبوتية الحاسمة. ورغم أن الانتخابات الرئاسية الاخيرة أعطت أكثرية ساحقة للرئيس نيكسون الا ان هذا عاد الى عدم موافقة على مسلكية خصمه اكثر من موافقة على سياساته. لكن ضغط هذه القوى الجديدة النامية داخل المجتمع الاميركي أدى به الىالتخلي عن الكثير من معتقداته وتحيزاته السابقة واستخلاص دوره التاريخي من خلال نقيض سوابقه . لكن أهم النتائج التي حققتها الثورة الفيتنامية داخل المجتمع الاميركي تكمن في أنها جسرت الفئات المغبونة على التصدي للنظام الرأسمالي والعنصري وجرأت على تثوير منهج النضال من أجل الحقوق .

ان البعد الاممي للثورة الفيتنامية جعلها تنطلق في محاورة مجتمع عدوها فكريا وسياسيا من خلال محاورة كيانه الاستعماري قتاليا في أرضها . من هنا أدركت الثورة الفيتنامية انها في حين تقوم بدورها في تحرير وطنها ومجتمعها تقوم بالوقت نفسه بتوسيع رقعة التحرير داخل مجتمع عدوها . لذلك لم تنفك الثورة الفيتنامية من تكرار الحقيقة البديهية التي التزمتها بطبيعة نهجها الاممي بأن اصطدامها هو مع كيان الولايات المتحدة الامبريالي في جنوب شرق آسيا وبالطبع مع حلفاء هذا الكيان وموجباته داخل النظام الاميركي نفسه لا مع الشعب الاميركي . كان هذا التفريق يعتبر بنظر المفاهيم الرجعية والمتخلفة انه محاولة انتهازية للتفريق بين الشعب ومؤسساته الحاكمة وانه شعار معمول به للاستهلاك الخارجي . ان المفاهيم الاممية التي وجهت مسيرة الثورة الفيتنامية هي التي مكنت الثورة من الابقاء لنفسها على قدرة تحريك الاحداث والفعل بها حتى جعلت من التفريق بين الكيان الاستعماري الاميركي والشعب الاميركي حقيقة ملموسة .

هذا البعد الاممي بالمعنى الاعمق والاكثر انسانية هو من أهم الانجازات لتجربة الثورة الفيتنامية . وكم اكدت الثورة الفلسطينية بأن تحرير فلسطين هو بدوره وبالوقت نفسه عملية تحرير للانسان اليهودي من استعباد الصهيونية وتؤكد ايضا رفضها اعتبار اليهود والصهيونية مرادفان . ان هذا التفريق بين اليهودية والصهيونية ، وبين اليهود واسرائيل ، هو انعكاس لهذا البعد الاممي الحقيقي داخل الثورة الفلسطينية . واستطرادا لا بد من التذكير بأن الذين يعتقدون بأنهم غلاة وطنية عندما يصرون على دمج الصهيوني باليهودي تحت شعار كل يهودي صهيوني انما هم في الواقع يعملون بقصد أو بدون قصد على ايقاع الثورة بمصيدة النظرة الصهيونية لليهود المعادية للتفكير والمنهج الاممي وينزعون عن الثورة الفلسطينية ـ والعربية ـ سمتها الاممية الحقة . كما ان اصرار الثورة الفلسطينية على التزام هذا المفهوم رغم توفر الادلة للموقف النقيض يؤدي بنهاية الامر الى تحريك الطاقات التصحيحية المكبوتة مرحليا داخل المجتمع الاسرائيلي

وفي دائرة يهود العالم التي تعمل الصهيونية على استقطابهـا والسيطرة على مصير من فيها .

ان في كل ثورة أصيلة تحررية هـذا البعد الاممـي الذي يضع الكيانات العنصريـة والاستعمارية والاستيطانية داخل فكي كماشة ـ أحدهما الثورة المصطدمة بشكل مثابر مع الكيان الاستعماري والثانية ما حركته الثورة داخل مجتمع الاستعماريين في المدى الطويل من قوى تصحيحية وجذرية . هذا كان شأن الهند مع بريطانيا والجزائر مع فرنسا ، وفيتنام أخيرا مع الولايـات المتحدة والثورة الفلسطينيـة مع أطر وكيانات الصهيونية العالمية في اسرائيل وخارجها .



في الفيتنام منيت الولايات المتحدة بنوعين من الهزيمة . **الاولى** بحيث تمكن الفيتناميون (الشماليون والفيتكونغ) أن يفرضوا كل أو أكثر شروطهم ضد ارادة الولايات المتحدة (راجع أيضا في هذا الصدد المقال التحليلي للدكتور صادق جلال العظم في « النهار » يوم ١٩٧٢/٢/١٠) . **الثانية** بحيث ان الولايات المتحدة لم تتوصل الى الاهداف الكاملة التي تبغيها . لكن كما أشرنا ان الولايات المتحدة رضخت لهذه الشروط الفيتنامية وتخلت عن أهدافها السابقة في منطقة جنوبي شرق آسيا نتيجة الضغوط الداخلية المتصاعدة في مجتمعها وبنتيجة التبدلات النوعية في المعادلات الستراتيجية على الصعيد العالمي . فمن حيث ان الولايات المتحدة كانت مردوعة عن استعمال الاسلحة النووية حتى في المجال التكتيكي كما كان يدعو كيسنغر في أواخر الخمسينات (راجع كتابه **الردع النووي والسياسة الخارجية**) ، فان الولايات المتحدة أدركت انها لن تستطيع الاستمرار في حرب المناوشات في بلاد تكثر فيها الغابات والانهر كما انها استوعبت فشلها أن توقف الجيش الفيتنامي الجنوبي على أرجله نظرا لفقدان ارتباطه بقضية وطنه ومجتمعه وبنائه على اساس كونه موضوعيا وتاريخيا جيش مرتزق . هذا ، استطرادا ، مـا أدى به ان يستشري فيه الفساد وأن يتلاشى اثناء اعتمـاده أداة منفذة لسياسة الفتنمة التـي اعتمدها الاميركيون استباقا للضغوط الداخلية المتزايدة داخل بلادهم . كما ان الولايات المتحدة تحولت نتيجة توفر الصواريخ عبر القارات لديها ولدى الاتحاد السوفياتي ولدى الصين الشعبية بدرجة كبيرة عن سياسة انشاء «حزام واقي» حول الصين (اندونيسيا، فورموزا ، ماليزيا ، سنغافورة الخ) واستبدال سياستها التقليدية بنهج يبغي الانفراج على أساس تعاظم قوى الردع المتبادل لدى الدول الكبرى ـ وان كان بنسب مختلفة . هذا ما أدى بالرئيس الاميركي نيكسون الى تكريس سياسة الانفراج بين الدول الكبرى كمخطط يمكن الولايات المتحدة من التوجه ـ دون خوف مـن أي هجوم مباغت نووي عليها ـ الى معالجة قضاياها الداخلية والاقتصادية. وينطبق مثل هذا التركيز في التوجه ايضا على كل من الاتحاد السوفياتي والصين . لذا فانه رغم تقديرنا بأن الولايات المتحدة منيت بهزيمة معنوية وسياسية في الفيتنام الا أن التعادل النسبي الذي حصل من الوجهة العسكرية هو الذي أدى الى الاتفاقية من جهة ومكن الولايات المتحدة مـن ان تبرز تراجعها في الفيتنام وكأنه ثمن الانفراج الاكبر على الصعيد الدولي .

يبقى السؤال الاساسي الذي في ضوء اجابتنا له نتمكن من الانتقال الى صميم قضيتنا المصيرية ـ فلسطين . السؤال هو كيف نربط بين الانفراج النامي في مستوى العلاقات بين الدول الكبرى اثر انتهاء الحرب في الفيتنام وحلول السلام الى حد كبير في جنوب شرقي آسيا حيث كان التورط الاميركي في أقصى درجاته ؟ لا يمكن في اجابتنا على هذا السؤال الاحاطـة بكافة جوانب الموضوع . الا أن ثمـة تطورات حصلت وستحصل على هذا الصعيد لا بد من التوقف عندها حتى نتمكن من مواجهتها اذا لزم الامر واستباق سلبياتها بالحد الاقصى من القدرة والوضوح وبالتالي الحيلولة دون تمكنها من مسيرتنا.

بكلام اوضح كيف يمكن ان نعزل القضية الفلسطينية عن التأثر بسلبيات الانفراج وبالوقت نفسه نمكنها من الاستفادة القصوى من هذا الانفراج ؟

بعض الاجابة على هذا السؤال يقتضينا أن نحاول القراءة السليمة لحلول السلام في فيتنام . فما لا شك به ان الانفراج النسبي على صعيد العلاقـات بين القوى الاعظم ساهم الى حد ما في تعجيل عقد الاتفاقية كما انه من المنتظر ان تؤدي هذه الاتفاقية الى مزيد من الانفراج . الا أنه لا يجوز في مطلق حال أن يعني هذا الانفراج النسبي ـ رغم فوائده من حيث يرفع كابوس الخوف من حرب نووية عن اذهان الناس ـ انه يلغي التناقضات الاساسية بين هذه الدول أو يؤدي بشكل آلي نحو تخليها عـن أهدافها وسياساتها . لذا فان أية قراءة سليمة لما بعد فيتنام يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الثوابت في الاهداف والسياسات والمتغيرات التي تطرأ عليها وعلى المعادلات في علاقات هـذه الدول الاعظم فيما بينها وعلاقاتها مع سائر القطاعات الدولية . ان اية معالجة لقضايانا على ضوء هذه الثوابت والمتغيرات في المعادلات الدولية يجب أن تكون بمنتهى الدقة مما يعني أن يكون جهاز الالتقاط في دائـرة الثورة العربية ـ والثورة الفلسطينية بوجه خاص ـ شديد الحساسية لهذه التغييرات دون فقدانه المعرفة للثوابت . وجهاز الالتقاط يعني طبيعيا مجمل المؤسسات الراصدة والباحثة والمخططة والمقررة. الا ان أية احاطة بتفاعل الثابت مع المتغير يجب أن تنطلق من مسلمة ـ كثيرا ما نتجاهلها ـ ان لدينا نحن العرب أهدافا وسياسات ثابتة كما اننا نشاهد بل نعيش سلسلة من التغييرات . وان اي موقف مرحلي يتخذ يجب أن يكون نتيجة التراصف بين مختلف المتغيرات والثوابت الدولية والاقليمية .

يتبين لنا اذن ان الثورة الفيتنامية تمكنت من خلال قيادتها الواعية والحسم في تثبيت أهدافها الستراتيجية والمرحلية والتعبئة الشاملة على أساس انجاز هذه الاهداف الثابتة لها تمكنت من ملاءمة المتغيرات لمستلزمات انضاج مستمر للحالة الثورية في أرضها . ولم يكن هذا ممكنا لولا قيام ملاك كفؤ ومثقف عسكريا وسياسيا (أي ثوريا) . كما ان الثورة الفيتنامية تمكنت بموجب التطبيق الابداعي للخط اللينيني من ان تفرق ـ وبالوقت نفسه تربط ـ بين علم الثورة كاستراتيجية وفن الثورة كتكتيك ، وهكـذا تمكنت الثـورة الفيتنامية من خلال تنظيمها العضوي وجبهتها السياسية المتماسكة وفقدان الذبذبة في تحديد الاهداف وأخذ القرار وضبط اعلامها واقامة توازن صحيح بين اقوالها وأعمالها واقامة مجتمع الحرب في مناطق سيطرتها أن تكتسب لنفسها ثقـة الشعب وبالتالي استطاعت ان تمرحل To Phase أهدافها بدون أي تخوف من مزايدة أو من أن تؤدي مرحلة ما الى تمييع تصميم المسيرة الثورية على متابعة النضال لتحقيق كل الاهداف .

ماذا يعني الانفراج في العلاقات بين الدول الاعظم اذا بالنسبة الى مستقبل النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟ لا بد أن نورد بعض الاحتمالات مـن حيث تطور المفاهيم السياسية الاميركية خاصة وان الولايات المتحدة هي التي تتوجه اليها الانظمة المحافظة العربية من أجل الاسهام في الحل . باستطاعة الولايات المتحدة ، اثر الانفراج النسبي الحاصل ، أن تتحلل تدريجيا من التزاماتها الدولية في المجالين السياسي والعسكري . ولا يعني هذا بالضرورة عودة الى سياسة محض انعزالية الا أنها تعني بأن الولايات المتحدة تصبح بنتيجة التجربة الفيتنامية وتحسن العلاقات الثنائية مع الاتحاد السوفياتي والصين اقل استعدادا للمغامرة في مناطق الازمة . هذا لا يعني أن الولايات المتحدة قد تتخلى عـن أهدافها الثابتة في المنطقة ـ حماية اسرائيل وتأمين تدفق النفط العربي واستبعاد التواجد السوفياتي وتدجين احتمالات التغييرات الجذرية في المجتمعات العربية ـ لكنه قد يعني ان الولايات المتحدة قد تفهـم اسرائيل ان هدفها في حمايتها الا يعني التطابق التام مع أهداف اسرائيل في المنطقة . ولعل افتتاحية الواشنطن بوست في ٧٢/٢/١٠ أشارت الى

احتمال أن تقوم الولايات المتحدة بمثل هذا الاتصال خاصة وان أزمة الوقود تتفاقم داخل الولايات المتحدة وتنمو بالتالي حاجتها الى ضمان استقرار تدفق النفط العربي الى اسواقها . وفي هذا المجال تقول البوست « ان اي رئيس يهمل موضوع النفط ينكر واجبه نحو الاميركيين ولا يكون صديقا لاسرائيل » . وهنا تقول البوست انه « لا يمكن للولايات المتحدة أن تكفل احتلال دولة لاراضي دول اخرى » . لذلك يمكن أن نقرر بأنه في حالة اتباع سياسة التحلل من الالتزامات الدولية ان تقوم الولايات المتحدة بنتيجة ذلك بممارسة ما يسمى بالضغوط على اسرائيل بغية انسحابها من معظم الاراضي المحتلة شرط أن يؤدي ذلك الى تأمين الاهداف الثابتة الاميركية في المنطقة . الا أن هذا النهج الاميركي في حال اتباعه يشترط توفر موافقة او تفاهم على الخطوط الاساسية مع الاتحاد السوفياتي لانه بنظرها تكون الموافقة السوفياتية كفيلة الى حد ما بالحيلولة دون ان يؤدي « الحل السلمي » الى مضاعفات قد تنتج نتيجة تعاظم قوى الرفض واللااستقرار.

الا أن هناك احتمال تطور اميركي آخر وهو أن تلجأ الولايات المتحدة لتعويض انسحابها من الفيتنام بتصلب جديد في منطقة الشرق الاوسط من حيث زيادة دعمها المباشر العسكري والاقتصادي لاسرائيل لتمكينها من الحصول على شروط أفضل بالنسبة لاهدافها ما دامت تعتقد نفسها قادرة على ضمان مصالحها الاخرى اما بواسطة الانظمة القامعة لحركات الثورة والتحرر في الوطن العربي او السعي الى تكريس واقع التجزئة وتسنين فكي كماشة المحور الاسرائيلي — الايراني . الا أن مثل هذا الموقف التدخلي السافر لا يأخذ بعين الاعتبار كون احلال السلام في فيتنام قد قوى النفوذ السوفياتي في جنوب شرقي آسيا مثل ما ساهم في تقوية هذا النفوذ السوفياتي في شبه القارة الهندية بعد قيام دولة بنغلاديش وانتصار الهند عسكريا فيها . اضف الى ذلك أن مزيداً من التصلب الاميركي يقطع عن الانظمة المحافظة والمتعاملة مباشرة مع الولايات المتحدة اية امكانية في لعب دور الحلقة الوسيطة مما يدفع بالانظمة الوطنية أن تتحلل هي بدورها من التزامات قرار مجلس الامن وتعتمد ما تعتمده الثورة الفلسطينية من سياسة النفس الطويل حيث تصبح — على الاقل آنيا — الحالة المسماة « باللاسلم واللاحرب » حالة مفضلة على « الحل السلمي » الذي يتجسد في الالتباس المقصود بقرار مجلس الامن . الا أن المرحلة الانتقالية التي سوف نشهدها في الاشهر القليلة القادمة لن تجد بلورة نهائية في نهج الولايات المتحدة أما للانعزالية النسبية او للتحلل التدريجي من الالتزامات او للتصلب بل نشوء مزيج من التيارين. وقد يعني هذا ممارسات انعزالية مرحلية لخدمة تصلب في المدى البعيد او تصلب مرحلي لخدمة أهداف انعزالية في المدى البعيد . من هنا تأكيدنا على الحاجة بأن تكون اجهزة الالتقاط الثورية مرهفة وقادرة على الحسابات السريعة لتحليل التباينات المتتالية المنتظرة . هذا ما يعني بالقول ان المرحلة القادمة صعبة من حيث تعقيداتها ووعورة مسالك ملاحقة الاحداث خاصة وان الساحة العربية ليست متماسكة حتى بالحد الادنى المطلوب .

أما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فان الانتصار الفيتنامي الذي تحقق بفضل القوى الذاتية الفيتنامية ومساعدات الاتحاد السوفياتي (والصين) قد أتاح له اعادة ترتيب أولوياته بحيث يضمن أن الانفراج الدولي يتيح له فرصة تنشيط الاقتصاد الداخلي وقفزة نوعية في مختلف مجالات الانتاج كما يمكنه من التوجه نحو ارساء قواعد سليمة لامنه الاوروبي .
أما فيما يتعلق بموقفه من القضايا العربية والقضية الفلسطينية بالذات فقد أثبتت التجربة الفيتنامية والى حد أقل تجربة الحرب الهندية الباكستانية ان الاتحاد السوفياتي مستعد للالتزام بالمساعدة القصوى من أجل تمكين القرار الحسم والمنبثق ذاتيا — اي الذي لا ينطوي على استدراج نحو التورط — من تحقيق ذاته بعد أن يكون الاتحاد السوفياتي قد أقتنع بصوابية وعدالة وسلامة الاهداف التي يعمل القرار على تنفيذها .

اما فيما يتعلق بقناعة الاتحاد السوفياتي بصوابية وعدالة وسلامــة أهداف القضية العربية فانها متوفرة . الا ان السلوك السوفياتي يقضي بمساعدة العرب الى الدرجة التي يتوخونها هم أي التحرير الكامل أو الى امتصاص العدوانية الاميركية ـــ الاسرائيلية في المنطقة . من هنا يتبين لنا أن التقييم السوفياتي للاوضاع العربية الراهنة هو مساعدة العرب بمقدار ما يساعدون أنفسهم وعلى ضوء ما يتصورون انها أهدافهم ومصالحهم . الواقع ان الالتزام السوفياتي للقضايا العربية المشروعة هو الثابت في سياستهم اما المتغير فهو ما قد ترسي عليه الاهداف الثابتة للعرب .

يبقى ان الهدف الفوري للثورة الفلسطينية ـــ ولحركة الثورة العربية بصورة عامة ـــ هو إن تبقى كفة الرفض للحلول السلمية راجحة داخل دائرة الشعب الفلسطينـــي بمختلف قطاعاته ومواقع تواجده حتى تتمكن من الغاء رجحان كفة الحلول السلمية في الصعيد العربي . هذا بحد ذاته لا يكفي مطلقا أمام منطق الملك عبداللــــه الذي يصبح مأساة متكررة عندما كتب لاحد أصدقائه في صيف ١٩٤٩ يتبرم فيها من « الحالة الراهنة التي لا هي سلم ولا هي حرب » مشيرا الى عزيمته على الخروج منها الى السلم الذي « يمكن ان يحقق بعض المكاسب للعرب » (عزة دروزة ـــ **حول الحركة العربية الحديثة** ، ص ٢٩٩) . ان حالة التردي الحاضرة تحفزنا على المزيد من الصبر الثوري الذي نتمكن به من تحرير فلسطين واقران فلسطين بملحمة فيتنام ؟

والا يستبدل عنوان هذه العجالة الى « من فيتنام الى ... ماذا ؟ » ويلحق فلسطين علامة استفهام . الاشهر القليلة عصيبة الا أن فلسطين تستوجب منا ثورة لا ذكرى .

حالة الانتظار

محمود درويش

فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية

● مرة في مطار بورجيه الفرنسي ، ومرة في أحد شوارع صوفيا ...

كان مصيرك يلح عليك بتحديده . وكانت هويتك ، الغامضة على الورق والساطعة في القلب ، تطالبك بتحقيق الانسجام بينهما . وكأنك تأتي دفعة واحدة من أول العمر الى هذا السؤال : من أنت ؟

لم يكن بوسع البوليس الفرنسي أن يفهم شيئا لا يفهمه البوليس الاسرائيلي . تقول وثيقة السفر انك غامض الجنسية . وسدى تشرح لرجل الامن الفرنسي معنى هذا الغموض ، اذ لا يدفعه توضيحك الا الى استيعاب مزيد من الغموض الذي حدده زميله في تل أبيب . أين ولدت ؟ في فلسطين . وأين تعيش : في اسرائيل . اذن ، أنت غامض .

وفي غرفة التوقيف التابعة للمطار ، كنت تفكر بتهمة الغموض وتغرق في البحث عن البرهنة على هويتك . هؤلاء القادمون من الكتب القديمة لم يأخذوا وطنك فقط ، ولكنهم أخذوا وسائل انتمائك الى العالم أيضا . عندما حددوا مصائرهم كانوا يسقطون عن وجهك ملامح تعرّف العالم عليك . وصار صعبا عليك أن تشرح المسافة التاريخية ، التي تحولت الى مسافة جغرافية في ادراك العالم ، بين فلسطين واسرائيل ؟ تعرف انك فلسطيني ، ولكن فلسطين غير قائمة في منظار العالم . وحين تحاول الخروج الى هذا العالم لا بد لك من المرور في دهليز التناقض الشرس : أن تكون اسرائيليا . ولكن مكان الولادة ، والانتماء ، والرفض تحولك الى شبكة من الغموض والتناقض . اذن ، من أنت ؟ .

ومرة أخرى في صوفيا . لم تواجه هنا سؤالا نظريا . كنت فضيحة وشائعة ومفارقة . ليس مهما ، هنا ، أن تدين الظروف لتبرىء نفسك . ينبغي أن يكون التاريخ العربي الحديث مكبلا في قفص الاتهام لكي ترضى بتهمة من احد . قبل أن تجيب على سؤال القضاة : ماذا فعلت ؟ اسألهم : ماذا فعلتم من اجل أن افعل بطريقة أخرى . ومرة أخرى ، ليس هذا هو السؤال ، لان المساواة في اللافعل هي احتياطي لاستمرار الخطأ والتردي .

على بعد أمتار قليلة ، كان العلم الفلسطيني الاخضر والاسود والاحمر يظلل مجموعة من الشابات والشباب الفلسطيني القادم من كل انحاء المنفى . وكان يشكل ، في الافق ، تعويضا رمزيا عن مهانة الماضي ، والتزاما عمليا بتغيير الحاضر ، واستشرافا ملحميا للفوز بالمستقبل . ما اجملهم ! ما اجملهم !. تقترب منهم وفي نفسك مفاجآت الاستعداد لملاقاة نصفك الضائع منذ عشرين سنة . وكانوا يقتربون منك وفي نفوسهم عطش الاعوام ذاتها الى النبع المحاصر . « نحن ننتظركم » .. و« نحن

قادمون » . تبكون معـا وتنقسمون مـرة أخـرى . وعلى المبنـى المواجه الـذي تذهب اليه يظـل العلم الاسرائيلـي الازرق والابيض يظلـل مجموعـة من الشابات والشباب الاسرائيلـي اليساري . لم تكن ضائعا بين هذيـن العلمين المتصارعـين .. علم الحق المنهوب وعلم الجريمة التي تحمل نشيدا وجواز سفر . ولكنك كنت ضائعا بين صيغ ممارستك السياسية ، لانه لا يكفي أن تعرف من أنت لتنجو من فك الحيرة . بل عليك أن تعرف طريق اختيارك . وهل اخترت ؟ لقد جئت من وطنك المحتل بوثيقة سفر اسرائيلية ، مع شباب يحملون علمهم الذي هو خنجرك . فما هو مكانك . وحين تقفر شوارع صوفيا في آخر الليل تعود الى ظل خنجرك وتترك قلبك في المبنى المجاور . ان ميدان الضياع يقع بين حقيقتك الجوهرية وبين حالتك القانونية الراهنة . تهرب من الاشتباك النفسي بطريقة غير متكاملة : لا تدخل قاعة المناقشة السياسية في مهرجان الشباب العالمي ، حيث يصطدم مندوب العلم الفلسطيني الذي يمثل انتماءك وحقيقتك وتاريخك بمندوب العلم الاسرائيلي الذي يمثل حالتك وظرفك الراهن .

أحيانا ، يكون الانسجام الكامل عرضة لارتكاب الخطأ . وفي مثل هذه الحالة المطروحة.. أن تكون منسجما مع نفسك ومع تاريخك معناه أن تكون حيث يكون شعبك، لان الاختيار الآخر وهو البقاء حيث يكون الانسجام مفككا معناه أن تتعامل مع ظروفك التي يحددها اعداؤك بطريقة معذبة تتنافى احيانا مع جوهرك . مثلا ، ما معنى أن تكون فلسطينيا واسرائيليا في آن واحد ؟ ما معنى أن تقف في مدينة صوفيا بين بنايتين احداهما تحمل العلم الفلسطيني والثانية تحمل العلم الاسرائيلي ؟ وهل انت قادر على تمثيل الجوهر الفلسطيني بعلم اسرائيلي ؟ أو هل تكون الشيء ونقيضه في آن واحد ! وقبل ذلك كله : من أنت ؟ .



لم تشهد الحياة السياسية والفكرية الاسرائيلية ، طيلة السنوات السالفة ، الحاحا مثل الحاح السؤال المطروح الآن حول هوية العـرب الفلسطينيين المقيمين في اسرائيـل ويحملون بطاقات هوية اسرائيلية . صار السؤال حول هذه الهوية مؤرقا تحت ضغط القضية السكانية العربية التي واجهتها العقلية الاسرائيلية بعد احتلال عام ٦٧ والتي تتدخل في صورة مستقبل اسرائيل كما يتخيلها ويرسمها الاسرائيليون . اذ أن وجود ما يقرب من مليون عربي يتصفون بأعلى نسبة تناسل في العالم لا يجعل التطبيق الصهيوني على أرض فلسطين متجانسا مع التصور الصهيوني لمستقبل اسرائيل في المنطقة . ويزيد من الحاح طرح السؤال بوادر المقاومة العملية للوجود الصهيوني التي ظهرت ، مؤخرا ، بين العرب الفلسطينيين الذين تعتبرهم اسرائيل مواطنين اسرائيليين ، وميل نتائج تلاقي هؤلاء المواطنين مع أبناء شعبهم من سكان المناطق المحتلة حديثا الى الاحساس المعبر عنه بالمصير المشترك وطريق العمل المشترك ، مما دفع الاسرائيليين الى الاعلان المشوب بخيبة الامل عن فشل سياسة التدجين التي اتبعوها تجاه العرب في الداخل . ويلاحظ المراقب لاشكال « اعادة النظر » التي يمارسها المسؤولون الاسرائيليون أن اسرائيل تقوم بعملية مزدوجة ، وجهها الاول : تزييف الحقائق حول الواقع العربي في الداخل بالادعاء الدعائي بالتطور « المذهل » في جميع مستويات الحياة الذي حظـي به هؤلاء المواطنون « لا يوجد مجتمع في العالم تقدم وتطور في الـ ٢٤ سنة الماضية كالمجتمع العربي في اسرائيل » كما يقول طوليدانو مستشار رئيسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية ، مما بعث البهجة في قلوب أعضاء الوزارة الاسرائيلية الذين أوصوا باستغلال « الهدوء المسيطر حاليا للقيام بنشاط اعلامي عميق في أوساط السكان اليهود ، ونشر

كراس بجميع اللغات عن انجازات اسرائيل بين الاقلية العربية، فوافقت رئيسة الحكومة لكنها قالت ان هذا لا يكفي ، فثمة حاجة الى مزيد من العمل الاعلامي » . والوجه الثاني للعملية هو البحث الداخلي عن ممارسة جديدة لقمع الالتزامات التي تفرضها حقيقة الانتماء القومي للعرب المقيمين في اسرائيل ، للحيلولة دون أن يقودهم وعيهم هذا الانتماء الى ممارسات تتنافى مع كونهم مواطنين اسرائيليين مطالبين بالاخلاص للدولة .

هل صحيح انه « لم يتطور مجتمع في العالم كما تطور المجتمع العربي في اسرائيل » ؟. ان الانجرار وراء محاولة حصر القضية كلها في هـذا السؤال ، يعود على السلطة الاسرائيلية ببعض النفع لا لانها هي التـي تؤلف الاحصائيات وتهندس الارقام وتملك مؤهلات التزييف فحسب ، ولكن لان هذه المحاولة تنطوي على اعتراف بأن الغزو من اجل تمدين الشعوب المغلوبة على أمرها هو قانون العلاقة بين الغزاة والشعوب . ويصير بوسع اي محتل أن يكسب الشرعية السياسية والانسانية والحضارية بمجرد أنه منّ على الشعوب المحتلة بتمكينها من الاستمرار في التنفس والحياة. ان التقدم الطبيعي للناس يصبح عاطلا عن العمل قبل مجيء الغزاة . وقد سخر كاتب عربي في اسرائيل من اسلوب السلطة الاسرائيلية في نسب كل مظاهر التقدم الطبيعي التي تصيب الناس الى جهودها وحسن نواياها بقوله : « كان عمر ابنتي عند انشاء اسرائيل سنة واحدة ، واليوم أصبح عمرها عشرين سنة ، فهـل نمت وبلغت سن الشباب بفضل الجهـود الاسرائيلية ؟ » ان هذه الملاحظة الساخرة تسجل ، بشكـل رائع ، طريقة السلطة الاسرائيلية في رصد التقدم البشري . كيف كان العالم قبل قيام اسرائيل وكيف أصبح الآن ؟. قبل قيام اسرائيل لم يهبط الانسان على القمر ، وبعد قيام اسرائيل هبط الانسان ثلاث مرات على القمر .

وحين نعود الى السؤال الجزئي من القضية الكاملة : هل صحيح انه « لم يتطور مجتمع في العالم كما تطور المجتمع العربي في اسرائيل » ، لا تستطيع اسرائيل ذاتها أن تخفي الثمن الباهظ الذي دفعه هذا المجتمع العربي والذي أرغم على دفعه مقابل المحافظة على استمراره في الحياة والنمو الذاتي . ان الفلاح العربي الذي جرد من أرضه ، التي تعني وطنه من ناحية ومصدر عيشه من ناحية ثانية ، لا يستطيع أن يمجد اسرائيل لانه استطاع الحصول على رغيف خبز في ظلها من عمله الشاق في البناء وتعبيد الطرق وغيرها من الاعمال السوداء التي يأنف العمال اليهود من ممارستها . وان مسؤولا اسرائيليا هو الذي عبر عن ندمه وأسفه لان السلطة الاسرائيلية لم تتمكن مـن تحويل كل السكان العرب الى حطابين وسقاة ماء . وعدم التحقق الكامل لهذا الحلم الصهيوني لا يمكن أن يعتبر فضلا اسرائيليا ، ولكنه انتصار ارادة المواطن العربي في الصمود والحياة والتغلب على معوقات نموه . انه فشل اسرائيلي لا كرم اسرائيلي .

وماذا تقول آخر الاحصائيات الاسرائيلية ذاتها عن وضع هذا الفلاح العربي ؟.

لقد طبقت الممارسة الصهيونية مبدأ « احتلال الارض » منذ قيامها ولا تزال تطبقه حتى الآن . وقد بلغت مساحة الارض التي صادرتها السلطة الاسرائيلية من الفلاحين العرب المقيمين في اسرائيل أكثر من مليون دونم ، بالاضافـة الى مصادرة أراضي العـرب الفلسطينيين الذين يقيمون في الخارج . لقـد خلقت اسرائيل نوعين مـن اللاجئين الفلسطينيين : لاجئون خارج وطنهم ولاجئون داخل وطنهم . وتقول احصائية اسرائيلية نشرت في صحيفة « هآرتس » ان عشرة آلاف لاجيء يعيشون في الداخل ، وان آثار قراهم قد حذفت تماما عن وجه الارض، واقيمت عليها مستوطنات يهودية وغابات الكيرن كايمت (صندوق أراضي اسرائيل) . وعددت الصحيفة أسماء بعض هذه القرى ومنها : البروة ، صفورية ، كفر عنان ، عين حوض ، الطيرة ، الكويكات ، أم الفرج ، المنشية ، سحماتا ، عمقا ، ميعار ، الدامون ، معلول ، الرويس ، السجرة ، الغابسية ، وغيرها

من الاسماء التي لا يعرفها اليوم في اسرائيل الا علماء الآثار وموظفو دائرة الاراضي . ولقد انفجرت قضية اللاجئين في وطنهم في الوعي الاسرائيلي بعد معركة سكان قريتي اقرت وكفر برعم الشهيرة من أجل العودة الى قريتيهم ، وأصرت السلطات الاسرائيلية على رفض مطلبهم الذي حظي بتأييد أوساط كبيرة من الرأي العام الاسرائيلي ، خوفا من تسجيل سابقة العودة الى الأرض، الامر الذي يتنافى مع أكثر مبادىء التطبيق الصهيوني حرمة وقداسة . « ان الحكومة خائفة اليوم من لاجئي الداخـل الذين طلب جزء منهم العودة . وقد تحولت المجمعات التي يسكنون فيها اليوم ، عبر السنين ، الى مراكز قوميين متطرفين ، حيث أصبح فيها الحنين الى العودة « مبـدأ شفهيا » . وما زالت عبارة لاجىء متداولة في قرى الاقليات التي يسكنها لاجئون» هكذا تقول صحيفة اسرائيلية غير معارضة .

وما هو وضع الفلاح العربي غير اللاجىء في ظل الدولة التي منحته « أكبر تطور في العالم » ؟ ما زالت الزراعة العربية قائمة على العمل اليدوي والادوات البدائية ، وان ٥ بالمائة فقط من مجموع الارض العربية التي يفلحها المزارعون العرب هي أرض مروية، بينما أكثر من خمسين بالمائة من الارض العربية التي يفلحها المزارعون اليهود هي أرض مروية . وفي عام ١٩٧٠ كانت قيمة انتاج الدونم الواحد في الزراعة العربية تساوي ١١٤ ليرة اسرائيلية فقط ــ أي خمس قيمة انتاج الدونم الواحد في الزراعة اليهودية . ويخضع الفلاح العربي لاستثمار الراسمال الاسرائيلي ــ البنوك ــ والشركات . ويحصل على أسعار بخسة مقابل زراعة التبغ والزيتون بسبب تحكم شركات التسويق .

وبسبب مصادرة الاراضي وتشديد الخناق على الزراعة العربية تحولت أكثرية الفلاحين الى عمال . ويتمثل التمييز ضد العمال العرب بنوع العمل المتاح لهم وبشروط العمل والاجر وتمثيلهم النقابي. وتقول احصائيات اسرائيلية رسمية ان متوسط الدخل السنوي للعامل العربي يشكل سبعين بالمائة من متوسط دخل العامل اليهودي ، وان أكثرية العمال العرب لا تستطيع العمل في أماكن عمل دائمة ، وانما في أعمال موسمية في حقل البناء والخدمات . وأكثر من نصف العمال العرب غير منتظمين في نقابة العمال ، وليست لهم مجالس عمال منتخبة في القرى .

وعن التعليم : من الشبيبة العرب في جيل ١٤ ــ ١٧ لا يصل الى المدرسة الثانوية الا ٢٠ ٪ مقابل ٦٠ ٪ من الشبيبة اليهودية . وفي التعليم العالي لا تتجاوز نسبة العرب (حسب احصائية عام ٦٩) أكثر من ستة في الألف ، بينما تصل هذه النسبة عند اليهود ستين في الالف . ان الطلبة العرب يشكلون ١،٥ ٪ من مجموع طلبة مؤسسات التعليم العالي ، بينما يشكل المواطنون العرب ١٤ ٪ من مجموع السكان في اسرائيل . وليست صعوبات الوصول الى مؤسسات التحصيل العلمي هي العقبة الوحيدة أمام العربي . فان سياسة التعليم المفروضة على العرب تشكل ، بحد ذاتهـا ، بطلانا للمباهـاة الصهيونية . ان اتقان معرفة التاريخ والثقافة الصهيونيتين على حساب التاريخ والثقافة العربيتين لخلق مواطن عدمي مخلص للفكر والتطبيق الصهيونيين هي ما يشكل العمود الفقري لسياسة التعليم المتبعة تجاه العرب . وقد لخص مساعد وزير الثقافة لشؤون التعليم العربي هذه السياسة في حديث لصحيفة هآرتس بقوله : « على المعلم العربي أن يدرّس قيم الدين والثقافة العربية من جهة ، ومن جهة ثانية عليه أن يدرّس الاخلاص لدولة اسرائيل » . وليس هذا المسؤول عن التعليم العربي في وزارة التربية والتعليم الاسرائيلية هو المسؤول الاول المتحدر من اختصاصات أمنية ، فأغلبية الذيـن يحتلون هذا المنصب يكونون عادة خبراء في شؤون الامن والمخابرات ليكونوا قادرين على تثقيف العرب على « الاخلاص للدولة » . ولقد تشكلت لجنة استشارية خاصة لوضع مبادىء التعليم العربية ، هذا العام . ووضعت اللجنة خطوطا أساسية لسياسة التعليـم على

راسها : « ١ ـ تعليم قيم السلام . ٢ ـ تعليم الاخلاص لاسرائيل مع تاكيد المصالح المشتركة للمواطنين مع تنمية خصوصية العرب في اسرائيل » .

وعن المثقفين العرب خريجي الجامعات الاسرائيلية ، كتبت صحيفة « معريب » : « ان قصة المثقف العربي تبدأ وتنتهي بخيبة الامل . فهو يتعلم ، ولكنه ليس متأكدا من انه سيتمكن من العمل في مهنته ، وسيضطر الى العمل في مهنة لم يتعلمها ولم يرغب فيها . لقد بدل مواضيع دراسته بعد ان أدرك أن السوق الاسرائيلية لن تسمح له بممارسة المهنة التي اختارها في البداية » . ويعطي معهد شيلواح في دراسة عن هذا الموضوع بعض النماذج الحية ، منها أن طالبا عربيا أراد دراسة الهندسة الكيماوية ولكنه استبدلها بدراسة الصيدلة « لان اولئك الذين درسوا هندسة كيماوية لم يجدوا عملا » . لماذا ؟ « يقولون ان كل شيء بسبب الامن . هناك شاب عربي خريج فرع الهندسة الكيماوية قبل للعمل في مصنع « اليانس » . وبعد مرور شهر، أخبروه أنهم ليسوا بحاجة الى مهندس كيماوي في المصنع » . ويروي الطالب ذاته انه أراد بعد التخرج من المدرسة الزراعية أن يجمع مالاً ليكمل دراسته الجامعية ، فقيل له ان عليه الحصول على موافقة الشرطة « وفي الشرطة ابلغني البوليس انه يريدني أن أكون مخبرا ، أي أن أتجسس على كل عربي أعرف انه يساري . فمن يريد الحصول على مركز أو وظيفة يجب أن يتخلى عن ضميره » .

حتى الاسرائيليون الذين يدعون بأن تطور المجتمع العربي في اسرائيل « لا مثيل له في العالم » ينكبون الآن على محاصرة مظاهر الاستياء والرفض التي يبديها الشباب العربي في اسرائيل ، الامر الذي يحصر « معالم هذا التطور النادر » في النطاق الدعائي . ويقول أحد خبراء الشؤون العربية في الحكومة الاسرائيلية كما نشرت صحيفة « معريب » : « في الثمانينات ستكون احدى مشاكل اسرائيل الاساسية هي كيفية الحيلولة دون انفجار خيبة أمل ٣٠٠ الف شاب عربي مثقف ، على نطاق واسع ومقلق ، وكيفية دفعهم الى التعايش مع المجتمع اليهودي » . ونشرت الصحافة الاسرائيلية ردود فعل طلبة عرب في جامعة القدس على اشتراك مواطنين عرب في التنظيم السري الذي كشف مؤخرا قولهم : « ان التجسس والرغبة في المس بالدولة هما رد فعل على أعمال الظلم والتمييز التي تمارسها السلطات الاسرائيلية . وهي رد فعل على أعمال النهب في المناطق المحتلة » .

وحين تتحدث الدعاية الاسرائيلية عن تطور المجتمع العربي في اسرائيل « الذي لم يشهد مثله مجتمع آخر في العالم » ، ثم يدهشها بروز مظاهر الاستياء والرفض من العرب الذين ينكرون « هدية الحرية والتقدم الاسرائيلية » تدلل على ذلك بقولها ان مصدر الاستياء المعقول الوحيد ـ وهو الحكم العسكري ـ قد زال . فهل زال الحكم العسكري عن العرب حقا ؟ لم يحدث الا تغيير البزة . فبعد حملة الاعتراض الواسعة على تسلط الحكم العسكري وتكبيله الحريات الاولية للمواطنين وتدخله في تفاصيل حياتهم، اضطرت الحكومة الاسرائيلية برئاسة رئيس الوزراء السابق ، الى اعلان تخفيفات في هذا الحكم وصفتها بانها الغاء له . وما جرى في الحقيقة هو نقل صلاحيات تنفيذ مبادىء هذا الحكم من الجيش الى البوليس السياسي . ولكن القاعدة القانونية التي يقوم عليها الحكم العسكري ما زالت على حالها ، وهي انظمة الطوارىء . وما زالت تشكل سندا قانونيا لشرعية القمع والانتقام السياسي . ولا تستخدم الا ضد المواطنين العرب . بناء على هذه القوانين لا يزال من حق البوليس الاسرائيلي أن يعتقل الناس بلا محاكمة . ومن حقه أن يمنعهم من مغادرة أماكن سكنهم ومنازلهم . ومن حقه أن ينفيهم . ومن المفارقات المدهشة ، ان زعماء المؤسسة الاسرائيلية الآن كانوا قد أطلقوا على هذه الانظمة ، قبل قيام اسرائيل ، نعوتا لو استخدمها غيرهم الان ليصف بها الانظمة ذاتها لاتهموه باللاسامية . لقد وصفوها بالنازية يوم كان الانتداب البريطاني يستخدمها ضدهم .

واصبحت اليوم ــ هذه الانظمة نفسها ــ مظهرا من مظاهر التقدم البشري لا لشيء الا لان اليهود يستخدمونها ضد العرب . ان ما كان نازيا لانه موجه ضد اليهود ، يصبح اليوم حضارة بمجرد تحوله الى أداة قمع في أيدي اليهود ذاتهم . في السابع من شباط ١٩٤٦ نددت نقابة المحامين اليهود في فلسطين بأنظمة الطوارىء هذه بقولها ان هذه الانظمة « تسلب المواطن الحقوق الأولية للانسان ، وتنتهك أسس القانون والقضاء وتشكل خطرا بالغا على حرية الفرد وحياته ، وتفرض حكم العسف والقسوة بدون رقابة قضائية » . وأكثر من ذلك : بعد انشاء اسرائيل تعرضت هذه الانظمة الى نقد عنيف عندما استخدمت ضد تنظيم ديني يهودي ، فاتخذت الكنيست قرارا في السادس من حزيران ١٩٥١ جاء فيه ان أنظمة الطوارىء « تتناقض مع أسس أية دولة ديموقراطية » وكلفت اللجنة القضائية باعداد مشروع ، خلال اسبوعين ، لالغاء هذه الانظمة . ولم تنته فترة الاسبوعين حتى الآن . وكفت هذه الانظمة النازية عن الاحتفاظ بصفاتها ما دامت موجهة ضد العرب !!. ولقد عدّد كاتب اسرائيلي حسنات هذه الانظمة بقوله : « انها لا تبيح قتل انسان بدون محاكمة . وما عدا ذلك فانها تسمح بممارسة اي شيء ضده ، كل شيء بدون محاكمة » .

هذا هو الاساس القانوني للاضطهاد اللاحق بالمواطن العربي . وحين يكون الاضطهاد قانونيا ، فان شرعية الاضطهاد تكون أسوأ من الاضطهاد نفسه ، لانه لا يكون سلوك حاكم أو سلطة ، بل نهج مجتمع وعنصرا من عناصر تكوينه المتأصلة . وعلى اساس شرعية العنصرية هذه « حقق المجتمع العربي اكبر تطور في العالم » ــ كما يدعي الاسرائيليون .



وهل يكون هذا « التطور » الخرافي ــ وهو جزء من قضية الشعب العربي في اسرائيل ــ بديلا عن قضيته القومية كشعب ؟. وهل بوسع التقدم الاقتصادي النسبي أن يخلق مواطنا عربيا اسرائيليا بما يعنيه هذا المصطلح من اندماج في الكيان الصهيوني والتزام بقضاياه ومصيره ؟

يعترف شموئيل هوليدانو في حديث مع صحيفة « هآرتس » بأن مشكلة الهوية القومية الاجتماعية لعرب اسرائيل ودمجهم في مجتمع الدولة وحضارتها هي التي تشكل الآن جوهر مشاكل الاقلية العربية في اسرائيل . ويقول بنحاس سبير : « أريد أن استنتج شيئا من تطور عرب اسرائيل ، هؤلاء الذين يعيشون معنا منذ ٢٥ سنة وهو : انه كلما ارتفع المستوى المعيشي والثقافي ازدادت المشاكل وتفاقمت . وانني اخشى الا يكون اولئك الذين يعتقدون ان رفع مستوى المعيشة هو تعويض عن المطامح القومية قد تعلموا درس التاريخ جيدا . اننا نعلم ، من خلال تجربتنا في اسرائيل ، أن مستوى المعيشة ، وفي الاساس مستوى الثقافة ، لا يعيق بصورة خاصة المطامح القومية » . وعبر عن الفكرة ذاتها طوليدانو بقوله : « ان التجربة مع عرب اسرائيل تفيد أن رفع مستوى المعيشة والثقافة ليس بديلا عن الرغبات والمطامح القومية » .

ولقد انشغلت الصحافة الاسرائيلية ، في الآونة الاخيرة ، بالاجتهاد في تحليل هوية العربي في اسرائيل واعربت عن دهشتها لعجز التجربة الاسرائيلية عن خلق الهوية الجديدة التي تريدها لهذا العربي . ولاحظت أن حوالي ستين الفا من الشباب العرب ولدوا في اسرائيل ، يتكلمون اللغة العبرية بطلاقة ويعيشون على طريقة الحياة الاسرائيلية . ولكن الاسرائيليين ، في بحثهم المشكلة القومية لهؤلاء العرب ، يحصرونها في اطار خيبة الامل التي أصابتهم من الدولة الاسرائيلية ، وينسبونها الى الرفض اليهودي

الشعبي للتعايش معهم . « انهم يواجهون أيضا مظاهر التعصب القومي من أوساط واسعة من السكان اليهود » . و« يعمل يوميا نحو ٥٠ ألف عربي في المشاريع اليهودية في المدن اليهودية ، لكن العامل اليهودي غير مستعد لمساعدته ومصادقته واعتباره شريكا له في رغباته وحتى في نضاله المهني » . و« ان الاتجاه القائم عند السكان اليهود هو المحافظة على الحواجز بينهم وبين الاقلية العربية » . ودل بحث أعده الدكتور يوحنان بيريس المحاضر في جامعة تل أبيب على أن « البعد الاجتماعي عن العرب كبير وحاسم ، والاستعداد لاقامة علاقات مع العرب منخفض جـدا لدى جميع الطبقات ، وجميع المستويات الثقافية . ويرفض ابناء الطوائف الشرقية العرب أكثر من رفض الاشكناز لهم ، بحجة « نحن نعرف من هم العرب . عشنا بينهم وعانينا منهم » وكان استنتاج الدكتور بيريس « أن رفض العرب لليهود أقل من رفض اليهود للعرب » . وعلى الرغم من أن الطرف اليهودي يملك امكانية التعبير عن رفضه للعربي ، ولا تتاح هذه الامكانية العربي ، الا أن هذا الاستنتاج بالغ الاهمية لانه يطلعنا على مدى تغلغل العنصرية في بنية المجتمع الاسرائيلي . ولكن المعلقين الاسرائيليين اغفلوا حقيقة هامة هي أن رفض العربي لم يأت تلقائيا من التعصب اليهودي الشعبي معزولا عن جوهر الفكرة الصهيونية والتطبيق الاسرائيلي لها . وكثيرا ما يشكو الليبراليون الاسرائيليون من أن مشاكل عدم استيعاب العرب ناتجة عن غياب سياسة اسرائيلية واضحة تجاههم . وليست هذه الشكوى الا تزييفا للواقع ، فان السياسة الاسرائيلية تجاه السكان العرب واضحة منذ قيام اسرائيل ، وهي اقتلاعهم من أراضيهم ، والحاق الاضطهاد القومي والطبقي بهم ، وعزلهم عن انتمائهم القومي ، وخلق حالة اغتراب خانقة في وطنهم ، دون أن تغريهم بتقديم بديل أو تعويض . أي أنها لا تريدهم أن يكونوا فلسطينيين من ناحية ، ولا تستطيع ولا تريد أن تجعلهم اسرائيليين من ناحية أخرى . لقد رأت ان ابقاءهم في حالة حصار ثقافي واجتماعي ومواطنين من الدرجة الثانية هي الصيغة الاصلح لتدجينهم ، بعدمـا عجزت عن طردهم من وطنهم . وعبرت عن ندمها بعد ذلك في أنها لم تبذل جهودا كافية من أجل هذا الطرد . ولعل سياسة العنف التـي بلغت الذروة في مذبحة كفر قاسم الشهيرة كانت تعبيرا عن مرارة الحقد الاسرائيلي على وجود بقية من العرب كجزء من ديكور الطبيعة الشرقية ، وانذارا لربع مليون عربي باختيار احد اثنين : « اما الطاعة . . واما الموت » .

وتصف « معريب » « ارتباك العرب في اسرائيل في تحديد هويتهم » بقولها : ان معضلة العربي هي : كيف يكون اسرائيليا جيدا ، وكيف يكون عربيـا جيدا ، وفي الوقت نفسه مواطنا مخلصا للدولة . لقد سألت عربا اسرائيليين : من انتم ؟ فأجاب أحدهم : أنا فلسطيني ، مواطن اسرائيلي . وأجاب آخر : أنا مواطن اسرائيلي ، ومـن الناحية القومية أنا عربي . عربي في اسرائيل كالعربي في مصر وسوريا . وأجاب ثالث : أنا عربي اسرائيلي ، وقبل قيام الدولة كنت عربيا فلسطينيا . وقالت الصحيفة ان دراسة عن الهوية القومية للعربي الاسرائيلي، أعدها استاذان اسرائيليان في العلوم الاجتماعية، وصفت هذا « الارتباك » بأنه « عمل فني للموازنة بين الاتجاهات المتضادة . . توازن مبني برمته على عدم الحسم القاطع . لقد عاش عرب اسرائيل دائما في بهلوانية هذه الصيغة : مع اسرائيل لكن ليس ضد العرب ، أو مع العرب لكن ليس ضد اسرائيل » . وحللت الدراسة أزمة هذه الهوية قبل حرب حزيران وبعدها : « عندما بدأ التوتر الذي سبق حرب الايام الستة زاد الشعور بعدم الارتياح بين عرب اسرائيل، وقوي الاحساس بالحسم المقترب . وقد ظهرت على طرفي المعسكر جماعات قليلـة اعتقدت ان ساعة الحسم قد حلت فعلا : فمن جهة ظهرت رسائل التماثل والتبرع بالمال والدم للمجهود الحربي . وظهرت من جهة ثانية علامات تمرد . لكن الاغلبية الساحقة من الجمهور انطوت في قراها ولاذت بالصمت التام ، وكأنها قررت أنه لم يحن الوقت لاتخاذ قرار » .

وتضيف الدراسة : « عندما انتهت الحرب ، تقوض البناء المركب للتوازنات في هوية العربي الاسرائيلي . وقد مست مهانة العالم العربي أسس ذلك الامل الرسولي ، الذي ساعد في الماضي على استقرار الوضع . مرة اخرى ، كان من الصعب التسليم بالتناقض في الهوية من خلال الثقة بأن الوضع مؤقت فقط . لقد حدث هذا الوضع المتأزم الشاذ ، وسمع نداء يدعو الى حرب تحرير مقدسة ، لكن الخلاص لم يأت » .

« ليس هناك ما يشبه حالة الاقلية العربية في اسرائيل » . هكذا قالت صحيفة معريب : « ان هذه الاقلية تعيش ، جغرافيا ، بالقرب من وحدة الشعب الام . انهــا جديدة في وضعها كأقلية . ولهذا ما زالت تذكر انها كانت تشكل الاكثرية قبل ٢٤ سنة . انها تعيش في بلد يعيش حالة حرب مع أبناء شعبها . انها تعيش في ظل خوف الاكثرية من أن تصبح الاقلية أكثرية » .

ويتقدم ميخائيل أساف ليحسم المسألة : « علينا الا نخدع انفسنا . ان أكثرية المثقفين العرب هم ضد الدولة » . هل يستطيع العربي الاحتفاظ بهذا التوازن المعقد : ان يكون فلسطينيا واسرائيليا في آن واحد ؟. تظهر تجربة الواقع نفسه ، وتظهــر المناقشات الاسرائيلية نفسها ، أن طرفي الصيغة في حالة اشتباك دائم ، وان العجز عن دمجهما معا ، وبالتالي دمج العربي في الكيان الاسرائيلي ، لا يعود فقــط الى غياب سياسة اسرائيلية « حكيمة » في تعاملها مع الاقلية العربية ، وانما يمتد الى الصراع الطويل بين الفلسطيني والعربي من جهة ، وبين الصهيوني من جهة أخرى . وان صيغــة عربي اسرائيلي ليست صيغة فكرية متكاملة بقدر ما هــي مصطلح مستمد مــن اعتبارات جغرافية . ان الطرفين يرفضان الاندماج : الفلسطيني يرفض الاسرائيلي ، والاسرائيلي يرفض الفلسطيني . ولكن قدرة الاسرائيلي ــ في الظروف الراهنة ــ على تحويل رفضه الى واقع ، هي التي تعرقل عملية الحسم في تحديد هوية العربي المقيم في اسرائيل ، وما يستتبع هذا التحديد من اشتراك في الممارسة وتقرير المصير السياسي .

ولقد عبر مستشار رئيسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية عــن استحالة ضبط صيغة التناقض في الانتمائين في الحوار التالي : « نسمع كل يوم تقريبا ونقرأ الكلمات « ينبغي خلق جسر للحوار » ، و« ينبغي ايجاد صيغة مشتركة بيننا وبين العرب » . هذه كلمات جميلة وأسألك يا سيد طوليدانو : ماذا تفعل الدولة والحكومة والمجتمع لتحقيق ذلك في حياتنا مع العرب سكان البلد هنا بصورة يومية ؟ كان طوليدانو مضطرا ، لتطلبات الاجابة على السؤال ، الى اخفاء كل معالم الاضطهاد والتمييز والقمع اللاحق بالعرب ، فأجاب : « ان الحكومة فعلت ما كان يتوجب عليها ان تقوم به . لقد الغيت جميع القيود سواء أكان ذلك الحكم العسكري أو المناطق المغلقة أو مصادرة الاراضي » . وسئل ثانية : هل هذا كاف ؟ فأجاب : « هذا لا يكفي ، ولكن هذا ما تستطيع الحكومة القيام به » .

هنا أيضا ، تصل محاولة صهر العربي في الكيان الصهيوني الى باب مسدود آخر . فكما ان التطور الاقتصادي المزعوم لم يكبح التطلعات القومية لدى العرب في اسرائيل ولم يلغ انتماءهم ، كذلك فان افتراض المساواة واتاحة الفرص الممكنة أمام العربي ، في حالة انقلاب السياسة الاسرائيلية رأسا على عقب ، لن يضمن حل المعادلة المستحيلة لانتماء العربي . ويبدو انه يعز على الاسرائيليــين أن يدركوا ان كونهم محتلــين في الوطن الفلسطيني وكون الاقلية العربية في فلسطين واقعة تحت الاحتلال ، ما زالت هي الحقيقة الاولى في التعامل بين الطرفين . ويبدو أنه يعز عليهم أن يدركوا أيضا أن ربع القرن الذي مضى على الاحتلال لم يلغ كون الاحتلال احتلالا ، ولم يغير وعي العربي بكونه محتلا ولم يحوله الى مواطن اسرائيلي باختياره . لقد بذلت القوى السياسية الاسرائيلية طاقات ضائعة من أجل تعديل هذا الوعي ، وحاولت تمرين النفسية العربية على خلود

الامر الواقع مما يروضها على التعود عليه ويشغلها بأمورها المعيشية اليومية عن قضية مصيرها القومي . ولكن الازمات والهزات كانت تكشف دائما عن استحالة اقتناع العربي بكونه مواطنا اسرائيليا . انه لم يختر انتماءه الاسرائيلي اطلاقا ، ولم تتح له فرصة الخيار ، في يوم من الايام ، بين أن يكون اسرائيليا أو لا يكون . كانت الظروف السياسية الداخلية تعطيه اختيارا واحدا لا يخرج عن اطار الكيان الاسرائيلي : أن يختار القوة السياسية الاسرائيلية للعمل داخل العلاقات الشرعية القائمة ضمن المؤسسة الصهيونية الواحدة . وتشترط شرعية العمل والممارسة السياسية في هذه المؤسسة عدم المساس بجوهر الكيان الصهيوني . ومن هنا ، كانت حرية العربي الوحيدة المتاحة ، ضمن الظروف الداخلية والخارجية الراهنة طيلة ربع القرن ، هي حرية الاعتراض المشروط على أشكال التطبيق الصهيوني وحجمه ، وحرية الدعوة الى الاصلاح داخل المؤسسة الصهيونية . وتنتهي هذه الحرية وتتحول الى خيانة أو تجسس اذا ما وصلت ممارسة الاعتراض الى مبدأ الكيان الصهيوني . عندها تدفع خارج الشرعية والقانون وتصبح عملا سريا ويجد العربي نفسه خارج السياسة . ومن هنا أيضا تكون حرية العربي داخل اسرائيل ضربا من ضروب اختيار العبودية ، طالما أن العبودية التي يفرضها مبدأ الاعتراف بحق اسرائيل ، وهو عبودية بالنسبة للعربي لانه الغاء لحريته ، شرط لسعيه نحو ممارسة حريته .

لماذا يرضى العربي بهذا الجانب غير الحر من الحرية ؟ في ظروف سياسية معينة تكون هذه الممارسة قدراً لان بديلها واحد من اثنين : اما التخلي عن ميدان الممارسة . وهذا يعني التخلي عن الوطن — في المرحلة الحالية — من أجل اختيار حرية الاعتراض الكامل والملتزم على الكيان الصهيوني والانخراط في جبهة قتال . واما المقاومة السرية داخل الارض المحتلة ، وهذا يعني اعلان الكفر بطاقات العمل السياسي المشروع وامكانياته ضمن دائرة القانون الاسرائيلي . وهو بديل لا تحدده الشجاعة الشخصية والمشاعر الوطنية بمعزل عن الامكانية الداخلية ومستوى تطور الصراع العربي الاسرائيلي .



لا يستطيع العربي في اسرائيل أن يقيم تنظيمه السياسي المستقل . وهذا ما يجعله يمارس النشاط السياسي في احزاب اسرائيلية . واشتراك العربي في نشاط الاحزاب اليسارية يعتبر ممارسة تقدمية في ميزان القوى السياسية في اسرائيل ، وخاصة فيما يتعلق بالمشاكل السياسية واليومية الاكثر الحاحا ، وفي مراحل معينة من الصراع الاسرائيلي — العربي حيث لا يكون البت في مسألة الكيان الاسرائيلي هو القضية الاولى في سلم الاولويات . العرب في اسرائيل هم جزء من الشعب العربي الفلسطيني — ليس من السهل تأكيد هذا الانتماء داخل اسرائيل ، لان للانتماء التزاما بالمعركة والمصير . ولا يسهل على الحزب الشيوعي وهو الحزب اليساري الوحيد الذي يمارس فيه الوطنيون العرب نشاطهم السياسي أن يؤكد هذا الانتماء دائما ، ليس لان هذا الانتماء وجهة نظر قابلة للمناقشة ، بل لانها تحدد ، في مرحلة من مراحل الصراع ، وجهة نشاط هذه الاقلية القومية في اتجاه شعبها الفلسطيني . اذن ، كيف تناضل هذه الاقلية القومية الآن ، وما هو دورها السياسي ؟. يقول أهود يعري في صحيفة « دافار » عن العرب الذين كانوا ينتمون الى الحركة القومية « الارض » وهي كانت محاولة لاقامة تنظيم عربي مستقل انهم ينقسمون الآن الى ثلاثة تيارات : « ثمة من يواصل العمل السياسي الوطني ضمن أطر جديدة ، وثمة من يئس تماما من احتمالات الصراع ضد اسرائيل . وهناك من توصل الى استنتاج من أنه لا مفر من الارهاب » . ويضيف الكاتب : « ان كل شاب وطني يقف

اليوم امام الخيار الذي واجهه قادة « الارض » بعد تصفية منظمتهم : التحالف مع الحزب الشيوعي (راكاح) أو هجر السياسة . الاندماج في حياة الدولة أو اللجوء الى الارهاب. فكل واحد من هذه الاختيارات مرهون بالتنازلات والمخاطر . والاختيار صعب . لكن عدد هؤلاء الذين يعتبرون قهوجي نموذجا سيتزايد في المستقبل » .

يبدو ان ثمة اجماعا في اسرائيل على أن البديل لهجر السياسة هو التحالف مع راكاح ، وان التحالف مع راكاح يشكل معادلة مستقلة عن الاندماج في حياة الدولة او اللجوء الى المقاومة المسلحة . وقد حددت رؤوس اقلام المؤتمر السابع عشر لراكاح الهوية القومية للعرب في اسرائيل بقولها : « ان المواطنين العرب في دولة اسرائيل هــم اقلية قومية وجزء من الشعب العربي الفلسطيني » . وحددت نضالهم ودورهم السياسي بالصيغة التالية : « انهم يناضلون من أجل المساواة المدنية والقومية في الحقوق في دولة اسرائيل ، ومن أجل التقدم الاجتماعي والديموقراطي ، ومن أجل تحقيق الحقوق القومية العادلة للشعب العربي الفلسطيني ، ومن اجل السلام العادل بين اسرائيل والبلدان العربية . ومن أجل تحقيق هذه التطلعات الديموقراطية والتقدمية يشن المواطنون العرب نضالا مشتركا مع القوى الديموقراطية اليهودية في اسرائيل ضد السياسة الحاكمة الموالية للاستعمار ، وضد سياسة الاضطهاد والتمييز القوميين ، وضد السياسة الرجعية المتناقضة مع المصالح اليومية للطبقة العاملة وجماهير الشعب ، ومــن أجل تغيير السياسة الاسرائيلية الرسمية تغييرا أساسيا . وبذلــك يشكل المواطنون العرب في اسرائيل قوة تقدمية وهامة في جبهة النضال المعادي للاستعمار » . ويحصر الحـزب الشيوعي نضال العرب في اسرائيل داخل هذا الاطار السياسي الديموقراطي ويسجل في رؤوس الاقلام المذكورة : « قبل حرب حزيران وبعدهــا رفض المواطنون العــرب محاولات دفعهم الى طرق نضال مغامرة كانت لا تلحــق الا الضرر بهم وبالنضــال الديموقراطي العام في اسرائيل » !!

لا يستطيع العربي في اسرائيل ان ينشيء تنظيمه المستقل على أساس قــوي . « ان عرب اسرائيل معرضون للاستنزاف النفسي » — هكذا يقول طوليدانو ويضيف انه لا توجد منظمات مقاومة سرية او شبه سرية بين العرب في اسرائيل ، في الاسبوع ذاتــه الذي كشف فيه تنظيم سري . ومن المضحك حقا ان تحاول اسرائيل مداواة الاستنزاف النفسي للعرب بترقية عملائها العرب في وظائف عالية . ما زالت العقلية الصهيونيــة مصرة على أن تعيين أحد عملائها العرب في وظيفة عالية سيعطي الشعب العربي فــي اسرائيل تعويضا عن مهانته القومية وكرامته الانسانية ، بدلا من تعميق هذا الاحساس. ومن المضحك أيضا ان تلجأ السلطة الاسرائيلية الى اغراء هؤلاء السكان بفتح باب حزب العمل الحاكم أمامهم . لم نر جلادا يكسب مودة ضحيته عن طريق اشراكها في صنــع الكرباج . وتقول « معريب » : « ان وزراء حزب العمل قد ادركوا أن حزبهم يتجه الان نحو استيعاب أعضاء عرب . يقترح شمعون بيرس « كتلة عربية » او « حزبا عربيا شقيقا » لكن يتضح ان رؤساء الحزب مدركون انه لا يوجد في هذا الامر حل جزئي . السبب بسيط : اذا لم يقبل العرب في حزب العمل ، فسيشكلون حزبا عربيا مستقلا . لذلك فان غير الراضين في حزب العمل عن مشروع قبول أعضاء عرب ، يعرفون أن اي بديل آخر هو اقل قبولا . ان القوة الانتخابية لعرب اسرائيل تمكنهم من ادخال الكتلــة الثالثة في حجمها الى الكنيست بعد حزب العمل وغاحل اي من ١٣ — ١٤ عضــو كنيست » . وتضيف الصحيفة « ان غولده مئير وبنحاس سبير وآخرين غير مسرورين بفتح أبواب حزبهم أمام العرب ، لكنهم يعتبرون ذلك الامر أهون الشرين » . وهكــذا يحدد الحزب الحاكم الدور السياسي للعرب : مادة دعائية ، قوة انتخابية ، وشر لا بد من تطويعه ودفعه الى التسليم الشامل بالمصير الذي تحدده ، واقناعه بأنه مندمج في

حياتها السياسية والاجتماعية دون أن ترغب في دمجـــه ومنحه المساواة ، اي دمجه بالطاعة دون أن يكون مندمجا بالحقوق ! .



باختصار ، لم تتمكن اسرائيل من خلق الطراز العربي الذي تريده . ولم تتمكن من خلق مواطن عربي اسرائيلي بالمفهوم الدقيق للمصطلح . واكثر من ذلك : لم تتمكن من عقد الصلح معه . ان حربه صامتة ولكنها فعالة . وبقاؤه ــ مجرد بقائه ، ودوره رغـــم تواضعه في الحياة السياسية يعتبر انتصارا له في حربه الشاقة التي يشنها منذ ربـــع قرن بكل الوسائل المكنة : بالتحدي الصامت والصارخ ، بالمظـــاهرة ، بالاضراب ، بالتناسل ، باليسار ، بالعمل السري ، بالقصيدة ، بالهويـــة ، باصراره على القول : أنا عربي . بالصبر . بالانتظار ، بالتعلق بالاغاني العاطفية والوطنية التي يسمعها مـــن محطات الاذاعة العربية . انه يستنزف نفسيا ؟ صحيح ولكنه لا يسلم . انه يتكلم اللغة العبرية ويتقنها أكثر من وزير اسرائيلي ، ولكنها لا تشمله ولا تحتويه . وان أكثر مـــا يستنزفه هو حالة الانتظار الطويلة . ولكن هذا الانتظار هو الذي يغذي انتماءه يوما يوما . تصيبه خيبات أمل ولكنها لا تكون الا تعبيرا عما يكنه لواقعه من رفض وعن مدى تعلقه بانتمائه القومي . ينتظر لانه يشعر ان كل شيء ، لديـــه ، مؤقت . واكثر مما يستنزفه هذا الانتظار فانه يستنزف أمل الذين استولوا على وطنه بدفعه الى الطاعة والتسليم . يجلس في حلوقهم كالشوكة. يغير اساليب رفضه طبقا لما يقدره من امكانيات وظروف . يعرف هويته ويرتبك أحيانا فترده معرفته لهوية الغزاة الى توازنه السابق . ينسى ، أحيانا ، أنه محتل لانصرافه الى الاشتباك مع مصادر العيش ، فيخلق أبناء لا ينسون انهم محتلون . دهش الخبراء الاسرائيليون عندما لاحظوا ان الجيل الجديد ــ الجيل الذي ولد تحت الاحتلال أكثر احساسا بانتمائه القوميوبرفضه للكيان الاسرائيلي.

هؤلاء العرب المقيمون في اسرائيل لا تشبه حالتهم حالة اخرى في العالم ــ هكذا يقول الاسرائيليون . ان حالة الاغتراب التي خلقها الاحتلال الاسرائيلي فيهم لم تمتد الـــى الاغتراب عن هويتهم وعن انتمائهم . لقد ردوا عليها بالاغتراب عن الحالة الاسرائيلية. صحيح ، أنهم يعيشون تحت الاحتلال غرباء في وطنهم . ولكنهم ليسوا غرباء عن وطنهم. وقد قسم طوليدانو ربع القرن الذي مضى الى ثلاث مراحل : المرحلة الاولى هي «مرحلة الانتظار» وقد امتدت منذ عام ٤٨ حتى حرب سيناء «كان عرب اسرائيل خلالها ينتظرون، انهم لم يكونوا متأكدين من مصير هذه الدولة ، وفيما اذا كانت ستبقـــى ام ستزول » . والمرحلة الثانية يسميها « مرحلة التسليم الجزئي » وهي تمتد من حرب سيناء حتى حرب الايام الستة » وقد بدأ العرب في هذه المرحلة يسلمون بوجود الدولة مع بعض الشكوى، شكوى شديدة من الحكم العسكري ومصادرة الاراضي وعدم حرية الحركة وما شابه ». ويسمي المرحلة الثالثة « مرحلة التسليم الشامل » وهي تمتد منذ عام ٦٧ حتى اليوم . « ان دولة اسرائيل حقيقة قائمة ، والازدهار الاقتصادي يسجل تقدما مطردا ، وكافة شكاوي العرب ضد الحكومة قد ازيلت » . ويضيف : « وهذه المرحلة بالذات طرحت علامات استفهام لم تكن قائمة في الماضي وهي علامات استفهام صعبة . يسألـــون انفسهم : من نحن ؟ ما هو مكاننا في هذه الدولة ؟ وما هو مستقبلنا في البلد كأقلية قومية في دولة اسرائيل اليهودية » . ويعترف طوليدانو بأنه من غير الممكن تقديم حلول عن هذه الاسئلة الشاقة . وان مشكلة ولاء العربي لاسرائيل ستظل قائمة ما لم يحل السلام بين اسرائيل والعرب .

ان هذا الاعتراف يشمل اعترافا آخر لا يريد الاسرائيليون أن يفصحوا عنه ، وهو أن ما

يسمى « بالتسليم الجزئي » او الشامل او المظاهر الموحية بهذا التسليم غير قادرة على تشكيل ظاهرة اصيلة ، لان هذه المظاهر تأخذ اشكالا اخرى مضادة في حالات تحرك فعل عربي خارجي يجعل الامل حيويا . وتبقى حالة الانتظار هي الظاهرة الوحيدة الباقية .
انظروا ردود فعل هؤلاء المواطنين النفسية والمعنوية أيام حرب الاستنزاف ، او تصاعد عمليات المقاومة . وما يبدو انه تسليم ليس الا تعبيرا عن طبيعة الانسان في ممارسة الحياة في الايام العادية حين لا يكون ثمة بديل آخر . وقد لا نبالغ اذا لاحظنا ان الفترة التي يسميها طوليدانو بمرحلة «التسليم الشامل» اي الفترة التي اعقبت حرب حزيران، وما سبقها بقليل ، كانت هي المرحلة التي اعادت الى وعي العربي في اسرائيل كون حالته مؤقتة ، وعمقت فيه مشاعر الانتظار المتأججة لخلاص يراوح بين الغموض والوضوح ، لان تلك الايام ألحت على ذاكرته ووعيه بحقيقة كونه محتلا ، والغت ما قد يتركه الزمن من مقدمات التعود على الاحتلال . سيطر الاحساس العام بأن العرب ليسوا اقلية مضطهدة تناضل من أجل تحقيق مطالب ديموقراطية ومساواة في الحقوق، ولكنهم شعب محتل يقف أمام بوابة الخلاص . وقد كان للقاء شطري الشعب المحتل بعد الهزيمة تأثير كبير في تعميق الاحساس والوعي المشتركين بالاحتلال . فعلى الرغم من حمل بطاقة الهوية الاسرائيلية واتقان اللغة العبرية والتعامل مع اسلوب الحياة الاسرائيلية كانت ميزات قومية الشعب الفلسطيني الواحد، وخصوصية حياته ومصيره، وعلاقاته العائلية ، وصحوة الحنين الذي نام ذات يوم من شدة النعاس ، كانت اقوى من تأثير ربع قرن كامل من محاولات طمس هذه المعالم والميزات . وان المد والجزر في اشكال التعبير عن حالة الانتظار الطويلة التي يعيشها العرب في اسرائيل لا تنتج عن ارتباك في معرفة هويتهم ، فان هويتهم القومية حادة الوضوح ، ولكنها ناتجة عن ارتباك الفعل العربي الخارجي .. عن تقدمه او تخلفه . وان اشكال الصراع التي يستخدمها هؤلاء السكان لا يحددها توازن القوى السياسية الاسرائيلية والظروف الداخلية بقدر ما تقررها المرحلة التي يصل اليها الصراع العربي ـ الاسرائيلي .
انهم ينتظرون .. والانتظار صمود وموقف .

المقاومة الفلسطينية في الدفاع الديناميكي المرن

المقدم الهيثم الايوبي

« انني اعمل بشكل يجعل العدو يعتبر نقاطي الضعيفة نقاطا قوية ، ونقاطي القوية نقاطا ضعيفة ، في الوقت الذي اقلب فيه نقاطه القوية الى نقاط ضعيفة ، واكتشف ثغراته . »

(هو بين هسي)

تعيش حركة المقاومة الفلسطينية اليوم مرحلة جديدة من مراحل نضالها الطويل ضد الوجود الاسرائيلي . فلقد أجبرها واقع الجبهات العربية العسكري ، وتوقف حرب الاستنزاف ، وهجمة النظام الاردني الشرسة على قواعدها العسكرية والشعبية الى الانتقال من « مرحلة البناء والتجذير والمد » الى « مرحلة الحفاظ على البقاء واعادة البناء » ، وهي مرحلة تستهدف اذكاء الجذوة والامل الثوريين ، ورفع راية متابعة النضال، والحفاظ على أعلى حد ممكن من توتر الازمة الثورية ، مع اعداد القوة الذاتية اللازمة لقلب معادلة القوى وتفجير قوى جديدة قادرة على الانتقال خطوة نوعية جديدة الى امام على طريق حرب التحرير الشعبية .

وتجابه حركة المقاومة خلال المرحلة الحاضرة كل معضلات اعادة البنـــاء العسكري والتنظيمي والايديولوجـــي وما يرافقها من تشكيك وانشقاقات ومزايدات ومبالغـــات وتساقطات وانحرافات بالاضافة الى تدابير الردع الاسرائيلية المباشرة وغير المباشرة التي تحاول تحطيم القوة المادية لحركة المقاومة أو قلبها على الاقل الى جسم سلبي عديم الفاعلية عاجز عن تنمية قواه عن طريق التفاعل مع الجماهير العربية والفلسطينية ، بشكل تتحول فيه المرحلة الحاضرة من « الحفاظ على البقاء واعادة البناء » الى « الحفاظ على البقاء » بالمعنى السلبي لهذا التعبير ، لان البقاء المادي السلبي لا يشكل ــ مهما كبر حجمه ــ خطرا جديا حقيقيا مباشرا او كامنا ، فهو بقاء مجدب عاجز عن الفعــل والتفاعل والنمو ، وعاجز في النهاية عن قلب معادلة القوى .

ولقد نجم عن الانتقال من « مرحلة البناء والتجذير والمد » الى المرحلة الحاضرة انتقال حركة المقاومة على الصعيدين السياسي والعسكري الى مستوى أقل هجومية ، أي أن مستوى الدفاع السياسي والعسكري قد تزايد على حساب الهجوم . واذا كانت المرحلة السابقة هجمات تكتيكية داخل اطار دفاع استراتيجي فرضته موازين القوى العامة بين قوى الثورة وقوى العدوان ، فان المرحلة الحالية لا بد وأن تكون دفاعا ــ هجوميا يعد لانطلاق هجومي جديد في اطار الدفاع الاستراتيجي ضد المعتدين، ذلك الدفاع الذي تشنه قوى حركة المقاومة الصدامية التعرضية الديناميكية المشبعة بالعقيدة الهجومية أساسا، وتستمر فيه رغم فداحة التضحيات حتى تصبح القوى الثورية قادرة على تنفيذ الهجوم والدفاع في اطار هجوم استراتيجي شامل يستهدف تصفية الوجود العسكري الاسرائيلي ــ الامبريالي ، وتدمير الهياكل العسكرية ــ السياسية ــ الاقتصادية الصهيونية التي

تمارس كل انواع القهر القومي والقهر الاجتماعي وتمنع بناء المجتمع الديموقراطي العصري المأمول .

وما دام التحرير هدف المقاومة النهائي فان من الضروري تبني العقيدة الهجومية التعرضية الديناميكية سواء كان العمل الثوري يجري داخل اطار الدفاع الاستراتيجي (حاليا) أو داخل اطار الهجوم الاستراتيجي (مستقبلا) لان من المستحيل تصفية قوة العدو المسلحة وتدمير هياكله الاستعمارية من غير هجوم . والحرب بجوهرها هجوم ، وما الدفاع — رغم اختلاف شكله وأساليبه عن شكل الهجوم وأساليبه — سوى مرحلة من مراحل الهجوم يستخدمها الطرف الاضعف لاكتساب الوقت والحفاظ على قواه وتنميتها واستنزاف قوى الخصم الاقوى الى ان ينقلب ميزان القوى وينتقل المدافع الى الهجوم . واذا كان الهدف من الهجوم تحقيق مكاسب ايجابية تتراكم لتصبح انتصارا فان هدف الدفاع هو الحفاظ على ما نمتلك وتنميته باستمرار ، وتجريد العدو من بعض مصادر قوته ، أي تحقيق مكاسب سلبية وأخرى ايجابية تتراكم على المدى البعيد لتشارك في تبديل موازين القوى وخلق موازين جديدة تؤدي الى الانتصار . ومهما تكن قوة الدفاع وفاعليته فانه لا يمتلك قيمة ذاتية مجردة ولا تقاس قيمته الحقيقية الا بمقدار احتمال انقلابه الى هجوم . وهذا يعني ان الدفاع الحقيقي هو « هجوم مؤجل » او « دفاع — هجومي » لا يمثل درعا مجردا ولكنه « درع مؤلف من ضربات توجه بمهارة »(١) وصمود تعقبه هجمات معاكسة . وهناك حالات قليلة يستطيع المدافع فيها تحقيق هدفه بالدفاع المجرد وحده ، وذلك عندما يتكبد المهاجم خسائر لا تقلب موازين القوى بشكل حاسم ، ولكنها تبدد قوته وتجبره على أن يوقف نشاطه بعد ان يتأكد من أن خسائره غير متناسبة مع المكاسب المنتظرة . وتتطلب هذه الحالة أن تكون قيمة « هدف النزاع » بالنسبة للمهاجم محدودة جدا بشكل يجعل المهاجم حذرا يحجم عن المغامرة ودفع الخسائر لتحقيق أغراض محدودة لا أهمية لها . ولا ينطبق هذا الوضع على الصراع العربي — الاسرائيلي الذي يعتبر « هدف النزاع » فيه هاما بل وحيويا لكلا المعسكرين المتجابهين .

ويكتسب الحديث عن الهجوم والدفاع اهمية بالغة عن دراسة مسائل الصراع العربي — الاسرائيلي ، لان هذا الصراع أنموذج واضح تقليدي لمعسكرين متنازعين يتمتع أحدهما [اسرائيل] بالتفوق المادي والروح العدوانية ، ويستخدم الاستراتيجية الهجومية لتحقيق أغراضه التوسعية ، على حين يستخدم المعسكر الآخر [العرب] استراتيجيتين متباينتين . اذ تطبق الجيوش العربية النظامية استراتيجية الدفاع لصد العدوان واحباط مخططات العدو ، وتستخدم اساليب الدفاع التقليدية المباشرة وأداتها القوات المسلحة النظامية ، على حين نجد أن المقاومة — رأس الحربة الديناميكي في المجابهة — تستخدم منذ انطلاقها حتى اليوم أسلوبا دفاعيا — هجوميا ثوريا ، يتسم بالمبادرة وتسديد الضربات الجريئة . ولا تنتظر ضربات العدو لترد عليها ، بل تبادر دائما الى الهجوم الذي تعتبره أداتها الاولى لتدمير العدو واستنهاض الجماهير وتعبئة قواها لتصعيد حرب العصابات والحرب السرية حتى تصل الى مستوى الهجوم المعاكس الاستراتيجي آخر مراحل حرب التحرير الشعبية .

ومن الطبيعي ان يلجأ الطرف الاقوى **ماديا** [العدو الاسرائيلي] الى استغلال قوته لشن الهجوم . كما أن من الطبيعي ان يلجأ الطرف الاضعف **ماديا** [المعسكر العربي] الى الدفاع **مؤقتا** لتعويض ضعفه والافادة من مزايا الدفاع علما بـ « أن الشكل الدفاعي للحرب هو بحد ذاته أكثر قوة من الشكل الهجومي »(٢) شريطة ان ينتقل بعد

١ — كلاوزفيتز ، في الحرب ، الكتاب السادس ، الفصل الاول ، ص ١١٥ .
٢ — المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

ذلك الى الهجوم . ولقد ذكرنا ان هدف الهجوم تحقيق مكاسب ايجابية وأن هدف الدفاع الحفاظ على ما نمتلكه . ومن المؤكد أن المحافظة على شيء يود الخصم انتزاعه أسهل من اكتساب شيء من بين براثن الخصم . بيد ان الطبيعة السلبية لهدف الدفاع تجعلنا لا نلجأ اليه الا اذا أجبرنا ضعفنا على ذلك . وان من واجبنا — أن شئنا تطبيق قوانين الحرب والعمل وفق جوهرها — التخلي عن الدفاع عندما نحس بنمو قوتنا وتدرتها على تحقيق هدف ايجابي . من هنا نستنتج أن بدء الطرف الاضعف بالقتال دفاعيا والانتقال بعد ذلك الى الهجوم هو تطور طبيعي في الحرب .

بيد أن الحديث عن الهجوم وتسليط الاضواء على ما يمكن ان يحققه من أهداف ايجابية لا يعني تفضيله على الدفاع بشكل مطلق . والعلاقة بين النوعين مترابطة جدلية . وكما ان الهجوم بمعناه الشامل يحمل في طياته بعض عمليات الدفاع ، فان على الدفاع أن يتضمن الكثير من العمليات الهجومية . وكما « ان القدرة علـــى الهجوم غير المعززة بالقدرة على الدفاع هي أدنى من هاتين القدرتين مجتمعتين »(٣)، فان « الحرب التي لا تفيد الانتصارات فيها الا لصد الضربات والتي لا نحاول فيها رد كل ضربة بضربة مماثلة حرب رعناء كالمعركة التي يسود فيها الدفاع المطلق (السلبية) في كل التدابير المتخذة»(٤) والفرق بين الهجوم والدفاع هنا هو أن الهجوم يبدأ **بالعمل** — لانه قادر على ذلك — على حين يبدأ الدفاع **بالانتظار** ويستفيد منه الى أبعد حد ممكن لينتقل بعد ذلك الى **العمل** الذي يبدأ بتدمير العدو بالنار ثم يتطور حتى يصل الى تدمير العدو بالنـــار والصدمة (الهجوم المعاكس) . ومن الضروري اعتبار انتقال المدافع الى تسديد الضربة المعاكسة **ميلا طبيعيا للدفاع** وان نرى في هذه الضربة **جزءا أساسيا ولازما** لكل دفاع ديناميكي يتمتع بحس سليم وقدرة على استغلال نقاط ضعف الخصم وطرق الحديد وهو ساخن . ان أروع لحظات الدفاع هي اللحظة التي يكتشف فيها المدافع ثغرة في أوضاع المدافع وترتيباته فيسدد لها ضربة جريئة سريعة مدمرة . وكل من لا يفكر بهذا الشكل منذ بداية الصراع ولا يخطط للضربة المعاكسة ولا يدخلها في مفهوم دفاعه ، ويعتقد ان الصد وحده قادر على تحقيق النصر مهما كبرت قيمة « هدف النزاع » عبارة عن شخص لا يمكن أن يعي جوهر الحرب وجدلية الهجوم والدفاع وعلاقاتهما المتبادلـــة ، علاوة على انـــه — حسب تعبير كلاوزفيتز — « يفكر بطريقة تضييق العقدة لا بطريقة حلها » .

وضمن اطار الحديث عن الدفاع العربي النابع مـــن الاستراتيجية العربية الدفاعية — القائمة حاليا ، والتي ما زالت قائمة منذ نشوء اسرائيل — لا بد لنا من تحديد دور قواعد المقاومة الفلسطينية الموجودة خارج الارض المحتلة في مجابهة اي عدوان مقبل . ومثل هذا العدوان أمر منتظر بل ومحتوم طالما أن المقاومـــة الفلسطينية الموجودة في سوريا وجنوبي لبنان تشكل خطرا كامنا على أمن المستعمرات وخطوط المواصلات ، وطالما ان العدو العاجز عن رفع مستوى ردع المقاومة عن طريق « التلويح بالقوة » أو عن طريق « الردع غير المباشر » قد قرر تجاهل « الحدود السياسيـــة » وتبنى مبدأ « الحدود الايديولوجية » الذي يخوله حق اجتياز الحدود برا وجوا والتغلغل عبر المياه الاقليمية ومطاردة رجـــال المقاومة حيثمـــا وجدوا (راجع مقـــال العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية ، العدد ١٧ من مجلة شؤون فلسطينية) واذا كان من المهمات الاستراتيجية الاساسية اليومية لقواعد المقاومة المتمركزة في البلدان العربية المضيفة دعم المقاومة داخل الارض المحتلة وتموينها وامدادها ورفـــع مستوى التعبئة السياسية النضالية بين صفوف الجماهير بالاضافة الى تسديد ضربات أليمة لثغرات العدو الكثيرة، ولمواقعه الاقتصادية والعسكرية المنتشرة في كل أرجاء الارض المحتلة ، ضمن خطـــة

٣ — الجنرال فولر ، **تاثير التسليح في تاريخ الحضارات** ، ص ١٩ — ٢٠ .

٤ — كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب السادس ، الفصل الاول ، ص ١٧ .

استنزاف طويلة الامد ، فان من واجباتها الاساسية خلال أي هجوم معاد داخل الارض العربية المشاركة الفعلية في الدفاع بأسلوب العصابات ووفق تكتيكاتها وقوانينها ، سواء تمت هذه المشاركة بالتنسيق مع هذا الجيش العربي أو ذاك ، او بدون هذا التنسيق .

ان حجم قوات حركة المقاومة وطبيعة تدريبها وتسليحها ومستوى كثافة نيرانها لا تسمح لها بأخذ مواقع دفاعية ثابتة والصمود عليها كقطعات نظامية . وكل من يفكر بأن على حركة المقاومة — في واقعها الراهن — أن تأخذ مكان الجيش التقليدي ، والتصرف مثله ، والقيام بالواجبات الملقاة على عاتقه ، والنجاح في صد هجوم مدرع وجوي على غرار الهجمات الاسرائيلية على جنوب لبنان عبارة عن شخص يجهل حقيقة العصابات ومدى عملها وطبيعة مهماتها ، ويريد نحت تمثال بازميل حجّار . والتفكير القويم المتلائم مع طبيعة الاشياء في المرحلة الراهنة يتطلب تفهم المقاومة — الطامحة الى تصعيد المعركة حتى آخر مراحل الحرب الشعبية طويلة الامد — لجميع معطيات الصراع وتحديداته ، والقيام بمهماتها وفق أساليب حرب العصابات ومبادئها ، وعدم تجاوز هذه المبادىء تحت ضغط الافكار المغلوطة او الاهواء ، حتى لا تدفع ثمن هذا التجاوز ضريبة غالية تحرمها من تحقيق هدف بناء القوة الذاتية ، وتقلب الايجابيات المحتملة الى سلبيات تأخذ في بعض الاحيان حجم الكارثة .

وتتطلب مبادىء حرب العصابات قيام المقاومة عند هجوم العدو بدفاع ديناميكي مرن يطبق ثلاث قواعد من قواعد ماوتسي تونغ الاساسية وهي : **الانسحاب امام تقدم العدو انسحابا يتجه نحو المركز ، وضرب العدو المتوقف ، وملاحقته عندما يبدأ بالتراجع .** وهذا يعني تنفيذ عمليات المقاومة المحسوبة والتراجع الارادي والهجمات المعاكسة أمام العدو المتقدم ، وشن الطلعات التعرضية والاغارات المستمـــرة ضد العدو المتوقف ، واجراء المطاردة الحثيثة ونصب الكمائن المتواترة وتنفيذ عمليات الاعاقة والازعاج أمام العدو المنسحب .

وتتضمن هذه العمليات أعمالا ايجابية غايتها تدمير العدو وهي : المقاومة المحسوبة ، والهجمات المعاكسة ، والطلعات التعرضية ، والاغارات ، والمطاردة ، والازعاج كما تتضمن أعمالا سلبية كالاعاقة والتراجع الارادي اللذين يستهدفان الاقتصـــاد بالقوى الذاتية وتدمير العدو بفضل الجهد الذي يفرضه عليه تقدمه . وتساعد العمليات بنوعيها الايجابي والسلبي قوات المقاومة ، وتؤمن لها ضرب العدو في الزمان والمكان المناسبين ، وتسمح لها بالقتال ، اطول وقت ممكن وتكبيد العدو خسائر جدية بأقل التضحيات .

ويمكن لقوات المقاومة تحقيق أفضل النتائج اذا ما طبقت عملياتها مستفيدة من عاملي **الارض** و **المفاجأة** . ومن الممكن بسهولة فهم تأثـير ميزات **الارض** الصالحة لحـرب العصابات كالجبال ، والمناطق المشجرة ، والاراضي الوعرة ، والممرات الاجبارية ، وما تقدمه هذه الميزات من مساعدة لتحقيق النصر . بيد أن طبيعة الارض الصعبة وحدها لا تكفي . ولا تستطيع أصعب الاراضي ايقاف جيش حديث متقدم ، ولا يمكن تحقيق الفائدة القصوى من ميزات الارض الا اذا درسها المدافع دراسة تامة ، وعرف ممراتها ونقاطها المنيعة وقطاعاتها المخفية وموارد المياه والتموين فيها ، وتدرب على استخدام مسالكها واستطلاع مخابئها قبل المعركة واستخدم كل هذه المعلومات بأفضل شكل خلال القتال وعمل كصاحب البيت الذي يعرف سبيله في الظلام أكثر من الغريب المقتحم الذي يحاول معرفة الارض بمختلف وسائل الاستطلاع ، ولكن معلوماته عنها تبقى محدودة بشكل يعرقل عمله وخاصة خلال الليل .

وتزيد **المفاجأة** قوة الصدمة ، وترفع مستوى التأثير المادي والمعنوي الـى أبعد مدى ممكن . ومن المعروف ان المهاجم يحقق المفاجأة نظرا لقيامه بالضربة في الزمان والمكان

اللذين يختارهما ، ويتابع تقدمه على الاتجاهات التي يريدها . ولكن المفاجأة الاولية تفقد قيمتها بعد زوال اثر الصدمة الاولى كما ان المفاجآت التالية الخاصة باختيار اتجاهات التقدم تفقد كل آثارها في الاراضي الجبلية والمضائق والاراضي المشجرة التي يضطر العدو الى التقدم فيها على محاور قليلة معروفة . وهنا تنفتح كافة الفرص أمام العصابات لتحقيق المفاجأة عن طريق تسديد الضربات المعاكسة في أماكن غير متوقعة ، وتنفيذ المقاومات والكمائن في نقاط مختارة بعناية وبقوات غير منتظرة . ويرتفع مستوى المفاجأة اذا كانت قوات المقاومة خفيفة الحركة قادرة على الانتقال وتحقيق عمليات التبعثر والتجمع والالتفاف بسرعة فائقة . واذا كان مستوى معنوياتها وتدريبها وقيادتها يسمح لها باستخدام الليل والوديان والمساتر وكل سبل الاختفاء ، وتوجيه الضربات المتنوعة التي لا تخلو من الابتكار والابداع وتركيزها على مقدمات أرتال العدو المهاجمة ومجنباتها ومؤخراتها .

وتختلط الاعمال الايجابية (المقاومة المحسوبة، الهجمات المعاكسة، الطلعات التعرضية، وغير ذلك من العمليات المذكورة آنفا) خلال الدفاع الديناميكي المرن مع الاعمال السلبية (التراجع الارادي . . .) . ولا يمكن فصل الايجابي عن السلبي في كل عمل دفاعي ناجح . ومن المستحيل فهم التراجع الارادي الذي قد تضطر المقاومة الى استخدامه تحت تأثير اختلال ميزان القوى اذا لم يرتبط بأذهاننا مع الضربات المعاكسة التي تكبد العدو خسائر مادية ومعنوية تتراكم على المدى البعيد لتعديل ميزان القوى . واذا كان التراجع الارادي عملا من أعمال الحرب فان « الاشتباك هو النشاط الحربي عينه ، وكل ما عدا ذلك اضافات تعمل لمساعدته »(٥). اذ ماذا يفيد وضع الخطط ، واجراء التحركات والمسيرات الطويلة المنهكة ومناورات الالتفاف ، وتنظيم الامداد والتموين اذا لم تؤد هذه الاعمال كلها الى القيام باشتباك ناجح يدمر جزءا من قوى العدو المادية والمعنوية ؟ ان قيام المدافع (عصابات كان أم جيوشا نظامية) بالتراجع الارادي عمل لا ينطبق على مفهوم الحرب ولا ينسجم مع جوهرها الا اذا كان عبارة عن حركة محددة ضمن منظور خدمة الاشتباك وتقديم أفضل الشروط لتنفيذه .

ويجدر بنا هنا أن نميز الانسحاب الارادي الذي قد تقوم به قوات المقاومة خلال دفاعها الديناميكي المرن عند غزو القوات الاسرائيلية للاراضي العربية المجاورة لحدود الارض المحتلة وأن نفرق هذا الانسحاب عن الجذب الاستراتيجي الى داخل البلاد . ويمكننا القول بأن العمل الاول تكتيكي والثاني استراتيجي . وبالرغم من تشابه العملين وتقارب أهدافهما (جذب الخصم الى أرض صالحة للدفاع وانتظار الفرصة الملائمة لضربه ضربة قاصمة بعد انهاكه بالمقاومات المتعاقبة والحواجز) فان حجمهما وامتداد عملهما في الزمان والمكان مختلفان بشكل واضح . وتستطيع المقاومة تطبيق العمل الاول بنجاح في مناطق الاشتباك المحتملة مع العدو ، بيد أن حجم قوات المقاومة الفعلي ، وطبيعة مسارح العمليات المتوقعة في عمق الاراضي العربية ، ووجود قواعد المقاومة في مناطق متشابكة مع مناطق عمل الجيوش العربية النظامية التابعة لدول لها خطط واستراتيجيات اخرى ، عبارة عن عوامل لا تسمح للمقاومة (حاليا) بتنفيذ الجذب الاستراتيجي لوحدها ، ولكنها تسمح لها بالمشاركة في مثل هذا العمل اذا ما تبنى جيش البلد العربي المضيف مثل هذه الخطة .

ويعتبر التراجع الارادي الذي تقوم به قوات المقاومة ناجحا اذا تم بمرونة وسرعة ، وبدأ بضربة وانتهى بضربة . وكان خلال تنفيذه عبارة عن انتقال من موقع قتال الى موقع قتال . وتتسم مواقع القتال هنا بأنها مواقع محددة مسبقا لاجراء **مقاومة نسبية** لا

---

٥ ـ كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب الرابع ، الفصل الثالث ، ص ٢٩٢ .

تستهدف **كالمقاومة المطلقة** تحقيق انتصار حاسم — وهي في الاساس غير قادرة على ذلك — ولكنها تستهدف تحقيق ربحين هما : ١) **كسب الوقت** لتعبئة قواها الذاتية عسكريا وسياسيا ، ورفع مستوى التوعية الجماهيرية الى ابعد مدى ، واكتساب الاصدقاء في معسكر المحايدين ، وخلق شرخ داخل معسكر العدو . ٢) تكبيد العدو سلسلة من الخسائر بالارواح والمعدات لاستنزاف قواه المادية والمعنوية وتبديل موازين القوى على المدى البعيد . ويكون القتال على مختلف المواقع جزءا من « الطحن الاستراتيجي » الذي يدمر العدو تدريجيا ، ولا يسمح له بربح شبر واحد من الارض الا بعد أن يدفع ثمنه غاليا ، ويقلب تقدم القوات المعادية من مطاردة عادية الى اختراق طويل شاق .

ويختلف القتال من موقع الى آخر حسب اختلاف مواهب القيادات ، ومستوى الروح المعنوية للمقاتلين ، وطبيعة الارض التي يجري عليها القتال ، وموازين القوى ، والقدرة على الحركة ... الخ . وهو يستخدم نيران الرشاشات والاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات والقنابل والالغام على نطاق واسع ، ويتراوح بين المعركة الدفاعية المحلية ، والكمين ، والهجوم المعاكس ، والاغارة ، والقنص ، والمناوشة .. الخ . على أن يحكم كل هذه العمليات قانون اساسي واحد هو **أن لا يتجاوز القتال في كل موقع حدود «المقاومة المحسوبة»** أي المقاومة التي لا تستمر سوى الوقت الكافي لتكبيد العدو خسائر كبيرة عن طريق المفاجأة ، والتخلي عن الارض فور زوال عامل المفاجأة ، وقبل ان يبدأ العدو باستخدام قواته ووسائطه القادرة على قلب التراجع الارادي الى هزيمة .

ولا تخلو عملية التراجع الارادي من الصعوبة . ولكنها تبقى أسهل بكثير من التراجع تحت ضغط العدو . ولقد أثبتت تجارب الحروب الثورية أن خسائر العصابات خلال التراجع تحت ضغط العدو أكبر بكثير من خسائرها خلال التراجع الارادي بل وخلال التراجع الارادي والمقاومة المحسوبة أيضا . وأخطر ما يؤثر على المقاتلين خلال التراجع الارادي اعتقادهم بالوقوع داخل الطوق وخاصة اذا ما تجاوزتهم قوات العدو الآلية السائرة على الطرقات . والحقيقة أن مثل هذا التطويق لا يؤثر على قوات المقاومة ولا يعرضها لاي خطر فهي قادرة على الحركة خارج الطرق ، والتسلل عبر الوديان والمناطق المشجرة والتخلص من شبكة الطوق الاستراتيجي عبر الفتحات الاجبارية التي يفرضها طول محيط الطوق بالنسبة للقوات القائمة به . ان الطوق الاستراتيجي خطير جدا بالنسبة للقوات النظامية فهو يضرب مؤخراتها الحساسة ويحرمها من التموين الذي تحتاجه بشكل ملح . ولكن خطره على مفارز العصابات الصغيرة محدود جدا اذ ليس لهذه العصابات مؤخرات حساسة ، كما أنها لا تعتمد في امدادها وتموينها على الطرقات والقواعد الخلفية بل على ما تجده في منطقة عملها من مصادر محلية . وتكمن الخطورة الحقيقية بالنسبة لمفارز العصابات الصغيرة في التطويق التكتيكي أو العملياتي الذي يعقبه تمشيط دقيق . ولكن تنفيذ مثل هذا العمل صعب نسبيا ويتطلب وقتا طويلا ولا تستطيع القوات الاسرائيلية المعتدية تنفيذه بحرية نظرا لوجود تحديدات العمل التالية : ١ — انتشار القوات العربية النظامية قرب الحدود واضطرار القوات الاسرائيلية المطاردة للاشتباك معها وتصعيد العمليات (وخاصة في سوريا) ، ٢ — صعوبة الارض وقدرتها على اخفاء قوات المقاومة (وجنوب لبنان أفضل في هذا المجال من جنوب سوريا ، كما أن قطاع العرقوب في الجبهة اللبنانية أفضل من القطاع الاوسط) ، ٣ — تضامن السكان في كلا البلدين مع رجال المقاومة ضد العدو المشترك ، ٤ — الوضع الدولي العام ، وحساسية الرأي العام العالمي ضد عمليات تجري على أراضي دول عربية ذات سيادة (وخاصة بالنسبة للبنان) . ومهما كان التطويق المحتمل خطيرا وسواء كان استراتيجيا أم تكتيكيا فان بوسع قوات المقاومة التملص منه مع استخدام المساتر

الطبيعية والليل والحركات السريعة والمسيرات الطويلة شريطـة الا يؤدي ذلك الى تبعثرها وفقدان تماسكها الداخلي بشكل يجعلها عاجزة عن الصمود على المواقع التالية، ويفقد قيادتها القدرة على زجها في عمليات هجومية ناجحة .

والمسألة الاخيرة التي لا بد من دراستها في مجال التراجع الارادي هي مسألة الانطباع المعنوي السيىء الذي يتركه التراجع بين صفوف الاهالي وداخل قوات المقاومة ، وينتشر بسرعة البرق في جميع مستويات المقاتلين والقيادات ، ويهدد بشل الروح القتالية ، ويخلق حالة لا ثقة بين المقاتلين وسكان مسرح العمليات . ويدفع المواطنين الى التساؤل بقلق عن المصير الذي ينتظرهم بعد انسحاب مفارز المقاومة التي كانت تعطيهم احساسا بالطمأنينة والفخار . ومن المؤكد ان الصراع لتبديد هذا الانطباع عمل من أهم واجبات قيادة المقاومة قبل القتال وخلاله . وهو يستند الى القناعة الثورية الراسخة لدى جميع المقاتلين بعدالة الصراع وصعوبته وطول مدته وحتمية الانتصار فيه كما يعتمد اعتمادا كليا على وعي الجماهير بقدرة المقاومة على الانتصار بعد أستنزاف قوى العدو قطرة اثر قطرة حتى يتم قلب موازين القوى وتغـدو الظروف صالحة للبـدء بالهجوم المعاكس الاستراتيجي (الهجوم المعاكس الشامل) .

وتأتي قناعة المقاتلين قبل القتال من رفع مستوى التوعية السياسية ـ الثورية بشكل يمنح المقاتل القدرة على التحليل ورؤية الامور واضحة بكل ابعادها الحقيقية ويساعده على فهم الاحداث وخط تطورها . وتتزايد هذه القناعة خلال القتال اذا لاحظت المفارز ان قادتها يقفون على رأسها ويشحذون هممها ولا يتركون فرصة سانحة الا واستغلوها لضرب العدو باقدام وعنف . أما قناعة الجماهير بفاعلية حركة المقاومة والتفافها حولها وثقتها بها رغم تراجعها الارادي وتركها أجزاء عزيزة من أرض الوطن عزلاء بلا سلاح فلا يمكن ان تتبلور وتترسخ الا اذا رأت الجماهير خلال القتال ان مفارز المقاومة تصمد حيث ينبغي الصمود ، وتقاتل حيث يجب القتال ، ولا تترك شبر أرض أكثر مما ينبغي ، وتنسحب بانتظام وترتد بشجاعة واقدام ، وتقاتل وهـي منسحبة بأسلوب « الاسد الجريح » الذي يتراجع مكشرا عن أنيابه ، ووجهه الى عدوه ، وعيناه تقدحان شررا ، ولا ينتقل خطوة واحدة الى الوراء دون ان يسدد لمطارديه ضربة توقف مطاردتهم ... واذا تعذر عليها استخدام هذا الاسلوب لان طبيعة الارض واختلال ميزان القوى لم يساعداها على ذلك لجأت الى أسلوب « الذئب الجريح » الذي ينسحب الى بطن الجبل حاملا جرحه بكبرياء ، ويختفي حتى يحل الظلام ، ثم يعود لينقض على ظهر خصمه بكل شراسة .

ان الدفاع الديناميكي المرن هو واجب قواعد المقاومة الاساسي أمام كل عدوان . وهو الوسيلة الوحيدة للمشاركة في « طحن » رأس الحربة المتقدمة . وجوهر هذه الوسيلة الصدمة والحركة على أن تكون الصدمة عنيفة متواتـرة وأن تكون الحركة منتظمة ومتناوبة الى أمام والى خلف ، مع الافادة الكلية من مميزات الارض والحواجز والليل والمفاجأة . ومهما كبرت قوة العدو المهاجمة ، ومهما بدا ميزان القوى مائلا لصالحها فان استخدام الدفاع الديناميكي المرن من قبل قوات المقاومة سيكون عملا حربيا أريبا يتناوب فيه استخدام « الدرع » والمخاتلة لاتقاء الضربة واستخدام « السيف » لتسديد الضربات القاصمة التي تحطم غطرسة العدو وتكبده خسائر فادحة تجعل اي نصر تكتيكي أولي يحققه بلا معنى .

حق الجنسية في ليبيريا واسرائيل : قضية العبرانيين السود

انيس فوزي قاسم

« ان الافتراض القائل بان اليهود في فلسطين سيرتفعون بالضرورة الى مستوى روحي اعلى وانهم سيقدمون مثالا لالهام اليهود الموجودين في الشتات ، شبيه بالقول ان [وجود] ليبيريا مستقلة سترفع من مكانة الزنوج في كل مكان آخر . »(١)

[موريس كوهن — ١٩٤٦]

انه لمن الغرابة بمكان أن لا ترحب ليبيريا ، وهي رسميا « دولة الزنوج » ، بأشخاص ذوي بشرة سوداء ، وان ترفض اسرائيل ، وهي رسميا « دولة اليهود » ، منح جنسيتها لاشخاص يدينون باليهودية . هذه ، باختصار ، هي المسألة المتعلقة بقضية مجموعة تسمي نفسها « العبرانيين السود » هجرت شيكاغو الى ليبيريا ومن ثم انتقلت الى اسرائيل للتوطن فيها .

سوف يستخدم قانون الجنسية في كل من ليبيريا واسرائيل كأداة مؤشرة الى الوضع المجتمعي لكلا الدولتين . ان اختيار قانون الجنسية للبحث في قضية العبرانيين السود يرجع ، في أحد أسبابه ، الى أن قانون الجنسية من أكثر القوانين المحلية تعبيرا عن الفلسفة السياسية ، والتركيب الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للدولة المعنية . الا أنه يجب أن لا ينصرفن الذهن الى الاعتقاد اننا نتناول هنا موضوعاً في القانون المقارن ، او مسألة مدى انطباق هذين القانونين مع مبادىء القانون الدولي المتعلقة بالجنسية. اننا، بالتحديد ، نحاول البحث والمقارنة في وضعي مجتمعين عبرا عن نفسيهما في قوانين الجنسية . واخيرا سننتهي باستخلاص الدروس التي قد تفيدنا في تقييم البدائل المقترحة لحل المشاكل التي نتعرض لها .

ان ظهور ما نعرفه اليوم بجمهورية ليبيريا يعود في اساسه الى ظهور شبه طبقة اجتماعية في اميركا تسمى « الاحرار الزنوج »(٢) Free Negroes . لم تكن حركة تحرير العبيد متماثلة في جميع انحاء الولايات الاميركية . ان توسع انتشار وسائل الانتاج في الولايات الشمالية أدى الى تحرير العبيد في وقت مبكر في تلك الولايات . وما أن انتهى القرن الثامن عشر حتى أصبح الرق محرما بموجب القوانين النافذة آنئذ فيها . والعبيد الذين تم تحريرهم نتيجة لذلك اصبحوا يسمون « الاحرار الزنوج » . أما في الولايات الجنوبية ، فقد ظل العبيد اكثر وسائل الانتاج ربحا لا سيما في مجال زراعة القطن . ومن هنا يبدو سبب مقارنة الولايات الجنوبية لحركات تحرير الزنوج المنتشرة آنئذ في الشمال .

كان ظهور « الاحرار الزنوج » تطورا اجتماعيا محيرا . فمن جهة ، لم يكن هؤلاء احرارا بالمعنى الكامل الذي يجعلهم في مصاف البيض. فالزنجي الذي يدعي انه نال حريته، عليه

ان يبرز شهادة تحرره التي أصدرتها المحكمة المختصة في منطقته . كما أنه كان يحق لمثل هذا الزنجي ان يمارس بعض الاعمال الحرة وان له الحق في التملك الا انه لا يحق له امتلاك السلاح . ومن جهة اخرى ، لم يكن الزنجي الحر عبدا كالاغلبية المسحوقة من زنوج الجنوب . لقد وصف احدهم وضع الاحرار الزنوج بأنهم يشكلون « عنصرا ثالثا في نظام قائم على [عنصرين] اثنين . » كانت المشكلة تتركز في ماذا يمكن عمله بشأن هؤلاء الاحرار الزنوج ؟ كان السادة البيض في الجنوب يخشون من مجرد وجـود مثل هؤلاء الزنوج كنموذج متقدم يشجع العبيد على التمرد والتحرر ، وفي الوقت نفسه ، لم يكن بالامكان اعادة هؤلاء الاحرار الزنوج الى حظيرة الاستعباد . ولحل هذا التناقض ، اقترح هؤلاء السادة تصريف الاحرار الزنوج الى مكان ما خارج الولايات المتحدة . هذا هو أساس فكرة انشاء « ليبيريا » .

في عام ١٨١٧ عقد اجتماع في واشنطن العاصمة حضره قادة الولايات الجنوبية حيث تم الاتفاق على انشاء الجمعية الاستعمارية الاميركية American Colonization Society لقد حدد دستور الجمعية اهدافها بأنها تنوي اقامة مستعمرة في افريقيا للراغبين مـن الاحرار الملونين والقاطنين في الولايات المتحدة(٣). لقد خصص الكونجرس مبالغ مالية مناسبة لذلك المشروع ، وأعلن الرئيس مونرو ، الذي عين موظفين حكوميين للعمل مع الجمعية ، انه لا ينبغي منذ الان لشخص ملون او خلاسي ان يظل في الولايات المتحدة ولا مكان لهؤلاء سوى الشاطىء الافريقي(٤). لاقت الجمعية كذلك تأييدا حارا في أوسـاط مالكي العبيد الجنوبيين حيث ادركوا ان « تصريف الاحرار الزنوج » الى الخارج سوف يمنح « مؤسسة الرق امانا أكثر »(٥).

باشرت الجمعية نشاطها على الشاطىء الغربي لافريقيـا . ومنـذ البداية ، جوبهت بمعارضة قوية من السكان الاصليين ، الذين أفشلوا محاولتين للجمعية في الحصـول على موطىء قدم . وفي المرة الثالثة ، نجحت الجمعية بمساعدة احدى قطع البحريـة الاميركية من احتلال رأس مسرادو Cape Mesurado ، وأجبرت السكان الأصليين على توقيع صك تنازل عن تلك الارض(٦). تشكلت من هذه الارض ، ومن الاراضي التـي احتلت فيما بعد ، الاقليم الحالي لجمهورية ليبيريا — أرض الحرية — وأصبحت عاصمتها منروفيا ، التي سميت تيمنا بالرئيس الاميركي مونرو .

لقد قام القادة الزنوج في الولايات المتحدة بحملة معارضة شديدة ضد نشاط الجمعية . وصف مارتن ديلي ، أحد زعمائهم ، اعمال الجمعية بأنها في الواقع ، « ضد المسيحية » و « عدوة الناس » رغم التظاهر بعواطفها ، وحمل على قادة الجمعية ووصفهم بأنهم « هراطقة شريرون » يقودون مؤسسة هي « احدى الد اعداء الزنوج »، وندد بأغراض الجمعية التي تهدف الى « تصفية الزنوج من البلاد وطردهم الى ليبيريا » . ووصـف ديلي ليبيريا بأنها « سخرية بائسة فقيرة » وبأنها في الواقع « قناع ساخر على وجـه الحكومة »(٧). قامت معارضة الزنوج على أساس من الاعتقاد الجازم بأن اميركـا ، وليس أي مكان آخر هو وطنهم الام . وقال زعيم زنجي آخر ، روبرت بيرفس ، ان « القليل سـوف يذهبون ، أما جماهير الناس الملونين فلـن يتركوا الارض الـتي عليها ولدوا »(٨). وحين اعلن الرئيس ابراهام لنكولن تأييده للجمعية ، قام وفد مـن زعماء الزنوج بحملة معارضة وارسلوا اليه نداء ، في وقت اندلاع الحـرب الاهليـة الاميركية ، جاء فيه : « هل سنضحي بهذا ، نترك بيوتنا ، ونفرط في مسقط رأسنا ، ونهرب الى أرض غريبة لكي نهدىء غضب الخائنين وتحاملهم الذين يمتشقون السلاح الان ضد الحكومة ؟ »(٩).

ومع اشتداد حملة المعارضين ، وتناقص عـدد المهاجرين الزنـوج ونقص الموارد ، اوقفت الجمعية نشاطها . لقد نجحت في تهجير ما يقرب من الخمسة عشر الفا مـن

الاشخاص الملونين . في ٢٦ يوليو ١٨٤٧ اعلن هؤلاء المستوطنون ، بناء على نصح الجمعية وارشادها ، أنفسهم ، دولة مستقلة في ليبيريا . حازت الدولة الجديدة على اعتراف بعض الدول في حينه ، أما الولايات المتحدة ، فلم تعترف بها رسميا الا في عام ١٨٦٢ ، اذ لم يكن من المقبول حتى ذلك الحين استقبال ديبلوماسي زنجي في العاصمة الاميركية .

اذا كانت فكرة انشاء ليبيريا تعود في اساسها الى التمييز العنصري ضد الزنوج في اميركا ، فان فكرة انشاء دولة يهودية تجد جذورا لها في الموقف العنصري المعروف باللاسامية في اوروبا . من المؤكد ان اللاسامية هي تعبير عن الازمة الطبقية التي شهدتها اوروبا في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر بين البرجوازية المسيحية والبرجوازية اليهودية حيث برزت الاخيرة كقوة منافسة نتيجة تطورات اجتماعية وتاريخية معينة . ان المماثلة بين المشروع الليبيري والصهيوني لا ينفي ولا يقلل من اهمية الفوارق الاساسية بينهما . فقد استطاعت البرجوازية اليهودية ، ممثلة في القيادة الصهيونية ، ان تجعل مصالحها موازية دائما لمصالح الدولة الاستعمارية المناسبة(١٠)، كما استطاعت ، بعكس قيادة الزنوج ، الاستفادة الى اقصى الحدود من شعور اللاسامية للاسراع في تهجير اليهود من اوروبا الى فلسطين .

كان تيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، يعتقد اعتقادا جازما بأن العداء للسامية هو مرض مزمن في العالم المسيحي ، وان المشكلة اليهودية هي أزمة مستعصية . يقول هرتزل : اذا وجدت حكومة « تقف مع اليهود ، فانها ستجابه غضب الجماهير ، واذا وقفت ضد اليهود ، فانها ستخلق ازمة اقتصادية » اما اذا بقيت على الحياد ، فسوف يلجأ اليهود الى « احضان الثوريين » . وهنا يصل الى النتيجة القائلة بأن حل المسألة اليهودية لن يتأتى الا بخلق دولة لليهود خارج العالم الاوروبي ، وسوف تخلق هذه الدولة وضعا طبيعيا لليهود وللاقطار الاوروبية . وجاءت صرخته تعبيرا دقيقا لفلسفته ، اذ يقول : « الصهيونية هي ببساطة صانعة السلام »(١١).

خلافا لكل سابقة ، فقد استغل هرتزل شعور العداء لليهود لتحقيق مشروعه . وفي ذلك يقول : « لا حاجة لضغط كبير لتنشيط الهجرة . ان اعداء السامية قد بادروا بتحقيق هذا لاجلنا »(١٢). ليس من المستغرب ، اذن ، ان يقوم هرتزل بأول اتصالاته الديبلوماسية مع أكثر الشخصيات الرسمية عداء لليهود . فقد وقع اتفاقية مع وزير داخلية روسيا القيصرية الذي أيد الصهيونية « طالما هي حركة تهجيرية »(١٣).

أدرك القادة الصهيونيون الذين خلفوا هرتزل فائدة العداء للسامية لبرنامجهم . لقد سجل ليونارد شتاين ، السكرتير السياسي للمنظمة الصهيونية لفترة طويلة ، ان شخصيات مثل لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، واللورد آرثر بلفور ، كان لها ومعروف عنها اتخاذ مواقف معادية لليهود ، وهذا أحد الاسباب الذي شجعها على اصدار وعد بلفور(١٤). واشار ارثر هرتزبرج ، المنظر الصهيوني المرموق، الى ان العداء للسامية هو « المحرك الذي يقود قطار (اليهود) الى صهيون .. »(١٥). اما اكثر المناسبات فائدة للحركة الصهيونية وتطورها الاستيطاني فقد كانت فترة استلام النازي للحكم في المانيا فقد سارع المسؤولون في الحركة الصهيونية ، سواء في فلسطين أم في المانيا ، الى عقد اتفاقيتين مع السلطات النازية ، احداهما مع ادلف ايخمان نفسه ، يتمكن بموجبها مبعوثو الحركة الصهيونية من انتقاء العناصر اليهودية الشابة القادرة على انشاء دولة يهودية في فلسطين . في الفترة الواقعة ما بين ١٩٣٣ — ١٩٣٩ ، تضاعف عدد المستوطنين اليهود في فلسطين بفضل هذا التعاون الصهيوني النازي(١٦). وما زالت سياسة الاستفادة من العداء للسامية سارية المفعول لدى الاوساط الحاكمة في اسرائيل والمنظمة الصهيونية . كتب اوري هراري مؤخرا بأن الصهيونيين لا

يتحدثون علنا عن اهمية احياء الشعور اللاسامي للبرنامج الاسرائيلي ــ الصهيوني « الا ان الكثيرين منا شعروا بقليل من الفرح حين قرأنا ... عن [شعار] الصليب المعقوف المنتشر في اوروبا في ١٩٦٠ ، او عن الحركة الموالية للنازية في الارجنتين . وكذلك اليوم ، فانه يخالجنا شعور غامض حين نقرأ عن العداء المتزايد لليهودية بين الزعماء الزنوج في اميركا »(١٧).

ان المعارضة اليهودية للحركة الصهيونية لم تكن غير ذات بال . فقد نشط ادوين منتاغيو ، الوزير اليهودي الوحيد في حكومة الحرب البريطانية ، في مقاومة الوفد الصهيوني الذي كان يفاوض لاستصدار وعد بلفور . حذر منتاغيو حكومته من مساعدة الصهيونيين في تحويل فلسطين الى « جيتو عالمي »(١٨). كما عرض الاستاذ جاسترو ، المحامي واستاذ التاريخ الاميركي ، فكرة انشاء دولة لليهود وقال ان مصلحة اليهود « ليست محصورة في خلق جيتو مجيد » يكون عبارة عن « دولة ضئيلة » تحتلها « اقلية ضئيلة من اليهود »(١٩). اما الدكتور حاييم وايزمن والوفد الذي رافقه ، فقد اصيبوا « بالحرج »(٢٠) حين القى الاستاذ ليفي ، اليهودي الفرنسي المعادي للصهيونية ، بيانا امام مؤتمر السلام المنعقد في باريس ، ندد فيه بأهداف الحركة الصهيونية . ولا تزال المعارضة اليهودية للصهيونية ، مهما اختلفت دوافعها الفكرية والدينية ، قائمة حتى الان داخل اسرائيل وخارجها(٢١).

حين بدأت المنظمة الصهيونية ممارسة نشاطها في فلسطين جوبهت بمعارضة عنيدة من قبل السكان الاصليين . لقد اعتبر الفلسطينيون ، منذ البداية ، ان تحقيق البرنامج الصهيوني يعني بالضرورة سلب الارض ، والقضاء على مستقبل استقلالهم السياسي . وقد توجهوا الى الهيئات الدولية وحكومة الانتداب محذرين من مغبة الاضرار بحقوقهم. كما مارسوا نشاطا مسلحا واسعا ضد المستوطنين وقوات الاحتلال البريطاني . أن زواج المصالح الاستعمارية آنئذ بالاضافة الى اسباب ذاتية ، قد شكل عقبة كأداء في وجه نجاح الكفاح الفلسطيني . استغل المستوطنون الصهيونيون هذه الظروف المواتية وسارعوا الى اعلان انفسهم دولة مستقلة في منتصف شهر ايار لعام ١٩٤٨ ، وسموها « دولة اسرائيل » .

ان حق الجنسية في ليبيريا تحدده السياسة العامة للدولة . ينص دستور ليبيريا الصادر في عام ١٨٤٧ على ان ليبيريا هي « وطن لابناء افريقيا المشتتين والمضطهدين ... » وانه « لا أحد سوى الاشخاص الملونين سوف يقبلون في جنسية هذه الجمهورية » . وانسجاما مع هذه النصوص الدستورية ، جاء قانون الجنسية لينص في مادته (٦٦) على ان الجنسية الليبيرية تمنح «لجميع الاشخاص المتحدرين من اصل زنجي ومولودين في ليبيريا ، سواء أكانوا مولودين لابوين ليبيريين ام اجنبيين . وتنص المادة (٦٩) على ان حق التجنس مقصور فقط على « الزنوج والاشخاص المتحدرين من أصل زنجي » . وتلافيا لاي التباس ، فقد أكدت هذه المادة على أن « تجنس اي شخص غير زنجي او ليس متحدرا من اصل زنجي .. هو باطل وغير مشروع ... »(٢٢).

ان المشكلة التي نشأت من خلال تطبيق القانون هي « من هو الزنجي ؟ » . لا يوجد لهذه المشكلة اي تعريف او اشارة الى تعريف لا في القانون ولا في تاريخه التشريعي . قد يفترض البعض أن تعابير مثل « أبناء افريقيا » أو « مواطنين افريقيين » ، كما وردت في الدستور ، تشمل كل افريقي . الا ان السلطات الادارية الليبيرية رفضت ان تمنح الجنسية الليبيرية الى الاشخاص القادمين من شمال افريقيا ومنهم بعض اليهود المراكشيين(٢٣). وفي عام ١٩٠٧ صدر تعديل للدستور ، حذفت بموجبه التعابير المشار اليها اعلاه واستعمل بدلا منها كلمة « زنجي » او « متحدر من أصل زنجي » . وهي

التعابير التي استخدمها قانون الجنسية . وهكذا فان المعيار الجغرافي لا يمكن اعتماده بموجب الدستور المعدل .

اما المعيار الجديد فيمكن استخلاصه من الاقوال الرسمية . يقول المدعي العام [وزير العدل] الليبيري ان تعديل الدستور جاء خصيصا « لتسهيل الحصول على شهادات الجنسية من قبل الاشخاص الذين هم من **عرقنا في** جميع انحاء العالم »(٢٤). وورد في حكم صادر عن المحكمة العليا في ليبيريا انه « يحق فقط لاشخاص متحدرين من اصل زنجي ان يصبحوا مواطنين » في ليبيريا(٢٥). ان المقياس المعتمد في منح الجنسية يقوم اذن على اساس عرقي ـ لوني(٢٦) وليس هناك اي بديل لهذا المعيار .

ان حق الجنسية الاسرائيلية امر تقرره كذلك اهداف السياسة العامة للدولة . ان اسرائيل تعلن ، ومعها وقبلها تعلن الحركة الصهيونية ، انها هي المسؤولة عن حماية ما يسمى بـ « الشعب اليهودي » وتمثيله . ويؤكد « اعلان تأسيس دولة اسرائيل » ان الدولة ستكون « مفتوحة للهجرة اليهودية ولتجميع المنفيين [اليهود] . . . »(٢٧). ويقول بن جوريون ان سبب وجود اسرائيل هو أنها تهدف الى انهاء حالة النفي التي يحياها « الشعب اليهودي » ، وان مهمة الدولة هي تجميع يهود الشتات في « ارض اسرائيل »(٢٨). وتنفيذا لهذه السياسة ، فقد سارعت اسرائيل لاصدار قانون العودة (١٩٥٠) الذي ينص على انه « يحق لكل يهودي ان يهاجر الى اسرائيل »(٢٩). وفي عام ١٩٥٢ اصدرت اسرائيل قانون الجنسية الذي نص في مادته الثانية (أ) ان « كل مهاجر بمقتضى قانون العودة ... يكون اسرائيلي الجنسية »(٣٠). شرح محامي اسرائيلي العلاقة الحميمة بين هذين التشريعين بقوله انه بينما « يعطي قانون العودة اليهودي حقا اتوماتيكيا بالهجرة الى اسرائيل » فان قانون الجنسية « يمنح الجنسية فورا لمثل هذا الشخص »(٣١).

ان قانون العودة سواء كان قانون هجرة ام قانون جنسية ، هو قانون تجميع «المنفيين» من « الشعب اليهودي »(٣٢). ان اي يهودي ـ عدا استثناءات ثلاثة ـ له « حق موروث » في العودة الى اسرائيل ، بسبب كونه يهوديا . هكذا قال بن جوريون حين قدم القانون الى الكنيست . ان مثل هذا اليهودي لا يحتاج الى ان يتقدم بطلب للجنسية ، حيث انها تمنح له فورا وبشكل اتوماتيكي . اما اليهودي الذي يأتي لاسرائيل بقصد الزيارة ، مثلا ، فيجب عليه ان « يعلن » في مكان الوصول رفضه للجنسية الاسرائيلية أمام موظف اسرائيلي رسمي ، اذا لم يرد اكتساب هذه الجنسية . كما ان اليهودي « العائد » لا يحتاج ان يدلي بيمين الولاء للدولة ، او أن يقيم في اسرائيل لفترة معينة، او ان يتخلى عن جنسيته السابقة .

ان المشكلة التي نشأت من خلال تطبيق القانون في اسرائيل ، كما هي الحال في ليبيريا ، هي « من هو اليهودي ؟ » . تثير هذه القضية عادة نقاشا حادا في داخل اسرائيل وخارجها ، مما حمل البعض على الاعتقاد ان الامر لا بد وانه عسير الفهم او انه حيلة صهيونية خبيثة ، او « بهلوانية قانونية »(٣٣). قد يكون السبب في عدم القدرة على الامساك بجوهر القضية عائدا الى عدم استيعاب كاف لمفهوم « الشعب اليهودي » كما يرد في الادبيات الصهيونية . ان المنظرين الصهيونيين ، ساسة ورجال قانون ، يستخدمون هذا التعبير بالمفهوم السياسي . فهم يؤكدون على ان اليهود « شعب » مثل بقية الشعوب والقوميات الاخرى . ومتى اسسوا دعواهم على هذا النحو ، وصلوا الى النتيجة المترتبة على هذا المفهوم وهي « حق الشعب اليهودي في تقرير المصير » .

يتفق الموقف الاسرائيلي ـ الصهيوني مع الشريعة اليهودية في تعريف اليهودي بأنه المولود لام يهودية او المعتنق للديانة اليهودية . الا ان الخلاف بينهما يبدو ساطعا حين

توضع المسألة في قالب النفي : « من هو غير اليهودي ؟ » اليهودية تقول ان اليهودي الذي يرتد عن دينه يظل يهوديا ، بينما الصهيونية تقول ان المرتد يقطع صلته بـ « الشعب اليهودي » . وبمعنى آخر ، فقد اعتمدت الصهيونية على المعيار الديني لتحديد هوية « اليهودي » ، وانفصلت عن الدين اليهودي لكي تسيس « الشعب اليهودي » . فمن هو اليهودي ، اذن ، في الفقه الاسرائيلي ــ الصهيوني ؟

هذا هو السؤال الذي طرح على المحكمة العليا في اسرائيل في الدعوى المشهورة بقضية **دانيال**(٣٤). المدعي يهودي ، حيث ان امه يهودية ، الا انه اعتنق الكاثوليكية طوعا ، وطلب ان يمنح الجنسية الاسرائيلية بصفته يهودي القومية ، على الرغم من ان ديانته لبست اليهودية . رفضت المحكمة طلبه . وعلل القاضي بيرنسون الحكم بقوله : « ان اليهودي الذي يعتنق ديانة اخرى يكون قد استثنى نفسه ليس من الدين اليهودي فقط ولكن من الشعب اليهودي ايضا ، وبالتالي فليس له اي مكان في اسرائيل » . اما القاضي لانداو ، فقد أكد أنه في البحث عن تعريف لليهودي يجب « ان نفحص فلسفة مؤسسي الصهيونية » . وبعد ان فعل ذلك وصل الى النتيجة القائلة بأن المدعي بارتداده « قد تنصل من المصير المشترك للامة اليهودية » وان وزارة الداخلية كانت محقة في « رسم الخط الفاصل بين اليهودي وغير اليهودي لمتطلبات قانون العودة في نقطة الارتداد عن الديانة [اليهودية] » . واهتداء بهذا الحكم ، صدر التعديل الثاني لقانون العودة ويقضي بتعريف اليهودي بأنه من ولد لام يهودية أو تحول الى اليهودية « ولكنه ليس من ديانة اخرى »(٣٥).

ان تركيز المحكمة على ربط « اليهودي » بـ « الشعب اليهودي » هو جوهر التعريف . « اليهودي » في المفهوم الصهيوني ، هو أحد افراد [National] « الشعب اليهودي » ، وهوية هذا العضو موضوع يحدده ليس دينه وانما عدم انتمائه الى ديانة اخرى . ان النتيجة المهمة التي يمكن استخلاصها ، على المستوى النظري والتطبيقي ، هي ان سياسة التمييز العنصري تكمن في هذا التنظير السياسي ــ القانوني لمفهوم « الشعب اليهودي » . ان هذا « الشعب » ، في نظر الصهيونية ، هو قومية عرقية تختلف عن بقية القوميات .

ان حق الجنسية في ليبيريا يقوم على أساس من التمييز العرقي ــ اللوني . في « دولة الزنوج » لا يمكن لغير الزنجي او لغير المتحدر من اصل زنجي ان يكون متساويا مع الزنوج . وفي اسرائيل ، فان حق الجنسية القائمة على مبدأ العودة يعتمد معيارا عرقيا ــ دينيا . وفي « دولة اليهود » لا يمكن مساواة غير اليهود بأفراد « الشعب اليهودي » . ان هذه السياسة التمييزية قد قننت في شكل تشريعات صادرة عن سلطات تشريعية محلية . وبكلمة اخرى فقد اصبح التمييز العنصري في ليبيريا واسرائيل مؤسسة « قانونية » [de jure] (٣٦). الا ان هذا الوضع يعبر عن نصف الحقيقة . ان ممارسة التمييز العنصري في كل من ليبيريا واسرائيل تجاوزت « التمييز القانوني » الى « التمييز الواقعي » [de facto] .

يمارس الليبيريون المتحدرون من الزنوج الامريكيين اضطهادا قاسيا ضد الزنوج الاصليين ، حين اصدر المستوطنون دستورهم الاول لم يعترفوا بالسكان الاصليين ولم يمنحوهم حق المواطنية الا في ١٩٠٤ وذلك فقط لقصد الاثبات للدول الاوروبية المستعمرة ان الاراضي الليبيرية يحتلها مواطنون ليبيريون وبذلك يحفظونها من توسع تلك الدول على حساب ليبيريا . ينقسم المجتمع الليبيري الى « قشرة رقيقة من اليانكيين السود » واغلبية مسحوقة من « الاخوة المخدوعين »(٣٧). ان سلطة اصدار القرار في ليبيريا يحتكرها الليبيريون الاميركيون الذين شكلوا طبقة ممتازة تعتلي قمة السلم السياسي

والاجتماعي . اما العلاقة القائمة بينهم وبين السكان الاصليين ، فقد وصفها رئيس جمهورية ليبيريا السابق بأنها « علاقة استعمارية »(٣٨). كل طبقة لها منظومة خاصة من القيم والحقوق والواجبات . وعلى سبيل المثال ، تؤمن طبقة المستوطنين بالمسيحية بينما تدين غالبية السكان الاصليين بالاسلام . وتلعب الكنيسة الليبيرية دورا سياسيا بارزا ، وحتى « يتسنى لشخصية سياسية مغمورة ان تتسلق الحياة السياسية ، عليها ان تبدأ اولا بتأسيس قاعدة لها في احدى الكنائس الصغيرة في مونروفيا »(٣٩). وشغل الرئيس الحالي للجمهورية منصب القيادة في التحالف العالمي للكنيسة المعمدانية : The Baptist World Alliance . مارس المستوطنون ضغطا دينيا ضد السكان الاصليين الذين قاوموا كل محاولات التنصير وقد وصلت الامور في بعض الاحيان الى انفجارات مسلحة . ومن خلال هذا الموقف الديني الحكومي المتعصب ، يمكن تفهم ادعاءات العبرانيين السود بأنه كان من الصعب عليهم الاستيطان في دولة لا تؤمن بالتسامح الديني ، لا سيما وانهم يدينون بديانة مختلفة عن الدين الحكومي .

يعاني المجتمع الاسرائيلي كذلك تمييزا واقعيا مثلث الدرجات . يحتل المستوطنون الاوروبيون قمة الهرم . فهم يسيطرون او يؤثرون بشكل قوي على الادارة والتشريع والتعليم والاسكان والخدمات العامة ولهم حصة الاسد في الثروة ولهم أعلى الدخول . ويحتل اليهود الشرقيون المركز الادنى(٤٠). اما قاع المجتمع فهو مقصور على العرب . اذا كان صانع القرار في اي حقل في المجتمع اوروبيا أو من أصل أوروبي فلا بد وان ينبع القرار من الوضع الذهني (الذي هو طبقي أيضا) المسيطر على مستوطن أوروبي تشرب الثقافة الاستعلائية للمستعمر الاوروبي . انه بالضرورة سوف يمنح أوروبيا مهاجرا مثله الافضلية ، سواء في قبوله في الجسم السكاني ، ام في تعليمه ، ام في توظيفه . اذا كان اليهودي الشرقي قد انحدر الى مستوى متدن في دولة « يهودية » ، فلا بد وان الزنجي ، مهما كان يهوديا ، سيحصل على امتيازات أقل . وهكذا لم يمنح العبرانيون السود الحق الاتوماتيكي في الجنسية الاسرائيلية ، كما هو مقرر لكل يهودي في العالم حسب قانون العودة ـــ لقد منحتهم السلطات الاسرائيلية سمة دخول سياحية، ثم هي الآن تعمل على اخراجهم من البلاد ، بل اخرجت قسما منهم .

لم يقدم المسؤولون الاسرائيليون جوابا واحدا بصدد هذه المشكلة . بينما انهمكت دوائر الحاخامين الصهيونية تبحث فيما اذا كان يمكن للزنجي ان يكون يهوديا ، قال مسؤول اسرائيلي ان « هؤلاء الناس ليسوا يهودا وبالتالي ليسوا مؤهلين لحقوق المهاجر [اليهودي] »(٤١). وقال آخرون ، وهم الذين يتجلببون دوما بذريعة « أمن الدولة » ، ان قدوم العبرانيين السود هي عملية قد « دبرتها وموّلتها عناصر معادية للدولة »(٤٢). اما الدوائر شبه الرسمية فقد كانت أكثر صراحة ، حيث أكدت « اننا نحن [الاسرائيليين] لا يمكننا ان نمنح ملجأ لجماعة ترغب في محاربة . . العالم الابيض . نحن عامة نتعاطف [معه] »(٤٣). يفسر هذا القول ادعاء اليهود الشرقيين حين يصفون اسرائيل بـ « دولة بوليسية »(٤٤) كما يفسر بشكل أدق قول العبرانيين السود بأن النخبة التي تحكم اسرائيل هي « انتلجنسيا عنصرية » او « عنصرية ذهنية »(٤٥).

اذا كان القصد من تأسيس ليبيريا واسرائيل هو أن يسوى من الوضع الشاذ للزنوج واليهود ، فان خلق هاتين الدولتين قد ادى الى استحداث اوضاع اكثر شذوذا . تتمثل هذه الاوضاع الشاذة في سلسلة من الوقائع المتوالدة : انحدر السكان الاصليون في ليبيريا الى اسفل درجات السلم الاجتماعي ، اما السكان الاصليون في فلسطين فقد اقتلعوا وطردوا خارج الحدود وما تبقى منهم فقد هبط الى قعر المجتمع، اما المستوطنون فقد هاجروا او هجّروا تحاشيا للاضطهاد فأصبحوا مضطهدين (بكسر الهاء) . واخيرا، لم يجيء السلام والاستقرار الى المجتمعات التي هجرها الزنوج واليهود . فالزنوج في

امريكا ما زالوا يخوضون نضالا مريرا في سبيل مساواة فعلية ، ويعاني اليهود الان من الاتهام بأن ولاءهم اصبح مزدوجا .

ان صانعي القرارات السياسية الذين ساهموا في تصميم وخلق « وطن قومي للزنوج » و« وطن قومي لليهود » لم يدركوا ، او لم يريدوا أن يدركوا ، اثر قراراتهم على مجمل تطور وتنسيق وتوزيع القيم الانسانية والمجتمعية بين المستوطنين انفسهم وبينهم وبين السكان الاصليين . ان قراراتهم كانت تستهدف اولا وآخرا خدمة طبقاتهم الممتازة : خدمة مالكي العبيد في الجنوب ، والبرجوازية المسيحية في اوروبا . ان تأسيس مجتمع احادي القيمة ، سواء كانت دينية ام عرقية ، هي تجربة فاشلة ، بل ضارة .

ان تجربة ليبيريا واسرائيل يجب أن تكون حاضرة في ذهن اولئك الذين ، بدافع من خدمة مصالحهم وامتيازاتهم ، ينادون بتأسيس « دولة فلسطينية » في الضفة الغربية او في منطقة الخليج العربي . انهم يعتقدون ان مثل هذه الدولة سوف تسوي من وضع الفلسطينيين كلاجئين ، كما انها ستجلب السلام والاستقرار الى الدول العربية واسرائيل . يمثل هذا الاقتراح تحريفا بشعا لجوهر المشكلة . ان المهمة الاساسية المطروحة ، سياسيا واجتماعيا وقانونيا ، هي تحرير فلسطين ، وليس خلق « جيتو فلسطيني » . لقد اتضح الان ان « دولة الجيتو » ترث في احشائها بذور التمييز العنصري حيث يجد مبدأ اورويل تطبيقا صادقا له : الجميع متساوون الا ان البعض يكون أكثر مساواة من البعض الاخر(٤٦) .

---

١ — The Faith of a Liberal, 330-31 (1946).

٢ — Franklin, From Slavery to Freedom, 214-41 (3rd ed., 1969); Quarles, The Negro in the Making of America, 33-61; 83-108.

٣ — I. Huberich, The Political and Legislative History of Liberia, 29 (1947).

٤ — See "Official Documents" relating to Liberia and the United States in 4 Am. J. Int, 1. L. Supp., 188 at 191 (1910).

٥ — Franklin, 240.

٦ — ان استمرار معارضة السكان الاصليين للمستوطنين قد سجلها بشكل جيد Staudenraus, The African Colonization Movement 1816-1865 (1961), 156, 171, 240.

٧ — (التأكيد في الاصل) Franklin, 240.

٨ — Quarles, 96.

٩ — Id., 114.

١٠ — كان البعض يعتقد ان انشاء ليبيريا كان امتدادا لامبراطورية امريكية ، الا ان الولايات المتحدة كانت مترددة في ذلك الوقت ، سيما تحت تأثير مبدأ مونرو ، من وصف ليبيريا مستعمرة امريكية . انظر Staudenraus, Ch. XIII on "Vision of Empire".

١١ — من خطاب هرتزل امام المؤتمر الصهيوني الاول . انظر Hertzberg (ed.) The Zionist Idea (1969) at 229.

١٢ — The Complete Diaries of Theodor Herzl, (Patai ed. 1960), vol. 1,152.

١٣ — Bein, Theodor Herzl - A Biography, 449 (1941).

١٤ — Stein, The Balfour Declaration (1961) at 143, 154, 163-5.

١٥ — Hertzberg, 51 and see 49.

١٦ — للتعاون النازي الصهيوني انظر المراجع التالية :

Ben Hecht, Perfidy (1961); Arendt, Eichmann in Jerusalem (1964); J. & D. Kimche, The Secret Roads : The "Illegal" Migration of a People, 1938-48 (1954); Hilberg, The Destruction of European Jews (1961).

١٧ — Yediot Aharonot, Feb. 9, 1969, quoted from Matzpen's Arie Bober Letter to *Commentary*, Oct, 1970, at p. 5.

١٨ — Montagu's memorandum entitled "The Anti-Semitism of the Present Government", PRO, Cab. No. 24/24 (Aug. 23, 1917).

١٩ — Jastrow, Zionism and the Future of Palestine, (1919), 133, 149, 151 - 9.

٢٠ — وايزمن ، التجربة والخطأ ، ٢٤٤ (١٩٦٦)

٢١ — Taylor, Zionism and Jewish History, Journal of Palestine Studies, No. 2,35 at 40-45.

٢٢ — لم يتمتع الزنوج في اميركا بحق الجنسية الاميركية الا بعد اصدار التعديل الرابع عشر للدستور الاميركي عام ١٨٦٨ . اما قبل هذا التاريخ فقد قالت المحكمة العليا ان الزنوج ، سواء كانوا عبيدا ام احرارا ، ليسوا مواطنين اميركيين ، ولم يكن قصد الدستور الاميركي ان يشملهم حين استخدم كلمة « مواطنين Citizens » . انظر :
Scott v. *Sanford* 19 How. 393 (1856)
وكان لهذا الموقف القانوني الاميركي التأثير الكبير على اصدار التشريعات الليبيرية المتعلقة بالجنسية . انظر نص قانون الجنسية الليبيري الحالي في
Laws Concerning Nationality, UN Leg. Ser. 288, (1954).

٢٣ — 2 Huberich, 1018.

٢٤ — Reports and Opinions of the Attorney General of the Republic of Liberia, Vol. I, 63 (1947).
(التأكيد مضاف) .

٢٥ — *Koffa* v. *Republic of Liberia,* 13 Lib. L. Rep. 232 (1958).

٢٦ — 2 Huberich, 1018, 1020.

٢٧ — I LSI, 3 (1948).

٢٨ — حقائق وأرقام ، دولة اسرائيل ، ص ١٠ (١٩٥٥) .

٢٩ — النص الرسمي بالعربية في الوقائع الاسرائيلية — كتاب القوانين ، العدد ٥١ ، ٦ تموز ١٩٥٠ ، ص ١٩٦ .

٣٠ — النص الرسمي بالعربية في الوقائع الاسرائيلية — كتاب القوانين ، العدد ٩٥ ، ٨ نيسان ١٩٥٢ ، ص ١٩١ .

٣١ — Savir, The Definition of a Jew under Israel's Law of Return, 17 Sw. L. J. 123, 126 (1963).

٣٢ — ان التحليل المتعلق بقانوني العودة والجنسية هنا يعتمد على دراسة المؤلف **« قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان : دراسة في القانونين المحلي والدولي »** الصادرة من مركز الابحاث في سلسلة دراسات فلسطينية رقم (٨٩) ، شباط سنة ١٩٧٢ . وسوف يشار اليها فيما يلي بـ **« دراسة قانون العودة »** .

٣٣ — انظر مراجعة الدكتور محمد المجذوب لكتاب Catane, Qui est juif ? في « شؤون فلسطينية » العدد (١٤) ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ . ان هذا الوصف لا ينسجم مع النتيجة الصحيحة التي وصل اليها الدكتور المجذوب في ذيل صفحة ١٤٩ .

٣٤ — **« دراسة قانون العودة »**، ص ٤٩ — ٥٢.

٣٥ — المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

٣٦ — ان تقييم القانون الاسرائيلي من وجهة النظر القانونية الدولية ، وهذا ينطبق ايضا على قانون الجنسية الليبيرية الى حد بعيد ، قد عولج في المصدر نفسه ، ٦٦ — ٨١، ٨٧ — ١٠٤ .

٣٧ — ان هذه الاوصاف قد وردت بالتتالي في مجلة نيوزويك ، ١٩٧١/٨/٢ ، ص ٣٣ ، وفي التايمز اللندنية ، ١٩٧٠/٣/١٩ ، ص ٢ وذلك في « تقرير خاص » من ليبيريا .

٣٨ — Liebenow, Liberia, The Evolution of Privilege (1969).

٣٩ — المصدر نفسه ، ص ٩٦ وما يليها .

٤٠ — انظر المقال الذي كتبه Alfred Friendly الصديق الحميم للصهيونية في الواشنطن بوست ١٩٧١/٨/٢٩ تحت عنوان
"Israel Faces Its Cultural Gap", B-1, cols. 4-6, B-2, cols. 1-6.

٤١ — نيوزويك ، ١٩٧١/١٠/١٨ ، ص ٦١ .

٤٢ — الجروزاليم بوست (الاسبوعية) ١٩٧١/١٠/١٣ ، ص ٤ ، عمود ٤ — ٥ .

٤٣ — الجروزاليم بوست (الاسبوعية) ، ١٩٧١/١٢/٢٨ ، ص ١٦ ، عمود ١ — ٢ ، وقال الحاخام الصهيوني مئير كهانا بأن على اسرائيل « ان تطرد الزنوج وان لا تسمح لآخرين بالدخول » لانهم « عنصريون ، لاساميون وجاءوا ليقبروا اسرائيل » . Evening Star (Washington, D.C.) Oct. 14, 1971.

٤٤ — نيوزويك ، ١٩٧١/٥/٣١ ، ص ٣٣ .

٤٥ — نيوزويك ، ١٩٧١/١٠/١٨ ، ص ٦١ .

٤٦ — Orwell, Animal Farm, 148 (1946).

موشي دايان : دراسة تقييمية

الدكتور طالب يونس

تقييم نفسي : عندما تبذل محاولة ما لاثبات ان احدى الشخصيات الرسمية هي غير متزنة عاطفيا او نفسيا ، تكون المهمة صعبة ، ان لم نقل شاقة . فالصعوبة الرئيسية تكمن بوضوح في امكانية ولوج الافكار والمثل الباطنية المتعلقة بهذه الشخصية . هذا بالاضافة الى صعوبة طريقة الفهم القابلة للنقاش والجدل التي تتضمنها محاولة اثبات الاتزان العاطفي او عدمه لدى هذه الشخصية الرسمية ، زد على ذلك الصعوبة المترتبة على كون محاولة التقييم قد جرت من بعد سطحي واسع ، وهو ما يدل بوضوح على ان معرفة المقومات الاساسية لهذه الشخصية تكاد تكون مستحيلة .

رغم جميع العقبات المذكورة هذه ، ورغم ضآلة المعلومات المتوفرة ، فان محاولة فهم جوهر شخصية موشي دايان تبدو غير بعيدة الاحتمال . وينبغي علينا من اجل الوصول الى هذه الغاية تفحص المراحل الاولى من حياة دايان ، على نحو يكون أقرب ما يمكن من الدقة . وان نتيجة مثل هذا التفحص سوف تحاول تقييم ما اذا كانت طفولة دايان ، والى حد أقل المرحلة المبكرة من مراهقته ، تطابق بلا جدال التصنيف غير المرض نوعا ، من أنه « طبيعي » ، أو أنها تجيز افضاء صفة « عدم الاتزان » عليه .

كان والد دايان ، المولود في بلدة صغيرة قرب كييف سنة ١٨٩١ ، عاملا مزارعا . وكان قد هاجر الى فلسطين وهو في السابعة عشرة من عمره . وهناك ، أنشأ صموئيل دايان مستعمرة دجانيا ، قرب بحيرة طبريا . وكانت القاعدة المعتمدة داخل المستعمرة تقوم على اساس التنظيم الجماعي التام للملكية الخاصة فيها . وقد تضمن هذا بالدرجة الاولى ان النقد داخل الكيبوتز (المزرعة الجماعية اليهودية) لم يكن متداولا ، وان القرارات الاساسية كانت تتخذ بتصويت اغلبية الاعضاء . وكان سكان المستعمرة يتناولون وجبات الطعام جماعيا في قاعات الطعام الخاصة بالكيبوتز ، كما كان على الاطفال أن يناموا معا ، ولكن بعيدا عن ابويهم ، في منازل خاصة بهم(١) .

ان النوم بصورة متواصلة بعيدا عن الام يمكنه ان يؤدي الى عواقب وخيمة طويلة الامد . والضحية بكل وضوح هي الطفل ، الذي ، وقد حرم من ينبوع العطف الوحيد (صدر امه او ما يحل محله) ، ينشأ وهو يعاني المشكلات العاطفية المتعلقة بطفولة مراحل النمو الاولى ، وبطفولة ما بعدها . وبرغم أن الدلائل المتوفرة عن دايان في هاتين المرحلتين هي ضئيلة جدا بحيث لا تكفي لتشكيل دعامة متينة لنشأته فيما بعد ، الا انها تعطينا المفاتيح اللازمة للمساعدة في القاء بعض الضوء على العناصر المؤلفة لشخصيته وتكوينه العاطفي .

فعندما يكون هناك حرمان من التقرب من الامومة وعطفها ، وخاصة في فترة الطفولة ، فان الطفل يحرم نتيجة لذلك من فترة التأهيل الاجتماعي . والتأهيل الاجتماعي هو الوسيلة التي يتعلم بواسطتها الطفل التعرف على بيئته والى حد بعيد الاستجابة لها ،

وذلك حتى يكون بمقدوره ان يرتبط ذهنيا بالناس وبالاشيـاء ، وان ينمي شعوره تجاه نفسه وتجاه الاخرين تدريجيا . ان هذا ذو اهمية اساسية ، ذلك انه عندما يبعد الطفل عن امه (بواسطة عوامل خارجية بعيدة دوما عن سيطرة المخلوق الصغير) ، فالمرجح جدا ان يتكشف الطفل تدريجيا عن اضطرابات عقلية وعاطفية .

ومن الممكن ان تظهر مثل هذه الاضطرابات بطرق عدة : فقد يتعذر على الطفل الارتباط الذهني الدقيق بالحقيقة ، وهذا يظهر بصور مختلفة ، أو قد ينمو مفتقرا الى الاهتمـام بالغير ، او ربما تكشف عن خلق متهور بالغ حد الافراط ، او قد يصبح في النهاية مثيرا للشفقة وغير قادر على الانسجام مع المجتمع . ان احتمال ظهور أي من هذه السمات العاطفية ، او مجموعة منها ، في سلوك الطفل ، يعتمد الى حد بعيد ليس على ظروف الطفل البيئية الخاصة به فحسب ، بل أيضا ، وعلى المستوى نفسه ، على تلك الطريقة الشديدة الغرابة التي يختلف فيها كل طفل في ارتباطه الذهني مع التقلبات البيئية . ومن الواضح ان أحد المعايير التي يمكن بواسطتها قياس قابلية سرعة الانفعال العاطفي لدى الطفل هي درجة حساسية الطفل نفسه ، فكلما ازدادت حساسية الطفـل للضغوط الخارجية المناوئة ، كلما ازداد العصاب (الاضطراب العصبي الوظيفي) وكلما ازداد الفصام (انشطار الشخصية) . وقد يظهر الطفل المصاب بالفصام نزعة الى الانطواء والى فترات متقطعة من الصمت المطلق ، وربما استرسل طفل آخر بالكلام (حتى مع نفسه احيانا) في محاولة يائسة لايجاد هويته . وقـد يتصرف بعض الاطفال المصابين بالفصام كالاطفال الرضع ، بينما اخرون يظهرون عقولا متفوقة ، وموهبات وذاكرات قوية . ولكن هناك ميزة مشتركة بينهم جميعا ، وهي نزعة الى التحول بسرعة من مزاج معين الى مزاج مضاد . فمن الممكن ان يكون الطفل في وقت ما ذا نزعة عدوانية ، ولكنه سرعان ما يصبح تواقا لمبادلة الحب(٢). ولا يوجد سبب ظاهر او سبب يمكن تتبع أثره للتحول السريع في امزجته . فهو في جوهره مؤثر للعزلة ، متردد في مشاركة أي طفل في اية لعبة أو أي نشاط ، وعندما يكون مع الاخرين ، يميـل الى تجاهلهم لفترة طويلة . وقد تكون لعبته المحببة هي تكرار القيام بعمل آلي معين(٣). وعندما يتصل بالاطفـال الآخرين بالفعل ، فانه غالبا ما يطلب اكثر مما يعطي . ورغم حـاجته الكبيرة للحب ، فانه يعجز تماما عن مبادلته . وعندما يتقدم بالسن ، فانه قد يقدر على كبح جماح هذه السمات بارادة ووعي منه ، ومن الممكن لهذه السمات ان تختفي لفترة مـا ، ولكن ، حسب ما هو محقق ، لا يمكن التخلص منها بصورة دائمة . ومن شأن هذه السمات ان تعين الى حد كبير شكل السلوك الاساسي للطفل طوال حياته ، بالطبع الا اذا جرى التحري عن الاعراض بوضوح وتمت معالجة الطفل .

ان وجهة نظر الطب النفسي فيما يتعلق بفصام الاطفال مبنية على أساس افتراض ان العلاقة العاطفية بين الأم والطفل تلعب دورا حاسما في تكوين تركيب شخصية الطفل . فالرفض والاهمال في فترتي الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة تجعل الطفل يعاني من « حرمان الامومة » . وقد يكون الحرمـان نتيجة انفصال فعلي ، كأن تجعل الطفـل الرضيع ينام بعيدا عن أمه بصورة دائمة ، أو نتيجة انفصال نفسي ، الذي قـد يكون نتيجة اهمال أو رفض من ناحية الأم . ويمكن ان يكون الرفض نتيجة اضطراب عاطفي من جهة الأم نفسها ، الامر الذي من شأنه ان يساهم في زيادة عدم الاتزان العاطفي في البيت ، وبالتالي في خلق حالة عائلية غير سليمة . وهكذا فان الطفل الذي يولد في مثل هذا البيت يكون لديه في الغالب استعـداد للمرض العاطفي — وهو استعداد عقلي . وان الجو المضطرب في البيت يفاقم هذه النزعة في الطفل ، ومن المرجح جدا ان يتسبب ذلك في ظهور المرض(٤).

وبرغم ان الكثير مما كتب عن بيئة دايـان في طفولته المبكرة وطفولته المتأخرة يميل الى

تصوير بيئة سعيدة مبالغ فيهـا ، الا ان التفحص الدقيق لحـالات واحداث وعبارات متعددة ربمـا أدت الى استنتاجـات هي خلاف ذلـك . فالوصف المتعلـق بديفورا زاتولوفسكي ، أم دايان ، التي كانت مثل أبيه من مواطني أوكرانيا ، فأصبحت معلمة مدرسة لدى زواجها في فلسطين واقامتها فيها ، ان هذا الوصف لا يدل بشكل على وجود البيئة الأمية الصحيحة التي يحتاجها الطفل الحساس اكثر من حاجته لاي شيء آخر . فالشيء الذي يتفق عليه جميع الكتاب الذين عنوا بحياة دايان ، هو وجود ارتباط متين ، وحب ، وولع شديد بين دايان وأمه .

ويشير كاتب سيرته ن.ل. لافييه الى ان دايان « كان منذ طفولته المبكرة يحب امه لدرجة العبادة »(٥). بينما يصرح أوري أفنيري بقوله « ليس ثمة شك في أن دايان كان مرتبطا جدا بأمه في عهـد طفولته ، وهو الارتباط الذي ربمـا كان قد حدد شكـل شخصيته كلها »(٦). وان الاستنتاج الذي يمكن استخلاصه من هذه العبارة قد يستطيع ان يلقي ضوءا حقا . فوجود ارتباط عاطفي متين بين طفل وأمه هو أمر عادي ، ولكن يشترط ان يكون مثل هذا الارتباط متوازيـا بكياسة مع ارتباط عاطفي ، وطيد ، وعلى المستوى نفسه ، بين الطفل وابيه . فبدون ذلك ، يكون في الامكان ظهور علاقـات مشوشة ، لا يمكن استبيانها في العائلة كلها ، ويكون الطفل في النتيجـة هو المعذب . وفي حـالة دايان ، كانت علاقته العاطفية بأبيه ، بالمغايرة مع علاقته بأمه ، أكثر ما تكون بعدا عن كونها مفضية الى نشأة نفسية طبيعية سليمة . ومع ان الاستحالة تبدو واضحة في امكانية الحصول على بيان يومي مباشر عن مواقف دايان من أبيه في فترة طفولته المبكرة، الا ان الدليل المدعوم بالوثائق ، وان كانت شظوية ، يميل الى اظهار مواقف ابيه منه ، وهي مواقف انضباطية صارمة ، ان لم نقل اخضاعية قمعية . وهي علاقة تطورت فيما بعد الى علاقة بادرها دايان بالغيظ ، واتخذ منها موقف العداء ، تدريجيا ، ورفضهـا غريزيا . وعندما يتكلم عن ابيه ، نادرا ما يستعمل دايان ابدا كلمة « الحب » او كلمة « العطف » ، بل انه يؤثر ذكر كلمة « الاحترام » لابيه ولقوة شخصية ابيه ، التي يتباهى دايان بادعائه وراثتها(٧). ومن الاحداث التي تلقي ضوءا ، حـادث يولع دايان بسرده باندفاع ، وهو كيف ان أباه قد حبس دايان الطفل البالغ الخـامسة من العمر في خـم المطبخ الليل بطوله لانه لم يفعل ما أمره به ابوه . وان الطفل الصغير « ارتجف خائفا من الاصوات الغريبة التي انبعثت من داخل الخم والمنطقة المحيطة به . . . جلس هناك يرتعد في الظلام الى ان اطلق أبوه سراحه بعد ساعات قليلة . . . »(٨). وقد كشف دايان عن اهمية هذه الحـادثة عندما وصفها بأنها « كـانت احدى الحـوادث التي قولبت شخصيته »(٩). والمؤكد انه يمكن اتخاذ هذه الحادثة انموذجا لمجموعـة من الحوادث الاخرى التي حـددت في النتيجة نـوع العلاقة التي تدل على فقدان العطـف والحب الحقيقيين من قبل الاب نحو ابنه ، الامر الذي أدى بالتدريج الى شعور الرفض من قبل الطفل الحساس جدا . وبالاضافة الى ذلك ، فان قسوة أبيه (التي ربما ، تصادفيا ، كانت تقصد الخير ، ولكنها وقعت تحت تأثير مؤثرات اجتمـاعية و/أو ثقافية) ، قـد اجبرته ، وقد تعذر معالجة الامر ، على طلب المصدر الوحيد الممكن للعطف ، أمـه . وفي محاولته اليائسة للتعويض عن فقدان العطف الابوي ، عوض دايـان ، الى حـد الفوران ، وبطريقة قابلة للتنبؤ ، بزيادة ولعه بأمه وبسعيه للبقاء بجوارها ، على نحو متزايد . ومن المحتمل ان يكون لاعتماده الزائد على امه ، ولانقطاعه التدريجي عن ابيه، علاقة بالتغير الصارخ لشخصية جديدة ، وان تكن انفصامية غير حادة ، بدأت تفرض نفسها من خلال سلوك مشوش متعدد الصور ، والى حد ما ، سلوك « لا اجتماعي » وعدائي . وفيما يلي قليل من الامثلة : بعد دراسته الابتدائية ، وجـد دايان نفسه ، مجبرا لا مخيرا ، ينضم الى مدرسة ثانوية للبنات . وكان هو ، كما تـدل السجلات ، الصبي الوحيد فيها(١٠). وكان القرار الذي أوجب على دايان الالتحاق بهذه المدرسة ،

والاعتبارات عملية كما يمكن تصورها ، صادرا عن ابيه . ولم يعط دايان اية اسباب او تفسيرات لهذا القرار . كان باستطاعته ان يثور في وجه هذا القرار ، او يشعر بالمذلة ، او يخذله ، او يكتفي بالاشمئزاز من قرار ابيه القاضي بارساله الى « مدرسة بنات » ، ولكنه كان يدرك ويعي ان الصراع من اجل « الهوية » قد اصبح الان مفقودا على الدوام بالنسبة للأب . ومع ذلك ، فقد كان لا يزال بمقدوره أتخاذ عمل مضاد ، بالطرق التي لا يتوفر غيرها لديه . كان باستطاعته ان يدلل على رفضه الجوهري « لحقيقة » كونه ارسل الى مدرسة بنات بمحاولته القضاء على هذه « الحقيقة » . ومن الطرق التي استطاع دايان الشاب أن يفكر بها ، كانت كسر نوافذ احدى غرف الدرس في المدرسة ، وطريقة أخرى ، أكثر جرأة ، اقتضت منه ان يتعب نفسه بامساك افعى في احد الحقول المجاورة ، ومن ثم القائها في صف البنات ، متسببا باحداث حالة فوضى عامة ، نتيجة لانطلاق البنات هاربات وهن يصرخن في جميع الاتجاهات(١١). ورغم أن اهالي القرية ، كما هو متوقع ، الى جانب مديرة المدرسة الثانوية في الكيبوتز ، قد اظهروا امتعاضهم من مثل هذا التصرف ، كان سرور دايان الباطني في تمكنه من توكيده على نفسه عظيما . وبعد سنوات كثيرة عندما هتف له عاليا كبطل شعبي ، وكمواطن بارز في اسرائيل ، وخاصة في اعقاب غزوة السويس ، كانت « الجراثيم » النفسية لثورته **الخاصة به** ، لا تزال حية . ورغم ان أباه لم يعد يستطيع فرض ارادته على ابنه ، فان ارادة اكثر هولا قد فرضت على دايان . كانت هذه الارادة الجماعية للدولة الصهيونية في فلسطين . واما دايان « الحقيقي » فلم يستطع رؤية الفرق . فان رغبته الباطنية في فرض ذاتيته المكبوتة كانت لا تزال متقدة ، ومن هنا كان لا بد من « اطلاق العنان » لهذا الكبت . وقد اتخذ هذا اشكالا متعددة ، فهو منقذ الصهيونيين ، الشخصية الاسطورية التي طالما سعى وناضل في سبيل تحقيقها . فقد كان ، كما اخبر بن غوريون ، يوآب الاسطوري ، القائد العسكري البارز لدى الملك داوود الذي حارب الفلسطينيين(١٢). وان شخصية دايان العسكرية نفسها ، كانت تتسع وتمتد ، محاولة بنجاح كبير فرض ذاتيتها الخاصة بها على ما يحيط بها . ومن هنا كانت اعمال دايان الفاضحة في انتهاك القوانين الرسمية . ففي خلال حرب سيناء مثلا ، عندما اكتشف موقع اثري ، جعل دايان « البوليس العسكري يطوق المنطقة كلها ريثما يتم حفر ونقل بعض الاثريات » . كما وان بيته في تسهالا « يكتظ بالاعمدة الاثرية والاباريق الاثرية ، وكل منها يذكر بانتهاك القوانين »(١٣). ولكن دايان لا يشعر بالذنب نتيجة لخرقه القانون . فقد سبق له واقنع نفسه انه فوق القانون ، انه يوآب ، ويوآب يسن القوانين ولا يكون مجبرا بالضرورة على اطاعتها . ومع ذلك فان دايان قد نبه بفظاظة من قبل الصراع بين أماني حقيقته الباطنية ومتطلبات ظروفه البيئية . وهكذا ، فانه دعي للكبت من جديد ، وهو يفعل ذلك بتعقل . ولكن دايان قادر على احداث مقدار معين من الكبت فقط . وقد تدبر أمر ذلك مقابل ثمن نفسي باهظ . فرغم انه يمارس الكبت ، الا أنه ينتظر فرصة ملائمة ، بطريقة غريزية . والسنوات التي قضاها في البرية ، كمراسل في فيتنام ، كوزير زراعة هو شيء غريب المطابقة نوعا ما ، وطالب في الجامعة العبرية . بالنسبة لدايان ، كانت هذه السنوات تمثل انعطافا طويلا غير ذي هدف ذي معنى . وفي تلهف قلق كان ينتظر النداء الاخير ، نداء « حرب » من اي نوع كان ، وذلك حتى يطلق العنان لبعض من طبعه العدواني الذي يكاد يكون مفترسا . واخيرا جاءت الحرب ، التي كانت بالنسبة اليه المتنفس الوحيد المتبقي له ، ويجد دايان نفسه ، مدفوعا بقوة لا يمكن مقاومتها ، متصلبا وسط الاحداث . وان اشتراكه المتأخر عن وقته المعتاد في الحرب ليس ذا اهمية حقيقية بالنسبة اليه . ومن جديد ، ينجح دايان في كسب تقدير الجمهور . ومن جديد ، هو يوآب ، لقد انقذ اسرائيل ، ومن الان وصاعدا لا يجوز التحقيق معه او سؤاله عن اي شيء . وعندما سئل عن حقيقة

اشتراكه بحرب سنة ١٩٦٧ ، أجاب دايان بحدة وبحسم : « ان من يقول بأني وصلت لاجد كل شيء جاهزا انما يحاول فقط ذر الرماد في العيون »(١٤) .

ولكن دايان يبقى بمعزل ، ومع ذلك فانه يظل الى الابد يحن الى التقدير ، والى الابد يحاول أن يثبت ، ان لم يكن لابيه الذي « احترم » دايان كثيرا « قوة شخصيته » ، فعلى الاقل لاي شبح اخر حل محل ابيه في شخصية دايان المعقدة . واما انفصام شخصيته وهو طفل ، وهو الامر الذي تسبب في حاسة العزلة الداخلية وعـدم الاتزان العاطفي (كما يشهد على ذلك عدم مقدرته التامة في الابقاء على أية علاقة عاطفية لمدة طويلة) . ان فصام شخصيته هذا كان دائما نسبيا لوجود عدواني مستعر ، يكاد يكون فريدا من نوعه من حيث صفته التدميرية . وهذه هي الصفة التي توحي الفزع وعـدم الثقة في نفس دايان ، وتجعله بمعزل . وقد دل استفتاء شعبي جرى بعـد حرب سنة ١٩٦٧ مباشرة في اسرائيل على ان ٢٠٪ فقط من الاسرائيليين المقيمين رغبوا في مشاهدة دايان في سدة الحكم(١٥)، وكان معظم الذين عرفوه واشتغلوا معه قد ارتدوا بعيدا عنه . وقد حذر الجنرال يتسحاق تساديه ، قائد البالماخ ، الذي عرف دايان عن كثب ، بقوله ان دايان « هو الرجل في اسرائيل الاكثر خطرا . على المرء ان يراقبه باستمرار . فهو رجل لا يعرف التردد ولا يعرف كبح جماح نفسه ، ولا يعرف الاخلاق . انه قادر على عمل أي شيء »(١٦) . ربما كانت تلك هي الصفات التي تجعل دايان ان يكون ما هو كائن ، فهو ليس شخصية مثيرة للشفقة ، وغير متزنة ، ومنعزلة نوعا ، فحسب ، بل بحكم طبيعة السلطة التي يحملها نفسها ، ومشاعره الازدواجية التي يوحي بها ، انه بكل تأكيد رجل مثير للمخاوف ، وبالنسبة لما هو كامن ، انه في الحقيقة رجل بالغ الخطورة .

تقييم عسكري : اذا حكمنا على دايان من خلال تجاربه العسكرية السابقة الخاصة به ، فانه يشبه على نحو هزيل بشخصيات عسكرية معاصرة . وما تجـدر ملاحظته فيما يتعلق بتدريبه العسكري الفعلي الحديث ، هو ان تجاربه هي أبعد ما تكون عن موضع الاثارة أو الاعجـاب . وقد رأينـا في القسم الاول من هـذا المقال كيف ان ظروفـه الاجتماعية ، التي اقتضته القيام بأعباء الكيبوتز العائلي واعباء أخرى ، كانت قد حالت دون متابعته لاية دورة رسمية للتعليم العسكري . وهذا بالطبع لا يلغي الافتراض من ان دايان كان في الحقيقة يفتقر الى الحماس لمتابعة دورة رسمية طويلة الامد للتدريب العسكري . فهو بدلا من ذلـك ، انضم الى منظمة الهاغانـاه الصهيونية بصفة عضو عامل . وان انخراطه في الهاغاناه وتقدمه فيها ، كان متوافقا ، بشكل ظاهري التناقض، مع المد المتصاعد لثورة عرب فلسطين العظيمة . وفي سنة ١٩٣٨ ، كان دايان قد عين مدربا للمعينين الجدد في قوة الهاغاناه الاضافية الخاصة . وقد مضت عليـه سنوات عديدة قبل ان توكل اليه اول مسؤولية عسكرية ذات طابع جدي . وفي سنة ١٩٤٨ ، عين دايان (وكذلك يجال آلون) من قبل الجنرال يتسحـاق تساديه قائدا لفصيلة من الجند . لقد اظهر نجاحا ثانويا ، ولكنه حتى ذلـك الوقت ، ورغـم الظروف المؤاتية والفرص، لم يستطع الارتقاء بشكل حاسم فوق أي من المتعاصرين معه من العسكريين . وفي حزيران ١٩٣٥ ، ولدى عودته من انجلترا التي كان حمواه قد ارسلاه اليها ، وجد بانتظاره « فرصا ملائمة » عظيمة لمتابعة دراسته المنهجية ، اذ كانت السيدة ايرلنـغ ، ابنة الفرد موند (لورد اول ملكي) قـد حاولت تأمين مكـان لموشي في احـدى كليات اكسفورد . كما استخدم هارولد لاسكي نفوذه لعمل الترتيبات اللازمة لتأمين مكـان للصهيوني الشاب في مدرسة الاقتصاد بلندن ، وكما بذل الدكتور حاييم وايزمان الواسع النفوذ كل ما يستطيع من جهد لادخال موشي الى كامبريدج . واقل ما يمكن قوله هو ان مجال الاختيار أمام خريج مدرسة نحال للبنات ، التي وفرت لـه سنتي دراسة ، كان مدعاة للاعجاب . كان موشي في الحقيقة قد تسجل في مدرسة الاقتصاد اللندنية ، وقد

عرض عليه بعد ذلك فرصة غير عادية لدراسة الزراعة في كـامبريدج ، وكان الشرط الوحيد هو النجاح في امتحانات دخول شكلية « في وقت ما خلال دراساته هناك »(١٧) . وكان دايان ابعد من أن ينتهز مثل هـذه الفرص المدهشة ، اذ انه فشل حتى في تقديم امتحانات الدخول ، وتوجه الى فلسطين صفر اليدين ، بعد ان مكث خـاملا في انجلترا مدة ستة اشهر .

وعندما وصل الى فلسطين ، وسط ثورة الفلسطينيين العرب العظيمة ، قدمت له فرص اخرى . ولدى النقاش انطلاقا من وجهة النظر الصهيونية ، يمكن للمرء ان يقول بأنه لو كان دايان يتمتع بأية ألمعية عسكرية — شيء ما مثل ما يتمتع به الجنرال جياب ، مثلا — لكان سمح لهذه الألمعية بالانبثاق وسط الظروف المثلى التي توفرت له . ولكن بدلا من ذلك ، عهد الى دايان مع آخرين كثر من قوات الهاغاناه ، من قبل البريطانيين ، للقيام بمهمات معينة ضد هجمات الفدائيين العرب . وقد عين دايان ، بسبب معرفته المعتدلة للغة الانجليزية في الدرجة الاولى ، في وحدة جيش بريطانية عهد اليها بحراسة انابيب النفط العراقية . والشيء الذي يمكن اثباته هو ان دايان لم يستطع القيام بأي عمل بارز لتمييز نفسه ، وخاصة عندما نتذكر بأن الثورة العربية في ذلك الوقت كانت تفرض ضريبة عالية على المقيمين الصهيونيين ، وبلغ معدل القتلى الصهيونيين ٥٠ قتيلا (بين اشهر حزيران — تشرين الاول ١٩٣٨)(١٨) . وكان دايـان في هذه الاثنـاء يسير على خطى الاسكتلندي أورد تشارلز وينجيت الغريب الاطوار ، والذي سبق له ووصفه بأنه عبقري ومبتدع ، وأحد الثلاثة الذين اثروا تأثيرا عظيما على تفكيره وحياته(٢٠) . ومع ذلك ، فان وينجيت ، رغم منجزاته العسكريـة ، كان عصابيا غـير متزن . ويصفه اصدقـاؤه الصهيونيون بأنه « ... متدين اكثر من كونه منطقي ، ميال الى الحزن الشديد ، مؤمن قوي بالانجيل، متقد بالاحساس برسالة الشعب اليهودي الخاصة »(٢١) . وكان يكن « الاحترام العظيم لموشي ، لانه هو ايضا ، كان يكره تكرار العملية الواحدة ، وكان دائما يحاول التجديد »(٢٢) . وان الغرض من السرد التالي هو محاولة القاء بعض الضوء على حقيقة دايان ، وهي أنه لم يكن ، وليس بكائن ، ولن يكون ابدا مبتدعا اصيلا بالمعنى العسكري الصحيح . وان الدليل على هذا الحكم يقوم على اساس تفحص المجابهـات العسكرية ضد العرب ، والتي يزعم انها كانت الاكثر نجاحـا ، غزوة السويس سنة ١٩٥٦ ، وحرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

من الصعب تقييم النجاح الفعلي لغزو السويس من الوجهة العسكرية الصرفة . وقد استنتج بعض المراقبين العسكريين ان مصير الغزو كـان يبدو بعيدا جدا عن موضع الجزم لولا التدخل الانجلو — فرنسي . وقد قال الميجر ادغار او بالانس بأنه لولا التهديد الانجلو — فرنسي والاشتراك الذي تبع ذلك « لكان غزو سيناء قد استغرق وقتا اطول — ربما أطول بأيام أو بأسابيع — ولكانت قائمة الاصابات الاسرائيلية اشد . وان كثيرين من الجنود والاحتياط الاسرائيليين هم عـلى قيد الحياة اليوم بفضل التدخل الانجلو — فرنسي »(٢٣) . واكثر من هذا ، فان غزو سيناء الذي كان مساعدا جدا في تثبيت خرافة دايان ، كان من الناحية العسكرية أبعد ما يكون عن الكمال . ان هذا الغزو قد عانى من العيوب التالية :

١ — طوال الغزو ، كان فرع المخابرات الاسرائيلية بعيدا عن جادة الصواب بشكـل حاسم في اكثر من مناسبة ، فانه لم يكن على علم مثلا باقامة ممر حيتان Hittan ، وبأنه ترك وشأنه من قبل احدى الكتائب ، كما لم تكن لديه أية فكرة عن الدور الهجومي المضاد الخاص باللواء المصري الثاني ، أو عن الموقـع الخفي قرب ابو عجيلة أو عن الحصون الدفاعية في شرم الشيخ(٢٤) . ٢ — كان نقـل المعلومات الى الفرق في الميدان يصل متأخرا ، وكان مضلـلا من حين لآخر . ٣ — ونقطـة ضعف اخرى كانت تتعلق

بقابلية التحرك او الانتقال ، والاستعمال الاعتباطي لوسائل النقل الخاصة بالمدنيين ». وقد سرت هناك اشاعات مفادها ان الكثير من المركبات قد ضلت الطريق ، وان الاوامر كانت متضاربة ، وان النظام كـان مفقودا ، الى جـانب وجود احتقـان يائس (٢٥). ٤ ــ كان من الصعب الحصول على المركبات ذات اربع العجلات وذات الست : كثير منها لم يصل ، والبعض اما وصل متأخرا ، او انه توجه الى المكان الخطأ(٢٦). ٥ ــ كاد الاتصال بين الفيلق الاسرائيلي المـدرع السابع وفيلـق المشاة السابع والثلاثين يكون معدوما . « كان اتصال رئاسة الاركان مع فيلق المشاة التاسع يتخـذ شكلا مباغتا ، وكان نتيجة لذلك في الجانب الخاسر فيما يتعلق بالتخطيط لاحتـلال شرم الشيخ(٢٧). ٦ ــ وفيما يتعلق بالتكتيك الحربي ، كانت عادة الجيش الاسرائيلي في التحرك بالمدرعات نصف المجنزرة مع وجود المصابيـح الامامية مضاءة ليـلا ، عرضة لان تسبب خسائر فادحة لو قدر لها ان تجـابه قوات مصرية . ٧ ــ كـاد فن نقل الجنود ، او التدبـير الاداري ، يكون مفقودا منذ البداية . فقد كان هناك « افتقـار لجداول اركان الحرب الاولية للتوجيه ، وميل الى سوء تقدير المسافات ومقدرة الآليات علـى قطـع الطرق الصعبة ، كما كان هناك ايضا فكرة تفاؤل زائد فيما يتعلق بمقدرة وتحمل كل من الآليات والرجال»(٢٨) .ومع ذلك، وبسبب عوامل لا تمت لفعالية قوات اسرائيل المسلحة بصلة، فان مـا آلت اليه غزوة سيناء قد جعلت من دايـان ليس فقط جنرالا بـارزا في اعين المستوطنين الصهيونيين ، بل ايضا شخصية دولية موضع اعجاب العالم كله . ورغم ذلك ، فان اوري أفنيري يصف غزوة سيناء بأنها « غزوة خاطئة » ، ولا يجوز مقارنتها بعملية اسرائيل الناجحة في سنة ١٩٦٧ (٢٩). والنتيجة التي لا مفر من استخلاصها هنا هي انه لو كانت غزوة السويس « خاطئة » بالفعل ، وان دايان كانت تساعده الظروف الاكثر ملاءمة ، فانه يكون من العدل ان نفترض ، بمعزل عن ادعاءاته الشخصية ، انه لم يكن يملك شيئا محسوسا يقدمه . وقد أظهر في الحقيقة اندفاعـا نموذجيا بتقديمه استقالته كرئيس للاركان الى بن غوريون بعـد أن كان الاخير قد وافـق على الطلب الاميركي بالانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة . لقد بدأت فترة ارتباكه . ومع انه عين وزيرا للزراعة بعد انتخابات سنة ١٩٥٩ ، الا انه لم يتدبر امره في احراز اي نجاح في منصبه . ربما لم يكن يحب هذا المنصب ، فكان دائما ، الى جانب حلمه العظيم في ان يصبح رئيسا للوزراء ، يسعى لان يصبـح وزيرا للدفـاع او الخارجية . ولكنه فشل (حتى ذلك الحين) في الحصول على اي من هذين المنصبين . لـم يعتبر حزب المباي دايان حيوانا سياسيـا قط ، ولكن بسبب طبيعة مجتمـع المستوطنين الاسرائيليين ، استطاع دايان ، المحارب بالغريزة ، ان يتدبر أمره بالبقاء . ويروي أوري أفنيري انه عندما عين دايان في حزيران سنة ١٩٦٧ ، في ظل ضغط جماهيري قوي ، وزيرا للدفاع، تنز الجنود الى خارج خنادقهم ليعانق بعضهم بعضا و « ملأت الجو تنهدة من الارتياح مسموعة »(٣٠). وهكذا كـان هناك الرجل الذي لم يكن لـه عمل اخر سوى محاربة العرب ، من جديد لكي يحقق الشيء الوحيد الذي اعتقد انـه يعرف كيف يحققه . وفي سنة ١٩٤٨ ظهر دايان كمحارب ضد العرب مثير للخشية . لقد كان دايان نفسه الذي حارب مصر في سنة ١٩٦٧ ، وان كان أقل اندفاعا واكثر ارهاقا وجموحا . ولكن هل قام هـو بتخطيط الغزوة الاسرائيلية في سنة ١٩٦٧ في الحقيقة ؟ والى اي مدى كـان هو المسؤول عن نجاحها ، خاصة عندما نعيد الى الاذهان انه ادخل في المعركة قبل انتهاء الحرب بأيام قليلة . وهو ، كعادتـه ، يحب ان ينسب الفضل الى نفسه ، ناسيا او متناسيا ان ما جعل نجاح الغزوة الاسرائيلية امرا ممكنا انما كان بكل بساطة مجموعة مؤتلفة من الشعوب الاخرى . ومن هنا كان جوابه ــ الذي مر ذكره ــ « ان من يقول بأني وصلت لاجد كل شيء جاهزا ، انما يحـاول فقط ذر الرماد في العيون »(٣١). وفي خلال الغزوة نفسها ظهر في الاخبار أن دايان كـان يجد لديه متسعا من الوقت « لكي

يندمغ هنا وهناك مثل النجم المذنب الشارد ، جارا وراءه صفا طويلا من موظفي العلاقات العامة ، والمراسلين والمصورين ، ممن كانوا يخلدونه ، بينما الوحدات المحاربة المتقدمة كانت تمثل ستارة المسرح الخلفية »(٣٢). لقد استمتع دايان بهذا الجو ، جو الدعاية والشعور بأن لا غنى عنه . وهكذا عاد من جديد ليعيش في « الحقيقة » التي كانت تشعره بالغبطة ، « الحقيقة » المتعلقة بكونه منقذ اسرائيل . ولكن هذه « الحقيقة » على كل حال ، كانت تخص دايان وحده ، وما كان ابعدها عن الحقيقة الاصيلة . لم يكن لدايان علاقة بتهيئة القوات الاسرائيلية المسلحة للحرب . فقد بقي بعيدا مدة عشر سنوات . فالفريق الذي أخرج « جيشا فعالا ومحترفا ومدربا تدريبا حسنا » هو فريق جديد برئسه اسحق رابين ، وهو فريق متكون في غالبيته من جنود محترفين ، قدر لهم في النتيجة ان يلعبوا دورا اساسيا في كسب حرب سنة ١٩٦٧ . ومرة ثانية ، كان تدخل دايان في حرب ١٩٦٧ ، حسب ما يذكره أوري أفنيري ، ابعد ما يكون عن كونه حاسما ، بل انه كان ممزقا في اكثر من اتجاه . فهو لم يكن يؤيد فكرة الهجوم المباشر على مدينة القدس القديمة المحاصرة . اذ انه لم يذعن الا بعد ان اصر اعضاء اخرون من الوزارة في الكنيست الاسرائيلي على مثل هذا التحرك العسكري . كما ان دايان قد أخر الهجوم على الحدود السورية مدة ٤٨ ساعة ، وكان هذا ضد رغبات القادة المحليين المعلنة . واهم من ذلك ، ان دايان ، رغم الاشاعات ، لم يكن ذا رأي فصل بالنسبة للقرار الخطير المتعلق بشن الحرب . وكان وجوده في الوزارة الاسرائيلية قد حصل بعد ان كان قد تقرر وجوب شن الحرب من قبل اسرائيل . وان القرار الاسرائيلي هذا اصبح نافذا في الوقت الذي أحضر فيه دايان . وان حضوره ، على كل حال ، قد ساعد في زيادة تصلب القرار العام وفي تبديد الشكوك(٣٣).

وفي فترة ما بعد الحرب ، كان مركز دايان كوزير للدفاع دقيقا جدا من وجهة النظر الاسرائيلية . فقد كان من ناحية عملية ليس مسؤولا فقط عن مجابهة الغارات التي كان يشنها الفدائيون الفلسطينيون ، بل ايضا كان عليه ان يرد ، بطريقة ايجابية ، على التحدي المصري اليومي عبر السويس . وفي كلتا الحالتين فشل دايان في ان يظهر نفسه للعيان بصورة القائد العسكري اللامع . وكان دايان في وقت مبكر من سنة ١٩٦٧ ، قد اعتاد ان يصرف النظر عن نشاطات الفدائيين الفلسطينيين ويصفها بأنها عامل استفزازي ثانوي . ولما اظهرت المقاومة من أنها ليست ظاهرة مؤقتة ، قام بنسف منازل الفلسطينيين ولجأ الى الاعتقالات الجماعية ، وهو أمر مألوف ، مظهرا بالاختصار أن وسائله كقائد عسكري لا يمكنها ان تفوق وسائل الجنرال العادي الذي يواجه الاحداث الصعبة في ميدان القتال ، مطبقا تلك الوسائل التي تكون متوفرة له ومهيأة تماما من قبل . ولم تكن كذلك استجابته للحرب المصرية ، حرب الاستنزاف المعلنة من قبل مصر في اعقاب الحرب ، اكثر نجاحا . ومن هذه الناحية ، وكما هو الحال من ناحية الفدائيين ، كان دايان محظوظا بمعنى ان ظروفا خارجية قد ساعدته ، او قل ظروفا خارجة عن ارادته .

وفيما يتعلق بالاراضي المحتلة ، لم تكن لدى دايان أية سياسة واضحة . ففي الاشهر التالية للحرب ، مثلا ، القى دايان خطبا كثيرة ، كانت كل واحدة منها تناقض الاخرى . « لقد نادى ، متيحا المجال للاختيار ، باقامة دولة فلسطينية متمتعة بالحكم الذاتي ، وبنظام فدرالي بين اسرائيل والاردن ، وبضم غزة والضفة الغربية من الاردن »(٣٤). لقد اثبتت سياسته المتعلقة بالاراضي المحتلة فشلا عسكريا ، مثلما فعلت سياساته تجاه الفدائيين الفلسطينيين . وان محاولاته المتكررة لاقامة حوار مع الفلسطينيين العرب في الضفة الغربية ، متقنعا بقناع التحرري المنفتح الذهن ، قد منيت بالفشل الذريع . وكان دايان محظوظا كوزير حرب . ومن المهم ان نشير الى ان هذه الحرب قد

انهكت حيوية القوات الاسرائيلية بالفعل ، ذلك ان استمرارها كان شيئا لم يتدرب عليه دايان ، ولا القوات الاسرائيلية . وفي الحقيقة ، كانت هناك لحظات كــادت تتغير فيها نتيجة الحرب لمصلحة المصريين . وفي تعليقها على حــرب الاستنزاف في أواخر صيف ١٩٦٩ ، كتبت **النيو ميدل ايست** المؤيدة للصهيونية تقول « لو واصل المصريون القصف بمدفعيتهم الثقيلة في شهر تشرين الثاني ، لكـــان من المشكوك فيه ما اذا كانت هـــذه التحصينات (خط بارليف) ستتم ، أو حقا ، ما اذا كان باستطاعة الاسرائيليين الاحتفاظ بمراكزهم على طول القنال »(٣٥) . وهكذا ، فان دايان ، كقائد عسكري ، يظهر للعيان بأنه مجرد خرافة ، وهي خرافة ساهم الاسرائيليون بايجادها ، كما ساهم الرأي العام العالمي ، الى جانب مساهمة العرب انفسهم بذلك . انها خـــرافة في أمس الحاجة لان يعاد تقييمها ، بالطريقة الموضوعية نفسها التي اعيد فيها تقييم تشرشل وغيره من قادة الحرب . وربما لم يتدبر دايان أمره ، عسكريا ، للخروج من قوقعته ، قوقعة المحارب العربي التقليدي . وهو ، حسب ما يقول اوري أفنيري « المعادل الاسرائيلي لما اعتاد الاميركـــان على تسميته بالمحـــارب الهندي ، وهـــو نمط شاع بين الجيـــل الثاني من المستوطنين ، حيث كان يجبر القادمون الجدد على محاربة المواطنين الاصليين »(٣٦) . وبعبارة اخرى ، كان دايان من الناحية العسكرية ، رغم شعبيته ، مجـــرد جنرال مر عليه الزمن ، ولكنه لا يزال باقيا بفعل تأثير هذه الشعبية ، وهو غير مدرك انه سرعان ما يتلاشى ، وان المؤرخين العسكريين سوف يذكرونه كظاهرة عسكرية عابرة ، وان لم تخل من الاثارة . ومهما يكن من امر ، ففي ظل فن الحرب القائم على أساس الحساب الدقيق في العصر الحاضر ، من العـــدل ان نشير الى ان دايـــان هو في الحقيقة مجرد مفارقة تاريخية مثيرة للشفقة .

تقييم سياسي : كما ذكر آنفا ، كان افتقار دايان لكل من التدريب العسكري المنهجي والصلات السياسية الضرورية ، ذا أثر ما في اعاقة ترقيته العسكرية ، فييجال آلون ، مثلا ، الذي كان دونه مرتبة لثلاث سنوات ، كان قادرا علـــى التقدم عليـــه في وقت قصير(٣٧) . ولكن دايان أصبح رئيسا للاركان في كانون الاول سنة ١٩٥٣ . ودايان « كان مدينا في ترقيته ، كلية تقريبا ، لقدرة بن غوريون ، وقـــد أصبح دايان أداة الاخـــير العسكرية »(٣٨) . وان نهج بن غوريون بالنسبة لتجاهل الرأي العام العالمي ، وبالنسبة للمبادرات السلمية والامم المتحدة ، وفوق كل هذا نهجه في الاعتماد الكلي على سلاح اسرائيل — مدعومة بالطبع بالدعم المادي الاميركي — كل هذا كان يقوم على اساس افتراض ان على اسرائيل ان تمارس مفهومها للسلام ، ليس عن طريق العمل بالتعاون مع المنظمات الدولية ، بل عن طريق الاستثمار الماكر لمختلف الاوضاع المتقلبة في الميزان الدولي . وقد حاول شمعون بيريس وضع هذه المبادىء موضع التنفيذ في الجبهـــة المدنية ، باقامة محالفة سرية وغير رسمية مع فرنسا . وكان دايان ، في الجهة المقابلة ، مسؤولا عن الاستعدادات لتوجيه ضربة مخيفة ضد مضائق تيران . وكان نتيجة هذا التخطيط السري الاستيلاء على مضائق تيران ، وكانت غزوة سيناء وما رافقها مـــن مضاعفات حصيلة كل هذا . وقد أقنع دايان مجددا من قبل معلمه الخاص بالاستمرار ، رغم انه قدم استقالته . وفي هذه المـــرة بدا بأن ثعلب السياسة الاسرائيلية الكبـــير العجوز قد ورط نفسه في بلاء غير مرتقب ، وكان بحاجة يائسة لحلفاء اقوياء . فأمد كل من دايان وشمعون بيريس ، بسبب ارتباطهما بفضيحة لافون ، الى حد ما ، وبسبب اعجاب كل منهما الشخصي الى حد آخر ، الى جانب ارتباط كل منهما الشخصي الوثيق نوعا ببن غوريون ، أمداه بالنواة التي كان بحاجة اليها . ولكن الثمن بالمعنى السياسي كان لا بد من دفعه . ففضيحة لافون كانت قد تركت بصماتها البغيضة على طيف المظهر السياسي كله ، الى حد ان بن غوريون ودايان وبيريس ، قد قرروا الانفصال عن حزب الماباي ، وتأسيس (سنة ١٩٦٥) حزبهم الخاص بهم ، رافي . ولكن هذا اثبت انه نوع

من الاخفاق السياسي ، فقد دل على عدم كفايته كلية في تحدي الاحزاب الصهيونية الاخرى المنشأة سابقا ، بأي شكل . فعندما وافق دايان على تأليف الحزب الجديد ، كان يطيع توجيهات معلمه الخاص بحماس بالغ . ولا بد ان الافتراض كان يقوم على اساس وجود شعبية دايان ، ومهارة بن غوريون ، وان كانت قيادته قد مضى عليها الزمن ، الى جانب وجود ثقافة بيريس الدولية ، كان الافتراض ان كل هذا سوف يمكن الحزب من احراز نجاح معقول ، على اقل تعديل . ولكن الحزب الجديد كان ، كما اشرنا ، أبعد ما يكون عن النجاح . لقد كان بكل وضوح فشلا تاما . فان مؤسسه الهرم بن غوريون ، لم يستخف بمنظمة الماباي ، وببراعتها وبرضى المقيمين الاسرائيليين عنها فحسب ، بل انه غالى في تقدير اثر حزبه الجديد بادعائه ان اسمه واسم دايان سيعودا عليه بمكافآت انتخابية لم يسبق الى مثلها . ولكن ثبت في النهاية ان فشل رافي لم يدعم نفوذ المؤسسة الاسرائيلية ، بما في ذلك حزب الماباي وغيره من المنظمات الحزبية فقط ، بل انه ايضا أظهر بوضوح ان المستوطنين الصهيونيين يفضلون غريزيا ، في اوقات الامن المعقول ، المنظمات الراسخة على الافراد ذوي النفوذ . وفي هذا الخصوص ، تجدر الاشارة الى انه في وقت ما قبل حرب سنة ١٩٦٧ جرى استفتاء شعبي سئل المقيمون فيه عن الشخص الذي يفضلون ان يكون رئيسا للوزراء ، لم يحصل دايان على اكثر من ١٤ ٪ . ومهما يكن من أمر ، فقد كانت الظروف قبل يومين او ثلاثة من بداية الحرب « بحاجة لقائد حرب قوي ، شاب ، نشيط ، شعبي — ليس لادارة الحرب ، بل ليسد حاجة شعبية »(٤٠). وبعبارات نفسية دقيقة يدل هذا بوضوح على فقدان الطمأنينة الحقيقية على مستوى الجماعات ، لا الافراد . وان التناقض السريع شيء مشوق ، بمعنى ان المجتمع الاسرائيلي قد أظهر اظهارا محددا القلق العصابي الجماعي ، والحالة الهستيرية ، غير الحادة ، على المستوى العاطفي الجماعي . فقد كان هناك تشاؤم مرضي (بالنسبة لنتيجة حرب ١٩٦٧) من جهة ، وشعور بالابتهاج الايجابي ، من جهة اخرى ، وهو الشعور الذي ظهر مع الفرح الغامر الذي أطل عقب تعيين دايان . وعلى غير هذا المستوى ، يمكن تفسير هذه الظاهرة بالرجوع الى « عقدة المذبحة الجماعية » الخرافية ، التي ، وفقا لها ، ارتكب المدافعون اليهود انتحارا جماعيا لا عقلانيا، مفضلين ذلك على الخضوع للرومان . لذلك فانه يمكن تفسير تعيين دايان كوزير للدفاع ، على انه جاء موافقا لهذا الاندفاع الاسطوري ، وان كان اندفاعا انتحاريا مؤكدا على ضرورة اتخاذ الاجراءات العنيفة . ان اتباع العنف المتواصل كسياسة رئيسية ازاء العرب في اواخر عام ١٩٦٠ ، لا يبدو انه خلص الصهيونيين من مشكلاتهم الخطيرة عن طريق تزويدهم بوصفة سحرية . لقد فشل دايان ، المخطط والمنفذ ، ورأس الحربة العسكرية لاسرائيل ، في تزويد حل مرض عن طريق هذه السياسة . فمذهبه في استعمال القوة لتحقيق الاغراض السياسية كان ابعد ما يكون عن توفير حل ، فهو ، بدون مبالغة ، كان السبب في ابراز هذه المشكلات . وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ ، حاول دايان عبثا كسب ود العرب في الاراضي المحتلة ، او دمج هذه الاراضي . وفي يوم الاثنين ، الثامن عشر من تشرين الثاني ، ١٩٦٨ ، أعلنت سياسة دايان ازاء الاراضي المحتلة انها سياسة دمج عام ، واذا « كان اي وزير في مجلس الوزراء يعتقد ان هذه السياسة قد فشلت ، فله الحرية ان يقترح على مجلس الوزراء الغاء قراراته وتعديل سياسته »(٤١). لقد فشلت هذه السياسة فشلا ذريعا للاسباب التالية : أ) كانت هذه السياسة موضع تجاهل تام من قبل أغلبية العرب الفلسطينيين في المناطق المحتلة ، ب) كانت هذه السياسة موضع معارضة شديدة من قبل شخصيات هامة في حزب العمل الذي ظهر حديثا ، وكان المعارض الرئيسي هو الامين العام لهذا الحزب ، بنحاس سابير ، وهو الذي رفض آراء دايان المتعلقة بالدمج . وقد فسر رفضه بقوله ان الدمج العام للمناطق المحتلة

سيؤدي بطبيعة الحال الى ازالة القومية اليهودية عن الدولة الصهيونية واحلال دولة ذات قوميتين محلها(٤٢).

وفي الامكان رؤية مظهر آخر من مظاهر مذهب استعمال القوة الخاص بدايان في محاولته اخضاع الرئيس عبدالناصر عن طريق قصف القنابل . وفي هذا المجال ، كشف دايان عن عدم تفكير نموذجي بردود الفعل التي قد يقوم بها الخصم ، اذ انه استمر في سياسته موسعا الحرب نحو أهداف مدنية واضحة . فقتل ٧٠ من العمال وجرح ٩٨ آخرين في مصنع الحديد والصلب الذي يبعد ١٥ ميلا شمال شرقي القاهرة بقنابل النابالم . ان أعمال الطيران الاسرائيلي هذه لم تزد المصريين الا تصلبـــا في التصميم على مقاومة العدوان والضرب الاشد(٤٣). وهكذا فعلت ايضا الغارة الجوية على مدرسة الاطفال في بحر البقر في الثامن من نيسان ١٩٧٠ ، حين لم يمض شهران على الحادث الاول ، حيث قتل ٣٠ طفلا واصيب ٤٠ من التلاميذ الاطفال بجروح خطيرة(٤٤). ومن وجهة نظر دايان، كان المقصود من هذه الغارات تقويض مركز الرئيس عبدالناصر في نظر المصريين، واظهار الثمن الباهظ لحرب الاستنزاف التي أعلنها الرئيس عبدالناصر . وعلى اي حال، فقد كان هذا التصعيد من جهة دايان ، من الوجهة الموضوعية ، شيئا خطرا منضويا على المغامرة . وربما فكر المرء بأن مطالعة دايان لاحداث الحرب العالمية الثانية ، لا بد وان تكون قد بينت له بوضوح أن قصف الأهداف المدنية هي لعبة يقدر أن يلعبها الفريقان المتحاربان معا . ولو ان دايان استمر بسياسته هذه ، لما كان مـــن الصعب تصور الطيران المصري وهو يغير على تل ابيب ، او غيرها من المناطق الآهلة بالسكان فـــي اسرائيل . وفي نهاية المطاف ، وبوصفه وزيرا للدفاع ، فشلت سياساته هذه في اسقاط الرئيس عبدالناصر ، وادت الى زيادة كبيرة في حدة كراهية المصريين الايجابية ، وهي الشيء الاساسي لروح الحرب الخاصة بجميع القوات المسلحة المصرية .

وكذلك لم تنجح في اي شكل محاولات دايان في استرضاء الروس . ففي خلال اجتماعه مع الطلاب الاسرائيليين مدة ساعتين ، اكد دايان على انه لم يكن يحبذ « خلق حالات نقتل فيها الروس ويحاولون هم فيها اسقاط طائراتنا »(٤٥). ومع ذلك ، وبعد شهر ، حذر دايان ، لانه لم يسمع أي رد من الروس ، بأنه في حـــالة الهجوم على الطيران الاسرائيلي في منطقة العمليات « وهو الشيء الذي لم يحدث حتى الآن » ، فانهم سوف يدافعون عن انفسهم ويقابلوا الحرب بالحرب »(٤٦). وفي الطريقة نفسها ، لاقت محاولته لاقامة « تعايش جوي » مع الروس ، كما لاقت سياساته الاخرى ، الاهمال . ولهذا السبب يمكن اعتبارها بوثوق على انها فشل آخر جديد .

وفي ختام هذا المقال ، من المناسب أن ننهيه بذكر أعظم فشل سياسي لدايان ، فشله في ان يصبح رئيس وزراء اسرائيل . كان هذا طموح دايان الملتهب ، ويذكرنا اوري أفنيري بقوله انه لم يجعل اي سياسي اسرائيلي من هذا الطموح « فكرة مركزية في حياته مثلما فعل دايان »(٤٧). ولكن حتى يتمكن دايان من تحقيق هذا الهدف ، لا بد للمرء ان يظن ان دايان قد نجح فيما يتعلق بتأليف حزبه ، او باظهار الصفات الاساسية للقيادة السياسية . ولكنه ، في كلا الحالتين ، لم يكن لديه في الحقيقة شيئا يقدمه « خطاباته ومقالاته ، التي كانت دائما في صميم الموضوع ، كانت ضحلة ، لا تتميز بعمق التفكير او باتساع القدرة على رؤية الامور ، كانت مشوقة ، ولكنهـــا غير مؤثرة ، وغـــير حاوية لاية صـــور ذهنية »(٤٨). ان ازدراءه للسياسيين ولجهاز الحزب السياسي (وهذا من أعراض عدم كفاياته المقنعة) هي أشياء تناقض أمانيه . وان تطلعه الى امكانية صيرورته رئيسا لمجلس الوزراء لا يبدو مؤثرا . وعندما كان في قمة حياته كرجل رسمي ، بعيد حرب سنة ١٩٦٧ ، فان الاستفتاء نفسه الذي اعطى ابا ايبان نسبة ٢٠ ٪ ، أعطى دايان النسبة ذاتها(٤٩). ورغم ذلك ، فان تسلط فكرة رئاسة الوزارة عليه ، لن تتوقف عند أي حد .

وفي اعقاب وفاة اشكول ، رفض دايان فصل نفسه من الحركة المحدودة التي بدأت بجمع التواقيع للضغط من اجل تحويل بعض سلطات جولدا مائير اليه(٥٠). وبعد نقاشات طويلة وحادة ، اقتنع اخيرا بأن يقوم بواجباته تحت ظل رئيسة مجلس الوزراء .

والآن ، وقد قارب الستين من عمره ، أصبح أبعد من ذي قبل عـن امكانية تحقيقه لطموحه . وان فشله هنا قد توج في النتيجة كل فشل سبقه . وبينما ينتظر دايان بفارغ الصبر تحقيق طموحه المستبد به ، لا يعود المرء يرى امامه الشخصية المؤثرة لسياسة اسرائيل ، بل يرى شخصية تدعو الى الشفقة، شخصية رجل عادي، محاطا بالخرافات التي اصبح في النهاية يؤمن بها . رجل لا رفيق له ، حياته كلها كانت توقعة كبيرة، ولكنها لا تحوي شيئا ، وكان يسمع بواسطتها أصوات البحر المختلفة ، دون أن يستمتع بدفء الامواج الحقيقي اطلاقا .

---

١ — *Moshe Dayan: a biography,* by N. Lau-Lavie. Vallentine, Mitchel & Co. Ltd., London, 1968, p. 15.

٢ — Alex M. Szedenik: *Anatomy of a Psycho,* The New International Library, Inc., 1964, p. 86.

٣ — *Ibid.*

٤ — *Ibid.,* p. 90.

٥ — N. Lau-Lavie. *op. cit.,* p. 20.

٦ — Uri Avnerv: *Israel Without Zionists,* Collier-Macmillan Ltd., London, 1968, p. 128.

٧ — N. Lau-Lavie, *op. cit.,* p. 20.

٨ — *Ibid.,* p. 16.

٩ — *Ibid.,* p. 17.

١٠ — Uri Avnery, *op. cit.,* p. 129.

١١ — N. L. Lavie, *op. cit.,* pp. 18-19.

١٢ — *Ibid.,* p. 9.

١٣ — Uri Avnery, *op. cit.,* p. 130.

١٤ — R. J. Donavan: *Israel's Fight for Survival,* The New American Library, 1967, p. 153.

١٥ — Uri Avnery, *op. cit.,* p. 145.

١٦ — *Ibid.,* p. 132.

١٧ — Dayan, "The Man Behind the Eye-Patch", *The Sunday Telegraph,* 16 July 1972, p. 7.

١٨ — *Ibid.*

١٩ — *Ibid.*

٢٠ — كان الاخران يتسحاق ساديه ودافيد بن غوريون .

٢١ — *The Sunday Telegraph,* Loc. cit.

٢٢ — *Ibid.*

٢٣ — Edgar O'Ballance: *The Sinai Campaign,* 1956; Faber and Faber, London, 1959.

٢٤ — ٢٨ *Ibid.*

٢٩ — Uri Avnery, *op. cit.,* p. 140.

٣٠ — *Ibid.,* p. 143.

٣١ — R. I. Donavan: *op. cit.,* p. 153.

٣٢ — Uri Avnery., *op. cit.,* p. 143.

٣٣ — Uri Avnery, *Ibid.,* p. 145.

٣٤ — *Ibid.,* p. 146.

٣٥ — "Ups and Downs in Dayan's Defence Strategy", *The New Middle East,* March 1970.

٣٦ — Uri Avnery, *op. cit.,* p. 133.

٣٧ — "Israel's Coriolanuis" *New Statesman,* 29th August, 1969, p. 269.

٣٨ — *Ibid.*

٣٩ — Uri Avnery, *op. cit.,* pp. 142-143.

٤٠ — *Ibid.*

٤١ — *The Jewish Chronicle,* 22nd November, 1968.

٤٢ — *Ibid.*

٤٣ — See: *The Times,* February 13th, 1970.

٤٤ — See: *The Guardian,* April 9th, 1970.

٤٥ — *The Jewish Chronicle,* 10th, April, 1970.

٤٦ — *The Jewish Chronicle,* 15th, May, 1970.

٤٧ — Uri Avnery, *op. cit.,* p. 132.

٤٨ — *Ibid.*

٤٩ — *Ibid.,* p. 146.

٥٠ — See: *The Jewish Chronicle,* 21st March, 1969.

اليسار الاسرائيلي الجديد « سيح »

عبد الحفيظ محارب

يعتبر اليسار الاسرائيلي الجديد المعروف باسم « سيح » أحدث التنظيمات اليسارية في اسرائيل ولا زال في طور النمو والتبلور ويناهز من العمر ثلاثة أعوام ونيف . والغرض من هذا المقال اعطاء صورة عن هذا الوليد الجديد الذي لا يزال يحبو في طريق ملأى بالتعرجات .

قبل التطرق الى ولادة « سيح » لا بد لنا من الوقوف قليلا حول الاعمال التي قام بها التنظيم الجديد لتكون مدخلا يتسنى لنا من خلاله استشفاف اتجاهاته ومبادئه ، فقد اتخذ نشاط سيح اشكالا متعددة على الرغم من حداثة عمره ، ضد سياسة الحكومة الاسرائيلية ، وصب في مجالات رئيسية ثلاثة : (١) الوقوف بحزم ضد الاعمال الاستيطانية التي تقوم بها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة، وتجلى ذلك في التظاهرات التي قادها أعضاء سيح أو اشتركوا بها ضد الاستيطان في كل من الخليل ومشارف رفح ضد « أعمال السلب والنهب » وأبرزها التظاهرة التي انطلقت من الجامعة العبرية في القدس وتوجهت نحو وزارة الاسكان احتجاجا على مشاريع الوزارة بشأن الضاحية اليهودية في الخليل . وكان الشيء اللافت للنظر في هذه التظاهرة النعش الذي رفعه المتظاهرون كرمز الى أحد احتمالات السلام التي ماتت بسبب مشاريع الاستيطان الاسرائيلية ، وأرادوا مواراته في التراب بالقرب من وزارة الاسكان ، الا أن قوات الامن تصدت للمسيرة « الجنائزية » واصطدمت مع المتظاهرين وكان من نتيجة ذلك ان سقط النعش على قارعة الطريق . اما اللافتات التي كان يحملها المتظاهرون فقد كتب عليها « غولدا مئير صقر او حمامة المهم أن تطير » « وزارة الاسكان تعد ضاحية للخليل — من يعد السلام ؟ » « مستوطنو الخليل اذهبوا الى النقب » (معاريف ٧٠/٦/٩) كما ونشط أعضاء سيح في توزيع المناشير المعادية للاستيطان في المناطق المحتلة ، وبلغ نشاطهم ذروته عندما أستطاعوا توزيع مناشير مناوئة للاستيطان في بيت الرئيس زلمان شازار حين استطاع عدد من الشبان التسلل بين الجموع التي أتت لتهنئة الرئيس ووزعوا المناشير الموقعة باسم سيح . (٢) شجب سياسة « لا مفر » و« لا مناص » التي درجت على اتباعها الحكومة الاسرائيلية ، والوقوف مع مبادرات السلام ، وقد تمثل ذلك في التظاهرة التي قادها اعضاء اليسار الاسرائيلي الجديد بالقرب من بيت رئيسة الحكومة غولدا مئير بسبب رفضها تخويل غولدمان بمقابلة الرئيس عبدالناصر ، واصطدام المتظاهرين مع قوات الامن التي هرعت لحراسة المبنى . (٣) العمل من اجل الدعوة لاقامة كيان فلسطيني، وعبر سيح عن ذلك بشكل حاد في الخطة التي نشرت في منشورات وزعت في الجامعة العبرية في القدس دعت الطلبة للاشتراك في « احتفال » خاص : احتفال ينكس فيه علما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ليرفع مكانهما علما اسرائيل وفلسطين ، حيث كان من المقرر حسب الخطة ان يسير المتظاهرون وهم يحملون علمي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وفي ساعة محددة يقومون بشكل تظاهري بانزال

علمي « الدولتين الامبرياليتين » ليخفق مكانهما علما فلسطين واسرائيل فوق رؤوس المتظاهرين ! وقد أوضح رجال سيح الدافع لهذا « الاحتفال » بقولهم : « نحن المدافعون عن حق تقرير مصير الشعب الاسرائيلي ، وباسم هذا الحق ندافع عن حق الوجود لدولة اسرائيل ، ونطالب بمنح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير » (معاريف ١٨/ ٧٢/١١) . الا أن سلطات الجامعة قد تدخلت في موضوع المسيرة التظاهرية ، ونتيجة لذلك قرر رجال سيح بأكثرية الاصوات الاستجابة لطلب الجامعة بعدم رفع علمي اسرائيل وفلسطين . وكان آخر نشاط قام به سيح بالنسبة للكيان الفلسطيني القيام عند منتصف شهر اوكتوبر من عام ١٩٧٢ بتوزيع منشورات داخل المناطق المحتلة في منطقتي الخليل وطولكرم تدعو الى « اقامة دولة فلسطينية ذات سيادة » وترى في الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة شرطا اساسيا لتحقيق هذه الفكرة . وعبرت المناشير عن « التعاطف العميق مع الشعب الفلسطيني » وشجبت « السياسة العدوانية لحكومة اسرائيل في المناطق المحتلة » كما وتضمنت شجبا لمنظمة ايلول الاسود ولرابطة الدفاع اليهودية ! وقد اعتبرت سلطات الحكم العسكري ان المنشورات تنطوي على «تحريض» السكان العرب ولذا أقدمت على اعتقال سبعة من أفراد اليسار الاسرائيلي الجديد وتقديمهم للمحكمة بتهمة توزيع منشورات تحريض .

لقد تركز نشاط سيح في هذه المجالات الثلاثة ، فما هو هذا التنظيم الوليد ؟ وما هي الاسباب والعوامل التي وقفت وراء ولادته ؟

يعتبر سيح نتاجا طبيعيا للتبدلات التي طرات على الخريطة السياسية في اسرائيل في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ . ولكي نقف على هذه التبدلات لا بد من الاشارة الى التكتلات السياسية الفاعلة والتي تستحوذ على جزء كبير من الخريطة وهي كتلة التجمع العمالي وكتلة جاحال . كانت الكتلتان قد تأسستا في عام ١٩٦٥ ، الاولى نجمت من تحالف حزب مباي الحاكم مع حزب احدوت هعفوداه في جبهة واحدة يطلق عليها اسم « المعراخ » (التجمع) كنواة قوية لوحدة الاحزاب « العمالية » والاخرى من تحالف حزبين يمينيين ، حزب الاحرار وحزب حيروت ، في كتلة واحدة يطلق عليها اسم «جاحال» (كتلة حيروت الاحرار) كنواة صلبة لوحدة الاحزاب اليمينية أمام تحالف الاحزاب العمالية . وقد وقفت هذه الكتلة على رأس المعارضة ولم يدر بخلد المطلعين على الحياة الحزبية في اسرائيل أو حتى رؤساء هاتين الكتلتين أن تلتقيا بعد عامين بسبب البون الشاسع في موقفهما والذي ولد بدوره عداء مستحكما لدرجة غدا فيها احتمال اللقاء معدوما . هذا مع العلم ان بن غوريون كان قد درج ، وهو على سدة الحكم ، على القول في أكثر من مناسبة انه يستحيل جلوس حزب مباي (الحاكم) في ائتلاف حكومي مع حزبين اثنين ، الاول الحزب الشيوعي الاسرائيلي والثاني حزب حيروت الذي يتزعمه مناحيم بيجن . بيد ان عام ١٩٦٧ وبالتحديد مرحلة « التريث » التي سبقت حرب حزيران وهي من أصعب الفترات التي مرت بها اسرائيل قد جعلت المحظور مباحا ، فقد تمخضت هذه الفترة عن تشكيل حكومة واسعة تعرف بـ « حكومة الائتلاف القومي » شملت التكتلات العمالية المعراخ ورافي وحزب مبام وكتلة جاحال (حيروت الاحرار) والاحزاب الدينية . وكان من نتيجة تشكيل هذه الحكومة ان وضعت كتلة جاحال بصماتها على الخطوط السياسية العريضة لكتلة التجمع العمالي ، وبذا خطت هذه الكتلة خطوة نحو اليمين ، الا انها خشيت في الوقت نفسه من تصاعد نفوذ جاحال ، فأقدمت عند مطلع عام ١٩٦٨ على دمج الكتلتين اللتين يتشكل منهما التجمع العمالي (مباي واحدوت هعفوداه) وكذلك قائمة رافي في حزب واحد يعرف بـ « حزب العمل » ، وفي الوقت نفسه عملت على اقامة « تجمع » آخر بين حزب العمل الوليد وبين حزب مبام ، وفي عام ١٩٦٩ أسفرت الجهود المبذولة عن ولادة « التجمع » المرجو ، وبذلك خطا حزب مبام (يساري

النزعة صهيوني المنبت) خطوتين نحو اليمين للحاق بحزب العمل ، هذا الامر أحدث انشقاقا بين صفوفه تمثل في انسلاخ مجموعة من الحزب وقفت ضد التحول الذي طرأ في حزب مبام نحو اليمين ونحو الغرب في آن واحد ، وضد الاتجاهات الحكومية التي أضفت عليها كتلة جاحال مسحة من مبادئها المتطرفة ، في معالجة قضايا رئيسية مثل قضايا السلام والمجتمع والاقتصاد . وترأس هذه المجموعة التي تعرف بـ « تحالف اليسار الصهيوني الاشتراكي المستقل » يعقوب رفتين احد أقطاب حزب مبام سابقا ، وتنظر مجموعة « تحالف اليسار » الى حرب حزيران ١٩٦٧ كحرب عدوانية من جانب اسرائيل وليست حربا دفاعية وتدعو الى حل النزاع العربي الاسرائيلي حسب قرار مجلس الامن ، كما وتعمل من أجل تحسين العلاقة مع الاتحاد السوفياتي اذ ترى في الدولة السوفياتية « قوة تعمل من اجل السلام في منطقتنا » . ويمكن القول ان مجموعة « تحالف اليسار » هي التكتل الصهيوني الوحيد في اسرائيل الذي لا يزال يحافظ على اقامة جسر بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي ، الا ان مواقف هذه المجموعة تتسم بالتذبذب والتأرجح ذلك انها باتباعها مواقف معارضة تجاه المؤسسة الحاكمة تعمل في الوقت نفسه من أجل المثل والاهداف الصهيونية حسب مفهومها هي للصهيونية .

الى جانب هذه المجموعة انسلخت مجموعة اخرى لم تر في البديل الذي طرحته مجموعة « تحالف اليسار » بديلا يستهويها ، ولذا أخذت تعمل من أجل **تنظيم خاص بها يحمل اسم « اليسار الاسرائيلي الجديد »** .

لم يقتصر التوجه نحو اليمين وما يترتب على ذلك من انشقاقات على حزب مبام فقط ، بل شمل ايضا الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » . ففي عام ١٩٦٥ حدث في الحزب الشيوعي الاسرائيلي انشقاق أدى الى انشطار الحزب الى حزبين ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي ويعرف باسم « ماكي » والقائمة الشيوعية الجديدة وتعرف باسم « راكاح »، ولسنا هنا بصدد تحليل أسباب الانشقاق ، وانما نكتفي بالاشارة الى أن جناح « ماكي » (اكثريته الساحقة من اليهود) الذي تزعمه موشيه سنيه وشموئيل ميكونيس قد أخذ يسير سيرا حثيثا نحو اليمين ، بينما بقي جناح « راكاح » (الاغلبية عرب) الذي يتزعمه مئير فلنر وتوفيق طوبي محافظا على الخطوط الرئيسية للحزب ومواليا للاتحاد السوفياتي . وقد ازدادت الاتجاهات اليمينية والصهيونية في حزب ماكي بشكل قوي وبارز في أعقاب حرب حزيران ، حيث أثارت فيه نتائج الحرب الاحاسيس والمشاعر الصهيونية التي كانت مكبوتة حتى عام الانشقاق والتي أخذت تعبر عن نفسها بشكل جامح بعد الحرب ، متمثلة في مواقف الحزب من الحرب التي يعتبرها حربا « دفاعية » جاءت ضد « خطر الابادة » مع ان معظم القادة العسكريين الاسرائيليين يعترفون بأن اسرائيل لم تتعرض « لخطر الابادة » في حرب حزيران ، وفي مواقفه تجاه مصير المناطق المحتلة اذ يعتقد الحزب بضرورة عدم الانسحاب من المناطق المحتلة الا بتوقيع معاهدة سلام ، كما وان مسألة الانسحاب لا زالت مبهمة اذ يدعو جناح الاكثرية فيه باحداث تعديلات على الحدود لصالح اسرائيل بينما يكتفي جناح الاقلية باحداث تعديلات طفيفة عليها . اما بالنسبة للعلاقات مع الاتحاد السوفياتي فان الحزب لا يختلف في نظرته عن معظم الاحزاب الصهيونية فهو يدين الاتحاد السوفياتي لموقفه من الهجرة اليهودية كما يدينه « لغزوه تشيكوسلوفاكيا » .

كان من نتيجة الاتجاهات اليمينية للحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » ان أخذت العناصر التي تشكل الجناح اليساري للحزب تنسلخ عنه بسبب عجزها عن التصدي لقيادة اليمين القوية ، ولم تجد هذه العناصر المنسلخة قوة سياسية شبيهة بأوضاعها وظروفها وقريبة من افكارها ومنطلقاتها الا المجموعة التي انشقت عن حزب مبام ، خاصة وان الاتجاهات اليمينية التي أخذت تنمو في الحزبين « ماكي » و« مبام » حدثت

في الفترة نفسها تقريبا ، ولذا اقدمت هذه المجموعة المنسلخة وعملت مع زميلتها مجموعة مبام المنشقة **على تأسيس اليسار الاسرائيلي الجديد .**

الى جانب هاتين الفئتين هنالك فئة ثالثة تختلف ظروفها وأوضاعها عن ظروف وأوضاع الفئتين السابقتين ، عملت على جبل لبنة اليسار الاسرائيلي الجديد ، وقد ظهرت هذه الفئة بين أوساط الشبيبة المثقفة اليسارية غير المنتمية الى حزب أو تنظيم معين ، وعاشت في أعقاب حرب حزيران في حالة اقرب ما تكون الى حالة التخبط والتمزق لانها لم تجد التنظيم الملائم والمنسجم مع افكارها ، خاصة وان نتائج حرب حزيران قد دفعت الاحزاب الصهيونية اليسارية نحو اليمين ، ولم يبق في الساحة الا الاحزاب او التنظيمات اليسارية المناوئة للصهيونية مثل القائمة الشيوعيـــة الجديدة « راكاح » والمنظمـــة الاشتراكية الاسرائيلية متسبين ، ولم يجد هؤلاء الشباب في هذين التنظيمين مـــا يلائم افكارهم ومعتقداتهم اليسارية الممهورة بالصهيونية ، وينتمي هؤلاء الشباب الى فئة الطلبة والى ابناء الطبقتين الوسطى والعليا .

كان من نتيجة هذه التبدلات والتطورات التي استجدت علـــى الخريطة السياسية في اسرائيل ان تشكل اليسار الاسرائيلي الجديد من ثلاث مجموعات رئيسية : (١) المنشقون عن حزب مبام ، (٢) المنشقون عـــن الحزب الشيوعي الاسرائيلـــي ، (٣) المثقفـــون اليساريون من غير المنتمين الى أي تنظيم معين .

هنالك أسباب ودوافع أخرى بالاضافة الى المد اليميني الذي اعترى حزبي مبام وماكي ، أدت الى ولادة اليسار الاسرائيلي الجديد ، من أهمها :

١ ـــ بروز هيئات يمينية جديدة متطرفة في اعقاب حرب حزيران وعلى رأسها « جماعة ارض اسرائيل الكاملة » التي اخذ أفرادها ينشطون في الترويج لافكار هذه الجماعة ، الامر الذي ادى في كثير من الاحيان الى اصطدامهم مع مجموعات يسارية غير منظمة وخاصة بين جدران الجامعة ، مما دفع الطلبة ذوي الميول اليسارية الى التفكير في تكوين تنظيم يقف في وجه تلك الهيئات .

٢ ـــ التبدلات التي طرأت على الكيبوتسات : والحقيقة ان هذه التبدلات ليست وليدة ظرف زمني محدد أو حادث معين ، بل حدثت تدريجيا وعلى امتداد فترة طويلة لاسباب عدة ليس هنا مجال البحث عنها ، وغدت اقرب الى المؤسسة البرجوازية الصغيرة منها الى المؤسسة الاشتراكية الجماعية ، كما وأخذت تفقد كثيرا من قيمها ، وتبتعد عـــن التفاعل السياسي مع سكان المدن والقرى وتتخذ في كثير من الأحيان موقفا سلبيا غير مبال تجاه القضايا الرئيسية التي تشغل بال الفئات اليسارية ، مثل قضايا الاضرابات العمالية والهوة الاجتماعية خاصة وان أبناء الكيبوتس يعيشون حياة جماعية . ومـــن المفترض أن تكون أوضاع العمال خارج الكيبوتس تشغل اهتماماتهم ، بيد ان هذا النوع من الاهتمام يكاد يكون غير وارد ، الامر الذي دفع بعض الشباب في الكيبوتس وخاصة في هكيبوتس هارتسي (الكيبوتس القطري) التابع لحزب مبام الـــى التمرد على هـــذا الواقع والدخول في معترك الحياة السياسية من خلال تنظيم جديد .

٣ ـــ ظهور عناصر من الشباب اليهود المهاجرين من دول امريكا اللاتينية داخل الكيبوتس القطري ، مما كان له تاثير كبير على شبيبة الكيبوتس ، وجعلت الكثيرين يخرجون عن الحياة السياسية الرتيبة ، خاصة وان هذه العناصر كانت قد عايشت في بلدانها الاصلية مختلف التيارات اليسارية النشيطة .

٤ ـــ اليسار الجديد في العالم : كان من نتيجة ظهور حركـــة اليسار الجديد في العالم وتزعم عناصر يهودية في كثير من البلدان له ، ان بدأ قسم كبير مـــن الشباب يتابعون أخباره وقلة يسارية تحاول تقليده .

لهذه الاسباب والعوامل مجتمعة برز « اليسار الاسرائيلي الجديد » بيد انه يختلف عن معظم اجنحة اليسار الجديد في العالم وان كان شريكا لها في الاسم .

تختلف ظروف ونشأة اليسار الجديد في أوروبا وأميركا عن ظروف ونشأة اليسار الاسرائيلي الجديد ، فقد نشأ الاول هناك في أواسط الستينات كحركة تمرد ثقافي وأخلاقي ضد مجتمع الاستهلاك وضد الاستعمار الجديد في الغرب وضد ما يسمى بـ « نظام البيروقراطية الشيوعية » في الشرق ، معتقدا ان اليسار التقليدي بأشكاله وأنماطه المختلفة ، سواء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تساير الرأسمالية أو الاحزاب الشيوعية المؤيدة للاتحاد السوفياتي ، قد فشلت في خلق المجتمع الاشتراكي الانساني الجديد ، واخذ يبلور نظريات جديدة ويتخذ على ضوئها مواقف معينة . وقد وقف اليسار الاسرائيلي الجديد الذي تختلف ظروفه ونشأته ، الى جانب معظم مواقف اليسار الجديد التي ليست لها علاقة بالنزاع العربي الاسرائيلي أو بالصهيونية ، محتفظا لنفسه بمواقف خاصة تجاه الموضوعات ذات الصلة بأسرائيل . وتجدر الاشارة هنا الى ان مواقف معظم أجنحة اليسار الجديد وخاصة الاجنحة الاوروبية، تدين الصهيونية وتشجب الكيان الاسرائيلي بشدة وتعتبر حرب حزيران حربا عدوانية شنتها اسرائيل ، وتعتبر نضال الشعب الفلسطيني نضالا عادلا . ويمكن استشفاف موقف أجنحة اليسار الجديد في أوروبا تجاه اسرائيل من الندوة التي عقدها في باريس أكثر من مئة طالب يهودي من السويد وهولندا وبلجيكا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا التي استغرقت أربعة أيام ، وحضرها عن الجانب الاسرائيلي الدكتور شلومو افنيري عن قسم العلوم السياسية في الجامعة العبرية والدكتور يرمياهو يوفال محاضر في الفلسفة والدكتور موشيه سنيه عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وقد كانت الهوة سحيقة ، وتمثلت وجهة نظر تلك الاجنحة اليسارية كما أوردها الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان (في صحيفة يديعوت احرونوت ١٩/٣/٦٩) بأن « الصهيونية هي حركة استعمارية ... ساعدتها وتساعدها الامبريالية ، وهي أداة تستخدم لدحر حركة التحرير في الشرق الاوسط . ان دولة اسرائيل هي جسم غريب في المنطقة وليس لها حق القيام . أنها دولة دينية عنصرية مفتوحة لليهود فقط . لقد جعلت الصهيونية الفلاحين العرب طبقة عمالية تفتقر الى كل شيء ، وقد طرد قادة اليسار الصهيوني العرب من أماكن عملهم . يجب ان تنهار دولة اسرائيل الصهيونية لتحل مكانها دولة علمانية ديمقراطية لابناء جميع الاديان ، ويجب وقف الهجرة . ان اسرائيل هي دولة نازية فاشستية ، انها ليست حقيقة وانها جسم مصطنع للامبريالية وسوف تتلاشى يوم تنتصر الشعوب العربية » .

بيد ان اليسار الجديد في العالم قد كانت له مساهمة في صنع الاسم لليسار الاسرائيلي الجديد . كان أول من اقترح اسم التنظيم الوليد « يوسي اميتاي » عضو كيبوتس والمحرر السابق لمجلة حوتام الناطقة باسم شبيبة مبام والكيبوس القطري ، تمشيا مع موجة اليسار الجديد في العالم وتعاطفا مع المواقف والافكار التي يطرحها تجاه القضايا . ومن الجدير بالذكر هنا ان اسم التنظيم الذي أصبح يعرف بـ « سيح » اختصارا للكلمات العبرية الثلاث التي تعني « اليسار الاسرائيلي الجديد » قد صادف وجاء في فترة كان فيها كتاب « سيح لوحميم » (حديث المقاتلين) الذي صدر بعد حرب حزيران من قبل مجموعة شباب من الكيبوتس ، قد لاقى رواجا في اسرائيل واستحسانا من قبل كثير من عناصر الكيبوتس وبعض الفئات اليسارية ، بسبب جرأته النسبية في معالجة الجوانب النفسية لافراد اشتركوا في الحرب وابراز رؤيا هؤلاء في قالب يتناقض في كثير من الاحيان مع الحركة الصهيونية ، وبما ان الكلمة الاولى من عنوان الكتاب « سيح » وتعني (حديث) تطابق سماعيا اسم التنظيم مختصرا من الكلمات الثلاث ، فقد رأى فيها مؤسسو اليسار الاسرائيلي الجديد شحنة قوية تضفي على مجموعتهم روحا خاصة .

ليس هنالك معلومات دقيقة عن العدد الرسمي لاعضاء « سيح » الا انه من المعروف انه ولد على أيدي ١٢ شخصا في جامعة تل ابيب معظمهم من اعضاء الكيبوتس القطري، ثم أخذ يتطور من خلال اللقاءات والندوات داخل الجامعة وخارجها وخاصة في الكيبوتسات التابعة لحزب مبام ، حيث اصبح عدد النشيطين داخل سيح ما يقارب الـ ٦٠٠ شخص معظمهم من فئة الطلبة وعناصر الكيبوتس ، وحول هؤلاء يقف عدد اكبر من المؤيدين .

كانت القضية الاولى التي واجهت اعضاء سيح (أكثريتهم من حزب مبام والكيبوتس القطري) اصطدامهم بحزب مبام اولا وبالكيبوتس القطري التابعين له ، ولم تكن مشكلتهم مع الحزب شديدة مثل مشكلتهم مع الكيبوتس القطري مع ان المشكلتين تكادان تكونان وجهين لعملة واحدة ، فالمشكلة مع مبام تتمثل في انسلاخ مجموعة منه ، اما المشكلة مع الكيبوتس القطري وهي مشكلة بجوهرها مع حزب مبام ، فتتمثل في بقاء المجموعة المنسلخة منتمية اليه . ومن الجدير بالذكر هنا ان الانتماء الى الكيبوتس القطري التابع لحزب مبام لا يعني بالضرورة الانتماء الى حزب مبام بل يشترط في المنتمي ان يسير وفق المبادىء العامة للكيبوتس وان يكون مخلصا لـ «للصهيونية والاشتراكية» وبما ان المجموعة المنسلخة بقيت مخلصة لهذه المبادىء ولكن بمفهومها الخاص ، فقد كان من العسير على حزب مبام اتخاذ قرار حاسم بطردها من الكيبوتس ، خاصة وانها قد استطاعت ان تجمع حولها عددا من المؤيدين من رجال الكيبوتسات يتراوح بين ١٠٠٠ — ١٥٠٠ شخص وان تشكل أكثرية في احد الكيبوتسات . وقد ازدادت حدة المشكلة بين حزب مبام وسيح عندما أخذ أعضاء سيح ينشطون في القيام بتظاهرات ضد الاستيطان في الخليل بتمويل من الكيبوتس القطري ، ومما زاد من حدة المشكلة وحراجة الموقف وجود حزب مبام في التجمع العمالي الحاكم المنفذ لسياسة الاستيطان في المناطق المحتلة، الامر الذي دفع حزب مبام الى القيام بمحاولات اقناع رجال سيح بالكف عن نشاطهم وذلك من خلال سلسلة من الاجتماعات عقدتها اللجنة التنفيذية التابعة للكيبوتس القطري ، حيث عرض اقتراح يدعو الى حظر النشاط السياسي في الكيبوتس القطري باستثناء نشاط حزب مبام (معاريف ٧٢/٤/١٤) الا ان هذه المحاولات لم تفلح ، مما حدا بمبام الى اتخاذ موقف أشد أعرب عن نفسه في الكلمة التي اتهم فيها احد قادة حزب مبام يعقوب حزاني اليسار الاسرائيلي الجديد بـ « الخيانة القومية » حين قال في مجلس الكيبوتس القطري في « جبعات حبيباه » « ان كل من ذهب للتظاهر ضد الاستيطان في الخليل ، في المنطقة التي يسيطر عليها الجيش الاسرائيلي هو خائن قومي » (دافار ٧٠/٥/٧) . ونتيجة لموقف مبام المتشدد ، وتحاشيا لوقوع صدام أوسع ، ورغبة في المحافظة على علاقته مع الكيبوتس القطري ، أخذ سيح ينقل مركز ثقل نشاطاته من الكيبوتسات الى المدن ، حيث كف أعضاء التنظيم الجديد عن النشاط في البيئة التي نشأوا فيها وأخذوا يعقدون اجتماعاتهم في المدن ، وبذلك دفع سيح ثمن انتماء قسم من أعضائه للكيبوتس ، تقليص نشاطه هناك ، ونجح في خلق « دوائر » له في مدن تل أبيب والقدس وحيفا والخضيرة وبئر السبع ، كما نجح في تشكيل بعض « الدوائر » بين أوساط الطلبة الثانويين .

نعود الآن الى الشخصيات التي تقف على راس التنظيم والتي تتحدر من ثلاثة تيارات اساسية : (١) اعضاء مبام سابقا وعلى رأسهم ران كوهين ويوسي اميتاي (رئيس التحرير السابق لمجلة حوتام) واريه برونشتاين ، وهم اعضاء في الكيبوتس القطري ، (٢) أعضاء « ماكي » سابقا وعلى راسهم داني بيتر عضو اللجنة المركزية للحزب سابقا ورؤوبين كامينار سكرتير الحزب الشيوعي في منطقة القدس ، (٣) الاعضاء غير المنتمين الى أحزب في السابق وعلى راسهم يوسي ارنون وهو في أوائل العشرينات من

عمره وابن المدير العام السابق لوزارة المالية ، وقد كون مع البعض من اعضاء تنظيمات اخرى ما يعرف بـ « حركة ٢ مايو » (للاستزادة حول زعامة سيح انظر هآرتس ٧٠/٨/١٠ وحول « حركة ٢ مايو » انظر متسبين عدد ٦٤ مايو - يونيو ، ١٩٧٢) .

لم يتبن سيح حتى الان برنامجا سياسيا واضح المعالم نتيجة التركيبة المختلفة لزعامته وعناصره ، الا انه يلتف حول خطوط سياسية رئيسية فضفاضة دون الخوض في تفاصيل تلك الخطوط حرصا على وحدة التنظيم . وتتلخص الخطوط العامة المتفق عليها من قبل الاعضاء في الامور التالية كما صاغها أحد قادة اليسار الاسرائيلي الجديد داني بيتر في ملحق دافار ٧٢/٦/٢ :

١ - الوقوف ضد ضم المناطق المحتلة ، واعتبار خطوط الرابع من يونيو اساسا لمفاوضات سلام ، مع امكانية اجراء تعديلات طفيفة معينة على الحدود ، « ان حلا مفروضا ويتمشى وفق هذه الخطوط لا يعتبر مفروضا علي » . ٢ - ينبغي ان يعتمد السلام الاسرائيلي العربي على السلام مع الفلسطينيين ، وعلى اساس معاد للامبريالية . ٣ - الوقوف مع « المسحوقين » ضد مستغليهم ، ففي كل صدام حول توزيع الدخل القومي يقف سيح الى جانب المسحوقين سواء كانوا على شكل « فهود سود » او عمال مضربين او ازواج شباب يسعون للحصول على منازل سكن .
٤ - الاتفاق على كيان دولة اسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة ، وباكثرية يهودية .
٥ - يسعى سيح الى اقامة مجتمع اشتراكي في اسرائيل .

من الملاحظ ان « هذه الخطوط المتفق عليها » من قبل اعضاء سيح تتسم بالغموض وفي بعض الاحيان بالتناقض وذلك ناجم عن اختلاف مشارب واهواء التيارات التي يتشكل منها سيح الامر الذي ادى الى ظهور خلافات في الراي حول القضايا الرئيسية المطروحة ، وادى بالتالي الى ولادة مجموعتين متميزتين ضمن التنظيم الواحد، الاولى مجموعة القدس والثانية مجموعة تل ابيب . تتخذ المجموعة الاولى مقرا لها الجامعة العبرية والثانية جامعة تل ابيب ، وتنشطان كل على حدة في عقد الاجتماعات والندوات وتوزيع المنشورات ، حيث تعقد كل منهما على حدة اجتماعا اسبوعيا ، تتداولان فيه القضايا السياسية والفكرية واعداد جدول اعمال كل مجموعة للاجتماع القادم . وتحرص المجموعتان على عقد مؤتمر عام (مؤتمران حتى الان) يضم جميع فروع التنظيم لمناقشة المسائل المطروحة ، الا انهما تصدران مناشير وبيانات خاصة باسم كل مجموعة اذا كانت هنالك خلافات في وجهات النظر تجاه قضية معينة ، وعلى سبيل المثال قضية اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية حيث اصدرت مجموعة القدس بيانا ضد الانتخابات « المفروضة » وشجبت فيه السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، بينما لم توقع مجموعة تل ابيب عليه . ويمكن تلخيص الخلاف في وجهات النظر بين المجموعتين بالامور التالية :

١ - **فلسطين وطن لمن ؟** : تعتبر مجموعة القدس ان فلسطين هي « وطن الشعب اليهودي الذي **يسكن بها** » ووطن الشعب العربي الفلسطيني ، بينما تعتبر مجموعة تل ابيب ان فلسطين هي وطن « للشعب اليهودي » والشعب العربي الفلسطيني . ان الخلاف لا يدور حول حق الشعب الفلسطيني في فلسطين ، بل حول حق **اليهود** في فلسطين ، فمجموعة القدس تقتصر هذا الحق على اليهود سكان فلسطين ، بينما تعممه مجموعة تل ابيب على يهود العالم اجمع وتتحدث في بياناتها ومناشيرها حول « اليهود والفلسطينيين » او الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني ، بينما تتحدث بيانات ومنشورات مجموعة القدس حول الاعتراف المتبادل بحقوق « الشعبين » في محاولة لعدم ذكر الشعب اليهودي .

٢ ــ **حدود الوطن الفلسطيني** : تعتقد الاكثرية في مجموعة تل ابيب ان اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره داخل فلسطين الى جانب دولة اسرائيل ينبغي ان يعتمد على حدود الرابع من يونيو ، اما مجموعة القدس فمع انها تدعو الى اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره فوق ارضه فانها لا تضع شرطا بأن تكون حدود الرابع من يونيو هي الحدود بين الدولة الفلسطينية بعد تقرير المصير ودولة اسرائيل .

٣ ــ **خوض الانتخابات البرلمانية** : من اخطر القضايا التي يواجهها سيح والتي من المحتمل ان تقطع اوصال الخيوط الواهية التي لا زالت تحافظ على وحدة التنظيم ، قضية دخول او عدم دخول الانتخابات المقبلة للكنيست الاسرائيلية . فبينما نجد اجماعا لدى مجموعة القدس ضد دخول سيح للانتخابات لانه « ليس هنالك مطامح انتخابية لسيح ، كما وانه لا يعتبر نفسه اساسا لقائمة في الانتخابات القادمة للكنيست وليس جزءاً من اية قائمة » (هآرتس ٢/١٠/٧٢) ، نجد ان قسما من مجموعة تل ابيب تدعو الى ضرورة خوض المعركة الانتخابية تحت لواء سيح .

ننتقل الان الى الفروق الاساسية القائمة بين سيح وبين تنظيمات يسارية اسرائيلية تقف في جانب المعارضة للمؤسسة الحاكمة، وذلك كي يتسنى لنا القاء مزيد من الضوء على سيح والوقوف على مبرر وجوده بين تلك التنظيمات . ان الفرق الاساسي بين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « متسبين » وبين سيح يتمثل في الفهم الذي يطرحه كل طرف للصراع العربي الاسرائيلي ، ففي حين ترى متسبين ان الحركة الصهيونية والمؤسسات المتفرعة عنها هي السبب الحقيقي للصراع وان الحل يتمثل في توجيه النضال ضد الصهيونية ومؤسساتها واسقاطها وذلك من خلال حركة تغيير جذرية اشتراكية تشمل « المشرق العربي » لتقيم فيه دولة اشتراكية بما في ذلك فلسطين ، حيث ينتفي في هذه الدولة استغلال الانسان للانسان ويكون فيها مكان « للاقليات القومية » نجد سيح يشدد على ان الحل يكمن في ايجاد حل بين اسرائيل والدول العربية يعتمد اساسا على السلام مع الفلسطينيين وعلى « حل معاد للامبريالية » مع المحافظة على الكيان الاسرائيلي والاكثرية اليهودية فيه . اما الفرق بين سيح و « تحالف اليسار الصهيوني الاشتراكي المستقل » الذي ولد ايضا في اعقاب انضمام مبام للتجمع العمالي فيتمثل في نظرة كل فريق الى الاتحاد السوفييتي ، ففي حين يرى « تحالف اليسار » في الاتحاد السوفييتي دولة لها مركزها الطليعي في العالم الاشتراكي ، ويعتبر سياستها في الشرق الاوسط ، سياسة بناءة وايجابية ، نجد ان سيح ينطلق من منظور آخر يصل به الى حد مماثلة وتشبيه السياسة السوفيتية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي بالسياسة التي تتبعها الولايات المتحدة ، ذلك لانها حسب مفهوم سيح « تسعى الى مصالحها الدولية وليس الى مصلحة شعوب الشرق الاوسط » وقد عبر هذا الموقف عن نفسه في محاولة انزال العلمين الامريكي والسوفييتي خلال التظاهرة الطلابية ورفع العلمين الاسرائيلي والفلسطيني مكانهما . كما ويختلف سيح عن تحالف اليسار في النظرة تجاه حرب حزيران ، ففي حين يعتبر تحالف اليسار حرب حزيران بمثابة حرب عدوانية من جانب اسرائيل وليست حربا دفاعية، نجد ان الاكثرية في سيح تعارض هذه النظرة وتقف حائرة امام عملية الحسم في اعتبارها حربا دفاعية او حربا عدوانية . وكذلك الامر يقال بالنسبة للفروق الاساسية بين القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » وسيح ، حيث تقف راكاح مؤيدة للسياسة السوفييتية وتعتبر حرب حزيران حربا عدوانية من جانب اسرائيل ، كما وتمتاز عن سيح وتحالف اليسار بالنظرة المعادية للصهيونية .

ان هذه الفروق بين سيح ومجموعة الاحزاب اليسارية تكاد تكون الفروق نفسها بين الحزب الشيوعي الاسرائيلي ماكي وبين تلك المجموعات ، فما هي الفروق الاساسية

بين سيح والحزب الشيوعي الاسرائيلي ؟ يمكن استشفاف الفرق من الرسالة التي وجهها الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى سيح بشأن شعارات التظاهرة المشتركة المقترحة ، بمناسبة عيد العمال في الاول من شهر مايو ١٩٧١ . وقد لخصت المذكرة شعارات « الحد الادنى » كما اوردتها صحيفة كول هعام ٧١/٤/٢٨ . بالشعارات التالية :

« ١ — حرب الايام الستة حرب دفاعية عادلة من جانب اسرائيل . ٢ — من اجل اشتراكية انسانية . فليسقط احتلال تشيكوسلوفاكيا . ٣ — ليمنح حق الهجرة لكل راغب في ذلك من يهود الاتحاد السوفييتي . ٤ — لا لتهديدات الحرب التي يطلقها الحكام العرب ! نعم لحل الصراع عن طريق اتفاق متبادل . ٥ — حركة ارض اسرائيل الكاملة — خطر على السلام والامن » .

وجاء رد سيح كالتالي : « ليس من جانبنا مانع يحول دون قبول شعارين من مجموعة الشعارات الخمسة التي وردت في رسالتكم : ٥ — حركة أرض اسرائيل الكاملة — خطر على السلام والامن . ٣ — ليمنح حق الهجرة لكل راغب في ذلك من يهود الاتحاد السوفييتي — ليس هنالك فرق بين هذا الشعار وبين الشعار الذي اجمعنا عليه ، هجرة يهود الاتحاد السوفييتي حق وليس احسانا » . ٢ — « فيما يتعلق بهذا الشعار نقر بان موقفنا تجاه هذا الموضوع يتطابق تماما مع موقفكم ، ولكن رغبة منا في التوصل الى تعاون أوسع بقدر المستطاع في التظاهرة توصلنا الى تسوية معينة مع تحالف اليسار تشمل الشعارين التاليين « لا اشتراكية بدون حرية الانسان ! من أجل الحرية والاستقلال لتشيكوسلوفاكيا الاشتراكية » . ٤ « بالنسبة لاقتراحكم حول هذا الشعار، اننا على استعداد لقبوله شريطة أن يرافقه شعار آخر بهذا الشكل : لا لسياسة الضم الحكومية المؤدية الى الحرب ! لا للتهديدات الحربية التي يطلقها الحكام العرب ! نعم لحل النزاع عن طريق اتفاق متبادل » . ١ — « كما اعلنا لكم ، لم تجر داخل سيح نقاشات نهائية حول حرب الايام الستة ، هذا مع الاخذ بعين الاعتبار انكم قد توصلتم انتم وتحالف اليسار الى نقاشات نهائية واضحة ، وقد قدمنا اقتراحا وسطا صيغته كالتالي : « حرب الايام الستة ليست حربا عدوانية وليست من اجل الاحتلال » .

وقد اعتبر الحزب الشيوعي الاسرائيلي رد سيح سلبيا ، وبعث برسالة جوابية عبر فيها عن أسفه لتفضيل سيح التعاون مع تحالف اليسار « الذي لا يرى في حرب الايام الستة حربا دفاعية عادلة ، ووقف الى جانب احتلال تشيكوسلوفاكيا » .

يمكن الاستنتاج من هاتين الرسالتين ان الفرق الاساسي بين سيح والحزب الشيوعي الاسرائيلي يدور حول مسألتين (١) المناطق المحتلة (٢) طبيعة حرب حزيران ، فبالنسبة للمناطق المحتلة يشدد سيح اكثر من الحزب الشيوعي الاسرائيلي على ضرورة عدم خلق وقائع جديدة في هذه المناطق لاعتقاده بانها تحول دون السلام ، وفيما يتعلق بطبيعة حرب حزيران التي يعتبرها الحزب الشيوعي الاسرائيلي حربا دفاعية يقف سيح حائرا تجاه الموضوع دون اتخاذ موقف معين ، مع أنه يشدد على اعتبار السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة « سياسة عدوانية » .

من الملاحظ ان مبادىء اليسار الاسرائيلي الجديد ومواقفه تتسم بالشمول والغموض وفي بعض الاحيان بالتناقض ، والحقيقة ان هذا الامر لا يقتصر على سيح وانما يشمل التيارات الاسرائيلية اليسارية الاخرى غير المناوئة للصهيونية وكذلك المناوئة للصهيونية التي تقبل في الوقت نفسه الكيان الاسرائيلي بالرغم من انه يشكل تعبيرا حادا عن الصهيونية . والمنظمة اليسارية الوحيدة التي نجت من ذلك هي منظمة متسبين . والسؤال هو اين يقف اليسار الاسرائيلي من الصهيونية ؟ يمكن القول ان الاكثرية في

سيح تتعاطف ايديولوجيا مع الصهيونية مع محاولة القيام باضفاء مسحة انسانية عليها، كما وتدعو الى الحفاظ على الكيان الاسرائيلي مع المحافظة على اكثرية يهودية داخل هذا الكيان . ومع ذلك فهنالك اقلية تعيش تحت تأنيب الضمير وتشجب الصهيونية مثل داني بيتر احد قادة سيح الذي اعتبر عمل الصهيونية في عام ١٩٤٨ بمثابة سرقة رغيف الخبز في حالة الجوع وتوسع اسرائيل في عام ١٩٦٧ بمثابة سرقة الكعكة في حالة الشبع كما جاء على لسانه في حديث له حول انطباعاته عن خدمته العسكرية في المناطق المحتلة: « لقد كنت في الجيش ضابطا في الشرطة العسكرية .. وخدمت ايضا في المناطق .. وبعد ان شاهدت ما شاهدته هناك شعرت بانني لا اريد ان اكون محتلا وانني غريب عن المجتمع وعن قيمه ... ان الفرق بين المناطق التي احتلت في عام ١٩٤٨ والمناطق التي احتلت في عام ١٩٦٧ هو كالفرق بين من يسرق رغيف خبز وهو جوعان وبين من يسرق كعكة وهو شبعان » (ملحق دافار ٢/٦/٧٢) وهنالك من يشجبها حاضرا ويمتدح دورها « كحركة تحرر قومي » ماضيا مثل يوسي ارنون « انني اعتبر الصهيونية كحاجز يحول دون اي تطور ثوري في اسرائيل . انني ارى ضرورة في تدمير الاسلوب القائم المبني على الاستغلال والاضطهاد والاحتلال ودكتاتورية البرجوازية .. » وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية يعتقد ارنون « ان لكل انسان الحق في الهجرة الى اي مكان يريد ، بيد انني اتعاطف مع العربي من الناصرة اكثر مما اتعاطف مع اليهودي في الاتحاد السوفييتي . انني اعتقد بان دور الصهيونية كحركة تحرر قومي قد انتهى في عام ١٩٤٨ . ان الصهيونية والاشتراكية هما اليوم مفهومان لا ينسجمان مع بعضهما البعض » (المصدر نفسه) . ولكن هل كانت الصهيونية في يوم من الايام تنسجم مع الاشتراكية ؟ هل كانت بمثابة تحرر وطني انتهى دورها ؟ ان الاجابة على ذلك بالنفي تعني التمرد على مبادىء ومواقف سيح الفضفاضة والخروج من بين صفوفه ، كما حدث لاحد افراد سيح دوف جال الذي تجاوز المحظور واعتبر الصهيونية ماضيا وحاضرا بأنها « جلبت كافة المآسي في منطقتنا » وانها « لم تأت لحل المسألة اليهودية » واختار طريقا في نضاله يتمثل في رفضه للخدمة العسكرية في الجيش الاسرائيلي الذي يعتبر الاداة القوية لتنفيذ مخططات الصهيونية (للاستزادة انظر ص ١٤٦ من مقالة « المتمردون على الخدمة العسكرية في اسرائيل » شؤون فلسطينية عدد ١٦) .

الاوضاع الراهنة لليهود السوريين

أسامة الغزي

نظرة عامة : احتلت قضية الاقليات الدينية حيزا هاما في تاريخ الاقطار العربية الحديث، وكان لها ، في كثير من الاحيان ، آثار سلبية على مجرى النضال العربي من اجل التحرر والاستقلال . وبالرغم من أن منشأ هذه الظاهرة ، يعود الى أسباب موضوعية في تلك المرحلة فان القوى الاستعمارية قد عمدت دوما الى استغلالها واستثمارها بتغذية جذورها وتعميق وجودها في المجتمعات العربية . وتدخل قضية الاقلية الدينية اليهودية في البلاد العربية ، وخاصة في المشرق العربي ، ضمن هذا الاطار العام ، بالرغم من بعض الفوارق الهامة التي تميز اوضاع هذه الطائفة .

وفي هذه الدراسة سنتناول الاوضاع الراهنة لابناء الطائفة اليهودية من مواطني الجمهورية العربية السورية ، في محاولة ، هي الاولى في هذا المجال ، للتعرف على هذه الاوضاع بكافة جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(١) .

وقد دفع الى القيام فيها عاملان اساسيان : العامل الاول ، هو محاولة استكشاف جانب من جوانب المجتمع السوري كثيرا ما اتسم بالغموض ، او انتشرت حوله بعض الاوهام ، خاصة وأن هذا الغموض لم يكن مقصودا بل كان نتيجة للنقص العام في الدراسات الموضوعية العلمية حول كثير من جوانب الحياة في سوريا ، والجانب الاقتصادي منها على وجه الخصوص ، ولما كانت الطائفة اليهودية ، طائفة ذات فعالية اقتصادية بالدرجة الاولى ، فان النقص في هذا الميدان قد انعكس عليها بدرجة أكبر . ثم ان الدراسات المتوافرة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سوريا ، على ندرتها ، لم تتناول حياة اليهود السوريين (كجماعة مستقلة) لعدم وجود ما يبرر مثل هذا التخصيص . ومن هذه الزاوية واجهت الدراسة مشكلة هامة ، هي مشكلة المصادر ، فكان لا بد من الاعتماد على طريقة « البحث الميداني » في التقصي والملاحظة المباشرة لكافة المعلومات الواردة فيها .

أما العامل الثاني ، الذي دفع الى القيام بهذه الدراسة ، فهو النشاط الاعلامي المنظم الذي تقوم به اسرائيل ، والاجهزة الصهيونية المنتشرة في انحاء العالم ، حول أوضاع يهود البلاد العربية ، والذي اتخذ بالنسبة لسوريا شكل حملة منظمة ذات أهداف سياسية وعسكرية . ومن هنا تأتي أهمية المعلومات الواردة في هذه الدراسة ، اذ أنها تشكل دحضا واضحا على كثير من الادعاءات التي نشرتها اجهزة الدعاية الصهيونية حول اوضاع الطائفة اليهودية في سوريا ، في معرض تنظيمها لهذه الحملة في السنوات الاخيرة . ومن اجل فهم الاوضاع الراهنة لليهود السوريين ، لا بد من اخذ التطورات الهامة التي طرأت على هذه الاوضاع خلال ربع القرن الاخير ، في كافة المجالات البشرية والسياسية والاقتصادية ، والتي كانت بدورها جزءا من التطورات العامة التي طرأت على مجمل المنطقة العربية خلال الحقبة التاريخية نفسها .

لمحة تاريخية : : شكل اليهود منذ القديم جزءا هاما من المجتمع السوري ، وعلى وجه التحديد مجتمع المدن التجارية الكبرى ، مثل دمشق وحلب ، وقد لعبوا دوما دورا ملحوظا في الحياة الاقتصادية للبلاد ، وخاصة في مجالي التجارة الخارجية والعمل الحرفي . وما يزال هذا الدور ماثلا حتى اليوم ، مع الاخذ بعين الاعتبار ، التفاوت في الحجم والتأثير خلال هذا التاريخ الطويل . لقد خضع حجم وتأثير دور الاقلية اليهودية السورية لعوامل تاريخية عديدة سياسية واقتصادية ، ولم تكن هذه العوامل خاصة بالطائفة اليهودية ، بل عامة شملت آثارها جميع فئات المجتمع السوري . ففي مدينة دمشق مثلا حيث يتركز القسم الاكبر من اليهود السوريين ، وحيث يبرز أيضا ، الحجم الاهم لفعاليتهم التجارية والحرفية ، تعرضوا لهزات عنيفة بالتوافق والموازاة مع النكبات التي حلت بالمدينة خلال مختلف مراحل التاريخ . فبعد انهيار الدولة العباسية ، مثلا ، وبداية عصر الانحطاط في الامبراطورية العربية ، تعرضت المنطقة لغزوات خارجية عديدة ، ودخل في احداها القائد التتري (تيمورلنك) دمشق ، ولم يخرج منها الا بعد أن أخذ معه ـ كأسرى مدى الحياة ـ ثلاثين الف دمشقي من مختلف الطوائف ، جميعهم من العمال المهرة المتخصصين في البناء ، والصناعات الحرفية العريقة في سوريا ، كالنسيج والنحاس والزجاج والغزل ، وسخرهم لبناء عاصمته (سمرقند) وللعمل فيها(٢)، وكان بين هؤلاء عدد لا بأس به من اليهود . وبعد هذا التاريخ بأربعة قرون ونيف ، تعرضت دمشق لنكبة اخرى ، فاثر افتتاح قناة السويس تحول طريق التجارة بين اوروبا واسيا عن دمشق ، التي كانت مركزا هاما للنقل البري بين القارتين، واصبح مثلا ، اكثر من الف جمل كانت تستخدم لنقل البضائع عبر الصحراء ، عاطلة عن العمل ، وتوقف قطاع التجارة الخارجية فترة من الزمن ، مما أضر بالتجار وبمجموع السكان في المدينة ضررا بالغا . وبالرغم من اننا لا نملك ارقاما دقيقة عن تلك الفترة ، فانه يقال ان المدينة التجارية الكبرى ، قد تحولت الى قرية معزولة ، وانتقلت نشاطات التجار الى المدن الساحلية ، وبعضهم هاجر نهائيا الى بلاد اخرى ، وانحدر عدد السكان اليهود في تلك الفترة الى ما دون النصف .

وفي التاريخ الحديث ايضا عرفت سوريا حركة هجرة واسعة نسبيا ، شملت قطاع التجار المتوسطين والصغار والحرفيين ، وافرادا من المغامرين والمثقفين من مختلف الاديان والمناطق السورية ، وكانت السياسة العثمانية ، الاقتصادية والدينية وراء هذه الحركة الناشطة للهجرة . فعلى الصعيد الاقتصادي انحدرت المدن التجارية السورية بعد فتح قناة السويس وانتشرت حالة من التخلف الشامل في كل القطاعات الزراعية والتجارية والحرفية . واذا كان الريف الزراعي قد عرف شيئا من الاستقرار « المكاني » نتيجة ارتباط الفلاح بأرضه ، فان طبقة التجار من ابناء المدن كانت في تحرك دائم وهجرة مستمرة .

وعلى الصعيد السياسي ، عانت البلاد الواقعة تحت الحكم العثماني ، ومنها سوريا ، من العسف الاستبدادي والتمييز العنصري والديني ، وبلغت هذه السياسة ذروتها في مطلع القرن الحالي ، اثر حركة التتريك التي قادتها البورجوازية الشوفينية التركية على يد حزب « الاتحاد والترقي » . ومع ان هذه الحركة لم تكن موجهة ضد طائفة معينة أو هيئة محددة من ابناء الشعب السوري او ابناء البلاد العربية الاخرى ، ذلك أن مجموع السكان كانوا يحسون بوطأتها ، فان الاقليات ، بوجه خاص قد عانت منها بتحسس بالغ . وانعكست مظاهر هذا التحسس في حركة الهجرة الواسعة وفي المزيد من العزلة والانغلاق الاجتماعيين . واذا اخذنا بعين الاعتبار بعض خصائص الطائفة الموسوية ، من حيث قلة عددها نسبيا ، ومن حيث اعتمادها على التجارة اكثر من اي فرع اخر من

فروع النشاط الاقتصادي ، لادركنا ضخامة الحجم الذي أخذته حركة الهجـرة بالنسبة لهذه الطائفة .

لم تأخذ الهجرة في البداية شكل العزوف المطلق عن العودة الى الوطن ، ولكنها مع الزمن كانت تأخذ طابع الهجرة النهائية ، فقلما يفكر المهاجر بالعودة الى وطنه الاصلي سواء من نجح في حياته الجديدة ، أو من اخفق فيها . فالاول يرتبط ارتباطـا وثيقا بمصالحه الجديدة وينشد اليها ، والثاني لا تتاح له فرصة العودة حتى وان صبا اليهـا . وتبقى الرابطة الوحيدة الهامة بين المهاجر ووطنه الاصلي ، هي المساعدات المالية التي يقدمها الموسرون الى اقربائهم في الوطن ، والتي تأخذ احيانا شكل مساعـدات منظمة تشرف عليها مؤسسات رأسمالية تعمل لغايات سياسية .

اما في التاريخ القريب ، فقد انتعشت أحوال الطائفة اليهودية بشكـل ملحوظ ابان الانتداب وبعد الاستقلال . فقد مرت سوريا في تلك الفترة في مرحلة ازدهار تجاري ، وأدت نفقات الجيوش الحليفة خلال الحرب العالمية الثانية الى تراكم رأسمالي وظف جزء يسير منه في انشاء الصناعات الخفيفة ، والجزء الاكبر في قطاع البناء والخدمات وقد نما قطاع التجار اليهود مع الازدهار التجاري ، في حين لم يتأثـر القطاع الحرفي بالصناعة الناشئة . اما قطاع الخدمات فقد ساهم فيه اليهود بنشاط ملحوظ ، بالنظر لارتفاع نسبة الكفاءات بينهم عن غيرهم من بقية السكان فكان منهم عدد مـن الاطباء والصيادلة والمحامين والمدرسين والمترجمين الذين راجت مهنتهم رواجا كبيرا في ذلك العهد ، وعندما جاء عهد الاستقلال لم يغير كثيرا في هذا الوضع . اما على الصعيد الاجتماعي فقد حافظ اليهود على تقاليد المجتمع الحرفي العريقة ، التي ساعدت بالاضافة الى سيطرة الايديولوجية الدينية ، على حالة العزلة النسبية التي يمكن بها وصف حالة الطائفة اليهودية اجتماعيا .

غير انه ينبغي عدم الوقوع في المبالغات في هذا المجال ، اذ من المهم أخذ الحالة العامـة للمجتمع السوري في تلك الفترة بعين الاعتبار ، حيث كان الاقتصاد السوري مـا زال اقتصادا زراعيا في الريف ، وحرفيا في المدينة وتسيطر عليه تقاليد المحافظة والانغلاق ، فالتقاليد الحرفية تقضي باخفاء ايراد الحرفة وسائر اسرارها عن الغرباء من اهل الحرف الاخرى ، وتستدعي بالتالي الاعتماد على اليد العاملة العائلية قدر الامكان ، او تطويع الظروف العائلية لمصلحة الحرفة . كل ذلك ساعد على بقاء حاجز العزلة بين العائلات من ابناء الطائفة الواحدة . وكان من الطبيعي ان يأخذ هذا الوضع المحافظ والمغلـق ، شكلا اكثر وضوحا بالنسبة الى الطوائف المتخصصة في مهن معينة .

ولا يمكن اغفال الاثر السلبي للسياسة الطائفية ، التي كانت تنتهجها الدولـة العثمانية وتتبناها بشكل رسمي ، على الحياة الاجتماعية في سوريا . فقد كـان النظام الملي هو أساس السياسة الطائفية العثمانية ، ويقضي هذا النظام بأن تمثل كل طائفة بمجلـس طائفي ، يدعى « مجلس الملة »(٢)، ويختاره أفراد الطائفة ، واحيانا يعينه « السلطان » من رجال الدين والوجهاء ، ويتولى هذا المجلس الدفاع عن مصالح الطائفة تجاه الدولة، ويرعى شؤونها الدينية والقضائية رسميا ، والسياسية المحلية فعليا . كان النظام الملي تكريسا للعزلة الطائفية والاجتماعية ، ومظهرا من مظـاهر عملية الانتـاج الحرفي ، فبالرغم من انهيار الدولة العثمانية ، واستقلال سوريا عنها فقد بقي هذا النظام قائما في عهدي الانتداب والاستقلال ، ولم يفقد أهميته الا بعد النهضة التشريعية واقرار القوانين المدنية ووضعها موضع التنفيذ .

وبقيت التقاليد الحرفية المحافظة والمنغلقة سائدة ، حتى بعد التطور الهام الذي طـرأ على العملية الانتاجية في سوريا ، وتغلغلت هذه التقاليد في المجتمع الصناعي الناشىء ،

كالمعاهدات وابوة رب العمل الصناعي ، واتساع قاعدة حملة الاسهم الصغار من افراد العائلات ذات الصلات المشتركة ، مما يؤكد ثبات التقاليد الحرفية في المدن السورية ومتانة جذورها التاريخية ، لدرجة يمكن القول معها ان التطور الاقتصادي البورجوازي لم يستطع ان يهدم نهائيا بقايا اسوار العزلة المهنية ـ الطائفية ، وأن يقيم بديلا عنها تقاليد عصرية حديثة . كانت الحياة السياسية ، من حيث مشاركة مجموع السكان في ادارة شؤونهم ، انعكاسا للواقع الاقتصادي والاجتماعي ، فكانت المجالس الملية ، تلعب دورا سياسيا محليا من الناحية الفعلية ، في حين تحتكر قوى الاقطاع المراكز السياسية العليا المركزية .

لم يتغير هذا الواقع كثيرا في عهدي الانتداب والاستقلال ، سوى ان البورجوازية التجارية وجدت لنفسها مكانا الى جانب الاقطاع الزراعي في السلطة ، وتمثلت الطوائف في تلك الفترة بقادتها البورجوازيين ، مما فرز الفقراء والحرفيين من مختلف الطوائف في موقع واحد تجاه السلطة السياسية .

بهذا المعنى شاركت الطائفة اليهودية في الحياة السياسية السورية ، فقد كان منها نواب في المجالس النيابية(٤)، وتولى عدد من افرادها مناصب ادارية هامة في الدولة في تلك الفترة(٥). يمكن القول ان السمات العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لليهود السوريين هي سمات مشتركة مع يهود البلدان العربية الاخرى ، باستثناء بلدان المغرب العربي(٦)، وذلك بقدر ما هي مشتركة ظروف التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لهذه البلدان في تلك المرحلة . ولا يمكن رد اسباب هذا الاشتراك الى اي سبب ديني او عرقي او عنصري الا بالمعنى الذي اوضحناه للطائفية ـ الحرفية . ومن المهم هنا ، ملاحظة الاختلاف الكبير في الظروف بين أوضاع اليهود في البلاد العربية، وأوضاع اليهود في البلدان الاوروبية ابان المرحلة ذاتها ، لما ينطوي عليه هذا الاختلاف من نتائج سياسية هامة . ففي ذلك الوقت كانت الحملة اللاسامية قد بلغت ذروتها في أوروبا الصناعية ، متوافقة مع ذروة النهوض البورجوازي واحتدام الصراع بين البورجوازيات المحلية الاوروبية والبورجوازية التجارية اليهودية المقيمة بينها . أما في المشرق العربي حيث تخلف التطور البورجوازي قرونا عديدة عن اوروبا ، فلم يحتدم اي صراع من هذا النوع ، لذلك فان « اللاسامية » بقيت اصطلاحا اوروبيا ، لم يجد أي صدى في البلاد العربية وبالتالي فان الحركة الصهيونية التي كانت في نشأتها ، الى حد بعيد ، تعبيرا عن مصالح الطبقة البورجوازية اليهودية ونمت في تربة ملائمة بين يهود اوروبا ، لم تجد تربة صالحة بين يهود البلاد العربية ، بل أن هذه الحركة واجهت موجة من المعارضة عندما أخذ نشاطها السياسي يقترب من منطقة الشرق الاوسط ، ويأخذ اشكالا عدوانية مباشرة في فلسطين . وفي الاساس ، فان يهود البلاد العربية لم يلعبوا دورا في بناء دولة اسرائيل ، التي هي صنيعة الراسمالية العالمية واليهودية ، ولم يكن ذلك صدفة غريبة ، بقدر ما كان تعبيرا عن الواقع السياسي والاقتصادي المتباين لليهود في كل من البلدان المتطورة والبلدان المتخلفة ومنها البلدان العربية .

فقبل قيام « اسرائيل » واثر قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ ، القى عضو مجلس النواب السوري « وحيد مزراحي » خطابا هاما في المجلس النيابي عبر فيه عن موقف الطائفية الاسرائيلية من مشروع دولة اسرائيل ومن الحركة الصهيونية ولخص مصالح الطائفة اليهودية السورية وصاغ موقفها السياسي بقوله « انني اعبر عن شعور ورأي ابناء الطائفة الاسرائيلية في البلاد الذين يتمتعون منذ قرون بالمساواة مع بقية الطوائف في الحقوق والواجبات . . . أن ابناء الطائفة الاسرائيلية في هذه البلاد يعترفون بكل اخلاص بأنهم كانوا ولم يزالوا منذ مئات السنين معتبرين أنفسهم من ابناء هذا الوطن تجمعهم جامعة العنصرية ومصلحة الوطن والعادات واللغة » . واعلن في الخطاب نفسه « ان

اليهود في هذه البلاد يستنكرون هـذا القرار الجـائر ويستنكرون اعمـال الصهيونية ويعتبرون الصهيونية عقيدة سياسية غربية منفصلة عن الدين لا تتفق مع عـادات ولغة واخلاق يهود البلاد العربية ، فاذا كانت الصهيونية تأتينا مـن الغرب تريد ان تجعلنا ضمن حظيرتها فأنا أعلن من هنا اننا بريئون منها ومن اعمالهـا ، وانا ارجو ان يعلـم الجميع اننا لا نشاطر الصهيونية عملها واننا لا نتفق واياها بغاياتها واساليبها وسنكون في مقدمة المجاهدين العاملين لرفع أذى الصهيونية عن هذه البلاد »(٧).

لقد تأزمت اوضاع يهود البلاد العربيـة فقط بعد قيام اسرائيـل ، ونتيجـة لعوامل عديدة ، كان اهمهـا النشاط الاعلامي والدعـائي الاسرائيلي الهادف الى تأزيم هـذه الاوضاع . لقد اثار قيام دولة اسرائيل موجة من العواطـف الدينية والشوفينية بـين اليهود في معظم انحاء العالم ، وكان من الطبيعي ان تشمل هذه الموجـة يهود البـلاد العربية ، وان كان بدرجة اقل نسبيا ، ذلك بالرغم من أن « وطن اليهود القومي » قـد غرس في قلب الوطن العربي ، وكان ، جغرافيا ، أقرب الى يهود البلاد العربية منه الى اي طائفة يهودية في أي بلد من بلدان العالم . جاء هذا التأثـير الضعيف نسبيا نتيجـة للعوامل الموضوعية التي اشرنا اليها ، فبعد قيام اسرائيل لم يطرأ اي تغيير ملحوظ على أوضاع الاقلية اليهودية السورية ، سواء في جانبها الاقتصادي أو السياسي . فقد كان اليهود السوريون مرتبطين بالمجتمع السوري عامة والدمشقي خاصة ، بعمق ارتباطهم بحياتهم المستقرة ومصالحهم الاقتصادية الثابتة .

لذلك ما ان انحسرت الموجة العاطفية التي اثارتها « دولة اسرائيل » حتى شعرت هذه « الطبقة » التي تسيطر على الطائفة بالتهديد لمصالحها المستقرة ، ممـا دعاهـا الى التعبير العلني عن حقيقة موقفها من الحركة الصهيونية ، ومن اسرائيل .

وفي العام نفسه قام في صفوف الطائفة نشاط تلقائي معاد لاسرائيل ، وللحركة الصهيونية ولم يكن لهذا النشاط طابع سلبي فقط ، كمقاطعـة لجان الهجرة ، التي شكلتهـا سرا المنظمات الصهيونية ، بل تعداه الى الطابع الايجابي ، كتنظيـم التظاهـرات في دمشق وحلب استنكارا لقيام اسرائيل ، وتشكيل لجان لجمع التبرعات من اجل التسلح اسوة بسائر السوريين . غير أنه لا يمكن انكار الوضع الدقيق الذي وجدت الاقلية اليهوديـة نفسها فيه اثر حرب ١٩٤٨ ، فالجراح العربية كانت ما تزال طرية في فلسطين ، ومئات الالاف من المشرديـن يتوافدون على البلاد العربيـة ومدنها الكبـرى مثل دمشق ، ممـا زاد في دقـة الوضع اشتداد الحملـة الدعائيـة الاسرائيليـة على الصعيدين العالمي والمحلـي والتي استهدفت غرضين : فمن جهـة فرضت وصايتهـا قسـرا على الطائفة اليهودية في سوريا ، ومن جهة اخرى اعتبرت هذا الموضوع مناسبة يمكن استغلالها بين فترة واخرى لخدمة الاغراض السياسية والعسكرية في اعقاب الحرب ، فتارة تخاطب اليهود السوريين باسم الدين في محاولة لاستثارة عواطفهم الدينية ، وتارة تخاطبهم باسم الحماية من « الارهاب والمذابح » المفترضة ، مما خلق جوا من الارتباك الشديد والعلاقة المعقدة بين ابناء البلد الواحد .

في هذه الاجـواء المعبأة بمرارة الهزيمة ونتائجهـا ، قامت تظاهـرات صاخبـة في المدن السوريـة المختلفة تعبيرا عن غضبة الجماهير الوطنيـة ، وبالرغـم مـن ان الشعارات التي رفعتها هذه التظاهرات كانت ضد اسرائيل ، فان اثرها قد انعكس ضد انظمة الهزيمة القائمة . وقد حدثت خلال هـذه التظاهرات أعمال عنف واضحة كانت موجهة ضد السلطات بشكل رئيسي ، ولم يكن لها ، في الاساس ، اي لون طائفـي . غير أن حـادثا فرديـا معزولا قد وقع كان كفيـلا بمساعدة اجهزة الدعـاية الغربية والاسرائيلية ، المتحفزة لقلب الموقف كله . فقد قامت فئة من المندفعين بالقاء قنبلة على

احد المتاجر اليهودية الكبيرة في دمشق ، ومع انه لم ينجم عن هذا الحادث سوى اضرار مادية طفيفة فانه صور وكأنه حملة ارهاب دموي منظمة ضد الطائفة اليهودية ، مما اثار مخاوف البورجوازيين اليهود . ولم تساعد الدعاية العربية المتخلفة في التخفيف من اثر هذه الحملات او الحوادث ، بل ربما ادت سلسلة الاخطاء في السياسة العربية تجاه هذا الموضوع الى العكس تماما . ولكن هذه السياسة التي اتسمت بالعاطفية والارتجال والجهل لم تكن لتنحدر بأخطائها الى مستوى التمييز العنصري أو الاضطهاد العرقي .

انعكست مخاوف البورجوازية اليهودية بهجرة عدد من التجار اليهود مع افراد عائلاتهم في حلب ودمشق الى خارج البلاد واستقر معظمهم في اميركا الشمالية والجنوبية ولم يتوجه الى اسرائيل الا عدد ضئيل منهم(٨) . ومع أن عدداً من هؤلاء قد عاد ثانية الى سوريا الا أن حركة الهجرة بشكل عام لم تتوقف بل استمرت ضمن حركة الهجرة السورية العامة ، مضافا اليها عوامل الخوف والتاثير الدعائي التي اشرنا اليها . وقد ساعد على ذلك انتفاء أي قيود مفروضة على السفر او انتقال الاموال الى خارج البلاد في تلك الفترة . وابتداء من العام ١٩٦١ نشطت حركة الهجرة وتهريب الاموال بشكل ملحوظ ، فاثر اجراءات التأميم ، التي نفذت في اخر سنة من عهد الوحدة المصرية — السورية عمد الكثير من التجار والصناعيين السوريين بشكل عام ، واليهود منهم بشكل خاص الى مغادرة البلاد بعد تصفية اعمالهم نهائيا وتهريب اموالهم بالطرق المشروعة وغير المشروعة الى الخارج ، حتى بلغت هجرة رؤوس الاموال في تلك السنوات حجما هائلا قدر بحوالي ٨٠٠ مليون ليرة سورية ، كان فيه للبورجوازية التجارية اليهودية حصة مناسبة . اما بالنسبة لابناء الطائفة اليهودية فلم تقتصر حركة الهجرة على الرساميل الكبيرة فقط ، بل شملت اعدادا لا بأس بها من صغار التجار والحرفيين والمثقفين ، واتجهت بشكل اساسي الى لبنان والولايات المتحدة الامريكية ، وحتى في هذه المرحلة ايضا لم تتوجه سوى نسبة ضئيلة الى اسرائيل . ضمن هذا الاطار التاريخي السياسي والاقتصادي انحدر عدد اليهود السوريين الى حوالي ٥ الاف نسمة عام ١٩٦٧ ، في حين كان عددهم ٢٩ الف نسمة حسب احصاء عام ١٩٤٣ .

الاوضاع الراهنة

انتجت حرب حزيران عام ١٩٦٧ آثارا عميقة على صعيد الحياة العربية كلها ، وولدت في المشرق العربي خاصة واقعا مريرا مرة أخرى ، أمر وادهى من ذكريات الماضي القريب . وقد شملت هذه الآثار فيما شملت الجانب النفسي من العلاقة بين اليهود وسائر مواطنيهم في بلدان المشرق العربي . ومن اجل تحليل هذا الاثر الخاص الذي ولدته الحرب علينا ان نسجل النتائج الكبيرة لها فيما يخص هذا الصعيد .

اولا : ابرزت الحرب اسرائيل دولة « يهودية » قوية ومتفوقة في كل المجالات وعلى كل دول المنطقة ، وقد استغلت الدعاية الامبريالية ، في حربها النفسية ، هذه الحقيقة لتضفي عليها طابعا « أسطوريا » . ثانيا : أكدت الحرب طبيعة الارتباط العضوي بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وأظهرت الى اي مدى يمكن ان تذهب الامبريالية الامريكية في دعمها لاسرائيل . ثالثا : مع ان الحرب قد أظهرت بوضوح ان المعركة بين الامة العربية واسرائيل هي الميدان الاساسي لمعركة المصير بين حركة التحرر الوطني العربية وبين الحلف الصهيوني — الامبريالي — الرجعي المحلي ، وأن ليس لها اي طابع عنصري او ديني ، فان ذلك لم ينف قدرة اسرائيل والامبريالية على استخدام الطائفية الدينية كسلاح من اسلحة الدعاية الفعالة .

وما من شك في أن اسرائيل ، نتيجة لكل ذلك ، قد استقطبت اعجاب ومطامح

البورجوازية اليهودية واليهود البورجوازيين في معظم انحاء العالم . ولا نستطيع ان ننفي أن هذه الموجة من الاعجاب قد سرت في اعصاب الكثير من اليهود في البلاد العربية، وهي موجة اكثر ثقة وثباتا من تلك التي اثارتها حرب ١٩٤٨ . بحيث يمكننا القول ، أن الظروف الجديدة بعد حرب عام ١٩٦٧ قد خلقت وضعا اكثر دقة وحرجا للاقليات اليهودية في البلاد العربية . غير أن هذا الوضع الدقيق والحرج لم يتعد بالنسبة الى اليهود السوريين ، الجانب النفسي ، الذي تحكم فترة من الزمن بعد حرب حزيران ، في العلاقة بين اليهود وبين سائر مواطنيهم السوريين ، وكذلك لم يتعد سياسة الحذر والتوجس التي حكمت العلاقة الاخرى بين السلطة وبينهم .

وقد انعكست هذه السياسة ببعض الاجراءات الاحتياطية المؤقتة ، التي بررتها في حينه حالة العدوان المسلح في الحرب القائمة بين سوريا واسرائيل. وباستثناء هذه الاجراءات الامنية التي سنعرض لها ، لم يطرأ أي تبديل على العلاقات التي كانت سائدة في السابق ، على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي .

توزع الطائفة اليهودية في سوريا

المركز	العدد	الفعالية الاساسية
دمشق	٢٨٩٤	تجارية — حرفية
حلب	١٢٦٦	تجارية
القامشلي	٤١٤	ملكية عقارية
المجموع	٤٥٧٤	

الوضع الاقتصادي : يبلغ عدد اليهود السوريين اليوم حوالي ٤٥٧٤ نسمة ، موزعين جغرافيا في ثلاث مدن هي دمشق ٢٨٩٤ ، حلب ١٢٦٦ ، والقامشلي ٤١٤ . ويعيش هذا العدد في المدن الثلاث في أحوال متشابهة الى حد كبير . اذ أن معظمهم يتعاطون التجارة أو ينغمسون في الاعمال الحرفية ، فمن بين الـ٢٨٩٤ مواطنا يهوديا في دمشق ، يوجد حوالي ٣٦٠ تاجرا يملكون محلات تجارية في اسواق المدينة الرئيسية ، من بينهم ٦٠ تاجرا يتجاوز راسمال الواحد منهم الـ ١٠٠ الف ليرة سورية ، واكثر من ١٠٠ تاجر يتجاوز رأس مال الواحد منهم الـ ٥٠ الف ليرة سورية ، والباقي يتراوح راسمالهم بين ٣ الاف ليرة سورية كحد أدنى و ٥٠ الف ليرة سورية كحد أعلى .

ويتعامل أغلبهم في تجارة الالبسة الجاهزة ، او الاقمشة المنوعة . اما التجار الكبار فيتعاملون بالصفقات بالجملة ، مع مؤسسات محلية وأجنبية . ويمكن ان يضاف الى هذا الرقم ، من التجار ، الباعة المتجولون ، ويبلغ عددهم في دمشق وحدها ١٥٠ تاجرا، يتعاطون تجارة الاقمشة والخردوات ، وهم يفضلون هذا الشكل من النشاط التجاري وهو في الحقيقة يكاد يكون حكرا عليهم ، ويدر عليهم ارباحا من الصعب توقعها للوهلة الاولى نتيجة تعاملهم مع قاعدة واسعة من ذوي الدخل المحدود وعلى طريقة التقسيط الطويلة الامد ، فقد قدر دخل بعضهم حسب دفاتره التجارية الرسمية بحوالي الـ ٢٠٠٠ ليرة سورية شهريا ، وقدرت ديون البعض الاخر على زبائنه بأكثر من ٣٠ الف ليرة سورية .

اما عدد اليهود المتخصصين بالعمل الحرفي ، فيبلغ في دمشق وحدها ٣٥٨ حرفيا ، موزعين على الحرف التالية ، نقش النحاس ١٠٠ ، خياطة ٢٠٨ ، صياغة وحفر خشب وحرف اخرى ٥٠ . ينتظم العمل في هذه الحرف على شكل مشاغل يضم الواحد منها من عامل الى ثلاثة عمال تربطهم غالباً صلات عائلية قريبة ، ذلك باستثناء بعض المشاغل

الكبيرة القليلة التي يملكها المتمولون الكبار من ابناء الطائفة . وتتوزع المشاغل الحرفية بين الحي اليهودي في دمشق وبين السوق التجاري الرئيسي في المدينة ، فمشاغل نقش النحاس مثلا ، أغلبها في الحي اليهودي القديم ويقصدها السواح الاجانب ، الولوعين بهذا النوع من الصناعة الشرقية ، الى هناك . اما المشاغل الاخرى فاغلبها في أسواق المدينة التجارية ، حيث تغذي محلاتها بانتاجها الجيد ، مثل مشاغل الخياطة للالبسة الجاهزة . ويراوح الربح الصافي لصاحب المشغل العادي بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ ليرة سورية شهريا ، أما المشاغل الكبيرة فتجاوز هذا الرقم بكثير . ويقدر دخل العامل في حرفة نقش النحاس بين ٣٠٠ — ٤٠٠ ليرة سورية شهريا ، وفي حرفة الخياطة بين ٢٠٠ — ٩٠٠ ليرة سورية شهريا . وحتى تأخذ هذه الارقام حجما واقعيا ، يجب ان نأخذ بعين الاعتبار العلاقات العائلية الحرفية ، ذلك أن معظم المشاغل قائمة على هذه العلاقة، بحيث يمكن اعتبار صاحب المشغل هو في الوقت نفسه رب العمل ورب العائلة، وبالتالي فان دخل المشغل الاجمالي يشكل دخل العائلة الاجمالي .

اما في قطاع المهن الحرة فهناك حوالي ٢٦٠ من ابناء الطائفة بين معلم وطبيب ومهندس ومحام وصيدلي في سوريا كلها . بالنسبة للمعلمين، يبلغ متوسط راتب المعلم في المرحلتين الابتدائية والاعدادية ٢٠٠ ليرة سورية شهريا . أما المهن الحرة ، كالطب والصيدلة والمحاماة ، فالدخل المتوسط فيها يقارب الـ ٧٠٠ ليرة شهريا ، وجميع العاملين في هذا القطاع مسجلون في النقابات المهنية العامة ، ويزاولون اعمالهم في مكاتب وعيادات وصيدليات خاصة .

أما في مدينة القامشلي ، فالوضع الاقتصادي والطبقي لابناء الطائفة يبدو مختلفا عن الطابع الحرفي في دمشق ذلك أن بين الـ ٤١٤ يهوديا في المدينة هناك ١٩ فقط يملكون ١٥٣ محلا تجاريا « حوالي ثلث السوق التجاري الرئيسي في المدينة » من بينها ٤٦ محلا يملكها شخص واحد يتعاطى تجارة العقارات والمال ، و٢٠ محلا لشخص آخر يتعاطى نفس التجارة ، وافراد أخرون يملكون على التوالي ، ٢٤ ، ١٢ ، ١١ ، ٩ ، ٧ ، ٤ ، ٣ محلات تجارية .

الفعالية الاقتصادية والاجتماعية في مدينة دمشق لعام ١٩٧٠

المجموع العام للسكان ٢٨٩٤

نوع العمل او النشاط	العدد	النسبة الى ابناء الطائفة في المدينة — تقريبا —
حرفة نقش النحاس وحرف اخرى	١٥٠	٥ ٪
حرفة الخياطة	٢٠٨	٧ ٪
أصحاب المحلات التجارية	٣٦٠	١١ ٪
المعلمون	٥٠	٢ ٪
الاطبــــاء	٦	٢ بالالف
الصيـــادلــة	٤	١،٥ بالالف
البـــاعـــة المتجولون	١٥٠	٥ ٪
اللحـــامون	١٧	١ ٪
المهندسون	٢	١ بالالف
الطلاب	٩٦٥	٣٧ ٪
المجمـــوع	١٩١٢	٦٦ ٪

وفي حلب ، حيث تتشابه اوضاع الحرفيين والتجار مع الاوضاع في دمشق ، تتركز نسبة أعلى من تجار الاستيراد والتصدير « الكومسيون » التي تتعامل مع الخارج ، فهناك اكثر من ١٥ تاجرا مسجلين كشركات استيراد وتصدير لانواع مختلفة من السلع وبخاصة ، الخيوط والاجواخ ، والادوات الرياضية وماكنات الخياطة والخردوات والنوفوتيه . ولا بد من التنويه اخيرا ، لاستكمال صورة الوضع الاقتصادي ، بانتشار الملكية العقارية المتوسطة والصغيرة الى حد كبير بين ابناء الطائفة وخاصة في الحي اليهودي القديم وانتشر هذا النوع من الملكية بين الطبقة البورجوازية المتوسطة في المدن بعد الحرب العالمية الثانية .

الوضع الاجتماعي : يمكن وصف الحالة الاجتماعية للطائفة اليهودية ، بالعزلة ، ضمن الاسس التي حددناها سابقا ، اي بمقدار ما تفرض هذه العزلة في الاساس ، التقاليد الحرفية ، والايديولوجية الدينية المسيطرة ، والى حد ما ، الوضع المتوجس والحذر للعلاقة بين السلطة وبينهم ، والذي ساد فترة بعد الحرب . فعلى صعيد الحرفة تكاد العزلة تكون شبه كاملة ، فالاختلاط معدوم مع بقية المواطنين ، وهذا ما يفسر تركز هذه الحرف في الحي اليهودي القديم في دمشق وحلب .

وعلى صعيد التعاليم الدينية ، فان الزواج المختلط ، على سبيل المثال ، والذي لم يعد حالة نادرة أو مستهجنة اجتماعيا بين المسلمين والمسيحيين ، ما زال كذلك بين اليهود وبين ابناء الطوائف الاخرى ، ذلك بالرغم من أن مشكلة اجتماعية حقيقية تعاني منها الطائفة في هذا المجال ، فنسبة الاناث الى الذكور تبدو مرتفعة بينهم — ٦٠ الى ٤٠ — ، ويعود ذلك الى عاملين ، الاول ارتفاع النسبة العامة للاناث في سورية — ٥١ الى ٤٩ — ، والثاني وهو الاهم ، الهجرة التي شملت الذكور اكثر من الاناث . وفي تقديرنا أن استمرار هذا الوضع سيؤدي الى كسر طوق العزلة في هذا المجال في المستقبل ، خاصة وأن القوانين السورية المدنية لا تقيم أي قيد على الزواج بسبب اختلاف الدين . وبالمقابل فان بقية مظاهر الحياة الاجتماعية كالتعليم ، والسكن ، والعمل ، واللهو ، الخ تبدو طبيعية ، ومن الصعب التمييز هنا بين اليهود او غير اليهود من المواطنين السوريين . فقطاع التعليم مختلط تماما ابتداء من المرحلة الثانوية ، وحتى في المرحلتين الابتدائية والاعدادية ليس هناك فصل كامل بين اليهود وغيرهم ، ذلك أن عددا من اليهود الاطفال والفتيان يتلقون الدروس في المدارس الرسمية ، وكذلك هنالك ايضا عدد من المسلمين والمسيحيين يتلقون الدروس في المدارس الخاصة بالطائفة اليهودية بحكم الاعتبارات الواقعية ، كقرب السكن وتوافر الاماكن الشاغرة .

وكما هو معروف فان المدارس الطائفية لم تعد موجودة في سورية ، فقد وضعت الدولة يدها على قطاع التعليم كاجراء وطني تقدمي ، وتمارس وزارة التربية رقابة مركزية على جميع المدارس الخاصة في كل انحاء سوريا ، وتشمل هذه الرقابة بالدرجة الاولى تطبيق المناهج الموحدة لجميع السوريين ، وبالدرجة الثانية الرقابة المالية والادارية ، لمنع أي استغلال تجاري في هذا القطاع الحيوي . لم تمس الرقابة المنهجية حرية التعليم الديني، المعتبرة حقا من حقوق كل طائفة ، فهناك عدد من الحصص المنتظمة والثابتة تعلم فيها نصوص الديانة اليهودية باللغة العبرية ، وباشراف اساتذة يعينهم المجلس الملي بموافقة السلطات التربوية .

تتمتع الطائفة في قطاع التعليم بوضع ممتاز ، ذلك ان أعلى نسبة من المتعلمين في كل انحاء سوريا هي بين ابناء الطائفة اليهودية ، فبين الـ ٤٥٧٤ مواطنا يهوديا سوريا ١١٨٥ طالبا منتظما في المدارس في مختلف مراحل التعليم ؛ ففي المرحلة الابتدائية وحدها يوجد ٩٩٦ طالبا ، وفي المرحلة الاعدادية ١٨٦ طالبا ، وفي المرحلة الثانوية ٥٠ طالبا، وفي الجامعية ٥٣ طالبا ، بحيث يمكن القول ان جميع الذين يصلون الى مرحلة التعليم

الثانوي ويتجاوزونها بنجاح ، تتاح لهم فرصة التعليم الجامعي . وتنحدر نسبة الاميين الى ادنى حد بين ابناء الطائفة ، فهي لا تتجاوز الـ ٣٪ من المجموع العام ، وتنعدم تماما بين الشباب ما دون الـ ٤٠ عاما ، **وهي نسبة عالية جـداً** اذا قيست بالنسبـة العامة لسكان سوريا .

ويوجد في سوريا ٤ مدارس ابتدائية واعدادية تابعة للطائفة ، ثلاث منها في دمشق وواحدة في حلب . وقد سجلت مدرسة ابن ميمون الاعدادية في دمشق ، وهي احـدى هذه المدارس ، اعلى نسبة من النجاح في الشهادات الرسمية لعـام ١٩٧٠ ـــ ١٩٧١ الدراسي . وتتلقى هذه المدارس مساعدات من الدولة ومن الجاليات السورية اليهودية في بلاد الاغتراب وخاصة في نيويورك وباريس .

اما على صعيد العمل ـــ غير الحرفي ـــ فهنالـك عدد كبـير من المستخدمين المسلمين والمسيحيين في المتاجر اليهودية ، يقابله عدد اخـر من المستخدمين اليهود في المتاجـر والمؤسسات التابعة لافراد وهيئات خاصة من الطوائف الاخرى .

حتى **السكن في الحي اليهودي** القديم في دمشق ، المعتبر مظهـرا من مظاهر العزلـة الاجتماعية ، لا يصح اعتباره كذلك بشكل مطلق ، ذلك ان هذه الظـاهرة ، **ظـاهرة تاريخية وقديمة** ، وتكاد تكون من السمات المميزة للمدن الشرقيـة ، ولمدينـة دمشق خاصة ، حيث تتركز الطوائف ، وحتى العائلات البورجوازية العريقة ، في احياء مستقلة من المدينة القديمة ، وما زال هذا الوضع قائما حتى اليوم ، بالرغم من التوسع العمراني الكبير الذي عرفته المدينة في ربع القرن الاخير .

الوضع السياسي : حين البحث بالوضع السياسي للطائفة اليهودية في سورية ، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار بعض الظواهر الخاصة بهذه الطائفة في الوقت الراهن ، لما لها من تأثير على هذا الوضع . واولى هذه الظواهر هي ، قلة عـدد الطائفة بالنسبة الى مجموع السكان العام ، اذ ان نسبتهم لا تتجاوز النصف بالالف فقط ، وهي نسبة ضعيفة جدا ، لا تقاربها اي نسبة اخرى في التركيب الاجتماعي او الديني للمجتمع السوري . اما الظاهرة الثانية فهي انغماس الجمهرة الكبرى من ابناء الطائفة في العمل الحرفي ، وتخصصها في نوع معين منه واحتكارها له .

ان اثر هاتين الظاهرتين ينعكس بوضوح على فعالية الطائفة في الحيـاة السياسيـة السورية ، من حيث درجة مشاركتها ومساهمتها في هذا الحقل ، فالمجتمع اليهـودي السوري يشكل بتركيبته الاقتصادية والايديولوجية جزءا من الطبقة البورجوازية المتوسطة في سوريا . فعلى الصعيد الاقتصادي ، اذا قيست اوضاع الطائفة بالاوضاع العامة في سوريا لامكن اعتبار المجتمع اليهودي جزءا من هذه الطبقة ، بل ان تدقيقا اكثر في هذه الاوضاع بالمقارنة مع اوضاع الطبقة المتوسطة يرينا ان اليهـود يقعون في اعلى السلم منها ، ويشكلون جزءا من شريحتها العليا . وحتى الفئة التي تعيش من عملها المأجور ، لا يمكن فصلها عن الطبقة المتوسطة ، لانها تمارس عملا متخصصا ونادرا ، ويدر اجرا عاليا نسبيا ، لا يقل عن متوسط دخل الفرد من ابناء الطبقة المتوسطة ، ومع هذا فـان نسبة هذه الفئة لا تتعدى ٣٠٪ من مجموع اليهود السوريين .

وكونها طبقة متوسطة **حرفية** بالدرجة الاولى وقليلة العدد بالدرجة الثانية ، **جعلها اميل الى المحافظة والانغلاق منها الى الديناميكية السياسية والاجتماعية** . ولـم تستطـع البورجوازية التجارية برغم تأثيرها الايديولوجي على مجموع الطائفـة ، ان تدفعها الى مواقع اكثر ايجابية ، باستثناء المرحلة التاريخية التي كـانت البورجوازية التجـارية السورية نفسها تمسك بأعنة السلطة السياسية مباشرة .

وكذلك على صعيد الحياة السياسية خارج السلطة ، **فليس للطائفة وجود في الحيـاة**

الحزبية السورية الراهنة ، ومرد الامر هنا ليس صغر حجم الطائفة فقط ، بل لان الاحزاب التقليدية التي كانت تسيطر عليها البورجوازية التجارية المتوسطة والكبيرة ، لم تعد موجودة في الحياة السياسية السورية موضوعيا .

وكنتيجة لهذا الواقع الطبقي والسياسي والسكاني ، **فان فعالية الطائفة السياسية تكاد تقتصر على المشاركة الشكلية فقط** ، كممارسة حق الانتخاب والترشيح للمجالس المحلية . اما ادارة شؤونها الدينية والاجتماعية فيتولاها المجلس « الملي » الذي اشرنا اليه ، والذي ما زال قائما حتى اليوم ، غير ان هذا المجلس قد فقد الكثير من صلاحياته التي كان يتمتع بها ابان الحكم العثماني بموجب القانون الملي .

فقد قضى التطور التشريعي ، الحديث في سوريا على معظم هذه الصلاحيات ، فالقوانين الحديثة النافذة لم تعد تفرق بين فئات المواطنين بالنظر الى دينهم او جنسهم وهكذا لم يبق من صلاحيات هذه المجالس سوى **ادارة شؤون الطائفة الدينية** كالاشراف على المعابد والاوقاف الخيرية والذرية وتلقي التبرعات ، بالاضافة الى **الاحوال الشخصية** التي تحكمها تعاليم الديانة كالزواج والوفاة وما يتعلق بهما من طلاق ونفقة وميراث وغير ذلك . ويتألف هذا المجلس اليوم من سبعة اعضاء يختارهم ابناء الطائفة بموافقة السلطة التنفيذية . وقد طرأ عليه تطور شكلي ، اذ لم تعد غالبية اعضائه من رجال الدين فقط ، بل أصبح يضم النخبة البورجوازية من ابناء الطائفة المتعلمين كالمحامين والاطباء والمهندسين .

الحملة

لم تتوقف اسرائيل منذ قيامها عن التوجه بدعايتها الى الاقليات اليهودية المقيمة في البلاد العربية ، كلما وجدت فرصة ملائمة لذلك . ومع أن هذا التوجه يصدر عن استراتيجية عامة لاسرائيل تجاه اليهود المنتشرين في كافة انحاء العالم ، الا انه بالنسبة للبلاد العربية يأخذ ابعادا مختلفة واشكالا خطيرة ، بالنظر لحالة الحرب القائمة بين الامة العربية واسرائيل منذ انشاء الكيان الصهيوني وحتى اليوم .

وفي هذا المجال ترتكز الدعاية الاسرائيلية بالاساس ، على افتراض تعسفي من جانب واحد ، باعتبار كل يهودي اينما وجد وحيثما كان مواطنا اسرائيليا نازحا او منفيا بالقوة داخل المجتمع الذي ولد ويعيش فيه ، وقد تكرس هذا الافتراض التعسفي في قانوني الجنسية والعودة الاسرائيليين(٩) .

ان دوافع هذا الافتراض كما تبدو للوهلة الاولى هي دعوة كل يهودي اينما كان وحيثما وجد للهجرة الى اسرائيل ، غير ان الامر ليس كذلك تماما ، فالهجرة الى اسرائيل تخضع لعدد من الاعتبارات الثابتة التي تتعلق بمصلحة المؤسسة الصهيونية العسكرية العدوانية القائمة فيها ، ومن أهم هذه الاعتبارات نوعية الهجرة من حيث الكفاءة العلمية والمستوى الثقافي والمادي والاجتماعي ، لذلك فهي تعمل جاهدة على التركيز على هجرة اليهود الامريكيين الى اسرائيل بالدرجة الاولى ، ثم هجرة اليهود من البلدان المتطورة الاخرى بالدرجة الثانية ، اما الهجرة من البلدان المتخلفة وبخاصة من البلدان العربية فهي غير مرغوبة اطلاقا ، يؤكد ذلك السياسة الصريحة للحكومة الاسرائيلية والمنظمات الصهيونية في هذا المجال . كما تؤكده ايضا ، من ناحية اخرى ، المشاكل الاجتماعية الناجمة عن تنوع الهجرة والتي يعاني منها المجتمع البشري غير المتجانس في اسرائيل ، فالتمييز بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، او بمعنى اخر بين اليهود القادمين من البلدان المتطورة واليهود القادمين من البلدان المتأخرة في اسيا وافريقيا ، يعتبر ظاهرة بارزة في المجتمع الاسرائيلي اليوم ، وهي تنعكس في مجالات الحياة اليومية المختلفة . ومما زاد في حدة هذه المشكلة ، حاجة المؤسسة العسكرية الى التعبئة الكاملة للقوى

البشرية والاقتصادية في أيام السلم والحـــرب على حد سواء . وتقتضي هذه التعبئة تخصصا متصاعد الوتيرة ، يعطي اليهود الغربيين ميزة كبيرة على مواطنيهم الشرقيين . مما ترك بالنتيجة اليهود الشرقيين في اسفل السلم الاجتماعي في اسرائيل ، وقد انعكس هذا الواقع غير المنسجم والمتعارض على شكل حركة هجرة مضادة الى خارج اسرائيل بلغت في بعض الفترات حدودا ذات دلالة واضحة . من الواضح اذا أن اسرائيل عندما تتمسك بالنظرية القائلة ان كل يهودي في العالم هو مواطـــن اسرائيلي ، فانها لا تعني ذلك تماما من الناحية العملية ، بمعنى انها غير مستعدة لتحمل التبعات الكاملة لمثل هذا الادعاء ، وهو في الحقيقة لا يحملها اية تبعـــات او التزامات وانما يحقق لها كثيرا مـــن الاغراض ، هي التي تشكل الهدف الاساسي للسياسة الاسرائيليـــة الدعائية في هذا المجال ويمكن تحديد هذه الاغراض بالخطوط العريضة التالية ، اولا : قامت اسرائيل في الاساس على دعوة عنصرية دينية تحت ستار «جمع شتات اليهود في مختلف انحاء العالم في وطن قومي يوفر لهم حياة حرة وآمنة » ، لذلك فهي لا تستطيع التخلي عن هذا الاعتبار العنصري الديني والا لفقدت الاساس الذي تبرر فيه وجودها واستمرارهـــا . ثانيا : يشكل اليهود الرأسماليون في كافـــة انحاء العالم دعامة كبـــيرة لاسرائيل ، سياسية واقتصادية ، وهي باحتفاظها بالسياسة الدعـــائية الشوفينية ـــ الدينية ، تقدم لهـــذه الفئة التغطية الملائمة ، لتزويدها بالمساعدات المادية . والدعـــم السياسي والمعنوي ، بحجة التضامن القومي بدلا عن المصالح الاحتكارية . ثالثا : ان اثارة قضية اضطهـــاد اليهود بين فترة واخرى تضمن استمرار المساعدات من الدول الامبريالية باستدرارها عطف الرأي العام الغربي المثقل بالذنوب ، نتيجة السياسة النازيـــة اللاسامية . أمـــا بالنسبة للدول الاشتراكية فان هذه السياسة تحقق اغراضا اخرى فمثل هذه الحملات الدعائية تخدم اهداف الامبريالية في صراعها مع الدول الاشتراكية ، واذا أدت مثـــل هذه السياسة الى مشاكل او تعقيدات في اوضاع اليهود في البلدان الاخرى فان ذلـــك لا يعني اسرائيل بقدر مـــا يعني اثارة المشاكل في وجه هـــذه البلدان وفي وجه الاقليات اليهودية فيها . أما بالنسبة للدول العربية فان هذه الحملات الدعائية تأخذ حجما مختلفا وابعادا خطيرة ، فهي تحقق لاسرائيل في صراعها مع الامـــة العربية عرضا مزدوجا ، فمن جهة اولى تثير هذه الحملات ارباكا مصطنعا في بعض المجتمعات العربية ، ومن جهة ثانية تشكل تغطية كافية لمشاريع اسرائيل العدوانية والتوسعية ضد البلدان العربية . اذا ، لا يمكن فصل السياسة الاسرائيلية الاعلامية تجاه موضوع الاقليـــات اليهودية ، عن اوضاع اسرائيل العامة وسياستها المرتبطـــة بالسياسة العدوانية وللامبريالية . واذا كان من الصعب الفصل بين الدعاية الاسرائيلية والتوجـــه السياسي الاسرائيلي العام ، فان من الصعب اكثـــر الفصل بين هذين الحقلين في مجـــرى الصراع المصيري الدائر بين الامة العربية واسرائيل مما يقود الى النتيجة المنطقية والواقعية ، وهي أن الحملة جزء لا يتجزأ من هذا الصراع المصيري .

ولعل الالمام بتفاصيل الحملة المركزة التي افتتحتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ ضد سوريـــا ، يعطي صورة واقعية عن الاهداف الاسرائيلية .

اثر حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، تأسست في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الامريكية، لجنة باسم Committee of Concern للتدخل في شؤون الاقليات الدينية في البـــلاد العربية ، وبالتحديد في شؤون المواطن اليهودي . وقد ضمت هذه اللجنـــة عددا من الشخصيات الاميركية من مختلف مجالات الحياة ، « تعبيرا عن قلقهم على مصير الاقليات الدينية في البلاد العربية » وبلغ عددهم ٣٠ شخصية اميركية يهوديـــة وغير يهودية ، ورأس هذه اللجنة جنرال متقاعد في الجيش الاميركي هو « لويس كلاي » الذي له ماض معروف في الحرب العالمية الثانية ، ودور كبير في احتلال المانيا الغربية ، ويـــزاول الان

نشاطا ماليا هاما في ادارة شركات يهودية معروفة . ومن أبرز اعضائها الاخرين شخصيات اميركية معروفة بعدائها للعرب ، مثل «جورج بوش» مندوب الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة ، و« آرثر غولدبرغ » وهو صهيوني وكان رئيسا للوفد الاميركي لدى مجلس الامن ، اثناء عدوان حزيران ، وقد لعب دورا بارزا في تأخير تثبيت قرار وقف اطلاق النار ، ليتاح لاسرائيل احتلال كامل الجولان ، بالاضافة الى اسماء اميركية بارزة مثل « آرثر ميلر » . وقد تأسس لهذه اللجنة فروع عديدة في مختلف انحاء اميركا واوروبا ، للغرض نفسه ، وضمت شخصيات بارزة في تلك البلاد في ميادين السياسة والفكر والدين والاقتصاد ، مثل رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي ، مثلا وعدد من اعضاء مجلس النواب البلجيكي . كان الغرض من تشكيل اللجان على هذا الشكل ، هو تعميق اثر الحملة في نفوس الشعوب التي تنشط في بلادها هذه اللجان ، بما لافرادها من نفوذ مادي ومعنوي .

بدات اللجنة الاميركية حملتها في نهاية صيف عام ١٩٧١ ، ببيان يتهم سوريا ، باضطهاد اليهود السوريين اقتصاديا وسياسيا ، واعتقالهم وتعذيبهم ، وممارسة التمييز العنصري ضدهم .

وتضمن البيان بنودا محددة ، وتصف حالة اليهود السوريين واوضاعهم وتعدد القيود المفروضة عليهم ، ويمكن تلخيص هذه الاتهامات بما يلي : ١ — **على الصعيد السياسي:** الحرمان من الحقوق والحريات السياسية ، والاعتقال الكيفي ، والتعذيب في السجون ، واغتصاب النساء ، وهدم البيوت ، ومنع الهجرة . ٢ — **على الصعيد الاقتصادي :** التضييق على اليهود في مختلف فروع النشاط الاقتصادي ، مثل منع التعامل معهم ، وحجب الرخص والاجازات ، ومصادرة الاموال والاملاك . ٣ — **على الصعيد الاجتماعي** : كبت الحريات والحقوق الدينية والاجتماعية ، مثل حرية التعليم والعبادة ، وهدم المعابد والمقابر الخاصة بالطائفة .

كان هذا البيان ايذانا ببدء الحملة ، فقد تلقفته بقية الفروع واللجان — التي بدأت تعمل تحت اسماء متعددة مثل رابطة الدفاع عن اليهود السوريين ، ولجنة الدفاع اليهودية ، وجمعية الصداقة الفرنسية — الاسرائيلية — ، وبنت على اساسه نشاطاتها في مختلف انحاء القارتين الاوروبية والاميركية ، وعلى مختلف المستويات الشعبية والرسمية — مستخدمة في ذلك كل وسائل الدعاية المتاحة ، كالاذاعات المحلية ، والصحف ، والمؤتمرات ، وتنظيم التظاهرات ، وهواتف التهديد ، وبطاقات الاحتجاج والملصقات . فقد تلقى الوفد السوري لدى الامم المتحدة ما يزيد على ٨٠٠ بطاقة ، و ١٠٠٠ رسالة ، و ٤٠٠ برقية ، كلها تطالب بالسماح لليهود السوريين بالهجرة الى اسرائيل ، وشنت اذاعة « Wims » وهي اذاعة محلية في ولاية نيويورك ، اسوأ حملة ضد سوريا .

وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٧١ ، نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » وقائع مؤتمر صحفي عقد في التاريخ نفسه ، باشراف « رابطة الدفاع عن اليهود السوريين » ظهر فيه شاب لا يتجاوز — ١٧ — عاما ، ادعى انه يهودي سوري ، ولم تذكر الصحيفة اسمه ولا نشرت صورته ، مع انها وعدت قراءها ان تفعل في العدد القادم ، ولكنها لم تفعل حتى الان ، وقد ركز بعض الصحفيين اسئلتهم في هذا المؤتمر على «العنف الدائم» الذي يمارس في سوريا ضد اليهود ، وقد اجاب الشاب السوري المزعوم بوضوح ان هناك خوفا دائما وليس عنفا دائما ، وعندما طلب احد الصحفيين الاطلاع على الوثائق التي تثبت جنسية الشاب واسمه ، ثارت في وجهه عاصفة من الاستنكار والاتهامات ، بدعوى ان الامر ليس في حاجة الى اثبات .

استمرت الحملة على شكل نشاطات مشابهة ، انما بتصعيد واضح ، فقد انتقلت الى

مجالس النواب والدوائر المسؤولة في بعض الدول الاوروبية ، مثل فرنسا وبلجيكا وبريطانيا . وجاءت اخيرا تصريحات وزير الدولة الاسرائيلي اسرائيلي غاليلي في ١٢ حزيران ١٩٧٢ ، تتويجا لهذه الحملة ووصولا بها الى ذروة التصعيد والتوتر ، فقد تضمنت هذه التصريحات تهديدا مباشرا لسوريا ، وتدخلا سافرا في شؤون سوريا الداخلية ، ووصاية تعسفية على فئة من المواطنين السوريين ، وجاء فيها بالنص ، ما يلي : « ان اسرائيل لن تقف مكتوفة الايدي تجاه اضطهاد اليهود في سوريا ، وسوف نعمل على انقاذهم بوسائل منظمة » ولكنه اضاف « سوف نمتنع عن اي عمل قد يعرض حياتهم للخطر » وادعى ان اسرائيل تعتبر اليهود السوريين « ضيوفا » على سوريا ، وتطلب من سوريا ان تعاملهم بهذه الصفة « بالنظر لظروف الحرب القائمة في منطقة الشرق الاوسط » ، وبعد ان اعلن ان مهمة اسرائيل هي الدفاع عن كل يهودي في كل انحاء العالم ، دعا اليهود السوريين للهجرة الى اسرائيل ، ورحب بهم فيها باسم الحكومة الاسرائيلية !.

اثارت هذه التصريحات الخطيرة عاصفة من الاحتجاج والاستنكار في صفوف اليهود السوريين ، الذين عمدوا الى التعبير عن استيائهم بالمؤتمرات الصحفية والبرقيات والرسائل الى مختلف الهيئات العالمية ، مثل مجلس الامن ، ولجنة حقوق الانسان ، والامين العام للامم المتحدة . وقد اصدر المجلس الملي عددا من البيانات والبرقيات المماثلة ، اعتبر فيها تصريحات غاليلي محاولة لافتعال المتاعب لليهود السوريين وفرض الوصاية عليهم بالقوة . وفند البيان كذلك جميع الادعاءات المتعلقة بالاضطهاد السياسي والاقتصادي والديني ، واعلن ان السوريين اليهود يرفضون هذه الوصاية ، وينكرون كل الادعاءات ويدركون الغرض العدواني والاستغلالي الكامن وراءها . وخاصة في ظروف الحرب القائمة . وكانت نتيجة هذا التصعيد ايضا ، ان اثارت الحملة اهتمامات واسعة في صفوف الراي العام العالمي ، مما دفع بعدد كبير من مراسلي الصحافة الغربية لزيارة سوريا ، والاطلاع على اوضاع اليهود السوريين الواقعية ، وقد نشرت عدد من الصحف الكبرى المهتمة بقضايا الشرق الاوسط ، مقالات وتحقيقات مطولة لمراسليها ، جاءت في خطها العام ، دحضا للمزاعم الاسرائيلية والصهيونية ، كان ابرزها المقالات التي نشرت في صحيفة « الغارديان » البريطانية ، بتاريخ ١٩٧٢/١/٣١ ، و « كريستشن ساينس مونيتور » بتاريخ ١٩٧١/١٢/٢ ، و « الاوبزرفر » البريطانية ، و « نيويورك تايمز » الاميركية بتاريخ ١٩٧٢/٢/٤ ، والـ « Remarques Africaines » البلجيكية بتاريخ ١٩٧١/١١/١٨ و« لو سوار » البلجيكية ايضا ، بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٧٢ ، ومجلة « فرنسا والبلاد العربية » عدد شباط — فبراير ١٩٧٢ .

هذه هي وقائع الحملة ، والاتهامات الواردة فيها ، وردود الفعل التي اثارتها ، ويهمنا في ختام هذه الدراسة ، العودة فقط الى بعض الاتهامات موضوع الحملة ، والى التذكير بالهدف الاستراتيجي الكامن وراءها ، خاصة واننا عرضنا لوحة مفصلة اقتصادية وسياسية واجتماعية عن الاوضاع الراهنة للطائفة اليهودية في سوريا ، وقدمنا تحليلا للظواهر الاساسية في هذه الاوضاع ، مما يجعل العودة اليها ، للرد على الحملة ، لغوا لا محل له .

غير ان هناك جانبا من الحملة يتعلق بنقاط محددة ، **مثل عدد المعتقلين في السجون ، والحرمان من حق الهجرة والسفر** ، تقتضي الوقوف عندها .

بالنسبة للنقطة الاولى ، **ليس هناك في السجون السورية اليوم ، سوى اثنين من السوريين اليهود** ، وجهت اليهما تهمة تتعلق بامن الدولة ، وتجري بحقهما الان الاجراءات القانونية النافذة في سوريا بالنسبة لكافة المواطنين . الا انه اعتقل منذ

اشهر قليلة ، اربعة عشر شخصا من ابناء الطائفة ، وهم يحاولون اجتياز الحدود السورية خلسة ، وبصورة غير شرعية بقصد الهجرة النهائية ، وقد احيلوا على المحاكم المختصة في حينه ، ثم صدر عفو خاص عنهم واطلق سراحهم ، ويزاولون الان حياتهم واعمالهم بشكل معتاد .

اما فيما يتعلق بالنقطة الثانية ، وهي **القيود المفروضة على الهجرة والسفر** ، والتي المحنا اليها **كاجراء امني احتياطي** ، اتخذ اثر الحرب وفي اعقابها ، **فما تزال سارية حتى اليوم** . وليس الامر هنا ، هو تقييم هذا الاجراء بحق فئة من ابناء الشعب السوري ، ولكن النظر الى هذه النقطة يجب أن لا يقفز بها عن الظروف الواقعية السائدة في المنطقة ، وهي ظروف دقيقة جدا ، لا حاجة بنا الى اعادة شرحها ، ثم ان لا حاجة بنا ايضا الى التذكير بالكثير من الاجراءات المماثلة ، التي اتخذت في حالات الحرب في كثير من الدول ، ولا ندخل اسرائيل ضمن هذه الدول ، لان الاجراءات التي تمارس ضد المواطن العربي فيها ، وحتى ضد اليهود الشرقيين ، هي التي تعبر عن تمييز عرقي وعنصري حقيقي ، ان كل ذلك لا يضيف شيئا على الموضوع ، ولا يمكن برأينا ، ان يبرر اجراءات مماثلة ، ان ما يبرر هذه الاجراءات فقط هو الحالة الواقعية التي أشرنا اليها ، ونعني بها الحرب ونتائجها . ومما يجدر بالذكر ، ان العديد من ابنـاء الطائفة المدركين ، يقدرون هذه الظروف تقديرا واعيا(١٠)*.

---

١ ــ جرى الاعتماد في هذه الدراسة ، بشكل اساسي ، على مقابلات شخصية مع عدد من الافراد اليهود من مختلف الفعاليات ، كالتعليم « البير حمرا » ، والتجارة « حاييم شقيفاتي » ، وعلى التقصي المباشر لمختلف فروع النشاط ، وعلى بعض المراجع الثانوية المتوفرة في وزارة الخارجية السورية ووزارتي الاقتصاد والاعلام ومديرية الاحصاء . وقد تمت المقابلات في دمشق في شهر تموز عام ١٩٧٢ .

٢ ــ محمد كرد علي ، **خطط الشام** ، الجـزء الاول ، المكتبة الظاهرية ، دمشق .

٣ ــ ساطع الحصري ، **البلاد العربية والدولة العثمانية** ، القاهرة ١٩٥٧ .

٤ ــ مثل السيد يوسف لنيادو ، عضو مجلس النواب السوري لدورة ١٩٣٢ ــ ١٩٣٦ ، والسيد وحيد مزراحي عضو مجلس النـواب السوري لدورة ١٩٤٦ ــ ١٩٤٩ .

٥ ــ مثل السيد يوسف رومانو الذي تولى وظيفة قائمقام ، وهي وظيفة ادارية هامة ، تأتي في المرتبة الثالثة بعد رئيس الدولة والمحافظ .

٦ ــ حجم الطوائف اليهودية في بلدان المغرب العربي اكبر نسبيا ، والانقسام الطبقي بينهم اكثر وضوحا .

٧ ــ **محاضر مجلس النواب السوري** ، الدور الاشتراعي الرابع ، الدورة العادية الاولى ، الجلسة السابعة ، كانون الاول ١٩٤٧ .

٨ ــ قدر السيد البير حمرا ، عدد من توجـه الى اسرائيل في تلك الفترة بنسبة لا تتجاوز ١٥ ٪ من مجموع المهاجرين ، وقدم لي مثلا عن المواطن اليهودي السوري « دافيد صابغ » وهو تاجر ولاعب كرة قدم . كتب رسالة الى أهله يطلب فيها العودة الى سورية ، ويسألهم التوسط لدى السلطات الرسمية لترتيب ذلك .

٩ ــ راجع : مقال أسامة الغزي ، في كتـاب **فلسطينيات** ، المجموعة الثانية ، من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت، ١٩٦٩ .

١٠ ــ جرت مناقشة هذا الموضوع الحيوي ، مع عدد من أبناء الطائفة في مقر مدرسة ابن ميمون ، في حي باب شرقي بدمشق ، وقد لمست لديهم تفهما ، فاجأني ، للظروف المحيطة بهـذا الموضوع ، غير انني لا استطيع الجزم بأن جمهرة الطائفة تعيش الحالة نفسها من التفهم والوعي .

* لدى مركز الابحاث معلومات مفصلة عن اليهود السوريين بما في ذلـك توزعهم المهني وأماكن عملهم واقامتهم .

الاممية الاشتراكية : او اشتراكية الاثرياء

داود تلحمي

« يبدو ان غولدا مئير ستأتي الى باريس » . لا ناسيون ٢٦/١٢/١٩٧٢

تحت هذا الاسم البراق ، تنضوي اليوم **سبع وخمسون منظمة** من القارات الخمس تضم ما يقارب الخمسة عشر مليون عضو منتظم وتنال في الانتخابات النيابية ما يزهو على السبعين مليون صوت (هذه الارقام من وثائق الاممية نفسها وبالذات : النشرة رقم ٧٢/١٥ الصادرة بتاريخ ١٦/٦/١٩٧٢) . وفي ثلاث عشرة دولة تضم ما يقارب المئتي مليون نسمة ، يترأس الحكومة اعضاء في الاممية (وهذه الدول هي : السويد وفنلندا والدانمرك والمانيا الفيدرالية والنمسا وبلجيكا ومالطا وجمايكا وجزيرة موريس واستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة واخيرا اسرائيل) . [لوموند ١٢/١/١٩٧٣] .

فما هي هذه الاشتراكية التي يحمل لواءها كيان استيطاني استعماري كاسرائيل وحكومات امبريالية متضامنة مع العدوان الامريكي على شعوب الهند الصينية ومتعاقدة مع الولايات المتحدة في حلف شمال الاطلسي او حلف جنوب شرقي آسيا ؟

نبذة تاريخية* :

بعد محاولات عدة لربط الحركات العمالية الاوروبية المتزايدة الفعالية في اطار أوسع من الاطر القومية لمساعدتها على مواجهة القمع الرأسمالي ، تأسست اولى التنظيمات العمالية الاممية في ٢٨ أيلول ١٨٦٤ في سانت مارتنز هول بلندن تحت اسم « **الرابطة العالمية للعمال** » ، ضامة تنظيمات وأفراد من بريطانيا وبولندا والمجر وايطاليا وفرنسا والمانيا . وبين هؤلاء كان كارل ماركس ، الذي لم يكن في البدء من المنظمين الرئيسيين ، ولكنه استطاع اثناء المؤتمر وبعده شيئا فشيئا أن يغدو واسع النفوذ ، رغم معارضة أنصار برودون الاصلاحي وباكونين الفوضوي .

وبعد نجاحات متفاوتة في تحقيق وحدة أكبر للطبقة العاملة الاوروبية ، أقر مؤتمر فيلادلفيا في صيف ١٨٧٦ حل المجلس العام لما عرف فيما بعد « بالاممية الاولى » . ولم تقم محاولات لبعثها قبل عام ١٨٨٩ (أي بعد وفاة كارل ماركس) عمل أثناءها ماركس وانغلز على تعميق مفاهيم وسبل نضال التنظيمات القطرية . ففي ١٤ تموز ١٨٨٩ الذي صادف الذكرى المئوية للثورة الفرنسية انعقدت الجلسة الاولى « للاممية الثانية » ، ولم يكن الخط الماركسي قد انتصر حينها الا في حزبين اشتراكيين : الالماني والنمسوي . وبعد طرد الفوضويين من الاممية في مؤتمر لندن عام ١٨٩٦ ، دارت الصراعات بشكل رئيسي حول مشكلة التحريفية (أو بالاحرى المراجعية) التي طرحتها كتابات برنشتاين المطالبة باعادة النظر في موضوعات الصراع الطبقي وديكتاتورية البروليتاريا وبعض التحاليل الماركسية الاقتصادية . ورغم ادانة لفظية للتحريفية الا أن مؤتمر أمستردام (عام ١٩٠٤)

Le socialisme démocratique 1864 - 1960, Jacques Droz, Editions A. Colin, Paris 1966 *

اتخذ موقفا توفيقيا بين الاطراف المتنازعة في الوقت الذي امتد فيه النفوذ التحريفي في معظم الاحزاب الاشتراكية وخاصة في الفرنسي والالماني والايطالي .

وبرزت المواقف التحريفية في النقاشات التي دارت حول المسألة الاستعمارية والتي وقفت فيها بعض التيارات الى جانب ابقاء المستعمرات على اساس تحقيق « الهدف الحضاري الشامل الذي تسعى له الاشتراكية » على حد قول التحريفي الالماني دافيد ، الذي اضاف « بأننا بدون المستعمرات ، لن نكون مختلفين من حيث الوضع الاقتصادي عن الصين » . [المصدر السابق، ص١٣٧] . ولكن الصخرة التي اصطدمت بها الاممية وتحطمت عليها كان موضوع الحرب العالمية المتوقعة منذ مطلع القرن . وكان الخلاف يدور حول موقف القوى الاشتراكية في كل بلد من حكوماتها في حال اندلاع الحرب ، وما ان اشتعلت الا ووقفت اغلب الاحزاب الاوروبية متضامنة مع بورجوازياتها في حرب نهش امبريالية راح ضحيتها عشرات الملايين . وفي تعليقه على هذا الانهيار لاممية واشتراكية « الاممية الاشتراكية » ، كتب فلاديمير ايليتش لينين في مطلع الحرب يقول : « ان انهيارها (أي الاممية الثانية) الذي يعني الانتصار الكامل للانتهازية ، وتحول الاحزاب الديموقراطية الاشتراكية الى احزاب قومية ليبرالية ـ نقابية ليس الا نتاج الحقبة التاريخية للاممية الثانية » [الاعمال الكاملة ، موسكو ١٩٦٤ بالانكليزية ، مجلد ٢١ ، صفحة ٢٥٦] .

« وحتى اذا أخذنا بعين الاعتبار عجز الاشتراكيين الاوروبيين وعقمهم ، فان تصرف قادتهم يدل على الخيانة والدناءة : فالعمال اقتيدوا الى المجزرة بينما صوت قادتهم الى جانب حكوماتهم وساندوها » . [المصدر نفسه ، ص ٢٢] .

واستمر لينين وبعض القادة الاشتراكيين القلائل كروزا لوكسمبورغ في حملتهم على احزاب الاممية الثانية التي نعتها لينين « بالاشتراكية ـ الشوفينية » . وبعد أشهر من انتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ وقبل انتهاء الحرب الاهلية في المناطق التي عرفت فيما بعد باسم « الاتحاد السوفياتي » ، **قامت الاممية الثالثة (او الاممية الشيوعية) في اذار ١٩١٩ على انقاض الثانية** داعية الى تكوين احزاب شيوعية مستقلة عن الاحزاب الاشتراكية ـ الديموقراطية .

وبعد انقسامات عدة في الاحزاب الاوروبية أدت الى قطع الصلات نهائيا بين الاممية الثالثة واحزاب الاممية الثانية ، عادت الاخيرة لتجتمع من جديد في مؤتمر همبورغ في اذار ١٩٢٣ الذي انبثق عنه « اممية عمالية اشتراكية » لم يكن عمرها اطول من التي سبقتها فانهارت بدورها ابان الحرب العالمية الثانية في مطلع عام ١٩٤٠ .

وحاول الحزب العمالي البريطاني بعث الاممية من جديد ومواجهة انتصارات الحركات الشيوعية في اسيا واوروبا الشرقية ، فعمل على اقامة « لجنة الدفاع الاشتراكي الدولي » التي قررت **طرد** الاحزاب الاشتراكية التي اندمجت مع الاحزاب الشيوعية في اوروبا الشرقية واعادة « الاممية الاشتراكية » الى الحياة في **مؤتمر فرانكفورت في** حزيران ١٩٥١ .

الاممية الاشتراكية الحالية :

انعقد مؤتمر فرانكفورت تحت رئاسة الزعيم الاشتراكي الالماني كورت شوماخر وانتخب لرئاسة الاممية العمالي البريطاني مورغان فيليبس ولنيابته الاشتراكي الفرنسي غي موليه [لوموند ١٢/١/١٩٧٣] .

وعقدت الاممية منذ ذلك التاريخ عدة مؤتمرات : ميلانو ١٩٥٢ ، ستوكهولم ١٩٥٣ ، لندن ١٩٥٥ ، فيينا ١٩٥٧ ، هامبورغ ١٩٥٩ ، روما ١٩٦١ ، امستردام ١٩٦٣ ، ستوكهولم ١٩٦٦ ، ايستبورن ١٩٦٩ ، وفيينا ١٩٧٢ . وعلى اثر المؤتمر الاخير ،

اصبحت تتشكل من ٣٧ حزباً مشاركا و ١٣ حزبا بصفة استشارية و ٧ احزاب بصفة مراقب .

وهذه الاحزاب هي [نشرة الاممية رقم ٧٢/١٥ بتاريخ ١٩٧٢/٦/١٦] :

الاحزاب المشاركة :	**عدد الاعضاء**
ـ الحزب الاشتراكي الارجنتيني	٢١،٠٠٠
ـ الحزب العمالي الاسترالي	٤٥،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي النمسوي	٧١٦،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي البلجيكي	٢١٦،٥٠٠
ـ الحزب الديموقراطي الكندي الجديد	٣٧٥،٠٠٠
ـ الحزب الراديكالي في تشيلي	٢٧،٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الدانمركي	١٧٠،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الفنلندي	٧٢،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي في فرنسا	٨٠،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني	٨٤٧،٤٥٦
ـ الحزب العمالي في بريطانيا العظمى	٦،١٨٢،٦٨٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الايسلندي	٢،١٠٠
ـ البوند العمالي اليهودي العالمي	٢١،٠٠٠
ـ الحزب العمالي في ارلندا	٢٠،٠٠٠
ـ حزب العمل الاسرائيلي	٣٠٠،٠٠٠
ـ الاتحاد العالمي للصهيونيين الاشتراكيين	٣٥٠،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الايطالي	٥٣٨،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الايطالي	٢٥٠،٠٠٠
ـ حزب الشعب القومي في جامايكا	١٢٥،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الياباني	٣٦،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الياباني	٥١،٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الموحد في كوريا الجنوبية	٢٥،٧٠٠
ـ حزب العمال الاشتراكي في لوكسمبورغ	٤،٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي في مدغشقر	١،٣٠٠،٠٠٠
ـ حزب العمل الديمقراطي في ماليزيا	١٤،٠٠٠
ـ الحزب العمالي المالطي	٢٠،٠٠٠
ـ الحزب العمالي في جزيرة موريس	٣٠،٠٠٠
ـ الحزب العمالي في هولندا	٩٠،٠٠٠
ـ الحزب العمالي النيوزيلاندي	١٩٥،٠٠٠
ـ الحزب العمالي النرويجي	٢٠٠،٠٠٠
ـ حزب العمل الاشتراكي البرتغالي	—
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل في سان مارينو	٩٠٠
ـ حزب العمل الشعبي في سنغافورة	١٠،٠٠٠
ـ حزب العمال الاشتراكي الاسباني	٩،٠٠٠
ـ الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي السويدي	٨٩٠،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي السويسري	٥٠،٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي في الولايات المتحدة / الفيدرالية الديموقراطية الاشتراكية	٥،٠٠٠

الاعضاء الاستشاريون :

ـ الحزب الاشتراكي البلغاري في المنفى	—
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي التشيكي في المنفى	—
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الاستوني في المنفى	—
ـ الحزب الاشتراكي المجري في المنفى	—
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي اللاتفي في المنفى	—
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الليتواني في المنفى	—
ـ الحزب العمالي الايرلندي الشمالي	١٤٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي والعمالي في ايرلندا الشمالية	٨٤٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي البولندي في المنفى	—
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروماني في المنفى	—
ـ حزب الشعب الاشتراكي في اليمن الجنوبية	٣٠٤٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي في فيتنام الجنوبية	٧٤٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي اليوغوسلافي في المنفى	—

الاعضاء المراقبون :

ـ الحزب العمالي النقدمي في برمودا	١٤٠٠٠
ـ حزب التحرر الوطني في كوستاريكا	٧٥٤٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الهندي	٢١٣٤٠٠١
ـ الحزب الشباطي الثوري في براغواي	٣٤٥٠٠
ـ حزب التحالف الشعبي الثوري الامريكي في بيرو	٥٥٤٠٠٠
ـ حزب العمل الديموقراطي في فنزويلا	٤٥٠٤٠٠٠
ـ الحركة الشعبية الانتخابية في فنزويلا	٢٧٥٤٠٠٠

وهذه القائمة تستدعي ملاحظات عدة :

١ ـ بين الاحزاب المشاركة حزبان صهيونيان هما حزب العمل الاسرائيلي والاتحاد العالمي للصهيونيين الاشتراكيين وحزب قومي يهودي اخر هو البوند .

٢ ـ معظم الدول التي يحكمها احزاب الاممية الثانية متعاقدة مع الولايات المتحدة و (او) بريطانيا في احلاف عسكرية . فهذا هو الحال بالنسبة لبلجيكا والدانمرك والمانيا الفيدرالية الاعضاء في حلف شمال الاطلسي ، واستراليا ونيوزيلاندا المشتركتين في حلف جنوب شرقي اسيا ، وجزيرة موريس وسنغافورة المتعاقدتين مع بريطانيا .

٣ ـ بين الاعضاء الاستشاريين عدد من « احزاب المنفى » لدول اوروبا الشرقية : فهذا الحال بالنسبة لاحزاب تنتسب لبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا وجمهوريات سوفياتية ثلاث : استونيا ولاتفيا وليتوانيا . وباستطاعتنا اضافة حزب اخر الى احزاب المنفى هذه وهو حزب الشعب الاشتراكي في اليمن الجنوبي ، الحزب العربي الوحيد في القائمة ، ووجوده خارج لوائح « الاممية الثانية » رغم العدد الضخم من الاعضاء المنسوب اليه (٣٠٤٠٠٠) امر مشكوك فيه . ولا حاجة للتأكيد على ان وجود كل هذه الاحزاب ولو بصفة استشارية ، هو موقف عدائي للانظمة القائمة في الدول المذكورة .

بناء واجهزة الاممية : يشكل المؤتمر الجهاز الاعلى للمنظمة ويجتمع مبدئيا مرة كل عامين : وتحال المسؤوليات بين المؤتمرات الى مجلس عام يجتمع مرة على الاقل كل عام ، بينما يشكل المؤتمر مكتبا تنفيذيا من ٢٠ حزبا . والمقر الرئيسي للمكتب في لندن .

[لوموند ٧٣/١/١٢] وقد انتخب مؤتمر فيينا الاخير الاحزاب التالية لعضوية المكتب* . استراليا : الحزب العمالي (بالتناوب مع الحزب العمالي النيوزيلاندي) ، النمسا : الحزب الاشتراكي ، بلجيكا : الحزب الاشتراكي ، كندا : الحزب الديموقراطي الجديد ، تشيلي : الحزب الراديكالي ، الدانمرك : الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، فنلندا : الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، فرنسا : الحزب الاشتراكي ، المانيا : الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، بريطانيا : الحزب العمالي ، اسرائيل : حزب العمل ، ايطاليا : الحزب الاشتراكي والحزب الاشتراكي الديموقراطي ، اليابان : الحزب الاشتراكي والحزب الديموقراطي الاشتراكي ، مالطا : الحزب العمالي ، هولندا : الحزب العمالي ، نروج : الحزب العمالي ، سنغافورة : حزب العمل الشعبي ، السويد : الحزب الاشتراكي الديموقراطي .

كما انتخب للامانة العامة : برونو بيترمان (النمسا) .

ونوابا للامين العام : فيلي برانت (المانيا الفيدرالية) ، تريغفه براتللي (النرويج) ، سيكو مانشولت (هولندا) ، غولدا مئير (اسرائيل)**، فرانسوا ميتران (فرنسا) ، بياترو نانني (ايطاليا) ، جوزيبي ساراغات (ايطاليا) ، هارولد ويلسون (بريطانيا) .

وللامية صلات تنظيمية مع المنظمات العالمية التالية [نشرة رقم ٧٢/١٥ المذكورة اعلاه] .

- المجلس العالمي للنساء الاشتراكيات الديموقراطيات ، ومقره في لندن .
- الاتحاد العالمي للشباب الاشتراكي ومقره في فيينا .
- مكتب الاحزاب الاشتراكية في دول السوق المشتركة ومقره في لوكسمبورغ .
- الاتحاد الاشتراكي لاوروبا الوسطى والشرقية ، ومقره في لندن .
- المنظمة الاشتراكية لآسيا والمحيط الهادىء ، ومقرها في سنغافورة .
- الاتحاد العالمي للمعلمين الاشتراكيين الديموقراطيين ، ومقره في بون .
- الفيدرالية العالمية للصحافة الاشتراكية والديموقراطية ومقرها في بون .
- حركة الصقر العالمية ، الامية التعليمية الاشتراكية ، ومقرها في فيينا .
- الامية العمالية للرياضة ومقرها في بروكسل .

مؤتمر فيينا و « مشكلة الشرق الاوسط » :

بين ٢٦ و ٢٩ حزيران ١٩٧٢ ، عقدت الامية الاشتراكية مؤتمرها الثاني عشر في عاصمة النمسا . وقد اثار حضور غولدا مئير لهذا المؤتمر تساؤلات في العالم العربي حول هوية هذه المنظمة وماهية اشتراكيتها . ولم يكن هذا المؤتمر الاول الذي حضرته مئير ، فقد شاركت في اعمال مؤتمر ايستبورن (بريطانيا) في حزيران ١٩٦٩ الذي اتخذ قرارا حول الشرق الاوسط يطالب فيه « بمفاوضات مباشرة تؤدي لمعاهدات سلام بين اسرائيل والدول العربية » ويدين « أعمال الارهاب المجانية ». [جويش كرونيكل ١٩٦٩/٦/٢٧] . وقد صوتت كافة الاحزاب المشاركة الى جانب هذا القرار باستثناء **الحزب السويدي وحزب البوند اليهودي** (الذي يقف موقفا نقديا من بعض مظاهر الصهيونية) . وكان هذا اول مؤتمر يحضره وفد عربي ولو بصفة اقل من مراقب : وهو الوفد المصري برئاسة حسين ذو الفقار صبري . [المصدر نفسه] .

كما حضرت اجتماعا مجلسيا للامية في هلسنكي (٢٥ — ٢٧ ايار ١٩٧١) حاولت فيه هذه المرة بالحاح الحصول على بيان مؤيد لاسرائيل كما جرت العادة في المؤتمرات

---

* نشرة الامية الاشتراكية SI News, Vol. 3, No. 10 - 15 July 1972.

** ويلاحظ ان اسرائيل هي الوحيدة غير الاوروبية في لائحة الشرف هذه .

السابقة . الا ان معارضة الدول الاسكندنافية كانت قوية هذه المرة ، فلم يحصل « القرار حول الشرق الاوسط » على الاجماع الذي ارادته . فامتنعت الاحزاب الاسكندنافية (وبالذات حزبا **فنلندا والسويد**) عن التصويت على فقرة او اكثر من القرار بينما عبر ممثل الحزب العمالي الهولندي عن تحفظ عدد كبير من الوفود في خوضهم لقضية حساسة كهذه [نيو ميدل ايست عدد آب ١٩٧٢] . ورغم ذلك فقد جاءت بعض فقرات القرار مؤيدة تماما لوجهة النظر الاسرائيلية ، وخاصة فيما يتعلق « بقلق (المؤتمر) من التصاعد الاخير في سباق التسلح من خلال وصول سلاح متقدم جديد لمصر وسوريا ومطالبته بالحفاظ على التوازن بين اسرائيل وجاراتها » ، وكذلك بالنسبة « لاهتمام (المؤتمر) بتحقق حل سلمي قائم على المحادثات والاتفاق بين الاطراف ودون ضغط خارجي » ، كل ذلك بالاضافة الى نداء « للتعاون مع الدكتور يارينغ على اساس قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ » . [المصدر السابق نفسه ، ص ٣٦] .

وادراكا منها لتصاعد معارضة بعض الاحزاب لسياسة اسرائيل (وخاصة الحزب الفنلندي والى حد ما وبتاثير تنظيم الشبيبة فيه الحزب السويدي ، وحزب دوم مينتوف المالطي كذلك لقربه جغرافيا وماديا من العالم العربي) ، لم تصر غولدا مئير في مؤتمر فيينا على اتخاذ المؤتمر لاي قرار . واكتفت بالتظاهرة الاعلامية التي رافقت وصولها وحضورها للمؤتمر ، الى جانب رؤساء حكومات خمس هم برانت (المانيا الفيدرالية) وبالمه (السويد) وبراتللي (النرويج) ومينتوف (مالطا) ورامغولام (جزيرة موريس) وحوالي مائتي ممثل عن ٢٧ حزبا [لوموند ١٩٧٢/٦/٢٨] .

وبالفعل لم يتخذ المؤتمر اي قرار في موضوع « الشرق الاوسط » . وكادت غولدا مئير تكون الوحيدة التي تطرقت له ، بحدة اقل مما فعلته في تجمع هلسنكي على حد تعبير « نيو ميدل ايست » [المصدر السابق]. واكتفى بعض المشاركين باشارة عابرة الى المشكلة فاشار فيلي برانت الى ضرورة ايجاد حل من خلال محادثات تراعي « بالتساوي المصالح الشرعية للدول العربية وحق اسرائيل في ضمان وجودها داخل حدود آمنة » [المصدر نفسه] . وتكلم برونو كرايسكي مستشار النمسا عن العلاقات بين « المثقفين الشبان في الدول العربية ومثقفي الدول الديموقراطية في اوروبا » ، كما طالب « بتعاون سلمي بين الدول العربية واسرائيل » وباحالة مجمل قضية الشرق الاوسط الى مؤتمر الامن الاوروبي المزمع عقده في هلسنكي [انترناشونال هيرالد تريبيون ١٩٧٢/٦/٢٧] . وقد عارضت الاوساط الاسرائيلية هذا الاقتراح تخوفا من اي قرار قد يعكس النقد المتصاعد لسياستها في مؤتمر سيحضره الى جانب دول اوروبا الغربية ممثلو الاتحاد السوفياتي وحلفائه الاوروبيين الشرقيين . اما دوم مينتوف رئيس وزراء مالطا فقد اشار الى الدور الخاص الذي يمكن ان تلعبه جزيرته « كحلقة وصل طبيعية تقرب بين العرب واوروبا » [نيو ميدل ايست ، اب ١٩٧٢ ص ٣٧] بحكم « الصداقات العديدة التي لمالطا في العالم العربي » [لو موند ٧٢/٧/١] .

وكان القرار حول « الارهاب » هو الوحيد الذي له صلة بشكل من الاشكال بقضية الشرق . وقد صوت ضد القرار حزبان هما **الحزب العمالي البريطاني وحزب العمل الاشتراكي البرتغالي** . وامتنعت احزاب **كندا وتشيلي وفنلندا وهولندا والسويد** الى جانب الاتحاد العالمي للشبيبة الاشتراكية عن التصويت . واشار المندوب البريطاني في معرض تفسير موقفه الى الطابع المطاط للقرار والذي قد يحمل في طياته ادانة مبطنة لحركات التحرر الافريقية ضد الاستعمار البرتغالي [جويش كرونيكل ١٩٧٢/٧/٧ وانترناشونال هيرالد تريبيون ١٩٧٢/٦/٣٠].

ملابسات اجتماع باريس :

قبل نهاية ١٩٧٢ بدأت وسائل الاعلام تعكس ملابسات انعقاد « اجتماع قمة » للاممية الاشتراكية في أواسط كانون الثاني ١٩٧٣ في باريس. واجتماعات كهذه ليست استثنائية وليس لها عادة نتائج سياسية ملموسة ، فهي لقاءات « غير رسمية » وليس لها الطابع « التشريعي » للمؤتمرات . والاممية ككل ، على اي حال ، اطار مطاط وغير ملزم وليس لها طابع كتلوي متناسق .

ولكن عنصرين أعطيا مشروع اللقاء هذا صدى اكبر من المعتاد : الاول له علاقة بالضيوف والثاني بالمضيف . فبين الضيوف غولدا مئير التي تأتي الى فرنسا رغما عن علاقات حكومتها الفاترة بالحكم الديغولي منذ حرب حزيران ، والمضيف هو الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي يشكل احد التنظيمات الثلاثة للتحالف اليساري الذي يهدد الاغلبية الديغولية الحاكمة في انتخابات آذار ، هذا علاوة على الجو الذي خلقه في اوساط اقصى اليسار الفرنسي والجالية العربية ، الاعتداء الاسرائيلي على ممثل منظمة التحرير بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٨ والذي أودى بحياته قبل أيام قليلة من انعقاد الاجتماع .

فما ان اعلنت غولدا مئير عن عزمها النهائي لحضور المؤتمر على اثر اجتماع مجلس وزرائها في ١٢/٢٤ ، الا وبدأت الاوساط الفرنسية واوساط « الاممية الاشتراكية » واسرائيل تتبادل الاتهامات والتكهنات . فبدأت صحيفة لاناسيون الديغولية [١٢/٢٦/ ١٩٧٢] بحملة مفتوحة على المبادرة . وتساءلت جريدة لوموند عن مدى « رغبة غولدا مئير في هزيمة الديغوليين في الانتخابات المقبلة » ، علما بكراهيتها الشديدة « لحلفاء ميتران ونفورها الغريزي من استراتيجية الشيوعية العالمية في الشرق الادنى » [٢٨/ ١٢/ ١٩٧٢] . واكدت معاريف [١٩٧٣/١/١٠] ان «اسرائيل ليس لها مصلحة بمجيء جبهة شعبية الى الحكم في فرنسا حيث سيكون للشيوعيين تأثير حاسم » . ويبدو ان المناورة الاسرائيلية كانت باتجاه **الضغط على الحكومة الفرنسية** للاسراع في خطوات تحسين العلاقات [حجاي ايشد في اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١٢/٢٧ عن نشرة الرصد الصادرة عن م. أ.] وفي الوقت نفسه **محاولة دق اسفين بين الاشتراكيين والشيوعيين الفرنسيين** بابراز الخلاف الكبير بينهم حول احدى القضايا العالمية الرئيسية [أندريه لورنس في لوموند ١٩٧٢/١٢/٢٨] . وهذه الرؤيا تعززها التطورات « الوسطية » للاغلبية الديغولية التي تلعب باتجاه تغيير سياسة الحكومة تجاه اسرائيل من جهة ، وتنامي حركة الشباب المناهض لاسرائيل في اوساط الحزب الاشتراكي من جهة اخرى [لوموند ١٩٧٢/١٢/٢٦] . وليس هناك امكانيات ضغط اسرائيلي حقيقي عن طريق « الاصوات اليهودية » كما هو الحال في امريكا . فالناخبون الفرنسيون اليهود (الذين لا يتجاوز عددهم ربع المليون) لا يصوتون بشكل متجانس ، وأصواتهم تتوزع على كافة الاحزاب تقريبا : فقلة منهم يصوتون الى جانب الحزب الشيوعي وعدد كبير من الشبان يميلون الى جانب منظمات اقصى اليسار (الماوية التي تقاطع الانتخابات ، والتروتسكية التي لها مرشحوها) . وربما صوت أقربهم الى الصهيونية الى جانب تحالف **الاصلاحيين** (الذي يضم « الوسط الديموقراطي » والحزب الراديكالي) بشكل اكثف ، ولكن هذا الموقف لن يكون له وزن حقيقي على مجرى الانتخابات [الان غيشار احد خبراء الشؤون اليهودية ، في لوموند ١٩٧٣/١/٤] .

وفي الطرف الآخر ، اراد الاشتراكيون الفرنسيون من خلال عقد هذا المؤتمر الذي حضره في النهاية قادة ١٩ حزبا بينهم رؤساء حكومات اربعة (السويد وفنلندا والنمسا والدانمرك) الى جانب غولدا مئير ، ابراز شخصية واستقلالية حزبهم عن الحزب الشيوعي والاستفادة من الصبغة « الديموقراطية » لاشتراكية الاحزاب الاسكندنافية لطمأنة قطاعات البورجوازية الوسطى والصغيرة التي تخشى من النفوذ الشيوعي في

التحالف اليساري على مستقبل القطاع الخاص وما يسمى بالحريات الديموقراطية . وقد أظهرت الاستفتاءات الاخيرة للراي العام الفرنسي نجاح الحـزب الاشتراكي في استقطاب هذه القطاعات مما أدى الى سلخ عدد كبير من مصوتي الديغولية سابقـا واعطاء التحالف اليساري نسبة ٤٦ بالمئة من الاصوات مقابل ٤٠ بالمئة للاغلبية الحاكمة و١٤ بالمئة للاصلاحيين واليمين .

ولا شك ان الخاسر الرئيسي في هذه العملية كانت الكتلة الحاكمة في فرنسا ، وهذا ما يفسر رد الفعل العنيف الذي واجه به بومبيدو فكرة عقد المؤتمر عشية الانتخابات ، فأكد في مؤتمره الصحافي بتاريخ ١٩٧٣/١/٩ « ان دعوة مؤتمر الاممية الاشتراكية هذا في كانون الثاني ١٩٧٣ في باريس مبادرة غير مناسبة ... وتدخل في السياسة الداخليـة الفرنسية » واتهم ميتران زعيم الحزب الاشتراكي بتدبير الموضوع ، متجنبا رغم الحاح احد الصحافيين الاشارة الى غولدا مئير بالذات . وقوبل هذا التصريح بردود فعل عنيفة من الاوساط الاسرائيلية [نشرة رصد اذاعة اسرائيل يوم ١٩٧٢/١/١٠] وأوساط الاممية الاشتراكية وأحزابها [تعليق جريدة افتونبلادت السويدية الحكومية مثلا بتاريخ ١٩٧٢/١٠/١٠] والحزب الاشتراكي الفرنسي بالذات [لوموند ١٩٧٣/١/١١] وأعلن الجميع عن تصميمهم على الاجتماع .

وكانت أوساط أقصى اليسار الفرنسي بدورها قد عبرت عن سخطها على مجيء غولدا مئير خاصة بعد وفاة ممثل منظمة التحرير . وعبرت جريدة (ثورة !) عن راي هذه الاوساط حينما أدانت في بيان لها زيارة مئير « بمناسبة اجتماع ما يطلق عليه اسم الاممية الاشتراكية ، بؤرة اشتراكيي الكلام وامبرياليي الواقع . وهذا الاستفـزاز الصهيوني ومشاركة قادة الحزب الاشتراكي فيه لن يبقيـا دون جواب . وستتلقى غـولدا مئير الاستقبال الذي تستحق ، ولن يحصل ميتران وأعوانه من الحزب الاشتراكي على صوت واحد من أصدقاء الثورة العربية » [لوموند ١٩٧٣/١/٦] .

وانعقد المؤتمر في هذا الجو المحموم الذي تحول فيه مطار أورلي الى معسكر ، واضطرت مئير الى السكنى في بيت سفيرها في باريس بعدما الغى الفندق الحجز [اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/١/١٣ نشرة الرصد] ، وتحولت منطقة انعقاد المؤتمر الى ساحة مناوشات مستمرة بين انصار الثورة الفلسطينية والشرطة [لوموند ١٩٧٣/١/١٦] .

وقد انتهز قرابة مئة من قادة الحركات اليسارية وبعض كبار الكتاب والمثقفين (ومن بين هؤلاء **ميشيل فوكو وشارل بتلهايم وجان جونيه وفيليب سولرز**) الفرصة لنشر **« نداء من أجل الفلسطينيين »** على عرض نصف صفحة من جريدة لوموند [١٩٧٣/١/١٤] طالبوا فيه بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على أرضه وأدانوا الارهاب الصهيوني في الشرق العربي وفي فرنسا .

ولم يستمر المؤتمر اكثر من يومي ١٣ و١/١٤ . ويبدو ان الاجماع كان مفتقدا بالنسبة للقضايا المطروحة (فيتنام وأوروبا والشرق الاوسط) . فقد عارضت مئير الى جانب كرايسكي النمسوي وويلسون البريطـاني اصدار بيـان ادانة لقصف فيتنام تبنـاه الاسكندنافيون والفرنسيون . ولم يحصل نقاش حول قضية الشرق الا ان الاسكندنافيين على ما يبدو ، وجهوا عدة أسئلـة للوفد الاسرائيلـي [لوموند ١٩٧٣/١/١٦] . كما انتهزت مئير ، على حد قولها ، المناسبة لمقابلة زعماء كافـة الاحزاب الفرنسيـة باستثناء الحزب الشيوعي [اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/١/١٧ عن نشرة الرصد] .

محاولة تقييمية

استعرضنا فيما سبق الخلفية التاريخية «للاممية الاشتراكية» ووضعها الحالي ومواقفها من المسألة الفلسطينية بالذات . سنحاول هنا الخروج ببعض الاستنتاجات :

١ ــ كانت الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية بالاصل (وخاصة قبل الحرب العالمية الاولى) أحزابا **عمالية** حقا تحولت بحكم الظروف التاريخية لمطلع هذا القرن الى أحزاب اصلاحية . وقد عبر فلاديمير اليتش لينين عن هذا التحول بقوله « ان العالم ، في عصر الامبريالية ، تتشاطره الامم « العظمى » ذات الامتيازات والتي تقوم بقمع كافة الامم الاخرى . وتقع بعض فتات الغنائم التي تحققها هذه الامتيازات وهذا القمع بلا شك من نصيب بعض قطاعات البورجوازية الصغيرة وارستقراطية وبيرقراطية الطبقة العاملة » [الاعمال الكاملة ، مجلد ٢١ ص ٢٢٣] .

« ولا يسمح عصر الامبريالية بأن تتعايش في حزب واحد طليعة البروليتاريا الثورية والارستقراطية شبه البورجوازية الصغيرة للطبقة العاملة» [المصدر نفسه ص ٢٥٧].
وقد أدى هذا الوضع الى الانقسام التاريخي الذي اشرنا لـه بين الاممية الثالثة (الشيوعية) وبقايا الاممية الثانية التي نعتها لينين «بالانتهازية والاصلاحية والاشتراكية البورجوازية الصغيرة » [المصدر نفسه ص ٥٠٤] .

ولا شك ان التطور التاريخي قد أدى الى تفاقم هذا الوضع ، رغم تحرر أجزاء كبيرة من العالم من السيطرة الامبريالية والاستقلال (الشكلي في أغلب الاحيان) لمعظم اقطار العالم الثالث الاخرى .

فاستغلال شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وقمعها ما زالا مستمرين غالبا تحت شكل ما عرف بالاستعمار الجديد (بالاستعاضة عن الاستعمار المباشر بسيطرة شركات استثمارية وانظمة معتمدة عليها في استمرار بقائها) . وقد أعطى هذا التطور شعوب الدول الراسمالية المتقدمة (امريكا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان) رخاء ورفاهية اكثر شمل قطاعات أوسع وغذى النزعة البورجوازية الصغيرة عند **« الارستقراطية العمالية »** التي استمرت الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الى حد مـا في تمثيلها . وهناك من جهة اخرى ، تطور واضح باتجاه استيعاب أجزاء واسعة من البورجوازية الصغيرة والوسطى التي ترى في الطابع « اللاثوري » (اي المعادي للتغييرات الجذرية) لهذه الاحزاب ، ضمانة ضد انهيار وضعها وحتى من أجل تطويره في اطار أوضاع أكثر تناسبا مع التطور الاقتصادي والايديولوجي للراسمالية الحديثة . ومثـال على ذلك الوضع السويدي (الذي يعتبره العديد من أنصار هذا التيار قدوة) حيث يتعايش قطاع مؤمم واسع أمن عددا من الضمانات المعيشية للسكان (على صعيد التعليم والصحة الخ . .) مع رأسمالية خاصة منتعشة وثرية .

٢ ــ هذا التركيب الطبقي للاحزاب الاشتراكية الديموقراطيـة انعكس بالطبع على ايديولوجيتها ومواقفها السياسية . ففي الوقت الذي استمرت فيه في ترديد شعارات اشتراكية عامة مشوبة باصطلاحات توفيقية وسطية حول « الدولة الديموقراطية » و« الاساليب الديموقراطية لتحسين أوضـاع الشعب » الخ ، أظهرت ممارسـات بعضها اتجاهات امبريالية واضحة تجعلها أحيانا اشد شراسة من الاحزاب البورجوازية القديمة . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر سياسة حـزب العمال البريطاني تجـاه روديسيا وفيتنام ، ومواقف الحزب الاشتراكي الفرنسي تجاه حرب التحرير الجزائرية وعدوان السويس (الذي قام بتدبيره زعيمه غي موليـه بالاشتراك مـع المحافظين البريطانيين) .

وتعكس « المبادىء الاساسية للاشتراكية الديموقراطية » التي أقرتها الاممية في مؤتمري فرانكفورت (١٩٥١) وأوسلو (١٩٦٢) في عدد من بنودها هذا الاتجاه . ففي البنود رقم٨ و٩و١٠ مثلا من مقدمة بيان فرانكفورت،تؤكد الاممية علىعدائها المطلقللشيوعية، في الوقت الذي تعرب فيه عن تمسكها بحلف الاطلسي في ختام بيان اوسلو : « ان أغلب

الديموقراطيات الغربيـة التقت لتشكل حلف شمـال الاطلسي . وتعتبـر الاحزاب الديموقراطية الاشتراكية في دول الحلف هذا الموقف اسهاما قويا مـن أجل السلام ، وتعلن تصميمها الاكيد على الابقاء عليه » . [بيانات الاممية الاشتراكية ، لندن ص ٣ و١٤] .

٣ ــ وجملة هذه المواقف تفسر وجود الحـزب الحاكم الاسرائيلـي في هذا الاطار . فطالما تعتبر معظم هذه الاحزاب ان الكيان الاسرائيلي كيان طبيعي كالكيان الالماني او الاسترالي ، فحزب غولدا مئير يستوفي شروط الانتساب « لاممية لندن » . وحتى لو تساءل اسرائيليان بسذاجة اذا كانت التفرقة العنصرية ، والتزمت الديني والقوانين الاستثنائية والاحلام التوسعية تسمح باطلاق لقب « الاشتراكية » على حكومة مئير* ، فمنطق « الاممية المسماة بالاشتراكية » يفسح المجال امامها للبقاء في كنفها . وحتى لو تشكل حزب مئير في غالبيته من العمال (مع ما للكلمة من مطاطية في اسرائيل) ، فان ما ينطبق على الدول الامبريالية في تحليل لينين المتعلق بالارستقراطية العمالية ، ينطبق بشكل متميز على اسرائيل التي الى جانب استغلالها لليـد العاملة المحلية وتوظيفهـا لاموالها في دول العالم الثالث ، تنعم بكافة طبقاتها بتبرعات خارجية ضخمة تضيف الى رخاء « عمالها » وتخفف من حدة التناقضات الطبقية ، هذا، علاوة على الجوانب الاخرى ذات الطابع السياسي والايديولوجي التي تلعب في الاتجاه نفسه .

٤ ــ وعلى ضوء هذا التحليل ، يمكننا القول ان لا لقاء استراتيجيا ممكنـا بين القوى الاشتراكية الثورية واي من أحزاب الاممية الثانية . وعلى الصعيد التكتيكي ، بالنسبة لقوى المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربيـة ، هنـاك موقفـان خاطئان يجب استبعادهما : الاول هو موقف العداء المطلق من كافة الاحزاب المنضويـة تحت لواء « أممية لندن » ، والثاني هو اغراءات « الدخولية » أي محاولة تغيير مواقف الاممية (والمنظمات القريبة منها كالاتحادات العالمية للنساء والطلبة والعمال الخ . .) من خلال المشاركة فيها . فالموقف الاول موقف دغمائي غير ديناميكي يؤدي الى اضعاف جبهة المساندة العالمية والثاني موقف انتهازي يؤدي الى اضعاف قوى الثورة العربية نفسها . والموقف المناسب قد يكمن في اقامة **علاقات ثنائية** مع بعض الاحزاب المتقدمة داخـل الاممية أو حتى مع منظمات منبثقة عنها كمنظمات الشبيبة التي تقف أحيانا على يسار قياداتها (كما هو الحال في حزبي السويد والمانيا الفيدرالية) . ولكن العنصر الحاسم سيكون النضال العمالي في الدول المعنية الذي سيعطي للطبقة المستغلة (بفتح الغين) الوعي الكافي لكشف زيف اشتراكية الاثرياء .

---

* مكسيم غيلان ولويس مارتون عضوا « لجنة الاتصال العالمية للمنظمات اليهودية من أجل السلام والعدل في الشرق الادنى » ، عن لوموند ١٩٧٣/١/١٤ .

الكيبوتز الاسرائيلي :
استغلال جماعي للعمل المأجور

أ. ن. سعد

ان مجمل عدد السكان المقيمين في الكيبوتزات في اسرائيل لا يشكل سوى ٣ ٪ من مجموع عدد السكان اليهود بالبلاد . ولكن نظرا لكثرة الكتابات عن الكيبوتز وزخم النشرات التي تصدر باستمرار لتمدحه وتمجده ، فغالبا ما يبدو الكيبوتز وكأنه يمثل طريقة عيش سائدة في اسرائيل . وبسبب هذا التركيز الدعائي الذي يشهده موضوع الكيبوتر ، وعلى الرغم من ضآلة حجمه سكانيا ، تصبح ضرورة معالجة هذه المؤسسة الصهيونية الفريدة ذات اهمية . وقد كان للكيبوتز تاريخيا ثقل ونفوذ في المؤسسة الصهيونية اكثر مما قد يبدو من حجمه السكاني اذ كان له الدور الحاسم في اثبات الوجود الصهيوني وتدعيمه سكانيا واقتصاديا وعسكريا في فلسطين. كما ان نسبة عالية من عناصر الدوائر الحاكمة في اسرائيل حاليا كانت خلال وقت أو آخر اما ملتحقة أو مرتبطة بالكيبوتزات . وفضلا عن ذلك فان الكيبوتز اكثر من أي مؤسسة صهيونية اخرى يشكل مثالا مصغرا عن المجتمع الصهيوني بكامله . ففي تركيبه وممارساته ، يعكس الكيبوتز صورة صادقة عن التناقضات المجتمعية الكامنة في الدولة التي يعمل داخلها كما يظهر بوضوح التباعد بين ادعاءات الصهيونية ووقائعها . فالكيبوتز مثل الدولة الاسرائيلية ، لا يستطيع الاستمرار دون المساعدات المالية التي تأتيه من الخارج في الوقت نفسه الذي يجاهر فيه بمنجزاته المعجزة . وفيما يجمع الكيبوتز بين المزاعم الاشتراكية والممارسات الرأسمالية تصطدم توهمات المساواة فيه بوقائع الفروق الطبقية .

نظريا ، يقال ان الكيبوتز مستوطنة جماعية حيث الملكيةالجماعية والعمل الانتاجي المشترك والمراقبة العامة في الاجتماعات العامة للاعضاء وحيث القرارات تتخذ جماعيا على أساس ديموقراطي . وعناصر المساواة والاشتراكية والديموقراطية التي تنسب الى الكيبوتز قد احرزت له الشهرة والاعجاب في اوساط بعض المفكرين وحتى بعض اليساريين منهم وخاصة في الغرب . وبالدعاية الواسعة التي تحيط احزاب اليسار الصهيوني مستوطناتها الجماعية ، بات الكيبوتز يعتبر مثالا للبدائل الممكنة للمجتمع الطبقي . فمبادىء الملكية الجماعية والقرارات الجماعية التي ارتبطت باسمه اعتبرها بعض المفكرين في الغرب مثالا ينقض الاستغلال الطبقي الذي ينتج عن الملكية الخاصة والمراقبة الفردية . ولكن العنصر النظري المركزي الذي ارتبط به الكيبوتز هو التاكيد على ضرورة الانتاج الذاتي والعمل الجماعي بما في ذلك من رفض تام لاستخدام العمل المأجور . وقيل ان العمل الجماعي ضرورة للتوزيع المتعادل للثروة المجتمعية كما ان العمل الذاتي للجماعة ضرورة للحؤول دون استغلال الرأسمال للعمال المأجورين . وبهذه النظرات المثالية التي امتلكها الكيبوتز للدفاع عن نفسه ، فان المستوطنين اليهود في فلسطين باتوا يرون أنفسهم على أنهم نواة حركة تناضل في سبيل خلق المجتمع الاشتراكي . وغالبا ما توصف المستوطنات الاولى في الكتابات الحالية على أنها كانت مجموعات من الرواد المثاليين المثابرين الذين التزموا هدف مكافحة الطبيعة وغزو

التراب لتطوير الارض بأيديهم وتجفيف المستنقعات واستصلاح الصحاري والانتاج للمصلحة المجتمعية العامة واقامة اسس المجتمع الافضل .

وفي الواقع ، فان الكيبوتز اليوم بعيد جدا عن هذه الصورة المثالية . وجميع المنطلقات النظرية التي يقال ان الكيبوتز قام على أساسها تجد نفسها منقوضة في جوانب ممارساته كافة . ففكرة الانتاج الذاتي الجماعي تلقى نقيضها في استخدام العمال المأجورين من غير الاعضاء ممن يفدون الى الكيبوتز من الخارج لكي يؤدوا القسط الاوفر من اعمال الانتاج فيه . اما منجزات الكيبوتزات التي غالبا ما توصف بأنها معجزات فمشكوك فيها اذ أن جميع الكيبوتزات كانت طوال عهدها ومـا تزال تحت الديون ولن تتمكن من الاستمرار لولا الهبات المالية المستمرة التي تحصلها لها الاحزاب التي تديرها من مصادر صهيونية وغير صهيونية مختلفة معظمها من خارج البلاد . وفكرة الحكم الذاتي الديموقراطي ليست سوى تخيلات مضخمة اذ أن جميع القرارات المهمة التي تتخذ بشأن ادارة الكيبوتزات وسياساتها تأتي عن الدوائر العليا في البنى البروقراطية للاحزاب التي تديرها . واخيرا ، فان فكرة الملكية العامة لسبل الانتاج لا يمكن أخذها على محمل الجد خاصة وان معظم الكيبوتزات تقوم على اراض انتزعت من السكان الاصليين الذين ازيحوا عنها في وقت او اخر خلال تاريخ نمو الصهيونية وسيطرتها في فلسطين .

شكلية الجماعية : استخدام عمال الاجرة

ان استخدام العمال المأجورين من غير الاعضاء تد ازداد ازديادا مطردا خلال العقود الاخيرة حتى بات يشمل النشاطات الاقتصادية كافة في الكيبوتز . ففي الزراعة يستخدم العمل المأجور على شكل واسع على الرغم من أن معظمه ، لا يتخذ شكلا دائما نظرا لتغاير الطلب عليه في المواسم المختلفة . ومعظم عمال الاجرة في حقل الزراعة هم من العرب ممن كانوا قد بقوا بالبلاد بعد نزوح الاكثرية من السكان الاصليين عام ١٩٤٨ ويتم استخدامهم بشكل جماعات على أساس يومي او اسبوعي . ويتناول هذا النوع من العمل المأجور النساء والاطفال في كثير من الاحيان وخاصة في مواسم الحصاد حين يقومون بأعمال قطف القطن والحمضيات واعمال مماثلة . والكيبوتزات واتحادات الكيبوتزات غالبا ما تعتذر عن هذه الممارسات في محاولاتها للحفاظ على سمعة مثاليتها. وعلى سبيل المثال نذكر ان بوريس ستيرن في كتابه ، **الكيبوتز الذي كان** (واشنطن ، ١٩٦٥) ، اقتطع فقرة من تقرير للجنة مشتركة من الكيبوتزات يأسف التقرير على حد ما ورد فيه لهذه الممارسات ويقول : « لقد علمنا عن بعض الاعمال الفظيعة التي تقوم بها بعض الكيبوتزات التي تستغل العمال غير المنظمين ومعظمهم من النساء والاطفال ممن يستخدمون في قطف القطن والتعشيب والاعمال المشابهة . ويتم استخدام العمال في هذه الحالات عن طريق افراد من المقاولين بطلب من الكيبوتز . ويتعهد هؤلاء احيانا القيام بالعمل المطلوب بالجملة مستخدمين العمال غير المنضمين الى الهستدروت مقابل اجور وظروف دون مستوى الهستدروت » .

وعلى الرغم من نبرة الاستياء التي ينم عنها القول أعلاه لا يجب ان يفترض انه قد وضع حد لهذه الممارسات في الكيبوتزات . والملاحظ هنا ان موضوع الانتقاد ليس استغلال العمال المأجورين من نساء واطفال بحد ذاته بل موضوع الاهتمام هو أن هؤلاء عمال « غير منظمين » — أي لا يدفعون اقساط الانتماء الى الهستدروت . ويبدو ان استخدام العمال المأجورين من العرب في الاعمال الزراعية أصبح خلال السنوات الاخيرة مترسخا في العملية الانتاجية في الكيبوتزات . وتحرص الكيبوتزات في الوقت نفسه على اخفاء المعلومات عن استخدامها للعمل المأجور بما في ذلك من امتناع عن توفير الاعداد الاحصائية حول المسألة واصدار التصريحات العلنية التي تؤكد مرارا ان هذا التطور

لا يؤثر على طابع الكيبوتز الاساسي . ولذلك فلا يمكننا اعطاء فكرة دقيقة عن نسبة الدور الذي يقوم به العمل المأجور في الانتاج الزراعي للكيبوتز ، الا انه من المرجح انه يشمل معظم العمل الثقيل اللاتقني وغالبا — في بعض المواسم — ما يفوق عدد العمال المأجورين الذين يعملون على اراض الكيبوتز عدد الاعضاء العاملين فيه .

ان استخدام العمل المأجور يتخذ شكلا اكثر وضوحا في حالة النشاطات الصناعية التي تقوم بها الكيبوتزات . وان جميع الكيبوتزات وباستثناء أصغرهـا ، تمتلك مصنعا أو مصنعين أو اكثر يديرها اعضاؤها اما في اراضي الكيبوتز نفسه او خارجها . وبعض المصانع التي على اراضي الكيبوتزات تستخدم أعدادا قليلة من المأجورين في حين ان بعضها الآخر يستخدم المئات في المصنع الواحد . فمصنع رقائق الخشب في كيبوتز أفيكيم مثلا يستخدم أكثر من ٦٠٠ عامل اكثريتهم عمال مأجورون من غير الاعضاء الذين يقيمون في المنطقة المجاورة . وكذلك الامر بالنسبة لمصنع عين هاشوراش الذي ينتج البراميل وأوعية التنك ، ومصنع الآلات في كيبوتز ايلون حيث يستخدم في كل من هذين المصنعين عدد لا يستهان به من عمال الاجرة .

بالاضافة الى المصانع التي تقام في مواقع الكيبوتزات ، هناك المصانع « الخارجية » التي تقام خارج اراضي الكيبوتزات واحيانا بعيدة عنها في مناطق اخرى كليا مع ان الكيبوتزات هي التي تملكها وتديرها بينما يأتي العمال المأجورون من البلدات والقرى المجاورة لتأدية القسط الاكبر من أعمال الانتاج . وتقع هذه المنشآت الصناعية احيانا ضمن ملكية كيبوتز واحد أو ضمن ملكية عدد من الكيبوتزات التي تشترك في ملكيتها بحيث تكون الادارة بيد اتحاد الكيبوتزات المعنية . وهذه حالة مصنع الفورمايكا ، سفن ، في وادي الاردن الذي له مكانة مهمة في الصناعة الخشبية بالبلاد ويستخدم بضع مئات من عمال الاجرة . كما تشترك الكيبوتزات أحيانا مع الوكالة اليهودية او الهستدروت او الرأسماليين الافراد في امتلاك هذا النوع من المنشآت الصناعية التي تتولى ادارتها « لجنة » مشكلة من بضعة أفراد معظمهم من اعضاء الكيبوتز او الكيبوتزات المعنية بحيث يقوم احدهم بدور المدير الفعلي .

شرح فرديناند زوايغ ، الباحث البريطاني المختص في الشؤون العمالية ، في كتابه **العامل الاسرائيلي** (نيويورك ، ١٩٥٩) كيف ان الكيبوتزات لا تتشارك في منشآتها مع الرأسمال الخاص فحسب بل تشترك كذلك في التكتلات الاحتكارية وتكتلات الصناعيين التي تتعاون في مراقبة أسعار المواد الخام وتحددها وتقتسم الاسواق فيما بينها . وذكر الباحث ايضا أن الكيبوتزات تحصل على القروض المالية ليس من المصارف الخاصة فقط بل كذلك من الافراد مقابل فوائد سنوية غالبا ما تبلغ نسبتها اكثر من عشرين بالمئة . وهذا ما يجعل الكيبوتزات اجهزة قيمة لبعض الرأسماليين المحليين في البلاد اذ انها ، باقتصادها القائم على المساعدات الصهيونية ، غالبا ما تسهم في ممارساتها الفعلية باثراء أفراد الرأسماليين ممن تتعامل معهم بشروط مؤاتية ومربحة . وهذه الصفات مجتمعة هي التي تجعل الكيبوتز شريكا وحليفا مفيدا لتكتلات الراسماليين في البلاد . والتصرف الرأسمالي الواضح للكيبوتزات في علاقاتها مع المجتمع الاوسع قد شكلت ولا شك سبب ارتياح للراسماليين المحليين ولمحبذي الراسمالية من مؤيدي اسرائيل في الخارج . الا انها على ما يبدو لم تثبط عزيمة بعض مؤيدي الصهيونية من اليساريين في الغرب الذين يرتأون تجاهل هذه الصفات الراسمالية فيقولون ان ممارسات الكيبوتز الرأسمالية تقتصر على علاقته الخارجية بالمجتمع الاسرائيلي ويبررونها على انها ضرورة يفرضها وجود الكيبوتز في مجتمع رأسمالي . لذلك نرى أن الكثيرين من اليساريين الذين تكلموا عن الكيبوتز في الغرب يصرون على اشتراكية الكيبوتز الداخلية . وقد ظهر هذا التفريق بين رأسمالية الكيبوتز الخارجية واشتراكيته الداخلية في كتاب **اسرائيل والغرب**

(بنكوين ، ١٩٦٨) الذي اتفق فيه المفكر الماركسي الفرنسي ، ماكسيم رودنسن، مع جورج فريدمان القائل ان الكيبوتز «هو دون شك اشتراكي الشخصية» ثم عاد وطرح القول ان العلاقات القائمة داخليا بين اعضاء الكيبوتز لا تهم ما دام في علاقاته الخارجية يتصرف مثل اي مؤسسة راسمالية اخرى . ومجرد استخدام العمال المأجورين يجعل مسألة الاشتراكية « الداخلية » للكيبوتز صعبة الهضم . فعمال الاجرة الذين يعملون طوال النهار في حقول الكيبوتز ومصانعه لن يشعروا بالتعزية لمجرد اقتسام اعضاء الكيبوتز لثمار عملهم الانتاجي جماعيا وبالتساوي .

لا يمكن تحديد الدور الذي يلعبه انتاج العمال المأجورين في انتاج اقتصاد الكيبوتز عامة تحديدا دقيقا . ومعالجة مسألة كهذه تتطلب عملية حصر اقتصادية نظرية معقدة تفصل بين المساهمة الانتاجية المباشرة للعمال ومساهمة الاعمال التقنية والادارية . ونعلم ان القسط الاكبر من عمل الانتاج يأتي على أيدي عمال الاجرة من غير الاعضاء . الا ان اتحادات الكيبوتزات الخمسة تحرص على كتمان الارقام عـــن نسبة عمال الاجرة في منشآتها . ولا غرابة في ذلك ، فسمعة الكيبوتز على أنه مجتمع العمـــل الذاتي حيث الانتاج الجماعي والمساواة ، قد اكسبت دولة اسرائيل والاحزاب الصهيونية التي تدير دفتها ، الشهرة والفائدة العملية من حيث نيل التأييد وجمع التبرعات في الخارج . وعلى الرغم من ذلـــك فلدينا الكافي من الادلة التـــي تثبت بشكل تقريبي أن عمـــال الاجرة يشكلون نسبة كبيرة من العاملين في زراعة الكيبوتز ومنشآته الزراعية والصناعية وانهم يقومون بالقسط الاوفر من الاعمال الثقيلة او اعمال « القبات الزرقاء » كما اصطلح على الاشارة اليها . وحتى اتحاد الكيبوتزات (آرتسي) التابع لحزب المابام ، وهو أكثـــر الاحزاب الصهيونية مغالاة بشعاراته اليسارية الاشتراكية ، يستخدم نسبة عالية من عمال الاجرة في كيبوتزاته . ففي مؤتمر عقده هذا الاتحاد في عـــام ١٩٦٣ ، حين كان الحزب الذي يديره خارج الائتلاف الوزاري ، اعترف الاتحاد أخيرا ان ٢٧ ٪ من العاملين في مصانعه وورشاته الصناعية هم من عمال الاجرة من غير الاعضاء . ولا شك ان هذه النسبة اقل منها في أي من اتحادات الكيبوتزات الاخرى التي لم تعلن قط عن الارقام المعنية . وان كان هذا الرقم المعترف به أصغر في اتحاد آرتسي منه في الاتحادات الاربعة الاخرى ، فليس ذلك لان هذا الحزب الذي يدعـــي عقيدة مـــا يسمى بالماركسية ـــ الصهيونية ، قد باشر باتباع سياسة استيعاب عمال الاجرة في عضوية كيبوتزاته ، بل لانه جهد للحفاظ على سمعته وسمعة كيبوتزاته وتقليل استخدام عمال الاجرة عن طريق تركيز منشآته الصناعية في تلك المجالات التي تعتمد على قدر اعلى من التقنية والآليات واقل قدر من القوة العاملة . وللاسباب نفسها سعى اتحاد الكيبوتزات ايحود التابع لحزب الماباي لتقليل استخدام عمال الاجرة في الزراعة عن طريق اقامة منشآت زراعية سميت « تعاونيات الانتاج والتطوير » ترتبط بكيبوتزاته ، اداريا ومن حيث تزويدهـــا بالآليات والسماد وتسويق الانتاج على أن يبقى هذا الارتباط غير رسمي وعلى ان يتم تنظيم عمال الاجرة فيها بحيث يقومون بأعمال الانتاج في الزراعة دون أن يكونوا مأجورين مباشرة على أيدي الكيبوتزات .

على الرغم من ارتفاع نسبة استخدام عمال الاجرة في الزراعة وفي المصانع التي تمتلكها الكيبوتزات ، الا ان الكتاب الصهيونيين عن الكيبوتز يمتدحون منجـــزاته ويتفاخرون بقدراته الانتاجية ، وينسبونها الى أعضاء الكيبوتزات . وربما افضل مثال على هذه المغالطات ما ورد في كتاب بوريس ستين المذكور أعلاه حيث يقول : « بأقل من ٤ ٪ من مجموع سكان البلاد ونحو ٢٦ ٪ من السكان الزراعيين يمثـــل اقتصاد الكيبوتز نحو ٣٠ ٪ من انتاج البلاد الزراعي ونحو ٤ ٪ الى ٥ ٪ من مجموع الانتاج الصناعي في البلاد » . وبهذا ينسب المؤلف كامل انتاج اقتصاد الكيبوتز الى عضويته دون الاخذ

بعين الاعتبار الدور الكبير الذي يلعبه عمال الاجرة في الانتاج . وفيما يتعلق بمشاريع الكيبوتز الصناعية فنعلم من ابراهام بن يوسف في كتابه **افق ديموقراطيـــة في العالم** (اونيسكو ، ١٩٦٤) ان منشآت الكيبوتزات الصناعية كانت منذ عام ١٩٥٩ تستخدم نحو عشرة آلاف عامل (أي بما في ذلك عمال الاجرة) مما يعادل ٧ ٪ من مجموع القوة العاملة في الصناعة في البلاد . ومقارنة هذه النسبة ٧ ٪ من عمال الصناعة الى نسبة ٤ ٪ او ٥ ٪ من الانتاج الصناعي لدى ستين توضح بشكل تقريبي حالة عدم القدرة الانتاجية التي يتصف بها الكيبوتز . ولا شك ان تحريفا مشابها ينطبق على أرقام ستين من حيث الانتاج الزراعي .

ان الكيبوتزات تحظى بمعاملة مفضلة ومتميزة من جانب المؤسسة الحاكمة في اسرائيل . ولا شك ان ذلك يتعلق بالدور التاريخي الذي لعبه الكيبوتز في تثبيت أقدام الاستيطان الصهيوني في فلســـطين . وتزود المؤسســـات الصهيونية الحكوميـــة وغـــير الحكوميـــة الكيبوتز بالكثـــير من متطلباتـــه مـــن حيث المساعدات المالية والتسهيلات المتعلقـــة بالمواد الاوليـــة وتسويـــق منتجاتهـــا . وعلى مرور السنـــين فقد قدمت كل من الوكالة اليهودية والحكومة الاسرائيلية للكيبوتزات مساحـــات شاسعة مـــن الاراضي العربية مجانا أو مقابل ايجار اسمي . كما نالت الكيبوتزات معاملة مفضلة من حيث توفير مياه الري والاعفاء من الضرائب وتقديم المساعدات والهبات المالية والقروض المعفاة من الفوائد أو بفوائد مخفضة ــ هذا بالاضافة الى التدابير الخاصة التي تتخذ لحماية تصريف منتوجات الكيبوتزات في الاسواق .

وبقاء الكيبوتز ذا قدرة انتاجية منخفضة نسبيا على الرغم من هذه الاعتبارات ، بما في ذلك وقوعه الدائم تحت الديون واعتماده المزمن على المساعدات ، موضوع قلما تتناوله البحوث الصهيونية حول الكيبوتز بشكل واضح وصريح . فأكثرية الكتابات الحالية تعيد « مشكلات » الكيبوتز الحالية الى أسباب بعيدة وغامضة مثل متطلبات التحديث الآلي والتشعب التقني والتدقيق الاداري والتكيف الثقافي وأسباب أخرى كثيرة . وفي كتاب بعنوان **اقتصاد الكيبوتز الاسرائيلـــي** (كامبـــردج ، ماس ، ١٩٦٦) ، أدرج المؤلف الصهيوني الياهو كانوفسكي لائحة طويلة من العوامل الداخلية والخارجية التي قال انها تسهم في اضعاف قدرة الربح في اقتصاد الكيبوتز . ونخص بالاهتمام اثنين من العوامل العديدة التي وردت في لائحته لوضوحهما وعلاقتهما الحقيقية والمؤثرة فعليـــا في انتاجية اقتصاد الكيبوتز : أولا ، التباعد الظاهر بين مستوى معيشة الكيبوتز وقدرته الانتاجية الحالية وثانيا ، تضخم الجهاز الاداري البيروقراطي في الكيبوتز واتحادات الكيبوتزات من حيث « نشاطاتها السياسية والمسائل العامة الاخرى » . ولا يسعنا هنا معالجة التضخم البيروقراطي اذ يتطلب ذلك بحثا مطولا في تضخم التركيب الاداري للاحزاب الصهيونية ولاتحادات الكيبوتزات التي تشرف عليها هذه الاحزاب بما في ذلك تضخـــم تكاليف النشاطات الاعلامية الحزبية التي تشهدها الكيبوتزات ضمن الحياة السياسية الاسرائيلية وتكاليف النشاطات الاعلامية التي تستخدم من أجلها الكيبوتزات لنيل التأييد لمزاعم اشتراكية لاسرائيل عالميا . ولا نستطيع هنا ســـوى الاشارة فقط الى الطابع البيروقراطي الذي يتصف به الكيبوتز في ادارة منشآتـــه حيث باتت عضويـــة بعض الكيبوتزات لا تمثل سوى شريحة ادارية لا انتاجية تراقب عملية الانتاج التي يؤديها عمال الاجرة ، مما يقودنا الى النظر في التفاوت بين مستوى معيشة الكيبوتز وقدرته الانتاجية الحالية .

في الكتاب الذي صدر للصهيوني الفرنسي جورج فريدمان بعنوانه الاسكاتالوجي : **نهاية الشعب اليهودي ؟** جاء المؤلف على وصف للكيبوتزات التي قام بزيارتها ودراستها في اسرائيل . وقد وصف كيف ان العديد من الكيبوتزات اصبح مؤسسات متـــرفة ومنمقة

تمتلك مستوى معيشيا مرتفعا . وذكر على سبيل المثال كيف أن الكيبوتزات تحتوي على احدث الآلات واثمنها ، من الطباخات الكهربائية وغاسلات الصحون في مطابخها الى آلات الكوي المعقدة في دور الغسيل فيها . وفي وضع حدائقها وبرك السباحة فيهسا ومتاحفها الخاصة ومكتباتها الترفيهية ودور الموسيقى والمسارح فيها ونوادي الاعضاء والمشابهة للمقاهي فيها تبدو وكأنها مراكز ترفيه أكثر منها مستوطنات اشتراكية ذات منطلق عمالي جماعي . وانتهى المؤلف في كتابه بالقول : « ان الكيبوتز يصبح مؤسسة مريحة بازدياد ويتحول بذلك الى مكان مناسب للاستجمام » . كما ان كتابا آخرين قد سجلوا ميل الكيبوتز مؤخرا الى اجتذاب المسنين ممن يرون فيه مكانا مناسبا للتقاعد . والمعنى الكامل لهذا الوصف للكيبوتز لا يمكن استيعابه دون التذكير بالاوضاع المعيشية المتردية التي تعيش فيها الاكثرية من اليهود الشرقيين في البلاد ، ان كان ذلك في القرى الموزعة في المناطق النائية (قرى التطوير كما يشار اليها) وفي الاحياء الفقيرة المزدحمة التي يقيمون فيها في المدن . كما لا يمكن ادراك هذا المعنى الكامل دون التذكير مجددا باعداد عمال الاجرة الذين يعملون فيالكيبوتزات التي تحصل على أوفر المساعدات المالية الصهيونية .

ان بعض الكتاب اليساريين من مؤيدي الصهيونية او المعتذرين لها ، بمن فيهم أحيانا المتكلمون بلسان أحزاب اليسار الصهيوني المابام وأحدوت والمباي ، يعيدون معضلة ضعف قدرة الكيبوتز الانتاجية الى تأثيرات السوق الخارجية في المجتمع الراسمالي عامة . وغالبا ما نجد في هذا المضمار ترديد القول بأن الاسعار الاحتكارية التي تبتزها السوق الراسمالية مقابل مشتريات الكيبوتز والاسعار المنخفضة التي يحصل عليها في تصريف منتجاته هي العوامل الرئيسية التي تجعل الكيبوتز غير قادر على تحقيق الاستقلالية الاقتصادية . وبغض النظر عن مزاعم الاشتراكية الداخلية للكيبوتز التي تنم عن مثل هذا المنطلق ، فقد سبق ان ذكرنا كيف ان الكيبوتز يشارك التكتلات الراسمالية التي تسيطر على الاسواق في البلاد . وفضلا عن ذلك ، فلا بد من التذكير بأن الكيبوتز نشأ ونما في وسط مجتمع رأسمالي في فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وان ازدياد مشكلاته الاقتصادية بعد قيام دولة اسرائيل وتحت اجنحة أحزاب اليسار الصهيوني الحاكمة يدل على أن المسألة لا يمكن تفسيرها بطابع المجتمع الراسمالي فقط بل تتناول طابع الكيبوتز نفسه وطابع أحزاب اليسار الصهيوني التي تشرف عليه . والكلام عن عدم قدرة الكيبوتز الانتاجية النسبية اثير بشكل متزايد بعد قيام دولة اسرائيل وخاصة في النصف الثاني من الخمسينات . كما ان ازدياد استخدام عمال الاجرة بشكل ملحوظ يعود الى ذلك التاريخ . وقد شهدت عضوية الكيبوتزات منذ ذلك الحين انخفاضا عدديا نسبيا بالمقارنة الى ازدياد السكان اليهود في البلاد عامة .

ان الاسباب التي تعطى لتفسير ميل الكيبوتز المتزايد الى استخدام عمال الاجرة وتحوله الى اقامة المشاريع الرأسمالية الصرفة خارج الكيبوتزات غالبا ما تنم عن منهج تبريري قد يضلل معرفة الهوية المجتمعية التي يتصف بها الكيبوتز . وفي مقالة عن **اليسار الصهيوني في اسرائيل** اصدرتها المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ لابراز زيف اليسار الصهيوني جاء تفسير التحول الى العمل المأجور باعادة اثارة مسألة متطلبات السوق الرأسمالية عامة كما اضيف الى ذلك عامل النقص في القوة العاملة في عضوية الكيبوتزات . وجاء في المقالة : « ان جميع الكيبوتزات واقعة تحت الديون للحكومة والبنوك الخاصة والشركات . ولولا المساعدات المستمرة من المؤسسات الصهيونية لما تمكنت الكيبوتزات من الاستمرار . فالوقود والنقد والسماد والماء والكهرباء يتوجب شراؤها من مصادر خارجية . كما يترتب على منتوجاته ان تزاحم في الاسواق المنتوجات الاخرى — احيانا منتوجات الفلاحين العرب . وقد تبين ان

الكيبوتز غير قـــادر على المزاحمة فابقي عليـــه بواسطـــة المعونات الصهيونيـــة . ومواجهة لهذا الواقع ، تحول الكيبوتز الى النشاطات الصناعية بداية بتصنيع منتجاته الزراعية ومنه تدريجيا الى الحقول الاخرى مثل انتاج اللدائن (البلاستيك) والاواني الفخارية والاثاث وأنواع أخرى من السلع الصناعية الخفيفة . الا أن القلة من سكان الكيبوتز (بضع مئات) لم يقدروا أن يوفروا القوة العاملة الكافية لكل مـــن الصناعة والزراعة . وبما ان التخلي عن النشاطات الزراعية يعتبر خيانة لمبادىء الصهيونيـــة الاشتراكية ، اضطر الكيبوتز الى استخدام عمال الاجرة من القرى المجاورة . وهكذا أصبح المجتمع الجماعي في الكيبوتز مجتمع استغلال جماعي للعمل المأجور » .

ان كانت الوقود والاسمدة والمياه والكهرباء تشترى من مصادر خارج الكيبوتز ، فلا بد من الملاحظة هنا انها متوفرة للكيبوتز بظروف مؤاتية من المصادر الصهيونية الرسمية . ويكفي التذكير هنا ان في اسرائيل سعرين متفاوتين لميـــاه الري ، الواحد يطبق على العرب والآخر يطبق على اليهود في الكيبوتزات . وان بقاء منتوجات الكيبوتز غير قادرة على الرغم من ذلك على مزاحمة منتوجات الفلاحين العرب ، يشير الى واقع اتصف به الكيبوتز طوال تاريخ وجوده في فلسطين . والواقع فان المبرر الاول لوجود الكيبوتز وتقويته بالمعونات الصهيونية في مستوى معيشي جيد نسبيا كمن في قدرته على الاستمرار والنمو في وجه مزاحمة انتاج الفلاحين العرب للتواجد الاقتصادي الصهيوني في البلاد*. وعدا ذلك ، فان وصف التحول الى العمل المأجور أعلاه ، لا يوضح لماذا لم ينتج عن توسع الكيبوتز الى الصناعة انضواء القوة العاملة الاضافية في عضوية الكيبوتز ، خاصة ونحن نعلم ان ثمة نحو ١٠ ٪ من أعضاء الكيبوتزات يعملون خارج الكيبوتز كليا : في المكاتب الحكومية والهستدروت وادارة المكاتب التجارية وادارة المصانع وبيروقراطية الاحزاب والجيش ومنهم من لا يقيم في الكيبوتز ومع ذلك يظل معتبرا عضوا على أساس انه يعود الى الكيبوتز يوم السبت . والقول أن الكيبوتز **اضطر** الى خيانة مبادىء الانتاج الجماعي التي يدعيها من أجل الحؤول دون خيانة مبادىء الاشتراكية الصهيونية بتخليه عن الزراعة ، لا يشكل سوى حلقة مفرغة تخدم في تبرير ممارسات الكيبوتز وادعاءاته كما تسهم في مغالطة مبادىء الاشتراكية ـــ الصهيونية . وان كانت عضوية الكيبوتزات قلة ـــ ويتراوح عددها بين ٣٠ في أصغرها الى ١٣٠٠ في أكبرها ـــ قد واجهت النقص في القوة العاملة ، فان السوق العمالية في البلاد بمجملها لم تكن تواجه مثل هذا النقص . وفي الواقع ، ففي أوائل وأواسط الخمسينات حين اتسع استخدام عمال الاجرة بشكل لم يسبق له مثيل ، كانت القوة العاملة الاسرائيلية تعاني من نسبة عالية من البطالة وخاصة في أوساط المهاجرين الجدد من اليهود الشرقيين الذين زجتهـــم السلطات في « المعبرات » ومخيمات الانتقال المزدحمة لينتظروا فيها ، أحيانا لسنوات ، فرص ايجاد العمل .

الكيبوتز واليهود الشرقيون : تبدد الاشتراكية ؟

ان المصادر الصهيونية ، الكتابات الاكاديمية أو تصريحات المسؤولين منها ، تتفق كافة على ان موجة الهجرة من الشرقيين التي قدمت في أوائل الخمسينات كانت العامـــل الرئيسي وراء انحدار الكيبوتز العددي نسبة الى تطور عدد سكان البلاد عامة . ونتج عن قدوم مئات آلاف المهاجرين في هذه الموجة العارمة مضاعفة عدد السكان اليهود بالبلاد دون أن يسهم بأي شكل يذكر في زيادة عدد المقيمين في الكيبوتزات . فعدد الاعضاء الشرقيين في الكيبوتزات اليوم ضئيل للغاية ، مع العلم ان الشرقيـــين باتوا يشكلون أكثرية السكان اليهود في البلاد كما انهـــم يوفرون أكثرية عمـــال الاجرة في المنشآت

---

* ستعالج هذه المسألة في مقالة مقبلة حول تاريخ نمو الكيبوتز .

الصناعية التي تملكها الكيبوتزات . والتفسير المعروف والذي يتكرر دائما في هذا المجال هو ان الشرقيين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الافكار الاشتراكية والمثالية التي يقال ان الكيبوتز انبثق عنها ، فلم يستطيعوا تقدير الكيبوتز والتكيف مع طريقة عيشه ولم يبدوا اي اهتمام بالانضمام اليه . حتى المفكر الماركسي اليهودي المعروف ، اسحاق دويتشر ، ارتأى أن يتقبل هذه المزاعم ويقتنع بها . ففي مقالة كتبها عـــام ١٩٥٤ بعنوان **المناخ الروحي في اسرائيل** (واعيد نشرها في مجموعة مقالات صدرت له في نيويورك عام ١٩٦٨ بعنوان **اليهودي اللايهودي**) تكلم المؤلف عن الوضع العام في اسرائيل آنذاك ووضع اللوم لانحدار « مناخها الروحي » على قدوم سيل المهاجرين الشرقيين وردد فيها القول القائل ان الشرقيين أنفسهم لم يريدوا الانضمام الى الكيبوتز . وقال « عشرات الالوف من هؤلاء المهاجرين ما زالوا يعيشون على الاعانات في مخيمـــات الانتقال المزدحمة . وبعضهم يرفض حتى الانتقال الى مجموعات الشقق التي بنتها الحكومة لهم . ويفضلون أن يستمروا في العيش على المعونات في خيامهم المهترئة على أن يدفعوا ايجار السكن في البيوت الجديدة . والبعض منهم يعود فيغادر البلاد الى تونس والمغرب . واقتصاد البلاد لا يستطيع استيعابهم الا ببطء وصعوبة . والكيبوتز يدعوهم للانضمام الى صفوفه كأعضاء متساوين دون جدوى . فدكان متداع لبيع التوافه البالية أو كشك لبيع الدخان في مكان ما في المدينة يستهويهم ألف مرة ويبدو لهم افضل مـــن جميع عجائب الكيبوتز التعاونية وحتى مستوى المعيشة العالي نسبيا فيه » .

من المستغرب ان مفكرا ماركسيا مثل دويتشر يطرح اقوالا ذاتية كهذه ويذهب في القول ان الشرقيين فضلوا خيامهم على البيوت الجديدة ومخيماتهم علـــى المستوى المعيشي العالي في الكيبوتزات . اما القول عن دعوة الكيبوتز للشرقيين للانضمام الى صفوفه كأعضاء مساوين فهو مشكوك فيه . وربما كان دويتشر يردد بهـــذا القول الروايـــة الاسرائيلية « الرسمية » التي يرددها زعماء اسرائيل كافة بداية من بن غوريون الذي يبدو انه كانت للمؤلف لقاءات معه تظهر الاشارات اليها مرارا في هذه المقالة . والرواية الرسمية هي التي تقول ان الشرقيين لم يكن لهم أي اهتمام بالانضمام الى الكيبوتز .

وقد كان بن غوريون قد طرح هذه الرواية في خطاب وجهه الى الكيبوتزات نقل في صحيفة هآرتس في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ أعطى فيه الكيبوتزات والمدافعين عنها المبررات التي لم يتوقف تكرارها منذ ذلك الحين . ففي هذا الخطاب « اتهم » بن غوريون الكيبوتز بالانعزال والتشقق والاستبداد وعدم المسؤولية وأهم من ذلك كله ، على حد قوله آنذاك ، اهمال حشود المهاجرين وتبريره بالقول « ماذا يمكننا أن نفعل طالما انهم لا يريدون القدوم الى الكيبوتز ؟ » .

ان الشرح المتبع لتفسير ما يقال عن عدم اهتمام الشرقيين بالكيبوتز يتخذ طابع المقارنة الثقافية الحضارية الغامضة . وعلى حد قول بوريس ستيرن في كتابه المذكور أعلاه ، من بين العديد من الكتاب الصهيونيين ، « ان الشرقيين قد نفرتهم طريقة عيش الكيبوتز نظرا لاصطدامها بالمفهوم الشرقي للعائلة على انها المركز الاقتصادي الاجتماعي الديني الرئيسي تحت سلطة الاب المطلقة (البطريرك) الذي هو رب العائلة » . وهذا الوصف التوراتي للمجتمع الشرقي يرسم النظرة الاوروبية المتبعة في أوساط دارسي علم الاجتماع ويعكس الى حد بعيد الماضي القريب للمستوطنين انفسهم قدر ما ينطبق على المجتمع الشرقي . ولا مجال هنا لمعالجة وافية لمقارنة الخصائص والصفات الاجتماعية في بيئة أوروبه الشرقية وفي بيئة الشرق الاوسط . الا ان المستوطنين اليهـــود الاوائل الذين يقال انهم انشأوا الكيبوتزات الاولى هم كذلك قدموا من بيئة اجتماعية محافظة في شرقي أوروبه كانت تتصف بنظام العائلة المطلقة تحت سلطة الاب كما كانت بذلك في كثير من الاوجه اكثر تمسكا بالتقاليد من البيئة المتوسطية التي جاء منها المهاجرون الشرقيون

الجدد . وان قيل انه كان للشرقيين خلفية اجتماعية مدينية حرفية ومركنتيلية الطابع في المدن الاوسطية فذلك ينطبق كذلك على خلفية المهاجرين من شرقي أوروبه حيث كانت هذه الصفات نفسها تميز التجمعات اليهودية في اقطارها هنـــاك . وكذلك لا يمكننا ببساطة ان نعزو انعزال الشرقيين عن الكيبوتز الـــى الفروق الثقافية الغامضـــة . فالقرية الاوسطية كانت قائمة تاريخيا على اساس الجماعية في ملكية أراضي المراعي والاراضي الزراعية (المشاع) وتوزيع ميـــاه الري . والتركيب « الحديث » للقـــرية الاوسطية لم يأت الا بعد تسلل الغرب الراسمالي في النصف الثاني من القرن الماضي وسيادة نظامه الاقتصادي في المنطقة خلال القرن الحـــالي . وليس هناك في الخلفية التقليدية للمجتمع الاوسطي ما يجعل التكيف مع نظام الكيبوتز الجماعي ــ هذا اذا كان بالفعل جماعيا ــ اصعب بالنسبة لليهود الشرقيين منه بالنسبة للغربيين الذين انجرف معظمهم الى المنطقة من البلدان اليهودية في شرقي أوروبه .

كما ان القاء لوم انصراف الكيبوتز عن استيعاب الشرقيين على نظام العائلة الشرقية لا يفسر استثناءه لآلاف المهاجرين من الشبان والشابات الشرقيين الذين جيء بهم وحدهم الى اسرائيل تاركين وراءهم المسنين من أهلهم في بلدان شمالي افريقيـــه . وهجرة الشباب بمعزل عن المسنين هذه جاءت نتيجة لقوانين الهجرة الانتقائية التي وضعت لدولة اسرائيل وقد أوردها الياس سعد في دراسة **الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة** (م. أ. بيروت ، ١٩٦٩) والتي وصف وضعها في موضع الممارسة الفعلية على أيدي المسؤولين الصهيونيين عن التهجير في مدن شمالي افريقيه الكاتب الصهيوني لاهرمان في مقالة بعنوان « يهود المغرب يدخلون القرن العشرين » ظهرت في مجلة **كومنتاري** في مجلدها رقم ٢٠ عام ١٩٥٥ . ويبدو انه قامت في البداية بعض المحاولات التي ، وان كانت مترددة ، سعت لادخال بعض أفراد المهاجريـــن الشباب في الكيبوتزات . ولكن سرعان ما تم التخلي عن هذه المحاولات نظـــرا للتوتر الذي قيل انه كـــاد ينشب بين الشرقيين والغربيين . والسبب الرسمي الذي أعطي لتوقيف هذه المحاولات هو انها كانت باهظة التكاليف بالنسبة للحكومة والوكالة اليهودية والكيبوتزات نفسها . الا ان واقع المسألة هو ان هؤلاء الشباب لم يقبلوا في الكيبوتزات التي أظهر اعضاؤها الغربيون ازدراء للشرقيين وتحاملا ضدهم .

لا حاجة بنا هنا لطرح تفاصيل التحامل والتمييز العنصري الذي يلقاه اليهود الشرقيون (الســـفرديون) على أيدي الغربيين (الاشكنازيين). فقد عولجت هذه المسألة في كتاب الياس سعد المذكور اعلاه كما عولجت بالتفصيـــل في دراسة أعدتها هيلدا شعبـــان صايغ بعنوان **التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل** (م. أ. ، بيروت ، ١٩٧١) . الا أننا نكتفي هنا بذكر حدث يمت بصلة مبـــاشرة الى استثناء السفرديين مـــن عضوية الكيبوتزات . ففي مقالة كتبها ملفرد سبيرو بعنوان « الصهيونية والصبرا » صدرت في مجلة **المسائل الاجتماعية** في خريف ١٩٦٧ ، تعرض فيها المؤلف لاحداث وتطورات شهدها في كيبوتز قرية يديديم التي أقام فيها وقال فيما قال كيف « ان بعض التلميذات مثلا رفضن الجلوس الى مائدة واحدة لتناول الطعام مع أولئك اليهود الشرقيين الذين يعملون في الكيبوتز . ثم روى ان احدى التلميذات نهضت وغادرت مائدة الطعام عندما جلس بقربها أحد هؤلاء العمال الشرقيين وقالت « ان الجلوس معهم يثير الاشمئزاز » .

ان التركيب الاثني المجتمعي في اسرائيل عامة يتصف باضطهاد الشرقيين والعداء لهم الا أن ذلك ينطبق على الكيبوتز أكثر من أي مؤسسة صهيونية أخرى نظـــرا لمستوى التجانس والتماسك الجماعي الذي يتجسد في تركيبه . وفي سياسة تعبئـــة العناصر الجديدة يبدو ان الكيبوتز يستخدم ما يشار اليها على انها « وسائل غربلة انتقائية » تراقب « مستوى التعليم وقدرة المخالطة والالتزام العقائدي » المطلوبة للانضواء الى

الكيبوتز . ويقال ان استخدام هذه الوسائل انعكاس عضوي لمفهوم الكيبوتز على انه مجتمع منتقى يتفوق في طريقة حياته الخاصة على المجتمع الاوسع وانه لم يعتبر في اي يوم من الايام مثالا على الجميع اتباعه . الا ان وسائل الغربلة الانتقائية التي من شأنها تأمين هذا المظهر المنتقى للكيبوتز قد أدت الى استثناء جميع العناصر غير المرغوب فيها من المتقدمين للانضواء ، وبالتفاعل مع الانطباعات المبتذلة التي تربط المغاربة في اسرائيل بالمشاغبة واليمنيين بالكسل ، عملت هذه الوسائل على أسس انتقائية عنصرية نتج عنها استثناء الشرقيين استثناء شبه كامل من عضوية الكيبوتزات .

ووسائل الغربلة الانتقائية في الكيبوتز تخدم أهدافا اخرى للاحزاب التي تمتلك الكيبوتزات واتحاداتها . فكل اتحاد من الاتحادات الخمسة ينتمي الى حزب صهيوني يعتمد عليه كليا من حيث توفير التمويل وتوفير الخدمات له ومن ثم من حيث التبعية التنظيمية السياسية . وفي اطار التبعية هذه فان على كل عضو الولاء التام للحزب الذي ينتمي اليه الكيبوتز الذي يقيم فيه وعليه أن يلتزم بمواقف الحزب كافة والتصويت لصالحه في الانتخابات . وفي حالات عدم الانصياع لهذه التبعية يتم طرد العضو المتمرد وحرمانه من كافة فوائد انتمائه الى الكيبوتز . وفي الكتاب الذي اعطاه عضو البرلمان الاسرائيلي أوري افنيري العنوان المتناقض **اسرائيل بدون صهيونيين** ذكر المؤلف كيف ان بعض الكيبوتزات تشهد بعد كل معركة انتخابية حملة ملاحقة شبيهة بملاحقة المشعوذات لمعرفة هوية القلة من الاشخاص الذين صوتوا لحزب غير ذلك الذي ينتمي اليه كيبوتزهم . وتقول لنا مصادر اسرائيلية مختلفة ان بعض أعضاء كيبوتزات ماباي طردوا بعد تصويتهم لصالح مابام كما ان بعض اعضاء كيبوتزات مابام طردوا بعد تصويتهم لصالح الحزب الشيوعي .

لقد أظهرت الدراسات في علم الاجتماع حول الكيبوتز ان الاهتمامات السياسية والايديولوجية بين صفوف أعضائه ضعيفة جدا وان النقاش حول هذه المسائل يكاد أن يكون غائبا كليا مما يؤدي الى قيام جمود فكري وتحجر تنظيمي يؤمن استبقاء عضوية الكيبوتزات ضمن اطار تبعيتها لاحزابها وتقبل قراراتها دون أن يكون ذلك دليلا على التزامها العقائدي بهذه الاحزاب . اما الاجتماعات العامة التي تعقد في الكيبوتز والتي اعتبرت أساسا لديموقراطيته فلا يحضرها الا القلة من الاعضاء كما انها لا تعالج سوى المسائل العرضية المتعلقة بنشاطات الترفيه مثل اقامة الحفلات الموسيقية وعرض الافلام السينمائية والمسرحيات . اما القرارات الرئيسية لادارة الكيبوتزات وتحديد سياساتها الانتاجية والاقتصادية والمسائل الاخرى من حيث التمويل والاستثمار والتجهيز الآلي فتأتي عن قرارات أمانة اتحادات الكيبوتزات بالاشتراك مع أمانات الاحزاب التي تنتمي اليها . اما في الكيبوتز نفسه فان هذه القرارات توضع موضع التنفيذ ، كما يقول أ. د. كراون في مقالة له بعنوان « عالم الكيبوتز المتغير » (صدرت في مجلة **الشرق الاوسط** في خريف ١٩٦٥) ، على أيدي « جماعة ضيقة من الافراد الذين يتبادلون المراكز القيادية فيما بينهم اذ أن حضور الاجتماعات السنوية حيث تجري الانتخابات قليل وغير منتظم مما يعني ان في الكيبوتز اليوم فروقا دائمة بين الاعضاء من حيث المركز والسلطة» .

وهكذا فان فكرة الديموقراطية والمراقبة الجماعية في الكيبوتز مسألة مظاهر اسمية شأنها شأن ادعاءاته الاشتراكية ومزاعم الانتاج الجماعي فيه . ويمثل الكيبوتز في وضعه الحالي انعكاسا مصغرا لواقع المجتمع الاسرائيلي وخصائصه الفريدة من حيث احتوائه للتناقضات المجتمعية فيه . والتناقض الرئيسي في هذا المضمار يبقى التناقض بين الرأسمالية والطبقة العاملة الا انه لا ينعكس في اسرائيل بشكل مباشر وواضح بل يتخذ طابع التستر وراء هياكل تنظيمية شبه يسارية تتمثل في عضوية الكيبوتزات وبيروقراطية الهستدروت والاحزاب الصهيونية اليسارية التي تقوم بدور وسيط يفصل

بين الراسمالية والطبقة العاملة. وهذا الدور للهستدروت والاحزاب الصهيونية سيعالج في مقالتين مقبلتين . اما في الكيبوتز ، ونظرا لقيامه بدور الوساطة في عملية الانتاج الراسمالية ، فينعكس التناقض المجتمعي في التفريق بين الاعضاء وعمال الاجرة . وفي هذا المضمار ، فان تحليل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية للكيبوتز ، وان كان اعتذاري الطابع في تفسيره لتحول الكيبوتز الى العمل المأجور ، كان صائبا في استنتاجه عن وضع الكيبوتز الحالي اذ يقول : « عادة يقوم اعضاء الكيبوتز بمقام المناظرين في مصانعهم يراقبون عمال الاجرة الذين يقومون بالاعمال الانتاجية اليدوية . وعند انتهاء العمل ، يعود عمال الاجرة الى بلداتهم . وبالنسبة لهم ، الكيبوتز ليس سوى رب عمل مثله مثل اي رأسمالي آخر ــ هذا مع الفرق ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية . وعندما ينشأ اضراب في مصنع يملكه الكيبوتز يقوم أصحابه باستدعاء البوليس دون أي تردد ». ولا بد ان نضيف هنا ملاحظة حول مسألة لم يرد ذكرها في التحليل أعلاه وهي تعبير لواقع لا يمكن تجاهله : الا وهي ان هذا التناقض في الكيبوتز يتخذ أسسا اثنية حيث ان الاكثرية الساحقة في عضوية الكيبوتزات هي من اليهود الغربيين في حين ان الاكثرية من عمال الاجرة في منشآت الكيبوتز هي من اليهود الشرقيين . هذا بالاضافة الى عمال الاجرة الزراعيين العرب . وهكذا فان جماعات الرواد المثاليين التي توصف انجازاتها الاسطورية المزعومة في عبارات مثالية رنانة تجد تجسيدها في وضع الكيبوتز الحالي حيث باتت عضويته تمثل « طبقة » مرتاحة وحتى مترفة تأتي مصادر اترافها من استغلال العمال المأجورين .

الا أن الكيبوتزات اليوم ما زالت على ما يبدو تعتبر نفسها كيانات اشتراكية وحزب المابام بشكل خاص يصدر الكراسات والنشرات الواحدة تلو الاخرى للاستهلاك المحلي والخارجي يمتدح فيها الكيبوتزات واشتراكيتها ومنجزاتها . وتتوجه الصهيونية باعلامها عن الكيبوتز الى قطاعات خاصة من الراديكاليين الشباب واليساريين في الغرب وفي بلدان القارات الافريقية والاسيوية والاميركية اللاتينية مدعية ان الكيبوتز حصيلة اختبارات في الاشتراكية يمكن الاقتداء بها كمثال للعمل « الايجابي البناء » . وفيما توفر هذه الحملات الدعائية الظروف المؤاتية لنداءات اسرائيل للتبرعات التي تجمعها لهما المؤسسة الصهيونية في الغرب ، فقد نجحت هذه الحملات كذلك في نشر الدعاية عن مثالية الكيبوتزات في عدد من بلدان افريقيه وآسيه وخاصة بين أوساط بعض الاكاديميين من هذه البلدان الذين جيء بهم لزيارة الكيبوتزات في اسرائيل بدعوة من الاحزاب التي تديرها . اما داخليا في اسرائيل نفسها ، فتسهم منشورات المديح للكيبوتز في الابقاء على السمعة الاشتراكية للمؤسسة الصهيونية الحاكمة وردع اي تهديد قد ينشأ في أوساط عمال الانتاج لها كما تؤثر في تصعيد روح الاقتناع الذاتي والتفاخر بالمثالية لدى عضوية الكيبوتزات التي تبقى على ولائها الى مؤسساتها بفضل الفوائد المادية التي تحرزها المؤسسة الحاكمة لها . وهذه الثقة الذاتية تبرز بأكبر قدر من الوضوح في الرواية التي كتبها مؤخرا فيليب روث الاميركي بعنوان **شكوى بورتنوي** ، حيث يروي عن فتاة عضو في أحد الكيبوتزات التقى بها في زيارته لاسرائيل فانهالت عليه بترديد الشعارات المثالية حول المجتمع الافضل والحرية الفردية والحياة المنتجة مجتمعيا . وقالت له فيما قالت : « ان النظام الذي انتمي اليه (اختياريا وهذا مهم ... اختياريا) هو نظام انساني وعادل . وطالما ان الجماعة تمتلك سبل الانتاج وطالما ان حاجات الفرد توفرها الجماعة وطالما ان لا فرص هناك لاي رجل في ان يجمع الثروة أو العيش على فائض القيمة لانتاج الآخرين ، فان الشخصية الاساسية للكيبوتز ما زالت قائمة » .

وواقع ان هذه الشخصية الاساسية للكيبوتز ليست قائمة ، نظرا لاستفادة أعضاء

الكيبوتزات على حساب فائض القيمة لانتاج عمال الاجرة ، يغيب عن وعي الكثيرين من اعضاء الكيبوتزات والمدافعين عنها . ووجود السيل العارم من كتيبات ونشرات المديح للكيبوتز ، هو ما يوفر للمدافعين عن الكيبوتز والمنتمين اليه ، أمثال الفتاة المذكورة اعلاه، مصدر العبارات اللفظية شبه النظرية التي تبرر ممارسات الكيبوتز وتغطي وقائع استغلاليته . ويبدو ان اكثرية اعضاء الكيبوتزات (هذا باستثناء اعداد أولئك الذين يغادرونها سنويا) يؤمنون فعلا بتفوق طريقة عيش الكيبوتزات . ووفق نتائج دراسة المعاينة الاجتماعية التي قام بها هادلي كانترل ونشرها في كتابه **نماذج الاهتمامات الانسانية** (نيوجرسي ، ١٩٦٥) ، فأن أعضاء الكيبوتزات عامة يرون انفسهم سعداء اكثر من باقي سكان البلاد . الا أن نتائج البحث أظهرت مسألة قد يكون لها مغزى مهم، وهي ان لاعضاء الكيبوتزات مخاوف أكثر بالنسبة للمستقبل مما لدى بقية سكان البلاد .

وربما يمكننا اخذ لمحة عن بعض هذه المخاوف من قصة رواها سبيرو في مقالته المذكورة اعلاه حيث يصف حالة الارتباك لطفلة الكيبوتز عند رؤية اليهود التقليديين والشرقيين لاول مرة في زيارة أخذها أبوها فيها الى صفد . ويتكلم ابوها عن ذلك فيقول : « قبل ذلك كانت قد التقت فقط بنوعين من الناس : اليهود ، وبهذه العبارة تفهم نوع الناس الذين تعرفهم في الكيبوتز ، والعرب . ولم تقدر ان تفهم أين هم هؤلاء « اليهود » الآخرون من هذا التصنيف . وبالنسبة لها وللذين في سنها كافة ، فان تقبلها ، عند بلوغها سن الرشد ، واقع ان اليهود ذوي اللحى في صفد والمهاجرين الشرقيين هم مثلها ، يهود ، لا بد أن يكون ذلك تجربة عميقة الالم » .

ان قصة الكيبوتز هي في كثير من الاوجه قصة الحركة الصهيونية . فادعاءات الكيبوتز تاريخيا في فلسطين وطوال عهد الانتداب لم تلق تهديدا واضحا لها طالما انطبقت ممارساته فقط على المستوطنين اليهود . ومظاهر المساواة الشكلية فيه أمكن ابقاؤها ، على الرغم من التفاوتات النسبية ، طالما لم تتضمن السكان العرب الاصليين في حسبانها . وما دامت الصورة تشمل المستوطنين اليهود الغربيين والعرب من السكان الاصليين فقط ، فقد تمكن الكيبوتز من المضي في تظاهره بالاشتراكية . اما عند ظهور نوع آخر من اليهود الذين كانوا في أكثريتهم من العرب أيضا — اي الشرقيين الذين أتوا في هجرة أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات من البلدان العربية — فقد انقلبت الصورة وانفجرت في وجه الكيبوتز أسطورة الاشتراكية التي كانت قد حيكت له ، فبدأت مزاعم المساواة والاشتراكية في شخصيته تتلاشى وبرزت مكانها بوضوح طوابعه الراسمالية الاستغلالية ، ولم يبق فيه سوى الدلالات الواضحة عما كان دائما يقوم على أساسه : منطلق عنصري شوفيني يخدم هيكله العمالي في ازاحة العرب اقتصاديا ويخدم بنيانه العسكري في ازاحتهم عن وطنهم قسريا !

معركة الكرامة

منير شفيق

في مثل هذا الشهر (٢١ آذار ــ مارس) من عام ١٩٦٨ ، وقعت معركة الكرامة التي حظيت بشهرة عالمية وتاريخية واصبحت تذكر الى جانب المعارك العسكرية الكبرى ، التي شكلت نقطة تحول فاصلة في تاريخ المقاومة .

على ان اي ناقد عسكري لا يستطيع الا ان يقف مشدوها لا يملك ان يجد تفسيرا لكيف نالت معركة الكرامة تلك الشهرة العالمية والتاريخية الى حد وضعها جنبا لجنب مع كبريات المعارك العسكرية ، فمعركة الكرامة تختلف عن تلك المعارك من زاوية كون تلك المعارك شكلت نصرا عسكريا على العدو كان نقطة تحول فاصلة في مجرى الحرب ككل ، بمعنى انتقال المنتصر الى مرحلة السيطرة الكاملة ، وانتقال المهزوم الى مرحلة الاستسلام . ان تعريف النصر العسكري في المعركة ، سواء عند القادة الاقدمين ، او عند نابليون وكلاوزفتز ، او عند القادة المعاصرين ، هو ابادة الجسم الرئيسي من القوات المعادية ، او فرض الاستسلام عليها وتجريدها من السلاح ، أو في حالة أخرى تمزيق ذلك الجسم الرئيسي واجباره على التبعثر والفرار مع فقدان تماسكه وانضباطه، وتحوله الى طريدة للقوات المنتصرة التي تنتقل بعد ذلك الى مطاردته من اجل الاجهاز عليه ، وعدم السماح له باعادة تنظيم صفوفه ، وفي النهاية فرض الاستسلام عليه . وقد حدث هذا الشكل او ذاك في المعارك الكبرى في التاريخ . ولم يحدث شيء من ذلك في معركة الكرامة ، فقوات العدو اقتحمت الكرامة ، وعملت فيها ابادة وتدميرا ، وانسحبت منها بجسمها الرئيسي حاملة معها نسبة من الخسائر في الارواح والاليات يمكن اعتبارها في المعارك خسائر عادية غير ملفتة للنظر . (ولكن تلك الخسائر اعتبرت كبيرة وهامة ، واعتبر انزالها بالعدو نصرا بسبب ظرف خاص تميز بما جرت عليه عادة العدو ، قبل ذلك ، من شن هجمات عسكرية وعمليات اقتحام على جبهة الاردن ، دون ان يصاب بخسائر تذكر) .

ولكن على الرغم من هذا التعريف للنصر العسكري في المعركة ، ومن ثم ، بالرغم من الاختلاف بين المقومات التي اتسمت بها المعارك الكبرى من جهة وبين معركة الكرامة منجهة ثانية ، فقد اعتبرت معركة الكرامة واحدة من تلك المعارك التاريخية دون أن تكون قد حققت نصرا عسكريا وفقا لما هو متعارف عليه في تعريف النصر العسكري في المعركة ، فكيف كان ذلك ؟ الجواب هو أن معركة الكرامة سجلت في الظروف السياسية والموضوعية والذاتية المعطاة حين وقوعها ، نقطة تحول ايجابية هامة للغاية في مجرى تطور الثورة الفلسطينية ، وفي المزاج الجماهيري العام ، بغض النظر عن تعريف النصر في منظور النقد العسكري البحت ، وبغض النظر عن النتائج العسكرية التي حققها العدو في حملته ، او فداحة الخسائر التي ألمت به . ويمكن تلخيص تلك النتائج : (١) خروج الثورة الفلسطينية منتصرة بأعين الجماهير الفلسطينية والعربية ، بل أن قوى الثورة والتحرر في العالم رأت في معركة الكرامة نصرا للثورة الفلسطينية ، ورأت فيها

رمزا لبطولة الفدائي الفلسطيني . وكان كل ذلك يعني اذا ترجم الى لغة الارقام وللقوى المعنوية والمادية الملموسة ، مضاعفة قوة الثورة الفلسطينية مئات المرات في مجالات القوة المادية والبشرية والتسلح والتأييد المعنوي والحماية الشعبية . ومن هنا ، وانطلاقا من هذا المعنى شكلت معركة الكرامة نقطة تحول نوعية في تاريخ الثورة الفلسطينية . (٢) تكريس فكرة حرب الشعب طويلة الامد، في مقاومة العدو الصهيوني، بأعين الجماهير الفلسطينية والعربية ، فهي من جهة هزمت الاتجاه الذي حاول دفع الجماهير الى اليأس والاستسلام أثر هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وهي من جهة ثانية كرست معنى الصمود في ضمير الشعب الفلسطيني والعربي وفتحت طريقا جديدا مناسبا ـــ حرب الشعب ـــ امامه للسير فيه ، أي شكلت الكرامة نقطة تحول جعلت الجماهير تشعر بقواها الكامنة وتثق بقدرتها على القتال وتندفع لتسلم زمام قضيتها بايديها ، تاركة مقاعد المتفرجين على صراع الجيوش النظامية . (٣) تركيز القاعدة الآمنة للثورة الفلسطينية في الاردن وفتح الطريق للتوسع في بناء القواعد الآمنة . (٤) دخول كفاح الطلائع المقاتلة في داخل فلسطين وخارجها ومعها جماهير الارض المحتلة ، مرحلة جديدة تميزت في الاستعداد لاجتراح البطولات والتجرؤ على خوض النضال ، كل ذلك تحت الهام المثل الذي ضربته معركة الكرامة .

ان هذه النتائج عندما تتولد عن معركة صغيرة واحدة،وفي منطقة هامة كالوطن العربي، وتمس بتأثيرها شغاف قلوب عشرات الملايين من ابناء الشعب ، لا يمكن الا ان تضع مثل هذه المعركة في مصاف المعارك التاريخية الكبرى . لقد نظرت الجماهير الى معركة الكرامة على هذه الصورة دون ان تتوهم ان الثورة أبادت الجسم الرئيسي لقوات العدو المهاجمة ، أوتظن ان العدو لم يستطع دخول الكرامة،ولم يعمل فيها ابادة وتدميرا ، فالجماهير قد حجمت معركة الكرامة قدر حقيقتها،وقيمتها ذلك التقييم الرفيع ضمن هذا التحجيم . لقد ادركت الجماهير بحسها الرهيف انه لم يكن مطروحا، ولم يكن مطلوبا ، انزال الهزيمة الساحقة بالعدو ، وانما كان المطروح هو انقاذ الوضع من استمرار التدهور من خلال الاثبات العملي ان بالامكان الصمود في وجه العدو والقتال ضده حتى النهاية. فالجماهير كانت تبحث عن مكامن قوتها كانت تبحث عن الثأر لكرامتها المهدورة، كانت تريد أن تخرج من الهزيمة، وان يفتح امامها باب الامل في امكانية تحقيق الانتصار. وهذا ما أدركته الطليعة الثورية التي قررت خوض معركة الكرامة وهي تعرف سلفا أن القوى المتقابلة غير متكافئة . فقواها ضئيلة جدا اذا ما قيست بقوى العدو . وهذا ما حققته معركة الكرامة .

ومن هنا كان قرار دخول المعركة قد تم مع سبق الاصرار والعمد ، دون ان تواجه الطليعة بهجوم مفاجيء او تجد نفسها في قلب طوق ضرب عليها بسرعة خاطفة . ومن هنا كان ذلك القرار عملا استثنائيا ، وكانت الكرامة معركة استثنائية . ان الاعتبارات السابقة تسقط امامها حسابات النصر العسكري من زاوية عسكرية صرف . وتقفز الى المقدمة المسألة السياسية وخط الجماهير .

على أن القضية الاخرى التي لا بد من أن تثار هنا هي : كيف يمكن أن ينظر لمعركة الكرامة ليضاف الدرس المستخلص منها الى التراث النظري للثورة العالمية ، عموما ، ولعلم حرب الشعب خصوصا ؟ .

عندما كان ماركس يعلق على حرب المقاومة التي شنها الشعب الاسباني ضد نابليون لاحظ في مقالته « حرب الغوار في اسبانيا » السمات الاساسية لتكتيك حرب الغوار (العصابات) فقد كتب يقول « أن قواعد اولئك المغاورين على ظهورهم حيثما وجدوا، وكانت كل عملية موجهة ضدهم تنتهي باختفاء هدفها » (استشهاد أورده ماركس نقلا عن « الصحيفة العسكرية النمساوية ») ... « وما دام المغاورون منظمين على هذه

الطريقة ، فلن يكون بمقدورهم الظهور على شكل ضخم مخيف ككتلة واحدة . ولكنهم كانوا رغم ذلك خطرين للغاية على الفرنسيين » (« الثورة في أسبانيا » — الناشرون الاميون — بالانكليزية ص ٥٢) . وكان كلاوزفتز في كتابه حول الحرب "On War" قد طرح مثل تلك المبادىء في الفصل الخاص حول تكتيك العصابات . أي لا بد من استخدام تكتيك « اضرب واهرب » « عدم المواجهة » الخ . اما ماوتسي تونغ الذي وصل تنظير هذا الشكل من الحرب ، القمة على يده ، فقد طرح قوانينها التكتيكية مثل « ٢ — عندما يتقدم العدو نتراجع ، وعندما يعسكر نزعجه ، وعندما يتعب نهاجمه ، وعندما يتراجع نلاحقه » (الاعمال العسكرية ص ٧٢) .. « ٢ — عندما يطوق العدو وحدات للعصابات فعليها ان تنتشر لتتمكن من الانسحاب » (ماوتسي تونغ — حرب العصابات — نشر وتوزيع دار سورية ص ١٣٠) .

واذا وضعنا نصب اعيننا القانون العام الاول للحرب الذي لا بد من أن تتقيد به قوات الغوار والذي قال ماوتسي تونغ انه يتمثل «في المحافظة على أنفسنا ، وفي تحطيم العدو». نفهم لماذا يتحتم على النواة الرئيسية في حرب الغوار ان تؤمن نفسها ، اولا وقبل كل شيء ، ضد السحق والابادة . ان هذه المحافظة على النفس تتخذ أشكالا عديدة حسب الحالات المختلفة : (١) قاعدة آمنة في منطقة يصعب على قوات العدو الوصول اليها او تطويقها وتمشيطها ، (٢) قاعدة آمنة وراء حدود دول اخرى لا تستطيع قوات العدو الوصول اليها لاعتبارات دولية وسواه ، (٣) تأمين حماية جماهيرية بالتواجد في مناطق شديدة التعاطف مع قوات المغاورين بشكل يتيح لهذه القوات انذارا مسبقا لحملات التطويق من أجل عدم الوقوع في الطوق،أو يتيح لها دفاعا جماهيريا يحول دون اقتحامها (٤) مقدرة عالية في فن الاستخفاء وسرعة الحركة .

ان الفلسفة وراء هذا القانون تكمن في الادراك العميق لنسبة توازن القوى بين الطرفين ، خاصة ، في المرحلة الاولى ، حيث يكون تفوق القوى للثورة هائلا . أي تكون قوات الثورة في حالة الدفاع الاستراتيجي الامر الذي يتطلب منها : (١) عدم الدخول في معارك فاصلة تركز فيها كل القوة الرئيسية الضاربة لان العدو ، في هذه الحالة ، سيتمكن من قوة الغوار وينهيها (٢) عدم الدخول في المعارك التي يفرضها العدو ، ويمكن تجنبها ، وهذا يتطلب ضرورة الافلات من حملات التطويق ، ومن المعارك غير المتكافئة . (٣) ان تقرر قوات الغوار المعارك التي تخوضها ، بما في ذلك ، اماكنها .. اوقاتها .. مدتها بحيث تؤمن كل مرة عنصر التفوق . وقد عبر ماوتسي تونغ عن ذلك بالقانون الشهير « استراتيجيا العدو عشرة والجيش الاحمر واحد ، اما تكتيكيا فالجيش الاحمر عشرة والعدو واحد» . وهذا يعني ان على قوات المغاورين ان تدخل المعركة بعد تأمين تفوق على العدو — « ركز في كل معركة قوات متفوقة مطلقا — وليكن التفوق مرتين وثلاث واربع او احيانا خمس او ست مرات على قوات العدو . » (ماوتسي تونغ — الاعمال العسكرية ص ٣٤٩) .

الان ، اذا اخذت كل هذه المبادىء لتطبق على وضع الثورة الفلسطينية ووضع العدو قبيل معركة الكرامة فسنجد ان الاستنتاج السريع الذي كان لا بد من الخروج به من قبل كل من يحفظ تلك القوانين عن ظهر قلب ويطبقها بصورة ميكانيكية ، ولا يراها الى جانب قوانين اخرى متلاحمة معها ، هو : ترك الكرامة وتجنب حملة الجيش الصهيوني ، وفي أحسن الحالات ، الانتشار الواسع في المنطقة للقيام ببعض المناوشات على الاطراف والنقاط المعزولة ، خاصة ، في أثناء انسحاب العدو . لان نظرة سريعة على توازن القوى العسكرية تطلع بضرورة الخروج بمثل هذا الاستنتاج :

١ — العدو متفوق بالاليات والطيران والسلاح والعدد ، ومتمرس على قتال المواجهة والاقتحام والاحتلال . ٢ — النواة الثورية المقاتلة قليلة العدد جدا وذات أسلحة لا

تؤهلها لمثل هذا المستوى من المواجهة . وهي ما تزال من ناحية مستوى تطورها العسكري في مرحلة حرب الغوار المتحركة مع بداية السعي لبناء قاعدة آمنة (كانت الكرامة) . (٣) قيادة الجيش الاردني لن تشارك ، بل ستنتظر بعين الرضا لضرب الثورة فقد شنت حملة تطويق ضد قوات الثورة في الكرامة نفسها قبل ذلك بشهر ونصف الشهر (شباط ١٩٦٨) ، بقصد تصفية قاعدة الثورة من الكرامة — وكانت بالفعل قد أصدرت اوامر صريحة للجيش عند بدء الهجوم الصهيوني على الكرامة ، بالتزام الهدوء وعدم التعرض له ، فلم تضرب طلقة واحدة من الجيش الاردني في اثناء التقدم واقتحام الكرامة . (أما المشاركة فيما بعد فقد جاءت بمبادرة من الجنود وضباط الميدان خلافا للاوامر بعد أن بدأ الانسحاب . وقد راجت شائعات في ذلك الوقت أن السفير الامريكي في عمان اتصل بالقصر واخبره أن الهجوم على الكرامة لا يقصد منه غير الفدائيين وأن الاسرائيليين سينسحبون فور انتهاء مهمتهم ، لهذا على الجيش الاردني الا يتدخل) .

ومن هنا فان اية عقلية عسكرية صرفلا تستطيع أن تتصور أي قرار غير قرار الانسحاب من معركة الكرامة ، وعدم التصدي لحملة العدو . وهي تفعل ذلك « مطمئنة » كل الاطمئنان الى انها تمتلك علم حرب الغوار . وقد تردد بعض القوانين ، بصورة انتقائية، مأخوذة من «الاعمال العسكرية» لماوتسي تونغ لتدين قرار عدم الانسحاب وتثبت صحة قرار الانسحاب . ولكن يتناسى الهدف الذي وضعه ماوتسي تونغ ليخدمه ذلك التكتيك العسكري ، وهو الهدف السياسي الذي من أجله وضع التكتيك العسكري الغواري ، وفي اللحظة التي ينسى فيها هذا الهدف ويصبح التعامل مقصورا على الجانب العسكري البحت ، يتحول تكتيك الغوار الى لعبة حمقاء تنقل لعبة الاكروبات الى ميدان العمل الثوري . لقد اكد ماوتسي تونغ مرارا وتكرارا على ضرورة « معارضة وجهة النظر العسكرية الصرف وطرق الثوار المتجولين » .. « واعلم ان الجيش الاحمر هو داعية ومنظم للشعب الصيني » وكتب أيضا ، « عندما يقاتل الجيش الاحمر لا يقاتل لمجرد القتال ، وانما لتحريض الجماهير وتنظيمها ومساعدتها على تأسيس سلطة سياسية ، وبدون هذه الاهداف يفقد القتال اهدافه ومعناه ويفقد الجيش الاحمر سبب وجوده » ... « توزيع قواتنا لتثوير الجماهير ، وتركيز قواتنا لضرب العدو » ... « ايقاظ اكبر عدد من الجماهير ، بأقصر وقت ، وبأفضل الاساليب » .. « النمر أثناء القتال ، ووضع العمل السياسي بين الجماهير في المقدمة ، بل أن الجيش الاحمر نفسه يلعب دور المنظم السياسي وناشر الوعي السياسي» (الاعمال العسكرية ص ٧٢ و٩٧ — ٩٨). اذن المسألة الجوهرية هي العمل السياسي .. تحريض الجماهير وتنظيمها ومساعدتها على تأسيس سلطة سياسية . والسؤال الان اي القرارين كان سيخدم هذا الهدف ضمن الظروف المعطاة في الفترة الزمنية التي شملت معركة الكرامة : الانسحاب ام الثبات ، فاذا كان الجواب هو الثبات والتصدي ، فهل يضحي بتلك القوانين التكتيكية ؟ يقول ماوتسي تونغ « اننا ماركسيون وتعلمنا الماركسية في معالجتنا لاية مشكلة ان علينا البدء من الحقائق الموضوعية وليس من التعريفات التجريدية، وان علينا اشتقاق مبادئنا الهادية وسياساتنا وتطبيقنا العملي من تحليل تلك الحقائق الموضوعية » (الاعمال المختارة — المجلد الثالث — ص ٧٤) ، ويستشهد ماوتسي تونغ بلينين قائلا « يقول لينين ان التحليل الملموس للظروف الملموسة هو اكثر شيء اساسي في الماركسية انه الروح الحية في الماركسية » (المصدر السابق ص ١٦٥) ... « ويقول لينين عن حرب العصابات : — من الضروري جدا الا نتمسك تمسكا كاملا بالقواعد والنصوص المطلقة، وان نفهم اوضاع القتال الفعلي . اذ أن هذه الاوضاع ستتبدل طبقا للاوضاع السياسية والاقتصادية ، وتحقيق اهداف الشعب . ولا شك أن هذه التغييرات المتدرجة في الاوضاع ، تخلق اساليب جديدة » (حرب العصابات — ماوتسي تونغ — نشر وتوزيع دار سوريا) هنا لا مجال للجدال في أن مسألة تخطي اية قوانين تكتيكية واشتقاق

مبادىء هادية وسياسات وتطبيقات عملية من تحليل الحقائق الموضوعية هو الشيء الجوهري في العمل الثوري الخلاق الذي يحارب ضد الجمود والالية في التفكير ، ويرفض الفهم الميكانيكي للقوانين العسكرية دون وضع العمل السياسي في المقدمة ، وربط التطبيق بالدراسة الملموسة لكافة جوانب الوضع المعطى مع تحديد حلقة التركيز الرئيسية التي تقوم على اساس تحديد الجانب الأكثر اهمية من بين تلك الجوانب في كل مرحلة ، حيث يأتي التركيز عليها مفتاحا لمعالجة الوضع ككل .

جاء في « التمهيد » لمعركة الكرامة في كراسة فتح « أربع معارك كبيرة لقوات العاصفة » لمحة عن الوضع المعطى قبل معركة الكرامة : « في الايام التي اعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأت الجماهير العربية تصحو من اثر الضربة القاسية التي وجهت للامة ، وبدأ شعور ثقيل من خيبة الامل يخثر الدم في العروق ويسد المنافذ أمام أي أمل او رجاء ، فأصبحت هذه الامة ذات التاريخ العريق مهددة بالاستسلام للهزيمة وبقبول الواقع الجديد الذي أفرزته » أما في الصفحة الرابعة عشرة من الكراس المذكور وهو يناقش الحوار الذي دار حول اتخاذ القرار بالنسبة لمعركة الكرامة فقد جاء فيه : « وكان الطرح في البداية يركز على أن القتال في السهل امام الدبابات وتحت رحمة الطيران لا يعدو كونه جنونا حقيقيا ، وكان رأي أصحاب هذا الطرح ان يتراجع الجميع الى الجبال ، والا ستضطر كامل القوات الى الانسحاب خلال ساعات ثلاث أو تسحق بكاملها . وكان لفتح رأي حول الموضوع طرحته في بداية الاجتماعات ، وظلت مصرة على طرحه ... « أمام ارادة القتال الحقيقية كل شيء ممكن ، لقد رتبنا امورنا لنقاتل ونصمد ، الانفاق تحمينا كما يفعل الجبل تماما . وثمة حقيقة أساسية آن لنا جميعا ان نعيها، لقد مارس العدو التقدم ومارسنا نحن الانسحاب على مدار سنوات مواجهتنا له ، اذا كان لا بد من الانسحاب فلننسحب الى عمان ودمشق.وهذا ما نرفضه، الامة العربية تتطلع الينا ، وعلينا أن نتحمل مسؤوليتنا بشجاعة وشرف ورجولة ، علينا ان نخلق معاني الصمود في ضمير هذه الامة ، وعلينا أن نسحق اسطورة الجيش الذي لا يهزم » وكان هذا الاعتبار في المقدمة ، اما الاعتبار الاخر الذي كان واحدا من خلفيات اتخاذ قرار المواجهة ، والذي عبرت عنه مجلة « الثورة الفلسطينية » في عددها الرابع ، وبصورة أكثر وضوحا في عددها ٢٥ نيسان ١٩٧٠ ، فهو الخطر الذي كان يحدق ببناء القاعدة الآمنة في الاردن من قبل القوى المضادة للثورة في الحكم الهاشمي ، حيث جرت في ٢ شباط ١٩٦٨ محاولة جادة لاقتلاع الفدائيين من الكرامة (أول قاعدة آمنة في الاردن) ، فكان من الضروري خوض مثل هذه المعركة ضد العدو الصهيوني دفاعا عن القاعدة الآمنة لكي تكرس تلك القاعدة وتصبح حقا اكتسب بدماء الشهداء والابطال في معركة المواجهة ، ليصار الانطلاق منه الى توسيع القواعد الآمنة التي تشكل طرازا من السلطة السياسية للشعب ، خاصة ، وانها ستكون مغروسة في قلب المخيمات وستمتد الى القرى والى الاحياء الشعبية في المدن . ان مسألة القاعدة الآمنة كانت في منظور متخذي قرار الكرامة ، تشكل المفتاح لتقدم الثورة الى مرحلة ارقى « ان الثوار الذين لا قاعدة آمنة لهم يتحولون الى مشردين هائمين ، وهؤلاء لا يمكن لهم ان يتقدموا بالثورة من مرحلة دنيا الى مرحلة اعلى » (الثورة الفلسطينية عدد ٢٥ ـ نيسان ١٩٧٠ ص ٢٠) فالحصول على القاعدة الآمنة « هو منتصف الطريق النظري (وليس الزمني) لحرب الشعب.من هذه الزاوية يمكن لنا ان ندرك البعد الاستراتيجي الحقيقي والأساسي لمعركة الكرامة » (المصدر السابق ص ١٩) . وقد جاءت النتائج الايجابية التي تلت معركة الكرامة تؤكد صحة هذا المنظور ـ كما جاءت النتائج السلبية بعد فقدان القاعدة الآمنة بعد احداث جرش تموز ١٩٧١ ، تؤكد صحته ايضا حيث أصبحت الثورة تواجه صعوبات خطرة للغاية كما نشاهد الآن ـ لهذا يقول العدد نفسه من « الثورة الفلسطينية » ص ٢٠ : « تمكنت الثورة الفلسطينية من الوقوف على قدميها فحصلت

على القاعدة الامنة في الاغوار ، وتمكنت من تطوير قواها العسكرية بالتدريج ، وزيادة العمق الاستراتيجي للقاعدة الآمنة بحيث أصبحت الضفة الشرقية مـع الزمن قـاعدة ارتكاز للثورة . ان خلق التنظيم الثوري في شرق النهر واتاحة الفرصة للشعب لكـي يتحول الى خزان ثوري من حيث الوعي والتنظيم والتسليح ، وخلق المنظمات الشعبية القادرة على جعل الجماهير، من خلالها ، تتدرب على ممارسة العمل السياسي والسلاح في حوزتها ، كل تلك الامور ما كان بالامكان أن نصل اليها لولا انتصار الكرامة » .

ومن هنا ، يمكن القول ان الاعتبارات التي ركز عليها في اتخـاذ قرار دخول معركة الكرامة كانت ذات طابع سياسي يتعلق برفض الجماهير لفكـرة استمرار الهزائـم واستمرار الفرار والانسحاب ويهدف الى ضرب امثولة تحرض الجماهير وتستنهضها وتنظمها وتساعدها على تأسيس سلطتها السياسية عبر القواعد الامنية في الاردن . ان هذه الاعتبارات قد أخذت في حسابها أساسا خط الجماهير: ما هو في أعماق الجماهير، ما تريده الجماهير ، ما تتطلع اليه الجماهير لينظر في دخول معركة بأسلحة تعود بنتائجها لتثقف الجماهير وتحرضها وتنظمها. ولهذا كانت الطليعة الثورية تعكس خط الجماهير في قرارها في مواجهة المعركة « وكان الشعور السائـد لدى الجميع ــ يقصد مقاتلـي العاصفة ــ ان الامة العربية لم تعد قادرة على مواجهة هزيمة جديدة ، فالهزيمة في الكرامة تعني هزيمة الامة والانتصار يعني انتصارها » (المصدر السابق ص ١٨) . ولقد جاء في كتاب « معركة الكرامة » حول أهداف القرار : « وطيلة يوم ٢٠ ــ ٣ ــ ٦٨ كانت القيادة العـامة تناقش الامر من كـافة جوانبه .. هل يصمد المقاتلون فـي مواقعهم ام ينسحبون ؟ وكان الاختيار صعبا .. وكان القرار خطـيرا .. لقد قررت القيادة العامة أن لا بد من الصمود .. الصمود الواعي .. وعندما اتخذت هذا القرار وضعت أمامها الاهداف التالية : (١) رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران، (٢) تحطيم معنويات العدو وانزال أكبر الخسائر في قواته، (٣) تحقيق الالتحام الثوري بين الجماهير ، حتى يصبح الشعب قوة منيعة ضد أي تحرك للوقوف في وجه الثورة ، (٤) زيادة التقارب والثقة بين قوات العاصفة وافراد الجيش الاردني الباسل ، (٥) تصفية القوى المضادة لحركة المقاومة المسلحة داخل الضفة الشرقية للاردن بكشفها وفضح مخططاتها الرامية الى تصفية الثورة ، (٦) تنمية القوى الثورية داخل صفوف شعبنا ، (٧) اختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في معارك المواجهة مع العدو في هذه المرحلة الجديدة من مراحل كفاحنا المسلح » (ص ١٣ ــ ١٤) .

كان ماركس قد لاحظ في مقالته حول « حرب الغوار في اسبانيا » ان الحالة التي تولدت عن الكارثة القومية وهزيمة الجيش النظامـي ، دفعت بالشعب الى ان يتطلع الى المغاورين نتيجة عدم احتماله للهزائم على النطاق القومي ، فقد كتب معلقا « ولقد أصبح نشوء وحدات الغوار ظاهرة عامة عندما أصبحت هزائم الجيش النظامي ظاهرة منتظمة. ولما اصبح من العسير على اغلبية الشعب احتمال الهزائم على النطاق القومي ، فقد راحت تصفق للانتصارات المحلية التي يحرزها أبطالها » (كارل ماركس وفردريك انجلز : « الثورة في اسبانيا » ــ الناشرون الامميون سنة ١٩٣٩ ص ٥١) .

ان ادراك هذه الملحوظة يؤكد صحة القرار الذي اتخذ لمصلحة خوض معركة الكرامة حيث يصور كيف تصبح الجماهير عطشى لانتصارات محلية جزئية يقوم بهـا ابطالها المغاورون عندما تغدو هزائم الجيش النظامي ظاهرة منتظمة ، ويغدو من العسير على الشعب تلك الهزائم على النطاق القومي . وقد لاحظ العدو ان تحرك العمل الفدائي ، وما حقق من انتصارات جزئية ، في فتـرة وجيزة ، بعد حـرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأ يستقطب الجماهير الفلسطينية ، ويشد اليه أنظار الجماهير العربية ، وقد راح يبعث الامل في قلوب هذه الجماهير . ولهذا قرر العدو ان يتحرك ليضرب هذا الوليد النامي

الخطر ، قبل أن يستفحل أمره . ولكن الضرب يجب أن يأخذ بعدا سياسيا بالدرجة الاولى . وهذا دفعه الى ان يجعل عمليته في الكرامة تأخذ طابع الهجوم البري والاقتحام، وقد كان بامكانه أن يمسح الكرامة بالقصف الجوي . ان دخول المشاة والاليات الى الكرامة كان بهدف اجبار الفدائيين على الفرار ليشبههم فيما بعد « بالارانب » شأنهم شأن غيرهم . ولهذا اعتبر كتاب « معركة الكرامة » الصادر عن حركة « فتح » ان العدو تخيل « ان عملية عسكرية تدرس وتعد بصورة محكمة قادرة وبضربة واحدة ، ان تقضي على امل الامة العربية الذي بدأ ينمو ويتصاعد » (ص ٩) ... وان العدو هدف من هجومه على الكرامة « أن يغطي به على انتصاراتنا عليه في فلسطين المحتلة » (ص ٢٧) . وهكذا نجد هنا أيضا سببا آخر لماذا كان من الضروري اتخاذ قرار الصمـــود والمواجهة في معركة الكرامة .

خلاصة : يمكن الاستنتاج ان الاعتبارات التي قادت الى اتخاذ قـــرار دخول المعركة تتلخص في أن العدو أخذ بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مظهـــر الجيش الاسطوري الذي لا يهزم ، وأصبحت السمة التي يتسم بها الطرف المقابل هي الانسحاب والفرار وتلاحق الهزائم القومية ولم يعد مزاج الجماهير يحتمل استمرار هذه الحالة ، وطفق يتطلع الى المغاورين الذين بدأوا التحرك لضرب العدو ، وها هوذا العدو الان (آذار ــ مارس ــ ١٩٦٨) يلقي قفاز التحدي لكي يثبت ان المغاورين الذين أخذوا يصبحون ابطالا بأعين الجماهير سوف يفرون من وجهه ولا أمل فيهم من اجل المضي حتى النهاية في تحطيم ارادة الشعب ودفعه للاستسلام . لهذا كان الانسحاب مـــن الكرامة لن يخدم تعبئة الجماهير واستنهاضها واسترداد ثقتها بنفسها ، في حين سيؤدي قبول التحدي ، حتى ولو كان ثمنه ابادة الثوار في الكرامة ولكن في حمى القتال الضاري والشجاعة والبطولات والتضحيات وانزال الخسائر بالعدو ، الى انقاذ الوضع المتدهور واستنهاض الجماهير ودفع عشرات الالوف من ابناء الشعب لدخول الحرب والتجرؤ على مصارعة العدو .

اذا كانت قدرة قوات الغوار على الفرار وعدم الوقوع في الطوق ، **في الحالات العادية** ، دليلا على بطولة الثورة ، ومقدرتها على الاستمرار والصمود ، بل شرط استمرارها والتفاف الجماهير حولها وقبولها لها ، ومن ثم ، مصدر الهام لاستنهاض الجماهير الى القتال ، فانها في الحالة المعطاة في ظروف ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ في بلادنا ، كانت ستعطي نتائج مضادة تماما ، أو بكلمات أخرى كان عدم الفرار وقبول التحدي ، في تلك الحالة، هما دليل بطولة الثورة ومقدرتها على الاستمرار والصمود، بل شرط استمرارها وتقبل الجماهير لها واستنهاض الشعب للقتال . اذن ان الحلقة الرئيسية التي كانت تشكل مفتاح الوضع الثوري ككل لم تكن المحافظة على النواة الغوارية وتجنب حملات الابادة والتطويق ، وانما الدخول في معركة مواجهة ، ولو غير متكافئة لمصلحة العدو ، ودون أن يكون الهدف انزال الهزيمة بالعدو ، بالمعنى العسكري الضيق للكلمة ، معركة مواجهة تثبت ان بالامكان الصمود في وجه ما يسمى بالجيش « الاسطوري » وانزال الخسائر به . هذا من ناحية الدور العسكري الذي يمكن أن تعمل في مداه ، وكان ذلك ممكنا ، وقد أثبتت التجربة الملموسة انه ممكن ، ليس من جهة الصمود وانزال الخسائر بالعدو فحسب ، وانما أيضا من جهة اجبار الجيش المهاجم على التورط في معركة أرادها نزهة قصيرة لبضع ساعات ، واذا بها تنقلب الى معركة حامية تمتد خمس عشرة ساعة متواصلة ، وقد اعقبتها سلسلة من الهجمات المضادة في اثنـــاء انسحابه حيث راحت وحدات الغوار التي كانت منتشرة في الجبال المحيطة ، أو التي انسحبت من الكرامة بعد انتهاء مهمتها ، تطارده حتى ما بعد النهر ، فارضة عليه مزيدا من الخسائر ، فضلا عن اجباره على ان يخلف وراءه قتلاه وآلياته المعطوبة ، لاول مرة ، خروجا على عادته . أما من الناحية الثانية ، وهي الاهم ، فهو استنهاض الجماهير ، وتحويل مجرى الدفع

نحو الهزيمة والاستسلام الى مجرى جديد يتجه نحو حرب الشعب والقتال الجماهيري المنظم المسلح ، اي وضع الهدف السياسي في المقدمة . ومن هنا فان قرار خوض معركة الكرامة يجب أن يفهم في بعده السياسي انطلاقا من التحليل الملموس للظرف المعطى في ذلك الحين ، وتحديد أين هي الحلقة الرئيسية التي كان يجب على القيادة السياسية التركيز عليها . ان الحلقة الرئيسية هنا كانت الصمود ، القتال ، انزال خسائر بالعدو ، اجتراح البطولات ، كل ذلك من أجل الهاب خيال الجماهير المتعطشة لوقفة شجاعة ، وجعلها تستشعر قواها الكامنة القادرة على مواجهة العدو اذا ما خرجت من حيز القوة الغافية الى حيز الفعل النشط على أرض الواقع .

ان دراسة تجربة الكرامة ، وعلى تحديد دراسة تحليل الوضع الملموس الذي ادى الى اتخاذ قرار خوض تلك المعركة ، ذلك القرار الذي يبدو مختلفا في الظاهر ، من حيث الشكل ، مع قوانين تكتيك حرب الغوار ، في حين هو منسجم معها في الجوهر أي من وجهة نظر خدمة الاهداف التي وضعت قوانين تكتيك حرب الغوار لتحقيقها ، وجاء هذا القرار يخالف تلك القوانين ظاهريا من أجل تحقيق أهدافها . ان دراسة تجربة الكرامة تعطي نموذجا جديدا لتطبيق قوانين حرب الشعب تطبيقـا جديدا خلاقا أثبتت صحته النتائج العملية على أرض الواقع . الامر الذي يطرحه كنموذج حي يضاف الى التراث النظري للثورة العالمية عموما ولعلم حرب الشعب خصوصا . أي نموذج اتخاذ مثل هذا القرار في ظروف شبيهة من حيث الجوهر .

ان درس معركة الكرامة يعلم التقيد بالمنهج الديالكتيكي في التفكير الذي يخلص الثوريين من تطبيق المبادىء العامة تطبيقا جامدا ميتا معزولا عن دراسة الوضع الملموس المعطى . ويعلم كيف يجب أن يدرس الوضع الملموس ، في كل مرة ، دراسة تفصيلية نافذة تنتهي بالموضوعات المناسبة لحل مسائل الثورة المسلحة في كل حالة . اي ان نتعلم في معالجة أية مشكلة « البدء من الحقائق الموضوعية وليس من التعريفات التجريدية ، واشتقاق مبادئنا الهادية وسياساتنا وتطبيقنا العملي من تحليل تلك الحقائق الموضوعية » .

الوكالة اليهودية : التنظيم والجباية

عابدين جبارة

هذه الدراسة في اساليب الجباية اليهودية في الولايات المتحدة وتنظيمها ، اتخذت شكل دعوى مقامة على وزارة مالية الولايات المتحدة ، من قبل المدعين نورمان داسي ، الاستاذ ابراهيم ابو لغد ، الاستاذ نورثون ميزفنسكي والاستاذ هشام شرابي والاستاذ ادوين رايت ، والاب ل. همفري فالس ، والنائب مايكل روس. وقد اعد هذه الدراسة ــ الدعوى المحامون عابدين جبارة ، لافيرتي ، ريوستي ، جبارة ، باباكيان وجيمس .
اما الاساس القانوني لهذه الدعوى فيرتكز على كون المدعين ــ وهم جميعا مواطنون اميركيون يدفعون الضرائب ــ يتعرضون للضرر ، بسبب حرمان الخزينة الاميركية من الضرائب المستحقة على أموال الجباية . وننشر هنا الجزء الرئيسي من هذه الدراسة ــ الدعوى وهو الجزء المتعلق بتنظيم الجباية اليهودية . اما الاجزاء الاخرى وهي عبارة عن دراسة قانونية وتلخيص للشكوى بالاضافة الى الملاحــق والى تحليل لسياسة اسرائيل العنصرية ضد العرب فقد رأينا عدم نشرها هنــا . هذا وسننشر الدراسة بكاملها بالانكليزية قريبا .
ويجب الانتباه هنا الى أن الميدان القانوني ليس هو الميدان الذي تكسب فيه قضايا التحرر . ففي الولايات المتحدة تستطيع الحركة الصهيونية كسب هذه القضية ، فاذا لم تستطع كسبها في المحكمة ، بامكانها الالتفاف حول اي قرار يصدر عن المحكمة لغير صالحها . وبالتالي فان الهدف من نشر هذه الدراسة هو كونها تسهم في جلاء حقيقة أن أموال الجباية اليهودية ، ليست أموالا يضحي بها اليهود من أجل بناء اسرائيل ، وانما هي أموال الخزينة الاميركية تدفعهــا الولايات المتحدة ، عــن طريق اعفاء المؤسسات التي تدفع للنداء اليهودي الموحد من الضرائب على هذه الاموال ، واعفاء النداء اليهودي الموحد نفسه من الضريبة باعتباره مؤسسة خيرية .
شؤون فلسطينية

(١) السنوات الاولى ــ من مرحلة التكوين الى مرحلة الدولة

ان معرفة الاهداف التاريخية وتطور المنظمـــة الصهيونية العالمية/الوكالة اليهوديـــة (سنشير لها لاحقا بـــ م. ص. ع/و. ي) ضرورية من اجل فهم أغراضها وأهدافها ونشاطاتها الحالية . ويمكن الوصول الى هذه المعرفة عـــن طريق تحليل منشورات المنظمة نفسها ومختلف المواثيق والقوانين التي تنطبق عليها .

ان المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهوديـــة (سميت أيضا « الوكالة اليهودية لفلسطين ») هما نفس المنظمة(١). أحيانا تسمى بالاسم الاول وأحيانا أخرى بالآخر . المنظمة الصهيونية العالمية هو الاسم الاصلي للمنظمة بينما أضيف اسم الوكالة اليهودية من قبل الانتداب الممنوح لبريطانيا على فلسطين عام ١٩٢٠ . وسيتم شرح هذا الامر بالتفصيل لاحقا .

أ ـ السنوات العشرون الاولى

كما يوحي اسمها ، انشئت المنظمة الصهيونية العالمية بهدف سياسي عقائدي وليس بهدف خيري . وفي تقديمها لتاريخها(٢) تصفه م ص ع/و ي هكذا : « لقد تأسست المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ بشكل المؤتمر الصهيوني الاول في بال . وقد حدد هدفها في « برنامج بال » بكونه اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، يؤمنه القانون العام »(٣).

وتلخص م ص ع/و ي نشاطاتها في الفترة الواقعة بين انشائها وظهور دولة اسرائيل ببناء الامة سياسيا(٤).

« لقد لعبت المنظمة الصهيونية العالمية دورا تاريخيا حاسما في رص صفوف الشعب اليهودي وفي تهيئة ارض اسرائيل(٥) من اجل الاستقلال القومي اليهودي واقامة الدولة». واستنادا الى م ص ع/و ي كانت فترة المؤتمرات الصهيونية الخمسة الاولى (١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١) فترة كانت فيها المؤتمرات « تلعب دور الندوة البرلمانية التي تبحث فيها المشاكل الاساسية لتنظيم الشعب اليهودي وايجاد أجهزته الاولى ... وكان التشديد ، بوجه الخصوص ، يوضع على الشكل الخارجي للحركة والبيانات السياسية »(٦).

أما الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠١ ـ ١٩١٧ فقد كانت فترة نشاطات صهيونية «عملية» (هجرة فعلية واستيطان في فلسطين) و« سياسية » (جهود للحصول على موافقة من تركيا تسمح باقامة وطن قومي يهودي في فلسطين)(٧). وبالاضافة الى هذا ، بدأت المنظمة الصهيونية العالمية عملياتها الدفاعية في فلسطين في هذه المرحلة المبكرة(٨).

« في سنة ١٩٠٩ ، أسست منظمة « هاشومير » كاطار لجهود « الحالوتسيم »(٩) الشباب لتولي واجبات حراسة المستوطنات اليهودية في البلاد . وقد شكلوا نواة حركة الدفاع اليهودية في أرض اسرائيل » .

وفيما بعد ستصبح حركة الدفاع التي كانت تمولها م ص ع/و ي ، هي الهاجاناه ، جيش حكومة الظل لاسرائيل . (انظر ادناه ، القسم ج)

ب ـ وعد بلفور

في سنة ١٩١٧ بدأت المنظمة الصهيونية العالمية مرحلة جديدة بوعد بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية تحت الحاح الصهاينة . وقد وقع الوعد خلال الحرب العالمية الاولى عندما كان استيلاء الانجليز على فلسطين من الاتراك منتظرا . وهذا هو نص الوعد بكامله :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل أقصى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم بشكل واضح ، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه الاضرار بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، أو بالحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى »(١٠).

لقد كان وعد بلفور وعدا سياسيا للصهاينة باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وقد تضمن عبارات تستهدف ضمان حماية اليهود خارج فلسطين والعرب في فلسطين . وقد أثارت هذه العبارات اعتراضات شديدة من قبل الصهاينة(١١).

جـ ـ الانتداب البريطاني

بعد الحرب العالمية الاولى اجتمعت القوى المتحالفة المنتصرة في سان ريمو عام ١٩٢٠

لتقرير مصير البلاد التي تم الاستيلاء عليها خلال الحرب . وطالب الصهاينة أن تمنح السيادة على فلسطين لعصبة الامم وأن تمنح بريطانيا انتدابا على فلسطين يتضمن وعد بلفور(١٢). وقد استجيب لطلبات الصهاينة هذه . وتم تضمين وعد بلفور في مقدمة وثيقة الانتداب .

وقد اوجدت الوكالة اليهودية لتحقيق نص المادة الرابعة من وثيقة الانتداب :

« يعترف بوكالة يهودية مناسبة كهيئة عامة لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التي قد تؤثر في اقامة الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتكون خاضعة دائما لاشراف الادارة ، من أجل المساعدة والمشاركة في تطوير البلاد .

ان المنظمة الصهيونية ، ما دام تنظيمها ودستورها في رأي السلطة المنتدبة مناسبا ، سيعترف بها كوكالة مناسبة . وستقوم باتخاذ خطوات ، مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، تضمن تعاون جميع اليهود الراغبين في المساعدة في اقامة الوطن القومي اليهودي »(١٣) .

وهكذا اعترف بالمنظمة الصهيونية العالمية بصفتها الوكالة اليهودية لفلسطين التي اقامها الانتداب لـ « تتعاون » مع البريطانيين في الحكم والاشراف على الاستعمار اليهودي لفلسطين . ومنذ بداية الانتداب ، كانت أصطلاحات « المنظمة الصهيونية العالمية » و« الوكالة اليهودية » و« الوكالة اليهودية لفلسطين » أسماء مختلفة لنفس الهيئة . ورغم أن مصطلح « وكالة » في « الوكالة اليهودية » كان يرد في وثيقة الانتداب في حالة التنكير ، حيثما ورد، فقد استعملته المنظمة الصهيونية في حالة التعريف كاسم علم لها*. لفترة قصيرة من الزمن تم توسيع الوكالة اليهودية لتضم ، حسب شرط وثيقة الانتداب ، من حيث المظهر، مشاركة غير صهيونية . واستنادا الى م ص ع/و ي(١٥) جرت مداولات مطولة بين الصهيونيين حول مسألة توسيع الوكالة ، ولكنهم قرروا توسيعها بسبب الفائدة السياسية والعملية من التوسع . ربما استطاع الصهيونيون « أن يكسبوا تعاون الشعب كله في المشروع القومي من خلال وكالة يهودية موسعة » . وكذلك « يؤدي تعاون المنظمات غير الصهيونية داخل الوكالة اليهودية الى زيادة الامكانات المالية بين يدي الحركة » .

عقد المؤتمر التأسيسي لهذه الوكالة اليهودية الموسعة عام ١٩٢٩ ، في اجتماع لممثلي المنظمة الصهيونية العالمية وافراد غير صهيونيين . واعترفت الحكومة البريطانية بالوكالة الموسعة بصفتها « الوكالة اليهودية » المشار اليها في وثيقة الانتداب(١٦) .

ان دستور الوكالة اليهودية الموسعة جعل المشاركة غير الصهيونية ، بعيدة الاحتمال وهو ما حصل فعلا آنذاك(١٧) . كان رئيس الوكالة الموسعة هو رئيس المنظمة الصهيونية العالمية . وكان لكل من الصهيونيين وغير الصهيونيين ان يعين نصف اعضاء اجهزة الحكم الثلاثة . وبينما كانت م. ص .ع تقوم بتعيين الصهيونيين ، فأن غير الصهيونيين لم تكن لديهم منظمة كهذه تقوم بتعيينهم ، حيث أنهم افراد وليسوا منظمات او ممثلي منظمات . واية شواغر لا يملؤها غير الصهيونيين ، كانت تقوم بملئها م. ص. ع. وبما أن م. ص. ع. كان لها اساسا نصف اعضاء الهيئات الحاكمة ، فان أية مقاعد شاغرة تخص غير الصهيونيين، تقوم بملئها، تؤدي بالنتيجة الى سيطرة م.ص.ع على الوكالة.

ولم يحدث ابدا أن كان في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية الموسعة ، حصة كاملة للعناصر غير الصهيونية(١٨) . وبالاضافة ، كان يجري تعيين اعضاء ومسؤولين في

---

* الاشارة هنا الى استبدال الحرف الاول الصغير في (agency) بحرف كبير (Agency) ليصبح اسم علم .

المنظمات الصهيونية لملء مقاعد تخص غير الصهيونيين(١٩). وبمرور الوقت استعـادت م. ص. ع. هويتها بصفتها الوكالة اليهودية . وفي عام ١٩٤٣ ، عندما سجلت الوكالة اليهودية نفسها لدى حكومة الولايات المتحدة ، كوكيل اجنبي ، اعلنت ، تحت اليمين ، « ان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية يتم انتخابها من قبل المؤتمر الصهيوني »(٢٠).

خلال فترة الانتداب كانت م. ص. ع. / و. ي. هي حكومة الظل « لليشوف » ، وهو مجتمع المستوطنين الصهاينة في فلسطين :

« لعبت الوكالة اليهودية دور « حكومة في الطريق الى الحكم » تقوم بأعـداد الادوات لاقامة الدولة اليهودية في ارض اسرائيل . وخلال هذه الفترة كان اليشوف في البلاد منظما بوصفه « دولة داخـل الدولة » وأوجد الادوات التـي قادت في النهايـة الى الاستقلال . وقد قامت الوكالة اليهودية بدور نوع من حكومة لليشوف في البلاد ، والى حد ما ، لجميـع الشعب اليهودي . وقـد انشأت دوائر عديـدة للعمـل والصناعة والاستيطان الخ ، أدت جميعها الى خلق وتعزيز الاقتصاد القومي اليهودي ، لقد نظمت العودة (المشروعة و« غير المشروعة ») وبادرت بمشروع « عودة الشباب » ، وحافظت على دائرة سياسية نشطة كانت تقوم بتمثيل اليشوف أمام السلطات البريطانيـة وأمم العالم ، واهتمت بأمن اليشوف ، وقـادت النضال السياسي الذي أدى الى اقامـة الدولة »(٢١).

عملت الوكالة ايضا على تقوية مركزها العسكري في المناطق المستعمرة حديثا : « كان يتوجب اعمار مناطق قاحلة ومنعزلة ، بحد أدنى من التأخير ، لخلق مراكز قوة لا يمكن تجاهلها عند اتخاذ قرار بشأن الوضع السياسي لفلسطين ، وعند رسم الحدود . لقد انشئت قرى جديدة على نمط شبه عسكري .. اكواخ جاهزة ، بـرج مراقبة ، سياج وخيام ، كل هذه كانت تنقل في الليل وتوضع في مكانها بمساعدة مئات المتطوعين . وفي صباح اليوم التالي كانت القرية الجديدة قادرة على صد الهجمات »(٢٢).

وأقامت م. ص. ع/و. ي ، أيضا جيشا سريا هو الهاجاناه ، من اجل شن الهجمات ضد العـرب ، الذين نقموا على استمرار الصهيونية في الاستيلاء علـى أرضهـم ، ومن اجل المساعدة في الهجرة غـير المشروعة حين كـانت الحكومة البريطانية تحد من الهجرة(٢٣).

وخلال الحرب العالميـة الثانية ، واستنـادا الى م. ص. ع / و. ي « درب عشرات الالاف من اعضاء الهاجاناه ، بدون ازياء عسكرية ، استعدادا للغزو النازي المتوقـع للبلاد ، وتعاونت وحدات من البالماخ ، القوة الضاربة للهاجاناه ، بشكـل نشط ، وفي وقت ما ، مع الجيش البريطاني ... »(٢٤) وعملت الهاجاناه ضد الحكومة البريطانية ، عندما حاول البريطانيون ، بعد الحرب ، أن يحدوا من الهجرة :

« لكن الشعب اليهودي رفض ان يستكين امام اقفـال ابواب البـلاد . واقام مبعوثو الهاجاناه ، بالتعاون مع جنود الفرقة اليهودية ، منظمة تعمل لنقل اليهود ، على نطـاق واسع ، الى فلسطين »(٢٥).

وحدثت معارضة واسعة من قبل م.ص.ع. للحكم البريطاني : « لقـد ادى تنفيـذ سياسة الكتاب الابيض(٢٦)، والمعاملة الفظة للمهاجرين ، وعمليات التفتيش من قبل الشرطة البريطانية والقوات العسكرية في ارض اسرائيـل بحثا عن المهاجرين (غـير الشرعيين) أثناء فرض نظام منع التجول لاوقات طويلة على المدن والمستوطنات ، الى اعلان حالة عصيـان من قبل اليشوف (المستوطنون الصهاينـة في فلسطين) ، ضد حكومة الانتداب . فبالاضافة الى التظاهرات الجماهيرية ووقف التعاون مع السلطات ، في مختلف مجالات النشاط ، تجلى العصيان في نشاطات مختلفة ذات طبيعة عسكرية ،

ثام بها البالماخ (القوة الضاربة للهاجـاناه) ، ووصلت ذروتهـا في تحرير المئات من المهاجرين (غير الشرعيين) من معسكر للاعتقال في عتليت ، وفي عمليات أخرى عطلت المواصلات . وبالاضافة الى **عمليات الهاجاناه التي تم تنفيذها استنادا الى السياسـة المرسومة من قبل المؤسسات القومية** ، جرى تنفيذ عمليات تخـريب ضد قوات الامن البريطانية من قبـل منظمة اتسل (المنظمـة العسكرية القومية) التي انشأتها المنظمة الصهيونية التصحيحية ، ومنظمة ليحي (المقاتلون من أجل حرية اسرائيل) »(٢٧). (خط التشديد مضاف) .

في الولايات المتحدة ، قام عملاء الهاجاناه والوكالة اليهودية بتجنيد الصهيونيين الامريكيين من اجل تجميع الالات والاسلحة والذخائر لارسالها الى فلسطين . وقاموا سرا ، تحت قيادة تتخذ من نيويورك مقرا لها ، بجمـع وتخزين وشحن المعدات اللازمة لصناعـة الاسلحة . واضافة الى ذلك ، حصلوا ، بكل وسيلة ممكنة ، على فائض الاسلحة التي تم شحنها ، بطريقة غير مشروعة ، من البلاد الى فلسطين . وجرى تمويل العملية كلها بتبرعات جمعت في الولايات المتحدة وفي أماكن أخرى(٢٨).

واخيرا اعلنت الحكومة البريطانية عام ١٩٤٧ انها لا ترى اية امكانيـة لحل المشكلـة الفلسطينية وحولتها الى الامم المتحدة . واصدرت الجمعية العمومية للامم المتحدة ، في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، توصية بأقامة دولة يهودية وأخـرى عربية ومنطقة مغلقة تحت الحكم الدولي . واعلن دافيد بن غوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية لـ م. ص. ع/ و. ي ، قيام دولة اسرائيل يوم ١٤ ايار ١٩٤٨ ، قبل موعد انتهاء الانتـداب البريطاني بثماني ساعات(٢٩). وفي هذا الوقت كان مجموع ما يملكـه اليهود من اراضي فلسطين هو ٦،٥٪ فقط .

د ــ جمع الاموال

بدأت م. ص. ع ، في وقت مبكر ، تجميع الاموال من كل انحاء العالـم لتمويل الهـدف الصهيوني السياسي بأقامة دولة يهودية في فلسطين لجميع يهود العالم . وسنبين هنا ، انه منذ البداية اقيمت منظمات عديدة متداخلة في انجلترا والولايات المتحدة (وفيما بعد في فلسطين واسرائيل) ، والاموال تنتقل من منظمة لاخـرى ، واحيانا تعود للاولى ، ولكن السيطرة كانت دائما في يد م. ص. ع / و. ي .

كان الحصول على الارض في فلسطين للمستوطنين اليهود في رأس الاولويات . وقـد انشىء الصنـدوق القومي اليهودي (لا يزال موجودا ، ويعرف أيضـا بـ كيرن كايمت ليسرائيل) من قبل م. ص. ع ، في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، لامتـلاك الارض في فلسطين واعدادها للاستعمال الزراعي . « يستمد الصندوق القومي اليهودي موارده المالية من التبرعات »(٣٠). وكان يتم شراء الارض في فلسطين من قبل الصندوق القومي بانتظار الوصول ، مع الزمن ، الى تحقيق الدولة اليهودية في فلسطين. وبحسب بنود ميثاقه ، كانت عملية الشراء تتضمن شرطا مانعـا ذا محتوى عنصري . لم يكن يسمح أبدا بأعادة بيعها لغير اليهود .

« ان مبدأ الملكية القومية للارض كان يكمن وراء نشاطات الصندوق . وان الارض التي اشتريت بأموال قدمتها الامة لا يجوز تركهـا للغرباء ، والامة هي التي تملـك اراضي الصندوق القومي اليهودي ، ويجري تأجير الارض للمستوطنين لمدة ٤٩ سنة »(٣١).

في عام ١٩٠٧ سجل الصندوق القومي اليهودي في بريطانيا تحت اسـم كيرن كايمت ليسرائيل المحدودة ، ويسمى عادة كـيرن كايمت ، والمكتب الرئيسي الان موجـود في اسرائيل . واخذ الصندوق القومي اليهودي يجمع الاموال في الولايات المتحدة لصالح م. ص. ع. عقب تأسيسه . وفي عام ١٩١٠ تكونت في نيويورك مجموعة غير مرخصة

تحت اسم « الصندوق القومي اليهودي » وجرى الترخيص لها عام ١٩٢٦(٣٢). وكان هدفه المعلن في وثيقة الترخيص هو تملك الارض في فلسطين . ونص قانون الشركة بالتحديد ، على أن جميع الاموال التي تجمع ، يجب ارسالها الى الشركة الانجليزية ، كيرن كايمت ليسرائيل المحدودة ، لاستعمالها بأية طريقة تراها الاخيرة مناسبة(٣٣).

وهناك صندوق اخر هو الكيرن هايسود (لا زال موجوداً ، ويعرف في الولايات المتحدة باسم النداء الاسرائيلي الموحد) « تأسس في مؤتمر للقادة الصهيونيين عام ١٩٢٠ ، كمؤسسة لجمع الاموال لتمويل عمليات الحركة الصهيونية . ويستمد الكيرن هايسود دخله من تبرعات اليهودية العالمية(٣٤).

وتعترف م. ص. ع / و.ي أنه خلال الفترة التي سبقت قيام الدولة ، كانت أموال الكيرن هايسود تنفق على نشاطات سياسية متعلقة ببناء الامة ، وليس على اغراض خيرية:

« لقد تأسس الكيرن هايسود في مؤتمر للقادة الصهيونيين عام ١٩٢٠ كمؤسسة لجمع الاموال لتمويل عمليات الحركة الصهيونية . والى ان قامت الدولة ، كان الكيرن هايسود هو الجناح المالي لـ « الدولة في طور التكوين » . لقد مول جميع نشاطات اليشوف في أرض اسرائيل : العودة ، الاستيعاب ، الاستيطان الزراعي ، تطوير مصادر المياه ، التدريب المهني ، مساعدة العاطلين عن العمل ، عمليات البناء ، الاشغال العامة في المستوطنات اليهودية ، الاستثمار في المشروعات الاقتصادية (شركة الكهرباء ، مصانع البوتاس ، شركة تسيم للملاحة ، ميناء تل ابيب) الخ. وقام الكيرن هايسود بدفع نفقات عمليات اليشوف الامنية . وعند حلول عام ١٩٤٨ كان الكيرن هايسود قد دفع نفقة عودة ٤٨٧،٠٠٠ مهاجر واقام ٢٥٦ مستوطنة زراعية »(٣٥).

ومنذ ظهور الدولة كان الكيرن هايسود يعمل كوكيل للدولة . (انظر ادناه ، القسم الثاني والثالث) . لقد تأسس الكيرن هايسود في انجلتره عام ١٩٢١ تحت اسم « صندوق مؤسسة ارض اسرائيل (فلسطين) كيرن هايسود المحدودة » . اما غرضه فكان عمل اي شيء « ضروري او نافع لغرض تنفيذ ... وعد بلفور »(٣٦). ولهذه الغاية حدد هدفه المعلن بجمع الاموال و « افتتاح فروع للشركة وايجاد وكالات جباية في أي شكل وبأي جزء من العالم »(٣٧). وحسب بنود عقد التأسيس تشرف م. ص. ع. / و. ي على العضوية : « (لا يجوز لاي شخص ان يكون عضوا) الا اذا ووفق على هذا الشخص من قبل اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية »(٣٨). وتنص هذه البنود على أن اللجنة التنفيذية لـ م. ص. ع/و. ي تملك سلطة الغاء العضوية(٣٩) وتعيين وابعاد المديرين(٤٠). وللشركة البريطانية الحق ، حسب هذه البنود ، في نقل ادارة شؤونها لاية شركة اخرى(٤١).

وتم انشاء شركة لجمع الاموال لصالح الكيرن هايسود في الولايات المتحدة . وتأسس «صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش.م.» في نيويورك عام ١٩٢٢ وتم دمجه عام ١٩٣٧ مع الحملة الاميركية من أجل فلسطين ش. م. تحت اسم صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش.م .

وقد حدد الغرض من صندوق مؤسسة فلسطين المتحد بكونه جمع الاموال « لتخصيصها وانفاقها في تقديم المعونة وتدريب المستوطنين المحتملين في فلسطين ، وفي توسيع وتطوير المصالح الدينية والثقافية والمادية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والزراعية والعامة لليهود المستوطنين والقاطنين في فلسطين ، المقيمين الان والذين سيقيمون فيما بعد هناك ، وفي مساعدة وتشجيع وحفز تطوير الحياة اليهودية في فلسطين »(٤٢).

اما الاموال التي تجبى فترسل « الى صندوق مؤسسة ارض اسرائيل — فلسطين (كيرن هايسود) المحدودة ، وهي شركة انشئت بموجب قوانين انجلترة ، والتي ستعمل

كوكيل لصندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش. م. ، في تحقيق الاهداف المذكورة آنفا ، والتي ستنفق الاموال المرسلة لها ، حسب ما ذكر ، بطريقة تعتبر ، في نظر مجلس ادارة صندوق مؤسسة ارض اسرائيل فلسطين (كيرن هايسود المحدودة) المذكورة ، او في نظر اشخاص مخولين ، بموجب ميثاقها وقوانينها الداخلية ، بأنفاق اموالها ، الطريقة الفضلى لتنفيذ وتحقيق الاغراض المذكورة اعلاه »(٤٣).

ان معنى كلمة « وكيل » قد شوه بشكل واضح ، ذلك ان الوكيل البريطاني ، يحق له أن ينفق الاموال بالطريقة التي يقرر هو انفاقها . من الواضح ، حسب بنود عقد التأسيس، أن الشركة الاميركية كانت مجرد جهاز لجمع الاموال للشركة البريطانية ، والتي هي بدورها جناح للمنظمة الصهيونية العالمية .

وهناك شركة اخرى في الولايات المتحدة كانت جزءا من شبكة وكالات الجباية م. ص. ع / و. ي ، تشكلت بأسم « الحملة الاميركية لفلسطين التابعة للوكالة اليهودية » . وكانت وريثتها النداء الفلسطيني الموحد ش. م.، شركة نيويوركية تأسست عام ١٩٢٧ . وفيما بعد تحول اسمها الى النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. وينص ميثاقها على أنها تكونت لجمع الاموال من أجل دعم السياسة الصهيونية في استيطان وتطوير فلسطين . وكان يتوجب عليها تحويل الاموال التي تجمعها « الى صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود ش. م) ، (الذي كانت تسيطر عليه م. ص. ع من خلال شركتها البريطانية)، والى هداسا (منظمة النساء الصهيونيات) ، والى الصندوق القومي اليهودي ش. م.، والى أية شركات أو منظمات يختارها ممثلو ووكلاء النداء الفلسطيني الموحد لتحقيق الاهداف المذكورة آنفا »(٤٤).

ان القوانين الداخلية للنداء الفلسطيني الموحد تشترط ان يكون ستون بالمئة من اعضائه ومديريه واعضاء اللجنة التنفيذية من ممثلي صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش.م.(٤٥) اما الاربعون بالمئة الباقية (غير المسيطرة) فيختارون « من قبل الجاليات بالتشاور مع مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الرعاية »(٤٦). ويتوجب على المعينين من قبل صندوق مؤسسة فلسطين ان يصوتوا كمجموعة(٤٧). وهكذا فأن النداء الفلسطيني الموحد ــ النداء الاسرائيلي الموحد واقع تحت سيطرة صندوق مؤسسة فلسطين الذي هو جهاز لجمع الاموال تابع لكيرن هايسود المحدود البريطاني والذي هو بدوره ذراع لـ م. ص. ع / و. ي .

من أين يحصل النداء الفلسطيني الموحد ــ النداء الاسرائيلي الموحد على الاموال التي يحولها الى الجهة التي تعينها الـ م. ص. ع ؟ من النداء اليهودي الموحد ، وهو شركة نيويوركية أسست عام ١٩٣٥ ، وابتدأت بصراع بين الصهيونيين والمحسنين اليهود حول الاموال الطائلة التي تجمعها الاتحادات العديدة وصناديق الرعاية عبر الولايات المتحدة .

(٢) مرحلة الدولة

بعد أن أعلن عن قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، لم تتوقف الـ م. ص. ع/ و. ي عن العمل ، ولكنها تخلت عن بعض مهامها للدولة الجديدة وتابعت تولي المهام الاخرى في علاقة وثيقة مع حكومة اسرائيل . وكانت النشاطات الرئيسية لـ م. ص. ع / و. ي منذ ١٩٤٨ في مجالين : تأدية مهام لحكومة اسرائيل تعتبر عادة من مهام الحكومة (الهجرة والاستيطان الزراعي) ، والنشاطات الدعائية خارج اسرائيل (تشجيع الهجرة ، حشد الدعم السياسي لاسرائيل وجمع الاموال) . وبقيت منظمات جمع الاموال ، بما فيها النداء الاسرائيلي الموحد في الولايات المتحدة ، كالسابق ، تقدم الاموال لـ م. ص. ع / و. ي .

وقد لخصت م. ص. ع / و. ي نشاطاتها منذ ظهور الدولة هكذا : « منذ ظهور الدولة ، عملت المنظمة الصهيونية ، الوكالة اليهودية في مجالات تشجيع العودة ، واستيعاب المهاجرين ، والاستيطان الزراعي ، وعودة الشباب ، وجمع الاموال من اجل العودة والاستيعاب ومن أجل تطوير الدولة ، وعملت على ضمان دعم موحد من يهود العالم للدولة ، وعلى ترقية التعليم اليهودي والاعلام الصهيوني في المنفى »(٤٨).

أ ــ سنوات ١٩٤٨ الى ١٩٥٤

في سنة ١٩٤٨ اصبح الكثير من قادة حكومة الظل التابعة لـ م. ص. ع / و. ي قادة الحكومة الاسرائيلية الجديدة ، وكثير من الوزارات الحكومية الجديدة كانت تحويلا مباشرا لدوائر الـ م. ص. ع / و. ي .

« كانت الوكالة مهيأة تماما لتحقيق الاستقلال القومي . واذا كانت في الماضي قد اتخذت شكل حكومة متواجدة جنبا الى جنب مع حكومة الانتداب ، فانها الان ستصبح نواة السلطة الذاتية لجمهورية ذات سيادة . فالدكتور وايزمن ، رئيس المنظمة الصهيونية اصبح رئيسا للدولة ، وبن غوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة أصبح رئيسا للوزراء ، وكانت الدائرة السياسية التابعة للوكالة جاهزة لتكون وزارة خارجية لاسرائيل . واصبح اعضاء عديدون من اللجنة التنفيذية في فلسطين وزراء(٤٩).

وكما يمكن أن يكون متوقعا استنادا الى تاريخ المنظمة ، فأنها لم تختف بعد قيام الدولة بل احتفظت بمجالات واسعة لعملياتها ، وكما يمكن ان يكون منتظرا ايضا بالنظر الى الخلفية المشتركة للنخبة الصهيونية المسيطرة على كل من الدولة الجديدة وال م. ص . ع / و. ي ، اصبحت المنظمة والدولة شريكين في نشاطاتهما واهدافهما المشتركة . وقد اعترفت الـ م. ص. ع / و. ي بهذا في احدى نشراتها التي تصف فيها بداية الوظائف الجديدة للمنظمة في رحلة ما بعد قيام الدولة .

« في آب ١٩٤٨ ، اجتمع المجلس الصهيوني المركزي للتداول في موضوع وظائف المنظمة الصهيونية في ظل الظروف الجديدة . وكان ممثلو الدولة ، ومن ضمنهم اعضاء اللجنة التنفيذية الذين أصبحوا في ذلك الوقت وزراء في حكومة اسرائيل ، وممثلو الحركة الصهيونية في الخارج ، على اتفاق تام بشأن الضرورة الحيوية لاستمرار وجود المنظمة الصهيونية . ان هذه الهيئة العالمية سوف تقوي الروابط بين الشعب اليهودي في المنفى وبين الدولة بحيث تؤدي الى تطورها وتعزيزها في جميع المجالات .

عقب انشاء الدولة وجهت جميع جهود الحركة نحو حشد العون للدولة الجديدة التي كانت تقاتل من اجل البقاء . وكان واضحا تماما للجميع ان العودة هي العامل الاكثر مركزية وحيوية في مستقبل الدولة الجديدة . ولكن سؤالا برز : كيف يمكن جلب اليهود الى اسرائيل ، ومن الذين سيساعد في استيعابهم وتوطينهم ؟ كيف يمكن توسيع وتطوير اقتصاد البلاد الى حد يجعل من الممكن استيعاب المهاجرين الجدد ؟ لم يكن من المتصور أن يتحمل الـ ٦٥٠،٠٠٠ من يهود الدولة عبء تنظيم وتمويل الهجرة الجماعية والاستيطان . لم يكن هناك شك بأن على يهود العالم أن يتحملوا عبء هذه الواجبات من خلال المنظمة الصهيونية العالمية ــ الوكالة اليهودية »(٥٠).

وقد تكون مجلس تنسيق يضم ممثلين عن الحكومة و م. ص. ع / و. ي لتحديد العلاقة الجديدة بين المنظمة والدولة ولضمان التعاون بينهما(٥١). وقد منح هذا المجلس فيما بعد وضعا قانونيا رسميا بموجب قانون الوضع القانوني والميثاق ، وسيتم بحثه لاحقا . وهو مسؤول عن توزيع المهام والمسؤوليات بين الحكومة وم. ص. ع/و. ي.

وفي عام ١٩٥١ عقد في القدس المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون وهو المؤتمر الاول

بعد قيام الدولة . وقد تبنى هذا المؤتمر ما يعرف بـــ « برنامج القدس » .

« ان مهمة الصهيونية هي تدعيم دولة اسرائيل ، وجمع المنفيين في أرض اسرائيل وتعزيز وحدة الشعب اليهودي »(٥٢).

لقد ظل هدف المنظمة هدفا سياسيا وعقائديا بشكل جلي ، وهي مكرسة لتعزيز وبنـــاء دولة اجنبية اكثر منها لاهداف خيريـــة . ان النـــداء الاسرائيلي الموحد ، كجـــزء من م. ص. ع / و.ي ، كان مصدرا رئيسيا للاموال المخصصة لتحقيق هذا الغرض .

لقد كانت المهام التي حددت لـــ م. ص. ع / و. ي في المؤتمـــر الثالث والعشرين هي تنظيم الهجرة ، استيعاب المهاجرين ، عودة الشباب (الهجرة) ، الاستيطان الزراعي ، استصلاح الارض ، وكلها يتم تنسيقها من خلال هيئة التنسيق التي سبق قيامها(٥٣).

ان هجرة اليهود هي هدف رئيسي للدولة و م. ص. ع / و. ي . وخلال هـــذه الفترة اصدرت الحكومة قانون العودة الـــذي ينص عـــلى حق جميع اليهود في الهجـــرة الى اسرائيل(٥٤). وفي احدى نشراتها تصف م. ص. ع/و. ي هذا القانـــون بأنه يعـــرف الهجرة بكونها « امتيازا وراثيا يمنح تلقائيا لكل يهودي ، وكغرض اساسي من اغراض الدولة »(٥٥).

وقد طلب المؤتمر الثالث والعشرون من الدولة ان تمنح المنظمة وضعا رسميا من خلال قانون تشريعي ، ذلك انه لم يعد للمنظمة وضع قانوني بموجب الانتداب(٥٦). وقـــد استجيب لهذا الطلب بأصدار قانون الوضع القانوني في سنة ١٩٥٢ .

ب ــ قانون الوضع القانوني

صدر القانون المتعلق بالوضع القانوني للمنظمة الصهيونية العالمية ــ الوكالة اليهودية، لسنة ٥٧١٣ ــ ١٩٥٢ ، عن الكنيست (المجلس التشريعي الاسرائيلي) يوم ٤ تشرين الثاني ١٩٥٢ (٥٧)، اثبتنا نصه كاملا في الملحق . وتتضمن تقارير اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (في ٢٣ ، ٢٤) « تقريرا من المستشار القانوني » حـــول اعداد المسودات والتفاوض مع الحكومة الاسرائيلية فيما يختص بقانون الوضع القانوني والميثاق الذي تلاه . وأورد في تقريره « أن الكثير من هذا العمل قد أنجز بالتعاون الوثيق مع المستشار القانوني لحكومة اسرائيل » .

ان الاقسام الثلاثة الاولى من قانون الوضع القانوني تعين الطرفين ذوي العلاقة بكونهما: دولة اسرائيل التي « أوجدها الشعب اليهودي بأسره » ، والتي هي « مفتوحة لكـــل يهودي يرغب في الهجرة اليها » (قانون الوضع القانـــوني ، القسم الاول) : والمنظمة الصهيونية العالمية « التي حملت المسؤولية الرئيسية في اقامة دولة اسرائيل » (القسم الثاني) ، والتي اقرت ، عند كتابة القانون انها « تهتم ، كما في السابـــق ، بالهجرة ، وتوجه عملية الاستيعاب ومشاريع الاستيطان في الدولة » (القسم الثالث) .

وفي القسم الرابع منحت الدولة لـــ م. ص. ع / و. ي وضع « وكالة مفوضة » تابعة للدولة ، تستمر في العمل داخل اسرائيل من أجل (١) « تطويـــر واستيطان البلاد » ، (٢) « استيعاب مهاجري الدياسبورا (المنفى) » و (٣) « تنسيق نشاطات المؤسسات والمنظمات اليهودية العاملة في هذه المجالات في اسرائيل » . وتصبـــح اللجنة التنفيذية للوكالة « شخصية قانونية » تستطيع عقد الاتفاقيات وتملك الممتلكات (القسم ١١) ، وتكون ، بأموالها ومؤسساتها معفاة مـــن الضرائب (القسم ١٢) . واعطيت المنظمة صلاحية أن تتوسع بموافقة الحكومة (القسم السادس) ، وتذكرنا الصياغة بالصلاحية التي منحت للوكالة اليهودية ، في عهد الانتداب على فلسطين في أن تتوســـع (مما أدى

الى انشاء الوكالة اليهودية الموسعة التي تسيطر عليها الصهيونيــة والتي لم تعمــر طويلا) .

ويصف القسم الخامس هجرة اليهود الى اسرائيل أو « جمع الشتات » بأنهـا « **المهمة المركزية لدولة اسرائيل والحركة الصهيونية في** ايامنا » (خط التشديد مضاف) . وهذا يبين ، بالتأكيد ، أن م. ص. ع / و. ي ، عندما تساعد المهاجرين الى اسرائيل وتشجع هذه الهجرة ، بواسطة أموال النــداء الاسرائيلي الموحــد ، لا تكون النتائــج الخيرية الظاهرية سوى نتائج عارضة وثانوية تماما بالنسبة للهدف الرئيسي الذي هو بناء دولة اسرائيل .

وتتحدث الاقسام ٧ ، ٨ ، ٩ من قانون الوضع القانوني عن ميثــاق يجري وضعه بين الدولة و م. ص. ع / و. ي ، لوضـــع تفاصيل التعاون (قسم ٧) . وهــذا الميثاق « يستند على اعلان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين » بأن اهداف المنظمة الصهيونية العالمية تتطلب « تعاونا وتنسيقا كاملين بين الطرفين » بشكل يتفق مع قوانين الدولــة (قسم ٨) . وعلى اساس الميثاق يجري انشاء لجنة تنسيق (قسم ٩) .

جـ ـــ الميثاق

جرى توقيع الميثاق المشار اليه في قانون الوضع القانوني من قبل م ص ع/و ي (ناحوم غولدمان وج. لوكر عن الهيئة التنفيذية) وحكومة اسرائيل (موشيه شاريت ، رئيس الوزراء) في ٢٦ تموز ١٩٥٤ . والعنوان الكامل للميثاق هو « ميثاق بين حكومة اسرائيل (يشار اليها بالحكومة) واللجنة التنفيذية الصهيونية المسماة أيضا اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (يشار اليها بالتنفيذية) »(٥٨). وقد اثبتنا نصه كاملا في الملحق .

يعرض الميثاق مهام الـ م ص ع/و ي في ظل الدولة الجديدة ، ويبين الارتباط الرسمي بين موقعي الاتفاقية ، بموجب قانون الوضع القانوني . انه دليل اضافي على أن م ص ع/و ي هي وكيل لحكومة اسرائيل ، التي يربطها بها هدف مشترك . . وهو بناء دولة اسرائيل من خلال هجرة يهود العالم الى اسرائيل .

القسم الاول من الميثاق يبين مهام م ص ع/و ي بكونها (١) « تنظيم الهجرة في الخارج ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل » ، (٢) « التعاون في استيعاب المهاجرين الى اسرائيل » ، (٣) « هجرة الشباب » ، (٤) « الاستيطان الزراعي في اسرائيل » ، (٥) « امتلاك واستصلاح الارض في اسرائيل بواسطة مؤسسات المنظمة الصهيونية ، الكيرن كايمت ليسرائيل والكيرن هايسود » (النداء الاسرائيلــي الموحد في الولايات المتحدة) ، (٦) « المشاركة في اقامة وتوسيع مشاريع التطوير في اسرائيل » ، (٧) « تشجيع استثمارات رأس المال الخاص في اسرائيل » ، (٨) « مساعدة المشروعات الثقافية ومؤسسات التعليم العالي في اسرائيل » ، (٩) « تعبئة الموارد من أجل تمويل هذه النشاطات » ، (١٠) « التنسيق في اسرائيل بين نشاطات المؤسسات والمنظمات اليهودية العاملة ضمن حدود هذه المهام بواسطة الاموال العامة » .

وهذه تتضمن جميع النشاطات المعددة في القرار المتعلق بالوضع القانوني الصادر عن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، مع بعض الاضافات .

لقد وافقت م ص ع/و ي ، من خلال هذا الميثاق ، على أن تكون وكيلة لحكومة اسرائيل في تنفيذ هذه « المهام التي تقوم بها الحكومات في البلدان الاخرى »(٥٩). وليس هناك ما يدل على اغراض خيرية أو انسانية .

يبين القسم السادس ان م ص ع/و ي مسؤولة عن جمع الاموال لتنفيذ المهام الموكلة لها بموجب القسم الاول من الميثاق « بواسطة الكــيرن هايسود (النداء الاسرائيلي

الموحد) ، والكيرن كايمت ليسرائيل (الصندوق القومي اليهودي لامتلاك وتطوير الارض)، وغيرها من الصناديق » ، أي أن هذه الصناديق جزء من م ص ع/و ي وفرضها من جمع الأموال هو تنفيذ المهام التي يتعين على م ص ع/و ي أن تقوم بها لدولة اسرائيل .

ان بعض أقسام الميثاق تتناول بشكل محدد مسألة اخضاع م ص ع/و ي لرغبات الدولة. ويقيم الميثاق مجلسا للتنسيق (قسم ٨) « نصفه من اعضاء الحكومة (حكومة اسرائيل) ويعينون من قبلها ، ونصفه من أعضاء اللجنة التنفيذية (م ص ع/و ي) ويعينون من قبلها » . وتقوم م ص ع/و ي بتنظيم الهجرة الى اسرائيل « على أساس خطة توافق عليها الحكومة ويقرها مجلس التنسيق » (قسم ٣) . وهذا المجلس يرئسه رئيس وزراء اسرائيل(٦٠). ويشرف على خطط م ص ع/و ي للهجرة ، اما هذا المجلس او الحكومة ، وبالاضافة ، فان تأشيرات الهجرة تكون مطلوبة حسب قانون العودة (قسم ٣) ، الذي يعترف بحق جميع اليهود في الهجرة الى اسرائيل .

ان القسم الخامس يحمل م ص ع/و ي مسؤولية القيام بنفسها بتنفيذ المهام الواردة في الميثاق والتي تجمع الاموال من أجلها ، ويمنع تفويض آخرين بالقيام بها الا « بالاتفاق مع الحكومة » . وفي القسم الثاني توافق م ص ع/و ي على ان تقوم بنشاطاتها بموجب قوانين اسرائيل ، وأيضا بموجب « الانظمة والتعليمات الادارية السارية من وقت لآخر ، التي تحكم نشاطات الهيئات الحكومية التي تغطي نشاطاتها أو تتأثر بالنشاط موضوع البحث » ، تماما كما يحصل مع أية وكالة حكومية ، كما يظهر .

وفي القسم السابع توافق الحكومة على « استشارة اللجنة التنفيذية فيما يتعلق بأي تشريع يمس مهام اللجنة التنفيذية قبل عرض التشريع على الكنيست » ، ولكنها تحتفظ بسلطتها في اتخاذ القرار النهائي حول تشريع كهذا .

ان قانون الوضع القانوني والميثاق هما وثيقتان رسميتان مكتوبتان تبينان الروابط بين م ص ع/و ي وحكومة اسرائيل ، كما تبينان أهداف م ص ع/و ي وخضوعها لرغبات واحتياجات حكومة اسرائيل، ولاي غرض تستعمل الاموال التي تجمع لصالح مص ع/وي عبر صندوقي النداء الاسرائيلي الموحد والصندوق القومي اليهودي — ان الغرض هو بناء دولة أجنبية . ان الاستنتاج الحتمي هو أن م ص ع/و ي اما انها هيئة عامة مرتبطة بشكل وثيق بحكومة اسرائيل وتخضع لها خضوع الوكيل للموكل ، أو أنها تقوم فعلا بوظيفتها كجزء من الحكومة ، وان كانت تحمل اسما مختلفا ، أو كلا الامرين معا(٦١).

د — بنية وتنظيم الوكالة اليهودية

أقيمت الوكالة اليهودية في ظل الانتداب البريطاني كهيئة استشارية للشؤون اليهودية للادارة البريطانية في فلسطين . وكانت المنظمة الصهيونية قد اعترف بها ، في الاساس ، بصفتها الوكالة في ظل الانتداب (انظر الجزء الاول ، قسم د ، أعلاه) ، وظلت تعمل بهذه الصفة حتى عام ١٩٧١ . ان اللجنة التنفيذية الصهيونية ، « التي كانت مهمتها ادارة شؤون المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية في اسرائيل والخارج »(٦٢)، قد انتخبت عام ١٩٢١ من قبل المؤتمر الصهيوني الثاني عشر(٦٣)،وسيطرت على الوكالة فترة الخمسين سنة التي تلت . وهي تحتفظ بهيئات انتخابية في كل من القدس ونيويورك . قبل اعادة تكوين الوكالة اليهودية في سنة ١٩٧١ ، كانت الوكالة تحت سيطرة أعلى مؤسسة في المنظمة الصهيونية العالمية وهي المؤتمر الصهيوني . ان المؤتمر الصهيوني يجتمع مرة كل أربع سنوات من أجل ، بين اشياء أخرى ، أنتخاب اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والمجلس الصهيوني العام (الذي تكون اللجنة التنفيذية مسؤولة أمامه). أما الجهاز التابع للمجلس الذي يتوجب على اللجنة التنفيذية أن تقدم تقريرها له مباشرة فهو اللجنة الدائمة لشؤون الميزانية والتمويل(٦٤). و« لضمان تنفيذ عمل اللجنة التنفيذية

بموجب قرارات المؤتمر والمجلس العام » ، ينتخب المؤتمر أيضا مراقبا للوكالة اليهودية تكون اللجنة التنفيذية مسؤولة أمامه أيضا(٦٥).

وتعمل اللجنة التنفيذية من خلال دوائر وظيفية مقرها الرئيسي في القدس . ويشرف على كل دائرة عضو من اللجنة التنفيذية يعرف بـ « رئيس الدائرة » . وتدار عمليات اللجنة التنفيذية في اسرائيل من قبل دوائر الهجرة والاستيعاب ، والزراعة ، والاستيطان ، وعودة الاطفال والشباب ، وشركات الاستثمار . أما في الخارج فتعمل اللجنة التنفيذية من خلال دوائر التنظيم ، والاعلام ، والعلاقات الخارجية ، والشباب الطلائعيين ، والتعليم والثقافة ، وقسم المبعوثين ، والتعليم والثقافة التوراتية . ومن أجل تنسيق النشاطات بين فرعي اللجنة التنفيذية في القدس ونيويورك ، تجتمع اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بكامل نصابها دوريا . وتؤدي المهام الادارية للجنة التنفيذية ، بشكل رئيسي ، دوائر المالية والادارة والتموين . وبالاضافة ، تتولى الوكالة المحافظة على الارشيف الصهيوني المركزي ، ومعهد بياليك ، والمكتبة الصهيونية(٦٦).

وقد سبقت الاشارة الى أن احدى دوائر اللجنة التنفيذية هي دائرة شركات الاستثمار أو مكتب الشركات والاستثمار . وقد أسس للوكالة اليهودية « لكي يعبر بشكل عام عن المشاركة اليهودية في اقتصاد اسرائيل »(٦٧). ومهمته هي الاشراف على جميع الشركات المملوكة والمسيطر عليها ، كليا أو جزئيا ، من قبل م ص ع ، والوكالة اليهودية لفلسطين، والكيرن هايسود والصندوق القومي اليهودي(٦٨). وتتضمن صلاحياتها الادارية صلاحية اتخاذ القرار النهائي بشأن جميع الاقتراحات المتعلقة بتكوين شركات جديدة ، وبالدمج ، والتصفيات ، واعادة التنظيم ، وجميع الاستثمارات الجديدة(٦٩).

ويشرف المكتب الآن على ما لا يقل عن ٥٩ شركة اقتصادية في اسرائيل ، تقع كلها تحت السيطرة الجزئية او الكلية للمؤسسات القومية المذكورة أعلاه. وهذه المشاريع تتضمن مزارع لتربية حيوان التشنتسيلا ، وشركات تطوير ، وشركة لتصدير المنتجات الزراعية، وشركة المعارض والاسواق الموسمية ، وشركة طيران العال(٧٠).

حتى سنة ١٩٦٠ ، عملت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م في الولايات المتحدة كـ « وكيل أجنبي » مسجل للوكالة اليهودية في القدس (انظر أدناه الجزء الثالث القسم ب) . ونتيجة لمشاكل قانونية معينة مع دائرة الواردات المحلية ، كما سنبين أدناه (أنظر الجزء الثالث القسم ب) ألغت الوكالة اليهودية لاسرائيل تسجيلها عام ١٩٦٠ . وأوجدت الوكالة اليهودية في القدس مكانها الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي ، لتعمل كـ « وكيل أجنبي » لها في أميركا . وقد ظل القسم الاميركي منذ ذلك الوقت تحت سيطرة وكالة القدس .

وفي عام ١٩٧١ ، أعيد تنظيم الوكالة اليهودية في القدس كلها ، من أجل اتاحة الفرصة للفصل بين المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية (أنظر أدناه ، الجزء الثالث القسم هـ) . ويزعم الآن أن الوكالة مستقلة عن م ص ع ، وتعمل تحت سيطرة هيئاتها الحاكمة الخاصة بها . ولكن اعادة التنظيم ، كما سنرى في الجزء الثالث ، كانت مسألة شكلية فقط ، حيث ان العناصر الصهيونية لا زالت تحتفظ بالسيطرة الكاملة ، ولا زالت الوكالة اليهودية مستمرة في تأدية نفس المهام التي كانت تؤديها قبل اعادة التنظيم .

(٣) الفترة الممتدة بين قيام الدولة الى الوقت الحاضر

أ ــ السنوات ١٩٥٤ ــ ١٩٦٨

خلال السنوات الممتدة بين ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ ، استمرت م ص ع/و ي في اتباع سياستها الرامية الى بناء وتقوية دولة اسرائيل ، وخاصة من خلال الهجرة . وقد وصف موشيه

شاريت ، رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ، المنظمة بأنها « تناضل من اجل دفع أوسع حركة ممكنة للجماهير اليهودية نحو دولة اسرائيل »(٧١). وقد أكد ، تمشيا مع رغبة الحكومة المعلنة « في زيادة سكانها من أجل استيطان الاجزاء القاحلة من البلاد ومن أجل زيادة أمن البلاد »(٧٢). ان على الاسرائيليين أن يكونوا مستعدين لكي يستطيعوا الدفاع، بشكل فعال ، عن وطنهم : « يجب أن تتم مساعدتهم لتتعمــق جذورهم ، وليصبحوا مواطنين منتجين ، قادرين على الدفاع عن بلادهم »(٧٣).

ينظر الى الهجرة والاستيعاب بوصفهما أمرين ضروريين وحيويين من أجل استمرار وجود الدولة اليهودية . وهما يلعبان دورا رئيسيا في الفلسفة الصهيونية . اولا ، كقوة ايديولوجية ، بقيا الهدف المركزي في حياة كل صهيوني مخلص ، اذا لم يكن قد هاجر بعد ، فان من واجبه أن يفعل هذا في أقرب لحظة ممكنة ، واذا كان قد هاجر ، فان من واجبه ان يشجع الآخرين على ذلك . ثانيا ، كقوة عسكرية ، تخدم الهجرة هدف زيادة السكان ، وبالتالي زيادة الافراد المتوفرين للخدمة العسكرية . ويقول الصهاينة بأنه لا يمكن تحقيق اعمار وحماية مناطق الحدود الاسرائيلية النائية الا من خلال زيادة الهجرة. وهكذا أقرت بشكل جلي ، في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ، عام ١٩٦٨ ، فكرة أن الهجرة ، مثلها مثل الايديولوجية الصهيونية ، هي عامل من عوامل الدفاع القومي : « يجب أن يوضع التخطيط من أجل الاستيعاب على نفس مستوى التخطيط من أجل الامن القومي . أن الهجرة ، في النهاية ، هي عامل من عوامل الامن »(٧٤).

لقد رأت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية مقدما ، بعد حرب الايام الستة ، أن المناطق التي احتلت أخيرا ، لا يمكن الاحتفاظ بها بدون استعمار : « ليس هناك نصر سياسي ، او اعلان ، يستطيع تحويل هذه المناطق الى مناطق يهودية اذا لم يستوطنهم اليهود»(٧٥). وعلى هذا الاساس ، كثفت دائرة الهجرة التابعة للجنة التنفيذية جهودها لدى الامم الاجنبية ، من أجل تشجيع « العودة » ، مستعينة بالهيئات اليهودية القائمة والمؤسسة حديثا « لكي تعطي مسألة العودة في عملياتها موقعا مركزيا »(٧٦). وكما بينا في الجزء الثاني أقام مجلس التنسيق (المؤسس بموجب الميثاق) سلطة مشتركة للهجرة تابعة للحكومة والوكالة اليهودية ، لتشجيع وتسهيل الهجرة والاستيعاب . على أن الدورين المختلفين لكل من الهيئتين اللتين تتكون منهما السلطة المشتركة ، لــم يتحددا بشكل واضح ، والمعلومات المتعلقة بالنشاطات المحددة للمجلس ولاعضائه غير متوفرة . على انه من الواضح ان مجلس التنسيق مسؤول عــن توزيع المهام بين الحكومة والوكالة اليهودية .

في سنة ١٩٦٠ ، أقر دستور جديد لـ م ص ع/و ي . غير أن فلسفة وأهداف المنظمة لم تتغير . فقد أعيد تأكيد(٧٧) البرنامج الصهيوني الذي اقر في مؤتمر بال (انظر اعلاه ، الجزء الاول ، قسم أ) ، كما أعيد التأكيد على مهمة الصهيونية كما حددها المؤتمر الثالث والعشرون وهي : « تعزيز دولة اسرائيل ، جمع الشتات في أرض اسرائيل ، وتقوية وحدة الشعب اليهودي »(٧٨). وضمن اطار هذه الاهداف ، يشير الدستور الى النداء الاسرائيلي الموحد كأحد المشروعات « التي تعترف اللجنة التنفيذية بقيامهــا بمهمات مركزية داخل الحركة الصهيونية »(٧٩).

وتأكد وضع المؤتمر بصفته « الجهاز الاعلى للمنظمة الصهيونية العالمية »(٨٠). وأوجدت عضوية المؤتمر بطريقة لا يتمكن معها المندوبون من الولايات المتحدة من حيازة اغلبية : اسرائيل ٣٨ ٪ ، الولايات المتحدة ٢٩ ٪ ، والبلاد الاخرى ٣٣ ٪(٨١). أما عضوية المنظمة فتتكون من المنظمات الصهيونية الاقليمية(٨٢). ولم يكن النداء الاسرائيلي الموحد والنداء اليهودي الموحد من بين الاعضاء .

وفي سنة ١٩٦٠ ، وكنتيجة لتحقيق قامت به دائرة الواردات المحلية ، أعيد تنظيم الهيكل التنظيمي للجهاز الصهيوني في الولايات المتحدة (أنظر أدنــاه ، القسم ب ، شهادة فولبرايت) . فقد ألغت الوكالة اليهودية لاسرائيل تسجيلها كوكيل أجنبي ، موحية بذلك أنها كفت عن نشاطات سياسية معينة ، من شأن استمرارها أن يؤدي الى خسارة وضعها كمؤسسة معفاة من الضرائب ، وأعادت تنظيم نفسها « لتفي بمتطلبات دائرة الواردات المحلية الخاصة بالمنظمات الاهلية العاملة فيما وراء البحار »(٨٣). واوجدت مكانها ، الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي ، وجرى تسجيلها للقيام بنشاطات الوكالة اليهودية ــ القدس ، في الولايات المتحدة .

ان الذي دفع الى التحقيق وما تلاه من اعادة ترتيب الجهاز الصهيوني ، هو ، بالدرجة الاولى ، اكتشاف نقل كميات كبيرة من أموال النداء اليهــودي الموحد ، لدعم **أحزاب سياسية** في اسرائيل . فخلال الفترة من ١٩٥١ الى ١٩٥٩ ، جرى توزيع ثمانية عشر مليون دولار (١٨،٠٠٠،٠٠٠) من أموال النداء اليهودي الموحد على تلك الجماعات السياسية في اسرائيل(٨٤). وذكرت وكالة التلغراف اليهودية ، وهي وكالـــة اخبارية واعلامية تابعة لـ م ص ع/و ي ، أن اعادة التنظيم قد جرت اخيرا ، واوقفت المعونات في سنة ١٩٦١ ، حتى تستطيع منظمات جمع الاموال أن تحتفظ بوضع الاعفاء مــن الضريبة في الولايات المتحدة(٨٥).

ان الاساس الذي يقوم عليه الدعم المالي المقدم من النداء اليهودي الموحد (ن.ي.م) الى الاحزاب السياسية الاسرائيلية ، مستمد من اتفاقية ، توصل اليها بعد اقامة الدولة بين ن.ي.م والاحزاب، تمتنع الاخيرة بموجبها عن ادارة حملات جباية مستقلة في الولايات المتحدة ، اذا قدم ن.ي.م مبلغا محددا من المال لدعمها(٨٦). ورغم الزعم بأن المعونات قد توقفت عام ١٩٦١ ، فان ن.ي.م مستمر في دعم تلك الجماعات السياسية في اسرائيل من خلال الوكالة اليهودية ــ القدس . وتقوم الوكالة بهذا بتخصيصها مبالغ معينة من اجل « المشروعات الانشائيـــة » للاحزاب السياسيـــة ، عبر المنظمات العالميـــة التابعة للاحزاب(٨٧). ان المنظمات العالمية ببساطة هي انابيب تمر عبرها أموال ن.ي.م لتصل في النهاية الى الجماعات السياسية الاسرائيلية(٨٨).

وهذه الوسيلة نفسها تستخدمها ايضا الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي التي تدعمها الوكالة اليهودية في القدس الممولة من قبل ن.ي.م . وعلى سبيل المثال ، اشار القسم الاميركي في بيان التسجيل الالحاقي المقدم في حزيران ١٩٧١ ، بموجب قانون تسجيل الوكالات الاجنبية المعدل لعام ١٩٣٨ ، الى ان مبالغ معينة قد منحت للاتحاد العالمي للصهيونيين العموميين(٨٩)، والى المنظمة العالمية لحزب الاحرار الاسرائيلي . فاذا كانت هذه الاموال قد استلمت أساسا من وكالة القدس ، التي تلقت على الاقل جزءا منها من ن.ي.م(٩٠)، فان ن.ي.م يدعم الاحزاب السياسية الاسرائيلية عبر توصيلة الوكالات اليهودية .

وبالاضافة الى كشف الاغراض غير الخيرية بشكل واضح ، والسياسية بصورة كلية ، التي تنفق عليها أموال ن.ي.م ، فان اعادة التنظيم المفتعلة عام ١٩٦٠ ، وشهـــادة فولبرايت التي تلت ذلك بعد ثلاث سنوات ، قد اظهرت علاقة موكل ــ وكيل بين الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م والوكالة اليهودية ــ القدس على التوالي . فاذا كانت الطبيعة الحقيقية لهذه العلاقة لم تتغير ، كما تشير الى ذلك الشهادة والتطورات اللاحقة ، فان مسألة اعفاء النداء اليهودي الموحد من الضرائب ، قد نضجت الآن لاعادة النظر فيها قضائيا وحكوميا .

ان مسألة من الذي يسيطر حقيقة على الاموال التي تجمع في الولايات المتحدة (اي من هو الموكل ومن هو الوكيل) سيتم تقصيها بشكل أوفى في الاقسام ب ، ج و د .

ب ــ شهادة فولبرايت

في أيار وآب من عام ١٩٦٣ ، حضر كل من ايزادور هاملن ، المدير التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل ــ القسم الاميركي ، وغوتلايب هامر ، مساعد الرئيس التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م ، بموجب مذكرة استدعاء أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في الولايات المتحدة . وكانت اللجنة مكلفة « بالمراجعة الوافية والكشف الكامل للرأي العام ، للنشاطات غير الديبلوماسية لممثلي الحكومات الاجنبية والى أي مدى يحاولون التأثير في سياسات الولايات المتحدة »(٩١).

وقد عقدت جلسات الاستماع اساسا لتحديد الطبيعة الحقيقية للعلاقات المتشابكة بين الجماعات الاميركية المختلفة والوكالة اليهودية ، وعلاقة القسم الاميركي للوكالة اليهودية بالوكالة اليهودية لاسرائيل في القدس . ونظرت اللجنة التابعة لمجلس الشيوخ ، بالتالي، في تطبيق وتنفيذ القانون المعدل لتسجيل الوكالات الاجنبية لعام ١٩٣٨ (٩٢)، والذي يلزم جميع الوكلاء الاجانب بتقديم بيان تسجيل للمدعي العام ، قبل ممارسة عملهم بصفتهم ممثلين لموكليهم الاجانب .

وكما لاحظنا في القسم « أ » ، فان الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي ، قد ولدت نتيجة لاعادة تنظيم الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م في سنة ١٩٦٠ . في ذلك الوقت تسجل القسم الاميركي بوصفه وكيلا لـ م ص ع/و ي في الولايات المتحدة بموجب قانون تسجيل الوكالات الاجنبية . وكان يسيطر عليه اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (م ص ع/و ي)، التي كانت ، في وقت الاستماع الى الشهادات ، مكونة من ٢٢ عضوا ، ستة منهم فقط يقيمون في الولايات المتحدة(٩٣). والغت الوكالة اليهودية لاسرائيل تسجيلها في وزارة العدل الاميركية ، وادعت خضوعها لاشراف « المنظمات والمواطنين الامريكيين » كهيئة خيرية خاصة(٩٤). وجاء في افادة السيد هامر انه بينما كانت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م ، قبل عام ١٩٦٠ ، تعمل كوكيل للوكالة اليهودية في القدس (م ص ع/و ي) ، اصبحت ، بعد اعادة التنظيم المزعوم ، الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م ، وهي شركة نيويوركية ، هي الموكل والوكالة اليهودية في القدس هـــي الوكيل(٩٥). وقد قدم هذا التأكيد رغم الاعتراف المتناقض من قبل السيد هامر بأن الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م، تحتاج لتفويض وموافقة من قبل « وكيلها » الوكالة اليهودية في القدس ، لرفع الاموال الى وكالة التلغراف اليهودية(٩٦).

والاهم من ذلك ، على كل حال ، التصريح الشديد الوضوح الذي ادلى به لويس هـ. بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية في سنة ١٩٧٠ . فقد صرح بدون مواربة ، ناسيا ، على ما يبدو ، الصعوبات التي واجهها مواطنوه : قبل سبع سنوات، في جلسات الاستماع الى الشهادات ، في محاولاتهم الاثبات بأن وكالة القدس لم تكن الموكل للوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م وأن الاموال الاميركية لم تكن تجمع فقط في الولايات المتحدة بل يتم الاشراف عليها من قبل المنظمة الاميركية ، صرح بأن الجماعات الاميركية « كانت تجمع الاموال فقط وترسلها للوكالة اليهودية (في اسرائيل) لتنفقها » . واستنادا الى كلام السيد بينكوس ، لم تكن المنظمات الاميركية تشارك أبدا في تحديد الميزانية او اختيار أولويات الانفاق ، قبل اعادة تكوين الوكالة اليهودية عام ١٩٧١ (٩٧).

فاذا كانت م ص ع/و ي (الوكالة اليهودية ــ القدس) اما جزءا من الحكومة الاسرائيلية أو وكيلها أو كلا الامرين معا (كما أوضح في الجزء الثاني قسم جـ) ، فان الادعاء الاول بأن م ص ع/و ي تشرف عليها منظمة خيرية خاصة ومستقلة ، في الولايات المتحدة ، هو ادعاء باطل . ان مغزى ادعاء السيد هامر الثاني المتناقض ، والاعتراف الصريح للسيد بينكوس بأن م ص ع/و ي هي في الواقع تحت اشراف الوكالة اليهودية لاسرائيل

ش.م ، يعكس ، بصورة دقيقة ، التركيب الحقيقي لشبكة تنظيم جمع الاموال الصهيونية كما هي موجودة اليوم .

وهناك نقطة ذات أهمية رئيسية في جلسات الاستماع الى الشهادات ، وهي الكشف عن المجلس الصهيوني الاميركي (م. ص. ا)(٩٨)غير المسجل ، كمعبر ، في الفترة التي سبقت عام ١٩٦٣ ، لاموال الدعاية للوكالة اليهودية — القسم الاميركي، الوكيل المسجل لـ م ص ع/و ي(٩٩) . ورغم افادة السيد هامر بأن م.ص.ا يتمتع بوضع المؤسسة المعفاة من الضرائب(١٠٠) فقد اعترف أيضا بأن مبالغ كبيرة قد استخدمت في الدفع مقابل خدمات علاقات عامة قدمها آي. ل. كينن ، وهو رجل كواليس محترف(Lobbyist)في واشنطن ، والذي كان مرتبطا ، بشكل نشط ، بلجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية ، ويرئس تحرير « نشرة اخبارية حيوية الى حد ما ، تسمى نشرة الشرق الاوسط »(١٠١) . وبحسب اقوال السيد هامر فان م.ص.ا « اراد ان يجعل من الممكن للمجلس توفير اشتراكات لهذه النشرة الاخبارية للصهيونيين البارزين ، والمدارس ، والجرائد ، والجهات الاخرى المهتمة »(١٠٢) .

واشارت الشهادات ايضا الى أن هناك مبالغ غير مفسرة في ميزانية م.ص.ا ، قد دفعت الى مؤسسة رابينوفيتش لتوزيعها على مجلس شؤون الشرق الاوسط ، الذي يتألف من مجموعة اكاديمية تنشر صحيفة ، موالية لاسرائيل ، تعالج شؤون الشرق الاوسط(١٠٣) . واستعملت من أموال م.ص.ا مبالغ أخرى لتمويل « رحلات سياحية » ، تديرها لجنة فلسطين الاميركية المسيحية ، الى اسرائيل ، وهي خاصة بالمواطنين الاميركيين(١٠٤)، وهدفها دعم « المجهود العام لخلق مناخ مناصر لاسرائيل »(١٠٥) .

وفي مجرى الاستماع الى الشهادات ، كشف ان م.ص.ا ، في كانون الثاني ١٩٦٣ ، قرر التوقف عن قبول الاموال من الوكالة اليهودية — القسم الاميركي ، ليتجنب التسجيل بموجب قانون تسجيل الوكالات الاجنبية(١٠٦) .

وبهذا الفصل بين نشاطات الهيئتين، والالتفاف حول التسجيل، سمح للمجلس الصهيوني الاميركي بالاستمرار في بث الدعاية والحصول على الدعم السياسي لاسرائيل من خلال دائرتي الاعلام والعلاقات العامة ، بدون أن تدمغ موادها ونشاطاتها السياسية بوصفها عائدة « لوكالة أجنبية » .

ويوجد وضع مماثل فيما يتعلق بوكالة التلغراف اليهودية (و. ت. ي) وهي منظمة أخرى غير مسجلة « تخصصت في توزيع الاخبار اليهودية »(١٠٧) .

وافاد السيد هامر ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م قبل ١٣ آذار ١٩٦٠ — وهي فترة اعادة التنظيم — كانت تملك معظم حصص التصويت في وكالة التلغراف اليهودية. وكانت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م تقدم دفعات مالية الى و.ت.ي منذ تنظيمها في بداية الخمسينات وحتى اعادة تنظيم الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م سنة ١٩٦٠ . ولم يجر ابلاغ المشتركين او وزارة العدل بأن الوكالة تسيطر على و.ت.ي وتمولها(١٠٨) .

بعد تكوين الوكالة اليهودية — القسم الاميركي وهي الوكيل المسجل لـ م ص ع/و ي انتقلت اليها ملكية و. ت. ي . واستمرت التبرعات تقدم الى و. ت. ي من قبل القسم الاميركي حتى بداية ١٩٦٣(١٠٩)، ورغم الادعاء بأن الدفعات التي يقدمها القسم الاميركي قد توقفت في ذلك الوقت ، فقد احتفظ بالسيطرة على و. ت. ي وبقيت الاخيرة غير مسجلة .

وهكذا رغم أن القسم الاميركي قد أعيد تنظيمه علنيا وجرى تسجيله كوكيل اجنبي لموكله الـ م ص ع/و ي ، فان المنظمات السياسية التابعة له تستمر في توزيع مواد الدعاية وتعمل في الظاهر كهيئات أميركية مستقلة .

لقد اثبتت جلسات الاستماع الى الشهادات ، التي كلف بها فولبرايت ، بشكل واضح ، وجود جهاز سياسي متشابك يقوم بجمع الاموال ، ويعمل في الولايات المتحدة ويتم الاشراف عليه مركزيا في اسرائيل . ان البيانات السابقة تثبت أنه لم يحصل أي تغيير حقيقي في العلاقة بين الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م والوكالة اليهودية في القدس بعد اعادة التنظيم المزعومة عام ١٩٦٠ . وعلى هذا ، تبقى نشاطات الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م توجه من قبل الوكالة اليهودية في اسرائيل . وبالاضافة الى هذا ، من الواضح ان وكالة القدس تسيطر أيضا على نشر وتوزيع مادة دعائية سياسية بحتة في الولايات المتحدة ، بواسطة منظمات مثل المجلس الصهيوني الاميركي ووكالة التلغراف اليهودية ، وذلك من خلال وكيلها المسجل : القسم الاميركي. وباستثناء القسم الاميركي، على أية حال ، لم يجر تسجيل أي من هذه المنظمات ، حسب متطلبات القانون ، بصفتها وكالات أجنبية لموكل أجنبي هو الوكالة اليهودية في القدس . وبالتالي تظل نشاطاتها السياسية غير مقيدة من قبل الحكومة الفدرالية ، وتظل تحتفظ بوضعها المميز بالاعفاء من الضرائب .

جـ ــ جمع الاموال

ان النداء اليهودي الموحد (ن. ي. م) ، المنظمة اليهودية الرئيسية لجمع الاموال في الولايات المتحدة ، هو شركة بين النداء الاسرائيلي الموحد (ن. ا. م) ولجنة التوزيع الاميركية اليهودية المشتركة (ل. ت. م)(١١٠). وقد كان تنظيمه في سنة ١٩٣٩ ، انتصارا رئيسيا للصهيونيين الاميركيين الذين كانت جهودهم منصبة في ذلك الوقت على تحقيق السيطرة على صناديق الرعاية اليهودية القائمة والاتحادات المحلية التي كانت تحت سيطرة قادة غير صهيونيين(١١١). وخلال سنتين فقط أصبح الصهيونيون ، من خلال ن. ي. م ، يتلقون التبرعات من ٣٣٧١ جالية مقابل ٧٠٠ جالية فقط قبل ذلك بخمس سنوات(١١٢). وكان النداء الفلسطيني الموحد (الذي أصبح فيما بعد النداء الاسرائيلي الموحد) يقدم سبعين بالمئة من خطباء ن. ي. م ، بدلا من لجنة التوزيع المشتركة التي كانت الجناح غير الصهيوني ، الى حد كبير ، للمنظمة . وقد قفزت حصة ن. ا. م الصهيوني من الدخل المتزايد سنة بعد أخرى لـ ن. ي. م ، من ٢٦،١ ٪ عام ١٩٣٩ الى ٥١،١ ٪ عام ١٩٥٠ الى ٦٧ ٪ من الخمسة وخمسين مليون دولار الاولى التي تجمع سنويا و ٨٧،٥ ٪ من الباقي عام ١٩٦٧ . ان هذه المعادلة الاخيرة كانت سارية منذ سنة ١٩٥١ وستبقى كذلك حتى نهاية عام ١٩٧٣ . وقد بلغ مجموع ما تلقاه النداء الاسرائيلي الموحد (سابقا النداء الفلسطيني الموحد) بالدولارات ، منذ نشأته سنة ١٩٣٩ وحتى السنة المالية ١٩٧٠ ، ما يقارب ١٤٧٩ مليون دولار ، من النداء اليهودي الموحد ، الذي كانت أمواله تنتقل الى المنظمة الصهيونية العالمية/الوكالة اليهودية(١١٣) .

أما النداء اليهودي الموحد نفسه فقد تلقى مدفوعات نقدية تبلغ ٢٣٦٣ مليون دولار بين سنتي ١٩٣٩ و١٩٧١ ، من التبرعات الاميركية . وبلغت حملة ن. ي. م ذروتها سنة ١٩٦٧ . فقد تلقت تعهدات لحملتها المنتظمة بلغت قيمتها ٦٧ مليون دولار و١٧٣ مليون دولار لصندوق الطوارىء . وفي سنة ١٩٦٨ ازدادت التبرعات المنتظمة الى ٦٩،٧ مليون دولار ، ولكن التعهدات لصندوق الطوارىء الاسرائيلي (الذي أوجده ن. ي. م لجباية الاموال لخدمة مجهود حرب الايام الستة في الولايات المتحدة) انخفضت الى ٨٠ مليونا . وفي سنة ١٩٦٩ ارتفعت الى ٧٤ مليون دولار للحملة المنتظمة والى ٩٩ مليونا لصندوق الطوارىء . وعادت التبرعات المنتظمة فارتفعت الى ٧٨ مليون دولار ولصندوق الطوارىء الى ١٢٤ مليون دولار عام ١٩٧٠(١١٤). أما الواردات النقدية الفعلية ،

بالمقارنة مع التعهدات التي تلقاها ن. ي. م. فقد بلغت ٨٠٤٧ مليون دولار كأموال منتظمة لعام ١٩٧٠ (١١٥).

وبالاجمال ، تم جمع ٤٤٢ مليار دولار في الولايات المتحدة من قبل منظمات الجالية اليهودية الرئيسية بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٧٠ . ومن هذا المبلغ جمع ١٤١ مليار دولار منذ حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ (١١٦).

ان خمسة وستين بالمئة من ميزانية وكالة القدس تأتي من تبرعات مواطني الولايات المتحدة . وتأتي في الدرجة الثانية تبرعات انجلترة التي لا تزيد عن خمسة الى سبعة بالمئة سنويا(١١٧).

ان حصة ن. ا. م — اي حصة الصهيونية ، ذهبت الى الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م ، التي ارسلت الاموال مباشرة الى م. ص. ع/و. ي في اسرائيل(١١٨). وباستثناء مصروفات ادارية ثانوية وبعض التخصيصات المشبوهة والتي تمر عبر المجلس الصهيوني الاميركي (وقد افاد السيد هامر بأنها تأتي من مصادر غير ن. ي. م)(١١٩)، فان **جميع** اموال الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م التي جمعت في الولايات المتحدة قد ارسلت الى م. ص. ع / و. ي في اسرائيل(١٢٠).

ومن اجل ابعاد الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م كمعبر وسيط لنقل الاموال الى اسرائيل ، قامت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م بتوحيد عملياتها مع النداء الاسرائيلي الموحد في سنة ١٩٦٦ . والشركة المتحدة هي الان النداء الاسرائيلي الموحد ش. م.(١٢١) بعد « اعادة تنظيم » الوكالة اليهودية عام ١٩٦٠ ، لم يطرأ اي تغيير على العلاقة المالية بين م. ص. ع / و. ي والوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. (انظر قسم ب اعلاه) . لقد ضمنت اعادة التنظيم فقط السيطرة الاميركية على الاموال المجموعة في الولايات المتحدة ما دامت هذه الاموال في اميركا . وليس هناك ما يضمن ان الاموال ستنفق في اسرائيل بناء على طلب وتوجيه المنظمة الاميركية ، باستثناء الادعاء بأن الوكالة اليهودية لاسرائيل ، ش. م. (والتي اندمجت الان مع النداء الاسرائيلي الموحد تحت الاسم الاخير) هي الموكل وأن الوكالة اليهودية في القدس هي الوكيل(١٢٢).

وبما أن الوكالة اليهودية لاسرائيل تدعم الوكالة اليهودية في القدس ، وبما أن وكالة القدس تحتفظ بالوكالة اليهودية — القسم الاميركي بصفتها وكيلها الحكومي المسجل ، فالنتائج الواضحة هي أن القسم الامريكي هو ايضا وكيل للوكالة اليهودية لاسرائيل . ومن جهة أخرى فأن الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. غير المسجلة تكون بالضرورة منخرطة في نشاطات سياسية غير مشروعة وهي دعم وكيل . وقد اثار هذه النقطة السناتور فولبرايت في جلسات الاستماع خلال افادة السيد هاملين ، المدير التنفيذي للقسم الاميركي :

السيد هاملن : « ان اموال ن. ي. م. تذهب الى اجزاء مختلفة من العالم . ان الجزء الذي يخص اسرائيل يرسل عبر الوكالة اليهودية ش. م. مباشرة الى اسرائيل ... تلقينا اموالنا من القدس وجنيف » .

الرئيس : « انني لا افهم تماما يا سيد هاملن ، كيف يمكنك ان تقول بهذا الشكل القاطع انه لم تأتكم اية أموال من ن. ي. م ، بينما في الوقت نفسه ، تصرح بأن مبلغا كبيرا من الاموال الممنوحة ، وليس كلها ، من ن. ي. م ، تذهب الى الوكالة اليهودية في القدس. « يبدو من المنطقي تماما أن جزءا على الاقل من تلك الاموال تأتي من ن. ي. م. فقط عن طريق القدس . أليس هذا استنتاجا منطقيا ؟ »

السيد هاملن : « لعله من الممكن ان يكون استنتاجا منطقيا »(١٢٣).

لم يستطع اي من السيد هاملن أو السيد هـامر أن يبرز اي دليـل على أن المواطنين الامريكيين يملكون توجيه انفاق الاموال في الخارج . من غير المنطقي ان تكـون منظمة امريكية موكلة لمنظمة لها وكيل اجنبي مسجل في هذه البلاد وتظل منظمة خيرية . فأمـا أن تكون الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. أيضا وكيلا للوكالة اليهودية واما ان تكون تدير نشاطات سياسية بنفسها عن طريق التمويل والسيطرة عـلى وكيل مسجل . ولا يمكن التهرب من هذه النتيجة بالقول بأن وكالة القسم الامريكي ليس لها علاقة بأغراض الوكالة المزعومـة للوكالة اليهوديـة لان القسم الاميركي يحضر جلسات مجلس ادارة الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. ان المنظمات الثلاث منغمسة بشكل عميق بحملـة جمع الاموال .

وتجب الملاحظة ، اضافة الى هذا ، أن الحكومة الاسرائيلية يجب أن تكون مرتبطة بهذه الشبكة المالية المتداخلة . فبعد ان افاد السيد هاملن بأن وكالة القدس تلقت « بضعة عشرات الملايين من الدولارات » كتبرعات من حكومة اسرائيل(١٢٤) ، أضاف محاميه ، مستشار القسم الاميركي ، موريس بوكشتاين ، بأن الحكومة الاسرائيلية تبرعت بمبالغ كبيرة لوكالة القدس ، من الاموال التي تلقتها كتعويضات المانية ، **بالاضافة الى** التبرعات المباشرة التي قدمتها الحكومة(١٢٥) .

د ـــ حرب الايام الستة

لقد اوجد النداء اليهودي الموحد فورا منظمة تابعة له ، صندوق الطوارىء الاسرائيلي ، ليتولى جهود جمع الاموال في الولايات المتحدة من أجل الحرب . وجـاء في تقرير اللجنة التنفيذية الصهيونية ، « ان العطف تجاه اسرائيل قد عبر عن نفسه بشكل مساعدة مالية ذات حجم لم يسبق له مثيل في السجل الصهيوني ـــ أو لدى اية أمة في العالم »(١٢٦) . ففي حفلة غداء واحدة ضمت ٢٠٠ من قادة الجالية اليهودية في نيويورك ، في اليوم الاول من الحرب ، حصل الصندوق على تعهدات بلغت قيمتها ١٥،٠٠٠،٠٠٠ دولار خـلال ١٥ دقيقة(١٢٧) . وخلال الاسابيع الثلاثة الاولى من حملة جمع الاموال،زادت الهبات الاميركية لاسرائيـل عن ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار . وكـان هناك شرط اولي فرض عـلى جميع الوكالات اليهودية التي طلبت تفويضا للقيام بحملة عامة لجمع الاموال لصالح مشاريع اسرائيل « وهو أن توافق كل وكالة عـلى احترام وضمان اولويـة صندوق الطوارىء الاسرائيلي وحملة ن. ي. م. المنتظمة ، فيما يتعلق بتوقيت الحملة والدعاية لها »(١٢٨) . وكانت النتيجة ان جمع صندوق الطوارىء الاسرائيلي وحده ١٧٣،٠٠٠،٠٠٠ دولار في الولايات المتحدة في سنة ١٩٦٧ (١٢٩) .

وكان المنسق المركزي للدعم اليهودي لاسرائيل هو بالطبع الوكالـة اليهودية ـــ القسم الاميركي وهو الوكيل الاجنبي في اميركا لـــ م. ص. ع / و. ي. « لقد كان في الحقيقة المركز العصبي لتعبئة اليهود الامريكيين لصالح اسرائيل »(١٣٠) .

وكنتيجة لانتصار اسرائيل في الحرب ، فقد زادت مساحة اراضيها بشكل كبير . وعلى اساس خطوط وقف اطلاق النار التي تقررت في حزيران ١٩٦٧ ، اصبحت اراضيها تضم الان سيناء كلها ، واخصب اراضي الاردن الغربية ، والزاوية الواقعة في اقصى غـرب سوريا . وحتى هذا التاريخ ، رفضت الحكومة الاسرائيلية أن تتخلى عن كل أو جزء من هذه الاراضي المحتلة .

هـ ـــ اعادة التنظيم سنة ١٩٧١ (١٣١)

بعد حرب الايام الستة والزيادة الهائلة في حجم التبرعات الاجنبية لاسرائيل ، بدأ لويس أ. بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، مشاورات مع القادة الصهيونيين وغير الصهيونيين في العالم الذين دعموا اسرائيل ، لغرض اعادة تنظيم م. ص. ع. /

و. ي. ويحلول عام ١٩٧٠ أمكن الوصول الى اتفاقية تنفصل بموجبها م. ص. ع. والوكالة اليهودية لاسرائيل قانونيا ، ولكنهما تقيمان علاقة مشاركة جديدة مع هيئات الجباية اليهودية العالمية المحددة في الاتفاقية(١٣٢). وقد وقعت اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، اخيرا في ٢١ حزيران ١٩٧١ ، وأطلق على عملية المشاركة رسميا اسم الوكالة اليهودية المعاد تكوينها لاسرائيل(١٣٣).

ورغم الزعم بأن اعادة تكوين الوكالة قد اجريت لتعبئة الموارد المتاحة و « الحصول على مشاركة نشطة من اليهود في شتى انحاء العالم في اعمال الانقاذ واعادة التأهيل ، والاستيطان والاعمار في اسرائيل »(١٣٤)، فقد حدد السيد بينكوس السبب في هذا التغيير بوضوح :

« لماذا الفصل بين الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية ؟ لماذا لا نستطيع أن نكون في هيئة واحدة ؟ في الحقيقة اننا تعرضنا للضغط من قبل بلدان كثيرة وليس فقط من قبل انجلترا ، جنوب افريقيا ، استراليا وبلدان اخرى . لقد اتخذنا الخط الذي اتخذناه بسبب اوضاع في بلدان معينة وخاصة في الولايات المتحدة . ان الفصل هو ضرورة تولدت عن تطورات قانونية معقدة ، لن احاول ، في هذه اللحظة ، حتى محاولة تحديدها. ولذلك ، توصلت الحركة الصهيونية الى الاستنتاج بأنها يمكن ان تقبل مشاركة على أساس الفصل ولكنها لن تدفع هذا الفصل الى ابعد مما تفرضه الالتزامات القانونية . . . »(١٣٥).

اما الاتفاقية نفسها فهي أكثر صراحة : « ان الوظائف والمهام والبرامج التي تتولاها الوكالة أو تقدم لها الاموال سوف تكون من نوع يمكن تنفيذه من قبل منظمات معفاة من الضرائب »(١٣٦).

واستنادا الى السيد بينكوس ، لم يكن للجماعات الاميركية التي تجمع الاموال ، قبل اعادة التنظيم ، اية سيطرة على الاموال المجبية بعد أن تترك الولايات المتحدة . واليوم، كما يؤكد ، فان الجماعات الاميركية هي جزء من عملية اتخاذ القرارات . وقد صرح في مقابلة مع وكالة التلغراف اليهودية :

« في السابق كانت منظمات الجباية تقوم فقط بجمع الاموال وارسالها الى الوكالة اليهودية لتقوم بدورها بانفاقها . اما اليوم فهم يساعدون في وضع الميزانية وتعيين الاولويات »(١٣٧).

ويلاحظ أن تصريح السيد بينكوس بأن المنظمات الاميركية ليس لها اية سيطرة على الاموال بعد مغادرتها الولايات المتحدة يتعارض تعارضا مباشرا مع الادعاءات التي وردت خلال جلسات الاستماع الى الشهادات التي كلف بها فولبرايت عام ١٩٦٣ ، بأن الاموال الاميركية ، رغم ارسالها مباشرة الى اسرائيل بواسطة الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. تظل تحت سيطرة المنظمة الاميركية(١٣٨).

ان المتبرعين وجماعات الجباية الاميركية لا زالت ، لا تملك السيطرة على انفاق الاموال الاميركية في اسرائيل . وقد اعلن السيد مايكل ساكر ، رئيس النداء الفلسطيني المشترك في لندن وزعيم الوفد البريطاني الى الجمعية التأسيسية للوكالة اليهودية المعاد تكوينها بأنه :

« ليس من وجهة نظري أن يحاول اعضاء الدياسبورا في الوكالة الجديدة ، السيطرة على توجيه انفاق الاموال . ولكنني لا اعتقد أنه لا يحق لهم لفت النظر الى مجالات مهملة أو الى طرق اكثر كفاءة في انفاق أموال سبق وضعها في الميزانية »(١٣٩). وهكذا بالرغم من أن البنية التنظيمية الصهيونية قد تغيرت في الظاهر مرة اخرى ، فأن فلسفة عملها بقيت كما هي .

وبالاضافة ، رغم الافتراض بأن الوكالة الجديدة تمثل مصالح الصهيونيين وغير الصهيونيين على السواء ، فأن الصهيونيين يملكون اغلبية واضحة في هيئاتها الحاكمة . وقد اعترف الدكتور اسرائيل غولدشتاين ، رئيس الكيرن هايسود (النداء الاسرائيلي الموحد) ، بأن كثيرا من الافراد الذين يمثلون ما يسمى بالجانب غير الصهيوني من الوكالة الموسعة هم صهيونيون كلية(١٤٠).

وبموجب الاتفاقية تكون الهيئات الحاكمة للوكالة الجديدة هي ، الجمعية العمومية ومجلس الحكام واللجنة التنفيذية(١٤١). وتتألف الجمعية العمومية الاولى من ٢٩٦ عضوا ٥٠ بالمئة منهم تعينهم م. ص. ع. بالنيابة عن اسرائيل وعن نفسها ، و ٣٠ بالمئة يعينهم النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. في نيويورك و ٢٠ بالمئة تعينهم الجاليات اليهودية في غير اسرائيل والولايات المتحدة(١٤٢).

اما وظائف الجمعية العمومية فهي :

تلقي التقارير من مجلس الحكام واللجنة التنفيذية ، مراجعة الاحتياجات والبرامج ، تقرير السياسات الاساسية ، النظر في الميزانيات المقدمة من مجلس الحكام والعمل بموجبها ، انتخاب مجلس الحكام ، وانتخاب الرسميين(١٤٣).

ان مجلس الحكام ، كما اشرنا اعلاه ، يتم انتخابه من قبل الجمعية العمومية . ويتألف المجلس من ٤٠ عضوا ينتخبون على نفس اساس انتخاب اعضاء الجمعية العمومية من حيث معيار التمثيل المئوي(١٤٤). وهو يتحمل مسؤولية ادارة شؤون الوكالة والاشراف على نشاطاتها(١٤٥).

اما العمليات اليومية للوكالة فتكون اللجنة التنفيذية مسؤولة عنها وخاضعة لاشراف مجلس الحكام(١٤٦). وقد اختيرت القدس لتكون مقر المكتب الرئيسي . ويتم انتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية ، باستثناء الرئيس الذي هو في الوقت نفسه رئيس الجمعية العمومية ، من قبل مجلس الحكام(١٤٧).

وعلى اللجنة التنفيذية الان أن تعد ميزانية سنوية باحتياجات وواردات ومصروفات الوكالة لتقديمها الى المجلس للموافقة عليها بحيث تخضع لتوصيات الجمعية العمومية(١٤٨). ومن بين الموارد المالية للوكالة الجديدة ، حسب ما ورد في الاتفاقية ، نشاطات جمع الاموال ، والدخل المتأتي عن الاستثمارات ومن تحصيل الديون ، **والمنح التي تقدمها حكومة اسرائيل**(١٤٩).

وبخصوص العلاقات بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية للوكالة ، وصف لويس أ. بينكوس هذه العلاقة « بأنها علاقة تفاهم متبادل وتعاون » ان مجلس التنسيق (المعترف به بموجب قانون الوضع القانوني والميثاق ، والمسؤول عن توزيع المهام والواجبات بين الحكومة والوكالة اليهودية ، انظر اعلاه ، الجزء الثاني أ) يجتمع مرة كل ثلاثة أشهر ، وتجتمع لجانه الفرعية بشكل متكرر اكثر(١٥٠). ورئيس وزراء اسرائيل هو عضو دائم في هذه الهيئة التنسيقية .

و ـ الهجرة الاميركية

كانت « علياه ريفاخا » ـ الهجرة الطوعية من البلاد المزدهرة الى اسرائيل ـ مصدر قلق أساسي للحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية الصهيونية منذ المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين ، مؤتمر الهجرة ، في سنة ١٩٦٠ . وقد جاء في تقرير اللجنة التنفيذية الى المؤتمر السادس والعشرين : « لقد بذلت جهود متصلة لنشر رسالة العودة (علياه) بين يهود البلدان الاكثر ازدهارا حيث يوجد احتياطي هائل من المهاجرين من كافة

قطاعات المجتمع ــ ذوي المهن الحرة ، والصناع ، والحرفيين ، والميسورين ... هذه الهجرة لهــا اهمية خــاصة بالنظــر الى حــاجة الدولة الكبــيرة للطاقة البشريــة المدرسية »(١٥١).

على أن هذه الجهود ، وخاصة فيما يتعلق بيهود الولايات المتحدة ، كانت فاشلة بشكل ملحوظ . « بمقدار ما يتعلق الامر بمعظم اليهود الامريكيين ، فان الجهود الدعائية التي بذلتها الوكالة اليهودية والجماعات الصهيونية الاخرى ، قد لاقت نجاحا ساحقا في مجال، وفشلت فشلا ذريعا في مجال اخر . لقد غرسوا في نفوس اليهود (وفي نفوس الامريكيين عموما) شعورا بأن دولة اسرائيل هي كيــان قومي ضروري ودائم ويستحق الــدعم الاميركي ، واذا لزم الامر ، الحمــاية العسكرية الامريكية . ولكــن لم يخلق اي زخم لــ (علياه) امريكية ، لهجــرة اميركية الى اسرائيل ، هجــرة لليهود وليس هجــرة للدولارات »(١٥٢).

في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ والمتضمنة لهما ، تراوحت الهجرة الاميركية الى اسرائيل بين ٣٦٩ شخصا فقط عام ١٩٤٨ الى ٤٤٠ شخصا عام ١٩٥٢ ونزولا مرة اخرى الى ٢٨٧ عام ١٩٥٦ . ونتيجة لارسال مبعوثي دائرة الهجــرة (شليخيم) الى الولايات المتحدة عام ١٩٥٧ ، وهو الدليل الحقيقي الأول ، على زيادة الجهود الرسمية لتشجيع الهجرة الامريكية ، زادت الهجرة بمقدار الضعف تقريبا عن السنة السابقة . وفي اعقاب المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين ازدادت ارقام الهجرة زيادة هامة مرة اخرى ، من ٨٥٣ عام ١٩٦٠ الى ١٣٥٧ عام ١٩٦١(١٥٣). ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية حرب الايام الستة تزايد بثبات عدد المواطنين الامريكيين اليهود المهاجرين ولكن بزيادات سنوية صغيرة تبلغ حوالي ١٠٠ شخص(١٥٤). ولكن منــذ حرب الايام الستة ، هاجر حوالي ٢٤٠٠٠ يهودي من اميركا الشمالية ، معظمهم كانوا يقيمون في الولايات المتحدة. ويبدو أن هنــاك عدة أسباب لانعدام الحمــاس لــدى اليهود الامريكيين للهجرة الى اسرائيل . واستنادا الى اللجنة التنفيذية الصهيونية ، « يبدو أن هؤلاء اليهود لا يعون أية حاجة للخلاص الشخصي عن طريق المجيء الى اسرائيل . وهم لا يعون أي التزام بالمشاركة في اعادة تكوين الكومنولث الاسرائيلي »(١٥٥). ولكــن الأكثر اهمية أن الذي يردعهم عن المجيء هو خطط الاستيعاب غــير المرضية في حقل الاستخدام والاسكــان وتعليم اطفالهم(١٥٦).

وللتغلب على عدم الاهتمام الــذي يبديــه اليهود الامريكيون بشأن الهجرة الفعلية الى اسرائيل ، ضاعفت الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية ومنظماتها التابعة ، بشكل متزايد ، جهودها من أجل توسيع الهجرة بالتأكيد عــلى أفكار الهجرة بأعتبارها جــزءا مركزيا في حياة كل يهودي . وعلى سبيل المثال ، انتجت المناقشات بين اعضاء الحركة الصهيونية قرارا يقضي بأن « من الضروري أن يلزم كــل يهودي ، كشرط لانتمائه الى الحركة الصهيونية ، وبالتأكيد كشرط لاحتلاله منصبا في الحركة الصهيونيــة ، ان يبذل جهدا حقيقيا للاعداد لاستقراره في هذه البلاد (اسرائيل) ، وعلى الاقل أن يعد اطفاله للعودة (علياه) في موعد عاجل أو آجل »(١٥٧).

« يجب أن يعي الفرد اليهودي باستمرار التزامه بالاستيطان في اسرائيل »(١٥٨). وكجزء من الحملة لخلق « حاجة الى الخلاص الشخصي » بين اليهود الاميركيين ، زيد عــدد الشليخيم (مبعوثي الهجرة) في الولايات المتحدة من قبل دائرة الهجرة ، من أربعة عام ١٩٦٤(١٥٩) الى ثمانية عــام ١٩٦٨(١٦٠) الى عشرين عــام ١٩٧٠(١٦١) . وتأسست « حركات علياه » ومكاتب في الولايات المتحدة لغرض « نشر فكرة الهجرة وتعميق الوعي الهجروي » عن طريق توزيع الادبيات والمعلومات في الاوساط اليهودية وتحديد المهنيين والمرشحين الاخرين ، المرغوب فيهم ، للهجرة(١٦٢). وقد استخدمت اللجنة التنفيذيــة

الصهيونية مساعدة وتعاون جماعات مثل بناي بريت اسرائيل الفتية ، اتحاد الحاخامين المحافظين ، منظمة الحاخامين الارثوذوكس ، واللجنة الاميركيـــة اليهودية(١٦٣). كما نظمت « اشهر عودة (علياه) ، جرى خلالها تكثيف الجهد الدعائي العام(١٦٤).

ومع انه من الواضح ان تشديدا كبيرا قد وضع على الهجرة الاميركية في العقد الاخير ، الا أنه لم تطرأ زيادة تذكر على عدد اليهود الاميركيين الذين هاجروا فعلاً حتى فترة مـــا بعد حرب الايام الستة . فخلال السنوات العشرين التي سبقت الحرب ، كان ٦،٥٪ فقط من المجموع الكلي للمهاجرين ، من البلدان الغنية (وبضمنها الولايـــات المتحدة ، كندا ، بلدان اميركا اللاتينية وبلدان اوروبا الغربية) . على أن هذه النسبة ارتفعت الى ٤١٪ عام ١٩٦٨ والى ٤٧٪ عام ١٩٦٩(١٦٥). ان احتياجـــات هجرتهم واستيطـــانهم واستيعابهم ، توفرها لهم الوكالة اليهودية في القدس من التبرعات المعفاة من الضرائب، والمحصلة في الولايات المتحدة وغيرها .

ز ــ سنوات ١٩٦٨ ــ ١٩٧٢

منذ سنة ١٩٦٨ وحتى الوقت الحاضر ، وفر (برنامج القدس لعام ١٩٦٨) الذي تبناه المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون ، الخطوط الاساسية التي تسترشد بها الحركة الصهيونية في العالم بأسره . ويعدد البرنامج اهداف الصهيونية كالتالي :

وحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيـــل في الحياة اليهودية ، جمـــع شتات الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ، ارض اسرائيل ، من خلال الهجرة من جميـــع الاقطار ، تقوية دولة اسرائيل التي ترتكز على رؤيا نبوئية للعدالة والسلام ، الحفاظ على هويـــة الشعب اليهودي من خلال تدعيـــم التعليم العبري واليهودي وتدعيـــم القيم اليهودية الروحية والثقافية(١٦٦).

لقد كان مركز التفجر في نشاط م. ص. ع. والوكالة اليهودية هو دائرة الهجرة التابعة للجنة التنفيذية الصهيونية . وقد كان اهتمامها الرئيسي في الهجرة من البلدان الغنية : ان « المسألة الحاسمة التي تواجهنا هي كيفية اعمار المناطق المحررة حديثا (بعد حرب الايام الستة) باليهود ، في وقت لا يرغب فيه اليهود الذي يعيشون في بلدان يمكن الخروج منها، بالمجيء والاستيطان هنا (في اسرائيل) »(١٦٧). وبالتالي فقد وجهت عمليات الدوائر الاخرى نحو حركة الهجرة (علياه) في محاولة منها لتجنيد مرشحين جدد للهجرة ورفع أرقام الهجرة المخيبة للآمال .

وكجزء من الخطة الشاملة للهجرة والاستيعاب ، فقد كانت وستظل اقامة مستوطنات جديدة ضمن الحدود الموسعة لاسرائيـــل ، ذات أهمية رئيسية . وكمـــا بينا في القسم الثالث ، جزء أ ، يعتبر الاستيعاب واستيطان المهاجرين في اسرائيل ، ببساطة ، عامـــلا من عوامل الدفاع القومي(١٦٨). وكانت النتيجة ان اقيمت ٥٠ مستوطنة جديدة في ارجاء البلاد وعلى طول حدودها ، منذ حرب الايام الستة(١٦٩). وللحفاظ على المعدل الحـــالي للاستيطان ، ولزيادته اذا أمكن في المستقبل ، قرر المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون، في بداية عام ١٩٧٢ ، أن يتبع بحزم سياسته في الاستعمار « كأساس لاعادة بناء البلاد، ولتوزيع سكان اسرائيل ... ولضمان حدودها »(١٧٠).

وكما سنتبين في القسم التالي ، ادت عملية استعمـــار فلسطين المخططة ، من قبـــل المهاجرين اليهود ، الى الاجلاء المتعمد والوحشي في كثير من الاحيان ، لسكان فلسطين الاصليين من العرب .

لقد كان اهم حدث في السنوات الاربع الماضية بالنسبة للحركة الصهيونية و م. ص. ع / و. ي. هو اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل (جرى بحثه في القسم هـ ، اعلاه).

ورغم الادعاء بأن اعادة التنظيم قصد منها السماح لاجهزة الجباية بمشاركة اكبر في شؤون الوكالة ، فقد اعترف لويس أ. بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، بأن فصل م. ص. ع. عن الوكالة اليهودية نشأ عن « تطورات قانونية معقدة » ، لم يشأ ان يحددها(١٧١).

وبالتطلع للمستقبل ، من الواضح ان السياسة الصهيونية للسنوات الثلاث أو الاربع القادمة سوف تكون ، ببساطة ، امتدادا للسنوات الاربع الماضية . وفي القرارات الصادرة عام ١٩٧٢ ، أعاد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون اثبات وتأكيد القاعدة الاساسية التي عملت بموجبها الحركة الصهيونية في الماضي :

يدعو المؤتمر اللجنة التنفيذية القادمة للتأكد من أن كافة المنظمات الصهيونية الاقليمية والاعضاء الافراد في الحركة الصهيونية ، يستعملون نفوذهم لدى المنظمات والروابط اليهودية العالمية والقومية والمحلية ، التي تعمل في المجالات السياسية ، والدينية ، والشبيبة ، والتربوية ، والخيرية ، والثقافية والاجتماعية ، لجعلها اكثر توجها نحو اسرائيل ، استنادا الى مبدأ مركزية اسرائيل في الحياة اليهودية(١٧٢).

ملحق

تعريف بالمنظمات الصهيونية الرئيسية

المجلس الصهيوني الاميركي :

المجلس الصهيوني الاميركي ، الذي يتخذ من الولايات المتحدة مقرا عاما له ، مسؤول عن استخلاص الدعم السياسي لاسرائيل والصهيونية وتوزيع المادة الدعائية المناصرة لاسرائيل . قبل عام ١٩٦٣ ، كانت تدعمه ماليا الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي ، ولكنه الان ، يقوم على دعم جماعات مستقلة عن الوكالة اليهودية، على ما يزعم . وهو ينظم ويدعم جماعات أخرى موالية لاسرائيل والصهيونية تعمل في الولايات المتحدة . والمجلس غير مسجل كوكيل اجنبي للحكومة الاسرائيلية .

الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي :

نظمت الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي عام ١٩٦٠ لتتسلم عمليات الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م من أجل تسيير نشاطات الوكالة اليهودية ــ القدس في الولايات المتحدة . وهي « الوكيل الاجنبي » المسجل لوكالة القدس في هذه البلاد . وهناك ادلة تشير على أنها مدعومة ماليا من قبل النداء اليهودي الموحد .

الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. :

ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. ، التي هي في الاصل شركة نيويوركية مسجلة بصفتها « وكيلا اجنبيا » للوكالة اليهودية ــ القدس ، لمتابعة نشاطات وكالة القدس في الولايات المتحدة ، عملت كمعبر وسيط لارسال أموال النداء الاسرائيلي الموحد الى اسرائيل . وقد الغت تسجيلها عام ١٩٦٠ (مفوضة مهامها السابقة الى الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي الجديدة) وخضعت لاشراف المنظمات الاميركية حسب ادعائها . ويزعم القادة الصهيونيون انها تسيطر على وكالة القدس ، مما يعني ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م هي الموكل (في الولايات المتحدة) ووكالة القدس (في اسرائيل) هي الوكيل . في عام ١٩٦٦ وحدت عملياتها مع النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. ، وتعمل كلتا المنظمتين الان تحت اسم النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. .

الوكالة اليهودية ــ القدس (الوكالة اليهودية لفلسطين) :

بعد تأسيسها عام ١٩٢٢ في ظل الانتداب البريطاني ، ارتبطت الوكالة اليهودية ــ القدس فورا بالمنظمة الصهيونية العالمية ، وحتى عام ١٩٧١ كانتا تعتبران منظمة واحدة . وهي تسيطر ، من مقرها الرئيسي في القدس ، على مجمل جهاز الجباية الصهيوني في العالم كله وتحتفظ بالوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي بصفتها « الوكيل الاجنبي » المسجل لها في الولايات المتحدة . في عام ١٩٧١ جرت اعادة تنظيم مزعومة

لتسمح بمشاركة منظمات الجباية العالمية في حكمها . وكانت النتيجة ان اصبحت المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ــ القدس ، منفصلتين قانونيا ، على حد الادعاء ، وتعملان تحت هيئات حاكمة مختلفة .

الصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت ليسرائيل) :

ان وظيفة الصندوق القومي اليهودي ، الذي اسسه المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، هي شراء وتطوير واستيطان الارض في اسرائيل . وهو يمتلك الان اكثر من ٩٠٪ من مجموع الاراضي في اسرائيل ويؤجر معظمها الى المستوطنين اليهود بشرط ان يستخدموا العمال اليهود فقط وأن لا يعيدوا تأجيرها الى غير العمال اليهود . وللمنظمة شركات فرعية في كل من الولايات المتحدة ولندن لغرض جمع الاموال . وقد اسس الفرع الاميركي وسجل في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٦ تحت اسم الصندوق القومي اليهودي ش. م. وينص ميثاقه على وجوب ارسال كل الاموال التي تجمع في الولايات المتحدة الى الشركة الانجليزية كيرن كايمت ليسرائيل المحدودة لاستعمال الاخيرة الخاص .

لجنة التوزيع المشتركة :

تاسست عام ١٩٤٤ كجماعة غير صهيونية الى حد كبير لجمع الاموال لضحايا الحرب اليهود ، وهي تعمل اليوم كمنظمة صهيونية خيرية نشطة في تطوير اسرائيل ، غير انها ليست منغمسة كثيرا في الصهيونية السياسية . وهي تتلقى ٢٣٪ من الخمسة والخمسين مليون دولار الاولى التي يجمعها سنويا ن. ي. م. و ١٣٪ من الباقي .

النداء الاسرائيلي الموحد (كيرن هايسود او صندوق مؤسسة فلسطين) :

ان الغرض الوحيد لـ ن. ا. م ، الذي تأسس عام ١٩٢٠ ، هو تمويل عمليات الحركة الصهيونية . وقد ترخص في انجلترا عام ١٩٢١ تحت اسم صندوق مؤسسة فلسطين كيرن هايسود المحدودة ، وفي الولايات المتحدة عام ١٩٢٢ تحت اسم صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش. م. وكلتا المنظمتين ، البريطانية والاميركية ، جهازان رئيسيان لجمع الاموال لصالح م. ص. ع. ويتلقى النداء الاسرائيلي الموحد ٦٧ ٪ من الخمسة والخمسين مليون دولار الاولى التي يجمعها ن. ي. م. سنويا و٨٧،٥٪ من الباقي .

النداء الاسرائيلي الموحد ش.م (الحملة الاميركية من اجل فلسطين التابعة للوكالة اليهودية او النداء الفلسطيني الموحد ش.م) :

تأسس النداء الاسرائيلي الموحد ش.م في الاصل تحت اسم الحملة الاميركية من اجل فلسطين التابعة للوكالة اليهودية ، وجرى ترخيصه فيما بعد في الولايات المتحدة عام ١٩٢٧ تحت اسم النداء الفلسطيني الموحد ش.م ، لغرض جمع الاموال في الولايات المتحدة لدعم السياسة الصهيونية في استيطان وتطوير اسرائيل . وتغير اسمه فيما بعد الى النداء الاسرائيلي الموحد ش.م. وفي عام ١٩٦٦ جرى دمجه مع الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م تحت اسم النداء الاسرائيلي الموحد ش.م.

النداء اليهودي الموحد :

النداء اليهودي الموحد ، وهو شركة نيويوركية تأسست عام ١٩٣٩ ، هو أكبر منظمة جباية لاسرائيل في الولايات المتحدة . وهو مكون من شركة بين لجنة التوزيع المشتركة والنداء الاسرائيلي الموحد ، ومسؤول عن تنسيق الجبايات الصهيونية وغير الصهيونية في الولايات المتحدة . وهو يرسل الاموال الى اسرائيل عبر المنظمة الوسيطة ، النداء الاسرائيلي الموحد . وقد جمع منذ نشوئه أكثر من مليارين و٣٦٣ مليون دولار في الولايات المتحدة .

المنظمة الصهيونية العالمية :

ان الهدف المعلن لـ م. ص. ع ، التي تأسست عام ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ، ظل كما كان في البداية ، وهو اقامة وتطوير دولة اسرائيل لصالح اليهودية العالمية . وهي اذ تعمل في تعاون وثيق مع حكومة اسرائيل ، تسيطر على النشاط الصهيوني في جميع انحاء العالم وهي مصدر القوة الاساسي للصهيونية. وقد اعتبرت هي والوكالة اليهودية ــ القدس شيئا واحدا حتى جرت اعادة تنظيم الوكالة عام ١٩٧١ واعتبرت، افتراضا ، شخصية قانونية مستقلة .

المؤتمر الصهيوني :

المؤتمر الصهيوني هو المؤسسة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية . وهو يتألف من أعضاء اللجنة التنفيذية والمجلس الصهيوني العام بالاضافة الى ممثلي مختلف المنظمات الصهيونية في العالم . ومنذ عام ١٨٩٧ اجتمع المؤتمر حوالي كل أربع سنوات لغرض الاشراف على وتوجيه جميع عمليات المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية .

اللجنة التنفيذية الصهيونية :

تتألف اللجنة التنفيذية من أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية . ووظيفتها الاساسية هي ادارة شؤون المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية — القدس ، في كل من اسرائيل والخارج . وهي تقوم بهذا من خلال دوائر وظيفية ، كل منها مسؤول عن مجال معين كالهجرة مثلا . ولها هيئات انتخابية في كل من القدس ونيويورك وهي مسؤولة في عملياتها أمام المؤتمر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام .

المجلس الصهيوني العام :

المجلس هو احدى الهيئات التي تكون المنظمة الصهيونية ، ويقوم بدور المؤتمر عندما لا يكون الاخير منعقدا . وخلال فترات ما بين انعقاد المؤتمرات يكون هو المرجع النهائي في اتخاذ القرارات بشأن جميع المسائل المرتبطة بالمنظمة الصهيونية العالمية ومؤسساتها بما في ذلك اللجنة التنفيذية الصهيونية التي يمارس عليها اشرافا مباشرا .

الحواشي

١ — **الصهيونية ، قوة التغيير** . دائرة الاعلام التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية ، القدس ، ١٩٦٨ . يبدأ نص الكتاب كما يلي : « ان المنظمة الصهيونية العالمية التي تشكل الوكالة اليهودية ذراعها التنفيذي ... » . أنظر أيضا م. ص. ع — الوكالة اليهودية والقانون المتعلق بوضعها القانوني ، الذي يتم بحثه في القسم الثاني من هذه المذكرة ، وقد أضيفت نسخة منه الى الملحق لهذا الموجز : يبدأ القسم الثالث من قانون الوضع القانوني كما يلي : « ان المنظمة الصهيونية العالمية التي هي ايضا الوكالة اليهودية ... » وانظر ايضا « ميثاق بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية التي تسمى ايضا اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية». وسيجري بحثها ايضا **لاحقا** في القسم الثاني وترد في الملحق .

٢ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥ .

٣ — حسب كلمات كتاب **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٦ « ان الهيئة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبالتالي للوكالة اليهودية هي المؤتمرات الصهيونية » . ينتخب المؤتمر اللجنة التنفيذية والمجلس الصهيوني العام .

للاطلاع على الهيكل التنظيمي لـ م ص ع/و ي انظر ، ادناه ، الفصل الثاني ، القسم د .

٤ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥ .

٥ — « ارتس اسرائيل » هو اصطلاح توراتي لفلسطين يعني ارض اسرائيل . (Eretz Israel الاصطلاح الوارد في النص الانكليزي أ.) .

٦ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ١٣ .

٧ — **المرجع نفسه** ، ٢٦ — ٢٨ .

٨ — **المرجع نفسه** ، ٢٨ .

٩ — «حالوتسيم» تعني المزارعين أو المستوطنين الشباب .

١٠ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥٥ .

١١ — حاييم وايزمن ، **التجربة والخطأ : السيرة الذاتية لحاييم وايزمن** ، ٢٦٠ (مكتبة ايست آند وست ، ١٩٥٠) . كان الدكتور وايزمن هو المفاوض الصهيوني الرئيسي مع البريطانيين. وكان الرئيس الثاني للمنظمة الصهيونية العالمية وفيما بعد اصبح اول رئيس لاسرائيل .

١٢ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٢٩ .

١٣ — مقدمة الميثاق الانجلو — اميركي حول فلسطين . مادة ٤٤ . ٢١٨٤ (١٩٢٥) . انظر ايضا ستونيانوفسكي ، **الانتداب على فلسطين**

٣٥٥ (١٩٢٨) .

١٤ — وثيقة الانتداب ، المواد ٤ ، ٦ ، ١١ .

١٥ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٢٩ .

١٦ — **المرجع نفسه** .

١٧ — **دستور الوكالة اليهودية الموسعة** ، قسم ٥ (٣) ، ينص ، بين أشياء اخرى ، على « ان غير الصهيونيين من جميع البلدان الذين يحق لهم التمثيل في المجلس ، يقومون بتعيين ممثليهم بالطريقة التي تبدو ، في كل حالة ، انها الانسب لظروفهم المحلية » . ولم يجر في الدستور تحديد الهيئات غير الصهيونية في البلدان المختلفة . وكان لاعضاء المجلس ان يعينوا أعضاء الهيئتين الاخريين ، الهيئة واللجنة . وكان المجلس هو أعلى هيئة حاكمة .

١٨ — كتب الدكتور موريس كاريف ، الذي كان في ذلك الوقت عضوا غير صهيوني في الوكالة اليهودية الموسعة ، عام ١٩٣٨ ، تحت عنوان « تقسيم فلسطين ونتائجه » العدد ١٤ رقم ١٣، **مجلة الخدمة الاجتماعية اليهودية** ، انه « في اللجنة التنفيذية ، لم يحصل غير الصهيونيين أبدا على حصتهم الكاملة ... (كان) دستور الوكالة مصاغا بشكل مطاط الى حد أنه يمكن تعيين او انتخاب صهيونيين للوكالة على اعتبار انهم غير صهيونيين ... وقد عين عدد كبير من أعضاء ومسؤولي المنظمات الصهيونية في بلدانهم المختلفة ، في الوكالة كأعضاء غير صهيونيين ، وعندما تثار مسألة مبدئية كانوا يصوتون بالطبع مع الصهاينة ، وهكذا تتم هزيمة غير الصهيونيين دائما في التصويت » .

١٩ — **المرجع نفسه** .

٢٠ — المستند ج من بيان التسجيل .

٢١ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣١ .

٢٢ — « الوكالة اليهودية لاسرائيل » . **اسرائيل اليوم** ، العدد ١٦ ، القدس ، نيسان ١٩٦٦ .

٢٣ — انظر **المرجع السابق** ، ١٢ — ١٣ .

٢٤ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣٦ .

٢٥ — **المرجع نفسه** ، ٣٨ .

٢٦ — سياسة الحكومة البريطانية « الجديدة » في فلسطين ، ١٧ أيار ١٩٢٩ ، التي استهدفت اقامة دولة فلسطينية مستقلة يكون ثلث سكانها من اليهود ، وتحديد هجرة اليهود بـ ٧٥،٠٠٠ في خمس سنوات . عارض الصهيونيون هذه السياسة بشدة .

٢٧ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣٨ .

٢٨ — ليونارد سلاتر. **العهد** (نيويورك : سايمون آند شوستر ، ١٩٧٠) .

٢٩ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣٨ — ٤٠ .

٣٠ — **المرجع نفسه** ، ٩ .

٣١ — **المرجع نفسه** .

٣٢ — **الكتاب السنوي الاميركي اليهودي** ، عدد ٥٦ ، ١٩٥٥ ، ص ٥٣٣ .

٣٣ — مذكرة وبنود عقد التأسيس للكرن كايمت ليسرائيل المحدودة . رقم شهادة الترخيص ٩٢٨٢٥ ، ١٦ حزيران ١٩٣٦ ، مسجل في سجل الشركات .

٣٤ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٨ .

٣٥ — **المرجع نفسه** .

٣٦ — مذكرة تأسيس الشركة . الغرض رقم «١».

٣٧ — مذكرة تأسيس الشركة . الغرض « ر » .

٣٨ — البنود ، فقرة ١ ، ٧ .

٣٩ — البنود فقرة ٩ .

٤٠ — البنود فقرة ٤ .

٤١ — البنود فقرة ٤٠ .

٤٢ — شهادة دمج فقرة ١ .

٤٣ — شهادة دمج فقرة ٣ .

٤٤ — انظر رخصة تأسيس النداء الفلسطيني الموحد ، ش.م ، ١٠ ايار ١٩٢٧ (غير الاسم فيما بعد الى النداء الاسرائيلي الموحد ش.م).

٤٥ — القوانين الداخلية ، مادة ١ ، فقرة ١ ، مادة ٢ فقرة ١ ، مادة ٣ فقرة ١ .

٤٦ — القوانين الداخلية ، المادة ١ ، فقرة ١ .

٤٧ — القوانين الداخلية ، مادة ٢ ، فقرة ١ .

٤٨ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٢ . انظر أيضا ص ٦ و٧ .

٤٩ — **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٧ .

٥٠ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥٥ .

٥١ — دائرة الاعلام التابعة للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية ، **النشرة الاخبارية الصهيونية** رقم ١٩ ، مسح بالمشاكل الصهيونية، ٨ ، ١٠ (٥ حزيران ١٩٥١) .

٥٢ — « الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية » قرار صادر عن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، دائرة التنظيم التابعة للجنة التنفيذية الصهيونية ، **القضايا الاساسية للصهيونية في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين** ، ١٣٥ — ١٣٦ (١٩٥٢) .

٥٣ — **المرجع نفسه** .
٥٤ — **قوانين دولة اسرائيل** ، ١١٤ (١٩٥٠) .
٥٥ — **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٢٣ .
٥٦ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥٥ .
٥٧ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .
٥٨ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٨ .
٥٩ — بيان من ناحوم غولدمان ، رئيس مصرع/وي الى المجلس الصهيوني المجتمع عام ١٩٦٦ ، **المجلس الصهيوني العام** ، ١٩٣ (كانون الثاني ، ١١ — ١٨ ، ١٩٦٦) .
٦٠ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٤١ .
٦١ — يطرح هذه الاستنتاجات المرجع البارز في القانون الدولي ، و. ت ماليسون في المسائل القانونية المتعلقة بالوضع القانوني والنشاطات السياسية للمنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية ، ٩ **ويليام آند ماري لو ريفيو** ، ٥٥٤ (ربيع ١٩٦٨) .
٦٢ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٦ .
٦٣ — **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٩ .
٦٤ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٦ .
٦٥ — **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٢٢ .
٦٦ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٦ .
٦٧ — تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس عن الفترة من نيسان ١٩٦٤ الى كانون الاول ١٩٦٧ ، ٢٨٣ (حزيران ١٩٦٨) .
٦٨ — مكتب قوانين الشركات ، القسم ١ (أ) ، ٦ شباط ١٩٦٧ ، كما وردت في التقارير المقدمة الى المؤتمر السابع والعشرين ، ص ٢٨٣ .
٦٩ — **المرجع نفسه** ، قسم ١ (أ) و (ب) ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .
٧٠ — تقارير مقدمة الى المؤتمر السابع والعشرين **المرجع السابق** ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .
٧١ — دورة المجلس الصهيوني العام ، الدورة الثانية بعد المؤتمر الخامس والعشرين ، القدس ، نيسان ١٩٦١ ، خطابات ، مناقشات ، قرارات ، ص ١٥ .
٧٢ — تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين في القدس عن الفترة من نيسان ١٩٥١ الى كانون الاول ١٩٥٥ ، ٦٩ (نيسان ١٩٥٦) .
٧٣ — دورة المجلس الصهيوني العام ، الدورة الثانية بعد المؤتمر الخامس والعشرين ، القدس ، نيسان ١٩٦١ ، خطابات ، مناقشات ، قرارات ، ص ٢٨ .
٧٤ — تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس عن الفترة من نيسان ١٩٦٤ — كانون الاول ١٩٦٧ (حزيران ١٩٦٨) ، ص ٥٤ .
٧٥ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٣ .
٧٦ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .
٧٧ — دستور المنظمة الصهيونية العالمية ، كما اقره المجلس العام ، في دورته المنعقدة في كانون الاول ١٩٥٩ — كانون الثاني ١٩٦٠ ، في دورة المجلس الصهيوني العام ، الدورة الخامسة بعد المؤتمر الرابع والعشرين ، كانون الاول ١٩٥٩ — كانون الثاني ١٩٦٠ ، خطابات ، مناقشات ، وقرارات ، ص ٢٧٩ ، الفصل الاول ، المادة ٢ ، القسم الاول .
٧٨ — **المرجع نفسه** ، الفصل الاول ، المادة ٢ ، القسم الاول .
٧٩ — **المرجع نفسه** ، الفصل الثاني ، المادة ١٤ .
٨٠ — **المرجع نفسه** ، الفصل الثاني ، المادة ١٢ .
٨١ — **المرجع نفسه** ، الفصل الثاني ، المادة ١٧ . الفترة الثانية .
٨٢ — **المرجع نفسه** ، الفصل الاول ، المادة ٥ ، الفقرة ١ .
٨٣ — شهادات حول نشاطات الممثلين غير الدبلوماسيين لجهات اجنبية في الولايات المتحدة ، امام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ، ١٢١٨ (١٩٦٣) . انظر ايضا **اموال ن ي م (اعادة التنظيم)** لـ ليسنغ ج روزنفالد ، المجلس اليهودي الاميركي ، ١٩٦٠ .
٨٤ — **الكتاب السنوي اليهودي الاميركي** ، الاعداد ٥٤ — ٥٦ ، ١٩٥٣ — ٥٥ ، وتقارير مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الرعاية ، ١٦ نيسان ١٩٦٠ .
٨٥ — **وكالة التلغراف اليهودية** ، نشرة الانباء اليومية ، المجلد ٢٨ ، عدد ٧٠ ، ١١ نيسان ١٩٦٠ ، ص ٣ .
٨٦ — **هارتس** ، ١٩٧١/٩/٢٣ ، القدس .
٨٧ — **معاريف** ، ١٩٧١/١٠/١٤ ، **القدس** .
٨٨ — بموجب هذه الخطة ، تتلقى الاحزاب السياسية الاسرائيلية المبالغ التالية عن السنة المالية ١٩٧١ — ١٩٧٢ : الحزب القومي الديني يتلقى ٣،٤٢٢،٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، حزب

الاحرار الاسرائيلي يتلقى ١،٨٠٧،٠٠٠ ليرة ، وبرسل أكثر من مليون ليرة الى حزب الاحرار المستقل . وتتلقى أحزاب أخرى أيضا ، وبضمنها جماعات يسارية في اسرائيل ، مبالغ متفاوتة ، وكلها تحت اشراف الوكالة اليهودية في القدس . معاريف ، ١٤ تشرين ثاني ، ١٩٧١ .

٨٩ — بيان الحاقي قدمه القسم الاميركي من الوكالة اليهودية لاسرائيل ، ١ حزيران ١٩٧١ ، جدول ٧ ، بموجب الفصل الثاني من قانون تسجل الوكالات الاجنبية لسنة ١٩٣٨ المعدل .

٩٠ — الشهادات ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٢١ .

٩١ — القرار ٣٦٢ ، الكونغرس السابع والثمانون ، الدورة الثانية ، جلسة الاستماع الاولى .

٩٢ — قانون ماكورماك ، قانون دستوري رقم ٥٢، ٦٣ (١٩٣٨)
The McCormack Act, 52 Stat. 63 (1938), 22 USC 611 (1964).

٩٣ — جلسات الاستماع ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٠٨ — ١٣٠٩ .

٩٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢١٨ .

٩٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٣٧ .

٩٦ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٣٧ — ١٢٣٨ .

٩٧ — **الانباء اليهودية** ، ٤ ايلول ١٩٧٠، **نيوارك**، نيو جرسي ، ص ٢ ، عمود ٥ .

٩٨ — رغم الادعاء بأن المجلس الصهيوني الاميركي تحت الاشراف المستقل للمواطنين الاميركيين فقد وصفه روبرت سيلفربرغ بأنه « الفرع الرئيسي للوكالة اليهودية » وذلك في كتابه « **اذا نسيتك يا أورشليم** » ، ص ٤٧١ (نيويورك شركة ويليام مورو وشركاه ، ١٩٧٠) وهو استعراض تاريخي لمشاركة اليهود الاميركيين والولايات المتحدة في خلق دولة اسرائيل .

٩٩ — الاستماع الى الشهادات ، **المرجع السابق**، ص ١٣٠٥ .

١٠٠ — **المرجع نفسه** .

١٠١ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٥١ — ١٢٥٢ .

١٠٢ — **المرجع نفسه** .

١٠٣ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٧١ — ١٢٧٣ .

١٠٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٩٢ .

١٠٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٩٢ .

١٠٦ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٦٥ . انظر ايضا جلسات الاستماع الى الشهادات ، المرجع السابق ، ص ١٧٠٧ ، حيث لاحظ السناتور فولبرايت ان الفصل قد جرى لتجنب التسجيل .

١٠٧ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٨٤ .

١٠٨ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٨٨ .

١٠٩ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٦٦ .

١١٠ — **الكتاب السنوي الاميركي اليهودي** ، عدد ٦٩ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٤ .

١١١ — صموئيل هالبرين ، **العالم السياسي للصهيونية الاميركية** ، ١٩٨ — ٢٠٠ (ديترويت ، مطبعة جامعة ولاية وين ، ١٩٦١) .

١١٢ — **المرجع نفسه** ، ص ٢٠١ .

١١٣ — **الكتاب السنوي الاميركي اليهودي** ، عدد ٧٢ ، ١٩٧١ ، ص ١٩١ .

١١٤ — **المرجع نفسه** .

١١٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٩٢ .

١١٦ — **المرجع نفسه** ، ص ١٨١ .

١١٧ — جلسات الاستماع ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٠٣ ، **الكتاب السنوي للصحفيين الاسرائيليين لعام ١٩٧١** ، ص ١٧٩ . حسب ما جاء في هذا الكتاب ، فان ٧٠ ٪ من ميزانية الوكالة اليهودية جاءت من الاموال المجموعة في الولايات المتحدة وذلك بين سنتي ١٩٢٠ — ١٩٤٨ . وكانت تفاصيل المصروفات بين ١٩٤٨ — ١٩٧٠ للوكالة اليهودية على النحو التالي (بالدولارات) : الهجرة والاستيعاب ٥٧٣،٩٠٠،٠٠٠ ، الخدمات الطبية ٧٧،١٠٠،٠٠٠، التعليم ٧٤،٦٠٠،٠٠٠، هجرة الشباب ١٥٦،٢٠٠،٠٠٠ ، اسكان المهاجرين ٤٣٢،٥٠٠،٠٠٠ ، الاستيطان الزراعي ٩٤٥،٨٠٠،٠٠٠ ، العمل التربوي والثقافي ٢٩٤،٢٠٠،٠٠٠ ، نشاطات خارج اسرائيل ١٦٠،٥٠٠،٠٠٠ ، متفرقات ٣٠١،٦٠٠،٠٠٠ ، وبهذا يكون المجموع ٣،٠١٦،٠٠٠ دولار . وقد غطي العجز الناتج عن الفرق بين الميزانية والاموال المجموعة خارج اسرائيل بمنح من حكومة اسرائيل وقروض من مؤسسات اقراض.

١١٨ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٣٢ .

١١٩ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٠٣ — ١٣٠٤ .

١٢٠ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٠٤ .

١٢١ — شهادة دمج الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م مع النداء الاسرائيلي الموحد ش.م ، ١ حزيران ١٩٦٦ .

١٢٢ — الجلسات، **المرجع السابق** ، ص ١٢٣٧.

١٢٣ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢١ .

١٢٤ ــ **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢٢ .
١٢٥ ــ **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢٣ .
١٢٦ ــ تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .
١٢٧ ــ روبرت سيلفربرغ ، ص ٥ .
١٢٨ ــ تقرير المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس حول النشاطات في اميركا الشمالية للفترة ١ نيسان ١٩٦٤ الى ١٣ كانون أول ١٩٦٧ . (١٩٦٨) ص ١٥ .
١٢٩ ــ **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ١٤ ، عمود ٥ .
١٣٠ ــ تقرير المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس ، **المرجع السابق** ، ص ١٥ .
١٣١ ــ ان اعادة التنظيم التي جرت عام ١٩٧١ هي التجربة الصهيونية الثانية في توسيع الوكالة اليهودية .وكما بينا في الجزء الاول قسم جـ ، تم توسيع الوكالة للمرة الاولى من قبل المنظمة الصهيونية سنة ١٩٢٩ ، لتجنيد الدعم المالي من الاغنياء غير الصهيونيين للاستيطان اليهودي القائم في فلسطين . وقد ووجهت الخطة بمعارضة قوية من الطرفين . وكان غير الصهيونيين يعارضون بشكل خاص دعم الاهداف السياسية للحركة الصهيونية. وشعر الكثيرون، وخاصة في الولايات المتحدة ، أن اقامة دولة يهودية لم تكن غير واقعية وحسب ، ولكنها تتعارض مع الواجبات الوطنية والالتزامات التي يدينون بها لبلادهم . ولكن الصهيونيين الذين كانوا يعرفون أن تبرعات الصهيونيين لم تكن كافية وحدها لدعم أهدافهم ، توحدوا ونجحوا في اقناع غير الصهيونيين بأن الخلافات الايديولوجية يمكن تأجيلها مؤقتا حتى يصبح الاستيطان اليهودي قويا لدرجة تمكنه من التغلب على انهياره الماثل آنذاك . وبالنتيجة أمكن الوصول الى « حلف المجد » ، واجتمعت الوكالة الجديدة للمرة الاولى في ١١ آب ١٩٢٩ . وحسب الخطة الجديدة تكونت الهيئة الجديدة من ٥٠ ٪ من المقاعد للصهيونيين و٥٠ ٪ لغير الصهيونيين على أن تكون ٤٠ ٪ من مقاعد غير الصهيونيين لليهود الاميركيين . ومع هذا ، وكما جرى في حالة اعادة التنظيم في سنة ١٩٧١ ، تضمنت المجموعة غير الصهيونية كثيرا من الصهيونيين المعروفين . ولاسباب عديدة ، لم يكن اقلها الصدام الايديولوجي الاساسي بين الصهيونيين وغير الصهيونيين ، ظلت الوكالة الجديدة تتعثر حتى عام ١٩٤٣ عندما استعاد الصهيونيون السيطرة الكاملة . صموئيل هالبرين ، **العالم السياسي للصهيونية الاميركية** (ديترويت، مطبعة جامعة ولاية وين ، ١٩٦٩) ص ١٩٢ ــ ١٩٥ ، **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ٥ ــ ٦ .
١٣٢ ــ اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، المادة ١ ، فقرة أ والمادة ٢، فقرة أ.
١٣٣ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ .
١٣٤ ــ **المرجع نفسه** ، المقدمة فقرة ٦ .
١٣٥ ــ لويس أ. بينكوس ، **الوكالة اليهودية المعاد تكوينها** ، التشتت والوحدة ، صحيفة حول الصهيونية والعالم اليهودي ، عدد ١٢ ، المنظمة الصهيونية العالمية ، دائرة التنظيم والاعلام ، القدس (١٩٧١) ص ٣٩ .
١٣٦ ــ اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، المادة ١ ، فقرة د .
١٣٧ ــ **الانباء اليهودية** ، **نيوآرك** ، نيو جرسي ٤ أيلول ١٩٧٠ ، ص ٢ ، عمود ٥ .
١٣٨ ــ أنظر الملاحظات رقم ٢٠ و ٢١ والنص الوارد في المتن .
١٣٩ ــ **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ١١ ، عمود ١ و ٢ .
١٤٠ ــ **المرجع نفسه** ، ص ١٠ ، عمود ٣ و ٤ .
١٤١ ــ اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، المادة ٢ ، فقرة ب .
١٤٢ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة جـ ، ١ .
١٤٣ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة جـ ، ٥ .
١٤٤ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة د ، ٣ .
١٤٥ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة د ، ١ .
١٤٦ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة هـ ، ١ .
١٤٧ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة هـ ، ٣ .
١٤٨ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة و ، ٢ .
١٤٩ ــ **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة و ، ١ .
١٥٠ ــ **ذي جروساليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ٣ ، عمود ٥ ، وفي مقابلة حديثة مع امين صندوق الوكالة اليهودية، آريين دولتشتاين ، سئل السيد دولتشتاين لماذا لم تتول حكومة اسرائيل المسؤولية الكاملة للهجرة والاستيعاب والاستيطان . وأجاب : « ان الحكومة لا تستطيع تحمل هذا العبء لسبب بسيط . ان كل حملة من أجل المال خارج

اسرائيل تذهب الى الهجرة والاستيعاب . ان ثمانين بالمئة من الاموال التي تجمع ، معفاة من ضريبة الدخل في الولايات المتحدة . واسرائيل لا تستطيع استعمال هذه الاموال الا لصالح الوكالة اليهودية ، وهي سلطة معترف بها في الولايات المتحدة وبريطانيا وكذا بصنتها تجمع وتنفق هذه الاموال لاغراض انسانية » . ملحق **هآرتس** ، ١٨ شباط ١٩٧٢ ، ص ٨ .

١٥١ — تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السادس والعشرين المنعقد في القدس ، عن الفترة من نيسان ١٩٦٠ — آذار ١٩٦٤ (١٩٦٤) ص ٨٣ — ٨٤ .

١٥٢ — روبرت سيلفربرغ ، **المرجع السابق** ، ص ٤٧٦ .

١٥٣ — تقارير الى المؤتمر السادس والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٨٣ — ٨٤ .

١٥٤ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٦٠ ، تقرير مقدم الى المجلس الصهيوني العام عن الفترة من نيسان الى تشرين الثاني ١٩٦٩ (١٩٧٠) ، ص ١١٥.

١٥٥ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .

١٥٦ — تقارير الى المؤتمر السادس والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٨٥ .

١٥٧ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٣ .

١٥٨ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٣ — ٥٤ .

١٥٩ — تقارير الى المؤتمر السادس والعشرين ، **المرجع نفسه** ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

١٦٠ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .

١٦١ — تقرير مقدم الى المجلس الصهيوني العام عن الفترة من نيسان الى تشرين الثاني ١٩٦٩ (١٩٧٠) ، ص ٦ .

١٦٢ — **المرجع ذاته** ، ص ٦ .

١٦٣ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .

١٦٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ — ٥٦ .

١٦٥ — **دافار** ، ٢٧ شباط ١٩٧٠ .

١٦٦ — **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ١٣ ، عمود ٣ .

١٦٧ — تقارير مقدمة الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .

١٦٨ — انظر الملاحظة رقم ٤ والنص الوارد في المتن .

١٦٩ — قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، ١٩٧٢ ، لجنة الاستيطان وتطوير الارض ، فقرة أ (١) ، كما وردت في مجلة **دراسات فلسطينية** ، مجلد ١ ، عدد ٣ ، ص ١٨٥ (١٩٧٢) .

١٧٠ — **المرجع نفسه** ، فقرة أ (٣) .

١٧١ — لويس ا. بينكوس ، **الوكالة اليهودية المعاد تكوينها** ، الشتات والوحدة — صحيفة حول الصهيونية والعالم اليهودي ، العدد ١٢ ، المنظمة الصهيونية العالمية ، دائرة التنظيم والاعلام ، القدس (١٩٧١) ، ص ٣٩ . أنظر أيضا الملاحظة رقم ٥٩ والنص في المتن .

١٧٢ — قرارات المؤتمر الثامن والعشرين ، لجنة العلاقات مع اليهودية العالمية المنظمة ، فقرة ٤ ، كما وردت في مجلة **دراسات فلسطينية** ، مجلد ١ ، عدد ٣ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ (١٩٧٢).

جدل الشعر والواقع :
قراءة في الشعر الفلسطيني المعاصر

الياس خوري

لا تطمح هذه الدراسة أن تكون عرضا وافيا لجميع النماذج الشعرية الفلسطينية ، انها تريد في الاساس ، من خلال اعادة قراءة نماذج شعرية محددة ، أن ترسم لوحة بيانية عن تطور الشعر الفلسطيني المعاصر ، والمحاور التي يتشكل حولها هذا الشعر . وتأخذ محاولتنا اهميتها ، من خلال الدور الكبير الذي يلعبه الشعر في حياتنا العربية المعاصرة. فالشعر هو في نهاية المطاف نسيج لغوي . انه اعـــادة تركيب للغة ، تحاور معها ، واستنطاقها ما لا تقوله عادة . واللغة ، في معركة البقاء الوطني ، تأخذ حجما حضاريا كبيرا . انها طريق للعودة الى الينابيع ، واشارة لانفجار ينابيع جديدة . من هنا فقراءة الشعر الفلسطيني المعاصر ، تصبح في نظرنا بحثا عن الشخصية العربية ، التي تجري محاولات سحقها ، في الوقت نفسه ، الذي تنفجر فيه دماء تطمح أن تكون طريقا نحو التغير والثورة ومصافحة المستقبل . ان بحثنا عن الشخصية العربية ، لا يجري في المجردات ، انه يطمح ان يقف على أرض الواقع ، مرافقا الحركة الشعرية الفلسطينية في رحلتها ، نحو الذات ونحو الارض .

من هنا فان دراستنا سوف تتمحور حول خمس نقاط : ١ ــ قراءة الشعر الفلسطيني بشكل منهجي ، في سبيل النظر من خلاله الى تطور مفهوم النضال الوطني على مستوى التعبير الشعري . ٢ ــ البحث عن علاقة هذا الشعر بقوى اجتماعية محددة ، قدرته على التعبير عن هذه القوى ، اثره وتأثره بالواقع الاجتماعي الذي يحاول رسمه . ٣ ــ النظر الى الشعر الفلسطيني من خلال تطوره الذاتي ، كفن خاص ، يرتبط بمرحلة واقعية وكفاحية خاصة . ٤ ــ التشكيل الفني في الشعـــر الفلسطيني ، القصيدة ، تركيبها ، لغتها الشعرية ، الايحاء الفني ، المغامرة الفنية وحدودها . ٥ ــ وضع الشعر الفلسطيني ، ضمن سياق حركة الشعر العربية المعاصرة ، عبـــر محاولتنا استقراء مساهمات هذا الشعر على مستوى الحركة الشعرية العربية ، والدور الذي يلعبه ضمن هذه الحركة .

سوف تقوم منهجية بحثنا حول محورين : أ ــ ربط الشعر بالواقع الاجتماعي ، دون ان نحاول شد هذا الشعر بشكل مصطنع الى هذا الواقع . فالفن والواقع ، بنيتان تحتفظ كل واحدة منهما باستقلالها النسبي ، وان تداخلتا ، وان بدا اثر الواقع المعاش ، جليا وواضحا على المستوى الفني . ب ــ دراسة الشعر ، كبنية ، تحتفظ لنفسها باستقلالها النسبي . من هنا تخضع لتاريخها الخاص ، وللمؤثرات الفنية التـــي يمكننا عزلها ، لاسباب منهجية ، عن مجرى المؤثرات الاخرى . لكن يبقى هاجسنا الاكبر متمحورا حول النظر الى الشعر الفلسطيني المعاصر ، من منظور العملية الثورية التي يعيشها هذا الشعب بكل انتصاراتها وانكساراتها .

اذا كان الشعر الفلسطيني المعاصر ، ينسج نفسه حول جراح الوطن ، ويجد مبرر وجوده في التغلغل عميقا في التراب الوطني ، فانه بهذا ، يكون امتدادا مباشرا للشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات « أنت الجذع الذي نبتت عليه أغانينا ، نحن امتدادك وامتداد أخويك اللذين ذهبا — ابرهيم ، وعبدالرحيم الذي قاتل بالكلمة والجسد . لا ، لسنا لقطاء الى هذا الحد . اننا ابناؤكم »(١) . هكذا يقول محمود درويش عن ابي سلمى . وطبيعة كونه امتدادا لهذا الشعر لا تلغي تمايزه واستقلاليته . فهو يواجه قضية اصبحت اليوم اكثر من مجرد محاولة لرد خطر داهم . فالاحتلال اليوم يجثم على الصدور . والشعر الفلسطيني في الوقت نفسه يتجذر في التراث الشعبي يستلهمه الحكايات ، والامثلة والمواويل يستعين بها ، في حركته باتجاه تأكيد الذات ، أمام خطر الانسحاق الكامل بيد عدو شرس . وهو كذلك جزء من الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، جزء من الثورة في التعبير الشعري التي انطلقت في الخمسينات ، مدمرة وحدة البيت ، وباحثة عن وحدة الموقف في القصيدة . الشعر الفلسطيني لم ينبت كالفطر في حياتنا الثقافية . هو امتداد لحركة أدبية ما تزال في طور التحول العميق . لكنه يحتفظ بصوته الخاص الحاد النبرات ، ويحاول عبر واقعه أن يجد لنفسه طريقا الى الجماهير والى حياتها اليومية .

هذا الجذر المثلث نجده في الشعر الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها . لكن طبيعة الواقع ، وطبيعة المهمات المباشرة ، جعلت للشعر في الارض المحتلة طابعا يختلف عن الشعر في المنفى . وهذا الاختلاف ليس جذريا الى الحد الذي يعتقده المراقب من بعيد . انه اختلاف في المهمات دون ان يكون اختلافا في الجذور . لكن هذا الاختلاف يعطي للشعر الفلسطيني مذاقين مختلفين ، ويدفع الباحث الى التفتيش عن واقعين مختلفين وان كانا واقعا واحدا في آخر التحليل . من هنا فاننا في قراءتنا للشعر الفلسطيني فاننا سوف نميز بين شعر الارض المحتلة وشعر المنفى . وهذا التمييز ذو طابع منهجي في الاساس، يسهل مهمة القارىء والباحث على حد سواء .

١ — المحاور الرئيسية لشعر الارض المحتلة :

في الارض المحتلة ، يعود الشعر الى الواجهة . اللغة هنا تعود لتلعب الدور الذي لعبته مع مطالع عصر النهضة . اللغة هي تأكيد الذات القومية . والشعر هو تأكيد للهوية العربية ، وسط عالم المستوطنين الصهاينة ، ووسط مصادرة الارض ومصادرة الثقافة . من هنا يجب ان لا نعجب من كثرة شعراء الارض المحتلة ، او من الدور القتالي المباشر الذي يلعبه الشعر هناك . فالعروبة مهددة في اسرائيل ، والقمع يأخذ لنفسه جميع الاشكال الممكنة ، من هنا كان للشعر — بوصفه التعبير الادبي الاكثر مباشرة والاكثر التصاقا بالتراث — أن يقوم بدور سياسي وثقافي مباشر . أن يحمل القضية بين الكلمات ويجعلها تدخل كل بيت وتتغلغل عميقا في النفوس . من هنا ينبع الطابع الجماهيري والخطابي والتراثي للشعر في الارض المحتلة .

أ — الرفض الرومانسي : كانت طلائع الشعر في الارض المحتلة ، تدور في الحلقة الرومانسية ، الذهول من الفجيعة التي انفجرت ، محاولة العودة الى الذات . ولعل حنا ابو حنا وراشد حسين ، يمثلان هذه المرحلة تمثيلا صادقا . فالشعر في مراحله الاولى ، يخضع مباشرة للتأثير الشعري الآتي من الارض العربية في الخارج . والشاعر يحاول أن يتمثل الفجيعة ، وأن يداوي جراح الهزيمة مفتشا لنفسه عن مبررات البقاء ، كي يستطيع احتمال هذا البقاء ، ناظرا الى واقع شعبه . الشعر هنا يصير مركزا للخلاص الفردي ، ثم تتم وعلى دفعات عملية الانتقال الى البحث عن خلاص جماعي . راشد حسين في ديوانه الاول : **مع الفجر**(٢) ، يتراوح بين الموقفين . فهو في غزلياته ،

يستعير اللهجة النزارية ، ويبحث عبرها عن خلاصه الفردي في الحب الرومانسي ــ الاباحي .

« تكابرين والخضوع ظاهر في نظرتك
دعوة الاغراء صوت أخرس في بسمتك
فانثني مطفئا شفاهك المحترقة
ململما اشلاء كبرياتك الممزقة
سوى بقية نجت بها زوايا شفتك »

الظاهرة نفسها نلاحظها في قصائد محمود درويش المبكرة . الجنس كل شيء ، الحب هو علاقة جنسية مباشرة ، تختلط فيها التعابير المباشرة ، واللحظة المراهقة . غير ان هذه الاطر الاولى في شعر الارض المحتلة ، لا تلبث ان تتحطم بسرعة . فراشد حسين يستلهم ابي شبكة في وصفه لحياة الفلاحين . وينقل محور اهتمامه الى الوطن ، والى احزان الناس أمام الهزيمة . وان بدت لهجته في مجموعته الشعرية الثانية **صواريخ**(٣)،لا تزال ضمن الاطار الرومانسي الفاجع ، فانها رومانسية تبحث لنفسها عن ارض عميقة في عيون الفلسطينيين . فهو يلتقط توجهه الوطني في مجموعته الاولى ويعيد تطويره باتجاه تصوير أكثر واقعية ، ضمن حدود الموقف الرومانسي الذي ارتضاه لنفسه :

« وترى نجوم الليل مثل معسكرات اللاجئين
وكهيئة الغوث الحزينة يخطر القمر الحزين
بحمولة من جبنة صفراء او بعض الطحين
هذي هديته ، هديتها لقومي البائسين »

وراشد حسين ، يحاول ان يجد الارتباط المباشر بين الارض والشجر من جهة ، وبين حركة الرفض التي يحاول التعبير عنها . وهو رغم فجاجة رموزه ، يستطيع ان ينقل لنا ، التوق الى ربط الفعل النضالي بالارض . ففي قصيدته الجلاد التي اهداها (الى الذين يبيعون شعبهم ليشتروا لذتهم) يحول الدوالي الى مشنقة تقوم مقام الحبال . فالدوالي لها هي أيضا ثأرها من الخونة :

« اشنقوه ، لستم من امتي ... ان ابيتـم ان تدلوا عنقـه
واذا لم تجـدوا حبـلا لـه ... فليكن عرق الدوالي مشنقه »

وينتقل حنا ابو حنا بسرعة من الاحلام الرومانسية المباشرة ، الــى الدعوة الى وعي الذات . وديوانه **نداء الجراح**(٤) (وهو الديوان الوحيد الذي نعرفــه لهذا الشاعر) يرينا ان هذا الانتقال ، يبقى في حدود أطر راشد حسين :

« الى متى .. الى متى
هذا الظلام الظالم
الى متى .. الى متى
ماساتنا يا عالم »

غير ان الشاعر يستطيع ان ينتقل مباشرة من الوقوف على شواطىء المأساة ، الى الالتحام بمشاكل شعبه ، في دعوة تحريضية ، تحافظ على المذاق الرومانسي الذي يطبع هذه المرحلة :

« شعب انا .. ان يحبسوا فردا فكل الشعب ثائر
واذ يصفد شاعر هتف النشيد بكل شاعر
شعب يمد حشوده جسرا على نهر المجازر
ويعانق الفجر الملوح بالضياء وبالبشائر ! »

مرحلة الرفض الرومانسي ، هي في المقابل ، مرحلة للبحث عن الذات . ولعل الرفض يأتي من خلال اكتشاف هذه الذات . جدلية الارض ـــ العدو ، تحيل الشاعر الفلسطيني ، من مجرد مغن على الجراح الى ضوء يكشف مواقع الشعب الذي تدميه هذه الجراح وتسحقه . العصب الرئيسي لهذه المرحلة هو الهوية . من نحن ؟ وما هي علاقتنا بالارض التي عليها نعيش ؟ الانتقال جرى سريعا من رومانسيـــة الهروب ، الى رومانسية المواجهة . ولعل محمود درويش استطاع في قصيدته **بطاقة هوية**(٥) ان يعيد الاشياء الى احجامها الحقيقية . نحن شعب مسحوق . نتشبث بالارض . ونتمسك بقيمنا العربية . منفتحين على مستقبل الانسانية . نقطة التشديد هي في الهوية العربية التي حولهـــا سوف يتمحور كل الشعر المقاوم . ومن خلالها سوف نفهم لماذا هذا التساهل في تحليل هزيمة حزيران ، وهي التي ستفسر لنا الطبيعة السهلة للاجابات عن أسئلة مصيرية كسؤالنا حول مستقبل المعركة مع اسرائيل وآفاق هذه المعركة .

« سجل أنا عربي » يقول محمود درويش . وحول هذه الكلمة يتمحور كل الحقد ، كل الحب ، ويصير التاريخ جزءا من المستقبل . يتحد الماضي والحاضر في لا وعي عرب الارض المحتلة وتبدأ الرحلة من رومانسية الجراح الى واقعية الاحتجاج .

على المستوى التشكيلي ، فان قصائد هذه المرحلـــة تتراوح بـــين الشعـــر العمودي الكلاسيكي (وحدة البيت او الرباعيات) وبين الشكل الشعري الحديث وحدة التفعيلة في القصيدة ، مع وحدة المضمون الشعري فيها . الذي يمكن ملاحظته هنا ، هو أن هذا الشعر ، هو انعكاس مباشر للمدارس الشعرية في الوطن العربي . فالرومانسية وبداية التحرك نحو الواقعية ، وظاهـــرة شعر نزار قباني ، كانت هي محـــرك المرحلـــة في الخمسينات . اما التشكيل الفني ـــ اعتماد شكل القصيدة الحديثة فانها هنا ، لا تأتي نتيجة معاناة تشكيلية . انها شكل ، مجرد شكل . والشكل لا يهم المهم هو المضمون . هو البحث عن مضمون جديد ، يستطيع ان يحمـــل هموم ومشاكل المرحلة التي كـــان يعيشها عرب الارض المحتلة .

ب ـــ الاحتجاج الواقعي :

« وكانت جريمتنا اننا
بقينا هنا ..
على ارضنا .
فغصوا بنا
وكادوا لنا
فدقوا الاسافين في روحنا
وبالغدر قد لغموا دربنا »(٦).

عندما يريد حنا ابو حنا ان يروي « حكاية قرية » فانه بالحقيقة يروي قصة الصمود في الارض المحتلة ، ولو كان الصمود الذي ينشده صوتا ساكنا ، لكنه مترقب ، انه صمود « الكف التي تقاوم مخرزا » وهو بقاء في الارض . غير أن محمود درويش يحول هذا الصمود من طابعه السلبي ، الى الفعل الايجابي فوالـــده « يسترجع المناقبا » « يصنع الاطفال والتراب والكواكبا » . ويحدد دور الشاعر فالشاعر هو مثل لوركا « زلزال واعصار مياه » وهو يحقـــق قفزة الانتقال من الرومانسية الى الواقعيـــة المقاومة عبر اغتياله « لقمر الشتا » . فالقمر صديق الشعراء يموت بين يدي الشاعر ، كي يبـــدأ الشعر صفحة جديدة :

« واقول للشعراء : يا شعراء امتنا
انا قاتل القمر الذي كنتم عبيده »(٧).

وقتل القمر الرومانسي ، يسبقه عند الشاعر تحديد للشعر . فالشعر هو الشعر المقاتل البسيط الذي ينتقل من بيت الى بيت :

« قصائدنا بلا لون
بلا طعم .. بلا صوت !
اذا لم تحمل المصباح من بيت لبيت
وان لم يفهم البسطا معانيها
فاولى ان نذريها
ونخلد نحن للصمت »[٨].

طموح تحويل الشعر الى خبز يومي للناس ، الذي راود مخيلة نزار قباني ، يعود هنا ليحتل مكانه ، لكنه يندرج مع الشعر الفلسطيني في سياق الحياة المناضلة ، الكلمة هنا تأخذ حجمها كسلاح ، تصبح جزءا من جـراح المسحوقين ومن مقاومتهم ، ولا تقف عند حدود الاحلام البرجوازية التي يروج لها شعـر قباني . ودرويش في بحثه عن الفعـل الايجابي يمتد نحـو فلسطين امتداد العاشق . ففلسطين ، لا تعود مجرد وطن « ينفى الانسان في داخله » بل تصبح حبيبة يحاول الشاعر برومانسية جـديدة ان يتغلغل الى احشائهـا ففي قصيدة **عاشق من فلسطين** تصبح فلسطين ـ الامـرأة هـي المنفية ، والشاعر يقف امام كبريائها المسحوقة يحاول تلمس مواقع الجراح ـ فهو « ينسى انهما اثنان » . ثم يحاول الشاعر ان يستجمـع الماضي والحـاضر في محاولته الاقتراب من حبيبته . فيسترجـع النصر علـى الصليبيين ويعود في قصيـدة **نشيد الرجـال** الـى الحاضر معيدا الثقة به . فهو قد خبر خيول الروم في الماضي ، وها هو عربي «لا يخجل» لاننا « نعرف كيف نبني المصنع العصري والمنزل » . في الوقت الـذي كان فيه محمود درويش يبحث في ماضي شعبه وحاضره ، عن حوافز تشد الناس الى بعضهم وتدفعهم الى الاحتجاج والرفض ، كان سميح القاسم يدعو الناس الى شحـذ ادوات النضال ، الى التخلي عن الافكار غير الواقعية ، والبدء في البحث عن طريق للخلاص .

« احس اننا نموت
لاننا لا نتقن النضال
لاننا نعبد دون كيشوت
لهفي على الرجال »[٩].

هذا التلهف على الرجال لا يأتي بشكل منعزل ، فالقاسم بعدما وضع اصبعه ، علـى سبب الموت ، يتطلع الى مستوى سياسي للعمل الجماهيري . انه الحزب الشيوعي . فالحزب بالنسبة له ، هو المكان الذي تشتد فيه اظفاره «وتقوى على الوجوه المستعارة»، ونقطة التوجه تتمركز في الذوبان في نهر المستقبل العميق . نهر الثورة :

« ابدا على هذا الطريق
شرف السواقي انها ، تفنى فدى النهر العميق
والنهر يجري دافقا ، يجري ويكتسح السدود »[١٠].

الشاعر يحاول ان يستكشف طريقه الى شعبه ، وطريق شعبـه الى البقاء . كشوفه نشد نحو التوجه الجماعي ، توفيق زياد هو الاخر ، يجد لنفسه مكانا في الماضي ، الذي جعله الاحتلال مادة لشحذ الهمم :

« وان كسر الردى ظهري
وضعت مكانه صوانة
من صخر حطين »[١١].

المباشرة هنا ، تحجب ايحاءات درويش في عشقـه لفلسطين . فتوفيق زيـاد ، يسرع نحو الهدف ، لا يترك للموضوعة ان تتشكل وحدهـا ، فطالما الرأس « موضوع تحت السكين » فان الامكانية الوحيدة المتاحة ، هي في الارتداد الى الماضي وبعثه . الماضي ليس واقعا جامدا ، انه مجال رحب يسمح للشاعر ان يشير الى ما يريد قوله . فحطين تأخذ مدلولا رمزيا محددا هنا . واذا كـان الشاعر لا يستطيـع ان يقول ما يريده فانه يترك للماضي المجال واسعا ، كي يجعل الناس تفهم وبالتالي تتجاوب ، مع الذي كـان يريد قوله . وسالم جبران ، يأخذ الواقع مباشرا ، كما هو . يعرضه كما يعيشه . لا يتدخل مطلقا في رسم لوحته . اللوحة يرسمها المحتل . وهو مجرد انسان يحمل آلـة فوتوغرافية ويريد ان يسجل ما يجري ففي قصيدته الى ج. ب. سارتر يقول :

« انا ابن فلسطين
اذبح في كل عام
وفي كل يـوم
وفي كل ساعة
تعال تأمل صفوف البشاعة
واهونها ان دمي يسيل »(١٢).

اذا كان سالم جبران ، يصور دماءه من الخارج ، فانـه يريد اعطاء الناس صورة عما يجري في الواقع ، يبتعد عن واقعه ، ليصير اقرب اليه . وقصيدته هذه اذا افتقدت الى الحرارة فلانها مشاعر عارية ، عارية من الصور وعارية من الايقاع ، وعريها ، يعطيها قدرة على الايحاء ، رغم انه يدنيها من النثر . فقيمتها الوحيدة انها خرجت من الداخل ، وايحاؤها يأتي من النظر الى الداخل خارجيا » .

يصبح الشعر هنا وسيلة للوصول الـى موضوعتين : ١ ــ تأكيد الذات الجماعيـة : فالاقلية العربية يوحدها العدو عبر عملية سحقها ، والعدو يستعمل في محاولته جميع الوسائل ، وعلى راسها التفرقة الطائفية . بهدف تمزيق العرب الى طوائف . من هنا تأخذ موضوعة العودة الى الماضي والتجذر فيـه ، والتأكيد على الهوية العربية اسبابها وضرورتها في آن . ٢ ــ محاولة استكشاف الواقـع . الواقع جدار سميك ، لا تخرقه سوى انتصارات ومعارك بطولية تجري في الجزائر ، او قتال يقوم في بور سعيد . من هنا كان انشداد عرب الارض المحتلة الى الخارج العربي ، محاولة منهم للثقة بقدراتهم الذاتية . فالهزيمة كانت اكبر من المتوقع ، واذا كانت اجهزة الاعلام العربية قد حولتها الى مادة للمزايدات والشعارات الفارغة . فانها هناك عند عرب الارض المحتلة واقـع يومي يجثم على الصدور . واقع لا يغطيه اي شيء . مكشوف وكاشف في آن . هكذا تأخذ عملية الارتـداد نحو انتصارات العرب في الخـارج مشروعيتهـا . انها تجعـل الفلسطيني يحس بانتمائه الى البحر العربي ، ويخرج من الصدفة التي تحاول اسرائيل أن تحشره فيها . ان هذه الرؤيـة ، ان حاولت ان تأخذ لنفسهـا مضمونا متقدما ، مضمونا احتجاجيا ، فانها تبقى على المستوى الفني خطابية ومباشرة . الشعر عالم من الخطابة . والشاعر هو المحرض الرئيسي . والزعيم السياسي . الشعر الفلسطيني يتبنى التفعيلة الواحدة ، لكنه يشحنها بنبرة خطابية مباشرة . الشعر ليس للقراءة ولا للتأمل . انه للتحريض فعله سياسي في الاساس . غير أن غرق الشعر في السياسة ، وان كان يمنعه من البحث التشكيلي ، فانه لا يمنعه من اكتشاف المضامين الانسانية ، فالتراث يصبح جزءا من المستقبل يصبح « تقدميـا » بهذا المعنى اذا شئنـا والرموز الرومانسية يجري تهشيمها . والشعر يكتشف لنفسه فاعليته المباشرة واثره السياسي والحضاري .

ج ــ الواقعية المقاومة :

اذا كان محمود درويش قد قتل القمر . فانه قتل فيه الرمز الى الرومانسية البلهاء . اما الان فالقمر يصبح جزءا من الطبيعة التي تمتزج بالانسان وباشيائه اليومية . فدرويش لم يقتل القمر ، لقد قتل موقع الرؤية اليه . اما ابناء المخيم فالقمر بالنسبة لهم شيء اخر يختلف عن قمر « الشعراء » :

« عندما تفرغ اكياس الطحين
يصبح البدر رغيفا في عيوني »(١٣).

ومن موقع الرؤية الجديدة هذه ، يصبح للاشياء ايقاعها المختلف وكفر قاسم تصبح الرمز الجديد الذي اليه تشد الابصار ، فالخريف يصبح « جنازة برتقال » وانصاب القبور تصبح ايادي تشهد على علاقة الانسان بوطنه وبأرضه ، والاموات ينهضون من قبورهم ليعيشوا في الذاكرة ، وليدفعوا الناس دفعا الى المقاومة والنضال . عندها يخرج الصوت الجماعي داعيا الى المقاومة :

« انني مندوب جرح لا يساوم
علمتني ضربة الجلاد أن امشي على جرحي
وامشي ثم امشي واقاوم »(١٤).

والشاعر ينتقل من التحريض على المقاومة والقتال الى مستوى اخر . فاذا كانت هزيمة حزيران قد جعلت فدوى طوقان تريد الخروج من رومانسيتها ، وجعلت عالمها الوهمي يتحطم فجأة ، فان عرب الارض المحتلة ، لهم صوتهم الخاص .

« لم نكن قبل حزيران كافراخ الحمام
ولذا لم يتفتت حبنا بين السلاسل
نحن يا اختاه من عشرين عام
نحن لا نكتب اشعارا
ولكنا نقاتل »(١٥).

لكن هذا الصوت ، سرعان ما يذوب ، ليتحد بالصوت الفلسطيني في المنفى . اسرائيل وحدت فلسطين ولو في سبيل سحقها . كما تعبر **سداسية الايام الستة** لاميل حبيبي . هذه الوحدة ، جعلت درويش يمتد نحو الجسر ، ناسجا قصيدة حول قصة يومية . غطرسة جنود الاحتلال وهمجيتهم امام شيخ وطفلته . والشيخ يصرخ « لا تقتلوها ... واقتلوني » في هذا الصراخ تتوحد الحنجرة الفلسطينية ، فالسيف الذي كان مسلطا على رؤوس الاقلية العربية ، اصبح عاما وصارت جراحه اكثر لهيبا . والدعوة الى المقاومة تأخذ في هذا المجال كل زخمها وحيويتها وامتداداتها .

يحاول سميح القاسم في الخط البياني نفسه ان يجدد مبررات شعبه للمقاومة ، فقصيدته **خطاب في سقوط البطالة** ، تحاول تصوير دافع الناس الى المقاومة . انه العلاقة الخفية مع الوطن ، الانشداد اليه والغرق فيه :

« ربما افقد ما شئت معاشي
ربما اعرض للبيع ثيابي وفراشي
... ربما اخمد .. عريانا .. وجائع
يا عدو الشمس لكن لن اساوم
والى اخر نبض في عروقي ساقاوم »(١٦).

الاصرار على المقاومة ، من واقع التعلق بأرض الوطن ، يقابله في الوقت نفسه امل في المستقبل الآتي واستحضار للبطولات الثورية . بطولة **ليلى العدنية واطفال رفح** .

فالمقاومة ، رفض الواقع . لا تتأرجح امام افق مسدود ، انها ممتدة الى المستقبل امتدادا لا نهائيا :

« والى ان يبعث النهر
وتشدو في اغاني الحمائم
املا الدنيا هتافا لا يساوم
كفر قاسم .. كفر قاسم .. كفر قاسم
دمك المهدور ما زال ..
وما زلنا نقاوم »(١٧).

هذا الافق يأخذ امتداده من نهر البطولات الصغيرة ، التي يقوم بها الناس ، كل لحظة وكل ساعة ، والقاسم يروي لنا حكاية ليلى العدنية ، كيف ماتت وهي تقاوم الانكليز ، وحكايا اطفال رفح الذين عبر مقاومتهم الصغيرة والبطولية يبعثون الشمس المقتولة على « سنجة فاتح » . الشعر الفلسطيني ، يبقى متمحورا حول الناس . حول ارادتهم . وتوفيق زياد يعرف جيدا مواطن الجراح ، ويعرف كيف يرش الملح صارخا :

« هنا على صدوركم باقون كالجدار
ننظف الصحون في الحانات
ونملأ الكؤوس للسادات
... نجوع ، نعرى نتحدى
ننشد الاشعار »(١٨).

هذا الاصرار على البقاء يجد في المقابل امتداده الانساني ، انه ليس بقاء يائسا ، يتحدى وفي عينيه يلمع الامل خاطفا . انه وهو يتحدى الاحتلال الصهيوني يمد يده الى اليهود التقدميين ، داعيا اياهم الى بناء عهد جديد من الالفة والمحبة . انها مقاومة مدفوعة الى الجدار دفعا وفي عينيها يختلط الحب والحقد ، الموت والحياة . واذا كان زياد في بحثه عن المستقبل يسقط في النثرية في كثير من الاحيان — خاصة في مجموعته **شيوعيون** . فان الشعر ، يلمع بين سطوره من حين الى اخر بهيا ونقيا . فهو يشرب الكأس المر الى الثمالة ، ويذهب الى التراث الشعبي ، باحثا فيه عن مادة للبقاء . مستلهما اياه املا جديدا في الصمود ودروسا في المقاومة .

يأخذ الكثيرون ، على هذا الشعر ، كونه يجري ضمن الواقع السائد ، واقع وجود دولة اسرائيل . انه لا يتحدى هذا الوجود ويدعو الى ازالته . والواقع اننا نميز في دراستنا بين مستويين : **المستوى السياسي** المباشر حيث لا نجد هنا مجالا لمناقشة خط الحزب الشيوعي الاسرائيلي لان هذا يخرج عن دائرة بحثنا . **والمستوى الفني** حيث هذا الشعر ممتلىء حتى النخاع بالعروبة . حتى انه في كثير من الاحيان يتبنى — ولو عن غير وعي — الايديولوجيات السائدة في الوطن العربي كي يؤكد على انتمائه القومي . والذي يجب ان يبقى ماثلا امامنا هو أن هذا الشعر يعبر بصدق عن عرب الارض المحتلة بعد ١٩٤٨ . عن اقلية قومية مسحوقة . عن واقع مذعور ومذهول . من هنا فان مجرد عدم وقوعه ضحية للصهيونية هو بحد ذاته مستوى قتالي رفيع . فكيف اذا كان هذا الشعر يتمحور حول المقاومة ولو السلبية .

الشعر في الارض المحتلة ، حين يحمل السيف مقاوما ، فانه يحاول الخروج من الذات الى الآخر ، متغلغلا فيه حتى اقصى الحدود ، عبر طرحه لقضايا تتجاوز التراث ، تخرج من الماضي باتجاه الواقع المتحرك والمستقبل . كفرقاسم تصير جزءا من دماء الانسان التي تجري في عروقه وهي تدعو الاحرار الى المقاومة بأنصاب موتاها المرتفعة . والشعر في بحثه عن المقاومة يتأرجح بين حدين لسكين واحدة . فالعزلة والانفتاح ،

الواقع والمستقبل ، يصبحان وحدة عضوية تحز على رأس الشعب الفلسطيني . هذه الوحدة تنفتح على بوابة الرجـاء عبر استشرافها للافق الانساني ، لقضية الانسان : الاشتراكية .

الذي نصطلح هنا على تسميته بالواقعية المقاومة، يندرج ضمن الرومانسية الاشتراكية، حيث تأخذ الهموم الملتقطة من الحياة اليومية حجمها الكبير . وحيث المباشرة التي عودنا عليها عبد الوهاب البياتي . اللهجة الخطابية المباشرة هي السائدة . لا يزال الشاعر يحمل هما تحريضيا . الانفصال عن النـاس ، والغرق في البحث التشكيلي يصبح ترفا لا تسمح به ظروف المعركة . الحقيقة ، قد يكون لعدم الجنوح نحـو تشكيلية جديدة اسباب أخرى تتعدى هموم المعركة اليومية . والسبب الرئيسي في رأينا هو أن المقاومة ــ على المستوى السياسي والثقافي والحضاري ــ بقيت ضمن حدود تسمح للايديولوجية العربية باستيعابها ولو بشكل جزئي . من هنا فان علينا ان نبحث عـن اسباب هذه الخطابية العامة ــ التي لا تنطلق من الحدث البسيط كما عند ناظم حكمت ــ لتحيله الى واقع متفجر ، بل تبقى في العموميات الشاملة ــ في بنية المجتمع الفلسطيني في الارض المحتلة وفي طبيعة نضاله .

جـ ــ هزيمة حزيران :

اذا كان محمود درويش لم يتفتت حبه قبل حزيران ، فان هذا لا يعني ان الشعر في الارض المحتلة استطاع التعلم من الهزيمة . فعندما نقرأ كلمات توفيق زياد عن العدوان، فاننا نصاب بالتعجب :

« كبوة هذي وكم
يحدث أن يكبو الهمام
انها للخلف كانت خطوة
من اجل عشر للامام(١٩)»

فهل صحيح ان هزيمة شاملة ، لا نزال الى الان نعيش مرحلة تلقي صدمات نتائجها ، تختصر بانها مجرد « كبوة للهمام » واننا سنمشي بعدها عشر خطوات للامام ؟

واذا كانت اسباب هزيمة ٤٨ تختلط عند القاسم بأسباب هزيمة ٦٧ ، فان هذا لا يبرر التعابير العامة والغامضة ، والتي لا هدف لها ، سوى اثارة المشاعر عندما يقول :

« لو كان .. يا ما كان
ما صار .. يا ما صار
فافسحوا لي الدرب
اني قادم من خلل الدخان
من خلل الدموع والامطار
آت انا
أحمل في حقيبتي خريطة
للشمس والبركان »(٢٠)

وعندما يسقط القاسم الاقنعة ، فانه ينسى ان وراء الاقنعة اقنعة أخرى يجب اسقاطها، لكنه عوضا عن ان يحاول الدخول في عالم معقد ومركب ، فانه يكتفي بالخطابية المباشرة التي قد تفسر على انها تريد « شحذ الهمم » لكن يفوت شاحذي الهمـم أن الحقيقة والحقيقة وحدها هي المطهر الثوري الحقيقي .

ان هذا لا يعني ان شعر الارض المحتلـة ، لـم يحاول ان يقدم نماذج واقعيـة ناقدة للواقع العربي . « فتعاويذ القاسم المضادة للطائرات » تكشف جانبا وان كان جزئيا من

القضية وثورته على الخطابية ، تحاول هي الاخرى ان تلقي ضوءا خافتا لكنه يصل الى هدفه . واذا كان محمود درويش ، في محاولته ، تجاوز تجربة شعر الارض المحتلة شكلا ومضمونا عبر مجموعتيه **العصافير تموت في الجليل** و **احبك ولا احبك** ، قد استطاع أن يلهب بعض الجراح فالتراث — معارك حطين — التي لعبت دورا تقدميا في الارض المحتلة ، تباع هنا في سوق الشعارات :

« نعرف القصة من اولها
وصلاح الدين في سوق الشعارات
وخالد
بيع في النادي المسائي
بخلخال امرأة »

واذا كانت اللغة تكون محورا حولها تتشكل الشخصية القومية في داخل الارض المحتلة، فهذا لا يمنعها من ان تكون في الخارج جزءا من « حالة الاحتضار الطويلة » .

عندما يحاول شعر الارض المحتلة أن يتصدى لظاهرات تتجاوز مهمات النضال المباشرة، لظاهرات مخفية ، اي عندما يحاول اكتشاف العلاقات خلف العلاقات الظاهرة والمرئية، فانه يتساقط عند عتبة الدخول . يبقى في الخارج محرضا ومقاوما . لكنه لا يستطيع الدخول . قد يبدو الجواب على وجهة نظرنا جاهزا . فشعر الارض المحتلة أمامه مهمات مباشرة . انه مرتبط بحياة ربع مليون عربي . أخذ على عاتقه تحريضهم ضد الاحتلال ولا يستطيع ان يذهب بعيدا للبحث عن العلاقات الخفية . جوابنا ان هذا الادعاء نصفه صحيح ونصفه الآخر كاذب . انه ادعاء ماكر . فشعراء الارض المحتلة يعرفون جيدا مبلغ شهرتهم في جميع انحاء الوطن العربي . ويعرفون أن اثرهم التحريضي — في فترة صعود المقاومة المسلحة — كان اثرا كاسحا . فمسؤوليتهم اتسعت ولم تبق محصورة ضمن جدران السجن الاسرائيلي . لذا فهم عندما هربوا من الاجابة عن اسئلة حزيران المسننة فانهم شاركوا بشكل واع او لا واع في تبليد الذهنية العربية .

هـ — التراث الشعبي

كثيرا ما يلجأ الشعر الفلسطيني الى التراث الشعبي ، مستنطقا اياه مضامين جديدة . باحثا فيه عن الهوية الفلسطينية، عن شخصية الفلاح المتعلق بأرضه والمتشبث بجذوره. واذا كان درويش يقلل من تضمين شعره الحكايا الشعبية ، فان القاسم يستخدم التراث الشعبي استخدامه لرمز يلتقطه التقاطا ، مستعينا فيه ، على تكثيف رؤيته الشعرية ، وجعلها اكثر نفاذا وعمقا . الشعر الشعبي يشحن القصيدة بشحنة ارتدادية نحو الارض :

« لبنان ما لبنان
هالليل ديب كبير
وشو بيعمل الانسان
غابة عا طفل صغير »(٢١)

اما توفيق زياد ، فان الاغاني والحكايا الشعبية ، تتحول عنده الى هاجس فني . فهو يغوص بعيدا في التراث ، مستلهما اياه ماضيا وحكايات وامثالا ، تصلح وقودا في المعركة المشتعلة . وبحثه هذا لا ينفصل في رأينا ، عن هاجس البحث عن مادة خام ، تصلح اساسا لشعر شعبي جماهيري ، يستطيع ان يغرس نفسه في ضمائر الناس. زياد ينتقي امثاله ، ويستخدمها استخداما حديثا . فهو حين يتحدث عن الاحتلال الاسرائيلي يسترجع مثلا شعبيا :

« عن جدنا الاول
قد جاء في الامثال
واوي
بلـــع
منجل !! »(٢٢)

ليدلل على عبثية استمرار الاحتلال الاسرائيلي . وهو حين يريد شحذ همم المقاومة للاحتلال فانه يعود الى قصة سرحان الذي تعلم من خلال القمع المباشر ضرورة محاربة المحتلين ، فيذهب الى ماسورة البترول وينسفها . وزياد يستعيد القرية الفلسطينية في شعره الشعبي ، هي حاضرة دائما . مليئة بالامل وبالعطاء :

« بالهنا كل الهنا يا هنية
لا تخلوه بلا بندقية .
شيعوا لبني عمومته يجيئوا بالطبول وبالزمور
خبروهم انه ان جاء ثانية ابع ثوري الاخير
بالهنا يا امه ، زفي الى احضانه احلى صبية
بالهنا يا امه ، بيعي ثيابك واشتري له بندقية »(٢٣)

البحث عن التراث الشعبي عند زياد ، يدور في حلقة القرية الفلسطينية ، في لغتها وقيمها و « رمضانها » الذي يتحول من مجرد عيد ديني الى اكتشاف الحس الشعبي البسيط . ان ارادة الشعب هي التي تستطيع كل شيء . انها أقوى من « مصباح علاء الدين » السحري . ان هذا الجانب من الادب الفلسطيني بحاجة الى دراسة مفصلة . انه مؤشر ، يستطيع في ظروف المعركة الوطنية ان يلعب دورا حاسما ، في المخيمات ، او في القرى الفلسطينية المحتلة . واذا كان لزياد الفضل في اكتشاف هذا الجانب الهام ، فانه يبقى أمام المبدعين الكثير من العمل في سبيل ايصال هذا الشعر ، الى القدرة على التعبير المباشر عن ظروف معركة معقدة .

و ـــ **التكون حول الارض** . اذا كان للشعر الفلسطيني من صوت خاص ، لم نسمعه في شعرنا العربي المعاصر ، فان الارض تشكل محور هذا الصوت الخاص . فمع المحاولات الاولى حاول راشد حسين ان يصل الارض بالواقع ، والقاسم حين يتحاور مع رجل يكرهه ، فانه يكتشف الارض جزءا من جسده :

« ـــ ماذا في صدرك
× صورة جرح
ـــ في وجهك لون البغض
× في وجهي لون الارض »(٢٤)

وهو يتشبث بوطنه ، بأرضه ، ويسمي الذين يهجرون بأنهم يموتون . الارض ، الوطن ، الشجر ، معادلة متشابكة . لكن هذا التشابك لا يأخذ مداه الكامل الا في شعر محمود درويش فهو في **عاشق من فلسطين** يكتشف ان « الذي ما له وطن / ما له في الثرى ضريح » . غير أن هذه الرؤيا العاطفية ، لا تلبث ان تتخذ لنفسها اشكالا جديدة ، أكثر شفافية وأكثر قدرة على الايحاء :

« عن الورد ادافع شوقا الى شفتيك
وعن تراب الشوارع خوفا على قدميك
وعن دفاعي ادافع »(٢٥)

وتتطور العلاقة بالارض ، لتأخذ شكل الحلول الصوفي : « نحن في لحم بلادي هي فينا »

ثم تتوهج هذه العلاقة وتأخذ مداليل رمزية بالغة الشفافية ، لا سيما في مجموعة **العصافير تموت في الجليل** فعبد الله يخرج من قبره ، يدخل نافذة الشاعر ويجمعه بالانبياء ، وعبدالله يعود فيمتد في الارض باحثا عن ليلى متوحدا بالظهيرة والظل والسمرة . عبدالله ، الميت ، الممتد بالارض ، يخرج من الارض ، ليفاجئنا بشرطة الوالي التي تنتشر في كل مكان ، انه جزء لا يتجزأ من الارض . وعندما يغني الشاعر على قيثارة اليونان ، فان سجنه لا يمنعه من الالتحام بعشب الحديقة :

« ثلثي قابع في السجن
والثلثان في عشب الحديقة »

وهو حين يتمثل بلاده يعيد تركيب فصول الطبيعة حيث تصير « العصافير زرقاء » « والارض عيد » وهو لا يبحث سوى عن « اسباب موت جديد » الخروج من الارض والدخول اليها مجددا من بوابة الموت . محاورة الارض . والتكون فيها . والحبيبة عند درويش لم تعد امرأة . الارض تأخذ جميع ملامح المرأة ، ويتداخل الاثنان في جدلية ابدية تغذيها ، جميع اصناف القمع والاضطهاد ، وتحرسها الجذور المقتلعة من تراب الوطن. ان لغة الايحاء الدرويشية ، تطغي على كل شيء ، عند التكون حول الارض . فشعر الارض المحتلة ، يأخذ تشكيله الخاص ، ويكتشف مساهمته الخاصة ، فاذا كان الشعر العربي يصير مع البياتي تغلغلا الى دواخل الواقع الاجتماعي ، ومع ادونيس حوارا صعبا مع اللغة المتفجرة والاشكال الجديدة ، ومحاولة الوصول الى مضامين شمولية فانه مع محمود درويش يصير تكوما حول رحم الارض . استشرافا لهذا الرحم ، دخولا اليه وولادة منه . والقصيدة تتحول الى ميلاد للارض في الشاعر . واذا كان سميح القاسم ينسج على الخطابية والتحريض ، ويتعامل مع الارض كموضوع للرؤيا وللتحريض ، فان محمود درويش يذوب صوته في الارض وينسحق بها .

٢ ــ الشعر الفلسطيني في المنفى

أ ــ في الوقت الذي كانت فيه فدوى طوقان ، لا ترى العالم ، الا من خلال الحجاب القسري المفروض على المرأة الشرقية ، محيلة العالم ، الى ميدان واسع تسقط فيها اوهامها الشخصية عبر رومانسية خارجية تقف عند حدود العالم ، كان معين بسيسو يحاول من خلال المنفى ، ووسط ابواق الشعارات الخادعة ، أن يجد لنفسه طريقا الى وطنه ، ممتدا في الواقع ، مستعيرا اللهجة الشعرية الواقعية ، ومحاولا ان يرى المأساة بعينين مشدودتين الى الاسلاك الشائكة . الواقع ان بسيسو يحاول تمثل تجربة وطنه بدافع الدخول الى حضرة المأساة ، ومحاولة استنطاقها ومكاشفتها . هذا الدخول ، يؤدي بالشاعر عبر مجموعتين **فلسطين في القلب** و **الاشجار تموت واقفة** ، الى الوقوف امام بوابة الوطن ، دون الدخول الى الاعماق ، حيث يختلط الوطن بانهار الدم والغضب .

فهو يأتي مزودا بكل النوايا المأساوية ، يريد الدخول :

« ادخلني في تجربة القلب
جرعني كاس الصلب
لن اهرب من دربي
لن اهرب من كاس الخل »

وهو يعلم ان « جرح البركان لا يضمده سوى نار البركان » ، لكنه فجأة يجد نفسه عند ما يريد الدخول محاصرا ، ولا يستطيع التحرك :

« ايه يا قافلة السبي

لقد طال السفر
سقط الظل على الظل
وضيعت الاثر »

هذا الضياع ، هو تسجيل صادق ، ليس لعواطف الشاعر ، بـل للواقع الفلسطيني ، قبل انطلاق حركة المقاومة . فالضياع شامل ، لا طريق للخلاص ، بحيرة الدم لا تـزال راكدة ، يتكوم حولها المهرجون والضباع . والشاعـر يقف في الصف الاخر مراقبا مـا يجري بعين واقعية . وهو وان كان قد اختار المعسكر الذي سوف ينضم اليه ، فانه لا يستطيع التعبير عن هموم هذا المعسكر ومشاكله . المخيم ، اللاجئون ، تصبح في شعره مجرد رموز للضياع ولا تتحرك في عمق المشاعر ، لا تتوالد في الرؤى والاصوات . وهو في مراقبته يشير الى الكثير من الظواهر السلبية . ولعل قصيدته « القمر ذو الوجـوه السبعة » تؤشر ، الى اللحظة التي تسبق الحركة .

« كتبت عن طيورنا المهاجرة
وقلت ليس للرياح ذاكرة
كتبت عن اشجارنا التي تموت
وهي واقفة
هذا الشتاء دقت الاجراس
لم تمر عاصفة » ...

وفي حزيران ١٩٦٧ ، مع تباشير الهزيمة ، تكلـم اللاجئون بصوت عال . وهذه المـرة كانت الرصاصة هي وسيلة المخاطبة .

ب ــ **أطفال حزيران** :

قبل الحديث عن الشعر الذي نبت على ضفاف الهزيمة ، فان التوقف عند الواقع الذي يستنطقه هذا الشعر يدفعنا الى ابداء ملاحظتين : ١ ــ **المخيم** هو نقطة الارتكاز في واقع الحياة الفلسطينية اليومية في المنفي . هذا المخيم الـذي يجسد يوميا النفي والاقتـلاع والحرمان والجوع الـى الحريـة هو الواقع الذي عليـه نرتكز في رصد علاقة الشعر بالواقع . ٢ ــ طابع **الاقتلاع** الذي عاشه طويلا المثقف الفلسطيني وجـد في المقاومة ، اطارا خصبا يستطيع استيعاب مطامحه وارادته الثوريـة التي ظلت الى مدى طويل خاضعة للكبت والقمع والاضطهاد والتطويق .

لقد خلفت هزيمة حزيران وراءها ، عمقا مأساويا متداخلا بفـرح طفولي صحب ولادة المقاومة الفلسطينية، ونستطيع ان نرصد اتجاهين لاستلهام المرحلة الجديدة: ١ ــ يتمثل الاتجاه الاول ، بثلاث مميزات : انه **اولا** رفض للواقع بكل قيمه . هذا الرفض يراوح بين روح ثورية قتالية ، تمثل الفلسطيني ، الذي يعيش على هامش المجتمع العربي ، والذي يريد ، بل اصبح الان من حقـه ، ان يرفع صوته كاشفا كل الزيف الذي يغلف حياتنا العربية . فعز الدين المناصرة ، يرفع صوته مع بريفير ، ليصيغ في قصيدته « ابي وابوك وابوه » وثيقة اتهامية تحاول ان تطال جميع المؤسسات التي بقيت طويلا متحكمة برقاب شعبه .

« ابانا الذي في جهنم
نعود .. انتظرنا طويلا . تعلمنا الموت .
فوق دروب الشقاء
ابونا الذي في بقاع الحجاز
يغمغم في الغاز ، يفرخ نسلا نبيها
يطوف فوق المسامير في كربلاء »(٣٠).

وهو حين يعود يستعير صوت امرىء القيس ، فانه يقف من على شرفات الهزيمة ، ليدين الواقع .

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى تقال على مسامعه الخطب »[31].

ثم يعود الى واقعه ، « فاللوم يقع على الفلسطيني في كل حال » . وهو حين يصور هذا الواقع ، فانه يريد ان يقول لنا ، ان القضية تتمركز في **المنفى** ، الفلسطيني منفي وغريب في الوسط العربي ، الايديولوجية السائدة تتاجر بجراحه ، لكنها في الواقع تقوم بقمعه بشكل منظم . فالفلسطيني هو مصدر للقلق على واقع بدأ يتهاوى . من هنا هذا الاحساس الحاد بالغربة الذي يتحول عند احمد دحبور الى ادانة للواقع من خلال التوق الى معركة شريفة :

« ــ البحر من ورائكم
ــ ماذا وراء البحر
ــ خليفة يسلبنا القوت وغار النصر
ــ البحر من ورائكم
ــ نحن نريد البحر »[32].

لكن هذا الاتجاه ، لا يتوقف عند حدود وضع اليد على الجراح فهو **ثانيا** امتداد غنائي ، نحو ارض الوطن ، فالوطن يصبح الجزء النابض في جسد الانسان . ويتحول الحوار معه ، الى حوار شفاف ومر الطعم ، فالمناصرة حين يستعير « تميم بن حجر » فانه يسقط عليه كل الحب ، والاسى الذي يخلفه المنفى والاسر في وجدان الانسان .

« لو انني قمر في الشام مرتحل
لو انني قمر
لو انني حجر في الشام منغرس
لو انني حجر
لو انني قمر ، لو انني حجر ، لو انني جبل
لو انني سفن
لكنني في بلاد الروم منزرع
ابكي على وطن قد خانه الوطن »[33].

والشاعر ، يحاول العودة الى الينابيع التراثية ، ليصب فيها مشاعره ، لكنه لا يتوقف عند هذه الحدود بل ينزل عميقا الى الاغاني الشعبية ، ناسجا على منوالها شعرا محرضا ، يلامس جسد الوطن ويتوحد مع جراحه .

احمد دحبور ، يغوص في واقع المخيم ، شعره شهادة حية على واقع المخيم ، واقع البؤس والغربة فيه .

« وها انا محاط
بوجهك المؤجل البريء يا مخيم العياط »

وهو من المخيم يتوجه نحو وطنه داعيا اياه الى انتظاره ، يحاول احتضان الضفتين . وسط اليباب الذي خلفته هزيمة حزيران . وامتداده نحو الوطن مطعم بمشاعر رومانسية واضحة المعالم ، فهو الولد الفلسطيني الخارج من المخيم وفي راسه يعزف الوطن الحانه الجنائزية .

ان هذا الامتداد الرومانسي ، يجد تعبيره الحقيقي في المقاومة الفلسطينية المسلحة فهو **ثالثا** شعر يدعو الى الالتحام بالمقاومة . فبعد ان كان عز الدين المناصرة يتساءل « هل

تنفع الاشعار » اذا به يزيل كل الحواجز ، ليخاطب عنب الخليل مخاطبة عائلية فللعنب دور في المقاومة فهو لن يثمر : « وان اثمرت كن سما على الاعداء » واحمد دحبور حين يكتشف فتح مع استشهاد جلال كعوش ، فانه يعود مباشرة الى المخيم ، صارخا مــع الاغاني الشعبية :

« يا شجرة في الدار حاميها اسد
وتكسرت لغصان من كثر الحسد
بيدي زرعت الزرع والثاني حصد
يا حسرتي »(٣٤).

وعندما يتصدى لرواية حكاية الولد الفلسطيني ، فانه يتساءل « ماذا يخسر الفقراء » ؟ فهم لا يخسرون اكثر من اعاشتهم ومنفاهم . هذا الواقع ، يجعل للشاعر ارضا صلبة ، ارضا «تفوضه عن جهنم » وتسمح له بأن يقول :

« لان الكف سوف تلاطم المخرز
ولن تعجز »

ومحمد القيسي(٣٥) يرى مع المقاومة بداية جديدة . بداية للعشق الــذي سوف يسقط المحتل ، حين تتوحد الارض بنسغ البدن ، لان « الفقراء قد احتضنوا قمر الثورة » . ولعل وليد سيف قد استطاع ان يلخص مرحلة بكاملهـــا في قصيدته « تقاسيــم في زمن الفتح »(٣٦) فالتحول النوعي يتأتى من الدخول في تيار الكفاح المسلح ، هذا الدخول يغير مداليل الاشياء يعتصر الزمن ويحيله الى زمن مختلــف من حيث النوع فالاشياء تتغير والطبيعة تتحول هي الاخرى الى القتال ، والشاعر حين يغني ، فان حنجرته تبحث عن وطنه ، الذي ينهض من الركام .

« في زمن الفتح
تصبح جارحة كل الاشياء
تصبح طيبة كل الاشياء
فانا اتجول في زمن الكره الحارق
وانا ابدو اروع ما كان العاشق
ارفع قبعتي للشمس
اتنفس ريح الامطار
والقمر الطيب يطلع من خوذة جندي
تصلح آنية للازهار »

ومعين بسيسو(٣٧)، يعود اليه الصمت الجارح فهو يستطيع ان « يتهم الان » ان يختصر قضية شعبه في قصيدته « اشارة مرور » حيث الفلسطيني المسجون في العربـــة امـــام الضوء الاحمر ، يولد بنزوح ، يسجن ، يموت ، يدفن تحت دواليب العربة . « والعربة ما زالت في الشارع » . ان نقل القضية الى مستوى الرمز والايحاء يفجر عند بسيسو عالما غنيا بالصور والانفعالات ، فظهره الان الـــى الحائط . وسمسم الذي يفتح الباب ليس اكثر من خرافة ، لان فتح الباب لن يقوم به سوى المضطهدين الذين بدأوا يعرفون ما هو لون الدم .

خالد ابو خالد ، يحاول نقل القضية الى مستوى اكثر مباشرة ، انه يكتب وسط الحرائق المشتعلة في عمان ممجدا الميليشيا بأغان بسيطـــة وحارقة ، تريد لنفسها ان تكون جزءا من تراث شعبي تصنعه المقاومة التي تذبح في الاردن . لكنه حين يحاول في تعزيته ، ان ينقــل المأساة الى مستوى الاسطورة ، فانه يسقط عند حـــدود هـــذه الاسطورة . فاستحضار الاسطورة على أن شهرزاد تنظم خلايا سرية للحزب الطليعي يبدو شديـــد

الانفعال ، وخارج عملية الابداع بالرمز . ففي شعرنا الحديث استطاع خليل حاوي او ادونيس او السياب ، الانتقال بالاسطورة الى واقع حي ومتجدد دون السقوط في المباشرة . فالمباشرة لا تحتاج برأينا الى الاساطير ، التي تبقى لغة الاسقاط بالرموز على واقع معقد ومتشابك يصعب تحليله .

اذا كان الشعر داخل الارض المحتلة ، يستطيع ان يكون وثيقة مباشرة عن حياة العرب تحت ظلال الاحتلال فان الشعر في المنفى يطمح ان يكون واقعيا الى ابعد الحدود ، لكن واقعيته تبقى اسيرة الرومانسية التي صاحبت بداية العمل الفدائي . وهو لا سيما مع المناصرة حين يريد ان يكون ملفا « اتهاميا » ، فان اتهاميته تمتزج برومانسية تجد تبريرها في المقاومة المسلحة . واذا كان الشعر في المنفى يجد في الاغاني الشعبية متنفسا له وجسرا يربطه بالجماهير . فانه يبقى على مستوى البنية الشعرية ، في الاطار التشكيلي الذي ترسمه المدرسة الشعرية الحديثة . فهو تماما كشعر الارض المحتلة . يجد مرتكزه في التشبيه ، لا يكتشف الصورة الجامحة التي تولد انهار الانفعالات . يريد لنفسه ان يكون مباشرا ، لصيقا بالحياة اليومية ، لكنه يفشل في التقاطها وينصب في اطارات الحالات الانفعالية الكبرى ، حيث نقطة الارتكاز هي **انفعال الشاعر بالاشياء** ، وليس علاقته بها وفعله من داخلها .

٢ ــ في مقابل هذا الاتجاه يقف اتجاه اخر يريد لنفسه ولوج الافق الشعري . تحويل القصيدة ، الى عالم مشحون بالصور والانفعالات ، تستطيع التعبير عن واقع مركب وشديد التعقيد . ونحن نستطيع ان نرصد هذا الاتجاه في مجموعتين شعريتين . الاولى لوليد سيف : **وشم على ذراع خضرة** والثانية لمحمود درويش **أحبك او لا أحبك** .

أ ــ مجموعة وليد سيف الثانية **وشم على ذراع خضرة**(٢٨) مذهلة ، فيها تصبح فلسطين نشيدا خاما ، قروي الملامح ، واللغة تصبح عالما متحركا ، تتحرر من خطابيتها ومباشرتها لتصبح اكثر قربا من اللغة اليومية . لكنها هنا تحمل مداليل رمزية متقدمة ، انها تحاول الدخول الى التشكيل الفني عبر ارتباطها بالجذور وتحويلها لهذه الجذور الى مداليل واقعية . فالاغنية الشعبية تتداخل في شعر وليد سيف مع الرمز ، ويصبح زيد الياسين طالعا من ضمائرنا ، يواجه الحرس الليلي ممتدا الى خضرا القروية . وزيد الياسين يصبح لوركا آخر يسقط بأيد فاشية بدوية مجنونة لكن الكف المدودة حين تنقبض ، فانها تنفتح عشبا ورصاصا :

« زيد الياسين
ماذا تحمل في عبك
حين تعود الليلة !!
هذا الشقيق الطالع من جنبيك
ينحل العالم
قطرة ضوء في صدر الرجل النائم
(ما زال الرجل الماشي النائم)
تنقبض الكف الممدودة
تسقط في قاع العالم
تنفتح عشبا بريا وصبايا
شعرا ورصاصا وحكايا

حين ينقل وليد سيف معاناته الى مستوى الرمز فانه يفقد صلته الظاهرة بالواقع ، يبحث له عن صلة خفية تدنيه اكثر من واقعه . انه صوت يفقد الجماهيرية التي للشعر المقاوم . صوت يطلع بعد هزيمة ايلول . يطلع من رحم هذه الهزيمة .

٢ ــ اما محمود درويش فانه في مجموعته الاخيرة **احبك او لا احبك**(٣٩) يدخل مغامرة تشكيلية جديدة . القصيدة عنده تمتلىء بالمساحات البيضاء ، وحركتها لا تأتي من تعدد الاصوات فيها ، بل من تعدد المواقف في الصوت الواحد . يبحث درويش لنفسه في مغامرات الماغوط التشكيلية وصور ادونيس المتفجرة ، عن مكان تقف فيه آلام شعبه وسط الهزائم التي تتلاحق . وهو وان بقي مخلصا للاطر التي صنعها لنفسه في الارض المحتلة (الارض ــ الغنائية القتالية) فانه هنا يعطي هذه الاطر مضامين جديدة ومداليل عميقة . ففي قصيدته « عائد الى حيفا » المهداة الى الشهيد ابو علي اياد . تأخذ معادلة الانسان ــ الارض ، شكلا جديدا وخافقا :

« وما كان لاجيء
هي الارض لاجئة في جراحه
وعاد بها
لا تقولوا : ابانا الذي في السموات
قولوا : اخانا الذي اخذ الارض منا
وعـاد »

الارض تلجأ في جراح الشهيد المقاتل . لم تعد الارض رحما . صار الانسان رحم الارض هو الذي يشحنها بالمداليل والاعماق .

وفي قصيدة « سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا » تتداخل الاصوات ، الصورة تحتل مكان التشبيه والانفجار الانفعالي يوحد الاشياء المتمازجة ينتقل من رصد الواقع الى نقده ــ عبر نقد اللغة كبناء ــ ومن تحويل الاشياء الى اجزاء من الارض ــ « ورائحة البن جغرافيا » الى تكسير الواقع الجامد ــ « ويأتي الصدى حرسا » لكنه حين يريد ان يلتقط الاشياء من الواقع فانه يبسط الامور « حربك حربان » . لكنه يعود محاولا اكتشاف طريقه في المنفى ، طريق الدم ولو كان الاختيار فرديا :

« ويكتب سرحان شيئا على كم معطفه ، ثم تهرب ذاكرة من ملف الجريمة .. تهرب . تاخذ منقار طائر
وتزرع قطرة دم بمرج بن عامر » .

ان التطور الذي نلاحظه من خلال قراءتنا للشعر الفلسطيني المعاصر يطرح علينا سؤالا بالغ التعقيد : ما هي **علاقة الشعر بالثورة** ؟ حول هذا السؤال تبرز المدارس النقدية المختلفة محاولة عبر اجابتها على هذا السؤال ان تحل المشكلة الرئيسية في شعرنا العربي المعاصر . ما هي علاقة الشعر بالواقع ؟ وبالتالي ما هي حدود علاقته بالجماهير ؟

أ ــ يحاول ناجي علوش ان يجيب على هذا السؤال من خلال موضوعة « المدرسة الواقعية الثورية في الشعر »(٤٠) فمدرسته هي رومانسية وبسيطة وبلاغية حادة عندما تكون الثورة حركة تحرر وطني في بلد متخلف . لان هذا الشعر هو الشعر الذي يتقبله الجمهور في هذه المرحلة » الواقع ان ناجي علوش يحاول المشاركة في خلق تجربة شعرية ، تستطيع ان تكون سلاحا في المعركة . انه يعطي للشعر دورا واحدا هو **التحريض السياسي** . كأن العملية الثورية تتوقف في وعي الجماهير ــ حتى الامية منها ــ عند الحدود السياسية . ولا تمتد لتشمل جميع العلاقات السائدة في مجتمع ما . علوش يحاول ان يفصل مدرسة شعرية لا حجم لها ، تبقي الشعر خارج الفعل الثوري، وتحيله الى مجرد شعارات سياسية ــ مرتبطة بالتراث ــ لكنها لا تشارك في عملية الوعي النقدية التي تختلج في اي حركة ثورية جذرية . فالتحرر الوطني ، ليس مقولة

جامدة . انه جزء من حركة تاريخية ، تفتح نفسها على الافق الاشتراكي ، والا فان مرحلة التحرر الوطني لا يمكن انجازها .

ب — في مقابل طرح ناجي علوش ، يحاول الشاعر ادونيس في كتابه النقدي **زمن الشعر**(٤١) ان يجيب على هذا السؤال عبر الفصل بشكل انقطاعي بين العملية الثورية والعمل الابداعي الشعري ، فصنع الرديف اللغوي للعملية الثورية اين يجري . انه في راينا يجري وسط العمل الثوري وليس من على ضفافه . الكشوف اللغوية لا تتفتق في عملية البحث عنها خلف الجدران . انها هناك في افواه الناس العاديين وهم اذا لم ينطقوها ، فلأن الشاعر لا يستطيع استنطاقها ، لأنه يعيش خارج الجراح . في الواقع، فان كشوف ادونيس اللغوية في ديوانه الاخير « **وقت بين الرماد والورد** »(٤٢) تبقى لصيقة بهموم ثقافية وحضارية تحملها الطلائع المثقفة التي لا تجد لنفسها مواقع وسط البحر الجماهيري المليء بالتناقضات .

الشعر ، لا يستطيع ان يكون بديلا للثورة . الشعر جزء متجذر في الواقع ، ولا يمكن النظر اليه من نوافذ « عبقر » جديدة . فقط نوافذ عيون الاطفال هي الساحات التي عليها ينبت الشعر ومنها يمتد في الآفاق . من هنا فحين ترتد لغة درويش الشعرية لتصبح أكثر صعوبة وليصبح ايقاعها شديد التعقيد ، فلا تجد لنفسها واقعا تستند اليه. فعلينا ان لا نوجه السؤال الى الشاعر فقط ، بل علينا ان نفهم ظروف مرحلة بأسرها يبدو فيها فعلنا التاريخي بحاجة الى كبير مراجعة . ان هذا لا يعني ان الشاعر لا يتحمل اية مسؤولية في عملية الابتعاد هذه . فالشاعر الذي تنسحب ارض الواقع من تحت قدميه ، لا بد له من الدخول في عملية البحث عن جذوره في الارض . والجذور ليست في المستقبل كما يتوهم البعض لأن المستقبل هو الحاضر الذي نصنعه نحن بأيدينا . من هنا يرتد السؤال الينا ، فقراءتنا للشعر المقاوم ، تدفعنا الى استقراء الواقع الذي نبت عليه هذا الشعر . والاتجاه نحو الصور المعقدة بلغة ايقاعية صعبة يطرح علينا سؤالا جديدا : « الا يستطيع التعبير عن مواقع معقدة ان يقترب من الناس ؟ » الواقع ان من سيجيب على هذا السؤال هو حركة الجماهير الواقعية ، التي لا بد وأن تجد لنفسها منافذ تقتحمها نحو الالتحام الدائم بالثورة .

وحيث العملية الثورية نفسها وفي وسطها ، في وسط الجماهير المسيسة المناضلة ، يخرج الشعر الى ملامحه الكبرى ليشارك في صناعة انسان العصر الجديد(٤٣) .

---

١ — محمود درويش : في مقدمة **من فلسطين ريشتي لابي سلمى** . دار الاداب . بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١ .

٢ — راشد حسين : **مع الفجر** ، مطبعة الحكيم ، الناصرة ١٩٥٧ .

٣ — راشد حسين : **صواريخ** ، مطبعة الحكيم، الناصرة ١٩٥٨ .

٤ — حنا ابو حنا : **نداء الجراح** ، دار العودة، بيروت ١٩٧٠ .

٥ — محمود درويش : **ديوان محمود درويش** ، دار العودة بيروت . من مجموعة **اوراق الزيتون**

٦ — حنا ابو حنا : **المرجع السابق** .

٧ — محمود درويش : المرجع السابق . من مجموعة **عاشق من فلسطين** .

٨ — محمود درويش : المرجع السابق . من مجموعة **اوراق الزيتون** .

٩ — سميح القاسم : **ديوان سميح القاسم** . دار العودة بيروت . مجموعة **اغاني الدروب** .

١٠ — سميح القاسم : المرجع السابق . من قصيدة **أرم** .

١١ — توفيق زياد : **ديوان توفيق زياد** . دار العودة بيروت . مجموعة **اشد على اياديكم** .

١٢ — سالم جبران : **قصائد ليست محددة الاقامة** — دار الاداب بيروت — تشرين الثاني ١٩٧٠ .

١٣ — محمود درويش : المرجع السابق . مجموعة **اخر الليل** .

١٤ — محمود درويش : **المرجع السابق** .

١٥ ــ محمود درويش : المرجع السابق . **يوميات جرح فلسطيني .**

١٦ ــ سميح القاسم : المرجع السابق . مجموعة **دمي على كفي .**

١٧ ــ سميح القاسم : **المرجع السابق .**

١٨ ــ توفيق زياد : **المرجع السابق .**

١٩ ــ توفيق زياد : المرجع السابق . مجموعة **اغنيات الثورة والغضب .**

٢٠ ــ سميح القاسم : المرجع السابق .مجموعة **طلب انتساب للحزب .**

٢١ ــ سميح القاسم : **الموت الكبير** . دار الاداب بيروت .

٢٢ ــ توفيق زياد : المرجع السابق . مجموعة **ادفنوا امواتكم وانهضوا .**

٢٣ ــ توفيق زياد : المرجع السابق . مجموعة **اغنيات الثورة والغضب .**

٢٤ ــ سميح القاسم : **الديوان** . مجموعة **دمي على كفي .**

٢٥ ــ محمود درويش : **الديوان** . مجموعة **آخر الليل .**

٢٦ ــ محمود درويش : **العصافير تموت في الجليل** دار الاداب بيروت ١٩٧٠ .

٢٧ ــ محمود درويش : **احبك او لا احبك** . دار الاداب ، بيروت ، شباط ١٩٧٢ .

٢٨ ــ معين بسيسو : **فلسطين في القلب** . دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٥ .

٢٩ ــ معين بسيسو : **الاشجار تموت واقفة** . دار الاداب بيروت . الطبعة الاولى . اذار ١٩٦٦ .

٣٠ ــ عز الدين المناصرة : **الخروج من البحر الميت** ــ دار العودة بيروت .

٣١ ــ **المرجع السابق .**

٣٢ ــ احمد دحبور : **حكاية الولد الفلسطيني** ــ دار العودة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧١.

٣٣ ــ عز الدين المناصرة : **يا عنب الخليل** ــ دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .

٣٤ ــ احمد دحبور : **المرجع السابق .**

٣٥ ــ محمد القيسي : **خماسية الموت والحياة .** دار العودة ، بيروت .

٣٦ ــ وليد سيف : **قصائد في زمن الفتح** ــ دار الطليعة ، بيروت . الطبعة الاولى ، آب ١٩٦٩ .

٣٧ ــ معين بسيسو : **القتلى والمقاتلون والسكارى** ــ دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ــ **وكراسة فلسطين** ، دار العودة ، بيروت .

٣٨ ــ وليد سيف : **وشم على ذراع خضرة** ــ دار العودة ، بيروت ١٩٧١ .

٣٩ ــ محمود درويش : **احبك او لا احبك .**

٤٠ ــ ناجي علوش : « المدرسة الواقعية الثورية في الشعر ، سماتها ومقاييسها النقدية » . في **دراسات عربية** السنة الثامنة ، العدد ١٩٧١/١١/١٠ . وفي مقدمته لمجموعة دحبور **حكاية الولد الفلسطيني .**

٤١ ــ ادونيس : **زمن الشعر** . دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ ، الطبعة الاولى .

٤٢ ــ ادونيس : **وقت بين الرماد والورد .** منشورات « مواقف » بيروت .

٤٣ ــ نشير الى اننا في هذه الدراسة ، لم نتطرق الى الشعر العامي الفلسطيني ، بل اقتصرنا على الشعر المبلور في مدارس فنية محددة الملامح . وقد نعود في اعداد قادمة ، الى معالجة هذا الجانب الذي يكتسب أهمية خاصة بالنظر لانتشاره في صفوف المقاتلين الفلسطينيين.

اميلكار كابرال : سقط على أسوار النصر

د. ت.

طالبوا الاعضاء المسؤولين في الحزب بان ينكبوا بجدية علــى الدراسة ، بان يهتموا بنضالنا وباحداث ومشاكل حياتنا اليومية في جوانبها الاساسية والهامة وليس فقط في جوانبها السطحية ... تعلموا من الحياة ، من الشعب ، من الكتب ، تعلموا من تجارب الاخرين . لا تتوقفوا ابدا عن التعلم(١).

أيلول ١٩٥٦ : أسس اميلكار كابرال مع خمسة من رفاقه ، الحزب الافريقي لاستقلال غينيا والرأس الاخضر P.A.I.G.C. في بيساو عاصمة غينيا المسماة بالبرتغالية .

كانون الثاني ١٩٦٣ : بعد سنوات من العمل السياسي الدؤوب لتوعية وتعبئة سكان غينيا في الارياف وبعد القمع الدموي الذي واجهه الحزب في المدن ، أعلن بدء الكفاح المسلح .

كانون الثاني ١٩٧٣ : بعد عشر سنوات من النضال الذي حرر اكثر من ثلثي مساحة غينيا(٢)، سقط اميلكار كابرال في كوناكري برصاص عمــلاء البرتغال وحلف شمــال الاطلسي .

ضحية أخرى من ضحايا **الحرب العالمية** الشرسة بين الامبريالية وشعوب العالم الثالث ؟ شهيد آخر بين ملايين الشهداء الذين قدمتهم وتقدمهم ثورات التحرر ؟

كابرال هذا واكثر : فهو ليس فقط « مناضلا ملتزما بعزم بالكفاح المسلح ، ومنظما قديرا لحرب غوارية جعلت البعض يشبهونه بتشي غيفارا »(٣). فالعديد من الذين عرفوه في هافانا أو روما أو نيويورك أو القاهرة ـــ وبعضهم من المقاومة الفلسطينية ـــ يقرون بأنه « منظر ثوري يتميز بصلابة ودقة في التحليل ... ويؤكد دائما على ضرورة توفر نظرية ثوريةوتحليل علمي للتشكيلات الاجتماعيةواخضاع العمل نفسه للظروفالموضوعية»(٤). وان كانت الجماهير هي التي تصنع التاريخ وتحول التطلعات والطموحات الى حقائق من خلال عملها الثوري ، فالنواة القائدة هي التي تستخلص الفكر والخط العام وتعطي المد الجماهيري تأطيرا يحوله الى سيل جارف . وافتقاد الحركة الثورية الى أحد هذين الطرفين في العلاقة ـــ التبني الجماهيري ، والقيادة القديرة ـــ يحكم عليها بالفشل ، أو على الاقل باجهاض العملية الثورية . وكابرال كان يدرك هذا الشرط : « ان توفر طليعة متلاحمة وواعية بالمعاني الحقيقية وبأهداف النضال من أجل التحرر الوطني الذي تقوده يبدو لنا أمرا أساسيا »(٥). « ونحن مقتنعون في الوقت نفسه بأن أية ثورة وطنية أو اجتماعية تنقصها معرفة حقيقية لواقع (بلدها) كشرط اساسي لعملها ، معرضة جديا للفشل »(٦).

واذا كانت غينيا (بيساو) اليوم على أبواب النصر بعد أن حرر الشعب معظم الارض باستثناء مدن قليلة ومعسكرات متفرقة يعتصم فيها أكثر من ٣٠،٠٠٠ جندي برتغالي

فقدوا نهائيا زمام المبادرة(٧)، واذا فرضت حركات التحرر في المستعمرات البرتغالية وجودها عالميا فاعترفت بها الامم المتحدة في دورتها الاخيرة كممثلة لشعوبها(٨)، فان جزءا كبيرا من الفضل يعود الى توفر القيادة الطليعية التي يشير لهـــا كابرال ، والتي يميزها أحد قادة اليسار الفرنسي عن « معظم القيادات التقليدية التبشيرية والعاطفية في العالم الثالث »(٩).

وقد استطاع كابرال ورفاقه أن يلمسوا بعمق خاصية الوضع في غينيا ، (وفي افريقيا السوداء بشكل أعم) المتميز بتخلف اقتصادي وثقافي وتناقضات قبلية ودينية وسيطرة شبه شاملة للاستعمار أو الاستعمار الجديد على معظم أقطار القارة. ولكن هذا الادراك لنقاط الضعف الداخلية منها والخارجية(١٠)، لم يدفع قادة الحركة الثورية لليأس بل لمزيد من الاصرار والتجذير لبناء حركتهم وأهدافها . فعلى صعيد البناء ، عمل كوادر الحزب لاستقطاب جماهير الريف بطرح مشاكلها الحقيقية وتفادي الاطروحات العامة والاهداف البعيدة « فالناس لا يقاتلون من أجل الافكار ، من اجل القضايا التي في رأس أحدنا . هم يقاتلون من أجل مكاسب ملموسة ، ليعيشوا حياة افضل وفي سلام ، وليروا حياتهم تتطور الى الاحسن »(١١) وهذه الرؤيا لا تعني بالنسبة لكابرال احتقار الجماهير واتخاذ موقف ابوي تجاهها ، وتجريدها من دورها الخلاق بالاستنابة عنها ، فكتابات كابرال كلها تؤكد على ضرورة رفع مستوى الوعي وتنمية حس النقد عندها . فمن تعليمات الحزب الملفتة للانتباه : **« مارسوا الديموقراطية الثوريـــة ... اقيموا اجتماعـــات متكررة ... لا تخفوا شيئا عن جماهير شعبنا . لا تكذبـــوا عليهم ... ولا تدعـــوا الانتصارات السهلة** »(١٢).

كما لا تساوي هذه الرؤيا بالنسبة له موقفا تجريبيا ذرائعيا، فكان اهتمامه بتوفر الخلفية النظرية دائما : « ان النقص الايديولوجي في حركات التحرر الوطني، ان لم نقل الغياب الكامل للايديولوجيا ــ الذي يعكس الجهل بالواقع التاريخي الذي تنادي هذه الحركات بتغييره ــ يشكل احدى نقاط الضعف الرئيسية في كفاحنا ضد الامبريالية ، ان لم يكن نقطة الضعف الكبرى »(١٣).

وعلى صعيد الاهداف ، وضع كابرال ورفاقه نصب اعينهم التحـــرير الكامل والحقيقي لشعبهم : « فاذا كنا نناضل من أجل طرد البرتغاليين فقط ، فلا داع للنضال . نحـــن نناضل لطرد البرتغاليين ، ولكن أيضا لئلا يستغل أحد شعبنا أبيض كان أو اسود »(١٤). وشرح كابرال بشكل مفصل وجهة نظره هذه في خطابه التاريخي في مؤتمر القارات الثلاث عام ١٩٦٦ : « هناك طريقان فقط أمام بلد ينال استقلاله : أما العودة تحت السيطرة الامبريالية (الاستعمار الجديد ، الرأسمالية ، رأسمالية الدولة) أو السير في الدرب الاشتراكي . ويتأثر الخيار ــ الذي يقرر مدى مكافأة جهود الشعب وتضحياته في فترة النضال ــ بشكل قوي **بأسلوب النضال وبمستوى الوعي الثوري للقيادة** »(١٥).

ولسنا هنا في معرض تقييم مفصل لعمل كابرال والدور التاريخي الذي لعبـــه في حركة التحرر المعاصرة . فالامر يحتاج الى دراسة اوسع . الا ان الكلمات القليلة اعلاه من كابرال وعنه تسمح لنا بأن نقدر الخسارة التي مني بها ثوار افريقيا والعالم الثالث . ولكننا نرجو بأن يكون تقدير باسيل دافيدسون(١٦) حقيقيا حينما قال « ان الحزب قد تعدى المرحلة التنظيمية التي تؤثر فيها خسارة رجل ــ مهما كانت مؤسفة ، كما هو الحال مع كابرال ــ على فعاليته » ، وان يكون هذا العام الذي ستعلن فيه الجمعية الوطنية المنتخبة في الاراضي المحررة استقلال غينيا (بيساو) عام هزائم جديدة للاستعمار البرتغالي وكافة أشكال الاستغلال في القارة السوداء .

الحواشي :

١ ــ من تعليمات الحزب التي كتبها كابرال في عام ١٩٦٥ عن
Basil Davidson, *Le Monde Diplomatique,* Février 1973.

٢ ــ Africa South of Sahara, *Europa 1971,* p. 136.

٣ ــ *Le Monde,* 24/1/1973.

٤ ــ Manuel Bridier, *Le Monde,* 8/2/1973.

٥ ــ خطاب كابرال في مؤتمر القارات الثلاث عام ١٩٦٦ عن
Portuguese Colonies : Victory or Death, Tricontinental, Cuba 1971, p. 126.

٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٨ .

٧ ــ المصدر المذكور اعلاه Europa 1971

٨ ــ *Politique Hebdo,* 14/12/1972, p. 25

٩ ــ *Le Monde,* 8/2/1973.

١٠ ــ **المصدر السابق** *Tricontinental,* p. 124

١١ ــ كابرال في عام ١٩٦٥ عن كتاب
The Liberation of Guiné, Basil Davidson, Penguin, 1969. صفحة ٥٨

١٢ ــ **المصدر نفسه** ، صفحة ٣٨ .

١٣ ــ **المصدر نفسه** ، صفحة ٧٤ .

١٤ ــ من خطاب لكابرال في قوات التحرير عن كتاب
Lutte armée en Afrique, Gerard Chaliand, Maspéro, 1969.

١٥ ــ **المصدر السابق** ، صفحة ١٢٩
Tricontinental.

١٦ ــ المصدر رقم (١) أعلاه .

مراجعــات

العسكرية الصهيونية ، المجلد الاول ، المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، النشأة والتطــور (١٨٨٧ ــ ١٩٧٧) ، تقديــم محمد حسنين هيكــل (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة : ١٩٧٢)

ان الكتاب الذي نستعرضه فيما يلي هو الاول من ثلاثة مجلدات تهدف الى دراسة ما تسميه مؤسسة الاهرام « العسكرية الصهيونية » ، وذلك منذ نشأتها وخــلال الخمس والثمانين سنة الماضية (١٨٨٧ ــ ١٩٧٢) ، مع محاولة للتنبؤ (!) للسنوات الخمس المقبلة (حتى ١٩٧٧) . وعلى الرغم من ان هذا العمل ربما كان الاول من نوعه باللغة العربية لدراســة النشاط الصهيوني منذ بدايته حتى اليوم ، « وان البحث استغرق أكثر من خمس سنوات » ، كما جاء في تقديم الكتاب ، وبعد أن « كرس له مركز الدراسات الاستراتيجية في الاهرام جزءا كبيرا من موارده ومواهبه » ، يشعر القارىء بأن مادة الكتاب لا تزال بحاجة الى جهد أكبر لايفائها حقها .

ليس من السهل على المرء متابعــة الآراء التي يوردها الكتاب ، والاستفادة منها عند قراءته او بعدها . فلأول وهلة يظهر ان الكتاب اخرج بصورة حسنة ، اذ ان العديد من صفحاته يحتوي على الكثير من المصادر التي يستند اليها ، كما قسم الى عدة اجزاء وحقب وفترات ، ثم ختم بفهارس مطولة يمكن الرجوع اليها عند الحاجة . لكن ، نظرة أعمق الى الكتاب تظهر وكأنه لم يبذل اي جهد يذكر في تحريره وضبــط مصادره ، فالافكار تتصارع بعضها مع بعض ، والتكرار يتجدد من فصل لآخر ، بحيث لا يعرف القارىء احيانا ماذا يريد الكتاب ان يوحي به ، ولهجة الوعظ والخطابة تغلب عليه في كثير من الاحيان . كذلك لا يتــوقف الكتاب ، من أوله الى آخره ، عن تكرار عبارات « الخطر الصهيوني » و« التوســع الاقليمي » و« العسكرية » و« النقاء العنصري » وما شابهها والتحذير منها ، بطريقة لا تليق بكتاب ذي نهج علمي . ويضاف الى هذا كله ، ان الكتاب يحتوي على ما يقارب من ١٣٧ ملحوظة ــ ان لم نكن قد أخطأنا العدد ــ غير واضحة ، اذ كثيرا ما يشير الى مصدر آخر مقتبسا منه، دون ذكر رقم الصفحة التي اقتبس منها ــ ومنها اقتباسات تتعلق بنقاط حساسة للغاية ــ أو يشير الى صحيفة يومية دون ذكر تاريخها ، بحيث يقف القارىء حائرا امام هذه المصادر لعدم تمكنه من الرجوع اليها ، ولا يبقى لديه من حيلة الا القبول بما يقوله الكتاب او عدم القبول به .

اما من ناحية المضمون ، فعلى الرغم مــن ان الكتاب يبحث جاهدا عن روح العسكرية الصهيونية، ويحاول منذ البداية اضفاء صفة « عسكري » على كل نشاط صهيوني في فلسطين ، وحتى خارجها احيانا ، فان القسم الاول من هذا الكتاب (حتى صفحة ١٥٣) ليس الا عرضــا موجزا لتاريخ المستوطنين اليهود في فلسطين منذ بداية استيطانهم البلد حتى اقامة اسرائيل سنة ١٩٤٨ . ولا نريد هنا ان نتطرق الى ما جاء في الكتاب عــن تاريخ المستوطنين اليهود عامة (رغم انه يكاد لا يشير الى منظماتهم السياسية والدور المهم الذي لعبته) ، اذ ان ما يورده لا يخرج عن كونه ترديدا للعموميات الصهيونية حول هذا الموضوع ، لكن لا بد من الاشارة ــ على الرغم من الغرابة في ذلك ــ الى ان الكتاب « يتحيز » لزعيم صهيوني دون آخر ولفئة صهيونية دون اخرى ، ويبدو ان هذا كان نتيجة اقتصار البحث على عدد ضئيل من نوع معين من الكتب والمراجع للاستناد اليها دون غيرها ، من بين عشرات ، وربما مئات المراجع المتوفرة بهذا الصدد . فالكتاب اولا يؤيد وجهة نظر الجناح العمالي في الحركة الصهيونية للتاريخ الصهيوني ،

وهي وجهة النظر التي تشيد كثيرا بانجازاتها والتي على الرغم من اهميتها تنكر على الفئات اليمينية دورها في اقامة الكيان الصهيوني ، ولهذا يكثر الحديث عن انجازات الكيبوتسات والدور الذي لعبته ، وهو حديث في محله ، لكن دون ان يشار الى دور باقي الفئـات اليهودية خـارج مجال الكيبوتسات . ويظهر ان اعتماد الباحثين ، بصورة واضحة على كتاب اهارون كوهين «اسرائيل والعالم العربي» (الصادر بالانجليزية) كما يظهر من كثرة الاقتباسات التي وردت فيه (دون ذكر الصفحات ، كما اشرنا) كان له أثره . فكوهين ينتمي اساسا الى ما يسمى الجناح اليساري في الحزب اليساري الصهيوني ، مبام ولهذا فانه يعرض تاريخ جناحه من خلال وجهة نظره . يضاف الى هذا كله ان كوهين المذكور هو مستشرق أكثر من كونه مؤرخا للصهيونية ، وكتابه لا يتعدى محاولة لعـرض وجهة نظره الشخصية في ان الصراع العربي ــ الصهيوني والعلاقات العربية ــ اليهودية عامة ما كانت لتصل الى ما هي عليه لولا سوء الفهم بين الجانبين وتدخل هـذه الفئة او تلك مـن الاستعماريين ، الخ . كذلك لا يبدو ان الرجل شجاعا للغاية في دفاعه عن وجهة نظره ، فنرى مثلا ان الطبعة العبرية من كتابه المذكور تحتوي على نحو ٥٠ صفحة تعتبر من أروع مـا كتبـه اسرائيلي في ادانة حكومته بسبب سياستها تجاه الاقلية العربية داخلها ، بينما تحتوي الطبعـة الانجليزية بدلا من ذلك على ٩ صفحات حول هذا الموضوع ، اعيدت كتابتها وصيغت بلغة معتدلة للغاية ، وهذا طبعا كي لا يحرج حكومة بلده أمام الرأي العام العالمي . ولا نعرف لماذا اختار باحثو الاهرام هذا الكتاب بالذات للاستناد اليه .

والخطأ الذي أشرنا اليه ليس الوحيد الذي يقع فيه كتاب « العسكرية الصهيونية » ، الذي يقبل ايضا بوجهة نظـر بن جوريون بالذات للتاريـخ الصهيوني ، وهي طبعا النتيجة التي لا بد ان يصل الباحث اليها اذا ما اعتمد على بعض الكتاب لبن جوريون والمعجبين به فقط . ومن المعروف ان بن جوريون لم يكتف بالدور الذي لعبه في صنع التاريخ الصهيوني وانما يحاول اعادة كتابة هذا التاريخ . وقد نشر حتى الان العديد من الكتب والمذكرات والمقالات حول هذا الموضوع ، التي تظهر ان رأيه يختلف من وقت لآخر بحسب الفترة التي يعيشها . وكتبه بالانجليزية التي استند اليها واضعو « العسكرية الصهيونية » تعتبر من ذلك النوع من الكتب الصهيونية الدعائية التي تحاول اقناع غير الاسرائيليين بوجهة نظر معينة ، وكان من الملائم النظر اليها بنوع من الحذر واليقظة .

ويقع الكتاب في أخطـاء مماثلة عند حديثه عـن « العسكرية » الصهيونية ، فيعتبر ، مثلا ، يوسف ترمبلدور (راجع الفهارس في الكتاب لتتبع الآراء التي يطرحها) بمثابة أب روحي ومؤسس للهاجاناه ، على الرغم من ان الرجل لم يكن يملك تأثيرا يذكر في هذا المضمار وقتل بعد فترة قصيرة من قدومه الى فلسطين ، بينما انحصرت مساهمته في اقامة الكيان الصهيوني بتبنـي وبلورة فكـرة الرواد (حالوتسيم) ومحاولة تعميقها فقط . كذلك يعتبر الكتاب ، جريـا وراء العموميات الصهيونية ، الهاجاناه امتدادا تاريخيا لمنظمة هاشومير ، بينما الواقع ان هاشومير كانت منبوذة من الهاجاناه التي حاصرتها وعملت على حلها ، لانها اعتبرت هاشومير نوعا مـن « العسكريين » المحتـرفين « المعجبين » بعادات العرب وتقاليدهم ومفاهيمهم للقوة ، وبالتالي لا يلائمون منظمة « شعبيـة » كالهاجاناه ــ وهو ما سبب مرارة دائمة لقدامى هاشومير ، الذين تعرضوا لها باسهاب عند كتابة تاريخهم الرسمي . وانطلاقا من الموقف نفسه ، يقدر الكتاب منظمة الهاجاناه ، خصوصا خلال المرحلة الاولى لقيامها (ولا يذكر ان الهستدروت كانت من أوائل الذيـن بادروا « لتنظيم شؤون الدفاع ») حتى منتصف الثلاثينات ، على أكثر ما تستحقه فيظهرها وكأنهـا كانت منظمة متماسكة مترابطة دابت علـى وضع خططها العسكريـة والنظرية منذ اللحظات الاولى لقيامها ، وهو ما يتنافى مع الواقع . فمن المعروف ان الهاجاناه وبشهادة معظم قادتها لم تكن ، حتى ثورة ١٩٣٦ ، الا نوعا من الهراء العسكري ، ولم تبدأ بالتحول الجاد نحو تحويل نفسها الى منظمة عسكرية مقبولة الا خلال سنـي الثـورة فيمـا بـين ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ وبعد ذلك ، وهو التحويل الذي ساهم فيه البريطانيون ، ومعهم وينجييت ، مساهمة فعالة ، كما يشير الكتاب . ويتطرق الكتاب ايضا الى ذلك النوع من المستعمرات الذي اقيم ضمن ما يسمى بمستعمرات « السور والبرج » ، فيوحي بأن هذا النمط من المستعمرات لازم الاستيطان الصهيوني بفلسطين منذ بدايته ووصل الى قمته مع اواخر

الثلاثينات ، مع ان العكس هو الصحيح . فمستعمرات « السور والبرج » ، ظهرت ، اول مرة في فلسطين خلال سنوات ١٩٣٧ – ١٩٣٩ ، بعد ان ترددت المشاريع حول تقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية . اما القصد من تلك المستعمرات فكان أساسا اقامتها في مناطق عربية صرفة لم تطأها قدم الاستيطان الصهيوني بعد وذلك في محاولة لمنع تقسيم البلد ، او على الاقل ضم الاجزاء التي تحتوي على مستعمرات يهودية الى الدولة اليهودية . لكن الكتاب لا يرى اية علاقة بين هذه الفكرة وبين مستعمرات الناحال التي راحت اسرائيل تقيمها في مناطق الحدود والمناطق الخالية نسبيا من السكان اليهود بعد ١٩٤٩ او تلك التي تقيمها حاليا في بعض اجزاء المناطق العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، ومن ضمنها الاراضي المصرية المحتلة طبعا .

ويتحدث الكتاب ايضا عما يفهم وكأنه توزيع الادوار بين المنظمات الصهيونية المختلفة ، بحيث تقوم الهاجاناه بنوع معين من العمليات بينما يقوم اتسل (الارجون) وليحي (شتيرن) بنوع آخر من العمليات ، بطريقة توحي بأن هذه الامور مرتبة سلفا بين هذه المنظمات . ومثل هذا الرأي ، بالاضافة الى كونه تبسيطا مبالغا فيه ، يعتبر تجاهلا لحقيقة ذلك الصراع المستحكم بين الفئات الصهيونية اليمينية ، المتطرفة والمعتدلة ، من جهة وبين الجناح العمالي في الحركة الصهيونية من جهة اخرى منذ اكثر من اربعين سنة حول السلطة داخل المنظمة الصهيونية العالمية وفي اسرائيل ، وهو الخلاف الذي لا تزال كفة الجناح العمالي فيه هي الراجحة . اما ما يظهر من اختلاف في نوع النشاط الذي مارسه ويمارسه كل من الطرفين فيعود اساسا الى اختلاف في العقيدة والوسيلة على السواء ، ومن هنا الاختلاف بين الاثنين ، وليس الى اتفاق على توزيع الادوار . واستنادا الى الموقف ذاته ، ينسب الكتاب كثيرا من شرور الصهيونية الى جابوتنسكي ، والذي لا شك يتحمل مسؤولية كبيرة في تغذية الاتجاهات المعادية للعرب فكريا ، مع العلم ان مسؤولية الاجنحة الاخرى في الحركة الصهيونية لا تقل عن مسؤولية جابوتنسكي فكرا وعملا .

اما الجزء الثاني من الكتاب ، الذي يعالج اوضاع اسرائيل بعد قيامها ، فيحتوي على عرض موجز للغاية لنشاط اسرائيل ، مقرونا بعرض آخر طويل جدا عن كيفية بناء الجيش الاسرائيلي . ويبدو الجزء الثاني ، عامة ، وكأنه اعمق واكثر شمولا من الجزء الاول ، لكن هنا ايضا يقع الكتاب في اخطاء تقييم تمس صلب الموضوع الذي يعالجه.

ان الباحثين عند عرضهم اقامة الجيش الاسرائيلي، بعد الاعلان عن اقامة اسرائيل كدولة ، يتطرقون الى الاجراءات التي اتخذها بن جوريون لاقامة هذا الجيش عندما عمد الى حل منظمتي اتسل (الارجون) وليحي (شتيرن) ثم حل قيادة البالماح (ولسبب ما يشير الكتاب الى اسم قائد البالماح ، اسحاق ساديه ، على انه اسحاق صادح) ويكتفي الكتاب عند عرضه هذه الاجراءات بالاشارة الى ان هذا كان محاولة من بن جوريون لفرض سيطرته ، وهو ما لا يخلو من الصحة ، الا ان الكتاب لا يقيم هذه الخطوات حق قيمتها وبالتالي يقع بحسب رأينا ، في خطأ اساسي من نظرته لمركز الجيش في اسرائيل . ان كل الدلائل تشير الى ان خطوة بن جوريون عندما حل الجيوش الخاصة ، وبطريقة لا تخلو من العنف ، كانت من اكثر خطواته نجاحا ، اذ اسفرت عن القضاء على الاتجاهات الانفصالية التي كانت مستحكمة بين المستوطنين اليهود ايام الانتداب ونجحت في اقامة جيش موحد . وقد كان لهذه الخطوة ، خصوصا بعد التقاليد التي أرسيت داخل الجيش فيما بعد ومن بينها تغيير كبار ضباطه من فترة لاخرى ونقلهم الى وظائف مدنية بعد بلوغهم سن معين ، اثرها الملحوظ لايقاف العسكر عند حدهمواحتوائهم داخل الاطار المخصص لهم من جهة ودفعهم الى المزيد من الاهتمام بتطوير اساليب قتالهم وتنظيمهم ، مما كان له اثر كبير في نتائج المعارك العربية – الاسرائيلية التي شهدتها المنطقة من قيام اسرائيل حتى اليوم .

ويقع الكتاب في الخطأ نفسه عند حديثه عن دور كبار ضباط الجيش الاسرائيلي عشية حرب ١٩٦٧، اذ يفهم منه ان العسكريين كانوا وراء رجوع ديان الى وزارة الدفاع مع ان الواقع غير صحيح . فديان رجع يومها الى وزارة الدفاع بفضل ضغط شعبي اسرائيلي ساعد تردد حكومة اشكول كثيرا على خلقه ، وكان من قبيل رفع المعنويات فقط . ولم يكن كبار الضباط الاسرائيليين هم الذين طالبوا برجوع ديان ، ولم يكونوا اساسا بحاجة اليه ، بينما اعتمد ديان نفسه خطتهم العسكرية لمهاجمة

الدول العربية ولم يدخل عليها الا تغييرات طفيفة. كذلك لا اساس هناك لما يوحي به الكتاب من ان جنرالات اسرائيل كانوا على وشك الاستيلاء على السلطة لو لم تستجب الحكومة لطلباتهم وتعجل في شن الحرب ، اذ ان ما عرف عن الدور الذي لعبه الجنرالات عشية الحرب هو انهم ... هددوا بالاستقالة الجماعية (لعلمهم ان مثل هذه الخطوة كانت ستؤدي الى سقوط حكومة اشكول) وليس بالاستيلاء على السلطة .

ويتعرض الكتاب الى حرب الاستنزاف التي شنتها مصر ضد اسرائيل حتى صيف ١٩٧٠ ، بكل مراحلها ويقيمها بصورة تشابه تقريبا صورة التقييم الاسرائيلي لها ، في ضوء ما توفر عنها من معلومات حتى الان من الجانب الاسرائيلي ، من انها كانت اقسى حرب خاضتها اسرائيل ، وربما كانت الحرب الحقيقية الوحيدة بين اسرائيل والعرب التي عانتها اسرائيل . وبعد استعراض الاجراءات المضادة التي كانت تتخذها مصر في مواجهة تصعيد اسرائيل للقتال يصل الى نتيجة ان حرب الاستنزاف وصلت قمتها عند ايقافها بالذات ، وبعد ان كانت قد بدأت تقترب من النقطة التي ستجبر اسرائيل على تغيير موقفها بحيث يبدأ جني ثمار تلك الحرب. لكن الكتاب يتوقف عند هذه المرحلة ولا يحاول ان يقول رأيه ، ولو بكلمة واحدة ، في الاسباب التي دفعت الحكومة المصرية وقتها الى الاستجابة لمبادرة روجرز وايقاف القتال .

ولا بد هنا ايضا من ابداء ملاحظات اخيرة حول المصادر التي يستند اليها الكتاب عند دراسته لاسرائيل وسياستها . فالاستناد الى خمسة كتب عبرية ونحو عشرين مقالة من الصحف الاسرائيلية العبرية ، بالاضافة الى بعض المصادر الانجليزية لا يمكن ان يكون كافيا ، بأي حال من الاحوال ، لدراسة النشاط الاسرائيلي خلال ٢٥ سنة . كذلك لا يجد المرء اي تبرير للاعتماد على مصادر معينة دون سواها . فالكتاب يقتبس بغزارة من كتاب شمعون بيريس David's Sling ويعتبره مصدرا لا يناقش لتتبع التحركات الاسرائيلية ، مع العلم ان الرجل ليس الوحيد الذي يمثل وجهة النظر الاسرائيلية ، وان اهميته اساسا تتركز في الفترة ما بين اواخر الخمسينات ومنتصف الستينات عندما كان ينتمي الى تلك الزمرة التي اطلق عليها اسم « شباب بن — جوريون » ، لكنه فقد كثيرا من اهميته — ومصادر معلوماته — بعد ان تنحى بن جوريون عن الحكم ولا يخرج حاليا عن كونه ينتمي الى الصف الثالث او الرابع من اطر الزعامة الاسرائيلية . ويقتبس الكتاب ايضا بالغزارة نفسها من مقالة ليغئال الون حول « الحدود الآمنة » كانت قد نشرت في صحيفة « معاريف » سنة ١٩٦٨ (ولا يذكر الكتاب بالضبط تاريخ نشر المقالة ، كالعادة) دون ان يورد آراء باقي الزعماء الاسرائيليين في هذا الموضوع ، مع انه لم يبق اي زعيم اسرائيلي الا وعبر عن رأيه فيه . ويبدو ان الكتاب واثق تماما من ماهية الحدود الآمنة التي تريدها اسرائيل ، على الرغم من ان المرء يستطيع ان يطلع اكثر على ما لا يعتبر حدودا آمنة ، نظرا الى تشعب النقاش في اسرائيل بشأن هذه النقطة بالذات . كذلك يتحدث الكتاب كثيرا عن المصاعب والمشكلات التي تواجه اسرائيل او ستواجهها بسبب اصرارها على الاحتفاظ بالمناطق التي احتلتها سنة ١٩٦٧ ، لكنه لا يذكر ابدا ايا من الاجراءات التي اتخذتها لتأمين معظم ، ان لم يكن كل مصالحها في تلك المناطق ، والتي لا شك ستستمر في اتخاذها لو بقي الوضع الحالي على ما هو عليه .

ان من يقرأ المجلد الاول من « العسكرية الصهيونية » يشعر بان واضعيه ابتعدوا عن جوهر القضية وركزوا اهتمامهم على بعض جوانبها . فالمشكلة ليست وجود « عسكرية » اسرائيلية فحسب ، وانما وجود قيادة سياسية قررت اهدافها من زمن بعيد وتسعى لتحقيقها بكل امكاناتها ، ومن ضمنها العسكرية . ولعله كان اكثر ملاءمة الخوض في صميم هذه المشكلة ، لدى الطرفين ، بدلا من الاهتمام بجوانبها .

صبري جريس

Don Peretz, **The Palestine Arab Refugee Problem,**
(Rand Corporation, Santa Monica, 1969).

اصدرت مؤسسة « راند » للابحاث دراسة لدون بيريز حول مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين . ومؤسسة « راند » مركزها الرئيسي في « سانتا مونيكا » وهي بلدة صغيرة تعتبر الان جزءا من مدينة لوس انجيليس في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الامريكية . والمعروف ان هذه المؤسسة تضم نخبة من الباحثين واساتذة الجامعات الامريكية في مختلف الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعات حيث تنشر بين الحين والاخر دراسات مستفيضة عن مختلف اوجه النشاط في الاتحاد السوفياتي ومعظم البلدان الاشتراكية . وفي السنوات الاربع الاخيرة ازداد اهتمام المؤسسة المذكورة بالمشاكل السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط وخصوصا الجانب المتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي . ومن بين الدراسات العديدة التي صدرت تحت عنوان « برنامج الابحاث للمشاكل السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط » دراسة بقلم دون بيريز وهو مدير الدراسات الافريقية والاسيوية في جامعة نيويورك بعنوان « مشكلة النازحين العرب الفلسطينيين » .

تقع الدراسة المذكورة في حوالي السبعين صفحة وقد قسم الكاتب بحثه الى ستة اقسام رئيسية خلاف المقدمة على النحو التالي : ١ — اصل المشكلة ، اي مشكلة النازحين العرب . ٢ — طبيعة المشكلة . ٣ — التغير في طبيعة المشكلة . ٤ — بعض الحلول السياسية للمشكلة وأسباب اخفاقها . ٥ — النتائج السياسية والاقتصادية لحرب الايام الستة . ٦ — هل يمكن حل المشكلة وكيف ؟

فيما يتعلق بالنقطة الاولى يقول المؤلف هنالك جانبان لمشكلة النازحين العرب . الجانب الاول اقتصادي ويشمل اغاثة مليون لاجىء واطعامهم وايجاد مساكن لهم ووسائل العناية الصحية وتوفير فرص العمل لهم في الاماكن التي يقيمون فيها . اما الجانب الثاني فيشمل الذيول السياسية المترتبة على عملية اقتلاع الشعب الفلسطيني من ارضه . ويقول المؤلف ان هذا الجانب وليس الجانب الاقتصادي هو اساس المشكلة نظرا لشعور الظلم والذل الذي شعر به جزء كبير من الوطن العربي .

ولعل دون بيريز يعتبر من الكتاب الامريكيين القلائل الذين استطاعوا ان يتفهموا حقيقة المشكلة وطبيعتها . فقد اكد في سياق تحليله ان العلاج الاقتصادي الذي يهدف الى ايجاد فرص عمل للنازحين العرب في أماكن اقامتهم لن يحل المشكلة سياسيا حتى ولو استطاعت الاجراءات الاقتصادية ان تخفف من العبء الاقتصادي . ويستدل المؤلف على ذلك بشعور المرارة عند مختلف فئات النازحين وحتى اولئك الذين استطاعوا أن يحققوا نجاحا مرموقا في مختلف الحقول وميادين العمل في البلدان العربية . ويؤكد المؤلف انه رغم انتصار اسرائيل في حروب ثلاث حتى الان ورغم اقتناع جزء لا يستهان به من الرأي العام في العالم بأن الحل السياسي لمشكلة النازحين وشيك الحدوث على أساس تعويضهم عن ممتلكاتهم واقناعهم بالبقاء حيث هم ، فان جميع المحاولات قد أخفقت في هذا السبيل . واكثر من ذلك فان الضغط الذي بذلته بعض دول الغرب لاقناع الدول العربية والنازحين بالتنازل عن مطالبتهم باستعادة الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٧ لم يؤد الى الهدف المنشود .

وقد تناول المؤلف بالتفصيل كافة الحلول السياسية التي بحثت في هيئة الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ والتي كانت تحاول دوما التوفيق بين اصرار النازحين على العودة الى أراضيهم المحتلة وبين موقف اسرائيل المتعنت برفض عودة النازحين باستثناء فئة قليلة لا تتعدى ١٠ ٪ من مجموع النازحين على ان تكون جزءا من تسوية سياسية شاملة . ويكشف المؤلف النقاب عن ان قرار جمع شمل العائلات الذي وافقت اسرائيل عليه في محادثات لوزان من عام ١٩٤٩ كان نتيجة لضغط امريكي مباشر . والمعروف ان عدد المستفيدين من القرار المذكور لم يتعد الـ ٥٠،٠٠٠ نازح .

ويؤكد المؤلف ان موقف العرب السياسي الرسمي من مشكلة النازحين كانت تتسم بالازدواجية . فمن ناحية كان الدبلوماسيون العرب يؤكدون ان اية تسوية سلمية يجب ان ترتكز على اساس قرار التقسيم الصادر في عام ١٩٤٧ والقرار رقم ١٩٤ الصادر من هيئة الامم في عام ١٩٤٩ والذي يعطي النازحين حق العودة او التعويض عمن لا يرغب

في العودة . ومن ناحية أخرى كانت الحكومات العربية تخاطب شعوبها على اساس ان وجود الدولة الصهيونية يتنافى مع مبدأ تقرير المصير وحق الشعب العربي الفلسطيني في ارضه .

ويتوسع الكاتب في شرح الاغراءات التي قدمت للنازحين للقبول بمبدأ التعويض وبالتالي الاندماج في اقتصاديات البلدان العربية ، ومنها الافراج عن الاموال المجمدة في المصارف الاجنبية التي كانت تعمل في فلسطين سابقا . ويعيد الكاتب الى الاذهان جهود الرئيس كينيدي الذي حاول حل المشكلة عن طريق مبعوثه الشخصي جوزيف جونسون . وهذا الاخير قام باعداد مشروع يتيح للنازح ان يعبر عن رغبته اما في العودة والعيش تحت الحكم الاسرائيلي او الاستيطان في البلدان العربية . ويحق لاسرائيل ان ترفض اي شخص بداعي الامن حسب الخطة المشار اليها . وينشأ صندوق خاص لتمويل عمليات التعويض والاستيطان على أن تساهم اسرائيل بحصة قيمتها قيمة الاراضي والممتلكات العربية لديها .

ويؤكد المؤلف ان بعض الحكومات العربية وافق على الخطة المذكورة من حيث المبدأ غير ان موقف النازحين والفئات الوطنية العربية قد انشلها . وفي رأي جونسون ، المبعوث الامريكي ، أن مشكلة اختيار العودة أو قبول التعويض ليست مهمة ، ذلك ان عددا قليلا من النازحين سيختار العودة نظرا لعدم رغبتهم في العيش بظل الاحتلال الاسرائيلي وبالتالي لن يكون هنالك فارق اساسي بين موقف اسرائيل وموقف العرب . فالمشكلة نفسية في رأي جونسون وتتلخص في رغبة النازح في ان يمارس حقه في العودة او الاستقرار في البلاد العربية . غير ان المؤلف ، دون بيريز ، يخالف جونسون في هذه النظرة اذ يرى فيها حلا قصير الامد . فالحنين الى الارض وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني سيظل مختمرا في نفوس النازحين جيلا بعد جيل .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى مناقشة الذيول السياسية والاقتصادية لحرب الايام الستة حيث يؤكد ان الحرب المشار اليها قد فجرت الازدواجية التي كانت تمارسها الحكومات العربية من حيث التحدث بلهجة في المحافل الدبلوماسية وبلهجة اخرى حين التحدث داخليا . فقد أدى ظهور المنظمات الفدائية على مسرح الاحداث ونشاطها داخل اسرائيل الى سقوط منطق الحكومات العربية على الصعيد الشعبي العربي اذ بدأ الرأي العام العربي يتحدث باعجاب عن فكرة انشاء دولة ديمقراطية في فلسطين لجميع الاديان كحل مثالي للتخلص من الكيان الصهيوني . وازاء هذا التطور ، ازداد التصلب الاسرائيلي حيث رفضت الحكومة الاسرائيلية فكرة التخلي عن الاراضي المحتلة او السماح بعودة عدد كبير من النازحين حتى في اطار تسوية سلمية شاملة . وفي الوقت نفسه رسمت اسرائيل سياسة ادارية واقتصادية في الضفة الغربية ترتكز على أساس عدم اشعار المواطنين العرب بوجود احتلال عسكري واطلاق حرية التبادل التجاري بين الضفة الغربية وباقي البلدان العربية .

وفي ختام بحثه يحاول المؤلف الاجابة على السؤال التالي : ما هي امكانية حل مشكلة النازحين ؟ يجيب على هذا السؤال بقوله ان البحث في الحلول يقودنا الى حلقة مفرغة . فمن ناحية هنالك من يؤكد بأنه اذا حلت المشكلة فان حل المشاكل الاخرى المتعلقة بطبيعة الصراع العربي — الاسرائيلي تصبح سهلة بينما تؤكد فئة اخرى بأن العكس هو الصحيح اي انه يجب حل المعضلة الاساسية لكي يصبح حل مشكلة النازحين ممكنا. وفي رأي المؤلف ان كلا الموقفين يتجاهل النقطة الاساسية في الموضوع وهي اذا كانت القومية العربية تقبل بوجود دولة يهودية — صهيونية في الشرق الاوسط . فاذا كانت لا تقبل بهذا الوجود فان الحديث عن عودة النازحين وتعويضهم واستيطانهم يصبح غير ذي قيمة عملية .

انطلاقا من هذه المعطيات يؤكد بيريز انه اذا نجحت اسرائيل في عقد اتفاق مع العرب الفلسطينيين فان ذلك سيخفف من نشاط العمل الفدائي خصوصا اذا قبلت اسرائيل بحل مشكلة القدس بشكل لا يترك لها سيطرة كاملة على المدينة .

وهنا تظهر الى القارىء بوضوح اتجاهات السياسة الامريكية الراهنة التي تشجع اقامة حوار بين اسرائيل والفلسطينيين في الضفة الغربية لانشاء دولة فلسطينية تكون مرتبطة اقتصاديا وسياسيا باسرائيل بحيث تشكل فاصلا عازلا بين اسرائيل والبلدان العربية الاخرى .

والسؤال المطروح هو الاتي : هل استطاع المؤلف ان ينفذ الى قلب المشكلة وجوهرها وبالتالي ان يقدم تحليلا موضوعيا ؟

يمكن القول ان الكاتب حاول قدر الامكان ان يكون موضوعيا في معالجته لبعض جوانب الموضوع خصوصا فيما يتعلق برفض النازحين المستمر فكرة التعويض كبديل لعودتهم الى اراضيهم وممتلكاتهم وربطه الصحيح لهذه المشكلة بجذورها الاصلية ، اي احلال شعب غريب مكان الشعب العربي صاحب الارض منذ أمد طويل ، وكذلك كشفه لازدواجية السياسة العربية التي كانت تواجه المحافل الدولية بمنطق وتتكلم مع شعوبها بمنطق مختلف تماما . غير ان الحلول التي قدمها المؤلف في النهاية لا تنسجم منطقيا مع المعطيات السياسية والتاريخية التي اوردها في سياق بحثه. فالمفاوضات المباشرة التي يحبذها المؤلف بين اسرائيل وممثلي الشعب العربي الفلسطيني ستصطدم حتما بالصعاب نفسها التي كانت تواجه دوما فكرة اجراء المفاوضات بين اسرائيل وبعض الانظمة العربية . وتتلخص هذه الصعاب بكيفية التوفيق بين وجود اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطيني في ارضه . واذا كانت الانظمة العربية في العشرين عاما لم تستطع ان تجد المعادلة الضرورية التي تتيح لها الاعتراف باسرائيل كدولة ذات كيان من ناحية واسترجاع حقوق الشعب الفلسطيني من ناحية اخرى ، فانه من المشكوك به جدا ، ان لم نقل من المستحيل ، ان يقبل ممثلو الشعب الفلسطيني بما لم تقبل به الانظمة العربية الا اذا كان في ذهن المؤلف ما يدور دائما في ذهن السلطات الاسرائيلية. فالمعروف ان اسرائيل حاولت ولا زالت تحاول اقناع بعض « وجهاء » الضفة الغربية بقبول انشاء دولة فلسطينية تضم البقية الباقية من الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون مرتبطة اقتصاديا وسياسيا باسرائيل . وحيث ان ليس بين هؤلاء « الوجهاء » من يملك حق تمثيل الشعب الفلسطيني فان اية مفاوضات ستكون صورية تمهيدا لفرض الحل الذي تريده اسرائيل واعطائها صبغة شرعية .

والغريب ان المؤلف يعتقد ان اغراء الشعب الفلسطيني كمجموع ممكن في الوقت الذي يعترف به ان اغراء الفرد الفلسطيني للتفريط بحقوقه صعب نظرا لتمسكه بأرضه وممتلكاته وحقه الذي لا ينازع . والقفز من الرفض على المستوى الفردي الى القبول على المستوى الجماعي ينطوي على اقرار ضمني بأن الوفد الذي سيفاوض باسم النازحين في حالة حدوث هذا الامر لن يكون ممثلا لاماني الشعب الفلسطيني وحقوقه . ويلاحظ ان المؤلف يتجنب مناقشة الصيغة التي تطرحها الثورة الفلسطينية وهي اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين تتعايش فيها كافة الفئات .

واخيرا فان المقارنة التي أوردها المؤلف في ختام بحثه بين قضية فلسطين وقضية قبرص للتدليل على قوة العوامل النفسية رغم اعترافه بالفارق بين حجم المشكلتين لم تكن متوقعة . فلم يحدث في قبرص للاتراك ما حدث للعرب في فلسطين من طرد وتشريد واستيلاء على الاراضي والممتلكات العربية واحلال شعب غريب مكان الشعب صاحب الارض وانكار لحق العرب في اي شيء يمتلكونه . اضف الى ذلك ان تصوير المشكلة على انها نفسية تعتبر نظرة خاطئة وبالتالي لن تؤدي الى اي حل جذري للمشكلة .

الدكتور يوسف شبل

Frédéric Kiesel, **L'Impasse Israëlo - Arabe**
(Editions Vie Ouvrière, Bruxelles, Août 1972).

ان مـــا يحملنـــا على مراجعة هذا الكتاب ليست بالضرورة الاراء الجديدة الواردة فيه او الاسلوب النظري الذي عالج فيه المؤلف الامور . ان صدوره في هذه المرحلة بالذات وفي وقت نشهد فيه حملـــة شرسة على المقاومة الفلسطينية وحصارا اعلاميا على اهدافها وعملياتها وتخلي المزيد من اصدقائها عنها في الغرب هو الذي يضفي على هذا الكتـــاب اهمية خاصة ويدفعنا الى مراجعته خصوصا وانه اول كتاب من نوعه يطبع في بلجيكا ويشرح بصراحة وجهة النظر الفلسطينية .

وفريديريك كيسيل صحفي يعمل محررا للشـــؤون العربية في صحيفة La Cite الناطقة بـــاسم نقابات العمال المسيحية والتي تمثل وجهة نظــر الديمقراطيـــين المسيحيين . والمعروف ان هـــذه الصحيفة (وفريديريك كيسيل بالذات) تبذل جهدا مشكورا لاطلاع الرأي العام البلجيكي على حقيقة الصراع الاسرائيلي العربي والمعطيات الصحيحـــة للقضية الفلسطينية وذلـــك بالرغم من الضغـــوط الصهيونية المتواصلة . هذا مع الاشارة الى ان الايديولوجية المسيطرة هنا تحول دون تبني الصحيفة المذكورة لفكـــرة « فلسطين الديمقراطية » ودعـــم الكفاح المسلح الفلسطيني بشكل غير مشروط .

يسرد فريديريك كيسيل في كتابه الوقائع التاريخية منذ بدء الهجمة الشرسة على فلسطين من قبـــل الصهاينة في مطلع هذا القرن حتى يومنـــا هذا . وقد جاء السرد التاريخي واضحا صحيحا يسهـــل على القارىء الغربي البسيط فهم معطيات ومقومات القضية الفلسطينية من اساسها . ويكذب المؤلف بشكل مباشر او غير مباشر الاكاذيب التي تروجها الدعـــاية الصهيونيـــة حـــول فلسطين والشعب الفلسطيني والزراعة في فلسطين . الا ان طـــول الفترة التي يدرسها المؤلـــف تحول بالطبـــع دون التحليل الدقي العميق .

وفيما يلي ملاحظات موجزة حول بعض الاراء التي وردت في هذا الكتـــاب . في سياق حديثه عـــن الصهيونية (ص ٧) يقع المؤلف في الفخ الـــذي وقع فيه كثيرون غيره ويعزو نشوء الفكرةالصهيونية القومية الى معاداة السامية التي كانت منتشرة في اوروبا في القرن التاسع عشر . وقد فات المؤلف ان الايديولوجية الصهيونية هي في الاساس وقبل كل شيء وليدة مرحلة تاريخية معينة في حياة اوروبا اعني مرحلة بروز وتطور القوميات البورجوازيـــة الاستعمارية في القرن التاسع عشر وانها حملـــت اهـــم سمات هـــذه المرحلة . فهي حـــركة قومية بورجوازية استعمارية . ولكنهـــا سخرت العداء للسامية واستغلته للزيادة من فعاليتها الاستقطابية على اليهود وتبرير هجمتها العدوانية الشرســـة الاستيطانية على فلسطين العربية . وفي حديثه عن وعد بلفور يقول المؤلف ان ما حمل بريطانيا علـــى اصدار مثل هذا الوعد هو رغبتها في حمل اثريـــاء اليهود على المساهمة في المجهود الحربي من جهـــة وفي الضغط على الولايات المتحدة للدخول في الحرب الى جانب الحلفاء من جهـــة اخرى (ص ١٥) . والصحيح ـــ كما جاء في مقـــال مكسيم رودنسون « اسرائيل واقع استعماري » ـــ ان الدول الغربية كانت ترى في الصهيونية حليفا واداة مناسبة لتحقيق مآرب معادية للثورة الروسية وذلك بسبب مقـــدرة الصهيونية على امتصاص نقمة اليهود على النظام الروسي ومنعهم من المشاركة في الثورة وتحويـــل اهتمامهم الى الهجرة الى فلسطين . ولذا فان دعم بريطانيا وحلفائها للحركة الصهيونية نابع عن قلقها على النظام الروسي الذي كانت تهدده حركة ثورية اممية تناهض الحرب الامبريالية وتدعو الىالتضامن بين الطبقات الكادحـــة المستغلة على المستـــوى العالمي .

وعندما يتعرض كيسيل الى الحديث عن مشكلـــة العمال والفلاحين الفلسطينيين يبدو واضحا انـــه يجهل تماما النزعة الشوفينية العرقية للايديولوجية الصهيونية . فيقول مثـــلا (ص ٢٠) ان طـــرد الفلسطينيين من اراضيهم « لم يكن ناجما عن عداء سافر تجاه العمـــال العرب وانما تحقيقا لرغبـــة (الصهاينة) في افساح المجال امام ابناء دينهـــم القادمين الى فلسطين لتأمين لقمـــة العيش لهم » ... وفي حديثه عن السياسة البريطانية في فلسطين يمر المؤلف مر الكرام او يتناسى تماما الانتفاضات الفلسطينية المتتالية ولا يذكر شيئا عن ثورة ١٩٣٦. ولكنه تطرق الى الحديث عن مذبحة دير ياســـين (ص ٣١) وادانها بشدة . كما ذكر الدور الـــذي لعبته هذه المذبحة في اثـــارة الرعب في نفـــوس

الفلسطينيين وحملهم على العرب . ولكنه يذكر بعد ذلك مباشرة (ص ٣٢) ما اسماه «انتقام العرب» اي الكمين الذي نصبه العرب في القدس وادى الى مقتل ٧٥ صهيونيا . ومثل هذا المنطق يميز العقلية الغربية التي ترغب تحت ستار من الموضوعية الكاذبة ان تؤكد ان الاجرام والعنف لا يقتصران على طرف واحد دون التفرقة بين العنف الذي هو ممارسة لحق مشروع والعنف الذي هو عدوان مفضوح .

ويكرس المؤلف فصلا كاملا للحديث عن الشعب الفلسطيني الذي يعتبره « محور النزاع » . ويقول ان الشعب الفلسطيني معروف بانفتاحه ووداعته ومستواه الثقافي العالي وان التشريد والاضطهاد قد شددا من وحدته . كما يقول بان له مطلق الحق في رفض قيام دولة اسرائيل (ص ٨٢) . ويبرر المؤلف العمليات الفدائية « التي تستهدف دائما العسكريين او المواقع الاستراتيجية » (ص ٨٣ — ٨٤) وحتى العمليات التي تستهدف المدنيين (ص ٨٤) ويقول ان اسرائيل قامت جزئيا بفضل عمليات « ارهابية » (ص ٨٥) . ولكن المؤلف يشجب عمليات خطف الطائرات (ص ٨٦) بينما يشرح لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الملك حسين ويؤيدهم المؤلف في ذلك (ص ٨٧ — ٨٨) . وفي الفصل الثامن يشرح المؤلف مشروع الدولة الديموقراطية التي ينوي الفلسطينيون اقامتها في فلسطين . وهذا موضوع قلما عالجه الغربيون . الا ان المؤلف يبدي بعض التحفظات حول « واقعية المشروع » (ص ٩٥ — ٩٦) .

الا ان خاتمة الكتاب جاءت تناقض نصه نوعا ما . فبعد ان اعترف المؤلف في حق الشعب الفلسطيني في رفض اسرائيل والكفاح من اجل استعادة حقوقه المشروعة كاملة بالاساليب والطرق التي يراها مناسبة « والتي يرضى عنها الرأي العام » (أ) . وبعد ان يؤكد ان قرار مجلس الأمن لا يأخذ الواقع الفلسطيني بعين الاعتبار . يعود في الفصل الختامي الى الحديث عن حل وسط لا هو الدولة الديموقراطية ولا هو تطبيق قرار مجلس الامن . فهو ينصح باسكان اللاجئين الفلسطينيين في « المناطق الحرة » من الضفة الغربية ظنا منه بان يؤدي ذلك الى تهدئة الاعصاب . وعلى مر السنين وبفضل الهدوء والاستقرار اللذان سيسودان المنطقة من المحتمل ان تفتح اسرائيل « ابوابها في وجه الفلسطينيين » وتتحول « تدريجيا وبشكل سلمي الى دولة فلسطينية موحدة » ...

ان هذا المنطق مرفوض من قبل الثورة الفلسطينية. ولكنه يدل على جهل تام من قبل المؤلف للعقيدة الصهيونية وطبيعة اسرائيل العسكرية والعنصرية والتوسعية . ان التحليل السياسي الجدي العميق والفهم الصحيح للصهيونية واهدافها وللثورة الفلسطينية وطبيعة نضالها هو المسؤول الاول عن هذا الخطأ الذي ارتكبه فريديريك كيسيل في نهاية كتابه . ان هناك حدا لا يجسر اصدقاء الثورة الفلسطينية من الليبراليين والديموقراطيين المسيحيين تخطيه هو المطالبة بضرورة تحطيم الكيان الاسرائيلي . وقد جاء موقف كيسيل تعبيرا صحيحا واضحا عن هذا الموقف الذي يفتقر بشدة الى النظرية الثورية الصحيحة ويكتفي بتفحص الامور من الناحية الانسانية فقط .

بشاره خضر

محمود نعناعه ، المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ، ج ١ (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢) .

يقع هذا الكتاب في نحو ٣٦٠ صفحة يعالج فيهما التاريخ اليهودي منذ بدايته وهو ظهور ابرام (ابراهيم عليه السلام) حتى سقوط يهوذا ونهايتها نحو ٥٨٧ ق. م. والمشكلة التي يتمثلها الكاتب بوصفها « المشكلة اليهودية » هي اساسا ذلك اللبس والتناقض في رواية نصوص العهد القديم الناتجان عن بعد الشقة التاريخية بين زمني وضع النص الاصلي وزمن التدوين الفعلي ، الامر الذي نتج كما يبين هذا العرض التاريخي في تشويه للرسالة اليهودية الحقيقية وبعدها عن واقعها الاصلي واضافات مبالغ فيها ومتحيزة من جانب الرواة والمؤرخين الدينيين اليهود كلها أدت في النهاية الى مجموعة من المفاهيم الخاطئة كان أثرها ذلك الوضع الشاذ الذي وجد فيه اليهود ويعبر عنه الكاتب بعبارة « المشكلة اليهودية » مثال لذلك ان اسفار العهد القديم دونت في حقبة من أحقاب الانهيار والتدني اليهودي فراح الرواة المؤرخون يكتبون هذه الاسفار وفي مخيلتهم أمران : أ – تعويض للحاضر المؤلم وذلك بتضخيم للماضي والاستئثار بأمجاده « للشعب اليهودي » وبالتالي استبعاد كافة العناصر غير اليهودية ، وكأن « الكتاب انزل » فقط لليهود دون سواهم ، وانهم هم ايضا دون سواهم الشعب الذي حباه الله باختياره فعلوا خيرا او شرا . ب – تصورات عن المستقبل سياسية في معظمها تعطيهم الفرصة لتفسير الكتاب المقدس وفق هواهم .

والكتاب سرد موضوعي للتاريخ ، منسق ومنظم دون ضياع في غياهب ذلك الحجم الهائل من التفصيلات والاسماء الذي يميز التاريخ اليهودي ربما عن سائر التواريخ . ويتخلل هذا السرد التاريخي – في ابوابه المنظمة – تحليل علمي لا مبالغة فيه لاحداث هذا التاريخ واصول الرواية في العهد القديم . ومن ايجابيات هذا الكتاب ان مؤلفه يعتمد في تحليله ونقده على القياس العلمي وعلى ما كتب من تفسيرات وتعليقات وشروح في مؤلفات يشهد لها بالاختصاص والتعمق .

ولسنا نرى ثمة ما يخيف او يثير الحرج في قيام المؤلف بمناقشة نصوص العهد القديم ونقدها . فذلك بالفعل ما اصبح يقوم به فقهاء الغرب بثقة مطلقة ففي مقال للدكتور الم برجر بعنوان :

« هل اسرائيل تحقيق لنبوءة مقدسة ؟ » مناقشة بهذا المعنى . ومع ذلك فثمة مثالب تؤخذ على هذا الكتاب :

اولا : هناك قفزة خطيرة تجاهل فيها الكاتب فترة هامة في التاريخ اليهودي وهي فترة « القضاة » والتي تسبق مباشرة قيام المملكة . اللهم سوى اشارة عابرة هنا وهناك . والكاتب الذي خصص لكل من الشخصيات البارزة مبحثا مستقلا ، كان حريا بأن يعقد لزمن القضاة فصلا خاصا . **ثانيا** : تعرض الكاتب لنظرية اصول الرواية او « مصادر النص » في العهد القديم وهذا الامر لا يجب ان يخلو منه مؤلف علمي في الموضوع . الا اننا نرى ان الكاتب لم يعط هذا العنصر حقه وكان في حاجة الى مزيد من الايضاح . وجدير بالذكر ان دائرة المعارف اليهودية تفصل ذلك تفصيلا علميا بعيدا عن الغموض . **ثالثا** : في معرض مناقشة الكاتب لفكرة « الوعد » سواء في موضعه التاريخي او الفصل الذي عقده له في نهاية الكتاب اقتصر على بيان عدم احقية اليهود للوعد نظرا لما صدر عنهم من مخالفات تبطل احقيتهم لهذا الوعد . ولم يتعرض الكاتب لبيان ان نص الوعد الاصلي كان يشتمل بالضرورة العرب (مسلمين ومسيحيين) بوصفهم نسل ابراهيم . وانه حتى حين تكرر الوعد لاسحق ثم ليعقوب لم يرد فيه ما يستثني العرب صراحة من حقهم في وراثة الارض . **رابعا** : من الناحية الشكلية البحتة هناك كثير من الاخطاء المطبعية التي لم يرد لها تصحيح في قائمة التصويب. ومهما يكن من أمر فهذا الكتاب رغم هذه المثالب – وهي ضئيلة – عمل علمي فيه جهد وأمانة يضاف الى ذلك ان به فهرسا ابجديا للاعلام يزيد من قيمته العلمية للباحثين بشكل لا يتوفر في كثير من المؤلفات العربية .

قسم البحوث والمعلومات
في ادارة الاعلام –
جامعة الدول العربية

أريه حشابيه ، مارس ذو العين الواحدة : سيرة حياة موشي دايان
(أحي أساف ، تل أبيب : ١٩٦٩) .

المؤلف عضو « معهد الابحاث الاستراتيجية بلندن » المتخصص في التاريخ العسكري ، بدأ عمله في تحضير هذا الكتاب بعد حرب سيناء مباشرة ، ولقد قابل مئات الاشخاص ممن كانت لهم صلة بدايان في مراحل حياته المختلفة . وتعرض المؤلف عن طريق سيرة بطل الكتاب الشخصية الى موضوع اكثر اتساعا الا وهو أمن اسرائيل. ويتألف الكتاب من ثلاثة وعشرين فصلا .

يتحدث المؤلف في الفصل الاول عن احالة دايان على التقاعد عندما كان رئيسا للاركان العامة ، كما يأتي في رواية سيرته الشخصية على الوصف الذي وصفته به ابنته ياعيل ، بأنه شخص منطو على نفسه يؤثر العزلة عن الاخرين ، لا يبدي اي شعور من الحرارة سواء كأب او كزوج ، وهو في البيت أشبه ما يكون بضيف يغالبه النعاس ويميل الى النوم . اما معارفه فانهم يستنكرون هذا الوصف ، وينعتونه بالتشويه والمبالغة والقسوة الحادة . ويقول المؤلف ان دايان قرأ مسودة ما كتب عنه قبل طبعه ، ومع ذلك لم يقم بتصحيح اي واقعة فيه . انه يؤثر ان يترك للاخرين حرية الكتابة عنه كما يحلو لهم ، حتى عندما يعلم ان عدم الرد من جهته قد يضر بمصلحته. ويقول المؤلف ان اول لعبة اطفال لامستها يده كانت بندقية عسكرية غير مرخصة تخص والده ، بل حتى ان الاسم الذي اطلقه عليه والده ، كان اسما لصديق لهما عاجله الموت برصاص « قتلة من العرب » .

وفي الفصل الثاني يستعرض المؤلف الشخصيات التي مرت في حياة دايان ولعبت دورا في تكوين شخصيته.من هذه الشخصيات يوسف طرومبلدور، واسحاق ساديه وضابط الاستخبارات البريطاني وينجيت وكذلك الدكتور رالف بانش الزنجي الامريكي . كما يستعرض المؤلف في هذا الفصل تحرك اليهود وتململهم في جميع انحاء العالم وخاصة في الاتحاد السوفياتي وهجرة والديه الى فلسطين كل على انفراد .

ويتناول المؤلف في الفصل الثالث والذي يحمل عنوان التناقض الكامل ، قصة التناقض الاجتماعي والثقافي بين والدي دايان. فوالدته دبوره من عائلة يهودية تعيش في قرية نائية جميع سكانها من غير اليهود « الجوييم » ووالدها تاجر ثري معروف على شيء من الثقافة والمعرفة والعلم . وقد نالت قسطا وافرا من التعليم . ويروي هنا المؤلف قصة سفر دبوره الى فلسطين وهي ما تزال شابة صغيرة . ويسترسل المؤلف في ابراز روح التضحية والبذل لدى هذه الشابة ، فبالرغم من انها كانت من عائلة غنية ، وعلى قسط وافر من الثقافة والنعومة ، الا أنها تحملت جميع المصاعب والاهوال التي جابهتها في فلسطين ، وذلك لعدم وجود المال وعدم وجود عمل ، والمعاناة من الاضطهاد والارهاب العربي . واما والده شموئيل فهو أيضا من روسيا ولكنه كان على قدر بسيط من العلم والمعرفة ، لهذا نشأ التناقض الاجتماعي بينهما .

وفي الفصلين الرابع والخامس ، يتحدث المؤلف عن قصة زواج دبوره من شموئيل واشتراكهما في تأسيس مستعمرة دجانيا ، والمشاكل التي اعترضتهما ، وكذلك قصة افتراقهما عن بعض بسبب الامراض والسفر الى الخارج للمعالجة .

واما الفصل السادس فيتحدث عن مولد موشي دايان في ٢٠ ايار من عام ١٩١٥ . وكيف أنه ولد في مجتمع غير مستعد لاستقباله الاستقبال اللائق، حيث أنه ولد ضعيفا وعليلا لعدم تناول أمه الاغذية اللازمة . ويتناول هنا المؤلف ايضا الاوضاع الصعبة التي عاشها اليهود في فترة الحرب العالمية الاولى مما أدى الى انتحار بعض المستوطنين اليهود ، منهم بات شيبع اخت شموئيل دايان ، التي ألقت بنفسها في مياه بحيرة طبريا .

ثم يصف المؤلف في الفصل السابع قصة مستوطنة دجانيا . كيف كانت تعيش ، وكيف كانت تحمي نفسها خوفا من هجمات العرب . ويورد بعض الصدامات التي حدثت مع العرب ويبرز فيها القوة والصمود لدى المستوطنين اليهود . واما في الفصل الثامن وحتى العاشر فيتحدث المؤلف عن المصاعب التي جابهتها عائلة دايان في دجانيا بصورة خاصة وعن المصاعب التي جابهت جميع اليهود في فلسطين . وخاصة الوضع الاقتصادي المتدهور وحالة الامن المضطربة والامراض التي كانت سائدة في تلك الفترة ، مما جعلهم يتنقلون من

مكان الى اخر بحثا عن الاستقرار والهدوء . كما يتحدث عن دايان عندما بلغ سن الرشد، وعن انه لم يلتفت للتعليم او يوجه له سوى عناية ضئيلة لا تتعدى الحد الادنى الضروري .

في الفصل الحادي عشر يتحدث عن اضطرابات عام ١٩٣٦ وعن انشاء الهاجاناه التي ترأسها اسحاق ساديه . كما يتحدث عن حضور اللجان الى فلسطين وعلى راسها لجنة بيل للبحث عن اسباب النزاع والاضطرابات . كما يتحدث عن بدء اقامة الاسوار والحراسة حول المستعمرات اليهودية ، بعد أن طرد الحراس العرب منها .

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث عن قصة اعتقال دايان وجماعته وزجهم في السجن بعكا . وذلك عندما القي القبض عليهم في ١٩٣٩/١٠/٥ وهم يتدربون على السلاح . بعد ان اوهموا البوليس البريطاني بانهم يقيمون مخيما كشفيا . وحكمت المحكمة عليهم بالسجن . وهنا يصف تدهور حالة عائلة دايان في تلك الفترة ، كما يتابع المؤلف في الفصل التالي وصف حياة دايان داخل اسوار السجن . وعن النشاط الذي بذله وايزمن وبن غوريون لاطلاق سراحهم .

وفي الفصل الرابع عشر يتحدث عن غزو الجيش البريطاني لسوريا . وذلك لابعاد سوريا التي تحكمها حكومة فيشي الفرنسية عن الحرب قبل أن تتمركز فيها القوات الالمانية . وكانت الهاجاناه قد اقترحت على بريطانيا قبل عملية الغزو ، ارسال خمسين وحدة عسكرية يهودية ، كل وحدة مشكلة من عشرين شابا عبريا ، وراء خطوط فيشي المعادي، للقيام باعمال التخريب والتجسس الخ. وقد وافق البريطانيون مكرهين على اشراك اليهود في حملة الغزو المقبلة ، نظرا لنقص في الخرائط الدقيقة عن طرق المواصلات الكائنة وراء الحدود الشمالية لفلسطين . وقد تم تعيين دايان وألون قادة للوحدات اليهودية في هذه العملية . وفي هذا الفصل وصف تفصيلي لهذه العملية التي قامت بها الوحدات اليهودية داخل الاراضي السورية . وفي الفصول التالية يتحدث عن شجاعة دايان وبراعته، في تنظيم الوحدات اليهودية وخاصة المصفحة ، حتى انه اصبح يطلق عليه اسم النمر المرعب . ويتحدث ايضا عن دور دايان في العمليات التي قام بها الجيش اليهودي ضد الاهداف العربية وخاصة في اللد والرملة ، ثم القدس حيث عين قائدا للمنطقة .

وابتداء من الفصل الثامن عشر يتحدث المؤلف عن دور دايان في المحادثات التي جرت بين مختلف الشخصيات اليهودية والملك عبدالله وحاشيته . ففي الفصل الثامن عشر « ضيف الملك الخفي » يقول ، في مساء يوم الجمعة ٤٨/١٢/١٠ تلقى الجنرال رايلي رئيس هيئة مراقبي الامم المتحدة في فلسطين ، الى الكولونيل عبدالله التل قائد القوات الاردنية في القدس وابلغه انالبريغادير موشي دايان ، يطلب الاجتماع به في منطقة منزوعة السلاح لبحث مسألة هامة . لم يكن هذا هو الاتصال الاول من نوعه بين القائدين اللذين عينا في منصبيهما المتشابهين في المدينة المقدسة في الوقت نفسه تقريبا . ويتحدث هنا ايضا عن قصة اغتيال الكونت برنادوت . ويروي المؤلف هنا انه جرى اجتماع بين دايان والتل بحضور الجنرال رايلي بعد احد الاشتباكات في المدينة حيث مال دايان على التل وعرض عليه ترك مائدة المفاوضات لبضع دقائق لاجراء حديث خاص . واستجاب التل للطلب . فقام الاثنان واجتمعا على انفراد في غرفة مجاورة، وبعد مضي ربع ساعة ، عاد الاثنان ليعلنا للجميع انهما اتفقا على مد خط تليفون مباشر بينهما ، ليتمكنا من اطفاء الحرائق الصغيرة قبل ان تكبر وتنتشر . وابتسم الجنرال رايلي ، حين همس دايان بأذنه قائلا : اظنك توافقني ان المفاجآت غير المتوقعة ، هي افضل ما في الحياة . ويتحدث أيضا عن اجتماع الياهو ساسون مع دكتور الملك الخاص الدكتور شوكت الساطي وعبدالله التل في القدس . وقد سلم الساطي ساسون رسالة له من الملك عبر فيها عن استيائه وشعوره بالاهانة من موقف الشخصية الاسرائيلية التي اجرت محادثات معه قبيل الحرب العربية — الاسرائيلية. والشخصية المشار اليها هي غولده مائير ، والتي تخفت في حينه في زي امرأة عربية ، حيث قامت بزيارة الملك في قصره . ويتحدث ايضا عن الرسالة التي بعثها الملك عبدالله الى عبدالله التل ليحضر ساسون الى مقره لاجراء المفاوضات . وفي ١٦/ ٤٩/١٢ تم نقل ساسون وديان الى القصر الملكي قرب البحر الميت ، وتناولوا العشاء مع الملك .

وفي منتصف الطريق التقيا بسيارة ملكية تحمل السيد هاشم الدباس مرافق الملك الخاص ، الذي

حضر للتأكد من أمر سرية الزيارة وسلامة الممثلين الاسرائيليين. ولدى الانتهاء من المفاوضات والاتفاق على عدم الاعتداء ، نقل ساسون ودايان ثانية الى القدس . وفي طريق العودة التفت التل الى دايان وطلب منه مطلبا بدا غريبا . ذلك الطلب هو أن يقوم دايان باستعمال نفوذه على الصحافة الاسرائيلية كي تكثر من مهاجمة التل وتوجيه النقد الشديد له والتحامل عليه . ولما كان دايان « يعرف العقلية العربية معرفة جيدة » فقد فهم في الحال سر هذا الطلب العجيب . ان الحملات الصحفية سترفع من مكانة الضابط الاردني في نظر اخوانه سواء في داخل بلاده ام في خارجها . فاذا ما انكشفت يوما مسألة المحادثات الاسرائيلية مع الملك عبدالله ، وقامت على اثرها ضجة في العالم العربي المعادي لاسرائيل ، يكون التل في مأمن من النقد ويستطيع تبرئة نفسه والتنصل من القضية برمتها والقول دائما : كنت متصلبا ومتشددا في موقفي مع الاسرائيليين ودليلي على ذلك مهاجمتهم الشديدة لي في صحفهم . وفي ٣٠ كانون الثاني تمت مقابلة بين الطرفين الاردني والاسرائيلي بعد توتر الوضع على الحدود ، وكانت ودية للغاية أكثر مما كان متوقعا ووعد الملك اثناءها ساسون ، بمقابلة حكام العراق بأسرع وقت ممكن ، ومحادثتهم في موضوع سحب قواتهم من فلسطين . وبحماس طفل أدى عملا حسنا واستحق عليه مكافأة من والديه ، قال الملك : والله كنت أود ان تحتلوا لنا غزة ، لكي تصبح منفذا لنا الى البحر . وابتسم دايان واما ساسون فأجاب بجد ورصانة : نرجو الله ان يساعدنا على تحقيق امنية جلالتكم .

وفي الفصل التاسع عشر يتحدث عن الترقيات التي حظي بها دايان والمناصب التيشغلها الى أن اصبح رئيسا للاركان العامة عام ١٩٥٣ . وكان الشخص الذي وقف وراء دايان في ذلك هو بن غوريون حيث رأى فيه الشخص الملائم لذلك .

ثم يتحدث في الفصل العشرين عن شهر العسل الفرنسي والمساعدات التي قدمتها فرنسا الى اسرائيل . ويستعرض المؤلف الجهود التي بذلها دايان في تدعيم العلاقة مع فرنسا وترسيخها الى ان سارت في اعقاب حرب الايام الستة . كما يستعرض في هذا الفصل الاوضاع التي ادت الى نشوب حرب سيناء ودور السلاح الفرنسي فيها وسير العمليات العسكرية . ويتابع في الفصل التالي بدء المعارك في سيناء ودور موشي دايان رئيس الاركان فيها .

ويبرز هنا المؤلف الدور الذي قام به دايان خلال هذه المعارك ويستطرد في كيل المديح له حتى يجعل منه اسطورة خرافية . ثم يستعرض المراحل التي تمت فيها المعارك . في الفصل الثاني والعشرين وهو ما قبل الاخير والذي يحمل اسم الرجل الرمز ، فيتحدث فيه عن دور دايان في حرب الايام الستة . وكيف تحولت انظار جميع الاسرائيليين اليه ، عندما تم اغلاق مضائق تيران . فقد اراد الاسرائيليون ان يروا دايان ممسكا بمقود الامن ومقدراته . وهنا ايضا يتعرض المؤلف الى صفات دايان وهي تأتي على لسان ابنته ياعيل : انه شخص يفرض العزلة على نفسه بمحض ارادته وبادراك تام ومن قصد وسبق اصرار . فهو يحمل مفاتيح بواباته بنفسه ، ويراقب حركات الاخرين والمصالح المختلفة . وقال هو مرة عن نفسه ما يلي : انا لا امنح صداقتي للاخرين ، ولا اطلب شيئا من اي شخص كان ، أليس ذلك صحيحا ؟ وقال ايضا : لو قدر لي ان اعيد بداية حياتي من جديد ، لما أقمت اسرة ولا بنيت عائلة . لم تكن العزلة لتزعجه او تضايقه . في الفصل الاخير يتحدث المؤلف عن استلام دايان لوزارة الدفاع قبيل حرب الايام الستة ، وعن الدور الذي قام به دايان في هذه الحرب . فالراي السائد كان لدى حكومة اسرائيل ، بأن الخطوة المصرية الاخيرة تتضمن اجراء نفسانيا موجها الى سوريا ، هدفه اشعار سوريا بأن مصر لن تتخلى عنها او تتركها . ولكن دايان عارض هذا الموقف . كما يتحدث عن هبوط الحالة النفسية في اسرائيل في تلك الفترة . ثم يتحدث عن كيفية تشكيل حكومة الائتلاف الاسرائيلية وعن سير الاحداث وتطورها في تلك الفترة مبرزا فيها بصورة دائمة دايان كشخصية مركزية لها المكانة الاولى . كما يتحدث عن الجهود التي بذلها اشكول وبقية الاطراف الرسمية والشعبية الاسرائيلية لاقناع دايان بدخول حكومة الائتلاف . وكم كان فرح الجمهور عندما قبل دايان بذلك . ثم يتحدث عن نتائج حرب الايام الستة وسير العمليات فيها ، مبرزا كالعادة دور دايان فيها . وبعدها يتحدث عن العمليات التي قام بها الجيش الاسرائيلي ضد الفدائيين سواء في الداخل ام في الخارج . وينهي كتابه بحملة التواقيع التي قام بها الاكاديميون واصحاب المهن الحرة والعمال وربات البيوت يعلنون فيها بانهم يعتبرون موشي دايان رئيسا مثاليا لحكومة اسرائيل في ظرفها الراهن .

همدان بدر

Walter Jost : Rufzeichen Haifa - Tatsachenbericht einer Fedayin Geisel - Zurich 1972.

٦ سبتمبر ١٩٧٠ ، في هذا اليوم قامت مجموعة من فدائيي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأكبر عملية « اختطاف طائرات » عرفها تاريخ الطيران المدني، وانتقلت قضية فلسطين بسرعة البرق من قلب المخيمات والقرى والمدن العربية ، من على الحدود « الصامتة » عبر آلاف الاميال الى ارض مطارات اوروبا الغربية ثم هبطت بعد ساعات في صحراء الاردن على بعد اميال من فلسطين المحتلة، واطلقت الجبهة على رقعة الارض التي هبطت عليها الطائرات اسم « مطار الثورة » وتساءلت ملايين العالم المندهشة اي ثورة ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟ وقد روت عدة قصص صحفية وتقارير سياسية عربية وغربية ما حدث في ذلك اليوم بين الفدائيين والرهائن والدول والشركات صاحبة الطائرات ولكن لغاية اليوم لم يرو احد بالضبط ماذا حدث داخل الطائرات وفي الصحراء ، وماذا حدث بعد ان انتقل ركاب الطائرات بحراسة رجال الجبهة الى عمان، والى مخيم الوحدات ، وكيف تصرف الرهائن وماذا سمعوا من الفدائيين وماذا كانت ردود فعلهم لما شاهدوه وسمعوه .

كتاب والتر يوست (كلمة الاشارة « حيفا » يوميات شاهد عيان ، اختطاف طائرة) يروي القصة كاملة منذ اختطاف طائرة « سويس اير » من مطار زيوريخ الى لحظة اطلاق سراح الفدائيين المحتجزين في سجون سويسرا والمانيا وبريطانيا ووصولهم القاهرة ليشاركوا في الوداع الاخير للرئيس الراحل جمال عبدالناصر .

المؤلف مواطن سويسري كان احد ركاب طائرة سويس اير وهي احدى اربع طائرات استولى عليها رجال الجبهة يوم ٦ سبتمبر ١٩٧٠ .

والمؤلف (والتر يوست) هو احد كبار موظفي البريد السويسري وقد كان في طريقه من زيوريخ لنيويورك عندما اجبره القدر ان يتوجه الى ارض المعركة في الاردن ليصبح احد شاهدي عيان ما حدث في مطار الثورة وفي عمان في الفترة ما بين ٦ — ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ .

وربما يكون من المفيد للمواطن العربي الذي شاهد هذه الاحداث من بعيد عبر الاذاعات العربية او عبر صفحات الجرائد ان يعرف كيف كان مواطن اوروبي يرى ما يحدث وما هي الافكار والمشاعر التي كان يحياها وهو يقف وجها لوجه امام ابناء فلسطين المسلحين وهم يعرضون أمامه ولمام العالم قضيتهم وينفذون استراتيجيتهم في التحرير عن طريق وسيلة من الوسائل التي دارت حولها العديد من المناقشات سواء فيما بينهم او فيما حولهم — اسلوب خطف الطائرات لاهداف محددة .

من خلال اكثر من ٣٠٠ صفحة يروي والتر يوست على شكل يوميات احاديثه مع الفدائيين وانطباعاته عن شخصياتهم وهو يتفحص وجوههم ويراقب حركاتهم ويستمع اليهم يعرضون قضيتهم ويفسرون موقفهم . ويوست لم يكتب في حياته كتابا او مقالا وهو أبعد ما يكون عن عالم التأليف والكتابة بسبب طبيعة عمله الفني الروتيني ولكن كبر الحدث وعنف التجربة حركا فيه رغبة الكتابة والرواية ولهذا فقد تميز كتابه بالسذاجة الطبيعية ويمكن اعتباره « وثيقة شخصية » تعبر ربما عن مشاعر مجموع الذين عاشوا تلك التجربة من الاجانب الذين وجدوا نفسهم فجأة وسط المأساة الفلسطينية التي بدأت عام ١٩٦٧ تتحرك من وضعها المأساوي الى وضعها الثوري الذي افتقدته منذ عام ١٩٤٨ .

وضع مقدمة الكتاب الدكتور والتر بيرختولد المدير العام لشركة سويس اير آنذاك وقد حاول في مقدمته ان يضفي على الكتاب بعدا سياسيا بكثير من الحذر فقد جاء في مطلع مقدمته ان « قليلين هم الذين فطنوا الى انه مع ولادة المقاومة الفلسطينية دخل عنصر جديد على الصراع العربي — الاسرائيلي وهو عنصر العنف الثوري ، وهو عنصر لا تقيده الانظمة الدولية ولا القوانين المتعارف عليها في الحروب النظامية ، كما ان قليلين هم الذين فطنوا الى ان ظهور هذه المقاومة ربما كان اعلانا لبداية ثورة اجتماعية على الاوضاع السائدة في المجتمعات العربية ، وهذا شيء يجب ان يتفهمه هؤلاء المنادون بمقاطعة الدول العربية ، حيث ينمو في هذه الدول الشعور بأن الثورة الفلسطينية هي العامل الرئيسي في تحقيق التغيير الاجتماعي المطلوب لقيام مجتمعات عربية تستطيع ان تحارب اسرائيل » . بعد هذا التعريف الواعي لطبيعة الثورة الفلسطينية ينعطف بيرختولد على ايديولوجية الثورة فيوجه كلامه الى

« الذين اعتادوا في الغرب ان يروا في الماركسية اللينينية مجرد حركة اجتماعية لا توجد اساليبها الارهابية سوى في متحف الثورة الروسية » فدراما الزرقاء ربما قد فتحت عيون هؤلاء الذين لا يريدون ان يصدقوا بأن اللينينية لا زالت قائمة بكل عنفها ودمويتها وانها لا تضع اي قيمة لحياة الناس اذ ما وجدت الظروف مناسبة لصناعة ثورتها » . ويختتم بيرختولد مقدمته بقوله « ان التهديد بالارهاب لا زال قائما وان التجارب في هذا المجال يجب اتخاذها دروسا للمستقبل » .

هكذا نرى ان هذه المقدمة تلصق الارهاب بالنظرية الثورية اللينينية وبالتالي بكل الثورات والحركات التي تستنير بالايديولوجية الماركسية اللينينية وانها ثانية ترى في الكتاب تجربة جديرة بالدراسة لصد هذه الثورات وابطال مفعول اساليبها . وربما تكون هذه المقدمة اهم ما جاء في الكتاب من الناحية السياسية ، فهي تعبر الى حد ما عن الرأي العام السويسري الرسمي وشبه الرسمي ، (الصحافة والاعلام المعبرين عن المصالح الاقتصادية القوية والاكثر تأثيرا على القرارات السياسية والمواقف الدولية) . والذي يتابع الصحافة السويسرية ومدى تجاوب اكثرية الرأي العام معها يتفهم تماما اسباب ضآلة حجم المجموعات السويسرية التي خرجت عن اطار هذا الرأي وكونها لغاية اليوم لا تشكل سوى جزرا يسارية صغيرة في بحر التفكير البرجوازي السائد في المجتمع السويسري الذي استطاع برخائه الاجتماعي وحياده السياسي الدولي ان يغطي رأسه في الرمال عن الثورات والازمات التي يمر فيها العالم منذ مطلع هذا القرن وينصرف عن قضايا الانسانية معتقدا انها لا تهمه طالما انها لا علاقة لها بحياته الاقتصادية او مستوى معيشته.

ولكن يوست في روايته لساعات الاختطاف وايام الصحراء وليالي المخيمات استطاع ان يرى العالم بغير المنظار الذي يراه فيه وهو جالس امام شاشة التلفزيون في احدى غرف فيلته التي تقع وسط حديقة هادئة في احدى ضواحي العاصمة السويسرية ، فحادثة اختطاف الطائرة اصبحت بالنسبة له اكبر واهم حادثة في حياته وأروع واعمق تجربة انسانية خاضها خلال عمره البالغ خمسون عاما ، لانها وفرت له الصدام والاحتكاك مع واقع قضية لم يعرف عنها من قبل سوى ذلك الجزء الذي رسخ في ذهنه منذ ايام المدرسة والتردد على الكنيسة حيث تعلم « ان اسرائيل هي ارض الميعاد لليهود » وهو يقول « انه حتى مشاعري كانت قبل الحادثة جميعها مع اسرائيل وكان قلبي يخفق خوفا على هذه الدولة ايام حرب حزيران ١٩٦٧ ، اما العرب والفلسطينيون فلم يكن يهمني من أمرهم شيئا ... ولكن عندما شاهدت فدائيي الجبهة داخل الطائرة لاول مرة بدات اراجع مشاعري واول انطباع كونته عن هؤلاء الرجال هو انهم يبدون وكأنه ليس لديهم ما يفقدونه سوى حياتهم وحتى هذه لا يبدو انهم يشعرون بأي قيمة لها » .

ولكن مع مرور ايام التجربة بدأت تتشكل لدى يوست فكرة أوسع واكثر دقة وعمقا عن هؤلاء الرجال وقضيتهم وأسلوبهم في الحياة والعمل والقتال . وصفحات الكتاب تمتلىء — بشكل ممل — بالمقاطع الطويلة لوصف ما كان يحدث داخل الطائرات وخارجها اثناء استقرارها على ارض الصحراء ... والساعات الطويلة المليئة بالخوف والامل التي مرت بين الانذار الاول للجبهة الى الحكومات السويسرية والالمانية والبريطانية والامريكية والاسرائيلية وساعة خروج الرهائن أولا من الصحراء الى مخيم الوحدات وثانيا من مخيم الوحدات الى مدينة عمان ومشاهدة الركاب للطائرات وهي تنفجر وتأكلها ألسنة النار بعد نسفها نتيجة لمناورات الحكومات المذكورة انتظارا لتحطيم عزيمة الفدائيين وايقاعهم في فخ « كسب الوقت لاتخاذ الاجراء الاكثر مناسبة لتلك الحكومات » . وكلما تعرض المؤلف لحادثة او حركة تقطع عليه خيالاته وأحلامه حول البيت السعيد والبلد الامين الذي نشأ وعاش فيه يبدأ في الدخول بحوار مع نفسه في منولوج داخلي يرد فيه بداية ونهاية كل شيء الى الخير والحب والايمان بالله ويدعو في ختامه الى « وجوب تغلب العقل على العاطفة » لهذا فان فصول الكتاب تنتهي عادة بالدعوات والصلوات للجميع ، للرهائن ، للفلسطينيين ، لليهود ، وللحكومات الاوروبية المعنية .

مع امتداد الرواية يقترب يوست تدريجيا الى صلب المأساة التي كانت تخيم على الحادثة منذ وقعت ، فبين ارض الصحراء ومخيم الوحدات ، شاهد يوست عالما لا تهافت على الاستهلاك فيه لانه ليس فيه ما يمكن استهلاكه ، فالهواء حار وجاف ، والماء شحيح والطعام قليل وغريب والوجوه غاضبة واجمة وليس هناك سوى نبض القلوب وثورة

المعتول وتوتر وخطر ورجال يخططون لثورة وبيدهم رهائن التحم مصيرهم بالخطة الثورية ولا حديث للفدائيين سوى عن ثورتهم وتضحيتهم اما الرهائن فانهم يقيسون كل حركة وكل كلمة بمدى قربها او بعدها عن « موعد » اطلاق سراحهم فكل منهم وراءه ايضا قضية هي النجاة بالنفس والعودة الى الاهل والراحة والطعام اما هذا العالم بين الصحـــراء ومخيم الوحدات فهو عالم فارغ قاس ولكنه مثير وجميل لا رائحة للطمع فيه ولا تأكله المادة من كل جوانبه ، في هذا العالم تعرف يوست على صورة للقضية الفلسطينية لم تقدمها الصحافة العالمية له من قبل .

ولكي لا يغرق يوست في تقييمه الخاص للحادثة فانه يلجأ بين الحين والحين الى الاستعانة ببعض آراء الرسميين او الصحفيين في الحادثة ، فقد قام بعد عودته الى سويسرا بمراجعة ما كانت تنقله الصحف السويسرية عن ردود فعل سويسرية على الحادثة ويقدم يوست نماذج للفكر المعادي والمتطرف ضد العرب في سويسرا والذي اخذ من الحادثة متنفسا له . ويستنتج من النماذج الذي اختارها المؤلف عن هذا الفكر ان الرأي العام السويسري قد انتقد تصرف حكومتـــه في التسرع بالخضـــوع لشروط الفدائيين ، ففي بيان رفعه الدكتور زاجر رئيس معهد الشرق في برن طلب زاجر قطع جميع الروابط بين سويسرا والعرب وطالب الحكومة السويسرية بتنفيذ الاقتراحات التالية : الحجز على جميع العرب في سويسرا ما عدا الدبلوماسيين ، اغلاق جميع المصالح والبنوك العربية في سويسرا ، الاستيلاء على جميع املاك ومدخرات العرب في سويسرا ، اطلاق النار على الفدائيين الثلاثة الموجودين في سجون سويسرا ، معاملة العرب الذين يتم حجزهم في سويسرا بنفس الطريقة التي يعامل بها الرهائن السويسريون الموجودون بيد الفدائيين ، الاستيلاء على جميع المدخرات والحسابات المالية العربية في سويسرا ، قطع العلاقات مع الدول العربيـــة المتعاطفة مع الفدائيين .

وامام هذه الموجة التي تمثل هذه الاقتراحات قمتها رأت الحكومة السويسرية نفسها مضطرة لنشر بيان حول وجهة نظرها في الاحداث والتطورات التي ادت ، باعتقادها ، الى وقوع رهائن سويسريين بيد الجبهة الشعبية ، ويورد المؤلف هذا البيان كوثيقة رسمية وقد جاء في البيان « ان الحكومة السويسرية كانت قد طلبت الى الدول العربية اعلان استنكارها لاعمال الارهاب ونبهتها الـــى مسؤوليتها عن اي حوادث تعرض حياة السويسريين للخطر ، والحكومة السويسرية اذ تعبر عـــن معرفتها بالروح الثورية التي ينشرها الفلسطينيون في الدول العربية والتهديد الذي تواجهه الحكومات العربية التي وافقت على مشروع روجرز ومعرفتها كذلك بالحوار الدائـــر داخل منظمة التحريـــر الفلسطينية بين انصار ومعـــارضي اعمال خطف الطائرات ، فانها تعمل كل ما بوسعها للاحتياط ضد هذه الحوادث ... اما حادثة الخطف الاخيرة فانها تشكل عملا سياسيا خارجا عن نطاق القانون لهذا فانها تجد نفسها في وضع يتطلب قرارا سريعا يضع هيبة وسيادة الدولة موضع الامتحان » . بعد ايراد البيان يحاول يوست بأسلوب المواطن الذي يحترم قوانين بلاده ولا يشك ابدا في صحتها وجدواها ان يبرر موقف حكومته في ترددها بين اختيار اثبات هيبتها او انقاذ الرهائن من رعاياها وهنا ايضا يفضل الدخول في حوار مع نفسه ينتهي فيه بالدعاء لشخصه ولحكومته ولجميع المسؤولين عن امتداد فترة الانتظار .

وتبرز في رواية يوست العديد من الوجوه والافكار التي تكونت منها احداث مطار الثورة ومخيـــم الوحدات ومن ابرز هذه الوجوه وجه الفدائي ابو الفدا الذي يعتقد المؤلف انه استطاع في عدة مرات ان يجيب على سؤال الرهائن « لماذا نحن هنا ؟ » ولماذا يحارب الفدائيون ؟ وقد سمع المؤلف الجواب النظري على هذه الاسئلة من ابو الفدا وهو جالس تحت الطائرة في الصحراء ولكنه شاهده عمليا عندما رأى القتال في مخيم الوحدات ثـــم شاهده مرة ثانية عندما رأى الدمار في شوارع وتلال عمان .

القسم الاخير من الكتاب خصصه المؤلف لوصف ما شاهده اثناء اقامته في مكتب قيادة الجبهـــة الشعبية في مخيم الوحدات ، وهو يقدم انطباعاته اثناء هذه الاقامة على شكل لقطات سريعة لبعض ما بدا له انـــه « تناقضات بين الجـــو العـــام والشعارات » في الحياة العربية التي كان يراقبها على وجوه الناس والجدران من حولهم وهو يبدي استغرابه للشعارات الماركسية التي كانت تغطي الغرفة التي كان فيها بينما المؤذن في الخـــارج ينادي على الناس الى الصلاة ، وهذا الاستغراب

اكثر ما يلفت نظر اي غربي راسمالي يعتقد بتعارض الدين مع الاشتراكية او بوقوف الاسلام حاجزا امام العدالة الاجتماعية او بوجود عداء متأصل بين الشعوب العربية والنظرية الاشتراكية .

وكذلك يصف المؤلف « انسانيـــة الفدائيين التي تتعارض مع عنف ثوريتهم » حسب اعتقاده . وحول معاملة الفدائيين للرهائن يتراوح حكم المؤلف بين الشكوى من المعاملة وبين المقبول بها وتبريرها كافضل ما كان يمكن ان تكون عليه في تلك الظروف. وهذا الحكم متأثر طبعا بالوضع الخاص للمؤلف الذي كان في الوقت نفسه قاضيا وطرفا في تلك المعاملة فهو — يقول ان شباب الجبهة قد وزعوا على الرهائن كتبا ونشرات بالانكليزية عن فكـــر واستراتيجية الجبهة وكان احد هذه الكتب كتاب حول خرق اسرائيل لبنود اتفاقيات جنيف بخصوص معاملة الاسرى والكتاب يحتوي على قائمة طويلة لحالات الخرق هذه . ويعلق يوست على ذلك بقوله بأن معاملة الفدائيين للرهائن كانت ايضـــا نموذجا من خرق تلك الاتفاقيات مع ان ابا الفدا كان دائما يقول لهم « انتم ضيوف الجبهة » . وهنا يتساءل يوست « ما هي الجبهة وكيف ظهرت » وفي محاولة لايجاد جواب اشتقه مـــن مطالعاته لمؤلفات الجبهة وبعض الكتب الاخرى التي توفرت له في سويسرا يروي للقـــارىء مختصر جيد لقضية فلسطين وظهور منظمات المقاومة الفلسطينية . ولا يخفي يوست اعجابه بكتاب « مشاهدات الاطفال في زمن الحرب » ولكنه يشكك في صحة بعض ما ورد على لسان الاطفال من تعليقات حول رســوم الكتاب .

ثم يعود الى تكملة الرواية فينتقل بالقارىء من مأزق الى مأزق يستغل كل منها لتفريغ ما في جعبته من آراء استطاع تكوينها اثناء معايشته لجزء مـــن احداث سبتمبر وهنا يصل الى اسرائيل فيتساءل : « ماذا سيحدث للعالم لو اراد كل شعب ان يعود الى المنطقة التي أتى منها قبل الفي عام ، ونحن لا نناقش حق اسرائيل في البقاء ولكن نطلب مـــن اسرائيل ايجاد حل للذيـــن فقدوا وطنهم بسبب وجودها ، فقد آن لابناء ابراهيم ان يتعايشوا في محبة » . وربما يكون هذا الرأي هو الرأي السائد حاليا بين المعتدلين في اوروبا وهو اقصى ما يمكن أن يصل اليه اوروبي حيادي امام الصراع العربي — الاسرائيلي : بقاء اسرائيل مع ايجاد حل انساني للفلسطينيين ، هذا ما يردده عشرات المعلقين كل يوم في الصحافة والاذاعة والتلفزيون في اوروبا ولا يبدو ان ايام الصحراء والمخيم وكل ما شاهده يوست قد حركه الى الامام مليمترا واحدا عن هذا الرأي الذي يحقق للاوروبي « انسانيته » دون ان يخلع عن اسرائيل شرعيتها او يناقشها وجودها وفي الوقت نفسه يمنح الفلسطينيين حقا نظريـــا في استحقاق الحياة على هامش الوجود الاسرائيلي ، وبالنسبة للانسان الغربي فانه لا يجـــد في هذه المعادلة اي شذوذ طالما انها ضمن منطق القانون الساري مفعوله تاريخيا والذي يضع كيانات الدول فوق حقوق الجماعات ، وتستفيد اسرائيل كثيرا من هذا المفهوم الواسع الانتشار للقانون الدولي وهي تركز محور دعايتها على مبدأ كونها « دولة تريد أن تعيش » .

الا ان يوست يعود فيضع نفسه مرة ثانية في دوامة « حق اسرائيل في البقاء وحق الفلسطينيين في الحياة » فيقول مستنكرا احتفاظ الفدائيين ببعض الفتيات اليهوديات الامريكيات ممن يحملن الجنسية الاسرائيلية كرهائن « ما ذنب هؤلاء الفتيات ، فقد قامت اسرائيل قبل ان يكن قد ولدن ، وشعبهن كان ملاحقا طوال التاريخ ثم وجد وطنا على حساب شعب آخر » . وكأن يوست هنا شعر بأنه اقترب كثيرا واكثر من اللزوم الى الحقيقة ولهذا فانه يلجأ بسرعة الى توجيـــه نداء غامض للعالم لتخليص اللاجئين من مصيرهم البائس فيقول في النداء « ان وجوه اللاجئين المليئـــة بالفزع ستلاحقنـــي طوال عمري ... فقد أصبحت جزءا من عالم لم أعلم بوجوده من قبل ومرت أمامي مئات الوجوه القاتمة المظلمة ... لاجئين لاجئين لاجئين هل سيجدون وطنا في يوم ما ! »

وبعد وصفه لما شاهده من احداث دامية في عمان يختم كتابه قائلا « سوف يستغرب الكثيرون عندما يسمعونني أروي ما حدث لي دون اثر للكراهية او الحقد على الفلسطينيين ولكن هذا الاستغراب سيختفي عندمـــا يتفهم هؤلاء مأســـاة الشعب الفلسطيني » .

في نهاية الكتاب وثيقة اخرى صادرة عن الحكومة السويسرية بعد قرارها بالافراج عن الفدائيين وليس في الوثيقة من جديد فقد نشرتها وكالات الانباء في حينها وجوهرها يدور حول « الظرف القانونـــي وصعوبة الحالة التي تم فيها اتخاذ القرار بالتشاور

والاتفاق مع حكومات كل من المانيا وبريطانيـا والولايات المتحدة واسرائيل واعتبـار القرار لا يشكل سابقة قانونية يمكن للفدائيين الاعتماد عليها في المستقبل » .

هذا هو كتاب والتر يوست والذي يقراه بكامله يلاحظ انه قد كتب بكثير من السذاجة وقليل من التعقيد ، السذاجة ليس بمعنى ان صاحبه يفتقر الى الذكاء ولكن سذاجة الذي كان يستيقظ كل صباح على اساس ان العالم بخير ، واستيقظ في يوم فجأة فوجد على مائدة افطاره قنبلة زمنية بدل فنجان القهوة وعندما استطاع ابطال مفعولها بعد لحظات عصيبة من الخوف والتردد قذفهـا جانبا وبدأ يرشف من فنجان قهوته المعتاد ، وربما كانت هذه البساطة هي التي اضفت على الكتاب تلك النزعة الانسانية الرائعة التي اصابت وربما عن غير قصد قضية الشعب الفلسطيني والمشاعر النبيلة التي يحفظها المؤلف لـه « بعد استثناء زعمائه المتطرفين » . وقد لجأ المؤلف مرارا الى اسلوب فصم المجموعة الانسانية للفلسطينيـين — وهو ما يسميه باللاجئين — عن الرجال من الفدائيين الذين اتصل بهم اثناء احتجازه ، وحتى انسانية الفدائي يسقطها المؤلف عنه لمجرد اقترانه بالفكر الثوري ، فهو يريد ان يرى لاجئين بائسين ينتظرون الحل ولا يريد ان يرى فدائيين يخرجون من صفوف اللاجئين من اجل اقرار « الحل » ، وهكذا تنتهي قصة الاختطاف الثوري حيث بدأت فيبدو الكتـاب خاليا من أي ميزة سوى انه كتب بروح صادقة اذا تم الحكم عليه بموجب الخلفية الاجتماعية والثقافة الاوروبية التي نشأ عليهـا المؤلف .

الدكتور عدنان العمد

شـــهريات

(١) القضية فلسطينيا وعربيا

بدايات عام ١٩٧٣ كانت بدايات حافلة على الصعيد الفلسطيني ، بدأت فيها تحركات دولية جديدة باتجاه التسوية السياسية ، وبرزت فيها أيضا تحولات عربية نوعية فيما يتعلـق بمواقف الدعم والتأييد لحركة المقاومة . ورافق ذلك كله توتر في الاجواء الداخلية الفلسطينية نقلت أصداءه صحف عربية في بيروت والكويت بشكل خاص .

ومن الصعب فصل دلالات هذه الاحداث عن بعضها البعض . كذلك مـن الصعب القول بأن هـذه الاحداث كلها كانت أحداثا مفاجئة . فمنطق الامور العام الذي حكم سياسات المنطقة العربية ، كان لا بد وأن يؤدي الى الاحداث التي نشهدها ، وأن يظهر من خلال هذه الاحداث بوضوح ، تناقضها مع أهداف النضال الفلسطيني كما عبرت عنه منظمة التحرير الفلسطينية منذ أن تسلمت قيادتها منظمات العمل الفدائي .

والامر الهام الذي تبرزه هذه الاحداث أن حركة المقاومة سوف تواجه طوال عام ١٩٧٣ تحديات مصيرية تستدعي منها وضوحا سياسيا ، وصلابة في المواقف ، وممارسات جادة لترجمة مواقفها الى خطط عملية ، حتى يكون بامكانها أن تصمد أمـام التحديات التي تواجهها ، وأن تبلور الموقف الوطني الفلسطيني بصورة حاسمة للغاية ، بحيث يتمكن من فرض نفسه ، على أنـه الموقف الفلسطينـي الوطني الوحيد الذي لا مكان لموقف فلسطيني آخر الى جانبه .

مجلس الدفاع العربي :

كان مجلس الدفاع العربي الذي بدأ جلساته في القاهرة يوم ٢٧ ك٢ من أبرز الاحداث التي شهدت تحولا عمليا في موقف الانظمة من حركـة المقاومة الفلسطينية . ويكفي ان نقارن بين مجرى النقاش العام بين دورة مجلس الدفاع العربي التي عقدت فـي الكويت في ١٩٧٢/١١/٥ وبين دورة القاهرة المذكورة حتى نتبين التغير البارز الذي طرأ على الموقف العربي . ففي مؤتمر الكويت وأثناء البحث في موضوع الجبهة الشرقيـة ركزت كافة الوفود نقاشها حول العلاقات بين النظام الاردني وحركة المقاومة . باعتبار ان انشاء الجبهة الشرقية ، التي تكون حركة المقاومة جزءا منها ، يقتضي سلفا حل أزمة العلاقات بين الاردن والمقاومة . وربطت كافة الدول العربية موقفها من النظام الاردني ، والعودة لاقامة علاقـات طبيعية معـه ، بمدى استعداده لحل هذه المعضلة . وحين رفض الوفد الاردني مجرد البحث في هـذا الموضوع ، تعثـر موضوع الجبهة الشرقية ، وبقيت العلاقات المقطوعة ــ سياسيا واقتصاديـا ــ بين الاردن والدول العربية الاخرى على حالها . أما في مؤتمر القاهرة، فقد جاءت معظم الوفود العربية الى المؤتمر ، لتناقش من وجهة نظر مناقضة لما جرت عليه الامور في مؤتمر الكويت ، وملخص وجهة النظر الجديدة هذه : تحسين العلاقات مع الاردن ، ثم البحث على ضوء ذلك بمستقبل العلاقة بين الاردن والمقاومة . والسبب الاساسي وراء هذا الانحياز الى الموقف الاردني ، يعود الى أمرين مترابطين : الامر الاول يتعلق بالمبادرة الامريكية المنتظرة ، ومراهنة أكثر من نظام عربي عليها . والامر الثاني يتعلق برحلة الملك حسين الى الولايات المتحدة للبحث بشأن هذه المبادرة ، حيث كانت الانظمة العربية المعنية حريصة على ان تعطي للملك حسين فرصة للتفاوض من موقع قوي نسبيا . والترجمة العمليـة لذلك تتمثل في التضحية بالمقاومة ، وازالة جو العزلة العربي المحيط بالنظام الاردني ، وتمكين الملـك حسين بالتالي ان يتحدث باسم موقف عربي عام ، وليس باسم الاردن فقط .

وقد كان هذا الموقف العربي سببا لان يبادر الوفد

الفلسطيني الذي ترأسه الاخ «أبو يوسف» الرئيس الجديد للدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، الى اعلان موقف عنيف يسجل بوضوح ادانته لهذا الموقف العربي الذي يعلن تخليه عن دعم المقاومة لصالح النظام الاردني ، وجاء في هذا الموقف :

— اننا في الوقت الذي نؤيد فيه كل محاولة للصفاء العربي من أجل المعركة ، فاننا نرفض ان يكون ذلك على حساب شعبنا وقضيتنا .

— واذا كان بعض الاخوة العرب راغبين في ذلك اللقاء دون الالتفات الى القضية الاساسية ومن غير الوقوف الى جانب الثورة الفلسطينية ، فليسمحوا لنا ان نقولها بكل صراحة ، ليتحملوا مسؤولية ذلك أمام شعوبهم والشعب الفلسطيني . ونحن من جهتنا لا دخل لنا في اية مصالحة تتم لتحقيق هدف ما يخدم هذا البلد او ذاك . وعلى كل حال فان الالتزام الفلسطيني لا يمكن الا ان يكون من اجل التحرير ومعركة حرب التحرير الشعبية الشاملة . ونرفض أن نكون ضمن لعبة الانظمة العربية التي تريد حلولا جزئية او استسلامية . وبالتالي فاننا نرفض أن يعطى الاردن اي عون عربي ما لم يلتزم بعودة العمل الفلسطيني ليعمل بحرية على الجبهة الشرقية .

وما أن انتهى مجلس الدفاع العربي ، حتى بدأ النظام الاردني يتراجع علنا عن المواقف اللفظية التي قدمها لتشكل تغطية لتغيير المواقف العربية . وهي المواقف التي تناولت الاستعداد لاحياء الجبهة الشرقية ، وبحث عودة العمل الفدائي . ففي ٣١ ك٢ أعلن السيد صلاح ابو زيد الذي أطلق التصريحات المشار اليها بنفسه في مؤتمر القاهرة ، أن « الاردن لا يقبل عودة عقارب الساعة الى الوراء » فيما يتعلق بالعمل الفدائي . وكان ذلك تمهيدا لصياغة هذا الموقف بوضوح أشد على لسان الملك حسين نفسه ، الذي أطلق عشية سفره الى الولايات المتحدة سلسلة من التصريحات حدد فيها موقف الاردن الرسمي من قرارات مجلس الدفاع ، كما حدد الاسس التي سيفاوض عليها في البيت الابيض الامريكي . ففي ٣ شباط قال الملك في حديث تلفزيوني انه يرفض عودة الفدائيين الى الاردن . ويرفض تجميد مشروعه الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة . كما ويرفض دخول قوات عربية الى الاردن ما لم تدفع له الدول العربية كافة المساعدات التي أقرت في السابق وجمدت بعد معارك أيلول ١٩٧٠ وجرش ١٩٧١ . ثم تطرق الملك الى ما هو أخطر من ذلك في مقالة له نشرت في اليوم نفسه ، ووزعتها وكالة الاسوشيتدبرس الاميركية ، وجاء فيها ان قرار مجلس الامن يسجل نقطتين أساسيتين : النقطة الاولى الاعتراف بواقع اسرائيل كدولة ، والنقطة الثانية انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة . ووردت في هذه المقالة أيضا دعوة لايجاد حل ديني لمدينة القدس ، يجرد المسألة من طابعها السياسي ، وذلك من خلال اجتماع يعقد بين ممثلين عن الاديان الثلاثة للبحث بمستقبل المدينة .

وقد ردت منظمة التحرير الفلسطينية على هذا الموقف فقالت (٤ شباط) أنه « يؤكد استحالة انسجامه مع عملية الحشد والتعبئة والاستعداد » . وأضافت تقول نود ان نذكر بموقف وفدنا في مجلس الدفاع الذي ركز على « ضرورة المعركة والقتال من اجل التحرير مرتفعا بذلك فوق كل جراحات الماضي وخطاياه التي يتحملها النظام في الاردن » .
وما من شك في أن هذا الرفض الاردني لقرارات مجلس الدفاع لم يفاجيء أحدا ، مما يشير بوضوح الى أن ما كان المجلس معنيا به بالدرجة الاولى هو اخراج الاردن من عزلته أولا ، حتى يكون قادرا على حرية الحركة على الصعيد الدولي . ويترتب على ذلك بالطبع محاصرة حركة المقاومة سياسيا بحيث تصبح خاضعة ، شاءت أم أبت ، لمجريات السياسة العربية الرسمية .

وقد كان من أول النتائج التي أفرزها هذا الموقف العربي ، فيما يخص وضع المقاومة بالذات ، اقدام النظام في لبنان على اجراء مباحثات مطولة مع المقاومة الفلسطينية ، حول ما سيكون عليه وضع المقاومة الفلسطينية في لبنان حين يأخذ هذا الموقف العربي الذي برز في مجلس الدفاع العربي مداه الكامل . فخلال اسبوع واحد عقدت ثلاثة اجتماعات بين صائب سلام وياسر عرفات كان آخرها يوم ٨ شباط . وما صدر عن هذه الاجتماعات كان قليلا جدا ، أبرزه ما ورد على لسان السيد سلام في تصريح صحفي يوم ٩ شباط حين قال ان « الاوضاع العربية والتطورات الجارية والمرتقبة في المنطقة كانت موضع بحث مع عرفات . **فالمقاومة الان أمام مفترق طرق ، وعليها أن تواجه المواقف التي تحتمها التطورات المرتقبة بالنسبة الى القضية الفلسطينية »** . واضافة الى ما توحي به هذه

الكلمات علم ان السيد سلام طرح بوضوح مسا مؤداه ان لبنان لا يستطيع السماح لحركة المقاومة بالتواجد داخل اراضيه حين تكون الدول العربية رافضة لهذا التواجد في أراضيها . ولذلك فانه من المطلوب التفكير في وقت مبكر بما سيكون عليه وضع المقاومة في لبنان ، حين يتبلور هذا الاتجاه العربي على شكل خطوات عمل ملموسة . وقد لوحظ أن السيد ياسر عرفات عقد اثناء هذه اللقاءات مع صائب سلام اجتماعا مطولا آخر مع السيد كمال جنبلاط الذي يتزعم المعارضة اللبنانية، رفض عرفات على أثره ان يدلي بأي تصريح حول ما دار فيه من بحث .

المواقف الفلسطينية :

ازاء هذا التحول الواضح في الموقف العربي ، والمرتبط أساسا بتحرك الجهود المبذولة لايجاد تسوية سياسية ، كانت هناك أحداث فلسطينية ذات دلالات خاصة ، وأبرز هذه الاحداث ثلاثة :

اولا : الجولة التي قام بها الاخ ياسر عرفات في بعض البلدان العربية بعد انتهاء اعمال المجلس الوطني الفلسطيني وبعد انتهاء اعمال مجلس الدفاع العربي ، حيث زار ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، ثم قام بزيارة أخرى الى بغداد القى اثناءها خطابا في حفل جماهيري يوم ١ شباط قال فيه : ان هناك محاولة لتصويرنا خارجين عن الصف العربي . سنخرج عن الصف العربي اذا رضي الاستسلام ، لكننا معه اذا كان يريد القتال ، ونحن نرفض ان نكون ضمن لعبة تريد في النهاية أن توقع الصلح مع العدو . وكان السيد عرفات في موقفه هذا يرد من جديد على مجرى الحوار العربي الذي دار في مجلس الدفاع . ثم على اثر اعلان الملك حسين في تصريحاته رفضه لتواجد العمل الفدائي في الاردن ، ارسل السيد ياسر عرفات رسالة خاصة الى الرؤساء الثلاثة ، السادات والاسد والقذافي ، اثناء اجتماعهم في القاهرة يوم ٦ شباط ، تناولت تصريحات الملك ودلالاتها الواضحة ، وما يترتب عليها من مواقف عربية . وصادف توقيت هذه الرسالة مع افتتاحية لجريدة فلسطين الثورة أوضحت فيها « انتقال الرسمية العربية ، مع بعض الاستثناءات ، نحو الموقف الاردني وليس العكس » .

ثانيا : التصريحات التي ادلى بها بعض قادة المقاومة ، وحملت في طياتها توجهات سياسية جديدة . ففي ٢١ ك٢ القى صلاح خلف أحد قادة فتح خطابا في مقر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القاهرة أبرز فيه النقاط التالية :

١ — دافع عن عمليات أيلول الاسود ، دون أن يسميها .

٢ — قال ان الضمانة الوحيدة لاستمرار المقاومة هي في ممارسة النشاط السري .

٣ — هاجم بعض الجهات العربية دون ان يسميها، وفهم ان هذه الجهات هي السعودية والاردن .

٤ — هاجم التقارب العربي الاردني .

ولفت الانظار في هذا الخطاب اقدام مسؤول من فتح على مهاجمة السعودية ، ولو بدون تسمية . كذلك اقدام مسؤول من فتح على الدفاع العلني عن عمليات أيلول الاسود .

وفي ٣١ ك٢ اجرى الاخ صلاح خلف بالاشتراك مع الاخ ابويوسف مقابلة صحفية مع جريدة الاوريان — لوجور البيروتية وكرر فيها الدفاع عن العمليات الخارجية ، فيما يمكن اعتباره أول دفاع نظري عن هذا النمط من العمليات الذي ساد بعد أيلول ١٩٧٠ ، وهو دفاع يقترب في جوهره من الموقف الذي أعلنته مرارا قبل ذلك التاريخ ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . قال ابو اياد « ان من حقنا ان نقاتل في اي بقعة من العالم وحيث يكون العدو ، فكل دول العالم تتحمل جزءا من المسؤولية في ضياع فلسطين . وحين يحرموننا حقنا الاساسي في القتال على ارضنا لاخراج الغاصب ، فمن الطبيعي أن نوسع ساحة القتال . لذلك نطلب من جميع مقاتلينا ان يحافظوا على حقهم المقدس في القتال باللجوء الى السرية التامة » . ثم اجاب أبو اياد على سؤال يتعلق بالاردن فقال « نحن ضد أي تدخل في شؤون الاردن الداخلية . ولن نسمح لانفسنا بدخول المدن . كانت فتح دائما ضد دخول المدن ، لانه يسيء الينا بلا فائدة » . ثم سئل : ماذا ستفعلون اذا عرضت الحكومة الاميركية ... سلاما يأخذ في الاعتبار حقوق الشعب الفلسطيني وكيانه ! وكان جواب الاخ ابو اياد : « المهم أن نعرف اذا كان الشعب الفلسطيني بالنسبة الى الاميركيين هو أعيان الضفة الغربية ... يجب ان لا يفكر الاميركيون في السلام من دون أخذ الفلسطينيين بالاعتبار ، لكن الاميركيين هم الذين يرفضون اجراء حوار معنا » .

ثالثا : الانباء التي نشرت في الصحف وتحدثت عن وجود خلافات حادة داخل حركة فتح ، وعن صراع بين مجموعة يتودهـا ياسر عرفات ، ومجموعة أخرى يتودها خالد الحسن . وقد نشرت هـذه الانباء أساسا في جريدتي النهار البيروتية والسياسة الكويتية ، وان هذا الصراع برز في المجلس الوطني الفلسطيني . ولما كانت قضايا فتح الداخلية تخص فتح وحدها ، ومن حقها هي دون غيرها ان ترد عليها وتوضحها ، الا انه لا بد من الاشارة الى أن الحديث عن هذا الخلاف قد اعتمد على وقائع غير صحيحة دارت في المجلس الوطني الفلسطيني وهي التي سنحاول هنا القاء الضوء عليها :

قالت جريدة النهار : عرض خالد الحسن التحولات في السياسة الدولية وطالب باستيعاب التطـورات وفهمها ، ولكنه لم يعرض خطا سياسيا معينا بل أبقى المسألة معلقة لتتبلور في النقاش . والصحيح ان خالد الحسن انتقد ان يدور نقاش المجلس بعيدا عن القضايا الاساسية المطروحة عمليا ، وعرض هذه القضايا الاساسية انطلاقا مما تمثله حركة المقاومة من ارادة القتال .

قالت النهار : رد عرفات فاتهم خالد الحسن باشاعة جو انهزامي . والصحيح ان رد عرفات لم يتضمن اي اشارة من هذا القبيل . واضافة الى ذلك ، رفض بشكل علني ان يعتبر ما قاله ردا على كلمة خالد الحسن .

قالت النهار : ان خالد دعا الى اعتبار لبنان نقطة انطلاق اساسية للعمل الفدائي لكن عرفات تصدى له ودعا الى اعتبار لبـنان « ساحة مهمة » . والصحيح ان خالد الحسن لم يطرح هذه النقطة في خطابه . انما هي طرحت في توصيات لجنـة الخطة ، فدعا الاخ ابو عمار الى تعديلها ، وشارك في هذا الطلب اشخاص من الذين سمتهم النهار أنهم من فريق خالد الحسـن .

قالت النهار : ان خالد الحسن طالب بتسليم بعض اجهزة منظمة التحرير الى شخصيـات مستقلة وبفصل الجهاز الاداري للمنظمة عن المنظمـات الفدائية . وان المستقلين في المجلس داموا عن هذا الاتجاه وقادة المنظمات نعتوه بالشخصية . والصحيح ان خالد الحسن لم يطالب بتسليم اجهزة المنظمة للمستقلين ، كما ان المستقلين لم يطالبوا بذلك . وما قاله خالد الحسن تناول حملة النقد الموجهة الى تقرير اللجنة التنفيذية قائلا انه يفهم ان يقدم المستقلون على القيام بهذا النقد باعتبارهم بعيدين عن المشاركة في اتخاذ القرارات ، ولا يفهم ان تقدم المنظمات على ذلك وهي المساهمة باتخاذ هذه القرارات من خلال عضويتهـا في اللجنـة التنفيذية .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل ازاء هذا الحديث في الصحف عن خلافات داخل فتح ، قناعة بعض الاوساط الفلسطينية ان هدف هذه المحاولات استغـلال خلافات فتح الداخلية لتغذيتها من اجل شقها ، وذلك انسجاما مع مقتضيات المرحلة ، حيث تتحرك الحلول التصفوية بسرعة ، وحيث يستلزم هـذا التحرك شق الموقف الفلسطيني واضعاف تماسكه .

العمليات الخارجية :

شهدت هذه الفترة سلسلة جديدة مـن العمليات الخارجية . ففي يوم ٩ ك٢ ، وهو يوم وفـاة الشهيد محمـود الهمشري ، انفجرت في باريس عبوات ناسفة شديدة في المبنى الذي يضم مكاتب الوكالة اليهودية . وأحدث الانفجار تدميرا شديدا في المكاتب ، ولم يؤد الى وفاة احد . وفي اليوم نفسه قالت صحف اسرائيل ، أن رومانيا أحبطت محاولة لمنظمة أيلول الاسود كان هدفها الهجوم على السفارة الاسرائيلية . ثم أعلنت منظمة ايلول الاسود يوم ٢٧ ك٢ أنها أعدمت في مدريد ضابط مخابرات اسرائيليا . واعترفت اسرائيل ان القتيل يدعى باروخ كوهين ، وأنه من رجال المخابرات بالفعل ، ويعمل في الجهاز الخارجي للمخابرات . اما في ٢٥ ك٢ فقد استشهد في قبرص احد رجال فتح ويدعى حسين ابو الخير ، عندما انفجرت قنابل وضعت تحت سريره في الفندق الذي كان يقيم فيه . وقد نقل جثمانه الى صيدا وشيع بجناز شعبي ضخم يوم ٢٩ ك٢ . ويوم نقل جثمانه من قبرص نظمت مظاهرة قبرصية كبيرة توجهت نحو سفارة اسرائيل احتجاجا على مقتله .

وكان اللواء محمد خليل عبد الدايم سفير الاردن في عمان (بضم العين) اعلن يوم ٣ ك٢ انه تلقى رسالة متفجرة عليها خاتم منظمة التحرير الفلسطينية ، جرى ضبطها وتفجيرها . وعلم بعد ذلك بفترة ان وزارة الخارجية الاردنية قررت استدعاءه من عمان الى الادارة المركزية . والجدير بالذكر ان اللـواء عبدالدايم كان من القادة العسكريين الاساسيين اثناء مجزرة أيلول ١٩٧٠ .

المعارك السورية الاسرائيلية :

شهد مطلع العام الجديد اشتداد حدة المعارك بين سوريا واسرائيل ، هذه المعارك التي لم تقتصر على مناطق الحدود بل تعدتها لتشمل مناطق العمق في الاراضي السورية ، من خلال الغارات المكثفة للطيران الاسرائيلي . وقد كانت لهذه المعارك معان سياسية ذات أثر عربي وفلسطيني .

فمن جهة اولى مثلت هذه الاعتداءات الاستمرار في السياسة الاسرائيلية الهادفة الى تدمير أي بناء جديد للقوة العسكرية العربية كجـزء من الخطة الرامية الى حشر الوضع العربي في موقف يائس من الصمود ، ومندفع بالتالي الى التسليم بالشروط الاسرائيلية للتسوية .

ومن جهة ثانية استهدفت الاعتداءات الاسرائيلية الحاق أضرار واسعـة بالسكان المدنيـين بهدف الوصول الى جو من الخوف وابراز حالة من النقمة وخلق مصاعب في وجه الحكم السوري .

ومن جهة ثالثة فان الاعتداءات الاسرائيلية تصاعدت بشكل ملحوظ بعد نمو العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفياتي ، وبعد الاسلحة الجديدة التي حصلت عليها سوريا نتيجة لذلك والتي رفعت من كفاءتها القتالية بشكل واضح . وأحد الاهداف الاساسية لهذه الاعتداءات الضغط على سوريا حتى توقف نمو علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي ، وتسلم بالمنطق القائل بأن مفتاح حل أزمة الشرق الاوسط انما يكمن في العاصمة الامريكية ، وبأسلوب الحـل الذي تقترحه هذه العاصمة لا بأي أسلوب آخر سواه . وقد لجأت سوريا في وجه هذا التحرك العسكري الاسرائيلي الى سياسة المواجهة ، والرد على القوة بالقوة . واضافة الى موقفها العملي عكست اذاعاتها وصحفها دعوة الى حكومات المواجهـة العربية بفتح جبهاتها مع اسرائيل ، حتى لا تبقى سوريا وحيدة في المعركة من جهة ، وحتى يتكرس منطق العمل لاسترداد الاراضي المحتلة بالقتال ، من جهة أخرى . وفي سياق هذه العملية رفضت سوريا حجج الاعلام الاسرائيلي الذي ركز على أن سبب هذه الاعتداءات هـو سماح سوريا للعمل الفدائي الفلسطيني بالانطلاق من أراضيها . وقد برز ذلك بوضوح عشية المعركة الجوية التي دارت يوم ٣١ ك١ ، حيث قالت الاذاعة السورية في تعليق لها ان من أهداف اسرائيل تصوير « ان الفدائيين الفلسطينيين هم مصدر الشر والبلاء » . وقد كانت هذه المعركة اول معركة ليليـة يخوضها الطيران السوري وجاءت بعد قصف سوري كثيف بالمدفعية للمواقع الاسرائيلية في الجولان ، ردت عليهـا اسرائيل بغارة جوية على منطقة النبك ، الواقعة في منتصف الطريق بين دمشق وحمص .

ولم تمض على هذه المعركة سوى ايام قلائل حتى شهدت الاجواء اللبنانية يوم ٢ ك٢ معركة أخرى بين المقاتلات السورية والاسرائيلية ، اشتركت فيها اكثر من ٢٠ طائرة اسرائيلية ، سقطت فيها طائرة سورية في لبنان وتوفي قائدها ، بينما سقطت طائرة اسرائيلية في البحر .

اما في ٨ ك٢ فقد شهدت منطقـة الحدود أعنف المعارك على الاطلاق ، حيث ساهمت في القتال القوات البرية والجوية والمدرعة . وأعلنت دمشق نتائج المعركة فقالت انهـا أسقطت ٤ طائـرات اسرائيلية ودمرت ٢٥ دبابة ، بينما خسرت في المعركة ثلاث طائرات ، واصيبت محطتان للرادار السوري بأضرار . وبالمقابل ادعت اسرائيل انها أسقطت ست طائرات سورية ، واصابت اربع محطات للرادار ، وان خسائرها اقتصرت علـى أضرار بسبب قصف المدفعية السورية شملت قرية داخل الاراضي المحتلة منذ عـام ١٩٤٨ ، ولكن اسرائيل لم تستطع الا ان تشير بنفسها الى كفاءة الطيارين السوريين في القتال .

وعلى اثر هذه المعركة استقبل السيد عبدالحليم خدام وزير الخارجية السوري رؤسـاء البعثات الديبلوماسية العربية ، وأطلعهـم على مجـرى الاشتباكات العسكرية ، وعلى ضخامة الخسائر المادية التي ترتبت عليها . أما الصحف فقد كررت من جهتها دعوة الجيوش العربية الى التدخل فورا لاشعال الجبهات ، وحين عقد مجلس الدفاع العربي بالقاهـرة أعادت سوريـا طرح موقفها هـذا ، واستطاعت ان تحصل على مساعدة مالية تعوض بعض خسائر المعارك الماضية والمنتظرة ، من اجل صمود أطول .

وهنا يجب أن نلاحظ أن الهدوء العسكري الذي ساد الجبهة اللبنانية الاسرائيلية مؤخرا ، لم يخل من تحرشات اسرائيلية متواصلة . ففي ٦ ك٢ أعلن الناطق العسكري اللبناني ان اسرائيل خرقت حرمة الاجواء اللبنانيـة خمس مرات في الفترة الواقعة بين ١٢/٣١ — ٧٣/١/٦ .

بلال الحسن

توضيح من السيد سعيد الحمامي

كانت « شؤون فلسطينية » قد عرضت في العدد ١٤ لحادثة ميونيخ وردود الفعل عليها . وسجلت في جملة ما سجلته ردود الفعل الفلسطينية كما وردت في الصحف والتصريحات الرسمية ، والتي جاءت بمجموعها اما مؤيدة للعملية ، او موضحة لمبرراتها . وسجلت ان صوت النشاز الوحيد ازاء عملية ميونيخ ، اقتصر حتى ذلك التاريخ ، على موقف السيد سعيد الحمامي مسؤول الاعلام في مكتب الجامعة العربية بلندن. وتنشر «شؤون فلسطينية» فيما يلي ردا من السيد الحمامي على ما نشرته وهي معنية بتوضيح ما يلي:

١ ــ اعتمدت « شؤون فلسطينية » فيما كتبته على ما نقلته وكالات الانباء ، وعلى ما روي لها على لسان مسؤولين فلسطينيين تثق بهم عن حديث السيد الحمامي في التلفزيون البريطاني الذي استنكر فيه العملية ، ساعية الى التاكد من اشخاص مسؤولين من صحة الموقف دون الاكتفاء باقوال الصحف ، او بما نقلته اذاعة لندن .

٢ ــ خلافا لما ورد في النقطة الثالثة من رد السيد الحمامي، فقد تلقى بعد تصريحاته العديدة حول عملية ميونيخ اشعارا من منظمة التحرير يطلب منه عدم الادلاء باي تصريح صحفي ، ورد واعدا بالالتزام بذلك .

جاء في العدد ١٤ من شؤون فلسطينية ، تشرين الاول ، ص ٢٣٧ ما يلي : امـا صوت النشاز الوحيد فقد صدر عن السيد سعيد حمامي مسؤول الاعلام في مكتب الجامعة العربية بلندن ، الذي استنكر العملية ونفى في جو من الاستنكار وجود اية علاقة لايلول الاسود بمنظمة التحرير .

ارجو ان أوضح ما يلي :

١ ــ لا أريد أن أناقش رأيي بأعمال العنف التي تقوم بها بعض المنظمات الفلسطينية خارج حدود وطننا المحتل أو خارج المنطقة العربية ، فهذا فوق صلاحياتي ، ولكنني اريد أن أعلق على ما نشر في شؤون فلسطينية وبعض الصحف الاخرى بشأن تصريح نسب الي وجاء فيه انني استنكرت عملية ميونيخ .

لقد استند الجميع بالتأكيد الى نشرة اذاعة لندن باللغة العربية ظهيرة عملية ميونيخ دون ان يحاول احد ان يتاكد من المصدر او المصادر التي اعتمدتها تلك الاذاعة في خبرها .

٢ ــ ان كل ما أدليت به من تصريحات اثر العملية قد نشر في الصحف البريطانية ، وتجدون طيـه صورا لما نشرته الصحف ، ولست بطبيعة الحال مسؤولا عن اي تشويه او اقتطاف مشوه لما يمكن أن أصرح به ، لست مسؤولا مثلا اذا كانت اذاعة لندن تختار من تصريحي جزءا خاصا للمستمعين العرب ، وجزءا آخر للمستمعين البريطانيين . ولست مسؤولا اذا كانت صحيفة النهار لا تأخذ من رسالتي التي نشرتها التايمز عن ايلول الاسود سوى جزء صغير وتضعه تحت عنوان : « ممثل منظمة التحرير في لندن يعلن : لا علاقة للمقاومة بأيلول الاسود » . وان كنت متأكدا ان واجب الاعلام الفلسطيني توضيـح مواقف مندوبيه قبل اتخاذ مواقف منهم .

٣ ــ لم أتسلم اية تعليمات من منظمة التحرير ، بصفتي ملحقها الاعلامي في مكتب الجامعة العربية بلندن ، تفيد بتبني المنظمة للعمليـة او باستياء المنظمة لموقفي الاعلامي من العملية . وتقديري ان المنظمة بعد اطلاعها علـى ما نشرتـه الصحف البريطانية من تصريحات لي بشأن العملية لم تجد في موقفي الاعلامي اي خروج عن الخط السياسي والاعلامي لها ، والمستند الى الميثاق ومقررات المجالس الوطنية .

٤ ــ ان ما جاء في صحيفتكم وفي بعض الصحف العربية قد أصابني والشباب العربي والفلسطيني هنا بالذهول وبخيبة الامل ، في وقت نتلقى فيـه التهديدات من الصهاينة ونأمل بمساندة من مصادر الاعلام الفلسطيني .

أود أخيرا أن أوضح بموضوعية ، أن القارىء ، في بريطانيا على الاقل ، قد تعود ان يأخذ ما تنشره شؤون فلسطينية بدرجة عالية من الجدية ، هذا الى جانب حقيقة أن شؤون فلسطينية تجمع نخبة جيدة من الاقلام الفلسطينية ، والمفروض ان يكون هذا دافعا للسيد « ب. ح » لان يبذل بعض الجهد في التحري عن الاخبار ومصادرهـا قبل اطلاق احكامه .

سعيد الحمامي

الملحق الاعلامي لمنظمة التحرير

في مكتب الجامعة العربية ــ لندن

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

في مراجعة التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي لا بد من البدء بالاشارة الى اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم ابرامه في باريس في أواخر شهر كانون الثاني بين الولايات المتحدة ونظام ثيو في سايغون من جهة وبين الحكومة الثورية المؤقتة (جبهة التحرير) وفيتنام الديمقراطية من جهة أخرى . وقد مثل الاتفاق انتصارا للثورة الفيتنامية اذ تضمن كل المطالب الاساسية التي قاتل من اجلها الشعب الفيتنامي كما هي معروضة في مشروع السلام الذي تقدمت به الجبهة بتاريخ ٨ أيار ١٩٦٩ . ومن ناحية أخرى مثل اتفاق وقف اطلاق النار بالنسبة للجانب الامريكي استمرارا للمراهنة على سياسة الفيتنمة الشهيرة مع دفعها الى نتائجها القصوى بمعنى ان الاتفاق يؤدي الى اخراج جميع القوات الاجنبية من فيتنام ويضع حدا للعدوان الامريكي على البلاد وللتدخل المباشر في شؤونها الداخلية مع الاعتماد على النظام السايغوني العميل المدجج بالسلاح ليقوم هو بالتصدي للثورة الفيتنامية وعرقلة مجهودات توحيد البلاد وحماية المصالح الامبريالية في الهند الصينية. ان الهزيمة التي أوصلت امريكا الى توقيع اتفاق يعطي جبهة التحرير كل مطالبها المعلنة تقريبا لا يعني ان الحكومة الامريكية قد تخلت عن سياسة الفيتنمة ان كان في الهند الصينية او في غيرها من بقاع العالم بما فيها الشرق الاوسط ، بل يعني المزيد من التمسك بهذه السياسة باعتبارها البديل الوحيد المتوفر لسياسة التدخل الامريكي المباشر ضد الحركات التحررية . في الواقع تكتسب سياسة الفيتنمة اهمية اضافية وجديدة حول العالم نتيجة لما حدث في فيتنام ولاضطرار الامبريالية الامريكية الى تبديل أسلوبها التدخلي الفج في الوقت الحاضر . وقد أشار الرئيس نيكسون الى سيادة هذا الاتجاه الجديد في السياسة الامبريالية الامريكية في الخطاب الذي القاه بمناسبة تنصيبه رئيسا لبلاده (٢١ كانون الثاني ١٩٧٣) بقوله « ان الزمن الذي كانت فيه الولايات المتحدة تجعل من نزاع كل دولة نزاعها قد ولى » . كما بين في الوقت نفسه ان هذا الكلام لا يعني اي تخل من قبل حكومته عن مطامح فرض « السلام الامريكي » و« الحرية الامريكية » على العالم اذ قال بوضوح « ما لم نعمل نحن في امريكا على حفظ السلام فلن يتحقق هذا السلام وما لم نعمل نحن في امريكا على حفظ الحرية فلن تكون هناك حرية » . وعليه تحتم نقل مسؤولية التعامل مع النزاعات المشار اليها في خطاب نيكسون الى قوى اقليمية قوية موالية للامبريالية مثل الرجعيات المحلية والانظمة العميلة والدول التابعة بعد تقويتها وتسليحها ، وتحديث اجهزتها العسكرية والبوليسية لتقوم بالدور القمعي المعتاد للثورة المضادة بكامله وبدون الاضطرار للاستعانة بأية قوات امريكية او اجنبية مهما كان نوعها . وقد اشار نيكسون في خطابه المذكور اعلاه الى هذا المنحى بقوله « سنحترم التعهدات التي تلزمنا بها معاهداتنا (مع الانظمة القمعية العميلة) وسنقوم بدورنا في الدفاع عن السلام والحرية في العالم لكننا ننتظر ان يقوم الاخرون بدورهم ايضا ... وعلينا ان ندرك الطبيعة الجديدة لدور امريكا نتيجة للسياسة الجديدة التي مرنا عليها في السنوات الاربع الاخيرة » .

ان الاثر الرئيسي لانسحاب امريكا من فيتنام على الشرق الاوسط سيكون التركيز على دعم قلاع الرجعية والامبريالية في المنطقة وعلى راسها اسرائيل والانظمة الملكية في الاردن وايران بالاضافة الى تعزيز القوى الرجعية المحلية ، كي توفر امريكا على نفسها مشقة الاضطرار الى التدخل المباشر والسافر لقمع اي نهوض ثوري محتمل في المنطقة . وواضح ان هذا التطبيق لسياسة الفيتنمة سيضع كل القوى الثورية والتحررية في بلادنا في مواجهة اقسى وأشد وأكثر مباشرة مما جرت عليه العادة في السابق مع الرجعيات المحلية والانظمة العربية المرتبطة بالامبريالية . ومن الملاحظ ايضا ان اتفاق وقف اطلاق النار الفيتنامي قد ادى الى سيطرة اجواء الترقب الملتهف على الصعيدين العربي الرسمي وشبه الرسمي لان يكون النزاع العربي الاسرائيلي البند الثاني بعد الفيتنام على جدول اعمال الرئيس نيكسون وحكومته . في الواقع هناك جهود عربية سياسية ودبلوماسية تبذل في الوقت الحاضر لاقناع كل من يعنيه الامر بضرورة قيام الولايات المتحدة باعطاء الاولوية المطلقة لقضية الشرق الاوسط بعد « انتهاء تورطها في الحرب الفيتنامية » وانتقالها الى وضع جديد « يسمح لها

باطلاق مبادرة جديدة لتسوية النزاع في منطقتنا نهائيا ودبلوماسيا » . وقد اخذت هذه الجهود اشكالا متعددة وبرزت من خلال تحركات مختلفة كان اهمها :

(١) التصريح الذي أدلى به وزير خارجية مصر محمد حسن الزيات اثناء زيارته لروما في اوائل شهر شباط حيث اعلن ان « مصر ترفض الحرب والعنف وتريد الخروج من حالة الحرب المفروضة عليها لان ثمن العنف باهظ جدا بالنسبة الى بلد يرغب في التقدم والنمو مثل مصر » . كذلك قوله « اذا كانت اسرائيل مستعدة للاعتراف بحقوقنا الشرعية فاننا مستعدون لان نخطو خطوتين لا خطوة واحدة نحوها لان مصر لن تقبل حلا مفروضا بقوة السلاح » . واتهم السياسة الاسرائيلية بالعمل على وضع مصر في مأزق بحيث تجني اسرائيل كل المساعدات الغربية والتأييد الغربي عن طريق طرح نفسها كحامية لمصالح الغرب في المنطقة بينما « لا يبقى امام مصر الا ان ترمي نفسها في احضان السوفيات » . وفي الوقت نفسه كان وزير خارجية ايطاليا يقوم بجولة في عدد من العواصم العربية الرئيسية (جدة والقاهرة وبيروت) حيث شدد في تصريحاته على ضرورة « القيام بعمل سريع ونشيط لبدء المفاوضات السياسية » من اجل تسوية النزاع في الشرق الاوسط خاصة وان « اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام والانفراج في اوروبا جعلا النزاع العربي الاسرائيلي المصدر الوحيد المتبقي في العالم لخطر الحرب » .

(٢) التقارب الذي حدث بين الاردن من ناحية وبعض الانظمة العربية من ناحية ثانية قبل سفر الملك حسين الى واشنطن لمقابلة الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين الامريكيين . وقد تم تبادل رسائل بين الملك حسين وبعض الرؤساء العرب المعنيين في النصف الاول من شهر كانون الثاني ، عبر ممثلين كبار تنقلوا بين العواصم العربية المعنية لهذا الغرض ، واستقبل الملك الممثل الشخصي للرئيس السادات . وذكرت الانباء ان التشديد في كل هذه الاتصالات كان على وجوب التفاهم بين العرب وعدم الظهور في مظهر المختلفين امام العالم الخارجي في هذه الفترة الحرجة ، كما تطرقت الرسائل الى المهمة التي سيقوم بها الملك حسين في واشنطن . وقد اعلن الرئيس السادات، بصدد تحسن العلاقات مع النظام الملكي في الاردن ، بأنه تلقى ضمانات من الملك حسين بأن الاردن لن يعقد اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل وان الملك أعرب عن رغبته بزيارة القاهرة . وعلى اثر هذا التقارب قامت محاولة من قبل عدد من الدول العربية للتوسط مجددا بين حركة المقاومة الفلسطينية والملك حسين عبر لجنة سباعية انبثقت عن اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك الذي انعقد في القاهرة في الاسبوع الاخير من شهر كانون الثاني . وتهدف هذه الوساطة الى اقناع الملك بالسماح لحركة المقاومة بالعودة الى الاردن من اجل احياء الجبهة الشرقية .

(٣) تصريحات الملك حسين الكثيفة قبل سفره الى واشنطن حول مستقبل النزاع العربي الاسرائيلي وأسلوب تسويته . ذكر الملك انه ذاهب الى واشنطن ليتحدث باسمه وباسم الاردن وباسم الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة ، ولكنه لن يتكلم باسم بقية الحكومات العربية « الا فيما يخدم الاهداف المشتركة والمصلحة الحقيقية لقضيتنا » . وقد شدد في كلامه على « ان الدول الكبرى ستركز جهودها في وقت قريب على تسوية ازمة الشرق الاوسط في نطاق مساعيها لازالة اسباب الخطر على السلام العالمي » . ثم ضرب أمثلة بما حدث للمشكلة الالمانية والمشكلة الكورية والحرب الفيتنامية ، وقال « ان دور مشاكل منطقتنا وقضيتنا بات قريبا كي تحظى بالتركيز الدولي المؤثر لانها منطقة استراتيجية حساسة كما انها غنية بمصادر الطاقة النفطية ومشتقاتها » . وفي مقال كتبه الملك باللغة الانكليزية ووزعته وكالات الانباء العالمية (٣ شباط ١٩٧٣) حوّل قضية القدس من مسألة سياسية تحررية الى مشكلة دينية عن طريق الدعوة الى عقد مؤتمر للزعماء الروحيين المسيحيين والمسلمين واليهود لبحث مستقبل المدينة . كما أوضح تفسيره لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بقوله ان قبول القرار عربيا يعني « قبول واقع سياسي رفضنا قبوله وحاربنا لمنعه طوال ربع قرن : انه واقع اسرائيل . ان القرار يدعونا الى تغيير هذا الموقف والقبول ليس بوجود اسرائيل فحسب بل بدولة اسرائيلية ضمن حدود آمنة ومعترف بها . وقد وافقت مصر والاردن على هذا الامر » واضاف الملك قائلا في ايضاح الموقف العربي الرسمي الحالي من مسألة التسوية السياسية ، بأن « العرب ما زالوا ينتظرون دولة أخرى كي تقف وراء قرار مجلس الامن علانية وبصورة قوية وهي الولايات

المتحدة بنفوذها لدى كل من الطرفين العربي والاسرائيلي . » و« العرب مقتنعون انه عندما نصبح الولايات المتحدة مستعدة لتأييد قرار مجلس الامن واقناع اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتلة ، في مقابل حدود آمنة ومعترف بها ، سيتم تجاوز كل العقبات الاخرى التي تقف في وجه التسوية السلمية بسهولة ، اذ ان صداقة امريكا لاسرائيل تقتصر على بقاء اسرائيل ولا تمتد لتشمل اعمالها التوسعية . »

وفي مقابلة مع شبكة التلفزيون الامريكية ان بي سي (٢١ كانون الثاني ١٩٧٣) أيد الملك حسين مساعي امريكا من اجل تحقيق تسوية جزئية بين مصر واسرائيل تؤدي الى اعادة فتح قناة السويس ، شرط ان تكون الخطوة الاولى نحو حل شامل للنزاع . وتعطينا هذه التصريحات لمحة عن الافكار التي حملها الملك معه الى واشنطن والتي تباحث على أساسها مع الرئيس نيكسون .

(٤) الزيارة التي قام بها الامير فهد بن عبدالعزيز للبيت الابيض ممهدا الطريق لمقابلة الملك حسين مع نيكسون . وفي الوقت نفسه كان الامير سلطان وزير الدفاع السعودي يقابل الملك حسين في عمان حيث تناولا بالبحث « أزمة الشرق الاوسط » على ضوء زيارة الامير فهد المذكورة وزيارة الملك حسين المقبلة لواشنطن . ويبدو انه كان قد تم الاتفاق على اجراء كل هذه الاتصالات وترتيبها بين الملك حسين والملك فيصل في الاجتماع الذي عقداه سابقا في الرياض . وذكرت مصادر صحفية موثوقة ان من أهداف زيارة الامير فهد للولايات المتحدة التأكيد أمام المسؤولين هناك على أهمية زيارة الملك حسين بالنسبة لايجاد تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي وعلى ضرورة الاهتمام بما سيتوله الملك خاصة وانه يعبر عن موقف السعودية ووجهة نظرها ايضا .

(٥) الزيارة التي قام بها الملك حسين للبيت الابيض في الاسبوع الاول من شباط ١٩٧٣ حيث قابل الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين في وزارتي الخارجية والدفاع وفي مجلسي الشيوخ والنواب . وقد اعطى المراقبون السياسيون في الغرب اهمية خاصة لهذه الزيارة لان نيكسون سيستقبل غولدا مائير في اوائل شهر آذار المقبل لاجراء محادثات مماثلة حول الوضع في الشرق الاوسط مما يطرح امكانية ان تكون محادثات الملك في واشنطن المرحلة الاولى في المبادرة الامريكية المنتظرة لايجاد تسوية سلمية للنزاع في المنطقة ، خاصة وان الملك كان قد اخذ وعدا سابقا من الرئيس الامريكي بتحريك قضية الشرق الاوسط بعد توقيع اتفاق وقف أطلاق النار مع هانوي مباشرة . وذكرت مصادر صحفية امريكية ان نيكسون اجتمع بالسفير الاسرائيلي قبل وصول الملك حسين واخبره بأنه يأمل في ان تحضر غولدا مائير معها بعض « الافكار الجديدة » التي من شأنها اتاحة الفرصة لبدء محادثات جدية بين مصر واسرائيل . كما قال نيكسون للملك حسين « ان هذا الشهر هو شهر الشرق الاوسط ، انتم اليوم والسيدة مائير في آذار » . وتبين من تصريحات الناطق باسم البيت الابيض ان المحادثات تناولت بصورة رئيسية : (١) مسألة التسوية السياسية للنزاع العربي الاسرائيلي، (٢) استمرار الولايات المتحدة في تسليح الجيش الملكي ودعمه وتحديثه ، (٣) المساعدات المالية والاقتصادية الامريكية للاردن. بالنسبة للمساعدات العسكرية والاقتصادية صرح الملك اثناء وجوده في واشنطن ان الاردن سيحصل قريبا على حوالي ٣٠ طائرة من نوع نورثروب ف — ٥ من اجل تقوية سلاح الطيران وتحديثه ، وعلى المزيد من الاسلحة والمعدات الحربية بهدف تحسين قوات جيشه الارضية بالنسبة لقدرتها على الحركة ولقدرتها النارية (الهيرالد تريبيون ، ٩ شباط ١٩٧٣) . كما أعلن الناطق باسم البيت الابيض ان الرئيس نيكسون اكد للملك دعم الولايات المتحدة الحازم لمشاريع الاردن في التنمية الاقتصادية وبرامج تحديث الجيش (المرجع السابق) . وطلب الملك من نيكسون مشاركة الولايات المتحدة في تمويل بعض مشاريع خطة التنمية المطروحة حاليا في الاردن .

اما بالنسبة لمسألة التسوية السياسية فقد صرح الناطق بأن « الرئيس نيكسون أكد للملك اهتمام الولايات المتحدة باحراز تقدم نحو سلام يجري التفاوض عليه في الشرق الاوسط » . أي ان الموقف الامريكي ما زال يربط التسوية السلمية بالمفاوضات مع اسرائيل . وفي المقابلة الصحفيةالتي أجراها الملك في واشنطن ذكر انه متفائل بالنسبة « لامكانات تحقيق تسوية سلمية في الشرق الاوسط بعد وقف اطلاق النار في فيتنام بسبب امكان قيام الدول الكبرى الان بدور أهم في المفاوضات » . كما أوضح بصورة علنية « انه على استعداد للدخول في مفاوضات حول اتفاق منفصل مع اسرائيل اذا تم الوصول الى تفاهم مسبق حول المبادىء العامة

لهذا الاتفاق وخاصة فيما يتعلق بوضع القدس » («هيرالد تريبيون» ، ٩ شباط ١٩٧٣) . وفي خبر وزعته « الاسوشيتدبرس » ذكرت « ان الملك اعاد تأكيد هذا الموقف أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ حيث قال بأنه على استعداد للدخول في مفاوضات سلام منفصلة مع اسرائيل بدون انتظار مصر » (المرجع السابق) .

ومن الانباء الملفتة للانتباه التي ترددت حول زيارة الملك (« لوموند » ٦ شباط ١٩٧٣) : (١) قبوله بتفسير مرن لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يسمح بتعديلات طفيفة على الحدود يتم التفاوض على مداها مع اسرائيل ، وتفهمه حرص القادة الاسرائيليين الشديد على أمن دولتهم مما جعل الملك يقبل بالسماح لمستوطنات الناحال شبه العسكرية بالبقاء حيث هي بعد الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة وذلك لمدة يتم الاتفاق حولها مع الحكومة الاسرائيلية . (٢) استعداد الملك لتقديم المزيد من التنازلات بالنسبة للقدس بحيث لا يصر بعد الان على عودة المدينة القديمة بكاملها الى الاردن ويكتفي بالحي الاسلامي والحي المسيحي حيث توجد الاماكن المقدسة بينما تحتفظ اسرائيل ببقية المدينة (الحي الارمني والحي اليهودي) . وعلقت هذه المصادر الصحفية انه من المرجح ان يكتفي الملك حسين ، في نهاية المطاف ، بالحي الاسلامي وحده ليكون عاصمة الشطر الفلسطيني من مملكته العربية المتحدة . (٣) تأكيد الملك للمسؤولين الاسرائيليين بأنه يريد الدخول في مفاوضات رسمية حالما يتم تقريب وجهات النظر بما فيه الكفاية بين الطرفين بما يسمح بنجاح المفاوضات ، على خلاف ما اعلنه في تصريحاته العربية، كما اوضح انه على استعداد لعقد معاهدة سلام منفصلة مع اسرائيل . وقد قال هذا الشيء صراحة في المقابلة الصحفية التي اجراها في امريكا وامام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي . ويعتبر الملك ان مثل هذا « الاقدام الاردني » سيمهد الطريق أمام الدول العربية الاخرى للدخول في تسوية سياسية مع اسرائيل . وتشير الانباء الصحفية بهذا الصدد الى مقابلة صحفية جرت منذ فترة قصيرة مع المجلة الاسبوعية الاميركية « يو اس نيوز اند ورلد ريبورت » حيث قال الملك حسين « اذا تم التوصل الى تسوية مقبولة للنزاع بين الاردن واسرائيل فان حل مشاكل اسرائيل مع بقية الدول العربية سيصبح اسهل نسبيا . » (« لوموند » ٦ شباط ١٩٧٣) . (٤) ان الملك يعتبر نفسه في زيارته لواشنطن ممثل الاكثرية العربية الصامتة والمتحدث غير الرسمي باسم الزعماء العرب امام الرئيس نيكسون . ومع انتهاء الجانب الرسمي من زيارته قال الملك في تقييم الزيارة ان محادثاته مع الرئيس نيكسون والمسؤولين الامريكيين كانت ودية وصريحة وانه متفائل بالنسبة للمستقبل لان « العالم يسعى نحو حل المشاكل المستعصية وازالة اسباب التوتر وكل العوارض التي تهدد السلام العالمي ، ولان الدول الكبرى كلها وليس الولايات المتحدة فحسب ترغب رغبة أكيدة في التركيز على قضايا الشرق الاوسط من اجل تحقيق حل نهائي للنزاع القائم . » كما اكد الملك « أنه سيبلغ المسؤولين في سوريا ومصر ما لمسه من اهتمام حقيقي بقضية الشرق الاوسط في الولايات المتحدة . » وعلى هامش زيارته صرحت جولدا مائير انها ستبحث مع الرئيس نيكسون خلال اجتماعها به في آذار المقبل قضية التوصل الى تسوية جزئية مع مصر لاعادة فتح قناة السويس . كما صرح دايان ان زيارة الملك تشكل « خطوة ايجابية » وانه « يأمل في ان يصبح موعد الحل اقرب بعد عودته من واشنطن . » واضاف ان افضل وسيط لاجراء المفاوضات هو حكومة الولايات المتحدة التي « ستبذل كل جهد ممكن لجمع الفرقاء من اجل اجراء مفاوضات مثمرة . »

اما بالنسبة للمبادرة الامريكية المنتظرة التي قيل عنها الكثير فلم يتبلور اي شيء واضح او جدي حولها أو عنها حتى الان . ويبدو ان الكلام عن هذه المبادرة في الوقت الحاضر يدخل ضمن نطاق التكتيك الذي مارسته الحكومة الامريكية مع الدول العربية حيث لجأت اكثر من مرة الى الايحاءات بالاستعداد للتحرك لاخراج الازمة من المأزق الواقعة فيه ولكن بدون ان تتحرك بالفعل . وعلى الرغم من جميع الايحاءات التي صدرت مؤخرا تشير كل الدلائل الى ان الموقف الامريكي ما زال على حاله بالنسبة لموضوع التسوية السلمية وكيفية التوصل اليها : التسوية الجزئية لاعادة فتح قناة السويس عبر مفاوضات عربية اسرائيلية بواسطة امريكا وتحت اشرافها . على سبيل المثال صرح الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية في الاسبوع الثاني من شهر كانون الثاني بأن الرئيس نيكسون ووليم روجرز قد أعربا عن رغبتهما

في استئناف الجهود الامريكيسة النشيطة لتسهيل الوصول الى تسوية في الشرق الاوسط . ثم اوضح ان الاعتقاد ما زال سائدا بأن افضل وسيلة لحل المعضلة هو الاقتراح الامريكي الداعي الى التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس . وبعد هذه التصريحات باسبوع اكد وليم روجرز بنفسه هذا الموقف من جديد في خطاب القساه في حفل تكريم للسفير الاسرائيلي في واشنطن حيث لجأ روجرز الى أسلوب الايحاءات المذكور بقوله انه ينبغي اغتنام كل الفرص المتاحة هذا العام لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الذي وصلت اليه والتقدم نحو السلام ، وبتأكيده عزم الولايات المتحدة على القيام بدور ناشط في دبلوماسية الشرق الاوسط . ولكن عندما افصح روجرز عن أهداف هــذا النشاط الامريكي تبين انه لا يتعدى العمل على « ايجاد تسوية جزئية لاعادة فتح قناة السويس باعتبار ان هذه التسوية هي الخطوة الواقعية الاولى على طريق السلام . » ودعا الوزير الامريكي مصر ، بصورة غير مباشرة ، للدخول في مفاوضات مع اسرائيل لهذا الغرض بقوله « ان قرار الدخول في المفاوضات لا يحتاج الى اي تغيير في الاهداف والسياسات . » كما طمأنها بقوله لن التسوية الجزئية لن تكون نهاية الرحلة بل ستفتح الطريق أمام تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكونهـــا خطوة أولى حاسمة تسهل المفاوضات اللازمـــة لتطبيق القرار الذي تصر مصر على تنفيذه .

وعلى صعيد آخر عادت الحكومة الامريكية الـــى ايضاح موقفها المعروف من مدينة القدس ووضعها ومستقبلها عبر رسالة بعث بها احد مساعدي وزير الخارجية الامريكي الى رئيس لجنة الشرق الادنى الفرعية التابعة للكونغرس . وقد جاء في الرسالة ان الحكومة الامريكية تعتقد بأن حل قضية القدس يجب ان يستند الى بقائها مدينة موحدة ضمن نطاق تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي يتوصل اليها الفرقاء المعنيون بالنزاع . ولا تعترف الحكومة الامريكية بسيادة اسرائيل على شرقي مدينة القدس وتعتبره واقعا تحت الاحتلال العسكري . وواضح ان الموقف الامريكي مـــن القدس مركب بطريقـــة تخدم الموقف الامريكي العام من النزاع في المنطقة، اي الدعوة الى تسوية كل القضايا عـــن طريق المفاوضات بين الدول العربية المعنية واسرائيل ، وبما أن موازين القوى مختلة بصورة حاسمة لصالح اسرائيل والامبريالية لا مانع عند الولايات المتحدة من القبول بنتائج هذه المفاوضـــات لانها معروفة سلفا . وفي الواقع لخص ابا ايبان وضع السياسة الامريكية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي أحسن تلخيص بقوله ان هذه السياسة لن تتغير « لانها لم تحقق حتى الان الا النجاحات . اذ استطاعت الولايات المتحدة ان تحصل على وقف لاطلاق النار في المنطقة وعلى رحيل الخبراء العسكريين السوفيات من مصر بدون أن يتعرض مركزها لاي ضرر في الدول العربية . »

بالنسبة للعلاقات السوفياتية ـــ العربية (ومصر بصورة رئيسية) فقـــد استمرت في التأرجح بين الفتور الذي خيم عليها منذ فترة وبين الميل نحو التحسن البطيء والمحدود . على سبيل المثـــال أوردت « اليونايتدبرس » خبـــرا منسوبا الـــى مصادر سياسية مطلعة في مصر ان الســــفير السوفياتي فشل في مقابلة الرئيس السادات خلال الاسابيع الثلاثة الاولى من شهر كانون الثـــاني بالرغم عن محاولته التوصل الى ذلك كل تلك الفترة . ولكن عشية سفر حافظ اسماعيل الى موسكو استقبل الرئيس السادات السفـــــير السوفياتي (في اواخر كانون الثاني) في أول لقاء بينهما منذ اخراج المستشارين السوفيات من مصر في تموز ١٩٧٢ . وفي اوائل شباط شنت الصحافة السوفياتية (« برافدا » و « الازمنة الحديثة ») حملة قوية على المملكة العربية السعودية وعلى « سياستها الرجعية في المنطقة وعلى سعيها لتكون الركيزة الرئيسية لكل القوى الرجعية العربية ». كما تعرضت الحملة الى الاوضاع الاجتماعية في مصر. وجدير بالذكر ان نقدا سوفياتيا كان قد تم توجيهه منذ فترة قريبة الى الرئيس معمر القذافي بسبب مواقفه المعادية للشيوعية . لكن مع ذلك عادت العلاقات المصرية السوفياتية للاتجاه نحو التحسن قليلا . ففي خضم الكلام الكثير عن المبادرة الامريكية المنتظرة لتسوية النزاع في المنطقة وعن زيارة الملك حسين للبيت الابيض أعلن الاتحاد السوفياتي معارضته لكل تسوية جزئية للنزاع تتم بين مصر واسرائيل من جهة وبين الاردن واسرائيل من جهة اخرى وهذا ما تسعى اليه امريكا .

وفي اوائل شهر شباط سافر حافظ اسماعيل ، مستشار رئيس الجمهورية لشؤون الامن القومي ، الى موسكو حاملا رسالة من السادات الى الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف وقابل المبعوث المصري

وزير الخارجية السوفياتية وبعد ذلك استقبله بريجنيف في اجتماع غير متوقع استمر ٥ ساعات . وهذه هي المرة الاولى التي يستقبل فيها الزعيم السوفياتي مسؤولا مصريا منذ ابعاد المستشارين والخبراء السوفيات عن مصر . وجدير بالذكر ان رئيس الوزراء عزيز صدقي لم يقابل بريجنيف في زيارته الاخيرة لموسكو . ويبدو ان محادثات حافظ اسماعيل السوفياتية تناولت : (١) مواقف كل من البلدين من النزاع في الشرق الاوسط . (٢) المساعي الامريكية الجارية حاليا لتسوية النزاع في المنطقة. (٣) مهمة يارينغ. (٤) مشروع الامين العام لهيئة الامم المتحدة فالدهايم بعقد مؤتمر دولي حول ازمة الشرق الاوسط . (٥) العلاقات المصرية السوفياتية . وصدر بيان صحفي على اثر الزيارة اشار الى : (أ) التفاهم المصري السوفياتي بصدد رفض مشروع التسوية الجزئية والاصرار على ضرورة التوصل الى تسوية كاملة للنزاع في الشرق الاوسط. (ب) تأكيد الطرف السوفياتي من جديد انه يحق للدول العربية استخدام كل اشكال النضال من أجل تحرير اراضيها المحتلة ، وهو ما كانت تردده البيانات السوفياتية المصرية المشتركة قبل نشوب الازمة الاخيرة بين البلدين . (ج) التشديد على ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي المحتلة وتأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين كشرطين اساسيين لاقرار سلام عادل وراسخ في المنطقة . (د) تأكيد الجانب السوفياتي استمرار تأييده السياسي والاقتصادي والعسكري لمصر وفقا لبنود معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين البلدين عام ١٩٧١ . وقد وصف حافظ اسماعيل محادثاته في موسكو بأنها كانت « مهمة جدا وستكون لها ذيول في المستقبل القريب » . كما حمل معه رسالة من بريجنيف الى السادات . من المتعذر الان التوصل الى تقييم موضوعي لاهمية زيارة حافظ اسماعيل لموسكو خاصة انه تم توقيتها مع زيارة الملك حسين لواشنطن . ولا بد ان نذكر ان الملك اوحى بشكل واضح انه سيتكلم باسم « العرب » في محادثاته مع نيكسون . فهل كان بعض المقصود من رحلة حافظ اسماعيل منع الموازين العربية الرسمية من الاختلال كليا لصالح الولايات المتحدة بسبب زيارة الملك حسين وما انطوت عليه من تنازلات امام الامبريالية واسرائيل ؟ أم انها جاءت كجزء من الحملة الدبلوماسية الكبيرة التي تحاول مصر شنها لدى الدول الكبرى بعد وقف اطلاق النار في فيتنام لجذب اهتمام هذه الدول بشكل جدي الى النزاع في منطقتنا والى ضرورة احراز بعض التقدم باتجاه حله سلميا في أقرب وقت ممكن ؟

وفي هيئة الامم يبدو ان الامين العام فالدهايم سيؤجل القيام بأية مبادرة لكسر طوق المأزق الحالي في ازمة الشرق الاوسط الى ان تتضح نتيجة المشاورات التي يجريها الرئيس نيكسون مع الطرف العربي والاسرائيلي حول الموضوع ، وما سيجد بالنسبة لمشروع محادثات الجوار المطروح منذ فترة من قبل امريكا .

صادق جلال العظم

ملحقـــان . .

الملحق الاول : فيتنام وفلسطين

طلبت شؤون فلسطينية من السيد كين ميركورد ، الاميركي الجنسية الـذي رفض الخدمة العسكرية في فيتنام لاعتبارات عقائدية ، ان يكتب ملاحظاته عن تأثير اتفاقية وقف اطلاق النار في فيتنام على الوضع في الشرق الاوسط .

يسود فيتنام وقف اطلاق نار هش . والى أن يبين المستقبل ما اذا كان وقف النار سيتحول الى سلام دائم ، او ينهار ويعود القصف الاميركي ، يتنفس العالم الصعداء ، الى حين على الاقل ، لان النزاع الاطول والاكثر دموية منذ الحـرب العالمية الثانية ، قد انتهي على ما يبدو . ومـع انتهاء العدوان الاميركي في فيتنـام ، ستركـز الولايات المتحدة المزيد من الاهتمام علـى الشرق الاوسط . ولذلك من الحكمة ، أن يأخذ العـالم العربي في الاعتبار أي مغزى يحمله تغير موقف الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا للنـزاع العربي الاسرائيلي .

من المغري عقد مقارنات بين الوضع في جنوب شرقي آسيا والوضع في الشرق الاوسط بحيث تقـوم اسرائيل بدور جنوب فيتنام الجنرال ثيو ، والمقاومة الفلسطينية بدور الفيتكونغ ، ولبنان بدور كمبوديا ما قبل لون نول ، ودمشق بدور هانوي وهكذا . ورغم ان المقارنة بين الوضعين غير دقيقة ، فان مجرد امكانية عقد مقارنات يكشف توازيا معينـا بين الحرب في فيتنام والنزاع العربي الاسرائيلي . ففي النهاية يشكل جنوب شرقي آسيا والشـرق الاوسط جزءا من استراتيجية اميركية تشمل الكرة الارضية ، وصانعو السياسة الذيـن يقـررون سياسة الولايات المتحدة في الاولى يفعلون الشيء ذاته في الاخرى .

ان وعي هذه الحقيقة هو الذي قاد كثيرا مـن القادة الاسرائيليين ليعلنوا صراحة تأييدهم للرئيس نيكسون في معركته الانتخابية في الخريف الماضي . ان نيكسون يمثل جناح الصقور في السيـاسة الاميركية ، جناح اولئك الذين يفضلون سياسـة « الشدة » تجاه بقية العالم بصورة عامة وشعوب العالم الثالث بصورة خاصة . ان الخط المتصلب الذي يدعو له اولئك الصقور في فيتنام ، يجـري تطبيق نسخة عنه في الشرق الاوسط . حيث يؤيدون استمرار الدعم العسكري لاسرائيـل ويرفضـون الاعتراف بوجود الفلسطينيين . اما جناح الحمائم في السياسة الاميركية ، الذي يمثله ماكغفرن ، فيفضل فك ارتباط الولايات المتحدة من التزاماتها العسكرية فيما وراء البحار . ومن هنـا كـان ماكغفرن مبغوضا من قبل الصقور الاسرائيليين رغم اعلانه تأيده لاسرائيل ودعمه لسياستها التوسعية ورغبته في مدها بالمساعدات التي تطلبها .

والان ، وقد أوفى نيكسون بتعهدات مـاكغفرن الانتخابية ، منهيا بذلك التورط الاميركي في فيتنام، يمكن السؤال فيما اذا كان نيكسون نفسه قـد أصبح حمائميا .

تحمل اتفـاقية وقف النـار التي توصـل اليهـا في باريس ، الامل بأن واقعية جديـدة تسـود واشنطن ، وهي واقعية تجلت سابقا في الوفاق مع روسيا وفي رحلة نيكسون الى الصين فـي الربيع الماضي .

فاذا كانت عقلية كهذه ، راغبة في مواجهة الحقائق غير السارة وتقبل التطلعات القومية للدول الناشئة، تحكم الان دوائر السياسة الخارجية الاميركية ، فان بامكانها ان تقود الى سياسة اميركية جديـدة أكثر مراعاة للتوازن في الشرق الاوسط .

ولسوء الحظ ، لا يوجد أساس قوي لهذا التفاؤل. ان للخطب الافتتاحية سمعة سيئة من حيث كونهـا دليلا للتفكير الحقيقي للرؤساء الاميركيين . ومـن المفيد أن نتذكر ان نيكسون ظل يتكلم عن تبنـي الولايات المتحدة « موقفا اكثر تواضعا » فـي الشؤون العالمية منذ استلامه للسلطة . والتسوية الفيتنامية ، في النهاية ، ليست دليلا على الروح المحبة للسلام لادارة نيكسون . ان المعارضـة للحرب ، رغم انها ليست صاخبة بالدرجة نفسها التي كانت عليها ايام احتجاجات الطلبـة فـي الجامعات ، الا أنها كانت تتزايد . ولـو أن نيكسون لم ينه التورط الاميركي في الفيتنـام ، بطريقة او باخرى ، لكان من المؤكد ، على مـا

يبدو ، ان يتخذ الكونغرس اجراء لقطع المخصصات اللازمة للحرب . وبالاضافة ، فان اتفاقية وقف النار لم تغير ، بأي حال ، المركز الاستراتيجي للولايات المتحدة في جنوب شرقي آسيا . فالقواعد الجوية الاميركية في تايلاند لا زالت كما هي ، ويستمر الاسطول السابع في التطواف مقابل شواطىء الفيتنام على مسافة تتيح له بسهولة ضرب هانوي وهايفونغ . ان انسحاب القوات الاميركية من فيتنام ، كما نصت عليه اتفاقية وقف النار ، لا يمثل تنازلا من جانب الولايات المتحدة ، اذ أنه كان امرا محتوما منذ توقف الحشد الكثيف للقوات البرية الاميركية في فيتنام عام ١٩٦٨ . وكما أن السحب التدريجي للقوات الاميركية على مدى السنوات الاربع الماضية ، قد جرى التعويض عنه وما هو أكثر من التعويض ، بالاستعمال المتزايد للقوة الجوية الاميركية ، فان اتفاقية وقف النار تمثل تغييرا في تكتيك الولايات المتحدة وليس في الاستراتيجية الكامنة وراءه . وكما لو كانت محاولته الوحشية لقصف فيتنام الشمالية لدفعها للاستسلام قبل التوقيع على اتفاقية وقف النار ، غير كافية لتبين للعالم عدم حصول أي تخفيف من العدوانية الاميركية ، فقد قدم نيكسون الى كونغرس الولايات المتحدة موازنة تتضمن زيادة مقدارها ٥ مليارات دولار للانفاق العسكري ، رغم انتهاء الحرب في فيتنام .

ان المؤشرات الحديثة للموقف الاميركي الراهن تجاه النزاع العربي الاسرائيلي تؤكد عدم حصول اي تغيير في تفكير الولايات المتحدة . ففي ١٧ كانون الثاني دعا وزير الخارجية ، روجرز ، بشكل هزيل ، الى تسوية شرق أوسطية مرحلية ، تبدأ باعادة فتح قناة السويس ، بحيث تظهر واشنطن وكأنها لا زالت تأمل ببعث مشروع روجرز الميت . واذا كانت قد تشكلت لجنة خاصة برئاسة كيسنجر ، كما ذكرت الاهرام ، لدراسة الردود الاميركية الممكنة على التهديدات النفطية العربية ، تكون العقلية القديمة نفسها الداعية للمواجهة تسيطر في واشنطن . حتى الدعوة التي قام بها عدد من الاميركيين البارزين المهتمين بما يسمى بـ « أزمة الطاقة » التي تواجه اميركا ، للولايات المتحدة لتضع الشرق الاوسط في « رأس الاولويات » في سياستها الخارجية ، قد فشلت في تحصيل اية استجابة جديدة من ادارة نيكسون .

من غير الواضح ماذا سيكون الرد عندما تأتي هذه الازمة ، ولكن حقيقة اعتبار الاعتماد المتزايد على نفط الشرق الاوسط بمثابة « ازمة » في الولايات المتحدة يظهر نوعا من جنون العظمة في التفكير الاميركي . لقد عاشت امم صناعية اخرى ، مثل بريطانيا واليابان ، في ظل ظروف كهذه لعشرات السنين دون أن تتصرف وكأن السماء ستسقط . ومن الممكن تصور أن العناوين البارزة التي تعطى للتقارير التي تتحدث عن حوادث نقص وقود مبعثرة عبر الولايات المتحدة خلال هذا الشتاء ، تعلن بداية حملة من قبل دعاة الحرب الاميركيين لتهيئة الشعب الاميركي لتورط عسكري آخر في آسيا ، وهذه المرة لتأييد اسرائيل .

ولكن ، والحالة هذه ، فان التجربة الاميركية في فيتنام يجب أن يكون لها بعض النتائج الايجابية بالنسبة للشعب العربي . لن تتمكن الولايات المتحدة مرة ثانية من شن تدخل طويل وكثيف بقوات برية في العالم الثالث . ان أي تدخل عسكري سيكون بالضرورة على نطاق محدود وقصير الاجل ، فقد نشأت بسبب حرب فيتنام حركة سلم متماسكة متميزة في الولايات المتحدة ، تشكل عائقا في وجه أية مغامرات عسكرية يقوم بها البنتاجون . ان حركة السلم اليوم صامتة ، بشكل يؤسف له ، حول الالام التي يعاني منها الفلسطينيون بسبب دولة اسرائيل العدوانية المدعومة من قبل الولايات المتحدة . والاسوأ من ذلك ، كما بين ماكغفرن خلال حملته لانتخابات الرئاسة ، عندما حاول عبثا كسب الاصوات اليهودية بالمزايدة على نيكسون في دعمه لاسرائيل ، ليتحول كثير من الحمائم فيما يتعلق بفيتنام الى صقور عندما تأتي المسألة الى الشرق الاوسط . على ان المعارضة الكامنة لسياسة اميركية عدوانيةفي الشرق الاوسط تظل راقدة داخل المجتمع الاميركي ، مستعدة للانتفاض للعمل في حالة تدخل الولايات المتحدة مباشرة لدعم اسرائيل .

على الرغم من ذلك ، من المحتمل ان تستمر الولايات المتحدة في امداد اسرائيل بالاسلحة التي تحتاجها لمتابعة سياستها التوسعية . بل ومن الممكن أن تدفع بسلاح الجو الاميركي في حالة الطوارىء للنظر الى الترابط العضوي بين المصالح الاميركية الامبريالية واسرائيل كمخفر امامي لهذه المصالح في المنطقة من مهماته حمايتها والوقوف بوجه اي تحرك عربي ثوري يبغي انهاء

الاستغلال الاميركي للشعوب العربية . ولكن من المؤمل ان تكون تجربة فيتنام قد علمت الولايات المتحدة ، كما علمت الجزائر الفرنسيين وكما علمت السويس البريطانيين ، أن أيام العظمة الامبراطورية الغربية تقترب بسرعة من نهايتها . فاذا كان هذا الدرس قد تعلّم فان صانعي السياسة الاميركيين سيدركون أنهم يتبعون سياسة تقود الى طريق مسدود في الشرق الاوسط ، قبل أن يتعهدوا بالتزامات اكبر تجاه اسرائيل . واذا لم يكونوا قد تعلموا ، فان الرغبة الجامحة لدى عدد متزايد من الاميركيين ، في انهاء الامبريالية الاميركية ستضمن ان الدراما المأساوية التي مثلت في فيتنام عبر السنوات السبع الماضية ، لن تعاد في فلسطين ، باستثناء المشهد الاخير ، حيث الشعب الفلسطيني ، كالشعب الفيتنامي ، يخرج ظافرا .

كين ميركورد

الملحق الثاني

رسالة خاصة من باريس

صورة شهيد فلسطيني في فرنسة عشية الانتخابات

في عشية الانتخابات وفي أي بلد رأسمالي تحكمه الاحتكارات ورؤوس الاموال يرتفع الدعاء والتهليل لاقتناص أصوات المنتخبين اليهود ، ربما لا يرتفع هذا التهليل في فرنسا الى مستوى الصهيل الاميركي ولا الى مستوى التقرب والوعود الالمانية لكنه مع ذلك يترك ظلالا واضحة على الحملة الانتخابية ، لا سيما اذا كانت حملة مستعرة يصل فيها التنافس بين الديغوليين واتحاد اليسار الى أوجه ، يصاحب كل هذا زيارة رئيسة وزراء الحكومة الصهيونية الى فرنسا للاشتراك في الاممية الاشتراكية ! في مثل هذا الوسط الباحث عن الربح توفي الرفيق محمود الهمشري متأثرا بجراحه اثر الانفجار الذي دبرته له باحكام رهيب المخابرات الاسرائيلية ، وعلى الرغم من ردود الافعال المختلفة التي تجلت في الساحة الفرنسية (تظاهرات ، توزيع بيانات ، مؤتمرات صحفية) يمكن القول ان الحدث مر دون أن يأخذ كل أبعاده ، فالقوى السياسية الفاعلة (الديغوليون ، الشيوعيون ، الاشتراكيون) قفزت فوق الحدث لاعتبارات ذاتية او برغماتية بل حاولت ، كما هو حال الحكومة الفرنسية ، انتكبح كل المنطلقات التي يمكن أن تدفع بالحدث الى مسرح الاحداث بشكل جلي . فالتنافس الانتخابي حاول طمس الصورة الفلسطينية من جهة ، ثم جاءت زيارة غولدا ماير لتدفع بكثير من القوى السياسية لاظهار ولائها المباشر مثل زعماء قوى الوسط لوكانييه وجان جاك سرفان شرايبر الذي قاموا بزيارة خاصة لغولدا ماير . والذي دفع في الوقت نفسه زعماء الديغوليين او بعضهم على الاقل لاطلاق موجة تزلف وتقرب من اليهود (كتصريحات مسمير رئيس الوزراء الى الاعيان اليهود حول مساعيه الرامية الى حماية وحصانة اليهود وممتلكاتهم من أي اعتداء وضرر) أضف الى ذلك تصريحات ميتران زعيم الاشتراكيين .

ولمعرفة حدود الصورة الفلسطينية الممثلة بردود الافعال حول اغتيال الرفيق الهمشري يجب تقصي ثلاثة مستويات ، الصورة عند رجل الشارع الفرنسي ، والصورة عند القوى السياسية الفرنسية ، وشكل الصورة في الصحافة الفرنسية ، حيث أن هذه المستويات الثلاث هي التي تحدد محصلة ردود الفعل ومقدار حضور القضية الفلسطينية في الساحة الفرنسية او غيابها . يجب أن نعرف أولا ان الحدث يدور في بلد غربي رأسمالي ذي تقاليد امبريالية فنافذة التفاؤل يجب الا تكون واسعة كثيرا .

لا شك أن الحدث وصل الى رجل الشارع عن طريق الصحافة والتلفزيون من ناحية ، وعن طريق أنصار القضية الفلسطينية من ناحية ثانية ، ان معظم وسائل الاعلام الفرنسية وخاصة التلفزيون ودور النشر تحكمها قبضة القوى الصهيونية ، اذا

اضفنا الى ذلك الحضور المستمر للقضية اليهودية والحركة الصهيونية في الحياة الفرنسية ، عرفنا ما هي القنوات التي يسلكها الخبر حتى يصل الى الانسان الفرنسي . مع ذلك فاغتيال الرفيق محمود نميز بأمرين اولاهما الاسلوب الاجرامي العنيف الذي استخدم ضده (قنبلة لا يتجاوز عدد المختصين بها في فرنسا عن عشرة حسب قول جريدة الاومانيته) ، وثانيا ان الحدث انتهاك للتقاليد الديمقراطية في فرنسا ، هذان الامران جعلا رجل الشارع الفرنسي يعطي ردود فعل انسانية اخلاقية ، المهم جدا هنا ان رد الفعل هو رد انساني تجاه انسان فلسطيني مشوه بجروح ثقيلة ، اي أنه لم يكن اطلاقا رد فعل سياسي وبالتالي فهو رد فعل آني سريع الزوال وليس رد فعل سياسي ، هنا الربح السياسي للقضية الفلسطينية غائب تماما ، رد الفعل الاخلاقي هذا كان يمكن ان يتحول الى رد فعل سياسي وبالتالي لصالح القضية الفلسطينية لو صاحبه حملة اعلامية واسعة ، لكن هذا لم يحدث نتيجة الاسباب السابقة .

اما بالنسبة لردود أفعال القوى السياسية الرئيسية التي تحكم الشارع الفرنسي : أولا الديغوليون او الحكومة الفرنسية فقد قامت بمنع كل التظاهرات التي حاولت التعبير عن تعاطفها مع النضال الفرنسي ، كما اعتقلت كل الفرنسيين الذين حاولوا الاشتراك بهذه التظاهرات ، والقت في الحي اللاتيني أكثر من ٥ آلاف رجل بوليس لضرب المتظاهرين وحماية غولدا ماير التي كانت تشارك في مؤتمر الاممية الاشتراكية في قصر اللوكسمبرج ، وكبحت وسائل اعلامها عن نشر الخبر ، فلم تعطه الا بعدا مبتسرا . فجريدة (الناسيون) الديغولية لم تكن تعطي عن اخبار قضية الرفيق الهمشري الا جملة واحدة (الناسيون ٧٢/١٢/١١) ، فقد التزمت الصمت ، والتزام الصمت هذا هو بحد عينه موقف سياسي ، فهي لا تريد تحليل الخبر فهذا يجرها الى اتهام المخابرات الاسرائيلية وهي لا تريد ذلك ، ثم انها من ناحية ثانية تريد استرضاء السفراء العرب فتفرد لبيانهم سطورا كثيرة (الناسيون ٧٢/١٢/١١) ، واذا كانت صحيفة الديغوليين قد هاجمت غولدا ماير عدة مرات في اعدادها الصادرة بين ١ و٩ كانون الثاني فالدافع الى ذلك دافع وقائي ، فهي لا ترى في غولدا ماير المجرمة التي نفذت اغتيال الرفيق الهمشري بل زعيمة سياسية ذات نفوذ تدعم بشكل مباشر او لا مباشر السيد ميتران الذي يشكل مع الشيوعيين والراديكاليين اليساريين اتحاد اليسار الذي يشكل خطرا حقيقيا على الاغلبية الحاكمة . ان موقف الديغوليين ليس فيه تناقض كما يظن البعض بل هو منطق منسجم تماما مع ذاته ، ان تحليل البنيان الديغولي يسمح لنا برؤية الصورة بوضوح كامل ، القضية ليست قضية تمنيات وعتب ، فالديغوليون هم الناطقون باسم رأسمالية الدولة الاحتكارية ، فهم في البحث عن الربح يقيمون علاقات غزل مع الدول العربية (تصريحات موريس شومان عن ضرورة السلام في الشرق الاوسط وتعنت اسرائيل) أو يظهرون أحيانا تقربا للعرب (ميشيل دوبريه) ، هذا هو منطق المتحدثين الرسميين للرأسمال الفرنسي ، اما بنيان الدولة السياسي فحقنات الصهيونية فيه حقنات غزيرة كثيفة ، ان الصهيونية تسيطر على جزء كبير من الجهاز الاعلامي وعلى علاقة متينة مع قوى البوليس الفرنسي ، وهذا النفوذ يتجلى في كل مجالات النشاط (قدم التلفزيون الفرنسي في مساء ٤ شباط الجاري حرب ١٩٤٨ كحرب تحرر وطني للشعب اليهودي ضد الاستعمار البريطاني) ، الامر الثاني ان البوليس الفرنسي لم يبحث بجدية على الاطلاق للعثور على مرتكبي الجريمة ، بل انه عندما ألقى القبض في ٦ كانون الاول على اثنين من الاسرائيليين على مقربة من بيت محمود أطلق سراحهما ، وعندما هاجم عدد من الصهاينة اجتماعا عقد في شارع رين في باريس وجرحوا أكثر من عشرة اشخاص ، لم يتورع البوليس الفرنسي من اطلاق سراح المعتقل الوحيد بعد يوم واحد من الحادث .

اما بالنسبة للحزب الاشتراكي الذي يتزعمه فرنسوا ميتران فموقفه لا يختلف عمليا عن موقف الديغوليين واذا رأينا ان (اليسار الديغولي) يساعد الفلسطينيين ويهاجم الحركة الصهيونية انطلاقا من منطقه الخاص ، فان هذه الاقلية المتعاطفة مع الفلسطينيين من الصعب العثور عليها في الحزب الاشتراكي . لا شك ان الارضية التي ينطلق منها الحزب الاشتراكي في دعمه لاسرائيل تختلف عن الارضية الديغولية ، وان نقاشنا مباشرا مع كثير من انصاره يطرح علينا قضية جديدة ، هي قضية النشاط الاعلامي المتعدد الالوان للحركة الصهيونية . ففي الغرب طرح متعدد الالوان للكيان الاسرائيلي وهذا الطرح الاعلامي الكثيف يرتكز على سواعد اعلامية عديدة . في فرنسا ٤٠

جمعية صهيونية واكثر من ٨٠ نشرة اعلامية دورية. هذه السواعد الاعلامية أبرزت وجه اسرائيل بكل الاشكال الممكنة : اسرائيل دولة جديدة قامت اثر حركة تحرر وطني ، اسرائيل امتداد للحضارة الغربية في حوض اقطاعي مظلم ، اسرائيل تجسيد للميتالوجيا الدينية ، اسرائيل بلد اشتراكي يقوم على التعاونيات .

ان الصهيونية قوة اعلامية تصل الى رجل الشارع وتؤثر عليه ، وهي في الوقت نفسه قوة سياسية واقتصادية تصل الى الزعيم السياسي وتؤثر عليه، انها تصل الى الفرد والجماعة مختارة الوجه الملائم ، في مثل هذا الحقل الصهيوني المتعدد الالوان مكان للحزب الاشتراكي الفرنسي ، فالسيد ميتران صرح بعد زيارته الماضية لاسرائيل انه مقتنع بضرورة ضم الاراضي المحتلة لاعتبارات امنية ، وهو الذي وجه الدعوة الى غولدا ماير لزيارة فرنسا .

ان البحث عن الصورة الفلسطينية في صحيفة الحزب الاشتراكي وتعليقاته بحث عقيم ، فالصورة غائبة كليا ، واذا كان الديغوليون يحاولون اخفاء الصورة حتى لا ينقد الحبل الذي يشد العرب ويلهث وراء اليهود توازنه ، فان الاشتراكيين لا يقبلون مبدأ الطرح ، فهم يطرحون القضية طرحا أخلاقيا انسانيا ، وفي نقاش مع أحد مسؤوليهم في فانسين (ضاحية من باريس) أجاب ان اسرائيل حقيقة واقعة ولها الحق في الوجود وان ايجاد حل للفلسطينيين المشردين في الخيام هو واجب انساني، على شرط أن هذا الحل لا يمس على الاطلاق حدود اسرائيل ، فهي كيان مستقل تماما عن الفلسطينيين. وهكذا نرى ان التركيب السياسي والايديولوجي للحزب الاشتراكي لا يترك مجالا للقضية الفلسطينية . وان نظرة الى (برنامج الحزب الاشتراكي من اجل حكومة جديدة) تظهر بشكل رسمي واضح موقفه ، ففي موقفه من الشرق الاوسط وقضية الصراع العربي الاسرائيلي نرى ان المادة رقم واحد : الاعتراف بحقوق دولة اسرائيل في الوجود والامن ، وكذلك كل دول المنطقة ، وكذلك حقوق شعب فلسطين الذي سيختار ممثليه بنفسه ، المادة الثانية : الضمان لاسرائيل وكل دول المنطقة حقوق المرور في الممرات المائية الدولية (مضائق تيران وقناة السويس) ، في المادة الرابعة تثبيت حدود نهائية وذلك بمفاوضات بين الجوانب المعنية والانسحاب من الاراضي المحتلة ، ثم يشير في الفقرة الخامسة الى تعاون مثمر بين دول المنطقة ، المادة السادسة : تفاوض بين كل دول المنطقة لاعادة تسكين اللاجئين العرب . ان مثل هذا البرنامج يظهر الحماس الشديد لكل متطلبات اسرائيل ، بينما يشير بشكل غامض الى (اعادة تسكين) دون التعرض اطلاقا الى الحقوق القومية لشعب فلسطين ، ان حرص الحزب الاشتراكي على الانسياق في منطق السياسة الاسرائيلية جعل منه حصانا ثمينا لاسرائيل جاءت الى باريس للمراهنة عليه على حسب قول (لو نوفيل اوبزرفاتور) . أما بالنسبة للحزب الشيوعي فهو قوة سياسية مهمة ونشطة وقد استطاع ان يحرك من أجل فيتنام كل فرنسا من خلال التظاهرات والبيانات والاجتماعات ، أما بالنسبة لقضية الهمشري فكانت حاله مغايرة فهو لم يخرج أي بيان رسمي ولم ينظم أية مظاهرة ، بل عبر عن موقفه من خلال جريدته (الاومانيته) فقط ومن خلال بيان أصدره اتحاد الطلبة الشيوعيين . ان الحزب الشيوعي مع ذلك يبقى قوة صديقة لكن يجب تحريكها ، ولفهم موقفه يجب التعرض الى أمور ثلاثة أولها نقطة انطلاقه الايديولوجية تجعله يحارب بحزم الفكر الصهيوني والنشاط الصهيوني ضد الحركة العمالية العالمية والاتحاد السوفياتي ، وقد أفرد لذلك مقالات كثيرة أهمها ما ظهر في مجلة النقد الجديد في عام ١٩٧١ في عددي أيار ونيسان بقلم أندريه جسلبرشت حيث أظهر الطابع العرقي والفاشي للحركة الصهيونية ، ودراسة أخرى بعنوان مساهمة في تحليل تاريخي للصهيونية بقلم هنريت وبول جاكو (كراسات معهد موريس توريز صيف ١٩٧١) حيث يركز كاتبا المقال على وظيفة اسرائيل كأداة للامبريالية العالمية ، أي أن الحزب لا يرى في الايدبولوجية الصهيونية الا (ايديولوجية ظلم عرقية توسعية) هذا على المستوى الايديولوجي ، الامر الثاني هو موقفه من اسرائيل ، فهو يعترف بها كدولة ذات حق في الوجود دون النظر الى جذورها التاريخية كمشروع امبريالي ، الامر الثالث هو (فرنسية) الحزب الشيوعي الفرنسي ، أي مجاراته لقواعده العريضة ، لذلك فهو لا يطرح القضية الفلسطينية طرحا حادا ويجعلها محور نقاش وتحليل بين اعضائه ، فهو حريص على عدم خسارة أي صوت او اضعاف قاعدته الشعبية ، (فرنسية) الحزب الشيوعي هذه تجعله بلا شك يتأثر او (يتلوث)

بالحملة الانتخابية أيضا . ان الحزب الشيوعي الفرنسي يعترف بالحقوق القومية لشعب فلسطين ، وفي كثير من نشراته يعتبر المقاومة الفلسطينية حركة تحرر قومي ، وله مواقف اعلامية جيدة خاصة خلال حرب الفدائيين ضد نظام الملك حسين ، الا ان الحملة الانتخابية جعلته يختزل الخبر الى أقل حد ممكن ، فلم يظهر أي مقال في مجلاته التي تصل الى خمس عشرة ، واكتفى فقط بمساهمتين في جريدة الاومانيته ، أولهما يوم حادث اغتيال الرفيق محمود حيث ذكر كاتب المقال بالطبيعة الارهابية للحركة الصهيونية (٧٢/١٢/١١) ثم وضع خبر وفاة الرفيق محمود في جريدته ١/١٠ ، مضمون الخبر كان جيدا فهو يشير بوضوح الى اهمال البوليس الفرنسي في متابعة التحقيق بل يلمح حتى الى التواطؤ بين البوليس الفرنسي والبوليس الاسرائيلي ، لكن الشكل الذي وضع فيه الخبر كان موحيا في الوقت نفسه ، فالخبر جاء في طرف الصفحة الثالثة وبايجاز ، أضف الى ذلك ان الحزب كحزب رفض الاشتراك في أمسية للدفاع عن القضية الفلسطينية وأشار الى امكانية اشتراك اتحاد الطلبة الشيوعيين . واذا أردنا تقصي اثر الانتخابات وانعكاسها على الحزب الشيوعي أصبحت الصورة أكثر ايحاء ، ان عدم طرح قضية الرفيق الهمشري من قبل الحزب الشيوعي هو موقف سياسي، موقف براغماتي انتخابي، أضف الى ذلك ان بيير جوكان أحد أعضاء اللجنة المركزية شارك في الندوة التي عقدت حول (البرنامج المشترك لليسار واليهود) في ١/١٦ وأعاد من جديد الى الاذهان ان الحزب الشيوعي يعتبر وجود اسرائيل وجودا شرعيا، وأشار ايتيان فاجون رئيس تحرير الاومانيته في كلمة له في شمال فرنسا أنه يحق ليهود الاتحاد السوفياتي الهجرة الى فلسطين على شرط أن تترك اسرائيل الاراضي المحتلة (!). ثم ان الحزب الشيوعي الفرنسي يبين موقفه في البرنامج المشترك الذي وقعه مع الحزب الاشتراكي والذي ينص على : الاعتراف بحق الوجود لكل دول المنطقة وخاصة اسرائيل ، مع التذكير (بحقوق قومية) للشعب الفلسطيني . ان التراجع هنا في موقف الحزب الشيوعي واضح تماما ، فهو لا يذكر اطلاقا اسم المقاومة الفلسطينية كحركة تحرر وطني ويستبدل الحقوق القومية للشعب الفلسطيني بحقوق قومية . ان اتصالا مباشرا مع الحزب الشيوعي يظهر حقيقة واحدة هي ان الحزب الشيوعي لا يمكنه أن يطرح القضية الفلسطينية كما يريد الفلسطينيون لانه بذلك يغامر بقاعدته الشعبية العريضة (١/٢ مليون عضو و٥ ملايين نصير) ولانه لا يستطيع التصدي للقوة الصهيونية الفرنسية . مع هذا يبقى بتقديري الحزب الشيوعي هو القوة الهامة الوحيدة التي أعطت الخبر مضمونا سياسيا ولو كان ذا أبعاد مبتسرة .

ان تحليل ردود الفعل الفرنسية ازاء استشهاد الرفيق الهمشري قادنا الى اعطاء تحليل سريع للقوى السياسية الهامة ، ان هذه القوى هي التي تحرك رجل الشارع الفرنسي ، وان البحث عن ردود الفعل المباشرة أمر لا معنى له ، حيث ان الردود المباشرة كانت غائبة لذلك فلفهم موقع الصورة الفلسطينية من الساحة الفرنسية يجب تحليل الصمت الذي واكب استشهاد الرفيق الهمشري وأسباب هذا الصمت ودوافعه . اما ما يتعلق بالصحف الفرنسية فقد كان هناك منحيان ، المنحى الاول الذي سلكته الصحافة الصهيونية (الفيجارو، فرانس سوار والاورور) التي حاولت توجيه الانظار نحو انفجار في (ارهابي فلسطيني) وهو يصنع متفجرات في بيته ، المنحى الاخر . وقد ضم غالبية الصحف بما فيها صحف معروفة بميولها الصهيونية (كالاكسبريس) وهو اظهار الهمشري بصورة الانسان اللطيف ، الوديع ، الفلاح الساذج ، الانسان الذي يقوم بعمل دعائي لقضيته بهدوء (نوفيل اوبزرفاتور ، كومبا ، اللوموند) ونلاحظ هنا أيضا تجنب أي تحليل سياسي للقضية بل يميل منطق هذه الصحف الى التقليل من أهمية الرفيق الشهيد ويعطي دفقات كثيرة من الانسانية المسيحية لا أكثر ، فهو لا يصل اطلاقا الى صلب القضية . يمكن ان نضيف هنا دور اليسار الجديد الذي استخدم كل امكانياته المتواضعة للدفاع عن الرفيق الشهيد والتنديد بالفاشستية الصهيونية الامر الذي جعل غولدا ماير تترك فرنسا بشكل سريع نظرا لاعتبارات تتعلق بالامن على حد قول التلفزيون الفرنسي . وكذلك جهود جمعية الصداقة العربية — الفرنسية .

ان كل هذه الصورة تظهر الظروف الصعبة التي كان يناضل فيها الرفيق الهمشري الذي أضاء شمعة للنضال الفلسطيني في بلد فيه للخيول الصهيونية مرتع رحيب .

فيصل دراج

(٣) المناطق المحتلة

من أهم القضايا التـي برزت مؤخرا في المناطق المحتلة الاجراءات الاسرائيلية التي سارت في عدة اتجاهات (١) بناء مستوطنـات جديدة بغرض تكريس الاحتلال وتهويد المناطـق العربية (٢) مصادرة أراض عربية جديدة وبكميات كبيرة لاشباع شهوة التوسع وذلك لخدمة الاتجاه الاول (٣) تسخير الايدي العاملة العربيـة (٤) التضييق على المعتقلـين العرب في السجون الاسرائيليـة ومعاملتهم معاملة لا انسانية . وقد خلقت هذه الاجراءات حالة تململ وسخط بين السكان العرب عبرت عن نفسها في تقديـم الاحتجاجات والتفكير بالقيام بتظاهرات واضرابات .

حركة الاستيطـان : انتقل مركـز ثقل النشاط الاستيطاني الى الضفة الغربية وشمال سيناء ، بينما اخذت هضبة الجولان التي كانت مركز ثقل الاستيطان ، تستريح مـن وطأة هـذا الثقـل وذلك بفضل الضربات العنيفة التي وجهها الجيش السوري الى مجموعة مستوطنات الهضبة . فقد غدا هم السلطات المسؤولة عن الاستيطان هناك ، ليس بناء مستوطنات جديدة وانما الحفاظ على أمن المستوطنات القائمة وتعزيزها ، ولذا أقدمت على اعداد خطة لهذا العام يستثمر بموجبها حوالي ١٨ مليون ليرة اسرائيلية لتنفيذ اعمال امنية مختلفة في مستوطنات الهضبة ، بما في ذلـك بناء شبكة كهربائيـة واخرى هاتفيـة تحت الارض تصـل المستوطنات باسرائيل « من أجل تقليل الاصابات في حالة القصف » . ومن المعروف ان الخطوط الكهربائية والهاتفية كانت دائما عرضة للاصابة في الاشتباكات مع الجيش السوري، وقد رأت سلطات الاحتلال ان خير طريقة لاتقاء القصف السوري بناء الشبكـة تحت الارض ، ويبدو ان الحقد علـى السوريـين قـد دفـع الاسرائيليـين الـى الطلب من لجنة الاسماء تسمية مستوطنة العال على اسم الجاسوس الاسرائيلي ايلي كوهين الذي أعدم في سوريـا ، وأثار هذا الطلب اختلافـا في وجهات النظر بين لجنة الاسماء بين مؤيـد ومعارض ، وقد انتصر جناح المعارض في البداية ، باعتبار « ان المستوطنات تسمى عندنا فقط على اسماء شخصيات تاريخية » ويبدو ان اللجنة قد وافقت من حيث المبدأ على تسمية المستوطنة باسم ايلي كوهين لا لكونه شخصية تاريخية ولكن بسبب الحملة التي قادها الدكتور افنير شاكي من نشيطي الحزب الوطني المتدين والتي اعتمدت على الضرب على وتر الحقوق المهضومة للطوائف الشرقية في اسرائيل ، وان المعارضين لتسميـة المستوطنـة باسم ايلي كوهين يعارضون ذلك لانه من اصل شرقي ، ومـن خلال هذا المنظـور الذي يمثلـه افنير شاكي تساءل شاكي أمام لجنة الاسماء « ألا يعتبر ايلي كوهين شخصية تاريخية في تاريخ البطولة الاسرائيلية ، على ضوء مغامراته العظيمة في دمشق من اجل أمن اسرائيل والتي كانت من بين الامور التي ساعـدت الجيش الاسرائيلي علـى المرابطة في الجولان ؟ » (معاريف ٧٣/١/١٤) .

اما في غور الاردن فقد انهمكت سلطات الاحتلال في اقامة المستوطنات والاعداد لمستوطنات جديدة ، ففي أوائل شهر يناير تم الاحتفال بانتقال مستوطني « ناحال جتيت » التي شيدت على أراضي فلاحي قرية عقربة العربية بعد ابادة محصولاتهم الزراعية بالمبيدات بواسطة طائـرة تابعة لسلاح الجـو الاسرائيلي ، الى مبان جديدة بدل المباني المؤقتة السابقة ، وخصصت لهؤلاء المستوطنين حوالي ٢٥٠٠ دونم اقتطعتها سلطات الاحتلال من فلاحي قرية عقربة العربية . ومن الجـدير بالذكر ان سلطات الاحتلال أنكرت عندما استولت على اراضي القرية بأن القصد منها اقامة مستوطنة وتذرعت بأن « حاجيات الامن تتطلب ذلك » وقد تكررت عملية النهب مرة اخرى ، ومست هذه المرة قرية بيت دجن العربية القريبة من قريـة عقربة ، حين تسلـل المستوطنون بواسطة جرافاتهم الى اراضي بيت دجن واخذوا يقومون بأعمال تمهيد الاراضي ، وقد أدرك الفلاحون العرب ان مصير اراضيهم ستكون نفس مصير أراضي قرية عقربة ، فعقدوا مؤتمرا صحفيا (انظر شهريات العدد السابق) الا ان سلطات الاحتـلال انكرت علمهـا بأي شيء ولم تتـذرع بـ « متطلبات الامن » وفضلت التستر على عملية النهب الجديدة حتى ظهور الواقع الجديد ، وبالفعل وعلى اثر الانتهاء من اعمال التمهيد ، زفت الصحف الاسرائيلية لمجتمع المهاجرين والمستوطنين بشرى قيام مستوطنة جديدة تحمل اسم « مكوراه » في

منطقة بيت دجن . وفيما يتعلق بالمستوطنات التي ستقام هذا العام في الضفة ، ذكرت المصادر الاسرائيلية انه قد تقرر اقامة مستوطنة جديدة في منطقة « غوش عتسيون » لتكون المستوطنة الرابعة في تلك المنطقة ، كما وتقرر اقامة مستوطنة جديدة شمالي البحر الميت عند منتصف هذا العام تقع على سفوح الجبال بالقرب من مغارة قمران ، ومستعمرة « كاليا » .

ومن اجل تثبيت دعائم المستوطنات القائمة أعدت السلطات المسؤولة عن الاستيطان خطة لبناء مركز اقليمي لمستوطنات الاغوار ، ومن المعروف ان النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الاغوار قد تعزز بفضل حالة الامن على ضفتي نهر الاردن عقب مجزرة أيلول التي قام بها النظام الاردني ضد رجال المقاومة الفلسطينية ، حيث اخذت بعد ذلك سلطات الاحتلال تعمل بشكل محموم لتهويد الاغوار ، وقد اشار قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي الى ذلك في مؤتمر صحفي حين قال « انه منذ سبتمبر ١٩٧٠ انخفضت اعمال التخريب والتسلل الى الغور ، حتى وصلت الى العدم تقريبا » . كما واعرب عن أمله بأن لا يكون ذلك اليوم الذي يبرز فيه مطار مدني في منطقة فصال بعيدا ، وذلك بغرض تصدير الخضروات التي تصدر الان الى اوروبا » (دافار ٧٣/١/٤) .

اما في شمال سيناء فقد تركز النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في اقامة « مركز اقليمي » في منطقة مشارف رفح وبالقرب من المكان الذي اقترح ان تقام عليه مدينة « يميت » بعد أن تمت الموافقة على اقامة المركز وقد انيط بالجيش الاسرائيلي القيام بتسييج المنطقة التي سيقام عليها المركز ، ومن الجدير بالذكر ان اقتراح اقامة مدينة يميت (للتوسع انظر شهريات المناطق المحتلة ، شؤون فلسطينية ، عدد ١٤) بقي معلقا لاختلاف وجهات النظر بين المسؤولين الاسرائيليين ، واشارت المصادر الاسرائيلية الى « ان هذا المركز سيقام في منطقة لا تعرقل مخطط اقامة المدينة يميت ، بل باستطاعته في المستقبل ان يندمج معها » . ويبدو ان اقامة المركز قد جاءت كحل وسط بين التيار الداعي الى اقامة مدينة تتسع لربع مليون شخص في الاراضي المصرية وبين التيار الذي يكتفي باقامة مستوطنة ، على ان التيارين لم يختلفا حول حجم تهويد الاراضي المصرية الواقعة بين شرم الشيخ وايلات فقد كلفت لجنة استيطانية يرئسها الوزير يسرائيل جليلي « البدء فورا بالعمل لاستيطان المنطقة الممتدة بين شرم الشيخ وايلات » كما ودعا رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية الدكتور رعنان فايتس لاقامة عشر مستوطنات يهودية جديدة في تلك المنطقة واقترح تطوير مستوطنة اوفير في شرم الشيخ لتصبح مدينة تتسع لعشرة آلاف شخص .

لعله من المفيد هنا ان نتطرق الى الجانب النفسي لمستوطني مشارف رفح ، الذين سلبوا الارض وطردوا صاحبها ، واستغلوه في بناء المستوطنات ، هذا العمل أثار في حينه سخط العناصر اليسارية في اسرائيل ومن بينها عناصر « هشومير هتسعير » (شبيبة حزب مبام) الذين يملكون مستوطنات في فلسطين المحتلة بالقرب من مشارف رفح ، ويتأتى لنا معرفة حقيقة العوامل النفسية للمستوطنين واعترافهم بأن العمل الصهيوني برمته بني على سلب الارض العربية واستغلال الانسان العربي ، وانه ليس هنالك فرق بين الطبيعة الاستغلالية للمستوطنات الجديدة والمستوطنات القديمة ، والحقيقة ان هذا الاعتراف يندر العثور عليه الا في حالة الخلافات وتبادل التهم بين اجنحة المستوطنين . يقول ياكي ضابط احتياط وأحد مستوطني مشارف رفح حول هذا الموضوع « انني لا انفعل من صيحات هشومير هتسعير . عندما جاء أبي الى مستوطنة السجرة عند مطلع هذا القرن ، قام بسلب العرب . كما ان البارون اشترى أراضي وسلب العرب . ان مستوطنتي كيرم شالوم ونير عوز التابعتين للكيبوتس القطري (مبام) تقعان على أرض عربية ، وايضا نحن في مستوطنة « سدوت » (في مشارف رفح) نتواجد على ارض عربية » . اما المستوطن ايلون (من مستوطني مشارف رفح) فقد كشف النقاب عن ان كيبوتس « مجين » التابع لهشومير هتسعير (في فلسطين المحتلة) قد جلب عمالا من العرب للعمل في الكيبوتس ونصب مشرفين عليهم من مستوطني مشارف رفح ، وذكر انه في بعض الاحيان ينشب نقاش بين المستوطنين الجدد والمستوطنين القدامى حول استغلال العمال العرب قال : ذات مرة ، واثناء تناول وجبة الغداء نشب حوار حول الاستيطان في المناطق ، وعند ذلك قال احد الرفاق (من مبام) : « نعم — انتم المستغلون » . لقد أغضبنا هذا التلون ، فسألناهم : على اية ارض

هم يجلسون ، ونصحناهم بالسكوت لانهم هم ايضا يستغلون عربا اجراء ، وليس لديهم اي حق أدبي للتحدث ضدنا » (معاريف ٧٣/١/٥) . ولكن هل يملك العرب اصحاب الارض الحق الادبي في التحدث ضد هؤلاء المستوطنين ؟ حينذاك لن يعترف المستوطن بجريمته ، وسيجد تبريرات جمة لاعمال السرقة والسلب ، وخير دليل على ذلك محكمة «العدل» العليا في اسرائيل التي توجه بدو رفح اليها لعلها تنصفهم وتعيدهم الى ارضهم بيد انها رأت ان الاعمال الاستيطانية جاءت « لمتطلبات الامن ».

مصادرة أراض عربية : استمرارا لاعمال المصادرة والنهب التي غدت الصفة الملازمة للاحتلال الاسرائيلي ، والتي تتصف بأعمال همجية مثل رش المزروعات العربية بالمواد السامة بواسطة سلاح الجو الاسرائيلي ومثل تدمير الابار واتلاف المزروعات كما حدث لمشارف رفح والاغوار، والتي وصفها ديان نفسه « بالاعمال البربرية » للايهام بأن السلطات الاسرائيلية تعارض « التجاوزات » والاعمال « الشاذة » مع انها هي المسؤولة الوحيدة عن تلك الاعمال، أقدمت سلطات الاحتلال في الاونة الاخيرة على سلسلة من اعمال المصادرة والنهب بشكل واسع النطاق (١) وضع اليد على ٧٠ كم من الاراضي تقع بين بيت ساحور وأريحا متذرعة بالحجة المألوفة الواهية « متطلبات الامن» (انظر شهريات المناطق المحتلة العدد ١٤). وازاء احتجاج سكان بيت لحم وبيت ساحور والعيزرية ضد وضع اليد على ممتلكاتهم اضطر دايان للاجتماع بعدد من الاشخاص الذين وقعوا على عريضة الاحتجاج في النصف الاول من شهر يناير ، وانكر كالعادة ان يكون الهدف من الاجراء مصادرة الاراضي من أصحابها أو اقامة مستوطنات عليها الا انه استطرد قائلا « وفي حالة قيام مستوطنات أمنية أو مدنية في هذه المنطقة فانها سترتكز على (١) اراضي الدولة ، او الاراضي الموجودة تحت ادارة القيم على اموال الغائبين ، (٢) الاراضي التي تم شراؤها من أصحابها ودفعت اثمانها بالكامل ، (٣) الاراضي التي تم استبدالها، وتم اعطاء أصحابها أراضي لا تقل عنها جودة » . كما وذكر انه سوف لا تصادر أراض من أصحابها « الا في حالات خاصة او لغرض انشاء جهاز أمني حيوي حسب ما تقتضيه الضرورة » والخطوة الثانية تتمثل في تسلل المستوطنين الى أراضي بيت دجن واستيلائهم على منطقة واسعة وعند احتجاج الفلاحين العرب على ذلك من خلال مؤتمر صحفي عقدوه ، انكر المتحدث باسم وزارة الدفاع أن يكون له علم بذلك ، الا ان المتحدث لا يستطيع الانكار لان مستوطنة اسرائيلية قد برزت فوق الاراضي العربية المصادرة . أما ثالثة الاثافي في سلسلة اعمال النهب والمصادرة والتي « لا يعلم عنها » أو بالاحرى يتستر عليها المحتلون الاسرائيليون ، فهي قصة نهب جديدة شبيهة الى حد كبير بما جرى في مشارف رفح ، أبطالها مستوطنون وضحيتها كالعادة عرب وحكمها كالعادة « الذي لا يعلم » نقلتها بعض الصحف الاسرائيلية مثل المرصاد (٧٢/١/٢٥) قائلة « استيقظ عرب السواحرة ذات صباح على صوت هدير جرافات وتراكتورات ثقيلة تمهد أراض لهم واسعة ، تقدر مساحتها بمئة ألف دونم ، وعندما استفسر البدو عن طبيعة العمل الذي تقوم به الجرافات في اراضيهم قيل لهم ان شركة اسرائيلية اشترت هذه الاراضي وانها تتصرف بها انطلاقا من هذا الاساس، وتوجه ممثلو بدو السواحرة الى الحاكم العسكري مستفسرين ، ولكن الحاكم العسكري كان آخر من يعلم ، فالاراضي حسب معلوماته لم تصادر ... » واعترفت صحيفة « الانباء » الهستدروتية بأن جرافات اسرائيلية قد اخذت تقوم بأعمال التمهيد في أراض تخص بدو السواحرة وتعمل لحساب الصندوق القومي الاسرائيلي ، بالرغم من ان أحدا لم يبع الارض لتلك المؤسسة كما جاء على لسان السكان البدو الذين يعتزمون عقد اجتماع لانتخاب لجنة تنطق بلسانهم « وتعمل بالوسائل القانونية من اجل حماية أراضيهم » . ومن الجدير بالذكر ان بدو مشارف رفح ناضلوا ضد سلب أراضيهم بالطرق « القانونية » وأوصلوا قضيتهم الى محكمة « العدل » العليا ، بيد ان المحكمة بسبب طبيعتها لم تنصفهم .

ارتفاع في عدد العمال العرب : طرأ ارتفاع في الاونة الاخيرة على عدد العمال العرب الذين يعملون في القطاعات المختلفة للاقتصاد الاسرائيلي ، اذ ارتفع العدد كما جاء في احصائية لوزارة التجارة والصناعة من ٤٣ الى ٥٥ الفا، واشارت الاحصائية الى أن الارتفاع يعود بالاساس الى فتح الحدود أمام عمال غزة خلال العام الماضي للعمل في اسرائيل فارتفع عدد العمال الذين يعملون في اسرائيل من قطاع غزة من ١٣ الى ٢٠ الفا . الا أن قائد منطقة قطاع غزة السابق يتسحاق فونداق

اشار الى أن عدد العمال من قطاع غزة الذين يعملون في اسرائيل قد وصل مؤخرا الى ٢٥ الف نسمة ، ويمكن القول ان العدد الحقيقي للعمال العرب في اسرائيل يفوق الرقم السابق ، بوجود اعداد من العمال تعمل بطرق غير رسمية . ومن الملاحظ ان العمال العرب، يحتلون الاعمال السوداء أو الشاقة ، مثل العمل في فرع البناء حيث يشتغل ما يزيد على الـ ٣٠ الف عامل في مجال البناء ، وأشارت احصائية اسرائيلية أن عدد العمال العرب في القدس وحدها يربو على عشرة آلاف عامل يعمل ٨٥٪ منهم في مجال البناء ، أما الـ ٢٥ الف عامل الاخرون فيشتغلون في فروع الصناعة والخدمات والزراعة ، وتعترف الدوائر الاسرائيلية ان الفروقات في الاجور لا زالت قائمة .

تحرك سكان المناطق المحتلة : كان من نتيجة مجمل السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة والمتمثلة في نهب الارض واستغلال الانسان هناك واضطهاده ازدياد حركة الاحتجاج في المحيط العربي عبرت عن نفسها في عدة اشكال . ويمكن تلخيص هذا التحرك بالتالي :

١ — **الدعوة للتظاهر ضد أعمال المصادرة :** عند مطلع هذا العام تقدم مزارعو منطقة نابلس بطلب الى سلطات الاحتلال بالسماح بقيام تظاهرة ضد أعمال السلب والمصادرة في يوم الجمعة الموافق ٧٣/١/٢٦ ، وذلك كما جاء في الطلب الذي وقعه مئة شخص من سكان نابلس والقرى المجاورة لها « بغرض اعلان احتجاجها وشجبها للاجراءات التي قامت بها سلطات الاحتلال من اغلاق المناطق ومصادرة الاراضي الزراعية الواقعة في الاغوار وما صحب ذلك من نسف المنازل وحرق واتلاف المنشآت الزراعية وتدمير ونسف الموتورات والمضخات التي يملكها المزارعون التي تروي مساحات واسعة تبلغ الـ ٤٠ ألف دونم وتشريد المزارعين منها واقامة بعض المستعمرات على أجزاء منها » .

وجاء في الطلب : « ان الهدف من هذه المسيرة هو التعبير عن الشعور العام والسخط السائد الذي نجم عن تجاهل حقوق المتضررين رغم تعدد شكاواهم بصورة دائمة وبنطاق واسع حيث ان جميع هذه المراجعات التي تكررت وتعددت لم تجد نفعا في كشف الظلامة عن الاشخاص الذين حاق بهم الظلم من هذه الاجراءات » . بيد ان هذا الطلب قد رفض من قبل الحاكم العسكري لمدينة نابلس العقيد اليعيزر سيجف ، بحجة « ان جهاز الحكم العسكري لم يسبق له أن سمح بالقيام بتظاهرات في أرجاء الضفة ، وان الجهاز يرى ان هذا النشاط يتنافى والسياسة المتبعة » . ومن المعروف انه اذا ما لجأ السكان العرب الى طرق أخف مثل الاستفسار عن أراضيهم المصادرة أو المغلقة فانهم سيتلقون خيارى أمام « آخر من يعلم » او « متطلبات الامن » .

٢ — **تململ العمال :** هنالك حادثتان وقعتا في الاونة الاخيرة تطرقت اليهما الصحف الاسرائيلية تشيران الى تحرك العمال العرب ضد الاستغلال اللاحق بهم ، ففي أحد المصانع الكبيرة ، التي تنتج الورق والكرتون ظهر غليان بين صفوف مئتي عامل عربي يعملون هناك ، وقام هؤلاء مجتمعين بصياغة مذكرة تطالب بازالة الحيف اللاحق بهم « وهددوا بالقيام باضراب اذا لم يستجب لمطالبهم ». وقد هرع رجال وزارة العمل الى المصنع للحيلولة دون الاضراب وتعهدوا بتحسين أوضاع العمال العرب العاملين في المصنع . أما الحادثة الثانية فقد وقعت في فندق « دبلومات » في القدس بين العمال العرب الذين يشتغلون في الفندق ما بين ١٢ — ١٦ ساعة في اليوم وبدون اجازات وبين صاحب الفندق . فقد احتج العمال العرب على أوضاعهم وظروف عملهم وطالبوا بالاجتماع بادارة الفندق ، الا ان الادارة رفضت ذلك ، وكان جوابها : « من يرغب في العمل فليرجع الى مكان عمله ، ومن لا يرغب فليخرج » ، فخرج الجميع الى ساحة الفندق ، وبعد قليل خرج صاحب الفندق المدعو حاييم شيف ، واعتدى على احد العمال بالضرب ، وأخذ يصرخ : اخرجوا « عرب كلاب » فتصدى له العمال وأسكتوه ، الا ان هذا استدعى قوات الامن ، التي هرعت الى المكان وأخرجتهم منه (أنظر صحيفة الاتحاد ٧٣/١/٥) .

٣ — **اضراب المعتقلين العرب عن الطعام :** عند مطلع هذا العام قام المعتقلون العرب في سجن كفاريونا بالاضراب عن الطعام احتجاجا على المعاملة السيئة التي يلقاها هؤلاء في السجن ، وقد حاولت سلطات الاحتلال التستر على الاضراب ، الا ان نساء نابلس كشفن من خلال الاتحاد النسائي والهلال الاحمر ورعاية الامومة والطفولة بواسطة مذكرات الاحتجاج التي وزعنها ، عن قيام الاضراب

والمعاملة السيئة التي يواجهها المعتقلون العرب ، فقد جاء في مذكرة الاحتجاج : « علمنا بمزيد الاسى ان السجناء العرب في سجن كفار يونا قد اعلنوا اضرابا عن الطعام منذ أكثر من اثني عشر يوما احتجاجا على المعاملة السيئة غير الانسانية التي يلقونها من مدير السجن الجديد وموظفيه وهناك عدد يربو على ثلاثين من هؤلاء السجناء في حالة صحية سيئة من جراء الاضراب والاجراءات الانتقامية التي اتخذتها سلطات السجن لقمع الاضراب بالقوة ، فباسم سيدات نابلس وأمهات وزوجات المعتقلين نطالبكم بالتحقيق فورا في هذه الامور الخطيرة ومعاقبة المسؤولين عن هذه التصرفات ونعلن احتجاجنا الصارخ ، كما نطالب الحكومة باصدار بيان رسمي للرأي العام عن نتائج التحقيق وعن الاجراءات التي اتخذت ضد المسيئين حتى يطمئن خاطرنا عن صحة أبنائنا من المساجين مع تأكيدنا بأن الاضراب ما زال مستمرا » . وعند نشر مذكرات الاحتجاج اضطر جهاز الحكم العسكري للاعتراف بأن الاضراب قد وقع الا انه حاول طمس حقيقة دوافع الاضراب بقوله ان الاضراب « لم يكن نتيجة المعاملة السيئة او غيرها من ادارة السجن ، وانما كان نتيجة تدخل اجراء اداري تدخل فيه السجناء لنقل مدير السجن وبعض افراد مكتبه الى مكان آخر ، وقد أعلن السجناء مطالبين فقط باعادة مدير السجن القديم » !! والحقيقة ان هذه الحجة واهية كحجة « متطلبات الامن » ، فمتى كان السجين يحب سجانه ؟

٤ ـ **الدعوة لمقاومة الاحتلال** : خلال ذلك كانت خلايا المقاومة الفلسطينية تنشط في توزيع المنشورات الداعية الى الاضراب الشامل في الضفة الغربية ، ففي ٧٣/١/٢٨ شهدت شوارع مدينة نابلس منشورات تحمل هذه الدعوة وتطالب جماهير الضفة « التصدي بقوة للاحتلال وتصفيته نهائيا » . وقد حملت هذه المناشير توقيع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ع. م.

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ١/١٣ — ١٩٧٣/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	أسير	المصدر	تاريخه
١	١٢/١٥	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة مكتب العمل	—	—	—	هـ. ١٨٧ ص ٥	١/٢٧
٢	١٢/١٥	٢٤٠٠	بين ايلات وعسقلان	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير انابيب النفط	—	—	—	هـ. ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٣	١٢/١٦	٣٠٠	بين ايلات وعسقلان	اشتباك	اسلحة رشاشة وقنابل	غيرمحدد		—	١	—	—	هـ. ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٤	١٢/٢٥	٦٠٠	كفا — اتا/ حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير مجمع خطوط هاتفية	—	—	—	هـ. ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٥	١٢/٢٥	٦٠٠	تل — بلوم/حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	٣	—	تدمير جزء من بناية	—	—	—	هـ. ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٦	١٢/٣١	١٨٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٨ اصابات		تدمير جزء من البناية	—	—	—	هـ. ١٨٩ ص ٤	٢/١٠
٧	١/ ٢	—	داجانيـــا	تفجير	الغام	١	—	—	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
٨	١/ ٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	تدمير سيارة	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
٩	١/ ٦	—	حيفـــا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		حرق معمل كيم لصيانة ادوات التبريد	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
١٠	١/١٢	—	بتاح تكفا(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة اجزاء من مصنع آسيا	—	—	—	الحرية ٦٠٥ ص ٢	١/٢٢
١١	١/١٥	١٥٠٠	العفولة	تفجير	عبوات ناسفة	٤	—	حرق وتدمير سيارة	—	—	—	هـ. ١٨٩ ص ٤	٢/١٠
١٢	١/٢٣	—	مالياها حاشا/الجليل	هجوم	مدافع رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		—	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
١٣	١/٢٣	—	رمات جان/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشعال النيران فيبناية	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
١٤	١/٢٨	—	بين دير البلح وخان يونس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير جزء كبير من خط سكة الحديد	—	—	—	وفـــا	١/٣٠
١٥	٢/ ٢	٢١٣٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة مدخل بناية مكتب بأضرار	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
١٦	٢/ ٢	١٩٣٠	القـــدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		—	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
١٧	٢/ ٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة عدد من السيارات بأضرار	—	—	—	وفـــا	٢/ ٤
١٨	٢/ ٣	٢١٠٠	الخليـــل	كمين	شبكة الغام	غيرمحدد		تدمير سيارة واعطاب				وفـــا	٢/ ٥

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١/١٣ — ١٩٧٣/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	١/١٨	—	هاردوف/الجليل(٢)	هجوم	قذائف بازوكا	غيرمحدد		اصابة سيارة عسكرية	—	—	—	ن٠ ١٤٠ ص ٥	١/١٩
٢	١/٢٣	—	حيفا	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	—	—	—	—	ن٠ ١٤٤ ص ١١	١/٢٤
٣	١/٢٨	—	عيميك سيلك/الجليل	تفجير	الغـام	—	١	اصابة سيارة	—	—	—	ن٠ ١٤٨ ص ٧	١/٢٩
٤	٢/ ٢	٢١٣٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		—	—	—	—	ن٠ ١٥٣ ص ٥	٢/ ٣
٥	٢/ ٧	—	ناحال جولان	اطلاق نار	أسلحة رشاشة	—	—	اصابة مكتب العمل	—	—	—	ن٠ ١٥٦ ص ٦	٢/ ٨

١ — وردت هذه التعليمات بعد صدور الجداول السابقة .

٢ — أعلنت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية عدم مسؤوليتها عن هذه العملية .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

١ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ — هـ : الهدف : مجلة اسبوعية تصدر في بيروت .

٣ — الحرية : مجلة اسبوعية تصدر في بيروت .

٤ — ن : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

جولة الايام الستة
بدأت بفشل واحد .. وانتهت بثلاثة

جولة « الايام الستة » التي قامت بها غولدا مئير ، رئيسة حكومة العدو ، في الشهـــر الماضي الـــى اوروبا ، كانت — بأحداثها ولقاءاتها ونتائجهـــا المنشورة وردود الفعل عليها ، اضافة الى مفاجآتها العديدة — هي « موضوع الشهر » في اسرائيل ، حيث طغت على كل ما عداها من احداث ، وغطى عرض انبائها والتعليق عليها ، نسبة عالية مـــن صفحات صحف اسرائيل ، ومن ساعات ارسال اذاعتها كذلك .

على انـــه اضافة الى هـــذا الموضوع ، ناقش المسؤولون والمعلقون الاسرائيليون خلال الشهـــر الماضي عددا من المواضيع الاخرى ، وكان مـــن ابرزها : أثر توقيع اتفاقية السلام الفيتنامية في باريس على تطورات « ازمة الشرق الاوسط » ، وخطاب وزير الخارجية الاميركي ، وليم روجرز في حفل وداع اسحق رابين بمناسبة انتهاء فتـــرة عمله كسفير لاسرائيل لدى اميركا ، ثم قرار حكومة اسرائيل باصدار « أمـــر اغلاق » قريتي أقرت وكفر برعم .

— أولى محطات غولدا مئير في جولتها الاوروبية ، التي ابتدأت في الثاني عشر مـــن كانون الثانـــي (يناير) وانتهت في السابع عشر منـــه ، كانت باريس ، حيث كـــان انعقاد مؤتمـــر « الامميـــة الاشتراكية » التي تتولى مئير منصب نائبة الرئيس فيها ، في « قصر اللوكسمبورغ » في العاصمة الفرنسية .

وقبل ان نتعرض لزيارة مئير الى باريس ، وبشكل خاص ، لما سبق هذه الزيارة من بيانات وردود فعل فرنسية ، يجدر التذكير بحقيقتين :

(١) ان العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ، قـــد بدأت بالتدهور بصورة جدية اثـــر حرب حزيران ١٩٦٧ ، واتخاذ الرئيس الفرنسي السابق ديغول لموقفه المعروف بادانة « عدوانية » اسرائيل ، وبلغ هذا التدهور حدين أقصيين أولهما بسرقة عميـــل لاسرائيل خرائط ونماذج طـــائرة « ميراج ٥ أ » الفرنسية الصنع ، وثانيهما بسرقة عملاء آخرين لاسرائيل خمس قطع حربية بحرية من ميناء شيربور الفرنسي .

(٢) ان العلاقات الفرنسية الاسرائيلية قد بدأت تتحسن ، وان يكن بشكل غير ملموس ، مع بلوغ الطرفين : الفرنسي والاسرائيلـــي الى تسويـــة الموضوع المتعلق بالاموال التي كانت اسرائيل قد دفعتها على حساب صفقة لشراء طائرات ميراج قبل صدور قرار الحظر الفرنسي على ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط ، وتحسنت العلاقات ، أو بدأ الانفراج يبدو واضحا في أواسط شهر كانون اول (ديسمبر) من العام الماضي ، عندما استدعي اشير بن ناثان سفير اسرائيل في باريس الـــى وزارة الخارجية هناك ، واستقبل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، فرنسيس ايرا سفير فرنسا لدى اسرائيل بناء على طلب السفير ، وأوضح الجانب الفرنسي في كلا اللقاءين اتخاذ فرنسا لموقف جـــديد ازاء الصراع في الشرق الاوسط ، وهو الموقف الذي يقضي بتوقفها عن تقديم مبـــادرات جديدة بهدف الوصول الى تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، وهي المبادرات التي طالما تضايقت منها اسرائيل . ولم يطرأ على هذا الموقف الفرنسي جديد ، حتى بعد اعلان مئير عن قرارها النهائي في المشاركة في مؤتمر « الاممية » ، وقد أعلن الرئيس الفرنسي بومبيدو في رد له على سؤال « مراسل مصري » شارك في مؤتمـــره الصحافي الذي عقـــد في قصر الاليزيه يوم ١٩٧٣/١/٩ ان « لدى فرنسا آراء واضحة بالنسبة لقضية الشرق الاوسط ، وكذلك

لقضية الفلسطينيين . واذا استطاعت فرنسا ان تساهم في حل هذه المشاكل ، فسيكون ذلك أمرا جيدا . **ولكن الامر يبدو في هذه المرحلة صعبا جدا . فليس لدول أوروبا راي موحد ومبلور ، ومن المعلوم ان مبادرة فرنسا للتوصل الى حل بواسطة اتفاق بين الدول الاربع الكبرى لم تنجح** » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٠) .

ونعود الان الى الزيارة ذاتها . كان بومبيدو قد ذكر في مؤتمره الصحافي المذكور « ان انعقاد مؤتمر « الاممية » في باريس في هذا الظرف ، اي عشية الانتخابات ، هو بمثابة تدخل في الشؤون الداخلية لفرنسا . وعندما يسافر رئيس حكومة الى خارج البلد ، فان الامر يلزم حكومته ، ولكن يبدو ان الامر ليس كذلك ، فقد أعلن السادة والسيدات أنهم قادمون الى باريس كرؤساء أحزاب لا كرؤساء حكومات ، ولذلك فسنعاملهم بهذه الصفة » . (المصدر السابق) . وبالفعل فان اي من الرسميين الفرنسيين لم يلتق بغولدا مئير باستثناء مندوب التشريفات الفرنسي الذي كان في استقبال مئير في مطار اورلي ، « وحتى انني فوجئت باستقباله لي ، لان ذلك لم يكن متوقعا » كما قالت غولدا مئير . (معاريف ٧٣/١/١٩) .

ولقد فهمت رئيسة حكومة العدو ان موقف بومبيدو من حضور رؤساء حكومات لمؤتمر « الاممية » في باريس ، انما اتخذ بسببها هي فقط ، وأوضحت ذلك في قولها لاولئك الرؤساء « انني ملزمة بالاعتذار اليكم ، لقد تألمتم كثيرا ، حيث بسببي قال الرئيس الفرنسي انكم جميعا غير مرغوب فيكم في فترة الانتخابات في فرنسا » (المصدر السابق) .

وفي مؤتمر « الاممية » كان الموضوع الرئيسي في جدول الاعمال هو قضية فيتنام واشتداد القصف الاميركي على فيتنام الشمالية ، وقد كان لغولدا مئير دور فعال جدا حول هذا الموضوع، حيث منعت اتخاذ المؤتمر لقرار ادانة عمليات القصف الاميركية تلك ، وردت على سؤال حول صحة هذا الدور بقولها : « هكذا قالوا . وكان هناك أيضا من عارضوا ادانة الاميركيين ، ودار نقاش حاد حول هذا الموضوع بيني وبين مندوب هولندا وهو مرشح لرئاسة الحكومة في بلده . انه رجل رائع فعلا ، ولكنه تحدث بعنف عن عمليات القصف وعن الاميركيين وعن نيكسون ، وفي البداية لم أكن أرغب في المشاركة في هذا الجدل ، ولكن عندما تطلع الجميع نحوي منتظرين سماع رأيي ... قلت : هل تعلمون سبب توقف المباحثات بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية ؟ هل تعرفون انتم ما لا اعرفه انا ؟ ما الذي حدث هناك ؟ اذا كان حقيقة ان المباحثات قد توقفت بسبب اختلاف وجهات النظر حول مسألة كيفية مراقبة وقف اطلاق النار ، فاسمحوا لي أن أقول لكم بأنني الاكثر خبرة بين جميع الجالسين هنا ، اذ بعد خمس ساعات فقط من توقيعنا على اتفاقية وقف اطلاق النار في السويس ، قدموا (تقصد المصريين) الصواريخ ! أنا أيضا أعارض عمليات القصف . ومن اجل معارضة عمليات القصف لا يلزم انتكون اشتراكيين، لكن ان نكون نحن محكمة تقرر من هو المذنب ومن هو غير المذنب ، فهذا لا ، ابدا لا » . (المصدر السابق) .

وباعتراف غولدا مئير ، في حديثها للصحافيين في باريس « لم تقدم لقاءاتها مع رؤساء الحكومات (الاشتراكيين) الذين شاركوا في المؤتمر (وهم خمسة رؤساء غيرها) أية فائدة فيما يخص شرح مواقف اسرائيل » الامر الذي دفع عضو هيئة تحرير جريدة معاريف شموئيل شنيتسر الى كتابة تعليق (بتاريخ ٧٣/١/١٩) حول مشاركة مئير في مؤتمر « الاممية » ، ينضح بالمرارة ، حيث قال ذلك الصحافي الاسرائيلي :

« ان فكرة وجوب السفر الى باريس من اجل اللقاء هناك ، كانت واهية من البداية . فان الشرق الاوسط لم يكن على جدول اعمال مؤتمر الاممية الاشتراكية في باريس ، بل كانت حرب فيتنام هي مركز مباحثاته . وهنا تكشفت مناسبة نادرة لاغضاب رئيس فرنسا ورئيس الولايات المتحدة الاميركية في وقت واحد معا — وهو الامر الذي صار أصعب وأصعب في العلاقات السياسية في ايامنا . ماذا قالت السيدة مئير عن القصف الاميركي لفيتنام الشمالية — ليس واضحا . واذا كانت فعلا قد رفضت الانضمام الى بقية زعماء الاممية في ادانة ذلك القصف ، تكون قد أغضبت هؤلاء أيضا ... « اية فائدة عادت علينا (من جراء المشاركة في المؤتمر) على صعيد مستقبل العلاقات مع فرنسا ؟ لقد أعرب بومبيدو ، بشكل قاطع ، عن معارضته للزيارة ، واذا انتصر هذا في الانتخابات القريبة ، فانه بالتأكيد لن ينسى تجاهل رئيسة حكومة اسرائيل لطلبه وتجاهلها لشعوره بالمرارة .

« لكن حتى وان خسر — فاننا لن نبلغ شاطىء الخلاص . ففي ائتلاف أحزاب اليسار، وهو منافس الرئيس الفرنسي في الانتخابات موقع من الدرجة الاولى للشيوعيين ، وعن نظرة هؤلاء (الشيوعيين) الى اسرائيل لا لزوم للاسهاب في الحديث » .

اذن ؟

مع وفرة مبررات قناعة الاسرائيليين ذاتهم ، بأن مشاركة غولدا مئير في مؤتمر « الاممية الاشتراكية » في باريس ، لم تعد بأية فائدة كانت على اسرائيل ، يصبح المجال واسعا أمام سؤالين :

١ — هل يكون « الفشل » هو هدف مئير من زيارتها لباريس ، على ان يكون هذا « الهدف » خطوة أولى لتحقيق الهدف الابعد ، وهو ابقاء وترسيخ ضعف التيار الاوروبي في اسرائيل — ومهندسه ابا ايبان — لمصلحة التيار الاميركي الذي تقف غولدا مئير على رأسه ؟

٢ — هل تكون مشاركة مئير في المؤتمر ، قد تمت بطلب من اميركا ، لمنع اتخاذ المؤتمر — حتى في تركيبته تلك — لقرار يدين السياسة الاميركية في فيتنام ؟

ان جميع صحف ومصادر اسرائيل ، لم تجب على أي من هذين السؤالين ، باستثناء تلميح كتبه الدكتور هرنسل روزنبلوم رئيس تحرير جريدة يديعوت احرونوت ، وكاتب افتتاحيتها في عدد يوم ٧٣/١/١٤ ، وقال فيه :

« ... اذا كانت (غولدا مئير) قد تجاهلت النقد ، والفرنسي بشكل خاص ، فان النتيجة التي يجب علينا استخلاصها هي ان هذا الموقف ، كان هو ردها على تصرف فرنسا تجاهنا ، وهو الذي ظل سيئا كما كان . **وفعلا انه كانت هناك اشاعات حول « تخفيف » في التوتر بين فرنسا واسرائيل ، وهي الاشاعات التي قويت بزيارة السفير الفرنسي لابا ايبان ، لكن سفر غولدا مئير ، وضع نهاية لهذه الاشاعات .**

« ولو شعرت السيدة مئير بأنه حصل تغير في تصرف فرنسا معنا ، فانها ما كانت لتتجاهل بهذه الصورة الواضحة ، نداء بومبيدو المعروف ، (والذي كان موجها لها بشكل خاص) للامتناع عن الحضور في هذا الوقت الى باريس ، وذلك لانها كسياسية محنكة كانت ستفضل المصلحة الرسمية على كل مصلحة واعتبار آخرين . ومن هنا فانها ارادت بسفرها ان تقول ان كل كلام عن التغيير هو هبل ...

« ... والمهم انه كان يجب علينا منع حكومة فرنسا من اخذ انطباع خاطىء ، بأنه من الممكن الاعتداء علينا وجعلنا خرقة امام انظار القذافيين والساداتيين ، وفي الوقت نفسه لجمنا في اللحظة التي تريدها هي . وهذا الدرس الذي تلقاه بومبيدو الان ، قد يؤدي الى فتح عينيه في المستقبل ... » .

على ان خبرة اسرائيل في تحويل كل « اعتداء » وهمي عليها لما فيه مصلحتها بعد ان تصور نفسها ضحية تمييز ، لم تفدها في زيارة مئير لباريس ، التي ابرزت بتظاهراتها الصاخبة معاداة الرأي العام الفرنسي ، والفرد الفرنسي العادي ، لدولة الاحتلال ، وساعد على تقوية هذه التظاهرات وتنشيطها استشهاد المناضل الفلسطيني محمود الهمشري في باريس وذلك بعد اكثر من شهر قضاه في المستشفى بعد اصابته بفعل انفجار عبوات في بيته ، وضعها — كما تشير كافة الدلائل — عملاء اسرائيل في فرنسا ، وكان من جراء ذلك ان « تحول مطار أورلي لدى وصول مئير اليه الى معسكر » ، كما « تحول بيت السفير الاسرائيلي ، والسفارة الاسرائيلية الى « حصنين » في اعقاب الحراسة المشددة على الضيوف » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٤) .

لقاء مئير بالبابا : لم ينجح ولم يكن سابقة أيضا !

محطة غولدا مئير الثانية في جولتها الاوروبية ، كانت العاصمة الايطالية روما ، وحاضرة الفاتيكان ، حيث قامت قبل ظهر الاثنين ٧٣/١/١٥ بزيارة « لياقة » للرئيس الايطالي جيوباني ليوني في قصره ، والتقت كذلك برئيس حكومة ايطاليا جوليو اندريوتي .

« وبرغم وصف زيارة مئير للرئيس ليوني بأنها « زيارة مجاملة » فان هناك من يعتقدون بأن رئيسة الحكومة ، قد استغلت هذه المناسبة لشرح بعض من مشاكل اسرائيل ، ولاستعراض المحاولات لاحراز حل سلمي للصراع في الشرق الاوسط » (يديعوت

احرونوت ٧٣/١/١٦) ، ولم يصدر اي بيان عن كلا اللقاءين .

نصل بعد ذلك الى مقابلة غولدا مئير للبابا بولس السادس ، التي استمرت ساعة وعشرين دقيقة ، وأثارت جدلا في الصحافة الاسرائيلية ، لم تثره من قبل اية زيارة قام بها رئيس لحكومة اسرائيل لاي مسؤول غير اسرائيلي .

وصدر حول المقابلة بيانان من الفاتيكان ، احدهما « بيان مشترك رسمي » والاخر « بيان شفهي ادلى به البروفيسور فردريكو اليسندريني الناطق الرسمي بلسان الفاتيكان » وتناقض البيانان في اكثر من نقطة ، « واعتبرت اسرائيل ان ما يقرر موقف الفاتيكان هو البيان المشترك عن محادثات البابا مع غولدا مئير ، وليس ذلك البيان الشفهي الذي ادلى به الناطق بلسان الفاتيكان » .(يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) .

وأكد هذا المعنى ايضا سمحا دينتس ـ المستشار السياسي لرئيسة حكومة العدو ، ومدير مكتبها ، والذي أقر تعيينه مؤخرا ، سفيرا لاسرائيل لدى الولايات المتحدة بعد عودة رابين من هناك في الشهر الحالي — الذي قال : « ليس هناك اي شك في ان البيان الرسمي الذي نشره الفاتيكان والذي نشر في الجريدة الرسمية الناطقة بلسان الفاتيكان ، هو الذي يعكس صورة اللقاء والاتجاهات فيه ، والمواضيع التي بحثت خلاله . وهنالك اثباتان قاطعان لذلك : الاثبات الاول ، ان هذا البيان اقر مسبقا بيننا وبين الفاتيكان وعندما كنت في روما يومي الجمعة والسبت مع السفير نجار (سفير اسرائيل لدى ايطاليا) توفرت لي فرصة القاء نظرة على البيان حتى اننا اقترحنا بعض التغييرات . وقد وافق عليها الفاتيكان . والاثبات الثاني انه في الجريدة الرسمية ، كما ذكرت ، نشر فقط البيان الرسمي ، ولم تنشر اقوال اليسندريني ، واذاعة الفاتيكان التي تذيع ، على ما اعتقد ، باحدى وثلاثين لغة ، لم تبادر الى اذاعة بيان اليسندريني بأية لغة ، بل انها اذاعت بكل اللغات البيان المكتوب والمتفق عليه » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٢٢) .

ماذا — اذن — في بيان اليسندريني ليثير كل هذا العنف الاسرائيلي في الرد عليه ؟

الواقع ان هذا البيان قد نسف جميع الاسس التي أملت اسرائيل ان تستفيد منها ، وتحقق عبرها شيئا من المكاسب على صعيد تحسين صورة اسرائيل ، في نظر العالم الكاثوليكي ، والراي العام العالمي الذي يتأثر بمواقف وسياسة الفاتيكان ، واضطرها الى الاكتفاء بمجرد حدوث المقابلة ، واعتبار « ان موافقة البابا على توزيع صورة ثانية من صور مقابلة مئير له هي « خطوة تسوية » بعد بيان اليسندريني المؤيد للعرب » . (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) .

وفي عرض ما حدث ، ومقارنة البيانين ، بعث موفد يديعوت احرونوت الخاص الى روما رسالة الى صحيفته (٧٣/١/١٧) قال فيها « وما ان انتهت المقابلة (بين البابا ومئير) حتى دخل الناطق الرسمي اليسندريني ، الى غرفة الصحافة التابعة للفاتيكان ، وفي يده بيان مكتوب ، وفي فمه « تصريح شفهي » ، وفي حين اكد البيان المكتوب ان البابا قد تحدث عن « مشكلة اللاجئين » ، و« وضع الطوائف الدينية المختلفة » ، و« طبيعة القدس العالمية » فان التصريح الشفهي قد ذهب الى ابعد من ذلك بكثير . وقد فاجأت لهجة التصريح القاسية غالبية المراقبين الذين اعتادوا سماع لغة اكثر ديبلوماسية من قبل الفاتيكان » .

« والبروفسور اليسندريني الذي قرأ من ورقة مكتوبة ، ووزع بعد ذلك ما قاله على الصحافة ، بدأ حديثه بالتأكيد على ان مقابلة البابا لغولدا مئير « لم تكن لاعتبارات تفضيل او تخصيص » ... وكذلك اكد تصريح اليسندريني « الذي نشرته جريدة الفاتيكان الرسمية « اوزرفاتورا رومانو » فيما بعد (على عكس ما قاله سمحا دينتس) ، وبوضوح تام ان البابا لم يوجه دعوة الى السيدة مئير لزيارة الفاتيكان ، وانما استجاب هو فقط لطلب السيدة مئير ، ... وان البابا بولس السادس قد اكد ان من واجبه عدم اضاعة اية فرصة كانت للعمل من اجل السلام ومن اجل اللاجئين الفلسطينيين » . وكذلك « ... يرى مراقبون عديدون في روما ان اقوال الفاتيكان هذه قد الحقت ضررا بآمال حدوث تقارب بين اسرائيل والكرسي المقدس ... ويعتقدون ان هذه التصريحات قد جمدت اكثر ، موقفي الطرفين وهما « الموقفان اللذان يفصل بينهما العالم وما فيه » على حد تعبير مصدر في روما » .

وفي رسالة ثانية في العدد ذاته من جريدة يديعوت احرونوت ، لنفس الموفد ذاته (وهو ادوين ايتان) « من خلال اقوال غولدا مئير ، ومن مصادر

اخرى » ، اهم ما جرى في لقاء البابا ومئير على النحو التالي :

« ١ ــ مشكلة اللاجئين ، وكان البابا هو الذي اثارها ، فردت مئير بأن عدد اليهود الذين جاءوا الى اسرائيل من الدول العربية يفوق عدد العرب الذين تركوها .

٢ ــ وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي وفي الدول العربية ، وقد توجهت رئيسة الحكومة بنداء الى البابا لمساعدة هؤلاء اليهود على العيش كيهود وكبشر .

٣ ــ مكانة الاماكن المقدسة للمسيحية والاسلام في المدينة القديمة في القدس ، وكذلك مكانة القدس ذاتها .

٤ ــ الوضع في الشرق الاوسط ، وقد أوضحت مئير بأن كل ما عملته اسرائيل في الماضي هو محاولة الوصول الى حل بطرق سلمية ، حتى ولو بثمن تنازلات اسرائيلية هامة » .

« ... ويبدو انه في غالبية هذه المواضيع ما زالت الهوة بين الطرفين واسعة » .

وكان أكثر ما تضايق منه الاسرائيليون في بيان اليسندريني هو : ان الزيارة لم تتم بدعوة من البابا وانما بطلب من مئير ، وانه لم يحدث اي تغيير في موقف البابا من اسرائيل ، وكذلك تركيزه على الفلسطينيين ، حتى وان اعتبرهم البيان « لاجئين » فقط ، وليس « شعبا » ، وارتاحوا ــ اي الاسرائيليين ــ في المقابل لعدم ذكر البابا مسألة « تدويل القدس » كما كان يصر الفاتيكان سابقا ، واكتفاءه بالتركيز على وضع الاماكن المقدسة ، وطبيعة مدينة القدس العالمية .

وكان رد الاسرائيليين الاولي على بيان اليسندريني عنيفا ، حيث قالت غولدا مئير : « انني لم أتسلل الى الفاتيكان » (هآرتس ٧٣/١/١٦) ، واضافت : « انه من الصعب الاجابة على سؤال من هو الذي قال الكلمة الاولى » (يديعوت احرونوت ١/١٦/ ٧٣) ، ولكنها عادت ــ في مقابلة مع جريدة معاريف عدد ٧٣/١/١٩ ــ وقالت : « ان سفيرنا في ايطاليا عميئيل نجار يجري محادثات مع اشخاص مختلفين في الفاتيكان ، وقد قالوا (وأبقت مئير اصحاب الضمير مجهولين) له في مناسبات مختلفة : لماذا لا نجري محادثات مع رجالكم ، ولماذا لا نرتب لقاء بين البابا ورئيسة حكومتكم ! ، وعندما علم نجار انني ساكون في باريس في مؤتمر الاممية الاشتراكية، فكر ان هذه مناسبة ملائمة . وسالني اولا فيما اذا كانت مبادرة كهذه مرغوب فيها ، فقلت : نعم ، وعندها فحص الامر مع شخص ما في الفاتيكان ، وقال له ذلك الشخص انه سيعطيه جوابا . وبعد فترة قصيرة رد ذلك الشخص بقوله : « نعم ، يمكن ترتيب الامر ، توجهوا انتم بهذا الخصوص وسيكون الجواب ايجابيا » وهذا ما حصل : توجهنا وكان الجواب ايجابيا ، وتمت ملاءمة المواعيد .. » . وفي محاولة لتاكيد هذا الكلام ، نشرت جريدة معاريف الى جانبه صورة زنكوغرافية لرسالة الفاتيكان الرسمية التي وقعها المونسنيور جاك مارتين ، بتاريخ ٧٣/١/١٢ ، وخوطبت فيها مئير بـ « صاحبة السعادة السيدة غولدا مئير رئيسة حكومة دولة اسرائيل » وفيها « لي الشرف باعلامك ان الاب الاقدس سوف يستقبلك في لقاء يوم الاثنين ١٥ يناير في الساعة ١٢،١٥ بعد الظهر » .

وقد لاحظت غالبية الاسرائيليين «ان بيان اليسندريني هو بمثابة صفعة على وجه اسرائيل » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) ، ونقلت هآرتس (١/١٧/ ٧٣) عن صحف عدد من دول اوروبا اعتقادها بأن بيان اليسندريني قد أفشل مقابلة مئير للبابا ، حيث « ان غالبية الصحف الفرنسية اهتمت اكثر ببيان اليسندريني الناطق بلسان الفاتيكان ، .. وهو البيان الذي أكد بأن العلاقات بين الكرسي المقدس والعرب جيدة ، وان السيدة مئير هي التي طلبت اجراء المقابلة ... ورأت الصحف السويسرية ان مقابلة مئير للبابا لم تثمر ، وان الفاتيكان لم يوفر جهدا للاثبات ــ عن طريق ناطقه الرسمي ــ ان علاقاته مع العالم العربي مهمة بالنسبة له الى درجة لا تقاس ... وغالبية الصحف الايطالية التي أبرزت اللقاء وصفته بأنه سلبي ، بل ان هناك صحفا قد تحدثت عن فشله ، وذلك في الوقت الذي شذت فيه صحيفة « كوريرا ديلا سيرا » المحافظة (تصدر في ميلانو) والتي ابرزت الوجه الايجابي للمقابلة وهو الوجه الكامن في فتح نقاش بين الكرسي المقدس والقدس » .

وعلى صعيد الاحزاب في اسرائيل ، « اعربت كتلة « غاحال » وحزب « المركز الحر » عن عدم رضاهما المطلق عن زيارة رئيسة حكومة اسرائيل للبابا الجالس على الكرسي المقدس في روما » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) . ووصف النائب شموئيل

تمير (المركز الحر) في الكنيست الزيارة بأنهـا الحاق للضرر بشرف اسرائيل والشعب اليهودي ، وقال ان نظرة البابا بولس السادس العدائية لدولة اسرائيل معروفة ، اذ بعد لقائه مع رئيس الدولة شازار قبل بضع سنين (سنة ١٩٦٤) ارسل برقية بعنوان « شازار ، السلطات اليهودية ، تل ابيب » . (المصدر السابق) .

رغم ذلك فان افتتاحيـات عدد كبير مـن صحف اسرائيل يومي ١٧ و٧٣/١/١٨ (مثل : يديعوت احرونوت ، معاريف ، دافار ، جروزاليم بوست وغيرها) ، ظلت تنظر بارتياح كبـير الى هـذه الزيارة ، معتبرة ان الايجابية تكمن في مجرد حدوثها ومؤكدة على « تاريخية اللقاء » .

وعلى هذا التيار رد الصحافي الاسرائيلي شموئيل شنيتسر (معاريف ٧٣/١/١٩) بمقال ربط فيه بين فشل سياسة اسرائيل (في العلاقات مع افريقيا وفي محاربة « الارهاب ») وبين جولة مئير ومقابلتها للبابا ، وقال : « ما الذي يجب القيام به عندما تكون هناك حاجة لمكاسب سياسية عاجلة ؟ ، ان الجواب على هذا السؤال في اسرائيل بسيط ، وهو : الذهاب لاجراء مقابلة » .

وتابع سنيتسر : « اللقاء — ان لهذا العمل في دولتنا دلالة تختلف عما له في بقية الدول . ففي كل مكان في العالم تعتبر اللقاءات بين السياسيين جزءا من العمل الديبلوماسي : ويقوم بذلك رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية بصورة دائمة ، ولا يعقل ان يرى أحد كسبا في مجرد حقيقة لقائه مع غيره . ان اللقاء ، بالنسبة لهم ، وسيلة وليس هدفا . ومدى الاتفاق او التفهم الذي يتم التوصل اليه هو معيار النجاح .

« اما عندنا ، فانه لا لزوم للاتفاق او التفهم . وحتى اللقاء الذي لا يثمر شيئا يروي . وربما كان سبب ذلك هو اننا مستعدون للقاء الجميع ، ولكن ليس الجميع مستعدين ان يلتقوا بنا . ولذلك فاننا نمتلىء بمشاعر الشكر والامتنـان لكل من لديـه الاستعداد للظهور الى جانبنا ... وبموجب فهمنا هذا ، هناك اهمية عظيمة للصورة ، لانها هي الوثيقة الاساسية التي تثبت اننا التقينا فعلا ، وتأتي الصورة بذلك بديلا عن البيان المشترك ، عن الاتفاق ، عن الهدف النهائي » .

وفي تقييم سريع لمقابلة غولدا مئير الى البابا بولس السادس تبدو هذه انها كانت فاشلة تمامـا ، وعمقت الهوة بين الفاتيكان وسلطات الاحتلال بدل ان تردمها ، ولم تشكل سابقة ايضا ، حيث كان هذا البابا نفسه ، قد استقبل مسؤولا اسرائيليا هو ابا ايبان وزير خارجية العدو سنة ١٩٦٩ في الفاتيكان ، وكان المدير السابق لمكتب رئاسـة الحكومة الاسرائيلية ، وهـو الدكتور يعقـوب هرتسوغ ، الذي توفي مؤخرا ، قد قام بأكثر من زيارة للفاتيكان والتقى اكثر من مرة بالبابا الحالي وسلفه . ولم يبالغ الاسرائيليون الذيـن شبهوا مقابلة مئير للبابا بولس السادس ، بمقابلة هرتسل الفاشلة للبابا بيوس العاشر في الخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، وهي المقابلة التي أورد هرتسل وقائعها في مذكراته التي ترجمت الى العربية قبل بضع سنوات .

... « وصعد الى الجبال » !

رحلة مئير الاوروبية ، التي بدأت بفشل واحد في باريس ،و« حصدت » فشلا ثانيا في الفاتيكان ، انتهت بفشل ثالث في جنيف ، التي زارتها للالتقاء برئيس جمهورية ساحل العاج فليكس هوفويه بوانيي الذي كان يقضي اجازتـه في فيللته القريبة مـن العاصمة السويسرية .

اذ بعد ترتيب اللقاء بين مئـير وبوانيي ، الذي تعتبره اسرائيل من « اكبر أصدقائها في افريقيا » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) « اتفق الجانبان — كما علم فيما بعد — على الامتناع عن الاعلان رسميا عن اللقاء ، حتى لا يثير ذلك ردود فعـل سلبية ضد الرئيس بوانيي في الدول العربية ودول افريقية معينة . ولنفس هذه الاسباب ، رؤي ان لا يتم في اعقاب هذا اللقاء اصدار اي بيان رسمي، او تصريح ، ولا يعقد مؤتمر صحفي ، كما لا يعطى تصديق رسمي بأن اللقاء قد تم فعلا » . (المصدر السابق) .

لكن الاسرائيليين لم يلتزموا بهذا الاتفاق وصدر بيان عن القدس حول اللقاء وموعده في ساعات الصباح من يوم ٧٣/١/١٧ . « وما كاد بوانيي يعلم بذلك

حتى ترك جنيف و« صعد الى الجبال » على حد البيان الرسمي الذي أصدره سفير ساحل العاج في سويسرا ، واكد فيه ان لا علم له اطلاقا حول ذلك اللقاء ، وبالفعل لم يعد بوانيي الى فيللته الا بعد مرور ثلاث ساعات على الموعد المحدد للقاء، وبعد ذلك فقط تم لقاء مئير وبوانيي » (هآرتس ٧٣/١/١٨) .

وفي اعقاب اللقاء صدر عن ممثلية اسرائيل في جنيف بيان ذكر « ان الرئيس هوفويه بوانيي اعرب عن رغبته في دعوة رئيسة الحكومة والموظفين المرافقين لها ، لمحادثة ومأدبة في فيللته قرب جنيف حيث يقضي اجازة . وقد تبادل الرئيس ورئيسة الحكومة الاراء حول العلاقات بين الدولتين ، والوضع في الشرق الاوسط ، واعرب الرئيس ورئيسة الحكومة عن رغبتهما الشديدة في السلام في المنطقة » .

وتابع البيان : « ان هذا اللقاء الذي أمكن ترتيبه نتيجة لتواجد كلا الزعيمين في اوروبا ، قد عقد في ضوء الصداقة والتقدير المتبادل ، القائم بين رئيس ساحل العاج ورئيسة حكومة اسرائيل منذ سنوات عديدة » .

على ان حرص بوانيي في التكتم على مقابلته لمئير ، وتضايقه بعد اعلان اسرائيل عن المقابلة ، يشيران اكثر من اي أمر آخر الى حقيقـة نظرة الدول الافريقية الى اسرائيل ، خاصة وان بوانيي معروف بمجاهرته بآرائه ، وقال عنه المعلق الاسرائيلي الخبير بشؤون افريقيا ايلي كرمل « ... وانه — أي بوانيي — يعترض باصرار على التغلغل السوفياتي في القارة الافريقية ، حتى انه عـام ١٩٧١ ، بدأ تلك المفاوضات الشهيرة مع جنوب افريقيا ، التي لم تكن محببة في ارجاء القارة ، ولكن ذلك يعود الى طابع بوانيي ، فهو مستعد لان يدافع عن مواقفه عندما يكون مقتنعا بسلامتها ، حتى ولو كانت غير محببة » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٧) .

واذا كان بوانيي قد « صعد الى الجبال » رغم هذه « الشجاعة » في المجاهرة بما هو مقتنع فيه ، فان الامر يشير الى اكثر من حدوث اهتزاز في صورة اسرائيل في القارة الافريقية .

روجرز : مصر اولا ...

قبل اسبوع من توقيع اتفاقية السلام الفيتنامية في باريس ، كانت الادارة الاميركية ، قد طرحت — لاول مرة بعد توقف دام سنة تقريبا ، هي سنـة الانتخابات — مبادرة جديدة لتسوية ازمة الشرق الاوسط .

ففي السابع عشر من الشهر الماضي ، القى وزير الخارجية الاميركي وليم روجرز ، خطابا في حفل أقامته الطائفة اليهودية في واشنطن لسفير اسرائيل في اميركا ، اسحق رابين بمناسبة قرب انتهاء مهمته في واشنطن — وهي المهمة التي سيخلفه فيهـا سمحا دينتس مدير مكتب غولدا مئير — بعد زيارتها المرتقبة الى اميركا في نهاية هذا الشهر .

« وشكل خطاب روجرز الذي تحدث فيه عـن ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، ووصف فيـه التسوية الجزئية — وهي الهادفة الى فتح قناة السويس — بأنها خطوة حاسمة أولى على طريق التسوية الشاملة ، علامة على انتهاء عام من توقف الحكومة الاميركية عن الادلاء بتصريحات يمكن تفسيرها على انها مناقضة للاهداف السياسيـة الاساسية لاسرائيـل » . (هآرتس ٧٣/١/١٩) .

« ولقد قدم روجرز تنازلا ظاهرا — في محاولة لعدم اغضاب جمهور سامعيه — وذلك باغفاله ذلك الجزء من خطابه الذي يتحدث عن الفلسطينيين ، والذي تضمنه نص الخطاب الذي وزع قبل ساعات من القائه على الصحافيين في واشنطن ، .. ولكن حتى في النص المكتوب كان الكلام عن « الفلسطينيين » ، وليس عن « الشعب » الفلسطيني » . (المصدر السابق) .

وقد اعربت بعض الصحف الاسرائيلية عن تخوفها من تركيز روجرز على تنفيذ قرار مجلس الامـن « بكامله » ، واعتبار التسوية الجزئية ، ومع مصر بالذات (وقد تحدث عن فتح قناة السويس دون ان يذكر اسم « مصر ») هي الخطوة الحاسمة الاولى على طريق التسوية الشاملة .

وقالت صحيفة هتسوفيه في افتتاحيتها يوم ٧٣/١/١٩ ان هناك فروقات بين مقترحات الولايات المتحدة لايجاد حل سياسي وبين مقترحـات اسرائيل ،

فالمخرج يكمن في المفاوضات المباشرة بين الاطراف ، وليس بمحاولة فرض حل » . وقالت افتتاحية جريدة « يسرائيل زكيفار » انه يجب النظر الى اقوال روجرز « بعين الشك والحذر » ، وانه يقوم الان « بطبخ » مشروعه بأسلوب آخر . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٩) .

والتسوية الجزئية التي تحدث عنها روجرز تقوم على اربعة مبادىء : « تقوية وقف اطلاق النار ، التفريق بين قوات الجيشين الاسرائيلي والمصري ، انسحاب القوات الاسرائيلية من جزء من شبه جزيرة سيناء ، واعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٨) . وبعد اربعة ايام من القاء روجرز لخطابه ، قال رابين : ان كل القلق بشأن تحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل بعد الانتخابات للرئاسة قد تلاشى . فالاقوال التي اعلنها وزير الخارجية وليم روجرز في الاسبوع الماضي ليست ، الا تذكيرا بأهداف السياسة الاميركية التي نعرفها». (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٢٢) .

ووصل التفاهم الاميركي الاسرائيلي الى ابعد من ذلك حيث « استنكر السيد رابين تقدير مراسل « نيويورك تايمز » بأن الولايات المتحدة ستضغط على اسرائيل ، قبيل التوصل الى تسوية في الشرق الاوسط ، ... واذا كان قصد المراسل فرض الضغوط بواسطة حظر الاسلحة عنا ، فاننا قد اجتزنا المرحلة التي كانت فيها مشكلة تزويد اسرائيل بالاسلحة ، المشكلة الاساسية التي تثقل علاقاتنا مع الولايات المتحدة » . (ر ا ا ٧٣/١/٢٦) .

وكان الصحافي الاسرائيلي يسرائيل لاندرس قد كتب في جريدة دافار (٧٣/١/٢٢) انه لا ينبغي ان تستنتج اسرائيل بأن الادارة الاميركية ستوافق الى الابد على الوضع الراهن ، وان البيت الابيض لن يقدم في المستقبل مبادرة جديدة لتسوية النزاع ، وكذلك « ينبغي ألا نستخلص من اقوال نيكسون وروجرز اية استنتاجات مقلقة » .

وبدون مقدمات منطقية معقولة برز اسم الاردن و« رفض » الاسرائيليين لجعل « الاتفاق » مع الاردن هو الخطوة الاولى وأعلن عضو الكنيست رفائيل (من الحزب الوطني المتدين) معارضته « تفضيل السلام مع الاردن على اية اتفاقية كانت مع مصر ، لان من مصلحة اسرائيل ان تعطي الاولوية لمصر . وهذه هي حاليا — على حد علمنا — سياسة الولايات المتحدة ، وهي سياسة عاقلة جدا نابعة من تقدير معين للوضع » . (ر ا ا ٧٣/٢/١) .

ولقد جاء كل هذا « الجدل » الاسرائيلي في جو معبأ بالكلام الذي يؤكد بأن هدف السياسة الاميركية في المرحلة الحالية ، هو تجميد الوضع و«الاستمرار في تجميد مهمة يارنغ دون الاعلان رسميا عن انهائها » (دافار ٧٣/١/٢٦) ، مع المحافظة على ابقاء مجال للامل بامكانية التوصل الى تسوية للازمة ، وليس افضل — لتحقيق ذلك — من استمرار التحدث عن مبادرات جديدة ، اكثر ما تخشاه اسرائيل فيها ، يقل بما لا يقاس عما يمكن ان ترضى به حتى الاطراف العربية الرسمية .

عماد شقور

وثيقتان فلسطينيتان

الوثيقة الاولى*

رسالة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى الامين العام لمنظمة الامم المتحدة

تناقش الجمعية العامة للامم المتحدة ، بمبادرة شخصية منكم ، وسائل مكافحة « الارهاب الدولي » . ويعتبر الشعب الفلسطيني ، الذي هو ضحية ارهاب مخطط منسق ومتواصل ، أن بحث هذه المسألة قد جاء متأخرا جدا عن وقته .

وتطفح سجلات الامم المتحدة بقرارات الادانة لنشاطات واعمال اسرائيل الارهابية ضد السكان العرب المدنيين ومدنهم وقراهم ، بيد أن هذه القرارات لم تحل دون متابعة السلطات الاسرائيلية العمل لتحقيق أهدافها الاستعمارية الاستيطانية باستخدام الارهاب سياسة رسمية مخططة ومنسقة .

وتعتقد اسرائيل انه طالما ان الامم المتحدة لم تقرن قرارات الادانة التي تصدرها ضدها بفرض عقوبات محددة عليها فان ذلك هو بمثابة اعطائها رخصة وتصريحا بتحدي سلطة هذه الهيئة الدولية المعنوية ومتابعة تدعيم وتثبيت غزوها ومواصلة تطبيق سياساتها العنصرية العدوانية دون معارضة أو احتجاج من أحد .

وقد عمدت اسرائيل ، حسبما جرت عليه عادة جميع الانظمة الاستعمارية والعنصرية الى صرف أنظار الرأي العام العالمي عن اعمال الارهاب الصهيوني — الاسرائيلي المنظم والمتواصل بتصويرها اعمال المقاومة المشروعة وكانها جزء من مخطط ارهابي عام . بيد ان غالبية المجتمع الدولي الساحقة قد اقرت بأن العنف الثوري الذي تمارسه حركات التحرر الوطني هو ذو طبيعة دفاعية بعكس الارهاب المنظم الذي تمارسه السلطات الاستعمارية .

وقد اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها السادسة والعشرين القرار رقم ٢٧٨٧ في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ الذي يؤكد على هذا الفرق الجوهري والاساسي بينهما .

وليست الغاية من هذه الرسالة التأكيد على اهتمامنا المشترك بدوافع اعمال الارهاب ونتائجها، غير أنه توجد هنالك أنظمة ومفاهيم مبنية على فكرة اغتراب الانسان وانفصامه تنطلق من منطلقات التمييز العنصري والديني ، فيغدو الارهاب ملازما لبنية مؤسسات هذه الانظمة وفي صميم نهجها وسلوكها .

واذا غدا اغتراب الانسان بداعي انتماءاته الدينية أو العرقية هو الغاية النهائية لمفهوم من المفاهيم — كما هو الحال في الصهيونية — أو لنظام من الانظمة — كما هو الحال في اسرائيل — فعندئذ لن تكون هناك اية اعتبارات أو ضوابط اخلاقية او سياسية أو معنوية تقف حائلا دون حدوث استقطاب تام بين اليهودي والانسان . فاسرائيل ، باصرارها على بناء دولة يهودية مغلقة تقتصر على اليهود وحدهم وتنصيب نفسها قيمة على مصير جميع يهود العالم بادعائها المسؤولية السياسية ومن ثم السلطة القانونية عليهم انما تسعى عمدا وبصورة مدبرة الى زعزعة الشعور بالانتماء الذي يشعر به كثير من اليهود تجاه المجتمعات التي يعيشون في كنفها ، فهي بهذا ، في واقع الامر ، تحتقر فيمن تدعي تمثيلهم النزعة للقسوة والوحشية . وهي تقوم بذلك لكي يتسنى لها اقتلاعهم من مجتمعاتهم وتهجيرهم الى فلسطين وغيرها من المناطق المحتلة

* وثيقة رقم A/C. 6/L. 876 تاريخ ٢٢/١١/١٩٧٢ ترجمتها شؤون فلسطينية عن الانجليزية .

دون أن يصيبهم وخز من ضمير أو التزام بالقيم والاعراف السائدة في العالم .

وعندما يبلغ مفهوم ما أو نظام من الانظمة هـذا المستوى من التركيز الكلي على الذات والانغلاق التام عرقيا أو دينيا يغدو من المحتوم لامبالاتـه التامة وضربه عرض الحـائط بالمعايير الانسانية والاعراف الدولية . وعندئذ ، يغدو الارهاب طبيعيا وضروريا بل ومرغوبا فيه ، كما يشهد بذلك السجل المرفق مع هذا عن الارهاب الصهيوني والاسرائيلي. وكما هو الحـال في جميع التجارب والظواهـر الاستعمارية والعرقية الاخرى ، يغدو التصدي لمآرب الصهيونيين والاسرائيليين ومراميهم الارهابية « ارهابا » ، كما تنعت معارضة مخططاتهم سواء من جانب المقاومة اليهودية للصهيونية واسرائيل او من جانب المقاومة الفلسطينية والعربية بأنها اما من مظاهر « اللاوطنية » و« كراهية الذات » من جهة او بأنها « تخريب » و« خروج على القانون » من جهة اخرى .

ونحن الشعب الفلسطيني الذي طالما تويلت حقوقنا بتقرير المصير بالنكران والجحود ، والذين دأبت اسرائيل على تجاهل قرارات الامم المتحدة الخاصة بحقوقنا والضرب بها عرض الحائط ، نتوق لان نرى مداولاتكم ومناقشاتكم تثمر أوضاعا تؤمن اجتثاث الاسباب المولدة للارهاب ودواعيه وأن يتم اتخاذ اجراءات ضد اولئك الذين أوجب سجل سلوكهم في المجتمع الدولي الادانـة والشجب بصـورة مستمرة .

ان تعنت اسرائيل وتطرفها ، كما يتبدى من نهجها وسلوكها ومن ازدرائهـا لجميع قرارات الامـم المتحدة ، ما هو الا محض تعبير عن العنت الفكري — الايديولوجي الاساسي الذي يعتبـر اغتصاب حقوق الفلسطينيين العرب حقا مقدسا مـن أجل « لم شتات » أناس من معتنقي عقيدة معينة . ان الارهاب يكمن في اخضاع جميع الحقوق التاريخية والسياسية والشرعية المتعارف عليها والمسلم بها بصورة مدبرة ومتعمدة لمقتضيات ومتطلبات الغزو والانغلاق العرقي والدينـي . فمن هذا الالتزام الاساسي بسياسة الغزو والاستعمار يتولد الارهاب المتعدد الاوجه الذي تمارسه اسرائيل — الارهاب الفكري والسياسي والعسكري والجماعي والفردي.

وليس من قبيل الصدفة أن اسرائيل والمنظمات الصهيونية من قبل قـد وضعت السوابق لجميع اصناف والوان النشاطات الارهابية المعاصرة . فهي على سبيل المثال :

— أول من استخدم السيارات الملغومة لتفجيرها في الاسواق العربية (١٩٣٧ — ١٩٣٩) .

— أول من مارس عمليات أخذ الرهائن وقتلهم ولغم جثثهم (رقيبان بريطانيان في عام ١٩٤٧ ، وقبلهما القاضي البريطاني رالف ويندهـام الذي أطلـق سراحه فيما بعد) .

— أول من مارس الاغتيـال السياسي (داخل صفوفهم) ، ففي عام ١٩٣٣ اغتالوا الدكتـور أرلوسوروف الذي كان رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية .

— أول مـن استخدم الرسائـل الملغومة [في الاربعينات ضد الضباط البريطانيين ، وفي عام ١٩٥٥ لقتل الضباط المصريين في قطاع غزة وعمان ، وفي مطلع الستينات ضد العلماء الالمان في مصر] .

— اول من استخدم النابالم في المنطقة [خلال حرب ١٩٦٧ وبعدها] .

— اول من لجأ الى سياسة القاء القنابل على المدنيين [حيفا عام ١٩٤٨] .

— أول من عمد الى نسف الطائرات المدنية بركابها [الطائرة التي كانت تقل العلماء الالمان في عام ١٩٦٢] .

— أول من عمد الى نسف الفنادق والمباني العامة على رؤوس سكانها [١٩٤٦ — ١٩٤٨] .

— أول من عمد الى نسف بواخر الركاب المدنيين وقتلوا بها مئات من بني جلدتهم [الباخرة باتريا في عام ١٩٤٤] .

— أول من عمد الى تدمير قرى بكاملهـا وابادة سكانها عن بكرة أبيهم بصورة مدبرة [دير ياسين].

هذا، وقد طلبت من ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك أن يرفق بهذه المذكرة « ملف الارهاب الصهيوني والاسرائيلي » لانه يشكل احدى الوثائق الاساسية في المداولات حول هذه المسالة الهامة ، اذ يلقي هذا الملف الضوء على نشاطات الارهابيين الصهيونيين والاسرائيليين الذيـن يودون العبث والتلاعب ليس بحقوقنا وأمانينا المشروعة فحسب

بل وفي اعراف الانسان المتمدن ومعايير السلوك الدولي .

واننا على يقين أنه اذا عمدت الامم المتحدة ، حتى بعد مضي هذا الوقت الطويل ، الى تمحيص الاسباب والدواعي الاساسية للارهاب فستجد ان اسرائيل ، منذ وجودها ، استخدمت الارهاب لتضع العالم أمام نسق جديد من الوقائع وأمر واقع جديد كما تفعل حاليا في القدس وغزة والضفة الغربية وبقصفها اليومي للاهداف المدنية في البلدان العربية.

التوقيع

ياسر عرفات

رئيس اللجنة التنفيذية

منظمة التحرير الفلسطينية

الوثيقة الثانية

البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية*

مقدمة :

طوال نضاله المجيد من أجل التحرر والديمقراطية والوحدة ، كان شعبنا العربي يواجه على الدوام بالمخططات والمؤامرات من جانب القوى الاستعمارية والامبريالية وعملائها من رجعيين محليين . لقد كانت هذه القوى الاستعمارية والامبريالية . ولا تزال تنظر الى وطننا العربي كمجال خصب لممارسة النهب الاستعماري لما يملكه من ثروات طبيعية بغير حدود ، كما كانت ولا تزال تنظر اليه كمنطلق استراتيجي هام لما له من موقع فريد يتوسط القارات الثلاث آسيا وافريقيا واوروبا ولما له من سيطرة على طرق مواصلات بحرية وجوية حيوية ، وعلى الاخص البحر الابيض وقناة السويس والبحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي،كذلك كانت ولا تزال تنظر اليه كمركز ثقل لمن يسيطر عليه في السياسات الدولية .

ولان القوى الاستعمارية والامبريالية في هجمتها على وطننا العربي كانت تخشى على مخططاتها من النضال الوطني والقومي المتعاظم ، ولانها لم تكن واثقة من قدرة ركائزها من الرجعية المحلية على الصمود في وجه المد القومي الصاعد فانها ، مستخدمة الحركة الصهيونية العالمية ، خططت لاغتصاب فلسطين لتقيم فيها كيانا عنصريا استعماريا يكون مخفرا أماميا لحماية السيطرة الاستعمارية والصهيونية في وطننا العربي ، ويكون عصا غليظة تشهرها الامبريالية العالمية في وجه النضال العربي التحرري المتنامي .

ولقد نجحت القوى الاستعمارية والامبريالية وبالتواطؤ مع القوى الرجعية التي تحكم المنطقة بكاملها باستثناء سوريا حيث كان الحكم فيها وطنيا في ان تزرع الكيان الصهيوني الاستعماري اغتصابا وقسرا على ارض فلسطين وان تقتلع الفلسطينيين من أرضهم ، غير أن الشعب العربي الفلسطيني

---

* أقر هذا البرنامج في الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في الفترة ما بين ٦ — ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ . وتنشره شؤون فلسطينية باعتباره وثيقة سياسية هامة مقرة من قبل جميع فصائل حركة المقاومة الفلسطينية التي اشتركت في اجتماعات المجلس .

لم يستسلم. وانطلاقا من حقه في الدفاع عن ارضه ووجوده ومن مسؤوليته كخط دفاعي امامي ضد الهجمة الامبريالية – الصهيونية على وطننا العربي ، ناضل نضالا بطوليا ومستميتا طوال ثلاثين عاما ، وفي كل هبة من هباته الثورية ، التي بلغت ذروتها في ثورتي ١٩٣٦ و ١٩٤٧ ، كان للقوى الرجعية والعميلة دورها في ضرب نضاله والتمكين لاعدائه واعداء الامة العربية .

حتى كان الفاتح من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥، حيث انطلقت طلائع شعبنا الفلسطيني لتفجير الثورة الوطنية المسلحة المعاصرة ضد الكيان الصهيوني القائم بقوة العدوان والسلاح فوق ارض فلسطين، والذي لم يتوقف أبدا عن استخدام القوة لتشريد شعبنا ولاستكمال مخططاته لاغتصاب كل ارضنا. وكانت طلائع شعبنا بثورتها التي فجرتها في ذلك اليوم المجيد في مستهل عام ١٩٦٥ ، تجسد التقاليد النضالية العريقة لشعبنا ولامتنا العربية وترتفع من جديد راية النضال التحرري ضد الامبريالية والصهيونية ، هذه الراية التي سقط دفاعا عنها عشرات الالاف من الشهداء في كافة انحاء الوطن العربي .

لقد آمنت تلك الطلائع ، ومعها ومن خلفها شعبنا الفلسطيني وسائر الجماهير العربية ، وجميع احرار العالم ، بأن الكفاح المسلح هو الطريق الصحيح والحتمي ، والرئيسي والاساسي ، لتحرير فلسطين ، لان تناقضا مع العدو الصهيوني ذا طبيعة عدائية لا يمكن ان يعالج الا بالعنف الثوري المسلح .

أدى انتهاج الكفاح المسلح من قبل طلائع الثورة الفلسطينية الى استنهاض الجماهير الفلسطينية والعربية وشحنها بارادة القتال مما احدث في الواقع العربي تغييرا عنيفا امتاز بالاصرار على رفض الهزيمة وبالتصميم على الانتقال الى مواقع الهجوم في قتال العدو الصهيوني ودحر مؤامرات الامبريالية الامريكية .. فقد أصبح الاردن قاعدة للثورة المسلحة ومنطلقا لتصعيد الكفاح المسلح وحمايته على أرض فلسطين وفتحت جبهات قتال طويلة ضد العدو فشملت قناة السويس وكل حدود فلسطين مع شرقي الاردن ولبنان وسوريا . وتصاعدت المقاومة الشعبية المسلحة في الضفة الغربية وفي الارض الفلسطينية التي احتلت قبل حزيران ١٩٦٧ . وسجل قطاع غزة مآثر بطولية في المقاومة المسلحة وصلت الى حد ايجاد احياء شبه محررة من مدينة غزة بالذات .

لقد راحت الثورة الفلسطينية تنتقل من نصر الى نصر وتتطور بسرعة رغم كل المؤامرات الامبريالية والصهيونية ورغم كل الصعوبات ، وقد استطاعت ان تخرج ظافرة من كل معارك الصدام التي واجهت بها المؤامرات الامبريالية والقوى المضادة للثورة في الاردن ولبنان منذ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٦٨ حتى حزيران يونيو ١٩٧٠ كما فشل العدو الصهيوني في حملات الابادة التي وجهها ضد قواعد الثورة وتمكنت الثورة ان تحولها الى انتصارات كما حدث في الكرامة والعرقوب .

على ان الثورة بدأت تواجه وضعا خطرا للغاية بفعل المبادرات الامريكية وما افرزته من مشاريع كمشروع روجرز وما صحبها من محاصرة للثورة على نطاق واسع واشاعة لروح الاستسلام مما أتاح للقوى المضادة للثورة في الاردن ، مستغلة بعض السلبيات التي رافقت مسيرة الثورة ، فرصة ثمينة لتنفيذ المخططات الامريكية الصهيونية – الهاشمية التي استهدفت انزال ضربة قاسية بالثورة الفلسطينية تمهيدا لتصفيتها وتصفية القضية الفلسطينية . لقد قاتلت الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية الاردنية قتالا مجيدا في الاردن في ايلول /١٩٧٠/ دفاعا عن الكفاح المسلح والقضية الفلسطينية والعربية ، سيبقى أبد الدهر ملحمة خالدة من البطولة الاسطورية ، والصمود تحت أقسى الظروف ولكن الحكم العميل في الاردن استطاع في تموز (يوليو) ١٩٧١ ضرب التواجد العلني للثورة الفلسطينية في الاردن وراح ينهج سياسات تهدد بالتنازل عن الضفة الغربية والقدس رسميا للعدو وتحمل المخاطر لتصفية الوجود الفلسطيني الموحد،وتشجع على الانقسامية داخل صفوف الشعب الفلسطيني وبين الفلسطينيين والشرق اردنيين وبين الجيش والفدائيين وتجعل من الضفة الشرقية عمليا ، عازلا لمصلحة الكيان الصهيوني ومنطقة نفوذ عسكري واقتصادي وسياسي له وتحوله الى مزرعة للنفوذ الامبريالي الامريكي والالماني الغربي والبريطاني فضلا عن قمع الجماهير الفلسطينية الاردنية ونهبها وافقارها ومصادرة حرياتها الديمقراطية وتعطيل الاقتصاد الوطني . ولم يعد خافيا ان المخططات الامريكية الان تستهدف اعادة بناء الجيش الاردني لكي يوجه

ضد سوريا والعراق ايضا .. ان هذه الظروف اتاحت للعدو الصهيوني فرصة ذهبية لمواصلة مخططاته في تكريس احتلاله وتسديد محاولة تصفية المقاومة المسلحة في قطاع غزة وتدجين الوضع في المناطق العربية المحتلة ، فقد تعرض قطاع غزة الى أقسى عمليات القمع والتهجير كما فرضت على الضفة الغربية انتخابات البلدية المحلية التي تهدف الى خلق أوضاع مواتية للاحتلال وشق وحدة الشعب الفلسطيني ومحاولة ابراز زعامات مزيفة بديلة لقيادات الثورة الفلسطينية ، وقد سار هذا جنبا الى جنب مع مشروع الملك حسين لانشاء ما يسمى بالمملكة العربية المتحدة الذي استهدف ايضا ما استهدفته المؤامرة الصهيونية .

ومن جهة اخرى صعدت الامبريالية الامريكية هجمتها تحت مخطط واسع يستهدف احكام الطوق على الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي والاجهاز عليها وهي تستخدم لهذا الغرض العديد من المناورات والمؤامرات تحت لافتات ما يسمى بالمبادرات الامريكية والحلول الاستسلامية والتسويات الجزئية وقرارات مجلس الامن بمساعدة نشطة من قوى انهزامية لها علاقاتها القوية اقتصاديا وسياسيا بالامبرياليين .

ان الضربة التي وجهت للثورة الفلسطينية في الاردن في اواسط عام ١٩٧١ واشتداد الهجمة الامبريالية الامريكية والصهيونية على الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها وزيادة تدهور الوضع العربي الرسمي باتجاه الاستسلام تجعل الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والعربية تواجه ازمة عامة تأخذ بخناق الامة العربية كلها في الوطن العربي الكبير من جهة وتأخذ من جهة ثانية ، بدفع المؤامرات تلو المؤامرات من اجل تصفية الثورة الفلسطينية وتصفية الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني ولقضيته الوطنية عبر مشروعات تآمرية مثل مشروع آلون ومشروع الدويلة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع والضم والتهويد ومحاولات الاستيعاب والتذويب للشعب الفلسطيني في المجتمعات التي يعيش فيها في الشتات .

ولكن في جو الازمة تجد شعبنا العربي الفلسطيني يتحرك بتصميم وثبات دفاعا عن ثورته المسلحة ووجوده الوطني الموحد وعن حقه في تحرير وطنه كاملا ، ولن يسمح بتصفية قضيته العادلة وثورته اللتين تشكلان مركزا للاشعاع النضالي والثوري في منطقة يريد الامبرياليون والصهاينة ان يفرضوا عليها سيطرتهم الكاملة .

ونجد قواعد الثورة ومقاتليها ومنظماتها الجماهيرية تدفع بقوة وبحسم تجاه الوحدة الوطنية وتصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وتحرير الاردن وبناء الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية والالتحام بحركة التحرر العالمي وبالقوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم .

ان التوجه القوي نحو الوحدة الوطنية في صفوف الثورة الفلسطينية لا يشكل بحد ذاته كسرا لطوق الازمة ولكنه يوفر شرطا ضروريا على طريق كسر ذلك الطوق .

وان تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وتعبئة الجماهير وتنظيمها ، وتنشيط مختلف أشكال النضالات الجماهيرية المسلحة وغير المسلحة ، والعسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية يؤديان الى استعادة زمام المبادرة والانتقال الى مواقع الهجوم في كسر طوق الازمة .

ان الساحة الاردنية تتميز عن أية ساحة عربية اخرى بالنسبة للثورة الفلسطينية ، وقضية تحرير فلسطين، فهي تتشكل من أغلبية فلسطينية لها حقوق وطنية فيه بالاضافة الى حقوقها العامة وتشكل هذه الاغلبية جزءا رئيسيا من الشعب الفلسطيني لا مجال للحديث عن كفاح مسلح ضد العدو الصهيوني بدونها ، فضلا عن ارتباط نضالها بنضال شعب شرقي الاردن وارتباطه عضويا في التاريخ المعاصر وخصوصا في الخمس والعشرين سنة الماضية . كما أن شرقي الاردن يشكل اطول حدود مع العدو الصهيوني واقرب حدود الى طرق مواصلاته ومواقعه الاستراتيجية عسكريا واقتصاديا وسكانيا . ومن هنا تنبع الخطورة البالغة لتآمر حكم الملك حسين في الاردن مع الامبريالية والصهيونية وما ترتب عن ذلك من مجازر ضد الثورة الفلسطينية وتحريم تواجدها في الاردن ومقاومة أي نشاط موجه ضد العدو الصهيوني والامبريالية وتحويل الاردن الى عازل عسكري لمصلحة الكيان الصهيوني وممر لسياساته ونفوذه في كل المجالات . الامر الذي يجعل مسالة تحرير الاردن (اسقاط الحكم العميل) يلعب دورا حاسما في كسر طوق الازمة ويشكل ضرورة استراتيجية في تحرير فلسطين .

ان بناء جبهة عربية مشاركة للثورة الفلسطينية يرتكز اساسا على الايمان بأن لا نجاح لقضيتنا الا في اطار الانتصار العام لنضال امتنا العربية الوطني والقومي التحرري ، سوف يسهم في حماية الثورة الفلسطينية وفي ضمان استمرارية الكفاح المسلح وتصعيده ويساعد في الكفاح لاسقاط الحكم العميل في الاردن فضلا من اسهامه العام في كسر طوق الازمة .

ان توثيق علاقات التضامن والنضال المشترك بين الثورة الفلسطينية والنضال العربي وبين حركة التحرر العالمية والقوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم والذي يرتكز اساسا على الايمان بأن الثورة الفلسطينية والنضال العربي جزء من النضال التحرري العالمي وسوف يسهم في دعم نضالنا الثوري وتصعيده ، كما سوف يسهم ايجابيا في نضال الشعوب المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية والرجعية .

وامام هذه الاوضاع الجديدة والخطرة وأمام المسؤوليات الملقاة على عاتق الثورة الفلسطينية فان منظمة التحرير قد التقت بجميع فصائلها وقواها على اعلان برنامجها السياسي المرحلي الذي يرتكز على أربعة محاور استراتيجية رئيسية :

١ — مواصلة تعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه في حرب شعبية طويلة المدى من اجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين ضمن اطار مطامح الامة العربية في التحرر القومي والوحدة الشاملة .

٢ — لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير اردنية فلسطينية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكي العميل ، الذي يشكل قناعا رجعيا للسيطرة الصهيونية الفعلية على الضفة الشرقية وحارسا مأجورا شرسا لنفس الاحتلال الصهيوني على فلسطين .

٣ — ربط النضال الفلسطيني — بالنضال العربي العام من خلال جبهة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد.

٤ — التلاحم مع حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن اجل التحرر الوطني .

ان منظمة التحرير الفلسطينية تحدد مهامها فيما يلي :

اولا : في الساحة الفلسطينية :

١ — مواصلة النضال والكفاح المسلح لتحرير كامل تراب الوطن الفلسطيني ولاقامة المجتمع الديمقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ليعيشوا بمساواة وعدل واخاء وضد كافة اشكال التعصب العنصري او العرقي او الديني .

كما تتوفر في هذا المجتمع حرية الراي والتعبير والاجتماع والتظاهر والاضراب وتشكيل المؤسسات السياسية والنقابية الوطنية وحرية ممارسة العقيدة لكل الاديان وبحيث يكون هذا المجتمع الفلسطيني الديمقراطي جزء من المجتمع الديمقراطي العربي الشامل الموحد .

٢ — النضال ضد عقلية التسوية وما تفرزه من مشروعات تستهدف قضية شعبنا في تحرير وطنه او مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات **او الدولة الفلسطينية على جزء من ارض فلسطين والتصدي لهذه المشروعات** بالكفاح المسلح وبالنضال السياسي الجماهيري المرتبط به .

٣ — تعزيز روابط الوحدة الوطنية والنضالية بين جماهير مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الضفة الغربية وقطاع غزة وفي خارج الوطن المحتل .

٤ — مقاومة سياسة تفريغ الارض المحتلة من سكانها العرب والتصدي بعنف لبناء المستوطنات وتهويد اجزاء من الوطن المحتل .

٥ — تعبئة الجماهير في الضفة وفي القطاع وكافة الارض الفلسطينية المحتلة وتسليحها لمواصلة النضال وتنمية قدراتها الكفاحية في وجه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني .

٦ — العناية بتنظيم جماهيرنا في الارض المحتلة ومساعدة المؤسسات الجماهيرية على مقاومة محاولات الهستدروت لاجتذاب العمال العرب لعضويته وتعزيز ودعم اتحادات عمال فلسطين والاردن لتحقيق هذا الهدف ومقاومة محاولات الاحزاب الصهيونية لاقامة فروع عربية لها في الارض المحتلة .

٧ — دعم جماهير الفلاحين وتنمية المؤسسات

الاقتصادية والثقافية الوطنية في الوطن المحتل لتثبيت المواطنين في الارض ووقف تيار النزوح منها ومقاومة الغزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني .

٨ — العناية بأوضاع مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ودعم نضالهم من أجل الحفاظ على هويتهم الوطنية والعربية وتبني قضاياهم ومساعدتهم على الالتحام بالنضال التحرري .

٩ — العناية بمصالح جماهير شعبنا العاملة في مختلف انحاء الوطن العربي والعمل على الحصول لها على حقوق اقتصادية وقانونية متكافئة مع مواطني المجتمعات العربية طالما انها توظف طاقاتهم الانتاجية في خدمة تلك المجتمعات وخاصة فيما يتعلق بحق العمل والمكافآت والتعويضات وحرية العمل الفلسطيني سياسيا وثقافيا ، وحرية السفر والتنقل ضمن المحافظة على شخصيتها الفلسطينية .

١٠ — ترقية وتطوير دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا واشراكها في كل مجال نضالي .

١١ — العناية بأوضاع مواطنينا في المخيمات والعمل على ترقيتها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا وتدريبهم على الادارة الذاتية لشؤونهم .

١٢ — دعم صمود العمال الذين يعملون في اراض ومؤسسات عربية وتوفير الضمانات لحمايتهم من اغراءات العمل في مشاريع العدو وتشجيع وتنمية انتاجية وطنية لاستيعاب العمال الذين يستخدمهم العدو ومقاومة محاولات العدو للاستيلاء على المشاريع الانتاجية الوطنية وتحطيمها .

١٣ — اعتبار كل متعاون مع العدو او متهاون في حقوق الشعب الفلسطيني الطبيعية التاريخية في ترابه الوطني ، هدفا بشخصه وممتلكاته من اهداف الثورة وكذلك كل متآمر على أي حق من الحقوق الراهنة لشعبنا ، وفي مقدمتها حقه في مقاومة الاحتلال وحقه في الاستقلال الوطني .

١٤ — العناية بأوضاع جماهيرنا في المهاجر الاجنبية والعمل على ربط هذه الجماهير بقضيتها وبثورتها الفلسطينية .

١٥ — تمارس منظمة التحرير علاقاتها الرسمية العربية في اتجاه رعاية مصالح المواطنين الفلسطينيين في الوطن العربي ، والتعبير عن الارادة السياسية للشعب الفلسطيني (وتظل الثورة الفلسطينية هي القيادة السياسية الشرعية للشعب الفلسطيني وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصيرية) .

ولذلك فان المؤسسات القيادية لمنظمة التحرير الفلسطينية ينبغي ان تشكل من كل فصائل الثورة الفلسطينية المسلحة ومن المنظمات الفلسطينية الجماهيرية ، نقابية او ثقافية ومن الفئات والشخصيات الوطنية ، التي تؤمن بالكفاح المسلح طريقا رئيسيا وأساسيا لتحرير فلسطين والتي تلتزم بالميثاق الوطني الفلسطيني .

ثانيا : **في الساحة الاردنية الفلسطينية :**

ان الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية مطالبة بتوجيه نضال الشعبين نحو الاهداف الاستراتيجية التالية :

أ — اقامة نظام حكم وطني ديمقراطي في الاردن يخلق المناخ الملائم لمواصلة النضال من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ويؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين الاردني والفلسطيني ويضمن تجديد وتصحيح وحدة الضفتين على اساس المساواة الوطنية الكاملة بين الشعبين بما يؤمن كامل الحقوق الوطنية التاريخية للشعب الفلسطيني والحقوق الوطنية الراهنة للشعبين ويؤمن التطور الوطني المشترك لها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا، ويعزز علاقات الاخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستوريا وقانونيا ، وثقافيا واقتصاديا ، وعن طريق وضع موارد اي من الشعبين بشريا واقتصاديا في خدمة نموهما المشترك .

ب — لحم نضال الشعبين الفلسطيني والاردني بنضال الامة العربية من اجل انجاز التحرر الوطني وضد المشاريع الامبريالية الهادفة الى فرض حلول واوضاع استسلامية على الوطن العربي، ولتصفية كل أشكال الوجود الصهيوني والامبريالي الاقتصادية والعسكرية ، والثقافية ، وكل القوى المرتبطة بها والتي تقوم بدور الوسيط الاستعماري الجديد ولسياساته .

ولكي يتحقق الوجود الفعلي للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ويتدعم وينمو فوق الساحة الاردنية ، فان من الواجب البدء فورا بتنشيط كافة أشكال النضال الجماهيري اليومية ، بحيث يؤدي تحرك الجماهير من اجل مطالبها اليومية والعامة الى بروز قياداتها المنظمة وتنظيماتها المعبرة عن مصالح

فئاتها المختلفة هذه القيادات والتنظيمات التي غابت عن معارك الجماهير اليومية طوال السنوات الاخيرة .

كما أن تحقيق الاهداف العامة للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية يتطلب نضالا طويلا وشاقا بحيث تتخطى الجماهير من خلال النضال اليومي والمعارك الجزئية كل العقبات الاقليمية الاجتماعية، تنصهر في نضال مشترك يبرز وجهها القومي المناضل ويفضح النظام الملكي العميل الذي يعتمد اساسا على استغلال العلاقات العشائرية واستثارة التعصب الاقليمي كقناع خادع لعمالته للصهيونية والاستعمار (ولتلهية الجماهير عن تناقضها معه). وتقدم منظمة التحرير الفلسطينية برنامج العمل على الساحة الاردنية وتطرحه لخلق الحوار الرفاقي الجاد مع التنظيمات النضالية في الاردن من أجل بناء الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية والتي يجب ان تتوجه بالنضال من اجل :

١ ــ تعبئة وتنظيم الجماهير من اجل اقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن يؤمن بالثورة الفلسطينية ويساندها ويوفر لها مناخات العمل اللازمة لكل وسائل النضال الجماهيري .

٢ ــ اشراك أبناء الشعب الاردني في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني باعتبار ذلك هدفا وطنيا وقوميا وباعتبار ذلك ضرورة لحماية الضفة الشرقية للاردن أيضا .

٣ ــ النضال من أجل تحقيق حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومن الاردن واقامة قواعدها على ارضه وفضح مؤامرات النظام العميل واضاليله في هذا الشأن وتوفير الحماية الجماهيرية للمقاتلين المنطلقين من والى غرب النهر .

٤ ــ العمل على تجميع القوى الوطنية والمعادية للامبريالية في الوطن العربي كله في جبهة نضالية واحدة وعلى تعميق العلاقات الكفاحية بين النضال الوطني الفلسطيني الاردني والقوى الثورية العالمية .

ثالثا : **العلاقة مع الجماهير والقوى الثورية العربية :**

ان المرحلة الى تمر بها الثورة العربية الان هي مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية التي تناضل من أجل :

أ ــ تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل والقضاء على كل شكل من اشكال التجزئة والتبعية للاستعمار والامبريالية .

ب ــ تصفية كل اشكال الوجود الامبريالي من نفوذ سياسي وقواعد عسكرية ، واستثمارات اقتصادية، ومؤسسات ثقافية ، ودحر كل القوى المحلية المرتبطة بها .

جـ ــ تحرير فلسطين من الكيان الصهيوني ــ الامبريالي والذي لم يغتصب ارض فلسطين ويشرد شعبها الاصلي منها وحسب وانما اثبت طوال وجوده انه أداة رئيسية للامبريالية لضرب الثورة العربية وحماية الوجود الامبريالي في المنطقة . ان تحرير فلسطين ليس واجبا وطنيا فلسطينيا وحسب وانما هو أيضا ضرورة قومية ، حيث لن يستطيع النضال لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ان يتحد ويتعمق ويتسع وينجز مهامه الا لتصفية القاعدة الصهيونية الامبريالية التي تستهدفه من اساسه .

د ــ توطيد حرية الجماهير العربية لتمارس دورها في الحياة السياسية ولتكون قاعدة صلبة لوحدة عربية ديمقراطية راسخة .

هـ ــ وضع موارد الامة العربية المادية والبشرية في خدمة تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية تستهدف تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وتحقيق التكامل الاقتصادي والحضاري العربي ، والقضاء على كل أشكال التخلف والتجزئة .

ان الثورة الفلسطينية والنضال الوطني الفلسطيني الاردني يشكلان بتلاحمهما جزءا لا يتجزأ من الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، ومحورا من محاورها الرئيسية .

لذلك فان مهمة الثورة الفلسطينية وقيادتها والجبهة الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية ان تسعى للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني الديمقراطي العربي اينما كانت ، وان تهيىء ، بنضالها المناخ القتالي المساعد على بروز هذه القوى ، وان تفتح صفوفها للمناضلين العرب لان النضال على الساحة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني الامبريالي هو نضال استراتيجي رئيسي للثورة العربية في مجموعها .

ان القوى الوطنية التقدمية العربية التي ينبغي أن تتجمع في جبهة وطنية عربية مطالبة :

١ — بتعزيز الدعم الايجابي للثورة الوطنية الفلسطينية وللنضال الوطني الديمقراطي الاردني — الفلسطيني .

٢ — بالنضال ضد كل مشاريع التصفية او التسويات الجزئية ، ليس فقط لما تنطوي عليه من تكريس للاغتصاب الصهيوني وتصفية للقضية الوطنية الفلسطينية ولكن ايضا لما تأكد من انها مدخل لمناورات ومؤامرات الامبريالية والقوى الرجعية الموالية لها لتمزيق وحدة القوى الوطنية العربية ، ولتصفية الثورة الوطنية العربية ومحاولة فرض السيطرة الامبريالية الكاملة على المنطقة .

٣ — بالنضال لتصفية اشكال الوجود الامبريالي الراهنة في الوطن العربي من نفوذ سياسي ، وقواعد عسكرية ، واستثمارات ومؤسسات ونشاطات ثقافية والنضال ضد سيطرة الاقتصاد الامبريالي على الاقتصاد الوطني العربي وبالنضال ضد القوى الرجعية التي تروج لذلك وتنشطه . ان استمرار المصالح الامريكية على الارض العربية والعلاقة العضوية لهذه المصالح يقتضيان التصدي لضرب وتصفية هذه المصالح الامريكية — الامبريالية .

٤ — تشجيع ودعم كل المؤسسات والنشاطات التي تعمل على بعث وحماية التراث القومي العربي ، وعلى دعم نشر القيم والفضائل القومية والثورية والتي تتولى مهمة التصدي للغزو الثقافي الصهيوني والامبريالي وللقيم المنحطة والمتدهورة التي يروج لها .

٥ — التضامن مع المناضلين الوطنيين والتقدميين العرب ضد أي اضطهاد بدني او معيشي او فكري او سياسي يتعرضون له .

رابعا : — العلاقة مع قوى التحرر في العالم :

ان النضال الوطني الفلسطيني والنضال الوطني الديمقراطي العربي هما جزء لا يتجزأ من حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والعنصرية ومن أجل التحرر الوطني . ان التضامن والدعم المتبادلين بين النضال الوطني العربي والنضال الثوري على النطاق العالمي هما ضرورة وشروط موضوعية لنجاح نضالنا العربي .

والقوى الوطنية والتقدمية العربية تنطلق في علاقاتها التضامنية العالمية من المبادىء التالية :

١ — ان النضال الوطني الفلسطيني العربي هو بشكل حاسم وثابت الى جانب وحدة كل قوى الثورة العالمية .

٢ — ان اسهام النضال الوطني العربي في حسم اية خلافات في الحركة الثورية العالمية هو في المحل الاول بمعالجته لقضاياه وللتحديات التي تواجهه بشكل فعال وبنجاح .

٣ — ان اهداف النضال العربي وأساليبه الاخذة بالقوانين العامة للثورة التي هي خلاصة تجارب حركات التحرر الوطني العالمية هي من شأن القوى الوطنية والتقدمية العربية على ان لا يعني ذلك اهمال وتجاهل ملاحظات ونصائح الاصدقاء .

قبل صدور العدد بايام قليلة وردنا نبأ اعتقال الأخ المناضل ابو داود عضو المجلس الثوري لحركة فتح والقائد العام لقوات الميليشيا في الاردن . وقد اعتقل ابو داود وعدد من رفاقه في عمان اثناء توجههم للقيام بواجبهم في محاربة العدو ، وهم الآن في سجون الاردن يتعرضون للتعذيب وحياتهم في خطر. واسرة شؤون فلسطينية تتوجه بالنداء لكافة قرائها وانصار الشعب الفلسطيني في العالم للعمل بكافة السبل لانقاذ حياة الاخوة المعتقلين .

فهارس

شؤون فلسطينية

السنتان الأوليان

١/٣/١٩٧١ - ١/٣/١٩٧٣

(الأعدادُ الثمانية عشر الأولى)

الفهرس الاول

الكتّاب

الرقمان المشار اليهما الى جانب كل مادة من الفهرس يعنيان على التوالي رقم العدد من « شؤون فلسطينية » ثم رقم الصفحة . وفي الفهرس الثالث الخاص بمراجعات الكتب أضفنا اختصارا للغة الكتاب المراجع ، والاختصارات تعني اللغات التالية : أل = ألماني . س = سويدي . ع = عربي . عب = عبراني . ف = فرنسي . ن = انكليزي . نر = نرويجي . ه = هولندي .

الفهرس الثاني

المواضيع

الفهرس الثالث

المراجعات

الفهرس الرابع

المؤتمرات

الفهرس الخامس

الشهريات

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60 ($ 20), elsewhere LL 90 ($ 30); *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 45 ($ 15). *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا
٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية